كتاب

عيون الاخبار

للداعي الاجل سيدنا ادريس عماد الدين رضوان الله عليه

# 

بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين في جميع الامور

الحمد لله رب العالمين ، خالق الناس اجمعين ، الذي رفع السماء وسطح الارضين بلا ظهر ولا معين ، واهمل المعصرات بالماء المعين ، واصطفى رسوله محمدا خير المرسلين ، الدعاة الى ما اعده من الثواب في الجنات والمبشرين، والمنذرين لمن عصى بالعقاب والمحذرين ، واجتبى من ارتضاه من النبيين، واختارهم للارشاد لكافة العباد والتبيين،

واشهد ان لا اله الا الله واحدا احدا اختار انبيائه واوليائه للارشاد والهدى ، وانقذ بهم عباده من الهلاك والردى ، ثم انتجب منهم من جعله على جميعهم بما فضّله به مفردا ، وسماه في التوراة والانجيل احمدا ومحمدا ، بعثه والناس في ضلالهم سدى ، وفي شركهم وجهالتهم شعاعا بددا ، يعبدون الاوثان من دون الرحمن ، ويهيمون في مهامه الكفر والطغيان ، ويدينيون لغير خالق الانس والجان ، ويعصون الله سبحانه ويطيعون الشيطان ، فهدى الله تعالى به الى خير السبيل ، وابتعثه جل وعلا على حين فترة من الرسل ، ودعا به الى افضل الشرائع والملل ، وارشد به من مال عن طريق الآخرة وضل ،

واشهد ان محمدا رسول الله الذي اقام به خير الاديان ، وانزل عليه آيات الفرقان ، وارسله ليهتدي به الثقلان ، وخاطبهم على لسانه بقوله تعالى يا معشر الجن والانس ان استطعتم ان تنفذوا من اقطار السموات والارض فانفذوا لا تنفذون الا بسلطان ،

واشهد انه رسول الله الذي ارسله هاديا ومبشرا ونذيرا ، وداعيا الى الله باذنه و سراجا منيرا، صلى الله عليه من نبي دمر الله به الكفار تدميرا ، وآتاه على جميع انبيائه فضلا كبيرا ، واورث متابعيه جنات وحريرا ، يفجرون فيها انهارا الخيرات والنعيم تفجيرا ، واصلى معانديه وجاحديه سعيرا ، وجعل وصيه علي ابن ابي طالب له معينا ونصيرا ، وشريكا الا في النبوة ووزيرا ، واخا كهرون من موسى وظهيرا ، وانزل فيه مع الرسول وفي بعلته وابنيهما انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت ويطهركم تطهيرا ، واوضح الله فضله على لسان رسوله وجعله شهيرا ، وانزل فيه ويطعمون الطعام على حبه مسكينا ويتيما واسيرا ،

صلى الله عليه من وصي جاهد الكفار والمنافقين ، واتم الله بولايته النعمة واكمل الدين ، وجعل ذريته الذين فيهم الامامة الى يوم القيامة هم الباقين ، واختارهم على علم على العالمين ،

وعلى ولديه الطاهرين ، وفرقديه الزاهرين ، ابي محمد الحسن وابي عبد الله الحسين سبطي من اوحى الله اليه فقال لا تتخذوا الهين اثنين ، وعلى الائمة الاطهار من ذرية الحسين بن علي الذين لله منهم في كل زمان صفي وولي ، واختاره في اوانه وجعله لامة جده يلي ، فجددوا من شريعة جدهم ما بلي ، واورثوا مولودا عن والد مقام الامامة العلي ، فمنهم من اظهر الله ونور برهانه الجلي ، ومنهم من احتجب احتجاب الشمس في الليل الديجور صابرا على ما ابتلي ،

وعلى وارث مقامهم الطاهر، وخليفتهم الباقية كلمة الامامة في عقبه الى اليوم الآخر ، فمن نجله صاحب العصر والزمان ، ولي اهل الدين والايمان ، والنجاة لمتبعيه من العذاب والامان ، فعليهم الصلوة والسلام ما اظلم ليل داج وطلع نجم وهاج ، وزينت السماء بالنجوم والابراج ، واضاءت الشمس وسطعت انوارها في الارض ذات الفجاج ،

اما بعد

فان الله تعالى وجل كبريائه لما بعث انبيائه المرسلين، واقام لهم دينه في الاولين، لم يكن في حكمه وعدله، ورحمته وفضله، انه يجعل لانبيائه اوصياء من انبياء واولياء وخلفا، وهداة من بعدهم واولياء لهم الله اختار واصطفى ، ويخلي امته صلع ممن يهديه ويخلفه بعد ان قبضه الله اليه فيهم مع كون الله تعالى قد ختم بنبوته النبوات ، وجعله آخر رسله الهادين الى النجاة ، فان الامة بعد انقطاع النبوة والخلفاء الهادين احوج ، والى من يعرفهم الطريقة والاستقامة على الشريعة والمنهج ، ولم يكن ذلك الى الامة فتختار ، ولا جعل لهم في دين الله ايراد ولا اصدار ، والامامة هي اصل الدين الذي به يقوم ، وبائمة الحق يصح الطاعة لله الحي القيوم ، ولم يكن في الامكان ان تجتمع الامة على امر واحد، ولا عرف ذلك في خبر ولا اثر وارد ، وانّى واين ذلك وقد وقع الاختلاف بينهم والتضاد ، وافترقت الصحابة بعد نبيها وتقارعت بالسيوف الحداد ، وقد قال النبي صلع اتى عنه في صحيح الآثار ، اختلفت امة اخي موسى احدى وسبعين فرقة منها فرقة ناجية والباقون في النار ، واختلفت امة اخي عيسى اثنين وسبعين فرقة منها فرقة ناجية والباقون في النار ، وستختلف امتي ثلاث وسبعين فرقة منها فرقة ناجية والباقون في النار ، ولو انهم اتبعوا نبيهم صلع ما اختلفوا ، ولو اطاعوه فيمن نصبه لهم ما عدلوا عن الحق ولا صدفوا ،

وحاشاه صلع ان يقول لا ينبغي لمسلم ان يبيت ليلة الا ووصيته عند رأسه ويترك الامة فوضا مهملين، ولا يوصي الى من يقوم بامرهم ويقيمه علما لاهل الدين ،

ثم حاشاه وصيه وائمة الحق من بعده ان يتركوا الامة سدى، ويمضوا ولم يقيموا لهداية الخلق احدا ، ولما كانت الوصاية قد جرت من النبي صلع الى امير المؤمنين علي ص ع، ومنه الى ولي بعد ولي ، بما ظهرت به النصوص ، وعرفت وان جحده كثير من العموم والخصوص ، وكان اكثر الامة قد انكروا ذلك بغيا وعتوا ، وكانوا كما قال تعالى وجحدوا بها واستيقنتها انفسهم ظلما وعلوا ،

وقد ورد عن العلماء الاخيار ، والهداة الابرار ، في ذلك من التأليف والتصنيف ما يكثر عدده ، ولا يطيق احصائه من شهر بالعلم وان عظم جهده ،

رأيت ان اجري في ميدانهم جري الظالع الحسير ، وابلغ الجهد وانا معترف بالتقصير ، واؤلف هذا الكتاب وابتدئ فيه بمختصر من سيرة الرسول صلع واقفو ذلك بذكر الوصي صلى الله عليه وما ابتلي به بعد الرسول صلع وصبره حتى افاء الله بالامر اليه وجهاده الناكثين والقاسطين والمارقين ، ونأتي على الاختصار بنبذ من اخبار ائمة الهدى من آله المهتدين بهديه والجارين على منواله ، ومن ظهر منهم بامر الله ومن استتر ، ومن شهر سيفه ، ومن لزم كهف التقية وعلى ما ابتلي به صبر ، ومن نازعهم وعارضهم من المتشيعين وفارقهم وخرج عن دعوتهم ، بمختصر من القول لم اسلك فيه سبيل التطويل، وخير القول ما قل ودل ، وحسبي الله ونعم الوكيل ، ومنه سبحانه استمد المعونة والتوفيق ، والهداية الى سواء الطريق ، ومن انوار بركات اوليائه اقتبس ، وبهم اروم الارشاد الى سبل السداد والتمس ،

ووسمت هذا الكتاب بعيون الاخبار وصحيح الآثار في سيرة النبي المختار ووصيه علي ابن ابي طالب قاتل الكفار وآلهما الائمة الاطهار عليهم صلوات الله العزيز الغفار ،

وان كانت قد وردت السير باخبار سيد البشر، ووصيه المرتضى المكني عنه بحيدر ، فاني اردت ان اتبرك بذكرهم ولا اخلي كتابي هذا ان افتقه بطيب نشرهم ، واذكر في ابتدائه فضل آباء النبي المختار ، وما نزههم الله به عما رماهم به اهل الجهل من كونهم على نهج الكفار ، نعوذ بالله من الجهل المردي ، وتناول اهل الفضل بالثلب والبغي عليهم والتعدي ، ولا حولا ولا قوة الا بالله العلي العظيم ، ومنه استمد التوفيق والتسديد بفضل نبيه محمد وآله الطاهرين من ابنائه عليهم الصلوة والتسليم واسأله ان يجعل اجرى على ما قصدته موفورا وسعيي فيما يرضيه ويزلف اليه والى اوليائه مشكورا ، فاني جعلت ذلك خالصا لوجهه الكريم لا اريد به جزاء من احد من خلقه ولا شكورا .

## ذكر شي من فضل آباء النبي صلع من آل اسماعيل، وما آتاهم الله من الفضل الجليل، وما خصهم به من الطهارة ، وما ورد في ذلك من النص والاشارة .

نقول بعون الله تعالى انه قد عرف الخاص والعام واجمع جميع فرق الاسلام على صحة الرواية عن النبي صلع في قوله نقلت انا وانت يا علي ابن ابي طالب من كرام الاصلاب الى مطهرات الارحام ، وقد قال الله تعالى ان اكرمكم عند الله اتقاكم ، وقال النبي صلع الكرم التقوى ، وقال تعالى انما المشركون نجس ، فصح بشهادة النبي صلع لآبائه بالكرم كونه على التقوى والطهارة ونزاهتهم عن الشرك بما ابانه الرسول صلع بواضح العبارة ، فمن نسب اليهم الشرك وقد سمع قول النبي صلع فقد جاء باثم عظيم وافترى واستحق ان لم يطهر نفسه بالتوبة العذاب في الدار الاخرى ، وقد قال الله تعالى على لسان نبيه ابراهيم ربنا اني اسكنت من ذريتي بواد غير ذر زرع عند بيتك المحرم ربنا ليقيموا الصلوة فاجعل افئدة من الناس تهوي اليهم وارزقهم من الثمرات ، فدل ذلك ان دعوة نبي الله وخليله غير مردودة فان البيت الحرام لم يخل ممن يكون فيه ومن ذرية الخليل مستحقا للفضل الجليل وان كانوا بين عباد الاصنام ممن يكتم ايمانه كمؤمن آل فرعون مع ما ظهر لهم من الخصال المحمودة والآثار الصالحة التي هي عند غيرهم مفقودة ، وكفى لهم فخرا بكونهم ممن انتقل فيهم نور النبوة ، وخصوا بولادة الرسل الطاهر الاصل والابوة ، صلى الله عليه وعلى آبائه الطاهرين ،وان ابراهيم الخليل لما اوصى الى ابنيه اسماعيل واسحاق عليهم السلام اسكن اسحاق وذريته في البيت المقدس واسكن اسماعيل وآله في بيت الله الحرام المخصوص بزمزم والمقام، والبيت الحرام هو قبلة ابراهيم التي صلى اليها، واذن بالحج نحوه كل من اتبعه عليها ، وكفى بهذا ايضاحا وبرهانا ودليلا وتبيانا على ما اختصوا به من عظيم المقام وجعل لهم من فضل الله تعالى والانعام ، وان كان قد خالطهم اهل الشرك من عباد الاصنام، واعتزى بالنسب الى ابراهيم وكان من الجاهلية الجهلاء الذين هم اضل من الانعام ، من مشركي قريش وغيرهم من العرب فقد يصحب المؤمن الكافر والبر الفاجر ، وقد قال الله تعالى في كتابه الكريم في صفة مؤمن عنف من كان من الاصحاب ، فقال اكفرت بالذي خلقك من تراب ،

وجعل موسىوعيسى وغيرهما من الانبياء عليهم الصلوة والسلام من ورثة اسحق ،واختص اسماعيل الذبيح بكون النبي صلع من ذريته الاكرمين ،وصفوة ابناءه الاكرمين الميامين ، وكان اسماعيل وصي ابراهيم وولده الاكبر ، قال الله تعالى في كتابه الكريم واذكر في الكتاب اسماعيل انه كان صادق الوعد وكان رسولا نبيا ، وكان يأمر اهله بالصلوة والزكوة وكان عند ربه مرضيا ، فاهله الذين امرهم بالصلوة والزكوة هم اولاده الذين استقاموا على ملة الخليل وانتقل الفضل منهم في واحد بعد واحد حتى انتهى الى محمد الرسول صلع ، وكان اولاد اسماعيل اثنى عشر افضلهم قيذار بن اسماعيل وامه ابنة مضاض بن عمر الجرحمي ،

ويقال ان اسماعيل لما مات ودفن بالحجر في مكة مع امه هاجر وقد كبر ابنه قيذار وولد قيذار حمل ، وكان الفضل في قيذار ظاهرا ووافق ابن عمه يعقوب ابن اسحاق بن ابراهيم عليه السلام فرأى فيه يقعوب نور النبوة وبشره يعقوب ان النبي محمدا صلع يكون من عقبه وان تباشير نوره تظهر في اسرة وجهه ، ولم يزل الفضل ينتقل في اولاد اسماعيل الذين ولدوا النبي خلاف غيرهم ممن تشعب من ولد اسماعيل بل كل من كان محمد صلع من ذريته فله الفضل المبين على اخوته والشرف المعروف المستبين ، حتى انتهى ذلك الى عدنان وكان في زمن النبي موسى بن عمران وقصته معروفة ،وله فضل عظيم وقد كان وافق شعيب وموسى والخضر ، ومنه كان معد وعك ، وكان معد الافضل ، وفي عك يقول العباس بن مرواس السلمي:

وعك ابن عدنان الذين تلقبوا بغسان حتى طردوا كل مطرد

وذلك ان عكا تزوج في الاشعريين وانتسب فيهم وليس مرادنا ذكرهم فنستقصيهم ، وانما ذكرنا آباء النبي المصطفى عليه الصلوة والسلام ،

فولد معد اربعة نفر : نزار بن معد وهو سيدهم ، وقنص , واياد ،

فتيأمن اولاد قضاعة وانتسبوا الى حمير ، ولهم قصة معروفة ليس هذا موضع ذكره ،

واولد نزار مضر وكان سيد اولاده ، وربيعة ، وانمار ، واولاد نزار يسمون مضر الحمير ، ربيعة يسمون ربيعة الفرس ، وانمار يسمون انمار الحمار ، وذلك انه يقال ان نزار اوصى لمضر بالقباب الحمير والابل ، واوصى الربيعة بالفرس ، والانمار بالحمار ،

ولم يزل الشرف متصلا والخير منتقلا في ولد مضر من آباء النبي عليه الصلوة والسلام حتى انتهى ذلك الى النضر وهو المسمى بقريش ، واليه ينسب قريش، وقيل ان اسمهم اشتق من قرش يقرش ، وهو الكسب والجمع ، وقيل القرش حيوان في البحر يأكل ما صغر من الحوت يجمعها في جوفه ، قال القائل :

وقرش في البحر قد يأكل الحوت به سميت قريش قريشا

يقرش الغث والسمين ولا يترك منهم لذي جناحين ريشا

وانما اشتق اسم قريش من ذلك لكونهم يغلبون غيرهم من قبائل العرب ويستولون عليهم ، قال ابو النصر الفارابي الجوهري في اول كتاب الالفاظ والحروف : كانت قريش اجود العرب انتقادا للالفاظ واسهلها على اللسان عند النطق واحسنها مسموعا واثبتها ابانة عما في النفس ، والذين عنهم نقلت العربية وبهم اقتدى وعنهم اخذ اللسان العربي من بين قبائل العرب هم قيس وتميم واسد ، فان هؤلاء هم الذين اخذ عنهم اكثر ما اخذ معظمه ، وعليهم اتكل في العربية والاعراب والتصريف ، ثم هذيل وبعض كنانة وبعض الظائين ، ولم يؤخذ عن غيرهم من سائر قبائلهم وبالجملة فانه لم يستمل عن حضر من قط ولا ممن سكن البراري والاطراف من بلادهم التي تجاور سائر الامم الذين حولهم فانه لم يؤخذ من لخم ولا من حذام، فان هؤلاء كانوا المجاورين لاهل مصر، ولا من قضاعة ولا من غسان ولا من اياد ، فان هؤلاء كانوا مجاورين لاهل الشام ومخالطين لهم ، وكان ا كثرهم نصارى يقرؤن في صلاتهم بغير العربية ، ولا من تغلب والنمر لانهم كانوا مجاورين لليونانيين بالجزيرة وكانوا نصارى ، ولا من بكر لانهم كانوا مجاورين للفرس والنبط ومخالطين لهم ، ولا من عبد القيس لانهم كانوا سكان البحرين مخالطين للفرس والهند ، ولا من اهل اليمن اصلا لمخالطتهم للهند والحبشة ولولادة الحبشة فيهم ثم لمخالطتهم للفرس ، ولا من بني حنيفة وسكان اليمامة ولا من ثقيف وسكان الطائف لمخالطتهم تجار الامم ولا من حاضرة الحجاز لان الذين نقلوا اللغة صادفوهم حين ابتدؤا ينقلون لغة العرب قد خالطهم غيرهم من الامم وفسدت السنتهم ، والذي نقل اللغة واللسان العربي عند هؤلاء واثبتها في كتاب وصيرها علما وصناعة هم اهل الكوفة والبصرة فقط من بين سائر امصار العرب ، ولا كانت صنائع هؤلاء الذين يتعيشون بها الصيد والرعاءة واللصوصية ، وكانوا اقواهم نفوسا واقساهم قلوبا واشدهم جمعا واحسبهم ان لا يغلبوا واعسرهم انقيادا للملوك واجفاهم اخلاقا واقلهم احتمالا للضيم والذلة ، هذا قول الفارابي .

رجع القول ، ثم انتهى من النضر نسب آباء رسول الله صلع في واحد من واحد وماجد عن ماجد الى قصي بن كلاب ومات ابوه كلاب من مرة وهو طفل صغير ، واخوه زهرة اكبر منه وامهما فاطمة بنت سعد بن شيل ، فقدم ربيعة بن حزام بن عذرة بن سعيد بن زيد بن مناة بن قضاعة بعد موت كلاب بن مرة فتزوج فاطمة والدة زهرة وقصي بن كلاب ومضى بها ربيعة الى قومه بني عذرة ومضت معها بقصي وخلفت زهرة مع قومه وهو رجل وكان اسم قصي زيدا فسمته امه قصيا لما اقصى عن داره الى ان شب قصي في حجر ربيعة فكره المقام دون مكة واحب ان يلحق بها وخرج مع حجاج قضاعة ، فلما صار بمكة اقام بها ونشأ على الشرف والسودد ومكارم الاخلاق ، وكان رجلا جميلا نهدا جليلا عاقلا وقورا عفيفا كريما لما قد فضله الله بابوة رسوله صلع ، وجعل النبوة في ذريته فاكمل له خصال الخير والشرف ، وفي بني قصي يقول الحرث بن ظالم :

اذا فارقت ثعلبة بن سعد واخوتهم نسبت الى لوي

الى نسب كريم غير وغد وحي هم اكارم كل حي

فان يعصب بهم نسبي فمنهم قرابين الاله بني قصي

فجعلهم قرابين يتقرب بهم الى الله تعالى لانهم قطين البيت واهل السقاية والرفادة واللواء والرياسة، وكانوا اهل ارث من ابويهم ابراهيم واسماعيل عليهما السلام ومن قرى الضيف ورفد الحاج والمعتمر وتعظيم الحرم ومنعه عن الظلم والالحاد فيه وقمع الظالم ومنع المظلوم، وعظم امر قصي بمكة وساد من بها والقت اليه مقاليدها وحارب خزاعة وبني بكر وثبتت معه قضاعة واعانه اخوه لامه رزاح بن ربيعة بقومه من قضاعة وكان قد دعى قريشا لحرب خزاعة فخافتها فتثاقلت عليه فاستنصر باخيه رزاح وجاءه في قومه ومن اطاعه من قضاعة ، وفي ذلك يقول رزاح:

ولما اتي من قصي رسول وقال الرسول اجيبوا الخليلا

نهضنا اليه نقود الجياد ونحمل عنه العبأ الثقيلا

نسير بها الليل حتى الصباح ونكمن حين النهار النزولا

فهنّ سراع كورد القطا يجبن بنا من قصي رسولا

جمعنا من السر من اسمدين ومن كل حي جمعنا قبيلا

فيا لك من حلبة ليلها يزيد على الالف سيبا وسيلا

فلما مررن على عسجد واسهلن من مستباح سبيلا

وجاوزن بالرحل من ورقان وجاوزن بالعرح حيا حلولا

مررن على الخلي ما ذقنه وعالجن من مر ليلا طويلا

وندني من العوذ افلائها ارادة ان يسترمن الصهيلا

فلما انتهينا الى مكة ابحنا الرجال قبيلا قبيلا

نعاورهم ثم حد السيوف وفي كل اوب خلسنا العقولا

نخبزهم بصلاب النسور كخبز القوي العزيز الذليلا

قتلنا خزاعة في دارها وبكرا قتلنا وجيلا فجيلا

نفيناهم من بلاد المليك كما لا يحلون ارضا سمولا

فاصبح سبيهم في الحديد ومن كل حي شفينا الغليلا

فاجابته قريش حين وافته قضاعة وغلب قصي على امر مكة ونفى خزاعة عن الحرم وكانت قد استخفت بحرمته واخربت فيه ، وولي قصي امر مكة والحجيج وكانت له السدانة والسقاية ، ولما صار اليه امر مكة وحضر الحجيج اطعمهم وسقاهم واوسعهم نزولا واكراما ، فقال في ذلك بعضهم :

آب الحجيج طاعمين لحما اوسعهم رفد قصي شحما

ولبنا محضا وخبزا هشما يملأ من ذاك جفانا رذما

وكان يطعم الحجيج الخبز واللحم ، وكان سبب حرب قصي لخزاعة ان مفتاح الكعبة كان بيد ابي غيشان الخزاعي وكان يلي البيت فاجتمع به قصي في الطائف فاشتراه منه بزق خمر ، وجاء به قومه فقال هذا مفتاح ابيكم اسماعيل قد رده الله اليكم من غير ظلم ولا غدر ، وجاءت خزاعة تلوم اخاها ، فقال انما رهنته ولم ابعه فرجت بينهم الحرب لذلك وفيه يقال في المثل اخسر من صفقة ابي غبشان، وفي ذلك يقول الشاعر :

ابو غبشان اظلم من قصي واظلم من بني فهر خزاعة

فلا تلحوا قصيا في شراه ولوموا شيخكم اذ كان باعه

وكان قصي خطب الى حليل بن حبشة بن سلول الخزاعي ابنته حيا بنت حليل وكان حليل يلي الكعبة وامر مكة فعرف حليل قدره ونسبته فزوجه فولدت له عبد الدار وعبد مناف وعبد العزّى ابناء قصي ،

وكان عبد مناف افضلهم لما اختصه الله به من ابوه الرسول ، وفي الحديث ان حجرا وجد في الحجر مكتوبا عليه انا المغيرة بن قصي آمر بتقوى الله وصلة الرحم ، ولم يكن يأمر بتقوى الله ع ج الا من يتقيه ويؤمن به ، وهذا من الادلة على ما ذكرناه مما لآباء النبي صلع من الفضل العظيم والمقام الكريم ، وفي عبد مناف يقول ابن الزهري :

كانت قريش بيضة فتفلقت فالمخ خالصة لعبد مناف

الرائشون وليس يوجد رائش والقائلون هلم للاضياف

هبلتك امك لو حللت بدارهم ضمنوك من جوع ومن اقراف

ومنها في هاشم بن عبد مناف وكان يدعى عمرو

عمرو العلى هشم الثريد لقومه ورجال مكة مستنين عجاف

سنت اليه الرحلتان كلاهما سفر الشتاء ورحلة الاصياف

وبنو عبد مناف يسموت المتطيبين ، وذلك انها كانت فيهم الرياسة ، فارادوا ان يأخذوا اللواء الحجابة من بني عبد الدار فحالف بنو عبد الدار بني سهم واخذت ام حكيم البيضاء جفنة فملأتها خلوقا ووضعتها في الحجر وقالت من تطيب فهو منا ، فتطيب بنو عبد مناف وبنو اسد وزهرة وبنو تميم وبنو الحرث بن فهر ، فمسموا المتطيبين ، فلما رأى ذلك بنو سهم نحروا جزورا وقالوا من لعق من دمه فهو منا، ففعل ذلك بنو سهم وبنوعدي وبنو عبد الدار وبنو جمح وبنو مخزوم فسموا الاحلاف ، ثم لم يكن بينهم شيء ، وفي ذلك قال الفضل بن العباس اللهبي :

وسمينا الاطائب من قريش على كرم فلاط بنا وطابا

واي الخير لم نسبق اليه ولم نفتح به للناس بابا

وفي عبد مناف يقول الشاعر :

ما ولدت والدة من ولد افضل من عبد مناف حسبا

واعطي قصي عبد مناف السقاية والرفادة ودار الندوة وجعل بابها الى البيت وقطع مكة ارباعا بين قريش وسمي قصي مجمعا لما جمع امر قريش ، وفيه يقول الشاعر:

ابوكم قصي كان يدعى مجمعا به جمع الله القبائل من فهر

قال محمد بن جبير من مطعم بن عدي بن نوفل بن عبد مناف : كان قصي اول من اصاب ملكا من ولد كعب بن لوي مع ما كان له من الفخر وانتقل الفضل الى عبد مناف بن قصي فصار له والله يؤتي فضله من يشاء ، ونقل الله النبوة الى صلبه وجعلها في عقبه ،

وصار امر عبد مناف وما اتاه من الفضل الى ولده هاشم بن عبد مناف ، واسمه عمرو يقال له عمرو العلا لشرفه ، سمي هاشما لانه اول من هشم الخبز وثرده واطعمه فسمي لذلك هاشما ، وآتاه الله الشرف والفضل لقربه من النبي صلع الذي هو خير العرب والعجم وسيد ولد آدم ،

وقد روي عن النبي صلى الله عليه وعلى الائمة من ولده امر بلال بن حمامه يؤذن لصلوة الظهر يوما قبل دخول الوقت ، وذلك في شهر رجب لثلاثة عشر ليلة مضين منه ففعل ذلك بلال بن حمامه، فراع الناس وقالوا قد حدث امر واجتمعوا الى المسجد فاقبل رسول الله صلع يمشي الى المسجد حتى انتهى الى باب الشاميين وهو من ابواب المسجد فاخذ بعضادتي باب المسجد ، وفي المسجد مكان يسمى السدة ، ثم قال هل تسمعون يا اهل السدة ، قالوا سمعنا يا رسول الله صلع واطعنا ، قال هل تبلغون ، قالوا ضمنا يا رسول الله ، فقال رسول الله صلع ان الله خلق الخلق قسمين فجعلني في خيرها قسما ، وذلك قوله ع ج واصحاب اليمين ما اصحاب اليمين واصحاب الشمال ما اصحاب الشمال ، فانا من اصحاب اليمين والباقون من اصحاب الشمال ، وجعل القسمين اثلاثا فجعلني من خيرها ، وذلك قوله ع ج واصحاب الميمنة ما اصحاب الميمنة واصحاب المشئمة ما اصحاب المشئمة والسابقون السابقون اولئك المقربون ، فانا من السابقين وانا خير السابقين ، ثم جعل الاثلاث قبائل فانا من خيرهم قبيلة ، وذلك قوله ع ج يا ايها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ، فقبيلتي خير القبائل واتقاهم لله تعالى ، وانا سيد ولد آدم ولا فخر ، ثم جعل القبائل بيوتا فجعلني في خيرها بيتا ، وذلك قوله انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت ويطهركم تطهيرا ، الا وان الله تعالى اختارني في ثلاثة من اهل بيتي انا سيد الثلاثة واتقاهم لله ولا فخر ، اختارني من بين علي وحمزة وجعفر وكنا رقودا بالابطح ليس منا الا مسجى بثوبه على وجهه علي عن يميني وجعفر عن يساري وحمزة عند رجلي ، فما انبهني من رقدتي غير حفيف اجنحة الملائكة وبرد ذراع علي على صدري فانتبهت من رقدتي ، وجبرئيل في ثلاثة املاك يقول احدهم يا جبرئيل الى اي الاربعة بعثت فرفسني برجله ، فقال الى هذا ، فقال ومن هذا ؟ فقال هذا محمد سيد المرسلين ، ثم اوى الى علي فقال هذا وصيه علي سيد الوصيين ، واومى الى حمزة وقال هذا سيد الشهداء، واومى الى جعفر وقال هذا الطيار في الجنة يكون له فيها جناحان مخضبان يطير بهما ،

فهذا دليل على ما ذكرناه من فضل آباء النبي صلع ولا سيما من قرب منهم، واوردنا هذا الحديث في ذكرنا لجده هاشم بن عبد مناف لكون ذلك بيته الذي هو خير البيوت ، وهذا الفضل الذي لا يجحد ، والقول الصدق ،

نرجع الى ذكر هاشم بن عبد مناف ، وولي هاشم بن عبد مناف بعد ابيه ما كان له من السقاية والرفادة والرياسة بمكة دون بني امية ، وكان يقوم في قريش خطيبا في اول يوم من شهر ذي الحجة مسندا ظهره الى الكعبة فيأمر بالمعروف قريشا ويحضهم على مكارم الاخلاق ويقول في خطبته معاشر قريش انتم سادة العرب احسنها وجوهاواعظمها احلاما اوسط العرب اسبابا واقرب العرب بالعرب ارحاما ، يا معشر قريش انكم جيران بيت الله اكرمكم بولايته واختصكم بجواره دون بني اسماعيل وحفظ منكم احسن ما حفظ جار من جاره ، فاكرموا ضيف الله وزوار بيته ، فانهم يأتونكم شعثا وغبرا من كل بلد فورب هذا البيت لو كان مالي يحمل ذلك كله كفيتكموه ولكني مخرج من اطيب مالي وحلاله ما لم يقطع فيه رحم ولم يؤخذ بظلم ولم يدخل فيه حرام ، فمن شاء منكم ان يفعل من ذلك ما قدر عليه فعل ، واسألكم بحرمة هذا البيت ان لا يخرج رجل منكم من ماله لكرامة زوار البيت ومؤنتهم الا طيبا لم يؤخذ ظلما ولم يقطع فيه رحم ،

وكانت بنو كعب بن لوي يجتهد كلما في ذلك ويخرجون من اموالهم ويأتون به الىهاشم بن عبد مناف فيضعه في دار الندوة حتى يأتي الحجيج فيطعمهم ذلك ، وكان يأمر بحياض من ادم فيخرج الى موضع زمزم ، وذلك قبل ان تحفر فيجعل فيها الماء فيشرب الحاج منها ويستقون، وكان يطعمهم بمكة قبل التروية ويوم التروية ويوم عرفة بمنى وعرفة وبجمع ويطعمهم من اللحم والسمن والسويق والتمر ويسقيهم اللبن ويهشم لهم الخبز ولذلك تسمى هاشما وكان تسمى القمر لجماله ، وفي ذلك يقول مطرود الخزاعي

عمرو العلى هشم الثريد لقومه ورجال مكة مسنتين عجاف

وهو اول من آمن سبل مكة وكانت قريش تجارا لا تجاوز تجارتهم مكة حتى ركب هاشم بن عبد مناف الى الشام فنزل بقيصر ، وكان يذبح كل يوم شاة ويصنع طعاما ويدعون من حوله فيأكلون ،وهو من احسن الناس خلقا وخلقا ، فذكر امره وجماله لقيصر فدعى به وخصه وادناه وحسنت عنده منزلته ، فقال له هاسم ايها الملك ان قومي تجار العرب فان رأيت ان تكتب لهم كتابا تؤمنهم فيأتوك بطرف الحجاز فافعل، فكتب له كتابا الامان لمن اتى منهم ، واقبل هاسم بذلك الكتاب وكلما مر بحي من العرب على طريق الشام اوقفهم على ان قريشا يحمل لهم بصنائع فيكفونهم حملها ويردون اليهم رؤس اموالهم وربحهم ، فذلك الايلاف ، واخذ هاشم الايلاف لمن بينه وبين الشام حتى قدم مكة فاتاهم باعظم شيء ما اتوا به قط بركة فخرجوا بتجارة عظيمة، وخرج هاشم معهم يجوز بهم ويرفيهم الايلاف حتى ورد الشام , ومات في تلك السفر بغزة من ارض الشام، وفي ذلك يقول مطرود الخزاعي :

مات الندى بالشام يوم ثوى به مود بغزة هاشم لم يبعـــد

فجفانه رذم لمن بفنـــــــائه والنصر منه باللسان وباليد

وورث عبد المطلب اباه هاشما في فضله وكرمه وما خص به من طيب شيمه ، وعبد المطلب جد النبي صلع واسمه شيبة الحمد سمي بذلك لشيبه من شعر رأسه ولد وهي فيه ، وسمي عبد المطلب واشتهر بهذا الاسم لان امه مسلما بنت عمرو بن وليد بن اسد بن خداش بن عامر بن غنم بن النجار واسم النجار تيم الله بن ثعلبة بن عمرو بن الخزرج ، كان هاشم تزوها ومضى بها الى مكة وكان ابوها شرط على هاشم انها متى حملت اتا بها لتلد في دار قومها ، فحملت بعبد المطلب في مكة ، فلما اثقلت اتا بها هاشم الى يثرب في السفر التي توجه فيها الى الشام فمات هناك وولدت مسلما عبد المطلب بيثرب وسمته شيبة للذي ذكرناه ، فلما ترعرع كان فيه الكمال والفضل والسودد ومر به رجل من بني عبد مناف وهو مع صبيان يتناضلون فرآه اجملهم وجها واحسنهم اصابة ، وكلما رمى قال انا ابن هاشم ، انا بن سيد البطحاء ، فاعجب الرجل ما رأى منه، ولما رجع الى مكة اخبر عمه المطلب بن عبد مناف خبره فاتاه الى يثرب واحتمله معه حتى اتى مكة مردفا لخ خلفه على قلوصه ، فلما رآه الناس قالوا من اين اقبلت ، قال من يثرب ، قالوا فمن هذا معك قال عبد اشتريته ، فلما اتى به محله اشترى له حلة فالبسه اياه واتى به نادي بني عبد مناف، وقالوا من هذا معك قال هو ابن اخيكم هاشم واخبرهم خبره ، وذكر لهم فضله فقالوا هذا الذي قلت بالامس انه عبدك، فغلب عليه اسم عبد المطلب، ومات عبد المطلب بعد ذلك بارض اليمن بموضع يقال له ردمان قريبا من حجر ، وقال مطرود الخزاعي يرثيه ويرثي اخوته من بني عبد مناف :

يا عين جودي واذري الدمع وانهمري وابكي على السر من كعب المغيرات

يا عين واستخفري بالدمع واحتفلي وابكي ولا تستكفي للملمـــــات

وابكي على كل فيّاض اخي كـــرم رحب الدسيعة وهاب الجزيلات

محض الضريبة عالي الهم مختــــلف جلد النحيزة ناب بالعظيمــــات

صعب البديهة لا نكس ولا وكــل ماضي العزيمات وهاب الكريمـات

صقر توسط من كعب اذا نسبوا بحبوحة المجد ذي الشم الرفيعات

ثم اندبي الفيض والفياض مطلبا واسعدي بعد فيضات بجمات

امسى بردمان عنا اليوم مغتربا يا لهف نفسي عليه بعد اموات

ونشأ عبد المطلب على محاسن الاخلاق والفضل والكرم والسودد فسمي شيبة الحمد ، وفي ذلك يقول حذيفة بن غانم بن عوف بن عبيدة بن عدي بن كعب يمدح عبد المطلب

بنو شيبة الحمد الذي كان وجهه يضيء ظلام الليل كالقمر البدري

كهولهم خير الكهول ونسلهم كنسل الملوك لا تبور ولا تحري

وساقي الحجيج ثم للخبز هاشم عبد مناف السيد القمر الفهري

متى تلق منهم خارجا في شبابه تجده على اجراء والده يجــري

هم ملؤا البطحاء مجدا وسوددا وهم نكلوا عنا غواة بني بكـــر

وهم يغفرون الذنب ينقم مثله وهم تركوا رأي السفاهة والهجر

اخارج اما اهلكن فلا تزل لهم شاكرا حتى تغيب في القبر

وروي عن جعفر بن محمد بن علي ابن الحسين صلوات الله عليهم ان سبب قول حذيفة هذه الابيات ان ركبا من جذام خرجوا صادرين عن الحج من مكة ففقدوا رجلا منهم غالته بيوت مكة فتلقوا حذيفة فاخذوه وربطوه وانطلقوا به فتلقاهم عبد المطلب مقبلا من مكة وقد كف بصره ومعه ابنه ابو لهب يقوده ، فلما رآه حذيفة هتف به فامر عبد المطلب ابا لهب فافتكه بعشرين اوقية من الذهب وعشرا من الابل والفرس .

ومن حديث عبد المطلب وفضله وشرفه الذي خص به وثقته بالله ربه انه لما كان ما ذكره اهل السير من غلبة الحبشة على اليمن واتى ابرهة الاشرم ملك الحبشة في اليمن لخرات بيت الله الحرام واتى معه بالفيل ، فكان اسم الفيل يكسوم ، فخرج له رجل من اليمن يقال له ذو نفر، فدعى قومه الى جهادهم عن بيت الله الحرام ، ومن اجابه من العرب ، وكان ذو نفر من اشراف اليمن وملوكهم ، وعرض لابرهة فقاتله ابرهة وهزم ذو نفر واصحابه واخذ ابرهة ذا نفر اسيرا وسار به ، وعرض ايضا له نفيل بن حبيب الخشعمي في قبيلي خشعم شمران وناعس فهزمهم واسر نفيلا، واراد ابرهة قتله فقال لا تقتلني واتركني ادلك على حيث اردت وسار معه ، ولما دنى ابرهة بجيوشه نحو الحرم وقرب من مكة ورأت قريش ان لا طاقة لها بحربه خرجت فارة ، ووقف عبد المطلب في الحرم وقال والله لا ابرح من الحرم ابغي العز في غيره ، فجلس في البيت واحلت قريش ، فقال عبد المطلب:

يا رب ان المرء يمنع حله فامنع حلالك

لا يغلبن صليبهــم ومحالهم عدوا محالك

اي لا يغلبن قوتهم قوتك ، والمحال القوة ، ومنه قوله تعالى شديد المحال ، فانصرفت قريش ، وقد عظم عبد المطلب عندهم لما رأوه من لزوم حرم الله والثقة به وبحسن البصيرة في امره ، ووصل اصحاب الفيل الى مقارب مكة فاصابوا ابلا عبد المطلب ع م واتصل خبره ومقامه بالبيت وشرفه بابرهة ، فارسل اليه واستحضره فاعجبه ما رأى من جماله وهيبته وكماله واجلسه الى جانبه واقبل اليه وبسطه وحدثه وسأله عن حاجة ان كانت له، فقال له عبد المطلب ان لي ابلا اصابها جيشك فمرهم ليرجعوها الي ، فاعرض عنه ابرهة عليه ثم قال لقد هنت عندي وسقطت في عيني وصغرت منزلتك ، سألتني ابلك ولا تسألني اترك هذا البيت الذي جئت لهدمه ومحله عندك محله ، فقال عبد المطلب انما سألتك ابلي التي املكها، واما البيت فله رب سيمنعه منك ان شاء ، فعظم في عينه ابرهة ووقع كلامه منه م وقعا عظيما ، وامر برد ابله ، وصدق الله مقالة عبد المطلب وارسل عليهم طيرا ابابيل ترميهم حجارة من سجيل ، قيل وكانت تلك الطير امثال الخطاطيف والبلسان مع كل طائر منها ثلاثة احجار في منقاره واثنين في رجليه امثال الحمص والعدس لا يصيب احدا منهم الا هلك ، وليس كلهم اصابت وخرجوا هاربين يبتدرون الطرق الى اليمن،

فقال نفيل حين رأى ما نزل بهم من نقمة الله تعالى:

اين الامفر والاله الطالب والاشرم المغلوب ليس الغالب

وقال ايضا نفيل:

الا حييت عنا يا ردينــــــا نعمناكم مع الاصباح عينا

ردينة لو رأيت ولا تريـــه لدى جنب المحصب ما رأينا

اذا اعذرتني وحمدت امري ولم تأسي على ما فات بينا

حمدت الله اذا بصرت طيرا وخفت تجارة تلقاه علينا

وكل القوم يسأل عن نفيل كأن علي للحبشان دينا

فخرجوا يتساقطون بكل طريق ويهلكون بكل منهل، واصيب ابرهة من جسده وخرجوا به تساقط انامله كلما سقطت منها انملة تتبعها قيح حتى قدموا بها صنعاء وهو كفرخ الطائر، فما مات حتى انصدع منه صدره عن قلبه كما يزعمون ، وقال عبد المطلب في ذلك :

صرمت وما لك لا تصرم ورأسك من كبر اشيم

تبدلت بالشيب بعد الشباب فما لك في خلد من غم

فدع عنك ذكر امور الوصال فانك من ذكره احلم

وعد القوافي في ذات الصواب لجيش اتاك به الاشرم

غداة اتوك بمثل البطاح كأنا اناس لهم مغنم

يفيل يزجونه للوقاع اذا ذمروه له عمهم

به زحفوا نجو بيت الاله ليترك بنيانه يهدم

وبنيان من كان في دهره خليلا لخالقه يكرم

فردهم الله عن هدمه واعياهم الفيل لا يقدم

بطير ابابيل ترميهم كان مناقيرها العندم

تبس الحجارة في هامهم كرمي ذوي الكتب من ترحم

واضحى النور بهم واقعا عكوفا كما اعتكف الماتم

واورثنا الله خير البلاد بلادا بها حفرت زمزم

بنصر من الله رب العباد على رغم من انفه يرغم

ولعبد المطلب في ذلك اشعار كثيرة منها قوله :

نحن آل الله في بلدته لم نزل ذاك على عهد ابرهم

ويقول فيها :

ان للبيت لربا مانعا من يرده بفساد يصطلم

هلكت بالبغي فيه جرهم وقديما هلكت فيه ارم

وكان في هلاك اصحاب الفيل آية وعبرة حمى الله بها بيته الحرام ومنعه ان يرام، واظهر بها فضل وليه وجد نبيه عبد المطلب بن هاشم وصدق وعده واجاب قوله ان للبيت لربا يحميه واجاب دعاءه ،

وكان مولد النبي المصطفى محمد سيد البشر وخاتم النذر صلى الله عليه وعلى آله عام الفيل ، وكان ذلك من بركات مولده وفضل دينه عليه وعلى آله الصلوة والسلام،

ثم ما كان من عبد المطلب من الرؤيا التي رآها في المنام فانه رأى آتيا اتاه في المنام فقال له احفر زمزم خبيئة الشيخ الاعظم ، فاستيقظ وقال : اللهم بيّن لي ، وعاد الى منامه ، فاتاه فقال له احفر المضنونة ضنّ بها عن الناس الا عنك ، فقال اللهم بيّن لي ، ثم نام ايضا فقيل له احفر زمزم بين الفرث والدم في مبحث الغراب الاسحم ، على قرية النمل مستقبلا للانصاب الحمر ، فقام يمشي حتى جلس في المسجد الحرام ينتظر ما قيل له فبينا هو كذلك اذ اقبلت بقرة نحرها قوم ، فانفلت من جازرها فهجمت في المسجد الحرام وسقطت في موضع زمزم فادركها الجازر فاجهز عليها مكانها وسلخها واحتمل لحمها ، واقبل غراب يهوي حتى وقع في الفرث فبحث عن قرية نمل ، فقام عبد المطلب فاحتفر زمزم ،

فجائته قريش فقالت ما هذه الصنيع تحفر في مسجدنا وما انت بذي جهل ، فقال عبد المطلب انا حافر بئر ههنا ومجاهد من صدني عنها فكفوا عنه لما يعرفون من فضله، ويأمنون من جهله ، فلم يزل يحفر حتى ادرك سيوفا ودروعا دفنت في زمزم لما دفنت ، فلما رأت قريش ذلك قالت له اعطنا مما وجدت ، فقال هي لبيت الله ، ثم حفر حتى انبط الماء ثم بحرها لئلا تنزف وبنى حوضا عليها ، وكانت زمزم بئر اسماعيل بن ابراهيم عليهما السلام ، روي انه ظهر يوما وكان عام قحط وهو مع امه هاجر فجعلت هاجر تلوذ به وتدعو الله عز وجل فانبط الله عينا مكان زمزم ، فلما رحلت جرهم دفنتها ودفنت فيها ما دفنت ، وفي احتفار زمزم بئر اسماعيل عليه السلام يقول خويلد بن عبد العزيز :

اقول وما قولي عليكم بسبة اليك بن مسلمى انت حافر زمزم

حفيرة ابراهيم يوم بن هاجر وركضة جبريل على عهد آدم

وقيل ان عبد المطلب اصاب في زمزم غزالا مصبوغا من ذهب وحليا كثيرا ، فطلبت في ذلك قريش منه وضربت عليه بالسهام لهم وللبيت فخرج سهم البيت فحلاه به وكان اول حلي حلي البيت به .

وجاء عن علي ص ع ان قريشا لما رأت ما استخرجه عبد المطلب من زمزم اجتمعوا اليه فقالوا يا عبد المطلب هذه بئر ابينا اسماعيل وان لها فيها حقا فاشركنا فيها وفيما اصبت منها ، فقال ما انا بفاعل ذلك ، ان هذا الامر قد خصـصت به من دونكم واعطيته من بينكم ، فابوا عليه وقالوا حاكمنا في ذلك ودعوه الى كاهنة من بني سعد بن هذيم ، فخرج معهم وخرج من كل قبيلة من قريش نفر ، وكانت الارض في مفاوزة قليلة الماء حتى اذا كانوا في بعض تلك المفاوز بين الشام والحجاز فني ماء عبد المطلب وممن معه من اصحابه فاستسقوا من معهم من قبائل قريش وابوا عليهم ان يسقوهم وقالوا انا بمفاوز ، فلما رأوا ذلك نزلوا عن كور مطيهم واحتفر كل واحد منهم حفيرا جلس فيه، وقالوا من مات منا دفنه من بقي ، ثم ان عبد المطلب قال ان هذا والله لعجز ، نستسلم هكذا ولا نضرب في الارض لانفسنا ، ثم قام الى راحلته فركبها فلما انبعثت انفجر الماء من تحت خفيها وظهرت عين عذبة فكبر عبد المطلب وكبر اصحابه ثم نزل فشرب وشربوا ، واستسقوا وملؤا اسقيتهم ، ثم دعى القبائل الذين معه من قريش فقال هلموا للماء فقد سقانا الله فسقوا واستسقوا ، ثم قالوا والله لقد قضى الله لك يا عبد المطلب علينا ، والله لا نخاصمك ابدا في زمزم، وان الذي سقاك الماء في هذه الفلاة لهو سقاك زمزم ، فارجع الى سقايتك راشدا ، فرجع ورجعوا ،

فهذا الذي لا يدفعه الا مباهت ، وان في صدق رؤياه التي رآها في زمزم دلالة بينة على فضله وما خصه الله به ، فقد قال النبي صلع الرؤيا الصادقة جزؤ من ستة وعشرين جزءا من اجزاء النبوة ، ثم ما اظهره من الماء في بئر زمزم التي هي بئر اسماعيل ع م ببركة له هذا الماء الذي سقاه الله وانبعه له من الارض وجعل ذلك معجزة ابانها لقومه فلم ينازعه منهم منازع، ولا دفع فضله دافع ، وكان عبد المطلب خير قريش وسيدها ورئيسها ، وكان يرى فيه النبوة هيبة الملك وجلالة الفضل ومكارمه وفضائله تجل عن التعداد ، وكان يسمى سيد الوادي يعنون مكة وما حولها ، وولد لعبد المطلب عشرة من الاولاد وكان افضلهم عبد الله وابو طالب ، وابو طالب الاكبر منهما في الميلاد فنشأ على الكرم وحسن الشيمة ، وتبين فضلهما على غيرهما من اخوتهما، ولما ترعرع عبد الله واستوى شبابه بلغ من ابيه عبد المطلب مبلغا عظيما ، وكان يحبه حبا شديدا ، وكان وله له تسعة اولاد نذر ان ولد له العاشر ان ينحره ، وفي ذلك روايات كثيرة ، قال القاضي النعمان بن محمد رضوان الله عليه هذه الرواية اثبتها وجاءت عن اهل البيت عليهم السلام ، فضن عبد المطلب بعبد الله عن الذبح لما القاه الله في قلبه من محبته وقلوب من رآه من العباد ، ثم انه اخذ بيده ليذبحه ، فقامت قريش ليمنعوه وسألوه ان يتركه، وقالوا ان ذبحته لم يزل الرجل منا يقتدي بك فيذبح ابنه ، قال فما اصنع وقد نذرت ذلك ، قالوا لو تثبت في ذلك وراجع الله ربك فيه ، وقام في ذلك اخواله من بني مخزوم فقال المغيرة بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم شعرا

وا عجبا من فعل عبد المطلب وذبحه خرقا كتمثال الذهب

يا شيب لا تعجل علينا بالعجب فما ابننا بشرط القوم النجب

ولا ابننا بالمستذل المغتصب فقاده بالمال حتى تجرب

فسوف افديه بمالي والسلب وسوف القى دونه من العطب

ودافع عنه ابو طالب لانه كان شقيقه هو الزبير بن عبد المطلب ، وقال ابو طالب في ذلك :

كلا ورب البيت ذي الانصاب ورب ما انضى من الركاب

كل قريب الدار ومنتاب يزور بيت الله ذي الحجاب

ما ذبح عبد الله باللعاب من بين رهط عصبة شباب

بين نشاء شطن الانساب اغر بين البيض من كلاب

وبين مخزوم ذوي الاحساب اهل الجياد القب والقباب

لستم على ذلك بالارباب

قال في شعر طويل فقال عبد المطلب:

الله ربي انا موف نذره اخاف ربي ان عصيت امره

هذا ابني قد اردت نحره فان يؤخره ويقبل عذره

اوجبت الله العظيم شكره

ثم ان عبد المطلب اخرج عشرا من الابل وقال انذرها وانحرها ثم قال وما يدريني ان الله لا يرضيه ذلك مني ولا يفيء نذري ولكني اقرع عليها وعليه ففعل فخرج السهم على عبد الله فزاد عشرا وعشرا اقرع فخرج السهم عليه ، ولم يزل كذلك يزيد من الابل عشرة عشرة والسهم يخرج على عبد الله حتى بلغت مائة فخرج السهم على الابل، فقال لا والله لا انتهز هذه الفرصة في مرة واحدة حتى يقع السهم على الابل عشر مرات كما خرج على عبد الله والا زدت فخرج السهم على الابل عشر مرات فقال الآن علمت ان ربي قد رضي فنحرها، وقال للناس دونكم اياها فانتهبوها ، ففي ذلك يقول مرة بن حلف الفهري شعرا :

كما انتهبت نهبا ديات بن هاشم ببطحائها في حيث يغتصب البزل

وكان ذلك من عبد المطلب وما اراده من نحر عبد الله الهاما من الله تعالى واقتداء بابراهيم ع م حيث قال يا بني اني ارى في المنام اني اذبحك فانظر ما ذا ترى ، قال يا ابت افعل ما تؤمر ستجدني ان شاء الله من الصابرين ، وفدى عبد الله بمائة من الابل كما فدى اسماعيل بالذبح العظيم تفضلا له من الله تعالى وتعظيما له ، لئن يلحقه باسماعيل في الفضل ، والله يؤتي فضله من يشاء ، وان من اعظم فضله وما آتاه الله تعالى من سني محله ان اخرج محمدا صلع من صلبه وشرفه بولادته ،

ولم يكن وآبائه ممن يدفع الالوهية ولا ينكر النبوة، وكانوا مستمسكين بشريعة ابراهيم ع م وفضائلهم وما يؤثر من اخبارهم تدل على ذلك مع ما شهد لهم النبي صلع من الكرم والطهارة ونشأ عبد الله بن عبد المطلب على الكرم والفضل والسودد والشرف ومكارم الاخلاق، وكان جميلا وسيما وكان نور النبوة يرى بين عينيه بينا ظاهرا لقرب ولادة رسول الله صلع، ولما تزوج امرأته آمنة بنت وهب ام رسول الله صلع نظرت اليه كاهنة من خشعم يقال لها فاطمة بنت مرة وهي من اهل نبالة وكانت قد قرأت الكتب فتبينت نور النبوة بين عينيه ، فلما رأت ذلك طمعت ان يكون لها ولد منه فدعته الى نفسها فابى عليها ذلك فبذلت له مائة ناقة فابى وقال شعرا :

اما الحرام فالممات دونه والحل لم يأت الذي تلينه

فكيف بالامر الذي تبغينه

وطلبت ان يتزوجها ، فلما وقع بزوجته آمنة بنت وهب جاز بها ورام ان يتزوجها على ما ينبغي من النكاح في ملة ابراهيم عليه السلام فابت ذلك وقالت اني رأيت في وجهك نورا وانا على علم من بعث نبي قد قرب ميلاده فرجوت ان يكون ذلك مني ، والآن لا ارى ذلك النور الا قد زال عنك فما كان من امرك ؟ فاعلمها بما كان منه الى اهله فقالت شعرا :

اني رأيت مخيلة لمعـــــت فتلألأت كتلالؤ الفجر

في وجهه نور يضيء له ما حوله كاضاءة القمر البدر

فرجوته فخرا ابوء به ما كل قادح زنده يوري

لله ما زهرية سلبت نورا فحل بها وما تدري

وقالت ايضا شعرا :

بني هاشم قدما درت من اخيكم امينة نورا حين يعتركان

كما غادر المصباح عند خموله فتائل قد شبت له ---

وما كل ما يحوي الفتى من تلاده لغرم ولا ما فاته لتواني

فاجمل اذا حاولت امرا فانه سيكفيكه جدان يعتلجان

سيكفيكه اما يد مقفعلة واما يد مبسوطة ببنان

ولما حوت منه امينة حوت ما حوت منه فخرا ما لذلك ثاني

وعصم الله عبد الله كما عصم يوسف بن يعقوب عليه السلام ودخل الى اهله فاصاب منها واقر الله ذلك النور مقره من طهارة الولادة وحملت برسول الله صلع آمنة بنت وهب من عبد مناف بن زهرة بن كلاب بن مرة بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة ،

فهذه فضائل لا يجحدها ولا يدفعها الا من جحد النبوة ودفعها ولم يعلم سر الله في اوليائه ، ومن يختار من اصفيائه ،

ومات عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم ابو رسول الله صلع بعد ان ولد رسول الله صلع بشهرين وقيل كان موته وامه حامل به ، وقالت آمنة وهب ترثيه

كان ابن هاشم سيدا في قومه طودا يلاذ به كريم المحتد

غيثا اذا قحط الغمام ولم يكن بفرائن كل فرق ظهر الفدد

فهناك تطلب من تلوذ به -------------

جبلا يلوذ اللائذون بركنه عند الخلاء وعند جمع المشهد

يغلي السديف لمن الم برحله ويذيب انماض السديف المجمد

وقالت ايضا ترثيه:

عفا جانب البطحاء من آل غالب وجاوره لحدا مدرفا في العمائم

دعته المنايا دعوة فاجابها وما تركت في الناس مثل ابن هاشم

عشية راحوا يحملون سريره تعاوره اصحابه بالبراجم

فان يك ابلته المنون وريبها فقد كان مفضالا كثير المكارم

وقالت ايضا ترثيه

اضحى ابن هاشم في بهماء مظلمة في حفرة بين احجار لدى الحفر

كان ابن هاشم في ابيات محضهم واري الزناد لدى مستصلد الفقر

سباق غاياتها في كل لازية من السنين كريما طيب الخبر

فان نسوه فاني ليست ناسية ما غنت الورق في الاغصان بالسحر

سهل العريكة قرما ذا محافظة يعطي الجزيل ثبت الاصل في مضر

الجود والحلم كانا من سجيته والعقل حين يقاس العقل بالعبر

فان يكن قد ثوى في قعر مظلمة مجاور اللحد طول الدهر للقدر

فرب شيخانة وجنا محفرة تفري الخمائل مرداه على السفر

اعطيتها غير ملتاث ولا ضجر للعقل حين يخاف العقل في العسر

وكا عبل الشوىنهد مراكله حديد خمس غذي بالمحض في الضرر

سقى جوانب قبر انت ساكنه غيث احم الذرى من ساجم المطر

وقال ابو طالب يرثيه رضوان الله عليهما :

يا عين اذري دموعا آخر الابد ولا تملى على قرم لنا سيد

اشكو الذي بي من الوجد الشديد له وما لقلبي من الآلام والكمد

لو عاش كان لفهر كلها علما اذ كان منها مكان الروح للجسد

وقيل ان آمنة ام رسول الله صلع لما حملت رسول الله صلع رأت في منامها آتيا اتاها فقال انك حملت بسد هذه الامة فاذا وضعته فقولي :

اعيذه بالواحد من شر كل حاسد

وسميه محمدا ، ورأت انه خرج منها نور اضاءت به قصور بصرى فاخبرت بذلك جده عبد المطلب فسره وقيل اخبرت اباه عبد الله فسره بذلك واخبر عبد المطلب فسره ، وكان عبد المطلب ينتظره ، فلما وضعته قالت ما قيل لها ان تقول واتى عبد المطلب واحتمله سرورا به ودخل به الكعبة فدعى له وقال شعرا :

الحمد لله الذي اعطاني هذا الغلام الطيب الاردان

قد ساد في المهد على الغلمان اعيذه بالبيت ذي الاركان

حتى اراه بالغ البنياني اعيذه من كل ذي شنآن

ثم خرج به الى امه فدفعه صلع اليها ،

وكان ميلاد رسول الله صلى الله عليه وآله الطاهرين يوم الاثنين لاثنتي عشرة ليلة مضت من ربيع الاول عام الفيل ، فكان ما صنعه الله تعالى لقريش من الدفاع عنها ببركته ولئلا يظهر عليها عدو وهو طفل ولا حمل ، واسترضعت له ظئرا من بني سعد بن بكر يقال لها حليمة ابنت ابي ذويب السعدي ، واسم بعلها الذي ارضعته في حجره الحرث بن عبد العزى بن رفاعة ، وهو ايضا من بني سعد بن بكر من هوازن ، فما زالوا يرون فيه صلع مخائل الفضل ودلائل النبوة وتبركوا بيمنه ، ورأوا عجائب من عظيم فضله ، وفي الحديث ان نفرا من اصحاب رسول الله صلع قالوا به يا رسول الله اخبرنا عن نفسك ، قال نعم انا دعوة ابي ابراهيم ، وانا بشرني عيسى ورأت امي حين حملت بي انه خرج منها نورا اضاءت له قصور بصرى بالشام ، واسترضعت في بني سعد بن بكر ، فبينا انا مع اخ لي خلف بيوتنا نرعى بها اذا اتاني رجلان عليهما ثياب بيض بطشت من ذهب مملوا ثلجا ، فاخذاني فشقا بطني ثم استخرجا قلبي فشقاه ثم استخرجا منه علقا سواد فطرحا بها وغسلا بطني وقلبي بذلك الثلج حتى انقياه ، وقال احدهما لصاحبه زنه بعشرة من امته فوزنني بعشرة فوزنتهم ، فقال زنه بمائة فوزنته ، فقال زنه بالف من امته فوزنني فوزنتهم ، فقال دعه عنك فلو وزنته بامته لوزنتها ،

وكان رسول الله صلع يقول لاصحابه انا اعربكم انا قريشي واسترضعت في بني سعد بن بكر ،

وذكر اهل السير انه مما هاج امه السعدية على رده صلع الى امه ان نفرا من الحبشة نصاى رأوه معها حين رجعت به بعد فطامه فنظروا اليه وسألوها عنه وفتشوه فقالوا لها لنأخذن هذا الغلام ولنذهبن به الى ملكنا وبلادنا ، فان هذا غلام كائن له شان ، فقيل انها لم تكد تنفلت به منهم واتت به الى مكة فاعطته امه وجده عبد المطلب وماتت امه آمنة بنت وهب وهو لاربع سنين وقيل ماتت وهو ابن ست سنين ، فكان رسول الله صلع مع جده عبد المطلب وكان يوضع لعبد المطلب فراش في ظل الكعبة فكان بنوه يجلسون حول فراشه ذلك حتى يخرج اليه لا يجلس عليه احد من بنيه اجلالا له ، وكان رسول الله صلع يأتي وهو غلام صغير حتى يجلس عليه فيأخذه اعمامه ليوخروه عنه فيقول عبد المطلب اذا رأى ذلك منهم دعوا ابني فوالله ان له لشانا ، ثم يجلسه معه على فراشه ويمسح ظهره بيده ويسره ما يراه يصنع ، ولما احتضر عبد المطلب ورسول الله صلع يتيم في حجره اوصى الى ابنه ابي طالب بن عبد المطلب ، وقال في ذلك شعرا :

اوصيك يا عبد مناف بعدي بموحد بعد ابيه فرد

فارقه وهو ضجيج المهد فكنت كالام له في الوجد

تدنيه من احشائها والكبد حتى اذا خفت المدى للموعد

افضيت ارعى اهله للرفد يابن الذي غيبته في اللحد

بالكره مني لم يكن بالعمد فقال لي والقول ذو مرد

ما ابن اخي ما عشت في معد الا كادنى ولدي في الود

فانت من ارجى بني عندي لدفع ضيم او لشد عقدي

محمدا ارجوه للاشد وكل امر في الامور اد

قد علم القوم من اهل العهد ان الفتى سيد اهل النجد

وروي ان عبد المطلب لما حضرته الوفاة جمع بناته وقال لترثي كل واحدة منكن وانا اسمع ما تقلن قبل ان اموت فرثته كل واحدة منهن بابيات وذلك مذكور في السير ، ولما مات عبد المطلب رضوان الله عليه قال ابنه ابو طالب ع م يرثيه :

ابكى العيون وازرى دمعها دررا مصاب شيبة بيت الدين والكرم

كان الجواد الشجاع الفرد سودده له فضائل تعلو سادة الامم

مضى ابو الحرث المأمول نائله والمتخشى صوله في البأس والنقم

العامر البيت بيت الله مملوءه نوى فيجلو كسوف القحط والظلم

هذا الرئيس الذي لا خلق يعدله يحمي حماه من الابطال بالعلم

رب الفراش بصحن البيت تكرمة بذاك فضل لاهل الفخر والكرم

قد ذكرنا الفراش الذي كان يفرش لعبد المطلب وهو من عهد قصي بن كلاب له ولعظماء بينه تعظيما وتكريما ،وقال ايضا ابو طالب يرثي اباه :

بكت قريش اباها كلها وعلي امامها وحماما الثابت الدعم

صفي وبكي وجودي بالدموع له واسعدي يا اميم اليوم بالسجم

تجبك نسوة رهط من بني اسد والغير زهرة بعد العرب والعجم

الم يكن زين اهل الارض كلهم وعصمة الخير من عاد ومن ارم

وقال حذيفة اخو بني لوي يبكي عبد المطلب بن هاشم ويذكر فضله وفضل قصي على قريش وفضل ولده عليهم :

اعينيّ جودي بالدموع على الهدر ولا تسأما اسقيتما صيب القطر

وجودا بدمع واسفحا كل شارق بكاء امرأ لم يشوه نائب الدهر

ومسحا وحما ومسجما ما يقيتما على ذي حياء من قريش وذي ستر

على رجل جلد القوى ذي حفيظة جميل المحيا غير نكس ولا هذر

على الماجد البهلول ذا الباع والندى ربيع لوي في القحوط وفي العسر

على خير حاف من معد وناعل كريم المساعي طيب الخيم والنجر

وخير عم اصلا وفرعا ومعدنا واخطاهم بالمكرمات وبالوفر

واولاهم بالمجد والحلم والنصر وبالفضل عند المجحفات من الغبر

على شيبة الحمد الذي كان وجهه يضيء ظلام الليل كالقمر البدر

وساقي الحجيج ثم للخبز هاشم وعبد مناف ذلك السيد الفهر

طوى زمزما عند المقام فاصبحت سقايته فخرا على كل ذي فخر

ليبك عليه كل عان بكربة وآل قصي من مقل وذي وفر

بنوه سراة كهلهم وشبابهم تفلّق عنهم بيضة الطائر الصقر

قصي الذي عادي كنانة كلها ورابط بيت الله في العسر واليسر

فان يك غالته المنايا وريبها فقد عاش ميمون النقيبة والامر

وابقى رجالا سادة غير عزل مصاليت امثال الردينية السمر

ابو عتبة الملقي الى حباءه اغر هجان اللون من نفر غر

وحمزة مثل البدر يهتز للندى نقي الثياب والنيام من الغدر

وعبد مناف ماجد ذو حفيظة وصول لذي القربى رحيم بذي صهر

كهولهم خير الكهول ونسلهم كنسل الملوك لا تبور ولا تحري

متى ما تلاقي منهم الدهر ناشئا تجده على اجراء والده يجري

هم ملؤا البطحاء مجدا وعزة اذا استبق الخيرات في البر والبحر

وفيهم مناة للعلا وعمارة وعبد مناف جدهم جابر الكسر

بانكاح عوف بنته ليجيرنا من اعدائنا اذا اسلمتنا بنو فهر

فسرنا تهامي البلاد ونجدها بامنة حتى خاضت العير في البحر

وهم حضروا والناس باد فريقهم وليس بها الا شيوخ بني عمر

بنوها ديارا جمة وطووا بها بيارا يتيح الماء من شبح البحر

لكي يشرب الحجاج منها وغيرهم اذا ابتدروها صبح تابعة النحر

ثلاثة ايام تظل ركابهم مخيّسة بين الاخاشيب والحجر

فقدما عنينا قبل ذلك حقبته ولا نستقي الا بحم او الجفر

هم يغفرون الذنب ينقم دونهم ويعفون عن اهل السفاهة والهجر

وهم جمعوا حلف الاخايش كلها وهم نكلوا عنا غواة بني بكر

اخارج اما اهلكن فلا تزل لهم شاكرا حتى تغيب في القبر

وكانت وفاة عبد المطلب ورسول الله صلع لثماني سنين ، فحفظ ابو طالب ما اوصاه ابوه فيه وكفله وآواه واختصه وتبناه وقربه وادناه ، وكان افضل كل ولده عنده واحبهم اليه واراد ابو طالب سفرا الى الشام في جماعة من قريش فتأهب له واخذ في عدته وجهازه فرأى من رسول الله صلع كسرة وابصر عليه كآبة فسأله عن حاله فشكى اليه فقده وما يحد من الوحشة بعده وسأله ان يخرج به معه فرقّ له ابو طالب وخرج به معه ونزل بقرب صومعة راهب بارض بصرى يقال له بحيراء ، وكانت قريش تمر به كثيرا وتنزل بقرب صومعته ، فلا يتنزل اليهم ولا يكلم احدا منهم ، فلما نزلوا في سفرهم ذلك ومعهم رسول الله صلع فنزل ذلك الراهب اليهم وسألهم عن حالهم، وكان عالما بالكتب واخبار ما يكون فنظر الى رسول الله صلع وتأمله وسأله عن حاله وقصته فاخبر بذلك فخلى بابي طالب بعد ان اضافه ورفقته ورسول الله صلع ، وقال لابي طالب سرا ان لابن اخيك شانا وان سيكون نبيا ، وهذا وقته وقد وضحت علامته ، وقامت دلالته، فاحذر اليهود عليه وارجع الى بلدك فاني اخافهم عليه ، فهو في ذلك معه اذ اقبل قدمه من اليهود فرأوا بحيرا مع ابي طالب ونظروا الى رسول الله صلع فرأوا دلائل النبوة فيه فهموا به فخلا بهم بحيرا ونهاهم عنه وحذرهم امر قريش وانهم لن يسلموه وانصرف به ابو طالب الى مكة ، وقيل ان بحيراء رأى على رسول الله صلع كالغمامة تظله وتسير معه حين سار ، فلذلك نزل اليهم من صومعته وصنع لهم الطعام واضاف السيارة من قريش ودفع الذين عارضوه من اليهود وهم دريس وتمام وزرير ، ولانتظار رسول الله صلع اختار الموضع ،

وفي ذلك يقول ابو طالب :

الم تر اني بعد همّ هممته بفرقة حر الوالدين كرام

باحمد لما ان شددت مطيتي برحلي وقد ودّعته سلام

فلما بكى والعيس قد فصلت بنا وقد فاش بالكفين ثني زمام

ذكرت اباه ثم رقرقت عبرة تجود من العينين ذات سجام

فقلت ترحل راشدا في عمومة مواسين في الباساء غير ليام

فرحنا مع العير التي راح ركبها شامي الهوى والقصد غير شام

فلما عبطنا ارض بصرى تشرفوا لنا فوق دور ينظرون جسام

فجاء بحيراء الناقشي محاشدا لنا بشراب عنده وطعام

وقال اجمعوا اصحابكم لطعامنا فقلنا جمعنا القوم غير غلام

يتيم فقال ادعوه ان طعامنا كثير عليه اليوم غير حرام

فلما رآه مقبلا فوق رأسه يوقيه حر الشمس ظل غمام

حتى ظهره شبه السجود وضمه الى نحره والصدر اي ضمام

واقبل رعيط يطلبون الذي رأى بحيرا رأى العين وسط خيام

فشار اليهم حشية لعرامهم وكانوا ذوي حقد معا وغرام

دريس وتمام وقد كان فيهم زرير وكل القوم غير نيام

فجاؤا وقد هموا بقتل محمد فردهم عنه بحسن خصام

بتأويله التوراة حتى تيقنوا وقال لهم ما انتم بطغام

فذلك من اعلامه وبيانه وليس نهار مبصر كظلام

وقال ابو طالب ايضا في مثل ذلك :

بكى جزعا لما ارتحلنا محمد كأن لا يراني راجعا لمعاد

فبت يجافيني تهلل دمعه وعبرته عن مضجعي و وسادي

فرح رائحا في الرائحين مشيعا لذي رحم في القوم غير بعاد

فرحنا مع الركب التي راح ركبها يؤمون من غور بلاد اياد

فما رجعوا حتى رأوا من محمد احاديث تجلو غم كل فؤاد

وحتى رأوا احبار كل مدينة سجودا له من عصبة وفراد

زريرا وتماما وقد كان حاضرا دريس وعموا كلهم بفساد

فقال لهم قولا بحيراء فايقنوا به بعد تكذيب وطول عناد

كما قالت الرهط الذين تهودوا وجاهدهم في الله حق جهاد

وقال ولم يملك له النصح رده فان له ارضا بطيب مهاد

واني اخافالحاسدين وانه لفي الكتب مكتوب له بمداد

وقال في ذلك ايضا

ان ابن آمنة الامين محمدا عندي بمثل منازل الاولاد

لما تعلّق بالزمام رحمته والعيس قد قلصن بالازواد

فارفضّ من عيني دمع ذارف مثل الجمان مفرّق ببداد

راعيت فيه قرابة موصولة وحفظت فيه وصية الاجداد

وامرته بالسير بين عمومة بيض الوجوه مصالت انجاد

ساروا لابعد طية معلومة ولقد تباعد طية المرتاد

حتى اذا ما القوم بصرى عاينوا لاقوا على شرف لدى المرصاد

حبرا فاخبرهم حديثا صادقا عنه ورد معاشر الحسّاد

قوما يهودا عاينوه فابصروا فيه النبوة وغيّر الاكباد

جاؤا لقتل محمد فنهاهم عنه واجهد غاية الاجهاد

وكان رسول الله صلع عند عمه ابي طالب كافضل اولاده يعظمه ويشرفه ويكرمه، وذلك لما رأى فيه من دلائل الفضل وعلامات النبوة والرسالة ولوصية عبد المطلب ابيه به ، وكانت في رسول الله صلع مكارم الاخلاق وطهارة الاعراق، ووجد فيه الحلم والامانة والعقل والورع والزهد والفضل وكان ابر الناس عند عمه ابي طالب وله عنده المنزلة والمكان المكين ، وكانت فاطمة بنت اسد امرأة عمه تفضله على اولادها وتكرمه وتخدمه وتعظمه ،

ولما حملت فاطمة بنت اسد بامير المؤمنين علي ابن ابي طالب رأت في منامها كأن عمودا من حديد انتزع من رأسها ثم صدع نورا في الهواء بلغ الى السماء ثم رد اليها فوقف ساعة عندها وانتزع من قدمها ، فقالت ما هذا ؟ فقيل لها هذا قاتل اهل كفر وصاحب الميثاق والنصر بأسه شديد تجزع من صولته الجنود ، و هو معونة الله لنبيه وتأئيده على عدوه ، فاز بحبه الفائزون وسعد به السعداء المتقون ، وهو ممثل في السماء المرفوعة والارض الموضوعة والجبال الشامخة والبحار الزاخرة والنجوم الزاهرة ، فلما جاءها المخاض امرها بعلها ابو طالب ان تطوف بالكعبة وتمسح بداخلها وتبتهل من الادعية بما امكنها ففعلت ذلك وولدته في داخل الكعبة ، وقد ارادت الخروج فعاجلها الطلق فراحت به الى بيتها واقبلت على تربيته والقى الله له المحبة في قلب نبيه محمد صلع وهو يومئذ في تكامل شبابه وحسن بهائه ،وقال لفاطمة بنت اسد يا امه وكذلك كان يدعوها اجعلي مهد علي الى جانبي ، وكان صلع يتولى اكثر تربيته حتى كبر واشتد ووضح هديه واسترشد ،

وكان البيت قد انهدم فبنته قريش ، وكان رسول الله صلع يومئد غلام قد نشأ على الطهارة واخلاق الانبياء ، وكانوا يدعونه الامين ، فلما انتهوا الى موضع الحجر الاسود اراد كل بطن من بطون قريش ان يلي رفعه الى موضعه ، فاختلفوا في ذلك وتشاجروا ، ثم انهم اصطلحوا على ان يحكموا في ذلك اول من يطلع عليهم وكان ذلك رسول الله صلع فقالوا هذا الامين قد طلع ، واخبروه الخبر فانتزع ازاره ووضع الحجر فيه وقال يأخذ من كل بطن من قريش رجل بحاشية الثوب فارفعوه معا ، فاعجبهم ما حكم به وارضاهم ، وفعلوا حتى اذا صار الى موضعه وضعه رسول الله صلع مكانه ، وانما كانت قريش تسميه الامين لما ظهر لها من فضله وامانته وعفته ،

ولما بلغ رسول الله صلع اربع عشرة سنة ودخل في الخامسة عشر هاجت حرب الفجار بين قريش ومن معها من كنانة وبين قيس غيلان ، وانما سميت حرب الفجار لما استحل فيه هذان الحيّان كنانة وقيس غيلان فيه من المحارم بينهم، وشهد رسول الله صلع وعمره عشرون سنة بعض ذلك الحروب معهم ، وقال صلع كنت يومئذ انبل على اعمامي اي ارد عليهم نبل عدوهم اذا رموهم ، وكان اذا حضر صلع غلب قريش وكنانة، وكانوا قد عرفوا ذلك وكانوا يسألون عمه ابا طالب ان يخرجه معهم، ولحرب الفجار قصة اختصرناها ،

ولما رأت خديجة بنت خويلد بن اسد بن عبد العزى فضل رسول الله صلع ومايظهر من دلالاته وتبين من علاماته واشتهار ذلك وكان ميسرة غلامها قد خرج معه في بعض الاسفار فراى الغمامة تظله، والرهبان يذكرون فضله ويخبرون بقرب مبعثه ، وكانت خديجة امرأة حازمة لبيبة شريفة في قومها فبعثت الى رسول الله صلع وقالت يابن عم اني قد رغبت فيك لقرابتك وفضلك في قومك وامانتك وحسن خلقك وصدق حديثك ، ثم عرضت نفسها عليه وكانت يومئذ اوسط نساء قريش نسبا واعظمهن شرفا وحسبا ، وتقدم ابو طالب فخطبها لرسول الله صلع وقال علماء السير وحضر ابو طالب عليه السلام العقد ووجوه بني هاشم والاشراف من قريش وعمومة رسول الله صلع وخطب ابو طالب فقال :

الحمد لله الذي جعلنا من ذرية ابراهيم الخليل وزرع اسماعيل وضيضئ معد وعنصر مضر وجعلنا حضنة بيته وسواس حرمه وجعل لنا بيتا محجوجا وحرما آمنا وجعلنا الحكمام على الناس ، ثم ان ابن اخي هذا محمد بن عبد الله لا يؤذن به رجل الا ورجح وان كان في المال قل فالمال ظل زائل وامر خامل ، ومحمد من عرفتم نسبه وقرابته وصدقه وامانته ، وقد خطب خديجة ابنت خويلد و---- الصداق وما عاجله وآجله من مالي ومبلغه كذا وكذا ، فهو والله يعدله بناء جليل ،

وقيل انه اصدقها عشرين بكرة وعشرة اواقي من ذهب وعبدا وامة وكانت خديجة افضل نساء رسول الله صلع ولم ينكح معها امرأة من نسائه حتى توفيت رحمة الله عليها ورضوانه تعظيما لقدرها ورفعا لشانها وتشريفا لها على ان كل امرأة من نسائه لا يساويها في الفضل ولا يدانيها ، وكل ولده صلع منها ماخلى ابراهيم ع م فانه من مارية القبطية ، والذين ولدت خديجة للنبي صلع اكبر ولده وهو القاسم وبه كان صلع يكنى ، ثم الطيب ثم الطاهر وبناته منها رقية وزينب وام كلثوم وفاطمة عليها السلام ، ولما تزوجها رسول الله صلع لم تزل ترى منه ويخبرها بما استفاض منه من اعلام النبوة ودلائل الرسالة ، فتذكر لابن عمها ورقة بن نوفل فيبشرها ويقول والله انه لهو النبي المنتظر ، ومات ورقة قبل ان يبعث رسول الله صلع وكان شاعرا وكان كلما اخبرته خديجة بما تشاهده منه ويخبرها به رسول الله صلع يستبطئ امره ويقول متى يبعث فاؤمن به واصدقه وفي ذلك يقول ورقة :

لججت وكنت في الذكرى لجوجا لهم طال ما بعث النشيجا

لوصف من خديجة بعد وصف لقد طال انتظاري يا خديجا

بما اخبرته من قول قس من الرهبان يكره ان يعوجا

ببطن المكتين على رجائي حديثك ان ارى منه خروجا

بان محمدا سيسود فينا ويخصم من يكون له حجيجا

فياليتني اذا ما كان ذاكم شهدب فكنت اولهم ولوجا

ويظهر في البلاد ضياء عدل يقيم به البرية ان تعوجا

فيلقى من يحاربه خسارا ويلقى من يسالمه فلوجا

ولوجا في الذي كرهت قريش ولو عجت بمكتها عجيجا

ارجي بالذي كرهوا جميعا الى ذي العرش ان سفلوا عروجا

وهل امر السفاهة غير كفر بمن يختار من سمك البروجا

وان اهلك فكل فتى سيلقى من الاقدار مبلغه خروجا

فان يبقوا وابق تكن امور يضج الكافرون لها ضجيجا

وكان علي ع م عند رسول الله صلع يكفله ويربيه وعلى الطهارة والتقوى ينشيه، وذلك ان اشراف العرب واهل السيادة منهم كانوا اذا شب لاحدهم الولد واراد تقويمه وتأديبه دفعه الى شريف من اشراف قومه ليلي ذلك منه ويستخدمه فيها يقومه به لئلا يدل عليه دالة ، وكان لابي طالب من ال الاولاد طالب وعقيل وجعفر وعلي وبين كل واحد منهم والذي يليه عشر سنين ، فدفع عقيلا الى العباس وجعفر الى حمزة ودفع عليا الى رسول الله صلع ، وقيل بل ترك عقيلا عنده، وقال دعوا عقيلا وخذوا من شئتم فكان علي ع م عند رسول الله صلع ونشأ معه على الطهارة لم يعبد صنما ولم يحتقب اثما بل شب على الطهارة والتقوى واجتناب المنكر والفحشاء ، وكانت اخلاقه اخلاق رسول الله صلع وسيرته سيرته ، وكانت خديجة تعرف حب رسول الله صلع لعلي ع م فكانت تكرمه وتعظمه ، ثم ان الله تعالى اصطفى نبيه محمدا سيد البشر وخاتم النذر وخير ولد آدم فبعثه نبيا وارسله هاديا مهديا فلما اتاه الوحي ونزل عليه جبرئيل ع م بالرسالة دعى خديجة الى الاسلام يوم بعث صلع ، وذلك في اليوم السابع والعشرين من شهر رجب فاسلمت من وقتها وشهدت لله تعالى بالوحدانية ولمحمد بالرسالة ، وذلك يوم الاثنين ، ودعى رسول الله صلع علي ابن ابي طالب ع م يوم الثلثاء ثاني ذلك اليوم واخبره بما اختصه الله به من الدعوة اليه وارسله كافة للناس فقال بابي انت وامي انظرني ساعة فقال رسول الله صلع انا انظرك ما شئت ولكن ما قلته لك بامانة عندك لا يطلع عليه غيرك ، فقال علي ع م انما اردت ان اقدم بذلك الى ابي ، فاذا قلت ما قلت فانا اشهد ان لا اله الا الله وانك محمد رسول الله ، فكانت نبوة محمد صلع يوم الاثنين واسلام علي ع م يوم الثلثاء ثاني ذلك اليوم وهو من الرجال اسبق السابقين واول المؤمنين المصدقين ، وهذا جماع من جميع الامة لا ينكره منكر ، ولا يعارض فيه معارض ، واكثر ما يقول من اراد ان يدفع فضل علي ع م ويخفي ما ابانه الله به منه هو ان يقول انما كان اسلامه قبل اوان بلوغه الحلم وانه لا يعد اسلاما ، ونسوا قول الله تعالى في يحي ابن زكريا يا يحي خذ الكتاب بقوة وآتيناه الحكم صبيا ، وقوله في المسيح ع م ويكلم الناس في المهد ذلك في النبوة كيف بالاسلام والايمان الذين هما دون تلك الدرجة ، ويصغران عن تلك المنزلة ، وانما ذلك منهم جحود لفضل اوليائه وكفر لنعمته اذ انكروا العيان ودفعوا البرهان، والحجة في ذلك تطول وليس هذا موضع ذكرها ، فنقول لمن اراد البحث عن ذلك وجده في كثير من الكتب المؤلفة والاحتجاجات المصنفة ،

وقد رووا عن عبد الله بن عمر الخطاب وهو عندهم ممن يؤخذ بقوله انه قال اذا بلغ الصبي سبع سنين كتب ايمانه وكفره ، والحجج في ذلك تطول وتتسع ، وتخرج عن حد هذا الكتاب ، وفي القليل كفاية لمن حكم عقله وانصف نفسه واتبع قول الله ربه ، ولم يقصد الهوى ولا يتعصب ببغضه من اختاره الله وارتضاه، ومكث علي ع م عدة من السنين يصلي مع رسول الله صلع وهما وحدهما كانا يصليان في شعب مكة ما معهما غيرهما فمكثا سلام الله عليهما ثمان سنين ليس على وجه الارض احد يدين بدين الاسلام الا هما وخديجة بنت خويلد رضي الله عنها ، وعثر عليهما ابو طالب فقال لرسول الله صلع ما هذا الذي تصنعه يابن اخي ،فقال يا عم هذا دين الله ارسلني به ، وهذه ملة ابينا ابراهيم وانت يا عم احق من بدءت له بالنصيحة ودعوته الى دين الله وانت احق من اجاب اليه واعان عليه ، فزعم الرواة انه قال اما مفارقة ما انا عليه فما الى ذلك من سبيل ، وانا عونك ، فوالله ما يخلص اليك احد بشيء تكرهه ما بقيت ، وقال لعلي ع م اتبع ما يقول لك محمد ولا تفارقه والزمه فانه لم يدعك الا الى دين الله ،

وقد روي عن ابي عثمان قاضي الموصل باسناد رفعه الى ابي ايوب الانصاري انه قال : سمعت رسول الله صلع يقول لقد صليت انا وعلي ابن ابي طالب سبع سنين وذلك انه لم يؤمن بي ذكر من قبله وذلك قول الله ع ج الذين يحملون العرش ومن حوله ويسبحون بحمد ربهم ويستغفرون لمن في الارض وكان ذلك لعلي ولخديجة بنت خويلد ثم لمن آمن من بعد ،

وروي ان ابا طالب مرّ برسول الله صلع ومعه علي ابن ابي طالب وهم يصليان وجعفر بن ابي طالب مع ابيه ، فالتفت ابو طالب الى ابنه جعفر الطيار وقال ارجع فصل جناح ابن عمك ، فاتى جعفر رسول الله صلع فاسلم وصلى معهما عليهم السلام فكانت اول صلوة صلاها رسول الله صلع في جماعة .

ولما انزل الله ع ج على رسوله محمد صلع وانذر عشيرتك الاقربين جمع رسول الله صلع بني عبد المطلب على فخذ شاة وقدح من لين ، وان فيهم يومئذ عشرة ليس منهم رجل الا وهو يأكل الجذعة ويشرب الفرق ، وهم بضع واربعون رجلا ، فاكلوا حتى شبعوا ، وشربوا حتى ارتووا ، وفيهم يومئذ ابو لهب ، فقال لهم رسول الله صلع يا بني عبد المطلب اطيعوني تكونوا ملوك الارض وحكامها ان الله لم يبعث نبيا الا جعل له وصيا ووليا ووارثا واخا ، فيكم يكون اخي ووصي ووزيرى ووارثي فسكتوا ، فجعل يعرض عليهم رجلا رجلا ليس منهم احد يقول ذلك ولايقبله ، قال علي حتى لم يبق منهم غيري وانا يومئذ احدثهم سنا فعرض علي فقلت له انا يا رسول الله ، فقال له انت يا علي اخي ووصي ووزيري ، وقال لهم اسمعوا له واطيعوه ، فلما انصرفوا قال لهم ابو لهب لولم تستدلوا على سحر صاحبكم الا بما رأيتموه ، اتاكم بفخذ شاة وقدح من لبن فشبعتم ورويتم ، وجعلوا يستهزؤن ويقولون لابي طالب قد قدّم ابنك اليوم عليك،

ومضى رسول الله صلع على الدعوة الى الله تعالى وابلاغ رسالته وامره الله بالدعاء اليه ، فقال فاصدع بما تؤمر واعرض عن المشركين ، فاظهر صلع نفسه ودعى قريشا واهل مكة الى الاسلام واخبرهم بما اتاه من عند الله وانذرهم بأسه وخوفهم عذابه وعاب آلهتهم وما يدعون من دون الله وانتصب عمه ابو طالب لمن اراد انكار ذلك عليه ومنعه فشق على قريش ذلك وعظم امره عليها اذ سفه احلامها وعاب آلهتهم ومشى بعضهم الى بعض في ذلك انكارا لما ادعاهم اليه واستكبارا على الله تعالى وعليه ، وكان الذي قام في ذلك قعد وصوب وصعد ابو سفيان ، وهو صخر بن حرب بن امية بن عبد شمس بن عبد مناف ، وبنو امية وعتبة وشيبة ابنا ربيعة بن عبد شمس وابو البختري وهو العاصي ابن هشام والوليد بن المغيرة والاسود بن المطلب والعاص بن وائل والحكم بن العاص وابو جهل بن هشام فاجتمعوا ودبروا الرأي فرأوا ان يأتوا ابا طالب وان يذكروا ذلك فاتوه وقالوا يا ابا طالب ان ابن اخيك محمد قد سفه احلامنا وعاب آلهتنا وضلل آبائنا وانك انتصبت دونه ، فاما تكفيناه واما تخلي بيننا وبينه فقال لهم ابو طالب قولا رفيقا وردهم ردا جميلا فانصرفوا عنه ومضى رسول الله صلع على امره والدعوة الى الله ربه مبينا ما به الله ارسله، واسم ناس كثير من قريش واتوا عمه ابا طالب مرة اخرى فقالوا به يا ابا طالب قد كنا اتيناك وشكرنا اليك ابن اخيك فلك فينا شرف ومنزلة وما نحن بصابرين على ما نزل من ابن اخيك من سب آلهتنا ونقص آبائنا وتسفيه احلامنا وقد تبعه على ذلك جماعة من قريش ، فاما كففته عنا وكفيتنا شانه والا فنحن منازعوه واياك ومحاربوكما ومن اتبعه حتى يملك احد الفريقين فرد عليهم ابو طالب ردا جميلا وقال انا انظر ما يكون فيه الصلاح في ذلك ان شاء الله واتصل به انه اجمع رأيهم على محاربته وانهم رأوا ان المبادرة في ذلك اهون عليهم من ان يدعوه حتى يتمكن ويعظم امره ، فعظم ذلك على ابي طالب واتى رسول الله صلع فقال له يابن اخي انه قد جاء عن قومك ما قد بلغك فابق على نفسك ولا تحملني ما لا اطيقه فظن رسول الله صلع انه قد بدا لابي طالب في نصرته فاستعبر ، ثم قال يا عم ان شئت فلا تكلف نفسك فاما انا فوالله لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في شمالي ما تركت هذا الامر حتى يظهره الله او اهلك دونه ، وقام عنه موليا فدعاه ابو طالب وقال يا بن اخي اذهب فقل ما احببت واصنع ما شئت فوالله لا اسلمك لشيء ابدا وقال في ذلك شعرا:

والله لن يصلوا اليك بجمعهم حتى اوسّد في التراب دفينا

فاجهد لامرك ما عليك غضاضة وابشر وقرّ بذلك منك عيونا

ودعوتني وزعمت انك ناصح فلقد صدقت وانت كنت امينا

وعرضت دينا لا محالة انه من خير اديان البرية دينا

لولا الملامة او حذاري سبة لوجدتني سمحا بذاك مبينا

فهذه الشهادة ايضا من ابي طالب بصدق رسول الله صلع وان دينه خير الاديان في كثير مما نذكره مما هو على كتم دينه اكبر برهان ،

ثم ان قريشا حين علموا ان ابا طالب لن يخذل رسول الله صلع ولن يسلمه وانه قد اجمع على فراقهم وعداوتهم مشوا اليه بعمارة بن الوليد بن المغيرة فقالوا له يا ابا طالب هذا عمارة بن الوليد انهد فتى في قريش واشعره نحن ندفعه اليك فلك عقله ونصرته فاتخذه ولدا فهو لك واسلم الينا ابن اخيك هذا الذي قد خالف دينك ودين آبائك وفرق جماعة قومك وسفّه احلامهم فانما هو رجل كرجل ، فقال ابو طالب بئس والله تسومونني تعطوني ابنكم اكسوه واغذوه واعطيكم ابني لتقتلوه ، هذا والله ما يكون ابدا ، فقال له المطعم بن عدي بن نوفل بن عبد مناف لقد انصفك قومك يا ابا طالب وجهدوا في التخلص مما تكره ، فما اراك تريد ان تقبل منهم شيئا ، فقال ابو طالب للمعطم والله ما انصفوني ولكنك قد اجمعت على خذلاني ومظاهرتهم علي فاصنع ما بدا لك ، فقال ابو طالب في ذلك يحرض بني عبد مناف على نصرته ويستميل بني عبد شمس

الا قل لعمرو الوليد ومطعم الا ليت حظي من حياطتكم بكر

من الخزر حجاب كثير رغاؤه يرش على الساقين من بوله قطر

تخلف خلف الورد ليس بلاحق اذا ما على الفيفاء قيل له وبر

ارى اخوينا من ابينا وامنا اذا سئلا قالا الى غيرنا الامر

بلى لهما امر ولكن تحرجا كما خرجت من رأس ذي علق صخر

اخص خصوصا عبد شمس ونوفلا هما نبذانا مثل ما ينبذ الجمر

هما اغمزا للقوم في اخويهما فقد اصبحا منهم اكفهما صفر

هما اشركا في المجد من لا ابا له من الناس الا ان يرسله ذكر

وليد ابوه كان عبدا لجدنا الى علجة زرقاء جاش بها البحر

اويتم مخزوم وزهرة منهم وكانوا لنا مولا اذا بغي النصر

فقد سفهت احلامهم وعقولهم ولانوا كجعر بئس ما صنعت جعر

فوالله ما تنفك منا عداوة ولا منهم ما كان من نسلنا شفر

فلم يزد ذلك بني امية ومن حالفهما الا عداوة لرسول الله صلع، ووقع ذلك من بني هاشم وبني عبد المطلب موقعا صرف قلوبهم الى نصرة رسول الله صلع ما خلى ما كان من الخبيث ابي لهب ، وكان بنو هاشم وبنو عبد المطلب كما ذكرنا امرهم واحد ، فقال ابو طالب شعرا يحرضهم

حتى متى نحن على فترة يا هاشما والقوم في جحفل

يدعون بالخيل على رقبة منا لدى الخوف وفي معزل

كالحرة السوداء يعلو بها سرعا نها في سبب مجهل

عليهم الترك على رعلة مثل القطا السارب للمنهل

يا قوم ذودوا عن جماهيركم بكل مفضال على مسبل

حديد خمس لهن خده موارب الافضل فالافضل

عريض ست لهب حضره يصان بالتذليق في مجدل

كم قد شهدت الحرب في فئة عند الوغى في عشير القسطل

لاد محيين اذا جئتهم وفي هياج الحرب كالاشبل

فلما اجتمع لابي طالب بنو هاشم وبنو عبد المطلب وثق بامر نفسه وزاد بصيرته في نصرة رسول الله صلع وباين بني امية وعبد شمس ومن قال معهم من بطون قريش بالعداوة وصرّح لهم بها وقال شعرا :

منعنا الرسول رسول المليك ببيض تلألأ كلمع البروق

بضرب يذيب دون النهاب حذار الوتائر والخنفقيق

اذب واحمي رسول المليك حماية عم عليه شفيق

وما ان ادب لاعدائه دبيب البكاء حذار الفتيق

ولكن ازير لهم بما ساميا كما زأر ليث بغيل مضيق

وقال ابو طالب ايضا :

والله لا اخذل النبي ولا يخذله من بنيّ ذوو حسب

ان عليا وجعفرا ثقة وعصمة في نوازل الكرب

اراها عرضة اللقاء اذا ساميت وانتمي الى حسب

لاتقعدا وانصرا ابن عمكما اخي لامي من بينهم وابي

ولما رآه ابو طالب من قومه ما سره وجدهم معه وحدبهم عليه جعل يمدحهم ويذكر قيامهم ويذكر له رأيهم فضل رسول الله صلع ومكانه منهم ليشتد له رأيهم ويجمعوا على امره وقال شعرا :

اذا اجتمعت يوما قريش لمفخر فعبد مناف سرها وصميمها

وان حصلت اشراف عبد منافها ففي هاشم اشرافها وقديمها

وان فخرت يوما فان محمدا هو المصطفى من سرها وكريمها

تداعت قريش غشها وسمينها علينا فلم تظفر وطاشت حلومها

وكنا قديما لا نقر ظلامة اذا ما ثنوا صعر الخدود نقيمها

ونحمي حماها كل يوم كريهة ونضرب عن احجارها من يرومها

بنا انتعش العود الذوي وانما باكنافنا تندى وتنمو ارومها

ثم ان الوليد بن المغيرة اجتمع اليه نفر من قريش وكان ذا سن فيهم ، وقد حضر الموسم ، فقال لهم معشر قريش انه قد حضر الموسم وهذا اوان وفود العرب سيقدم عليكم فيه وقد سمعوا امر صاحبكم هذا ، فاجمعوا فيه الرأي رأيا واحدا لا تختلفوا فيكذب بعضكم قول بعض ، قالوا فانت يا ابا عبد شمس فقل واقم لنا رأيا نقول به ، قال بل انتم فقولوا اسمع ، قالوا نقول كاهن ، قال والله ما هو بكاهن ، لقد رأينا الكهان فما قوله بزمزمة الكهان ولا سجعهم ، قالوا نقول مجنون ، قال لقد رأينا المجنون وعرفنا فما هو بجنة ، ولا تخالجه ولا وسوسة ، قالوا فنقول شاعر ، قال ما هو شاعر قد عرفنا الشعر كله رجزه وهزجه وقريظه ومبسوطه فما هو بشعر ، قالوا نقول ساحر قال ما هو ساحر، لقد رأينا السحر وسحرهم ، فما عنده نفثهم ولا عقدهم ، قالوا فما نقول يا ابا عبد شمس، قال ان لقوله والله لحلاوة وما تقولون فيه قولا الا عرف باطله ، وان اقرب القول فيه تقولوا هذا ساحر جاء بسحر مفرّق بين المرء وزوجه وبين المرء واخيه وعشيرته فتفرقوا عنه بذلك فجعلوا يجلسون سبيل الناس ويقولون لهم ذلك ،

وفي الوليد بن المغيرة انزل الله تعالى ذرني ومن خلقت وحيدا ،وجلعت له مالا ممدودا ، وبنين شهودا ، ومهدت له تمهيدا ، ثم يطمع ان ازيدا ، كلا انه كان لآياتنا عنيدا ، سارهقه صعودا ، انه فكر وقدر فقتل كيف قدّر ، ثم نظر ثم عبس وبسر ، ثم ادبر واستكبر ، فقال ان هذا الا سحر يؤثر ، ان هذا الا قول البشر ، ساصليه سقر ، وما ادراك ما سقر، ولا تبقي ولا تذر ، لواحّة للبشر ، عليها تسعة عشر ، الى آخر الآيات ،

وخشي ابو طالب دهماء العرب ، فقال قصيدته التي تعوذ فيها بحرم مكة بمكانه فيها وتودد فيها الى اشراف قومه وهوعلى ذلك يخبرهم وغيرهم في شعره انه غير مسلم رسول الله صلع ولا تارك لشيء ابدا حتى يهلك دونه ، وهذه القصيدة اوردتها في هذه النسخة برواية ابي عفان عبد الله بن احمد المهري ،

قال خالد بن حرب عن عبد الله بن العباس بن الحسن بن عبد الله بن العباس السقا بن علي ابن ابي طالب صلى الله عليه ورضي عن الصالحين من ذريته ، قال ابو طالب عليه السلام :

خليلي ما اذني لاول عاذل بصغواء في حق ولا عند باطل

خليلي ان الرأي ليس بشركة ولا نهبة عند الامور التلاتل

ولما رأيت القوم لا ودّ فيهم وقد قطعوا كل العرى والوسائل

وقد صارحونا بالعداوة والاذى وقد طاوعوا امر العدو المزائل

وقد حالفوا قوما علينا اظنة يعضون غيظا خلفنا بالانامل

صبرت لهم نفسي سمراء سمحة وابيض عضب من تراث المقاول

واحضرت عند البيت رهطي واخوتي وامسكت من اثوابه بالوصائل

قياما معا مستقبلين رتاجه لدى حيث يقضي نسكه كل نافل

وحيث ينيح الاشعرون ركابهم بمفضى السيول من اساف ونائل

موسمة الاعضاء او قصراتها مخيسة بين السديس وباذل

ترى الودع فيها والرخام وزينة من العهد في اعناقها كالعثاقل

اعوذ برب الناس من كل طاعن علينا بسوء او ملحّ بباطل

ومن كاشح يسعى لنا بنميمة ومن ملحق في الدين ما لم نحاول

وثور ومن ارسى ثبيرا مكانه وارق ليرقى في حراء ونازل

وبالبيت حق البيت من بطن مكة وبالله ان الله ليس بغافل

وبالحجر المسود ان يمسحونه اذا اكتنفوه بالضحى والاصائل

وموطئ ابراهيم في الصخر رطبة على قدميه حافيا غير ناعل

واشواط بين المروتين الى الصفا وما فيهما من صورة وتماثل

ومن حج بيت الله من كل راكب ومن كل ذي نذر ومن كل راجل

وبالمشعر الاقصى اذا عمدوا له الال الى مفضي الشراج القوابل

وليلة جمع والمنازل من منى وهل فوقها من حرمة ومنازل

وتوقافهم فوق الجبال عشية يقيمون بالايدي صدور الرواحل

وجمع اذا ما المقربات اجزته سراعا كما يخرجن من وقع وابل

وبالحمرة الكبرى اذا صمدوا لها يأمون قذفا رأسها بالجنادل

وكندة اذ ترمي الجمار عشية تجيز بها حجاج بكر بن وائل

حليفان شدا عقد ما اختلفا له وردا عليه عاطفات الوسائل

وحطهم سمر الرماح مع الظبي وانقاذهم ما يلتقي كل نابل

ومشيهم حول النسال وسرجه وسلمية وخد النعام الجوافل

فهل فوق هذا من معاذ لعائذ وهل من معيذ يتقي الله عاذل

يطاع بنا الاعداء ودوا لو اننا تسدّ بنا ابواب ترك وكابل

كذبتم وبيت الله نترك مكة وتطعن الا امركم في بلابل

كذبتم وبيت الله نبزى محمدا ولما نطاعن دونه ونناضل

ونسلمه حتى نصرع حوله ونذهل عن ابنائنا والحلاحل

وينهض قوم في الحديد اليكم نهوض الروايا تحت ذات الصلاصل

وحتى نرى ذا الضغن يركب روعه من الطعن فعل الانكب المتحامل

وانا لعمر الله ان حل ما ارى لتلتبسن اسيافنا بالاماثل

بكف فتى مثل الشهاب سميدع اخي ثقة حامي الحقيقة باسل

شهورا واياما وحولا مجرما علينا وتأتي حجة بعد قابل

وما ترك قوم لا ابا لك سيدا يحوط الذمار غير ذرب مواكل

وابيض يستسقي الغمام بوجهه ثمال اليتامى عصمة للارامل

يلوذ به الهلاّك من آل هاشم فهم عنده في نعمة وفواضل

لعمري لقد اجرى اسيل ورهطه الى بغضنا وجزأنا لآكل

جزت رحم عنا اسيدا وخالدا جزاء مسيء لا يؤخر عاجل

وعثمن لم يرع علينا وقنفذ ولكن اطاعا امر تلك القبائل

اطاعا بنا الغاوين من كل وجهة ولم يرقبا فينا مقالة قائل

وذاك ابو عمرو اتى وهو مغضب ليطعننا في اهل شاء وخامل

يناجي بنا في كل ممسي ومصبح فناج ابا عمرو بنا ثم خاتل

ويقسمنا بالله ما ان يغشنا بلى قد نريه جهرة غير حائل

اضاق عليه بغضنا كل تلعة من الارض بين اخشب والاجاول

وسائل ابا الوليد ما ذا حبوتنا بسعيك عنا معرضا كالمخائل

وكنت امرءا ممن يعاشر تربه ورحمته فينا ولست بجاهل

اعتبة لم تسمع بنا قول كاشح حسود كذوب مبغض ذي غوائل

وقد خفت انه لم تزدجرهم ويرعووا تلاق ونلقي منك احدى التلائل

ومرّ ابو سفيان عني معرضا كأنك قيل من عظام المقاول

يفر الى نجد وبرد ميامه ويزعم اني لست عنكم بغافل

واعلم ان لاغافل من مساءة كذاك العدو عند حق وباطل

فميلوا علينا كلكم ان ميلكم سواء علينا والرياح بهاطل

ويخبرنا فعل المناصح انه شفيق ويخفز عازمات الدخائل

امطعم لم اخذلك في يوم نجدة ولا عند تلك المعضلات الجلائل

ولا يوم خطم اذا اتوك اشدة اولي جدل مثل الخصوم المساجل

امطعم ان القوم ساموك خطة واني متى اوكل فلست بآكل

جزى الله عنا عبد شمس ونوفلا عقوبة شر عاجلا غير آجل

---لن قسط لا يغيض شعيرة له شاهد من نفسه غير عائل

لقد سفهت اخلام قوم تبدلوا بني خلف قبضا بنا وهياطل

ونحن صميم من ذوابة هاشم وآل قصي في الخطوب الاوائل

وكان لنا حوض السقاية فيهم ونحن الذرى منهم وفوق الكوامل

فما ادركوا ذحلا ولا سفكوا دما ولا حالفوا الا شرار القبائل

بني امة مجنونة هتلكية بني جمح عبد لقيس بن عاقل

وسهم ومخزوم توالوا والبوا علينا العدى من كل طمل وخامل

وشافظ كانت في لوي ابن غالب نفاهم الينا كل صفر حلاحل

ورهط نفيل شر من طئ الحصى والأم حاف من معد وناعل

فعبد مناف انتم خير قومكم فلا تشركوا في امركم كل واغل

فقد خفت ان يصلح الله امركم تكونوا كما كانت احاديث وائل

لعمري لقد وهّنتم وعجزتم وجئتم بامر مخطئ للمافصل

وكنتم حديثا حطب قدر فانتم بنا الآن حطب اقدر ومراجل

ليهن بني عبد المناف عقوقنا وخذلاننا وتركنا في المعاقل

فان تك قوما ينترءهم ما صنعتم ستحلتبوها لا قحا غير باهل

فابلغ قصيا ان سينشر امرنا وبشر قصيا بعدنا بالتخاذل

ولو طرقت ليلا قصيا عظيمة اذا ما لجأنا دونهم بالتخاذل

ولو صدقوا ضربا خلال بيوتهم لكنا اساعند النساء المعاطل

فان تك من كعب لوي تجمعت فلا بد يوما امره في تزاول

وان تك كعب من شعوب كثيرة فلا بد يوما انها في المجاهل

وكنا بخير قبل تسويد معشر هم ذبحونا بالمدى والمعاول

وكل صديق وابن اخت نعده لعمري وجدنا غشه غير زائل

سوى ان رهطا من كلاب بن مرة براء الينا من معقة خاذل

بني اسد لا تطرقن على الاذى اذا لم يقم بالحق مقول قائل

فنعم ابن اخت القوم غير مكذب زهير كسيف مفرد من حمائل

اشم من الشم الطوال اذا انتمى الى حسب في حومة المجد فاضل

لعمري لقد كلفت وجدا باحمد واخوته دأب المحب المواصل

فلا زال في الدنيا جمالا لاهلها وزينا على رغم العدو المخائل

فمن مثله في الناس اي مؤمل اذا قاسه الحكام اهل التفاضل

حليم رشيد عادل غير طائش يوالي الاها ليس عنه بذاهل

فايده رب العباد بنصره واظهر دينا حقه غير باطل

فوالله لولا ان اجيء بسبة تكون على اشياخنا في المحافل

لكنا اتبعناه على كل حالة من الدهر جدا غير قول التهازل

لقد علموا ان ابننا لا مكذب لديهم ولا يعبي بكقول الاباطل

رجال كرام غير ميل نماهم الى العز آباء كرام المحاصل

وقمنا لهم حتى تبدد جمعهم وتحسر عنا كل باغ وجاهل

شباب من المتطيبين وهاشم كبيض السيوف بين ايدي الصياقل

بضرب ترى الفتيان فيه كأنهم ضواري اسود فوق لحم خرادل

ولكننا نسل كرام لسادة بهم نعتلي الاقوام عند التطاول

سيعلم اهل العصر فينا باننا نفوز ونعلو عن ليال وقلائل

وايهم مني ومنهم بسيفه يلاقي اذا ما حان وقت التنازل

واصبح فينا احمد في ارومة تقصر عنه سورة المتطاول

حديت بنفسي دونه وحمية ودافعت عنه بالطلى والكلاكل

ولا شك ان الله رافع امره ومعليه في الدنيا ويوم التجادل

كما قد رأى في الامس واليوم جده ووالده رؤياهما غير آفل

وقول ابي طالب هذا القول كقول مؤمن من آل فرعون يكتم ايمانه وكفى بقول ابي طالب وفعله وكفاحه عن رسول الله صلع ومنعه اياه وجهاده دونه وشهادته له بالنبوة والصدق ، وذلك لما ظهر فيه من الدلائل وعلمه فيه من الفضائل ، ولو اظهر ابو طالب اسلامه لم يجد ناصرا من قومه ولكان كواحد من اسلم ونبذه قومه ولكن الله ايد به رسوله نظرا من الله عز وجل لدينه ونصرالرسول،

وفشى شعر ابي طالب هذا في العرب وامر رسول الله صلع وقيام بني هاشم دونه وقيام بني عبد شمس ومن والاهما ، فوقف من كان في العرب قد اغري برسول الله صلع وانحى بعضهم عليه وكذب اكثرهم مقالهم فيه وذكر اهل يثرب ما كانت اليهود تخبرهم به من اوان ظهور نبي وبعث رسول الله صلع تطلعت الى رسول الله صلع عيونهم وطمحت نحوه ظنونهم ، واستنهض مشركو قريش من كان وعدوهم النصرة على رسول الله صلع فتوقفوا وعظموا امر الحرم وذكرهم شعر ابي طالب تعظيمه وارسل اليهم بعضهم يعظمونهم وعن حرب قومهم ينهونهم ، فاسقط ما في ايديهم حين لم يحق مكرهم ولم يتم امرهم وكان ابو قيس ابن الاسلت صهرا لقريش كانت عنده ارنب بنت اسد بن عبد العزى وكان يأتي بها مكة فيقيم بها عند قومها فكانت له بينهم خلطة وكان شاعرا فقال شعرا وبعث به اليهم ينهاهم عن الحرب ويحضهم على اتباع رسول الله صلع ويذكرهم بآلاء الله عندهم ودفعه الفيل عنهم وكيده فقال شعرا :

ايا راكبا اما عرضت فبلغن مغلغلة عني لوي ابن غالب

رسول امرء قد راعه ذات بينهم على النأي محزون بذلك ناصب

وقد كان عندي للهموم معرس ولم اقض منها حاجتي ومآربي

فنبئتكم شرجين كل قبيلة لها ازمل ما بين مذك وحاطب

اعيذكم بالله من شر ضغنكم وشر تباغيكم ودس العقارب

زاظهار اخلاف ونجوى سقيمة كوخز الاشاخي وقعها حق صائب

فذكرهم بالله اول وهلة واحلال احرام الظباء الشوارب

وقل لهم والله يحكم حكمه ذروا الحرب تذهب عنكم في المراجب

متى تبعثوها تبعثوها ذميمة هي الغول للاقصين او للاقارب

تقطع ارحاما وتهلك امة وببري السديف من سنام وغارب

وتستبدلوا بالاتحمية بعدها شليلا واصلا ثياب المخارب

وبالمسك والكافور غبرا سوابغا كان قتيريها عيون الجنادب

فاياكم والحرب لا تعلقنكم وحوضا وخيم الماء مر المشارب

نزين للاقوام ثم يرونها بعاقبة اذ نبيت ام صاحب

تخرق لا تشوي ضعيفا وتنحني ذوي العز منكم بالحتوف الصوائب

الم تعلموا ماكان في حرب داحش فتعتبروا وكان في حرب حاطب

فكم قد اصابت من شريف مسود طويل العماد ضيفه غير خائب

عظيم رماد النار يحمد امره وذي شيمة محض كريم الضرائب

فمر طحينا في دعاها كأنما اذاعت به ريح الصبا ء الجنائب

فان كنتم لم تعلموا الحرب فاسألوا عن الحرب في استقبالها والعواقب

يخبركم عنها امرء حق عالم بايامهاوالعلم علم التجارب

فبيعوا الحراب بل محارب واذكروا حسابكم والله خبر المحاسب

ولي امرء فاختار دينا فلا يكن عليكم رقيبا غير رب الثواقب

اقيموا لنا دينا حنيفا فانتم لنا غاية قد يهتدي بالذوائب

وانتم لهذا الناس نور وعصمة ترمون والاحلام غير غوارب

وانتم اذا ما حصل الناس جوهر لكم سرة البطحاء شم الارانب

تصونون اجساما كراما عتيقة مهذبة الانساب غير اشائب

ترى طلب الحاجات حول بيوتكم عصائب هلكى تهتدي بعصائب

لقد علم الاقوام انه سراتكم على كل حال خير اهل الجباجب

وافضله رأيا واعلاه مهنة واقواله للحق وسط المواكب

فقوموا فصلوا ربكم وتمسحوا باركان هذا البيت بين الاخاشب

فعندكم منه بلاء مصدّق غداة ابي يكسوم هادي الكتائب

كتيبة بالسهل تمشي ورجله على القاذفات من رؤوس المراقب

فلما اتاكم نصر ذي العرش ردهم جنود الملائك بين ساف وحاصب

فولوا سراها هاربين ولم يأن الى اهله من جيش غير عصائب

فان تهلكوا نهلك وتهلك مواسم يعاش بها قول امرء غير كاذب

فلما يئست قريش من نصرة العرب لم تطق لرسول الله صلع الا الاذى بالسنتها لنصر عمه ابي طالب له ودفاعه عنه وهو في ذلك يدعو الى الله ع ج ويتلو عليهم آيات كتابه وهم مع ذلك مصرون على الكفر والتكذيب له ع ج على مايظهر لهم من الآيات ويروون له من المعجزات ،

فمن ذلك ما روي عن امير المؤمنين علي ابن ابي طالب ع م في بعض خطبه حيث قال ولقد كنت معه صلع لما اتاه الملأ من قريش فقالوا له يا محمد قد ادعيت عظيما لم يدعه ابوك ولا احد من اهل بيتك ونحن نسألك امرا ان اجبتناه اليه واريتنا اياه علمنا انك نبي ورسول ، وان لم تفعل علمنا انك ساحر كذاب، فقال صلى الله عليه وآله وسلم وما تسألون قالوا تدعو لنا هذه الشجرة حتى تنقلع بعروقها وتقف بين يديك فقال صلى الله عليه وآله وسلم ان الله على كل شيء قدير فان فعل الله لكم ذلك اتؤمنون وتشهدون بالحق قالوا نعم قال فاني ساريكم ما تطلبون واني لاعلم انكم لا تفيئون الى خير وان فيكم من يطرح في القليب ومن يحزب الاحزاب ثم قال صلى الله عليه وآله وسلم يا ايتها الشجرة ان كنت تؤمنين بالله واليوم الآخر وتعلمين اني رسول الله فانقلعي بعروقك حتى تقفي بين يدي باذن الله والذي بعثه بالحق لانقعلت بعروقها وجاءت ولها دوي شديد وقصف كقصف اجنحة الطير حتى وقفت بين يدي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مرفرفة والقت بغصنها الاعلى على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وببعض اغصانها على منكبي وكنت عن يمينه صلى الله عليه وآله وسلم فلما نظر القوم الى ذلك قالوا علوا واستكبارا فمرها فليأتك نصفها ويبقى نصفها فامرها بذلك فاقبل اليه نصفها كاعجب اقبال واشده دويا فكادت تلتف برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقالوا كفرا وعتوا فمر هذا النصف فليرجع الى نصفه كما كان فامره صلى الله عليه وآله وسلم فرجع فقلت انا لا اله الا الله فاني اول مؤمن بك يا رسول الله والو من اقر بان الشجرة فعلت ما فعلت بامر الله تعالى تصديقا بنوتك واجلالا لكلمتك فقال القوم كلهم بل سارح كذاب عجيب السحر خفيف فيه وهل يصدقك في امرك الا مثل هذا يعنوني واني لمن قوم لا تأخذهم في الله لومة لائم سيماهم سيما الصديقين وكلامهم كلام الابرار عمار الليل ومنار النهار متمسكون بحبل القرآن يحيون سنن الله وسنن رسوله لا يستكبرون ولا يغلون ولا يفسدون قلوبهم في الجنان واجسادهم في العمل

هذا قول امير المؤمنين ص ع واراهم رسول الله صلع الآيات الكبرى كانشقاق القمر وغير ذلك مما يعجز عن مثله جميع البشر ، فمكروا مكرا كبارا ، ولم يزدهم ذلك الا عتوا واستكبارا ، وللحق انكارا ، وعلى الكفر اصرارا ،

واتصل خبر رسول الله صلع بمن في بلاد العرب من اليهود والنصارى فاتاهم علمائهم ورهبانهم واحبارهم ليحاجوه ، فكل منهم يرى فيه دلائل النبوة على ما يجدونه في كتبهم وترى منهم قريش الاستكانة له وما يدل على نبوته والمعرفة به ويرجعون فيذكرون ذلك والحسد والعداوة بمنعان اكثرهم من الاقرار بنبوته صلع ، وفشى الاسلام واشتهر خبر رسول الله صلع في الآفاق ومالت اليه القلوب وكانت في ذلك اخبار يطول ذكرها فحذرهم ابو طالب العذاب في تكذيبهم له وقال شعرا :

افيقوا بني غالب وانتهوا عن البغي في بعض ذا المنطق

والا فاني لكم خائف بوائق في داركم تلتقي

تكونوا لغابركم عبرة ورب المغارب والمشرق

كما ذاق من كان قبلكم ثمود وعاد فمن ذا بقي

غداة اتاهم بها صرصر وناقة ذي العرش اذ تستقي

فحلت عليهم بها سخطة من الله في ضربه الازرق

غداة بعض يعرقوبها حسام من الهند ذو رونق

واعجب من ذاك من امركم عجائب في الحجر الملصق

بكف الذي قام من حينه الى الصابر القائم المتقي

فايبسه الله في كفه على رغم ذا الجائر الاحمق

احيمر مخزومكم اذ غوى لغي الغواة ولم يصدق

يعني بالحجر الملصق ان رسول الله صلع حين قوي امره اظهر عبادة ربه وكان يأتي البيت فيصلي ، فنظر اليه ابو جهل بن هشام المخزومي يوما وهو يصلي فقدم واخذ حجرا عظيما ملأ يديه واتى رسول الله صلع وهو ساجد ليرضح رأسه به بعد ان حرضه عليه كفار قريش وجلسوا لينظروا ما ذا يفعل فلما دنى منه بالحجر وهو ساجد رجع عنه موليا قد امتقع وجهه وقد يبست يداه على الحجر حتى قذف به فقاموا وقالوا ما لك يا ابا الحكم قال لما دنوت منه عرض لي دونه فحل من ابل فاغر فاه ما ظننت اني انجو منه ، فقال بعضهم لبعض قد نزل بنا من محمد ما لم ينزل قط بقوم من رجل قبله، وجعلوا يذكرون ما نقموا عليه فلم يروا غير التشديد على من اتبعه ، فجعل كل قوم ينالون ممن اسلم من جماعتهم ويؤذيهم ويعذبونهم ويقربونهم ،

فشكوا ذلك الى رسول الله صلع ، فاذن لهم في الهجرة الى ارض الحبشة ، وكان فيهم جعفر بن ابي طالب ع م ، وعدة من المهاجرين الى الحبشة ثلاثة وثمانون رجلا غير من معهم من نسائهم وابنائهم ، وكتب ابو طالب كتابا مع ابنه جعفر الطيار الى النجاشي ملك الحبشة يعرفه فيه ما كان من امر النبي صلع وقيام بني عبد شمس ومن والاهم من قريش عليه وما قال من اتبعه وانهم قد تحرموا به واستجاروا بملكه وسأله حياطتهم وحفظهم وقال فيما كتب اليه شعرا :

تعلم ابيت اللعن ان محمدا وزيرا لموسى والمسيح بن مريم

اتى بالهدى مثل الذي اتيا به فكان بامر الله يهدي ويعصم

وانكم تتلونه في كتابكم بصدق حديث لا حديث الترجم

وانك ما تأتيك منا عصاته لفضلك الا ارجعوا بالتكرم

فلا تجعلوا لله نذا وسلموا فان طريق الحق ليس بمظلم

واوصل جعفر بن ابي طالب كتاب ابيه الى النجاشي وكان سبب ما نال المسلمين منه من البر والاحسان ، ولما رأت قريش ما نال اصحاب رسول الله صلع من الاكرام وانهم فد انسوا واطمأنوا بارض الحبشة وانزلهم النجاشي احسن نزل في جواره فساءهم ذلك واجمعوا رأيهم على ان يختاروا رجلين من اولي الدهاء وحسن الحديث ويرسلوهما الى النجاشي فاختاروا عمرو بن العاص وعمارة بن الوليد وجمعوا مالا عظيما فاشتروا من الطاف الحجاز هدايا كثيرة وبعثوا بها معهما الى ملك الحبشة والى جميع رجاله وذوي مملكته، فلما وصل بالهدايا اتيا البطارقة فاعطياهم الهدايا التي لهم واوصلا للنجاشي الذي اليه ، وذكرهما البطارقة للنجاشي فادخلهما اليه فقالا ايها الملك قد صار الى بلدك منا غلمان سفهاء فارقوا دين قومهم ولم يدخلوا في دينك واتوا ببدعة لا تعرف انت ولا نحن وقد ارسلنا اليك اشراف قومهم من آبائهم واعمامهم وعشائرهم لتردهم اليهم ، فقال البطارقة لما وصل اليهم من الهدايا صدقا ايها الملك قومهم اعلم بهم فارددهم اليهم ، فغضب الملك وقال لا اسلم اليهم قوما تجاوروني واختاروني على غيري حتى ادعوهم فاسألهم عن قولهم ، وارسل النجاشي الى اصحاب رسول الله صلع، فلما حضروا عنده وقد دعى الاساقفة فنشروا مصاحفهم حوله ثم سأله اصحاب النبي صلع فقال ما هذا الذي فارقتم به قومكم ولم تدخلوا في ديننا ولا في شيء من الملل ، فكان الذي كلّمه جعفر بن ابي طالب ع م فقال ايها الملك كنا اهل جاهلية نعبد الاصنام ونأكل الميتة ونأتي الفواحش ونقطع الارحام ونسيء الجوار ويأكل قوينا ضعيفنا حتى بعث الله الينا رسولا منا نعرف نسبه وصدقه وامانته وعفافه فدعانا الى التوحيد لنوحد الله ونعبده وندع ما كنا نعبده من دونه نحن وآبائنا من الحجارة والاوثان وامرنا بصدق الحديث واداء الامانة وصلة الرحم وحسن الجوار والكف عن المحارم والدماء ونهانا عن الفواحش وقول الزور واكل اموال اليتامى وقذف المحصنات وامرنا ان نعبد الله ولا نشرك به شيئا وامرنا بالصلوة والزكوة والصوم وعدد فروض الاسلام فصدقناه وآمنا به واتبعناه على ما جاءنا به من عند الله فحرمنا ما حرم علنا واحللنا ما احل لنا فعدى علينا قومنا وفتنونا عن ديننا ليردونا عن عبادة الله الىعبادة الاوثان، فلما قهرونا وضيقوا علينا وحالوا بيننا وبين ديننا خرجنا الى بلادك واخترناك على غيرنا ورغبنا في جوارك ورجونا ان لا نظلم عندك ايها الملك ، فقال له النجاشي هل عندك شيء بما جاء عن الله ع ج ، قال جعفر بن ابي طالب نعم ، فقال النجاشي فاقرءه علي فقرأ صدرا من كهيعص فبكى النجاشي ومن لديه من الاساقفة حتى اخضل لحاهم وقال ان هذا الذي جاء به موسى وعيسى ليخرج من مشكوة واحدة ، وقال لعمرو وعمارة انطلقا فلا والله لا اسلمهم اليكما ابدا ،

فلما خرجا من عنده قال عمرو بن العاص لآتينه غدا عنهم بما استأصل به شافتهم ، ثم قال للنجاشي انهم يقولون في عيسى بن مريم قولا عظيما ، فارسل اليهم فارسل اليهم فسألهم وقال ما تقولون في عيسى ابن فاريم ، فاجتمعوا وقالوا ما ذا نقول فاجابهم جعفر بن ابي طالب عليه السلام وقال نقول الذي جاء به نبينا هو عبد الله ورسوله وروحه وكلمته التي القاها الى مريم العذراء البتول، فضرب النجاشي بيده الى الارض فاخذ منها عودا ثم قال ما عدا عيسى ابن مريم مما قلت هذا العود فتناخرت حوله بطارقته ، فقال وان نخرتم والله ذلك الحق اذهبوا فانتم آمنون، من سبكم غرم، وكان النجاشي قد اسلم وحسن اسلامه ، ثم قال ردوا عليهما هداياهما فما لنا اليها حاجة فوالله ما اخذ الله مني الرشوة حين رد الي ملكي فآخذ منه الرشوة ، وكان الملك قد زال عن النجاشي ثم رجع اليه ولذلك قصة اختصرناها ، ولما ابطأ خبر المهاجرين الى الحبشة عن اهل مكة قال ابو طالب شعرا :

الا ليت شعري كيف في الناي جعفر وعمرو واعداء العدو الاقارب

وهل نال احسان النجاشي جعفر واصحابه ام عاق عن ذاك شاغب

تعلم ابيت اللعن انك ماجد كريم ولا يشقى لديك المجانب

تعلم بان الله زادك بسطة واسباب خير كلها لك لازب

وانك فيض ذو سجال غزيرة تنال الاعادي نفعها والاقارب

ونازع رجل من الحبشة النجاشي في الملك والمسلمون عنده فخرج النجاشي الملك والمسلمون الى لقائه بعد ان ارسل الى جعفر واصحابه فهيأ لهم سفنا وقال اركبوا فيها وكونوا كما انتم ، فان هزمت فامضوا حيث شئتم وان ظفرت فاثبتوا ، ثم عمد الى كتاب فكتب فيه وهو يشهد ان لا اله الا الله وان محمدا عبده ورسوله ويشهد ان عيسى عبده ورسوله وروحه وكلمته القاها الى مريم ثم جعله في قبائه عند المنكب الايمن وخرج الى الحبشة وصفوا له ، فقال له يا معشر الحبشة الست احق الناس لكم ، قالوا بلى ، قال فكيف سيرتي فيكم ، قالوا خير سيرة ، قال فما بالكم، قالوا فارقت ديننا وزعمت ان عيسى عبد الله ، قال فما تقولون انتم في عيسى ، قالوا نقول هو ابن الله ، فقال النجاشي ووضع يده على صدره هو ليشهد ان عيسى ابن مريم لم يزد على هذا شيئا وهو يشير الى الكتاب الذي جعله في قبائه، ولما مات النجاشي صلى عليه النبي صلع في المدينة واستغفر له وترحم عليه وكثر المسلمون وتتابعوا الى الاسلام ،

واسلم عم النبي صلع حمزة بن عبد المطلب وكان ابو جهل قد سب رسول الله صلع فاعرض رسول الله صلع وبلغ ذلك حمزة بن عبد المطلب فدخل المسجد مصمما لا يلوي على شيء حتى وقف على ابي جهل وهو جالس فرفع قوسه وضرب رأسه بها ضربة منكرة حتى شجه ، وقال ا تشتم ابن اخي فانا على دينه واتى رسول الله صلع فاسلم ، وقال حمزة ر ض في فعله بابي جهل شعرا :

فذق ابا جهل بما جنيتا بامرك الظالم اذ مشيتا

تؤذي رسول الله قد غويتا عن امرك الظالم اذا ابيتا

لانفك الرغم بما اتيتا لو كنت ترجو الله ما شقيتا

ولا تركت الحق اذ دعيتا وقد هويت قبل ما هويت

حتى تذوق ذا الذي لقيتا وقد شفت النفس ما شفيتا

توذي رسول الله قد غويتا ما كنت حيا بعد ما و عدتا

وكان اكثر المشركين اذى لرسول الله صلع ابو جهل ابن هشام وعمرو بن الخطاب، فدعى النبي صلع ان يسلم احدهما فينصر الله الذين ويقل المفسدين ، وخرج عمر بن الخطاب يوما متوشحا سيفا يريد رسول الله صلع وقال اريد هذا الصابي الذي فرّق الجماعة من قريش وسفه احلامها وعاب دينها وسب آلهتها قأقتله ، واتى رسول الله صلع وهو في جماعة من اصحابه فضرب عليهم الباب ، فلما سمعوا صوته قام رجل من اصحاب رسول الله صلع فتطلع فرآه متوشحا بالسيف فاعلم النبي صلع فقال حمزة بن عبد المطلب ائذن لي له فان اراد شرا قتلناه بسيفه ، فقال رسول الله صلع دعوه ليدخل ونهض اليه رسول الله صلع حتى لقيه بالحجرة فاخذ بحجزته ومجامع ردائه ثم جبذه جبذة شديدة وقال ما جاء بك يابن الخطاب ، فوالله ما اراه ان تنتهي حتى ينزل عليك قارعة من السماء ، فقال انما جئت لاسلم يا رسول الله ، وقد امتقع لونه وارتعدت فرايصه فاسلم وبلغ المسلمين بالحبشة اسلام عمر، فقالوا لا يسلم عمر حتى يسلم حمار الخطاب ، وذلك لما يعرفونه من بعده عن الاسلام وما كان عليه من البغضة لرسول الله صلع ،

ولما رأت قريش ان من صار الى النجاشي قد امتنع منهم وان ابا طالب قد حمي رسول الله صلع وعمه حمزة قد اسلم وكان منه ما قد ذكرناه ، وان من بقي من المسلمين اهل منعة لا يصلون اليهم بسوء وايئسوا من العرب ان تنصرهم اجتمعوا فقلّبوا الحيل واجالوا الآراء فلم يروا الا ان كتبوا كتابا عقدوا فيه على بني هاشم وبني عبد المطلب ان لا يناكحوهم ولا يتبايعوهم فكتبوا بذلك صحيفة وعلقوها في جوف الكعبة ، وانحاز بنو هاشم وبنو عبد المطلب الى ابي طالب بن عبد المطلب فدخلو في شعبه واجتمعوا اليه ،

وخرج من بني هاشم ابو لهب عبد العزى بن عبد المطلب الى بني عبد شمس ومن ظاهرهم من كفار قريش فاثنت عليه بنو عبد شمس ولقيته هند بنت عتبة فاثنت عليه فقال يا بنت عتبة هل نصرت اللات والعزى وفارقت من فارقهما وظاهر عليهما ، قالت نعم فجزيت خيرا ، وقال ابو طالب ر ض في ذلك من امرهم :

الا ابلغا عني لويا رســـــالة بحق وما يغني رسالة مرسل

بني عمنا الادنين فيما نحصهم واخواننا من عبد شمس ونوفل

اظاهرتم قوما علينا اظنة امر غوي من غواة وجهل

يقولون انا ان قتلنا محمدا اقرت نواصي هاشم بالتذلل

كذبتم وبيت الله يلثم ركنه ومكة والاشعار في كل معمل

كذبتم ورب الهدي ترمي نحورها غداة وبالركن العتيق المقبل

تنالونه او تصطلوا دون قتله صوارم تفري كل عظم ومفصل

وتدعوا بارحام وانتم ظلمتم مصاليت في يوم اغر محجل

فهلا ولما تنتج الحرب بكرها اللتين تمام او بآخر معجل

فانا متى ما تمتريها بسيوفنا نخالج فنعرك من نشا بكلكل

وتلقوا ربيع الابطحين محمدا على ربوة في رأس عنقاء عيطل

وتأوي اليه هاشم ان هاشما عرانين كعب آخرا بعد اول

فان كنتم ترجون قتل محمد فروموا بما جمعتم نقل يذبل

فانا سنحميه بكل طمرة وذي ميعة نهر المراكل هيكل

وكل رديني ظماء كعوته وعضب كايماض الغمامة مصقل

وكل جرور الذيل زغف مفاضة دلاص كتزهار العذير المسلسل

بايمان شم من ذوائب هاشم مغاوير بالاخطار في كل جحفل

هم سادة السادات في كل معطن وخيرة رب الناس في كل معضل

وقال ايضا في ذلك :

الا ابلغا عني على ذات نبينا لويا وخصا من لوي بني كعب

الم تعلموا انا وجدنا محمدا نبيا كموسى خط في اول الكتب

وان عليه في العباد محبـة ولا خير ممن خصه الله بالحب

وان الذي الصقتم من كتابكم لكم كائن نحسا كراغية السقب

افيقوا افيقوا قبل ان يحفر الثرى ويصبح من لم يجن ذنبا كذي ذنب

ولا تتبعوا امر الوشاة وتقطعوا اواصرنا بعد المودة والقرب

وتستجلبوا حربا عوانا وربما امر على من ذاقه حلب الحرب

فلسنا ورب البيت نسلم احمدا لعزاء من عضو الزمان ولا كرب

ولما تبن منا ومنكم سوالف وايدا ترت بالقساسة الشهب

بمعترك ضنك ترى كسر القنا به والنسور الطخم يعكفن بالقرب

كان مجال الخيل في حجراته ومعمرة الفرسان معركة الحرب

اليس ابونا هاشم شد ازره واوصى بنيه بالطعان وبالضرب

ولسنا نمل الحرب حتى تملنا ولا نشتكي مما ينوب من النكب

ولكننا اهل الحفائظ والنهى اذا طرن ارواح الكمات من الرعب

وقال حمزة بن عبد المطلب عليه السلام في امر الصحيفة وما اجمع القوم عليه :

الا يا لقوم للامور العجائب وصرف زمان بالاحبة ذاهب

واقوال اقوام اضل حلومهم مع البغي والعدوان غي الضرائب

يقولون انا سوف نسخي محمدا بقول سفيه او اشارة عائب

وقد جاء بالحق الجلي وبينت رسائل صدق وحيها غير كاذب

رسائل من ذي قوة يصطفي بها عبادا ذوي حق على الله واجب

فان تقبلوا ماجاء من عند ربكم اليكم وقول المرسلين الاطائب

يكن ذلكم خيرا لكم من لقائنا وشر خلال الحرب حرب الاقارب

فلا تحسبونا مسلمين محمدا لكم ما حذت عنس دمول براكب

له رحم فينا تعز جواره فمن دونه ضرب الطلى والحواجب

وجرثومة من هاشم عرفت له كرام مساعيها لوي ابن غالب

فمهلا ولما تشغب الحرب بيننا بشنعاء تعيي كل آس وراتب

تفرق شعب الحي بعد اجتماعه قبائل تبدي عن حذام الكواكب

وتذلل اقوام وكانوا اعزة اصابهم دهر كثير النوائب

واقام بنو هاشم كذلك ثلاثة اعوام لا يبايعون ولا يشارون ولا يصل اليهم ما يصل من الطعام الا في خفية ،وكان حكيم بن حزام بن خويلد بن اسد كثيرا ما يبعث بالطعام الى بني هاشم عامة والى رسول الله صلع خاصة لمكان عمته خديجة بنت خويلد وكونها عند رسول الله صلع وكان حكيم بن حزام ذا مال وجاه ومنعة في قريش وكان يجيء بالقطار من الجمال بعد القطار ليلا فيولجه شعب بني هاشم فلقيه ابو جهل بن هشام فتعلق به وقال اتذهب بالطعام بني هاشم والله لا تبرح انت وطعامك حتى افضحك بمكة ، فجاء ابو البحتري بن هشام بن الحرب بن اسد فقال ما لك وله ؟ فقال يحمل الطعام الى بني هاشم ، فقال له ابو البحتري طعام كان لعمته عنده بعث به اليها افتمنعه ان يأتيها بطعامها ، خل سبيل الرجل ، فابى ابو جهل ووثب اليه ابو البحتري فضربه بلحى جمل فشجه ووطئه وطيا شديدا وحمزة بن عبد المطلب قريبا يرى ذلك وابو جهل يكره ان يسمع ذلك اصحاب رسول الله صلع فيشتموا به ، ورسول الله صلع في ذلك يدعو الى الله قومه ليلا ونهارا ، وسرا وجهارا ، مناديا بامر الله لا يبقي فيه احدا من الناس فجعلت قريش حين منعه الله منها وقام عمه وقومه من بني هاشم وبني عبد المطلب دونهم وحالوا بينهم وبين ما ارادوا من البطش به يستهزؤن به صلع وكان منهم ابو لهب في ذلك وامرأته ام جميل بنت حرب بن امية حمالة الحطب ، وقيل كانت تحمل الحطب فتتركه علىطريق رسول الله صلع حيث يمر، وقيل كانت تحطب بالكلام ، والله اعلم ، فانزل الله تعالى فيها تبت يدا ابي لهب وتب ، ما اغنى عنه ماله وما الى آخر السورة ، فلما سمعت اللعينة بما نزل فيها اتت رسول الله صلع وهو جالس في المسجد عند الكعبة وفي يدها فهر من حجارة فقالت يا ابا بكر قد قلت في صاحبك: مذمما عصينا ودينه خلينا ،

وقد عميت عن رسول الله صلع ان تراه وكانت قريش تسمي رسول الله صلع مذمما ثم يسبونه فيقول رسول الله صلع لاصحابه الا تعجبون لما صرف الله عني من اذى قريش ، يسبون مذمما وانا محمد ، وقال ابو طالب ر ض لابي لهب في اعتزاله بني هاشم يستعطفهم :

عجبت لحلم يابن شيبة حادث واحلام اقوام لديك سخاف

يقولون شايع من اراد محمدا بسوء وقم في امره بخلاف

اضاميم اما حاسد ذو خيانة واما قريب منك غير مصاف

فلا تتركن الدهر منه ذما له وانت امرء من خير عبد مناف

ولا تتركنه ما حييت --- وكن رجلا ذا نجدة وعفاف

تذود العدا عن ذروة هاشمية الا فهم في الناس خير الاف

فان له قربا لديك قريبة وليس بذي حلف ولا بمضاف

ولكنه من هاشم في صميمها الى ابحر فوق البحور طواف

وزاحم جميع الناس عنه وكن له وزيرا على الاعداء غير مخاف

فان غضبت منه قريش فقل لها بني عمنا ما قومنا بضعاف

فما بالنا يغشون منا ظلامة وما بال ارحام هناك خواف

فما قومنا بالقوم يغشون ظلمنا ولا نحن فيما شاءهم بخفاف

ولكننا اهل الخفائظ والنهى وعز لنا عند العظائم واف

واستجار ابو مسلمة بن عبد الاسد بابي طالب من قومه بني مخزوم وقالوا يا ابا طالب منعت منا ابن اخيك محمدا ، فما لك وصاحبنا تمنعه منا ، قال انه استجار بي وهو ابن اختي وان لم امنع ابن اختي لم امنع ابن اخي فقام ابو لهب فقال يا معشر قريش لقد اكثرتم على هذا الشيخ ما تزالون توثبون عليه في جواره من بين قوم والله لتنقمن عنه او لنقومن معه فيما قام حتى يبلغ ما اراد ، فقالوا بل نصرف عنه وعما تكره يا ابا عتبة ، وكان لهم وليا وناصرا على رسول الله صلع فلما سمع ابو طالب منه ما سمع طمع فيه، وقال ابو طالب يحرض ابا لهب على نصرة رسول الله صلع شعرا :

وان امرء ابو عتيبة عمه لفي روضة ما ان نسام المظالما

اقول له واين منه نصيحتي ابا معتب ثبت سواءك قائما

ولا تقبلن الدهر ما عشت خطة تسب بها اما هبطت المواسما

وول سبيل العجز غيرك منهم فانك لم تخلق على العجز لازما

وحارب فان الحرب نصف ولا ترى اخا الحرب يعطي الخسف حتى يسالما

وكيف ولم يحبو عليك عظيمة ولم يخذلوك غانما او مغارما

جزى الله عنا عبد شمس ونوفلا وتيما ومخزوما عقوقا ومأثما

بتفريقهم من بعد ود والفة جماعتنا كما ينالوا المحارما

اطاعوا ابن ذكرواف قيسا وديسما فضلوا وذا اقرا بالجمع المياسما

كذبتم وبيت الله نبزى محمدا ولما تروا يوما لدى الشعب قائما

ثم انه تحرك هشام من عمرو بن الحرث في نقض الصحيفة التي --- قريش على بني هاشم ، وكان ذا شرف في قومه ، وكان يفتقد بني هاشم وكان ذا شرف بالطعام ، فلما طال ذلك عليه مشى الى زهير بن امية بن المغيرة بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم ثم الى المطعم بن عدي بن نوفل بن عبد مناف ثم الى ابي البحتري بن هشام ثم الى زمعة بن اسد بن المطلب بن اسد فتواعدوا واجتمعوا في خطم الحجون ليلا فقالوا أنأكل الطعام ونلبس الثياب وننكح النساء وبنو هاشم لا يباعون ولا يبتاع منهم ولا ينكحون ولا ينكح اليهم ثم انهم تعاهدوا واجتمع امرهم على القيام لنقض الصحيفة ، وقال زهير انا ابدؤكم فاكون اولكم كلاما فلما اصبحوا غذوا الى انديتهم وغدا زهير بن امية عليه حلة وطاف بالبيت سبعا ثم اقبل على الناس فقال يا اهل مكة نأكل الطعام ونلبس الثياب وبنو هاشم هلكى لا يباعون ولا يبتاع منهم ، والله لا اقعد حتى اشق هذه الصحيفة القاطعة الظالمة ،

قال ابو جهل بن هشام وكان في ناحية من نواحي المسجد كذبت والله لا تشق الصحيفة ، قال زمعة بن الاسود انت والله اكذب ما رضينا كتابتها حيث كتبت ، قال ابو البحتري صدق زمعة لا نرضى بما كتبه فيها ، قال المطعم بن عدي صدقتما وكذب من قال غير ذلك نبرء الى الله منها ومما كتب فيها ، قال هشام بن عمرو نحوا من ذلك فقال ابو جهل هذا امر قضي بليل ، وكان رسول الله صلع قال لابي طالب عمه يا عم ان ربي قد سلط الارضة على صحيفة قريش فلم يدع فيها اسما هو الله الا اثبتته فيها ونفت الظلم والقطيعة والبهتان وان الله اخبرني بذلك ، فلما سمع ابو طالب ما قيل في نقض الصحيفة وكان في ناحية المسجد قال يا معشر قريش ان ابن اخي اخبرني بكذا وكذا ، فهلموا صحيفتكم ، فان كانت كما قال فانتهوا عن قطيعتنا، فقال القوم رضينا وتعاقدوا على ذلك ثم نظروا فاذا الصحيفة كما قال رسول الله صلع ، فلما مزقت وبطل ما فيها قال ابو طالب في ذلك :

الا هل اثا بحرينا صنع ربنا على نائهم والله بالناس اورد

فيخبرهم ان الصحيفة مزقت وكل الذي لم يرضه الله يفسد

يراوحها افك وسحر بجمع ولم يلف سحرا آخر الدهر يصعد

تداعى لها من ليس فيها تقرقر وطائرها في رأسها يتردد

وكانت كفاء وقعة هاشمية ليقطع منها ساعد ومقلّد

ونطعن اهل المكتين فيهربوا فرائصهم من خشية الموت ترعد

ويترك حراث يقلب امره ايتهم فيهم عند ذاك وينجد

ويصعد بين الاخشبين كتيبة لها حدج مسهم وقوس مرهد

فمن ينس في حضار مكة عزة فعزتنا في بطن مكة اتلد

نشأنا بها والناس فيها قلائل فلم تنفكـك نزداد خيرا ونحمد

وتطعم حتى يترك الناس فضلهم اذا جعلت ايدي الممفيضين تجمد

جزى الله رهطا بالجحون فتابعوا على ملأ يهدي لحزم ويرشد

قعودا لدى خطم الجحون كأنهم مقاولة بل هم اعز وامجد

اعان عليها كل صقر كأنه اذا ما مشى في رفرف الدرع اجرد

جرى على جل الخطوب كأنه شهاب بكفي قابس يتوقّد

من الاكرمين من لوي بن غالب اذا سيم خسفا وجهه يتربد

طويل النجاد خارج نصف ساقه على وجهه يسقى الغمام ويسعد

عظيم الرماد سيد وابن سيد يحض على مقر الضيوف ويحشد

ويبنى لافناء العشيرة صالحا اذا نحن طفنا في البلاد ويمهد

الظ بهذا الصلح كل سميدع عظيم اللواء امره ثم محمد

قضوا ما قضوا في ليلهم ثم اصبحوا على مهل وسائر الناس رقّد

هم رجعوا سهل ابن بيضاء راضيا وسر بها خير الانام محمد

متى يشرك الاقوام في جل امرنا فكنا قديما قبلها نتودد

وكنا قديما لا نقر ظلامة وندرك شيئا ولا نتشدّد

فيال قصي هل لكم في نفوسكم وهل لكم فيما يجيء به غد

فاني واياكم كما قال قائل لديك البيان لو تكلمت اسود

وقال ايضا ابو طالب ص ع :

لا من هم آخر الليل منصب وشعب العصى من قومك المتشعب

وحرب امرت من لوي ابن غالب متى ما تزاحمها الصحيحة تجرب

اذا ما شير قام فيها بخطة الظ به ذنب وليس بمذنب

وما ذنب من يدعو الى الله والتقى وان يستطيع ان يرأب الشعب يرأب

وقد جربوا فيما مضى غير امرهم وما عالم امرا كمن لم يجرب

وقد كان في امر الصحيفة عبرة متى ما يخبر غائب القوم يعجب

محى الله منها كفرهم وعقوقهم وما نقموا من ناطق الحق معرب

واصبح ما قالوا من الامر باطلا ومن يختلف ما ليس بالحق يكذب

وامسى ابن عبد الله فينا مصدقا على ساخط من قومنا غير معتب

فلا تحسبونا خاذلين محمدا لدى غربة منا ولا متقرب

ستمنعه منا يد هاشمية مركبها في الناس خير مركب

فلا والذي تحدى له كل نضوة طليح بجنبي نخلة فالمحصّب

يمينا صدقنا الله فيها ولم نكن لنحلف بطلا بالعتيق المحجب

نقارفه حتى نصرع حوله وما بال تكذيب النبي المقرب

فيا قومنا لا تظلمونا فاننا متى ما نخف ظلما من الناس نغضب

ولا تبدؤنا بالظلامة والاذى فنجزيكم ضعفا مع الام والاب

فكفوا اليكم من فضول حلومكم ولا تذهبوا من رأيكم كل مذهب

ولما فشى الاسلام اسري برسول الله صلع من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى وهو بيت المقدس من ايليا ،

ومن عبد الله بن مسعود قال اتى رسول الله صلع بالبراق وهي الدابّة التي كانت تحمل عليها الانبياء تضع حافرها في منتهى طرفها فحمل عليها صلع واراه الله آياته بين السماء والارض ولما انتهى الى البيت المقدس وجد ابراهيم وموسى وعيسى في نفر من الانبياء قد جمعوا له صلع فصلى بهم ،

وعن ابي سعيد الخدري قال سمعت رسول الله صلع فلما فرغت مما كان في بيت المقدس اتىلي بالمعراج ولم ار شيئا قط احسن منه فاصعدوني في السموات فارى الله ع ج ورسوله صلع من بواهر آياته وعجائب ما ابدع وخلق في ارضه وسماواته وعلى الى الافق الاعلى ودنى فتدلى وكان قاب قوسين او ادنى كما بين الله ع ج في كتابه وخاطب في اجل خطابه ، واراه الله تعالى صلوات الله عليه الجنة والنار ومنازل الملائكة والانبياء وامر بالاذان ،

وقد روي عن جعفر بن محمد عن ابيه عن جده عن الحسين بن علي بن ابي طالب صلوات الله عليه انه سئل عن قول الناس في الاذان ان السبب فيه رؤيا رآها عبد الله بن زيد فاخبر بها النبي صلع فامر بالاذان ، فقال الحسين بن علي بن ابي طالب عليه السلام الوحي ينزل على نبيكم وتزعمون انه اخذ الاذان عن عبد الله بن زيد والاذان وجه دينكم وغضب صلوات الله عليه ، ثم قال بل سمعت ابي علي ابن ابي طالب يقول اهبط الله ع ج ملكا حتى عرج برسول الله صلع وذكر حديث الاسرى بطوله وقال فيه وبعث الله ملكا لم ير في السماء قبل ذلك الوقت ولا بعده فاذن مثنى واقام مثنى وذكر كيفية الاذان ، وقال جبرئيل للنبي صلع هكذا اذن للصلوة ، وقال النبي صلع لما اسري بي الى السماء وقيل لي فيما اختصم الملأ الاعلى قلت لا ادري فعلمني ، قيل في اسباغ الوضوء في السبرات ، ونقل الاقدام الى الجماعات وانتظار الصلوة بعد الصلوة ،

وعن جعفر بن محمد صلوات الله عليه انه قال فرض الله الصلوة ففرضها خمسين صلوة في اليوم والليل فرحم الله خلقه ولطف بهم فردهم الى خمس صلوة ،وكان سبب ذلك ان الله لما اسرى نبيه صلع مر على النبيين فلم يسأله احد حتى انتهى الى موسى فسأله فاخبره ، فقال له ارجع الى ربك فاطلب اليه ان يخفف عن امتك ، فاني لم ازل اعرف من بني اسرائيل الطاعة حتى نزلت الفرائض فانكرتهم ، فرجع النبي صلع فحط عنه خمس صلوات

لما انتهى الى موسى ع م فقال ارجع فرجع فحط عنه خمسا فلم يزل يرده موسى فيحط عنه خمسا خمسا حتى صارت خمس صلوات فاستحى رسول الله صلع ان يعاود ربه ، قال ابو عبد الله جزى الله عن هذه الامة خيرا ،

وذكر عن النبي صلع انه قال لما عرّج بي الى السموات رأيت ملكا على صورة اخي علي ابن ابي طالب فقلت يا جبرئيل اسبقني اخي علي ، قال لا ولكن الملائكة اشتاقت الى النظر الى وجه علي ع م فخلق الله هذا الملك متى اشتاقت الى وجه علي نظرت اليه ، ولما اصبح النبي صلع خرج الى نادي قومه فاعلمهم ان الله اسرى به ، وروى لهم عجائب ما رآه ، فمنهم من صدقه ومنهم من كذبه ، وارتد قوم عن الاسلام لما سمعوا ذلك فانزل الله تعالى فيمن ارتد عن الاسلام : وما جعلنا الرؤية التي رايناك الا فتنة للناس والشجرة الملعونة في القرآن ونخوفهم فما يزيدهم الا طغيانا كبيرا ،

وروي ان عائشة بنت ابي بكر قالت ما بات رسول الله صلع الا بين سحري ونحري ، وقالت ام هاني بنت ابي طالب بات رسول الله صلع ليلة الاسراء في بيتي فنام ونمنا بعد صلوة العشاء الآخرة ثم اهبّنا رسول الله قبل طلوع الفجر ، فلما صلى الصبح وصلينا معه حدثنا بحديث الاسراء ، ولما انكرت عليه قريش قوله اتاهم صلع بامارات في طريق بيت المقدس عرفوا صدقها .

وكان رسول الله صلع مدة ذلك كله مجدا مجتهدا في الدعاء الى الله تعالى حريصا ان يهدي الله به عباده وصابرا على الاذى من قومه ، وكتاب الله ينزل عليه والوحي من الله كل حين يأتيه والآيات والبراهين تشهد له ، والمشركون مجتهدون في اعتراضه بالمكروه ينصبون له الحبائل ويبغونه الغوائل ويصدون الناس عنه ممن يقدرون على صده من قومهم وممن طرى عليه من غيرهم ممن اتاه خيره وبلغه ظهور آياته ودلائله ، وعمه ابو طالب مجد في نصرته والمكافحة دونه لا يصل معه احد بسوء اليه الا بالوقيعة بالقول واللمز ، وكان صلع يستريح اليه اذا ضاق صدره ، واذا دهمه من قريش امر فرج عنه كربه ووجد منه عونا كثيرا ونفعا عظيما ، وتحامى سفهاء قريش من اجله وكان اذا اوى الى بيته وحدث خديجة ما يناله عزّته في ذلك ووجد اليه الراحة وبذلت له من ماله وما عندها مما احتوته يداها ، وقامت خديجة بخدمته بنفسها فلم يكن صلع يفزع الى احد ويجد عنده المخرج لما ينويه كمثلها وكمثل عمه ابي طالب ع م فماتا جميعا رحمة الله عليهما ورضوانه في عام واحد ، وقيل ان ابا طالب لما حضرته الوفاة اتاه ابو سفيان بن حرب وعتبة وشيبة ابنا ربيعة وابو جهل بن هشام وامية بن خلف في رجال من بني عبد شمس وبني شيبة ومن تبعهم من قريش فقالوا له يا ابا طالب انك منا حيث قد علمت وحضرك من الامر ما ترى وتخوفنا عليك وقد علمت الذي بيننا وبين ابن اخيك فلو دعوته واخذت له منا ولنا منه ليكف منا ونكف عنه فارسل ابو طالب الى رسول الله صلع فلما اتاه اخبره بمقالتهم ، فقال رسول الله صلع نعم كلمة واحدة يقولونها يملكون بها العرب وتدين لهم العجم ، فقالوا نعم وابيك وعشر كلمات ، فقال صلع تقولون لا اله الا الله وتخلعون ما تعتقدون من دونه ، فقالوا وصفقوا بايديهم يريد محمد ان يجعل الالهة الها واحدا ، اليس هذا من العجائب ، فانزل الله تعالى في ذلك من القرآن من شانهم : ايجعل الالهة الها واحدا ان هذا لشيء عجاب ، وانطلق الملأ منه ان امشوا واصبروا على آلهتكم ان هذا لشيء يراد ، ما سمعنا بهذا في الملة الآخرة ان هذا الا اختلاق ، الى آخر الآيات . وتفرقوا من عند ابي طالب فقال ابو طالب لرسول الله صلع والله ما سألتهم شطـطا ، فلما قال ذلك قال رسول الله صلع فقل هذه الكلمة يا عم اجد لك الوسيلة بها الى الشفاعة عند الله فقال يا بن اخي لولا ان يقال اني جزعت عند الموت لقلتها ، قالوا فلما قرب منه الامر حرك شفته فاصغى اليه العباس بن عبد المطلب فقال والله يا بن اخي لقد قال ابو طالب ما سألته ان يقوله فزعموا ان النبي صلع قال لم اسمعه، ومات ابو طالب رضوان الله عليه ،

فقال ابنه علي ابن ابي طالب ع م يرثيه :

ابا طالب عصمة المستجير وغيث المحول ونور الظلم

لقد هد فقدك اهل الحفاظ فصلى عليك ولي النعم

ولقاك ربك رضوانه لقد كنت للمصطفى خير عم

تجاهد من دونه المشركين وتفرج عن وجهه كل غم

وقال حمزة بن عبد المطلب يرثي اخاه ابا طالب ر ض :

ارقت لصوت آخر الليل غررا على غفلة بنعي الرئيس المسوّرا

ابا طالب مأوى الصعاليك ذا الندى وذا الحلم لا ندلا ولم يك قعددا

اخا لك خلا ثلمة ستسدها بنو هاشم ان تستباح وتضهدا

فامست قريش يفرحون لفقده ولست ترى حيا ليبقى مخلّدا

رجاة امور زينتها حلومها لهم سوف توردهم من الغي موردا

يرجون تكذيب النبي محمد وان يفترى بهتا عليه ويجحدا

كذبتم وبيت الله حتى نذيقكم صدور العوالي والصفيح المهندا

وتبدي اليكم منظرا ذا كريهة اذا ما تسربلنا الحديد المسردا

فاما تبيدونا واما نبيدكم واما تروا سلم العشيرة ارشدا

والا فان الحي دون محمد بنو هاشم خير البرية محتدا

وان له منكم من الله ناصر ولست بلاق صاحب الله اوحدا

نبي اتى من كل حي بخطة وسماه ربي في الكتاب محمدا

اغر كان البدر سنة وجهه جلا الغيم عنه ضوءه فتوقدا

امين على ما استودع الله قلبه ان قال قولا كان فيه مسدّدا

وقيل ان خديجة بنت خويلد ماتت بعد ابي طالب بثلاثة ايام ، رضوان الله عليها ، فاغتم رسول الله صلع لمصابها ، وكان ابو طالب عضدا وحرزا في امره وناصرا على قومه ، وكانت خديجة تسلي همه وتزيل غمه وتولي بنفسها خدمته وتجلي غمته .

وروي عن ابي جعفر بن محمد بن علي بن الحسين عليهم السلام انه قال قال رسول الله صلع لفاطمة ابنته ان جبرئيل عهد الي ان بيت امك خديجة بين بيت مريم ابنة عمران وبيت آسية امرأة فرعون من لؤلؤة جوفا لا صخب فيها ولا نصب ، وكان رسول الله صلع يقول ما اغتممت بغم ايام حيوة ابي طالب وخديجة لما كان ابو طالب يدفع عنه وخديجة تعزيه وتصبره و تهون عليه ما يلقاه في ذات الله ع ج ،

وعظم على رسول الله صلع امر ابي طالب واشتد حزنه له وتطاول سفهاء قريش اليه لما مات ابو طالب فنالوا منه بالاذى وضعف امر بني هاشم بعد ابي طالب فكان رسول الله صلع يقول ما نالت قريش مني شيئا اكرهه حتى مات ابو طالب فلم يكن لرسول الله صلع بعد ابي طالب احد يستريح اليه ويأنس به ويتفرج عنده بما لديه غير علي ابن ابي طالب فانه بلغ مبلغ الرجال وهو في كفالة رسول الله صلع وايده الله به وخصه باخوته ووصيته ، وكان بعد ابيه يستريح اليه ويعول في اموره عليه ، وكثر اعداء النبي صلع وآذوه وهموا به الهموم وكذبوه والله يدفع عنه شرهم ويقيه مكرهم ، واما الاذى فقد لقيه منهم .

وخرج رسول الله صلع الى ثقيف يطلب منهم النصرة ، فلما انتهى اليهم جلس في ناديهم ودعاهم الى الله تعالى وكلمهم بما جاء له من النصرة على الاسلام والقيام معه على من خالفه من قومه فسمع صلع منهم الاذى والتكذيب وقام عنهم وقد يئس من خيرهم وسئلهم ان يكتموا امره لئلا يبلغ ذلك قومه فيشتموه فلم يفعلوا ، واغروا به سفهائهم وعبيدهم يسبونه ويصيحون به حتى اجتمع الناس عليه والجأوه الى حائط العتبة وشيبة ابني ربيعة وهما فيه ورجع عنه من سفهاء ثقيف من كان يتبعه ، فقال صلع الله اليك اشكو ضعف قوتي وقلة حيلتي وهواني على الناس يا ارحم الراحمين انت رب المستضعفين وانت ربي الى من تكلني الى عبد يتجهمني او الى عدو ملكته امري ان لم يكن علي غضب فلا ابالي ولكن عافيتك هي واسع لي اعوذ بنور وجهك الذي انرت به الظلمات وصلح عليه امر الدنيا والآخرة من ان ينزل بي غضبك او يحل علي سخطك لك العتبى حتى ترضى لا حول ولا قوة الا بك ، قال فلما رآه ابنا ربيعة عتبة وشيبة وما لقي تحركت له رحمهما فدعوا غلاما لهما نصرانيا يقال له عداس فقالا خذ قطفا من هذا العنب فضعه في هذا الطبق ثم اذهب به الى ذلك الرجل وقل له ياكل منه ، ففعل عداس ثم اقبل به حتى وضعه بين يدي رسول الله صلع فقال له كل ، فلما وضع رسول الله صلع يده فقال بسم الله ثم اكل فنظر عداس الى وجهه ثم قال والله ان هذا الكلام ما يعرفه اهل هذه البلاد فقال له رسول الله صلع من اي البلاد انت يا عداس ، وما دينك ، قال انا نصراني وانا رجل من اهل نينوى، فقال رسول الله من اهل قرية الرجل الصالح يونس بن متى ، فقال له عداس وما يدريك ما يونس بن متى، فقال له رسول الله صلع ذلك اخي انا نبي وهو نبي ، فاكب عداس على قدمي رسول الله صلع يقبلهما ويقبل رأسه ويديه ، فقال احد ابني ربيعة لاخيه اما غلامك هذا فقد افسده عليك ، فلما جاءهما عداس قالا له ويلك يا عداس ما لك تقبل رأس هذا الرجل ويديه وقدميه ، قال يا سيدي ما في الارض اعلم خير من هذا ، لقد اخبرني بامر لا يعلمه الا الانبياء ، قالا ويلك يا عداس لا يصرفك عن دينك .

وجعل رسول الله صلع يعرض على افناء العرب الاسلام

وجعل رسول الله صلع يعرض على افناء العرب الاسلام ، ويسألهم نصرته في المواسم واتى قوما الى بلدانهم ،

وعن امير المؤمنين علي ابن ابي طالب ع م انه قال لما امر رسول الله صلع يعرض نفسه على قبائل العرب اذا حضرت المواسم خرج لذلك وامرني فخرجت معه وخرج معه ابو بكر وكان رجلا نسّابة ، فاندفعنا الى قوم فوقف ابو بكر عليهم فسلّم فردوا السلام ، فقال ممن القوم قالوا من ربيعة ، قال من هامتها او من لهازمها ؟ قالوا من هامتها العظمى ، قال واي هامتها العظمى انتم ؟ قالوا ذهل الاكبر، قال ا منكم عوف الذي كان يقال لا حر بوادي عوف ، قالوا لا ، قال افمنكم بسطام بن قيس ذو اللواء ومنتهى الاحياء ، قالوا لا ، قال افمنكم جساس بن مرة حامي الذمار ، ومانع الجار ، قالوا لا، قال افمنكم الجوفران قاتل الملوك وسالبها انفسها ، قالوا لا ، قال افمنكم المزدلف صاحب عمامة المفردة؟ قالوا لا ، قال افمنكم اخوال الملوك من كندة ، قالوا لا، قال افمنكم اصهار الملوك من لخم، قالوا لا ، قال فلستم ذهل الاكبر انتم ذهل الاصغر ،

فقام اليه غلام من شيبان كان بقل وجهه يقال له دغفل ، فقال :

ان على سائلنا ان نسأله والعبأ لا تعرفه او تحمله

يا هذا انك قد سألتنا ونحن سائلوك فلا تكتمنا ممن الرجل ؟ قال من قريش ، قال بخ بخ اهل الشرف والرياسة ،فمن اي قريش انت ؟ قال من تيم بن مرة ، قال امكنت والله الرامي من الثغرة ، امنكم هاشم الذي هشم الثريد لقومه ، واطعم الحجيج ، قال لا ، قال افمنكم شيبة الحمد مطعم طير السماء ، الذي كان وجهه القمر المضيء في الظلام ، قال لا ، قال افمن اهل الحجابة انت ، قال لا ، قال افمن اهل السقاية انت، قال لا ، قال واجتذب ابو بكر زمام ناقته ، فرجع الى رسول الله صلع فقال دغفل اما والله لو وقفت لاخبرتك انك من زمعات قريش او ما انا دغفل ، قال علي ع م : فلما سمع ذلك رسول الله صلع تبسم وقلت انا لابي بكر لقد وقعت م الاعرابي على باقعة ، قال اجل يا ابا الحسن، لكل طامة طامة ، والبلا موكّل بالمنطق،

ثم اندفعنا الى مجلس آخر عليه السكينة والوقار فتقدم ابو بكر الى القوم فردالسلام فسلموا عليه، فقال ممن القوم ، قالوا من شيبان بن ربيعة فالتفت ابو بكر الى رسول الله صلع فقال بابي انت وامي ليس بعد هؤلاء القوم عز في قومهم ، وكان في القوم مغرور بن عمر وهاني بن قبيضة والمثني بن حارثة والنعمان بن شريك ، وكان مغرور بن عمرو قد اربى عليهم جمالا ولسانا وكانت له غديرتان تسقطان على تربته ،وكان ادنى القوم من ابي بكر مجلسا فقال له ابو بكر كم العدد فيكم ، قال انا لنزيد على الف وما يغلب الف من قلة ، قال فكيف المنعة فيكم ؟ قال علينا الجهد ولكل قوم جد ، قال فكيف الحرب فيما بينكم وبين عدوكم، قال انا اشد ما نكون لقاء حين نغضب واشد ما نكون غضبا حين نلقى ، وانا لنؤثر جيادنا على اولادنا ، والسلاح على اللقاح ، والنصر من عند الله ع ج ، يديل لنا ويديل علينا ، لعلك اخو قريش ، قال ان كان بلغكم امر رسول الله صلع فهون هذا واشار الى رسول الله صلع قال قد بلغنا انه يقول ذلك ، واقبل على رسول الله صلع وقال ما تدعو اليه ، يا اخا قريش ، فقال رسول الله صلع ادعوكم الى شهادة ان لا اله الا الله ، واني محمد رسول الله ، واني تعزروني وتنصروني ، فان قريشا قد ظاهرت على امر الله ع ج وكذبت رسوله واستغنت بالباطل على الحق الا من عصم الله منها ، ووفقه لدينه ،والله هو الغني الحميد،

قال والى ما تدعو ايضا؟

فتلا عليهم صلى الله عليه و على آله فقل تعالوا اتل ما حرم ربكم عليكم الا تشر كوا به شيئا وبالوالدين احسانا الى قوله تعالى وذلك وصاكم به ، قال والى ما تدعو ايضا ؟ فتلى عليهم ان الله يأمر بالعدل والاحسان ، وايتاء ذي القربى ، وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي ، يعظكم لعلكم تذكرون، فقال مغرور بن عمرو دعوت والله الى مكارم الاخلاق ومحاسن الاعمال ، ولقد افك قوم ظاهروا عليك وكذبوك، وكأنه احب ان يشركه في الكلام هاني بن قبيضة ، قال وهذا شيخنا وصاحب امر ديننا فتكلم هاني بن قبيضة فقال يا اخا قريش قد سمعنا مقالتك وانا لنرى ان ترك ديننا والانتقال الى دينك في مجلس في مجلس نجلسه ولم نبل في امرك ، ولم نرتأى في عاقبة ما تدعونا اليه لزلة في الرأي ، واعجال في النظر ، والزلة تكون مع العجلة ، وان من ورائنا قوما يكرهون ان نعقد عليهم عقدا ، ولكن نرجع وترجع وننظر وتنظر، وكأنه احب ان يشركه في الكلام المثني بن حارثة فقال وهذا المثني ين حارثة وهو شيخنا وكبيرنا وصاحب حربنا ، فتكلم المثني بن حارثة فقال يا اخا قريش قد سمعت مقالتك ، واما الجواب في تركنا ديننا واتباعنا اياك على دينك فهو جواب هاني ، واما الجواب في انا نعينك وننصرك فانا نزلنا بين صيرين اليمامة والسماوة ، فقال رسول الله صلع ما هذا الصيران ، قال مياه العرب ، وانهار كسرى ، فاما ما يلي مياه العرب فذنب صاحبه مغفور ، وعذره مقبول ، فاما ما يلي بلاد كسرى فذنب صاحبه غير مغفور وعذره غير مقبول ، وانما نزلنا هنالك على عهد كسرى اخذه علينا ان لا نحدث حدثا ولا نووي محدثا ، ونحن لا نأمن من ان يكون هذا الامر الذي تدعونا اليه مما تكرهه الملوك ، فان احببت ان نوويك وننصرك مما يلي مياه العرب آويناك ونصرناك ،

فقال النبي صلع ما اسأتم في الردّ، اذ افصحتم بالصدق ، وليس يقوم بدين الله الا من حاطه من جميع نواحيه ، ارأيتم ان لم تلبثوا الا يسيرا حتى يمنحكم الله ع ج اموالهم ويورثكم ديارهم ويفرشكم نسائهم ، اتسبحون الله وتقدّسونه ،

فقال نعمان بن شريك اللهم لك ذلك فتلى عليهم قول الله تعالى يا ايها النبي انا ارسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا وداعيا الى الله باذنه وسراجا منيرا، ووثب صلع فاخذ بيدي وقال لي يا علي اي احلام في الجاهلية يرد الله ع ج بها بأس بعضهم بعضا، ويتحاجزون بها في هذه الدنيا.

وكانت وفاة ابي طالب قبل الهجرة بثلاث سنين وفي اثناء ذلك سمع الرسول صلع من قومه الاذى ويرى منهم الاعراض عن قوله ، وتبعيد العرب منه وصدهم عن اتباعه حتى اذا اراد الله ع ج اعزاز دينه وانجاز وعده خرج رسول الله صلع في بعض تلك المواسم فعرض نفسه وتلا آيات الله ربه على العرب كما كان يصنع في كل موسم ، فبينا هو عند العقبة لقي رهطا من الخزرج اراد الله بهم الخير فقال لهم من انتم قالوا نفر من الخزرج ، فقال من موالي يهود ،قالوا نعم ، قال افلا تجلسون اكلمكم ، قالوا بلى فجلسوا معه ودعاهم الى الله ع ج وعرض عليهم الاسلام ، وتلى عليهم القرآن، وقد كان مجاوروهم من يهود يقول لهم ان الله سوف يبعث نبيا قد آن وقته ، فلما كلم رسول الله صلع اولئك النفر ودعاهم الى الله قال بعضهم لبعض ان هذا للنبي الذي ذكرته يهود ، فانظروا لا يسبقونا اليه وصدّقوا النبي صلع وآمنوا به،

ستة نفر من الخزرج ، منهم من بني النجار - وهو تيم الله - ثم من بني مالك بن النجار بن ثعلبة بن عمرو بن الخزرج بن حارثة بن عمرو بن عامر : أسعد بن زرارة بن عدس بن عبيد بن ثعلبة بن غنم بن مالك بن النجار ، وهو أبو أمامة ، وعوف بن الحارث بن رفاعة بن سواد بن مالك بن غنم بن مالك بن النجار ، وهو ابن عفراء .

ومن بني زريق بن عامر بن زريق بن عبد حارثة بن مالك بن غضب بن جشم بن الخزرج : رافع بن مالك بن العجلان بن عمرو بن عامر بن زريق .

ومن بني حرام بن كعب بن غنم بن كعب بن سلمة : عقبة بن عامر بن نابي بن زيد بن حرام .

ومن بني عبيد بن عدي بن غنم بن كعب بن سلمة : جابر بن عبدالله ابن رئاب بن النعمان بن سنان بن عبيد

فلما اسلموا قالوا يا رسول الله انا تركنا قومنا بينهم من الشر والعداوة ما بينهم وعسى الله ان يجمعهم بك ، فان يجعمهم الله ع ج عليك فلا رجل اعز منك ،

فلما كان من العام المقبل وافى الموسم من الانصار اثنا عشر رجلا فلقوا رسول الله صلع بالعقبة فبايعوه بعد ان آمنوا بالله وبه وصدقوه وتلك البيعة الاولى وهي بيعة النساء لم يذكر فيها قتال ، فمنهم من بني أسعد بن زرارة ، وعوف ، ومعاذ ، ابنا الحارث بن رفاعة ، وقد تقدم اسلام اسعد بن زرارة وعوف بن الحرث ،

ومن بني زريق بن عامر : رافع بن مالك بن العجلان ، وذكوان بن عبد قيس بن خلدة

ومن بني عوف بن الخزرج عبادة بن الصامت بن قيس بن أصرم ، وأبو عبدالرحمن ، وهو يزيد بن ثعلبة بن خزمة بن أصرم بن عمرو بن عمارة ، من بني غُصينة ، من بلي ، حليف لهم .

ومن بني سالم بن عوف بن عمرو بن الخزرج العباس بن عبادة بن نضلة.

ومن بني سلمة بن سعد ثم من بني جشم بن الخزرج ، ثم من بني حرام بن كعب بن غنم بن سلمة : عقبة بن عامر بن نابي بن زيد بن حرام .

ومن بني سواد بن غنم بن كعب بن سلمة : قطبة بن عامر بن حديدة ابن عمرو بن غنم بن سواد

وقد مضى ذكر اسلامهما

ومن الأوس بن حارثة بن ثعلبة ، ثم من بني عبدالأشهل بن جشم بن الحارث بن الخزرج: أبو الهيثم بن التَّيَّهان ،

ومن بني عمرو بن عوف بن مالك بن الأوس : عويم بن ساعدة بن مالك ،

فلما انصرف القوم من عند رسول الله صلع بعث معهم مصعب بن عمرو بن هاشم بن عبد مناف بن قصي بن عبد الدار بن قصي وامره ان يعلمهم القرآن ويفقههم في الاسلام ، فكان يسمى المقري في المدينة ، وكان يصلي بالانصار ويدعوهم الى الله والى رسوله صلع واسلم على يديه سعد بن معاذ واسيد من حضير وكانا سيدا بني عبد الاشهل ولم يمس بعد اسلامهما في دار بني عبد الاشهل رجل ولا امرأة الا مسلم ومسلمة،

ثم ان مصعب بن عمير رجع الى مكة وخرج من خرج من الانصار من المسلمين الى الموسم مع حجّاج قومهم فواعدوا رسول الله صلع العقبة من اوسط ايام التشرين حين اراد الله بهم ما اراد من كرامته والنصر لنبيه والاعزاز لدينه ، فاسلموا وكان مع رسول الله صلع علي ابن ابي طالب وعماه حمزة والعباس ابنا عبد المطلب ، فقال لهم العباس بن عبد المطلب يا معشر الخزرج ان محمدا حيث قد علمتم منا وقد منعناه من قومنا ممن هو على مثل رأينا فيه ، فهو في عز بين قومه ومنعة في بلده ، وانه قد ابى الا الانحياز اليكم واللحوق بكم ، فان كنتم ترون انكم وافون له ما عاهدتموه ومانعوه ممن خالفه فانتم وما تحملتم من ذلك ، وان كنتم ترون انكم تاركوه ومسلموه بعد الخروج اليه اليكم فدعوه الآن فانه في عز ومنعة من قومه ،

فقالت الانصار قد سمعنا ما قلت فتكلم يا رسول الله وخذ ما اردت لنفسك ، فتكلم رسول الله صلع فتلى القرآن ودعى الى الله تعالى ورغب في الاسلام ثم قال ابايعكم على ان تمنعوني مما تمنعون منه نساؤكم وابنائكم ، قال فاخذ البراء بن عازب بيده وكان من سادات الانصار ثم قال نعم ، والذي بعثك بالحق لنمنعك مما نمنع به ازرنا ، فبايعنايا رسول الله فنحن والله اهل الحروب واهل الحلقة ورثناها كابرا عن كابر فبايعوا رسول الله صلع بيعة العقبة على شروط الاسلام ، وعلى ان يمنعوه كما يمنعون نساءهم وابنائهم ون يقوه بانفسهم واقام رسول الله صلع فيهم اثني عشر نقيبا ، وهم اسعد بن زرارة ، وعبد الله بن رواحة ، وسعد بن الربيع ، ورافع بن مالك، والبراء بن معرور ، وعبد الله بن عمرو بن حزام ، وعبادة بن الصامت ، وسعد بن عبادة، والمنذر بن عمرو ، واسيد بن حضير ، وسعد بن حيثمة ، وابو الهيثم بن تيهان.

وقال صلع للنقباء انتم على قومكم كفلاء كفالة الحواريين لعيسى بن مريم وانا كفيل على من آمن بي من قومي ، قالوا نعم يا رسول الله صلع ثم انصرفوا الى المدينة ، وقال كعب بن مالك يذكرهم ويتوعد مشركي قريش:

أبلغ أُبيا أنه فال رأيه \* وحان غداة الشعب والحين واقعُ

أبى الله ما منتك نفسك إنه \* بمرصاد أمر الناس راءٍ وسامع

وأبلغ أبا سفيان أن قد بدا لنا \* بأحمد نور من هدى الله ساطع

فلا ترغبنْ في حشد أمر تريده \* وألِّب وجمِّع كل ما أنت جامع

ودونك فاعلم أن نقض عهودنا \* أباه عليك الرهط حين تبايعوا

أباه البراء وابن عمرو كلاهما \* وأسعد يأباه عليك ورافع

وسعد أباه الساعدي ومنذر \* لأنفك إن حاولت ذلك جادع

وما ابن ربيع إن تناولت عهده \* بمسلمه لا يطمعنْ ثم طامع

وأيضا فلا يُعطيكه ابن رواحة \* وإخفاره من دونه السم ناقع

وفاء به والقوقلي بن صامت \* بمندوحة عما تحاول يافع

أبو هيثم أيضا وفيّ بمثلها \* وفاء بما أعطى من العهد خانع

وما ابن حضير إن أردت بمطمع \* فهل أنت عن أُحموقة الغي نازع

وسعد أخو عمرو بن عوف فإنه \* ضَروح لما حاولت مِـْلأمر مانع

أولاك نجوم لا يغبك منهمُ \* عليك بنحس في دجى الليل طالع

وقوي الاسلام في الانصار واذن النبي صلع لاصحابه في الهجرة الى المدينة فهاجروا اولا فاولا ونزلوا دور الانصار ، فآووهم وقاسموهم في منازلهم وآثروهم على انفسهم ففيهم انزل الله :

يحبون من هاجر اليهم ولا يجدون في صدورهم حاجة مما اوتوا ويؤثرون على انفسهم ولو كان بهم خصاصة ، ومن يوق شح نفسه فاولئك هم المفلحون.

واقام رسول الله صلع بمكة بعد اصحابه الذين هاجروا ولم يقف بمكة معه الا من حبس او فتن الا ابن عمه علي ابن ابي طالب ع م وابو بكر بن ابي قحافة.

اجتماع قريش في دار الندوة

فلما رأت كفار قريش ذلك و علموا انه قد صار لرسول الله صلع حزب وانصار خافوا ان يقوى امره عليهم فاجتمعوا في دار الندوة وحضرهم فيما يقال ابليس لعنه الله في صورة شيخ فانكروه وقالوا من انت ، فقال رجل من نجد بلغني ما اجتمعتم عليه فجئت للحضور معكم ، فلن تعدموا مني رأيا تنتفعون به ، فتكلموا وقالوا ان محمدا قد صدقه اهل يثرب واجاروا من اتاهم من اصحابه ، وانا نخاف ان يصير اليهم فيعظم امره علينا ويكثر ناصروه ويحاربنا بمن اتبعه ولا نأمن ان يجيبه افناء العرب كما اجابه اهل يثرب ، فما الذين ترون ، فقال بعضهم نقبض عليه ونوثقه ونحبسه ، فقال الشيخ النجدي ما هذا برأي ، ولئن فعلتم ليستنقذه قومه من ايديكم وتجتمعون له ، فقالوا صدق الشيخ ، فقال آخر بل ننفيه عنا فيصنع ما يشاء ونستريح منه قال النجدي هذا الذي تخوفتموه ، قال آخر فنقتله قال الشيخ هذا الرأي احسن ما رأيتم ولكن تخرجون من كل بطن منكم رجلا وتعطونه سيفا فيضربونه ضربة رجل واحد ، فاذا كان ذلك حمى كل قوم من قريش اخاهم فيذهب دمه هدرا ، ويفترق في قريش فلا يطيقهم بنو هاشم ، فقالوا هذا الرأي واجمعوا على ذلك واتعدوا ليلة يأتونه فيها ، فاتىجبرئيل الى النبي صلع فاخبره بخبرهم فامر رسول الله صلع ابن عمه علي ابن ابي طالب ع م بعد ان اخبره بامره ان يتوشح ببرده وينام على فراشه ليرى من اتاه من المشركين انه هو حتى يبعد، واخبره بهجرته وامره بالمقام في اهله وان يؤدي امانات كانت عنده وديونا كانت عليه ثم يلحق به ، فهو كذلك يوصيه الى ان احس القوم وقد احاطوا بمنزله وقائل منهم يقول ان محمدا يزعم انكم ان بايعتموه على امره كنتم ملوك العرب والعجم ما عشتم ثم اذا متم بعثم وادخلتم جنانا كجنان الاردن ، وان لم تفعلوا كان بكم القتل ثم تبعثون الى نار وتحرقون بها فعجّلوا انتم له ذلك،

فلما سمع رسول الله صلع ذلك من قولهم امر عليا ع م فاضطجع على فراشه ووشحه ببرده الاخضر الخضرمي الذي كان ينام فيه وجعل يقرأ سورة ياسين واخذ بيده كفا من تراب فرماه في وجوههم وخرج فاخذه الله تعالى على ابصارهم ولم يكونوا تكاملوا ومضى رسول الله صلع الى الغار وقد اعد ابا بكر وعامر بن فهيرة وعبد الله بن ارقط لينهضوا معه الى المدينة ويحملوه وما يحتاج اليه ويدلوه على الطريق وجعل القوم ينظرون من خلل الباب الى علي ع م وهو مضطجع على فراش رسول الله صلع في برده لا يشكون انه هو ، فلما اجتمعوا وهموا بالقيام لما اتوا له اتاهم آت ممن لم يكن معهم فقال لهم ما تنتظرون ههنا ، قالوا نريد ان نقتل محمدا ، قال لقد خيبكم الله والله لقد خرج محمد عليكم وما ترك منكم احدا ممن حضر وقت خروجه حتى سفى عليه التراب فنظروا الى التراب على رؤس اكثرهم ونظروا الى علي ع م من خلل الباب مكان رسول الله صلع في برده فقالوا هذا محمد ودخلوا عليه باسيافهم ، فلما احس بهم علي ع م اخذ السيف ووثب في وجوههم ، فلما رأوه وعرفوه احجموا عنه قالوا ليس اياك اردنا يابن ابي طالب ، وقال بعضهم لبعض ليس لنا في ان نقتل هذا ويقتل منا فائدة ، فانصرفوا وكان ذلك اول جهاد بذل فيه علي ع م نفسه دون رسول الله صلع موطّنا نفسه في القتل دونه، وقام في وجوه من اراده بذلك ، وهم عدد كثير على صغر سنه ، وحداثة عهده، وقد روي محمد بن عيسى النخعي باسناده عن ابي جعفر محمد بن علي ع م انه قال لما امر الله ع ج نبيه بالهجرة واعلمه بما عقد المشركون من ان يبيتوه ليقتلوه وامر عليا ع م بان يضطجع مضجعه ففعل فاوحى الله تعالى الى جبرئيل وميكائيل اني قد آخيت بينكما واني قابض روح و احدكما فاختاروا ايكما اقبض روحه ، فكلما احب الحيوة وكره الموت ، فاوحى الله تعالى اليهما ما انتما في مواساتكما كمواساة علي لمحمد فانطلقا فاحفظاه من كل سوء من عدوي وعدوه حتى يصبح فهبطا وقعد احدهما عند رأسه والآخر عند رجليه ، وهما يقولان بخ بخ يا علي المحبوب المواسي بنفسه ،

ودخل رسول الله صلع الغار وابو بكر معه وطلبه المشركون حتى انتهوا الى عند الغار وصرفهم الله عنه واعمى ابصارهم وخافهم ابو بكر لما دنوا من الغارفجعل رسول الله صلع يسكن فزعه ويعده بما وعده الله ع ج من نصره وتمام امره وتلك اكثر ما يعد من قدّم ابا بكر على علي ع م من فضائله فانهم يقولون صحب النبي صلع في الغار ، فقال علماء الشيعة تلك الى ان تكون رذيلة اقرب منها الى الفضيلة فانه لم يصبر مع النبي صلع ولم يثق ولم يوقن بما وعده الله سبحانه في التنزيل بل حزن وقلق وان الله تعالى حرمه السكينة فقال تعالى اذ يقول لصاحبه لا تحزن ان الله معنا فانزل الله سكينته عليه وايده بجنود لم تروها ، وكان رسول الله صلع المنزل عليه السكينة والمؤيد بالجنود ، ولو كان لابي بكر فضل لعمه الله بالسكينة كما عم بامير المؤمنين في موضع آخر فقال ع ج : فانزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين والزمهم كلمة التقوى وكانوا احق بها واهلها ، وليست الصحبة بحجة ، قد يصحب المؤمن الكافر والبر الفاجر ، وتلوا قول الله تعالى قال له صاحبه وهو يحاوره اكفرت بالذي خلقك من تراب ثم سواك رجلا ، لكن هو الله ربي ولا اشرك بربي احدا ، وانما الفضل لمن فدى النبي صلع بنفسه ونام على فراشه موطّنا نفسه للشهادة في سبيل الله والجهاد من دون نبيه ، و القول في ذلك يطول ويتسع ، وانما قصدنا الاختصار.

ثم ان رسول الله صلع هاجر الى المدينة ودخلها صلع يوم الاحد لاثنتي عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الاول ، وكانت سنه يوم دخل المدينة ثلاث وخمسون سنة كاملة ، ذلك بعد ان اقام بمكة ثلاث عشرة سنة بعد ان بعثه الله ع ج بالنبوة يوم الاثنين وهو لاربعين عاما من مولده ، واقام بعده علي ابن ابي طالب بمكة ثلثة ايام حتى قضى ما امره ، ثم لحق به الى المدينة فنزل معه على كلثوم بن هدم بقبا ، ولم يقم رسول الله صلع بعد وصول علي ع م بقبا غير ليلة واحدة او ليلتين وكانت اقامته صلع بقبا يوم الاثنين ويوم الثلثاء ويوم الاربعاء ويوم الخميس ، ثم صلى الجمعة عند بني سالم بن عوف ، وكانت اول جمعة صلاها بالمدينة .

واجتمع اليه رجال فقالوا يا رسول الله صلع اقم عندنا في العدد والعدة وارادوا ان يكفوا نافته عن المسير فقال صلع دعوها فانها مأمورة فخلوها ، فانطلقت وكلما مر بنواحي الانصار طلبوه المقام عندهم وان تقف ناقته فيقول دعوها فانها مأمورة ، حتى اذا صارت عند بني مالك بن الحرث بركت على باب مسجده صلع وهو يومئد مربد لغلامين بتيمين من بني النجار في حجر معاذ بن عفراء ، فلما بركت لم ينزل نبي الله صلع من ظهرها ووثبت وسارت غير بعيد ورسول الله صلع واضع لها زمامها لا يثنيها ، ثم التفتت خلفها فرجعت الى منزلها اول مرة ووضعت جوانها في الارض فنزل رسول الله صلع وامر برحله فوضع في بيت خالد بن يزيد وهو ابو ايوب الانصاري ، فنزل فيه رسول الله صلع حتى فرغ من عمارة مسجده وسأل عن المربد لمن هو ؟ ثم اشتراه من اليتيمين وارضاهما .

وامر رسول الله صلع ان يبنى المسجد في ذلك الموضع وعمل فيه رسول الله صلع بيده فرغب الناس في العمل وعمل فيه المهاجرون والانصار ، وقال قائل من المسلمين :

لئن قعدنا والنبي يعمل لذاك مناّ العمل المضلل

وارتجز المسلمون وهن يقولون

لا عيش الا عيش الآخرة للهم ارحم الانصار والمهاجرة

وليس برجز بل كلام ، وجعل رسول الله صلع يقول ارحم المهاجرين والانصار ، وكان علي ابن ابي طالب ع م واصحابه اشد الناس عملا وجعل يرتجز ويقول :

لا يستوي من يعمر المساجدا يدأب فيها قائما وقاعدا

كمن يمرّ عاندا معاندا عن الغبار لا يزال حائدا

فاخذ عمار بن ياسر رضي الله عنه وجعل يرتجز بها ويعمل عملا شديدا ، وكان عثمان بن عفان واقفا في ناحية فعلم ان يعرّض به فقال لعمار يابن سميّة اني ساعرض هذا العصى لانفك وفي يده عصى ، وسمع رسول الله صلع قول عثمان فغضب عضبا شديدا وقال : ما لكم ولعمار يدعوكم الى الجنة وتدعونه الى النار ، وقال عمار جلدة ما بين عيني ،

ولم يزل العمل في مسجد رسول الله صلع حتى اذا فرغ من عمارته امر بعمارة منازله عنده ، وعمر اصحابه حول مسجده منازلهم وجعل كل واحد منهم بابا الى المسجد ومكثوا على ذلك اعواما وفي كل بيت رجل من اصحاب النبي باب الى المسجد، واوحى الله تعالى الى نبيه صلع يأمرهم ان يسدوا ابوابهم ويدع باب علي ،

وقد روي ان قوما سألوا امير المؤمنين ع م وقالوا يا امير المؤمنين اخبرنا بافضل مناقبك فقال ع م افضل مناقبي ما لم يكن فيه صنع ، قيل وما ذاك يا امير المؤمنين ، قال ان رسول الله صلع لما قدم المدينة امر ببناء المسجد فما بقي رجل من اصحابه الا نقب بابا الى المسجد فجاءه جبرئيل فامره ان يأمرهم بسد ابوابهم ويدع بابي فبعث اليهم رسول الله صلع معاذ بن جبل فاتى ابا بكر فامره ان يسد بابه فقال سمعا وطاعة ، ثم بعث الى عمر فامره ان يسد بابه فاتى رسول الله صلع فقال يا رسول الله صلع دع لي بقدر ما انظر به اليك بعيني فابى عليه رسول الله صلع فسد بابه ، ثم بعثه الى طلحة والزبير وعثمان وسعد وحمزة والعباس فامرهم بسد ابوابهم فسمعوا واطاعوا ، فقال حمزة ع م والعباس ع م يأمرنا بسد ابوابنا ويدع باب علي ، فبلغ ذلك النبي صلع فقال قد بلغني ما قلتم في سد الابواب ، والله ما انا فعلت ذلك ولكن الله فعله، وان الله اوحى الى موسى ان يتخذ بينا طهرا لا يجنب فيه الا هو وهرون وابناه يعني لا يجامع فيه غيرهم ، وان الله تعالى امرني ان اتخذ هذا البيت طهرا لا ينكح فيه الا انا وعلي وفاطمة والحسن والحسين، والله ما امرت بسد ابوابكم ولا فتحت باب علي ، ولكن الله تعالى امرني ، هذا قول علي في كلام طويل اختصرناه وقد جاءت هذه الرواية من طرق شتى.

وكانت اول خطبة خطبها رسول الله صلع فيما رواه هشام ان قام فحمد الله واثنى عليه ثم قال :

ايها الناس فقدموا لانفسكم، لتعلمن والله ليضعفن[[1]](#footnote-1) احدكم ثم ليدع غنمه ما لها راع ، ثم ليقولن له ربه الم يأتك رسولي فبلغك، وآتيتك مالا وافضلت عليك؟ فما قدمت لنفسك؟ فينظر يمينا وشمالا ولا يرى شيئا ، ثم لينظر قدامه ولا يرى غير جهنم ، فمن استطاع ان يقي وجهه من النار ولو بشق تمرة فليفعل ، ومن لم يجد فكلمة طيبة فان بها تجزى الحسنة عشر امثالها الى سبعمائة وضعف، والسلام عليمك ورحمة الله وبركاته.

ثم خطب خطبة اخرى فقال بسم الله الرحمن الرحيم ، الحمد لله احمده واستعينه نعوذ بالله من شرور انفسنا وسئيات اعمالنا ، من يهده الله فلا مضلّ له ومن يضلل فلن تجد له وليا مرشدا ، واشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له ، ان احسن الحديث كتاب الله تبارك وتعالى، قد افلح من زينه الله في قلبه، وادخله في الاسلام بعد الكفر، فاختاره على ما سواه من احاديث الناس، انه احسن الحديث وابلغه ، احبوا ما احبه الله ، احبوا الله من كل قلوبكم ، لا تملوا كلام الله وذكره ، ولا تقس عنه قلوبكم ، فانه من كل ما يخلق الله ويختار ويصطفي، فقد سماه الله خيرته من الاعمال الصالحة، ومصطفاه من العباد، والصالح من الحديث، ومن كل ما اوتي الناس من الحلال والحرام ، واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا واتقوا الله حق تقاته ،واصدقوا الله صالح ما تقولون بافواهكم ، وتجابوا بروح الله بينكم ، ان الله يغضب ان ينكث عهده ، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

وهادن رسول الله صلع اليهود واصلح بين الاوس والخزرج واهدر دماء الجاهلية ،

وآخا رسول الله صلع بين اصحابه ، فآخا بين عمه حمزة ع م وبين زيد بن حارثة ، وبين جعفر بن ابي طالب وبين معاذ بن جبل وجعفر يومئذ بارض الحبشة ، وجعل ابا بكر وعمر اخوين ، وكذلك سائر اصحابه ، وجعل لكل رجل اخا ، ثم اخذ بيد علي ابن ابي طالب ع م فقال هذا اخي ووصي ومنجز وعدي والخليفة من بعدي.

ولما اطمأنت برسول الله صلع الدار وقرّ به في مدينته القرار ، قال ابو قيس حرمة من انس اخو بني عدي بن النجار يذكر ما اكرمهم الله به من الاسلام وخصهم من نزول النبي صلع فيهم :

ثوى في قريش بضع عشرة حجة \* يذكِّر لو يلقى صديقا مُواتيا

ويعرض في أهل المواسم نفسه \* فلم ير من يُؤوي ولم ير داعيا

فلما أتانا أظهر الله دينه \* فأصبح مسرورا بطيبة راضيا

وألفى صديقا واطمأنت به النوى \* وكان له عونا من الله باديا

يقص لنا ما قال نوح لقومه \* وما قال موسى إذ أجاب المناديا

فأصبح لا يخشى من الناس واحدا \* قريبا ولا يخشى من الناس نائيا

بذلنا له الأموال من حلّ مالنا \* وأنفسنا عند الوغى والتآسيا

ونعلم أن الله لا شيء غيره \* ونعلم أن الله أفضل هاديا

نعادي الذي عادى من الناس كلهم \* جميعا وإن كان الحبيب المصافيا

أقول إذا أدعوك في كل بيعة : \* تباركت قد أكثرتُ لاسمك داعيا

أقول إذا جاوزت أرضا مخوفة : \* حنانيك لا تُظهر علي الأعاديا

فطأْ معرضا إن الحتوف كثيرة \* وإنك لا تُبقي لنفسك باقيا

فوالله ما يدري الفتى كيف يتقي \* إذا هو لم يجعل له الله واقيا

ولا تحفِلُ النخل المُقيمة[[2]](#footnote-2) ربها \* إذا أصبحت ريّا وأصبح ثاويا

ووصل الى رسول الله صلع سلمان الفارسي رضي الله عنه فاسلم وكان من فارس ، فاحب دين النصرانية وترك دين ابيه وكان ابوه على دين المجوس ، وسار مع ركب الى الشام وخدم الفضلاء من الرهبان واحدا بعد واحد واوصى آخرهم عند موته فقال انك تدرك نبيا يبعثه الله هو خير الانبياء قد آن اوانه وحان حينه ، وانه يأكل الهدية ولا يأكل الصدقة ، وبين جنبيه خاتم النبوة ، وكان سلمان رض قد بيع غصبا وصار الى يهودي ملكه واستخدمه ، فاتى سلمان النبي صلع مختبرا واتاه بصدقة فلم يأكل منها وفرّقها على اصحابه ، ثم اتاه بهدية فاكل صلع منها واطعمهم، ونظر الى خاتم النبوة بين جنبيه ، فعرف الامارات واسلم ، وكان سلمان من فضلاء اصحاب النبي صلع وكان النبي صلع يحبه ويدنيه وقال فيه سلمان من اهل البيت يصلى عليه ويسلم ، وكان من شيعة علي ع م وقد كان لعلي ع م شيعة على عهد رسول الله صلع معروفون باعتقاد ولايته مشهورون بذلك منهم سلمان وعمار والمقداد وابو ذر وعبد الله بن مسعود، وكان رسول الله صلع يذكرهم بالفضل ويدعوهم شيعة علي ، وذلك مذكور مشهور قد عرفه الخاص والعام، و ما اتى في ذلك من الروايات يخرج عن حد هذا الكتاب ،

واسلم كثير من اليهود ومن بقي من الاوس والخزرج ، فمنهم من كان اسلامه خالصا ومنهم من تستر بذلك نفاقا لماّ رأى امر الاسلام قوي وظهر، ومن المنافقين عبد الله بن ابي بن سلول وغيرهم كثيرون معروفون مشهورون كانوا اذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا واذا خلوا الى شياطينهم قالوا انا معكم انما نحن مستهزؤن ، فقبل منهم النبي صلع ما اظهروه من الاسلام وتركهم على ما هم عليه لانها كانت تتنزل فيهم الآيات مما يوضح نفاقهم وانهم وان قالوا آمنا بافواههم لم تؤمن قلوبهم ، وقالت الانصار ان كنا لنعرف المنافقين على عهد رسول الله صلع ببغض علي بن ابي طالب ع م ، وذلك يعضد قول النبي صلع لعلي يا علي لا يبغضك الا منافق او من هو لغير رشدة او من حملته امه وهي حائض او المأتي في دبره .

ولما استقر رسول الله صلع في المدينة وبلغ مشركي قريش ما جمع الله له من الفة المهاجرين والانصار واجتماع المسلمين وظهور الدين ساءهم ذلك واغتموا غما شديدا وتلهفوا على فوات رسول الله صلع اذ لم يقدروا عليه ، وبعث رسول الله صلع عمه حمزة بن عبد المطلب في سرية من ناحية العيص في ثلاثين راكبا من المهاجرين وعقد لهم عليهم فكانت تلك اول رأية عقدت في الاسلام لحمزة بن عبد المطلب عم رسول الله صلع ، وانتهى الخبر الى قريش فاخرجوا له ثلاثمائة راكب عليهم ابو جهل بن هشام وكادوا يلتقون فحجر بينهم تجدي بن عمرو الجهني وكان موادعا للفريقين فانصرفوا من غير قتال وانصرف حمزة ع م ومن معه من المهاجرين، وفي ذلك يقول حمزة رضوان الله عليه:

ألا يا لقومي للتحلم والجهل \* وللنقص من رأي الرجال وللعقل

وللراكبينا بالمظالم لم نطأ \* لهم حرمات من سوام ولا أهل

كأنا تَبلْناهم ولا تبل عندنا \* لهم غير أمر بالعفاف وبالعدل (3/ 141)

وأمر بإسلام فلا يقبلونه \* وينزل منهم مثل منزلة الهزل

فما برحوا حتى انتدبت لغارة \* لهم حيث حلوا أبتغي راحة الفضل

بأمر رسول الله ، أول خافق \* عليه لواء لم يكن لاح من قبلي

لواء لديه النصر من ذي كرامة إله عزيز فعله أفضل الفعل \*

عشية ساروا حاشدين وكلنا \* مراجله من غيظ أصحابه تغلي

فلما تراءينا أناخوا فعقَّلوا مطايا وعقَّلنا مدى غرض النبل \*

فقلنا لهم : حبل الإله نصيرنا \* وما لكم إلا الضلالة من حبل

فثار أبو جهل هنالك باغيا \* فخاب وردَّ الله كيد أبي جهل

وما نحن إلا في ثلاثين راكبا \* وهم مئتان بعد واحدة فضل

فيا للؤي لا تطيعوا غواتكم \* وفيئوا إلى الإسلام والمنهج السهل

فإني أخاف أن يُصبَّ عليكم \* عذاب فتدعوا بالندامة والثكل

ثم غزى رسول الله صلع قريشا في شهر ربيع الاول وخرج معه المهاجرون والانصار فبلغ صلع بواط من ناحية رضوى ثم رجع صلع الى المدينة ولم يلق كيدا ، فلبث بقية شهر ربيع الاول وربيع الآخر وبعض جمادى الاولى وغزى قريشا حتى انتهى الى ذي العشيرة من بطن ينبع فاقام بها بعض جمادى الاولى وليالي من جمادى الاخرى ورجع الى المدينة ، ولم يلق كيدا ، وفي تلك الغزاة قال رسول الله صلع لعلي ع م وقد اضطجع وعمار بن ياسر على دقع تراب وناما فانبههما رسول الله صلع وقال لعلي ع م ما لك يا ابا تراب ، ثم قال اشقى الاولين احيم ثمود واشقى الآخرين الذي يضربك يا علي في هذه ووضع يده على هامته حتى يبل هذه واخذ بلحيته ، ورجع رسول الله صلع الى المدينة ولم يكن قتال ،

وبعث رسول الله صلع سعد بن ابي وقاص في ثمانية رهط فخرج حتى بلغ الحرار من ارض الحجاز ثم رجع ولم يكن قتال ، واغار كرز بن جابر الفهري على سرح المدينة فخرج رسول الله صلع في طلبه حتى انتهى الىبدر وفاته كرز بن جابر فرجع صلع الى المدينة وتلك تسمى غزوة بدر الاولى ، وامر رسول الله صلع عبد الله بن جحش في ثمانية نفر وقال له امض حتى تنزل نخلة بين مكة والطائف فترصد قريشا فسار بالذي معه ، فلما كان في سيرة يومين قال لاصحابه اني ماض لما ارسلني له رسول الله صلع فمن اراد الشهادة ورغب فيها فليسر والا فليرجع فرجع سعد بن ابي وقاص وعتبة بن غزوان وسار ممن بقي معه ، فلما نزل نخلة حيث امره رسول الله صلع وافى عيرا لقريش تحمل زيتا وادما فحمل عبد الله بن جحش واصحابه على من في العير من المشركين فاسروا من المشركين عثمان بن عبد الله والحكم بن كيسان وقتلوا عمرو بن الحضرمي واخذوا العير فوصلوا بها الى رسول الله صلع فقبض صلع العير والاسيرين وبعثت اليه قريش فداء عثمان بن عبد الله والحكم بن كيسان ، فاما الحكم بن كيسان فاسلم واقام مع رسول الله حتى قتل يوم بئر ام معوفة ، واما عثمان بن عبد الله فلحق بمكة فمات كافرا .وقصد رسول الله صلع الى ما جاء به عبد الله بن جحش بعد ان اخذ الخمس فاعطى اهل تلك الغزوة اربعة اخماس، وكان ابن الخضرمي اول قتيل قتله المسلمون، وكان ذلك في الشهر الحرام ، وفيه يقول الله تعالى يسألونك عن الشهر الحرام قتال فيه ، قل قتال فيه كبير وَصَدٌّ عَن سَبِيلِ اللّهِ وَكُفْرٌ بِهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِ مِنْهُ أَكْبَرُ عِندَ اللّهِ وَالْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ وَلاَ يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّىَ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُواْ وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُوْلَـئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَأُوْلَـئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ 217 سورة البقرة ، وقالت قريش قد احل محمد واصحابه الشهر الحرام وسفكوا فيه الدماء، فقال عبد الله بن جحش:

تعدون[[3]](#footnote-3) قتلا في الحرام عظيمة \* وأعظم منه لو يرى الرشدَ راشدُ

صدودكم عما يقول محمد \* وكفر به والله راء وشاهد

وإخراجكم من مسجد الله أهله \* لئلا يُرى لله في البيت ساجد

فإنا وإن عيرتمونا بقتله \* وأرجف بالإسلام باغ وحاسد

سقينا من ابن الحضرمي رماحنا \* بنخلة لما أوقد الحرب واقد

دما وابنُ عبدالله عثمان بيننا \* ينازعه غُلّ من القدّ عاند

ثم كانت غزوة بدر الكبرى

وذلك ان رسول الله صلع اسمع بابي سفيان مقبلا من الشام في عير عظيمة لقريش فيها لهم اموال وتجارة وفيها ثلاثون رجلا من قريش او اربعون فندب رسول الله صلع المسلمين وقال هذه عير قريش واموالهم فاخرجوا لعل الله يغنمكوها فانتدب الناس فخف بعضهم وثقل بعض وظنوا ان رسول الله صلع لا يلقى حربا، وبلغ ابا سفيان الخبر ان محمدا قد استنهض اصحابه لك فاستاجر ضمضم بن عمرو الغفاري وبعثه الى مكة ، وامر ان يستنفر قريشا الى اموالهم ، وقد رأت عاتكة بنت عبد المطلب رؤيا قبل قدوم ضمضم بثلاثة ايام ، والذي رأت ان راكبا اقبل على بعير حتى وقف بالابطح ثم صرح باعلى صوته الا انفروا يا آل غدر لمصارعكم في ثلاث، ثم دخل المسجد والناس يتبعونه ، فمثل به بعيره على ظهر الكعبة وصرخ مثلها الا انفروا يا آل غدر لمصارعكم في ثلاث ، ثم مثل به بعيره على رأس ابي قبيس فصرخ بمثلها ثم اخذ صخرة فالقاها من الجبل فاقبلت تهوي حتى اذا كانت باسفل الجبل ارفضّت فلم يبق بيت من بيوت مكة ولا دار الا دخلها فلقة من تلك الصخرة ،

فاخبرت برؤياها العباس بن عبد المطلب فلقي العباس الوليد بن عتبة بن ربيعة فذكر له وشاع الخبر ، فقال ابو جهل متى كانت فيكم هذه النبية ؟ ما رضيتم يا بني عبد المطلب ان يتنبأ رجالكم حتى تتنبأ نساؤكم ، فانكر العباس ان تكون رأت شيئا ، وكثر في ذلك القول من قريش ، ولا سيما ابو جهل بن هشام ، قال العباس بن عبد المطلب ع م فقلن نساء بني عبد المطلب تناول ابو جهل رجالكم بالسب وما قنع حتى رجع لسب نساءكم فخرجت مغضبا اريد ان انال ابا جهل بما يكره فدخلت المسجد فرأيته، فاني لامشي نحوه اتعرضه ليعود لبعض ما قال فاوقع به ، وكان رجلا خفيفا حديد الوجه حديد اللسان حديد النظر اذ خرج نحو باب المسجد يشتد ، قال قلت ما له لعنه الله اكل هذا فرارا[[4]](#footnote-4) مني ان اشاتمه ، واذا هو قد سمع ما لم اسمع : صوت ضمضم بن عمرو الغفاري ، وهو يصرخ ببطن الوادي قد شق قميصه وهو يقول يا معشر قريش : اللطيمةَ اللطيمةَ ، اموالكم مع ابي سفيان قد عرض لها محمد في اصحابه ، ولا اراكم مدركوها ، الغوث الغوث ، قال العباس فشغله عني وشغلني عنه ما جاء من الامر ، وتجهز الناس سراعا وقالوا : ايظن محمد واصحابه ان تكون كعير ابن الحضرمي، كلا والله ليعلمن امرا غير ذلك ، ولم يتخلف احد من اشراف قريش الا ابو لهب ، تخلف وبعث مكانه العاص بن هشام بن المغيرة واخرجت قريش العباس بن عبد المطلب وطالب ابن ابي طالب وعقيل بن ابي طالب معهم لحرب رسول الله صلع ، فخرجوا مستكرهين،

وجرى بينهم وبين طالب لدد وخصومة فارجعوه وقالوا لقد علمنا ان هواكم مع محمد فرجع طالب وقال في ذلك :

يا رب اما خرجوا بطالب في مقنب من هذه المقانب

فاجعلهم المغلوب غير الغالب واجعلهم المسلوب غير السالب

وكان طالب قد اسلم وهو الذي يقول في رسول الله صلع :

‏لقد حل مجد بني هاشم مكان النعائم و النثره

ومجد بني هاشم احمد رسول المليك على فترة

عظيم المكارم نور البلاد جري الفؤاد صدى الزبرة

كريم المشاهد سمح البنان اذا ضن ذو الجود بالقدرة

حنيف تقي نقي الرداء طهير السراويل الازرة

جواد ربيع على المعتفين من حي ربع ومن زهرة

واشوس كالليث لم يثنه لدى الحرب زجرة ذي الزجرة

فكم من صريع له قد ثوى طويل التأوّه والزفرة[[5]](#footnote-5)

وخرج رسول الله صلع في ليال مضت من شهر رمضان في اصحابه قيل لثمان منه وكان امام رسول الله صلع رأيتان احداهما اعطاها علي ابن ابي طالب ع م والاخرى مع الانصار وكانت ابل اصحاب رسول الله صلع سبعين بعيرا يعتقبونها ، وكان رسول الله صلع وعلي ابن ابي طالب يعتقبان بعيرا ، وسار النبي صلع والمهاجرون والانصار حتى نزل سجسج وهي بئر الروحا ثم ارتحل منها حتى اذا كان قريبا من الصفراء حتى انتهى الى واد يقال له زفزان وجزع ، ثم نزل فاتاه خبر قريش وخروجهم ليمنعوا عيرهم فاستشار الناس فاجابوا واحسنوا الجواب فقال صلع سيروا وابشروا فان الله وعدني احدى الطائفتين والله لكأني انظر الى مصارع القوم، ثم ارتحل رسول الله صلع من زفران فنزل قريبا من بدر ، فلما امسى بعث علي ابن ابي طالب ع م في جماعة من المسلمين يلتمسون خبر قريش الى ماء بدر فوجدوا راوية قريش مع اسلم غلام بني الحجاج وابي يسار غلام بني العاص فاسروهما واتوا بهما رسول الله صلع فقال اخبراني عن قريش، فقالا هم وراء هذا الكثيب الذي ترى بالعدوة القصوى والكثيب العقنقل ، فقال صلع كم عدد القوم ؟ فقالا كثير ولا ندري، قال كم ينحرون كل يوم ؟ قالا تسعا يوما وعشرا يوما، فقال صلع القوم ما بين الالف والتسعمائة ، وسألهما من فيهم من اشراف قريش ، فذكراهم له، فقال صلع لاصحابه هذه مكة قد القت اليكم افلاذ كبدها ،

اما ابو سفيان فانه ما بعيره عن الطريق وترك بدرا عن اليسار ، ولما علم ابو سفيان انه قد نجى بالعير ارسل الى قريش وامرهم ان يرجعوا فابت ذلك قريش بعد ان تنازعوا الرأى ومضوا حتى انتهوا الى العدوة القصوى من الوادي خلف العقنقل وبطن الوادي ، وهو تليل بدر، والقليب ببدر في العدوة الدنيا من بطن تليل الى المدينة ، ونهض رسول الله صلع حتى انتهى ادنى ماء الى القوم فنزل عليه ثم امر بالقلب فغورت وبنى حوضا على القليب الذي نزل عليه ، فملئ ماء ، ولما اصبحت قريش اقبلت ، فلما رآها رسول الله صلع تصوب من الكثيب الذي جاؤا منه الى الوادي قال : اللهم هذه قريش قد اقبلت بخيلائها وفخرها تحادك وتكذّب رسولك، اللهم فنصرك الذي وعدتني ، اللهم احنئهم الغداة .

ورأى رسول الله صلع عتبة بن ربيعة في القوم على جمل احمر فقال صلع ان يكن عند احد من القوم خير فعند صاحب الجمل الاحمر ان يطيعوه يرشدوا ، وعتبة فيمن قتل يوم بدر ولم ير فيه شيء من الخير ، وقول رسول الله صلع الحق وما ينطق عن الهوى، وانما كان ذلك بمن كان من اولاده من اتباع الائمة من آل الرسول صلع ، ولما اطمأنت قريش بعثوا عمير من وهب الجمجمي فقالوا احرز لنا اصحاب محمد صلع فجال بفرسه حول العسكر ثم قال لهم ثلاثمائة رجل يزيدون قليلا او ينقصون ، وامهلوني لانظر اليهم الهم كمين ام مدد فضرب في الوادي حتى ابعد فلم ير شيئا فرجع اليهم وقال ما رأيت شيئا ولكني قد رأيت يا معشر قريش البلايا تحمل المنايا ، نواضح يثرب تحمل الموت الناقع ، قوم لا منعة لهم ولا ملجأ الا سيوفهم، والله ما ارى ان يقتل رجل منهم حتى يقتل رجلا منكم ، فاذا اصابوا منكم كعددهم فلا خير في عيش بعد ذلك ، وقام عتبة بن ربيعة فعذل قريشا وسألهم ترك القتال والموادعة فقال ابو جهل انتفخ والله سحرك يعني ريته حين رأيت محمدا واصحابه ، كلا والله لا نرجع حتى يحكم الله بيننا وبين محمد وما عتبة الا نظر محمدا واصحابه كاكلة جزور وفيهم ابنه ، فقد تخوفكم عليه ، فلما بلغ عتبة قوله انتفخ سحره قال سيعلم مصفر استه من انتفخ سحره انا ام هو ، ثم التمس بيضة يدخل فيها رأسه فلم يجدها لعظم هامته ، فلما رأى ذلك اعتجر على هامته ببرد له وخرج الاسود بن عبد الاسود والمخزومي فقال لاشربن من حوض محمد واهدمنه او لاموتن دونه ، فلما خرج دلف اليه حمزة بن عبد المطلب ع م فلما التقيا ضربه حمزة فاطن قدمه بنصف ساقه اي قطعها فوقع على ظهره يشخب رجله دما ثم حبى الى الحوض يريد ان يبر قسمه بزعمه واتبعه حمزةع م فضربه في الحوض حتى قتله .

ثم خرج بعده عتبة بن ربيعة بين اخيه شيبة وابنه الوليد بن عتبة حتى ا ذا برزوا من الصف دعى الى المبارزة فخرج اليهم عوف ومعوذ ابنا الحرث وامهما عفرا ورجل آخر كلهم من الانصار ، يقال ان الرجل عبد الله بن رواحة، فقالوا من انتم ؟ فقالوا رهط من الانصار ، فقالوا ما لنا بكم من حاجة ، ثم نادى مناديهم يا محمد اخرج لنا اكفاءنا من قومنا فقال رسول الله صلع قم يا عبيدة بن الحارث وقم يا حمزة وقم ياعلي ، فلما دنوا اليهم قالوا من انتم ؟ فانتموا لهم فقالوا اكفاء كرام ، فبارز عبيدة وكان اسنّ القوم عتبة بن ربيعة ، وبارز حمزة ع م شيبة ابن ربيعة ، وبارز علي ع م الوليد بن عتبة ، وكان علي اصغر القوم سنا ابن ثمان سنة ، وقيل لم يبلغ العشرين ، فلم يمهل الوليد ان قتله ، ولم يمهل حمزة شيبة ان قتله، وعطفا على عتبة وقد اختلف بينه وبين عبيدة ضربتان اثخن كل واحد منهما صاحبه ، وقد قطع عتبة رجل عبيدة فابانها من ساقه ، فدفف علي وحمزة على عتبة واحتملا صاحبهما الى عسكر المسلمين ، ثم تزاحف الناس ودنى بعضهم من بعض وقد امر رسول الله صلع اصحابه ان لا يحملوا حتى يأمرهم ، وقال ان اكتنفكم القوم فانضحوهم عنكم بالنبل ، وقد ترك المسلمون رسول الله صلع في عريش خلفهم، وقالوا ان هزمنا العدو ففي حياتك بقاءنا ، وانحاز ابو بكر لم يقاتل .

وعن ابي جعفر محمد بن علي ابن الحسين ع م انه قال ان رسول الله صلع عدّل صفوف اصحابه يوم بدر وامرهم ان لا يبرح احد عن مركزه، ومن حمل على المشركين فليكن رجوعه الى مكانه ، ورجع رسول الله صلع الى العريش ، وقال رسول الله صلع لاصحابه ابشروا هذا جبرئيل آخذ بفرس يقوده على ثناياه النقع ، ثم خرج رسول الله صلع الى الناس فحرضهم وقال والذي نفس محمد بيده لا تقاتل رجل فيقتل صابرا محتسبا الا دخل الجنة ، وحمي الوطيس وصبر المسلمون ثم ان رسول الله صلع اخذ كفا من الحصى فاستقبل قريشا وقال شاهت الوجوه ثم نضحهم به ، وامر اصحابه وقال شدوا، فكانت الهزيمة ، وابلى علي ع م وحمزة، ورأي من علي من الشدة والبأس والصبر في المراس ما لم يظنوا انه يكون من احد من الآدميين على حداثة سنه، فانهزم المشركون ومنح الله المسلمين النصر يقتلون ويأسرون ،

فقتل علي ابن ابي طالب ع م العامر بن امية ،

وعقبة بن ابي معيط من بني امية بن عبد شمس ،

وعامر بن عبد الله من بني اغار من غطفان حليفا لهم ،

وطعيمة بن عدي من نوفل،

ونوفل بن خويلد بن اسد وهو من العدوية عدي خزاعة وهو الذي قرن ابا بكر بن ابي قحافة وطلحة بن عبيد الله لما اسلما في حبله وكان من شياطين قريش ،

والنضر ين الحارث من بني عبد الدار قتله صبرا عند رسول الله صلع بالصفراء ،

وعمير بن عثمان بن تيم ،

وحرملة بن عمرو حليف بني مخزوم ،

ومسعود بن امية المخزومي ،

وابا قيس الفاكه بن المغيرة من بني مخزوم ،

وعبد الله بن المنذر بن ابي رفاعة ،

وحاجب بن السايب ،

وابا العاص من الحجاج السهمي ،

وابا العاص بن قيس بن سعد السهمي ،

واوس بن لوذان بن جمح ،

ومعوية بن عامر بن بني عبد القيس حليف بني عامر بن لوي ،

وقد ذكرنا قتله الوليد بن عتبة مبارزة ، فهؤلاء الذين انفرد علي بقتلهم ،

واشترك هو وحمزة بن عبد المطلب وعبيدة بن الحارث رضوان الله عليهم في قتل عتبة بن ربيعة كما ذكرنا ،

واشترك هو وحمزة بن عبد المطلب وزيد بن حارثة في قتل حنظلة بن ابي سفيان ،

وزمعة بن الاسود بن المطلب اشترك في قتله علي وحمزة عليهما السلام،

وعقيل بن الاسود بن المطلب اشترك في قتله علي وحمزة ،

وشيبة بن ربيعة قد ذكرنا قتل حمزة بن عبد المطلب له مبارزة ،

وابو قيس بن الوليد بن المغيرة قتله حمزة ويقال بل قتله علي ابن ابي طالب،

والاسود بن عبد الاسد المخزومي قتله حمزة بن عبد المطلب ع م ،

ونبيه بن الحجاج بن عامر قتله حمزة بن عبد المطلب ع م ، وقيل اشترك في قتله هو وسعد بن ابي وقاص ،

والحرث بن الخضرمي قتله النعمان بن عصير حليف الاوس،

وعامر بن الخضرمي قتله عمار بن ياسر ،

وعمير وابو عمير موليان لبني عبد شمس قتل عمير سالم مولى ابي حذيفة،

وعبيدة بن العاص بن امية قتله الزبير بن العوام ،

والحرث بن عامر بن نوفل بن عبد مناف قتله حبيب بن اساف اخو بني الحرث بن الخزرج.

والحرث بن زمعة بن الاسود قتله عمار بن ياسر ،

وابا البختري وهو العاص بن هشام قتله المحذر بن زياد البلوى ،

وزيد بن قليص قتله بلال بن ابي رياح حليف لبني عبد الدار، ويقال قتله المقداد بن الاسود،

وعثمان بن مالك بن كعب قتله صهيب بن سان،

وابو جهل بن هشام اشترك في قتله معاذ بن عمرو بن الجموح ومعوّذ بن عفراء وعبد الله بن مسعود،

والعاص بن هشام قتله عمرو بن الخطاب ،

ويزيد بن عبد الله حليف لبني مخزوم وكان رجلا شجاعا قتله عمار بن ياسر،

وابو مسافع الاشعري حليف لبني مخزوم قتله ابو دجانة الساعدي ،

ورفاعة بن ابي رفاعة المخزومي قتله سعد بن الربيع اخو الحرث بن الخزرج ،

والمنذر ابي رفاعة قتله معن بن عدي حليف بني عبيد بن مالك بن عمرو بن عوف ،

والسائب المخزومي قتله الزبير بن العوام ،

وعويم بن السائب قتله النعمان بن ملك القوقلي ،

وعمرو بن سفيان قتله يزيد ين دقيش ، وجابر بن سفيان قتله ابو بردة بن ينار ،

ومنبه بن الحجاج بن عامر قتله ابو اليسر اخو بني سلمة ،

وعاصم بن عوف بن صبيرة من بني سهم قتله ابو اليسر ايضا ،

وامية بن خلف بن وهب من بني جمح قتله معاذ بن عفراء ، وخارجة بن زيد وحبيب بن اساف اشتركوا في قتله ،

وابنه علي بن امية قتله عمار بن ياسر ،

ومعبد بن وهب حليف بني كلب قتله خالد واياس ابنا الكبير ويقال ابو دجانة ،

فكان الذي احصي من قتلى بدر من المشركين خمسون رجلا، وقيل كان قتلى بدر من المشركين سبعون رجلا والاسارى كذلك ،

وعن ابي عباس في كتاب الله اولما اصابتكم مصيبة قد اصبتم مثليها وذلك في يوم احد، وكان من استشهد يوم احد من المسلمين سبعون رجلا بقول الله تعالى قد اصبتم يوم بدر بمن استشهد يوم احد مثليهم سبعين قتيلا وسبعين اسيرا .

وانشد الكعب بن مالك :

واصيب بالعطن المطعن منهم سبعون عتبة منهم والاسود[[6]](#footnote-6)

واستشهد يوم بدر من المسلمين اربعة عشر رجلا من المهاجرين ستة وهم عبيدة بن الحارث قطعت رجله ومات بالصفراء ، وعمير بن ابي وقاص اخو سعد بن ابي وقاص ، وذو الشمالين بن عبيد بن عمرو بن نضلة حليف لبني عبشان ، ومن بني عدي بن كعب عاقل بن الكبير وهو حليف لهم ، ومهجع مربي عمرو بن الخطاب ، وصفوان بن بيضاء مولى بني فهر ، وثمانية من الانصار من بني بني عمرو بن عوف وهم سعيد بن خيثمة ، ومبشر بن عبد المنذر بن زبير من بني الحارث بن الخزرج ، يزيد ين الحارث ، وعمير بن الحمام، ورافع بن المعلا ، وحارثة بن سراقة ، وعوف ومعوذ ابنا الحارث بن رفاعة ، وهما ابنا عفر رحمة الله عليهم .

وقسم رسول الله صلع الغنائم بين اصحابه ، وساروا وقد وكل بالاسرى من يحفظهم ، فلما انتهى الى الصفراء لحق عبيدة بن الحارث بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف وكان قد قدّمه قبله وهو يجود بنفسه وقد سال مخ ساقه ، فقال يا رسول الله لقد صدق ابو طالب في قوله :

ونسلمه حتى نصرع حوله ونذهل عن ابنائنا والحلائل

ولو رأى ابو طالب هذا لسرّه ، فاثنى عليه رسول الله صلع وعلى ابي طالب ، ومات عبيدة رضوان الله عليه بالصفراء ،

وهنالك امر النبي صلع عليا بقتل النضر بن الحارث ، ولما كان بعرف الظبية امر بقتل عقبة بن ابي معيط ، فقال عقبة حين امر رسول الله صلع بقتله من للصبية ، فقال صلع النار ، فضرب عنقه ، وقتل عاصم بن ثابت بن الافلح ورجع رسول الله صلع الى المدينة فمنّ من الاسرى على من منّ عليه وامر بعضهم ان يفدي نفسه ،

وكان فيمن اسر يوم بدر العباس بن عبد المطلب عم رسول الله صلع وعقيل بن ابي طالب ، وكانت قريش اخرجتهما مستكرهين ، وقد قال رسول الله صلع للمسلمين من قدرتم ان تاسروه من بني هاشم فلا تقتلوه فانهم اخرجوا مستكرهين ، فاسر العباس وعقيل بن ابي طالب ، فقال رسول الله صلع للعباس افد نفسك وابن اخيك عقيلا ، فانه لا مال له ، قال العباس وانا فما عندي شيء ، فقال رسول الله صلع فاين المال الذي دفعته يوم خروجك من مكة الى ام الفضل وقلت لها ان اصبت فلعبد الله كذا وللفضل كذا وذكر له ما قال لها ، فقال العباس والله ما سمع هذا مني غيرها وما اطلعك على ذلك الا الله، فانا اشهد ان لا اله الا الله وانك لرسول الله وشهد بها عقيل وفدى العباس نفسه وعقيلا.

وعن ابي رافع مولى رسول الله صلع قال كنت مولى للعباس بن عبد المطلب وكان الاسلام قد عمّنا اهل البيت فاسلم العباس واسلمت ام الفضل ، وكان العباس يهاب قومه ويكره خلافهم ، وكان يكتمهم اسلامه ، وكان ذا مال كثير متفرق في قومه ، وكان ابو لهب قد تخلع عن بدر وبعث مكانه ، فلما جاءه الخبر بمصاب اهل بدر من قريش كبته الله واخزاه ووجدنا في انفسنا قوة وعزا وكنت انحت الاقداح بحجرة زمزم ، فوالله اني انحت فيها اقداحي وعندي ام الفضل امرأة العباس بن عبد المطلب قد سرنا ما جاء من الخبر اذ اقبل ابو لهب يجرر عليه حتى جلس على طنب الحجرة وكان ظهره الى ظهري فبينا هو جالس اذا قال الناس هذا ابوسفيان بن الحارث بن عبد المطلب قد قدم فقال ابو لهب هلم الي فعندك لعمري الخبر ، قال فجلس اليه والناس قيام عليه ، فقال يابن اخي اخبرني كيف كان امر الناس فقال والله ما هو الا ان لقينا القوم فمنحناهم اكتافنا يقتلون ويأسرون كيف شاؤا ، ومع ذلك ما لمت الناس ، لقينا رجال بيض على خيل بلق بين السماء والارض ، والله ما تليق شيئا ، ولا يقوم لها شيء، قال ابو رافع فقلت تلك والله الملائكة ، قال فرفع ابو لهب يده فضرب وجهي ضربة شديدة وثاورته فاحتملني وضرب بي الارض وبرك على صدري واقبلت ام الفضل الى عمود من عمد الحجرة فضربت بها ابا لهب ضربة شقت في رأسه ، وقالت اتستضعفه ان غاب سيده ، فقام موليا ذليلا ، فوالله ما عاش الا سبعا حتى رماه الله بالعدسة فقتلته ، فاراح الله منه .

وقال علي ابن ابي طالب صلوات الله عليه يوم بدر:

ألم تر أن الله أبلى ورسوله \* بلاء عزيز ذي اقتدار وذي فضل

بما أنزل الكفار دار مذلة \* فلاقوا هوانا من إسارٍ ومن قتل

فأمس رسول الله قد عز نصره \* وكان رسول الله أرسل بالعدل

فجاء بفرقان من الله منزل \* مبينةٌ آياته لذوي العقل

فآمن أقوام بذاك وأيقنوا \* فأمسوا بحمد الله مجتمعي الشمل

وأنكرأقوام فزاغت قلوبهم \* فزادهمُ ذو العرش خَبلاَ على خبلا

وأمكن منهم يوم بدر رسوله \* وقوماً غضاباً فِعلهم أحسن الفعل

بأيديهم بيض خفاف عصوا بها \* وقد حادثوها بالجلاء وبالصقل

فكم تركوا من ناشئ ذي حميَّة \* صريعا ومن ذي نجدة منهم كهل

تبيت عيون النائحات عليهم \* تجود بإسبال الرشاش وبالوبل

نوائح تنعى عُتبة الغيِّ وابنه \* وشيبة تنعاه وتنعى أبا جهل

وذا الرجل تنعى وابن جدعان فيهم \* مسلِّبَةً حرَّى مبيَّنة الثُكل

ثوى منهم في بئر بدر عِصابة \* ذوي نجدات في الحروب وفي المحل

دعا الغي منهم من دعا فأجابه \* وللغيِّ أسباب مرمقة الوصل

فأضحوا لدى دار الجحيم بمعزل \* عن الشَغب والعداون في أشغل الشغل

وقال حمزة بن عبد المطلب عليه السلام يوم بدر:

ألم تر أمراً كان من عجبِ الدهرِ \* وللحَين أسبابٌ مبَينة الأمرِ

وما ذاك إلا أن قوما أفادهم \* فخانوا تواصٍ بالعُقوق وبالكفرِ

عشيَّة راحوا نحو بدر بجمعهم \* فكانوا رهونا للرَّكيَّة من بدرِ

وكنا طلبنا العير لم نبغِ غيرها \* فساروا إلينا فالتقينا على قدرِ

فلما التقينا لم تكن مثنويةٌ \* لنا غير طعن بالمثقَّفة السمرِ

وضرب ببيض يختلي الهام حدَّها \* مشهَّرة الألوان بينةِ الأُثرِ

ونحن تركنا عُتبة الغي ثاويا \* وشيبة في القتلى تجرجم في الجفر

وعمرو ثوى فيمن ثوى من حماتهم \* فشُقت جيوب النائحات على عمرو

جيوب نساء من لؤي بن غالب \* كرامٍ تفرَّعن الذوائبَ من فِهرِ

أولئك قوم قُتِّلوا في ضلالهم \* وخلَّوا لواءً غير محتضِر النصرِ

لواء ضلال قاد إبليس أهله \* فخاس بهم ، إن الخبيث إلى غدر

وقال لهم إذ عاين الأمر واضحا \* برئت إليكم ما بي اليوم من صبر

فإني أرى ما لا ترون وإنني \* أخاف عقاب الله والله ذو قَسرِ

فقدمهم للحَين حتى تورطوا \* وكان بما لم يَخبُرِ القومُ ذا خُبرِ

فكانوا غداة البئر ألفا وجمعُنا \* ثلاثُ مئين كالمسدمة الزُهرِ

وفينا جنود الله حين يمدنا \* بهم في مقام ثمَّ مستوضَح الذكر

فشدَّ بهم جبريل تحت لوائنا \* لدى مأزق فيه مناياهم تجري

وقال عبيدة بن الحارث في منصرفه من بدر الى الصفراء:

ستبلغ عنا أهل مكة وقعة \* يهب لها من كان عن ذاك نائيا

بعتبة إذ ولى وشيبة بعده \* وما كان فيها بكر عتبة راضي

فإن تقطعوا رجلي فإني مسلم \* أرجي بها عيشا من الله دانيا

مع الحور امثال التماثيل أخلصت \* مع الجنة العليا لمن كان عاليا

وبعث بها عيشا تعرقت صفوه \* وعالجته حتى فقدت الأدانيا

فأكرمني الرحمن من فضل منه \* بثوب من الإسلام غطى المساويا

وما كان مكروها إلي قتالهم \* غداة دعا الأكفاء من كان داعيا

ولم يبغ إذ سالو النبي سواءنا \* ثلاثتنا حتى حضرنا المناديا

لقيناهم كالأسد تخطر بالقنا \* نقاتل في الرحمن من كان عاصيا

فما برحت أقدامنا من مقامنا \* ثلاثتنا حتى أزيروا المنائيا

وقال كعب بن مالك اخو بني سلمة:

عجبت لأمر الله والله قادر \* على ما أراد ، ليس لله قاهر

قضى يوم بدر أن نلاقيَ معشرا \* بغوا وسبيل البغي بالناس جائر

وقد حشدوا واستنفروا من يليهم \* من الناس حتى جمعهم متكاثر

وسارت إلينا لا تحاول غيرنا \* بأجمعها كعب جميعا وعامر

وفينا رسول الله والأوس حوله \* له معقل منهم عزيز وناصر

وجمع بني النجار تحت لوائه \* يمشُّون في الماذيِّ والنقع ثائر

فلما لقيناهم وكل مجاهد \* لأصحابه مستبسل النفس صابر

شهدنا بأن الله لا رب غيره \* وأن رسول الله بالحق ظاهر

وقد عريت بيض خفاف كأنها \* مقابيس يزهيها لعينيك شاهر

بهن أبدنا جمعهم فتبددوا \* وكان يلاقي الحين من هو فاجر

فكبَّ أبو جهل صريعا لوجهه \* وعتبة قد غادرنه وهو عاثر

وشيبة والتيمي غادرن في الوغى \* وما منهم إلا بذي العرش كافر

فأمسوا وقود النار في مستقرها \* وكل كفور في جهنم صائر

تلظى عليهم وهي قد شب حميها \* بزبُر الحديد والحجارة ساجر

وكان رسول الله قد قال أقبلوا فولوا وقالوا : إنما أنت ساحر \*

لأمر أراد الله أن يهلكوا به وليس لأمر حمَّه الله زاجر \*

وقال حسان بن ثابت شعرا :

تبلتْ فؤادَك في المنام خريدة تسقي الضجيع ببارد بسام \*

كالمسك تخلطه بماء سحابة \* أو عاتق كدم الذبيح مدام

نُفُجُ الحقيبة بُوصها مُتنضّد \* بلهاء غير وشيكة الأقسام

بُنيت على قطن أجم كأنه \* فضلا إذا قعدت مداك رُخام

وتكاد تكسل أن تجيء فراشها \* في جسم خرعبة وحسن قوام

أما النهار فلا أُفتر ذكرها \* والليل توزعني بها أحلامي

أقسمت أنساها وأترك ذكرها \* حتى تغيب في الضريح عظامي

يا من لعاذلة تلوم سفاهة \* ولقد عصيت على الهوى لوامي

بكرت علي بسحرة بعد الكرى \* وتقارب من حادث الأيام

زعمت بأن المرء يكرب عمره \* عدم لمعتكر من الأصرام

إن كنت كاذبة الذي حدثتني \* فنجوت منجا الحارث بن هشام

ترك الأحبة أن يقاتل دونهم \* ونجا برأس طمرة ولجام

تذر العناجيج الجياد بقفرة \* مر الدموك بمحصدٍ ورجام

ملأت به الفرجين فارمَدَّت به \* وثوى أحبته بشر مقام

وبنو أبيه ورهطه في معرك \* نصر الإله به ذوي الإسلام

طحنتهم ، والله ينفذ أمره ، \* حرب يُشَبُّ سعيرها بضرام

لولا الإله وجريها لتركنه \* جزر السباع ودسنه بحوام

من بين مأسور يشد وثاقه \* صقر إذا لاقى الأسنة حامي

ومجدل لا يستجيب لدعوة حتى تزول شوامخ الأعلام \*

بالعار والذل المبيَّن إذ رأى \* بيض السيوف تسوق كل همام

بيدي أغر إذا انتمى لم يخزه \* نسب القصار سمَيدع مقدام

بيض إذا لاقت حديدا صممت \* كالبرق تحت ظلال كل غمام

وقال كعب بن مالك يبكي عبيدة بن الحارث رضوان الله عليه:

أيا عين جودي ولا تبخلي \* بدمعك حقا ولا تَنـُزِري

على سيد هدَّنا هلكه \* كريم المشاهد والعنصر

جريء المقدم شاكي السلام \* كريم النثا طيب المكسر

عبيدة أمسى ولا نرتجيه \* لعرف عرانا ولا منكر

وقد كان يحمي غداة القتا \* ل حامية الجيش بالمبتر

وقال هند بنت اثابة بن عباد بن عبد المطلب ترثي عبيدة بن الحارث :

لقد ضمن الصفراء مجدا وسؤددا \* وحلما أصيلا وافر اللب والعقل

عبيدة فابكيه لأضياف غربة \* وأرملة تعوي تهوى لأشعث كالجذل

وبكيه للأقوام في كل شتوة \* إذا احمر آفاق السماء من المحل

وبكيه للأيتام والريح زفرة \* وتشبيب قدر طالما أزبدت تَغْلى

فإن تصبح النيران قد مات ضوؤها \* فقد كان يذكيهن بالحطب الجزل

لطارق ليل أو لملتمس القرى \* ومستنبح أضحى لديه على رسل

وقال طالب بن عبد المطلب يمدح رسول الله صلع ويبكي من اصاب من قريش :

ألا إن عيني أنفدت دمعها سكبا \* تبكَّىعلى كعب وما إن ترى كعبا

ألا إن كعبا في الحروب تخاذلوا \* وأرداهم ذا الدهر واجترحوا ذنبا

وعامر تبكي للملمات غدوة \* فيا ليت شعري هل أرى لهما قربا

هما أخوايَ لن يعدَّا لغية \* تعد ولن يستام جارهما غصبا (3/ 294)

فيا أخوينا عبد شمس ونوفلا \* فدا لكما لا تبعثوا بيننا حربا

ولا تصبحوا من بعد ود وألفة \* أحاديث فيها كلكم يشتكى النكبا

ألم تعلموا ما كان في حرب داحس \* وجيش أبي يكسوم إذ مَلؤوا الشعبا

فلولا دفاع الله لا شيء غيره \* لأصبحتم لا تمنعون لكم سربا

فما إن جنينا في قريش عظيمة \* سوى أن حمينا خير من وطىء التربا

أخا ثقة في النائبات مرزا \* كريما نثاه لا بخيلا ولا ذربا

يطيف به العافون يغشون بابه \* يؤمون بحرا لا نزورا ولا صربا

فوالله لا تنفك نفسي حزينة \* تململ حتى تصدقوا الخزرج الضربا

فلما رجع رسول الله صلع الى المدينة لم يقم بها الا سبع ليال ثم غزا بني سليم بالكدر فخرج صلع بنفسه يريد بني سليم ، فبلغ ماء من مياههم يقال له الكدر ، فاقام عليه ثلاث ليال ثم رجع صلع الى المدينة ولم يلق كيدا، فاقام بالمدينة شهر شوال وذي القعدة وافدى في اقامته تلك جل الاسرى من قريش ،

ثم كانت غزوة السويق وذلك انه لما رجع فلّ قريش حلف ابو سفيان بن امية بن حرب ان لا يمس رأسه ماء من جنابة حتى يغزو محمدا فخرج ابو سفيان في مائتي راكب من قريش ليبر يمينه بزعمه ، فسلك النجدية حتى نزل بصدر قناة الى جبل يقال له من المدينة على بريد أو نحوه ، ثم خرج من الليل ، حتى أتى بني النضير تحت الليل ، فأتى حيي بن أخطب ، فضرب عليه بابه ، فأبى أن يفتح له بابه وخافه ، فانصرف عنه إلى سلام بن مشكم ، وكان سيد بني النضير في زمانه ذلك ، وصاحب كنزهم ، فاستأذن عليه ، فأذن له ، فقراه وسقاه ، وبطن له من خبر الناس ، ثم خرج في عقب ليلته حتى أتى أصحابه ، فبعث رجالا من قريش إلى المدينة ، فأتوا ناحية منها ، يقال لها : العريض ، فحرقوا في أصوار من نخل بها ، ووجدوا بها رجلا من الأنصار وحليفا له في حرث لهما ، فقتلوهما ، ثم انصرفوا راجعين ، ونذر بهم الناس .فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم في طلبهم ، واستعمل على المدينة بشير بن عبدالمنذر ، وهو أبو لبابة ، فيما قال ابن هشام : حتى بلغ قرقرة الكدر ثم انصرف راجعا ، وقد فاته أبو سفيان وأصحابه ، وطرحوا ازوادهم لما فروا واكثره السويق، فوجد الناس سويقا كثيرا فبذلك سميت غزوة السويق .

ثم غزوة ذي امر

خرج رسول الله صلع الى نجد يريد غطفان ، فاقام بنجد صفرا في ذي امر كله ثم رجع الى المدينة ولم يلق قتالا ، فلبث شهر ربيع الاول الا قليلا منه .

ثم كانت غزوة الفرع من نجران

خرج رسول الله صلع يريد قريشا حتى بلغ نجران من ناحية الفرع ، فاقام به شهر ربيع الآخر وجمادى الاولى ولم يلق كيدا ، ثم رجع الى المدينة .

ثم كان امر بني قينقاع ، وكانوا من يهود ، وقد وادعهم رسول الله صلع ، فلما كانت وقعة بدر جمعهم رسول الله صلع بسوق بني قينقاع ، وقال لهم يا معشر يهود احذروا من الله مثل ما نزل بقريش من النقمة فاسلموا فانكم قد عرفتم اني مرسل تجدون ذلك في كتابكم وعهد الله اليكم ، فقالوا يا محمد لعلك ترى انا قومك لا يغزنك انك لقيت قوما لا علم لهم بالحرب فاصبت منهم فرصة ، والله ان حاربناك لتعلم انا نحن الناس ، وفيهم انزل الله تعالى : قل للذين كفروا ستغلبون وتحشرون الى جهنم وبئس المهاد، قد كانت لكم آية في فئتين التقتا فئة تقاتل في سبيل الله واخرى كافرة ترونهم مثليهم رأى العين ، والله يؤيد بنصره من يشاء ، ان في ذلك لعبرة لاولي الابصار.

وحدث من رجل منهم في سوقهم بعد ذلك حدث الى امرأة مسلمة ، فصاحت فوثب رجل من المسلمين فقتل يهوديا فشدت عليه اليهود فقتلته ، واستصرخ اهل المسلم المسلمين، وخرج اليهم رسول الله صلع فحاصرهم خمسة عشرة ليلة واجتمع امير المؤمنين علي ابن ابي طالب ع م وابطال المسلمين وقال ع م يا رسول الله صلع لندخلن عليهم عنوة فنزلوا على حكم رسول الله صلع وامكنه الله منهم فاعترضه فيهم عبد الله بن ابي بن سلول ، وكان من رؤساء المنافقين وقام دونهم ، وقال لرسول الله صلع لا ادع لك حتى تحسن في موالي الى اربعمائة حاسر وثلاثمائة دارع قد منعوني من الاحمر والا سود، فقال رسول الله صلع هم لك .

ثم كانت سرية زيد بن حارثة بعثه رسول الله صلع في سرية فاصاب عيرا لقريش فيها ابو سفيان بن حرب بن امية ومعهم فضة كثيرة واعجزهم الرجال هربا ، وقدم على رسول الله صلع بالعير وكانت قريش قد خافت طريقهم التي يسلكونها الى الشام حين كانت وقعة بدر فسلكوا طريق العراق ومنها اخذ زيد العير ، فقال حسان بن ثابت يؤنب قريشا في اخذهم تلك الطريق :

دعوا فلجات الشام قد حال دونها \* جلاد كأفواه المخاض الأوارك

بأيدي رجال هاجروا نحو ربهم \* وأنصاره حقا وأيدي الملائك

إذا سلكت للغور من بطن عالج \* فقولا لها ليس الطريق هنالك

ثم كان قتل كعب بن الاشرف ، وكان رجلا من طيء ثم من بني احد نبهان ، وكانت امه من بني النضير وكان لما اصيب اصحاب بدر وبلغه الخبر قال اترون محمدا قتل هؤلاء فهم اشراف العرب وملوك الناس ، والله ان كان محمدا قد اصاب هؤلاء لبطن الارض خير من ظهرها ، فلما تيقن ذلك جزع وخرج الى مكة وجعل يحرض على رسول الله صلع وينشد الاشعار ويبكي اهل القليب من قريش الذين اصيبوا ببدر، فمما قال شعرا :

طحنت رحى بدر لمهلك أهله \* ولمثل بدر تستهل وتدمع

قتلت سراة الناس حول حياضهم \* لا تبعدوا إن الملوك تصرع

كم قد أصيب به من أبيض ماجد \* ذي بهجة يأوي إليه الضُيَّع

طلق اليدين إذا الكواكب أخلفت \* حمال أثقال يسود ويربع

ويقول أقوام أُسرُّ بسخطهم \* إن ابن الاشرف ظل كعبا يجزع

صدقوا فليت الأرض ساعة قتِّلوا \* ظلت تسوخ بأهلها وتصدَّع

صار الذي أثر الحديث بطعنه \* أو عاش أعمى مرعشا لا يسمع

نبئت أن بني المغيرة كلهم \* خشعوا لقتل أبي الحكيم وجُدعوا

وابنا ربيعة عنده ومنبه \* ما نال مثل المهلكين وتبع

نبئت أن الحارث بن هشامهم \* في الناس يبني الصالحات ويجمع

ليزور يثرب بالجموع وإنما \* يحمى على الحسب الكريم الأروع

ورجع كعب بن الاشرف الى المدينة فشب بنساء المسلمين حتى آذاهم ، فقال رسول الله صلع من لي بابن الاشرف فقال محمد بن سلمة الانصاري: انا لك به يا رسول الله انا اقتله ، قال صلع : فافعل ان قدرت عليه ، فقال يا رسول الله لا بد لنا ان نقول ، قال فقولوا ما بدا لكم ، فانتم في حل من ذلك ، فانتدب معه في ذلك سلكان بن سلامة من بني عبد الاشهل وكان اخا كعب بن الاشرف من الرضاعة ، وعباد بن بشر والحرث بن اوس ، هؤلاء من بني عبد الشهل ، وابو عيس بن خير احد بني حارثة ، ثم قدموا على عدو الله كعب ابن الاشرف اخاه من الرضاعة سلكان فجاءه فتحدثا ساعة وتناشدا الشعر ، ثم قال يابن الاشرف قد علمت قدوم هذا الرجل علينا يعني رسول الله صلع ، وذلك من البلاء فيه عادتنا العرب وقطعت عنا السبيل حتى ضاع العيال ، فقال كعب : اما والله لقد كنت اخبرتك يا بن سلامة ان الامر سيصير الى ما اقول ، قال فاني قد اردتك ان تبيعنا طعاما ونرهنك رهنا ، قال ا ترهنون ابنائكم ، قال لقد اردت ان تفضحنا بين العرب ، ان معي اصحابا لي على مثل رأيي وقد اردت ان آتيك بهم ، وان نرهنك من الحلقة فيما نحتاج ما فيه وفاء ، وانما اراد ان لا ينكر عليهم السلاح، قال ان كان في الحلقة وفاء ، فرجع سلكان الى اصحابه وامرهم ان يأخذو السلاح ، واقبلوا فهتف به ابو امامة وهو سلكان وكان كعب في حصنه فنزل اليهم فتحدثوا معه نحوا مما حدثه سلكان ، وقالوا ان محمدا قد عادى بيننا وبين العرب فاصغى الى حديثهم وقالوا هل لك ان تخرج معنا ونتماشى الى شعب العجوز فنتحدث بقية ليلتنا هذه ، قال ان شئتم فخرجوا يتماشون ساعة ثم ان ابا امامة شام يده في فود رأسه ثم شم يده فقال ما رأيت كاليوم طيبا ، وكان ابن الاشرف قريب عهد بعرس ، ثم مشى ساعةً وعاد لمثلها حتى اطمأن ، ثم عاد لمثلها فاخذه بفود رأسه ثم قال لاصحابه اضربوا عدو الله فقتلوه ، وقد صاح عدو الله صيحة فلم يبق حصن من حصون يهود الا وقد عليها نار وقد اصابوا الحرث بن اوس بن معاذ حين اختلفت اسيافهم فاحتملوه ونجوا حتى اتوا رسول الله صلع وهو قائم يصلي ، فلما سلم خرج اليهم فاعلموه بقتل عدو الله فاثنى عليهم النبي صلع وجزاهم خيرا، وخافت يهود بعد ذلك خوفا شديدا.

وقال كعب بن مالك الانصاري في قتل كعب بن الاشرف لعنه الله شعرا :

فغودر منهم كعب صريعا \* فذلت بعد مصرعه النضير

على الكفين ثم وقد علته \* بأيدينا مشهرة ذكور

بأمر محمد إذ دس ليلا \* إلى كعب أخا كعب يسير

فما كره فأنزله بمكر \* ومحمود أخو ثقة جسور

وكان بعد وقعة بدر تزويج امير المؤمنين علي ابن ابي طالب بفاطمة بنت رسول الله صلع صلع

وكان ابو بكر وعمر قد خطباها فابى عليهما رسول الله صلع ، وقد سمعاه يذكرها بالفضل ويقول فاطمة بضعة مني ، وتحدث جماعة من اصحاب رسول الله صلع في ذلك وقالوا الم تروا ان رسول الله صلع يمتنع ان يزوج ابنته فاطمة ، فقال عمار بن ياسر ما نراه ذخرها الا لابن عمه علي ابن ابي طالب ، وكان علي ع م لم يتزوج ، قال عمار والزبير بن العوام وسعد بن عبادة هل لكم ان نكلم عليا في ذلك ، وجاؤا اليه وقال له عمار ما نرى احدا ممن هاجر الى المدينة الا وقد ولد له غلام من بعد هجرته الا انت وقال له عمار ان كنت انما منعك من ذلك قل ما في يديك من المال فهذا مالي خذ منه ما احببت ، قال له علي ع م يا ابا اليقظان

\*\*\*

يا ابا اليقظان ما افاء الله علي ببدر تركته لهذا الامر ، فقالوا لو ذكرت لرسول الله صلع ابنته فاطمة فانا نراه قد امتنع ان يزوجها احدا من اصحابه ، وما نظنه تركها لغيرك ، فقال علي ع م فاطمة امة من اماء الله وامرها بيد الله، وما لي لسان يدور في فم ان اذكرها لرسول الله صلع، واني لاستحيي منه ،

قالوا ومن احق بها منك ، ونحن نذكرها لرسول الله صلع ، ثم رجعوا الى رسول الله صلع فكلموه فهبط جبرئيل على النبي صلع فقال ان الله يأمرك ان تجيبهم الى ما سألوك فاني قد زوجت فاطمة من علي في وقت ما زوجت آدم وكان في ذلك قضائي وقد سبق به علمي في خيرتي من خلقي ، فتبسم رسول الله صلع وقال ان الله قد اجابكم الى ما سألتموه، فاذهب يا عمار فأتني بعلي ،

قال عمار فاتيت عليا،فاذا هو راكع وساجد يتضرع الى الله تعالى في امر فاطمة ع م فقلت يا سيدي ابشر وطب نفسا وقر عينا واجب رسول الله ، فاتى علي ع م الى رسول الله صلع ، فلما دخل عليه قال له يا علي اعن رأيك نطق الزبير وتلكم سعد وعمار، قال نعم يا رسول الله ، قال يا علي ان جبرئيل قد اخبرني ان الله قد وهب لك فاطمة ووهبك لها وقرنها بك وقرنك بها ، قما عندك من المهر ، قال ما ملكته يدي، قال رسول الله صلع وما ذلك ، قال علي ع م ما افاء الله علي يوم بدر تركته لذلك ، وهو عشرون اوقية من الفضة والذهب ، وناضحان فارهان وعبدان اسودان وفرسي للمبارزة ودرعي للقاء عدوي ، قال صلع يا علي لا تخرج من يدك ناضحين فارهين وعبدين اسودين ولا تزل عن فرسك ولا تخرج شيئا من سلاحك ، بل ائتني بما عندك من الذهب والفضة ثم عقد له رسول الله صلع بنكاح فاطمة ع م وامر النبي صلع فاشترى له كبش وسمن ودقيق وعجوة وصنع طعاما ثم امر مناديا فنادى في جوانب المدينة ان اجيبوا رسول الله صلع ، فاجتمع الناس اليه صلع واحصى من اكل الفا وستمائة والطعام على حاله ولم ينقص شيء ببركة رسول الله صلع وفضله .

وسمع رسول الله صلع نقر دف ، فقال ما هذا ؟ فقالت اسماء بنت عميس يا رسول الله صلع اردت ان افرح فاطمة لان لا تقول ماتت امي فلا اجد من يفرحني ، فقال يا اسماء ما الذي تقولين فقالت لا ادري ما اقول يا رسول الله صلع ، قال قولي: اتيناكم اتيناكم فحيونا نحييكم ، وما اشبه ذلك ،ولا تقولي هجرا ، ثم قال افرحك الله يا اسماء كما افرحت ابنتي ، وامر رسول الله صلع ان تزف فاطمة الى علي عليه السلام .

وباسناد المفضل بن محمد عن عبد الله بن العباس انه قال لما زفت فاطمة الى علي عليه السلام كان رسول الله صلع امامها ، وجبرئيل عن يمينها وميكائيل عن يسارها ، وسبعون الف ملك تزفها من خلفها يسبحون الله تعالى ويقدسونه حتى طلع الفجر .

وعن اسماء بنت عميس قالت كنت فيمن زف فاطمة الى علي ع م ، فلما دخلت بيتها اقبل رسول الله صلع حتى دخل عليها فدعىبماء فذكر اسم الله تعالى عليه ثم شرب منه ومجّ من الماء فيما بين درع فاطمة وبدنها ثم مج منه ايضا فيما بين سربال علي وبدنه ، قال اللهم احفظ اهل هذا البيت وبارك عليهم واجعلهم مباركين فيما كانوا ، ثم قال جزى الله اسماء وصويحباتها خيرا .

وعن احمد بن محمد الطبري باسناده عن انس بن مالك قال سألت امي عن فاطمة ع م فقالت بيضاء بضة ، كأنها القمر ليلة تمّه او الشمس اذا خرجت من السحاب ، وفضائل علي وفاطمة عليها السلام كثيرة مشهورة ، وروي ان النبي صلع لما تزوج عليا بفاطمة ع م قال اليوم ازدوج الاسلام والايمان، كانت زواجة علي عليه السلام بعد وقعة بدر وقبل وقعة احد بالاجماع.

كانت وقعة احد يوم السبت لنصف من شهر شوال وذلك انه لما كان فلّ قريش يوم بدر لم يزل ابو سفيان بن حرب يحرّض قريشا على حرب رسول الله صلع ويأمرهم ان ينقموا بثارهم وقال لهم يا معشر قريش ان محمدا قد وتركم وقتل خياركم فاعيوننا بهذا المال على حربه يعني الذي جاء به مع العير يوم بدر ففعلوا ذلك واجابوه اليه ففيهم وفيه انزل الله تعالى : والذين كفروا ينفقون اموالهم ليصدوا عن سبيل الله فسينفقونها ثم تكون عليهم حسرة ثم تغلبون والذين كفروا الى جهنم يحشرون فاجتمعت قريش لحرب رسول الله صلع حين فعل ذلك ابو سفيان واهل العير واحابيشها ومن اطاعها من قبائل كنانة وخرجت بحدّها وحديدها واحابيشها ومن اجابها من قبائل تهامة وخرجوا معهم بالظعن التماس الحفيظة ولئلا يفروا وخرج ابو سفيان بهند ابنة عتبة وهو قائد الناس وخرج عكرمة بن ابي جهل بام الحكيم بنت الحرث بن هشام بن المغيرة وخرج الحرث بن هشام بفاطمة ابنة الوليد بن عتبة ولم يتخلف من نساء قريش الا قليل، فاقبلوا حتى نزلوا بعينين بجبل ببطن السبخة من قناة على سفير الوادي مقابل المدينة ، فلما سمع بهم رسول الله صلع والمسلمون وقد نزلوا حيث نزلوا قال رسول الله صلع للمسلمين اني قد رأيت خيرا بقرا يذبح ، ورأيت في ذباب سيفي ثلما ، ورأيت اني دخلت يدي في درع حصينة فاولتها المدينة ، فاما البقر فاناس من اصحابي يقتلون ، واما الثلم في سيفي فرجل من اهل بيتي يقتل ، فان رأيتم ان تقيموا في المدينة وتدعوهم حيث نزلوا فان اقاموا فشر مقام وان هم دخلوا قاتلناهم فيها ، فوافقه على ذلك بعض اهل المدينة ، وقال بعضهم بل نخرج اليهم فنقاتلهم حيث لا يروع امرهم نساءنا وصبياننا ، وابوا ان يقبلوا قول رسول الله صلع ، فدخل منزله ولبس لامته ثم خرج مغضبا وامرهم بالخروج ، فلما رأوا ذلك منه قالوا يا رسول الله انا نخاف انا اسخطناك بخلافنا عليك على انفسنا فارجع وافعل ما رأيته ، فقال ان النبي اذا لبس لامته واخذ سلاحه لم يرجع حتى يقاتل ، وخرج رسول الله صلع في الف من اصحابه حتى اذا كانوا بالشوط بين المدينة واحد انخزل عبد الله بن ابي سلول بثلث الناس ، وقال اطاعهم وعصاني لا ندري علام نقتل انفسنا ههنا ، ايها الناس، فرجع بمن اتبعه من قومه من اهل النفاق والريب.

ومضى رسول الله صلع حتى اذا كان في خربة بني حارثة فذبّ فرس بذنبه واصاب كلاب سيفه فاستله ، فقال رسول الله صلع - وكان يحب الفأل ولا يعاتف- لصاحب السيف شِم سيفك فاني ارى السيوف ستسل اليوم .

ومضى رسول الله صلع حتى نزل الشعب من احد في عدوة الوادي الى الجبل فجعل ظهره وعسكره الى احد وقال لا يقاتل احد منكم حتى آمره بالقتال ، وقد سرّحت قريش الظهر والكراع في زروع كانت بالصمغة من قناة المسلمين، فقال رجل من الانصار اترعى زروع بني قيلة ولما نضارب؟ وتعبأ رسول الله صلع في سبعمائة رجل للقتال وامّر على الرماة عبد الله بن جبير اخا بني عمرو بن عوف، وكان الرماة خمسون رجلا وقال صلع انضخوا الخيل عنا بالنبل ، ولا يأتونا من خلفنا ان كانت علينا او كانت لنا ، واثبتوا الا نؤتى من مكانكم ،

وظاهر رسول الله صلع بين درعين وتعبأ قريش وهم ثلاثة الف ومعهم مائتا فارس،

واخذ رسول الله صلع سيفا فهزّه وقال من يأخذ هذا السيف بحقه ، قال الزبير انا يا رسول الله صلع فاعرض عنه ، قال ابو دجانة الانصاري وكان من ابطال الانصار وما حقه يا رسول الله صلع ، قال صلع لا يقف به الكيّول يعني اواخر الصفوف ، وان يضرب به في العدو حتى ينحني ، فقال انا آخذه يا رسول الله فاخذه ابو دجانة سماك بن خرشة بني ساعدة ، ثم اخرج عصابة حمراء فتعصب بها فقالت الانصار تعصب ابو دجانة بعصابة الموت ، وكان اذا تعصب كان ذلك من فعله ، ثم خرج يتبختر بين الصفين ، ويقول :

اني امرء عاهدني خليلي ونحن بالسفح لدى النخيل

ان لا اقوم الدهر في الكيول اضرب سيف الله والرسول

فقال رسول الله صلع حين رأى ابا دجانة يتبختر انها لمشية يغضبها الله الا في هذا الموطن ،

وقال ابو سفيان لاصحاب اللواء بني عبد الدار انكم قد تركتم اللواء يوم بدر فاتانا ما قد رأيتم ، فاما ان تكفونا لواءنا والا فخلوه ، نكفيكموه ، فهموا به وتواعدوه ، وقالوا انسلم اليك لواءنا ستعلم غدا ، وانما اراد بذلك ابو سفيان ان يحرضهم ، وجعلت هند بنت عتبة ونسوة معها ينقرن الدفوف ويحرضن المشركين وهند تقول :

نحن بنات الطارق نمشي على النمارق

ان تقبلوا نعانق ونفرش النمارق

او تدبروا نفارق فراق غير وامق

عرس الموالي طالق والعار منه لاحق

وقالت ايضا تحرض:

صبرا بني عبد الدار ايها حماة الادبار

ضربا بكل بتار

وكان شعار اصحاب رسول الله صلع يوم احد يا منصور امت امت وامت ايها لا هوادة ولا لين

واقتتل الناس حتى حمي الحرب ، وقاتل ابو دجانة حتى امعن في الناس ، قال الزبير بن العوام وجدت في نفسي حين سألت رسول الله صلع السيف فاعطاه ابا دجانة ، وقلت انا ابن صفية عمته ومن قريش ، والله لانظرن ما يصنع ابو دجانة ، قال فتبعته فجعل لا يلقى احدا حتى يقتله ، وكان من المشركين رجلا لا يدع من المسلمين جريحا الا دفف عليه ، فجعل كل واحد منهما يدنو من صاحبه ، وسألت الله ان يجمع بينهما فالتقيا فاختلفا ضربتين فضرب ابو دجانة فاتقاه بالدرقة ، فعضت بسيفه وضربه ابو دجانة فقتله ، ثم رأيته قد حمل السيف على رأس هند بنت عتبة فولولت ، فمال عنها ابو دجانة وقال : اكرمت سيف رسول الله صلع ان اضرب به امرأة .

وقاتل حمزة بن عبد المطلب عليه السلام حتى قتل ارطاة بن عبد شرجيل بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار وكان احد النفر الذين يحملون اللواء، ثم مرّ به عتاب بن عبد العزّى الغبساني وكان يكنى ابا نيار، فقال حمزة هلمّ الي يابن مقطعة البظور ، وكانت امه تخفض الجواري ، فلما التقيا ضربه حمزة فقتله ، والتحم القتال وابلى علي وحمزة عليهما السلام في المشركين بلاء شديدا ، ونادى طلحة بن ابي طلحة صاحب لواء المشركين يا اصحاب محمد انكم تزعمون ان من قتل منا كان في النار ، ومن قتل منكم كان في الجنة فايكم يعجلني الى النار واعجله الى الجنة ، فبرز اليه علي ابن ابي طالب ع م ، فقال انا والله لا افارقك حتى اعجلك الى النار ان شاء الله تعالى وحمل بعضها على بعض وهما مدججان فانحسرت الدرع عن ساق طلحة فضربه علي ع م بالسيف فابان رجله ، وقام على رأسه يريد ان يقتله فناشده الله والرحم ، وقال علي ع م لما ناشدني الله والرحم استحييت ان اقتله فتركته وقد علمت انه لا يعيش ، ومات طلحة من تلك الضربة ، واخذ اللواء بعده سعد بن طلحة بن طلحة فقتله سعد بن ابي وقاص ، ثم اخذ اللواء عثمان بن طلحة فقتله حمزة عليه السلام ، ثم اخذ اللواء مسافع بن طلحة فقتله عاصم بن ثابت بن الافلح وصدق المسلمون القتال واثخنوا في المشركين بالقتل والجراح ، فانهزم المشركون، فلما رأى الرماة الهزيمة خلوا ما امرهم به رسول الله صلع من لزوم مراكزهم واتبعوا العدو يريدون الغنائم وقالوا قد فاتتنا الغنائم يوم بدر ، فلما انكشفت الرماة عن رسول الله صلع كر ابو سفيان وخالد بن الوليد والمشركون.

ونظر وحشي غلام جبير بن مطعم الى حمزة ع م وهو يهدر كالفينق لا يدنو اليه احد من المشركين الا قتله وكان جبير قد قال لوحشي ان قتلت حمزة عم محمد بعمي يعني طعيمة بن عدي فانت حر ، وبذلت له هند نفسها ان قتل حمزة فاستتر وحشي لحمزة ع م بشجرة حتى اذا اقبل سباع بن عبد العزى وثب عليه حمزة ع م فقتله واعترضه وحشي فارسل حربته فوقعت في ثـنّـة حمزة، وحمل حمزة يريده فغلب وسقط عليه السلام.

وقتل المشركون مصعب بن عمير وبيده رأية الانصار بين يدي رسول الله صلع والتقى حنظلة بن عامر الغسيل بابي سفيان، فلما استعلاه حنظلة بالسيف يريد ان يضرب هامته وثب اليه شداّد الاسود وهو ابن شعوب وقتله قبل ان يصل الى ابي سفيان وسمّي الغسيل لقول رسول الله صلع رأيت الملائكة تغسل حنظلة بن عامر ، وكان حين خرج للقتال وهو جنب لم يغتسل ، ولما قتله حنظلة قال ابو سفيان اعل هبل حنظلة بحنظلة يريد ابنه ، وكان قتل يوم بدر قتله علي ع م فقال رسول الله صلع اعلى واجل ولاسواء ، قتلانا في الجنة وقتلاكم في النار ، وكان لواء المشركين قد وقع حين قتل منهم من اهله من ذكرنا فاخذته عمرة بنت علقمة الحارثية لقريش، وكان اللواء مع صواب غلام لقريش فقاتل حتى قتل وهو يقول الله هل اعززت يعني اعذرت ، وفي ذلك يقول حسان بن ثابت الانصاري :

فخرتم باللواء وشر فخر \* لواء حين رد إلى صؤاب

جعلتم فخركم فيه بعبد \* وألأم من يطا عفر التراب

ظننتم والسفيه له ظنون \* وما إن ذاك من أمر الصواب

بأن جلادنا يوم التقينا \* بمكة بيعكم حمر العياب

أقر العين أن عصبت يداه \* وما إن تعصبان على خضاب

وقال حسان في شان عمرة بنت علقمة الحارثية :

إذا عضل سيقت إلينا كأنها \* جداية شرك معلمات الحواجب

أقمنا لهم طعنا مبيرا منكلا \* وحزناهم بالضرب من كل جانب

فلولا لواء الحارثية أصبحوا \* يباعون في الأسواق بيع الجلائب

ولما خلا الرماة عن مراكزهم وخالفوا قول رسول الله صلع حمل المشركون فانهزم المسلمون وصرخ ازبّ البقعة الا ان محمدا قد قتل ، ولقي عمرا وهو منهزم انس بن النضير فقال له قتل رسول الله صلع فقال انس فما تصنعون بالحيوة بعده ، ارجعوا فموتوا على ما مات عليه رسول الله صلع ، ثم استقبل القوم فقاتل حتى قتل رحمة الله عليه ، وبقي رسول الله صلع وحده وقتل المشركون من كان بين يديه وجرحوه وكسروا ثنيته اليمنى السفلى، وكلموا شفته ، وهضموا البيضة على رأسه ، وضربوه نيفا وستين ضربة، وكان صلى الله عليه وعلى آله قد ظاهر بين درعين ،

واقبل علي ع م وقد وقع رسول الله صلع في حفرة فاخذ بيده علي ع م ورفعه فوقف رسول الله صلع على صخرة وبقي علي ع م بين يديه وحده وقد انكشف عنه الناس ، فقال امض يا علي فقال الى اين امضي يا رسول الله أارجع كافرا بعد ان اسلمت ، فكانت كراديس المشركين يأتيهما فيحمل رسول الله صلع على بعضها ويقول يا علي احمل على هؤلاء الآخرين فيكشفان ما اتاهما ويردانهم بعد ان يبليان فيهم وكان منهما ع م في ذلك اليوم ما لم يكن من احد قبلهما حتى كشف الله تعالى المشركين وهزمهم بهما .

ومن ذلك ما روي عن ابي رافع انه قال لما كان يوم احد وكان من امر الناس ما كان وانكشف الناس عن رسول الله صلع نظر الى كتيبة مقبلة فقال يا علي احمل على هذه الكتيبة فحمل عليها فقتل منها هشام بن امية المخزومي وكشفها ، ثم اقبلت كتيبة ثانية فقال له احمل عليها فقتل منها عمرو بن عبد الله الجمحي وكشفها ، ثم اقبلت كتيبة ثالثة فقال احمل عليها فقتل منها شيبة بن مالك اخا بني عامر بن لوي، ولما رأوا جبرئيل ما يصنع علي ع م دون رسول الله صلع قال يا محمد ان هذه للمواساة ، فقال يا جبرئيل انه مني وانا منه ، فقال جبرئيل وانا منكما يا محمد ، فسمي هاشمي الملائكة ، وسمع مناد ينادي من السماء لا سيف الا ذو الفقار ولا فتى الا علي ،

ولما ثبت علي ع م تراجع المسلمون الى رسول الله صلع،

ورمى دونه سعد بن ابي وقاص،

واتى مالك بن سنان وهو ابو سعيد الخدري فمص الدم من وجه رسول الله صلع ثم ازدرده ، فقال رسو ل الله صلع من مسّ دمي دمه لم تصبه النار ،

ودخلت الحلقتان من حلق المغفرة في وجنة رسول الله صلع فانتزعهما ابو عبيدة باسنانه فسقطت ثنيتاه لشدتهما ،

ورمى رسول الله صلع عن قوسه حتى اندقت سيتها ، ،

واتى ابن خلف وهو يقول اين محمد لا نجوت ان نجى ، فقال علي بن ابي طالب يا رسول الله هذا ابي بن خلف اقوم اليه ، فقال رسول الله صلع بل انا اقوم اليه فامسكه علي ع م ومن معه اشفاقا عليه فانتفض من ايديهم انتفاضة تطايروا منها حوله واخذ حربة كانت بايدي احدهم ثم استقبله فطعنه طعنة في عنقه كاد ان يسقط لها عن فرسه وولى هاربا وكان قد لقي رسول الله صلع بمكة فقال يا محمد لئن لم تنته عما انت عليه لاقتلنك فنظراليه رسول الله صلع فقال بل انا والله اقتلك ان شاء الله تعالى ، فلما لحق باصحابه جعل يتغاشى فقالوا ما بك من بأس ، فما الذي انخب فؤادك انما هو خذش ، فقال ويحكم انه قال بمكة انه يقتلني، ولو بصق علي لقتلني ، فمات عدو الله بشرف وهم قافلون الى مكة ،

وقيل ان رسول الله صلع يومئذ صلى باصحابه جالسا لما به من الم الجراح وامر من صلى معه من المسلمين ان يصلوا جلوسا ، وقيل ان الذي كسر رباعية رسول الله صلع وكلم شفته عتبة بن ابي وقاص مرى بحجر فاصابه ذلك منه ، وان شهاب بن عبد الله الزهري شجّه في جبهته ، وان ابن ابي قمية الحارثي الذي جرحه في وجنته ،

واخذ رسول الله صلع كفا من حصى فرمى به المشركين فانهزموا عنه وتولوا، وتراجع المسلمون وكان يوم بلاء وتمحيص واصيب حمزة قد مثل به وشقت هند عن كبده فاخرجتها ولاكتها فاخرجتها ولاكتها ، فلما رآه رسول الله صلع احزنه ، وقال لئن اظهرني الله عليهم لامثلن منهم بسبعين رجلا ، فانزل الله تعالى وان عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به ولئن صبرتم لهو خير للصابرين، واغتم المسلمون بما اصيبوا ، فانزل الله او لما اصابتكم مصيبة قد اصبتم مثليها قلتم انى هذا قل هو من عند انفسكم ، يعني ما خالفوا فيه رسول الله صلع من خروجهم عن المدينة ثم لتخلية الرماة مراكزهم ، وامر رسول الله صلع بدفن القتلى في مصارعهم ، وقالت هند الخبيثة في قتل حمزة :

شفيت من حمزة نفسي بأحد \* حتى بقرت بطنه عن الكبد

أذهب عني ذاك ما كنت أجد \* من لذعة الحزن الشديد المعتمد

والحرب تعلوكم بشؤبوب برد \* تقدم إقداما عليكم كالأسد

وقالت ايضا :

نحن جزيناكم بيوم بدر \* والحرب بعد الحرب ذات سعر

ما كان عن عتبة لي من صبر \* ولا أخي وعمه بكري

شفيت نفسي وقضيت نذري \* شفيت وحشي غليل صدري

فشكر وحشي عليَّ عمري \* حتى ترمَّ أعظمي في قبري

فاجابتها هند بن اثاثة بن عبط المطلب بن عبد مناف :

خزيت في بدر وبعد بدر \* يا بنت وقاع عظيم الكفر

صبحك الله غداة الفجر \* ملهاشميين الطوال الزهر

بكل قطاع حسام يفري \* حمزة ليثي وعلي صقري

إذ رام شيب وأبوك غدري \* فخضبا منه ضواحي النحر

ونذرك السوء فشر نذر \* اعطيت وحشيا ضمير الصدر

هتك وحشي حجاب الستر\* ما للبغا ما بعدها من فخر

وقيل ان هند كانت بذلت نفسها لوحشي ان قتل حمزة وكانت من العواهر ، وفيها يقول حسان بن ثابت :

لعن الاله و زوجها معها هند الهنود عظيمة البظر

اخرجت مرقصة الى احد بابيك وابنك يوم ذي بدر

وقيل ان رسول الله صلع لما وقف على حمزة ورأى ما مثلوا به قال ما وقفت موقفا قط اغيظ علي من هذا الموقف ، وهبط جبرئيل فقال يا محمد انه مكتوب في اهل السموات ان حمزة اسد الله واسد رسوله ، ثم امر به رسول الله صلع فسجي ببرده ثم صلى عليه فكبر سبع تكبيرات ، ثم اتي بالقتلى فكانوا يوضعون الى حمزة فيصلي عليهم رسول الله صلع وعلى حمزة معهم حتى صلى عليه اثنين وسبعين صلوة ، وقيل لرسول الله صلع ان صفية بنت عبد المطلب جاءت للنظر الى اخيها حمزة ، فقال للزبير القها فارجعها ولا ترى ما باخيها فيشتد جزعها فلقيها فقال يا اماه ان رسول الله صلع يأمرك ان ترجعي ، قالت ولم قد بلغني انه مثّل باخي ، وذلك في مرضاة الله عز وجل ولاحتسبن ولاصبرن ان شاء الله ، فقال رسول الله صلع خلوا بينها وبينه فاتت فنظرت اله وصلت عليه واستغفرت له ورجعت ثم امر به رسول الله صلع فدفن في مصرعه وامر بالقتلى فدفنوا كذلك في مصارعهم ، وقال انا شهيد على هؤلاء ما يخرج احد في ذات الله الا وهو يبعثه يوم القيامة بدم جرحه اللون لون دم والريح ريح مسك.

ورجع رسول الله صلع الى المدينة وانصرف الناس معه ، فلما دخل المدينة مرّ ببيوت الانصار وهم يبكون قتلاهم فذرفت عيناه وقال ولكن حمزة لا بواكي له ، فامر الانصار نساءهم ان يأتين المسجد فيبكين عليه ففعلن وخرج رسول الله صلع وهن يبكين حمزة على باب المسجد فقال لهن ارجعن وحمكن الله فقد آسيتن بانفسكن ونهاهن عن النوح ولما دخل رسول الله صلع الى منزله فتلقته فاطمة عليها السلام فدفع اليها سيفه وقال اغسلي يا بنية ما فيه من الدم فلقد صدقني اليوم واعطاها علي ص ع ذا الفقار وقال لها مثل ذلك، وقال عليه السلام :

ا فاطم حاك السيف غير ذميم فلست برعديد ولا بلئيم

لعمري لقد قاتلت في حب احمد وطاعة رب بالعباد رحيم

وسيفي بكفي كالشهاب اهزّه اجزّ به كم عاتق وصميم

فما زلت حتى فضّ ربي جموعهم وحتى شفيت نفس كل حكيم

ولما كان اليوم الثاني من احد يوم الاحد سار من عشرين شهر شوال اذن رسول الله صلع في الناس بطلب العدو، والا يخرج معه الا من خرج في اليوم الاول فلم يتخلف عنه احد ، وانتهى رسول الله صلع الى حمراء الاسد وهي من المدينة على ثلاثة اميال ، فاقام بها الاثنين والثلثاء ثم رجع الى المدينة وقد مرّ به معبد بن ابي معبد الخزاعي ، وكانت خزاعة مشركهم ومسلمهم نصحاء رسول الله صلع ومعبد يومئذ مشرك ، فقال يا محمد اما والله لقد عز علينا ما اصابك في اصحابك ، ثم سار ورسول الله صلع بحمراء الاسد حتى لقي ابا سفيان ومن معه بالروحاء ، وقد اجمعوا للرجعة الى رسول الله صلع واصحابه وقالوا اصبنا جل اصحابه وقادتهم واشرافهم ، ثم نرجع قبل ان نستأصلهم ونكر على بقيتهم فنفرغ منهم ، فلما رأى ابو سفيان معبدا قال ما وراءك يا معبد ، قال محمد في اصحابه يطلبكم في جمع لم ار مثله قط يتحرقون عليكم تحرقا وقد اجتمع معه من كان تخلف عنه في يومكم وندموا على ما صنعوا فيهم من الحنق عليكم شيء لم ار مثله قط ، قال ويلك ما تقول؟ قال والله ما ارى ان ترتحل حتى ترى نواصي الخيل ، فقال والله لقد اجمعنا الكرة عليهم لنستأصل بقيتهم ، قال فاني انهاك عن ذلك ، والله لقد حملني ما رأيت على ان قلت فيهم ابياتا من شعر ، قال وما قلت؟ قال قلت :

كادت تهد من الأصوات راحلتي \* إذ سألت الأرض بالجرد الأبابيل

تردي بأسد كرام لا تنابلة \* عند اللقاء ولا ميل معازيل

فظلت عدوا أظن الأرض مائلة \* لما سمو برئيس غير مخذول

فقلت ويل ابن حرب من لقائكم \* إذا تغطمطت البطحا بالجيل

إني نذير لأهل البسل ضاحية \* لكل ذي إربة منهم ومعقول

من جيش أحمد لا وخش تنابلة \* وليس يوصف ما أنذرت بالقيل

فانحنى ابو سفيان ومن معه راجعين الى مكة ، قال النبي صلع حين بلغه رجوعهم وهو بحمراء الاسد : والذي نفس محمد بيده لقد سوّمت لهم حجارة لو صبحوا بها كانوا كالامس الذاهب ، ولقي رسول الله صلع في وجهه ذلك معوية بن المغيرة بن ابي العاص بن امية بن عبد شمس وهو جد عبد الملك بن مروان ابو امه عائشة بنت معاوية ، فقال صلع يا زبير اضرب عنقه فضرب عنقه الزبير ، وقيل ان عثمان اراد ان يجيره، فامر رسول الله صلع زيد بن حارثة وعمار بن ياسر فضربا عنقه ، والله اعلم .

ورجع رسول الله صلع الى المدينة ، والذين استشهدوا يوم احد سبعون رجلا اربعة منهم من المهاجرين فيهم حمزة بن عبد المطلب سيد الشهداء ، وبقيتهم من الانصار ، وقتل من المشركين اثنان وعشرون رجلا قتل رسول الله صلع عمرو بن عبد الله بن عمير بن وهب بن حذافة بن جمح صبرا ، وقتل صلع ابي بن خلف من بني جمح ، وقتل علي بن ابي طالب طلحة بن ابي طلحة وابا سعد بن ابي طلحة وقيل قتله سعد بن ابي وقاص ، وهما من بني عبد الدار ، وصواب غلام لهم حبشي قتله علي ابن ابي طالب ، وابو امية ابن ابي حذيفة بن المغيرة من بني مخزوم قتله علي ابن ابي طالب ع م ، وعبد الله بن حميد بن زهير من بني اسد بن عبد العزى بن قصي بن كلاب قتله علي بن ابي طالب ، والحكم بن الاخنس بن زهرة بن كلاب قتله علي ابن ابي طالب ، وعثمان بن ابي طلحة قتله حمزة بن عبد المطلب ، وهو من بني عبد الدار ، وارطاة بن شرجيل بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار قتله حمزة بن عبد المطلب ، وسباع بن عبد العزى الخزاعي قتله حمزة بن عبد المطلب ، والباقون من قتلى المشركين مسافع والحلاس ابنا طلحة بن عبد الدار قتلهما عاصم بن ثابت بن ابي الافلح ، والحرث بن طلحة قتله قزمان رجل من الانصار ، وكلاب بن طلحة من بني عبد الدار قتله عبد الرحمن بن عوف، وابو زيد بن عمير بن عبد الله قتله قزمان ، وهذ قزمان حليف لبني ظفر من الانصار، والقاسط بن شريح قتله قزمان ،

قال في سيرة ابن هشام وكان رسول الله صلع يقول قزمان من اهل النار ، قال فلما كان يوم احد قاتل المشركين قتالا شديدا فقتل وحده ثمانية او سبعة من المشركين ، وكان ذا بأس فاثبتته الجراح فاحتمل الى دار بني ظفر ، قال فجعل رجال من المسلمين يقولون والله لقد ابليت اليوم يا قزمان فابشر ، قال بما اذا ابشر فوالله ما قاتلت الا على احساب قومي ، ولولا ذلك ما قاتلت ، فلما اشتدت عليه جراحته اخذ سهما من كنانته فقتل نفسه.

وقال علي ابن ابي طالب عليه السلام يوم احد :

الحمد لله رب الواحد الصمد فليس يشركه في حكمه احد

هو الذي عرف الكفار كفرهم والمسلمون سيجزيهم بما وعدوا

فان تكن دولة كانت لهم عظة فهل عسى ان يرى في غبها رشد

وينصر الله من والاه انّ له نصرا ويمكن بالكفار ان عندوا

وان نطقتم بفخر لا ابا لكم فيمن تضمن من اخواننا احد

فان طلحة غادرناه منجدلا وللصفائح نار بيننا تقد

فالمرء عثمان اردته اسنتنا نجيب زوجته من فقده قدد

في تسعة ولواء بين اظهرهم لم ينكلوا ن حياض الموت اذ وردوا

كانوا الذوابة من فهر واكرمها حيث الانوف وحيث الفرع والعدد

واحمد الخير قد اردى على عجل تحت العجاج ابيّا وهو مجتهد

فظلت الطير والعقبان تنهشه فحامل بضعة منه ومعتمد

ومن قتلتم على ما كان من عجل منا فقد صادفوا خيرا وقد سعدوا

لهم جنان م الفردوس طيبة لا يعتريهم بها حر ولا صرد

صلى الاله عليهم كلما ذكروا فرب مشهد صدق قبله شهدوا

قوم وفوا لرسول الله واحتسبوا شم العرانين منهم حمزة الاسد

ومصعب ظل ليثا دونه حردا حتى تزمل منه ثعلب جسد

ليسوا لقتلى من الكفار ادخلهم نار الجحيم على ابوابها الرصد

وقال عليه السلام في ذلك :

رأيت المشركين بغوا علينا ولجوا في الغواية والضلال

وقالوا نحن اكثر اذ نفرنا غداة الروع بالاسل النهال

فان يبغوا ويفتخروا علينا بحمزة وهو في الغرف العوالي

فقد اودى بعتبة يوم بدر وقد ابلى وجاهد في المجال

وقد غادرت كبشهم طريحا بحمد الله طلحة في المجال

فناء لوجهه ورفعت عنه رقيق الحد حودث بالصقال

كان الملح خالطه اذا ما تلظى كالعقيقة في الظلال

وقال حسان بن ثابت يذكر عدة اصحاب اللواء يوم احد :

منع النوم بالعشاء الهموم \* وخيال إذا تغور النجوم

من حبيب أضاف قلبك منه \* سقم فهو داخل مكتوم

يا لقومي هل يقتل المرء مثلي \* واهن البطش والعظام سؤوم

لو يدب الحوَّلى من ولد الذر \* عليها لأندبتها الكلوم

شأنها العطر والفراش ويعلوها \* لجين ولؤلؤ منظوم

لم نفتها شمس النهار بشيءٍ \* غير أن الشباب ليس يدوم

إن خالى خطيب جابيه الجو \* لان عند النعمان حين يقوم

وأنا الصقر عند باب ابن سلمى \* يوم نعمان في الكبول سقيم

وأبيٌّ وواقد أطلقا لي \* يوم راحا وكبلهم مخطوم

ورهنت اليدين عنهم جميعا \* كل كفّ جزء لها مقسوم

وسطت نسبتي الذوائب منهم \* كل دار فيهما أب لي عظيم

وأبي في سميحة القائل الفأصل \* يوم التقت عليه الخصوم

تلك أفعالنا وفعل الزبعرى \* خامل في صديقه مذموم

رب حلم أضاعه عدم المال \* وجهل غطا عليه النعيم

لا تسبنني فلست بسبي \* إن سبي من الرجال الكريم

ما أبالي أنبَّ بالحزن تيس \* أم لحاني بظهر غيب لئيم

ولي البأس منكم إذ رحلتم \* أسرة من بني قصي صميم

تسعة تحمل اللواء وطارت \* في رعاع من القنا مخزوم

وأقاموا حتى أبيحوا جمعيا \* في مقام وكلهم مذموم

بدم عانك وكان حفاظا \* أن يقيموا إن الكريم كريم

وأقاموا حتى أزيروا شعوبا \* والقنا في نحورهم محطوم

وقريش تفر منا لواذا \* أن يقيموا وخف منها الحلوم

لم تطق حملة العواتق منهم \* إنما يحمل اللواء النجوم

وقيل ان حسان قال هذه القصيدة ليلا ودعى قومه وقال خشيت ان يدركني اجلي قبل ان اصبح فلا ترووها عني ، وقيل انها افصح شعره،

وقال ايضا حسان يبكي حمزة بن عبد المطلب عليه السلام شعرا :

يا ميَّ قومي فاندبن \* بسحيرة شجو النوائح

كالحاملات الوقر بالثقل \* الملحات الدوالح

المعولات الخامشات \* وجوه حرات صحائح

وكأن سيل دموعها الأنصاب \* تخضب بالذبائح

بنقضن أشعرا لهن \* هناك بادية المسائح

وكأنها أذناب خيل \* بالضحى شمس روامح (4/ 107)

من بين مشزور ومجزور \* يذعذع بالبوارح

يبكين شجوا مسلبات \* كدحتهن الكوادح

ولقد أصاب قلوبها مجل له جلب قوارح \*

إذ أقصد الحدثان من \* كنا نرجي إذ نشائح

أصحاب أحد غالهم \* دهر ألم له جوارح

من كان فارسنا وحامينا \* إذا بعث المسالح

يا حمزة لا والله لا \* أنساك ما صر اللقائح

لمناخ أيتام وأضيــ \* ــاف وأرملة تلامح

ولما ينوب الدهر في \* حرب لحرب وهي لاقح

يا فارساً يا مدرها \* يا حمز قد كنت المصامح

عنَّا شديدات الخطوب \* إذا ينوب لهن فادح

ذكرتني أسد الرسول \* وذاك مدرهنا المنافح

عنا وكان يعد إذ \* عد الشريفون الجحاجح

يعلو القماقم جهرة \* سبط اليدين أغر واضح

لا طائش رعش ولا \* ذو علة بالحمل آنح (4/ 108)

بحر فليس يغيب جاراً \* منه سيب أو منادح

أودي شباب أولي الحفائظ \* والثقيلون المراجح

المطعمون إذا المشاتي \* ما يصففهن ناضح

لحم الجلاد وفوقه \* من شحمه شطب شرائح

ليدافعوا عن جارهم \* ما رام ذو الضغن المكاشح

لهفي لشبان رزئناهم \* كأنهم المصابح

شم بطارقة غطارفة \* خضارمة مسامح

المشترون الحمد بالأموال \* إن الحمد رابح

والجامزون بلجمهم \* يوما إذا ما صاح صائح

من كان يرمي بالنواقر \* من زمان غير صالح

ما إن تزال ركابه \* يرسمن في غبر صحاصح

راحت تبارى وهو في \* ركب صدورهم رواشح

حتى تئوب له المعالي \* ليس من فوز السفائح

يا حمزة قد أوحدتني \* كالعود شذَّ به الكوافح

أشكو إليك وفوقك الترب \* المكور والصفائح

من جندل نلقيه فوقكم \* إذ أجاد الضرح ضارح

في واسع يحشونه \* بالترب سوَّته المماسح

فغزاؤنا أنا نقول \* وقولنا برح بوارح

من كان أمسى وهو عما \* أوقع الحدثان جانح

فليأتنا فلتبك عيناه \* لهلكانا النوافح

القائلين الفاعلين \* ذوي السماحة والممادح

من لا يزال ندى يديه له \* طوال الدهر مائح

قال الحجاج بن علاط السلمي يمدح امير المؤمنين علي ابن ابي طالب ع م ويذكر قتل طلحة بن ابي طلحة صاحب لواء المشركين يوم احد :

لله أي مذبب عن حرمة \* أعني ابن فاطمة المعمَّ المخولا

سبقتْ يداك له بعاجل طعنة \* تركت طليحة للجبين مجدّلا

وشددتَ شدة باسل فكشفتهم \* بالجر إذ يهوون أخول أخولا

وقال كعب بن مالك يرثي اخاة حمزة ع م شعرا :

طرقت همومك فالرقاد مَسَهَّدُ \* وجزعت أن سُلخ الشباب الأغيد

ودعت فؤادك للهوى ضمرية \* فهواك غوري وصحوك منجد

فدع التمادى في الغواية سادرا \* قد كنت في طلب الغواية تفند

ولقد أنى لك أن تناهى طائعا \* أو تستفيق إذا نهاك المرشد

ولقد هددت لفقد حمزة هدة \*ظلت بنات الجوف منها ترعد

ولو أنه فجعت حراء بمثله \* لرأيت راسي صخرها يتبدد

قرم تمكَّنَ في ذؤابة هاشم \* حيث النبوة والندى والسودد

والعاقر الكوم الجلاد إذا غدت \* ريح يكاد الماء منها يجمد

والتارك القرن الكمي مجدلا \* يوم الكريهة والقنا يتقصد

وتراه يرفل في الحديد كأنه \* ذو لبدة شئن البراثن أربد

عم النبي محمد وصفيه \* ورد الحمام فطاب ذاك المورد

وأتى المنية معلماً في أسرة \* نصروا النبي ومنهم المستشهد

ولقد أخال بذاك هندا بشرت \* لتميت داخل غصة لا تبرد

مما صبحنا بالعقنقل قومها \* يوما تغيب فيه عنها الأسعد (4/ 112)

وببئر بدر إذ يرد وجوههم \* جبريل تحت لوائنا ومحمد

حتى رأيت لدى النبي سراتهم \* قسمين يقتل من نشاء ويطرد

فأقام بالعطن المعطن منهم \* سبعون : عتبة منهم والأسود

وابن المغيرة قد ضربنا ضربة \*فوق الوريد لها رشاش مزبد

وأمية الجمحي قوَّم ميله \* عضب بأيدي المؤمنين مهند

فأتاك فلُّ المشركين كأنهم \* والخيل تثفنهم نعام شرد

شتَّان من هو في جهنَّم ثاويا \* أبدا ومن هو في الجنان مخلَّد

وقال حسان بن ثابت يبكي حمزة عليه السلام :

أتعرف الدار عفا رسمها \* بعدك صوب المسبل الهاطل

بين السراديح فأدمانة \* فمدفع الروحاء في حائل

ساءلتها عن ذاك فاستعجمت \* لم تدر ما مرجوعة السائل

دع عنك داراً قد عفا رسمها \* وابك على حمزة ذي النائل

المالئ الشيزي إذا أعصفت \* غبراء في ذي الشَّبم الماحل

والتارك القرن لدى لبدةٍ \* يعثر في ذي الخروص الذابل

واللابس الخيل إذ اجحمت \* كالليث في غابته الباسل

أبيض في الذروة من هاشم \* لم يمر دون الحق بالباطل

مال شهيدا بين أسيافكم \* شلت يدا وحشي من قاتل

أي امرىء غادر في أله \* مطرورة مارنة العامل

أظلمت الأرض لفقدانه \* واسود نور القمر الناصل

صلى عليه الله في جنة \* عالية مكرمة الداخل

كنا نرى حمزة حرزا لنا \* في كل أمر نابنا نازل

وكان في الإسلام ذا تدرأ \* يكفيك فقد القاعد الخاذل

لا تفرحي يا هند واستجلبي \* دمعا وأذري عبرة الثاكل

وابكي على عتبة إذ قطه \* بالسيف تحت الرهج الجائل

إذا خر في مشيخة منكم \* من كل عات قلته جاهل

أرداهم حمزة في أسرة \* يمشون تحت الحلق الفاضل

غداة جبريل وزير له \* نعم وزير الفارس الحامل

وقدم على رسول الله صلع رهط من عضل والقارة بعد وقعة احد والقارة بنو الهون بن خزيمة بن مدركة فقالوا يا رسول الله ابعث معنا من اصحابك من يفقهنا في الدين ويعلمنا القرآن ، فان فينا اسلاما فبعث رسول الله صلع معهم ستة من اصحابه وهم مرثد بن ابي مرثد الغنوي حليف حمزة ع م وخالد بن النكير الليثي حليف بني عدي بن كعب وعاصم بن ثابت بن ابي الافلح اخو بني عمر ابن عوف بن مالك بن الاوس وخبيب بن عدي ، أخو بني جحجبى بن كلفة بن عمرو بن عوف وزيد بن الدثنة بن معاوية ، (4/ 123) أخو بني بياضة بن عمرو بن زريق بن عبد حارثة بن مالك بن غصب بن جشم بن الخزرج ، وعبدالله بن طارق ، حليف بني ظفر بن الخزرج بن عمرو بن ملاك بن الأوس

وامّر رسول الله صلع عليهم مرثد بن ابي مرثد الغنوي فخرج القوم حتى اذا كانوا على الرجيع ماء لهذيل بناحية الحجاز غدروا بهم واستصرخوا عليهم هذيلا فلم يرع القوم وهم في رحالهم الا الرجال بايديهم السيوف قد الموا بهم فاخذوا سيوفهم ليقاتلوا القوم ، فقالوا انا ما نريد قتلكم ولكنا نريد ان نصيب بكم شيئا من اهل مكة ولكم عهد الله وميثاقه ان لا نقتلكم ، فاما مرثد ين ابي مرثد وخالد بن البكير وعاصم بن ثابت فقالوا لا نقبل عهد المشركين ، وقال عاصم بن ثابت:

ما علتي وانا جلد نابل \* والقوس فيها وتر عنابل

تزل عن صفحتها المعابل \* الموت حق والحياة باطل

وكل ما حم الإله نازل \* بالمرء والمرء إليه آئل

إن لم أقاتلكم فأمي هابل

وقال عاصم ايضا :

أبو سليمان وريش المقعد \* وضالة مثل الجحيم الموقد

إذا النواجي افترشت لم أرعد \* ومجنأ من جلد ثور أجرد

ومؤمن بما على محمد \*

وكان عاصم يكنى بابي سليمان ، فقاتل القوم حتى قتل وقتل صاحباه رحمة الله عليهم ، فلما قتل عاصم ارادت هذيل اخذ رأسه ليبيعوه من سلافة بنت سعد بن شهيد وكانت قد نذرت حين اصاب ابنيها باحد لئن قدرت على رأسه لتشربن في قحفه الخمر ، فمنعته الدبر ، وكان عاصم اعطى الله عهدا لا يمس مشركا ولا يمسه مشرك ، فقالوا قد حمته الدبر ، فاذا كان الليل اخذناه فارسل الله سيلا ملأ الوادي واحتمل عاصما وذهب به ، واما زيد بن الدثنة وخبيب بن عدي وعبد الله بن طارق فاعطوا بايديهم واسروهم ثم خرجوا بهم الى مكة ليبيعوهم ، فلما كانوا بالظهران انتزع عبد الله بن طارق يده من القران واخذ سيفه واستأخر عنهم فرموه بالحجارة حتى قتلوه رحمة الله عليه بالظهران، وقدموا بخبيب بن عدي وزيد بن الدثنة الى مكة فباعوهما من قريش فقتلتهما قريش بعد ان صلبوهما رحمة الله عليهما ، وكان خبيب قد قال حين ارادوا قتله:

لقد جمّع الأحزاب حولي وألبوا \* قبائلهم واستجمعوا كل مجمع

وكلهم مبدي العداوة جاهد \* علي لأني في وثاق بمضيع

وقد جمعوا أبناءهم ونساءهم \* وقُربت من جذع طويل ممنع

إلى الله أشكو غربتي ثم كربتي \* وما أرصد الأحزاب لي عند مصرعي

فذا العرش ، صبرني على ما يراد بي \* فقد بضعوا لحمي وقد ياس مطمعي

وذلك في ذات الإله وإن يشأ \* يبارك على أوصال شلو ممزع

وقد خيروني الكفر والموت دونه \* وقد هملت عيناي من غير مجزع

وما بي حذار الموت إني لميت \* ولكن حذاري جحم نار ملفع

فوالله ما أرجو إذا مت مسلما \* على أي جنب كان في الله مصرعي

فلست بمبدٍ للعدو تخشعا \* ولا جزعا إني إلى الله مرجعي " .

وقال حسان بن ثابت يبكي خبيب واصحابه:

صلى الإله على الذين تتابعوا \* يوم الرجيع فأكرموا وأثيبوا

رأس السرية مرثد وأميرهم \* وابن البكير إمامهم وخبيب

وابن لطارق وابن دثنة منهم \* وافاة ثم حمامه المكتوب

والعاصم المقتول عند رجيعهم \* كسب المعالي إنه لكسوب

منع المقادة أن ينالوا ظهره \* حتى يجالد إنه لنجيب

قال ابن هشام : ويروى : حتى يجدل إنه لنجيب

وقال حسّان بن ثابت يهجو هذيل :

لحى الله لحيانا فليست دماؤهم \* لنا من قتيلى غدرة بوفاء

همو قتلوا يوم الرجيع ابن حرة \* أخا ثقة في وده وصفاء

فلو قتلوا يوم الرجيع بأسرهم \* بذي الدبر ما كانوا له بكفاء \*

قتيل حمته الدبر بين بيوتهم \* لدى أهل كفر ظاهر وجفاء

فقد قتلت لحيان أكرم منهم \* وباعوا خبيبا ويلهم بلفاء \*

فأف للحيان على كل حالة \* على ذكرهم في الذكر كل عفاء

قبيلة باللؤم والغدر تغتري \* فلم تمس يخفى لؤمها بخفاء

فلو قتلوا لم توف منه دماؤهم \* بلى إن قتل القاتليه شفائي

فإلا أمت أذعر هذيلا بغارة \* كغادي الجهام المغتدي بإفاء

بأمر رسول الله والأمر أمره \* يبيت للحيان الخنا بفناء

يصبح قوما بالرجيع كأنهم \* جداء شتاء بتن غير دفاء

واقام رسول الله صلع بقية شوال وذي القعدة وذي الحجة وولى تلك الحجة المشركون والمحرم ،

ثم بعث رسول الله صلع اصحاب بئر معونة في صفر على رأس اربعة اشهر من احد، وذلك انه قدم ابو براعامر بن مالك بن جعفر ملاغب الاسنة على رسول الله صلع المدينة فعرض عليه رسول الله صلع الاسلام فدعاه اليه فلم يسلم ولا يبعد من الاسلام ، وقال يا محمد لو بعثت رجالا من اصحابك الى اهل نجد ودعوتهم الى الله رجوت ان يستجيبوا لك فقال رسول الله صلع انا اخشى عليه اهل نجد ، قال ابو براء انا لهم جار فبعث رسول الله صلع المنذر بن عمر واخا بني ساعدة في اربعين رجلا وقال البخاري في سبعين رجلا من المسلمين من اصحابه فساروا حتى نزلوا بئر معونة وهي بين ارض بني عامر وحرة بني سليم كلا البلدين منها قريب وهي اقرب الى حرة بني سليم ، فلما نزلوها بعثوا رجلا منهم يسمى حزام بن ملحان بكتاب رسول الله صلع الى عدو الله عامر بن الطفيل بن مالك بن جعفر بن كلاب فلم ينظر في الكتاب حتى عدى على الرجل المسلم فقتله ثم استصرخ عليهم بني عامر فابوا ان يجيبوه الى ما دعاهم وقالوا لا نحفر ابابرا وقد عقد لهم عقدا وجوارا فاستصرخ قبائل بني سليم عصية ورعل وذكران فاجابوه الى ذلك وخرجوا حتى غيثوا القوم فاحاطوا بهم في رحالهم فلما رأوهم اخذوا سلاحهم فقاتلوا حتى استشهدوا عن آخرهم رحمة الله عليهم - الاّ كعب بن زيد اخا بني دينار بن النجار ، فانهم تركوه وبه رمق فبقي في القتلى حتى انصرفوا وعاش حتى قتل يوم الخندق شهيدا ، وكان في سرح القوم عمرو بن امية الضمري ورجل من الانصار فلم ينبئهما مصاب اصحابهما الا الطير تحوم عليهم فاقبلا لينظروا واذا القوم قتلى في مصارعهم وخيل العدو واقفة عليهم ، فتقدم الانصاري فقاتل حتى قتل بعد ان قال لا ارغب عما وقع فيه اصحابي ، واخذ عمرو اسيرا ، فلما علموا انه من مضر طلقه عامر بن الطفيل بعد ان جز ناصيته واعتقه عن رقبة زعم انها كانت على امه فخرج عمرو حتى اذا كان في طريقه قافلا الى رسول الله صلع اقبل رجلان من بني عامر فسألهما عن نسبهما فاخبراه وكان معهما عقد من رسول الله صلع لم يعلم به عمرو فامهلهما حتى ناما ثم عدا عليهما فقتلهما، فلما قدم عمرو على رسول الله صلع واخبره الخبر قال له رسول الله صلع لقد قتلت قتلين لاديتهما، ثم قال صلع هذا عمل ابي براء ، لقد كنت لهذا كارها ، وشق على ابي براء ما كان من اخفار عامر اياه وما اصاب اصحاب محمد رسول الله صلع في جواره .

وقال حسان بن ثابت يحرض ابا براء على عامر بن الطفيل:

بني أم البنين ألم يرعكم \* وأنتم من ذوائب أهل نجد

تهكم عامر بأبي براء \* ليخفره وما خطأ كعمد

ألا أبلغ ربيعة ذا المساعي \* فما أحدثت في الحدثان بعدي

أبوك أبو الحروب أبو براء \* وخالك ماجد حكم بن سعد

وقال حسان بن ثابت يبكي قتيل بئر ام معونة رحمة الله عليهم:

على قتلي معونة فاستهلي \* بدمع العين سحا غير نزر

على خيل الرسول غداة لاقوا \* مناياهم ولاقتهم بقدر

أصابهم الفناء بعقد قوم \* تخون عقد حبلهم بغدر

فيا لهفي لمنذر أذ تولى \* وأعنق في منيته بصبر

وكائن قد أصيب غداة ذاكم\* من أبيض ماجد من سر عمرو

ثم كان اجلاء بني النضير في سنة اربع من الهجرة

وذلك ان رسول الله صلع خرج اليهم يستعينهم في دية القتيلين اللذين قتلهما عمرو بن امية الضمري للجوار الذي كان رسول الله صلع عقداهما وكان بين بني النضير وبين عامر عقد وحلف ، فلما اتاهم رسول الله صلع واستعانهم قالوا يا ابا القاسم نعينك على ما اردت فيما استعنت بنا عليه ، ثم خلا بعضهم ببعض فقالوا انكم لن تجدوا الرجل على مثل حاله هذه ومع رسول الله صلع امير المؤمنين علي ابن ابي طالب وجماعة قليلة من اصحابه فانتدب رجل من اليهود يقال له عمرو بن جحاش بن كعب فقال لليهود انا افتك به وصعد ليلقى على رسول الله صلع صخرة من رأس جدار كان النبي صلع مستظلا بظله ، واتى رسول الله صلع الخبر من السماء بما اراد القوم فقام وخرج راجعا الى المدينة وتبعه اصحابه فاعلمهم ما كانت زمعت اليهود من الغدر به وامر رسول الله صلع بالتهيء لحربهم والسير اليهم وذلك في شهر ربيع الاول فحاصرهم ست ليال وقد تحصنوا منه صلع في حصونهم ، فامر رسول الله صلع بقطع نخيلهم وتحريقها وقد كان عبد الله بن ابي سلول وجماعة من المنافقين قد بعثوا اليهم ان اثبتوا ووعدهم انا لن نسلمكم وان قوتلتم قاتلنا معكم ، وان اخرجتم خرجنا معكم ، وفي المنافقين نزلت آيات من سورة الحشر ، وقذف الله الرعب في قلوب المنافقين فجبنوا عما وعدهم به وسأل بنو النضير رسول الله صلع ان يجليهم ويكف عن دمائهم فاعطاهم النبي صلع الامان وان لهم ما حملت الابل الا الحلقة فاحتملوا من اموالهم ما احسنوا حمله وخرجوا الى خيبر ، ومنهم من خرج الى الشام ، وحملوا معهم النساء والابناء وخرجوا ومعهم الدفوف والمزامير والقيان يعزفن خلفهم وهم في زهاء ما رأي مثله في زمنهم مع حي ، وخلوا الاموال فكانت لرسول الله صلع يضعها حيث يشاء فقسمها رسول الله صلع على المهاجرين الاولين دون الانصار الا ان سهل بن حنيف وابو دجانة شكوا اليه فقرا فاعطاهما ، ولم يسلم من بني النضير الا رجلين فترك النبي صلع مالهما ، وقال امير المؤمنين علي ابن ابي طالب ع م يذكر اجلاء بني النضير وقتل كعب بن الاشرف وقد تقدم ذكر قتله ، وكان لعلي ابن ابي طالب عليه السلام في حرب بني النضير المقام المشهور والفضل المذكور :

عرفت ومن يعتدل يعرف \* وأيقنت حقا ولم أصدف

عن الكلم المحكم اللاء من \* لدى الله ذي الرأفة الأرأف

رسائل تدرس في المؤمنين \* بهن أصطفى أحمد المصطفى

فأصبح أحمد فينا عزيزا \* عزيز المقامة والموقف

فيأيها الموعدوه سفاها \* ولم يأت جورا ولم يعنف

ألستم تخافون أدنى العذاب \* وما آمن الله كالأخواف

وأن تصرعوا تحت أسيافه \* كمصرع كعب أبي الأشرف

غداة رأى الله طغيانه \* وأعرض كالجمل الأجنف

فأنزل جبريل في قتله \* بوحي إلى عبده ملطف

فدس الرسول رسولا له \* بأبيض ذي هبة مرهف

فباتت عيون له معولات \* متى ينع كعب لها تذرف

وقلن لأحمد ذرنا قليلا \* فإنا من النوح لم نشتف

فخلاهم ثم قال اظعنوا \* دحورا على رغم الآنف

وأجلى النضير إلى غربة \* وكانوا بدار ذوي زخرف

إلى أذرعات ردافى وهم \* على كل ذي دبر أعجف

وقال كعب بن مالك يذكر اجلاء بني النضير وقتل ابن الاشرف

لقد خزيت بغدرتها الحبور \* كذلك الدهر ذو صرف يدور

وذلك أنهم كفروا برب \* عزيز أمره أمر كبير (4/ 153)

وقد أوتوا معا فهما وعلما \* وجاءهم من الله النذير

نذير صادق أدى كتابا \* وآيات مبينة تنير

فقالوا ما أتيت بأمر صدق \* وأنت بمنكر منا جدير

فقال بلى لقد أديت حقا \* يصدقني به الفهم الخبير

فمن يتبعه يهد لكل رشد \* ومن يكفر به يجز الكفور

فلما أشربوا غدرا وكفرا \* وحاد بهم عن الحق النفور

أرى الله النبي برأي صدق \* وكان الله يحكم لا يجور

فأيده وسلطه عليهم \* وكان نصيره نعم النصير

فغودر منهم كعب صريعا \* فذلت بعد مصرعه النضير

على الكفين ثم وقد علته \* بأيدينا مشهرة ذكور

بأمر محمد إذا دس ليلا \* إلى كعب أخا كعب يسير

فماكره فأنزله بمكر \* ومحمود أخو ثقة جسور

فتلك بنو النضير بدار سوء \* أبارهم بما اجترموا المبير

غداة أتاهم في الزحف رهوا \* رسول الله وهو بهم بصير

وغسان الحماة موازره \* على الأعداء وهو لهم وزير

فقال السلم ويحكم فصدوا \* وحالف أمرهم كذب وزور

فذاقوا غب أمرهم وبالا \* لكل ثلاثة منهم بعير

وأجلوا عامدين لقينقاع \* وغودر منهم نخل ودور

ثم كان غزوة الرقاع في سنة اربع

اقام رسول الله صلع بالمدينة بعد غزوة بني النضير شهري ربيع وبعض جمادى الاولى ثم غزى نجدا يريد بني محارب وبني ثعلبة من غطفان وانما قيل لها غزوة الرقاع لانهم رقعوا رأياتهم ،ويقال ذات الرقاع بشجرة ذلك الموضع فيقال لها ذات الرقاع ، فلقي بها جمعا من غطفان فتقارب الناس ولم يكن حرب ، وقد خاف الناس بعضهم بعضا ، وصلى رسول الله صلع صلوة الخوف.

روي عن ابي جعفر بن محمد بن علي بن الحسين من الباقر ابيه سلمهم الله ان رسول الله صلع صلى صلوة الخوف في غزوة ذات الرقاع ، فرّق اصحابه فرقتين فرقة بازاء العدو وفرقة خلفه ، فكبر وكبروا وقرء فانصتوا وركع فركعوا وسجد فسجدوا ثم استتم رسول الله صلع قائما وصلى الذين خلفه ركعة اخرى لانفسهم وسلم بعضهم على بعض ثم خرجوا الى مقام اصحابه فاقاموا بازاء العدو ، وجاء اصحابهم فقاموا خلف رسول الله صلع فكبر وكبروا وقرء فانصتوا وركع فركعو وسجد وسجدوا وجلس فجلسوا فتشهد ثم سلم صلع ، فقاموا فصلوا لانفسهم ركعة ، وتشهدوا ثم سلم بعضهم على بعض وانصرفوا، ويقال انه رجلا من محارب يقال له غورث قال لقومه الا اقتل لكم محمدا قالوا بلى وكيف تفعل ؟ قال افتك به ، فاقبل الى رسول الله صلع وسيف رسول الله صلع في حجره فقال يا محمد انظر الى سيفك هذا، فقال نعم وكان محلا بعضه فاستله ، ثم جعل يهزه ويهم بالنبي فكبته الله فقال يا محمد اما تخافني وفي يدي السيف ، قال صلع ان الله يمنعنى منك ، فرد السيف ، ففيها نزل الله تعالى: يا ايها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم اذ هم قوم ان يبسطوا اليكم ايديهم فكف ايديهم عنكم ، وا تقوا الله وعلى الله فليتوكل المؤمنون ، ورجع رسول الله صلع الى المدينة ، فاقام بها بقية جمادى الاولى وجمادى الاخرى ورجبا.

ثم كانت غزوة بدر الاخرى في شعبان من سنة اربع

وكان قد واعد ابا سفيان وكفار قريش الى هنالك اللقاء فخرج رسول الله صلع في شعبان لميعاد ابي سفيان حتى نزل بدرا واقام فيه ثماني ليال وخرج ابو سفيان في اهل مكة حتى نزل بناحية الظهران وقيل بلغ عسفان ، فرأى في اصحابه فشلا فرجع ، ثم قال يا معشر قريش انه لا يصلحكم الا عام خصب تزرعون فيه الشجر وتشربون فيه اللبن، فان عامكم هذا عام جدب واني راجع فارجعوا فرجع الناس فسماهم اهل مكة جيش السويق ، وقالوا انما خرجتم تشربون السويق، فاقام رسول الله صلع ينتظر ابا سفيان حتى اتاه خير رجوعه فرجع الى المدينة .

وقال عبد الله بن رواحة في ذلك :

وعدنا أبا سفيان بدرا فلم نجد \* لميعاده صدقا وما كان وافيا

فأقسم لو وافيتنا فلقيتنا \* لأبت ذميما وافتقدت المواليا

تركنا به أوصال عبتة وابنه \* وعمرا أبا جهل تركناه ثاويا

عصيتم رسول الله أفٍّ لدينكم \* وأمركم السيء الذي كان غاويا

فإني وإن عنفتموني لقائل \* فدى لرسول الله أهلى وماليا

أناه لم نعدله فينا بغيره \* شهابا لنا في ظلمة الليل هاديا

ولما انصرف رسول الله صلع الى المدينة اقام بها حتى مضى شهر ذي الحجة ، وولى تلك الحجة المشركون ، ثم غزا رسول الله دومة الجندل ، ورجع قبل ان يصل اليها ، ولم يلق كيدا.

وفي سنة اربع من الهجرة الطاهرة كانت وفاة فاطمة بنت اسد ام امير المؤمنين علي ابن ابي طالب ع م رضي الله عنها، وهي فاطمة بنت اسد بن هاشم بن عبد مناف ، قال الواقدي وهي اول امرأة اسلمت بعد خديجة الكبرى ، قال الواقدي وهي اول امرأة هاجرت الى المدينة من مكة ماشية حافية ، وقال ابن عباس كان رسول الله صلع يزورها ويقيل عندها في بيتها ، وكانت امرأة صالحة وفيها روي علي بن احمد بن الحسين البهيقي قال سمعت فاطمة بنت اسد رسول الله صلع يقول يحشر الناس يوم القيامة عراة حفاة فقالت واسوءتا ، فقال رسول الله صلع اني اسأل الله ان يبعثك كاسية ، قال وسمعته صلع يذكر عذاب القبر فقالت واضعفاه ، فقال صلع اني اسأل الله ان يكفيك ذلك ، وقال مجاهد وهي اول هاشمية ولدت خليفة هاشميا ، وقال عكرمة كانت تطوف حول البيت وهي حامل بامير المؤمنين فضربها الطلق ففتح لها باب الكعبة فوضعته فيها ، وقد ذكرنا ذلك ،وقال الواقدي شهد رسول الله صلع جنازتها وامرهم ان يكفنوها بقميصه ونزل صلع في حفرتها فاضطجع فيها وقال اردت ان يوسعه الله عليها انه ما نفعني احد نفعها ونفع ابي طالب ، وسمع صلع حين واراها في حفرتها يقول ابنك ابنك ، علي علي ، فسئل صلع عن ذلك فقال سألها الملكان من ربك فقالت الله ، فقالا من نبيك قالت محمد رسول الله صلع ، فقال لها من امامك فتحيرت فقلت لها ابنك ابنك ، فقالت عقيل ، فقلت لها علي علي.

وكانت غزوة الخندق في شهر شوال سنة خمس من الهجرة وذلك ان نفرا من اليهود منهم سلام بن ابي حقيق النضري وحيي بن اخطب النضري وكنانة بن ابي الربيع النضري وهوذة بن قيس الوائلي وابو عمار الوائلي في جماعة من بني النضير ونفر من بني وائل خرجوا حتى قدموا على قريش بمكة فدعوهم الى حرب رسول الله صلع وقالوا لهم انا سنكون معكم عليه ، حتى نستأصله ، فقالت لهم قريش : يا معشر يهود ، إنكم أهل الكتاب الأول والعلم بما أصحبحنا نختلف فيه نحن ومحمد ، أفديننا خير أم دينه ؟ قالوا : بل دينكم خير من دينه ، وأنتم أولى بالحق منه، فلما قالوا ذلك لقريش سرهم واجابوا الى ما دعوهم اليه من حرب الرسول صلع فاجتمعوا لذلك واتعدوا وخرج اولئك الجماعة من يهود وهم الذين حزبوا الاحزاب ، فاتوا غطفان بن قيس غيلان فدعوهم الى حرب رسول الله صلع واخبروهم انهم معهم عليه وان قريشا قد تابعوهم على ذلك فاجتمعوا معهم فيه ، وخرجت قريش قائدها ابو سفيان بن حرب وخرجت غطفان وقائدها عيينة بن حصن بن حذيفة بن بدر في بني فزارة والحارث بن عوف بن ابي حارثة المري في بني مري ، ومسعر بن رحيلة بن نويرة بن طريف بن سحمة بن عبدالله بن هلال بن خلاوة بن أشجع بن ريث بن غطفان فيمن تابعه من قومه من أشجع ،

فلما سمع بهم رسول الله صلع وما اجتمعوا عليه من الامر ضرب الخندق علىالمدينة فعمل فيه رسول الله صلع ترغيبا للمسلمين في الاجر عمل المسلمون فيه ، وكان علي ع م وشيعته اكثر الناس فيه عناء وعملا،

وكان من قوم من المنافقين تقصير في العمل،

واشتدت عليهم كدية في الخندق ، فشكوا ذلك على رسول الله صلع فدعى باناء فيه ماء فتفل فيه ثم دعى بما شاء الله ثم نضح بذلك الماء تلك الكدية، فقال جابر بن عبد الله الانصاري فيما روي عنه: والذي بعثه بالحق لانها لانت حتى صارت كالكثيب فلا ترد فاسا ولا مسحاة ،

وحكي عن اخت ا لنعمان بن بشير انها قالت دعتني امي فاعطتني جفنة من تمر ثم قالت اذهبي الى ابيك وخالك عبد الله بن رواحة بغدائهما ، فلما مرت برسول الله صلع قال لها هاتي ما معك ، فصبته في كفيه فما ملأهما ، فدعى بثوب فبسطه ثم دعى بالتمر فبدد عليه ثم امر مناديا فنادى من في الخندق فحضروا واكلوا حتى صدروا ، فكلما اكلوا ازداد التمر حتى انه ليسقط من اطراف الثوب .

وعن جابر بن عبد الله قال امرت امرأتي فشوت شاة وصنعت معها قليلا من الطعام ، ولما انصرف رسول الله صلع دعوته لينصرف معي فنادى في الناس فانصرفوا معه فاتينا رسول الله صلع بالطعام والشاة فبارك عليها وسمى الله تعالى ثم اكل وتواردها الناس فكلما فرغ قوم قاموا وجاء آخرون فاكلوا حتى صدر اهل الخندق.

وعن سلمان الفارسي رضي الله عنه قال : ضربت في ناحية من الخندق ، فغَلُظت علي صخرة ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم قريب مني ، فلما رآني أضرب ورأى شدة المكان علي ، نزل فأخذ المعول من يدي ، فضرب به ضربة لمعت تحت المعول برقة ، قال : ثم ضرب به ضربة أخرى ، فلمعت تحته برقة أخرى ، قال : ثم ضرب به الثالث ، فلمعت تحته برقة أخرى . قال : قلت : بأبي أنت وأمي يا رسول الله ! ما هذا الذي رأيت لمع تحت المعول وأنت تضرب ؟ قال : أو قد رأيت ذلك يا سلمان ؟ قال : قلت : نعم ، قال : أما الأولى فإن الله فتح علي بها اليمن ، وأما الثانية فإن الله فتح علي بها الشام والمغرب ، وأما الثالثة فإن الله فتح على بها المشرق.

فلما فرغ رسول الله صلع من الخندق اقبلت قريش حتى نزلت بمجتمع الاسيال بدومة بين الجرف ورغابة في عشرة الف من احابيشهم واتباعهم من بني كنانة واهل تهامة ، واقبلت غطفان ومن تبعهم من اهل نجد حتى نزلوا بذنب بذنب نقمي ، إلى جانب أحد . وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون ، حتى جعلوا ظهورهم إلى سلع ، في ثلاثة آلاف من المسلمين ، فضرب هنالك عسكره ، والخندق بينه وبين القوم .

وأمر بالذراري والنساء فجعلوا في الآطام

وخرج حيي بن اخطب اليهودي حتى اتى بني قريظة، وقد كانوا وادعوا رسول الله صلع فقال لهم اني قد اتيتكم بعز الدهر ولم يزل بهم حتى اجابوه ونقصوا ما كان من العقد بينهم وبين رسول الله صلع من الزمام، فدعى رسول الله صلع سعد بن معاذ بن النعمان سيد الاوس وسعد بن عبادة سيد الخزرج وعبد الله بن رواحة احد بني الحرث من الخزرج وخوات بن حبير اخا بني عمرو بن عوف ، فقال اذهبوا حتى تنظروا ا حقا ما بلغنا من هؤلاء القوم ام لا ، فخرجوا حتى اتوهم فوجدوهم على اخبث ما هم عليه، وقالوا من رسول الله صلع لا عهد بيننا وبين محمد ونالوا من رسول الله وشتموه فرجع اصحاب رسول الله صلع فاخبروه خبر القوم وما هم عليه فقال رسول الله صلع الله اكبر ، ابشروا يا معشر المسلمين ، وعظم عند ذلك البلاء واشتدت الخوف واتاهم العدو من فوقهم ومن اسفل منهم، ونجم النفاق، وقال بعض المنافقين محمد يعدنا انا نأكل كنوز كسرى وقيصر، وها نحن الآن لا يأمن الواحد منا ان يذهب الى الغائط ، واتى بعضهم الى النبي صلع فقالوا ان بيوتنا عورة ، وزلزل المؤمنون زلزالا شديدا، وكان ما حكى الله ع ج في سورة الاحزاب ، ووقف المشركون بضعا وعشرون ليلة ولم يكن قتال الا الترامي بالنبل ، ونظرالمشركون الى الخندق فقالوا ان هذه لحيلة ما كانت العرب تعرفها ،

ثم انتدب من المشركين عمرو بن عبد ود بن ابي قيس احد بني عامر بن لوي ، وكان اشد القوم نجدة ومن اعظمهم هيبة ، تعرف ذلك له جميعهم، وكان قد شهد بدرا مع المشركين واثخن جراحة ، فنجى بنفسه ولم يشهد احدا، فاراد ان يبين نفسه بين قريش بما يفعله، فاعتلم بعلامة ليشهر بها وانتدب معه عكرمة بن ابي جهل وهيبرة بن ابي وهب المخزومي ، وضرار بن الخطاب ابن مرداس اخو بني محارب بن فهر ، قد لبسوا السلاح واستعدوا للكفاح، ثم خرجوا على خيلهم حتى نزلوا بمنازل بني كنانة فقالوا تهيبوا للقتال يا بني كنانة ، فستعلمون من الفرسان اليوم ، ثم اقبلوا وتعنق بهم خيلهم حتى انتهوا الى الخندق فاتوا مكانا ضيقا في الخندق فاقتحمته خيلهم وجالت بهم في السبخة بين سلع وبين الخندق ، وكان قد عمرو بن ود اشد القوم بأسا، واقواهم مراسا ، فجعل يدعو للبراز، وانشأ يقول :

ولقد بحـحت من النداء لجمعهم هل من مبارز

ووقفت حين دعوتهم في موقف القرن المناجز

اني كذلك لم ازل متسرعا نحو الهزاهز

ان الشجاعة للفتى والجود من خيرالغرائز

فقام علي ابن ابي طالب ع م فاستأذن رسول الله صلع في الخروج اليه فقال يا علي انه عمرو بن عبد ود ، فقال علي استعين بالله عليه يا رسول الله ، فاذن له رسول الله صلع ودفع اليه سيفه ذا الفقار ، ورفع رسول الله صلع يديه الى السماء وقال اللهم احفظه من بين يديه ومن خلفه وعن يمينه وعن شماله ومن فوقه ومن تحته ، وقال رسول الله صلع برز الايمان كله الى الكفر كله ، ومضى ع م وهو يقول :

اثبت اتاك لما دعوت مجيب صوتك غير عاجز

ذو نية وبصيرة والصدق ينجي كل فائز

اني لارجو ان تقوم عليك نائحة الجنائز

من ضربة نجلاء يبقى ذكرها بعد الهزاهز

فقال له عمرو من انت ؟ قال انا علي ابن ابي طالب ، قال كفو كريم ، ولكن لست من رجالي ، فقال له علي ع م انه بلغني منك يا عمرو انك نذرت ان لا تدعى الى خصلتين الا اجبت الى احداهما، قال اجل فانا ادعوك الى الله والى رسوله والى الاسلام ، قال ما ابعدني عن ذلك ، قال فانا ادعوك الى البراز ، قال عمرو ان اباك ابا طالب كان لي خليلا ، وانا اكره ان اقتلك ، قال له علي اما انا والله فاحب ان اقتلك اذ لم تجب الى الاسلام ، فعندهما حمي عمرو واقتحم عن فرسه فعقره وضرب وجهه ، ثم اقبل على علي ع م فتنازلا وتجاولا وتصاولا فثارث بينهما عجاجة لم يرهما احد واشفق المسلمون على علي ع م فضرب عمرو علينا فقدّ البيضة واصاب هامته ، وضربه علي ع م فابان رأسه عن جسده ولم تنجل العجاجة الا وعلي ع م يمسح سيفه في جنبه ويقول :

اعلي تقتحم الفوارس هكذا عني وعنهم حدثوا اصحابي

نصر الحجارة من سفاهة رأيه ونصرت رب محمد بصواب

فصدرت حين تركته متجدلا كالجزع بين دكادك وروابي

وعففت عن اثوابه ولو انني كنت المجدّل بزّني اثوابي

لا تحسبن الله خاذل دينه ونبيه يا معشر الاحزاب

وخرجت خيل عمرو منهزمة حتى اقتحمت لخندق والقى عكرمة بن ابي جهل يومئذ رمحه وهو منهزم عن عمرو ، وقال حسان بن ثابت في ذلك:

ففرّ والقى لنا رمحه لعلك عكرمة لم تفعل

ووليت تعدو كعدو الظليم وما ان تجوز عن المعدل

ولم تلو ظهرك مستانسا كأن قفاك قفا فرعل

وقتل علي ابن ابي طالب مع عمرو بن ود ابنه حسل بن عمرو ونوفل عبد الله المخزومي، وكان قد تورط الخندق مع عمرو وسأل المشركون رسول الله صلع ان يبيعهم جسده ، فقال صلع لا حاجة لنا بجسده ولا قيمته وخلا بينهم وبينه ، ولما كان من علي ع م ما كان وفتح الله به على المسلمين ما فتحه قويت قلوبهم وعلموا ان المشركين قد ائسوا ان يلجوا الخندق عليهم ووقع اليأس والخوف في المشركين ، وفي قراءة عبد الله بن مسعود رحمة الله عليه: وكفى الله المؤمنين القتال بعلي وكان الله قويا عزيزا، رواه فضل بن القاسم عن زيد عن مرة عن عبد الله اورد ذلك ابن ماكول في اكماله في باب الفضل.

واصيب سعد بن معاذ الانصاري رحمة الله عليه بسهم فقطع منهم منه الاكحل رماه رجل من بني عامر بن لوي فمات بعد الخندق وبني قريظة من ذلك السهم .

وكانت صفية بنت عبد المطلب في فارع حصن لحسان بن ثابت مع النساء والصبيان قد تحصنوا فيه ومعهم حسان بن ثابت ، فاتى رجل من اليهود فجعل يطيف بالحصن وقد حاربت بنو قريظة وقطعت ما بينها وبين رسول الله صلع، والمسلمون في نحور عدوهم ، قال صفية رحمة الله عليها فقلت يا حسان ان هذا اليهودي كما تراه يطيف بالحصن وانا ما آمنه ان يدل على عوراتنا من وراءنا من اليهود ، ورسول الله صلع عنا في شغل فانزل اليه فاقتله ، فقال يا ابنة عبد المطلب لقد عرفت اني ما انا بصاحب هذا ، قالت فلما قال ذلك ولم ار عنده شيئا اعتجرت ثم اخذت عمودا ونزلت من الحصن اليه فضربته بالعمود حتى قتلته ، فلما فرغت منه رجعت فقلت انزل فاسلبه فان النساء لا تسلب الرجال ، قال اني اخاف ان يكون به رمق.

ولما قتل عمرو بن عبد ود تزلزلت اقدام المشركين وفنيت ازوادهم واتى رسول الله صلع نعيم بن مسعود بن عامر رجل من بني غطفان وكان مع المشركين ، فقال يا رسول الله اني قد اسلمت ولم يعلم قومي باسلامي ، وقد جئت اليك لتأمرني بما شئت ، فقال صلع انما انت رجل واحد فما عسى ان تغني عنا ، ولكن انصرف الى قومك وخذلهم ما استطعت عنا فان الحرب خدعة ، فمضى على ذلك وكان صديقا لبني قريظة فاتاهم كالزائر فرحبوا به وقربوه ، فلما خلا بهم قال قد عرفتم مودتي لكم وقد جئتكم ناصحا ان قبلتم مني ، قالوا جزاك الله خيرا فانا لا نتهمك بل نحن نثق بمودتك ونقبل نصيحتك ، قال انكم قد فعلتم فعلا لم تنعموا فيه النظر لانفسكم ، نقضتم حلف محمد وصرتم مع قريش وغطفان ولستم كمثلهم ان قريشا وغطفان انما جاؤك لحرب محمد واصحابه على ظهور دوابهم فان اصابوا منه ما ارادوا والا انصرفوا عنه وتركوكم معه وانتم تعلمون انه لا طاقة لكم به ، ولا باصحابه ، ان خان بكم وقد تداخل اصحابنا الفشل والاختلاف وقد طال مقامهم وخفت ازوادهم وكان من عمرو بن عبد ود واصحابه ما قد سمعتم وعرفتم ، وانما كان المعتمد عليهم والنظر الى ما يكون منهم عند اقتحامهم الخندق ، واذا كان من ذلك ما كان فقد تداخل اليأس قلوب الناس واكثر ما يقيمون اياما قليلة فان رأوا نهزة اصابوها ، وان كان غير ذلك انصرفوا ولحقوا ببلادهم وتركوكم ، قالوا لقد صدقت ، ونصحت فيما قلت فجوزيت خيرا ، فما الحيلة بعد هذا ، قال الحيلة ان لا تقاتلوا مع القوم حتى تأخذوا منهم رهائن من اشرافهم يكون بايديكم ثقة ان لا ينصرفوا عنكم ويدعوكم ، قالوا لقد اشرت بالرأي ونصحت فاحسن الله جزاك ، ثم اتى عيينة بن حصن وابا سفيان ، فقال ان بيني وبين قريظة ما قد علمتم ، وقد بت عندهم واطلعت على سرهم ، قالوا وما هو؟ قال ان القوم قد ندموا على ما نقضوا من حلف محمد لما رأوا مقامنا ولم نصنع شيئا ونظروا ما كان من امر ابن عبد ود اصحابه وخافوا ان ننصرف عنهم فيطأهم محمد فارسلوا اليه يرغبون في سلمه ، ويذكرون ندامتهم على ما كان منهم ، وقالوا نحن نرضيك بان نأخذ من القبيلتين رجالا من اشرافهم فنسلمهم اليك لتضرب اعناقهم وتفعل فيهم ما رأيت ، ثم نكون معك على من بقي منهم ، فاياكما ان يخدعكما اليهود وان يظفروا باحد منكم ، فارسل اليهم ابو سفيان وعيينة عكرمة بن ابي جهل في نفر من قريش وغطفان يستخبرون ذلك ويدعونهم الى القتال ويقولون لسنا بدار مقام وقد هلك الخف والحافر ونفد الزاد وابى محمد واصحابه الا لزوم خندقهم ، وانتم اعلم بالموضع فاخرجوا الينا بجماعتكم لنناجز محمدا واصحابه ونقتحم عليهم الخندق بجماعتنا ، فلما جاء القوم بني قريظة بذلك قالوا قد كنا مع محمد على حلف ولم نر منه الا خيرا وقد نقضنا كان بينه ونحن نخشى ان ضرستكم الحرب ان تنصرفوا عنا فلسنا مقاتلين معكم حتى تعطونا رهائن من وجوه رجالكم يكونوا بايدينا ثقة لنا حتى نناجز محمدا واصحابه ، فلما انصرف القوم الى ابي سفيان وعيينة علما ان الامر ما قاله نعيم ين مسعود وابوا ان يدفعوا اليهم احدا ، وقالت بنو قريظة هذا مصداق ما قاله نعيم بن مسعود ، ولزموا مواضعهم واستوحش بعضهم من بعض وتنافرت قلوبهم ولم يجد الاحزاب الا الرحيل الى بلادهم وارسل الله عليهم ريحا شديدة ، فلم تدع لهم اناء ولا قدرا ولا بناء فقام ابو سفيان ولما جنه الليل فقال يا معشر قريش انكم والله ما اصبحتم بدار مقام ولقد هلك الخف والحافر واخلفنا بنو قريظة ولقينا من شدة الريح ما ترون فارتحلوا فاني مرتحل ، ثم وثب على جمله وهو معقول فجلس عليه ثم ضربه فوثب على ثلاث فما اطلق عقاله الا وهو قائم ، وانشمرت قريش وغطفان يجماعتها راحلين ولن يصبح عند المدينة منهم احد ، وفرج الله المسلمين ببركة رسول الله صلع وبجهاد علي ابن ابي طالب ع م .

وروي هارون العبدي عن ربيعة السعدي ،قال اتيت حذيفة بن اليمان فقلت له يا ابا عبد الله انا لنخبر عن علي ع م ومناقبه فيقول لنا اهل البصرة انكم تفرطون في علي ومناقبه ، فهل انت يحدثني في علي ع م بحديث ، فقال لي حذيفة بن اليمان رحمة الله عليه ما تسألني يا ربيعة عن رجل والذي نفسي بيده لو وضع جميع اعمال اصحاب محمد في كفة الميزان ووضع عمل علي في الكفة الاخرى لرجح عمله على اعمالهم ، قال ربيعة فقلت وابو بكر وعمر ، قال نعم وابو بكر وعمر ، فقلت هذا الذي لا يقام له ولا يقعد ولا يحمل ، فقال لي حذيفة يا لكع وكيف لا يحمل واين كان ابو بكر وعمر ثكلتك امك وجميع اصحاب محمد يوم عمرو بن عبد ود حين اقتحم الخندق ونادى للمبارزة فاحجم كلهم عنه ما خلا علي، فانه برز اليه فقتله الله بيده ، وفرّق جميع الاحزاب بسببه ، والذي نفسي بيده لعمله ذلك اليوم اعظم اجرا من اعمال جميع امة محمد صلع الى يوم القيامة .

ولما اصبح محمد رسول الله صلع بعد رحيل الاحزاب انصرف راجعا عن الخندق الى المدينة والمسلمون معه ووضعوا السلاح ، فلما كان وقت الظهر اتى جبرئيل رسول الله صلع فقال قد وضعت السلاح يا محمد، قال نعم ، فقال جبرئيل ما وضعت الملائكة السلاح بعد ولا رجعت الآن الا من طلب القوم ، وان الله يأمرك يا محمد بالمسير الى بني قريظة ، فاني عامد اليهم ومزلزل اقدامهم ، فامر رسول الله صلع مؤذنا فاذن في الناس من كان سامعا مطيعا فلا يصلين العصر الا في بني قريظة ، وقدم رسول الله صلع الى بني قريظة علي ابن ابي طالب برأيته فابتدرها الناس وسار علي ع م حتى اذا دنى من الحصون سمع منهم مقالة قبيحة لرسول الله صلع فلما دنى رسول الله صلع من حصونهم قال يا اخوان القردة هل اخزاكم الله وانزل بكم نقمته ، فقالوا يا ابا القاسم ما كنت جهولا ونزل رسول الله صلع على بئر في اموال بني قريظة يقال لها بئر انى وحاصرهم رسول الله صلع خمسا وعشرين ليلة ، فقذف الله في قلوبهم الرعب وكان حيي بن اخطب دخل معهم في حصنهم حين رجعت قريش وغطفان وخافهم وقال يا بني قريظة هل تقبلون مني ونبايع هذا الرجل على امره فوالله انكم لتعلمون انه نبي مرسل ، وانه الذي تجدون في كتابكم فتأمنون على دمائكم واموالكم وابنائكم ونسائكم ، قالوا لا نفعل ولا نفارق حكم التوراة ، قال فهلموا نقتل ابناءنا ونساءنا ثم نخرج الى محمد واصحابه مصلتي السيوف ولم نترك وراءنا ثقلا فيكون لنا او له فان ظفرنا فلنجدن النساء ولنبدلن الابناء ، فقالوا نقتل هؤلاء المساكين فما خير في العيش بعدهم ، قال فان ابيتم ذلك فهذه ليلة السبت وعسى ان يكون محمد واصحابه قد امنوا فانزلوا فلعلنا نصيب منهم غرة ، قالوا نفسد سبتنا ونحدث ما لم يحدث من قبلنا الا وقد اصابه ما قد علمت من المسخ ، قال ما بات رجل منكم منذ ولدته امه ليلا حازما ، ولما اجهدهم الحصار وقذف الله الرعب في قلوبهم طلبوا النزول على حكم رسول الله صلع فتواثب الاوس وقالوا يا رسول الله انهم موالينا دون الخزرج ،وقد فعلت في موالي الخزرج ما قد علمت يعنون بني قينقاع حين سأله اياهم عبد الله بن ابي بن سلول ، فقال رسول الله صلع يا معشر الاوس الا ترضون ان يحكم فيهم رجل منكم ، قالوا بلى يا رسول الله صلكع ، قال ذلك الى سعد بن معاذ فاتاه قمه فحملوه على حمار وقد وطئوا له وسادة من ادم وكان ورجلا جسيما وهو عليل للسهم الذي اصابه في الخندق ، فلما انتهى الى رسول الله صلع قال الانصار قوموا الى سيدكم فقاموا اليه ، وقالوا له احسن في مواليك ، فقال سعد يا معشر الانصار عليكم عهد الله وميثاقه ان ترضو حكمي ، قالوا نعم ، فقال يا رسول الله فاني احكم فيهم ان تقتل الرجال وتسبى النساء والذراري ، وتقسم الاموال، فقال رسول الله صلع لسعد لقد حكمت بحكم الله من فوق سبعة ارقعة ،

وعن ابن هشام قال حدثني من اثق به ان بني قريظة ما نزلوا حتى لبس علي بن ابي طالب لامته وصاح يا كتيبة الايمان وتقدم وقال والله لا ارجع حتى يفتح الله على رسوله او اذوق ما ذاق عمي حمزة، فلما عاينوا ذلك قالوا ننزل على حكم سعد بن معاذ ، فلما كان ذلك وحكم سعد بن معاذ حبسهم رسول الله صلع بالمدينة في دار امرأة من بني النجار ثم خرج رسول الله صلع الى سوق المدينة فخندق خنادق فبعث اليهم فضربت اعناقهم في ذلك الخندق يخرج بهم اليه ارسالا ، وفيهم حيي بن اخطب ، وكعب بن اسد رأس القوم وهم ستمائة او سبعمائة ، وقيل بين الثمانمائة والتسعمائة .

ولما اتي بحيي بن اخطب اقبل وعليه حلة فقاحية قد شقها عليه من كل ناحية قدر انملة لئلا يسلبها مجموعة يداه على عنقه بحبل ، فلما الى رسول الله صلع قال : اما والله مللت نفسي في عداوتك ولكنه من يخذل الله يخذل ، ثم اقبل على الناس فقال ايها الناس انه لا بأس بامر الله ، كتاب وقدر وملحمة كتبها الله على بني اسرائيل ، ثم جلس فضربت عنقه ، فقال جبل بن جوال الثعلبي شعرا:

لعمرك ما لام ابن أخطب نفسه \* ولكنه من يخذل الله يخُذلِ

لجاهد حتى أبلغ النفس عذرها \* وقلقل يبغي العز كل مُقلقَل

وقيل ان رسول الله صلع لما فرغ من حرب بني قريظة انفجر جرح سعد بن معاذ فمات شهيدا ، وقال رسول الله صلع ان سعدا فتحت له ابواب السماء واهتز له العرش، ولما دفن سعد سبح رسول الله صلع فسبح الناس ثم كبر فكبروا، وقالوا يا رسول الله لم سبحت وكبرت، فقال لقد تضايق على هذا العبد الصالح قبره حتى فرجه الله عنه ، وكان سعد رض رجلا بادنا جسيما وفيه يقول رجل من الانصار:

وما اهتز عرش الله من موت هالك \* سمعنا به الا لسعد ابي عمر

وارسل رسول الله صلع سعد بن زيد الانصاري اخا بني عبد الاشهل بسبايا من بسبايا بني قريظة الى نجد فاشترى بهم خيلا وسلاحا واصطفى لنفسه من نسائهم ريحانة ابنة عمرو بن ختافة احد نساء بني قريظة، وقال كعب بن مالك اخو بني سلمة يذكر يوم الخندق ويذكر قتل سعد بن معاذ رحمة الله عليهم:

وسائلة تسائل ما لقينا \* ولو شهدت رأتنا صابرينا

صبرنا لا نرى لله عدلا \* على مانابنا متوكلينا

وكان لنا النبي وزير صدق \* به نعلو البرية أجمعينا

نقاتل معشرا ظلموا وعقُّوا \* وكانوا بالعداوة مرصدينا

نعاجلهم إذا نهضوا إلينا \* بضرب يعجل المتسرعينا

ترانا في فضافض سابغات \* كغدران الملا متسربلينا

وفي أيماننا بيض خفاف \* بها نشفي مراح الشاغبينا

بباب الخندقين كأن أسدا \* شوابكهن يحمين العرينا

فوارسنا إذا بكروا وراحوا \* على الأعداء شوسا معلمينا

لننصر أحمدا والله حتى \* نكون عباد صدق مخلصينا

ويعلم أهل مكة حين ساروا \* وأحزاب أتوا متحزبينا

بأن الله ليس له شريك \* وأنا الله مولى المؤمنينا

فإما تقتلوا سعدا سفاها \* فإن الله خير القادرينا

سيدخله جنانا طيبات \* تكون مقامة للصالحينا

كما قد ردكم فَلاًّ شريدا \* بغيظكم خزايا خائبينا

خزايا لم تنالوا ثَمَّ خيرا \* وكدتم أن تكونوا دامرينا

بريح عاصف هبت عليكم \* فكنتم تحتها متكمِّهينا

وقال حسان بن ثابت :

هل رسم دارسة المقام يباب \* متكلم لمحاور بجواب

قفر عفا رهم السحاب رسومه \* وهبوب كل مطلة مرباب

ولقد رأيت بها الحلول يزينهم \* بيض الوجوه ثواقب الأحساب

فدع الديار وذكر كل خريدة \* بيضاء آنسة الحديث كعاب

و اشك الهموم إلى الإله وما ترى \* من معشر ظلموا الرسول غضاب

ساروا بأجمعهم إليه وألبوا \* أهل القرى وبوادي الأعراب

جيش عيينة وابن حرب فيهم \* متخمطون بحلبة الأحزاب

حتى إذا وردوا المدينة وارتجوا \* قتل الرسول ومغنم الأسلاب

وغدوا علينا قادرين بأيدهم \* ردوا بغيظهم على الأعقاب

بهبوب معصفة تفرق جمعهم \* وجنود ربك سيد الأرباب

فكفى الإله المؤمنين قتالهم \* وأثابهم في الأجر خير ثواب

من بعد ما قنطوا ففرق جمعهم \* تنزيل نصر مليكنا الوهاب

و أقرَّ عين محمد وصحابه \* وأذل كل مكذب مرتاب

عاتي الفؤاد موقَّع ذي ريبة \* في الكفر ليس بطاهر الأثواب

علق الشقاء بقلبه ففؤاده \* في الكفر آخر هذه الأحقاب

وقال سافع بن عبد مناف بن وهب الجحمي يبكي عمروا ويذكر قتل علي ع م :

عمرو بن عبد كان أول فارس \* جزع المذاد وكان فارس يليل

سمح الخلائق ماجد ذو مرة \* يبغي القتال بشكة لم ينكل

و لقد علمتم حين ولوا عنكم \* أن ابن عبد فيهم لم يعجل

حتى تكنَّفه الكماة وكلهم \* يبغي مقاتله وليس بمؤتلي

ولقد تكنَّفت الأسنة فارسا \* بجنوب سلع غير نكس أميل

تسل النزال عليّ فارس غالب \* بجنوب سلع ، ليته لم ينزل

فاذهب عليّ فما ظفرت بمثله فخرا ولا لاقيت مثل المعضل \*

نفسي الفداء لفارس من غالب \* لاقى حمام الموت لم يتحلحل

أعني الذي جزع المذاد بمهره \* طلبا لثأر معاشر لم يخذل

وقال هبيرة بن وهب يذكر قتل علي ع م عمرو بن عبد ود :

لقد علمت عليا لؤي بن غالب \* لفارسها عمرو إذا ناب نائب

لفارسها عمرو إذا ما يسومه \* علي وإن الليث لا بد طالب

عشية يدعوه علي وإنه لفارسها إذ خام عنه الكتائب \*

فيا لهف نفسي إن عمرا تركته \* بيثرب لا زالت هناك المصائب

وقال حسان بن ثابت في بني قريظة :

لقد لقيت قريظة ما سآها \* وحل بحصنها ذل ذليل

وسعد كان أنذرهم بنصح \* بأن إلهكم رب جليل

فما برحوا بنقص العهد حتى \* فَلاهم في بلادهمُ الرسول

أحاط بحصنهم منا صفوف \* له من حَرّ وقعتهم صليل

ثم كان مقتل سلام بن ابي الحقيق ، وذلك انه كان شديد العداوة لرسول الله صلع فاستأذن رسول الله صلع جماعة من الخزرج في قتله فاذن لهم فامر عليهم عبد الله بن عتيك فخرجوا حتى قدموا خيبر، واتوا دار ابن الحقيق ليلا فاستأذنوا على بابه فخرجت اليهم امرأته فقالت من انتم فقالوا قوم من العرب نريد الميرة ، فقالت ذلكم صاحبكم فادخلوا عليه، فلما دخلوا عليه وجدوه نائما على فراشه فابتدروه ضربا باسيافهم فصاحب المرأة وخرجوا مجدين السير واوقد اليهود النيران واتبعوهم فنجاهم الله من شرهم، واتوا الى رسول الله صلع فاخبروه بخبره.

وقال حسان ثابت يذكر قتل كعب بن الاشرف، وقد ذكرنا قتله ويذكر قتل ابن ابي الحقيق:

لله در عصابة لاقيتهم \* يا ابن الحقيق وأنت يا ابن الأشرف

يسرون بالبِيض الخفاف إليكم \* مرحا كأسد في عرين مغرف

حتى أتوكم في محل بلادكم \* فسقوكمُ حتفا ببيض ذُفَّفِ

مستبصرين لنصر دين نبيهم \* مستصغرين لكل أمر مجحف

وكان فتح بني قريظة بذي القعدة ورجع رسول الله صلع الى المدينة في ذي الحجة وولى تلك الحجة المشركون واقام رسول الله صلع المدينة شهر ذي الحجة والمحرم وصفرا وشهري ربيع ، وغزى بني لحيان في جمادى الاولى على رأس ستة اشهر من فتح بني قريظة يطلب باصحاب الرجيع خبيب بن عدي واصحابه رحمة الله عليهم واظهر انه يريد الشام ليصيب من القوم غرة فاغذّ السير سريعا حتى نزل على غزان وهي منازل بني لحيان فوجدهم قد حذروا وتمنعوا في رؤوس الجبال فرجع صلع مغيرا على اهل مكة فخرج في مائتي راكب من اصحابه حتى نزل بعسفان ثم بعث فارسين من اصحابه حتى بلغا كراع الغميم ، ورجع رسول الله صلع قافلا، قال جابر بن عبد الله سمعت رسول الله صلع حين رجع يقول آئبون تائبون ان شاء الله لربنا حامدون ، اعوذ بالله من وعثاء السفر وكآبة المنقلب وسوء المنظر في الاهل والمال والولد، وقال كعب بن مالك في غزوة بني لحيان:

لو انَّ بني لحيان كانوا تناظروا \* لقوا عُصبا في دارهم ذات مَصْدَقِ

لقوا سَرَعانا يملأ السَّرْب روعه \* أمام طَحُون كالمجرة فَيْلقِ

ولكنهم كانوا وِبارا تتَّبعت \* شعاب حجاز غير ذي مُتنفَّق

واقام رسول الله صلع بعد غزوة بني لحيان ليالي قليلة ثم كانت غزوة ذي قرد ، وذلك ان عيينة بن حصن بن حذيفة بن بدر الغزاري اغار في خيل من غطفان على لقاح رسول الله صلع بالغابة ومعها رجل من بني غفار يرعاها وامرأة له فقتلوا الرجل واحتملوا المرأة وساقوا اللقاح، وكان اول من نذر بهم من المسلمين سلمة بن عمرو بن الاكوع الاسلمي غدا يريد الغابة ومعه قوسه ونبله وصاح بهم وجعل يعارضهم ويرميهم ويقول اذا رمى:

خذها وانا ابن الاكوع\* اليوم يوم المرضع

وبلغ رسول الله صلع صياح ابن الاكوع فما مر مناديه فنادى في المدينة الفزع الفزع فترامت الخيول الى الرسول صلع، واول من انتهى اليه من الفرسان المقداد بن الاسود ، فامر رسول الله صلع ثمانية من الفرسان ان يلحقوا القوم وامّر عليهم سعد بن زيد.

وخرج في بقية الناس بعده ومعه وصيه علي ابن ابي طالب واصحابه والمسلمون، فاول من لحق بالقوم محرز بن فضلة اخو بني اسد بن خزيمة، وكان يقال له الاحزم، فوقف لهم بين ايديهم ثم قال قفوا يا بني الكيعة حتى يأتيكم القوم من ورائكم، فحمل عليه رجل من غطفان فقتله، وجال الفرس فلم يقدر عليه حتى رجع الى المدينة وقتل معه وقاص بن محرز المدلجي

ولما تلاحقت الخيل حمل ابو قتادة الحرث بن ربيع اخو بني سلمة على خبيب بن عيينة بن حصن الغزاري فقتله وسجاه ببرده،

ثم لحق القوم بعده خيل المسلمين، ولما وصل المسلمون مع رسول الله صلع وجدوا خبيب الغزاري مسجى ببردة ابي قتادة فاسترجعوا وقالوا قتل ابو قتادة ، فقال رسول الله صلع ليس هو بابي قتادة ولكنه قتيل سجّاه ببرده ليعرف انه قاتله

وادرك عكاشة بن محصن اخو بني اسعد بن خزيمة اوبارا وابنه عمرو بن اوبار من غطفان فانتظمهما بالرمح وقتلهما جميعا ،

واستنقذ المسلمون بعص اللقاح وسار رسول الله صلع حتى نزل بالجبل من ذي قردة وتلاحق به الناس فقالوا يا رسول الله صلع لو ادركنا القوم ، فقال انهم الآن ليغبقون في غطفان ، فقسم رسول الله صلع في اصحابه كل مائة جزورا فاقاموا عليها ، ثم رجع رسول الله صلع بمن معه قافلا حتى قدم المدينة،

واقبلت امرأة الغفاري التي كان غطفان اخذتها مع الابل على ناقة من ابل رسول الله صلع حتى قدمت عليه فاخبرته الخبر، وقالت يا رسول الله صلع اني نذرت ان انحر هذه الناقة ان نجوت عليها، فتبسم رسول الله صلع ثم قال بئس ما جزيتها ان انجاك الله عليها ثم تنحريها، انه لا نذر فيما لا تملكين، انما هي ناقة من ابلي، ارجعي الى اهلك على كرم الله.

وقال حسان بن ثابت :

لولا الذي لاقت ومس نسورها \* بجنوب ساية أمسِ في التَّقْوادِ

لَلَقِينكم يحملن كل مدجج \* حامي الحقيقة ماجد الأجداد

ولَسرَّ أولاد اللقيطة أننا \* سِلْم غداة فوارس المقداد

كنا ثمانية وكانوا جحفلا \* لجبا فشُكُّوا بالرماح بَداد

كنا من القوم الذين يلونهم \* ويُقدّمون عنان كل جواد

كلا ورب الراقصات إلى منى \* يقطعن عرض مخارم الأطواد

حتى نُبيل الخيل في عرصاتكم \* ونؤوب بالملكات والأولاد

رَهْوا بكل مقلَّص وطمرَّة \* في كل معترك عطفن و وادي

أفنى دوابرها ولاح متونها \* يوم تُقاد به ويوم طراد

فكذاك إن جيادنا ملبونة \* والحرب مشعلة بريح غواد

وسيوفنا بيض الحدائد تجتلي \* جُنَنَ الحديد وهامة المرتاد

أخذ الإله عليهمُ لحرامه \* ولعزة الرحمن بالأسداد

كانوا بدار ناعمين فبُدّلوا \* أيام ذي قرد وجوه عباد

وقال كعب بن مالك في يوم ذي قرد:

أتحسب أولاد اللقيطة أننا \* على الخيل لسنا مثلهم في الفوارس

وإنا أناس لا نرى القتل سبة \* ولا ننثني عند الرماح المداعس

وإنا لنقري الضيف من قمع الذرا \* ونضرب رأس الأبلخ المتشاوس

نردّ كماة المعلمين إذا انتخوا \* بضرب يسلِّي نخوة المتقاعس

بكل فتى حامي الحقيقة ماجد \* كريم كسرحان الغضاة مخالس

يذودون عن أحسابهم وتلادهم \* ببيض تقد الهام تحت القوانس

فسائل بني بدر إذا ما لقيتهم \* بما فعل الإخوان يوم التمارس

إذا ما خرجتم فاصدقوا من لقيتم \* ولا تكتموا أخباركم في المجالس

وقولوا زللنا عن مخالب خادر \* به وَحَر في الصدر ما لم يمارس

ثم كانت غزوة بني المصطلق بالمرسيع

واقام رسول الله صلع بالمدينة بعض جمادى الاخرى ورجبا ثم غزى بني المصطلق من خزاعة في شهر شعبان سنة ست من الهجرة ، وذلك انه بلغ رسول الله صلع انهم يجمعون لحربه وقائدهم الحارث بن ضرار ابو جويرية بنت الحرث زوج رسول الله صلع ، فلما سمع بهم رسول الله صلع خرج من المدينة اليهم فلقيهم على ماء من مياههم يقال له المرسيع، وكان شعار المسلمين يوم بني المصطلق يا منصور امت، وحمل عليهم علي ابن ابي طالب ع م ففرّق جمعهم وقتل مالكا وابنه ومن رؤسائهم، وتبعهم المسلمون فقتلوا منهم من قتلوا ونفل رسول الله صلع منهم كثيرا فقسّم رسول الله صلع في المسلمين ، وكانت جويرية ابنة الحرث بن ضرار زوج رسول الله صلع في السبايا ، ووقعت في السهم لثابت بن شماس وابن عم له فكاتبت على نفسها واستعانت رسول الله صلع ، فلما قضت كتابتها وتزوجها رسول الله صلع وخرج الخبر الى الناس ان رسول الله صلع قد تزوجها فقال الناس اصهار رسول الله صلع فارسلوا ما في ايديهم فذكر الرواة انه اعتق مائة بنت من سبي بني المصطلق، فكانت ابرك امرأة على قومها ،

وقتل في يوم بني المصطلق رجل من المسلمين من بني كلب من عوف بن عامر بن ليز بن بكر يقال له هشام بن صبابة اصابه رجل من الانصار وهو يظنه مشركا فقتله خطأ ، فبينما الناس على الرسيع في ماء لبني المصطلق اذ ورده الناس ومع عمرو بن الخطاب اجير له من بني غفار يقال له جهجاه بن مسعود فازدحم رجل من جهينة حليف لبني الخزرج على الماء فاقتتلا، فصرخ الجهيني يا معشر الانصار، وصرخ اجير عمر يا معشر المهاجرين ، وكانت بين عمرو وبين عبد الله بن ابي بن سلول وجماعة من المنا فقين مخاصمة ومحاورة كادوا بها يفرقون بين المهاجرين والانصار ، فسار رسول الله صلع بالناس ولم يقف بهم يومهم ذلك الى الليل حتى اتعبهم السير واذابهم الشمس، ثم نزل بهم على الماء فلما وجدوا مسّ الارض وقعوا نياما ، وانما فعل ذلك رسول الله صلع ليشغل الناس عن الحديث الذي كان بينهم ،

وقد كان عبد الله بن ابي بن سلول قال لئن رجعنا الى المدينة ليخرجن الاعز منها الاذل، فان هؤلاء قد نافرونا وكاثرونا في بلادنا ،

فلما انتهى رسول الله صلع في السير لقيه اسيد بن حضير فحياه بتحية النبوة ، ثم قال يا رسول الله لقد رحت في ساعة منكرة ما كنت لتروح فيها ، فقال ع م اما سمعت ما قال ابن ابي سلول ، قال وما قال يا رسول الله صلع ، قال انه زعم لئن رجعنا الى المدينة ليخرجن الاعز منها الاذل ، فقال يا رسول الله صلع تخرجه ان شئت هو والله الاذل ، وانت الاعز يا رسول الله صلع ، ارفق به فلقد جئتَ وان قومه لينظمون له الحرز ليتوّجوه فانه يرى انك قد سلبته ملكا ، وقدم مقبس بن صبابة بعد قتل اخيه هشام بن صبابة من مكة يزعم انه قد اسلم ، وقال يا رسول الله جئتك اطلبك دية اخي ، فامر رسول الله صلع بدية اخيه ، فاقام عند رسول الله صلع اياما ثم عدى على قاتل اخيه فقتله ، ثم خرج الى مكة مرتدا ، وقال مقبس في ذلك :

جلَّلته ضربة باءت لها وشل \* من ناقع الجوف يعلوه وينصرم

فقلت والموت تغشاه أسرّته \* لا تأمنن بني بكر إذا ظلموا

ولما كان بعد ذلك اسلم بنو المصطلق فبعث اليهم رسول الله صلع بعد اسلامهم الوليد بن عقبة، فلما سمعوا به ركبوا ليتلقوه مستبشرين به اذ بعثه رسول الله صلع اليهم ، فرجع الى رسول الله صلع وزعم انهم قد ارتدوا وهموا بقتله حتى همّ رسول الله صلع ان يغزوهم فبيناهم على ذلك اذ قدم وفدهم على رسول الله صلع وقالوا يا رسول الله انا على اسلامنا وانا سمعنا برسولك فخرجنا لنتلقاه ونكرمه ونؤدي اليه ما لدينا من الصدقة ، فانشمر راجعا وزعم انا خرجنا اليه لنقتله ووالله ما جئنا لذلك ، فانزل الله تعالى في الوليد بن عقبة : يا ايها الذين آمنوا ان جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا ان تصيبوا قوما بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين ، واعلموا ان فيكم رسول الله لو يطيعكم في كثير من الامر لعنتم الى آخر الآية ،

وكانت عائشة بنت ابي بكر مع رسول الله صلع في سفره ذلك، وتخلفت وزعمت انها ذهبت الى الخلاء، فرفع الهودج وليست فيه وقيل فيها ما قيل ، وانها انزلت في ذلك آية في براءتها على الرسول صلع .

وعن سلمان الفارسي رضي الله عنه قال لما انصرف رسول الله صلع من غزوة بني المصطلق كان في مقدمة الناس وامر عليا ان يكون في ساقتهم ليحفظهم، فلما وصل رسول الله صلع المدينة اتى باب المسجد فجلس ينتظر عليا ع م لم يدخل منزلته وجعل يمسح العرق عن جبينه ، ثم قال يأتي هذه الساعة من هذا الشعب رجل اشبه الناس بالمسيح وهو افضل الناس بعدي يوم القيامة واول من يدخل الجنة يوم القيامة ، فجعلنا ننتظر الى الشعب فكان اول من طلع من الشعب علي ابن ابي طالب عليه السلام ، فلما انتهى الى رسول الله صلع قام اليه فاعتنقه وقبّل بين عينيه ودخلا عليهما السلام ، فقال قوم من المنافقين يشبه ابن عمه بالمسيح ويمثله به ، افآلهتنا التي كنا نعبدها خيرا لم علي ، فانزل الله تعالى فيهم : ولما ضرب ابن مريم مثلا اذ قومك منه يصدون ، وقالوا أآلهتنا خير ام هو ، ما ضربوه لك الا جدلا بل هم قوم خصمون ،

واقام رسول الله صلع شهر رمضان وشوالا ،

ثم كانت بعد ذلك غمرة الحديبية

فخرج رسول الله صلع في ذي القعدة معتمرا لا يريد حربا واستنفر العرب ومن حوله من الاعراب ليخرجوا معه فابطأ عنه كثير من الاعراب ، وسار صلع بمن معه من المهاجرين والانصار ومن لحق به من العرب وساق معه الهدي ، واحرم صلع بالعمرة ليعلم الناس انه انما خرخ زائرا للبيت ومعظما له ، فكان الهدي الذي ساقه رسول الله صلع سبعين بدنة ، وكان جابر بن عبد الله الانصاري يقول كنا اصحاب الحديبية اربع عشرة مائة ، وكان احرام رسول الله صلع في ذي الحليفة ، فاحرم واحرم اصحابه وقلدوا الهدي واشعروه ، فلما صار رسول الله صلع بعسفان لقيه بشر بن سفيان الكعبي ويقال له بسر بالسين فقال يا رسول الله صلع هذه قريش سمعت بمسيرك فخرجوا ومعهم العوذ والمطافيل قد لبسوا جلود النمور وقد نزلوا بذي طوى يعاهدون الله لا يدخلها عليهم ابدا ، وهذا خالد بن الوليد في خيلهم قد قدموها الى كراع الغميم ،

فقال رسول الله صلع يا ويح قريش لقد اكلتهم الحرب ، ما ذا عليهم لو خلوا بيني وبين العرب ، فانهم اصابوني كان الذي ارادوا ، وان اظهرني الله عليهم دخلوا في الاسلام وافرين ،وان لم يفعلوا قاتلوا وبهم قوة فما تظن قريش ، فوالله لا ازال اجاهد على الذي بعثني الله به حتى يظهره الله او تنفرد هذه السالفة واشار اليى مقدّم عنقه صلع ، وقال ومن يخرج بنا على غير طريقهم ، فقال رجل من اسلم انا يا رسول الله صلع فسلك بهم طريقا وعرا بين شعاب ، فلما انتهى رسول الله صلع الى ثنية المرار مهبط الحديبية بركت ناقته فقالوا خلأت يا رسول الله والخلاء حوان الابل ، قال صلع ما خلأت ولا هو بخلق لها لكن حبسها حابس الفيل ، لا تدعوني قريش اليوم الى خطة يسألوني فيها صلة الرحم الا اعطيتهم اياها، ثم قال لهم انزلوا ، فقالوا يا رسول الله ما بالوادي ماء تنزل عليه فاخرج سهما من كنانته فاعطاه رجلا من اصحابه يقال انه امير المؤمنين ع م فنزل في قليب من تلك القلب فغرسه في جوفه فجاش الماء فشرب الناس واستقوا

ومشت الرسل بين رسول الله صلع وبين قريش الى رسول الله

عروة بن مسعود الثقفي فكلم رسول الله صلع فاخبره رسول الله صلع انه لم يأت لحرب ، وانما اتى لتعظيم البيت فعاد الى قريش وقد رأى تعظيم اصحاب رسول الله صلع له لا يتوضى الا ابتدروا وضوءه ولا يبصق بصاقا الا ابتدروه ولا يسقط من شعره شيء الا اخذوه ، فرجع الى قريش فقال يا معشر قريش اني رأيت كسرى في ملكه والقيصر في ملكه والنجاشي في ملكه واني والله ما رأيت ملكا قط مثل محمد في اصحابه ، لقد رأيت قوما لا يسلمونه لشيء ابدا ، فرأوا رأيكم ، وامرت قريش خمسين رجلا ان يطيفوا برسول الله صلع لينالوا منه غرة فاخذوا واتي بهم رسول الله صلع فعفى عنهم وخلى سبيلهم ، وقد كانوا رموا في عسكر رسول الله صلع بالنبل والحجارة ، وارسل رسول الله صلع رسلا الى قريش فاحتبسوهم وهموا بهم وبلغ رسول الله صلع انهم قتلوا رسله فبايع اصحابه بيعة الرضوان بايعهم على الموت،

وكان جابر بن عبد الله يقول ان رسول الله صلع لم يبايعنا على الموت ، انما بايعنا على ان لا نفرّ،

ورجع اصحاب النبي صلع الذين ارسلهم الى قريش ووصل اليه سهيل بن عمرو اخو بني عامر بن لوي ، فلما آه رسول الله صلع مقبلا قال قد اراد القوم الصلح فتكلّم رسول الله صلع وسهيل مليا ، ثم جرى الصلح ولم تبق الا الكتاب ، فقام عمرو بن الخطاب معترضا على رسول الله صلع شاكّا في الاسلام فقال يا رسول الله صلع الست برسول الله ، قال بلى ، اولسنا بالمسلمين ، قال بلى ، قال اوليسوا بالمشركين ، قال بلى ، قال فعلام نعطي الدنية من انفسنا ، فقال رسول الله صلع انا عبد الله ورسوله ولن يضيعني ولن اخالف امره ، ثم دعى رسول الله صلع علي ابن ابي طالب ع م فقال اكتب بسم الله الرحمن الرحيم ، فقال سهيل لا اعرف هذا لكن اكتب بسمك اللهم ، فقال رسول الله صلع اكتب بسمك اللهم فكتبها ، ثم قال اكتب هذا ما صالح عليه محمد رسول الله وسهيل بن عمرو ، فقال سهيل لو كنت رسول الله لم نقاتلك ، ولكن اكتب اسمك واسم ابيك ، فقال رسول الله صلع لعلي ع م اكتب هذا ما تصالح عليه محمد بن عبد الله ، فقال امير المؤمنين يا رسول الله صلع لا امحو اسمك ، فقال اكتب فانك ستدعى الى مثلها ، فكان ذلك في ايام معاوية وسنذكره ، وكتب علي ع م باملاء رسول الله صلع باسمك اللهم هذا ما صالح عليه محمد بن عبد الله سهيل بن عمرو واصطلحا على وضع الحرب عن الناس عشر سنين يأمن فيهن الناس ويكف بعضهم عن بعض على انه من اتى محمدا من قريش رده عليهم ومن جاء قريشا ممن مع محمد لم يردوه عليه ، وانا بيننا غيبة مكفوفة ، وانه لا اصلال ولا اغلال وانه من احب ان يدخل في عهد محمد وعقده دخل فيه ، ومن احب ان يدخل في عقد قريش وعهدهم دخل فيه ، فتواثبت خزاعة فقالوا نحن في عهد محمد وعقده ، وتواثبت بنو بكر فقالوا نحن في عهد قريش وعقدهم ، وانك ترجع عنا في عامك هذا ولا تدخل علينا مكة ، وانه اذا كان عام قابل خرجنا عنها فدخلتها باصحابك فاقمت فيها ثلاثا معك سلاح الراكب السيوف في القرب لا تدخلها بغيرها ، فبينا رسول الله صلع يكتب الكتاب هو وسهيل جاء ابو جندل من سهيل بن عمرو يرسف في قيوده وكان قد اسلم ففعل به ابوه سهيل ذلك لاسلامه وقد انفلت الى رسول الله صلع فقال ابوه لرسول الله صلع الم يتم الحديث بيني وبينك قبل ان يجيء هذا ، قال بلى ، فقام سهيل ينتره بتلابيبه ويجره ليرده الى قريش وجعل ابنه ابو جندل يصيح باعلى صوته يا معشر المسلمين اارد الى المشركين يفتنوني عن الدين ، فكاد المسلمون ان يهلكوا فقال رسول الله صلع يا ابا جندل اصبر واحتسب فان الله جاعل لك فرجا ومخرجا انا قد عقدنا وانا لا نغدر بهم ابدا ، فلما فرغ الكتاب اشهد على الصلح رجال من المسلمين ورجال من المشركين ، وقام رسول الله صلع الى هديه فنحره ثم جلس فحلق رأسه ، فلما رأى المسلمون رسول الله صلع قد نحر وحلق تواثبوا ينحرون ويحلقون ، ومنهم من قصر ، فقال رسول الله صلع يرحم الله المحلقين ، قالوا والمقصرين يا رسول الله ، قال يرحم الله المحلقين ، قالوا والمقصرين يا رسول الله ، قال يرحم الله المحلقين والمقصرين بالثالثة ،

فرجع رسول الله صلع قافلا ، فلما كان بين المدينة ومكة نزلت عليه سورة الفتح، ولما قدم رسول الله صلع المدينة اتاه ابو بصير عتبة بن اسد بن جارية وكان ممن حبس في مكة فاتى رجل من المشركين الى رسول الله صلع بكتاب منهم وقالوا الم نعاهدك على ان لا يأتيك احد ممن معنا ، قال بلى ، وقال رسول الله صلع يا ابا بصير انا قد اعطينا القوم عهدا وان الله جاعل لك ولمن معك فرجا، فرجع ابو بصير مع المشرك حتى اذا كان بذي الحليفة عدا عليه ابو بصير فقتله وخرج ابو بصير حتى نزل العيص من ناحية ذي المروة على ساحل البحر بطريق قريش التي كانوا يأخذون الى الشأم وبلغ المسلمين الذين كانو احبسوا بمكة قول رسول الله صلع وقد قال رسول الله صلع لابي بصير ويل امه محش حرب لو كان معه رجال، فخرجوا الى بصير بالعيص من مكة واجتمع معه قريب من سبعين رجلا منهم فضيقوا على قريش لا يظفرون باحد منهم الا قتلوه ولا تمر بهم عير الا اقتطعوها حتى كتبت قريش الى رسول الله صلع تسأله بارحامها الا آواهم فلا حاجة لهم بهم فآواهم رسول الله صلع وقدموا عليه المدينة ، وكان ابو بصير من ثقيف.

وهاجرت الى رسول الله صلع في تلك المدة ام كلثوم بنت عقبة بن ابي معيط فاتيا اخواها عمارة والوليد ابنا عقبة يطلبان ردها ، فانزل الله تعالى على رسوله صلع اذا جاءكم المؤمنات مهاجرات فامتحنوهن الله اعلم بايمانهن فان علمتهن مؤمنات فلا ترجعوهن الى الكفار لاهن حل لهم ولا هم يحلون لهنّ الآية ، فابى الله ان يرجعن الى الكفار ، ثم اقام رسول الله صلع بالمدينة حين رجع من الحديبية ذا الحجة وبعض المحرم وولى تلك الحجة المشركون .

وخرج رسول الله صلع الى خيبر في بقية المحرم سنة سبع في المهاجرين والانصار ومن اتبعهم ودفع الرأية الى علي ابن ابي طالب ع م ، وكانت بيضاء ، وخرج عامر بن الاكوع وهو يرتجز بين يدي رسول الله صلع يقول :

والله لولا الله ما اهتدينا \* ولا تصدقنا ولا صلينا

انا اذا قوم بغوا علينا \* وان ارادوا فتنة ابينا

فأنزلن سكينة علينا \* وثبت الاقدام ان لاقينا

فقال رسول الله صلع يرحمك ربك ، فقتل يوم خيبر شهيدا رجع سيفه عليه وكلمه كلما شديدا مات منه رحمة الله عليه، فشك فيه المسلمون وقالوا انما قتله سلاحه ، فقال رسول الله صلع انه لشهيد ، وصلى عليه والمسلمون ،

ولما اشرف رسول الله صلع على خيبر قال لاصحابه قفوا ، ثم قال اللهم رب السموات وما اظللن ورب الرياح وما ذرين ، انا نسألك خير هذه القرية وخير اهلها وخير ما فيها ، واعوذ بك من شرها وشر اهلها وشر ما فيها ، اقدموا بسم الله ، و كان يقولها لكل قرية دخلها ، فنزل صلع خيبر ليلا فبات حتى اذا اصبح ركب وركب معه المسلمون فاستقبلهم اهل خيبر قد خرجوا بمساحيهم ومكاتلهم ، فلما رأوا رسول الله صلع قالوا هذا محمد والجيش معه وادبروا هربا ، فقال رسول الله صلع الله اكبر خزيت خيبر ، انا اذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذرين ، وقد كان رسول الله صلع حين خرج من المدينة في تلك الغزاة سلك على عصر فبنى فيها مسجدا ، ثم اقبل بجيشه حتى نزل بواد يقال له الرجيع بين خيبر وغطفان ليحول بينهم وبين غطفان ان تمدهم ،

واعطى رسول الله صلع ابا بكر الرأية وكانت بيضاء وقال له قاتل اهل خيبر فرجع منهزما ولم يك فتح، ثم بعث بالغداة عمرو بن الخطاب بالرأية فعاد منهزما ولم يك فتح ، فقال صلع لاعطين الرأية غدا رجلا يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله كرار غير فرار يفتح الله على يديه فاستشرف كل منها ، فلما كان الصباح قال رسول الله صلع اين اخي علي ابن ابي طالب فقيل يا رسول الله هو ارمد فدعاه فتفل في عينيه ، وقال اللهم اذهب عنه الحر والبرد فلم يك علي ع م بعد يؤذيه الحر والبرد ، واعطاه الرأية وقال خذها وامض بها حتى يفتح الله على يديك ، فخرج ص ع مسرعا والمسلمون بعده حتى ركز رأيته في رخم من حجارة تحت الحصن فاطلع عليه يهودي من رأس الحصن فقال له من انت ؟ قال : انا علي ابن ابي طالب ، فقال له اليهودي : علوتم وما انزل على موسى بن عمران ، فخرج اليه مرحب اليهودي من حصنهم قد جمع عليه سلاحه يرتجز وهو يقول :

قد علمت خيبر أني مرحب \* شاكي السلاح بطل مجرب

أطعن أحياناً وحيناً أضرب \* إذا الليوث أقبلت تحرب

إن حماى للحمى لا يقرب \*

فاجابه علي ع م وهو يقول :

انا الذي سمّتني امي حيدرة \* اكيلكم بالسيف كيل السندرة

فتجاولا مليا وتصاولا ،وحمل مرحب على امير المؤمنين ع م فضربه في ترسه فنحاه عنه فتناول علي ع م بابا عند الحصن فترس به عن نفسه وحمل على مرحب فضربه فقدّ هامته بعد البيضة فخر صريعا، ولم يزل ذلك الباب في يده فقاتل به حتى قتل به جماعة من ابطال اليهود وفتح الله على يديه ، فالقى الباب من يده ، فاجتمع بعد ذلك ثمانية رجال وقيل اكثر عددا على ان يقلبوا ذلك الباب فلم يطيقوه .

ومما يؤثر عن علي ع م انه قال لما غزى رسول الله صلع خيبر تلقانا اهلها من اليهود مثل الجبال من الخيل والسلاح وهم في امنع دار واكثرها عددا كل ينادي للبراز الى اللقاء فلم يبرز اليهم من المسلمين احد الا قتلوه حتى احمرت الحدق ودعيت الى البراز وهمة كل امرء نفسه فانهضني رسول الله صلع الى برازهم فلم يبرز الي احد منهم الا قتلته ولا ثبت لي فارس منهم الا طحنته، ثم شددت عليهم شدة الليث على فريسته فادخلتهم جوف مدينتهم يكسع بعضهم بعضا ووردت باب المدينة فوجدت صدودا عليهم فاقتلعته بيدي ودخلت عليهم مدينتهم وحدي اقتل من ظهر من رجالها واسبي من اجد من نسائها فافتتحتها وحدي لم يكن لي معين الا الله وحده .

ومن اسماعيل بن محمد الكوفي باسناده عن جابر بن عبد الله الانصاري انه قال لما قد علي ع م على رسول الله صلع بفتح خيبر قال له لو لا ان تقول فيك طائفة من امتي ما قالت النصارى في المسيح لقلت فيك قولا لا تمر بملأ من الناس الا اخذوا من تراب تحت رجليك وفضل طهورك يستشفون به ولكن حسبك ان تكون مني بمنزلة هارون من موسى الا انه لا نبي بعدي ، وانك لتبرئ ذمتي وتقاتل على سنتي، وانك في الآخرة غدا معي اقرب الناس مني ، وانك على الحوض خليفتي وانك اول من يرد علي الحوض لانك اول من آمن بي وانك اول من يكسى معي وانك اول من يدخل الجنة من امتي وان شيعتك على منابر من نور مبيضة وجوههم اشفع لهم حتى يكونوا في الجنة جيراني وان حربك حربي وسلمك سلمي وان سريرة صدرك كسريرة صدري وان ولدك ولدي وانك تنجز عدتي وان الحق على لسانك وفي قلبك وبين عينيك وان الايمان مخالط لحمك ودمك كما خالط لحمي ودمي وانه لن يرد علي الحوض مبغض لك ولن يغيب عنه محبك حتى تراه معك ، فال فخر علي عليه السلام ساجدا وقال الحمد لله الذي انعم علي بالاسلام وعلمني القرآن وحببني الى خير البرية ، خاتم النبيين وسيد المرسلين احسانا منه الي وفضلا منه علي ، فقال رسول الله صلع لولاك يا علي ما عرف المؤمن بعدي.

فافتتح رسول الله صلع خيبرا و اخذ حصونها وقتل من شاء من الرجال وآمن من شاء واستبى ذراريهم واصطفى لنفسه صفية بنت حيي بن اخطب ، ونهى رسو ل الله صلع عن اربع يوم خيبر : اتيان الحبلى من النساء يعني من السبايا ، وعن اكل لحم الحمار الاهلي ، وعن اكل ذي ناب من السباع ، وعن بيع الغنائم حتى تقسم ،

وعن جابر بن عبد الله الانصاري ان النبي صلع نهى الناس عن اكل لحوم الحمر واذن لهم في لحوم الخيل،

وخطب رسول الله صلع في خيبر فقال في خطبته : لا يحل لمؤمن من يؤمن بالله واليوم الآخر ان يصيب امرأة من السبي حتى يستبرئها ، ولا يحل لمؤمن من يؤمن بالله واليوم الآخر ان يسقي زرع غيره يعني اتيان الحبالى من النساء ، ولا يحل لمؤمن يؤمن بالله واليوم الآخر ان يبيغ مغنما حتى يقسم ، ولا يحل لامرء يؤمن بالله واليوم الآخر ان يركب دابة من فيء المسلمين حتى اذا اعجفها ردها فيه ولا يحل لامرء يؤمن بالله واليوم الآخر ان يلبس ثوبا من فيء المسلمين حتى اذا اخلقه رده فيه .

وصالح رسول الله صلع اهل خيبر واهل فدك والعوالي على ان يزرعوا ارضها ولهم نصف ما اخرجت، وانه متى شاء ان يخرجهم من ذلك اخرجهم ، ولما اطمأن رسول الله صلع اهدت له زينب ابنة الحرث امرأة سلام بن مشكم شاة مصلية وقد سألت اي عضو في الشا اشهى الى رسول الله صلع فقيل لها الذراع ، فاكثرت فيها السم ، ثم جاءت بها فوضعها بين يدي رسول الله صلع فتناول الذراع فلاك منها بمضغة ولم يسغها ونادته اني مسمومة فلفظها ومعه بشر بن البراء بن مغرور قد اخذ كما اخذ رسول الله صلع ،فاما بشر فاساغتها واما رسول الله صلع فلفظها ، وقال ان هذا العضو يخبرني اني مسموم ، ثم دعى المرأة فاعترفت فقال لها ما حملك على هذا؟ قالت بلغت من قومي ما لم يخف عليك ، فقلت ان كان ملكا استرحت منه وان كان نبيا فسيخبر فتجاوز عنها رسول الله صلع ومات بشرى بن البراء بن مغرور من الاكلة التي اكل ، وقيل ان اخت بشر بن البراء بن مغرور عادت رسول الله صلع في مرضه الذي توفي فيه فقال لها : الآن وجدت انقطاع ابهري من الآكلة التي اكلت مع اخيك بخيبر ،

ولما فرغ رسول الله صلع من خيبر انصرف الى واد القرى فحاصر اهله ليالي ثم رجع صلع الى المدينة، وقال لقيم العيسى في فتح خيبر، وكان في شهر صفر :

رميت نطاة من الرسول بفيلق \* شهباء ذات مناكب وفقار

واستيقنت بالذل لما شيعت \* ورجال أسلم وسطها وغفار

صبحت بني عمرو بن زرعة غدوة \* والشق أظلم أهله بنهار

جرت بأبطحها الذيول فلم تدع \* إلا الدجاج تصيح في الأسحار

ولكل حصن شاغل من خيلهم \* من عبد أشهل أو بني النجار

ومهاجرين قد اعلموا سيماهم \* فوق المغافر لم ينوا لفرار

ولقد علمت ليغلبن محمد \* وليثوين بها إلى أصفار

فرت يهود يوم ذلك في الوغى \* تحت العجاج غمائم الأبصار

ولما فتحت خيبر اتى الحجّاج بن علاط السلمي الى رسول الله صلع فقال يا رسول الله صلع ان لي بمكة مالا عند ام شيبة بنت ابي طلحة وهي امرأته ومالي متفرق في تجار اهل مكة ، فاذن لي يا رسول الله صلع فاذن له ، فقال انه لا بد لي يا رسول الله ان اقول ، فقل قل .

فقدم الحجاج بمكة فوجد اهل مكة يتجسـسون الاخبار ويسألون الركبان عن امر رسول الله صلع وقد بلغهم مسيره الى خيبر ، وقد علموا انها قرية الحجاز رفغا ومنعة ورجالا ، فلما ورد الحجاج قالوا هذا عنده الخبر ولم يكونوا علموا باسلامه ، فقالوا اخبرنا يا ابا محمد فانه قد بلغنا ان القاطع قد سار الى خيبر ، وهي بلد يهود وريف الحجاز ، قال قد بلغني ذلك وعندي من الخبر ما يسركم ، فقالوا له ايه يا حجاج ، قال هزم هزيمة لم تسمعوا بمثلها قط ، وقتل اصحابه قتلا لم يسمع بمثله ، واسر محمد اسيرا ، وقالوا لا نقتله حتى نبعث به الى مكة ، فقاموا وصاحوا بمكة وقالوا انما ننتظر قدوم محمد اسيرا فنقتله بمن اصاب من رجالنا ،

فقال اعينوني على جمع مالي بمكة على غرمائي فاني اريد ان اقدم خيبر فاصيب من فيء محمد واصحابه قبل ان يسبقني التجار ، فقاموا يجمعون ما كان له كاحب جمع ، ولما سمع العباس بن عبد المطلب جاء الى الحجاج وقال : ويلك ما الخبر ، فقال احفظ ما اودعتك من الحديث يا ابا الفضل فاني استعنت بهم على جمع مالي ، واني اخشى الطلب ثلاثا ، قال افعل ، فقال اني والله لقد تركت ابن اخيك عروسا على بنت ملكهم يعني صفية بنت حيي بن اخطب ، ولقد استفتح خيبر وملك ما فيها وصارت له ولاصحابه قال احقا ما تقول يا حجّاج ، قلت اي والله فاكتم عني ولقد اسلمت وما جئت الا لاخذ مالي خوفا ان اغلب عليه ، فاذا مضت ثلاثة بعد مسيري فاظهر امرك ، فانه والله الذي تحب ، حتى اذا كان اليوم الثالث بعد مسير الحجاج لبس العباس بن عبد المطلب حلة له وتخلق واخذ عصاه ثم خرج حتى اتى الكعبة فطاف بها، فلما رآه قالوا له يا ابا الفضل ان هذا التجلد بعد المصيبة ، قال كلا والله لقد افتتح محمد خيبر وملكها عنوة ونزل على بنت ملكهم حيي بنت اخطب عروسا ، وصارت اموالهم وما فيها له ولاصحابه ، قالوا ومن جاءك بهذا الخبر ؟ قال الذي جاءكم بما جاءكم منه ، ولقد دخل عليكم مسلما واخذ ماله وانطلق ليلحق واصحابه فيكون معهم، فقالوا يا لعباد الله افلت عدو الله ، اما والله لو علمنا لكان لنا وله شأن ، ولم يلبثوا ان جاءهم الخبر، وقال حسان بن ثابت في يوم خيبر :

بئسما قاتلت خيابر عما \* جمعوا من مزارع ونخيل

كرهوا الموت فاستبيح حماهم \* وأقروا فعل اللئيم الذليل

أمن الموت يهبوا فإن الموت \* موت الهزال غير جميل

وقال كعب بن مالك في فتح خيبر شعرا :

ونحن وردنا خيبرا وفروضه \* بكل فتى عاري الأشاجع مذود

جواد لدى الغايات لاواهن القوى \* جريء على الأعداء في كل مشهد

عظيم رماد القدر في كل شتوة \* ضروب بنصل المشرفي المهند

يرى القتل مدحا إن أصاب شهادة \* من الله يرجوها وفوزاً بأحمد

يذود ويحمي عن ذمار محمد \* ويدفع عنه باللسان وباليد

وينصره من كل أمر يريبه \* يجود بنفس دون نفس محمد

يصدق بالأنباء بالغيب مخلصا \* يريد بذاك الفوز والعز في غد

وقدم جعفر بن ابي طالب ع م يوم فتح خيبر فسرّ رسول الله صلع قدومه وقال لا ادري بايهما اسر بفتح خيبر ام بقدوم جعفر ، وكانت معه امرأته اسماء بنت عميس وابنه عبد الله بن جعفر ولد بارض الحبشة وجماعة من المسلمين ممن هاجر الى الحبشة ، واقام رسول الله صلع بعد قدومه من خيبر شهري ربيع وجماديين ورجب وشعبان ورمضان وشوال ،

ثم خرج معتمرا عمرة القضاء مكان العمرة التي صده عنها المشركون ، وخرج معه المسلمون ممن كان صد عن العمرة معه ، فلما سمع به اهل مكة خرجوا عنه وتحدثت قريش بينها ان محمدا واصحابه في عسر وجهد وشدة فصفوا له عند دار الندوة لينظروا اليه والى اصحابه ، فلما دخل رسول الله صلع المسجد اضطبع بردائه واخرج عضده اليمنى ، ثم قال رحم الله امرءا اراهم اليوم من نفسه قوة ، ثم استلم الركن وخرج يهرول ويهرول اصحابه معه حتى اذا واراه البيت منهم استلم الركن اليماني ثم مشى ، حتى استلم الركن الاسود ، ثم هرول كذلك ثلاثة اطواف ثم مشى سائرها فظن المسلمون ان النبي صلع انما صنع ذلك ليري قريشا الشدة ، فلما فعله في حجة الوداع مضت السنة ، وقيل ان النبي صلع دخل مكة في تلك العمرة وعبد الله بن رواحة اخذ بخطام ناقته وهو يقول شعرا :

خلوا بني الكفار عن سبيله \* خلوا فكل الخير في رسوله

يا رب إني مؤمن بقيلة \* أعرف حق الله في قبوله[[7]](#footnote-7)

وقيل انما نزلت عليه الآية في تلك العمرة : لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق لتدخلن المسجد الحرام ان شاء الله آمنين محلقين رؤسهم ومقصرين لا تخافون ، فعلم ما لم تعلموا ، فجعل من دون ذلك فتحا قريبا ، يعني بالفتح القريب فتح خيبر ،

واقام رسول الله صلع بعد رجوعه من العمرة بالمدينة بقية شهر ذي الحجة وولى تلك الحجة المشركون والمحرم وصفر وشهري ربيع ،

وكانت غزوة مؤته في جمادى الاولى سنة ثمان ،

فبعث رسول الله صلع جيشا من المسلمين الى مؤتة واستعمل عليهم ابن عمه جعفر بن ابي طالب ، وقال ان اصيب جعفر فزيد بن حارثة على الناس ، فان اصيب زيد فعبد الله بن رواحة على الناس ، فتهيأ القوم للخروج فاتي عبد الله بن رواحة الى رسول الله صلع يستودعه وانشده وقال :

أنت الرسول فمن يحرم نوافله \* والوجه منه فقد أزرى به القدر

فثبت الله ما آتاك من حسن \* في المرسلين ونصرا كالذي نصروا

اني تفرست فيك الخير نافلة \* فراسة خالفت فيك الذي نظروا

وهذه الابيات في قصيدة.

وخرج رسول الله صلع يشيع جعفربن ابي طالب واصحابه حتى اذا ودّعهم وانصرف عنهم قال عبد الله بن رواحة شعرا :

خلف السلام على امرئ ودعته \* في النخل خير مشيع وخليل

ثم مضوا حتى نزلوا معان من ارض الشام فبلغ الناس ان هرقل قد نزل مآب من ارض البلقى في مائة الف من الروم وانضم اليه من لخم وجذام وبهراء وبلى مائة الف ، فلما بلغ المسلمين ذلك اقاموا على معان ليلتين ينظرون في امرهم، وقالوا نكتب الى رسول الله صلع فنخبره الخبر ، فاما ان يمدنا بالرجال واما ان يأمرنا بامره فنمضي له ، فشجع الناس جعفر بن ابي طالب وعبد الله بن رواحة رضوان الله عليه وقالوا : انما خرجنا نطلب الشهادة وما نقاتل الناس بعدد ولا قوة ولا كثرة ، انما نقاتلهم بهذا الذين الذي اكرمنا الله به ، فانطلقوا فانها احدى الحسنين، اما فتح واما شهادة ، فمضى الناس، وقال عبد الله بن رواحة شعرا:

جلبنا الخيل من أجإ وفرع \* تغر من الحشيش لها العكوم

حذوناها من الصوان سبتا \* أزل كأن صفحته أديم

أقامت ليلتين على معان \* فأعقب بعد فترتها جموم

فرحنا والجياد مسومات \* تنفس في مناخرها السموم

فلا وأبى مآب لنأتينها \* وإن كانت بها عرب وروم

فعبأنا أعنتها فجاءت \* عوابس والغبار لها بريم

بذي لجب كأن البيض فيه \* إذا برزت قوانسها والنجوم

فراضية المعيشة طلقتها \* أسنتها فتنكح أو تئيم

فمضى الناس حتى اذا كانوا بتخوم البلقاء لقيتهم جموع هرقل من الروم والعرب بقرية من قرى البلقاء يقال لها سرف ، ثم دنى العدو وانحاز المسلمون الى قرية يقال له مؤتة، فتعبأ المسلمون فجعلوا على ميمنتهم رجلا من عذرة يقال له قطبة بن قتادة ، وعلى ميسرتهم رجلا من الانصار يقال له عبادة من مالك ثم التقى الناس فقاتلوا ، واخذ جعفر بن ابي طالب ع م اللواء وقاتل به حتى اذا التحم القتال اقتحم على فرس له شقراء ، ثم قاتل وهو يقول شعرا :

يا حبذا الجنة واقترابها \* طيبة وبارداً شرابها

والروم قد دنا عذابها \* كافرة بعيدة أنسابها

علي إذا لاقيتها ضرابها \*

فلم يزل يقاتل ع م واللواء بيمينه حتى قطعت يده فاخذه بشماله فقطعت فاحتضنه بعضده حتى قتل شهيدا عليه السلام ، وهو ابن ثلاث وثلاثين سنة ، فاثابه الله بذلك بجناحين يطير بهما في الجنة حيث شاء ، ويقال ان رجلا من الروم ضربه يومئذ ضربة فقطعه نصفين ، فلما استشهد جعفر بن ابي طالب رضوان الله عليه اخذ الرأية زيد بن حارثة وقاتل بها حتى ساط في رماح القوم فقتل رحمة الله عليه ، فلما قتل اخذ عبد الله بن رواحة الرأية ثم تقدم بها وهو على فرسه فجعل يستنزل نفسه ويتردد بعض التردد ، ثم قال :

أقسمت يا نفس لتنزلنه \* لتنزلن أو لتكرهنه

إن أجلب الناس وشدوا الرنه \* ما لي أراك تكرهين الجنة

قد طال ما قد كنت مطمئنة \* هل أنت إلا نطفة في شنه

وقال أيضاً :

يا نفس إلا تقتلي تموتي \* هذا حمام الموت قد صليت

وما تمنيت فقد أعطيت \* إن تفعلي فعلهما هديت

يريد صاحبيه : زيداً وجعفراً ، ثم تقدم فقاتل حتى قتل رحمة الله عليه ، فاخذ الرأية زيد بن ارقم اخو بني عجلان فاعطاها خالد بن الوليد فانحاز بها وانحيز عنه حتى انصرف بالناس، ولما اصيب القوم قال رسول الله صلع لاصحابه ان جعفر بن ابي طالب قاتل حتى قتل شهيدا فاخذ الرأية زيد بن حارثة فقتل شهيدا ثم صمت رسول الله صلع حتى تغيرت وجوه الانصار وظنوا انه قد كان في عبد الله بن رواحة بعض ما يكرهون ثم قال اخذها عبد الله بن رواحة فقاتل بها حتى قتل شهيدا ، ثم قال صلع لقد رفعوا في الجنة فيما يرى النائم على سرر من ذهب فرأيت في سرير عبد الله بن رواحة ازورارا عن سريري صاحبيه فقلت لم هذا فقيل لي مضيا وتردد عبد الله بعض التردد ، ثم مضى وحين اصيب جعفر واصحابه دخل رسول الله صلع على اسماء بنت عميس فقال لها ائتني ببني جعفر فاتته بهم فشمهم ثم ذرفت عيناه فقالت له اسماء بابي انت وامي يا رسول الله ما يبكيك ابلغك من جعفر واصحابه شيء ، قال صلع اصيبوا في هذا اليوم فقامت اسماء تصيح واجتمع اليها النساء ،وخرج رسول الله صلع الى اهله فقال لا تدعوا ان تصنعوا لآل جعفر بن ابي طالب طعاما فانهم قد شغلوا بامر صاحبهم ، وقال رسول الله صلع لقد اسري في الجنة جعفر بن ابي طالب في ملأ من الملائكة له جناحان خضيبان ابيضا القوادم يطير بهما حيث يشاء ، وحزن عليه رسول الله صلع حزنا شديدا وكان يحبه ، وقال خلق الناس من شجر شتى وخلقت انا وجعفر من شجرة واحدة ، فاشبه خلقه خلقي وخلقي خلقه.

وكان قطبة بن قتادة العذري الذي كان على ميمنة المسلمين قد حمل على مالك بن بومراقلة فقتله وهو في ازائه، وكان بعض قواد الكفار يوم مؤتة ، وقال العذري :

طعنت ابن زافلة بن الإرا \* ش برمح مضى فيه ثم انحطم

ضربت على جيده ضربة \* فمال كما مال غصن السلم

وقالت اسماء بنت عميس تبكي بعلها جعفر بن ابي طالب عليه السلام :

يا جعفر الطيار خير مضرّج \* للخيل يوم تطاعن وشياح

قد كنت لي جبلا الوذ بظله \* فتركتني امشي باجرد ضاح

قد كنت ذات حمية ما عشت لي\* امشي البراز وكنت انت جناحي

فاذا دعت قمرية يوما لها \* شجوا على فين دعوت صباح

فاليوم اخضع للذليل واتقي\* منه وادفع ظالمي بالراح

وقال حسّان بن ثابت يرثيه ويرثي اصحابه شعرا:

تأوبني ليل بيثرب أعسر \* وهم إذا ما نوم الناس مسهر

لذكرى حبيب هيجت لي عبرة \* سفوحا وأسباب البكاء التذكر

بلى إن فقدان الحبيب بلية \* وكم من كريم يبتلى ثم يصبر

رأيت خيار المؤمنين تواردوا \* شعوب وخلفا بعدهم يتأخر

فلا يبعدن الله قتلى تتابعوا \* بمؤتة منهم ذو الجناحين جعفر

وزيد وعبدالله حين تتابعوا \* جميعاً وأسباب المنية تخطر

غداة مضوا بالمؤمنين يقودهم \* إلى الموت ميمون النقيبة أزهر

أغر كضوء البدر من آل هاشم \* أبي إذا سيم الظلامة مجسر

فطاعن حتى مال غير موسد \* لمعترك فيه قنا متكسر

فصار مع المستشهدين ثوابه \* جنان وملتف الحدائق أخضر

وكنا نرى في جعفر من محمد \* وفاء وأمراً حازماً حين يأمر

فما زال في الإسلام من آل هاشم \* دعائم عز لا يزلن ومفخر

هم جبل الإسلام والناس حولهم \* رضام إلى طود يروق ويقهر

بها ليل منهم جعفر وابن أمه \* علي ومنهم أحمد المتخير

وحمزة والعباس منهم ومنهم \* عقيل وماء العود من حيث يعصر

بهم تفرج اللأواء في كل مأزق \* عماس إذا ما ضاق بالناس مصدر

هم أولياء الله أنزل حكمه \* عليهم ، وفيهم ذا الكتاب المطهر

وقال كعب بن مالك في ذلك :

نام العيون ودمع عينك يهمل \* سحاً وكف الطباب المخضل

في ليلة وردت علي همومها \* طورا أحن وتارة أتململ

واعتادني حزن فبت كأنني \* ببنات نعش والسماك موكل

وكأنما بين الجوانح والحشى \* مما تأوبني شهاب مدخل

وجدا على النفر الذين تتابعوا \* يوما بمؤتة أسندوا لم ينقلوا

صلى ا لإله عليهم من فتية \* وسقى عظامهم الغمام المسبل

صبروا بمؤتة للإله نفوسهم \* حذر الردى ومخافة أن ينكلوا

فمضوا أمام المسلمين كأنهم \* فنق عليهن الحديد المرفل

إذ يهتدون بجعفر ولوائه \* قدام أولهم فنعم الأول

حتى تفرجت الصفوف وجعفر \* حيث التقى وعث الصفوف مجدل

فتغير القمر المنير لفقده \* والشمس قد كسفت وكادت تأفل

قرم علا بنيانه من هاشم \* فرعا أشم وسؤدداً ما ينقل

قوم بهم عصم الإله عباده \* وعليهم نزل الكتاب المنزل

فضلوا المعاشر عزة وتكرما \* وتغمدت أحلامهم من يجهل

لا يطلقون إلى السفاه حباهم \* ويرى خطيبهم بحق يفصل

بيض الوجوه ترى بطون أكفهم \* تندى إذا اعتذر الزمان الممحل

يهديهم رضي الإله لخلقه \* وبجدهم نصر النبي المرسل

وقال رجل من المسلمين رجع عن غزوته بمؤتة شعرا:

كفى حزنا أني رجعت وجعفر \* وزيد وعبدالله في رمس أقبر

قضوا نحبهم لما مضوا لسبيلهم \* وخلفت للبلوى مع المتغبر

وكان الذين استشهدوا من المسلمين في مؤتة جعفر بن ابي طالب ابن عم رسول الله صلع وزيد بن حارثة مولى رسول الله صلع ومسعود بن الا سود بن عدي بن كعب ، وسعد بن مالك بن سعد فهؤلاء اربعة من المهاجرين ومن الانصار : عبد الله بن رواحة وعبادة بن قيس والحارث بن نعمان وسراقة بن عمرو وابو كلب وجابر ابني عمرو بن زيد وهما لاب وام وعمر وعامر ابني سعد فهؤلاء اثني عشر رجلا.

واقام رسول الله صلع بعد بعثه الى مؤتة جمادى الاخرى ورجبا ثم كان الامر في نقض العهد بينه وبين قريش ، وذلك ان بني بكر بن عبد مناف بن كنانة عدت على خزاعة وقد كانت خزاعة دخلت في عهد رسول الله صلع ، وبنو بكر دخلت في عهد قريش ، وكانت بينهم احنات في الجاهلية وقتال فحجز الاسلا م بينهم واشتغلوا بحرب رسول الله صلع فلما كانت الهدنة اغتنمها بنو بكر في خزاعة وارادو ان يصيبوا منهم ثارا وخزاعة على الوتر ماء لهم فاصابوا منهم رجلا وتحاوروا واقتتلوا ورفدت بني بكر قريش بالسلاح وقاتل معهم من قريش من قاتل بالنبل مستخفيا حتى انحازت خزاعة الى الحرم ، فلما انتهت اليه قالت بنو بكر لنوفل بن مسعود الدائلي وهو من بني بكر انا قد دخلنا الحرم الهك الهك ، فقال له اليوم يا بني بكر اصيبوا ثاركم فلعمري انكم لتسرفوا في الحرم افلا تصيبوا ثاركم فيه ، فلجأت خزاعة الى دار بديل بن ورقا ودار مولى له يقال له رافع بعد ان اصابت قريش وبنو بكر منهم قتلا ، فلما تظاهر بنو بكر وقريش علىخزاعة واصابوا منهم ما اصابوا نقضوا ما كان بينهم وبين رسول الله صلع من العهد والميثاق بما استحلوه من خزاعة وكانوا في عقده وعهده ، خرج عمرو بن سالم الخزاعي حتى قدم على رسول الله صلع فوصل اليه وهو جالس في مسجده بين المهاجرين والانصار فقال :

يا رب إني ناشد محمدا \* حلف أبينا وأبيه الأتلدا

قد كنتم ولدا وكنا والدا \* ثمت أسلمنا فلم ننزع يدا

فانصر هداك الله نصرا اعتدا \* وادع عباد الله يأتوا مددا

فيهم رسول الله قد تجردا \* إن سيم خسفا وجهه تربدا

في فيلق كالبحر يجري مزبدا \* إن قريشا أخلفوك الموعدا

ونقضوا ميثاقك الموكدا \* وجعلوا لي في كداء رصدا

وزعموا أن لست أدعوا أحدا \* وهم أذل وأقل عددا

هم بيتونا بالوتير هجدا \* وقتلونا ركعا سجدا

فقال رسول الله صلع نصرت يا عمرو بن سالم ، ثم عرض له صلع عنان من السماء فقال ان هذه السحابة تستهل بنصر بني كعب ، ثم خرج بديل بن ورقاء في نفر من خزاعة حتى قدموا على رسول الله صلع فاخبره بما اصيب فيهم وبما ظاهره قريش لبني بكر ، ثم انصرفوا راجعين الىمكة ، وقال رسول الله صلع كأنكم بابي سفيان وقد جاءكم يشد العقد ويزيد في المدة ، ومضى بديل بن ورقاء باصحابه فلقوا ابا سفيان بن حرب بعسفان وقد بعثته قريش الى رسول الله صلع يشد العقد ويزيد في المدة وقد رهبوا الذي صنعوا ، وجاء ابو سفيان حتى قدم على رسول الله صلع المدينة فقد دخل على ابنته ام حبيبة بنت ابي سفيان زوجة رسول الله صلع ، فلما ذهب ليجلس على فراش رسول الله صلع طوته عنه ، فقال يا بنية ارغبت بي عن هذا الفراش ام رغبت به عني ، قال بل هو فراش رسول الله صلع وانت رجل مشرك نجس، فلم احب ان تجلس على فراش رسول الله صلع ، قال لقد اصابك يا بنية بعدي شر ، وكانت ام حبيبة بنت ابي سفيان قد هاجرت الى الحبشة مع بعلها فمات عنها بالحبشة فارسل رسول الله صلع الى النجاشي فخطبها له ثم قدمت على رسول الله صلع فكانت احدى ازواجه ،

فلما خرج ابو سفيان من عند ابنته اتى رسول الله صلع فكلمه فلم يرد عليه شيئا ، فاتى ابا بكر فكلمه ان يكلم رسول الله صلع فقال ما انا بفاعل، فاتى عمر بن الخطاب فاجابه بمثل ذلك ، وقال لا نقدر ان نأتي رسول الله صلع بما يكره ، ثم خرج الى علي ابن ابي طالب ع م وعنده فاطمة بنت رسول الله صلع والحسن بن علي ع م يدب بين يديها فقال يا علي انت امسّ القوم بي رحما واني قد جئت في حاجة فلا ارجعن خائبا كما جئت ، فاشفع لي الى ابن عمك ، قال ويحك يا ابا سفيان والله لقد عزم رسول الله صلع على امر لا نستطيع ان نكلمه فيه ، فقال لفاطمة ع م يا بنت محمد هل لك ان تأمري ابنك هذا يعني الحسن ع م فيجير بين الناس فيكون سيد العرب الى آخر الدهر ، قالت والله ما بلغ من ابني ما يجير بين الناس وما يجير احدا على رسول الله صلع ، فقال يا ابا الحسن ارى الامور قد اشتدت علي فانصحني، قال والله ما اعلم بشيء يغني عنك ولكنك سيد بني كنانة فقم فاجر بين الناس ، ثم الحق بارضك ، قال اوترى ذلك مغنيا عني شيئا ، قال والله ما اظنه ولكن لا اجد لك غير ذلك ، فقام ابو سفيان في المسجد بين الناس فقال يا ايها الناس اني قد اجرت بين الناس ثم ركب بعيره فانطلق ، فلما قدم على مكة على قومه قالوا ما وراءك ؟ قال جئت محمدا فكلمته فوالله ما ردّ علي شيئا ، ووجدت عليا ابر القوم واشار على بشيء صنعته فوالله ما ادري ايغني شيئا ام لا ، قالوا وما ذاك ؟ قال امرني ان اجير بين الناس ففعلت ، قالوا ويلك والله ما زاد علي على ان لعب بعقلك ، قال والله وما وجدت غير ذلك.

ثم ان رسول الله صلع اعلم الناس انه سائر الى مكة وامرهم يتجهزوا ويجدوا في التجهيز ، وقال اللهم خذ العيون والاخبار عن قريش ومن معها في بلادها ، وقال حسان بن ثابت يحرض الناس ويذكر مصاب خزاعة شعرا:

عناني ولم أشهد ببطحاء مكة \* رجال بني كعب تحز رقابها

بأيدي رجال لم يسلوا سيوفهم \* وقتلى كثير لم تجن ثيابها

ألا ليت شعري هل تنالن نصرتي \* سهيل بن عمرو وخزها وعقابها

وصفوان عود حن من شفراسته \* فهذا أوان الحرب شد عصابها

فلا تأمننا يا بن أم مجالد \* إذا احتلبت صرفا وأعصل نابها

ولا تجزعوا منا فإن سيوفنا \* لها وقعة بالموت يفتح بابها

فلما اجمع رسول الله صلع السير الى مكة كتب حاطب بن ابي بلتعة كتابا الى قريش يخبرهم بالذي اجمع عليه رسول الله صلع من السير اليهم ثم اعطاه امرأة قيل انها من مزينة ، وقيل انها مولاة لبني عبد المطلب، وجعل لها جعلا على ان تبلغه قريشا فجعلته في رأسها ثم فتلت عليه قرونها وخرجت به واتى الى رسول الله صلع الخبر من السماء بما صنع حاطب ، فبعث علي ابن ابي طالب والزبير بن العوام وقال ادركا امرأة كتب معها حاطب الى قريش كتابا يحذرهم ما اجمعنا عليه فخرجا حتى ادركاها بالحليفة حليفة بني احمد فاستنزلاها والتمسا في رحلها فلم يجدا شيئا ، فقال علي ع م والله ما كذبت ولا كذبت ولتخرجن الكتاب او لترين الذين تكرهين ، فلما رأت الجد منه قالت اعرض فاعرض عنها فحللت قرون رأسها واستخرجت الكتاب فدفعته اليه فاتى به رسول الله صلع فدعاها وقال ما حملك على هذه ، قال يا رسول الله صلع اني لمؤمن ما غيرت ولا بدلت ، ولكن كنت في القوم امرء ليس له اصل ولا عشيرة وكان لي بينهم اهل وولد فصانعتهم عليهم، فقال عمر يا رسول الله صلع ان الرجل قد نافق ، فقال له رسول الله صلع وما يدريك يا عمر ان الله قد اطلع على اهل بدر يوم بدر فقال اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم ، فانزل الله ع ج في حاطب : يا ايها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم اولياء تلقون اليهم بالمودة وقد كفروا بما جاء كم من الحق ، انا اعلم بما اخفيتم وما اعلنتم ، الى قوله لقد كان لكم اسوة حسنة في ابراهيم والذين معه اذ قالوا لقومهم انا براء منكم ومما تعبدون من دون الله كفرنا بكم وبدى بيننا وبينكم العداوة والبغضاء ابدا حتى تؤمنوا بالله وحده الى آخر القصة ، ثم خرج رسول الله صلع لفتح مكة لعشر مضين من شهر رمضان.

روينا عن جعفر بن محمد الصادق عن ابيه عن آبائه عليهم السلام ان رسول الله صلع سافر في شهر رمضان فاطر وامر من معه ان يفطروا فتوقف قوم فسماهم العصاة لانه امرهم فلم يأتمروا لامره ،

وعن علي بن ابي طالب عليه السلام انه قال ان رسول الله صلع قال ان الله تعالى اهدى الى امتي هدية لم يهدها الى احد من الامم تكرمة لهم من الله ع ج ، قالوا وما هي يا رسول الله ، قال الافطار وتقصير الصلوة في السفر ، فمن لم يفعل فقد رد على الله بهديته .

وعن ع م انه قال من قصر الصلوة في السفر وافطر فقد قبل تخفيف الله جلت اسماؤه وكملت صلوته.

وعن ابي جعفر محمد بن علي الباقر ع م انه سئل عن الصلوة في السفر كم هي وكيف هي ؟ فقال ان الله ع ج يقول واذا ضربتم في الارض فليس عليكم جناح ان تقصروا من الصلوة فالتقصير في السفر واجب كوجوب التمام في الحضر، قيل له يا بن رسول الله انما قال فلا جناح عليكم ولم يقل اقصروا ، فكيف اوجب ذلك ، وما اوجب التمام ، فقال او ليس قد قال الله تعالى ان الصفا والمروة من شعائر الله فمن حج البيت او اعتمر فلا جناح عليه ان يطوف بهما افلا ترون ان الطواف بهما واجب مفروض لان الله ع ج ذكرهما في كتابه وصنع رسول الله صلع ذلك وكذلك التقصير في السفر ذكره الله تبارك اسماؤه في كتابه وصنعه رسول الله صلع ونهى علي ع م ان يتم الصلوة في السفر .

وقال جعفر بن محمد الصادق ع م انا بريء ممن يصلي اربعا في السفر، والقول في ذلك يطول ، وانما اوردنا ذلك لما كان الاختلاف واقعا في وجوب التقصير في السفر مع الاجماع ان رسول الله صلع فعله وبه القدوة والاسوة .

رجع القول ثم مضى رسول الله صلع على الخروج الى مكة في عشرة آلاف من المسلمين واوعب رسول الله صلع المهاجرين والانصار فلم يتخلف منهم احد،

وقد كانت سليم اسلمت وغيرها من قبائل العرب فاجمع جميع المسلمين في المسير مع رسول الله صلع ولقيه ابو سفيان بن الحرث بن عبد المطلب وعبد الله بن امية بن المغيرة بنيق العقاب بين المدينة ومكة فالتمسا الدخول عليه صلع فلم يأذن لهما فكلمته ام سلمة فيهما وقالت يا رسول الله صلع ابن عمك وابن عمتك ، قال لا حاجة لي اليهما اما ابن عمي فسبني وهتك عرضي واما ا بن عمتي فهو الذي قال لي بمكة ما قال ، فلما خرج الخبر اليهما بذلك ومع ابي سفيان بن الحرث ابن له صغير قال والله ليأذن لي او لآخذن بيد ابني هذا ثم لنذهبن في الارض حتى نموت عطشا وجوعا ، فلما بلغ رسول الله صلع قوله رق لهما واذن لهما في الدخول اليه فدخلا وسلّما عليه فاسلما وانشده ابو سفيان بن الحرث في اسلامه واعتذاره فيما كان مضى منه ، منه قوله :

لعمرك إني يوم أحمل راية \* لتغلب خيل اللات خيل محمد

لكالمدلج الحيران أظلم ليله \* فهذا أواني حين أهدي وأهتدي

هداني هاد غير نفسي ونالني \* مع الله من طردت كل مطرد

أصد وأنأى جاهداً عن محمد \* وأدعى وإن لم أنتسب من محمد

هم ما هم من لم يقل بهواهم \* وإن كان ذا رأي يلم ويفند

أريد لأرضيهم ولست بلائط \* مع القوم ما لم أهد في كل مقعد

فقل لثقيف لا أريد قتالها \* وقل لثقيف تلك : غيري أوعدي

فما كنت في الجيش الذي نال عامراً \* وما كان عن جرا لساني ولا يدي

قبائل جاءت من بلاد بعيدة \* نزائع جاءت من سهام وسردد

واتى العباس ابن عبد المطلب رسول الله صلع بالجحفة مهاجرا بعياله وكان قبل ذلك مقيما بمكة على سقاية ورسول الله صلع عنه راض ، فلما نزل رسول الله صلع مرّ الظهران قال العباس بن عبد المطلب واساء صباح قريش والله ان دخل رسول الله صلع مكة قسرة قبل ان يأتوا فيستأمنونه انه لهلك قريش الى آخر الدهر فركب بغلة رسول الله صلع ثم خرج حتى جاء الاراق وقال لعلي اجد احدا من الحطابة او صاحب لبن او ذا حاجة يأتي مكة فيخبرهم بمكان رسول الله صلع ليخرجوا اليه فيستأمنونه قبل ان يدخلها عليهم عنوة ، وكان في تلك الليلة قد خرج من مكة ابو سفيان بن حرب وحكيم بن حزام وعبد الله بن بديل بن ورقا يتجسـسون الاخبار وينظرون هل يجدون خبرا او يسمعون به وقد عميت الاخبار عن قريش ان يأتيهم عن رسول الله صلع ، قال العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه والله اني لاسير على بغلة رسول الله صلع والتمس ما خرجت له اذ سمعت كلام ابي سفيان وابن بديل بن ورقا وهما يتناجيان وابو سفيان يقول ما رأيت كالليلة نيرانا قط ولا عسكرا ، فيقول ابن بديل بل هذه والله خزاعة حمشتها الحرب ، فقال ابو سفيان خزاعة اقل واذل ان تكون هذه نيرانها وعسكرها ، قال العباس فعرفت صوت ابي سفيان فقلت : يا ابا حنظلة فعرف صوتي ، فقال ابو الفضل ، قلت نعم ، قال ما لك فداك ابي وامي، قال قلت ويحك يا ابا سفيان هذا رسول الله صلع في الناس يا ساء صباح قريش والله ، قال فما الحيلة ؟ بابي انت وامي ، قال العباس قلت والله ان ظفر بك ليضربن عنقك ، فاركب في عجز هذه البلغة حتى آتي بك رسول الله صلع فاستأمنه لك ، قال فركب خلفي ورجع اللذان معه فجئت به، كلما مررت بنار من نار المسلمين قالوا عم رسول الله صلع على بغلته ، حتى اذا مررت بنار عمر بن الخطاب قال من هذا ، وقام الي، فلما عرف ابو سفيان على عجز البغلة خرج يشتد نحو رسول الله صلع وركضت انا البغلة فسبقته بما تسبق الدابة البطية الرجل البطي فاقتحمت ودخلت على رسول الله صلع ودخل عليه عمر فقال يا رسول الله هذا ابا سفيان قد امكن الله منه ، فقلت يا رسول الله قد اجرته ، حتى اذا كثر عمر في شانه قلت والله يا عمر بن الخطاب لو كان من رجال بني عدي بن كعب ما قلت هذا القول ، ولكنك قد علمت انه من رجال بني عبد مناف ، فقال رسول الله صلع اذهب يا عباس الى رحلك فاذا اصبحت فائتني به ، قال العباس فذهبت به الى رحلي ، فلما اصبحت اتيت به رسول الله صلع ، فلما رآه قال ويحك يا ابا سفيان الم يأن لك ان تشهد ان لا اله الا الله ، قال بابي انت وامي ما احلمك واكرمك واوصلك ، والله لقد علمت انه لو كان مع الله غيره لقد اغنى عني شيئا ، قال ويحك يا ابا سفيان الم يأن لك ان تعلم اني رسول الله صلع فقال بابي انت وامي ما احلمك واكرمك واوصلك ، اما هذه فوالله ان في النفس منها شيئا، فقال له العباس ويحك اسلم واشهد ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله قبل ان يضرب عنقك ، فشهد بها ابو سفيان حين لم يجد الا هي او السيف ، قال العباس فقلت يا رسول الله ان ابا سفيان رجل يحب الفخر فاجعل له شيئا ، قال صلع نعم ينادي من دخل دار ابي سفيان فهو آمن ، ومن اغلق عليه بابه فهو آمن ، ومن دخل المسجد الحرام فهو آمن ، فلما اراد ابو سفيان ان ينصرف قال رسول الله صلع للعباس احبسه في مضيق الوادي عند خطم الجبل حتى تمر به جنود الله فيراها ، قال العباس ففعلت ما امرني رسول الله صلع ومرت به القبائل على رأياتها ، فما مرت قبيلة من القبائل الا سأل عنها ، قال من هذه ، فاقول سليم فيقول ما لي وسليم ، ثم تمر به القبيلة فيقول من هؤلاء ، فاقول مزينة فيقول ما لي ولمزينة حتى مرت القبائل ما تمر به قبيلة حتى يسأل عنها فاذا اخبرته قال ما لي ولبني فلان حتى اذا مر به رسول الله صلع في كتيبة الخضراء فيها المهاجرون والانصار لا يرى منهم الا الحدق من العيون فقال سبحان الله يا عباس من هؤلاء فقلت هذا رسول الله صلع في المهاجرين والانصار ، قال ما لاحد بهؤلاء قبل ولا طاقة ، والله يا ابا الفضل لقد اصبح ملك ابن اخيك عظيما ، قلت انها النبوة يا ابا سفيان ، قال نعم اذا انها النبوة ، ثم قلت له النجاء الى قومك ، فلما جاءهم ابو سفيان صرخ باعلى صوته يا معشر قريش هذا محمد قد جاءكم بما لا قبل لكم به ، فمن دخل داري فهو آمن ، فقامت اليه امرأه هند بنت عتبة فاخذت بشاربه ثم قالت اقتلوا الحميت الخائر الدسم الخائر قبح من طليعة قوم رآها ، قال ويحكم لا تغرنكم هذه من انفسكم انه قد جاءكم ما لا قبل لكم به ، من دخل دار ابي سفيان فهو آمن، قالوا ويلك وما تغني عنا دارك ، قال من اغلق عليه بابه فهو آمن ، ومن دخل المسجد الحرام فهو آمن ،

فلما انتهى رسول الله صلع الى ذي طوى وقف على راحلته معتجزا بشقة برد حبرة حمراء وان رسول الله صلع ليضع رأسه تواضعا لله حين رأى ما اكرمه الله به حتى ان عثنونه لتكاد تمس واسطة الرحل، ولما توجّه رسول الله بجموع المسلمين وقد اعز الله نصرهم وكثرتهم الى مكة نظر اهلها من ذلك الى ما ليس لهم به طاقة ولا قوة فاستكانوا وخضعوا وسألوا الصفح عنهم والدخول في السلم واقبل رسول الله صلع يوم دخول مكة في عساكر لم تر العرب مثلها قد تكفروا بالسلاح فلا يرى منهم غير الحدق، وجعل في الميمنة الانصار ورأيتهم مع سعد بن عبادة والمهاجرين في الميسرة ورأيتهم مع الزبير بن العوام ، وقال لكل واحد منهما ادخل من موضع كذا وكذا وكان رسول الله صلع في جمهور المهاجرين والانصار وسائر الناس ومع كل قوم من قبائل العرب عدد عظيم فسمع عمر بن الخطاب سعد بن عبادة بيده الراية لما اراد دخول مكة يقول :

اليوم يوم الملحمة ، اليوم هتك الحرمة

فجاء عمر الى رسول الله صلع فاخبره الخبر فقال رسول الله صلع لعلي بن ابي طالب ع م اذهب فخذ الرأية من سعد وكن انت الذي تدخل بها ففعل علي ع م ، وكان موضع حرب رسول الله صلع وموضع سلمه ،

وامر رسول الله صلع امراء الكتائب ان لا يقتلوا الا من قاتلهم الا نفرا سماهم لهم وامر بقتلهم وان كانوا تحت استار الكعبة ، لعظيم جرائم كانت لهم ، فترك كثير منهم من لقيه ممن كانت بينه وبينه معرفة وله به عناية فاستأمن بعضهم من البعض وجسروا على رسول الله صلع برد امره فيهم وكان منه عبد الله بن سعد اخو بني عامر بن لوي كان اعظمهم جرما ورسول الله صلع عليه اشد حنقا وكان قد بدى باسمه في اول من نذر بدمه يومئذ ، وقال اقتلوه وان وجدتموه تحت استار الكعبة وذلك انه كان اسلم واستكتبه رسول الله صلع فكان يكتب له الوحي فيمليه غفور رحيم فيكتب عزيز حكيم ، وما اشبه ذلك وارتد كافرا ولحق بالمشركين وقال لهم انزلت قرآنا كثيرا واثبته من نفسي وفيه انزل الله تعالى ومن قال سأنزل مثل ما انزل الله فلجأ الى عثمان بن عفان فاتى به مستورا حتى دخل به على رسول الله صلع وسأله فيه فاعرض عنه رسول الله صلع وسكتا ان يجيبه بشيء فالح عثمان فخلى سبيله ، ثم قال لمن حضره من المسلمين لقد صمت طويلا لعل احدكم يقوم اليه فيضرب عنقه كمثل ما امرت فما فعلتم ، قالوا يا رسول الله لو كنت اشرت الينا بذلك فقال صلع ان النبي لا يقتل بالاشارة ،

ولقي علي ابن ابي طالب الحوريث بن نفيل وكان ممن نذر رسول الله صلع دمه وكان بين الحوريث وبين علي ع م معرفة فقال له علي ع م يا عدو الله انت ههنا ، فقال له الحويرث ابق علي يا بن ابي طالب، فقال علي ع م لا ابقى الله علي ان ابقيت عليك فقتله علي ع م ، ودخل علي ع م على اخته ام هاني بنت ابي طالب فاصاب عندها اثنين ممن نذر صلع دمائهما وقد استجارا بها لصهر كان بينهم فلما رآهما علي ع م اخذ السيف وقام اليهما ليقتلهما فقامت دونهما ام هاني وقالت يا اخي قد اجرتهما ، فقال ان رسول الله صلع قد امر بقتلهما وان كانا تحت استار الكعبة ، فقبضت على يده وكانت ايدة شديدة فانتزعت السيف من يده وامسكته وامرت بهما فادخلا بيتا ، وغلقت عليهما ومضت الى رسول الله صلع فلما رآها رحب بها وسأل عن حالها وما جاءت له فاخبرته الخبر فضحك اليها وقال اجرنا من اجرت يا ام هاني وارسل الىعلي ع م فاتاه فضحك اليه وقال غلبتك ام هاني ، فقال يا رسول الله صلع والذي بعثك بالحق ما ان قدرت علىان امسك السيف حتى خلصته من يدي فضحك رسول الله صلع وقال لو ان ابا طالب ولد الناس كلهم لكانوا اقوياء اشداء ،

واخذ علي ع م مفاتيح الكعبة فاتى بها الى رسول الله صلع وقال يا رسول الله صلع ان رأيت ان تعطينا مفاتيح الكعبة ليجمع لنا السقاية والحجابة فافعل ، فقال يا علي اعطيكم ما هو افضل من ذلك ما اعطانا الله من فضله ، وهذا يوم بر ووفاء ، فانما اعطيكم ما تزرؤن لا ما يزرؤن فادفع المفاتيح الى عثمان بن طلحة اخي بني شيبة بن عبد مناف بن عبد الدار فدفعها اليه ، وقال رضينا يا رسول الله ما رضيت لنفسك ولنا معك ،

وعن امير المؤمنين علي ابن ابي طالب ع م انه قال كنت انا والعباس بن عبد المطلب وعثمان بن طلحة اخي بني شيبة في المسجد الحرام ففخرا علي فقال عثمان بن طلحة اخو بني شيبة اعطاني رسول الله صلع السدانة يعني مفاتيح الكعبة ، وقال العباس بن عبد المطلب اعطاني رسول الله صلع السقاية وهي مفاتيح زمزم ، قال ولم يعطك شيئا يا علي ، فانزل الله عز وجل اجعلتم سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام كمن آمن بالله واليوم الآخر وجاهد في سبيل الله لا يستوون عند الله والله لا يهدي القوم الظالمين، الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله باموالهم وانفسهم اعظم درجة عند الله اولئك هم الفائزون يبشرهم ربهم برحمة منه ورضوان وجنات لهم فيها نعيم مقيم، خالدين فيها ابدا ان الله عنده اجر عظيم ،

وقام رسول الله صلع خطيبا فحمد الله واثنى عليه ثم قال لا اله الا الله وحده لا شريك له صدق الله وعده ونصر عبده وهزم الاحزاب وحده، الا كل مأثرة او دم او مال يدعى في الجاهلية تحت قدمي هاتين يا معشر قريش ، ان الله قد اذهب عنكم نخوة الجاهلية وتعظيمها ، الناس من آدم وآدم من تراب ، ثم تلى هذه الآية : يا ايها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ان اكرمكم عند الله اتقاكم ، ثم قال يا معشر قريش ما ترون اني فاعل فيكم ، قالوا خيرا اخ كريم وابن اخ كريم ، ثم قال اذهبوا فانتم الطلقاء ، ثم قال ايها الناس ان الله قد حرم مكة يوم خلق السموات والارض فهي حرام الى يوم القيامة فلا يحل لامرء يؤمن بالله واليوم الآخر ان يسفك فيها دما ولا يعضد فيها شجرة لم تحلل لاحد كان قبلي ولا تحل لاحد يكون بعدي ولا تحل الا في هذه الساعة غضبا على اهلها الامم الاثم ، قد رجعت كحرمتها بالامس فليبلغ منكم الشاهد الغائب فمن قال لكم ان رسول الله صلع قاتل فيها فقولوا له ان الله قد احلها لرسوله ولم يحلها لكم .

ولما فتح رسول الله صلع مكة واستقر قرار اهلها بعث قوما يدعون العرب الى الله والى رسوله ليدخلوا فيما دخل فيه اهل مكة وكان فيمن بعثه خالد بن الوليد ولم يأمرهم بقتال احد ،فاتى بني حذيفة بن عامر بن عبد وجاءهم ومعه كتيبة فلما رأوه اخذو السلاح فقال ضعوا السلاح فان الناس قد اسلموا ووضعت الحرب اوزارها وانما امرنا رسول الله صلع لندعو الناس الى الاسلام ولم يأمر بقتال احد فوضعوا سلاحهم خلا رجل منهم يقال له جحدهم فانه قال لهم ويحكم انه خالد بن الوليد والله ما بعد وضع السلاح الا الاسر وما بعد الاسر الا ضرب الاعناق فقاموا باجمعهم وقالوا يا جحدم اتريد ان تسفك دماءنا ان الناس قد اسلموا ووضعوا السلاح ، فقال والله لا اصنع سلاحي ، فغلبوا عليه وانتزعوا سلاحه ، فلما وضعوا سلاحهم امر بهم خالد فكتفوا ثم عرضهم على السيف فقتل منهم جماعة ، وبلغ ذلك رسول الله صلع فقام قائما ورفع يديه الى السماء وقال اللهم اني ابرء اليك مما صنع خالد ، ثم دعى عليا ع م فقال له يا علي اخرج الى هؤلاء القوم فانظر في امرهم واجعل امر الجاهلية تحت قدميك ودفع اليه مالا وقال له اعقل من قتل منهم وادفع اليه ثمن ما اخذ منهم وانصفهم فخرج اليهم علي ع م يؤدي اليهم عقل الدماء وثمن ما اصاب واصيب لهم من الاموال حتى انه ليعطيهم ثمن ميلغة الكلب حتى اذا لم يبق لهم شيء من دم ولا مال الا اداه اليهم قال لهم هل بقي لكم شيء قالوا لا ، قال فانه قد بقيت معي بقية من المال الذي وجهه رسول الله صلع معي فخذوها اختياطا لرسول الله صلع ودفع اليهم ما كان بقي معه بعد الذي دفعه اليهم فاخذوه وشكروا له ودعوا له الخير ، ثم ا تى النبي صلع فاخبره الخبر فقال احسنت يا علي واصبت اصاب الله بك المراشد ، ثم توجه صلع الى القبلة قائما رافعا يديه حتى انه ليرى ما تحت منكبيه ثم قال اللهم اني ابرء اليك مما صنع خالد ثلاث مرات ، وانما فعل ذلك خالد لانهم قتلوا عمه الفاكه بن المغيرة في الجاهلية ،

وقال حسان بن ثابت يوم الفتح ، وقيل بل قالها قبل ذلك :

عفت ذات الأصابع فالجواء \* إلى عذراء منزلها خلاء

ديار من بني الحسحاس قفر \* تعفيها الروامس والسماء

وكانت لا يزال بها أنيس \* خلال مروجها نعم وشاء

فدع هذا ، ولكن من لطيف \* يؤرقنى إذا ذهب العشاء

لشعثاء التي قد تيمته \* فليس لقلبه منها شفاء

كأن خبيئة من بيت رأس \* يكون مزاجها عسل وماء

إذا ما الأشربات ذكرن يوماً \* فهن لطيب الراح الفداء

نوليها الملامة إن ألمنا \* إذا ما كان مغث أو لحاء

ونشربها فتتركنا ملوكا \* وأسداً ما ينهنهنا اللقاء

عدمنا خيلنا إن لم تروها \* تثير النقع موعدها كداء

ينازعن الأعنة مصغيات \* على أكتافها الأصل الظماء

تظل جيادنا متمطرات \* يلطمهن بالخمر النساء

فإما تعرضوا عنا اعتمرنا \* وكان الفتح وانكشف الغطاء

وإلا فاصبروا لجلاد يوم \* يعين الله فيه من يشاء

وجبريل رسول الله فينا \* وروح القدس ليس له كفاء

وقال الله قد أرسلت عبداً \* يقول الحق إن نفع البلاء

شهدت به فقوموا صدقوه \* فقلتهم لا نقوم ولا نشاء

وقال الله قد سيرت جنداً \* هم الأنصار عرضتها اللقاء

لنا في كل يوم من معد \* سباب أو قتال أو هجاء

فنحكم بالقوافي من هجانا \* ونضرب حين تختلط الدماء

ألا أبلغ أبا سفيان عني \* مغلغلة فقد برح الخفاء

بأن سيوفنا تركتك عبداً \* وعبدالدار سادتها الإماء

هجوت محمداً وأجبت عنه \* وعند الله في ذاك الجزاء

أتهجوه ولست له بكفء \* فشركما لخيركما الفداء

هجوت مباركا براً حنيفاً \* أمين الله شيعته الوفاء

أمن يهجو رسول الله منكم \* ويمدحه وينصره سواء ؟

فإن أبي ووالده وعرضي \* لعرض محمد منكم وقاء

لساني صارم لا عيب فيه \* وبحري لا تكدره الدلاء

وقال بجير بن زهير بن أبي سلمى يوم مكة :

نفى أهل الحبلق كل فج \* مزينة غدوة وبنو خفاف

ضربناهم بمكة يوم فتح النبي \* الخير بالبيض الخفاف

صبحناهم بسبع من سليم \* وألف من بنى عثمان واف

نطا أكتافهم ضربا وطعنا \* ورشقا بالمريشة اللطاف

ترى بين الصفوف لها حفيفا \* كما انصاع الفواق من الرصاف

فرحنا والجياد تجول فيهم \* بأرماح مقومة الثقاف

فأبنا غانمين بما اشتهينا \* وآبوا نادمين على الخلاف

وأعطينا رسول الله منا \* مواثقنا على حسن التصافي

وقد سمعوا مقالتنا فهموا \* غداة الروع منا بانصراف

وقال العباس بن مرداس السلمي يوم فتح مكة :

منا بمكة يوم فتح محمد \* ألف تسيل به البطاح مسوم

نصروا الرسول وشاهدوا أيامه \* وشعارهم يوم اللقاء مقدم

في منزل ثبتت به أقدامهم \* ضنك كأن الهام فيه الحنتم

جرت سنابكها بنجد قبلها \* حتى استقاد لها الحجاز الأدهم

الله مكنه له وأذله \* حكم السيوف لنا وجد مزحم

عود الرياسة شامخ عرنينه \* متطلع ثغر المكارم خضرم

وكان ابن الزبعري قد لحق بنجران فرماه حسان بن ثابت ببيت واحد قاله :

لا تعدمن رجلا احلك بغضه \* نجران في عيش احذ لئيم

فخرج ابن الزبعري الى رسول الله صلع فاسلم وقال حين اسلامه :

منع الرقاد بلابل وهموم \* والليل معتلج الرواق بهيم

مما أتاني أن أحمد لامني \* فيه فبت كأنني محموم

يا خير من حملت على أوصالها \* عيرانة سرح اليدين غشوم

إني لمعتذر إليك من الذي \* أسديت إذ أنا في الضلال أهيم

أيام تأمرني بأغوى خطة \* سهم وتأمرني بها مخزوم

وأمد أسباب الردى ويقودني \* أمر الغواة وأمرهم مشئوم

فاليوم آمن بالنبي محمد \* قلبي ومخطئ هذه محروم

مضت العداوة وانقضت أسبابها \* ودعت أواصر بيننا وحلوم

فاغفر فدى لك والداي كلاهما \* زللي فانك راحم مرحوم

وعليك من علم المليك علامة \* نور أغر وخاتم مختوم

أعطاك بعد محبة برهانه \* شرفا وبرهان الإله عظيم

ولقد شهدت بأن دينك صادق \* حق وأنك في العباد جسيم

والله يشهد أن أحمد مصطفى \* مستقبل في الصالحين كريم

قرم علا بنيانه من هاشم \* فرع تمكن في الذرى وأروم

وغدى رسول الله صلع على ما جعل المشركون في الكعبة من اصنام يهشمها ويكسرها ، ورأى رسول الله صلع اصناما فوق الكعبة فقال لعلي ابن ابي طالب ص ع يا علي ارق فوق كتفي وكسّر هذه الاوثان التي على سقف الكعبة ، فقال بل انت يا رسول الله صلع فاعل على كتفي ، فقال يا علي لو اجتمع اهل الارض ليحملوني ما اطاقوا ذلك فافعل ما امرتك به ، فقال علي ع م فرقيت فوق كتف النبي صلع فطال بي حتى لو اني شئت ان المس السماء اتناول نجومها لفعلت ، فلما على علي ع م على سطح الكعبة القى الاصنام الى الارض فتهشمت ، ثم انه استحي من رسول الله صلع فوثب من سطح البيت الى الارض فوقع قائما وتبسم ، فقال رسول الله صلع مم تبسمك يا علي ، قال يا رسول الله صلع ما ظننت اني اثب مثل هذا واسلم لطوله ، فقال النبي صلع انك طلعت على كتف محمد ونزلت على كتف جبرئيل ،

وامر رسول الله صلع بكل صنم حول مكة فهشم وامر الى العزى ولها بيت تعظمه وتجله قريش وبنو كنانة وكان سدنته وحجابه بنو شيبان ابن سليم حلفاء بني هاشم ، فلما سمع صاحبها السلمي بذلك علق عليها سيفه واشتد في الجبل وهو يقول :

أيا عزى شدي شدة لا شوى لها \* على خالد ألقى القناع وشمري

يا عز إن لم تقتلي المرء خالداً \* فبوئي بإثم عاجل أو تنصري

يعني بخالد خالد بن الوليد وكان مع اولئك الذين بعثهم النبي صلع لهدمها فلما اتوها هدموها .

وكان فتح مكة لعشر ليال بقين من شهر رمضان سنة ثمان من الهجرة

واقام رسول الله صلع بمكة خمس عشرة ليلة ،

ثم كان يوم حنين بعد الفتح سنة ثمان

وذاك ان هوازن لما سمعت برسول الله صلع وما فتح الله عليه من مكة جمعها مالك بن عوف النضري فاجتمع اليه مع هوازن ثقيف كلها واجتمعت نضر وجشم واحد بني بكر بناس قليل من بني هلال فهؤلاء الذين حضروها من قيس غيلان ولم يشهدها من هوازن سعد ولا كلاب وكان في جشم دريد بن الصمة شيخ كبير ليس منه شيء في الحرب الا الرأي وكان شيخا مجربا عارفا بالحرب وكان في ثقيف سيدان لهم قارب بن الاسود في الاحلاف وذو الخمار في بني مالك سبيع بن الحرب بن مالك ، وجماع امر الناس الى مالك بن عوف ، فلما اجمع مالك على السير الى رسول الله صلع سيّر مع الناس اموالهم ونسائهم وابنائهم، فلما نزل باوطاس اجتمع اليه الناس وفيهم دريد ين الصمة في شجار له على بعير يقاد به ، فلما انتهى الى اوطاس قال باي واد انتم قالوا باوطاس ، فقال دريد نعم مجال الخيل لا حزن ولا سهل دمس ، ما لي اسمع رغاء البعير ونهاق الحمير وبكاء الصغير وثغاء الشتاء ، قالوا ساق مالك بن عوف مع الناس اموالهم ونسائهم واولادهم فقال ادعوه لي ، فلما اتاه قال يا مالك انك قد اصبحت سيد قومك وان هذا يوم كائن له ما بعده من الايام ، ما لي اسمع رغاء البعير ونهاق الحمير وبكاء الصغير وثغاء النساء ؟ قال سقت مع الناس اموالهم ونساءهم واولادهم ، قال له يا مالك ولم ذاك؟ قال اردت ان اجعل خلف كل رجل اهله وماله وولده ليقاتل عنهم ، فقال دريد راعي ضان وهل يرد المنهزم شيء ، انها ان كانت لك لم ينفعك الا رجل بسيفه ورمحه وان كانت عليك فضحت في اهلك ومالك ، ثم قال ما فعلت سعد وكلاب ، قالوا لم يشهدها احد منهم ، قال غاب الحد والجد لو كان اليوم يوم علاء ورفعة لم تغب عنه سعد وكلاب ، لو وددت انكم فعلتم ما فعلت سعد وكلاب ، فمن شهدها منكم ؟ قالوا كعب بن عامر وعوف بن عامر وقال ذاك الجذعان من عامر لا ينفعان ولا يضران يا مالك لم تصنع شيئا بتقديم البيضة بيضة هوازن الى نحور الخيل يريد ببيضتهم حوزتهم من المال والنساء ارجعهم الى ممتنع بلادهم وعلياء قومهم ، ثم الق الصبا على متون الخيل ، فان كانت لك لحقك من وراءك ، وان كانت عليك الفاك ذلك وقد احرزت اهلك ومالك ، قال مالك والله لا افعل ذلك ، انك قد كبرت وكبر عقلك ، . والله لتطيعنني يا معشر هوازن أو لأتكئن على هذا السيف حتى يخرج من ظهري . وكره أن يكون لدريد بن الصمة فيها ذكر أو رأي ، فقالوا : أطعناك ، فقال دريد بن الصمة : هذا يوم لم أشهده ولم يفتني

ياليتني فيها جذع \* أخب فيها وأضع

أقود وطفاء الزمع \* وكأنها شاة صدع

ثم قال مالك للناس إذا رأيتموهم فاكسروا جفون سيوفكم ، ثم شدوا شدة رجل واحد .

فلما بلغ رسول الله صلع امر مالك بن عوف ومن انضم اليه وما اجمعوا عليه خرج صلع من مكة في اثني عشر الفا الفان من اهل مكة وعشرة آلاف الذين ساروا معه لفتح مكة ، وارسل رسول الله صلع الى صفوان بن امية وهو يومئذ مشرك فقال له يا صفوان اعرنا ما معك من السلاح لنلقى عدونا به، قال صفوان يا محمد أغصبا ذلك ، قال النبي صلع لا بل عارية مضمونة حتى نؤديها اليك ، قال اما هذا فلا بأس به ، فيقال انه اعار النبي صلع مائة درع بما يكفيها من السلاح وما يحملها،

ولما سار رسول الله صلع بمن معه من المسلمين قال عباس بن مرداس السلمي :

أبلغ هوازن أعلاها وأسفلها \* مني رسالة نصح فيه تبيان

أني أظن رسول الله صابحكم \* جيشا له في فضاء الأرض أركان

فيهم أخوكم سليم غير تارككم \* والمسلمون عباد الله غسان

وفي عضادته اليمنى بنو أسد \* والأجربان بنو عبس وذبيان

تكاد ترجف منه الأرض رهبته \* وفي مقدمه أوس وعثمان

-اوس وعثمان قبيلتان من مزينة

ولما انتهى المسلمون موضع ذات انواط وهي شجرة كانت كفار قريش يعظمونها ويأتونها كل سنة يعكفون عليها يذبحون عندها ويقيمون عليها يوما فنادى النبي صلع قوم ممن اسلم وهم قريبو عهد بالشرك فقالوا يا رسول الله صلع اجعل لنا ذات انواط ، فقال رسول الله صلع قلتم والذي نفس محمد بيده كما قال موسى اجعل لنا الها كما لهم آلهة ، قال انكم قوم تجهلون ، ايها الناس لتركبن سنن من كان قبلكم .

ولما استقبل رسول الله صلع وادي حنين انحدر المسلمون وهو معهم صلع في واد من اودية تهامة اجوف وذلك في عماية الصبح وكانت هوازن ومن انضاف اليها قد سبقوهم الى الوداي فكمنوا في شعابه واحنائه ومضائقه قد اجمعوا وتهيئوا وعدوا واستعدوا ، فما راع المسلمين وهم في ذلك الوادي منحطون الا الكتائب قد شدوا عليهم شدة رجل واحد ، فانشمر المسلمون راجعين لا يلوون على احد وانحاز رسول الله صلع ذات اليمين وهو يقول : هلم ايها الناس الى اين تذهبون ، انا رسول الله انا محمد بن عبد الله فانطلق الناس منهزمين وابدى قوم من المنافقين ما في قلوبهم فقال ابو سفيان انها هزيمة لا يردها الا البحر ، وقال آخر رافعا صوته اليوم بطل السحر، وانضم الى رسول الله صلع خمسة من بني عبد المطلب علي ابن ابي طالب شاهرا سيفه والعباس بن عبد المطلب آخذا بلجام رسول الله صلع فكان يومئذ راكبا على بغلة وابو سفيان بن الحرث بن عبد المطلب والفضل بن العباس وقاسم بن العباس ، وقيل لم يكن فيهم قاسم بل جعفر بن ابي سفيان بن الحرث ، فقال رسول الله صلع للعباس وكان رجلا صيّتا ناد بالناس وعرفهم مكاني ، وقد امعن الناس في الهزيمة كما اخبر الله ع ج بقوله ويوم حنين اذ اعجبتكم كثرتكم فلم تغن عنكم شيئا وضاقت عليكم الارض بما رحبت ، ثم وليتم مدبرين ، ثم انزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين، يعني الذين ثبتوا مع رسول الله صلع حين انهزم الناس.

وهمّ شيبة بن عثمان بن طلحة ان يقتل رسول الله صلع وقال اليوم ادرك ثاري ، وكان ابوه قتل ببدر ، قال فلما دنوت من رسول الله صلع تغشى فوادي شيء لم املك معه نفسي فعلمت انه ممنوع مني، ونظر علي ابن ابي طالب الى صاحب لواء المشركين وهو على جمل والرأية معه يطعن بها في المسلمين ، وقد تضايقوا في وعر و هم منهزمون ، وهو امام هوازن وهم خلفه فحمل عليه علي ابن ابي طالب ع م فضرب عرقوبي جمله بالسيف فالقاه وعلى رأسه بالسيف ففلق هامته فصار الجمل حدا بين المسلمين والمشركين ،

ونادى العباس باعلى وصته يا معشر المسلمين يا معشر المهاجرين يا معشر الانصار يا اهل بيعة الرضوان هلموا الى نبيكم فجعلوا ينادونه من كل ناحية لبيك لبيك ولم يكونوا ظنوا الا ان رسول الله صلع قد قتل او رجع فيمن رجع ، فجعل الرجل يريد ان يرجع اليه بفرسه او بعيره فلا يقدر لضيق المكان وازدحام الناس فيأخذ سلاحه ثم يرمي بنفسه عن مركبه ويدعه ويأتي رسول الله صلع ، ولما اصيب صاحب لواء المشركين لم يمكنهم ان يقيموا غيره مكانه وانحل نظامهم واضطرب امرهم وضرب الله ع ج في وجوههم وايّد رسوله بجنود لم يروها كما اخبر سبحانه في كتابه فما رجع آخر الناس من الهزيمة الا والاسارى مكتفين بين يدي رسول الله صلع والغنائم قد حيزت ،

وكان لعلي ابن ابي طالب ذلك اليوم ما لم يكن لاحد مثله،

وقامت الانصار لما رجعوا الى رسول الله صلع مقاما حسنا وصبر المهاجرون واشرف رسول الله صلع على الناس في ركابته فنظر الى القوم وهم يجتلدون فقال الآن حمي الوطيس،

والتفت رسول الله صلع الى ابي سفيان بن الحرث بن عبد المطلب حين وقعت الهزيمة بالمسلمين وهو آخذ بثفر بغلته فقال من هذا قال ابن عمك يا رسول الله وصبر يومئذ فكان حسن اسلامه حين اسلم ،

ورأى ام سليم بنت ملحان وكانت مع بعلها ابي طلحة وهي حازمة مبرد لها وانها لحامل بعبد الله بن ابي طلحة، فقال رسول الله صلع ام سليم ، قالت نعم بابي انت وامي يا رسول الله اقتل هؤلاء الذين ينهزمون عنك كما تقتل هؤلاء الذين يقاتلونك ، فانهم لذلك اهل ، فقال رسول الله صلع او يكفي الله يا ام سليم ، وكان معها خنجر فقال بعلها ابو طلحة هذا الخنجر معك يا ام سليم ، قالت خنجرا اخذته ان دنى مني احد من المشركين بعجته به ، فقال ابو طلحة الا تسمع يا رسول الله ما تقول الرميصاء ، وكان رسول الله صلع قد ضم بني سليم الا الضحاك بن سفيان الكلبي وكانوا اليه ومعه، ولما انهزم الناس قال مالك بن عوف يرتجز بفرسه :

أقدم محاج إنه يوم نكر \* مثلي على مثلك يحمى ويكر

إذا أضيع الصف يوما والدبر \* ثم احزألت زمر بعد زمر

كتائب يكل فيهن البصر \* قد أطعن الطعنة تقذى بالسبر

حين يذم المستكين المنجحر \* وأطعن النجلاء تعوي وتهر

لها من الجوف رشاش منهمر \* تفهق تارات وحينا تنفجر

وثعلب العامل فيها منكسر \* يا زيد يا بن همهم أين تفر

قد نفد الضرس وقد طال العمر \* قد علم البيض الطويلات الخمر

أني في أمثالها غير غمر \* إذ تخرج الحاصن من تحت الستر

وقال ابو قتادة الانصاري : رأيت يوم حنين رجلين يقتتلان احدهما مسلم والآخر مشرك ، واذا رجل من المشركين يريد ان يعين صاحبه المشرك على المسلم ، قال فاتيته فضربت يده فقطعتها واعتنقني بيده الاخرى فوالله ما ارسلني حتى وجدت ريح الموت ، فكان ان يقتلني فلو لا ان الدم نزفه لقتلني فسقط.

فلما هزم الله المشركين وامكن الله منهم قالت امرأة من المسلمين شعرا :

قد غلبت خيل الله خيل اللات \* وخيله احق بالثبات

فلما انهزمت هوازن واستحر القتل من ثقيف في بني مالك فقتل منهم تحت رأيتهم سبعون رجلا وكانت رأيتهم مع ذي الخمار ، فلما قتل احدهما عثمان بن عبد الله فقاتل بها حتى قتل ، ولما قتل قال رسول الله صلع ابعده الله فانه كان يبغض قريشا وكانت رأية الاحلاف مع قارب من الاسود ، فلما انهزم الناس اسند رأيته الى شجرة وهرب هو وقومه فلم يقتل منهم الا رجلان رجل من بني عنزة يقال له وهب وآخر من بني كنانة يقال له الحلاّح ، ولما قتل الحلاّح قال رسول الله صلع قتل سيد شباب ثقيف الا ما كان من ابن هنيدة يعني يابن هنيدة الحرث بن اوس ، ولما انهزم المشركون اتو الطائف ومعهم مالك بن عوف وعسكر بعضهم باوطاس وتوجه بعضهم نحو نخلة وتبعت خيل رسول الله صلع من سلك في نخلة وادرك ربيعة بن رفيع السلمي دريد الصمة ، فاخذ بخطام جمله وهو يظنه امرأة ، وذلك انه في هودج له فاناخ به ، فاذا شيخ كبير ولم يكن يعرفه فقال له دريد ما ذا تريد بي ، قال اقتلك ، قال ومن انت ؟ قال ربيعة بن الرفيع السلمي ، ثم ضربه بسيفه فلم يغن شيئا ، فقال له دريد بئس ما اسلحتك امك خذ سيفي من مؤخر الهودج واضرب به وارفع عن العظام واخفض عن الدماغ فاني كنت كذلك اضرب الرجال ، فاذا جئت امك فاخبرها انك قتلت دربد بن الصمة ، فرب يوم قد منعت فيه نسائك ، فلما وقع تكشف فاذا عجانه وبطون فخذيه مثل القرطاس من ركوب الخيل.

فلما رجع ربيعة الى امه اخبرها بقتله فقالت اما والله لقد اعتق امهات لك ثلاثا .

وبعث رسول الله صلع في آثار من توجه قبل أوطاس أبا عامر الأشعري ، فأدرك بعض من انهزم من الناس ، فناوشوه القتال ، فرمي أبو عامر بسهم فقتل ، فأخذ الراية أبو موسى الأشعري وقاتلهم واستحر القتل من بني نضر في بني رباب ،

ومر رسول الله صلع بامرأة قد قتلها خالد بن الوليد والناس يزدحمون عليها فقال من قتل هذه، قالوا خالد بن الوليد فقال لبعض من معه ادرك خالدا وقل له ان رسول الله صلع بنهاك ان تقتل وليدا او امرأة او عسيفا ،

وكان للزبير بن العوام قتال في ذلك اليوم وكشف مالك بن عوف ومن معه عن الثنايا وقد وقفوا عليها ليمنعوا ضعفائهم، وقال النبي صلع ان قدرتم على نجاد فلا تقتلوه وهو رجل من بني سعد بن بكر فاخذوه واهله ومعه الشما ابنة الحرث بن عبد العزى اخت رسول الله صلع من الرضاعة ، فاعنفوا عليها في السوق فقالت اني اخت صاحبكم من الرضاعة ، فلم يصدقوها، فلما انتهت الى رسول الله صلع قالت اني اختك من الرضاعة ، قال وما علامة ذلك ، قالت عضة عضـضتها في ظهري وانا متوركـتك فعرف رسول الله صلع العلامة فبسط رداءه واجلسها عليه وقال ان احببت وقفت عندي وان احببت ان امتعك وترجعي الى قومك فعلت، قالت بل تمتعني وتردني الى قومي ، فمتعها رسول الله صلع وردها،

واستشهد يوم حنين من المسلمين من قريش يزيد ان ربيعة بن الاسود بن عبد العزى جمح به فرس يقال له الجناح فقتل ، ومن الانصار سراقة بن الحرث، ومن الاشعريين ابو عامر الاشعري.

وجمعت الى رسول الله صلع سبايا حنين واموالها فامر رسول الله صلع بالسبايا والاموال الى الجعرانة،

وقال العباس بن مرداس السلمي يذكر قارب بن الاسود وفراره يوم حنين وذا الخمار وحبسه قومه للموت :

ألا من مبلغ غيلان عني \* وسوف - إخال - يأتيه الخبير

وعروة إنما أهدى جوابا \* وقولاً غير قولكما يسير

بأن محمداً عبد رسول \* لرب لا يضل ولا يجور

وجدناه نبياً مثل موسى \* فكل فتى يخايره مخير

وبئس الأمر أمر بني قسي \* بوج إذ تقسمت الأمور

أضاعوا أمرهم ولكل قوم \* أمير والدوائر قد تدور

فجئنا أسد غابات إليهم \* جنود الله ضاحية تسير

يؤم الجمع جمع بني قسي \* على حنق نكاد له نطير

وأقسم لو هم مكثوا لسرنا \* إليهم بالجنود ولم يغوروا

فكنا أسد لية ثم حتى \* أبحناها وأسلمت النصور

ويوم كان قبل لدى حنين \* فأقلع والدماء به تمور

من الأيام لم تسمع كيوم \* ولم يسمع به قوم ذكور

قتلنا في الغبار بني حطيط \* على راياتها والخيل زور

ولم يك ذو الخمار رئيس قوم \* لهم عقل يعاقب أو مكير

أقام بهم على سنن المنايا \* وقد بانت لمبصرها الأمور

فأفلتمن نجا منهم جريضاً \* وقتل منهم بشر كثير

ولا يغني الأمور أخو التواني \* ولا الغلق الصريرة الحصور

أحانهم وحان وملكوه \* أمورهم وأفلتت الصقور

بنو عوف تميح بهم جياد \* أهين لها الفصافص والشعير

فلولا قارب وبنو أبيه \* تقسمت المزارع والقصور

ولكن الرياسة عمموها \* على يمن أشار به المشير

أطاعوا قاربا ولهم جدود \* وأحلام إلى عز تصير

فإن يهدوا إلى الإسلام يلفوا \* أنوف الناس ما سمر السمير

وإن لم يسلموا فهم أذان \* بحرب الله ليس لهم نصير

كما حكت بني سعد وحرب \* برهط بني غزية عنقفير

كأن بني معاوية بن بكر \* إلى الإسلام ضائنة تخور

فقلنا أسلموا إنا أخوكم \* وقد برأت من الإحن الصدور

كأن القوم إذ جاءوا إلينا \* من البغضاء بعد السلم عور

وقال عباس بن مرداس السلمي ايضا في يوم حنين:

عفا مجدل من أهله فمتالع \* فمطلا أريك قد خلا فالمصانع

ديار لنا يا جمل إذ جل عيشنا \* رخي وصرف الدار للحي جامع

حبيبة ألوت بها غربة النوى \* لبين فهل ماض من العيش راجع

فإن تبتغي الكفار غير ملومة \* فإني وزير للنبي وتابع

دعاني إليهم خير وفد علمتهم \* خزيمة والمرار منهم وواسع

فجئنا بألف من سليم عليهم \* لبوس لهم من نسج داود رائع

نبايعه بالأخشبين وإنما \* يد الله بين الأخشبين نبايع

فجسنا مع المهدي مكة عنوة \* بأسيافنا والنقع كاب وساطع

عدنية والخيل يغشى متونها \* حميم وآن من دم الجوف ناقع

ويوم حنين حين سارت هوازن \* إلينا وضاقت بالنفوس الأضالع

صبرنا مع الضحاك لا يستفزنا \* قراع الأعادي منهم والوقائع

أمام رسول الله يخفق فوقنا \* لواء كخذروف السحابة لا معض

عشية ضحاك بن سفيان معتص \* بسيف رسول الله والموت كانع

نذود أخانا عن أخينا ولو نرى \* مصالاً لكنا الأقربين نتابع

ولكن دين الله دين محمد \* رضينا به فيه الهدى والشرائع

أقام به بعد الضلالة أمرنا \* وليس لأمر حمه الله دافع

وقال بجير بن زهير بن ابي سلمى في يوم حنين :

لولا الإله وعبده وليتم \* حين استخف الرعب كل جبان

بالجزع يوم حبا لنا أقراننا \* وسوابح يكبون للأذقان

من بين ساع ثوبه في كفه \* ومقطر بسنابك ولبان

والله أكرمنا وأظهر ديننا \* و أعزنا بعبادة الرحمن

والله أهلكهم وفرق جمعهم \* و أذلهم بعبادة الشيطان

قال ابن هشام : ويروى فيها بعض الرواة :

إذ قام عم نبيكم ووليه \* يدعون يا لكتيبة الإيمان

أين الذين هم أجابوا ربهم \* يوم العريض وبيعة الرضوان

وقال مالك بن عوف وهو يعتذر يومئذ:

منع الرقاد فما أغمض ساعة \* نعم بأجزاع الطريق مخضرم

سائل هوازن هل أضر عدوها \* وأعين غارمها إذا ما يغرم

وكتيبة لبستها بكتيبة \* فئتين منها حاسر وملأم

ومقدم تعيا النفوس لضيقه \* قدمته وشهود قومي أعلم

فوردته وتركت إخوانا له \* يردون غمرته وغمرته الدم

فإذا انجلت غمراته أورثنني \* مجد الحياة ومجد غنم يقسم

كلفتموني ذنب آل محمد \* والله أعلم من أعق وأظلم

وخذلتموني إذ أقاتل واحداً \* وخذلتموني إذ تقاتل خثعم

وإذا بنيت المجد يهدم بعضكم \* لا يستوي بان وآخر يهدم

وأقب مخماص الشتاء مسارع \* في المجد ينمى للعلى متكرم

أكرهت فيه ألة يزنية \* سمحاء يقدمها سنان سلجم

وتركت حنته ترد وليه \* وتقول ليس على فلانة مقدم

ونصبت نفسي للرماح مدججا \* مثل الدرية تستحل وتشرم

وقال قائل من هوازن يذكر مسيره الى رسول الله صلع مع مالك

أذكر مسيرهم للناس إذ جمعوا \* ومالك فوقه الرايات تختفق

ومالك مالك ما فوقه أحد \* يوم حنين عليه التاج يأتلق

حتى لقوا الباس حين الباس يقدمهم \* عليهم البيض والأبدان والدرق

فضاربوا الناس حتى لم يروا أحداً \* حول النبي وحتى جنه الغسق

ثمت أنزل جبريل بنصرهم \* من السماء فمهزوم ومعتنق

منا ولو غير جبريل يقاتلنا \* لمنعتنا إذن أسيافنا العتق

وفاتنا عمر الفاروق إذ هزموا \* بطعنة بل منها سرجه العلق

ثم كان غزوة الطائف

فسار رسول الله صلع الى الطائف حين رجع من حنين ، وكان ثقيف قدمت الطائف بعد الغل غلقوا عليهم ابواب مدينتهم وصنعوا الصنائع للقتال ، فقال كعب بن مالك حين اجمع رسول الله صلع للمسير الى الطائف :

قضينا من تهامة كل ريب \* وخيبر ثم أجممنا السيوفا

نخيرها ولو نطقت لقالت \* قواطعهن : دوسا أو ثقيفا

فلست لحاضن إن لم تروها \* بساحة داركم منا ألوفا

وننتزع العروش ببطن وج \* وتصبح دوركم منكم خلوفا

ويأتيكم لنا سرعان خيل \* يغادر خلفه جمعا كثيفا

إذا نزلوا بساحتكم سمعتم \* لها مما أناخ بها رجيفا

بأيديهم قواضب مرهفات \* يزرن المصطلين بها الحتوفا

كأمثال العقائق أخلصتها \* قيون الهند لم تضرب كتيفا

تخال جدية الأبطال فيهم \* غداة الزحف جادياً مدوفا

أجدهم أليس لهم نصيح \* من الأقوام كان بنا عريفا

يخبرهم بأنا قد جمعنا \* عناق الخيل والنجب الطروفا

وأنا قد أتيناهم بزحف \* يحيط بسور حصنهم صفوفا

رئيسهم النبي وكان صلبا \* نقي القلب مصطبرا عزوفا

رشيد الأمر ذو حكم وعلم \* وحلم لم يكن نزقا خفيفا

نطيع نبينا ونطيع رباً \* هو الرحمن كان بنا رءوفا

فإن تلقوا إلينا السلم نقبل \* ونجعلكم لنا عضدا وريفا

وإن تأبوا نجاهدكم ونصبر \* ولا يك أمرنا رعشا ضعيفا

نجالد ما بقينا أو تنيبوا \* إلى الإسلام إذعانا مضيفا

نجاهد لا نبالي من لقينا \* أأهلكنا التلاد أم الطريفا

وكم من معشر ألبوا علينا \* صميم الجذم منهم والحليفا

أتونا لا يرون لهم كفاء \* فجدعنا المسامع والأنوفا

بكل مهند لين صقيل \* يسوقهم بها سوقا عنيفا

لأمر الله والإسلام حتى \* يقوم الدين معتدلا حنفيا

وتنسى اللات والعزى وود \* ونسلبها القلائد والشنوفا

فأمسوا قد أقروا واطمأنوا \* ومن لا يمتنع يقبل خشوفا

وقال شداد بن عارض الجشمي في مسير رسول الله صلع الى الطائف :

لا تنصروا اللات إن الله مهلكها \* وكيف ينصر من هو ليس ينتصر

إن التي حرقت بالسد فاشتعلت \* ولم يقاتل لدى أحجارها هدر

إن الرسول متى ينزل بلادكم \* يظعن وليس بها من أهلها بشر

وسار رسول الله صلع بالمسلمين حتى انتهى الى بحرة الرغا من لية فابتنى بها مسجدا واقاد رجلا من بني ليث قتل رجلا من هذيل وهو اول دم اقيد به في الاسلام ، وامر رسول الله صلع وهو بلية بحصن بها لمالك بن عوف فهدم، وانتهى رسول الله صلع حتى نزل تحت سدرة يقال لها الصادرة قريبا من مال رجل من ثقيف فارسل اليه رسول الله صلع امان ان تسلم ، والا اخربنا عليك حائطك فامتنع من الاسلام فامر رسول الله صلع باخراب حائطه ،

ثم مضى رسول الله صلع حتى نزل قريبا من الطائف فضرب به عسكره ، فقتل ناس ممن منع رسول الله صلع وذلك ان العسكر دنوا من حائط الطائف فكانت النبل تنالهم ، فلما وقع النبل فيهم وضع عسكره عند مسجده الذي امر ببنائه في الطائف فحاصرهم رسول الله صلع بضعا وعشرين ليلة ، ويقال سبعا وعشرين ليلة ، وكان مع رسول الله صلع اثنتين من نسائه احدهما ام سلمة فضرب لهما قبتين وكان يصلي بين القبتين ، فلما اسلمت ثقيف بني على مصلى رسول الله صلع مسجد ،

وقاتل رسول الله صلع ثقيفا ايام حصاره قتالا شديدا ، وتراموا بالنبل وامر رسول الله صلع بعمل منجنيق فرمى به الطائف بالحجارة ، فلما اثرت الحجارة واخرجت في الجدار بالطائف دخل نفر من اصحاب رسول الله صلع دبابة ثم زحفوا بها الى جدار الطائف فخرقوه وارسل ثقيفا عليهم سكـك الحديد محمى بالنار فخرجو من تحتها فقتلت منهم ثقيف جماعة بالنبل.

وامر رسول الله صلع بقطع اعناب ثقيف فقطعها المسلمون وقد قال رسول الله صلع وهو محاصر ثقيفا انه لم يؤذن له في الطائف ، فلما فشى ذلك في المسلمين سألوه صلع اقال ذلك الحديث ، قال نعم، فقالوا يا رسول الله صلع فلو ارحلت ، فامر رسول الله صلع مناديه فنادى بالرحيل، فقال عيينة بن حصن القراري ان ثقيفا نجدة كرام ، فقال له بعض المسلمين اتمحد المشركين ، وقد جئت تنصر رسول الله صلع عليهم فقال ما جئت لاقاتل ثقيفا معكم ، انما اردت ان يفتح محمد الطائف فاصبت من ثقيف جارية لعلها تلد لي غلاما ، فان ثقيفا قوم مناكير ، ونزل الى رسول الله صلع وهو محاصر للطائف عبيد فاسلموا فاعتقهم رسول الله صلع .

وروى اسماعيل بن ابان عن جابر بن عبد الله الانصاري انه قال ناجى رسول الله صلع عليا ع م هو محاصر للطائف فاطال النجوى والناس ينظرون اليهما فحسد عليا كثير من الناس على ما اختصه الله ورسوله فقال ابو بكر وعمر يا رسول الله لقد طالت اليوم مناجاتك لعلي فقال رسول الله صلع ما انا ناجيته ولكن الله انتجاه ، وقد عرف جميع الناس اختصاص رسول الله صلع لوصيه علي ابن ابي طالب ع م وتفريبه له دون اصحابه ولم يكن لاحد فضله في عهد رسول الله صلع ،

وفي اسناد غسان عن علي ع م انه قال لما انزل الله ع ج يا ايها الذين آمنوا اذا ناجيتم الرسول فقدّموا بين يدي نجواكم صدقة ، قال علي ع م كان عندي دينار فصرفته بعشرة دراهم وكنت اتصدق بها حين مناجاة رسول الله صلع فادفع منها حتى فنيت ، ولم يفعل ذلك احد غيري من المسلمين فانزل الله تعالى أاشفقتم ان تقدموا بين يدي نجواكم صدقات الى آخر الآية فلم يعمل بآية النجوى احد غيري وذلك باجماع من المسلمين ،

وقد ذكر الزمخشري والثعالبي ذلك في تفسير هذه الآية وانه لم يقم بآية النجوى من المسلمين غير علي ابن ابي طالب عليه السلام، وفضائله كثيرة مشهورة ، والجاحدون لفضله بها مقرون غير منكرين لاكثرها، ولم يشهر لابي بكر وعمر وغيرهما من الصحابة في آية النجوى امر ولا ظهر لهما ذكر،

وقد قال علي ابن ابي طالب صلوات الله عليه وضع رسول الله صلع فاه على اذني ففتح لي من العلم الف باب انفتح لي من كل باب منها الف باب ، ولم يرووا ذلك في احد من الصحابة ، قال ابو بكر وليتكم ولست بخيركم ، وفيكم من هو افقه مني ، وقال عمر لا تغالوا في صدقات النساء ما اصدق رسول الله صلع امرأة من نسائه اكثر من اثنتي عشرة اوقية ، فقالت له امرأة ليست من اعلم النساء يا امير المؤمنين لم تمنعنا حقا جعله الله لنا ، فقال تعالى وان آتيتم احداهن قنطارا فلا تأخذوا منه شيئا الى آخر الآية ، فخجل عمر بن الخطاب والتفت الى من لديه فقال اتسمعون مني مثل هذا ولا تنكرونه حتى ترده علي امرأة ليست من اعلم النساء ، ومثل هذا كثير لو تقصيناه ما احصيناه لكنا لم نرد ذكر ذكر ذلك ، وانما ذكرناه لما ذكرناه مناجاة رسول الله صلع لابن عمه واختصاصه اياه وانكار من انكر ذلك طعنا على رسول الله وتجريا عليه في تفضيله من هو اهل التفضيل .

والذين استشهدوا في الطائف من المسلمين اثنا عشر رجلا من قريش سبعة ومن الانصار اربعة ومن بني ليث واحد ، ولما انصرف رسول الله صلع عن الطائف بعد القتال والحصار قال بجير بن زهير يذكر حنينا والطائف :

كانت علالة يوم بطن حنين \* وغداة أوطاس ويوم الأبرق

جمعت بإغواء هوازن جمعها \* فتبددوا كالطائر المتمزق

لم يمنعوا منا مقاما واحداً \* إلا جدارهم وبطن الخندق

ولقد تعرضنا لكيما يخرجوا \* فتحصنوا منا بباب مغلق

ترتد حسرانا إلى رجراجة \* شهباء تلمع بالمنايا فيلق

ملمومة خضراء لو قذفوا بها \* حضنا لظل كأنه لم يخلق

مشى الضراء على الهراس كأننا \* قدر تفرق في القياد وتلتقى

في كل سابغة إذا ما استحصنت \* كالنهي هبت ريحه المترقرق

جدل تمس فضولهن نعالنا \* من نسج داود وآل محرق

وصار رسول الله صلع بالمسلمين عن ثقيف وقد قيل له ادع يا رسول الله صلع على ثقيف فقال صلع اللهم اهد ثقيفا ، ولما انتهى رسول الله صلع الى الجعرانة وصله وفد هوازن وسألوه رجوع نسائهم وابنائهم وقالوا يا رسول الله انما السبايا عماتك وخالاتك وحواضنك اللاتي كن يكفلنك ، ولو انا ملحنا الحرث بن ابي شمر او النعمان بن المنذر ثم نزل بنا مثل الذي نزلت به رجونا عطفه وانت خير المكفولين وقد اتيناك مسلمين ، فقال رسول الله صلع اموالكم احب اليكم ام نسائكم واولادكم فقالوا يا رسول الله خيّرتنا بين اموالنا واحسابنا بل ترد الينا ابنائنا ونسائنا ، فهو احب الينا ، وكان سبي هوازن ستة آلاف من الذراري والنساء ، ومن الابل والشاة ما لا يدرى عدده ، فقال رسول الله صلع اما ما كان لي ولبني عبد المطلب فهو لكم واذا انا صليت الظهر بالناس فقوموا وقولوا انا نتشفع برسول الله صلع الى المسلمين وبالمسلمين الى رسول الله صلع في ابنائنا ونسائنا فساعطيكم ذلك واسأل لكم المسلمين ، فلما صلى رسول الله صلع الظهر قاموا فتكلموا فقال رسول الله صلع ما كان لي ولبني عبد المطلب فهو لكم فقال المهاجرون والانصار وما كان لنا فهو لرسول الله صلع ، فقال الاقرع بن حابس اما انا وبنو تميم فلا، وقال عيينة بن حصن اما انا وبنو فزارة فلا ، وقال عباس بن مرداس اما انا وبنو سليم فلا ، فقال بنو سليم ما كان لنا فهو لرسول الله صلع فقال العباس بن مرداس لقومه من سليم وهنتموني ، فقال رسول الله صلع من تمسك منكم بحقه من هذا السبي فله بكل انسان ست فرائض من اول شيء اقسمه فرد الناس ما عندهم من النساء والابناء الا عيينة بن حصن كان عنده امرأة عجوزة ، فقال اني لا احسب لها في الحي نسبا وعسى ان يعظم فداؤها فقال له زهير ابو صرد خذها عنك فوالله ما فوها ببارد ، ولا ثديها بناهد ، ولا بطنها بوالد ، ولا زوجها بواجد ، ولا درها بماكد ، فردها بست فرائض كما فعل المسلمون ، وقال رسول الله صلع لوفد هوازن ما فعل مالك بن عوف فقالوا هو في الطائف مع ثقيف ، فقال رسول الله صلع اخبروا مالكا انه لو اتاني مسلما رددت له اهله وماله واعطيته مائة من الابل فاتى مالك الخبر فخرج اليه من الطائف وقد كان خاف ثقيفا ان يعلموا بذلك فيحبسوه، فركب فرسله ليلا ثم اتى رسول الله صلع فادركه بالجعرانة وبمكة ، فاسلم ورد عليه رسول الله صلع اهله واعطاه مائة من الابل،

قال مالك بن عوف حين اسلم :

ما إن رأيت ولا سمعت بمثله \* في الناس كلهم بمثل محمد

أوفى وأعطى للجزيل إذا اجتدى \* ومتى تشأ يخبرك عما في غد

وإذا الكتيبة عردت أنيابها \* بالسمهري وضرب كل مهند

فكأنه ليث على أشباله \* وسط الهباءة خادر في مرصد

واستعمل رسول الله صلع مالك بن عوف على من اسلم من قومه وعلى ثمالة وسلمة وفهم وامره ان يقاتل بهم ثقيفا ، فما كان يخرج لهم سرح الا اغار عليه حتى ضيق عليهم ، ففي ذلك يقول ابو محجر بن عمرو بن عمير الثقفي :

هابت الأعداء جانبنا \* ثم تغزونا بنو سلمة

وأتانا مالك بهم \* ناقضا للعهد والحرمة

وأتونا في منازلنا \* ولقد كنا اولي نعمه

ولما فرغ رسول الله صلع من رد سبايا هوازن الى اهلها ركب واتبعه الناس يقولون يا رسول الله صلع اقسم لنا فيئنا حتى الجؤه الى شجرة فاختطفت عليه رداءه فقالوا ردوا ايها الناس ردائي ، فوالله لو كان لكم عدد شجرها نعما لقسمته عليكم فما الفيتموني بخيلا ولا جبانا ، ولا كذابا، وقام الى بعير واخذ واخذ بردة من سنامه فجعلها بين اصبعيه ثم رفعها ، وقال ايها الناس والله ما لي من فيئكم هذا ولا هذه الوبرة الا الخمس والخمس مردود عليكم ، فادوا الخياط والمخيط ، فان الغلول من فيح جهنم ، وان الغلول يكون على اهله عارا وشنارا ونارا يوم القيامة ، قالوا وكان عقيل بن ابي طالب دخل يوم حنين على امرأته فاطمة بنت شيبة بن ربيعة وسيفه ملطخ بالدم فقالت قد عرفت انك قد قاتلت ، فما اصبت من غنائم المشركين ؟ فقال ما عندي غير هذه الابرة ، ودفعها اليها ، ثم سمع منادي رسول الله صلع يقول من اخذ شيئا فليؤده ، ادوا الخياط والمخيط ، فقال عقيل لامرأته ما اظن ابرتك الا قد فاتتك ، ثم اخذها منها وذهب فالقاها في الغنائم ، واعطى رسول الله صلع المؤلفة قلوبهم الذين لم يسلموا الا طمعا في الدنيا وطلابها فتألفهم رسول الله صلع على الاسلام فاعطى ابا سفيان مائة بعير واعطى ابنه معاوية مائة بعير واعطى حكيم بن حزام مائة بعير واعطى الحرث بن كلدة مائة بعير ، وقيل هو نضير بن الحرث بن كلدة واعطى الحرث بن هشام مائة بعير واعطى سهل بن حزام مائة بعير واعطى حويطب بن عبد العزى مائة بعير ، وأعطى العلاء بن جارية الثقفي مائة بعير ، وأعطى الأقرع بن حابس التميمي مائة بعير ،وأعطى مالك بن عوف النصري مائة بعير ، وأعطى صفوان بن أمية مائة بعير ، واعطى رجالا من قريش دون المائة ، واعطى العباس بن مرداس السلمي دون المأئة ، فسخطها وقال يعاتب النبي صلع شعرا :

كانت نهابا تلافيتها \* بكري على المهر في الأجرع

وإيقاظي القوم أن يرقدوا \* إذا هجع الناس لم أهجع

فأصبح نهبي ونهب العبيد \* بين عيينة والأقرع

وقد كنت في الحرب ذا تدْرَإ \* فلم أعط شيا ولم أمنع

إلا أفائل أعكيتها \* عديد قوائمها الأربع

وما كان حصن ولا حابس \* يفوقان شيخي في المجتمع

وما كنت دون امرئ منهما \* ومن تضع اليوم لم يرفع

فقال النبن صلع اذهبوا فاقطعوا لسانه واعطوه حتى يرضى ، وقال قائل لرسول الله صلع : اعطيت الاقرع بن حابس وعيينة بن حصن لكل منهما مائة ناقة وتركت جعيل بن سراقة الضمري ، فقال رسول الله اما والذي نفس محمد بيده لجعيل بن سراقة خير من طلاع الارض كلهم مثل عيينة بن حصن والاقرع بن حابس ، لكني تألفتهما ليسلما ووكلت جعيل بن سراقة الى اسلامه ،

وجاء ذو الخويصرة الى رسول الله صلع وهو من تميم فوقف على رسول الله صلع وهو يعطي الناس فقال يا محمد ما عدلت فيما قسمت فغضب رسول الله صلع وقال اذا لم يكن العدل عندي فعند من يكون ، وانا اعدل من في السماء ، وقال عمر ابن الخطاب الا اقتله يا رسول الله فقال دعه ، ، وقال رسول الله صلع انه ستكون لهذا شيعة يتعمقون في الدين حتى يخرجوا عنه كما يخرج السهم من الرمية ينظر في النصل فلا يوجد شيء ، ثم في القدح فلا يوجد شيء ، ثم في الفوق فلا يوجد شيء ، سيق الغرث والدم ، وانهم لشر الخلق والخليقة ، يقتلهم خير الخلق والخليقة ، وكان اولئك الجوارج الذين خرجوا على امير المؤمنين علي ابن ابيطالب صلوات الله عليه فقتلهم في النحروان ، ولما اعطى رسول الله صلع من اعطى من قريش وقبائل العرب ولم يعط الانصار شيئا ، قال الحسان بن ثابت يعاتبه صلع في ذلك :

زادت هموم فماء العين منحدر \* سحا إذا حفلته عبرة درر

وجداً بشماء إذ شماء بهكنة \* هيفاء لا دنس فيها ولا خور

دع عنك شماء إذ كانت مودتها \* نزرا وشر وصال الواصل النزر

وأت الرسول فقل يا خير مؤتمن \* للمؤمنين إذا ما عدد البشر

علام تدعى سليم وهي نازحة \* قدام قوم هم آووا وهم نصروا

سماهم الله أنصارا بنصرهم \* دين الهدى وعوان الحرب تستعر

وسارعوا في سبيل الله اعترفوا \* للنائبات وما خاموا وما ضجروا

والناس ألب علينا فيك ليس لنا \* إلا السيوف أطراف القنا وزر

نخالد الناس لا نبقي على أحد \* ولا نضيع من توحي به السور

ولا تهمر جناة الحرب نادينا \* ونحن حين تلظى نارها سعر

كما رددنا ببدر دون ما طلبوا \* أهل النفاق وفينا ينل الظفر

ونحن جندك يوم النعف من أحد \* إذ حربت بطرا أحزابها مضر

فما ونينا وما خمنا وما خبروا \* منا عثارا وكل الناس قد عثروا

فدخل سعد بن عبادة الانصاري على رسول الله صلع فقال يا رسول الله ، ان هذا الحي من الانصار قد وجدوا عليك في انفسهم لما صنعت في هذا الفئي الذي قسمت في قومك واعطيت عطايا عظاما في العرب ولم يك في هذا الحي من الانصار شيء منها ، قال فاين انت من ذلك يا سعد ، قال يا رسول الله ما انا الا من قومي ، قال فاجمع لي قومك في هذه الحظيرة ، فلما اجتمعوا ابى سعد الى رسول الله فقال هذه الانصار قد اجتمعت ، فاتاهم رسول الله صلع فحمد الله واثنى عليه بما هو اهله ،

ثم قال يا معشر الانصار ما مقالة بلغتني عنكم ووجدة وجدتموها علي في انفسكم ، الم آتكم ضلالا فهداكم الله ، وعيلة فاغناكم الله ، واعداء فالف بين قلوبكم ، قالوا بلى والله ورسوله امنّ وافضل ، ثم قال الا تجيبوني فيّ يا معشر الانصار ، فقالوا بماذا نجيبك يا رسول الله ، ولله ولرسوله المنّ والفضل ، قال رسول الله اما والله لو شئتم لقلتم فلصدقتم وصُدقتم ، اتينا مكذبا فصدقناك ، ومخولا فنصرناك ، وطريدا فاويناك ، وعائلا فاسيناك ، أ وجدتم يا معشر الانصار في لعاعة من الدنيا تألفت بها قوما ليسلموا ، ووكلتكم الى اسلامكم ، أفلا ترضون يا معشر الانصار ان يذهب الناس بالشاء والبعير وترجعوا برسول الله في رحالكم ، فوالذي نفس محمد بيده لو لا الهجرة لكنت رجلا من الانصار ، ولو سلك الناس شعبا وسلك الانصار شعبا لسالكت شعب الانصار ، الهم ارحم الانصار ، وابناء الانصار ، وابناء ابناء الانصار ،

فبكى الانصار حتى اخضلت لحاهم ، وقالوا رضينا يا رسول الله ، فتفرقوا عنه صلع راضين، واعتمر رسول الله صلع من الجعرانة ، فجرج من الجعرانة معتمرا وامر بقايا الفئي ، فحبس بناحية مر الظهران ، فلما فرغ رسول الله صلع من عمرته انصرف راجعا الى المدينة ، واستخلف عتّاب بن اسد على مكة ، وخلف معه معاذ بن جبل يعلم الناس القرآن ويفقهم في الدين ، واتبع رسول الله صلع ، ببقايا الفئي ،

وكانت عمرة رسول الله صلع في ذي القعدة وقدم المدينة في ليال بقين من ذي القعدة وحج بالناس تلك السنة عتاب بن اسيد ، وقد على رسول الله صلع كعب بن زهير بن ابي سلمى بعد انصرافه من الطائف ، وقد كان يهجو رسول الله صلع ويؤذيه ، فلما افتتح رسول الله مكة كتب الى اخيه بجير بن زهير

من مبلغ عني بجيرا رسالة \* فهل لك فيما قلت بالخيف هل لكا

شربت مع المأمون كأسا روية \* فأنهلك المأمون منها وعلكا

وخالفت أسباب الهدى واتبعته \* على أي شيء ويب غيرك دلكا

على خلق لم تلف أما ولا أبا \* عليه ولم تدرك عليه أخا لكا

فإن أنت لم تفعل فلست بآسف \* ولا قائل إما عثرت لعا لكا

المامون رسول الله ، فاجابه اخوه بجير من زهير ،

من مبلغ كعبا فهل لك في التي \* تلوم عليها باطلا وهي أحزم

إلى الله لا العزى ولا اللات وحده \* فتنجوا إذا كان النجاء وتسلم

لدى يوم ينجو وليس بمفلت \* من الناس إلا طاهر القلب مسلم

فدين زهير وهو لا شيء دينه \* ودين أبي سلمى علي محرم

فانشد اليه بجير يخوفه ويشير الىيه بالاسلام ، وقال له ان رسول الله صلع لا يقتل من جاءه مسلما ، فاقبل كعب حتى دخل على النبي صلع قصيدة المعروفة التي يقول فيها :

نبئت أن رسول الله أوعدني \* والعفو عند رسول الله مأمول

مهلا هداك الذي أعطاك نافلة القرآن \* فيها مواعيظ وتفصيل

لا تأخذني بأقوال الوشاة ولم \* أذنب ولو كثرت في الأقاويل

لقد أقوم مقاما لو يقوم به \* أرى واسمع ما لو يسمع الفيل

لظل يرعد إلا أن يكون له \* من الرسول بإذن الله تنويل

حتى وضعت يميني ما أنازعه \* في كف ذي نقمات قيله القيل

فلهو أخوف عندي إذ أكلمه \* وقيل إنك منسوب ومسئول

من ضيغم بضراء الأرض مخدره \* في بطن عثر غيل دونه غيل

يغدو فيلحم ضرغامين عيشهما \* لحم من الناس معفور خراديل

إذا يساور قرنا لا يحل له \* أن يترك القرن إلا وهو مفلول

منه تظل سباع الجو نافرة \* ولا تمشي بواديه الأراجيل

ولا يزال بواديه أخو ثقة \* مضرج البز والدرسان مأكول

إن الرسول لنور يستضاء به \* مهند من سيوف الله مسلول

في عصبة من قريش قال قائلهم \* ببطن مكة لما أسلموا زولوا

زالوا فما زال أنكاس ولا كشف \* عند اللقاء ولا ميل معازيل

شم العرانين أبطال لبوسهم \* من نسج داود في الهيجا سرابيل

بيض سوابغ قد شكت لها حلق \* كأنها حلق القفعاء مجدول

ليسوا مفاريح إن نالت رماحهم \* قوما وليسوا مجازيعا إذا نيلوا

يمشون مشي الجمال الزهر يعصمهم \* حزب إذا عرد السود التنابيل

وقال ابو بكر الانباري حدثني اب رحمة الله عليه عن اشياخه قالوا لما انشد كعب بن زهير بهذه القصيدة التي ذكرنا بعضها في هذا الكتاب قال واولها :

بانت سعاد فقلبي اليوم متبول \* متيم إثرها لم يفد مكبول

غضبت الانصار وقالوا لم لا تمدحنا مع اخواننا المهاجرين ، قال ابو خالد واخبرنب ابو الوليد احمد بن عبد الله بن طريف عن ابي القاسم حاتم بن محمد بن عبد الرحمن باسناده عن ابي سعيد عبد الرحميم البرقي عن عبد الملك بن هشام فقال ويقال ان رسول الله قال حين انشد بانت سعاد فقلبي اليوم مبتول ، لو ذكرت الانصار بخير فان الانصار لذلك اهل ، فقال كعب بن زهير ،قال ابو خالد وساق القصيدة على ما روي الانباري :

من سره كرم الحياة فلا يزل \* في مقنب من صالحي الأنصار

المكرهين السمهري بأذرع \* كسوالف الهندي غير قصار

والذائدين الناس عن أديانهم \* بالمشرفي وبالقنا الخطار

والناظرين بأعين محمرة \* كالجمر غير كليلة الأبصار

والباذلين نفوسهم لنبيهم \* للموت يوم تعانق وكرار

دربوا كما دربت ببطن خفية \* غلب الرقاب من الأسود ضواري

فاذاهم انقلبوا اكأن ثيابهم \* منها تصوع كفارة العطار

لا يشتكون الموت ان نزلت بهم \* شهباء ذات معاقم واوار

والمنعمون المطعمون اذا شتوا \* والضاربون علاوة الجبار

بالمرهفات كأن لمع ظباتهم \* لمع البوارق في البصير الساري

فاذا نزلت ليمنعوك اليهم \* اصبحت عند معاقل الاعفار

ورثوا السيادة كابرا عن كابرا \* ان الكرام هم بنوا الاحرار

لو يعلم الاعداء علمي فيهم \* حقا لصدقني الذين أماري

صدموا علينا يوم بدر صدمة \* دانت لوقعتها جميع نزار

يتطهرون يرونه نسكا لهم \* بدماء من علقوا من الكفار

واليهم استقبلت كل وديقة \* شهباء يستقع حرها كالنار

ومريضة مرض النعاش ذعرتها \* باردت علة نومها بغرار

وعرفت اني مصبح بمضيعة \* غبراء تعزف جنها مذكار

فسكوت كاهل حرةمنهوكة \* بالفجر جاريا عديم شوار

سلست عراقبه لكل قبيلة \* من حنوة علقت على مسمار

وسرت بهملجة غداة مدهج \* من فالق حصد من الامرار

حتى اذا اكتسب الارباق نقبة \* مثل الملاء من السراب الجاري

ورضيت عنها بالرضاء وسامحت \* من بعد عسرة صعبها بيساري

تنحرها عنق كنار لحمها \* حفرت فقار الاحقا بقفار

في كاهل وشجت الى اطرافه \* رايات منتفخ من الاوزار

وتدير اللخرق العتيق يناطه \* بعد الكلال وبعد يوم الساري

عينا كمرأة الصناع تديرها \* بانامل الكفين كل مدار

لجمال محجرها وتعلم ما الذي \* تبدي لنظرة وجهها وتواري

فاوردت في هذه القصيدة في هذه النسخة بما روي عن الانباري لي لما كانت مختصرة في السير واختصرت الاولى لكونها مما ظهر واشتهر ،

واقام رسول الله صلع بالمدينة ما بين شهر ذي الحجة الى رجب ،

ثم كان غزوة تبوك ، فامر رسو الله الناس بالتهيؤ لغرو بلاد الروم ، فلما جد عزم رسول الله اتاه سبعة نفر من الانصار ، وغيرهم من بني عمرو بن عوف سالم بن عمير، وعلية بن زيد اخو بني حارثة، اوابو ليلى عبد الرحمن بن كعب اخو بني مازن بن النجار ، وعمير ابن الحمام ابن الجموح اخو بن سلمة، وعبد الله بن المفضل المزني، وقيل بل هو عبد الله بن عمير المزني ، وهرمي بن عبد الله اخو بني واقف ، وعرياض بن سارية الفزاري ، فاستحملوا رسول الله وكانوااهل حاجة فقال لا اجدها ما احملكم عليه ، فتولوا واعينهم تفيض من الدمع حزنا الا يجدوا ما ينفقون فيهم الذين نزلت فيهم الآية ،

واستخلف رسول الله علي ابن ابيطالب مكافة في المدينة ، وامّره فيها فكبر ذلك في قلوب المنافقين، وقالوا ما خلفه الا استثقالا له ، فاخذ علي ابن ابيطالب ع م سلاحه ثم خرج حتى اتى رسول الله وهو نازل بالجرف ، فقال يا رسول الله زعم المنافقون انك انما خلفتي استثقالا لي ، فقال صلع كذبوا انما تركتك لما خلفت من بعدي ، الا ترضىان تكون مني بمنزلة هارون من موسى الا انه لا نبي من بعدي، ورجع علي ع م المدينة ، ومضى رسول الله صلع في سفره ، وقوله الا ترضى ان تكون مني بمنزلة هارون من موسى بجمع عليه وقد ذكره ابن هشام ، في سيرته ، ولم يكن علي ع م لرسول الله صلع باخ في النسب ، فدل على انه وضي محمد صلع وخليفته من بعده ، كما قال الله تع في قصة موسى وهارون ، اخلفني في قومي ، فاذا كان خليفة رسول الله صلع في قومه ، فهل من خالفه الا كالسامري الذي خالف على موسى ، واخذ العجل ، وقد قال صلع كائن في امتي ما كان في بني اسرائيل حذو النعل بالنعل والقذة بالقذة حتى لو دخلوا جحر ضب لدخلتموه ، وقوله صلع حق ووعده صدق ،

ولما انتهى في بعض الطريق ضلت ناقته وخرج في طلبها اصحابه ، فقال زيد بن لبيب ، وكان منافقا ان محمدا يزعم انه ياتيه خبر ما في السماء وهو لا يدري اين ناقته ، فقال رسول الله صلع ان رجلا من المنافقين قال كيت وكيت ، واني والله لا اعلم الا ما علمني الله ، ولقد دلني عليها وهي في هذا الوادي من شعب كذا وكذا ، وقد حبستها شجرة بزمامها ، فانطلقوا فوجدوا الناقة كما قال رسول الله صلع ، وسأل المسلمون عمن قال ذلك من المنافقين ، فدلوا عليه وكان في رجل عمارة بن حزام ، وعمارة بن حزام كان من الانصار عقبيا بدريا ، فجعل عمارة يجأ لبن لبيب في عنقه ، ويقول يا معشر المسلمين ان في رحلي الداهية ، وانا لا اشعر ،

ثم مضى رسول الله صلع فجعل يتخلف عنه الرجل بعد الرجل ، فيقولون يا رسول الله تخلف فلان ، فيقول دعوه فان يكن فيه خير فيسأتيكم ، وان يكن غير ذلك فقد اراحكم الله منه ، حتى قيل يا رسول الله قد تخلف ابوذر ، وابطاء به بعيره ، فقال دعوه ان يك فيه خير فسوف يلحقكم ، وان يك غير ذلك فقد اراحكم الله منه ، وكان بعير ابي ذر قد ابطاء عليه ، فاخذ متاعه واقبل يحمله على ظهره ويسير ، فنزل رسول الله فقيل يا رسول الله هذا رجلا يمشي على الطريق وحده ، فقال رسول الله صلع كن اباذر ، فلما تأمله الناس قالوا هو ابوذر يا رسول الله ، قال رحم الله اباذر يمشي وحده ويموت وحده ويبعث وحده ، فكان كما قال رسول الله ومات ابوذر رضوان الله عليه وحده بالربدة بعد ان نفاه عثمان بن عفان اليها ، ونسبه الى الكذب ، وقد قال رسول الله صلع ما اقلّت الغبراء ولا اظلت الخضراء على ذي لهجة اصدق من ابي ذر ،

فلما انتهى رسول الله الى تبوك اتاه نحيئة بن روية صاحب ايلته ، فصالح رسول الله واعطاه الجزية ، واتاه اهل حرباء واذرح فاعطوه الجزية ، وكتب رسول الله لهم كتابا بالذمة ، وبعث رسول الله من اسر اكيدر دومة وقتل اخاه ، وقال انكم ستجدونه يصيد البقر ، واكيدر هذا هو اكيدر بن عبد الملك ، رجل كان من ملوك كندة وكان نصرانيا ، فلما وصل اكيدر الى رسول الله حقن دمه، وصالح على الجزية ، وفي ذلك يقول بحير بن ؟؟؟؟ الطافي ، لقول رسول الله صلع انكم ستجدون البقر ، وقول الطافي شعر

تبارك سائق البقرات إني \* رأيت الله يهدي كل هادى

فمن يك حائدا عن ذي تبوك \* فإنا قد أمرنا بالجهاد

فأقام رسول الله صلع بتبوك بضع عشرة ليلة ثم انصرف قافلاً ، وكان على الطريق ماء يخرج من وشل ما يروي الراكب والركبين والثلاثة بواد يقال له وادي المشقق ، فقال رسول الله صلع : من سبقنا إلى ذلك الوادي فلا يستقين منه شيئا حتى نأتيه فسبقه إليه قوم من المنافقين فاستقوه ، فلما ورد رسول الله لم يجد ماء فقال من سبقنا الى هذا المكان ، قالوا فلان وفلان وفلان ، وجعلوا يعدونهم ، فلعنهم رسول الله ، ثم نزل فوضع يده تحت الوشل ، فجعل يضب في يديه ما شاء الله ان يصب من الوشل ، ومسحه بيده ، ودعا صلع فذكر انه انخرق من الوشل ما يسمع له حس كحس الصواعق ، فشرب الناس واستقوا حاجاتهم منه ، فقال رسول الله لئن يقيتم لتسعن بهدا الوادي ، وهو اخصب ما بين يديه وما خلفه ،

\*\*\*

ثم اقبل رسول الله صلع حتى نزل بذي اوان بلد بين وبين المدينة ساعة فوجه فيه مسجدا قد بناه المنافقون ليجتمعوا فيه ، فامر رسول الله صلع فاخرب ، وفيه انزل الله تعالى الذين اتخذوا مسجدا ضرارا وكفرا وتفريقا بين المؤمنين وارصادا لمن حارب الله ورسوله ،

وقد كان تخلف عن رسول الله صلع كعب بن مالك وهلال بن امية ومروان بن الربيع من غير نفاق وفيهم انزل الله تعالى ما انزل ، وذلك بعد ان اتوا الى النبي صلع وقالوا ما لنا عذر عن التخلف الا ان يعفو الله عنا ، واستغفر يا رسول الله لنا ، فانزل الله تعالى الآية : وعلى الثلاثة الذين خلفوا حتى اذا ضاقت علهيم الارض بما رحبت وضاقت عليهم انفسهم وظنوا ان لا ملجأ من الله الا اليه ثم تاب عليهم ليتوبوا ان الله هو التواب الرحيم ،

ورجع رسول الله صلع الى المدينة

، وقيل لم يشهد قتالا في تلك الغزوة،

وبعض الرواة من اهل العلم ذكر انها اجتمعت جموع اهل الروم وكان بينهم وبين رسول الله صلع قتال شديد وان النبي صلع نادى وصيه علي ابن ابي طالب ع م وهو بالمدينة فسمع صوته ولباه واسرع اليه فشهد ذلك القتال ، وذب عن رسول الله صلع وقاتل المشركين فهزمهم الله بيده ، وعاد الى المدينة، وليس بمستنكر ذلك في فضل رسول الله صلع وعلي ع م ، فان الفضل لهم ، وهم يزعمون ان عمر نادى سارية وهو امير في بعض الغزوات يا سارية الجبل الجبل وقد انهزم المسلمون فالقاها الله ، قالوا في سمعه فمال الى الجبل فتحصن به المسلمون وليست دعوة كدعوة النبي صلع ولا سارية باسمع من علي ع م ، والله اعلم بذلك ، ومعجزات انبياء الله واوصيائهم وخلفائهم عظيمة ، واياديه على عباده بهم كريمة ،

وكان قدوم رسول الله صلع الى المدينة في شهر رمضان وقدم عليه في ذلك الشهر وفود ثقيف فاسلموا وقد كان رسول الله صلع قال يا اهل الطائف لتقيموا الصلوة وتؤتوا الزكوة او لابعثن عليكم رجلا كنفسي يعصاكم بسيف، ثم اخذ بيد علي ع م فرفعها ، فقال عمر بخ بخ ان هذه للفضيلة ، واقام وفد ثقيف مع النبي صلع الى سلخ شعبان وامر رسول الله صلع المغيرة بن شعبة وابا سفيان بن حرب يهدمان اللات وهي صنم ثقيف ، وكان تسمى الطاغية فهدمها المغيرة وابو سفيان يتوجع لها ويقول واها لك وآها لك ،

وارسل رسول الله صلع ببراءة مع ابي بكر ، فلما انتهى الى الطريق نزل جبرئيل على النبي صلع فقال لا يبلغ عنك الا علي ، فامره رسول الله صلع فاخذ السورة من ابي بكر ، فقال ابو بكر اسخطة هي ، قال لا ولكن نزل عليه جبرئيل ان لا يبلغ عنه الا رجل منه ، فرجع ابو بكر ، فقال يا رسول الله هل نزل علي سخطة ، قال لا ولكن لا يبلغ عني الا علي ، وقد احتج من احتج من الشيعة فقالوا كيف يصلح لخلافة رسول الله صلع من لم يؤمن على سورة يؤديها كما امر رسول الله صلع ، وذكر ابن هشام ان ذلك كان في سنة تسعة اعني حديث براءة ، وقد قيل ان ذلك كان قبل فتح مكة ، رواه ابن سلام عن ع م انه قال لما توجه رسول الله صلع الى لفتح مكة ، احب ان يعذر اليهم ويدعوهم الى الله آخرا كما دعاهم اولا ، فكتب اليهم كتابا يحذرهم وينذرهم عذاب الله ويعدهم الصفح عنهم ونسخ لهم اول سورة براءة لتقرأ عليهم ثم ندب ابا بكر لذلك فهبط عليه جبرئيل ع م فقال يا محمد لا يؤدي عنك الا رجل منك ، فانبأني رسول الله صلع بذلك ووجهني في اثر ابي بكر بعد ان انفذه بالصحيفة فلحقته فاخذتها منه واتيت الى اهل مكة وليس منهم يومئذ رجل الا وقد وترته بحميم ، فلو قدروا ان يجعلوا على كل جبل مني جزءا لفعلوا ، وان كل واحد ليبذل في ذلك نفسه وماله واهله وولده ، فابلغتهم كتاب رسول الله صلع وقرأت عليهم براءة من الله ورسوله الى الذين عاهدتم من المشركين فسيحوا في الارض اربعة اشهر عشرين من ذي الحجة ومحرم وصفر وربيع الاول وعشرا من ربيع الآخر ، وقلت لا يطوف بالبيت عريان ولا عريانة ولا مشرك ولا مشركة وكل يلقاني بالوعيد والتهديد ويبدي الي البغضاء ويظهر لي الشحناء ، فلم يرعني ذلك حتى انفذت ما امرني به رسول الله صلع ،

وفي سنة تسع قدم الوفود على رسول الله صلع والعرب تسميها سنة الوفود ، وقدم وفد تميم عليهم عطار بن حاجب بن زرارة التميمي فاسلموا ، ولما قدموا نادوا رسول الله صلع من وراء حجراته ان اخرج الينا يا محمد ففيهم نزلت هذه الآيات : الذين ينادونك من وراء الحجرات اكثرهم لا يعقلون ،

وقد عامر بن طفيل على رسول الله صلع في وفد بني عامر وقد قال رسول الله صلع لأملأنها عليك خيلا ورجلا ، فقال رسول الله صلع او يكفيك الله فلما كان ببعض الطريق بعث الله عليه الطاعون في عنقه فقتله في بيت امرأة من سلول فجعل يقول يا بني عامر غدة كغدة البعير وموت في بيت سلولية ،

وقدم صمصام بن ثعلبة وافدا على رسول الله صلع عن بني سعد بن بكر فاسلم ورجع الى قومه فدعاهم الى الاسلام فاسلموا ،

قدم الجارود بن عمرو بن حبس على رسول الله صلع فاسلم وقومه من بني عبد القيس ، وقدمت بنو حنيفة ومعهم سليمة الكذاب فاسلموا ورجع سليمة لعنه الله فادعى النبوة مع محمد صلع وجعل يستعمل السجع ويقول انني نبي مع محمد وفيما قال سليمة اللعين : لقد انعم الله على الحبلى اخرج منها نسمة تسعى من بين صفاق وحشى .

وقدم زيد الخيل في وفد طيء فاسلموا وحسن اسلامهم وقال رسول الله صلع ما ذكر لي رجل من العرب بفضل ثم جاءني الا ورأيته دون ما يقال فيه الا زيد الخيل ، وسماه رسول الله صلع زيد الخير ، فلما رجع اصابته الحمى وهو في طريقه بماء من مياه نجد يدعى قردة ، فمات ، فلما ايقن بالموت قال امرتحل قومي المشارق غدوة امرتحل واترك في بيت قردة ملحد ، الا رب يوم لو مرضت لعادني ، عوائد من لم ير منهن يجهد ،

واما عدي بن حاتم فيروى عنه انه قال كنت في نفسي على دين وكنت ملكا في قومي، فلما سمعت برسول الله صلع كرهته ، وقلت لغلام كان عربيا يرعى ابلي لا ابا لك اعدد لي اجمالا من ابلي ذللا سمانا واجعلها قريبا مني ، فاذا سمعت بجيش محمد قد وطئ هذه البلاد فاذني ففعل ، ثم انه اتاني ذات غداة فقال يا عدي ما كنت صانعا فاصنع فاني قد رأيت رايات فسألت عنها فقالوا هذه جيوش محمد صلع فقلت قرب لي اجمالا فاحتملت باهلي وولدي ثم قلت الحق باهل ديني من النصارى بالشام فسلكت الحوشية وخلفت ابنة لحاتم في الحاضر ، فلما قدمت الشام اقمت بها وخالفتني خيل رسول الله صلع فاصابت بنت حاتم فيمن اصابت فجيء بها الى رسول الله صلع فجعلت في سبايا من طيء ابنة حاتم حظيرة عند باب المسجد كانت السبايا تحبس فيها فمرّ بها رسول الله صلع ، فقامت اليه وكانت امرأة جزلة فقالت يا رسول الله هلك الوالد وغاب الوافد فامنن عليّ منّ الله عليك ، قال من وافدك ، قالت عدي بن حاتم ، فقال الفارّ من الله ورسوله ، قالت ثم مضى صلع وتركني حتى اذا كان من الغد مرّ بي فقلت مثل ذلك وقد يئست ومعه علي ابن ابي طالب ع م فاشار الي علي ع م ان قومي فكلّمي رسول الله صلع فقمت اليه كما كنت قمت وقلت من علي من الله عليك ، فقال صلع اني قد فعلت فلا تعجلني بخروج حتى يكون لك ثقة يبلغك بلادك، ثم آذينني فمكثت حتى قدم وفد من بلي او من قضاعة ، وانما اريد ان آتي اخي بالشام فاتيت رسول الله صلع وقلت يا رسول الله قد قدم رهط من قومي لي منهم ثقة وبلاغ ، قالت فكساني رسول الله صلع وحملني واعطاني نفقة فخرجت معهم حتى قدمت الشام ، قال عدي فاني لقاعد في اهلي حتى نظرت اليها قد اقبلت ، فلما وقفت علي اجترئت بالكلام تقول القاطع الظالم احتملت باهلك وولدك وتركت بقية ابيك عورتك ، قال قلت اي اخية لا تقولي الا خيرا فوالله ما لي من عذر اعتذر به ، لقد صنعت ما ذكرت ، ثم نزلت فاقامت عندي ، فقلت لها فكأنت امرأة حازمة ما ذا ترين في امر هذا الرجل ، قالت ارى والله ان تلحق به سريعا ، فان يكن نبيا فللسابق اليه فضل سبقه ، وان يكن امره امر الملوك فلن تزل في اعزاليمن ، قلت هذا والله رأي ، فشخصت حتى اذا قدمت علىرسول الله صلع المدينة دخلت عليه وهو في المسجد فسلّمت عليه فقال من الرجل فقلت عدي بن حاتم ، فقال رسول الله صلع فانطلق الى بيته فوالله اني لعامد بي اليه اذ لقيته امرأة ضعيفة كبيرة فاستوقفته فوقف لها طويلا تكلمه فيما ارادت فقلت في نفسي والله ما هذا بملك ، ثم مضى بي رسول الله صلع حتى اذا دخل في بيته تناول وسادة من ادم محشوة ليفا فقذقها الي وقال اجلس على هذه ، قلت بل انت فاجلس عليها ، قال بل انت فاجلس فجلست عليها وجلس رسول الله صلع على الارض فقلت انه تواضع النبوة وليس هو بامر الملك ، ثم قال لعلك يا عدي انما يمنعك من الدخول في هذا الدين ما انت تراه من حاجتهم وليوشكن المال ان تقبض منهم حتى لا يوجد من يأخذه، ولعلك يمنعك من دخول فيه ما ترى من كثرة وقلة عددهم فوالله ليوشكن ان تسمع بالمرأة تخرج من القادسة على بعيرها حتى تزور هذا البيت لا تخاف ، ولعلك انما يمنعك من دخول فيه انك ترى ان الملك والسلطان في غيرهم وايم الله ليوشكن ان تسمع بالقصور البيض من اهل بابل قد فتحت عليهم ، قال فاسلمت وقلت يا رسول الله صلع البيعة فخلا بي فبايعني وتلى عليّ رسول الله صلع الآية بعد ذكر النصارى اتخذوا احبارهم ورهبانهم اربابا من دون الله ، فقلت يا رسول الله والله ما عبدناهم ولا صلينا اليهم ، قال افلم يحلوا لكم حراما فتستحلوه ويحرموا عليكم حلالا فتحرموه ، قلت اما ذلك فقد كان ، قال فتلك عبادتهم لهم ، وكان عدي بن حاتم رحمة الله عليه من خير التابعين وشيعة علي ابن ابي طالب.

وقدم فروة الموادي على رسول الله صلع مفارقا لملوك كندة ومباعدا لهم الى رسول الله صلع، قال لما رأيت ملوك كندة اعرضت كالرجل خان الرجل عرق نسائها ، قربت راحلتي ام محمدا ارجو فواضلها وحسن ثرائها واستعمله رسول الله صلع على مراد وزبيد ومدحج وبعث معه عاملا على الصدقة،

ووفد عمر بن معد يكرب على رسول الله صلع وقيل انه لم يفد وانه كان حرب بينهم وبين رسول الله صلع فاسره امير المؤمنين علي ابن ابي طالب بعد كفاح وطعن بالرماح وضرب بالصفاح ووفد الاشعث بن قيس في ثمانين راكبا من كندة ،

وقدم على رسول الله صلع حرد بن عبد الله الازدي فاسلم في وفد من الازد ، فامّره رسول الله صلع على من اسلم من قومه وامره ان يجاهد بمن اسلم من كان يليه من اهل الشرك من قبائل اليمن فخرج صرد بن عبد الله يسير بامر رسول الله صلع حتى نزل بجرس وهي يومئذ مدينة وبها قبائل من قبائل اليمن وقد انحازت اليها خثعم حين علموا بمسير المسلمين فحاصرهم بها قريبا من شهر وامتنعوا فيها منه ثم انه رجع عنهم منهزما فاتبعوه حتى اذا اداركوه عطف عليهم فقتلهم قتلا ذريعا ، وقد كان اهل جرش بعثوا رسولين الى رسول الله صلع ليأتيانهم بخبره فقال لهما صلع اي بلاد شكر ، قالا ببلادنا جبل يا رسول الله ، قال ان يدن الله لتنحر عنده، فرجعوا الى قومهم فوجدوا ذلك اليوم الذي قال لهم رسول الله صلع هو اوان قتل صرد لاصحابهم في ذلك الجبل فاعلماهم فاتوا رسول الله صلع وافدين مسلمين

وقدم كتاب ملوك حمير على رسول الله صلع ورسولهم اليه باسلامهم الحرث بن عبد كلال ونعيم بن عبد كلال والنعمان قيل ذي رعين ومعافر وهمدان وبعث اليه زرعة ذو يزن مالك الرهاوي باسلامهم ومفارقتهم الشرك واهله فاملأ رسول الله صلع ابن عمه علي ابن ابي طالب وكتب اليهم :

بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله النبي الى الحرث ابن عبد كلال والى نعيم بن عبد كلال والى النعمان ذي رعين ومعافر وهمدان : اما بعد ، ذلك فاني احمد الله اليكم الله الذي لا اله الا هو اما بعد فانه قد وافقنا رسولكم منقلبنا من ارض الروم فلقينا بالمدينة فبلغ ما ارسلتم وخبر ما قبلكم وانبأنا باسلامكم وقتلكم للمشركين وان الله قد هداكم بهداه ان اصلحتم واطعتم الله ورسوله واقمتم الصلوة وآتيتم الزكوة واعطيتم من الغنائم خمس الله وسهم النبي وصفيه وكا كتب على المؤمنين من الصدقة من العقار عشر ما سقت العين وسقت السماء علىما تسقي الغروب نصف العشر، وان في الابل الاربعين ابنة لبون وفي الثلاثين من الابل ابن لبون ذكر وفي كل خمس من الابل شاة وفي كل عشرين من الابل شاتان وفي كل اربعين من البقرة بقرة وكل ثلاثين من البقر تبيع او تبيعة جذع او جذعة وفي كل اربعين من الغنم سائمة وحدها شاة ، وانها فريضة الله التي فرض على المؤمنين في الصدقة ، فمن اراد خيرافهو خير له ، ومن ادى ذلك واشهد على اسلامه وظاهر المؤمنين على المشركين فانه من المؤمنين ، له ما لهم ، وعليه ما عليهم ، وله ذمة الله وذمة رسوله، وانه من اسلم من يهودي او نصراني فانه من المؤمنين له ما لهم وعليه ما عليهم ، ومن كان على يهودية او على نصرانية فانه لا يرد عنها وعليه الجزية على كل حالم ذكر او انثى حر او عبد دينار وان من قيمة المعافر او عوضه ثيابا ، فمن ادى ذلك الى رسول الله صلع فانه له ذمة الله وذمة رسوله، ومن منعه فانه عدو لله ولرسوله، اما بعد فان رسول الله صلع محمد النبي ارسل الى ذرعة ذي يزن ان اذا اتاكم رسلي فاوصيكم بهم خيرا معاذ بن جبل وعبد الله بن زيد ومالك بن عبادة وعقبة بن نمر ومالك بن مرة واصحابه وان اجمعوا ما عندكم من الصدقة والجزية من مخالفيكم وابلغوها رسلي فان اميرهم معاذ بن جبل فلا ينقلبن الا راضيا ، اما بعد فان محمدا يشهد ان لا اله الا الله وانه عبده ورسوله ، ثم ان مالك بن مرة الهادي قد حدثني انك اسلمت من اول حمير وقتلت المشركين فابشر بخير وآمرك بحمير خيرا ، ولا تخونوا ولا تخاذلوا فان رسول الله صلع وهو مولي عليكم وفقيركم وان الصدقة لا تحل لمحمد ولا لاهل بيته ، انما هي زكوة يزكى بها على فقراء المسلمين وابن السبيل ، وان مالكا قد بلّغ الخبر وحفظ الغيب وآمركم بهم خيرا واني قد ارسلت اليكم من صالحي اهلي واولي دينهم واولي علمهم، وآمركم بهم خيرا فانه منظور اليهم ، والسلام عليك ورحمة الله وبركاته ،

واوصى رسول الله صلع معاذ بن جبل حين بعثه وعهد اليه وقال له يسّر ولا تعسر وسكن ولا تنفر وانك ستقدم على قوم من اهل الكتاب يسألونك ما مفتاح الجنة فقل شهادة ان لا اله الا الله وحده لا شريك له، فخرج معاذ بمن معه حتى قدم اليمن وهذه الرواية في كتاب رسول الله صلع مع معاذ بن جبل عن ابن هشام وذكر فيها ان في الاربعين من الابل ابنة لبون وفي ثلاثين من الابل ابن لبون، وقد روي القاضي النعمان بن محمد رضي الله عنه عن الصادق جعفر بن محمد بن علي بن الحسين عن ابيه عن آبائه عن آبائه عن علي ابن ابي طالب عليهم السلام انهم قالوا اذا بلغت الابل مائة وعشرون وزادت عليها ففي كل اربعين ابنة لبون وفي كل خمسين حقة وابنة مخاض، ولم يذكر الثلاثين ، وقالوا اذا كانت خمسا وعشرين ففيها ابنة مخاض، وان لم تكن فابن لبون ذكر الىخمس وثلاثين فان زادت واحدة ففيها ابنة لبون فان قيل هذا قول رسول الله صلع وهو اوجب قلنا لهم لم يوردوا قولهم الا عن رسول الله صلع وروايتهم اثبت من رواية ابن هشام واصوب لكونهم قرناء القرآن لقول رسول الله صلع اني مخلف فيكم الثقلين ما ان تمسكتم به ان تضلوا كتاب الله وعترتي اهل بيتي ، وانهما لن يفترقا حتى يردا علي الحوض ، فقولهم اوجب ومذهبهم خير مذهب وكذلك اورد بن هشام في هذا الكتاب ان على كل حالم من اليهود والنصارى ذكرا وانثى حر او عبد دينارا ، وقد ورد غير ذلك عن علي بن ابي طالب ع م ان الجزية على احرار اهل الذمة الرجال البالغين ،وليس على العبيد منهم ولا علىالاطفال ولا على النساء جزية ، وقال يؤخذ من الدهاقين وامثالهم من اهل السعة في المال عن كل رجل منهم ثمانية واربعون درهما في كل عام وعن اهل الطبقة الوسطى اربعة وعشرون درهما ، وعن اهل الطبقة السفلى اثنتا عشر درهما ، فرواية اهل البيت اثبت وعليها يعتمد، وقولهم الذي لا ينتقد ، فانهم لم يأتوا بشيء في الدين الا عن رسول الله صلع عن جبرئيل الروح الامين ولم نقصد هذا الباب فيطيل القول فيه فنكلمه ونستقصيه، وانما نبهنا على ما قاله اهل البيت عليهم السلام عن رسول الله صلع لئلا يظن بنا الغفلة عما ورد عن اهل البيت اعلم مما عليه الاعتماد وان انكره اهل المين والزيغ و العناد ،

واسلم فروة بن عمر الجذامي وكان عاملا للروم على معان وما يليها من بلاد العرب وماحولها من بلاد الشام ، وارسل رسول الله صلع بغلة بيضاء اهداها اليه ، فلما بلغ الروم اسلامه طلبوه حتى اخذوه فحبسوه عندهم فقال وهو في محبسه :

طرقت طرقت سليمى موهنا أصحابي \* والروم بين الباب والقروان

صد الخيال وساءه ما قد رأى \* وهممت أن أغفى وقد أبكاني

لا تكحلن العين بعدي إثمدا \* سلمى ولا تدين للإتيان

ولقد علمت أبا كبيشة أنني \* وسط الأعزة لا يحص لساني

فلئن هلكت لتفقدن أخاكم \* ولئن بقيت لتعرفن مكاني

ولقد جمعت أجل ما جمع الفتى \* من جودة وشجاعة وبيان

فلما أجمعت الروم لصلبه على ماء لهم ، يقال له عفراء بفلسطين ، قال:

ألا هل أتى سلمى بأن حليلها \* على ماء عفراء فوق إحدى الرواحل

على ناقة لم يضرب الفحل أمها \* مشذبة أطرافها بالمناجل

ولما قدموه ليقتلوه ، قال :

بلغ سراة المسلمين بأنني \* سلم لربي أعظمي ومقامي

ثم ضربوا عنقه ، وصلبوه ، على ذلك الماء ، رحمة الله عليه

واسلم بنو الحرث بن كعب اهل نجران وقد وفدهم على رسول الله صلع فبعث معهم عمرو بن حزم ، ليفقههم في الدين ، ويعلمهم السنة وكتب له كتاباً وهو:

بسم الله الرحمن الرحيم : هذا بيان من الله ورسوله ،يا أيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود ، عهد من محمد النبي رسول الله لعمرو بن حزم ، حين بعثه إلى اليمن ، أمره بتقوى الله في أمره كله ، فإن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون ، وأمره أن يأخذ بالحق كما أمره الله ، وأن يبشر الناس بالخير ، ويأمرهم به ، ويعلم الناس القرآن ، ويفقههم فيه ، وينهى الناس فلا يمس القرآن إنسان إلا وهو طاهر ، ويخبر الناس بالذي لهم ، والذي عليهم ، ويلين للناس في الحق ، ويشتد عليهم في الظلم ، فإن الله كره الظلم ، ونهى عنه ، فقال : ألا لعنة الله على الظالمين ، ويبشر الناس بالجنة وبعملها ، وينذر الناس النار وعملها ، ويستألف الناس حتى يفقهوا في الدين ، ويعلم الناس معالم الحج وسنته وفريضته ، وما أمر الله به ، والحج الأكبر : الحج الأكبر ، والحج الأصغر: هو العمرة .

وينهى الناس أن يصلي أحد في ثوب واحد صغير ، إلا أن يكون ثوبا يثنى طرفيه على عاتقيه ، وينهى الناس أن يحتبي أحد في ثوب واحد ، يفضي بفرجه إلى السماء ، وينهى أن يعقص أحد شعر رأسه في قفاه ، وينهى إذا كان بين الناس هيج عن الدعاء إلى القبائل والعشائر ، وليكن دعواهم إلى الله عز وجل وحده لا شريك له ، فمن لم يدع إلى الله ، ودعا إلى القبائل والعشائر فليقطفوا بالسيف ، حتى تكون دعواهم إلى الله وحده لا شريك له .

ويأمر الناس بإسباغ الوضوء وجوههم وأيديهم إلى المرافق وأرجلهم إلى الكعبين ، ويمسحون برؤوسهم وارجلهم الىالكعبين كما امر الله ع ج ويأمر باتما الصلاة لوقتها ، وإتمام الركوع والسجود والخشوع ، ويغلس بالصبح ، ويهجر بالظهيرة حتى تميل الشمس ، وصلاة العصر والشمس عن الافق مدبرة ، والمغرب حين يقبل الليل ، لا يؤخر حتى تبدو النجوم في السماء ، والعشاء أول الليل.وأمر بالسعي إلى الجمعة إذا نودي لها ، والغسل عند الرواح إليها ، وأمره أن يأخذ من المغانم خمس الله ، وما كتب على المؤمنين في الصدقة من العقار عشر ما سقت العين وسقت السماء ، وعلى ما سقى الغرب نصف العشر ، وفي كل عشر من الإبل شاتان ، وفي كل عشرين أربع شياه ، وفي كل أربعين من البقر بقرة ، وفي كل ثلاثين من البقر تبيع ، جذع أو جذعة ، وفي كل أربعين من الغنم سائمة وحدها ، شاة ، فإنها فريضة الله التي افترض على المؤمنين في الصدقة ، فمن زاد خيراً فهو خير له .

وأنه من أسلم من يهودي أو نصراني إسلاماً خالصاً من نفسه ، ودان بدين الإسلام ، فإنه من المؤمنين ، له مثل ما لهم ، وعليه مثل ما عليهم ، ومن كان على نصرانيته أو يهوديته فإنه لا يرد عنها ،وعليه الجزية فمن ادى ذلك فله ذمة الله وذمة رسوله ومن منع فانه عدو الله ولرسوله والمؤمنين جميعا ، صلوات الله على محمد والسلام عليه ورحمة الله وبركاته .

وقد كان قدم على رسول الله صلع رفاعة بن الجذامي ثم الضبيبي في هدنة الحديبية قبل فتح خيبر واهدى لرسول الله صلع غلاما

وقدم وفد همدان على رسول الله صلع ، وفيهم مالك بن نمط ، وأبو ثور ، وهو ذو المشعار ، ومالك بن أيفع ، وضمام بن مالك السلماني ، وعميرة بن مالك الخارفي ، فلقوا رسول الله صلى الله عليه وسلم مرجعه من تبوك ، وعليهم مقطعات الحبرات ، والعمائم العدنية ، (5/ 298) برحال الميس على المهرية والأرحبية ، ومالك بن نمط ورجل أخر يرتجزان بالقوم ، يقول أحدهما :

همدان خير سوقة وأقيال \* ليس لها في العالمين أمثال

محلها الهضب ومنها الأبطال \* لها إطابات بها وآكال

ويقول الآخر :

إليك جاوزن سواد الريف \* في هبوات الصيف والخريف

مخطمات بحبال الليف \*

فقام مالك بن نمط بين يدي رسول الله صلع ثم قال يا رسول الله نصية من همدان ، من كل حاضر وباد ، أتوك على قلص نواج متصلى بحبائل الإسلام ، لا تأخذهم في الله (5/ 299) لومة لائم ، من مخلاف خارف ويام وشاكر أهل السود والقود ، أجابوا دعوة الرسول ، وفارقوا الآلهات والأنصاب ، عهدهم لا ينقض ما أقامت لعلع ، وماجرى اليعفور بصلع .

فكتب لهم رسول الله صلى الله عهدهم بعد ان اسلموا وحسن اسلامهم ،

وقال مالك بن نمط بعد ارتحالهم عن رسول الله صلع شعرا :

ذكرت رسول الله في فحمة الدجى \* ونحن بأعلى رحرحان وصلدد

وهن بنا خوص طلائح تغتلي \* بركبانها في لاحب متمدد (5/ 300)

على كل فتلاء الذراعين جسرة \* تمر بنا مر الهجيف الحفيدد

حلفت برب الراقصات إلى منى \* صوادر بالركبان من هضب قردد

بأن رسول الله فينا مصدق \* رسول أتى من عند ذي العرش مهتدي

فما حملت من ناقة فوق رحلها \* أشد على أعدائه من محمد

وأعطى إذا ما طالب العرف جاءه \* وأمضى بحد المشرفي المهند

واما غزوات رسول الله صلع غير ما ذكرنا مما سفر فيها امرأة فغزوة غالب بن عبد الله المسلوج الليثي فقد امره رسول الله صلع ان يشن الغارة على بني الملوح بالكديد ، فلما انتهى الى الكديد عند غروب الشمس كمن في ناحية من الوادي وبعث جندب من مكيث الجهيني رئيسا لهم ، قال جندب فخرجت حتى اتيت تلا مشرفا فاعلى الحاضر فاسندت فيه فعلوت في رأسه فنظرت الى الحاضر قال فاني لمشرف على التل اذ خرج رجل من خبائه فقال لامرأته اني ارى علىالتل سوادا ما رأيته فانظري اوعيتك هل تفقدين شيئا لا يكون الكلاب جرت بعضها ، قال فنظرت فقالت والله ما افقد شيئا ، قال فناوليني قوسا وسهمين ، فناولته ، قال فارسل سهما فلا والله ما اخطى جنبي فنزعته فوضعته وثبت مكاني وارسل الآخر فوضعه في منكبي ، فقال لامرأته لو كان رئية لقد تحرك لقد خالطه سهماي لا ابا لك اذا أصبحت فابتغيهما ، فخذيهما ، لا يمضغهما علي الكلاب . قال : ثم دخل وامهلناهم حتى اطمأنوا وناموا، فلما كان في وقت السحر شننا عليهم الغارة فقتلنا واستقنا النعم وخرج صريخ القوم فجاءنا منهم ما لا قبل لنا به ودنى القوم منا ما بيننا وبينهم الا وادي قديد ، فارسل الله السيل من حيث شاء تبارك وتعالى من غير سحابة ولا مطر نراهما فجاء بشيء ليس لاحد فيه قوة ولا يقدر علىتجاوزه فوقفوا ينظرون الينا وانا لنسوق نعمهم ما يستطيع رجل منهم ان يجوز الينا ونحن نحدوها سراعا حتى فتناهم وقدمنا على رسول الله صلع .

وغزوة علي ابن ابي طالب بني عبد الله بن سعد من اهل فدك ، وذلك ان رسول الله صلع لما اتاه جبرئيل بامر فدك اخذ لامته وسار في الليل ومعه علي ابن ابي طالب عليهما السلام وجماعة من المهاجرين والانصار ، فلما اتوا فدكا وجدوه ممتنعا فامر رسول الله صلع عليا ع م فصعد على درب فدك ، فلما علاه كبر فابتدر اليه اهل فدك مقاتلين له فحمل عليهم علي ع م فقيل انه قتل منهم ثمانية عشر رجلا فخرجوا فاستقبلهم رسول الله صلع والمسلمون فالقوا بانفسهم الى رسول الله صلع ، وحاز اموالهم فياء فاعطى ابنته فاطمة ع م ارض فدك واشهد على ذلك عليا ع م وام ايمن رحمة الله عليها ، واخذ رسول الله صلع من ذراري اهل فدك الخمس وما شاء وفرق بما فيها علىالمسلمين ، وقد روى ذلك ابو عبيده باسناده ،

وغزوة زين بن حارث الى جذام وذلك قبل موته فاصاب زيد بن حارثة قوما منهم قد اسلموا واصاب زيد منهم سبايا ، فاقبل جماعة منهم الى رسول الله صلع وناوله رفاعة بن زيد الجذامي كتابا كان كتبه رسول الله صلع لمن اسلم منهم فارسل رسول الله صلع امير المؤمنين علي ابن ابي طالب ع م واعطاه سيفه وامره ان يركب على راحلته فجعل ع م كلما لقيه احد من جيش زيد اخذ ما كان معه وارجعه لاهله حتى ارجع ما كان لهم جميعا وقد تقدم ذكر استشهاد زيد بن حارثة رحمة الله عليه ، وانما ذكرنا هذه الغزوة ههنا اذ لم اذكرها من قبل . وقال في ذلك ابو

وعاذلة ولم تعذل بطب \* ولولا نحن حش بها السعير

تدافع في الأسارى بابنتيها \* ولا يرجى لها عتق يسير

ولو وكلت إلى عوص وأوس \* لحار بها عن العتق الأمور

ولو شهدت ركائبنا بمضر \* تحاذر أن يعل بها المسير

وردنا ماء يثرب عن حفاظ \* لربع إنه قرب ضرير

بكل مجرب كالسيد نهد \* على أقتاد ناجية صبور

فدى لأبي سليمى كل جيش \* بيثرب إذ تناطحت النحور

غداة ترى المجرب مستكينا \* خلاف القوم هامته تدور

وغزوة زيد بن حارثة ايضا بني فرارة فاصيب من اصحابه جماعة وارتث زيد بين القتلى فآلا على نفسه ان يغزوهم فارسله رسول الله صلع فقتلهم بوادي الفرق ،

وغزوة عبد الله بن رواحة خيبر قبل فتحه في نفر من اصحابه منهم عبد الله بن انيس فقتل النسر بن رزام وجماعة من يهود ،

وعزوة عبد الله بن انيس دعاه رسول الله صلع وقال له لقد بلغني ان خالد بن ابي سفيان بن نتيح الهذلي يجمع الي الناس ليغزوني وهو بنخلة او قال عرنة مع ظعائنه فأته فاقتله ، قال عبد الله بن انيس: ولما انتهيت اليه قال من انت ؟ قلت رجل من العرب سمع بك يجمعك لهذا الرجل ، فجئتك لذلك ، فقال نعم انا في ذلك ، قال ابن انيس فمشيت معه حتى اذا امكنني حملت عليه بالسيف فقتلته وتركت ظعائنه مكباب عليه ثم رجعت الى رسول الله صلع فاخبرته فناولني عصى وقال صلع : هذه آية بيني وبينك يوم القيامة ، فقرنها عبد الله بن انيس بسيفه حتى مات وامر ان تدفن معه فدفنت ، وقال عبد الله بن انيس في ذلك شعرا :

تركت ابن ثور كالحوار وحوله \* نوائح تفري كل جيب مقدد

تناولته والظعن خلفي وخلفه \* بأبيض من ماء الحديد مهند

عجوم لهام الدارعين كأنه \* شهاب غضى من ملهب متوقد

أقول له والسيف يعجم رأسه \* أنا ابن أنيس فارسا غير قعدد

أنا ابن الذي لم ينزل الدهر قدره \* رحيب فناء الدار غير مزند

وقلت له خذها بضربة ماجد \* حنيف على دين النبي محمد

وكنت إذا هم النبي بكافر \* سبقت إليه باللسان وباليد

وغزوة عيينة بن حصن لبني العنبر بعثه رسول الله صلع اليهم فاغار عليهم فاصاب منهم اناسا وسبى منهم سبايا وكان ممن قتل يومئذ من بني العنبر عبد الله بن وهب واخوان له وسداد بن فراس وحنظلة بن دارم وكان ممن سبى من نسائهم اسماء بنت مالك وكاس بنت اروى ونجعة بنت نهد وجميعه بنت قننوعمرة بنت مطر فاعتق رسول الله صلع بعضا وافدى بعضها ،

وقالت سلمى بنت شهاب في ذلك :

لعمري لقد لاقت عدي بن جندب \* من الشر مهواة شديدا كئودها

تكفنها الأعداء من كل جانب \* وغيب عنها عزها وجدودها

وقال ابن هشام :وقال الفرزدق في ذلك :

وعند رسول الله قام ابن حابس \* بخطة سوار إلى المجد حازم

له أطلق الأسرى التي في حباله \* مغللة أعناقها في الشكائم

كفى أمهات الخالفين عليهم \* غلاء المفادي أو سهام المقاسم

وغزوة غالب بن ---- ارض بني مرة فاصاب بها مراس بن نهيك حليفا لهم من الحرقة قتله اسامة بن زيد وهويقول لا اله الا الله ، فلامه رسول الله صلع في ذلك ، قيل فآلا علىنفسه اسامة ان لا يقاتل من يقول لا اله الله.

وغزوة عمرو بن العاص ذات السلاسل م ارض بني عذرة بعثه رسول الله صلع فانتهى الى ماء يقال له السلسل وكان معه ابو بكر وعمر وابو عبيدة بن الجراح وكان عمرو بن العاص يؤمهم في الصلوة جميعا وهم من تحت امره وبذلك احتجت علماء الشيعة على من قدّم ابا بكر واحتج بما زعموا ان رسول الله صلع امر الناس بالصلوة معه ، فقال علماء الشيعة فعمرو بن العاص اذا احق فيه بالامامة لكونه قد صلى به وان رسول الله صلع لم يأمر احدا على علي ابن ابي طالب ولا عرف ذلك ولا صلى به غير رسول الله صلع ،

وكان لابي بكر عباءة فدكية كان يلبسها في تلك الغزاة فقال اهل نجد لما تأمر والله لا نبايع لصاحب العباءة ابدا ، وقال رافع بن ابي رافع الطائي وهو رافع بن عميرة صحبت ابا بكر في تلك الغزاة وكان يعظني ويقول انصحك فقال فيما قال لي انهاك ان تأمر على رجلين من المسلمين ابدا فقلت له يا ابا بكر ان الناس لا يشرفون عند رسول الله صلع وعند الناس الا بها ، فلم تنهى عنها ، ففارقته على ذلك، فلما قبض رسول الله صلع وولى ابو بكر واختاره الناس اتيته فقلت يا ابا بكر الم تك نهيتني ان اتأمر على رجلين من المسلمين ، قال بلى ، وانا الآن انهاك ، قال فقلت له فما حملك على ان تلي امر الناس وتأمر عليهم ، قال لم اجد من ذلك بدا ، وخشيت على امة محمد صلع الفرقة، هذه رواية ابن ابي رافع ان ابا بكر قد امره ولم يأتمر ونصح له ولم ينصح نفسه ، واما قوله ابي بكر انه خشي الفرقة علىامة محمد صلع فلعمري انه سبب الفرقة، ولو ترك الولاية والامارة لمن امّره رسول الله صلع على المؤمنين وقال انت مني بمنزلة هارون من موسى ما اختلف اثنان ولكنه كما قال النبي صلع لتسلكن سبيل بني اسرائيل ، وفي موضع آخر لتسلكن سبل من كان قبلكم من الامم حذو النعل بالنعل والقذة بالقذة حتى لو دخلوا جحر ضب لدخلتموه، يعني في خلافهم على الاوصياء وادعائهم الامر بغير امرالانبياء .

غزوة ابن ابي هدر ببطن اضم ، وذلك قبل الفتح ، فلما انتهى في نفر من المسلمين الى بطن اضم اقبل عامر بن الاضبط الاشجعي على قعود له ، فلما مرّ بالمسلمين حياهم بتحية الاسلام فحمل عليه محلم بن حثامة فقتله لشيء كان بينهما في الجاهلية ففي ذلك انزل الله تعالى ولا تقولوا لم القى اليكم السلم لست مؤمنا تبتغون عرض الحيوة الدنيا ، ولما كان بعد حرب ال--- قام الاقرع بن حابس وعيينة بن حصن يختصمان الى رسول الله صلع في عامربن الاضبط الاشجعي عيينة يطلب بدم عامر وعيينة يومئذ رئيس غطفان والاقرع يدفع عن محلم بن حثامة لمكانه من خندق فقضى رسول الله صلع بدية عامر بن الاضبط فقبل قومه الدية واما محلم بن حثامة فاتى الى رسول الله صلع ليستغفر له فرفع رسول الله صلع يديه وقال اللهم لا تغفر لمحلم يكررها ، قيل فما مكث محلم بعد ذلك غير سبعة ايام حتى مات ، --- الحسن البصري انه قال لفظت الارض محلما فاعادوه فلفظته الارض ثم عادوا له فلفظت الارض فعمد قومه الى صدين فسحطوه بينها ثم ردموا عليه بالحجارة حتى واروه ، قال فبلغ رسول الله صلع شأنه فقال والله ان الارض لتطبق علىمن هو شر منه ولكن الله تعالىاراد ان يعظكم في جرم ما بينكم بما اراكه منه .

غزوة ابن ابي حدوث ايضا لقتل رفاعة بن قيس الحشعمي في الغابة ، قال ابن ابي حدرد تزوجت امرأة واصدقتها مائتي درهم ثم اتيت رسول الله صلع استعينه علىنكاحي فقال كم اصدقت فاخبرته، فقال سبحان الله لو كنتم تأخذون الدراهم من بطن واد ما زدتم والله ما عندي ما اعينك به، قال فلبثت اياما واقبل رجل من بني تميم بن معاوية يقال له رفاعة بن قيس او قيس بن رفاعة في جيش عظيم من جشم حتى نزل بقومه في الغابة يريد ان يجمع على رسول الله صلع فدعاني رسول الله صلع ورجلين معني من المسلمين فقال اخرجوا الى هذا الرجل حتى تأتوا منه بخبر وعلم ، قالوا فخرجنا ومعنا اسيافنا واقياسنا ونبالنا بعد غروب الشمس حتى دنونا من القوم بعد العتمة فكمنت في ناحية وامرت صاحبي فمكنا في ناحية ، وقلت اذا كبرت فكبرا وشدا معي فانا لكذلك منتظر غرة القوم وقد اظلم الليل علينا وقد كان لهم راع ابطأ عليهم حتى تخوفوا عليه فقام رفاعة بن قيس فجعل سيفه في عنقه ثم قال والله لاتبعن اثر راعينا فقال له نفر من قومه نحن نكفيك فابى عليهم وقال لا يتبعني احد وخرج حتى اذا مرّ بي نفحته سهمي ووضعته في فؤاده فقال والله ما تكلم ووثبت اليه فاخذت رأسه وشددت في ناحية العسكر وكبرت وشد صاحباي فكبر والله ما كان منهم الا النجاء النجاء بكل ما قدروا عليه من نسائهم وابنائهم وما خفّ من اموالهم واستقنا ابلا عظيمة وغنيمة كثيرة فقدمنا بها الى رسول الله صلع وجئت برأس رفاعة اليه فاعانني رسول الله صلع من تلك الابل بثلاثة عشر بعيرا في صداقي فجمعت الى اهلي .

وغزوة عبد الله بن كو--- الى دومة الجندل عن بعض رواة الحديث قال كان عند رسول الله صلع علي ع م وجماعة من اصحابه فاقبل فتى من الانصار فسلم على رسول الله صلع فقال يا رسول الله اي المؤمنين افضل، فقال صلع اكثرهم ذكرا للموت ، واحسنهم استعدادا له ، قبل ان ينزل بهم، اولئك الاكياس ، ثم سكت الفتى ، واقبل رسول الله صلع على اصحابه فقال يا معشر المهاجرين:

خمس اذا نزل بكم واعوذ بالله ان تدركوهن،

انه لن يظهر الفاحشة في قوم حتى يعلنوا بها الا ظهر فيهم الطاعون والاوجاع التي لم تكن في اسلافهم الذين مضوا ،

ولم ينقصوا المكيال والميزان الا اخذوا بالسنين وشدة المؤنة وجور السلطان ،

ولم يمنعوا الزكوة من اموالهم الا منعوا القطر من السماء فلو لا البهائم ما مطروا ،

وما نقضوا عهد الله وعهد رسوله الا سلط الله عليهم عدوا من غيرهم فاخذ بعض ما كان في ايديهم ،

وما لم تحكم ائمتهم بكتاب الله وتحيروا فيما انزل الله الا جعل الله بأسهم بينهم

ثم امر عبد الرحمن بن عوف ان يجهز بسرية بعثه عليها ، فلما اصبح ناوله رسول الله صلع لواء وقال له خذه يابن عوف اغزوا جميعا في سبيل الله فقاتلوا من كفر بالله ولا تغلوا ولا تغدروا ولا تمثلوا ولا تقتلوا وليدا ولا تفترقوا في دين الله، فهذا عهد الله اليكم وسيرة نبيه فيكم ، فاخذ عبد الرحمن اللواء وخرج فيمن معه الى دومة الجندل.

غزوة ابي عبيد من الحزام الى سيف البحر بعثه رسول الله صلع في سرية وزودهم جراب تمر فجعل يقوتهم به حتى اذا فرغ وجهدوا اخرج الله اليهم دابة من البحر فاصابوا من لحمها وودلها واقاموا عليها عشرين ليلة حتى سمنوا ، قال عبادة بن الصامت ولقد اخذنا منها ضلعا فوضعناه في الطريق ثم سيرنا تحته بعيرا من اجسم ما عندنا عليه اجسم رجل منا فخرج من تحت الضلع ، فلما قدمنا على رسول الله صلع اخبرناه الخبر فقال ذلك رزق رزقكموه الله .

وغزوة عمرو بن امية ال--- بعث رسول الله صلع لقتل ابي سفيان بن حرب ذلك قبل الفتح بعث رسول الله صلع عمرو بن امية ومعه حبار بن صخر الانصاري فقدما مكة يريدان قتل ابي سفيان بن حرب ، ولما قدم مكة فحبسا بعيريهما بشعب من شعابها ثم دخلا ليلا فقال حبار لعمر ولو انا لحقنا بالبيت وصلينا ركعتين فقال عمرو ان القوم اذا تعشوا جلسوا بافنيتهم فقال كلا ان شاء الله تعالى ، قال عمرو فطفنا بالبيت ثم صلينا وخرجنا نريد ابا سفيان ، فوالله انا لنمشي بمكة اذ نظر الي رجل من اهل مكة يعرفني فقال عمرو بن امية والله ان قدم الا لشر ، فقلت لصاحبي النجا ، فخرجنا حتى صعدنا في جبل وخرجوا في طلبنا حتى اذا علوا الجبل يئسوا منا فرجعنا فدخلنا كهفا في الجبل فبتنا فيه ، وقد اخذنا حجارة فرضمناها دوننا ، فلما اصبحنا غدا رجل من قريش يقود فرسا له ويختلي علفها فغشينا في الغار فقلت ان رآنا صاح بنا فقتلنا ومعي خنجر قد اعددته لابي سفيان فخرجت اليه وضربته ضربة وصاح صيحة اسمع اهل مكة ورجعت ودخلت مكاني وجاءه الناس يشتدون وهو بآخر رمق فقالوا من ضربك قال عمر بن امية وغلبه الموت فمات مكانه ولم يدل على مكاننا فاحتملوه وقلت لصاحبي لما امسينا التجا باعلى ضجنان ، ثم اوينا الى جبل فدخلنا كهفا فدخل علينا شيخ من بني الديل اعور في غنيمة له فقال من الرجل قلت من بني بكر فمن اين انت ، قال من بني بكر ، فقلت مرحبا فاضطجع ثم رفع عقيرته وقال شعرا :

ولست بمسلم ما دمت حيا ولا دين لدين المسلمينا

فامهلته حتى اذا نام اخذت قوسي فوضعت سيتها في عينه الصحيحة ثم تحاملت عليه حتى بلغت العظم ثم خرجنا وقلت النجا حتى اذا هبطت البقيع فاذا برجلين من المشركين قد ارسلتهما قريش الى المدينة ينظران ويتجسـسان فقلت استاسرا فابيا فرميت احدهما بسهم واستاسر الآخر فاوثقته رباطا وقدمت المدينة .

سرية زيد بن حارثة الىمدين وذلك قبل موته بعثه رسول الله صلع هو وضميرة مولى علي ابن ابي طالب ع م واخا له فاصاب سبيا من اهل سينا وهي عن السواحل وفيها جماع من الناس فبيع السبي وفرق بينهم وخرج رسول الله صلع وهم يبكون فقال ما لهم فقيل فرق بينهم ، فقال رسول الله صلع لا تبيعوهم الا جميعا.

وسرية سالم ين امية لقتل ابي عفك وكان قد نجم نفاقه حين قتل رسول الله صلع الحرث بن سويد بن الصامت ، فقال ابو عفك :

لقد عشت دهرا وما إن أرى \* من الناس دارا ولا مجمعا

أبر عهودا وأوفى لمن \* يعاقد فيهم إذا ما دعا

من أولاد قيلة في جمعهم \* يهد الجبال ولم يخضعا

فصدعهم راكب جاءهم \* حلال حرام لشتى معا

فلو أن بالعز صدقتم \* أو الملك تابعتم تبعا

فقال رسول الله صلع : من لي بهذا الخبيث ، فخرج سالم بن عمير ، أخو بني عمرو بن عوف فقتله ؟ فقالت أمامة المزيرية في ذلك :

تكذب دين الله والمرء أحمدا \* لعمرو الذي أمناك أن بئس ما يمني

حباك حنيف أخر الليل طعنة \* أبا عفك خذها على كبر السن

غزوة عمير بن عدي الخطمي لقتل عصماء بنت مروان، وكان تحت رجل من بني حطمه باست بني مالك والنبيت \* وعوف وباست بني الخزرج

أطعتم أتاويَّ من غيركم \* فلا من مراد ولا مذحج

ترجونه بعد قتل الرءوس \* كما يرتجي مرق المنضج

ألا أنف يبتغي غرة \* فيقطع من أمل المرتجي

قال فأجابها حسان بن ثابت فقال :

بنو وائل وبنو واقف \* وخطمة دون بني الخزرج

متى ما دعت سفها ويحها \* بعولتها والمنايا تجي

فهزت فتى ماجدا عرقه \* كريم المداخل والمخرج

فضرجها من نجيع الدماء \* بعد الهدو فلم يحرج

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم حين بلغه ذلك : ألا أخذ لي من ابنة مروان ؟ فلما سمع قول رسول الله صلع عمير بن عدي الخطمي ، وهو عنده ، فلما أمسي من تلك الليلة سرى عليها في بيتها فقتلها ، وأصبح مع رسول الله صلع ، فقال : يا رسول الله ، إني قد قتلتها، فقال صلع نصرت الله يا عمير .

وخرجت خيل لرسول الله صلع وذلك قبل الفتح فاخذت رجلا من بني حنيفة لا تعرفه حتى اتوا رسول الله صلع به فقال اتدرون من اسرتم ، هذا لثامة بن اثال الحنيفي اطلقوا اساره ، ورجع رسول الله صلع الى اهله فقال اجمعوا ما عندكم من طعام فابعثوا به اليه ، وامر بحلفته ان تغدى عليه وتراح وكان لا يقع منه شيء يأكله ولا ينفعه ثم اسلم ، وكان لا ينال الا قليلا فعجب المسلمون من ذلك فقال رسول الله صلع يم تعجبون، اكل اول النهار في معا كافر واكل آخر النهار في معا مسلم ، ان الكافر يأكل في سبعة امعاء ، وان المؤمن يأكل في معا واحد ،واتى بعد اسلامه مكة ليعتمر فدخلها يلبي فاخذته قريش وهموا به فخلوا سبيله لما يخافون من اليمامة اذا ذهبوا للطعام والتجارة وفيه يقول رجل حنيفي :

ومنا الذي لبى معلنا بمكة معلنا \* برغم أبي سفيان في الأشهر الحرم

ولما انتهى الى اليمامة منع قريش الميرة حتى كتبت الى النبي صلع انك تأمر بصلة الرحم وقد قطعت ارحامنا فكتب اليه رسول الله صلع ان يخلي بينه وبين الميرة .

ثم سرية علقمة بن مجزر ولم يلق فيها كيدا ، عن ابي سعيد الخدري قال بعث رسول الله صلع علقمة بن مجزر في جيش وانا فيهم حتى اذا كنا ببعض الطريق اذن لطائفة من الجيش واستعمل عليهم عبد الله بن حذافة وكان من اصحاب رسول الله صلع ، فلما كان في بعض الطريق غضب على الذين معه فاوقد نارا ثم قال للقوم اليس عليكم السمع والطاعة ، قالوا بلى ، قال فما آمركم بشيء الا فعلتموه ، قالوا نعم ، قال فاني اعزم عليكم بحقي وطاعتي الا تواثبتم هذه النار ، فقام القوم ليتوثبوا فيها ومنعهم بعضهم وقالوا انما هربنا الى رسول الله صلع من النار فمازالوا كذلك حتى سكن غضب الرجل وخمدت النار ، فذكروا لرسول الله صلع لما انصرفوا اليه فقال لو دخلتموها لم تخرجوا منها الى يوم القيامة انها لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق .

ثم سرية علي ابن ابي طالب ، روي عن جعفر بن محمد الصادق ع م عن ابيه عن آبائه عليهم السلام انه قال لما قدم على رسول الله صلع قوم من بني ضبة واصابهم المرض في المدينة فقال لهم رسول الله صلع اقيموا عندي ، فاذا انتم برئتم بعثتكم في سرية فاستوخموا المدينة فاخرجهم الى ابل الصدقة وامرهم ان يشربوا من البانها وابوالها يتداوون بها ، فلما ان برئوا واشتدوا قتلوا ثلاثة نفر كانوا في الابل يرعونها واستاقوا الابل وهربوا يريدون مواضعهم فبلغ ذلك النبي صلع فارسلني في طلبهم فلحقت بهم قريبا من ارض اليمن فهم في بعض الاودية قد ولجوا فيه ليس يقدرون على الخروج منه فاخذتهم وجئت بهم الى رسول الله صلع فتلى عليهم هذه الآية انما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون في الارض فسادا ان يقتلوا الى آخر الآية ، ثم قال القطع القطع فقطع ايديهم وارجلهم من خلاف ، وقد ذكر ابن هشام انه كان في الابل بشار مولى النبي صلع وانهم قتلوه في الذين قتلوا واستاقوها.

وبعث رسول الله صلع علي ابن ابي طالب الى نجران فاخذ الزكوة من المسلمين بها ودوّخ النصارى والمشركين وقتل ابطالهم واعطوه الجزية عن يد وهم صاغرون ، وقد على رسول الله صلع بصدقاتهم وهداياهم وجزية الذمة منهم .

وبعثه رسول الله صلع الى اليمن مرتين فيما روى ابن هشام ومعه في احدهما خالد بن الوليد وجعل علي ابن ابي طالب اميرا على الجميع منهم ، وكذلك كان فان رسول الله صلع لم يبعث عليا في اي غزوة فامّر عليه اميرا بل كان الامير على جميع الصحابة ، وعن عبد الله بن بريدة عن ابيه بريدة قال بعثنا رسول الله صلع الى اليمن فبعث عليه علي ابن ابي طالب وعلى طائفة منهم خالد بن الوليد ، وقال صلع اذا انتم اجتمعتم فعلي على جميع الناس ، واذا افترقتم فكل واحد على اصحابه فلقينا العدو مع علي عليه السلام فقتلنا المقاتلة وسبينا الذرية فاصطفى علي ع م لنفسه جارية من السبي فكتب بذلك خالد بن الوليد الى رسول الله صلع ونال من علي ع م وامرني ان اقع فيه عنده ، وكنت فيمن ضم الى خالد فاتيت رسول الله صلع بكتاب خالد فدفعته اليه وقلت يا رسول الله صلع بعثتني مع رجل فامرتني بطاعته فوجهني اليك وامرني ان اقع في علي عندك ، وهذا مقام العائذ بك ، فقال لي رسول الله صلع يا بريدة لا تقع في علي ان عليا مني وانا منه وهو وليكم بعدي .

وعن ابي رافع قال بعث رسول الله صلع اميرا واخرج معه عمرو بن شاش فرجع وهو يلوم عليا ويشكوه فبلغ ذلك رسول الله صلع فبعث اليه فاتاه فقال اخبرني هل رأيت منه جورا في حكم او حيفا في قسم، قال اللهم لا قال ففيم تنقم عليه وتقول ما بلغني انك تقوله فيه ، قال لبغض له في قلبي لا املكه فغضب النبي صلع حتى التمع لونه وعرفنا الغضب في وجهه ثم قال كذب من زعم انه يحبني ويبغض عليا ، من ابغض عليا فقد ابغضني ومن ابغضني فقد ابغض الله ومن احبه فقد احبني ومن احبني فقد احب الله .

وبآخر عن عمرو بن شاش هذا ان رسول الله صلع قال من آذى عليا فقد آذاني ، قال وكذلك اني خرجت مع علي ع م الى اليمن فرأيت منه جنوة فانصرفت الى المدينة وجعلت اشكوه الى من اجلس اليه في المسجد واني دخلت يوما الى المسجد فرأيت رسول الله صلع ينظر الي حتى جلست فلما اطمأننت قال اما والله يا عمرو بن شاش لقد آذيتني فقلت اعوذ بالله وبالاسلام ان اوذي رسول الله صلع قال من آذى عليا فقد آذاني فقلت والله لا اوذيه ابدا .

وكان في بعض الغزوات خالد بن الوليد قد انفرد في قليل ممن معه الى واد من اودية تهامة فيه بطل من الابطال يقال له مهلهل بن الفياض فدعاه خالد الى الاسلام وشهادة ان لا اله الا الله محمد رسول الله فانف لذلك اين الفياض واخذته حمية الجاهلية وصاح بقومه فجاؤا اليه ارسالا وجماعات توالى وكثروا على خالد بن الوليد فاحاطوا به واسروه فجعلوه في قد وعلقوه في سعف نخل فكتب الى امير المؤمنين علي ابن ابي طالب ع م وقال

يعز على علي ان يراني وما انا من ذل الهوان

وقد علقت في جلد بقد وقد علقت الى عنقي بناني

يقول مهلهل بالجهل منه وفي كفيه سوط قد علاني

الهك ليس يغني عنك شيئا وربي بالحوادث قد كفاني

فقلت له لعمري ان ساقي كمي لا يمل عن الطعان

يفرق جيشكم في كل فاد ويعلوكم بصمصام يماني

فوافاه امير المؤمنين ع م فقتل دونه الابطال، وازال عن مواضعها الرجال، وانتهى اليه ففك قده واطلق اسره.

وحج رسول الله صلع حجة الوداع في سنةعشر بعد ان اعلم اهل الاسلام في النواحي انه يريد الحج ليعرف الامة مناسك حجها وما افترض الله تعالىعليها فخرج صلع من المدينة في شهر ذي القعدة لخمس ليال بقين من الشهر ، وتلك الحجة تسمى حجة الوداع لانها آخر حجة حجها رسول الله صلع وحجة الابلاغ لما اوحي فيها اليه صلع يا ايها الرسول بلغ ما انزل اليك من ربك (في علي) وان لم تفعل فما بلغت رسالته الآية ، وسوف نذكر الحديث اذا انتهينا اليه، وساق رسول الله صلع معه الهدي ، فلما انتهى الى شرف امر الناس ان يهلوا بعمرة الا من ساق الهدي ،

وعن جعفر بن محمد الصادق عن آبائهم ع م انهم قالوا افضل الحج التمتع بالعمرة الى الحج وهو الذي نزل به القرآن وقام بفضله رسول الله صلع ، وقد كان ساق الهدي في حجة الوداع ، فلما انتهى الى مكة وطاف بالبيت وسعى بين الصفا والمروة نزل عليه ما ينزل عليه من الوحي فقال لو استقبلت من امري ما استدبرت لم اسق الهدي ولجعلتها متعة ، فمن لم يكن معه هدي فليحل فحلّ الناس وجعلوها عمرة الا من كان معه هدي ، ثم احرموا للحج من المسجد الحرام يوم التروية، قال جعفر بن محمد فهذا وجه التمتع بالعمرة الى الحج لمن لم يكن من اهل ا لحرم كما قال الله تعالى ذلك لمن لم يكن اهله حاضري المسجد الحرام لان اهل الحرم يقدرون على العمرة متى احبوا، وانما وسع الله ع ج في ذلك لمن اتى من اهل البلدان فجعل لهم في سفرة واحدة حجة وعمرة رحمة من الله لخلقه ومنا عليهم واحسانا اليهم ، قال جعفر بن محمد صلوات الله عليه واذا اراد المحرم الاحرام عقد نيته وتكلم بما يحرم له من حج وعمرة او حج مفرد او عمرة مفردة يقول اللهم اني اريد ان اقرن الحج بالعمرة ان كان معه هدي او يقول اللهم ان اريد ان اتمتع بالعمرة الى الحج او يقول اني اريد الحج ان كان يفرد الحج او يقول اللهم اني اريد العمرة ان كان معتمرا على كتابك وسنة نبيك ، اللهم ومحلي حيث حبستني للقدر الذي قدرت علي ، اللهم اعني على ذلك ويسّره لي وتقبله مني ، ثم يدعو بما احب من الدعاء، وان نوى ما يريد فعله من حج او عمرة دون ان يلفظ به اجزاه ذلك .

ووافى علي ابن ابي طالب رسول الله صلع قافلا من نجران وكان رسول الله صلع قد بعثه اليه فلقيه بمكة وفيما اسند ابن هشام يرفعه الى زيد بن طلحة بن زيد بن ركانة قال لما اقبل علي ابن ابي طالب ع م من اليمن ليلقى رسول الله صلع فعجل الى رسول الله صلع واستخلف على جنده الذين معه رجلا ممن معه فعمد ذلك الرجل فكسى كل رجل من القوم حلة من البز الذي قدم به علي ابن ابي طالب ع م فلما دنى جيشه خرج ليلقاهم فاذا عليهم الحلل، قال ويلك ما هذا، قال كسوت القوم ليتجملوا به اذ قدموا في الناس ، قال ويلك انزع قبل ان تنتهي به الى رسول الله صلع فانزع الحلل من الناس فردها في البز واظهر الجيش شكواه لما صنع بهم ، وروي عن ابي سعيد الخدري قال اشتكى الناس عليا ص ع فقام رسول الله صلع فيهم خطيبا فقال ايها الناس لا تشكوا عليا فانه لأخشن في ذات الله او قال في سبيل الله .

قال ابن هشام : وكان علي ع م قد دخل على فاطمة ع م مقدمة من سفره فوجدها قد حلت وتهيأت، فقال ما لك يا بنت رسول الله، قالت امرنا رسول الله صلع ان نحل بعمرة فحللنا ، قال ثم اتى رسول الله صلع ، فلما فرغ عن الخبر بسفره قال يا رسول الله اني قلت حين احرمت اللهم اني اهل به بما اهل به نبيك وعبدك ورسولك محمد صلع فاشركه رسول الله صلع في هديه .

وعن الصادق عن ابيه عن آبائه ان رسول الله صلع اشرك عليا ع م في هديه وكانت مائة بدنة فنحر رسول الله صلع بيده من الابل ثلثا وستين بدنة وامر عليا فنحر باقيهن ، قال الصادق عليه السلام نحر هدية رسول الله صلع بمنى وقال هذا المنحر وكل منى منحر ، وامر الناس فنحروا وذبحوا ذبائحهم في رحالهم بمنى،

وعن علي ع م انه قال نظر رسول الله صلع الى قطار جمال الحجيج فقال لا ترفع خفا ولا تضع خفا الا محيت عنهم سيئة وكتبت لهم حسنة ، واذا قضيت مناسكهم قيل لهم بنيتم بناء فلا تهدموه، كفيتم ما مضى واحسنوا فيما يستقبلون.

وعنه ع م ان رسول الله صلع قال من اراد دنيا او آخرة فليؤم هذا البيت، ما اتاه عبد يسأل الله دنيا الا اعطاه منها او آخرة الا ذخر له منها ، ايها الناس عليكم بالحج والعمرة ، فتابعوا بينهما فانهما يغسلان الذنوب كما يغسل الماء الدرن وينفيان الفقر كما تنفي النار خبث الحديد.

قال جعفر بن محمد ع م والاحرام من مواقيت خمسة وقّتها رسول الله صلع ، وقّت لاهل المدينة ذا الحليفة وهو مسجد الشجرة ، ولاهل الشام الجحفة، ولاهل اليمن يلملم ، ولاهل الطائف قرن ، ولاهل النجد العقيق ، قال الصادق ع م : فهذه المواقيت لاهل هذه المواضع ولمن جاء من جهاتهامن اهل البلدان ، وعن الصادق ع م عن ابيه عن آبائه عليهم السلام ان رسول الله صلع لما حج حجة الوداع خرج فلما انتهى الى الشجرة امر الناس بنتف الابط وحلق العانة والغسل والتجرد من الثياب المخيطة في رداء وازار ثوبين ما كانا يشداهما على وسطه ويلقي الآخر على ظهره ، وقال الصادق ع م ويأخذ من اراد الاحرام من شاربه ويقلم اظفاره ولا يضره باي ذلك بدأ وليكن فراغه من ذلك عند زوال الشمس ان امكنه ذلك فهو افضل الاوقات للاحرام ولا يضره اي وقت احرم من ليل او نهار . وعنه ع م عن آبائه عليهم السلام ان رسول الله صلع لما اشرف على البيداء اهّل بالتلبية والاهلال رفع الصوت فقال لبيك اللهم لبيك، لبيك لا شريك لك لبيك ، ان الحمد والنعمة لك والملك لا شريك لك . وعنه ع م عن آبائه عليهم السلام ان رسول الله صلع نهى ان ينفر صيد مكة وان يقطع شجرها وان يختلى خلاها ورخص من ذلك في الاذخر وعصى الراعي، وقال صلع من اصبتموه اختلى او قطع الشجر او نفر الصيد يعني في الحرم فقد حل لكم سلبه واوجعوا ظهره فيما استحل في الحرم.

وعن علي ع م ان رسول الله صلع لما دخل المسجد الحرام في حجة الوداع بدء بالركن فاستلمه ثم اخذ في الطواف ، وعن الباقر محمد بن علي ع م عن آبائه عليهم السلام انه قال لما دخل رسول الله صلع المسجد الحرام بدء بالركن فاستلمه ثم مضى عن يمينه والبيت عن يساره فطاف به اسبوعا رمل ثلاثة اشواط ومشى اربعة.

وعن الصادق عليه السلام قال كان رسول الله صلع يستلم الركنين الركن الذي فيه الحجر الاسود والركن اليماني كلما مر بهما في الطواف .

وعن الباقر ع م انه قال في قول الله عز وجل ان الصفا والمروة من شعائر الله فمن حج البيت او اعتمر فلا جناح عليه ان يطوف بهما فقال ع م الطواف بهما مفروض وفي قول الله تعالى هذا بيان ذلك ، ولو كان في ترك الطواف بهما رخصة لقال ولا جناح عليه ان لا يطوف بهما ولكنه لما قال فلا جناح عليه ان يطوف بهما اعلم انهم كانوا يرون في التطوف بهما جناحا ، وكذلك كان الامر كان الانصار يهلون لمناة وكان مناة حذو قديد ، فكانوا يتحرجون ان يطوفوا بين الصفا والمروة ، فلما جاء الاسلام سألوا رسول الله صلع عن ذلك فانزل الله عز وجل : ان الصفا والمروة من شعائر الله فمن حج البيت او اعتمر فلا جناح عليه ان يطوف بهما .

روينا عن رسول الله صلع انه غدا يوم عرفة من منى بعد ان طلعت الشمس فصلى الظهر بعرفة .

وعن علي ص ان رسول الله صلع نزل يوم عرفة بنمرة واقام بها حتى اذا زاغت الشمس امر بالقصوى فرحلت له ، حتى اذا ابطن في الوادي وقف فخطب الناس ثم اذن بلال ، ثم اقام الصلوة فصلى الظهر ، ثم اقام فصلى العصر ، ولم يصل شيئا بينهما . ثم ركب حتى اتى الموقف .

وكانت خطبة رسول الله صلع بعد ان حمد الله واثنى عليه ان قال :

ايها الناس اسمعوا قولي فاني لا ادري لعلي لا القاكم بعد عامي هذا بهذا الموقف ابدا ، ايها الناس ان دمائكم واموالكم عليكم حرام الى ان تلقوا ربكم كحرمة يومكم هذا ، وكحرمة شهركم هذا ، وإنكم ستلقون ربكم ، فيسألكم عن أعمالكم ، وقد بلغت ، فمن كانت عنده أمانة فليؤدها إلى من ائتمنه عليها .

وقد تركت فيكم ما إن اعتصمتم به فلن تضلوا أبداً ، كتاب الله وعترتي اهل بيتي فانهما لن يفترقا حتى يردا علي الحوض، أيها الناس ، اسمعوا قولي واعقلوه ، تعلمن أن كل مسلم أخ للمسلم ، وأن المسلمين إخوة ، فلا يحل لامرئ من أخيه إلا ما أعطاه عن طيب نفس منه ، فلا تظلمن أنفسكم

وإن كل ربا موضوع ، ولكن لكم رؤوس أموالكم ، لا تظلمون ولا تظلمون ، قضى الله أنه لا ربا ، وإن ربا عباس بن عبدالمطلب موضوع كله .

وإن كل دم كان في الجاهلية موضوع ، وإن أول دمائكم أضع دم ابن ربيعة بن الحارث بن عبدالمطلب ، وكان مسترضعا في بني ليث ، فقتلته هذيل ، فهو أول ما أبداً به من دماء الجاهلية .

أما بعد : أيها الناس ، فإن الشيطان قد يئس من أن يعبد بأرضكم هذه أبداً ، ولكنه إن يطع فيما سوى ذلك فقد رضى به مما تحقرون من أعمالكم ، فاحذروه على دينكم .

أيها الناس ، إن النسيء زيادة في الكفر يضل به الذين كفروا يحلونه عاما ، ويحرمونه عاما ليواطئوا عدة ما حرم الله ، فيحلوا ما حرم الله ، ويحرموا ما أحل الله ، وإن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السماوات والأرض ، وإن عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهراً ، منها أربعة حرم ، ثلاثة متوالية ، ورجب مضر ، الذي بين جمادى وشعبان . (6/ 10)

أما بعد : أيها الناس ، فإن لكم على نسائكم حقاً ، ولهن عليكم حقاً ، لكم عليهن أن لا يوطئن فرشكم أحدا تكرهونه ، وعليهن أن لا يأتين بفاحشة مبينة ، فإن فعلن ، فإن الله قد أذن لكم أن تهجروهن في المضاجع وتضربوهن ضربا غير مبرح ، فإن انتهين فلهن رزقهن وكسوتهن بالمعروف .

واستوصوا بالنساء خيراً ، فإنهن عندكم عوان لا يملكن لأنفسهن شيئاً ، وإنكم إنما أخذتموهن بأمانة الله ، واستحللتم فروجهن بكلمات الله ، فاعقلوا أيها الناس قولي ،

أيها الناس ، إن الله أدى إلى كل ذي حق حقه ، وإنه لا تجوز وصية لوارث ، والولد للفراش ، وللعاهر الحجر ، ومن ادعى إلى غير أبيه أو تولى غير مواليه فعليه لعنة الله والملائكة الناس أجمعين ، لا يقبل الله منه صرفاً ولا عدلاً (6/ 12) .

هذا قوله صلوات الله عليه والصرف والعدل الفرض والنافلة ،

وعن الصادق انه قال في قول الله تعالىثم افيضوا من حيث افاض الناس قال كانت قريش قريش تفيض من المزدلفة في الجاهلية ويقولون : نحن اولى بالبيت من الناس . فامرهم الله عز وجل ان يفيضوا من عرفات من حيث افاض الناس .

وعن سعيد الحجاف يرفعه الى ابي ايوب الا نصار قال خرج علينا رسول الله صلع يوم عرفة فقال ايها الناس ان الله تعالى باهى بكم في هذا اليوم فهو لكم عامة ولعلي خاصة ، فاما العامة فيكم فمن لم يحدث بعدي حدثا وهو قول الله تعالى فمن نكث فانما ينكث علىنفسه واما الخاصة فطاعة علي طاعتي فمن عصاه فقد عصاني ، ثم قال يا علي فقام فوضع رسول الله صلع يده في كفه ثم قال : ايها الناس اني رسول الله اليكم جميعا طاعتي مفروضة واني غير خائف لقومي ولا محاب لقرابتي منهم ، وانما انا رسول الله وما على الرسول الا البلاغ المبين ، الا وان هذا جبرئيل يخبرني عن ربي ان السعيد كل السعيد من احب عليا في حيوته وبعد وفاته ، وان الشقي كل الشقي من ابغض عليا في حيوته وبعد وفاته .

وعن علي ع م ان رسول الله صلع افاض من عرفات حين غابت الشمس ، وعنه انه قال فاذا افضت من عرفات فافض وعليك السكينة والوقار ، وافض بالاستغفار ، وقال الله ثم افيضوا من حيث افاض الناس واستغفروا الله ، واقصد في السير ، وعليك بالدعة والوجيف الذي يصنعه كثير من الناس ، فان رسول الله صلع لما دفع من عرفة شنق القصواء بالزمام حتى ان رأسها ليصيب رحله ، وهو يقول ويشير بيده اليمنى الى الناس : ايها الناس السكينة السكينة . وكلما اتى جبلا من الجبال ارخى لها قليلا حتى تصعد ، حتى اتى المزدلفة . وسنته صلع تتبع .

وعن علي ع م انه قال : لما دفع رسول الله صلع من عرفات مر حتى اتى المزدلفة فجمع فيها بين صلوتي المغرب والعشاء باذان واحد واقامتين .

قال الصادق ع م : ورخص رسول الله صلع في تقديم الثقل والنساء والضعفاء من مزدلفة الى منى بليل .

وعنه ع م ان رسول الله صلع لما صلى الفجر بجمع يوم النحر ، ركب القصواء حتى اتى المشعر الحرام ، فرقي عليه ، واستقبل القبلة وكبر الله وهلله ، ووحده ، ولم يزل واقفا حتى اسفر جدا ، ثم دفع قبل ان تطلع الشمس . وقال رسول الله صلع كل عرفة موقف ، وكل مزدلفة موقف، وكل منى منحر ، ووقفرسول الله صلع على قزح ، وهو الجبل الذي عليه البناء ، وقال لما افاض رسول الله صلع من مزدلفة جعل يسير العنق ويقول السكينة السكينة السكينة السكينة ، حتى وقف على بطن محسر فقرع ناقته فخبت حتى خرج ثم عاد الى سيره الاول ،

قال الصادق ع م السعي واجب ببطن محسر ، قال ثم سار رسول الله صلع حتى اتى جمرة العقبة فرماها بسبع حصيات ثم اتى منى ، قال :وذلك من السنة ، ثم يرمى ايا التشريق الجمرات الثلاث كل يوم عند زوال الشمس وهو افضل ولك ان ترمي من اول النهار الى آخره ولا ترمى الجمار الا على طهر، ومن رماها على غير طهر فلا شيء عليه ،

وعنه ع م ان رسول الله صلع كان يرمى الجمار ماشيا ومن ركب اليها فلا شيء عليه ،

وعن علي ع م ان رسول الله صلع رمى جمرة العقبة يوم النحراتى الى المنحر فقال هذا المنحر وكل منى منحر، ونحر رسول الله صلع هديه ونحر الناس في رحالهم ، وعن علي ع م انه قال لما نحر رسول الله صلع امر من كل بدنة بقطعة فطبخت واكل وامرني ان آكل معه من اللحم وحسونا من المرق وكان اشركني في هديه ، وقال من حسى من المرق فقد اكل من اللحم .

وع الصادق ع م انه قال واذا صرت الى منى فانحر هديك واحلق رأسك ولا يضرك باي ذلك بدأت ،قال والحلق افضل من التقصير لان رسول الله صلع حلق رأسه في حجة الوداع وفي عمرة الحديبية .

وعن علي ع م ان رسول الله صلع افاض يوم النحر الى البيت فصلى الظهر بمكة ، وعنه ع م ان رسول الله صلع قصر الصلوة بمنى، قال علي ابن ابي طالب ع م ولا يبيت احد من الحجيج ليالي منى الا بمنى ، وعن الصادق ع م انه قال يستحب لمن نفر من منى ان ينزل بالمحصب، وهي البطحاء فيمكث بها قليلا ثم يرتحل الىمكة فان رسول الله صلع كذلك فعل ، وعن علي ابن الحسين ع م انه قال صلى رسول الله صلع في البيت بين العمودين على الرخامة الحمراء واستقبل ظهر البيت وصلى ركعتين ، قال الصادق ع م ولا تصلى صلوة مكتوبة في داخل الكعبة،

وولد محمد بن ابي بكر رضوان الله عليه في تلك الحجة بمكة و هو من اسماء بنت عميس تزوجها ابو بكر بعد ان استشهد جعفر الطيار ع م بمؤتة ، فولدت له محمد بن ابي بكر وتزجها بعد ابي بكر علي ابن ابي طالب بعد وفاة فاطمة بنت رسول الله صلع ، ولما ولد محمد بن ابي بكر اتت به اخته عائشة بنت ابي بكر الى محمد رسول الله صلع فقالت يا رسول الله ادع له فقال اللهم ارزقه ولاية اهل بيتي ، فقالت يا رسول الله ادع له فقال فعلت ، فاستجيبت دعوة رسول الله صلع في محمد ، فكان ممن يتوالى امير المؤمنين علي ابن ابي طالب ع م ، ومات على طاعته وولايته يقربه ويدنيه ولا يبعده ولا يقصيه .

وامر الله نبيه محمدا صلع ان ينص على وصيه علي ابن ابي طالب صلى الله عليهما وعلى الطاهرين من آلهما ، وان يبين ولايته لجميع من حضره من امته ، وكان ذلك بعد رجوعه صلع من مكة فابان صلع ولايته في اليوم الثامن عشر من شهر ذي الحجة قبل ان يفترق من حج من المسلمين وكانوا فيما اتت به الاخبار سبعين الفا،

وروينا عن عبد الله جعفر بن محمد صلع ان رجلا قال له يابن رسول الله صلع حدثنا الحسن البصري قال ان رسول الله صلع قال ان الله ارسلني برسالة ضاق بها صدري وخشيت ان يكذبني الناس فتواعدني ان لم ابلغها ان يعذبني ، قال الصادق ع م فهل حدثكم بالرسالة قالوا لا قال اما والله انه كتمها متعمدا وانه ليعلمها ، قال الرجل يا بن رسول الله جعلني الله فداك ما هي ، فقال ان الله تبارك وتعالى امر المؤمنين بالصلوة في كتابه فلم يدروا ما الصلوة ولا كيف يصلون ، فامر الله عز وجل محمدا نبيه صلع ان يبين لهم كيف يصلون فاخبرهم بكل ما افترض الله عليهم من الصلوة مفسرا وفرض الصلوة في القرآن جملة ففسرها رسول الله صلع في سنته ، واعلمهم بالذي امرهم به من الصلوة التي فرض الله عليهم ، وامر بالزكوة فلم يدروا ما هي ففسرها رسول الله صلع واعلمهم بما يؤخذ من الذهب والفضة والابل والبقر والغنم والزرع ولم يدع شيئا مما فرض الله من الزكوة الا فسره لامته وبينه لهم ، وفرض عليهم الصوم فلم يدروا ما الصوم ولا كيف يصومون ففسره لهم رسول الله صلع وبين لهم ما يتقون في الصوم وكيف يصومون ، وامر بالحج فامر الله نبيه صلع ان يفسر لهم كيف يحجون حتى اوضح لهم ذلك في سنته وامر الله عز وجل بالولاية فقال : انما وليكم الله ورسوله والذين يقيمون الصلوة ويؤتون الزكوة وهم راكعون ، ففرض الله ولاية ولاة الامر فلم يدروا ما هي فامر الله نبيه عليه السلام ان يفسر لهم ما الولاية بمثل ما فسر لهم الصلوة والزكوة والصوم والحج فلما اتاه ذلك من الله عز وجل ضاق به رسول الله صلع ذرعا وتخوف ان يرتدوا عن دينه وان يكذبوه ، فضاق صدره وراجع ربه فاوحى اليه : يا ايها الرسول بلغ ما انزل اليك من ربك وان لم تفعل فما بلغت رسالته ، والله يعصمك من الناس ، فصدع بامر الله وقام بولاية امير المؤمنين علي ابن ابي طالب صلى الله عليه وسلم يوم غدير خم ونادى لذلك الصلوة جامعة وامر ان يبلغ الشاهد الغائب وكانت الفرائض ينزل منها شيء بعد شيء ، تنزل الفريضة ثم تنزل الفريضة الاخرى وكانت الولاية آخر الفرائض فانزل الله عز وجل : اليوم اكلمت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام دينا ،

قال ابو جعفر : يقول الله عز وجل لا انزل عليكم بعد هذه الفريضة فريضة قد اكملت لكم هذه الفرائض .

وفيما رفع من حديث الى زيد بن ارقم انه قال خرجنا مع رسول الله صلع في حجة الوداع فلما انصرف وصرنا الى غدير خم نزل وذلك في يوم ما اتى علينا من الحر اشد منه فامر بدوح مجتمع فقم له ما تحته واستظل به ونادى في الناس فاجتمعوا اليه اجمع ما كانوا لانه قل من المسلمين من لم يخرج معه في تلك الحجة ، فلما اجتمعوا قام فيهم صلع خطيبا فقال بعد ان حمد الله واثنى عليه : ايها الناس ان الله ع ج لم يبعث نبيا الا عاش نصف ما عاش النبي الذي قبله واني اوشك ان ادعى فاجيب ، واني تارك فيكم بعدي ما ان تمسكتم به لن تضلوا كتاب الله وعترتي اهل بيتي ، ثم اخذ بيد علي ع م واقامه ورفع يده بيده حتى رأي بياض ابطيهما وقال من اولى بكم من انفسكم ، قالوا الله ورسوله اعلم ، قال الست اولى بذلك لقول الله ع ج النبي اولى بالمؤمنين من انفسهم ، قالوا اللهم نعم ، قال فمن كنت مولاه فعلي مولاه ، اللهم وال من والاه وعاد من عاداه ، هل سمعتم واطعتم ، قالوا اللهم نعم ، قال اللهم اشهد ،

فقال زيد بن ارقم فسمعت بعد ذلك عليا ص ع في الرحبة ينشد الناس بالله من سمع رسول الله صلع يقول من كنت مولاه فعلي مولاه الا قام فشهد ، قال فقام ستة عشر رجلا فشهدوا بذلك وكنت فيمن كتم فذهب بصري ، وكان يحدث بذلك بعد ان عمي .

وعن الصادق عن ابيه عن آبائه عليهم السلام--- ان بلغ الناس ان يكذبوه ويرتد اكثرهم حسدا لما علمه في صدور كثير منهم ، فلما حج حجة الوداع وخطب الناب بعرفة وقد اجتمعوا من كل افق لشهود الحج معه عرّفهم في خطبته معالم دينهم واوصاهم وقال في خطبته : اني خشيت ان لا اراكم ولا تروني بعد يومي هذا في مقامي هذا ، وقد خلفت فيكم ما ان تمسكتم به بعدي لن تضلوا كتاب الله وعترتي اهل بيتي فانهما لن يفترقا حتى يردا علي الحوض حبل ممدود من السماء اليكم طرف منه بيد الله وطرف بايدكم فاجمل صلع ذكر الولاية في اهل بيته اذ قدعلم ان ليس فيم من ينازع عليها فيها وان الناس ان سلموها لهم سلموها هم لعلي ع م والقى عليه وعليهم ان يقيم هو بنفسه ، فلما انقضى حجهم وانصرف وصار الى غدير خم انزل الله ع ج يا ايها الرسول بلغ ما انزل اليك من ربك وان لم تفعل فما بغلت رسالته والله يعصمك من الناس ، فقام بولاية علي ع م ونص عليه كما امره الله ع ج فانزل الله تعالى اليوم اكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام دينا .

وقد جاء في الرواية ان النبي صلع اخذ البيعة لعلي ع م في ذلك اليوم على كل من حضر من المسلمين، وقال عمر بن الخطاب بخ بخ يا ابا الحسن اصبحت مولاي ومولى كل مؤمن ، وجاء في ذلك من الشعر ما روي ان حسان بن ثابت قاله وهو قاله :

يناديهم يوم الغدير نبيهم بهم واكرم بالرسول مناديا

بقول فمن مولاكم ووليكم فقالوا ولم يبدوا هناك تعاميا

الهك مولانا وانت ولينا ولم تر فينا للولاية عاصيا

فقال له قم يا علي فانني رضيتك من بعدي اماما وهاديا

هناك دعى اللهم وال وليه وكن للذي عادى عليا معاديا

وفي ذلك يقول الكميت رحمة الله عليه :

وفي يوم الغدير غدير خم ابان له الولاية لو اطيعا

فلم ار مثل ذلك اليوم يوما ولم ار مثله حقا اضيعا

ولكن الرجال تبايعوها فلم ار مثلها خطرا مبيعا

فصار اليه اقربهم لعدل الى جور لحقهم مضيعا

ولم ابلغ بهم لعنا ولكن اساء بذلك ولهم صنيعا

وهذا من قصيدة له ، وفي ذلك من الاشعار والاخبار ما يكثر عده ويبعد حده ما لو اردناه لاحتاج الى كتاب، واتسعت في شرحه الابواب ، والحديث بقيام رسول الله صلع بغدير بولاية علي صلوات الله عليه مشهور عند كافة اهل الاسلام مروية، ويجمع عليه الخاص والعام ، وفي ذلك اول دليل واوضح سبيل على امامته، وانه الخليفة بعده في امته واحق من ترك بعده بخلافته ، لانه جعله اولى بهم من انفسهم ، ومن كان اولى بهم من انفسهم كان مولاهم كما كان رسول الله صلع فهو احق الناس بمقام رسول الله صلع ووليه فهو وليه فتلك الولاية ثابتة له ولكل قائم من ائمة الحق بعده وان جحد فضله اهل العناد، كما جحد فضل رسول الله صلع اهل الشرك والالحاد، وذلك هو النص المشهور الذي نص به النبي صلع وبيّن ووقّف وعيّن في اجتماع من المسلمين لان يكون للناس على الله حجة بعد الرسل ، فقد جاءهم بشير ونذير ، والا فقد ورد عن النبي صلع من ذكر فضله وانه اولى الناس بالخلافة من بعده ما كان يكرره النبي صلع ايام حيوته ومقامه فيهم كقوله صلع علي مني كهرون من موسى الا انه لا نبي بعدي ، والمشهور ان هارون اخو موسى ووصيه وخليفته في قومه ، وكان نبيا ولم يكن علي ع م نبيا لانه لا نبي بعد محمد صلع ، قد ختم الله به النبوات واتم الرسالات فلا نبي بعده وما كان علي ع م اخاه اخوة نسب كما كان هارون اخا لموسى وان كان رسول الله صلع قد آخاه لنفسه وقرنه به لما آخى بين اصحابه بما هو مشهور مذكور ، وقد ذكرنا ذلك فدل على انه منه كهارون من موسى ع م خليفة في قومه ووصيا من بعده كما جاء عن ابي اسحاق عن هبيرة بن مريم قال قال رسول الله صلع لعلي ع م يا علي انت اخي ووصي وخليفتي من بعدي وابو ذريتي تقاتل على سنتي وتقضي ديني وتنجز وعدتي ، من احبك في حياتك فهو كنزالله له، ومن احبك بعد موتك ختم الله له بالامن والايمان ، ومن مات وهو يحبك فقد قضى نحبه بريئا من الآثام ، ومن مات وهو يبغضك مات ميتة جاهلية ، وحوسب بما عمل في الاسلام وجعله له صلع كنفسه .

روى عبد الله بن شداد قال وفد على رسول الله صلع وفد من اليمن فقال لهم رسول الله صلع لتقيمن الصلوة وتؤتن الزكوة او لابعثن عليكم رجلا كنفسي يخمس ذراريكم واموالكم انا هو وهو انا، ثم اخذ بعضد علي بن ابي طالب وقال هو هذا ،

وعن صفية بنت شيبة قالت تواعد رسول الله صلع اهل الطائف لتقيمن الصوة وتؤتن الزكوة او لابعثن عليكم رجلا كنفسي يعصاكم بالسيف ثم اخذ بيد علي ع م فرفعها فقال عمر بن الخطاب بخ بخ ان هذه للفضيلة .

وعن محمد بن محمد يرفعه قال انقطعت نعل رسول الله صلع فاخذها علي ع م ليصلحها وتخلف فقال رسول الله صلع لئن لم ينته بنو وليعة لابعثن عليهم رجلا كنفسي يقاتل المقاتلة ويسبي الذراري فقال عمر لابي ذر من تراه يعني ، قال له ابو ذر ورسول الله صلع يسمعه ليس يعنيك يا عمر ولا صاحبك انما يعني بذلك خاصف النعل .

وبآخر يرفعه الى انس بن مالك قال كنت خادم النبي صلع فدعى بوضوء فاتيته به فتوضأ ثم صلى ركعتين ثم دعاني فقال يا انس يدخل عليك الآن امير المؤمنين وسيد المرسلين وخير الوصيين واولى الناس بالناس اجمعين، قال انس فقلت في نفسي اللهم اجعله من الانصار ، فضرب الباب ففتحته فاذا علي ابن ابي طالب فقال النبي صلع فجعل يمسح منوجهه ويمسحه بوجه علي بن ابي طالب عم ويمسح وجه علي ع م فيمسحه بوجهه فدمعت عينا علي ع م وقال يا نبي الله هل نزل فيّ شيء فما رأيتك فعلت مثل هذا قط ، فقال له رسول الله صلع وما لي لا افعل ذلك بك وات تسمع صوتي وتبر ذمتي ويبين للناس ما اخلتفوا فيه من بعدي ، وقوله صلع وتبين للناس ما اختلفوا فيه من بعدي من قول الله تعالى وما انزلنا عليك الكتاب الا لتبين لهم الذي اختلفوا فيه ، واقام عليا ع م لبيان ذلك من بعده،

وبآخر يرفعه الى حذيفة اليمان قال فخرج الينا رسول الله صلع يوما وهو حامل الحسن والحسين عليهما السلام على عاتقه فقال هذان خير الناس ابا واما ابوهما علي ابن ابي طالب اخو رسول الله صلع ووزيره وابن عمه ووصيه وخليفته من بعدي سابق رجال المؤمنين الى الايمان بالله وبرسوله وامهما فاطمة بنت رسول الله صلع افضل نساء العالمين ، هذان خير الناس جدا وجدة جدهما رسول الله صلع وجدتهما خديجة اول من آمن بالله ، هذا خير الناس عما وعمة عمهما جعفر الطيار في الجنة وعمتهما ام هاني بنت ابي طالب ما اشركت بالله طرفة عين ، هذان خير الناس خالا وخالة خالهما القاسم بن رسول الله وخالتهما زينب بنت رسول الله صلع .

والاخبار عن رسول الله صلع في ذلك كثيرة قد رواها الخاص والعام واجمع عليها ثقات الاسلام، وقد روينا ان قوما سألوه فقالوا يا امير المؤمنين اخبرنا بافضل مناقبك فقال افضل مناقبي ما لم يكن لي فيه صنع ، قالوا : وما ذاك يا امير المؤمنين ، قال ان رسول الله صلع لما قدم المدينة امر ببناء المسجد فما بقي رجل من اصحابه الا نقب بابا الى المسجد فجاءه جبرئيل عليه السلام فامره ان يأمرهم ان يسدوا ابوابهم ويدع بابي ، فبعث اليهم رسول الله صلع معاذ بن جبل فاتى ابا بكر فامره ان يسد بابه ، فقال : سمعا وطاعة ، فسد بابه ، ثم بعث الى عمر فامره ان يسد بابه فاتى رسول الله صلع فقال : يا رسول الله دع لي بقدر ما انظر اليك بعيني ، فابى عليه رسول الله صلع فسد بابه ، ثم بعثه الى طلحة والزبير وعثمان وعبد الرحمن وسعد وحمزة والعباس فامرهم بسد ابوابهم فسمعوا واطاعوا ، فقال حمزة والعباس : يأمرنا بسد ابوابنا ويدع باب علي ، فبلغ ذلك رسول الله صلع فقال : قد بلغني ما قلتم في سد الابواب ، والله ما انا فعلت ذلك ولكن الله فعله وان الله اوحى الى موسى ان يتخذ بيتا طهرا لا يجنب فيه الا هو وهارون وابناه ، يعني لا يجامع فيه غيرهم ، وان الله اوحى الي ان اتخذ هذا البيت طهرا ، لا ينكح فيه الا انا وعلي والحسن والحسين ، والله ما انا امرت بسد ابوابكم ولا فتحت باب علي بل الله امرني به ،

قالوا : يا امير المؤمنين ، والله ما انا امرت بسد ابوابكم ولا فتحت باب علي بل الله امرني به ، قالوا : يا امير المؤمنين زدنا ، فقال : ان رسول الله صلع اتاه حبران من احبار النصارى فتكلما عنده في امر عيسى ، فانزل الله عز وجل عليه هذه الآية ان مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب الى آخر الآية ، فدخل رسول الله صلع فاخذ بيدي وبيد الحسن والحسين وفاطمة ، ثم خرج للمباهلة ورفع كفه الى السماء وفرج بين اصابعه ودعاهم الى المباهلة فلما رآه والحبران قال احدهما لصاحبه : والله ان كان نبيا لنهلكن وان كان غير نبي كفاناه قومه ، فكفا وانصرفا ،

قالوا يا امير المؤمنين زدنا ،

قال : ان رسول الله صلع بعث ابا بكر ومعه براءة الى اهل الموسم ليقرأها على الناس ، فنزل جبرئيل عليه السلام فقال : يا محمد لا يبلغ عنك الا علي ، فدعاني رسول الله صلع وامرني ان اركب ناقته العضباء وان الحق ابا بكر فآخذ منه البراءة ، فاقرأها على الناس بمكة ، فقال ابو بكر اسخطة هي ؟ فقلت : لا الا انه نزل عليه ان لا يبلغ عنه الا رجل منه ، فلما قدما مكة وكان يوم النحر بعد الظهر وهو يوم الحج الاكبر قمت قائما ثم قلت وقد اجتمع الناس : الا اني رسول رسول الله صلع اليكم ، وقرأت عليهم : براءة من الله ورسوله الى الذين عاهدتم من المشركين ، فسيحوا في الارض اربعة اشهر : عشرين من ذي الحجة والمحرم وصفر وشهر ربيع الاول وعشرا من شهر ربيع الآخر ، وقلت : لا يطوفن بالبيت عريان ولا عريانة ، ولا مشرك ولا مشركة ، الا ومن كان له عهد عند رسول الله صلى الله عليه وعلى اهل بيته وسلم فمدته هذه الاربعة الاشهر ،

قال : الاذن هو اسمي في كتاب الله عز وجل لا يعلم ذلك احد غيري ،

قالوا : يا امير المؤمنين زدنا ،

قال : كنت انا والعباس وعثمان بن شيبة في المسجد الحرام ، ففخرا علي فقال عثمان بن شيبة : اعطاني رسول الله صلع السدانة يعني مفتاح الكعبة ، وقال العباس بن عبد المطلب : اعطاني رسول الله صلى الله عليه وعلى اهل بيته السقاية وهي زمزم ، قالا : ولم يعطك شيئا يا علي ، فانزل الله عز وجل : اجعلتم سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام كمن آمن بالله واليوم الآخر وجاهد في سبيل الله لا يستوون عند الله والله لا يهدي القوم الظالمين ، الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله باموالهم وانفسهم اعظم درجة عند الله واولئك هم الفائزون ، يبشرهم ربهم برحمة منه ورضوان وجنات لهم فيها نعيم مقيم ، خالدين فيها ابدا ان الله عنده اجر عظيم ،

قالوا : زدنا يا امير المؤمنين ،

قال : ان رسول الله صلع لما قفل من حجة الوداع متوجها الى المدينة نزل بغدير خم فامر بشجرات فكسح له عنهن وجمع الناس ، ثم اخذ بيدي فرفعها الى السماء وقال : الست اولى بكم من انفسكم ؟ قالوا : بلى ، قال : فمن كنت مولاه فعلي مولاه ، اللهم وال من والاه وعاد من عاداه ، وانصر من نصره واخذل من خذله وادر الحق معه حيث دار .

وهذه الفضائل التي تشهد بامامة امير المؤمنين علي ابن ابي طالب ع م وخلافته بعد رسول الله صلع ، وقد اتت بها الروايات واجمع عليها الخاص والعام ، وفتح النبي صلع لباب علي وسده الابواب مما يشهد له بالامامة ، وان كل من توسل الى الرسول بغيره انسد بابه وانقطعت عن الله ورسوله اسبابه، وتعالى الله ونزه رسوله ان يكون امره عبثا او فعله لغير معنى ، وكذلك آية المباهلة مما تشهد بفضله وفضل ولديه وبعلته ، وان عليا كنفسه اذ كنى عنه بقوله تعالى قل تعالوا ندع ابنائنا وابنائكم ونساءنا ونسائكم وانفسنا وانفسكم ثم نبتهل فنجعل لعنة الله على الكاذبين . وقد توارت الروايات التي لا اشكال فيها ولا اختلاف، وان هذه الآية في امر المباهلة وان الكناية بقول الله تعالى وانفسنا الى النبي ووصيه امير المؤمنين ع م وكفي بواحدة من هذه الفضائل التي لا تدانيها فضيلة ولا يختص الله تعالى بها الا من اصطفاه واختاره لخلافة رسول الله صلع

وامر براءة ورد ابي بكر عنها اذ قال رسول الله صلع لا يبلغها عني الا رجل مني ، وعن الباقر محمد بن علي صلوات الله عليه انه قال في قول الله عز وجل : افمن كان على بينة من ربه ويتلو شاهد منه ، قال الذي هو على بينة من ربه رسول الله صلع ، والشاهد الذي يتلوه منه علي ع م ، يتلوه اماما من بعده وحجة على من خلف ، وقد روي عن رسول الله صلع انه قال علي مني وانا منه وهو ولي كل مؤمن ومؤمنة بعدي ، وقد احتجت الشيعة على من قدم ابا بكر ان من لك يكمل التبليغ سورة من القرآن كيف يكمل لخلافة رسول الله صلع ، وهذه من الحجج الواضحة التي لا تدفع ولا يردها الا من طبع الله على قلبه وسمعه وبصره فيرى ويسمع وبصره لا ينفع،

وفي حديث غدير خم وقيام رسول الله صلع بولاية علي ع م وما انزل فيه من القرآن اوضح برهان وابين بيان، وفضل علي كثير ، ونص النبي صلع وبيان فضله شهير ، بما يشهد له بالفضل على سائر الاصحاب ، وتمثيل النبي نفسه بالمدينة للعلم وعليا بالباب بين انه خليفة رسول الله صلع وولي عهدواحق الناس بمقامه من بعده ، لا يدعي ذلك غيره الا آفك كذاب ، ولا يجحده الا اهل الجحود والارتياب ، ولو اردنا ما ورد في ذلك من الاخبارعن الرسول صلع وما في ذلك من الاحتجاج لكان ذلك مما لا يحصره كتاب ، وفي بعض ما اوردناه كفاية لمن هداه الله للصواب ، وارشده للايمان ويثبته من الميل الى سبيل اهل الضلال والعدوان ،

ولما اشار النبي صلع الى وصيه علي ابن ابي طالب غير مرة واعن وجوب ولايته وانه الوصي بعده حسده قوم من اصحابه وكانوا يرون الرأي في نقض ما ابرم الله ورسوله وقطع ما امر الله به ان يوصل وتعاقدوا على ان تجتمع النبوة والوصاية في بني هاشم ، وقالوا نحن اولى بالرياسة واحرى ، حسدا للوصي وبغيا عليه لما آتاه الفضل العظيم والخطر الجسيم ، وكان في المدينة تسعة رهط يفسدون في الارض ولا يصلحون ، وتقاسموا بالله لنبيتنه واهله ثم لنقولن لوليه ما شهدنا مهلك اهله وانا لصادقون ،

وتجرؤا اهل النفاق على رسول الله صلع لينفروا ناقته وارادوا به كيدا فجعلهم الله الاخسرين ، ومكروا ومكر الله والله خير الماكرين ، فلعنهم الله صلع وكان منهم ابو موسى عبد الله بن قيس الاشعري ، وقال له عمار رضوان الله عليه بالكوفة لما ثبط الناس عن الجهاد مع امير المؤمنين علي ابن ابي طالب ص ع لقد سمعت رسول الله صلع لعنك يا ابا موسى ، قال ابو موسى كان ذلك ولكنه قد استغفر لي ، فقال عما شهدت اللعن ولم اشهد الاستغفار ، وانما كان ذلك من رسول الله صلع لما كان عليه ابو موسى من حسد علي ابن ابي طالب وممالاته لاهل النفاق ، وقد اطلع ابو ذر الغفاري رحمة الله عليه ما تعاقدوا عليه من الغدر برسول الله صلع ان اطاقوا ذلك وان عجزوا عنه فبوصيه ، واتى ابو ذر رسول الله صلع فقص عليه القصـص فعاتبهم النبي صلع فانكروا ذلك غاية الانكار وحلفوا الايمان المغلظلة ما فاهوا بذلك في جهر ولا اسرار ، فقال النبي صلع لابي ذر والله لئن لم ينزل علي من السماء بصدق قولك لاخرجن لسانك من قفاك ، فانزل الله تعالى على رسوله يحلفون بالله ما قالوا ولقد قالوا كلمة الكفر وكفروا بعد اسلامهم وهموا بما لا ينالوا الى آخر الآية ، فقال النبي صلع ما اظلت الخضراء ولا اقلت الغبراء على ذي لهجة اصدق من ابي ذر ، والاخبار في ذلك يطول شرحها ، ويتسع ذكرها،

وقفل رسول الله صلع بعد حجة الوداع الى المدينة فاقام بها بقية ذي الحجة والمحرم وصفر وبعث اسامة بن زيد الى الشام ، وامره ان يوطئ خيله البلقاء والدورام من ارض فلسطين واوعب الى الناس ان لا يتخلفوا عن اسامة، وكان فيمن معه ابو بكر وعم بن الخطاب وعثمان بن عفان ، وقال صلع جهزوا جيش اسامة لعن الله من تخلف عنه ، وكان ذلك اوان ابتدى شكوى رسول الله صلع قبضه الله فيها اليه واختار له ما لديه ، وابتدى شكوى رسول الله صلع على ما ذكره ابن هشام لليال بقين من شهر صفر او لليال دخلن من شهر ربيع الاول واصبح صلع في اول يوم شكى فيه فخرج من آخل اليل الى بقيع الغرقد ، فلما انتهى الى المقابر استغفر لاهلها ثم قال صلع السلام عليكم يا اهل المقابر ليهنكم ما اصبحتم فيه مما اصبح الناس فيه أقبلت الفتن كقطع الليل المظلم ، يتبع أخرها أولها ، الآخرة شر من الأولى

وقال صلع لمن حضره اني اوتيت خزائن الدنيا والخلد فيها ثم الجنة فخيرت بين ذلك وبين لقاء ربي والجنة ، فاخترت لقاء ربي والجنة ، ثم استغفر لاهل البقيع وانصرف ، وابتدأ وجعه من يومه الذي قبضه الله تعالى فيه صلع .

وقيل ان سبب وفاته صلع من السم الذي جعل له ايام خيبر في الذراع فلاك منه ثم لفظه من فيه بعد ان ناداه في مسموم ، وقد دخلت عليه في شكواه التي مات فيها اخت بن بشير بن البراء بن مغرور تعوده فقال لها صلع يا اخت بشر ان هذا الاوان وجدت انقطاع ابهري من الاكلة التي اكلت مع اخيك بخيبر ، يعني باخيها بشر ابن البراء وقد ذكرنا امره، والمسلمون يرون انه صلع مات شهيدا مع ما اكرمه الله به من النبوة،

ولما اشتدت العلة برسول الله صلع رجع اكثر الجيش الذي كانوا مع اسامة وكان قد برز من المدينة على فرسخ ، وكان فيهم ابو بكر وعمر فتركوا امر رسول الله صلع وراحوا واميره وحده ولم يسمعوا وصيته رسول الله صلع وقوله نفذوا جيش اسامة لعن الله من تخلف عنه ، وانما اراد بذلك ان يذهبوا باجمعهم ويصفو الامر لوصيه علي ع م ، فلا يبقى فيها منازع فلم يفعلوا ، وكان فيمن رجع ابو بكر وعمر وابو عبيدة بن الجراح وغيرهم ،

وصلى ابو بكر بالناس فلما سمع رسول الله صلع تكبيره وكان جهوري الصوت خرج صلع بين علي ابن ابي طالب وعمه العباس فاخر ابا بكر وصلى بالناس ، واختلف الناس في ذلك اختلافا شديدا كثيرا ، والصحيح في ذلك الذي ورد عن اهل البيت صلوات الله عليهم ان رسول الله صلع لما ثقل جاء بلال ليؤذن رسول الله صلع بالصلوة ، فقالت عائشة ان رسول الله صلع ثقيل قد اغمي عليه فلا توذو، قل لابي بكر فليصل بالناس فخرج اليه فاخبره فتقدم فسمع رسول الله صلع صوته تكبر ، فقال ما هذا فقالوا عائشة امرت اباها ليصلي بالناس ، فقال صلع انكن صويحبات يوسف واخذ بيد علي ع م يتوكأ عليه وخرج فاخّر ابا بكر عن الصلوة وعزله عنها وصلى بالناس ، وحجة البكرية في تقديم ابي بكر يزعمون ان رسول الله صلع قدمه على الصلوة فوجب ان يتقدم على الامة وقد اختلفت الرواية في ذلك وهم يذكرون ان لم يكن عليه اجماع لم يوخذ به مع انه يقدمون البر والفاجر للصلوة ويجيزونها خلف كل احد ، والمعروف ان ابا بكر لم يصل بعلي ابن ابي طالب ع م وانه كان عند رسول الله صلع وقد صلى بابي بكر وعمر عمرو بن العاص لما كانا معه في غزوة ذات السلاسل ، وانه قبض واسامة بن زيد امير على ابي بكر وعمر ، وكان اولى منهما بالصلوة ، والاحتجاج في ذلك يطول وهو موجود لمن يرغب فيه ممن انصف وترك المكابرة ، ولم تكن صفقته في ترك قبول الحجة الصحيحة خاسرة.

وعن الاعمش عن ابي ايوب الانصاري انه قال مرض رسول الله صلع فعادته ابنته فاطمة ع م فلما نظرت الى ما برسول الله صلع من العلة بكت فقال اي بنية ، اما علمت ان الله تعالىاطلع الى الارض اطلاعة ليختار لك قرينا فاختار لك عليا واوحى الي ان انكحك اياه فانكحتك اعلمهم علما واقدمهم سلما واعظمهم حلما.

وعن جعفر بن محمد ع م انه قال لما احتضر رسول الله صلع غشي عليه فبكت فاطمة ع م فافاق وهي تبكي وتقول من لنا بعدك يا رسول الله ، قال انتم المستضعفون بعدي والله .

وفيما رواه محمد بن اسماعيل البخاري باسناده عن عبد الله بن العباس قال لما اشتدت بالنبي المرض الذي توفي به فيه قال ائتوني بكتاب وقرطاس اكتب كتابا لا تضلوا بعدي ، قال عمر ان رسول الله قد غلبه الوجع حسبنا الله كتاب الله ، وكثر اللغط فقال النبي صلع قوموا عني فلا ينبغي عندي تنازع ، قال ابن عباس الرزية كل الرزية ما حال بيننا وبين كتاب رسول الله صلع فاي فعل كهذا الفعل الذي منع ابن الخطاب عهد رسول الله صلع وما اراد من الوصية ، وما حال بين الامة وبين هداها ، فاختلافهم عند رسول الله صلع وكثرة لغطهم خلافا لقول الله ع ج يا ايها الذين آمنوا لا ترفعوا اصواتكم فوق صوت النبي ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض ان تحبط اعمالكم وانتم لا تشعرون .

روي ان رسول الله صلع لما احتضر دعى بالحسن والحسين صلوات الله عليهما وجعل يقبلهما ويضمهما اليه حتى اغمي عليه فنحاهما عنه علي ع م ففتح رسول الله صلع عينيه وقال لعلي ع م دعهما يستمتعان مني استمتع منهما ، سيصيبهما بعدي اثرة .

وجلس رسول الله صلع في المسجد بعد ان اخّر ابا بكر وصلى بالنس يحدث الناس ويحذرهم الفتن ويقول ايها الناس ما تمسكون علي بشيء اني لا احل ما احل القرآن ولا احرم الا ما حرّم القرآن ، يا صفية بنت عبد المطلب يا عمة الرسول يا فطمة بنت محمد اعملا لما عند الله فاني لا اغني عنكما من الله شيئا الا بعمل صالح .

وعن ابي ذر ر ض كنت عند رسول الله صلع في مرضه الذي قبض فيه فقال صلع ادن مني يا ابا ذر ، استند اليك فدنوت فاستند الى صدري الى ان دخل علي ع م فقال قم يا ابا ذر فان عليا احق بهذا منك فجلس امير المؤمنين ع م فاستند الى صدره ثم قال ههنا يا ابا ذر بين يدي فجلست بين يديه فقال لي اعقد بيدك : من ختم له بشهادة ان لا اله الا الله دخل الجنة ، ومن ختم له بطعام مسكين دخل الجنة ، ومن ختم له بحجة دخل الجنة ، ومن ختم له بعمرة دخل الجنة، ومن ختم له بجهاد في سبيل الله ولو بقدر فواق دخل الجنة ، وذكر باقي الحديث بطوله .

وباسناد عن سلمان الفارسي رضي الله عنه انه قال قلت لرسول الله صلع انه لم يكن نبي الا وله وصي ، فمن وصيك ؟ فقال وصيي وخليفتي في اهلي خليلي وخير من اترك بعدي يؤدي ديني وينجز عدتي علي ابن ابي طالب .

وباسناد عن الطبري يرفعه الى علي ابن ابي طالب ع م انه قال اوصاني رسول الله صلع عند وفاته وانا مسنده الى صدري فقال لي يا علي اوصيك بالعرب خيرا ثلاث مرات ، ثم سالت نفسه في يدي صلوات الله عليه وسلامه وبركاته .

وعن امير المؤمنين علي ابن ابي طالب ع م انه قال قبض رسول الله صلع ورأسه في حجري وسالت نفسه في يدي فمسحت بها وجهي،

ولما قبض رسول الله صلع لم يكن لعلي ع م شغل غير القيام بما هو فيه من غسل رسول الله صلع وتكفينه وتجهيزه وتعزية اهل بيته للمصيبة بما ابتلاهم الله من وفاة نبيهم وصفوة الله فيهم ، وهم لما بهم من الحزن والبؤس لفراقه عليه السلام وابو بكروعمر وعثمان يجمعون الناس الى سقيفة بني ساعدة ويعارضون اهل الوحي في تصيير الخلافة اليهم ونزعها عمن اهلها ، ولو كان اجتماعهم لخير لاجتمعوا في مسجد النبي صلع وعند اهل بيته ولدى جنازته عليه الصلوة والسلام ويتضرعون الى الله ع ج ان يلههم لطاعة الخليفة بعده والقائم بامر الامة المستحق لذلك بعد غيبة النبي صلع وسنذكر من ذلك ما نذكره وعن جعفر بن محمد ع م انه قال لما قبض النبي صلع اتاهم آت يسمعون صوته ولا يرون شخصه فقال السلام عليكم يا اهل البيت ورحمة الله وبركاته كل نفس ذائقة الموت وانما توفون اجوركم يوم القيامة فمن زحزح عن النار وادخل الجنة فقد فاز وما الحيوة الدنيا الا متاع الغرور ، ان في الله عزاء من كل مصيبة وخلفا من كل هالك ، فالله فارجوا واياه فاحتسبوا واعلموا ان المصاب من حرم الثواب وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته ، فقيل لجعفر بن محمد صلوات الله عليه من كنتم ترون المتكلم يابن رسول الله ؟ قال : كنا نراه جبرئيل.

وعن ابي عبد الله جعفر بن محمد ع م عن ابيه عن آبائه عن علي ع م انه قال لما اوصى الى رسول الله صلع ان اغسل ولا يغسله معي احد غيري ، قلت يا رسول الله انك رجل ثقيل البدن ولا استطيع ان اقلبك وحدي ، فقال ان جبرئيل معك يتولى غسلي ، قلت فمن يناولني الماء ، قال يناولك الفضل بن عباس ، فقل له فليغط عينيه فانه لا ينظر الى عورتي احد غيرك الا ذهب بصره .

وعن الصادق عن ابيه عن آبائه عن علي ع م ان رسول الله صلع اوصاه بان يتولى غسله ، قال فلما اخذت في غسله سمعت قائلا من جانب البيت وهو يقول لا تنزع القميص عنه فغسلته في قميصه واني لاغسله واحس يدا مع يدي تتردد عليه ، واذا قلبته اعنت على تقليبه ولقد اردت ان اكبه لوجهه لاغسل ظهره فنوديت لا تكبه فقلبته لجنبه وغسلت ظهره.

قال الباقر ع م وكان الفضل يناوله الماء وقد عصب عينيه وعلي ع م وجبرئيل يغسلانه ، قال ع م : وغسله علي ع م ثلاث غسلات غسلة بالماء والحرض معا وغسلة بالماء فيه ذريرة وكافور ، وغسلة بالماء محضا وهي آخرهن .

وعن الصادق ع م ان عليا لما فرغ من غسل رسول الله صلع كفنه في ثلاثة اثواب ثوبين صحاريين وبرد حبرة .

وعن الصادق ع م انه ذكر وفاة رسول الله صلع فقال لما غسله علي ع م وكفنه اتاه العباس بن عبد المطلب ع م فقال يا علي ان الناس قد اجتمعوا للصلوة على رسول الله صلع ورأوا ان يدفن في البقيع وان يأمهم في الصلوة رجل منهم فخرج عليهم علي ع م وقال ايها الناس ان رسول الله صلع كان اماما حيا ومينا وانه لم يقبض نبي الا دفن في البقعة التي مات فيها ، قالوا اصنع ما رأيت فقام علي ع م على باب البيت فصلى على رسول الله صلع وقدم الناس عشرة عشرة يصلون عليه وينصرفون.

وعن جعفر بن محمد عن ابيه عن آبائه عليهم السلام انه قال الحد رسول الله صلع واللحد هو ان يشق للميت في القبر مكانه مما يلي القبلة مع حائط القبر، والضريح هو ان يشق له وسط القبر . وعن علي ع م انه فرش في لحد رسول الله صلع قطيفة لان الموضع كان نديا سبخا ، ولما دفن رسول الله صلع ربّع قبره .

ومما رفع الى ابي رافع من الحديث انه لما قبض رسول الله صلع فكان من الناس ما كان قام امير المؤمنين علي ابن ابي طالب ع م خطيبا فحمد الله واثنى عليه وصلى على النبي صلع وذكر فضله وما صنع الله بهم اهل البيت ان بعث فيهم رسولا منهم واذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا ، ثم قال ايها الناس انا ابن عم رسول الله وابو بنيه واخو رسول الله والصديق الاكبر لا يقولها غيري الا كاذب ، اسلمت وصليت قبل الناس وانا وصيه وخليفته من بعده وزوج ابنته سيدة نساء العالمين ، ونحن اهل بيت الرحمة بنا هداكم الله من الضلالة وبصركم من العمى ونحن نعم الله فاتقوا الله يبقى عليكم نعمه ، وقال حسان بن ثابت يبكي رسول الله صلع :

بطيبة رسم للرسول ومعهد \* منير وقد تعفو الرسوم وتهمد

ولا تمتحى الآيات من دار حرمة \* بها منبر الهادي الذي كان يصعد

وواضح آثار وباقي معالم \* وربع له فيه مصلى ومسجد

بها حجرات كان ينزل وسطها \* من الله نور يستضاء ويوقد

معارف لم تطمس على العهد آيها \* أتاها البلى فالآي منها تجدد

عرفت بها رسم الرسول وعهده \* و قبرا بها واراه في الترب ملحد

ظللت بها أبكي الرسول فأسعدت \* عيون ومثلاها من الجفن تسعد

يذكرن آلاء الرسول وما أرى \* لها محصيا نفسي فنفسي تبلد

مفجعة قد شفها فقد أحمد \* فظلت لآلاء الرسول تعدد

وما بلغت من كل أمر عشيره \* ولكن لنفسي بعد ما قد توجد

أطالت وقوفا تذرف العين جهدها \* على طلل القبر الذي فيه أحمد

فبوركت يا قبر الرسول وبوركت \* بلاد ثوى فيها الرشيد المسدد

وبورك لحد منك ضمن طيبا \* عليه بناء من صفيح منضد

تهيل عليه الترب أيد وأعين \* عليه وقد غارت بذلك أسعد

لقد غيبوا حلما وعلما ورحمة \* عشية علوه الثرى لا يوسد

وراحوا بحزن ليس فيهم نبيهم \* وقد وهنت منهم ظهور وأعضد

يبكون من تبكي السماوات يومه \* ومن قد بكته الأرض فالناس أكمد

وهل عدلت يوما رزية هالك \* رزية يوم مات فيه محمد

تقطع فيه منزل الوحي عنهم \* وقد كان ذا نور يغور وينجد

يدل على الرحمن من يقتدي به \* وينقذ من هول الخزايا ويرشد

إمام لهم يهديهم الحق جاهدا \* معلم صدق إن يطيعوه يسعدوا

عفوا عن الزلات يقبل عذرهم \* وإن يحسنوا فالله بالخير أجود

وإن ناب أمر لم يقوموا بحمله \* فمن عنده تيسير ما يتشدد

فبينا هم في نعمة الله بينهم \* دليل به نهج الطريقة يقصد

عزيز عليه أن يجوروا عن الهدى \* حريص على أن يستقيموا ويهتدوا

عطوف عليهم لا يثني جناحه \* إلى كنف يحنو عليهم ويمهد

فبينا هم في ذلك النور إذ غدا \* إلى نورهم سهم من الموت مقصد

فأصبح محمودا إلى الله راجعا \* يبكيه حتى المرسلات ويحمد

وأمست بلاد الحرم وحشا بقاعها \* لغيبة ما كانت من الوحي تعهد

قفارا سوى معمورة اللحد ضافها \* فقيد يبكينه بلاط وغرقد

ومسجده فالموحشات لفقده \* خلاء له فيه مقام ومقعد

وبالجمرة الكبرى له ثم أوحشت \* ديار وعرصات وربع ومولد

فبكى رسول الله يا عين عبرة \* ولا أعرفنك الدهر دمعك يجمد

وما لك لا تبكين ذا النعمة التي \* على الناس منها سابغ يتغمد

فجودي عليه بالدموع وأعولي \* لفقد الذي لا مثله الدهر يوجد

وما فقد الماضون مثل محمد \* و لا مثله حتى القيامة يفقد

أعف وأوفى ذمة بعد ذمة \* و أقرب منه نائلا لا ينكد

وأبذل منه للطريف وتالد \* إذ ضن معطاء بما كان يتلد

وأكرم صيتا في البيوت إذا انتمى \* وأكرم جدا أبطحيا يسود

وأمنع ذروات وأثبت في العلا \* دعائم عز شاهقات تشيد

وأثبت فرعا في الفروع ومنبتا \* وعودا غذاه المزن فالعود أغيد

رباه وليدا فاستتم تمامه \* على أكرم الخيرات رب ممجد

تناهت وصاة المسلمين بكفه \* فلا العلم محبوس ولا الرأي يفند

أقول ولا يلقى لقولي عائب \* من الناس إلا عازب العقل مبعد

وليس هواي نازعا عن ثنائه \* لعلي به في جنة الخلد أخلد

مع المصطفى أرجو بذاك جواره \* وفي نيل ذاك اليوم أسعى وأجهد

وقال حسان بن ثابت أيضا:

ما بال عينك لا تنام كأنما \* كحلت مآقيهابكحل الأرمد

جزعا على المهدي أصبح ثاويا \* يا خير من وطئ الحصى لا تبعد

وجهي يقيك الترب لهفي ليتني \* غيبت قبلك في بقيع الغرقد

بأبي وأمي من شهدت وفاته \* في يوم الاثنين النبي المهتدي

فظللت بعد وفاته متبلدا \* متلددا يا ليتني لم أولد

أأقيم بعدك بالمدينة بينهم \* يا ليني صبحت سم الأسود

أو حل أمر الله فينا عاجلا \* في روحة من يومنا أو من غد

فتقوم ساعتنا فنلقي طيبا \* محضا ضرائبه كريم المحتد

يا بكر آمنة المبارك بكرها \* ولدته محصنة بسعد الأسعد

نورا أضاء على البرية كلها \* من يهد للنور المبارك يهتدي

يا رب فاجمعنا معا ونبينا \* في جنة تثني عيون الحسد

في جنة الفردوس فاكتبها لنا \* يا ذا الجلال وذا العلا والسؤدد

والله اسمع ما بقيت بهالك \* إلا بكيت على النبي محمد

يا ويح أنصار النبي ورهطه \* بعد المغيب في سواء الملحد

ضاقت بالأنصار البلاد فأصبحوا \* سودا وجوههم كلون الإثمد

ولقد ولدناه وفينا قبره \* وفضول نعمته بنا لم نجحد

والله أكرمنا به وهدى به \* أنصاره في كل ساعة مشهد

صلى الإله ومن يحف بعرشه \* والطيبون على المبارك أحمد

وقال ايضا يبكيه صلع :

نب المساكين أن الخير فارقهم \* مع النبي تولى عنهم سحرا

من ذا الذي عنده رحلي وراحلتي \* ورزق أهلي إذا لم يؤنسوا المطرا

أم من نعاتب لا نخشى جنادعه \* إذ اللسان عتا في القول أو عثرا

كان الضياء وكان النور نتبعه \* بعد الإله وكان السمع والبصرا

فليتنا يوم واروه بملحده \* وغيبوه وألقوا فوقه المدرا

لم يترك الله منا بعده أحدا \* ولم يعش بعده أنثى ولا ذكرا

ذلت رقاب بني النجار كلهم \* وكان أمرا من أمر الله قد قدرا

واقتسم الفيء دون الناس كلهم \* وبددوه جهارا بينهم هدرا

وقال حسان بن ثابت يبكي رسول الله صلى الله عليه سلم أيضا :

آليت ما في جميع الناس مجتهدا \* مني إليه بر غير إفناد

تالله ما حملت أنثى ولا وضعت \* مثل الرسول نبي الأمة الهادي

ولا برا الله خلقا من بريته \* أوفى بذمة جار أو بميعاد

من الذي كان فينا يستضاء به \* مبارك الأمر ذا عدل وإرشاد

أمسى نساؤك عطلن البيوت فما \* يضربن فوق قفا ستر بأوتاد

مثل الرواهب يلبسن المباذل قد \* أيقن بالبؤس بعد النعمة البادي

يا أفضل الناس إني كنت في نهر \* أصبحت منه كمثل المفرد الصادي

تم الجزء الاول من عيون الاخبار في سيرة النبي المختار ووصيه وآلهما الائمة الاطهار عليهم صلوات الله العزيز الغفار.

والحمد لله على جزيل نعمائه ، وصلى الله على سيدنا محمد ووصيه وآله الطاهرين من ابنائه، وسلم تسليما .

كتاب عيون الاخبار

الجلد الثاني

للداعي الاجل سيدنا ادريس عماد الدين رضوان الله عليه

# 

بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين في جميع الامور

الحمد لله حمدا يقضي بالمزيد من نعمه، ويدرعلينا متوالي جوده وكرمه، وصلى الله على محمد خير رسوله خلقه من عربه وعجمه ، وعلى وصيه علي ابن ابي طالب قاضي دينه ومنجز وعده ، وعلى الائمة من ذريته الخالفين له من بعده .

الباب الثاني في ذكر سيرة علي امير المؤمنين، سيد البشر بعد نبيه خيره الله وافضل الوصيين، وما ابتلي به بعد نبيه خيرة الله الامين وصبره على جور الجائرين، ظلم الظالمين ، وقتاله بعد ذلك الناكثين والقاسطين والمارقين .

قد ذكرنا في الباب الذي قبل هذا الباب من سيرة النبي صلى الله عليه وآله وفضل وصيه علي ابن ابي طالب وجهاده عليه السلام بين يديه ما فيه غنية لمن استدل بادنى دليل على ما اوتيه محمد ووصيه اعلى كالانبياء والاوصياء من الفضل الجليل ، ونريد ان نذكر في هذا الباب ما امتحن به بعد الرسول صلى الله عليه وآله وصبره اقامةً لمعالم الاسلام وجهاده بعد ذلك لمن عانده وبغى عليه ونبتدئ في ذلك بخطبته الشقشقية وما اتى فيها من ظلم الظالمين وحققه بالعبارة الجلية فيما ورد عن الشريف الرضي ابي الحسن محمد بن الطاهر رحمة الله عليه واسنده الى عبد الله بن العباس رضوان الله عليه ، قال عليه السلام في خطبته :

اما والله لقد تقمصها ابن ابي قحافة وهو يعلم ان محلي منها محل القطب من الرحى، ينحدر عني السيل، ولا يرقى الي الطير، فسدلت دونها ثوبا، وطويت عنها كشحا، وطفقت ارتئي بين ان اصول بيد جذاء، او اصبر على طخية عمياء، يهرم فيها الكبير، ويشيب فيه الصغير، ويكدح فيها مؤمن حتى يلقى ربه، فرأيت ان الصبر عى هاتا احجى، فصبرت وفي العين قذى، وفي الحلق شجى، ارى تراثي نهبا، حتى مضى الاول لسبيله، فادلى بها الى فلان بعده، ثم تمثل بقول الاعشى

شتان ما يومي على كورها \* ويوم حيان اخي جابر

فيا عجبا بينا هو يستقيلها في حياته، اذ عقدها لآخر بعد وفاته، لشد ما تشطرا ضرعيها، فصيرها في حوزة خشناء يغلظ كلامها، ويخشن مسها، ويكثر العثار فيها والاعتذار منها، فصاحبها كراكب الصعبة ان اشنق لها خرم، وان اسلس لها تقحم، فمني الناس لعمر الله بخبط وشماس، وتلون واعتراض، فصبرت على طول المدة، وشدة المحنة، حتى اذا مضى لسبيله جعلها في جماعة زعم اني احدهم، فيا لله وللشورى، متى اعترض الريب في مع الاول حتى صرت اقرن الى هذه النظائر، لكني اسففت اذ اسفوا، وطرت اذ طاروا، فصغى رجل منهم لضغنه، ومال الآخر لصهره، مع هن وهن الى ان قام ثالث القوم نافجا خضنيه بين نثيله ومعتلفه، وقام معه بنو ابيه يخضمون مال الله خضمة الابل نبتة الربيع، الى ان انتكث فتله، واجهز عليه عمله، وكبت به بطنته، فما راعني الا والناس كعرف الضبع الي ينثالون علي من كل جانب، حتى لقد وطئ الحسنان، وشق عطفاي، مجتمعين حولى كربيضة الغنم،

فلما نهضت بالامر نكثت طائفة ومرقت اخرى وقسط آخرون، كأنهم لم يسمعوا كلام الله حيث يقول تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علوا في الارض ولا فسادا والعاقبة للمتقين، بلى والله لقد سمعوها ووعوها ولكنهم حليت الدنيا في اعينهم، وراقهم زبرجها، اما والذي فلق الحبة وبرأ النسمة لولا حضور الحاضر، وقيام الحجة بوجود الناصر، وما اخذ الله على العلماء ان لا يقاروا على كظة ظالم ولا سغب مظلوم، لألقيت حبلها على غاربها، ولسقيت آخرها بكأس اولها، ولألفيتم دنياكم هذه ازهد عندي من عفطة عنز

قالوا وقام اليه رجل من اهل السواد عند بلوغه الى هذا الموضع من خطبته فناوله كتابا فاقبل ينظر فيه، قال له ابن عباس رضي الله عنهما يا امير المؤمنين لو اطردت خطبتك من حيث افضيت، فقال هيهات يا ابن عباس تلك شقشقة هدرت ثم قرت

قال ابن عباس فوالله ما اسفت على كلام قط كأسفي على هذا الكلام ان لا يكون امير المؤمنين عليه السلام بلغ منه حيث اراد

ونقول قد ابان صلى الله عليه ظلمهم في هذه الخطبة وقعودهم في غير مقعدهم ،وانه اولى بذلك منهم، وانه صبر عليه الصلوة والسلام وفي عينه قذى وفي حلقه شجى ، وانهم اغتصبوا ما ليس لهم، وان ذلك سبب الفتنة واصل الاختلاف والفرقة ، وقد ذكرنا من فضائله عليه السلام غيضا من فيض، ومن شهادة النبي صلى الله عليه وآله بفضله قليلا من جليل ، ولو تقصينا ما ورد في ذلك مما اجتمع عليه الرواة من فضائله ومناقبه وما اتى عن النبي عليه السلام من الشهادة له لاحتجنا الى كتب كثيرة يطول عدها ويكثر حدها ، وفي ادنى القول من ذلك دلالة لمن استدل، وبيان لمن ابصر وعقل، ولم تأخذه الحمية، ولا يضل ضلال الجاهلية ، وان قد اتو بفضائل للشيخين ابي بكر وعمر وذكروا كذلك لعثمان فلم يأتوا بشيء مما يوجب تقدمهم لعلي ابن ابي طالب عليه السلام ، ولا مما يشهد لهم بمساواته في فضله ولا بمداناته في ادنى مناقبه ، والدلائل كثيرة على ظلمهم له وتعديهم عليه وانهم قد ابطلوا سوابقهم وهدموا اعمالهم لقول النبي صلع الاعمال بخواتمها ، واي ظلم اعظم من ظلم من يقعد في مقام الخلافة ويزعم انه خليفة رسول الله صلع بغير وصية من النبي صلع اليه، ولا دلالة عليه،

وقد جاء عن النبي صلع في علي ابن ابي طالب عليه السلام حديث كثير مما يدل على خلافته وانه وصيه في امته قد ذكرناه واثبتناه كقوله لبني عبد المطلب لما جمعهم ، وقال صلع من يكون وصي وخليفتي ، وقد ذكرنا ذلك ، وكقوله عليه السلام علي مني كهارون من موسى ، وقد ذكرنا من ذلك ما قد اتى عليه اقوال يطول شرحها، ويتسع ذكرها ، وبيان صحتها، وكفى بنصه عليه يوم الغدير وابانته لولايته وفضله في المجمع الشهير ،

وروي عن سلمان بن ابي البرد باسناده عن عبد الرحمن بن ابي ليلى انه قال لعلي عليه السلام يا امير المؤمنين اسألك لاحمل عنك وقد انتظرت ان تقول شيئا من امرك فلم تقله ، افلا تحدثني عن امرك هذا كان على عهد رسول الله صلع منه ذكر شيء ام كان منه اليك فيه عهد ام هو شيء رأيته ، فانا قد اكثرنا فيك الاقاويل، واوثقه ما سمعناه منك ونحن نقول ان الامر لو كان لك بعد رسول الله صلع لم ينازعك فيه احد ، فان كان هذان الرجلان احق بما ولياه منك سلمنا لهما ما مضى من فعلهما واعطيناك بقدر ما انتهيت اليه ، فوالله ما ادري اذا سئلت ما اقول ازعم انهما كانا اولى بما كانا فيه منك معما نصبك له رسول الله صلع في حجة الوداع فقال من كنت مولاه فعلي مولاه اللهم وال من والاه وعاد من عاداه ، وان تك اولى بما كان فيه منهما فعلام نتولاهما ، فان كان هذا الامر يحل فيه الجواب والمسئلة فاجبني، وان لا يكن ذلك يحل فابغض الامور الينا ما كان كذلك،

فقال علي عليه السلام : يا عبد الرحمن قبض والله نبي الله حين قبض وانا اولى الناس بالناس مني بقميصي هذا ، وقد كان من رسول الله صلع الي عهد لو جنبوني بانفي لاقررت سمعا وطاعة ، يا عبد الرحمن انه اول ما انتقصنا به من ابطال حقنا في الخمس ثم طمع فينا رعيان البهم من قريش ، وقد كان لي على الناس حق لو قد ردوه الي عفوا لقبته وقمت به ، وان كان الى اجل معلوم ، وكنت كرجل على قوم حق ان عجلوه اخذه وحمدهم عليه، وان اخروه اخذه غير محمودين عليه ، الا واني كنت رجلا اخذ السهولة وهو عند الناس قد احزن ، وانما يعرف الهدى بالابرار ، ولست استوحش في طريق الهدى لقلة من اجده من الناس فاذا سكت فاعفوني فانه لو جاء امر يحتاجون فيه الى الجواب لاجبتكم، كفوا عني كا كففت عنكم ،

فقال عبد الرحمن يا امير المؤمنين انت في هذا كما قال الاول :

لعمري لقد ايقظت من كان نائما \* واسمعت من كانت له اذنان

وعنه انه قال قد وعظنا رسول الله صلع فقال : ايها الناس انكم تحشرون يوم القيامة عراة كما قال الله تعالى كما بدأنا اول خلق نعيده وعدا علينا انا كنا فاعلين، وانه سيؤتى يوم القيامة بقوم من اصحابي فيؤخذ بهم ذات الشمال فاقول : اصحابي اصحابي ، فيقال يا محمد انك لا تدري ما احدثوا من بعدك، فاقول كما قال العبد الصالح وكنت عليهم شهيدا ما دمت فيهم فلما توفيتني كنت انت الرقيب عليهم وانت على كل شيء شهيد ، ان تعذبهم فانهم عبادك وان تغفر لهم فانك انت العزيز الحكيم ، فيقال يا محمد انهم قد ارتدوا من بعدك حين فارقتهم علىاعقابهم ، وقد قال الله تبارك وتعالى في كتابه الكريم : وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل افان مات او قتل انقلبتم على اعقابكم ، ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئا ، وسيجزي الشاكرين،

قال ابن جبير ثم قال ابن عباس يا سعيد بن جبير انه يعني بالشاكرين صاحبك عليا عليه السلام والمرتدين على اعقابهم الذين ارتدوا عنه ، وفي قول امير المؤمنين صلوات الله عليه بيان لقول الله تعالى افان مات او قتل انقلبتم على اعقابكم ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئا وسيجزي الله الشاكرين ، وقد انقلبوا علىاعقابكم واظهروا ما اكنوا من احقادهم بعد وفاة رسول الله صلع ،

ولما كان وفاة رسول الله صلع قصد ابو بكر ابن ابي قحافة التيمي الىسقيفة بني ساعدة ومعه عمر بن الخطاب وابو عبيدة بن الجراح وغيرهما لطلب البيعة والتوثب بالتصلق على الرياسة ورسول الله صلع مسجى لم يدفن واهل بيته لما بهم من عظيم المصاب بنبيهم وانقطاع الوحي من بينهم غير مكترثين عند ذلك لما فات من الدنيا ولا مستشرفين لما اقبل منها ، فجعل ابو بكر يحدث الانصار في السقيفة ويقول لهم انه لا بد للمسلمين من وال يلي عليهم ووازع يزعهم فاختاروا يا معشر المسلمين من ر ضيتم فعند ذلك طمع فيها من طمع وكثر اللجاج والخصام ، وقالت الانصار منا امير ومنكم امير ، وطمع ورام في الامامة من لم يكن له فيها مرام ، ورجاها من ليس له في طلبها اعتزام ، وطال بينهم الاضطراب حتى كادوا ان ينتهوا الى الفرقة ويشهروا السيوف فقال ابو بكر ومن معه ان الله رسول الله صلع قال الامامة في قريش ، وهذان عمر بن الخطاب وابو عبيدة بن الجراح ممن عرفتم صحبتهما لرسول الله صلع ونحن نرضي باحدهما فقال عمر وابو عبيدة بل انت يابن ابي قحافة اولى بذلك ، وما كان فيما متقدم عليك فابسط يدك لنبايعك ، وكان ذلك امرا قد تواطئوا عليه وتحدثوا به ، فلما بايعه عمر وابو عبيدة بايعه كثير من الناس واعتزلهم سعد بن ابي عبادة وهو يومئذ سيد الانصار ، فاحتالوا بعد ذلك في قتله وزعموا ان الجن قتلته وانشدوا شعرا وزعموا ان الجن قالته وهو :

قتلنا سيد الانصار سعد بن عبادة \* رميناه بسهمين فلم يخط فواده

واعتزلهم امير المؤمنين علي ابن ابي طالب صلوات الله عليه ومعه بنو عبد المطلب والزبير بن العوام في بيت فاطمة ابنت رسول الله صلع .

وعن محمد بن مخلد باسناده عن سلمان الفارسي رحمة الله عليه ورضوانه : لما بايع الناس ابا بكر قام فيهم سلمان فحمد الله واثنى عليه ثم قال : ايها الناس اسمعوا عني حديثا واعقلوه فاني اوتيت علما كثيرا، ولا احدثكم الا بما اعلم ان لكم بلايا تتبعها منايا ، وان عند علي ابن ابي طالب علم ذلك فاتبعوه، واسألوه .

وآخر رواه عن الحسن البصري انه قال دخلت مسجد النبي صلع فجلست عند عبد الله بن عمر وذلك في يوم الجمعة الى ان دخل علينا مروان بن الحكم فخطب وصلى فجعل عبد الله بن عمر يقول رحمك الله يا سلمان ويكرر ذلك فقلت له يا ابا عبد الرحمن لقد ذكرت من سلمان شيئا ؟ قال نعم خرج علينا عشية بايع الناس ابا بكر فقال اما والله لقد اطمعتم فيها اولاد العتل ولو وليتموها اهل بيت نبيكم ما طمع فيها غيرهم ، فذكرت قوله هذا لما رأيت مروان على المنبر ، وما اشبه قول سلمان هذا بقول العوفي حيث يقول شعرا :

لولم يولوا امرهم لشرارهم \* لم يفض امرهم الى الحجاج

ويذكر ان الزبير بن العوام كان والناس يبايعون ابا بكر اخذ براس سيفه وهو يقول لا نبايع الا لعلي ابن ابي طالب ،

وذكر ان ابا قحافة قيل له ان الناس قد بايعوا ابنك ابا بكر وصار الخليفة بعد رسول الله صلع ، قال ابو قحافة فما صنع علي ابن ابي طالب ، قالوا له ان ابا بكر اكبر منه سنا ، وبذلك استحق التقديم ، قال لهم فانا اذا اكبر من ابني واولى بالتقديم منه يسخر بهم وبابنه لما رآه قعد غير مقعده وحل غير محله .

ولما انتهت الىامير المؤمنين علي ابن ابي طالب انباء السقيفة بعد وفاة رسول الله صلع قال عليه السلام ما قالت الانصار قالوا قالت منا امير ومنكم امير ، قال فهلا احتججتم عليه بان رسول الله صلع اوصى بان يحسن الى محسنهم ويتجاوز عن مسيئهم ، قالوا وما في هذا من الحجة عليهم ، قال لو كانت الامارة فيهم لم تكن الوصية لهم ، قال فما ذا قالت قريش ، قالوا احتجت بانها شجرة الرسول صلع ، فقال امير المؤمنين صلوات الله عليه احتجوا بالشجرة واضاعوا الثمرة .

ويروى انه عليه السلام قال في ذلك شعرا :

فان كنت بالشورى ملكت امورهم \* فكيف بهذا والمشيرون غيب

وان كنت بالقربى وليت عليهم \* فغيرك اولى بالنبي واقرب

واجتمع الى امير المؤمنين علي ابن ابي طالب صلوات الله عليه اهل بيته من بني هاشم وبني عبد المطلب وستة من المهاجرين وستة من الانصار فبايعوه وسألوه ان يقوم بامره ووطنوا انفسهم على الموت تحت رأيته، فقال عليه السلام كم انتم واين تكونون في هؤلاء الجم الغفير ، واثنى عليهم خيرا وامرهم بالصبر ووعدهم عليه السلام ما اعده الله الصابرين من عظيم الاجر ، وذلك ما اوصاه به النبي العربي صلع وامره به لسر الله المخزون وعلمه المكنون ، الذي لا يعلمه الا انبياوه واوليائه الطاهرون ن ولا تحسبن الله غافلا عما يعمل الظالمون، فوقف صلوات الله عليه عن القيام صيانة للاسلام ان يرجع عنه الناس الى الجاهلية، ويعود الى الشرك لما اسره اكثرهم من النفاق ، و لما عندهم من العداوة لعلي ابن ابي طالب لنصره لرسول الله صلع صلع وقتله آبائهم وذوي ارحامهم بين يديه ، وقد اضطربت العرب بعد وفاة رسول الله صلع ورجع منهم قوم الى الشرك وارتدوا عن الاسلام وهمّ اهل مكة بالارتداد، وقام الاسود العبسي في اليمن فادعى النبوة وملك صنعاء ، وقتل ملكها من حمير وتزوج امرأته ، ولم يزل يقوى امره حتى احتال قوم من حمير في قتله فقتلوه على يد امرأة ملكهم التي ابتناها، واراح الله منه وقام كذلك مسيلمة الكذاب ، وكان قيامه على عهد رسول الله صلع ففتن من اطاعه باليمامة وادعى النبوة وكتب الى النبي صلع من مسيلمة رسول الله الى محمد رسول الله فكتب اليه النبي صلع من محمد رسول الله الى مسيلمة الكذاب ، وتزوج سجاح الكذابة وكانت ايضا تدعي النبوة ، ولما ابتنى بها قال لها الا لا فادخلي المخدع، فقد هيء لك المضجع ، فان شئت شرحناك ، وان شئت على اربع ، وان شئت بثلثيه ، وان شئت به اجمع ، فقال اللعينة : به اجمع به اجمع ، فهو اهنى وهو انفع ، وشهدت له بالنبوة، ولما كانت وفاة رسول الله صلع قوى امر مسيلمة واستفحل وعمل سحره حتى اتاح الله قتله في ايام ابي بكر ،

فاقام امير المؤمنين صلوات الله عليه ووقف عن حقه لئلا يرجع الناس عنه الى الشرك وتعود الجاهلية كعهدها، ويخرج الناس عن الاسلام، ولزم بيته وقام بتأويل القرآن وتأليفه وجمعه كما عهد اليه نبيه صلع صابرا محتسبا ،

وقد روي محمد بن سلام باسناده عن علي عليه السلام انه ذكر المواطن التي امتحن فيها بعد رسول الله صلع فقال : اما امتحنت به بعد وفاة رسول الله صلع فانه لم يكن لي خاص آنس به ولا استأنس اليه ولا اعتمد عليه ولا اتقرب الى الله بطاعته وابتهج به في السراء واستريح اليه في الضراء غير رسول الله صلع ، فانه هو رباني صغيرا وبؤأني كبيرا ، وكفاني العيلة وجبرني من اليتم ، واغناني عن الطلب، وكفاني المكسب ، وعال لي النفس والاهل والولد ، معما خصني الله عز وجل به من الدرجات التي قادتني الى معالي الحظوة عنده ، فنزل بي من وفاته صلى الله عليه وآله ما لم تكن الجبال لو حملته تحمله، ورأيت اهل بيته بين جازع لا يملك جزعه ولا يضبط نفسه ولا يقوى على حمل فادح ما نزل به، قد اذهب الجزع صبره ، واذهل عقله ، وحال بينه وبين الفهم والافهام ، وبين القول والاستماع ، وسائر بني عبد المطلب بين معز لهم يأمر بالصبر وبين مساعد لهم بالبكا جازع لجزعهم ، فحملت نفسي على الصبر عند وفاته ، ولزمت الصمت والاخذ فيما امرني من تجهزه وغسله وتحنيطه وتكفينه والصلوة عليه ووضعه في حفرته وجمع امانة الله وكتابه وعهده الذي حملناه الى خلقه واستودعناه لهم لا يشغلني عن ذلك بادر دمعة ولا لاذع حرقة ولا جليل مصيبة حتى اديت في ذلك الواجب لله ولرسوله علي وبلغت منه الذي امرني رسول الله صلع ، ثم انه قد كان امرني في حياته على جميع امته واخذ لي على من حضرني منهم البيعة بالسمع والطاعة لامري ، وامرهم ان يبلغ الشاهد منهم الغائب ، وكنت المؤدى اليهم عن رسول الله صلع امره لا يختلج في نفسي منازعة احد من الخلق في شيء من الامر في حيوة رسول الله صلع ولا بعد وفاته ، ثم امر رسول الله صلع بتوجيه الجيش الذي وجه مع اسامة عند الذي حدث به من المرض توفاه الله عز وجل فيه ، فلم يدع احدا من افناء قريش ولا من الاوس والخزرج ولا غيرهم من سائر العرب ممن يخاف نقضه بيعتي ومنازعته اياي ولا احدا يراني بعين البغضاء ممن قد وترته بقتل ابيه او ابنه او اخيه او حميمه الا وجهه في جيش اسامة لا من المهاجرين ولا من الانصار وغيرهم من المؤلفة قلوبهم والمنافقين لتصفو لي قلوب من بقي معي بحضرته ، لئلا يقول لي قائل شيئا مما اكرهه ويدفعني دافع عن الولاية لامره والقيام بامور رعيته وامته من بعده ، ثم كان آخر ما تكلم به صلع في شيء من امر امته ان قال يمضي جيش اسامة ولا يتخلف عنه احد من انهض معه وتقدم في ذلك اشد التقديم واوعز فيه غاية الايعاز ، وتأكد فيه ابلغ التأكيد فلم اشعر بعد ان قبض الا برجال من بعث اسامة واهل عسكره وقد تركوا مراكزهم وخلوا موضعهم وخالفوا امر رسول الله صلع فيما انهضهم اليه وامرهم وتقدم اليهم فيه من ملازمة اميرهم والمسير معه تحت رأيته حتى ينفدذ الذي انفذه اليه وخلفوا اميرهم مقيما في عسكرهم فاقبلوا مبادرين الى عهد عهده الله ورسوله فنكثوه وعقدوا لانفسهم عقدا ضجت له اصواتهم واختلفت فيه اوامرهم من غير مؤامرة ولامشاورة لاحد منا بني عبد المطلب او مشاركة في رأي ومناظرة في ولايتي واستقالة مما في اعناقهم من بيعتي ، وفعلوا ذلك وانا برسول الله صلع مشغول عن سائر الاشياء لانه كان اهمها لدي واحق ما بدي بها عندي ، وكانت هذا من الفوادح من افدح ما يرد على القلوب مع الذي انا فيه من عظيم المحنة ، وفاجع المصيبة بفقد من لا خلف لي منه الا الله عز وجل فصبرت ولم يزل القائم يلقاني معتذرا في كل ايامه يلزم غيره ما ركب فيه من اخذ حقي ويسألني تحليله فكنت اقول تنقضي ايامه ثم يعود الي حقي الذي جعله الله لي عفوا من غير ان احدث في الاسلام مع قرب عهده بالجاهلية حدثا في طلب حقي لمنازعة لعل قائلا لي يقول فيها نعم وقائلا يقول لا وجماعة من اصحاب محمد صلع اعرفهم بالنصح لله ولرسوله والعلم بكتابه يأتوني عودا وبدأ وعلانية وسرا فيدعوني الى اخذ حقي ويبذلون انفسهم في نصرتي ليؤدوا حق بيعتي في اعناقهم فاقول رويدا وصبرا جميلا لعل الله ان يأتي بذلك عفوا بلا منازعة ولا اراقة دم فقد ارتاب كثير من الناس بعد وفاة رسول الله صلع وطمع في الامر بعده من ليس له باهل حتى قال كل منا امير ومنكم امير وما طمعوا في ذلك الا اذا تولى الامر غيري ،

فلما آنت وفاة القائم بعد رسول الله صلع وانقضت ايامه صير الامر من بعده لصاحبه، فكانت هذه اخت تلك ، محلها من القلوب محلها ، فاجتمع اليه عدة من اصحاب رسول الله صلع فقالوا فيها مثل الذي قالوا في اختها ، فلم يعد قولي الثاني قولي الاول صبرا واحتسابا خوفا من ان يفترق عصابة الفها رسول الله صلع باللين مرة وبالشدة اخرى ، حتى لقد كان من تأليفه اياهم ان كان الناس في الكن والشبع والري واللباس والوطأ والدثار ونحن اهل بيت محمد لا سقوف لبيوتنا ولا ستور، ولا ابوابها الا الجرائد وما اشبهها ، ولا وطأ لنا ولا دثار علينا يتداول الثواب الواحد في الصلوة اكثرنا ويطوي الليالي والايام جوعا عامتنا ، وربما اتانا الشيء مما افاء الله تعالى علينا وصيره خاصة لنا دون غيرنا فيؤثر به رسول الله صلع ارباب النعم والاموال تاليفا منه لهم ، فكنت احق من لم يفرق هذه العصابة التي الفها رسول الله صلع ولم يحملها على الخلة التي لا خلاص لها منها لاني لو قبضت نفسي ودعوتهم الى نصرتي كانوا مني وفي على امور اما متبع يقاتل معي او معتد يقاتلني او خاذل لي مقصر عن نصرتي فيهلك مقاتلي بقتاله ، وخاذلي بتقصيره وخذلانه فيحل بهم من مخالفتي ما حل بقوم موسى في مخالفة هارون ، وقد علموا ان محلي من رسول الله صلع محل هارون من موسى ، فرأيت تجرع الغصـص ورد انفاس الصعداء اهون علي من ذلك ، وكان امر الله قدرا مقدورا ، ولو لم ابق ذلك وطلبت بحقي لعلم من بحضرتي اني كنت اكثر عددا واعز عشيرة وامنع دارا واقوى امرا واوضح حجة واكثر في الدين مناقبا وآثارا لسابقتي وقرابتي ووزارتي فضلا عن استحقاقي ذلك بالوصية التي لا مخرج للعباد منها ، والبيعة المقدمة لي في اعناقهم ممن تناولها ،

ولقد قبض رسول الله صلع وولاية الامة في يديه وفي اهل بيته لا في يدي من تناولها ولا في اهل بيته بل في اهل بيت رسول الله صلع الذين اذهب الله عنهم الرجس وطهره تطهيرا ، وهم اولى بالامر من بعده من غيرهم في جميع الخصال ،

ثم ان القائم بعد صاحبه كان يشاورني في موارد الامور ومصادرها فيصدرها عن رأيي وامري ولا يكاد يخص بذلك احدا غيري ولا يطمع في الامر بعده سواي ، فلما اتته منيته على فجاءة بلا مرض كان قبلها ولا امرا امضاه في صحة بدنه لم يشك الناس الا اني قد استرجعت حقي في عافية بالمزية التي رجوت والعافية التي كنت التمست، وان الله عز وجل سيأتيني بذلك على ما رجوت وكما املت فكان من فعله الذي ختم به امره سمى خمسة اناس انا سادسهم لم يستو واحد منهم معي قط في حال توجب له ولاية الامر من قرابة ولا فضيلة ولا سابقة، ولا لواحد منهم واحدة من مناقبي ولا اثر من آثاري فصيره شورى بيننا وصير ابنه فيه حاكما علينا وامره بضرب اعناق الستة الذين صير الامر فيهم انهم ابوا ان يختاروا واحدا منهم ، وكفى بالصبر علىهذه ، فمكث القوم اياما كل يخطبها لنفسه ، وانا ممسك لا اقول في ذلك شيئا ، واذا سألوني عن امري ناظرتهم بايامي وايامهم وآثاري وآثارهم واوضحت لهم ما جهلوه بل تجاهلوه من وجوه استحقاقي لها دونهم وذكرتهم عهد رسول الله صلع وتأكيده ما اخذ لي من البيعة عليهم ، فاذا سمعوا ذلك عني دعاهم حب الامارة وبسط الايدي والالسن في الامر والنهي والركون الى الدنيا وزخرفها الى الاقتداء بالماضين قبلهم وتناول ما لم يجعله الله لهم ، واذا خلى بي الواحد بعد الواحد منهم فذكرته بايام الله وما هو قادم عليه وصائر اليه التمس مني شرط طائفة من الدنيا اصيرها له ، فلما لم يجدوا عندي الا المحجة البيضاء والحمل على كتاب الله جل ذكره وسنة رسول الله صلع واعطاء كل امرء ما جعله الله عز وجل له شكـك القوم مشكـك فازالوها الى ابن عفان طمعا في التبجج معه فيها وابن عفان رجل لم يستو بي ولا بواحد ممن حضر فضيلة م الفضائل ولا مأثرة من المآثر ، ثم لا اعلم القوم امسوا من يومهم ذلك حتى ظهرت ندامتهم ونكصوا على اعقابهم واحال بعضهم على بعض كل يلوم نفسه ويلوم اصحابه ، ثم لم يطل الايام بالسفير لابن عفان حتى اكفر ومشى الى اصحابه خاصة والى اصحاب محمد عامة ليستقيلهم من بيعته ويتوب الى الله من فتنته، فكانت هذه اكبر من اختيها وافظع واحرى ان لا يصبر عليها فلم يكن فيها عندي الا الصبر ، ولقد اتاني الباقون من الستة من يومهم الذي عقدوا فيه لابن عفان ما عقدوه كل منهم راجع عنه يسألني خلع ابن عفان والقيام في حقي يعطيني صفقته وبيعته على الموت تحت رأيتي او يرد الله حقي الي ، وبعد ذلك مرارا كثيرة قد اتوني في ذلك وغيرهم فوالله ما منعني منها الا ما منعني من اختيها قبلها ورأيت الابقاء على من بقي ابهج لي واسر ، ولو حملت نفسي على ركوب الموت لركبته ، ولقد علم من حضر ومن غاب من اصحاب رسول الله صلع ان الموت عندي بمنزلة شربة باردة من الماء في اليوم الحار عند ذي العطش الصاد ، ولقد كنت عاهدت الله انا وعمي حمزة واخي جعفر وابن عمي عبيدة ابن الحارث على ذلك لله ولرسوله فقتدموني وبقيت انتظر اجلي ، فانزل الله عز وجل فينا من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلا، وما اسكتني عن ابن عفان الا اني علمت ان اخلاقه فيما خبرت منه لا تدعه حتى يستدعي الاباعد فضلا عن الاقارب الى خلعه وقتله فصبرت حتى كان ، ولم انطق فيه بحرف لا ولا نعم ثم اتاني الامر علم الله وانا له كاره لمعرفتي بالناس وما يطمعون فيه مما عودوه وان ذلك ليس لهم عندي ، فكان ذلك كذلك واتاني من اتاني فلما لم يجدوه عندي وثبوا على المرأة وانا ولي امرها والوصي عليها فحملوها على الجمل وشدوها على الرحيل واقبلوا بها تخبط الفيافي وتقطع الصحارى، وتنبحها كلاب الحوب ويظهر علامات الندم في كل ساعة وعند كل حالة في عصبة قد بايعوني ثانية بعد بيعتهم لي في حيوة رسول الله صلع ، حتى اتوا بها بلدة قليلة عقولهم عازبة آرائهم ، فوقفت من امورهم على اثنين كليهما فيه المكروه ان كففت لم يرجعوا وان اقدمت صرت الى الذي كرهت فقدمت الحجة في الاعذار والانذار ، ودعوت المرأة الى الرجوع الى بيتها والقوم الذي حملوها على الذي حملوها عليه الى الوفاء ببيعتهم والترك لنقضهم عهدهم واعطيتهم من نفسي كل الذي قدرت عليه منها وبصرت بعصهم فابصر ، وذكرته فذكر، ثم اقبلت على الباقين بمثل ذلك فما ازدادوا الا جهلا وتماديا وعتوا وابوا الا ما صاروا اليه فكانت عليهم الدائرة والكرة بهم والهزيمة والحسرة ، وفيهم العناء ، وحملت نفسي على التي لم اجد منها بدا ولم يسعني اذا تقلدت الامر آخرا مثل الذي وسعني فيه اولا من الاغضاء والامساك ، ورأيت اني ان امسكت كنت معينا لهم الى ما صاروا اليه بامساكي وما طمعوا فيه من تناول الاحرار وسفك الدماء وهلاك الرعية ، وتحكيم النساء الناقصات العقول كعادت بني الاصفر ومن مضى من ملوك سبا والامم الخالية فاصير الى ما كرهت اولا ان اهملت امر المرأة آخرا ، وما هجمت على الامر الا بعد ان قدمت واخرت وراجعت وسايرت وراسلت واعذرت وانذرت واعطيت القوم كل شيء التمسوه مما لا يخرج من الدين ، فلما ابوا اكلا تلك قدمتهم فتمم الله تعالى فيهم امره ، فكان الله عز وجل عليهم شهيدا .

ثم تحكيم الحكمين في وفي ابن آكلة الاكباد وهو طليق ابن طليق لم يزالا معاندين لله ولرسوله والمؤمنين قد بعث الله عز وجل محمدا صلع الى ان فتح الله عز وجل علينا مكة فاخذ بيعته وبيعة ابيه لي في ذلك اليوم في ثلاثة مواطن، وابوه بالامس اول من اخذ بيدي ليسلم علي بامرة المؤمنين ويحضني علي بالنهوض في اخذ حقي من الماضين وهو في كل ذلك يجدّد لي بيعة كل ما اتاني ، ثم تاثب هذا علي مما تطعم من الاموال وتحكم علي ليستبدل ما يفنى مما يفوته مما يبقى ، واعجب العجب انه لما رأى تبارك وتعالى قد رد الى حقي واقره في معدنه عندي فانقطع طمعه ان يصبح في دين الله راتعا وفي امانته التي حملتها حاكما اعتمد على العاص ابن العاص واستماله بالطمع اليه فمال اليه ، ثم اقبل بعد ان اطمعه مصرا وحرام عليه ان يأخذ من الفيء درهما واحدا فوق قسمه على الراعي ايصال درهم اليه فوق حقه والاعطاء له من غير حقه ، فاخذ ان يخبط البلاد بالظلم ويطأها بالغشم، فمن تابعه ارضاه ومن خالفه ناواه ، ثم توجّه الي ناكبا عائثا في البلاد شرقا وغربا ويمينا وشمالا والابناء تأتيني والاخبار ترد علي، فاتاني اعور ثقيف فاشار ان اوليه الناحية التي هو فيها لاداريه بذلك وكان في الذي اشار به الرأي في امر الدنيا لو وجدت عند الله في توليته مخرجا او اصبت لنفسي فيما آتيته من ذلك عذرا فاعملت فكري في ذلك وشاورت فيه من اثق به وبنصيحته لله ولرسوله وللمسلمين فكان رأيه في ابن آكلة الاكباد كرأيي نهاني عن توليته وحذّرني ان ادخله في امر المسلمين فلم يكن الله يعلم اني متخذ المضلين عضدا ، فوجهت اليه اخا بجلة مرة واخا الاشعريين مرة فكلاهما ركنا الى دنياه واتبعا هواه ، فلما لم اره يزداد فيما هتك من محارم الله عز وجل الا تماديا شاورت من معي من اصحاب محمد صلع البدريين الذين ارتضى الله امرهم للمسلمين فكل يوافق رأيه غزوته ومحاربته ومنعه مما مدّ اليه يده فنهضت باصحابي انفذ اليه من كل موضع كتبي واوجه اليه من كل ناحية رسلي ادعوه الى الرجوع عما هو فيه والدخول فيما دخل فيه الناس معي فلبث يتحكم علي الاحكام ويتمنّى على الاماني ويشترط علي شروطا لا يرضاها الله ولا رسوله ولا المسلمون فشرط علي في بعضها ان ادفع اليه قوما من اصحاب محمد صلى الله عليه وآله اخيارا ابرارا فيهم عمار بن ياسر رحم الله عمارا واين مثل عمّار لقد رأيناه مع رسول الله صلع ما يتقدم منا خمسة الا كان عمار سادسهم ولا اربعة الا كان خامسهم فاشترط ان يقتلهم ويصلبهم وانتحل دم عثمان ولعمر الله ما البّ علي عثمان ولا حمل الناس على قتله الا هو اشباهه من اهل بيته اغضان الشجرة الملعونة في القرآن ، فلما لم اجبه الى ما اشترط من ذلك كرّ على كالدنيا مستعديا بطائفة حمر لا عقول لهم ولا بصائر فاعطاهم من الدنيا ما استمالهم به فحاكمناه الى ا لله بعد الانذار والاعذار ، فلما يزده ذلك الا تماديا لقيناه بعادة الله التي عودناه من النصر على عدوه وعدونا ، ورأيات رسول الله صلع معنا فلم نزل نفلل غربه حتى افضى الموت اليه وهو معلم برأيات ابيه التي لم ازل اقاتلها مع رسول الله صلع في كل مواطن فلما لم يجد من القتل بدا الا الهرب ادنى فرسه وقلّ[ رأسه لا يدري كيف يصنع واستغاث بالعاصي ابن العاص فاشار عليه باظهار المصاحف ورفعها على الاعلام والدعاء الى ما فيها وقال له ان ابن ابي طالب ومن معه اهل بصيرة وقد دعوك الى كتاب الله اولا وهم مجيبوك اليه آخرا ، فاطاعه فيما اشار به عليه اذ رأى انه لا ملجأ من القتل الا الهرب فرفع المصاحف يدعو الى ما فيها بزعمه فمالت الى ذلك قلوب من معي من اصحابي بعد فناء اخيارهم بجدهم في قتال اعدائهم على بصائرهم ، وظنوا بابن آكلة الاكباد الوفاء بما دعى اليه فاصغوا الى دعوته واقبلوا الي باجمعهم يسألونني اجابته فاعلمتهم ان ذلك منه مكر ومن العاصي ابن العاص وهما الى النكث اقرب منهما الى الوفاء فلم يقبلوا قولي ولم يطيعوا امري ، وابوا الا اجابته واخذ بعضهم يقول لبعض ان لم يفعل فالحقوه بابن عفان او فارفعوا الى معاوية، فجهدت بعلم الله جهدي ولم ادع غاية من نفسي واردت ان يخلوني ورأيي فلم يفعلوا ودعوتهم اليه فلم يجيبوا ما خلا هذا الشيخ وحده وعصبته من اهل بيته، واومى الى مالك الاشتر النخعي ، فوالله ما منعني ان امضي على بصيرتي الا مخافة ان يقتل هذا وهذا واومى بيده الى الحسن والحسين عليهما السلام فينقطع نسل رسول الله صلع وذريته وان يقتل هذا وهذا واومى بيده الى محمد بن الحنفية وعبد الله بن جعفر فانه لو لا مكاني لكان ذلك ، فلذلك صبرت وصرت الى ما اراد القوم معما سبق من علم الله عز وجل ، فلما رفعنا عن القوم سيوفنا تحكموا في الامر بالاهواء وتحيروا في الاحكام والآراء ، وتركوا المصاحف وما دعوا اليه من حكم القرآن ودعوا الى التحكيم فابيت ان احكم في كتاب دين الله احدا اذ كان التحكيم في ذلك من الخطأ الذي لا شك فيه، فلما ابوا الا تلك اردنا ان يجعلوا الحاكم رجلا من اهل بيتي ممن ارضى برأيه وعقله واثق بدينه ونصحه ومودته ، وان يكون الحكم بكتاب الله الذي دعوا اليه وعلمت ان كتاب الله كله يشهد لي على معاوية فابى علي اصحابي واقبلت لا اسمي رجلا من اصحابي الا امتنع علي ابن هند ولا ادعو الى شيء من الحق الا ادبر عنه ولا يسومني خسفا الا تابعه اصحابي عليه فلما ابوا الا ما اراد وامن ذلك تبرأت الى الله منه فقلدوا الحكم رجلا كان صبغ في العلم ثم خرج منه وقد عرفت وعرفوا ميله اولا الى ابن هند واخذه من دنياه فحذّرته واوصيته وتقدمت اليه في ان لا يحكم الا بكتاب الله عز وجل الذي دعى القوم اليه فخدعه ابن العاص خديعة سارت في الارض شرقها وغربها واظهر المخدوع عليها ندما ،

وكان رسول الله صلع عهد الي ان اقاتل في آخر ايامي قوما من اصحابي يصومون النهار ويقومون الليل ويقرؤن القرآن يعرفون بخلافهم اياي ومحاربتهم لي يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية ، فيهم ذو الثدية يختم الله عز وجل بقتله لي السعادة، فلما انصرفت عن ابن هند بعد الحكمين اقبل اصحابي بعضهم على بعض باللائمة في ما صاروا اليه من تحكيم الحكمين فلم يجدوا لانفسهم مخرجا من ذلك الا ان قالوا كان ينبغي لاميرنا ان لا يتابع ما اخطأنا من رأينا وان يمضي بحقيقة رأيه على قتال من خالفه منا، فقد ظلم بمتابعته ايانا وطاعته في الخطأ لنا فقد حل لنا دمه واجتمعوا على ذلك من حالهم وخرجوا راكبين رؤسهم ينادون باعلى اصواتهم لا حكم الا لله ، ثم تفرّقوا فرقة بالنخيلة وفرقة بحرورا وفرقة راكبة رؤسها تخبط الارض حتى عبرت دجلة فلم تمر بمسلم الا امتحنه فمن تابعها استحيت ومن خالفها فتكت فخرجت الى الاولتين واحدة بعد الاخرى ادعوهم الى طاعة الله ومتابعة الحق والرجوع اليه فابوا الا السيف لا يقنعهم غيره ، فلما اعييت الحيلة فيهما حاكمتهما الى الله فقتل الله هذه وهذه وكانوا لي ركنا قويا وسندا منيعا فابى الله الا ما صاروا اليه وكانوا سارعوا في قتل من خالفهم من المسلمين ثم كتبت الى الفرقة الثالثة ووجهت اليها رسلا تترى اذ كانت من جلة اصاحبي واهل الثقة منهم فابت الى اتباع اختيها والاحتذاء على مثالهما واسرعت في قتل من خالفهما من المسلمين وتتابعت الاخبار بفعلهم فخرجت حتى قطعت اليهم دجلة اوجه اليهم السفراء والنصحاء واطلب العتبى بجهدي بهدا مرة وبهذا مرة واومى بيده الى الاشتر والاحنف بن قيس وسعيد بن قيس والاشعث الكندي ، فلما ابوا الا تلك ركبتها معهم فقتلهم الله عز وجل عن آخرهم وهم اربعة آلاف او يزيدون حتى لم يبق منهم مخبر ، ثم استخرجت ذا الثدية من قتلاهم بحضرة من ترون له ثدي كثدي المرأة، فهذه سبعة مواطن امتحنت بعد رسول الله صلع وبقيت الاخرى واوشك بها ان تكون، قالوا يا امير المؤمنين وما هذه الاخرى ؟ قال ان تخضب هذه واومى بيده الى لحيته من هذه واومى الى هامته ، فارتفعت اصوات الناس بالبكاء في المسجد الجامع بالكوفة حتى لم يبق في الكوفة دار الا خرج اهلها فزعا من الضجيج ،

فهذا من قول امير المؤمنين وامام المتقين وخير الوصيين موضحا لما امتحن به بعد رسول الله صلع وصبره على ذلك واحتسابه حياطة للاسلام وصيانة له ان يرتد الى الجاهلية اهله ويرجع الناس عنه لما هم عليه من قرب العهد بالجاهلية ولما قد وتر به كثيرا منهم فلم يدخلوا في الاسلام الا فرقا من سيفه بعد ان قتل كثيرا من اقاربهم وذوي ارحامهم جهادا بين يدي رسول الله صلع حتى على الاسلام وظهر وغلب امره واشتهر فايد الله به نبيه، وجعل اليه بعده العهد والوصية ، وقد كان رسول الله صلع امره بالصبر والاحتساب وان يقوم في حال التغلب عليه بتأليف الشريعة والكتاب فحين انتهى الامر اليه واعطاه المسلمون صفقة البيعة لم يكن له ان يقعد عن امره والقيام بحقه فيكون ذلك من الوهن والعجز الذي هو منه بالمكان البعيد وشجاعته مشهورة لا يحتاج في وضوحها الى التأكيد ، فقام بما اوصى اليه رسول الله صلع من جهاد الناكثين والقاسطين والمارقين .

والآن نرجع الى ذكر ما كان من صبره صلوات الله عليه في خلافة ابي بكر وما لقيه من الاذى، وخلص اليه ممن تكبر وطغى ، مع قيامه باقامة الاسلام وذبه عنه بالحجج التي اوضحها لكثير من الانام ، ورجوع من ادعى التقدمة عليه اليه فيما اعجزهم من القضايا والاحكام ، ولما قبض رسول الله صلع وبايع الناس ابا بكر اتا ابو سفيان ابن حرب الى العباس بن عبد المطلب واتيا الى امير المؤمنين صلوات الله عليه فقال ابسط يدك نبايعك فانك احق بالامر واولى بالخلافة ، فقال عليه السلام ايها الناس شقوا امواج الفتن بسفن النجاة وعرجوا عن طريق المنافرة وضعوا تيجان المفاخرة ، افلخ من نهض بجناح او استسلم فاراح ماء آجن ولقمة يغص بها آكلها ومجتنى الثمرة لغير ايناعها كالزارع بغير ارضه وان اقل تقولوا حرص على الملك وان اسكت تقولوا جزع من الموت هيهات بعد اللتيا واللتي والله لابن ابي طالب آنس بالموت من الطفل بثدي امه بل انه مجث على مكنون علم لو بحت به لاضطربتم اضطراب الارشية في الطوى البعيد .

وعن السري ابن عبد الله باسناده عن عمران بن حصين الخزاعي ان بريدة دخل عليه لما بايع الناس ابا بكر فقال يا عمران اترى ان القوم نسوا ما سمعوه من رسول الله صلع في حائط فلا من الانصار اذ كان فيه رسول الله صلع ومعه علي ابن ابي طالب ع م فجعل لا يدخل عليه احد فيسلم عليه الا قال سلم على امير المؤمنين علي ابن ابي طالب فلم يرد احد على رسول الله صلع الا عمر فانه قال اعن امر الله ام عن امر رسوله فقال له رسول الله صلع عن امر الله وامر رسوله فقال له عمران بلى والله اني لاذكر ذلك و اعرفه ولا اظنهم نسوا ، فقال له بريدة افلا ينطلق بنا الى ابي بكر فنسأله عن هذه الامر ، فان كان عنده عهد من رسول الله صلع عهده اليه بعد ما كان منه في علي فانه لا يكذب على رسول الله صلع ، قال عمران فانطلقنا حتى دخلنا على ابي بكر فذكرنا ذلك له ، وقلنا قد كنت يومئذ فيمن سلّم على علي بامرة المؤمنين فهل تذكر ذلك ان نسيته ، فقال ابو بكر بل اذكره وما نسيته ، فقال له بريدة فهل ينبغي لاحد من المسلمين ان يتأمر على امير المؤمنين او هل عندك عهد بعد ذلك من رسول الله صلع عهده اليك، وامرك به ، فان كان ذلك فعرفناه فانا نعلم انك لا تقول على رسول الله صلع الا ما قاله وعهد اليك ، فقال ابو بكر لا والله ما عندي عهد من رسول الله صلع ولا امر امرني به ولكن المسلمين رأوا رأيا فتابعتهم على رأيهم ، فقال له بريدة والله ما ذلك لك ولا للمسلمين ان تخالفوا رسول الله صلع ، فقال ابو بكر ارسل الى عمر فلعل عنده علم من ذلك فارسل الى عمر فجاء فقال له ابو بكر ان هذين سألاني عن امر قد شهدته كما قد علمت وقص عليه القصة ، فقال عمر قد سمعت ذلك وعندي المخرج منه ، فقال وما هو قال ان النبوة والامامة لا تجتمعان في بيت واحد ، فقال بريدة وكان رجلا مفوها جريا على الكلام يا عمر قد ابى الله ذلك عليك ، اما سمعته يقول في كتابه ام يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله فقد آتينا آل ابراهيم الكتاب والحكمة آتيناهم ملكا عظيما ن فقد جمع الله عز وجل لهم النبوة والملك ، فغضب عمر حتى رأيت عيناه توقدتا ، وقال لا اراكما جئتما الا لتفرقا جماعة هذه الامة وتشتتا امرها ، قال قمنا وما زلنا نعرف الغضب في وجهه حتى مات.

وقد جاء ان العباس ابن عبد المطلب رضوان الله عليه حاكم عليا عليه السلام الى ابي بكر في ميراث رسول الله صلع فحكم ابو بكر لعلي عليه السلام ، وذكر فضله وسابقته فقال له العباس بن عبد المطلب فكان اولى لك ان لا تتقدمه وما اراد العباس غير تقرير ابي بكر بمقام علي عليه السلام ، وانه اولى الناس بعد رسول الله صلع بذلك المقام.

وخطب الناس ابو بكر لما قعد مقعد الخلافة فقال في خطبته وليتكم ولست بخيركم وفيكم من هو خير مني وان لي شيطانا يعتريني ، فاذا جهلت فقوّموني ، فعدوا بذلك من فضائله ويا عجبا كيف يكون خليفة لرسول الله صلع الذي ينزل عليه الملائكة وتغشاه بالوحي له شيطان يعتريه او من يحتاج ان يقوّم اذا جهل، وفي الامة من شهر النبي صلع فضله ومن قال سلوني قبل ان تفقدوني تجدوا عندي علم ما كان وما يكون الى يوم القيامة ، ومن اشار الى صدره وقال ان ههنا لعلما جما نعوذ بالله من الخذلان واتباع الهوى المنهي في القرآن .

ذكر ما نال فاطمة الزهراء البتول بعلة الوصي ع م نجلة الرسول صلع ما امتحنت به من الظالمين حتى ماتت عليها السلام بغيظها ولحقت اباها الامين صلى الله عليه وعلى وصيه وآله الائمة الطاهرين

ولما ولي ابو بكر كان اول ما فعل ان اغتصب فدكا من فاطمة ابنت رسول الله صلى الله عليهما وعلى آلهما الطاهرين وسلم ومنعها تراثها من رسول الله صلع وردّ شهادة علي ابن ابي طالب عليه السلام خليفة رسول الله صلع وخير من خلف في امته ومن قال له رسول الله صلع علي مني وانا منه وهو ولي كل مؤمن بعدي ، وردّ شهادة ام ايمن زوجه رسول الله صلع التي شهد بها بالجنة .

فمما رواه محمد ابن سلام بن سناد الكوفي باسناده عن فاطمة صلوات الله عليها انه لما امر ابو بكر باخذ فدك من يديها وقد كان رسول الله صلع اقطعها اياها لما انزل الله عز وجل عليه وآت ذا القربى حقه وكانت مما افاء الله عز وجل على رسول الله صلع فقبضها ابو بكر وقال هي لرسول الله صلع فشهد علي ابن ابي طالب صلوات الله عليه وام ايمن وهي ممن شهد لها رسول الله صلع بالجنة ان رسول الله صلع اقطع ذلك لفاطمة عليها السلام فرد ابو بكر شهادتهما ، وقال على جارّ الى نفسه وشهادة ام ايمن وحدها لا تجوز ، وقالت فاطمة عليها السلام ان لم يكن ذلك فميراثي من رسول الله صلع فقال ان الانبياء لا يورثون ، وذلك رد لما فرض الله تعالى وخلاف لقوله تعالى وورث سليمان داود ، وقال جل جلاله حكاية عن زكريا عليه السلام فهب لي من لدنك وليا يرثني ويرث من آل يعقوب واجعله رب رضيا ، وذكر عز وجل فرض المواريث عاما ولم يستثن فيها احدا فلا بقول الله حكم ولا بشهادة علي صلى الله عليه، وخرجت فاطمة صلوات الله عليها في ذلك الى مجلس ابي بكر واحتجب عليه فلم ينصرف الى قولها واستنصرت امة ابيها فلم تجد منهم ناصرا ، فلذلك ولما هو اعظم منه من الاستيثار بحق بعلها وبنيها فلزمت فراشها اسفا وكمدا حتى لحقت برسول الله صلع.

وروي محمد بن سلام باسناده عن فاطمة عليها السلام لما اعتزم ابو بكر عل منعها فدكا والعوالي لاثت خمارها على رأسها ثم اقبلت في لمة من حفدتها ونساء قومها تطأ ذيولها ما تخرم من مشية رسول الله صلع شيئا حتى انتهت الى ابي بكر في حشد من المهاجرين والانصار فنيطت دونها ودون الناس ملاءة ثم انت انة اجهش الناس لها بالبكاء فامسكت حتى سكن نشيج القوم ، وهدأت فورتهم ، ثم افتتحت الكلام بالحمد لله تعالى والثناء عليه بما هو اهله والصلوة على ابيها محمد ثم قالت :

بسم الله الرحمن الرحيم ، لقد جاءكم رسول من انفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم ، فان تعزوه تجدوه ابي دون نسائكم ، واخاه ابن عمي دون رجالكم ، قد بلغ النذارة صادعا بالرسالة مائلا عن مدرجة المشركين ، حائدا عن سنتهم ، ضاربا لاثباجهم ، آخذا باكظامهم، يجذ الهام ويكب الاصنام ، حتى انهزم الجمع وولوا الدبر ، واوضح الليل عن صبحه واسفر الحق عن محضه ، ونطق زعيم الدين وخرست شقاشق الشياطين ، وفهتم بكلمة الاخلاص وكنتم على شفا حفرة من النار ومذقة الشارب ونهزة الطامع وقتسة العجلان وموطأ الاقدام تشربون الطرق وتقتاتون القد اذلة خاشعين تخافون ان يتخطفكم الناس من حولكم فاستنقذكم الله برسوله صلع بعد اللتيا والتي وبعد ان مني بهم الرجال وبان العرب وبعد لفيف ذوائب العرب كما احشوا نار الحرب او نجم قرن للضلالة او فغرت فاغرة للمشركين فاها قذف اخاه عليا في لهواتها فلا ينكفئ حتى يطأ سماكها باخمصه ويخمد حر لهبها بحده مكدودا في ذات الله مشمرا ناصحا وانتم في رفاهية وادعون آمنون حتى اذا اختار الله لنبيه دار اوليائه ومحل انبيائه ظهرت حسكة النفاق واستهتك جلباب الدين ونطق كاظم الغاوين ونبع خامل الآفلين ، وهدر فينق المبطلين ، يخطر في عرصاتكم واطلع الشيطان رأسه من مغرزه صارخا بكم فوجدكم خفافا واحمشكم فالفاكم غضابا فوسمتم غير ابلكم ووردتم غير شربكم ، هذا والعهد قريب والكلم رحيب ، والجرح لما يندمل ، حذارا زعتمتم خوف الفتنة الا في الفتنة سقطوا وان جهنم لمحيطة بالكافرين ، فهيهات بكم وانى لكم واني تؤفكون وكتاب الله بين اظهركم زواجره بينة وشواهده لائحة ، واوامره واضحة ، ارغبة عنه تريدون ، ام بغيره تحكمون ، فبئس للظالمين بدلا ، الا ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين ، ثم انتم اولا تزعمون ان لا ارث لنا ، افحكم الجاهلية تبغون ، ومن احسن من الله حكما لقوم يؤقنون ، ايها معاشر المهاجرين ابتز ارثيه ، افي الكتاب ان ترث ابا بكر اباك ولا ارث ابيه ، لقد جئت شيئا فريا ، فدونكها مخطومة مرحولة تلقاك يوم حشرك فنعم الحاكم الله والزعيم محمد الموعد القيامة ، وعند الساعة ما يخسر المبطلون ، ولكل نبأ مستقر وسوف تعلمون من يأتيه عذاب يخزيه ويحل عليه عذاب مقيم ،

ثم عدلت صلوات الله عليه الى مجلس الانصار فقالت :

معاشر البقية ، واعضاد الملة ، وحصون الاسلام ، ما هذه الفترة في حقي والسنة عن ظلامتي ، اما كان رسول الله صلع يخفظ في ولده ، لسرعان ما نسيتم ، وعجلان ما احدثتم ، تقولون مات محمد فخطب جليل استوسع وهيه واشتهر فتقه لفقدان راتقه فاظلمت البلاد لغيبته واكتأبت خيرة الله لموته واكدت الآمال واضيع الحريم وزالت الحرمة عند مماته صلى الله عليه وآله ، وتلك نازلة اعلن بها كتاب الله في افنيتكم وعند ممساكم ومصبحكم ، هاتفا بكم ولقبل ما حلت بانبياء الله ورسله : وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل افئن مات او قتل انقلبتم على اعقابكم ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئا وسيجزي الله الشاكرين ، ابني قيلة اهتضم تراث ابيه وانتم بمرأى ومسمع تشملكم الدعوة وفيكم العدد ولكم الدار وانتم نخبة الله التي انتخب لدينه وانصار رسوله والخيرة التي اختار لنا اهل البيت فنابذتم العرب وكافحتم الامم حتى دارت لنا بكم رحى الاسلام ، وخضعت رقاب اهل الشرك وخبت نيران الباطل ووهنت دعوته واستوثق نظام الدين فنكصتم بعد الاقدام واسررتم بعد البيان لقوم نكثوا ايمانهم بعد عهدهم ، اتخشونهم والله احق ان تخشوه ان كنتم مؤمنين ، اما لقد قلت ما قلت على علم مني بالخذلان الذي خامر صدوركم واستقر قلوبكم ولكن قلت الذي قلت لبثة الصدور ونفثة الغيظ ومعذرة اليكم وحجة عليكم ، وان تكفروا انتم ومن في الارض جميعا فان الله غني حميد ، فدونكموها فاحتقبوها دابرة الظهر باقية العار موسومة بشنار الابد موصولة بنار الله الموقدة التي تطلع على الافئدة ، فبعين الله ما تفعلون وسيعلم الذين اي منقلب ينقلبون ، وانا ابنة نذير لكم بين يدي عذاب شديد فاعملوا انا عاملون ، وانتظروا انا منتظرون ، ثم قالت ربنا احكم بيننا بالحق وانت خير الحاكمين ،

ثم انحرفت الى قبر ابيها رسول الله صلع فقالت عليها السلام :

قد كان بعدك انباء وهنبثة \* لو كنت شاهدتها لم تكثر الخطب

انا فقدناك فقد الارض وابلها \* واختل قومك فاشهدهم فقد شغبوا

تجهمتنا رجال واستخف بنا \* قوم تمنوا فعموا بالذي طلبوا

فليت قبلك كان الموت حل بنا \* اذ غبت عنا فكل الخلق قد غصبوا

وقد رزينا بما لم يرزه احد \* من البرية لا عجم ولا عرب

ابدت رجال لنا فحوى صدورهم \* لما مضيت وحالت دونك الحجب

سيعلم المتولي ظلمنا سفها \* يوم القيامة حقا كيف ينقلب

انا الى الله مما قد المّ بنا \* من الخطوب التي هانت لها الخطب

فسوف يبكيك ما عشنا وما بقيت \* منا الجفون ومنها الدمع منسكب

وهذا ظلمهم لابنة رسول الله صلع وهي ذات حرقة لوفاة ابيها لم يبرد جاحمها ، وكلم لم يندمل واجمها ، وعين لم يكفف لغيبة المصطفى المختار ساجمها ، ظلموها تراثها ومنعوها ميراثها ، كأنهم ليسوا من اهل ملة ابيها ولا يعرفون فضلها وفضل ذويها.

ولم يزل فدك والعوالي بايدي الجبارين يغتصبونها، ودون آل فاطمة يحوزونها ، الى وقت عمر بن عبد العزيز بن مروان الذي شبه باعور بين عميان فاراد ردها لآل فاطمة فاكر عليه ذلك علماء العامة وقالوا ظلمت ابا بكر وعمر ومن سار سيرتهما واحتذى علىمنوالهما فكانه اتقاهم فكان يخرج في كل عام مثل ما اثمر الفدك والعوالي ويفرّق ذلك على آل فاطمة من ولد الحسن والحسين صلوات الله عليهما ،

ولما انتهى الامر الى المأمون بن هارون العباسي احضر فقهاء العامة وناظرهم في امر فاطمة عليها السلام وفدك والعوالي ثم ارجع فدك والعوالي الى ولد الحسن والحسين عليهما السلام.

وعمر بن عبد العزيز والمأمون قد قفوا اسلافهما في الظلم واحتقبا ما احتقبوه من الاثم لانهم تغلبوا على ما هو اعظم من فدك والعوالي وهو مقام الامامة الذي ليسا من اهلها ولا حلا في محلها ، واخرجوها من ثمرة الرسول ، وذرية علي ابن ابي طالب وفاطمة البتول ، وما هما الا كمن يسرق الحاج ويتصدق بشيء مما يسرق ،

وما كانت فاطمة صلوات الله عليها مع مكانها من رسول الله صلع المكين لتخرج من بيتها وتخطب في ذلك المجمع فتطلب باطلا او تدعي ما ليس لها ان ذلك لامر بيّن، وشيء واضح متعين ، وكلامها عليها السلام لم يكن من اجل فدك والعوالي وحدهما بل فيما هواعظم من ذلك واجل خطرا مما تغلب عليه من حق بعلها والائمة من ولدها من مقام الامامة التي جعلها عز وجل ونص به رسول الله صلع مما هو مشهور مذكور قد آثرته الرواة وامتلأت بذكره الطوامير ، وقد اتينا في كتابنا هذا بقليل من كثير فارادت بذلك صلوات الله عليها ما قد ذكرته في كلامها من اقامة الحجة على الامة وابلاغ المعذرة وايضاح الحق والبيان فميا اهتضموه وتغلب عليهم فيه واستوثر من حقهم به لئلا يقولوا كما قد قالوا ان اهل بيت رسول الله صلع سلّموا ذلك لهم طائعين، ولم يكن خروجها لما خرجت له وقالته من ذلك الا عن اذن علي عليه السلام وامره اذ لا يجوز لها ان تخرج من بيتها سيما لمثل ذلك الا عن امره لما اراده صلوات الله عليه من اقامة الحجة عليهم ، وان امسك عن القيام خوفا وتقية لئلا يكون بقيامه خرق في الاسلام، لقرب العهد بالشرك وما في صدور اهله من الميل اليه والركون الى ما كانوا فيه من عبادة الاصنام،

وقد قيل فيما ذكره الرواة ان فاطمة قالت لامير المؤمنين صلوات الله عليهما لو قمت بحقي وحقك ولم تدعهم لما تغلبوا عليه من امرك فسكت صلوات الله عليه حتى اذن المؤذنون بشهادة ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله فقال يا فاطمة لو قمت بامري لرجع الناس الى الجاهلية وانقطع ذكر محمد صلع الى يوم القيامة، فكظم غيظه وصبر لما نزل من الظالمين به، وان اعظم ما ارتكبوا بعد غيبة النبي صلع ان تخرج فاطمة ابنته لطلب حق لها وميراث من ابيها فيمنعوها ذلك ويردوها بغيظها وقد علموا مكانها من رسول الله صلع وفضلها عنده .

ومما يروى من فضل فاطمة عليها السلام عن جعفر بن محمد صلوات الله عليه عن ابيه عن آبائه ان رسول الله صلع قال لفاطمة يا فاطمة ان الله يغضب لغضبك ويرضى لرضاك ،

وعن حسين ابن زيد عن جعفر بن محمد عليهما السلام ان رسول الله صلع قال انما فاطمة بضعة مني ، من آذى فاطمة فقد آذاني ، ومن احبها فقد احبني ، ومن سرها فقد سرني.

وعن الربيع ابن الصبيح باسناده عن عائشة زوج النبي صلع انها سئلت اي الناس كان احب الى رسول الله صلع قالت فاطمة وعلي ، قيل لها وكيف وقد بلغنا انه سئل اي النساء احب اليك فقال عائشة بنت ابي بكر ، قيل اي الرجال احب اليك قال ابوها، فقال عائشة اللهم اغفر الا تخدعوني والله ما اقول ما لا املكه انهم انما سألوه عن اي الناس احب اليه ولم يسألوه عن نفسه وكيف يكون ذلك وفاطمة التي يقول لها فدتك نفسي انت سيدة نساء العالمين ، فقيل له يا رسول الله فاين مريم ، قال تلك سيدة نساء قومها ، وقال لها يا فاطمة زوجك سيد العرب ، فقيل له يا رسول الله فانت ، قال انا سيد ولد آدم ، علي سيد العرب ، وابنائه الحسن والحسين سيدا شباب اهل الجنة ،

وعن ابي سعيد الخدري قال قال رسول الله صلع الحسن والحسين سيدا شباب اهل الجنة وفاطمة سيدة نساء الجنة الا ما كان من مريم ابنة عمران .

وبآخر عن ابي هريرة انه قال ابطأ عنا رسول الله صلع يوما ثم جاءنا فقلنا يا رسول الله لقد شق علينا تخلفك اليوم فقال له ان ملكا من ملائكة السماء لم يكن زارني فاستأذن الله في زيارتي فاذن له ، وكان عندي وبشرني في ان ابنتي فاطمة سيدة نساء العالمين وان ابنيها الحسن والحسين سيدا شباب اهل الجنة .

وعن عمر ابن شهبر باسناده عن عمار ين ياسر قال بعثني رسول الله صلع الى علي عليه السلام لادعوه اليه فاتيت باب حجرته فقرعته فلم يجبني احد فسمعت صوت رحى ففتحت الباب فاذا فاطمة نائمة والحسن والحسين نائمان على ثديها صلوات الله عليهم والرحى تدور ولا ارى احدا فانصرفت مرعوبا الى النبي صلع فاخبرته بما رأيت فقال لي وما يعجبك من هذا يا عمار ان كان الله عز وجل نظر الى ابنة نبيه ولا معين لها فايدها بمن يعينها على امرها.

وعن اسماعيل بن موسى باسناده عن عبد الله بن مسعود انه قال سمعت رسول الله صلع يقول في عزوة تبوك ونحن نسير معه ان الله عز وجل قد بنى جنة من لؤلؤ بين كل قصبة الى قصبة قصبة من ياقوت مشذورة بالذهب وجعل سقوفها زبرجد اخضر جعل فيها طاقات من زمرد مكللة باليواقيت ، ثم جعل عليها غرفا لبنة من فضة ولبنة من ذهب ولبنة من زمرد ولبنة من ياقوت ولبنة من زبرجد وجعل فيها عيونا تنبع في نواحيها ، وحفها بالانهار ، وجعل على الانهار قبابا من در قد شعيت بسلاسل الذهب وحفت بانواع الشجر وبني في كل غصن بيتا وجعل في كل قبة اريكة من درة بيضاء غشاءها السندس والاستبرق وفرشها بالزعفران وفتقها بالمسك والعنبر وجعل فيها مائة باب على كل باب جاريتان وشجرتان في كل قبة مفرش وكتاب مكتوب فيه آية الكرسي فقلت يا جبرئيل لمن بنى الله عز وجل هذه الجنة فقال هذه جنة بناها الله عز وجل لعلي ابن ابي طالب وفاطمة ابنتك سوى جناتهما تحفة اتحفها الله بها وليقر بذلك عينيك يا محمد.

وعن علي ابن جزير باسناده عن جعفر بن محمد عن ابيه عن آبائه عليهم السلام ان رسول الله صلع قال اذا كان يوم القيامة نصبت للنبيين منابر من نور ونصب لي اعلاها منبرا ، ثم يقال لي قم فاخطب فارقى منبري فاخطب خطبة لم يخطب احد من النبيين مثلها ، ثم تنصب منابر من نور للوصيين فيكون علي على اعلاها منبرا ثم يقال له اخطب فيخطب بخطبة لم يخطبها احد من الوصيين ثم ينصب منابر من نور لاولاد الوصيين فيكون الحسن والحسين على اعلاها ، ثم يقال لهما قوما فاخطبا فيخطبان بما لم يخطب به احد من ابناء الوصيين ، ثم ينادي منادي يا اهل الجمع غضوا ابصاركم وطامنوا رؤسكم لتجوز فاطمة ابنة رسول الله صلع فيفعلون ذلك وتجوز فاطمة وبين يديها مائة الف ملك وعن يمينها مثلهم وعن يسارها مثلهم ، ومن خلفها مثلهم ، ومائة الف ملك يحملونها على اجنحتهم حتى اذا صارت الى باب الجنة القى الله عز وجل في قلبها ان تلتفت فيقال لها ما التفاتك فتقول اي رب اني احببت ان تريني قدري في هذا اليوم فيقول الله عز وجل ارجعي يا فاطمة فانظري من احبك او احب ذريتك فخذي بيده وادخليه الجنة ، قال جعفر بن محمد عليهما السلام فانها لتلتقط شيعتها ومحبيها كما يلتقط الطير الحب الجيد من بين الحب الردي حتى اذا صارت هي ومحبوها وشيعتها على باب الجنة القى الله في قلوب شيعتها ومحبيها ان يلتفتوا فيقال لهم ما التفاتكم وقد امربكم الى الجنة ، فيقولون الهنا نحب ان نرى قدرنا في هذا اليوم فيقال لهم ارجعوا فانظروا من احبكم في حب فاطمة او سلّم عليكم في حبها او صافحكم فيه او رد عنكم غيبة او سقاكم جرعة ماء فيه فخذوا بيده فادخلوه الجنة .

قال جعفر بن محمد صلوات الله عليه فوالله ما يبقى يومئذ في النار الا كافر او منافق في ولايتنا فعندها يقولون فما لنا من شافعين ولا صديق حميم ، ولو ان لنا كرة فنكون من المؤمنين ، قال جعفر ابن محمد وكذبوا لو ردوا لعادوا لما نهوا عنه كما قال الله اصدق القائلين، ثم ينادي مناد لمن الكرم اليوم فيقال لله الواحد القهار ولمحمد وعلي وفاطمة والحسن والحسين .

وعن محمد ابن عبد الرحيم عن علي عليه السلام انه قال نظر الي رسول الله صلع والى فاطمة عليها السلام فقال يا علي من كنت له غضبان فان الله ورسوله غضبانان ، ويا فاطمة من كنت عنه غضبانة فان الله ورسوله غضبانان ويا علي من كنت راض عنه فان الله ورسوله راضيان عنه ، ومن كنت عنه راضية يا فاطمة كان الله ورسوله عنه راضيين .

وعن علي بن هاشم باسناده عن عائشة ابنت ابي بكر انها ذكرت فاطمة عليها السلام فقالت ما رأيت احدا اصدق منها الا اباها.

وعن حمران بن ابان الرازي باسناده عن علي عليه السلام انه قال كانت فاطمة تخدم وتقوم بمهنة بيتها ، فاتبعتها الخدمة واخلقتها واثر الرحى في يدها ونالها من ذلك ضر شديد، وجاء الى رسول الله صلع رقيق من سبي المشركين فقلت لها لو انك مضيت الى رسول الله صلع فاستخدميه خادما يكفيك الخدمة فمضت الى رسول الله صلع فوجدته على شغل فانصرفت ، فلما كان من الغداة اتى فوقف على الباب ونحن في لفاع، اللفاع ما اشتمل عليه وغطى الرأس، فقال السلام عليكم اهل البيت فسكتنا حياء منه صلى الله عليه وآله ، ووثبت فاخذت ثوبي وقلت وعليك السلام يا رسول الله صلع ادخل فداك امي وابي فدخل وبقيت فاطمة في اللفاع ، فقال ما كانت حاجتك امس يا بنية ، فاستحييت منه وسكتت، فخشيت ان يقوم ولا تذكر له شيئا ، فقلت انا اخبرك بحاجتها يا رسول الله اصابها من الخدمة ضر شديد وبلغها ان رقيقا جاءك فقلت لها استخدمي من رسول الله صلع خادما فجاءتك لتذكر ذلك فوجدتك على شغل ، فقال لها النبي صلع يا بنية ما جاءني من الرقيق مايسع جميع نساء المسلمين وما كنت بالذي اوثرك عليهن ولكني اعطيتك ما هو خير من خادم وخادم وخادم ، اذا انصرفت من صلاتك واويت الى مضجعك فسبّحي الله ثلاثا وثلاثين تحميدة واختمي بذلك بشهادة ان لا اله الا الله ، فذلك ذكر الله بما هو اهله مائة مرة يكون بذلك مائة حسنة والحسنة بعشر امثالها ، فيكتب الله بذلك الف حسنة فذلك خير لك من خادم ومن الدنيا وما فيها ، فاخرجت رأسها من اللفاع فقالت رضيت عن الله وعن رسوله ثلاثا ، قال علي عليه السلام فما تركناها بعد كل صلوة مكتوبة ،

فهذا فضل فاطمة الذي ذكره رسول الله صلع مشهور عندهم مأثور، وهم به مقرون معترفون ، ولم يمنعهم ذلك ان جرعوها الغيظ حتى ماتت بغيظها ، ولحقت وهي من قبلهم مكظومة مظلومة بابيها ، ولذلك ولما هو اكبر منه قعودهم مقعد الرسول بغير امر منه ولا عهد ولا وصية اليهم ودفعهم وصي رسول الله صلع عن وصيته وجلوسهم في مجلسه.

ورد عن رسول الله صلع فيما رواه سعيد ابن جبير عن ابن عباس انه قال وعظنا رسول الله صلع فقال ايها الناس انكم تحشرون يوم القيامة عراة، قال عز وجل كما بدأنا اول خلق نعيده وعدا علينا انا كنا فاعلين ، وانه سيؤتى يوم القيامة بقوم من اصحابي فيوخذ بهم ذات الشمال فاقول اصحابي اصحابي فيقال يا محمد انك لا تدري ما احدثوا من بعدك فاقول كما قال العبد الصالح وكنت عليهم شهيدا ما دمت فيهم ، فلما توفيتني كنت انت الرقيب عليهم وانت على كل شيء شهيد ، ان تعذبهم فانهم عبادك وان تغفر لهم فانك انت العزيز الحكيم ، فيقال يا محمد انهم ارتدوا من بعدك حين فارقتهم على اعقابهم وقال تبارك وتعالى افان مات او قتل انقلبتم علىاعقابكم، ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئا ، وسيجزي الله الشاكرين ، قال ابن جبير ثم قال لي ابن عباس يا سعيد ابن جبير انه يعني بالشاكرين صاحبك علي ابن ابي طالب عليه السلام والمرتدين على اعقابهم الذين ارتدوا عنه .

وعن علي ابن سعيد قال كنت عند محمد ابن عبد الله بن الحسين بن الحسن بن علي ابن ابي طالب وعنده قوم من اهل الكوفة فسألوه عن قول الله عز وجل ولقد اوحى اليك والى الذين من قبلك لئن اشركت ليحبطن عملك ولتكونن من الخاسرين ، فقال ان رسول الله صلع لما قام بولاية علي ع م بغدير خم قام اليه معاذ بن جبل فقال يا رسول الله لو اشركت معه ابا بكر وعمر حتى يسكن الناس لكان في ذلك ما يصلح امرهم فسكت رسول الله صلع فانزل الله تعالى الآية الى قوله لئن اشركت ليحبطن عملك ولتكونن من الخاسرين ففي هذا نزلت ولم يكن الله عز وجل ليبعث رسولا يخاف ان يشرك به ورسول الله صلع اكرم على الله عز وجل من ان يقول له لئن اشركت وهو جاء بابطال الشرك ورفض الاصنام ، وما عبد مع الله عز وجل غيره ، وانما عنى الشرك بين الرجال في الولاية ، وقد روينا عن جعفر بن محمد صلوات الله عليه انه قال قال ابي رضوان الله عليه يوم لجابر هل فرض الله الزكوة على مشرك ؟ قال لا انما فرضها على المسلمين ، قلت انا له فاين من قول الله عز وجل فويل للمشركين الذين لا يؤتون الزكوة ، قال جابر كأني والله ما قرأت وانها لفي كتاب الله ، قال ابو عبد الله نزلت فيمن اشرك بولاية امير المؤمنين علي ابن ابي طالب واعطى زكوته من نصب نفسه دونه وانما ذكرنا هذا دلالة علىانهم اشركوا فيما ليس لهم ، والشرك ظلم عظيم ، فباؤا بالظلم واحتقبوا الاثم ، وفيما رواه الدعشي عن عائشة انها قالت اقبلت يوما فاطمة بنت رسول الله صلع تمشي كانت مشيتها مشيته ، فلما رآها رسول الله صلع قال مرحبا بابنتي ثم اسر اليها فبكت، فقلت لها سبحان الله خصك رسول الله صلع بسره وتبكين ، ثم اقبل عليها رسول الله صلع فاسر اليها سرا فضحكت، فقلت ما رأيت كاليوم فرحا اقرب من حزن وضحكا اقرب من بكاء ، ثم سألتها بعد ذلك عما اسر رسول الله صلع فقالت ما كنت لافشي سره ايام حياته ، فلما قبض صلع قالت اسر الي اولا وقال لي يا فاطمة ان جبرئيل عليه السلام كان يعارضني بالقرآن في كل عام مرة وانه عارضني به في هذا العام مرتين لا اراني الا وقد حضر اجلي وانك اول اهل بيتي لحوقا بي فبكيت ، ثم اسر الي ثانيا فقال يا فاطمة اني لك نعم السف او ما ترضين ان تكوني سيدة نساء هذه الامة كما سادت مريم ابنة عمران نساء العالمين ، فضحكت .

وعن احمد بن محمد الطبري باسناده عن انس بن مالك قال سألت امي عن صفة فاطمة عليها السلام فقال بيضاء بضة كأنها القمر ليلة التم والشمس اذا خرجت من السحاب .

وعن ابي جعفر محمد ابن علي صلوات الله عليه انه قال لابي بصير يا ابا بصير الا اقرأك وصية فاطمة صلوات الله عليها ، قال نعم فافعل ، جعلني الله فداك ، فاخرج حقا او سفطا فاخرج منه كتابا فقرأه وكان فيه:

بسم الله الرحمن الرحيم ، هذا ما اوصت به فاطمة بنت محمد رسول الله صلع اوصت بحوائطها السبعة العوالي والدلال والبرقة والمنت والحسني والصافية ومال ابراهيم الى علي ابن ابي طالب ، فان مضى فالى الحسن فان مضى فالى الحسين فان مضى الحسين فالى الاكبر من ولده شهد الله على ذلك والمقداد ابن الاسود والزبير ابن عوام ، وكتب علي ابي ابي طالب.

وعن موسى ابن ايوب باسناده عن اسماء بنت عميش انها قالت لما شكت فاطمة عليها السلام شكواها التي توفيت فيها انحلت نحولا شديدا ، فقالت لي واسوأتا مما يصنع بالنساء اذا متن ، قالت وكن يحملن على سرير الموتى وعليهن ثوب ، فقلت لها افلا اريك شيئا رأيته اذ كنت مع ابن عمك بارض الحبشة يصنعونه بالنساء اذا حملن ، قالت نعم فدعوت بجريد وعملت نعشا ثم اريتها اياها فاستحسنه ، وقالت نعم افعلي هذا علي ، ولا يلي غسلي الا علي وانت وامرت صلى الله عليها بان تدفن ليلا فدفنت ليلا ولم يصل احد منهم عليها غير علي وابنيها وخلصاء شيعتهم ولا عرفوا مكان قبرها وقالوا لعلي عليه السلام فقال بذلك اوصت ، وكان الذي بين وفاتها ووفاة رسول الله صلع سبعون يوما ،

ولما دفن امير المؤمنين علي ابن ابي طالب فاطمة ابنة رسول الله صلع عمد الى قبر رسول الله صلع وقال السلام عليك يا رسول الله عني وعن ابنتك النازلة في جوارك والسريعة اللحاق بك ، قل يا رسول الله عن صفيتك صبري ورق عنها تجلدي الا ان لي في التأسي بعظيم فرقتك وفادح مصيبتك موضع تعز، فلقد وسدتك في ملحودة قبرك وفاضت بين نحري وصدري نفسك ، انا لله وانا اليه راجعون ، فلقد استرجعت الوديعة واخذت الرهينة ، اما حزني فسرمد ، واما ليلي فسهد الى ان يختار الله لي دارك التي انت بها مقيم ، وستنبئك ابنتك فاحفها السؤال فاستخبرها الحال ، هذا ولم يطل العهد ولم يخل منك الذكر والسلام عليكما سلام مودع ولا قال ولا سئم ، فان انصرفت فلا عن ملالة وان اقيم فلا عن سوء ظن بما وعد الله الصابرين .

وقال عليه الصلوة والسلام :

ارى علل الدنيا علي كثيرة \* وصاحبها حتى الممات عليل

لكل اجتماع من خليلين فرقة \* وكل الذي دون الممات قليل

وان افتقادي فاطما بعد احمد \* دليل على ان لا يدوم خليل

وخلف فاطمة صلوات الله عليها من الولد الحسن والحسين سبطي رسول الله صلع سيدي شباب اهل الجنة ، ومحسنا قيل انها ولدته في مرضها الذي ماتت منه ولم تستوف عدة الحمل فمات ، وقيل بل ولدته على عهد رسول الله صلع والاجماع انها صلوات الله عليها اسقطت محسنا وهو حمل في بطنها، قيل ان عمر لما اتى في اعوانه يريدون عليا عليه السلام ان يبايع ابا بكر غصبا دفع عمر الباب فوقع الباب في بطنها فالقت الحمل وكان ذلك سبب وفاتها ، فهي تعد عليها السلام مع الشهداء من اهل البيت صلوات الله ورحمته وبركاته عليها وعلى الطاهرين من ابنائها ، والله اعلم .

وهذا قد اشتهر عند الخاص والعام ما لقيته فاطمة قرة عين رسول الله صلع ومن قال هي بضعة مني فان القوم لم يرقبوا فيها الا ولا ذمة ولا رعوا لرسول الله صلع فيها حرمة بل حرموها تراثها واغتصبوا فدكا منها وذلك قليل مما اغتصبوه من مكان بعلها وخلافته الذي هو بها احق اهلها ولا بقيت فدك مع ابي بكر وعمر، ولما ولى عثمان اقطعها مروان طريد رسول الله صلع الذي نفى اباه الحكم ولعنه ومروان في صلبه ، ولما ولي مروان جعل ثلثي فدك لابنه عبد الملك والثلث لابنه سليمان، فلما ولي عبد الملك جعل ثلثيه لعمر ابن عبد العزيز ، فلما ولي عمر ابن عبد العزيز ردها كلها على ولد فاطمة ، فاجتمع اليه بنو امية وقالوا يرى الناس انك انكرت فعل ابي بكر وعمر وعثمان والخلفاء من آبائك فردها ، وكان يجمع غلتها ويزيد عليها مثلها ويقسمها في ولد فاطمة عليها افضل السلام ، وعلى الطاهرين من بنيها ، ولما صار الامر الى بني العباس استاثروا بها الىان ولي منه المتسمى بالمأمون فجمع في امرها فقهاء البلدان من العامة وغيرهم وتناظروا فيها فثبت امرهم باجماع انها لفاطمة عليها السلام وشهدو باجمعهم على ظلم من انتزعها منها فردها في ولد فاطمة عليها السلام وذلك من الامر المشهور المعروف ولا يجحده ولا ينكره احد فنعوذ بالله من التجري على اوليائه بالظلم ومن اتباع المغتصبين لهم ممن اخذته العزة بالاثم .

## ذكر من اجتمع الى علي عليه السلام وانكر على ابي بكر قعوده مقعد رسول الله صلع وتعنيفهم ابا بكر وما وجهوه من اللوم اليه

روي عن ابان بن تغلب قال سألت الصادق جعفر ابن محمد صلوات الله عليه وعلى الائمة من نسله عن الذين انكروا على ابي بكر وغيره فعلَهم بعد رسول الله صلع ،

فقال كان الذين انكروا على ابي بكر فعله وجلوسه مجلس رسول الله صلع اثنا عشر رجلا من المهاجرين والانصار، كان من المهاجرين من بني امية خالد بن سعيد ابن العاص ومن الصحابة سلمان الفارسي وابو ذر الغفاري والمقداد بن الاسود الكندي وعمار ابن ياسر وابو بريدة الاسلمي وكان من الانصار قيس ابن سعيد بن عبادة الخزرجي وابو الهيثم ابن التيهان وسهل بن حنيف وخزيمة ابن ثابت ذو الشهادتين وابي بن كعب وابو ايوب الانصاري ،

قال لما صعد ابو بكر المنبر تشاوروا بينهم فقال بعضهم لبعض والله لنأتينه ولننزلنه عن منبر رسول الله صلع ، وقال آخرون ان فعلتم ذلك اعنتم على انفسكم ، والله تعالى يقول ولا تلقوا بايديكم الى التهلكة، فانطلقوا بنا الى امير المؤمنين عليه السلام نستشيره ونستطلع رأيه ، قال فانطلق القوم باجمعهم الى امير المؤمنين علي ابن ابي طالب عليه السلام فقالوا يا امير المؤمنين تركت حقا انت احق به من ابي بكر، ولقد اردنا ان نأتيه فننزله عن منبر رسول الله صلع فكرهنا ان نفعل او نحدث امرا دون مشاورتك فقم فان الحق معك وفي يدك ، فانت احق به واولى منه ، لانا سمعنا رسول الله صلع يقول علي مع الحق والحق مع علي يميل معه كيف مال ، فقال علي عليه السلام وايم الله لئن فعلتم ذلك ما كنتم الا حريا، ولكنتم كالملح في الزاد او الكحل في العين ، وايم الله لو فعلتم هذا لآتيتموني شاهرين لاسيافكم مستعدين للحرب والقتال اذ اتوني فقالوا بايع والا قتلناك فلم اجد بدا من ان ادفع القوم عن نفسي ، وذلك ان رسول الله صلع اوعز الي في حياته وقال لي يا ابا الحسن ان الامة ستغدر بك من بعدي وتنقض عهدي وانك مني بمنزلة هارون من موسى ، فقلت يا رسول الله فما تعهد الي اذا كان الامر كذلك فقال او وجدت الاعوان فبادر القوم وجاهدهم وان لم تجد اعوانا فكف نفسك ويدك واحفظ دينك حتى ينزل الامر من السماء ، ولقد راودت في ذلك اهل بيتي فابوا الا القليل لما علمي من بغض اكثر القوم لله ولرسوله واهل بيته عليه وعليهم السلام ،

ثم قال انطلقوا الىالرجل فعرفوه ما سمعتم من قول نبيكم عليه السلام ليكون امكن للحجة وابلغ للموعظة واسرع للعقوبة وابعد من رسول الله صلع اذا وردوا اليه ، فانطلق القوم جميعا حتى احدقوا حول منبر رسول الله صلع وكان في يوم الجمعة، فلما صعد ابو بكر المنبر قال المهاجرون للانصار قوموا فتكلموا ، وقال الانصار للمهاجرين تكلموا انتم ، فان الله بدأ بكم في كتابه ، فقال لقد تاب الله بالنبي على المهاجرين والانصار ، قال ابان يابن رسول الله ان العامة تقرؤن لقد تاب الله على النبي والمهاجرين والانصار ، فقال اي ذنب كان لرسول الله صلع حتى تاب منه ، وانما تاب الله به علىامته ،

ثم ان اول من تكلم من المهاجرين خالد بن سعيد ابن العاص

فحمد الله واثنى عليه وذكر النبي صلع ثم قال يا ابا بكر اتق الله تعالى وانظر ما تقدم لعلي عليه السلام من رسول الله صلع ، اما علمت ان النبي صلع قال لنا ونحن محاصرون لبني قريظة وقد قتل علي عدة من رجالهم واولي القوة منهم ، فقال يا معشر قريش اني اوصيكم بوصية فاحفظوها ومودعكم امرا فلا تضيعوه، الا ان عليا امامكم بعدي وخليفتي فيكم بذلك ، اوصاني جبرئيل ربي عز وجل فقدموه ولا تتقدموا عليه الا وان لم تحفظوا فيه وصيتي ولم توارزوه ولم تنصروه اختلفتم في احكامكم واضطرب عليكم امر دينكم بذلك خبرني جبرئيل عن ربي عز وجل ، الا وان اهل بيتي هم القائمون بامور امتي ، اللهم فمن اطاعني في اهل بيتي وحفظ فيهم وصيتي فاحشرهم في زمرتي ، اللهم ومن عصاني في اهل بيتي وضيع فيهم وصيتي فاحشرهم حيث وعدتهم ، اللهم غلق عليهم ابواب الجنان،

قال فقام عند ذلك عمر ابن الخطاب فقال : اسكت يا خالد فلست من اهل المشورة ولا ممن يعقد برأيه ، قال له خالد بل انت فاسكت يابن الخطاب فانك والله تنطق بغير لسانك وتستعصم بغير رأيك ، وانك الجبان في الحروب بخيل في الجدوب لئيم في النسب دني في العنصر ، ما لك في قريش من مفخر.

ثم تكلم سلمان الفارسي رضي الله عنه

فحمد الله واثنى عليه وصلى على رسوله وقال يا ابا بكر الى من تسند امرك اذا نزل بك الامر والىمن تفزع اذا ما سئلت عما لا تعلم ، وفي القوم من هو اعلم منك ، واقرب الى رسول الله صلع قرابة منك قدمه رسول الله صلع في حياته واوعز اليكم فيه قبل مماته وتركتم قوله وتناسيتم وصيته ، فعما قليل تنقل من دنياك وقد اثقلت بالاوزار وتحمل الى قبرك بما قدمت يداك ، فلو رجعت الى الحق وانصفت من نفسك لكان لك في ذلك النجاة من الله الا انك قد سمعت كما سمعنا ورأيت كما رأينا ، فلم يردك عما انت عليه وقد منحتك وصيتي ونصيحتي، وقذفت لك ما عندي ان قبلت ذلك والسلام.

ثم قام من بعده ابو ذر الغفار رحمة الله عليه

فحمد الله واثنى عليه فقال معاشر قريش قد علمتم وعلم اخياركم ان النبي صلع قال لنا الامر من بعدي لعلي ابن ابي طالب عليه السلام ثم للائمة من ولد الحسين فتركتم قوله وتناسيتم وصيته ، فعما قليل تنقل من دنياك وقد اثقلت بالاوزار وتحمل الى قبرك بما قدمت يداك ، فلو رجعت الى الحق وانصفت اهل الحق لكان ذلك في ذلك النجاة من الله علىانك قد سمعت كما سمعنا ورأيت كما رأينا فلم يرجع لذلك عما انت عليه وقد منحتك وصيتي ونصيحتي وبذلك منحك من قبلي وبذلت لك ما عندي ان قبلت ذلك وفقت وارشدت ، والسلام.

ثم قام من بعد ذلك مقداد بن الاسود

فحمد الله واثنى عليه وقال يا ابا بكر اربع على ظلعك وقس مبرك بفترك ، والزم بيتك وابك على خطئيتك ، ولا يغرنك من قريش اوغادها عما قليل تضمحل عن دنياك وتصير الى آخرتك وقد علمت ان عليا صاحب هذا الامر فاعطه ما جعل الله له ورسوله والسلام.

ثم قام بعده عمار ابن ياسر رضي الله عنه فحمد الله واثنى عليه ، وقال يا معشر قريش قد علمتم وعلم اخياركم ان اهل بيت نبيكم اقرب من رسول الله صلع قرابة منكم ، واذا ادعيتم قرب رسول الله صلع وادعيتم ان السابقة لكم فان اهل بيت نبيكم اقد م سابقة منكم واكثر عناء من صاحبكم فاعطوهم ما جعله الله ورسوله لهم ولا ترتدوا على اعقابكم فتنقلبوا خاسرين ،

ثم قام بعده ابو بريدة الاسلمي رحمة الله عليه

فحمد الله واثنى عليه ثم قال يا ابا بكر نسيت ام تناسيت ام خادعتك نفسك ، اما علمت ان رسول الله صلع كان يأمرنا بالتسليم على اخيه وابن عمه سبع سنين في مدة حياته بامرة المؤمنين وكان يتهلل وجه النبي صلع لما يرى من طاعتنا لابن عمه ، فلو اطعتموه بعد وفاته لكان لكم في ذلك النجاة من النار، اما اني سمعت رسول الله صلع والا صمتا ورأيته والا عميتا يقول بينا انا واقف على حوضي اسقي منه امتي اذ يؤخذ بطائفة من امتي ذات الشمال فاقول اصحابي اصحابي فيقول جبرئيل انك لا تدري ما احدثوا انهم فتنوا امتك وظلموا اهل بيتك فاقول بعدا وسحقا ،

ثم قام بعده من الانصار قيس ابن سعد بن عبادة رحمة الله عليه

فحمد الله واثنى عليه ثم قال يا ابا بكر اتق الله ولا تكونن اول من ظلم محمدا في اهل بيته واردد هذا الامر الى ان هو احق منك ، تخفف اوزارك وتقل ذنوبك ولان تلق رسول الله صلع وهو عنك راض احب اليك من ان تلقاه وهو ساخط .

ثم قام من بعده خزيمة ابن ثابت ذو الشهادتين

فحمد الله واثنى عليه ثم قال يا ابا بكر الست تعلم ويعلم جميع المهاجرين والانصار ان رسول الله صلع كان يقبل شهادتي وحدتي ولا يزيد معي غيري، فقال مغضبا بلى ، فقال اشهدوا علي يا معشر المهاجرين والانصار اني اشهد على رسول الله صلع انه قال هذا علي امامكم من بعدي وخليفتي فيكم فقدموه ولا تتقدموه ، فان قدمتموه سلكتم طريق الهدى، وان تتقدموه سلكتم طريق الضلالة والردى، وهو باب حطة ومثله فيكم كمثل سفينة نوح من ركبها نجى ومن تخلف عنها هوى.

ثم تقدم ابو الهيثم ابن التيهان رحمة الله عليه

فحمد الله واثنى عليه وقال يا معشر قريش اشهدوا علي اني رأيت رسول الله صلع وهو آخذ بيد علي ابن ابي طالب عليه السلام وهو يقول معاشر الناس هذا علي اخي وابن عمي وكاشف الكروب عن وجهي ومن اختاره الله من السماء لابنتي واختاره على عباده، فالشاك في علي كالشاك في والشاك في كالشاك في الله تعالى ، والتابع لعلي كالتابع لنبيه والتابع لنبيه كالتابع لامر الله عز وجل ، فاتبعوه يهدكم الدين ولا تختلفوا فيه .

ثم قام من بعده سهل ابن حنيف رحمة الله عليه فحمد الله واثنى عليه ثم قال معاشر قريش اشهدوا علي اني اشهد اني رأيت رسول الله صلع في هذا المكان يعني الروضة وهو آخذ بيد علي عليه السلام وهو يقول علي امامكم من بعدي ووصي في حياتي وبعد وفاتي ، وقاضي ديني ومنجز وعدي ، و خير من اخلفه في اهلي ، واول من يصافحني على حوضي ، فطوبى لمن نصره واتبعه ، والويل لمن تخلف عنه فخذله.

ثم قام بعده ابي ابن كعب رحمة الله عليه فحمد الله واثنى عليه ثم قال معاشر قريش اني لاعظكم بما وعظكم به رسول الله صلع وقد اقام عليا للناس فقال من كنت مولاه فعلي مولاه ، فقالت طائفة انما اقام عليا ليعلم من كان من عبيده ومواليه ان عليا مولاه ، وقالت طائفة انما عنى به انه ابن عمه ، وقال طائفة انما اقامه اماما وعلما ، فلما بلغ ذلك رسول الله صلع خرج الينا كهيئة المغضب وهو آخذ بيد علي ، ثم قال معاشر الناس من كنت مولاه فعلي مولاه وامامه وحجة الله عليه ، معاشر الناس ان الله خلق السموات وخلق لها سكانا واهلا وجعل لاهلها حرسا، الا وان حرسة السماء النجوم ، فاذا هلكت النجوم هلك من في السماء ، وان الله خلق الارض وخلق لها سكانا واهلا وجعل لاهلها حرسا ، الا وان حرسة الارض اهل بيتي ، فاذا هلك اهل بيتي هلك من في الارض .

ثم قام بعده ابو ايوب الانصاري رحمة الله عليه

فحمد الله واثنى عليه ، وقال يا معشر قريش اما سمعتم قول الله ان الذين يأكلون اموال اليتامى ظلما انما يأكلون في بطونهم نارا وسيصلون سعيرا ، وقال تعالى انا اعتدنا للظالمين نارا احاط بهم سرادقها ، افترون ايتامنا افضل واشرف ام ايتام رسول الله صلع بالامس مات جدهم واليوم تمنعونهم ارثهم ، ثم خنقت ابا ايوب العبرة فلم يستطع كلاما.

فافحم ابو بكر وخشي عن ان يكون ذلك قد اجتمع عليه المهاجرون والانصار فلبث ساعة من النهار لم يحر جوابا ثم قام قائما وقال ايها الناس وليتكم ولست بخيركم فاقيلوني اقيلوني ، فقام اليه عمر فعنفه ونزل عن المنبر واخذ بيد عمر وانصرف الى منزله ، فبقوا ثلاثة ايام لا يدخلون مسجد النبي صلع واذا كان يوم الثالث جاء معاذ بن جبل ومعه طائفة كثيرة فقالوا ما جلوسكم لقد اطمعتم بني هاشم ، وجاء سالم مولى ابي حذيفة في عدة كثيرة وعثمان في مث لها فلم يزل الناس يجتمعون اليهم حتى اذا اجتمع جمعهم خرجوا شاهرين سيوفهم حتى وقفوا على باب مسجد رسول الله صلع وامير المؤمنين عليه السلام قاعد في مسجد رسول الله صلع فيمن معه من اصحابه وشيعته ، فقال لهم عمر والله يا اصحاب علي لئن تكلم منكم متكلم بما به بالامس تكلمتم لنأخذن ما فيه عيناه ، فقام اليه خالد بن سعيد فقال يابن صهاك أبالسيوف تهددونا ام بجمعكم تفزعونا ، والله لسيوفنا احد من سيوفكم ، وانا لاكثر منكم وان قل عديدنا ، لان حجة الله فينا ، والله لولا ان طاعة امامي علي احق لشهرت بسيفي ولجاهدتكم في الله حتى ابلى عذري ، فقال له امير المؤمنين صلوات الله عليه قد عرف الله مقالتك وشكر لك هذا المقام ثم قام سلمان الفارسي رحمة الله عليه فقال الله اكبر الله اكبر سمعت رسول الله صلع يقول بينما اخي وابن عمي على جالس في مسجدي هذا في نفر من اصحابه اذ بجماعة من اهل الظلم يريدون قتله وقتل من معه ، فهمّ به عمر ، فوثب اليه امير المؤمنين عليه السلام فاخذ بمجامع اطواقه ثم جلد به الارض وقال يابن صهاك لولا كتاب من الله سبق وعهد عهده الي رسول الله صلع لرأيتم اينا اضعف ناصرا واقل عددا، ثم قال لاصحابه انصرفوا رحمكم الله فوالله ما دخلت المسجد الا كما دخل موسى وهارون اذ قال له قومه اذهب انت وربك فقاتلا انا ههنا قاعدون ، والله ما دخلت الا لزيارة قبر رسول الله صلع ولفريضة اقيمها وقضية اقضيها وحجة امضيها لكيلا يبقى للناس على الله حجة ،

فقال ابو عبد الله جعفر الصادق عليه السلام اذا والله ما دخل امير المؤمنين المسجد الا صلاحا حاله واقامة لفرائض الله فيه ،

فهذا ما ورد من الاخبار فيمن انكر على ابي بكر مقامه للخلافة بغير امر من النبي المختار، صلى الله عليه وعلى آله الاطهار.

ووقف امير المؤمنين صلوات الله عليه في بيته هاديا لشيعته مؤلفا للقرآن، معرضا عن الجاهلين لا يخرج الا لاقامة فريضة من فرائض الايمان، او لاقامة حجة وبرهان، او لقضاء عدل ينشره، او لحكم واضح برهانه يظهره ، فكانت اذا عرت الاسلام والمسلمين مهمة او اعترتهم حيرة وظلمة كشفها بحسامه وسنانه ، او بكلامه المبرهن ولسانه ،

ومما يشهد بفضله وعلمه الذي كل متطاول من الصحابة عنه قصير ووقوفهم في العجز عن مجاراته وقوف العاجز الحسير، ما روي من خبر الجاثليق عن الحكم عن كثير ابن عبد الله النخعي عن عبد الاعلى الثعلبي عن ابي وقاص قال قال سلمان الفارسي:

كان من البلاء الذي ابتلى به قريشا بعد النبي صلع ليعرفها عجزها ويشهدها على انفسها فيما ادعته على رسول الله صلع ودفعهم اهل بيته عن امامتهم وميراث كتاب الله فيهم ما عظم فيهم خطبه وشملتهم فضيحته، وما اوضح الله عز وجل به فضيلة نبيه ودل به على تفضيل ذريته وانار به قلوب اوليائه وعمهم نفعه واضاء لهم برهانه ان ملك الروم لما بلغه الخبر بوفاة رسول الله صلع وخبر افتراق الامة من بعده واختلافهم في الاختيار لانفسهم وتركهم سنن الانبياء في وصيتهم وادعائهم على رسول الله صلع انه لم يوص الى احد بعينه وانه اهملهم ليختاروا لانفسهم الاباعد من قومه دون اهل بيته وصرفهم ذلك عنهم دعى علماء بلده واساقفه ، فذكر لهم الامر الذي ادعته قريش بعد نبيها صلع وانه اهملهم يختارون لانفسهم فاجابوه بجواب حجتهم على امة محمد صلع وسألوه ان يوجههم الى المدينة في مناظرتهم والاحتجاج عليهم ليدحضوا الاسلام ويبطلوا نبوة النبي صلع فامر الجاثليق ان يختار من اصحابه واساقفته من احب فاختار منهم مائة رجل فخرجوا معه الى المدينة يقدمهم جاثليقهم قد اقروا له جميعهم بالفضل في العلم يخرج الكلام على تواليه ويورده على معانيه ويصدره بعد ايراده، ويرد كل فرع الى اصله ليس بالخرق ولا بالنزق ولا بالبليد ولا الرعديد، يصمت لمن تكلم ويجيب اذا سئل ، يحكم من حجته ما يريد ،

فقدم المدينة بمن معه على دوابهم فسألوا اهل المدينة عمن قام مقام رسول الله صلع فدلوهم على ابي بكر وهو جالس في المسجد في جماعة من قريش منهم عمر بن الخطاب وابو عبيدة ابن الجراح وخالد ابن الوليد وعثمان بن عفان ، يقول سلمان وانا في الجماعة فلما وقفوا عليهم قال الجاثليق السلام عليكم فردوا عليه ، فقال ارشدونا الى القائم بعد نبيكم فانا قوم من الروم على دين المسيح صلي الله عليه قدمنا لما بلغنا وفاة نبيكم واختلاف امتكم لنسأل عن صحة نبوته ونسترشد لديننا ونستعرض دينكم ، فان كان افضل من ديننا دخلنا فيه وسلمنا وقبلنا منكم الرشد طوعا ، وان كان على خلاف ما جاءت به الرسل وجاء به المسيح رجعنا الى دين المسيح ، فان عندنا عهدا من ربنا وانبيائه ورسله دلالة ونورا واضحا ، فايكم صاحب الامر بعد نبيكم ، فقال عمر ابن الخطاب هذا صاحبنا وولي الامر بعد نبينا، واشار بيده الى ابي بكر ، قال الجاثليق اهو هذا الشيخ ، قال نعم ، قال الجاثليق ايها الشيخ انت الوصي القائم لمحمد في امته وانت العالم المكتفي بعلمه عم رعيته والمستغني بما علمك نبيك عن خاصته وهم محتاجون اليك وانت عنهم غني ، قال له ابو بكر لا ما انا بوصي ، قال له فما انت قال عمر هذا خليفة رسول الله صلع ، قال الجاثليق فانت خليفة نبيك استخلفه على امته ، قال ابو بكر لا ، قال الجاثليق فما هذا الاسم الذي ابتدعتموه وادعيتموه بعد نبيكم فانا قد قرأنا كتب الانبياء وعرفنا سننهم وعندنا علمهم وانا وجدنا الخلافة لا تصلح الا لنبي من انبياء الله عز وجل فانه جعل آدم خليفة في الارض ، وجعل طاعته فرضا على اهل السماء والارض ، ونوه باسم داود فقال يا داود انا جعلناك خليفة في الارض ، فكيف تسميت بهذا الاسم فانت يا شيخ خليفة الله في ارضه ، قال لا ، قال فمن سماك بهذا الاسم ، انبيك سماك به ، قال ابو بكر لا ولكن الناس تراضوا بي فولوني واستخلفوني ، قال الجاثليق فانت خليفة قومك لا خليفة الله ولا خليفة نبيك ، وقد قلت ان النبي لم يوص اليك ، وقد وجدنا في كتب الانبياء صلى الله عليهم ان الله تبارك وتعالى لم يبعث نبيا الا وله وصي يوصي اليه ويحتاج الناس كلهم الى علمه وهو مستغن عنهم ، وقد زعمت انه لم يوص كما اوصت الانبياء ، فادعيت اسما لست من اهله ، فما اراكم الا قد دفعتم نبوة محمد وابطلتم فيه سنن الانبياء في قومهم ، والتفت الى اصحابه فقال ان هؤلاء يقولون ان محمدا لم يأتهم بالنبوة وانما كان امره بالغلبة غلب عليهم فقسرهم وملكهم بالغلبة وقد مضى وتركهم يحذون مثاله فيهم فمن قوي منهم ملك قومه بغلبته وقوته ، وقد عادوا الى امرهم الاول .

قال ثم التفت الجاثليق اليهم فقال يا شيخ اما انت فقد اقررت ان محمدا لم يوص اليك ولم يستخلفك، وانما رضي الناس بك ، ولو رضي الله برضى الخلق واتباعهم اهوائهم واختيارهم لانفسهم ما بعث اليهم النبيين مبشرين ومنذرين وما انزل معهم الكتب ليبينوا للناس ما يأتون ويذرون وما هم مختلفون ، فقد زعمتم ان نبيكم لم يحتذ بسنن الانبياء الذين كانوا قبله، ولم يأتكم برهان ولا دليل بعده، وانه خان الله فيكم ومضى على غير وصية ولا عهد ولم يمض نبي قط حتى يقيم وصيا بعده لامته علما وهاديا ، لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل ، فقد دفعتم الانبياء عن رسالتهم وابطلتم سننهم، واستغنيتم بالجهل باختيار الناس عن اختيار الله عز وجل لعباده الرسل صلوات الله عليهم لاممهم ، واراكم تعظمون بذلك الفرية على الله تعالى وعلى نبيكم ولا ترضون الا ان تسموا بعد ذلك بالخلافة ، وهذا الاسم لا يحل الا لنبي او وصي نبي ، وانما تصح الحجج بتاكيدكم النبوة لنبيكم واخذكم سنن الانبياء في هديكم ، فقد نفيتم ذلك ، ولا بد لنا ان نحتج عليكم فيما ادعيتم حتى نعرف سبيل ما تدعون اليه ونعرف الحق لكم بعد نبيكم ، اصواب فعلكم بايمان او بجهل وكفر ،

ثم قال يا شيخ اجب فالتفت ابو بكر الى ابي عبيدة ليجيب عنه فلم يحر جوابا ،

فال فالتفت الجاثليق الى اصحابه فقال بناء القوم على غير اساس ولا ارى لهم حجة لرشد ، افهمتم ، قالوا نعم ، ثم قال لابي بكر يا شيخ اسألك ،

قال سل عما شئت ،

قال اخبرني عني وعنك ما انت عند الله وما انا عنده

قال ابو بكر اما انا فعند نفسي مؤمن ولا ادري ما انا عند الله ، واما انت فعندي كافر ولا ادري ما انت عنده .

قال الجاثليق اما انت فقد منيت نفسك الكفر بعد الايمان وجهلت مقامك في ايمانك امحق انت ام مبطل ، واما انا منيتني الايمان بعد الكفر ، فما احسن حالي عند الله وما اسوء حالك عند نفسك اذ كنت لا توقن بما لك عند الله ، فقد شهدت لنفسك بالهلاك والكفر ،

قال ابو عبيدة لقد شملنا من الذل والصغار وانقطاع الحجة ما لا يقدر واحد منا ان يحر جوابا ولا يرفع برأسه ،

قال ثم التفت الجاثليق الى اصحابه فقال طيبوا نفسا فقد شهد لكم بالنجاة بعد الكفر وشهد لنفسه واصحابه بالكفر بعد الايمان ،

قال ثم التفت الجاثليق الى ابي بكر فقال يا شيخ ، فاين مكانك الساعة من الجنة اذا ادعيت الايمان ، واين مكاني من النار ،

قال فالتفت ابو بكر الى ابي عبيدة مرة والى عمر ابن الخطاب مرة ليجيبا عنه فلم ينطق واحد منهما بكلمة ، قال ابو بكر ما ادري اين مقامك من النار وما انت عند الله ،

قال الجاثليق يا هذا اخبرني عنك كيف استخرت ان تجلس هذا المجلس وانت محتاج الىعلم غيرك ، فهل في امة نبيك اعلم منك ،

قال ابو بكر نعم ، قال فما اعلمك واياهم الا قد حملوك امرا عظيما ، وشقوا بتقديمهم اياك على من هو اعلم منك ، فان كان هو اعلم منك يعجز عما سألتك كعجزك فامركم واحد في دعواكم ، وان نبيكم ان كان نبيا فقد ضيع علم الله وعهده وميثاقه الذي اخذه على النبيين قبله فيكم في اقامة الاوصياء في اممهم ليفزعوا اليهم فيما يتنازعون فيه من امر دينهم ، فدلوني على هذا الذي زعمتم انه اعلم منكم فعسى ان يكون اولى في محاورته منكم بالجواب الى بيان ما تحتاجون اليه من امر النبوة وسنن الانبياء وقد ظلموك الذين اقاموك وظلموا انفسهم ،

قال سلمان الفارسي فلما رأيت ما نزل بالقوم من الحيرة والذل والصغار وما نزل بدين محمد عليه السلام نهضت لا اعقل اين اضع قدمي الى باب امير المؤمنين علي ابن ابي طالب عليه السلام فقرعت بابه فخرج الي وهو يقول ما دهاك يا سلمان ، قلت ذهب دين محمد عليه السلام وهلك الاسلام بعده وظهر اهل الكفر على دينه واصحابه بالحجة منهم عليهم مع ما اوضح الله به من اهل النفاق وكشف من عيوبهم ودل على وصي محمد عليه السلام ، فادرك يا امير المؤمنين دين محمد فان القوم قد ورد عليهم ما لا طاقة لهم به وانت اليوم مفرج كربها ، وكاشف بلواها ، وصاحب ميسمها ، ومفتاح رتاجها ، ومصباح ظلمها، ومنير منهاجها ،

فقال وما ذاك يا سلما ؟

قلت قدم من عند ملك الروم مائة رجل من اشرافهم وعلمائهم يقدمهم جاثليق لهم لم ار مثله يورد الكلام على معانيه ويصدره على تواليه ، يحكم ابتدائه ويؤكد حجته لم اسمع مثله حجة من مكنون علمه ، فاتى ابا بكر وهو في جماعة فسأله عن مقامه ووصية رسول الله صلع اليه فابطل دعواهم وكفرهم بالخلافة وعابهم بجهلهم مقامه ثم اورد على ابي بكر مسألة اخرجه بها من ايمانه والزمهم الكفر والشك في دينه فعلتهم لذلك ذلة وخضوع وحيرة ، فادرك يا امير المؤمنين دين محمد عليه السلام ،فان القوم قد ورد عليهم ما لا طاقة لهم به ،

قال فنهض امير المؤمنين معي حتى ايتنا القوم وهم قد البسوا الذلة والمهانة والصغار والحيرة ، فسلم ثم جلس عليه السلام مجلسه ، فقال ابو بكر والقوم يا ابا الحسن فرج عنا هذه الغمة فما لها غيرك ، فقال يا نصراني اقبل علي بوجهك واقصدني بمسألتك فعندي جواب ما يحتاج اليه الناس فيما يأتون ويذرون وبالله التوفيق ،

قال فتحول الجاثليق اليه فقال يا شاب انا وجدنا في كتب الانبياء ان الله عز وجل لم يبعث نبيا قط الا كان له وصي يقوم مقامه، وبلغنا اختلاف امة محمد في مقام نبيها ، وادعاء قريش على الانصار وادعاء الانصار على قريش واختيارهم لانفسهم، فبعثنا لنبحث عن دين محمد ومعرفة سنن الانبياء فيه، والاستماع من قومه الذين ادعوا مقامه احق ذلك ام باطل، ام كذبوا عليه كما كذبت الامم بعد انبيائها عليهم، ودفعت الاوصياء عن حقوقهم ، وانا وجدنا قوم موسى اختلفوا من بعده وعكفوا على ا لعجل ودفعوا هارون عن وصيته، واختاروا عليه بآرائهم، وكذلك سنة الله في الذين خلوا من قبل ولن تجد لسنة الله تبديلا ،

فلما قدمنا ارشدنا الى هذا الشيخ فادعى مقامه، وان الامر له من بعده فسألته عن الوصية اليه من نبيه فلم يعرفها ، وسألته عن قرابته منه اذا كانت الدعوة من ابراهيم عليه السلام قد سبقت في الذين هم الائمة ان لا يناله الا ذرية بعضها من بعض ولا ينال من الظلمة احد الا مطهر مصطفى من قرابته الادنين اليه من محمد عليه السلام على ما جاءت به النبيون ، واختلاف الامة على الوصي كما اختلفت على من مضى من الاوصياء ومعرفة الفترة فيهم ، فان وجدنا لهذا الرسول وصيا قائما بعده وعنده علم ما يحتاج اليه الناس يجيب بجواب نبيه ويخبر عن اسباب البلايا والمنايا وفصل الخطاب وما يحيط به من العلم في كل سنة وما تنزل به الملائكة والروح صدقنا بنبوته واجبنا دعوته واقتدينا بوصيه وآمنا به وبكتابه وبما جاءت به الرسل من قبله ، وان يكن غير ذلك رجعنا الى بلدنا واقمنا علىديننا وعلمنا ان محمدا لم يبعث بعد ، وقد سألنا هذا الشيخ ولم ينجد عنده تصحيحا لنبوة محمد ووجدنا محمدا انما غلب على قومه فملكهم بالقهر لهم ولم تكن عنده آية النبوة ولامعرفة ما جاءت به الرسل والانبياء قبله ، وانه مضى وتركهم مهملين فغلب بعضهم بعضا وتركها جاهلية مثل ما كانوا يختارون لانفسهم بآرائهم اي دين احبوا واي ملك ارادوا ، فاخرجوا محمدا من سبيل الانبياء وجهلوه في رسالته ودفعوا في وصيه وزعموا ان الجاهل يقوم مقام العالم، وفي ذلك هلاك الحرث والنسل والفساد في البر والبحر ، وحاش لله ان يبعث نبيا الا مطهرا مسددا مصطفى علىالعالم ، فان العالم امير على الجاهل ابدا الى يوم القيامة،

فسألته عن اسمه فقال الذي الى جنبه انه خليفة رسول الله، فقلت ان هذا الاسم لا نعرفه لاحد بعد النبي الا ان يكون لغة من لغات العرب ، فاما من اسم الخليفة فلا تصح الا لآدم وداود ومن كان مثلهما عليهما السلام ، والاوصياء ، وانكم لتعظمون الفرية علىا لله وعلى رسوله، فانتفى من العلم واعتذر من الاسم ، وقال انما تراضى بي الناس وسموني بهذا الاسم وفي الامة من هو اعلم مني، فاكتفيت بما حكم به على نفسه وعلى من اختاره ، وانما قدمت مسترشدا وباحثا عن الحق ، فان صح لي اتبعه ولم يأخذني في الله لومة لائم ، فهل عندك ايها الشاب شفاء لما في صدورنا ،

فقال علي ابن ابي طالب عليه السلام بلى عندي لما في صدوركم وضياء لقلوبكم ، وشرح لما انتم عليه وبيان لما يتخالجكم الشك معه ، واخبار من اموركم وبرهان لدلالتكم ، فاقبل علي بوجهك وفرغ لي مسامع قلبك واحضر لي ذهنك وع ما اقول ان الله بمنه وطوله وله الحمد كثيرا قد صدق وعده واعز جنده ونصر محمدا عبده وهزم الاحزاب وحده ، فله الحمد وله الملك يحيي ويميت ، وهو على كل شيء قدير فان الله تبارك وتعالى اختص محمدا واصطفاه ، وطهره وهداه واختاره واجتباه وانتجبه برسالته الى الناس كافة برحمته الى العالمين برأفته وفرض طاعته على اهل السماء واهل الارض وجعله اماما لمن قبله من الرسل ونجاة لمن بعده من الخلق وورّثه مواريث الانبياء واعطاه مقاليد الدنيا والآخرة واتخذه نبيا ورسولا من الخلق وحبيبا وخليلا واماما ورفعه اليه وقرّبه من عرشه حيث لم يبلغه ملك مقرب ، ولا نبي مرسل فاوحى اليه ما اوحى ، ما كذب الفؤاد ما رأى ، وانزل علامته على الانبياء ، واخذ ميثاقه لتؤمنن به ولتنصرنه ، قال اقررتم واخذتم على ذلكم اصري ، قالوا اقررنا قال فاشهدوا وانا معكم من الشاهدين ، وقال يجدونه مكتوبا عندهم في التوراة والانجيل يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث ويضع عنه اصرهم والاغلال التي كانت عليهم عليهم ، فالذين آمنوا به وعزروه ونصروه واتبعوا النور الذي انزل معه اولئك هم المفلحون ، فما مضى صلى الله عليه وآله حتى اتم الله له مقامه واعطاه وسيلته ورفع درجته فلن يذكر تبارك وتعالى الا ما كان محمد مقرونا بذكره وفرض طاعته وقرن بطاعته وقال من يطع الرسول فقد اطاع الله ، وقال وما اتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا ، فبلغ عن الله تعالى رسالته واوضح برهان دلالته واحكم آياته وشرع شرائعه واحكامه ودلهم على سبيل نجاتهم وباب مدينة حكمته ، وكذلك بشر به النبيون قبله وبشر به عيسى ابن مريم روح الله وكلمته اذ يقول في الانجيل احمد العربي صاحب الناقة والجمل الاحمر والقضيب الازهر ، قاقام للامة وصيه وعيبة علمه وموضع سره ومحكم آيات كتابه وخلفه مع كتاب الله فيهم واكد عليهم فيهما الحجة ، فقال قد خلفت فيكم ما ان تمسكتم به لن تضلوا كتاب الله الثقل الاكبر حبل ممدود من السماء الى الارض طرف منه بيد الله والطرف الثاني بايديكم، وعترتي اهل بيتي وانهما لن يفترقا حتى يردا علي الحوض ، فلا تقدموهم فتمزقوا ولا تؤخروا عنهم فتهلكوا ، ولا تعلموهم فانهم اعلم منكم، وانا وصيه والقائم بامره وولي كتابه، والعارض بحلاله وحرامه ، ومحكمه ومتشابهه ، وناسخه ومنسوخه ، وامثاله وغيره وتصاريفه وعندي علم ما يحتاجونا اليه امته من بعده من كل قائم متلو ، وعندي علم البلايا والمنايا والوصايا والآيات والاسباب ، وفصل الخطاب ، ومولد الاسلام والكفر ، وانا صاحب الكوثر ، وانا الفاروق الاكبر ، وانا صاحب الكرات ، ودولة الدول ، فاسئلوني عما كان على عهد كل نبي بعثه الله عز وجل وعن كل شيء وعن فئة تضل فئة او تهدي فئة وعن سائقها وناعقها وقائدها الى يوم القيامة ، وعن كل آية نزلت في كتاب الله في ليل او نهار وعن التوراة والانجيل والزبور والفرقان العظيم ، فانه صلع لم يكتم عني شيئا علمه ولا شيئا يحتاج الامم اليه واصناف الملحدين واديان المختلفين اذ كان عليه السلام خاتم النبيين ووارثهم، واليه صارت رسالاتهم وكتبهم وعلمهم، وعليهم فرضت طاعته والايمان به والنصر له، يجدون ذلك مكتوبا عندهم في التوراة والانجيل والزبور والصحف الاولى صحف ابراهيم وموسى ، ولم يكن صلع ليضيع عهد الله في عباده وبلاده ويترك الامة مهملين بعده ، وكيف يكون ذلك وقد وصفه الله بالرأفة والرحمة لهم والمغفرة عنهم والامر بالمعروف والنهي عن المنكر واقامة القسطاس المستقيم ، وان الله اوحى اليه كما اوحى الى نوح والنبيين من بعده وكما اوحى الى موسى فصدق الله وصدق رسوله وانا على ذلك من الشاهدين ، وقد قال تبارك وتعالى فكيف اذا جئنا من كل امة بشهيد وجئنا بك علىهؤلاء شهيدا ، وقال قل كفى بالله شهيدا بيني وبينكم ومن عنده علم الكتاب، وانا الذي عندي علم الكتاب وقد صدقه الله واعطاه الوسيلة اليه في وصيه ، ولا يخلي امته من وسيلة الى الله واليه ، فقال يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله وابتغوا اليه الوسيلة وجاهدوا في سبيله لعلكم تفلحون، وقال يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين ، فنحن الصادقون وانا اخوه في الدنيا والآخرة ، وانا وسيلة فيما بينه وبين امته والشاهد عليهم بعده ، وانا ولدي ذريته ، وانا وهم كسفينة نوح في قومه من ركبها نجى ومن تخلف عنها هلك ، وانا فيهم كباب حطة في بني اسرائيل، وانا منه بمنزلة هارون من موسى الا انه لا نبي بعده، فانا الشاهد منه في الدنيا والآخرة وهو على بينة من ربه وبفرض طاعتي ومحبتي ميز الله بين اهل الايمان واهل النفاق والكفر ، فمن احبني كان مؤمنا، ومن ابغضني كان كافرا ، والله ما كذبت ولا كذبت ولا ضللت ولا ضل بي ، واني على بينة من ربي بيّنها لنبيه ، وبينها لي نبيه صلع ، فاسئلوني عما كان وما هو كائن الى يوم القيامة.

فالتفت الجاثليق الى اصحابه فقال هذا والله الناطق بعلم ، والراتق والفاتق ، وترجوان تكون قد صادفنا حظنا ونور هدايتنا ، وهذه والله حجج الانبياء والاوصياء من الانبياء على الامم ،

قال ثم التفت الجاثليق الى علي ابن ابي طالب صلوات الله عليه قال كيف عدل بك القوم عن قصدهم وادعوا ما انت احق منه ، وما ارى القوم الا قد وقع فيهم الامر بظلمهم لانفسهم ، وما ضر الاوصياء ذلك مع ما اغناهم الله به من العلم والاستحقاق لمقامات انبيائهم ودفع من استأثر عليهم بحقهم اذ كان الله انيسهم ووليهم ومولاهم، فاخبرني ايها العالم الحكيم عني وعنك ما انت عند الله وما انا عنده ؟ واين مكانك من الجنة واين مكاني من النار؟

فقال علي عليه السلام : اما انا فعند الله مؤمن وعند نفسي مؤمن بفضل الله وبرحمته وبهدايته ونعمته علي ، وبذلك اخذ الله ميثاقي على الايمان وهداني بمعرفته ولا شك في ذلك ولا ارتاب ، لم ازل علىما اخذ الله من الميثاق لم اغير ولم ابدل منا من الله تعالى علينا ورحمته منه ، وانا في الجنة لا شك في ذلك فان الشك شرك لما اعطاني من اليقين والبينة ،

واما انت فعند الله كافر بجحودك الميثاق والاقرار الذي اخذ الله عليك بعد خروجك من بطن امك وبلوغك العقل ومعرفتك بالتمييز الجيد والردي والخير والشر، واقرارك بالرسل وجحودك بما انزل الله في الانجيل من اخبار النبيين، فان مت على هذا الحال كنت في النار لا محالة ،

قال فاخبرني عن مكاني من النار ومكانك من الجنة ، قال اما الجنة والنار فلم ادخلهما فاعرف مكانك من النار ومكاني من الجنة ولكن اعرفك ذلك من كتاب الله تعالى ، ان الله تعالى بعث محمدا بالحق وانزله كتابا عزيزا لا يأتيه الباطل من بين يديه ولامن خلفه تنزيل من حكيم حميد ، فيه جميع علمه ، واخبر رسول الله صلع عن الجنة ودرجاتها ومنازلها ، وقسم الله الجنان بين خلقه فجعل كل عامل منهم جزاء وثوابا واحلهم فيها على قدر منازلهم وفضائلهم في الاعمال وهم درجات عند الله ووصف المنازل فيها على قدر درجات اهل الفضل بالعمل والايمان فصدقنا الله عز وجل وعرفنا منازل الابرار ، وكذلك منازل الفجار ، وما اعد الله لهم من النار والعذاب ، فقال لها سبعة ابواب لكل باب منهم جزء مقسوم ، وقد قال تبارك وتعالى ان في ذلك لآيات للمتوسمين، وكان رسول الله صلع المتوسم بعرف كل الخلق بسيماهم ، وانا بعده المتوسم والائمة من ذريتي هم المتوسمون الى يوم القيامة ، لان الله عز وجل اخبرنا عن قصـص الامم واخبارهم ورهبانهم وباي عمل من اسباب الكفر والظلم والعدوان هلكوا وانزل في نبيه بذلك قرآنا فقال ان في ذلك لآيات للمتوسمين ، وانها لبسبيل مقيم ، فكذلك السبيل المقيم بعد النبي صلع هو الوصي ،

قال فالتفت الجاثليق الى اصحابه فقال قد اصبتم ارادتكم، وارجو ان تظفروا بالحق الذي طلبناه الا ان قد بقي لنا مسائل فان اجابنا فيها نظرنا في امرنا وقبلنا الحق منه ،

قال علي ابن ابي طالب عليه السلام : فان انا اجبتك عما سألتني عنه ببيان وبرهان واضح لا تجد له مدفعا ولا من قبوله بدا ا تدخل في ديننا ، قال نعم ، قال فالله عليك راع كفيل ، اذ اوضح لك الحق وعرفت الهدى ان تدخل في ديننا انت واصحابك ، قال الجاثليق نعم كذلك الله راع كفيل ، اني افعل ذلك ، قال علي عليه السلام فخذ على اصحابك انت العهد بالوفاء ، قال فاخذ عليهم العهد بالوفاء ، ثم قال علي عليه السلام سل عما احببت ،

قال له الجاثليق اخبرني عن الله ايحمل العرش ام العرش يحمله، قال علي صلوات الله عليه بل الله حامل العرش والسموات والارض ان تزولا لئن امسكهما من احد من بعده انه كان حليما غفورا ،

قال اخبرني عن قول الله عز وجل ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية ، فكيف ذلك وقد قلت انه يحمل العرش والسموات والارض ،

قال له علي صلوات الله عليه ان العرش خلقه الله من انوار اربعة نورا احمرا حمرت منه الحمرة ، ونورا اخضرا خضرت منه الخضرة ، ونورا اصفرا صفرت منه الصفرة، ونورا ابيض منه ابيض البياض ، وهو العلم الذي حمله الله الحملة ، وذلك نور من نور عظمته عز وجل فبنوره ابصر قلوب المؤمنين وبعظمته عاداه الجاهلون ، وبعظمته ابتغى من في السموات والارض جميعا اليه الوسيلة بالاعمال المختلفة والاديان المتشتتة، كل نور يحمله الله ونوره وعظمته وقدرته لا يستطيع لنفسه ضرا ولا نفعا ولا موتا ولا حيوة ولا نشورا ، فكل شيء محمول فالله تعالى الممسك له والمحيط به بما فيه من شيء وهو حيوة كل شيء ونور كل شيء سبحانه وتعالى عما يقولون علوا كبيرا ، قال فاخبرني عن الله عز وجل اين هو قال هو ههنا وههنا وفوقتا وتحتنا ومحيط بنا وهو معنا لا يزول وهو في السماء اله وفي الارض اله فوق كل شيء ، وهو قوله ما يكون من نجوى ثلاثة الا هو رابعهم ، ولا خمسة الا هو سادسهم ، ولا ادنى من ذلك ولا اكثر الا هو معهم اينما كانوا ، وهو اقرب من حبل الوريد ، فالعرش محيط بالسموات والارض ومحيط بذلك تبارك وتعالى عال على ذلك كله من غير مماسّة لا تدركه الابصار وهو يدرك الابصار وهو اللطيف الخبير وذلك قوله له ما في السموات وما في الارض وما بينهما وما تحت الثرى ، وان تجهر بالقول فانه يعلم السر واخفى، وهو قوله وسع كرسيه السموات والارض ولا يؤده حفظهما وهو العلي العظيم ، فالذين يحملون العرش هم العلماء الذين حملهم الله علمه وليس يخرج من هذه الانوار الاربعة شيء مما خلق الله عز وجل في ملكوته وهو الملكوت الذي اراه الله انبيائه واراه ابراهيم خليله فقال وكذلك نري ابراهيم ملكوت السموات والارض وليكون من المؤقنين ، وكيف يحمل حملة العرش الله عز وجل وبحيوته حيت قلوبهم وبضياء نوره اهتدوا الى معرفته ، قال فالتفت الجاثليق الى اصحابه ، فقال هذا والله الحق من عند الله على لسان المسيح والنبيين والاوصياء من بعدهم ، ثم قال اخبرني عن الجنة اهي في الدنيا ام في الآخرة ، وعن الآخرة اين هي من الدنيا واين الدنيا من الآخرة ، فقال صلوات الله عليه الدنيا في الآخرة والآخرة محيطة بالدنيا اذ كانت النقلة من الحيوة الى الموت ظاهرة في الدنيا وكانت الآخرة هي دار الحيوان لو كانوا يعلمون ، وذلك ان الدنيا نقلة وموت الآخرة حياة وبقاء ومثل ذلك مثل النائم ، وذلك ان الجسد ينام والروح لا ينام والبدن يموت والروح لا يموت ، وقد قال الله تعالى ان الدار الآخرة لهي الحيوان لو كانوا يعلمون ، فالدنيا رسم الآخرة والآخرة رسم الدنيا ، وليست الدنيا الآخرة اذا فارق الروح الجسم رجع كل واحد منهما الى الذي منه بدى ، ومنه خلق ، وكذلك الجنة والنار موجودان في الدنيا موجودان في الآخرة لان العبد اذا مات صار الى الارض اما الى روضة من رياض الجنة او حفرة من حفر النار ، وروحه الى احد الدارين اما مقيم لا يموت فيه ابدا ، واما عذاب اليم لا يموت فيه ابدا ، والرسم لمن عقل موجود واضح ، وقد قال الله سبحانه كلا سوف تعلمون ثم كلا سوف تعلمون ، كلا لو تعلمون علم اليقين لترون الجحيم ثم لترونها عين اليقين ثم لتسئلن يومئذ عن النعيم ، وعير الكافر بجهله ، فقال الذين كانت اعينهم في غطاء عن ذكري وكانوا لا يستطيعون سمعا، ولو علم الانسان علم ما هو فيه لمات فجاءة من الخوف والوجل ، ومن نجى فبفضل الله عز وجل عليه ،

قال فاخبرني عن قوله يوم تبدل الارض غير الارض والسموات ، وقوله والارض جميعا قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه ، فاذا طويت السموات وقبضت الارض فاين يكون الجنة والنار وما فيها ،

قال فدعى علي صلوات الله عليه بدوات وقرطاس وكتب فيه آية الجنة والنار ثم ادرجه ورفعه الى النصراني ، ثم قال اليس قد طويت الكتاب ، قال نعم فافتحه ففتحه، قال فقد ترى آية الجنة وآية النار ، محاهما طي القرطاس ، قال لا ، فهكذا قدرة الله تعالى اذا طوى السموات وقبض الارض لم تبطل الجنة ولا النار كما لم يبطل في طي هذه القرطاس آية الجنة ولا آية النار ،

قال فاخبرني عن قوله كل شيء هالك الا وجهه ، فما هذا الوجه ، وكيف هو واين هو وما دليلنا عليه ،

فقال عليه السلام يا غلام علي بحطب ونار وامر ان تضرم ، فلما اضرمت واستوقدت واشتعلت قال يا نصراني هل ترى لهذه النار وجها دون وجه ، قال لا هي من كل جانب وجه حيث ما انتهى فهي وجه ، قال له علي عليه السلام فاذا كانت هذه النار المخلوقة المحرقة المدبرة في وضعها المدبرة المخلوقة في ضعفها وسرعة زوالها لا يوجد لها وجه دون وجه ولا يعرف لها احد يقصد بوجه معلوم موصوف محدود فكيف بمن خالق هذه النار وجميع ما في ملكوته من شيء واحاطه به علمه حاشا لله عز وجل ان يوصف بوجه وان يحد بحد او ان يدركه بصر او يحيط به عقل او يضبطه وهم متوهم، فدلنا على الله عز وجل انه ليس كمثله شيء ، قال الجاثليق صدقت ايها الوصي العا لم البر الرحيم الرفيق الحكيم اشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له وان محمدا عبده ورسوله ارسله بالحق بشيرا ونذيرا ، وانك وصيه وصديقه ووليه وموضع سره وامينه على اهل ملته ، وولي المؤمنين من بعده، من احبك وتولاك هديته، ونورت قلبه وكفيته وشفيته، ومن تولى عنك وصد عن سبيلك بخس حظه واتبع هواه بغير هدى من الله ورسوله، وكفاني بهدايتك ونورك هاديا وكافيا وشافيا ،

قال ثم التفت الجاثليق الى القوم فقال يا هؤلاء قد تركتم سبيلك واخطأتم سنة نبيكم صلى الله عليه وآله فاتبعوه تهتدوا وترشدوا فما دعاكم الى ما فعلتم ما اعرف لكم عذرا بعد الحجة عليكم ، واشهد انها سنة الله في الذين خلوا من قبل لا تبديل لكلمات الله، ولقد امركم الله بطاعة الاوصياء بعد الانبياء ، فما هذه القلوب القاسية والحسد الظاهر والضغن الموبق والافك المبين ،

قال فاسلم الجاثليق ومن معه من اصحابه وشهدوا لمحمد صلع بالحق وانه الموصوف المنعوت في التوراة والانجيل ، واقروا لعلي عليه السلام بالوصية ثم خرجوا منصرفين الى ملكهم ليؤدوا عليه ما عاينوا وسمعوا .

فقال علي صلوات الله عليه : الحمد لله الذي اوضح برهانه لمحمد صلع وصدق وعده واعز دينه واظهره على الدين كله ولو كره المشركون ،

قال فتباشر القوم بحجج علي صلوات الله عليه وبيانه ما اوضح لهم وانكشف عنهم الذلة ، اعني الذين حضروا من المسلمين ، فقال احسن الله جزاك يا ابا الحسن عن نبيك ، فقد قمت بحقه ، والذب عن دينه، وابقاك الله فينا فما ابقاك فنحن بخير ، فقال فتفرقوا كأنهم لم يسمعوا شيئا مما فهمه القوم الذين عندهم ونسوا ما ذكروا به ،

قال سلمان فلما خرجوا من المسجد وتفرق الناس وارادوا الرحلة الى بلدهم اتوا عليا عليه السلام مسلمين عليه مودعين له فاستأذنوه فخرج اليهم فجلسوا اليه فقال الجاثليق يا وصي محمد وابا ذريته ما نرى الامة الا هالكة هلاك من مضى من بني اسرائيل من قوم موسى بتركهم هارون وعكوفهم على امر السامري ، وانا وجدنا لكل نبي بعثه الله عدوا من شياطين الجن والانس ، والآن فقد ارانا الله وعد الصادقين ، والمعرفة بهلاك هؤلاء القوم، فبين لنا سبيلهم وسبيلك، وبصرنا ما اعماهم عنه، ونحن اولياؤك على دينك فأمرنا بامرك، ان احببت اقمنا معك ونصرنا على عدوك ، وان امرتنا بالمسير سرنا، والى ما عرفتنا اليه صرنا ، وقد نرى صبرك على ما ارتكب القوم منك والله وليك وكذلك سيما الاوصياء وسننهم بعد انبيائهم ، فهل عندك من نبيك صلع عهد فيما انت فيه وهم؟

فقال علي صلوات الله عليه نعم ان عندي عهدا من رسول الله صلع بما هم عاملون واليه صائرون وكيف يخفى عنه امرامته ومنزلتي منه كمنزلة هارون من موسى عليه السلام ومنزلة شمعون من عيسى ، او ما تعلمون امة موسى صلى الله عليه افترقت على احدى وسبعين فرقة كلها هالكة الا فرقة واحدة وان شمعون اختلفت عليه امتي عيسى على اربع فرق وافترقت الاربع على اثنين وسبعين فرقة كلها هالكة الا فرقة واحدة ، وقد عهد الي رسول الله صلع ان امته ستفترق على ثلاث وسبعين فرقة كلها هالكة الا فرقة واحدة من الثلاث والسبعين ، ثلاثة عشرة فرقة تدّعي مودتنا ، كلها هالكة الا فرقة واحدة ، واني على بينة من ربي ومن نبيي صلى الله عليه وآله ، وعالم بما يصير اليه القوم ، ولهم مدة واجل معلوم لان الله عز وجل يقول وان ادري لعله فتنة لكم ومتاع الى حين ، وقد عفى الله عز وجل عن هؤلاء من القتل لما هو بالغ امره وذكر نفاقهم وحسدهم وان الله سيخرج اضغانهم ومرض قلوبهم بعد فراق نبيهم صلع ، فقال يحذر المنافقون ان تنزل عليهم سورة تنبئهم بما في قلوبهم ، قل استهزؤا ان الله مخرج ما كنتم تكتمون ، وقال ولئن سألتهم ليقولن انما كنا نخوض ونلعب ، قل ابالله وآياته ورسله كنتم تستهزؤن ، لا تعتذروا قد كفرتم بعد ايمانكم ، وما اعطيه النبي من العهود والمواثيق في وصيه الا تقدموا بين يدي الله ورسوله ان نعف عن طائفة منكم نعذب طائفة بانهم كانوا مجرمين ، فقد عفى عن هؤلاء ووعدني رسول الله صلع ان اظهر على اهل الفتنة ويرجع الامر الي وان كبر المبطلون ، وعندي من رسول الله صلع كتاب كتبته بخطي املاه علي رسول الله صلع في المصالحة والمهادنة على ان تحدثوا حدثا ولا تووا محدثا ، فلكم الوفاء ما وفيتم ولكم الذمة والعهد ما اقمتم علىالوفاء بعهدكم وعلينا مثل ذلك وليس هذا اوان نصرة ولا سل سيف ولا قيام عليهم بحق ما لم يقبلوا الي ويطيعوني ويعطوني طاعتهم اذ كانت فريضة من الله ورسوله عليهم كاحد الفرائض التي فرض الله لهم مثل الصلوة والزكوة والصيام والحج ، فما تمام هذه الحدود والفرائض الا بعالم والعالم القائم بها افضل منها اذ كان هو الذي يهدي الى الحق ، وهو احق ان يتبع، ولقد انزل الله سبحانه في ذلك آية فقال قل هل من شركائكم من يهدي الى الحق ، قل الله يهدي للحق ، افمن يهدي الى الحق احق ان يتبع امن لا يهدي الا ان يهدى فما لكم كيف تحكمون ، فامامتي رحمكم الله فريضة من الله ورسوله عليكم بل افضل الفرائض واعلاها واجمعها للخيرات واحكمها للدعائم من الايمان وشرائع الاسلام، ولما يحتاج اليه الحق لصلاحهم وفسادهم وامر دنياهم واخراهم ، فقد تولوا عني ودفعوا فضلي وفرض رسول الله صلع امامتي وسلوك سبيلي فاستغنوا بالجهل عن العلم ، وقد رأيتم ما شملهم من الذلة والصغار ومن دحض الحجة وكيف اثبت الله عليه الحجة في قدومكم وكيف نسوا ما ذكروا به من عهد نبيهم اليهم وما اكد الله عليهم من طاعتي واخبرهم به من مقامي وبلغهم من رسالة ربه تبارك وتعالى في فقرهم الى علمي وغنائي عنهم وعن كل الامة بما اعطاني وكيف آسا على من صد عن الحق بعد ما تبين واتخذ الهه هواه واضله الله علىعلم ، وختم على سمعه وقلبه وجعل على بصره غشاوة ، فمن يهديه من بعد الله ان هدى الله هو الهدى ، وهما سبيلان سبيل الجنة وسبيل النار والدنيا والآخرة فقد رأيتم ما انزل الله بالقوم من استحقاق العذاب الذي عذبه من قبلهم منهم من الامم الماضية وكيف بدلوا كلام الله وكيف جرت السنة في الذين خلوا من قبلكم فعليكم بالتمسك بحبل الله وعروته وكونوا في حزب الله ورسوله والزموا عهد رسول الله صلع وميثاقه عليكم ، فان الاسلام بدى غريبا وسيعود غريبا فطوبى للغرباء ، وكونوا غرباء في ملتكم كاصحاب الكهف واياكم ان تفشوا اسراركم الى اهل او ولد ولا حميم ولا قريب، فانه دين الله الذي احب له ولاوليائه ، فيقتلكم قومكم ، وان اصبتم من الملك فرصة القيتم اليه بقدر ما ترون من قبوله فانه باب الله وحظ الايمان لا يدخله الا من اخذ الله ورسوله ميثاقه في قلبه وايمانه على نفسه ، فانصرفوا الى بلادكم على عهدكم الذي عاهدتموني فانه سيأتي على الناس برهة من دهرهم بملوك من بعدي وبعد هؤلاء يغيرون دين الله عز وجل ويحرفون كلامه ويقتلون اولياء الله ويغزون اعداء الله ويكثروا البدع وتدرس السنن حتى يملأ الارض جورا وعدوانا ، ثم يكشف الله بنا اهل البيت البلاء عن اهل دعوة الله تبارك وتعالى بعد شدة من البلاء العظيم حتى تملأها قسطا وعدلا كما ملئت جورا وخبطا ، الا وقد عهد الي رسول الله صلع عهدا ان الامر صائر الي بعد خمس وعشرين سنة من وفاته وظهور الفتن واختلاف الامم على مروقهم من دين الله وامرني بقتال الناكثين والقاسطين والمارقين، فمن ادرك منكم ذلك الزمان وتلك الامور فاراد ان يأخذ بحظه من الجهاد معي فليفعل فانه والله الجهاد الصافي صفائه على كتاب الله وسنة رسول الله صلع فكونوا رحمكم الله من احلاس بيوتكم الى ظهور امرنا ، فمن مات منكم كان مرابطا ، ومن عاش منكم ادرك ما تقر به عينه ان شاء الله ، الا واني ساخبركم انكم ستحملون على خطة جهلهم ويستقيمون عليكم عهد نبينا عليه السلام عندكم لقلة علمهم مما يأتون ويذرون ، وسيكون فيكم ملوك ان يدرس عندهم العهد وينسون ما ذكروا به ويحل بهم ما حل بالامم حتى يصيروا الى الهرج واعتذار فساد العهد ، وذلك بطول المدجة وشدة المحنة التي صبرت عليها وسلمت لامر الله في خطة يدق فيها الصغير ويهرم فيها الكبير ويكدح المؤمن حتى يلقى ربه ، وواها للمتمسكين بالثقلين وبما يعمدان به وواها للفراخ فراخ آل محمد من خليفة مستخلف جبار مترف يفتل الخلف وخلف الخلف ، اللهم انك لا تخلي الارض من قائم بحجة اما ظاهرا موجودا واما خائفا مغمورا لئلا تبطل حجج انبيائك، وتبقى علما يعرف به دينك في دولة اهل الباطل ويكون نجاة لمن تبعه واقتدى به بل اين اولئك منكم ، اولئك هم الاقلون عددا، والاعظمون عند الله قدرا ، بهم يحفظ الله علمه وحكمته حتى يزرعوها في صدور اشباههم ويودعوها امثالهم ، هجم بهم العلم على حقيقة الايمان واستراحوا لذلك بروح اليقين، فانسوا بما استوحش منهم الجاهلون واستلانوا بما استوعره المترفون واباه المشركون وصحبوا الدنيا بابدان ارواحها معلقة بالملأ الاعلى، اولئك حجج الله في ارضه وامنائه على خلقه ، يا شوقاه الى رؤيتهم وواها لهم على صبرهم على عدوهم في حال مدتهم ، فيجمعنا الله واياهم في جنات عدن ومن صلح من آبائهم وازواجهم وذرياتهم ،

قال ثم بكى امير المؤمنين صلوات الله عليه وبكى القوم وودعوه ، وقالوا نشهد لك بالامامة والوصية والاخوة، وان عندنا لصفتك وصورتك ونعتك ونعت ابنيك الحسن والحسين وزوجتك فاطمة سيدة نساء العالمين بحد البكر البتول ،وان ذلك عندنا لمأثور محفوظ ، ونحن راجعون الى الملك ومخبروه بما اودعتنا من نور برهانك وكنوز هدايتك وكرمك في صبرك علىما انت فيه ونحن المرابطون لدولتك ، فما اطول هذه المدة علينا ونحن نسأل الله التوفيق للامر والهداية على الرشد والسلام عليك ورحمة الله وبركاته ،

قال سلمان الفارسي رضوان الله عليه ثم خرجوا وركبوا على دوابهم وانصرفوا الى بلادهم .

ولامير المؤمنين علي ابن ابي طالب عليه السلام من اقامة الاسلام وايضاح براهينه للانام ما هو معروف مشهور ، وقد اجتمع عليه الجمهور مما يدل على فضله وعلمه وتقدمه على كافة الصحابة في حكمه ما لو اطلنا وصفه لطال بنا الشرح واتسع واحتجنا على افراد كتاب نورد فيه من ذلك النبذ واللمع ، وقد ذكرنا في كتابنا هذا ما يهتدي به من اعترف بالهدى وينال من خير ذخر في السعداء ،

ونحن الآن نشرح ذكر ما اجمع عليه من فضائل الصحابة ، وان عليا عليه السلام جامع لها ، وقل ما اجتمع في احد منهم خصلتان وقد صارت فيه كلها ،

فاجمع المسلمون على ان السبق الى الاسلام هو افضل الفضائل التي تفاضل بها المؤمنون لقول الله تعالى السابقون السابقون اولئك المقربون ، فكان علي ابن ابي طالب صلوات الله عليه اسبق الناس الى الاسلام واولهم ايمانا بالنبي عليه وعلى آله الطاهرين افضل الصلوة والسلام ، ثم ذكروا بالسبق ابا بكر ، وهم يزعمون انه اول من اسلم بعد علي ابن ابي طالب صلوات الله عليه ، وقيل زيد بن حارثة كان سابقا له ، وقد قيل ان اول من اسلم بعد علي ابن ابي طالب صلوات الله عليه اخاه جعفر ابن ابي طالب ،وان ابا طالب مر برسول الله وعلي عليهما السلام وهما يصليان فقال لابنه جعفر صل جناح ابن عمك ، وقد قدمنا ذكر ذلك ، فعدوا ابا بكر من السابقين وعثمان وطلحة والزبير وسعد ابن ابي وقاص وابا ذر والمقداد وعمار وعبد الله ابن مسعود ابن زيد وخباب بن الارت وصهيب وبلال ، فاما عمر فان اسلامه بعد ناس كثير ولا اختلاف بينهم ان علي ابن ابي طالب صلوات الله اول السابقين الى الاسلام والمتقدم عليهم بعد الرسول صلع الى توحيد رب العالمين ، لم يسبقه بعده من الرجال احد ، وهو اول من شهد برسالة النبي عليه السلام ووحد مع انه لم يعبد صنما ولم يحتقب اثما وجميعهم لم يدخلوا في الاسلام حتى احتقبوا الآثام، وعبد كل منهم الاصنام ،

وذكروا فضل القربى بعد السبق لقول الله عز وجل قل لا اسألكم عليه اجرا الا المودة في القربى ، وقوله تعالى ان الله اصطفى آدم ونوحا وآل ابراهيم وآل عمران على العالمين ذرية بعضها من بعض والله سميع عليم ، وقوله تعالى واتقوا الله الذي تساءلون به والارحام ، وقوله تعالى وانذر عشيرتك الاقربين ، وقوله تعالى فمن حاجك فيه من بعد جاءك العلم فقل تعالوا ندع ابناءنا وابنائكم ونساءنا ونسائكم وانفسنا وانفسكم ثم نبتهل فنجعل لعنة الله على الكاذبين ، وقوله تعالى واولو الارحام بعضهم اولى ببعض في كتاب الله ، وقوله تعالى واعلموا انما غنمتم من شيء فان لله خمسه وللرسول ولذي القربى ، وكان الذين يعدون من قرابة رسول الله صلع علي ابن ابي طالب عليه السلام وحمزة بن عبد المطلب وجعفر بن ابي طالب والعباس ابن عبد المطلب رضوان الله عليهم، والحسن والحسين رضوان الله عليهما وصلواته ، وبنو العباس وهم عبد الله وعبيد الله والفضل، وعبيدة ابن الحارث واخوه ابو سفيان ومن حل محلهم ممن حرم الله عليهم الصدقة على لسان رسوله صلع كما حرم الله عليه لانها طهارات الناس وغسالات ذنوبهم وعوضهم منها الخمس اكراما لهم ، وكان علي ابن طالب صلوات الله عليه اخصهم برسول الله صلع وادناهم واولاهم به وقد ذكرنا بعض ذلك وورثه دون عمه العباس وهو حاضر مسلم له لم يعارضه في شيء من ذلك باكثر مما ذكر من محاكمتهما الى ابي بكر فقضى لعلي عليه السلام ، وانما اراد العباس بذلك بيان فضل علي عليه السلام واقامة الحجة على ابي بكر لا انه جهل فضله، فلا يجهل ذلك مثله.

وذكروا فضل العلم بكتاب الله عز وجل واحكامه وحلاله وحرامه لقول الله تعالى هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون ، انما يتذكر اولو الالباب ، وقوله تعالى يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين اوتوا العلم درجات ، وقوله تعالى فاسألوا اهل الذكر ان كنتم لا تعلمون ، وقوله تعالى لعلمه الذين يستنبطونه ، وقوله تعالى بل هو آيات بينات في صدور الذين اوتوا العلم ،وقوله تعالى وما يعقلها الا العالمون ، وقوله تعالى انما يخشى الله من عباده العلماء ، وقد اشتهر ما ورد عن النبي صلع في علي عليه السلام من الشهادة له بالعلم وما ظهر من قضاياه واحكامه وفنون علمه التي عجز عنها الصحابة واقروا له بالفضل فيها ما هو مشهور ومذكور لا مناكر يناكر فيه ، وقد قال صلع سلوني قبل ان تفقدوني فلن تجدوا من هو اعلم بما بين اللوحين مني ولم يدع مقامه في ذلك غيره، ولا حلق في سمائه طيره ، ولم يزالوا يسئلونه عما جهلوه ايام حياته ، وهو لم يسأل منه احدا في فنون العلم ومشكلاته ، وقد ذكروا من الصحابة بالعلم علي ابن ابي طالب صلوات الله عليه وابي بن كعب وعبد الله بن مسعود وعثمان بن عفان وزيد ابن ثابت وجابر بن عبد الله ، وابا موسى الاشعري ، وعمر ابن الخطاب ، ومعاذ بن جبل، وسلمان الفارسي ، وحذيفة بن اليمان ، وكل هؤلاء معترف لعلي صلوات الله عليه وهم وان عدوا في العلماء فلما يبلغوا مكانه ولا يقاس احد منهم .

وذكروا فضل الجهاد في سبيل الله وفضل اهله لقول الله عز وجل قل لا يستوي القاعدون من المؤمنين غير اولي الضرر والمجاهدين في سبيل الله باموالهم وانفسهم فضل الله المجاهدين باموالهم وانفسهم على القاعدين درجة ، وكلا وعد الله الحسنى ، وفضل الله المجاهدين على القاعدين اجرا عظيما ، درجات منه ومغفرة ورحمة ، وقوله تعالى ان الله اشترى من المؤمنين انفسهم واموالهم بان لهم الجنة ، يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون ، وعدا عليه حقا في التوراة والانجيل في آي كثيرة من القرآن ، ذكر الله تعالى فيها فضل الجهاد واهله والاجماع على جهاد علي ابن ابي طالب صلوات الله عليه ما لا يدّعي لاحد مثله ولو وضح فيه على جميع المسلمين فضله ،

فمن ذكر بالجهاد فعلي صلوات الله عليه السابق الذي لا يدانى في حلبته والفارس الذي ارعدت قلوب الابطال لهبيته ، المجدل الكفار بذي الفقار ، والذي كني عنه بالموت لما انزله بمن بارزه من القتل بسنانه وحسامه البتار ، واليه يفسر قول الله تعالى ولقد كنتم تمنون الموت من قبل ان تلقوه فقد رأيتموه وانتم تنظرون ، وذلك لما كانت الصناديد من المشركين يتمنون من مبارزة عليه عليه السلام حتى رأوا منه الحمام ، واذاقهم كأسه بالمثقف والحسام .

وممن ذكر بالجهاد علي ابن ابي طالب صلوات الله عليه وحمزة ابن عبد المطلب وعبيدة ابن الحارث والزبير بن العوام وطلحة وابو دجانة الانصاري ومحمد ابن مسلمة وسعد ابن ابي وقاص والبرء ابن عازب وسعد ابن معاذ ، وليس احد من هؤلاء وغيرهم يقاس بعلي ابن ابي طالب وقد حاز في ذلك من الفضل ما لا يغالبه فيه مغالب.

وذكروا فضل النفقة بعد الجهاد بالانفس لقول الله عز وجل وانفقوا في سبيل الله، وقوله تعالى وانفقوا مما رزقناكم ، وقوله سبحانه جاهدوا باموالكم وانفسكم ، وقوله سبحانه من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا فيضاعفه له ، وله اجر كريم ، وقوله جل جلاله ها انتم هؤلاء تدعون لتنفقوا في سبيل الله، فمنكم من يبخل ومن يبخل فانما يبخل عن نفسه ، والجود جودان جود بالنفس وجود بالمال ، وقد جاء عن رسول الله صلع انه قال من جبن عن الجهاد فليجهز بماله رجلا يجاهد في سبيل الله والمجاهد في سبيل الله وان جهزه غيره فله فضل الجهاد ، ولمن جهزه فضل بالنفقة في سبيل الله وكلاهما فيه الفضل ، والجود بالنفس في سبيل الله افضل من الجود بالمال فيه ، وقد جاء عن رسول الله صلع انه قال اجود الناس من جاد بنفسه في سبيل الله ، وابخل الناس من بخل بالسلام، ومن جمع الجود بنفسه وماله كان افضل ممن انفرد بواحد منهما ، وقد علم الخاص والعام ان عليا صلوات الله عليه اكثر الناس جهادا ، وان جهاده كان بنفسه وماله وكان لا يدع عند نفسه شيئا فضل من نفقته في جهاده وقوته وقوت عياله الا انفقه في سبيل الله قليلا كان او كثيرا ، وقد جاء عن رسول الله صلع انه سئل اي النفقة افضل فقال جهد من مقل ،

وقد ذكر المعروفون بالنفقة من الصحابة فذكروا عليا صلوات الله عليه، وفيه انزل الله عز وجل الذين ينفقون اموالهم بالليل والنهار سرا وعلانية ، قالوا ومنهم ابو بكر وعثمان وعبد الرحمن ابن عوف ، ولعلي صلوات الله عليه من الفضل ما شهد به القرآن ونزل فيه من آياته ومن ذلك قوله ويطعمون الطعام على حبه مسكينا ويتيما واسيرا الآية، نزلت في علي ابن ابي طالب عليه السلام.

وذكروا فضل الورع والاعمال الصالحة لقول الله عز وجل : قد افلح المؤمنون الذين هم في صلوتهم خاشعون ، والذين هم عن اللغو معرضون ، والذين هم للزكوة فاعلون ، والذين هم لفروجهم حافظون ، الا على ازواجهم او ما ملكت ايمانهم ، فانهم غير ملومين ، فمن ابتغى وراء ذلك فاولئك هم العادون والذين هم لاماناتهم وعهدهم راعون ، والذين هم على صلاتهم يحافظون ، اولئك هم الوارثون الذين يرثون الفردوس هم فيها خالدون ، وقوله تعالى رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكرالله واقام الصلوة وايتاء الزكوة يخافون يوما تتقلب فيه القلوب والابصار ،وكان لعلي عليه افضل هذه الاعمال : كان اتم الناس بعد رسول الله صلع صلوة واخشعهم فيها ، وقد جاء ان احدا لم يقدر ان يحكي صلوة رسول الله صلع الا علي ابن ابي طالب وعلي ابن الحسين سلام الله عليهما ،وكان اول من صلى الى القبلتين ، وكان ا كثر الناس اعراضا عن اللغو ، وكان اكثر الناس على اداء زكوة ماله ، وفيه انزل الله عز وجل الذين يقيمون الصلوة ويؤتون الزكوة وهم راكعون ، وكان احفظ الناس لفرجه ، وقد جاء عن النبي صلع انه قال قال لي جبرئيل ان ملكي علي ليفخران على الملائكة بانهما لم يكتبا عليه خطيئة قط ، وصحب رسول الله صلع طفلا فلم يعبد غير الله ولم يشرك به شيئا ولم يتخذ من دونه وليا ، وكان اروع الامة.

وقد عدوا في الورع جماعة من الصحابة فقالوا علي عليه السلام وابو بكر وعمر وابن مسعود وسلمان وابو ذر وعمار والمقداد وعبد الله بن عمر وعلي عليه السلام افضلهم في ذلك .

وذكروا فضل الزهد في الدنيا لقول الله عز وجل انما الحيوة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم وتكاثر في الاموال والاولاد كمثل غيث اعجب الكفار نباته ثم يهيج فتراه مصفرا ثم يكون حطاما وفي الآخرة عذاب شديد ومغفرة من الله ورضوان، وما الحيوة الدنيا الا متاع الغرور ، وقوله تعالى انما مثل الحيوة الدنيا كماء انزلناه من السماء فاختلط به نبات الارض مما يأكل الناس والانعام حتى اذا اخذت الارض زخرفها وزينت وظن اهلها انهم قادرون عليها اتاها امرنا ليلا او نهارا فجعلناها حصيدا كأن لم تغن بالامس، وقوله تعالى فلا تغرنكم الحيوة الدنيا ولا يغرنكم بالله الغرور ، فوصف الله عز وجل الدنيا وما فيها ومتاعها بالفناء والانقطاع ، والآخرة ونعيمها بالبقاء والدوام ، ولم يحظر الله متاع الدنيا لمن طلب ذلك من وجهه وحله ومن حيث امر الله به وحظي عليه لان الله تعالى جعل معائش العباد فيها واباح لهم ما احل من طيباتها، وحرم عليهم ما حرمه فيها ، وان لا يشتغلوا بذلك نفوسهم عن الآخرة وطلبها والاعمال المزلفة فيها لئلا يجعلوا الدنيا قصدهم ويكدحوا فيها جهدهم فيلهو عن الاعمال الصالحة التي بها يزلفون في الجنان فيختارون الفاني الزائل ويتركون الباقي الذثي هو غير حائل، ويشحوا بما اوجب الله به عليهم ان يقدموه لاخراهم ويجعلوه بين ايديهم ليحظو به في عقباهم لا على انهم تطرح الدنيا باسرها ولا ينتفع بشيء منها بل كلما كان الانسان في الدار الآخرة ارغب كان فضله من الله اوجب ، وبذلك امر الله تعالى واليه ندب، وان امر اولياء الله تعالى عليهم السلام من كسب الدنيا وجمع من حلها مما اعطاه الله سبحانه وخوله من فضله واعطاه بمنه ومنهم من صدف عنها نفسه ولم يأخذ منها سوى ما لا بد منه ، وقد جاء ان قوما ذموا الدنيا عند علي ابن ابي طالب عليه السلام فقام فيهم خطيبا فحمد الله واثنى عليه وصلى على النبي صلع وقال على ما تذمون الدنيا وفيها تعملون ، الدنيا دار صدق لمن صدقها ودار غنى لمن تزود فيها ، ودار عافية لمن فهم عنها، مساجد اولياء الله ومهبط وحيه ومقيل ملائكته اكتسبوا منها الجنة وربحوا فيها الرحمة ، فمن ذا يذمها وقد آذنت ببينها وحذرت من بلائها وشوقت بسرورها ترغيبا وترهيبا واعذارا وانذارا، ايها الذام للدنيا المعتل بتغييرها متى استذمت اليك ، متى غرتك ، ابمصارع آبائك من البلاء ام بمضاجع امهاتك من الثرى ، كم مرضت بيديك من حبيب، وكم دعوت له من طبيب، تبغي له الشفاء وتكرهه على مر الدواء ، مثلت لك به الدنيا نفسك وبمصرعه مصرعك غداة لا تغني عنك احباؤك، ولا ينفعك بكاؤك، في خطبة له صلوات الله عليه معروفة.

فقد تبين ان المذموم من الدنيا ما حرم الله منها وما يشغل عن المصير الى ثواب الله تعالى من متاعها وزينتها ، فاما من جعلها الى دار ثواب الله في الآخرة معبرا، وكان فيها كادحا لرضى ربه وبغيرها معتبرا، و انفق فيها لاخراه مما جمعه ما يرفعه من درجات الثواب في الذرى، واجتنب معاصيها وقام فيها ساعيا لاخراه مشمرا، فذاك الذي راقت له الدنيا، وحمدت له العقبى، فسعد في الآخرة وامتثل من امرها ما هو افضل واعلى ، واس ذلك كله ونظامه ولاية انبياء الله واوليائه ، فمن تولاهم واقتدى بهم فقد سعد في الدنيا والآخرة ، وفاز النجاة عمن باء بالكرة الخاسرة ، وقد ذكروا الزاهدين من الصحابة فقالوا علي عليه السلام وعمر ابن الخطاب وعثمان بن مظعون وابو ذر والمقداد وسلمان الفارسي، وعلي عليه السلام افضلهم في ذلك ،

وقد وصفه النبي صلع فقال لا يزري من الدنيا ولا تزرى الدنيا منه ، يعني انه لا يأخذ من الدنيا ما ليس له ولا هن تفتنه .

فهذه الفضائل المذكورة وغيرها هي في علي ابن ابي طالب ص ع وهو احق بها ، فانه عرف سبقه الله ورسوله ولم يعلق بشيء من اوضار الجاهلية ولا عبد اصنامها ولا احتقب آثامها، وعلمه فلم يعارضه احد من الصحابة فيه ولا يبلغ ادنى فضله ولا يجاريه ولا احتاج الى احد بعد رسول الله يرجع اليه ولا يعول في السؤال عن ما اشكل عليه ، وهو القائل ما انزلت آية على رسول الله صلع من كتاب الله الا وانا اعلم فيم نزلت وفي اي وقت من ليل او نهار نزلت ، وقال علمني رسول الله صلع من العلم الف باب انفتح لي من كل باب الف باب ، وقال رسول الله صلع انا مدينة العلم وعلي بابها ،

واكثر من نحلوه من العلم فان ذلك قول لا يصح ولا يثبت، هل ينسب العلم الى من قال كلكم افقه من عمر حتى امرأة ليست من اعلم النساء ،

والجهاد فعلي صلوات الله عليه اكبر المجاهدين ، ولا يوصف بجهاده احد من المسلمين ولم يفر كم فر يوم احد ويوم حنين ، واما ابو بكر فلم يشهر بالقتال ولا نطق احد في جهاده بمقال ، وقد وصف بالانفاق وتلك فضيلة لولم يدعي ما لم يكن له من ذوي الاستحقاق ، واما الورع والزهد فكيف يكون ورعا زاهدا من رغب في تافه الحطام وقام مقام النبي صلع بغير امر من الله ولا من رسوله عليه الصلوة والسلام ومنع فاطمة البتول تراثها من الرسول ،

فقد بان ان عليا عليه السلام اولى بهذه الفضائل، وهو احق بها من جميعهم بما تقوم به البراهين والدلائل، ولو تقصينا ذلك لطال به الشرح والمقال، واحتجنا الى افراد كتاب نقطع به ما موه الجهال، لكن لم نقصد ذلك وفي بعض ما ذكرناه ادل دليل، لمن عرف سواء القصد ونهج السبيل ، والله تعالى يوفقنا لما نأمله ونرتجيه، ويجعلنا من شيعته ومواليه، لنفوز مع الفائزين ، وننجو بركوب سفينة النجاة مع الناجين ، والحمد لله رب العالمين .

وجاهد ابو بكر بني حنيفة ونسبت اليهم الردة وادعوا انهم ارتدوا عن الاسلام اذ منعوه الزكوة ، وقيل ان ذلك لما امتحنوهم ولم يجدوا عندهم عهدا من رسول الله صلع ولا وصية تشهد لابي بكر بالخلافة سوى قول من اتبعه وبايعه واستبوا نسائهم وذراريهم واستحلوا دمائهم ، وكان فيمن استبوا منهم امرأة استخلصها علي ابن ابي طالب صلوات الله عليه منهم وتزوجها من قومها فولدت محمدا ، وكان النبي صلع قد قال لعلي عليه السلام انه سيولد لك بعدي ولد فسمه باسمي وكنّه بكنيتي فسماه علي صلوات الله عليه محمدا وكناه ابا القاسم

و--- ابو بكر بني تميم لما منعوه الزكوة وسماهم ردة ، وكان اميره خالد بن الوليد فقتل مالك ابن نويرة التميمي رحمة الله عليه ظلما لما هوى امرأته وكانت من اجمل النساء وبات بها عروسا من يومه ، روي عن البراء بن عازب قال بينا رسول الله صلع جالس في ملأ من اصحابه اذ اتاه وفد من بني تميم فعقد للزبرقان ابن بدر على بطون بني سعد وعقد لمالك بن ابن نويرة على حنظلة والبطون وفرق عمال الصدقات في بني تميم علىجماعة رؤسائهم ، فلما نهضوا من عند رسول الله صلع عاد مالك ابن نويرة فقال يا رسول الله علمني الايمان فقال صلع تشهد ان لا اله الا الله واني رسول الله وتصلي الخمس وتصوم شهر رمضان وتؤدي الزكوة وحج البيت وتوالي وصيي هذا من بعدي واشار بيده الى علي ابن ابي طالب عليه السلام ولا تسفك دما ولاتزني ولا تسرق ولا تخن ولا تأكل مال اليتيم ولا تشرب الخمر وتؤمن بشرائعي وتحل حلالي وتحرم حرامي وتعطي الحق من نفسك الضعيف والقوي والصغير والكبير حتى عدّ عليه السلام شرائع الاسلام فقال يا رسول الله اعدها علي فاني كثير النسيان ، فاعادها عليه رسول الله صلع فجعل يعقدها بيده فقام وهو يقول تعلمت الايمان ورب الكعبة ، فلما ابعد من رسول الله صلع قال رسول الله صلع من احب ان ينظر الى رجل من اهل الجنة فلينظر الى هذا الرجل ، فقال ابو بكر وعمر يا رسول الله الا ننشر هذا عنك ، قال اذا تجدانه موافقا للحق ، فلما توفي رسول الله صلع كان الزبرقان ابن بدر قد جمع سبعمائة بعير من الصدقة وجمع مالك بن نويرة مثل ذلك فقال الزبرقان لمالك فقد توفي هذا الرجل، فان قام بعده قائم دفعنا اليه ما اجتمع عندنا وان لم يقم مقامه احد فرّقنا هذه الابل من الصدقة على ضعفاء قومنا، وان طولبنا بها جمعنا مثلها ، وكان مالك بن نويرة مغفلا فصدقه ، وقال لم يقم بالامر مستحق له وفرّق الابل على ضعفاء قومه ، فلما فعل ذلك غدر به الزبرقان وساق ما عنده الى ابي بكر فحسن عنده موقعه ثم ان مالك خرج لينظر الى القائم مقام رسول الله صلع فدخل يوم جمعة وابو بكر على المنبر يخطب ، فقال اخو تميم، قال نعم ، قال ما ارقاك هناك ووصي رسول الله صلع جالس ، قال يا اعرابي ان الامر يحدث بعد الامر ، قال والله ما حدث شيء ولكنك غيرت وبدلت ، فقال ابو بكر اخرجوا عني هذا الاعرابي الجلف البوال على عقبيه ، فقام قنفذ ابن عمير وخالد بن الوليد فوكزاه ودعا في عنقه فخرج على بعير وهو يقول :

اطعنا رسول الله ما كان بيننا \* فيا لعباد الله ما لابي بكر

اذا مات بكر قام بكر مكانه \* وتلك وبيت الله قاصمة الظهر

فلو طاوعتنا من قريش عصابة \* لقمنا ولو كان القيام على الجمر

فلما سكنت الامور واستقرت لابي بكر وقتل سليمة الكذاب المدعي النبوة باليمامة وكان قاتله الوحشي الحبشي قاتل حمزة ابن عبد المطلب رضوان الله عليه، وقال قتلت خير المسلمين وشر المشركين ، فارجو ان تقوم هذه بتلك ، فحين ذلك اخرج ابو بكر خالد ابن الوليد الى بني تميم ، وقال له قد علمت قول مالك على رؤس الاشهاد ولا آمن ان يصرف عنا بني تميم كلها ، فادع الردة عليه فاقتله ، فخرج خالد حتى اذا انتهى الى ماء لبني تميم وجد الاحياء كلها يؤذنون ويقيمون ولم يسمع ذلك في حي مالك ، فقال لهم ارتددتم عن الاسلام ،قال مالك والله لكن مؤذننا خرج يمتار لاهله طعاما ونحن نعلن شهادة ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله فلم يقبل ذلك منهم خالد وقاتلهم ونظر الى امرأة مالك وهي من اجمل النساء تطلع وتنظر الى الحرب فكأن ذلك ايضا مما حضه على قتل مالك ورأى ان لا طاقة له به وقد ركب جواده واخذ لامته حربه وكان مالك من صناديد العرب المعروفين وابطالهم المشهورين ، والتفت مالك الى امرأته وقد رأى نظرها الى خالد ونظره اليها وقد سترت وجهها بذراعها فقال ان قتلني فانت ، فناداه خالد ذمة الله وذمة رسول الله صلع ودمة ابي بكر عليك فحل مالك لامته ونزل عن جواده فاخذه فقتله وهو ينادي بالشهادتين وجعل رأسه في اثافي قدر طبخ فيه لحم جذور وجعل وليمة عرسه وبات بامرأة مالك عروسا من ليلته بغير استبراء وبات ينزو عليها نزو الحمار ، وفي ذلك يقول متمم ابن نويرة اخو مالك شعرا :

نعم القتيل اذا الرياح تناوحت \* عند البيوت فتلت يابن الازور

ا دعوته بالله ثم قتلته \* هو ان دعاك لذمة لم يغدر

فلنعم حشو الدرع يوم لقائه \* ولنعم ماوى الطارق المتنور

وجاء متمم ابن نويرة الى المدينة فاتى عمر ابن الخطاب وسأله ان يعينه عند ابي بكر ليعديه على خالد ، ولما وقف عند ابي بكر اتكى على سية قوسه وبكى حتى قيل انه سال الدمع من عينه العوراء ،وانشد قصيدته المعروفة التي يقول فيها :

فان تكن الايام فرقت بيننا \* فقد كان محمودا اخي يوم ودعا

وعشنا بخير في الحيوة وقبلنا \* واصاب المنايا رهط كسرى وتبعا

وكنا كندماني جذيمة حقبة \* من الدهر حتى قيل لن يتصدعا

فلما تفرقنا كاني ومالكا \* لطول افتراق لم نبت ليلة معا

فتى كان احي من فتاة حبيبة \* واشجع من ليث اذا ما تمنعا

تقول ابنة العمري مالك بعد ما \* اراك قديما ناعم الوجه اسفعا

فقلت لها طول الاسى اذ سألتني \* ولوعة حزن تترك الوجه اقرعا

وفقدي بني ام تولوا فلم اكن \* لاخلاقهم ان استكين واجزعا

ولكنني امضي على ذاك مقدما \* اذا بعض من يلقى الحروب تكعكعا

فعتدك ان لا تسمعيه ملامة \* ولا تنكي جرح الفؤاد فينجعا

وحسبك اني قد جهدت فلم اجد \* بكفي عنه للمنية مدفعا

فقال عمر لابي بكر اقد خالدا بمالك ، فقال ابو بكر اكنت لاقتل رجلا من اصحاب رسول الله صلع باعرابي مرتدّ ، فقال عمر والله ما ارتد ولا قومه لكن حمل خالد على ذلك جمال امرأة مالك ، فابى عليه ان يقتله ، فقال عمر لو ملكت من الامر ما ملكه ابو بكر اقدت من خالد بمالك ، فلما افضى الامر الى عمر لع اتاه متمم وسأله ان يقيده من خالد ، قال قد سبق منك وعد بذلك ، فقال عمر هذا شيء فعله صاحب رسول الله صلع يعني ابا بكر ، وما انا مغير ما فعل .

وكان علي ابن ابي طالب عليه السلام يحتج على ابي بكر ويريه من آياته الباهرة، ومعجزاته الباطنة والظاهرة، فيندم على ما ابتز من حقه وغصب من امره ، ويهم ان يرد الامر اليه ويقلع مما ارتكبه فيه وما تعدى منه عليه فيعنفه على ذلك ويلومه ويصده عنه ويزجره ويذكره ما تماليا عليه وما التزم له من تصيير الامر اليه، وكان محمد وعبد الرحمن بن ابي بكر من اهل الولاية لعلي ابن ابي طالب عليه السلام ، وممن اعتقد فضله، وكان النبي صلع قد سبقت دعوته لمحمد فقال اللهم ارزقه ولاية اهل بيتي فاعطاه ذلك ورزقه وصدق نبيه عليه السلام فيه وحققه ، وعلى ذلك كان اسماء بنت عميس التي ولدتهما ، وكان يعنفان اباهما ويلومانه ويخصمانه ويسألانه ان يرد الامر الى اهله ويضعه في مستحقه ، وكلما اصغى لذلك سمعه نهاه عمر ابن الخطاب ورده ونهنهه وصده،

قيل وانه لما دنى من ابي بكر حمامه ، وحان منه ان ينقضي ايامه ، ذكره احد ابنيه ما بعد هذه الدار وسأله الرجوع عما هو عليه من الا صرار ، وقال له لو رددت الامر الى اهله، لرضي الله عنك بكرمه وفضله ، فقال له كيف لي بذلك يا بني ، فقال انا اسعى لك في ذلك الى وصي الرسول، صلع، واكون عونا على نيل الغرض فيه وادراك السؤل ، واتى عليا عليه السلام فقص عليه القصة فقال له اذهب اليه فقل له ليدعو المهاجرين والانصار ويتنصل الى الله تعالى عندهم من ظلمي ويعرفهم بمقامي ويرد الي امري، وفي خلال ذلك دخل ابن الخطاب الىابي بكر فقص قصته عليه وعرفه بالامر الذي اراد ان يفي اليه ، فقال له ان فعلت ذلك رجم قبرك كما رجم قبر ابي رغال ، وادخل عليه ما صده عما اضمره من المقال ، فتمادى على ما هو عليه واحضر المهاجرين والانصار وهو لما به من العلة ، وقال اقعدوني اسندوني اسندوني ، ثم قال اني متخلف عليكم عمر اين الخطاب ، فقالوا نناشدك الله ان تولي علينا فظا غليظا ، قال اني اذا لقيت الله ربي قلت يا رب قد وليت عليهم خير اهلك ،

وهلك ابو بكر في جمادى الاخرى من شهور سنة ثلث عشرة من الهجرة النبوية ، وكان مقامه بعد النبي صلع عامين وستة اشهر ، وقبر ابي بكر عند قبر رسول الله صلع بغير اذن منه ولا خبر وصل في ذلك اليه ، وقد امره رسول الله صلع ان يسد بابه ولم يدع له ولا لصاحبه بقدر ما ينظر اليه ، وقد قال الله يا ايها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوت النبي الا ان يؤذن لكم ، وحرمة قبره وبيته صلع بعد وفاته كحرمته في حياته ، وليس يقرب منه صلع الا العمل الصالح وان وصيه علي ابن ابي طالب عليه السلام على كون قبره في النجف لاقرب الى الله والى رسوله منهما وادنى رحما واكثر فضلا ، وذلك لا ينكر الا من رين على قلبه، ولم ينتفع بفكره ولبه ،

وقام عمر بن الخطاب بعد ابي بكر بنصه عليه ونصبه اياه بغير رضى من المهاجرين والانصار، ولا اجماع على خلافته ولا اختيار ، بل قد ناشدوا ابا بكر ان يولي عليهم غيره ، وذكروا انه فظ غليظ القلب لا يأمنون شره ، فصبر امير المؤمنين علي ابن ابي طالب عليه السلام على ما ابتز من تراثه وحيز من ميراثه ، بقاء على الاسلام ان يتفرق اهله ويتشتت شمله ان قام بالسيف طالبا لحقه ، منتزعا له من غير مستحقه ، لكي لا يفترق المسلمون فيطمع اهل الشرك فيهم ويبطل ما تهيأ من نصر الاسلام وغلبة اهله ، كما قال عليه السلام في خطبته التي قدمنا ذكره في المواطن التي امتحن بها بعد رسول الله صلع حيث قال : فلما آنت وفاة القائم بعد رسول الله صلع وتقضت ايامه صير الامر لصاحبه، وكانت هذه اخت تلك محلها من القلوب محلها ، فاجتمع عدة من اصحاب رسول الله صلع، فقالوا فيها مثل الذي قالوا في اختها فلم يعد قولي الثاني قولي الاول صبرا واحتسابا خوفا من ان تفترق عصابة الّفها رسول الله صلع ،

الى قوله عليه السلام: ثم ان القائم بعد صاحبه كان يشاورني في موارد الامور ومصادرها فيصدرها عن رأيي وامري ، ولا يكاد ان يخص بذلك احدا غيري ، ولا يطمع في الامر بعده سواي ، فلما اتته منيته على فجاءة بلا مرض كان قبلها ولا امر امضاه في صحة بدنه لم يشك الناس الا اني قد استرجعت حقي في عافية،

حتى قال عليه السلام وكان من فعله ان سمّى خمسة انا سادسهم لم يستو واحد منهم قط في حالي توجب له ولاية الامر من قرابة ولا سابقة ولا فضيلة في حديث طويل تقدم ذكره ابانة منه صلوات الله عليه لما تجرؤا عليه من ظلمه، واحتقبوا من --- ذلك واثمه، وانه ابقى على الاسلام خشية ان تفترق عصابة الفها الرسول صلع واحتسابا لما وعد الله تعالى به الصابرين في التنزيل من الثواب العظيم والجزاء الجزيل ،

وروي ان عمر بن الخطاب قال في اول خطبة اختطبها كانت بيعة ابي بكر فلتة وقى الله شرها ، فمن عاد الى مثلها فاقتلوه، وهو زعيم تلك البيعة له وهو بامر ابي بكر قام في ذلك المقام بغير رضى ولا اجماع من اهل الاسلام ، وسأل رجل عمر عن قول الله عز وجل والذاريات ذروا فعلاه بالدرة ليقطع كل سائل سأله عن شيء من كتاب الله سبحانه لئن لا يسأل عن آية من المحكم والمتشابه فلا يجد عنها مخرجا ويجد المجال في تأويلها عليه ضيقا حرجا لان القائمين ببيان القرآن هم اهل الذكر، والذكر الرسول صلع لقول الله عز وجل قد انزل الله اليكم ذكرا رسولا ، واهله هم علي ابن ابي طالب والحسن والحسين وفاطمة الزهراء ، الذين انزل الله فيهم جل وعلى انما يريد الله ليذهب عنهم الرجس اهل البيت ويطهركم تطهيرا ، وقد كان عمر وغيره من الصحابة يرجعون الى علي ابن ابي طالب عليه السلام فيما كان يشكل عليهم وهو لم يرجع الى احد منهم، وسوف نذكر من ذلك ما يعرض ذكره بغير استقصاء ولا احصاء ، فمن رام ان يحصي فضائل علي عليه السلام والزمان عمره والبحر مداده قصّر عن ذلك ، وانما نأتي بما سنح من ذلك وتأتى ، والله ولي التوفيق وبه الهداية الى سواء الطريق .

## ذكر شيء من قضايا امير المؤمنين علي ابن ابي طالب عليه السلام مما اضطر عمر فيه الى سؤاله وعجز كثير من الصحابة عن جوابه

يزيد ابن ابي خالد باسناده عن طلحة بن عبد الله قال اتى عمر بمال فقسّمه بين المسلمين ففضلت منه فضلة فاستشار فيها من حضره من الصحابة فقالوا خذها لنفسك فانها ان قسمت لم يصب كل رجل منها الا ما يلتفت اليه، فقال لعلي عليه السلام ما تقول يا ابا الحسن ، قال اقسمها اصابهم من ذلك ما اصابهم فقسّمها عمر، ثم التفت الى علي عليه السلام فقال كم لك من يد لم اجزك بها .

وعن عطا ابن السائب عن ابي طبيان ان عمر ابن الخطاب اتي بامرأة قد زنت وكانت مجنونة فامر بها عمر ان ترجم فمروا بها على علي ابن ابي طالب فارسلها ، وقال لعمر لقد علمت ان رسول الله صلع قال رفع القلم عن النائم حتى يستيقظ ، وعن المجنون حتى يعقل ، وعن الصبي حتى يكبر ، وهذه مجنونة ، فقال عمر صدقت يا ابا الحسن وخلى عنها .

وفيما روي عن ابي عبد الرحمن عن ابيه وجده قال كان رجل من اصحاب النبي صلع يقال له الهيثم قد ارسله عمر ابن الخطاب في جيش فغاب غيبة بعيدة ثم قدم فجاءت امرأته بولد بعد قدومه بستة اشهر فانكر ذلك منها وجاء الى عمر بها وقص عليه قصتها ، فقال عمر ما تقولين فقالت والله ما فجرت ولا غشي رجل غيره وانه لابنه ، فامر بها عمر لترجم ، فذهبوا بها وحفروا لها حفرا وانزلوها فيه ليرجموها وبلغ ذلك عليا عليه السلام فجاء مسرعا فادركها قبل ان ترجم فاخذ بيدها وارقى بها من الحفرة ، ثم قال لعمر اربع على نفسك انها صدقت ، ان الله عز وجل يقول وحمله وفصاله ثلاثون شهرا ، وقال والوالدات يرضعن اولادهن حولين كاملين ، فالحمل والرضاع ثلاثون شهرا ، فقال عمر ولا علي لهلك عمر ، وخلى سبيلها .

وعن سلمان ابن حسن فقال كان عمر ابن الخطاب يقول لعلي عليه السلام عند بعض ما يسأله عنه فيفرجه لا ابقاني الله بعدك .

وعن سعد ابن المسيب قال كان عمر يقول اللهم لا بتقني لمعضلة ليس فيها ابو الحسن.

وعن اسماعيل بان صالح ابن الحسين قال بلغ عمر ان امرأة يتحدث عندها الرجال فارسل اليها فاتتها رسله وهي حاملة فالقت ولدا ميتا ، فسأله عمر جلسائه فقالوا يا امير المؤمنين انما انت مؤدب ولا نرىعليك شيئا ، وكان علي عليه السلام حاضرا فقال له عمر ما تقول انت يا ابا الحسن ، فقال قد قالوا ما سمعت ، قال اعزم عليك لما قلت بما عندك ، قال ان كانوا داروك فقد غشوك ، وان كانوا اجتهدوا فقد اخطأوا، وان عليك الدية .

وعن عمر بان داود عن ابي جعفر محمد ابن علي عليه السلام ، قال كانت لفاطمة بنت رسول الله صلع جارية يقال لها فضة فصارت من بعدها الى علي عليه السلام فزوجها من ابي ثعلبة الحبشي فاولدها ابنا ثم مات عنها ابو ثعلبة ، وتزوجها بعده رجل يدعى سليك، ومات ابنها من ابي ثعلبة، ثم منعت من سليك ان يقربها، فاشتكاها الىعمر وذلك في ايامه ، فقال لها عمر ما يشتكي منك سليك يا فضة ، فقالت انت تحكم في ذلك ولا يخفى عليك لم منعته نفسي ، قال عمر لا اجد لك في ذلك رخصة ، قالت يا ابا حفص ذهبت بك المذاهب ، ان ابني من غيره مات ولا اخ له ، فان كنت حاملا فالذي في بطني اخ له يرثه ، فقال عمر شعرة من آل ابي طالب افقه من عدي ، وذلك ان فضة مملوكة لا ترث ولعل ابنها الاول والآخر الذي ترجوه حران والله اعلم.

وبهذا الاسناد ان عقبة ابن ابي عقبة مات فحضر جنازته علي عليه السلام وجماعة من الصحابة فيهم عمر ، وذلك في ايامه ، فقال علي عليه السلام لرجل كان حاضرا ان عقبة لما توفي حرمت عليك امرأتك فاحذر ان تقربها ، فقال عمر كل قضاياك يا ابا الحسن عجب وهذه من اعجبها ، يموت انسان فتحرم على آخر امرأته ، قال نعم ، ان هذا رق العقبة تزوج امرأة حرة هي اليوم ترث بعض ميراث عقبة فقد صار بعض بعلها رقا لها وبضع المرأة حرام على عبدها حتى تعتقه ويتزوجها بعد عتقها ، فقال عمر لمثل هذا امرنا ان نسألك .

وعن عمر ابن حماد باسناده عن عبادة ابن الصامت قال قدم من الشام حجاج فاصابوا ادحى نعامة فيه خمس بيضات وهم محرمون فشووهن واكلوهن ، ثم قالوا ما نرانا الا قد اخطأنا واصبنا الصيد ونحن محرمون ، فاتوا المدينة في ايام عمر ابن الخطاب فقصوا عليه القصة ، فقال انظروا الى قوم من اصحاب محمد صلع فاسألوهم عن ذلك ليحكموا فيه ، فاتوا جماعة من اصحاب النبي صلع فسألوهم فاختلفوا في الحكم في ذلك ف قال عمر اذا اختلفتم فههنا رجل كنا امرنا اذا اختلفنا في شيء ان نحكمه فيه فارسل الى امرأة يقال لها ام عطية فاستعار منها اتانا لها فركبها وانطلق بالقوم معه حتى اتوا عليا عليه السلام وهو ينبع في ارض له يجري فيه ماء ومعه قنبر ، فلما نظر قنبر الى عمر قال لعلي عليه السلام هذا عمر قد اظلك فخرج اليه علي صلوات الله عليه فتلقاه ثم قال له هلا ارسلت الينا فنأتيك، فقال له عمر في بيته يؤتى الحكم ، فقص عليه القوم القصة، فقال علي عليه السلام لعمر مرهم فليعمدوا الى خمس قلاص من الابل فيطرقوها الفحل، فاذا انتجت اهدوا نتاجها جزاء عما اصابوا ، فقال لهم ان الناقة قد تجهض ، فقال له علي عليه السلام وكذلك البيضة قد تمزق ، فقال لهذا امرنا ان نسألك .

وعمر ابن حماد القتاد باسناده عن انس بن مالك قال كنت مع عمر بمنى اذ اقبل اعرابي معه ظهر فقال عمر يا انس سله هل يبيع الظهر ، فقمت اليه فسألته فقال نعم فقام عمر اليه فاشترى منه اربعة عشر بعيرا ، ثم قال يا انس الحقها بالظهر يعني التي له ، فقال الاعرابي يا امير المؤمنين جردها من احلاسها واقتابها ، فقال انما اشتريتها منك باحلاسها واقتابها ، فقال الاعرابي يا امير المؤمنين جردها فما بعت منك حلسا ولا قتبا ، فقال عمر هل لك ان تجعل بيننا وبينك رجلا كنا امرنا ان اذا اختلفنا في شيء ان نحكمه، ثم قال لي يا انس انظرهل ترى عليا في الشعب ، فاتيت الشعب فوجدت عليا ع م قائما يصلي ومعي الاعرابي فاخبرته فقام حتى اتى عمر فقص عليه القصة ، فقال علي ع م اكنت شرطت عليه اقتابها واحلاسها ، فقال عمر لا ما كنت شرطت ذلك ، فقال جردها فانما لك الابل ، قال انس فقال لي عمر جردها وادفع اقتابها واحلاسها الى الاعرابي والحقها بالظهر ، ففعلت.

وعن مصقلة بن عبد الله قال جاء رجلان الى عمر ابن الخطاب فسألاه عن طلاق العبد للامة ، فمضى عمر الى حلقة فيها علي ابن ابي طالب عليه السلام فاشار اليه باصبعه المسبحة ، والتي تليها ، فقال للرجل تطليقتان ، فقا له احد الرجلين سبحان الله جئناك وانت امير المؤمنين نسألك فجئت الى رجل فسألته واجبتنا بما افتاك به، فقال عمر ويلك اتدري من ذلك الرجل هو علي ابن ابي طالب لقد سمعت رسول الله صلع لو ان السموات والارض وضعتا في كفة ميزان ووضع ايمان علي ابن ابي طالب في كفة اخرى لرجح ايمان علي .

وروى قيس ابن الربيع عن جابر الجعفي عن تميم ابن جذام الاسدي قال كان رجل له امرأتان وكانتا قد حملتا منه فولدتا في ليلة واحدة في بيت مظلم ابنا وابنة ، ومات الرجل وادعت كل واحدة منها الابن ، فرفع ذلك الى عمر ، فقال اين ابو الحسن مفرج الكرب، فدعى له فقص عليه القصة فدعى علي عليه السلام بقارورتين فوزنهما فامر كل واحدة فحلبت في قارورة ووزن القارورتين فرجحت احداهما الاخرى ، فقال علي عليه السلام الابن للتي لبنها ارجح ، والابنة للتي خف لبنها ، فقال عمر من اين قلت يا ابا الحسن ، فقال عليه السلام لان الله جعل للذكر مثل حظ الانثيين .

وعن جعفر ابن محمد عليه السلام قال اتى عمر ابن الخطاب برجل يؤتى في دبره وقامت البينة عليه انهم رأوه كالميل في المكحلة فلم يدر عمر ما يقضي فارسل الى علي ع م فاتاه وقص عليه القصة فامر به فضرب عنقه ثم امر بقصب فاضرمت فيه نار فاحرقه ، ثم قال ان من الرجال من لهم ارحام كارحام النساء في اجوافهم تهيج اذا هاجوا وتسكن اذا سكنوا ، فقال رجل فما لهم لا يحبلون كما تحبل النساء ، فقال لان ارحامهم منكوسة.

وحدث ابو القاسم الكوفي باسناده رفع الى عمر عبد قتل مولاه فامر بقتله فدعاه علي ابن ابي طالب عليه السلام فقال له اقتلت مولاك ، قال نعم ، قال لم قتلته ، قال غلبني على نفسي واتاني في دبري ، فقال علي صلوات الله عليه لاولياء المقتول ادفنتم وليكم ، قالوا نعم دفناه الساعة ، فقال علي عليه السلام لعمر احبس هذا الغلام ولا تحدث فيه حدثا حتى تم ثلاثة ايام ، ثم قال لاولياء المقتول اذا تم ثلاثة ايام فاحضرونا ، فلما مضت ثلاثة ايام حضروا فاخذ علي عليه السلام بيد عمر وخرجوا حتى وقفوا على قبر المقتول ، فقال علي عليه السلام لاولياء المقتول هذا قبر صاحبكم ، قالوا نعم ، احفروه فحفروا حتى انتهوا الى اللحد ، فقال اخرجوا ميتكم فنظروا الى جوف القبر واللحد فلم يجدوه فاخبروه بذلك ، فقال علي صلوات الله عليه الله اكبر ، والله ما كذبت ولا كذبت ، سمعت رسول الله صلع يقول من يعمل من امتي عمل قوم لوط ثم يموت على ذلك فما يوجد اكثر من ثلاث ثم ترفضه الارض الى جملة قوم لوط المهلكين فيحشر معهم .

واخبر يزيد ابن حبيب باسناده عن ابي رافع قال تذاكر اصحاب رسول الله صلع العزل يوما عند عمر وفيهم امير المؤمنين علي ابن ابي طالب عليه السلام وعثمان وطلحة ومعاذ بن جبل واجمع رأيهم على ان لا بأس فيه ، ثم اصغى منهم رجل الى صاحبه فقال انهم يزعمون انها المؤودة الصغرى ، فقال عمر ما تقول فاخبره ، فقال اذا اختلفتم وانتم اهل بدر فالى من يرجع ، فقال امير المؤمنين علي صلوات الله عليه انها لا تكون المؤودة حتى تم بالتارات الستة ، تكون نطفة ثم تكون علقة ثم تكون مضغة ثم عظاما ثم تكون لحما ثم تكون خلقا آخر ، فقال له عمر صدقت يا ابا الحسن فابقاك الله للمعضلات.

وقد ورد عن القاضي النعمان ابن محمد رضي الله عنه وارضاه فيما اورده من الطاهرين من اهل بيت رسول الله صلع انه لا بأس بالعزل عن الحرة باذنها ، ويعزل الرجل عن امته التي يملكها بغير اذنها .

وعن ابي سعيد الخدري قال حججنا مع عمر فلما دخل الطواف استقبل الحجر الاسود فقبله ، ثم قال اين لاعلم انك حجر ولا تضر ولا تنفع ولكني رأيت رسول الله صلع يقبلك فقبلتك ، فقال له علي صلوات الله عليه بلى انه ليضر وينفع ويشهد يوم القيامة لمن وافاه بالوفاء ، فقال عمر اعوذ بالله ان اعيش في يوم ليس فيهم ابو الحسن.

وفي رواية عن سعيد ابن قتادة عن انس ان عمر لما قال انك حجر لا تضر ولا تنفع قال له علي عليه السلام لا تقل ذلك فان رسول الله صلع ما فعل فعلا ولا سن سنّة الا عن امر الله عز وجل تدل على حكمة ومعنى وذكر باقي الحديث.

وقضايا امير المؤمنين صلوات الله عليه يكثر عددها ويطول مددها ولو اتينا بما قضى به في المعضلات وحكم به في المشكلات لطال القول واتسع الشرح ، وهي موجودة لمن اراد الوقوف عليها مما يشهد له صلوات الله عليه بالفضل الجليل الذي لا يكون لاحد الا لمن اخذ من معدن الرسالة واختص بالامامة وفضل جميع الامة واستحق بعد النبي الخلافة ، وهذا عمر ابن الخطاب قادته الضرورة الى سؤاله وادته الى الاقرار بفضله والاعتراف بعجزه عن ذلك وجهله، ولو رد اليه في كل امر لما اخطأ في قضيته، ولا مال عن شيء من الاحكام الشرعية ، وهلا رجع اليه هو وصاحبه الذي من قبل حين اتتهما فاطمة بنت رسول الله صلع تطلب تراثها من ابيها فمنعاها ودفعاها وردا شهادة الوصي حين شهد لها،

من كان اولى بالخلافة والتقديم؟ من لا يحتاج الى علم شيء يسأل عنه الى غيره او يرجع فيه اليه، ومن علمه الرسول صلع من علمه وانفتح له من العلم ما تحار فيه الالباب، كما قال عليه السلام علمني رسول الله صلع الفا باب من العلم فانفتح لي من كل باب منها الف باب ، ام من عجز عن ادنى مسئلة، ولم يستطع ان يفك بهمة او يوضح مشكلة ، افمن يهدي الى الحق احق ان يتبع امن لا يهدي الا ان يهدى فما لكم كيف تحكمون.

وقد روي ان عمر خطب فقال في خطبته لا تغالوا في صدقات النساء فانها لو كانت مكرمة عند الله لكان رسول الله صلع اولاكم بها ، ما اصدق امرأة من نسائه اكثر من اثنتي عشرة اوقية ، فقامت اليه امرأة ليست من اعلم النساء فقالت يا امير المؤمنين لم تمنعنا حقا اوجبه الله لنا ، قال الله تعالى وان آتيتم احداهن قنطارا فلا تأخذوا منه شيئا اتأخذونه بهتانا واثما مبينا ، فسكت وارتج عليه الجواب ، والتفت الى من حضره فقال تسمعوني اقول مثل هذا فلا تردوه علي حتى ترد علي امرأة ليست من اعلم الناس ، فعدوا ذلك من فضائله ، ولو ردوا الى وصي رسول الله صلع امرهم لعرفوا نكرهم.

وقد حذف عمر حي على خير العمل من الاذان وقد كان يؤذن على عهد رسول الله صلع وايام ابي بكر وصدر من ايام عمر فحذفه ، وقال ان الناس اذا سمعوا ان الصلوة خير العمل تركوا الجهاد فحذف ما امر به النبي صلع بحجة لا يقوم برهانها ولا يتضح بيانها، وساعد الجهال في ترك شيء مما امر الله تعالى به ورسوله ، وكان الواجب ان يعرفهم ما جهلوه ويقرر لديهم ما انكروه ، اذ فرائض الله تعالى ليست تعطل بقول الجهال ،ولا يجوز الاسقاط لها على رأيهم والاهمال ، وقد يجهل الجهال اكثرها ويقصرون عن القيام بها فلا يجب على اقوالهم ترك شيء مما امر الله تعالى به مع انه لم ترد فريضة ولا سنة الا وقد حض عليها ورغب فيها وذكره ليكون من الثواب من العالمين بها، فما الترغيب في الصلوة بمانع الجهاد ، وفي السنة والكتاب من الترغيب في الجهاد في سبيل الله ما يكثر عده، ويعده حده ، وقد علمه كثير من عامة الامة فضلا من الخاصة، والدلائل على ذلك كثيرة ، والآيات فيه واضحة منيرة ، وما زال بحذف حي على خير العمل من الاذان بقية مدة عمر وايام عثمان ، فلما ولي امير المؤمنين علي ابن ابي طالب صلوات الله عليه امر الامة وقعد مقعده من الخلافة امر ان ينادى بحي على خير العمل كما كان ذلك على عهد رسول الله صلع ، وما زال الامر على ذلك حتى تغلب معاوية فحذفه فبقي الاذان بحي على خير العمل مع كافة الشيعة اقتداء لامير المؤمنين عليه السلام فيما اقتدى فيه برسول الله صلع ، ومن فضل ابا بكر وعمر يحذفون ذلك في اذانهم ويقطعونه حين ندائهم جهلا بالسنة واتباعا للبدعة وهم مع اتباعهم للبدعة يدعونه انهم اهل السنة والجماعة بلا بيان ولا اقامة برهان.

وابتدع عمر صلوة التراويح في ليال شهر رمضان واجتماع الناس لها وقد نهى عن ذلك رسول الله صلع ايام حياته ونهى عن صلوة الجماعة غير صلوة الفريضة،

وقد ذكر ان ابا جعفر الباقر عليه السلام دخل مسجد النبي صلع وابن هشام يخطب يوم جمعة من شهر رمضان ويقول هذا شهر فرض الله صيامه وسن رسول الله صلع قيامه ، فقال محمد ابن علي ابن الحسين ع م كذب ابن هشام ، ما كانت صلوة رسول الله صلع في شهر رمضان الا كصلوته في غيره ،

وعن الصادق عليه السلام انه قال صوم شهر رمضان فريضة والقيام في جماعة في ليله بدعة ، وما صلاها رسول الله صلع ، ولو كانت خيرا ما تركها ، وقد صلى في بعض ليالي شهر رمضان وحده صلع فقام قوم خلفه فلما احس بهم دخل في بيته ، فعل ذلك ثلاث ليال ، فلما اصبح قعد ثلاث ليال صعد المنبر فحمد الله واثنى عليه ثم قال ايها الناس لا تصلوا غير الفريضة ليلا في شهر رمضان ولا في غيره في جماعة ، فالذي صنعتم بدعة ولا تصلوا ضحى فان الصلوة ضحى بدعة ، و كل بدعة ضلالة تدعو الى النار ، ثم نزل وهو يقول عمل قليل في سنة خير من كثير في بدعة ،

وقد روى نهي رسول الله صلع عن الاجتماع في ليال شهر رمضان ، وان ذلك لم يكن على عهد رسول الله صلع وايام ابي بكر وصدرا من ايام عمر بعد فتح القادسية اذ اصدر سعد بن ابي وقاص في جماعة من المسلمين كثيرة وعساكر جمة من العرب لحرب كسرى ، وكان امير المؤمنين صلوات الله عليه القائم في ذلك والمحرض للمسلمين اذا استغاث به عمر واراد عليه السلام عز الدين ونصر الاسلام ، فافتتحت القادسية وانهزم كسرى وجنوده وكان ذلك في سنة اربع عشرة ، وكان في ذلك عز المسلمين وقوة الدين وابتداء الفتح بالعراق ، والرواية طويلة ومعجزة امير المؤمنين عليه السلام في ذلك ظاهرة ، وآياته باهرة ، فجعل عمر ذلك بزعمه شكرا على انهزام ملوك العجم وملك العراقين فيما زعم ،

ونهى النبي صلع صلوة الجماعة عن الفرائض التي قد فرضت والا فمن تطوع بما شاء وحده من الصلوة في شهر رمضان او غيره بغير ان يأتم بامام وايام غيره ففي ذلك فضل ، وقد كان رسول الله صلع يفعله ويحض عليه ، وكذلك وصيه والائمة من ذريته سلام الله عليهم وقد ورد من الرغائب في ليلة القدر والقيام لها في العشر الاواخر من شهر رمضان وفي فضلها ما يطول شرحه ، والنهي عن الائتمام بامام في غير الصلوة المكتوبة، ومن الواجب اتباع النبي صلع فيما امر ، وذلك اولى من اتباع عمر .

وقد روى البرقي عن عبد الله بن القاسم عن حسان عن السراج عن داؤد من سليمان الكيسائي عن ابي الطفيل قال شهدت جنازة ابي بكر يوم مات وشهدت عمر حين بويع له وعلي عليه السلام جالس ناحية اذ اقبل غلام اسرائيلي ذو جمال عليه ثياب حسنة وهو ينتمي الى ولد هارون ابن عمران عليه السلام حتى قام على رأس عمر فقال له يا عمر انت اعلم هذه الامة فطأطأ رأسه فقال الاسرائيلي اياك عني ، واعاد القول عليه ، فقال له عمر ولم ذلك ، قال اني جئتك مرتادا لنفسي شاكا في ديني ، فقال عمر دونك ذلك الرجل ، قال الاسرائيلي ومن ذلك الرجل ، قال له عمر هذا علي ابن ابي طالب ابن عم رسول الله صلع وهو ابو الحسن والحسين سبطي رسول الله وزوج فاطمة ابنة رسول الله صلوات الله عليهم اجمعين ، قال فاقبل اليهودي على علي عليه السلام فقال اكذلك انت؟ قال علي عليه السلام نعم ، قال الاسرائيلي اني اريد ان اسألك عن ثلاث وثلاث وواحد ، فتبسم امير المؤمنين عليه السلام وقال ما منعك يا هاروني ان ت قول سبعا ، فقال الاسرائيلي اني اسألك عن ثلاث ، فان اعلمتني سألتك عن ما بعدهن، وان لم تعلم علمت ان لا علم عندك ، فقال عليه السلام فاني اسألك بالاله الذي تعبد ان اجبتك عن ما تريد ا تدع دينك وتدخل في دين الاسلام ، قال الاسرائيلي ما جئت الا لذلك ، فقال علي عليه السلام فاسئل قال الاسرائيلي عن اول قطرة دم قطرت على وجه الارض ما هي؟ وما اول عين ساحت علىوجه الارض اي عين هي ؟ واول شيء اهتز على وجه الارض اي شيء هو ؟ فقال علي عليه السلام يا هاروني اما انتم تقولون ان اول قطرة دم على وجه الارض حيث قتل احد ابني آدم اخاه، وليس كذلك ولكنه حيث طمثت حواء ، وذلك قبل ان تلد ابنيها ، واما انتم فتقولون ان اول عين على وجه الارض التي ببيت المقدس وليس كذلك ولكنها عين الحيوة التي وقف عليها موسى وفتاه ومعهما النون المالح ، فسقط فيها فحي ، وكذلك ذلك الماء لا يصيب شيئا الا حي ، واما انتم فتقولون اول شيء اهتز على وجه الارض الشجرة التي منها سفينة نوح عليه السلام وليس كذلك ولكنها التي نزلت مع آدم من الجنة وهي العجوة ، ومنها يعرف جميع ما ترى من انواع النخيل، قال صدقت والله الذي لا اله الا هو اني لاجد هذا في كتب ابي هارون التي كتبها بيده ، وهي املاء عمي موسى ابن عمران عليه السلام ، ثم قال الاسرائيلي فاخبرني عن الثلاثة الاخر عن محمد كم له من امام عدل وفي جنة يكون ومن الساكن معه في جنته ، فقال عليه السلام ان لمحمد ائمة مني ومن ولدي هادين مهديين لا يضرهم خذلان من خذلهم ولا يستوحشون من خلافهم وانهم لارسى في الدين من الجبال الرواسي في الارض ، واما مسكن محمد صلع ففي جنة عدن التي قال الله تعالى فيها فضيب غرسته بيدي وفي جنة عدن فقلت له كن فكان ، وسكان محمد صلع في جنته اولئك هم انا وولدي الائمة من ذريتي وشيعتي، قال صدقت والله الذي لا اله الا هو اني لاجد هذا في كتب ابي هارون كتابته بيده واملاء عمي موسى ، قال فاخبرني عن الواحدة وصي محمد صلع كم يعيش من بعده وهل يموت او يقتل ، فقال علي صلوات الله عليه يا هاروني يعيش بعده ثلاثين سنة ، ثم يضرب ضربة ههنا واومى الى هامته فتخضب هذه من هذه، قال فصاح الهاروني اشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له ، وان محمدا عبده ورسوله وانك وصيه ينبغي ان تفوق ولا تفاق وتعظم ولا تستصغر، قال ثم مضى به علي عليه السلام الى منزله فعلمه معالم الدين .

وروي عن سعيد بن داؤد المدني عن ابي حازم عن ابي جعفر بن محمد بن علي عليه السلام قال قدم اسقف نجران زمن عمر ابن الخطاب فقال له يا عمر ان ارضنا ارض باردة شديدة المؤنة لا تحتمل العيش وانا ضامن بخراج ارضي احمله اليك كل عام كملا ، فكان يقدم بنفسه بالمال ومعه اعوان له حتى يصل به الى بيت المال فيكتب له بالبراءة ، قال فقدم الاسقف في عام وكان شيخا جميلا مهيبا ، فدعاه عمر الى دين الله ودين رسول الله صلع وكتابه ، وذكر له فضل الاسلام وما يصير اليه المسلمون من النعيم والكرامة ، فقال الاسقف يا عمر انتم تقولون في كتابكم ان لله جنة عرضها كعرض السموات والارض فاين تكون النار فسكت عمر ، ونكس رأسه ، فقال له علي ابن ابي طالب عليه السلام اجب هذا النصراني ، فقال له عمر با انت اجب ، فقال له علي صلوات الله عليه يا اسقف نجران انا اجيبك أرأيت اذا جاء الليل اين يكون النهار ، واذا جاء النهار اين يكون الليل ، فقال الاسقف ما كنت ادري ان احدا يجيبني بهذا في هذه المسألة من هذا ، يا عمر فقال عمر هذا علي ابن ابي طالب اخو رسول الله صلع وابن عمه ووصيه واول من آمن معه وابو سبطيه الحسن والحسين ، قال الاسقف يا عمر اي بقعة طلعت عليه الشمس ساعة لم تطلع قبلها ولا بعدها ، قال له عمر يا نصراني سل عليا ع م ، فقال علي ع م انا اجيبك هو البحر حين انفلق لبني اسرائيل فوقعت الشمس عليه لم تقع فيه قبل ذلك ولا بعده ، قال الاسقف صدقت ، ثم قال الاسقف يا عمر اخبرني هل للسموات من قفل فقال عمر سل عليا ، فقال علي سلام الله عليه انا اجيبك قفل السموات الشرك بالله ، قال صدقت فما مفتاح القفل ، فقال علي صلوات الله عليه مفتاحه شهادة ان لا اله الا الله ، لا يحجبه شيء دون العرش ، قال الاسقف صدقت ثم قال الاسقف يا عمر اخبرني هل شيء في ايدي اهل الدنيا يشبه ثمار الجنة ، فقال له عمر سل عليا قال عليه السلام انا اجيبك هوالقرآن ، يجتمع اهل الدنيا عليه فيأخذون منه حاجتهم ولا ينقص منه شيء ، كذلك ثمار الجنة ، فقال الاسقف صدقت ، قال الاسقف بقيت كلمة واحدة اخبرني اين الله يا عمر ، قال فغضب عمر فقال له علي صلوات الله عليه انا اجيبك وسل عم ان شئت ، كنا عند رسول الله صلع ذات يوم اذ اتاه ملك فسلم فقال له رسول الله صلع من اين ارسلت ، قال من سبع سموات من عند ربي ، ثم اتاه ملك آخر فسلم فقال له النبي صلع من اين ارسلت قال من سبع ارضين من عند ربي ، اذ اتاه ملك آخر فسلم فقال له رسول الله صلع من اين ارسلت قال من مشرق الشمس من عند ربي ، ثم اتاه ملك آخر فسلم فقال رسول الله صلع من اين ارسلت ، قال من مغرب الشمس من عند ربي ، والله عز وجل ههنا لا يخلو منه مكان ، وهو في السماء اله وفي الارض اله .

فقال الاسقف اشهد انك تعلم الحق لا عمر ، وشهد الشهادتين ،

قال ابو جعفر معنى من الملكوت ان ربي في كل مكان لا يعزب عن علمه شيء ، فاحاط بكل شيء علما لا ان مكانا يحصره او تحويه تعالى، تدركه بامره ملائكته ورسله بما امرهم من علمه ولا يحيطون بوصفه.

فيما جاءت به الاخبار عن محمد بن يوسف الكندي الطحان عن جعفر بن سريح الحضرمي عن مالك بن اعين الجهني عن ابي عبد الله الصادق عليه السلام : قال لما ولي عمر جاءه رجل اسرائيلي من علماء التوراة فدخل عليه المسجد ومعه ابو ايوب الانصاري، فقال انت امير المؤمنين ، قال نعم انت يسألك الناس وانت لا تسألهم وانت تحكم ولا يحكم عليك ، قال له عمر نعم ، قال فاخبرني عن خصال اسألك عنها ، قال سل قال فاخبرني عن واحد ليس له ثان ، واثنين ليس لهما ثالث ، وثلاثة ليس له رابع، واربعة ليس لهم خامس ، وخمسة ليس لهم سادس ، وستة ليس لهم سابع ، وسبعة ليس لهم ثامن ، وثمانية ليس لهم تاسع ، وتسعة ليس لهم عاشر ، وعشرة لا حادي عشر لها ، قال فلم يجبه واطرق مليا ، فقال له الاسرائيلي اجبني عما سألتك ، فقال ابو ايوب الانصاري ان امير المؤمنين عنك مشغول ، فقال الاسرئيلي والله ما عمر امير المؤمنين ، ولو كان امير المؤمنين ما قصر عن جوابي ثم قال له ابو ايوب الانصاري : ائت ذلك القاعد ، قال وكان علي ابن ابي طالب عليه السلام قاعدا في ناحية المسجد مع جماعة فجاء الاسرائيلي حتى اتى الى علي صلوات الله عليه فقال اني جئت الى اميركم هذا فسألته عن اشياء فلم يجبني عنها بشيء ،فارسلت اليك قال فرفع علي صلوات الله عليه رأسه ثم قال وما هي يا ابن هارون ؟ قال فقعد الاسرائيلي حيث قال له يا ابن هارون ، ثم قال عليه السلام وما ذاك ؟ فاعاد عليه الاسرائيلي المسائل ، فقال علي صوات الله عليه اما الواحد الذي لا ثاني له فالله الواحد الفرد ، والاثنان الذي لا ثالث لهما فالشمس والقمر ، واما ثلاثة ليس لها رابع ، فالطلاق ، واما اربعة ليس لها خامس فالنكاح من النساء الحرائر ، واما خمسة ليس لها سادس فالصلوة ، واما الستة التي ليس لها سابع فالستة الايام التي خلق الله عز وجل فيها السموات والارض ، واما سبعه ليس لها ثامن فالسموات السبع ، واما ثمانية ليس لها تاسع فحملة العرش ، واما تسعة لا عاشر لها حمل المرأة ، واما عشرة ليس لها حادي عشر فالايام التي واعدها موسى بن عمران عليه السلام فقال تعالى وواعدنا موسى ثلاثين ليلة واتممناها بعشر ،

فقال الاسرائيلي وانت تعلم هذا ، فذاك ما يقعده هنالك وهو عي عن الجواب ، ثم قال الهاروني اشهد ان لا اله الا الله وان محمدا عبده ورسوله ، وانك امير المؤمنين حقا، وغسل ثوبه وعلمه امير المؤمنين عليه السلام شرائع الاسلام ، ثم اتى به عمر ابن الخطاب فقال اكتب هذا في ديوان المسلمين .

ولو تقصينا ما ورد عن امير المؤمنين علي ابن ابي طالب عليه السلام من القضايا والاحكام، التي عجز عنها اكثر الانام، وما اجاب عنه من المشكلات، ورفع عن الاسلام من المعضلات ، لاتسع ذلك وطال فيه الشرح وكثر فيه المقال ، ولا لنا مدعى انا نحيط من ذلك بقليل من كثير ، ولا نأتي منه بعشر العشير ، وقد ذكر القاضي النعمان بن محمد رضوان الله عليه والداعي حاتم بن ابراهيم الحامدي قدس الله روحه في ما جاء فيه من التأليف وسطراه من التصنيف كثيرا من ذلك وغيرهما من دعاة الائمة الطاهرين وكثير فيه من الشيعة المصنفين وغيرهم من المتصنفين ، وانما اردنا ان نذكر شيئا مما عجز كثير من الصحابة، عن جوابه ووقفوا عن الدخول في ابوابه، مما ظهر على رؤوس الملا، وبان به فضل وصي الرسول الذي هو ممن سابقه احرى واولى ، والله تعالى يوفقنا للصوات ويجعلنا من المهتدين بالعترة والكتاب ، وممن نفعه الذكرى وكان من اولي الالباب.

ومما احدثه عمر ابن الخطاب ان رسول الله صلع وضع المقام بين الكعبة والحجر وبينه وبين جدار الكعبة ذراع ، وكان ذلك في عهد رسول الله صلع وبعده في ايام ابي بكر ، فلما ولي عمر فقال عمر للناس من يعرف المقام الاول في الجاهلية فقال ابو وداعة السهمي انا اعرف ذلك ، لقد اخذت مقدار --- عندي ،فقال عمر فأتيني به فاتاه به فقدره ، وجاءه عمر حتى انتهى الى الموضع الذي كان في الجاهلية فوضعه فيه ،

واخذ من بيت مال المسلمين ثمانين الف درهم واوصى ابنه عبد الله ابن عمر ان يقضيها عنه من ماله فما قضى عنه شيئا منها ، وقال انما انا وانت في هذا المال كولي اليتيم ان استغنينا استعفينا وان احتجنا اكلنا بالمعروف .

ووضع العطاء وفرضه للناس ، وكانوا يجاهدون على عهد رسول الله صلع بغير عطاء ، وانما امرهم الله تعالى ان يجاهدوا باموالهم وانفسهم ، فسن تلك السنة واحال النيات فولع الناس باخذ الاموال واقبالهم على الدنيا ولم يضع رسول الله صلع ديوانا ، وانما كانت تفعل ذلك الملوك من الاكاسرة والقياصرة ،وقال عمر لا تحدوا العرب ولا تجلدوها فتغضبوها ، وقد اقام رسول الله صلع الحدود على العرب والعجم، وجعل المسلمين في ذلك سواء ، وقال عمر ليس على عربي ملك وقد سبا رسول الله صلع المشركين من العرب وملك منهم واعتق ، وفضل عمر المسلمين بعضهم على بعض في القسمة وفضل المهاجرين علىالانصار وفضل الانصار على العرب وفضل العرب على كثير من العجم ، وانما كان رسول الله صلع يعطي المسلمين بالسوية الا انه كان يتألف المؤلفة قلوبهم الذين اسلموا حبا للرياسة والمال ويكل المسلمين الى اسلامهم ، وقد ذكرنا ما كان في ذلك يوم حنين، وقد كان رسول الله صلع يعطي الراجل سهما والفارس سهمين وقيل ان عمر كان اشار على ابي بكر ان يفضل بعض الناس على بعض في العطاء فلم يقبله ،وقال عهدنا برسول الله صلع قريب في هذه القسمة، وان فعلت ذلك لم آمن ان ينكره الناس ، وولي عمر المغيرة ابن شعبة الكوفة وكان المغيرة يكثر الاختلاف في شدة حر الشمس فنهى من نهاه عن ذلك فقال انما اخرج لحوائج الناس ، فقال انك امير لو كان الناس يأتونك وانت في الدعة لكان ذلك اجدر واولى ، فلم يزل على ذلك المغيرة حتى وجده اربعة من المسلمين وهو يفجر مع امرأة من اهل الكوفة تدعى بام جميل ابنة عمر فرفع ذلك الى عمر واكبر عليه المسلمون الامر فاحضر المغيرة والشهود فشهد عليه ثلاثة وقام الرابع ليشهد فتواعده عمر وقال ا تريد ان تفضح رجلا قد صحب رسول الله صلع ، وقال المغيرة اتق الله فلو كنت بين بطني وبطنها ما احرزت الميل في المكحلة فرجع الشاهد عن تبيين الشهادة واتقى عمر فجمجم القول .

وعن عمر ابن شيبة قال حدثنا علي ابن محمد بان يحي ابن زكريا عن مجالد عن الشعبي قال كانت ام جميل ابن عمر التي المغيرة ابن شعبة في الكوفة فجر بها تزور عمر ويختلف اليه في حوائجها فيقضيها لها، ووافت مكة في الموسم والمغيرة بها مع عمر، فقال عمر للمغيرة اتعرف هذه ، قال نعم ، هي ام كلثوم ابنة علي ، فقال اتجاهل والله ما اظن ابن بكر كذب عليك حين شهد بما شهد وما رأيتك الا خفت ان ارمى بحجارة من السماء.

واجلا عمر اهل نجران واهل خيبر عن ديارهم وقد كتب لهم رسول الله صلع عهده بالمقام في ديارهم واداء الجزية فنقض عمر عهدهم واخرجهم من ديارهم ، ووجد في المدينة رجل من يهود قد قتل ممن جرت عليه الذمة، وقيل انه قد كان اسلم فلما اصيب في شكـك المدينة مقتولا قام عمر ابن الخطاب خطيبا وناشد الله في امره فقام اليه رجل معه سيف مضرج بالدم فقال له ان اخي خرج في جيشك وخلف هذا الرجل في منزله ليمون اهله اليه فاتيت منزل اخي فاذا هو قاعد مع اهله يقول شعرا :

واشعث غره الاسلام مني \* خلوت بعرسه ليل التمام

كان مجامع الربلات منها \* فيام ينظرون الى فيام

ابيت على ترائبها ويضحي \* على جرداء مخطفة الحزام

فصدّق عمر قوله واهدر دم المقتول بغير بينة قامت ولا شهادة ثبتت بقتل رجل وقذفه ان كان مسلما او قتله، وقد جرت عليه الذمة وقذف امرأة محصنة مسلمة.

وولي عمر معاوية الشام بعد اخيه يزيد ين ابي سفيان وقد رأى رسول الله صلع ابا سفيان ومعاوية يسوق راحلته ويزيد يقودها فلعن النبي صلع القائد والراكب والسائق ، وقال رسول الله صلع اذا رأيتم معاوية يخطب على منبري هذا فاقتلوه ، قال الحسن البصري قد والله رأوه فلم يفعلوا ، فولاه عمر امور المسلمين التي توصل بها الى ادعاء امرة المؤمنين ،

وافعال عمر مشهورة واحداثه منكورة واعظمها ارتكابه الاثم في التقدم على وصي رسول الله صلع ومن محله منه كهارون من موسى عليه السلام، وما فعل مع فاطمة ابنة رسول الله صلع فذلك من اكبر الكبائر واعظم النكائر ، وكان امير المؤمنين علي ابن ابي طالب سلام الله عليه مع ما اغتصبوه من حقه واخفوه من فضله مجتهدا في اعزاز الاسلام ونصره وقوة اهله ، فما رجعوا اليه فيه من الحكم نطق عن صوابه وابانه لهم في جوابه ، وما استشاره فيه من امر المسلمين وجهاد المشركين نصح فيه الله والاسلام، ونطق من الرأي بما يقصر عنه اولي النهى والاحلام ، فمن ذلك قوله عليه السلام لعمر حين استشاره في الخروج الى الروم فقال في كلامه صلوات الله عليه وقد توكل الله لاهل هذا الدين باعزاز الحوزة وستر العورة ، والذي نصرهم وهم قليل لا ينتصرون ، ومنعهم وهم قليل لا يمتنعون ، حي لا يموت ، انك متى تسير الى هذا العدو بنفسك فتلقهم فتكبت لا تقم للاسلام قائمة دون اقصى بلادهم ليس بعده مرجع يرجعون اليه فابعث اليهم رجلا مجربا واحفز معه اهل البلاء والنصيحة فان اظهره الله يكن ما تحب ، وان يكن الاخرى كنت ردءا للناس ومثابة للمسلمين ، هذا قوله عليه السلام اظهر النصح فيه للاسلام والمسلمين طلبا لعز الدين وان لا يكون فيه نكاية للمشركين لما كان عمر قد استولى على الملك والسلطان ، وكان امير المؤمنين صلوات الله عليه يبعث اوليائه وشيعته مع جيوش المسلمين لنصرة الدين ولا يأسف علىما استولى عليه المتغلبون من الحطام ، ولو استقصينا ما اجمع عليه من فضله عليه السلام لطال شرحه واتسع ذكره ، وبقي امير المؤمنين عليه السلام ايام عمر في التقية لازما بيته لا يخرج الا لقضاء الصلوة في مسجد رسول الله صلع او لاقامة حق اسقطوه من حقوق الله جل وعلى مما يساعدونه على اقامته ، ولا يخالفونه في قوله واشارته ، وما خالفوه فيه اعرض عنهم ووكلهم على اعمالهم .

وخطب اليه عمر ابنته ام كلثوم ، قال جعفر ابن محمد الصادق عليه السلام وقد قيل له يا ابن رسول الله هل يجوز تزويج اهل الخلاف ، فقال قد زوج رسول الله صلع بناته من قد علمتم ، وخطب عمر الى علي عليه السلام ابنته ام كلثوم ، فرده فاتى العباس ابن عبد المطلب فشكى ذلك اليه وتواعد بني عبد المطلب ، فاتى العباس رضوان الله عليه عليا عليه السلام فقال يابن اخي قد ترى ما نحن فيه وقد تواعدكم عمر وتواعدنا بردك اياه ولم يزل بعلي عليه السلام حتى جعل امرها اليه فزوجها العباس عمر ، قال جعفر ابن محمد عليه السلام فالافضل والاعلى تزويج اهل الموافقة او من لا ينصب العداوة لآل رسول الله صلع ونكاح المؤمن افضل من نكاح غيره ولا بأس عند الضرورة بنكاح اهل الخلاف من المسلمين وكذلك النكاح فيهم ، وليس ذلك بمحرم كمناكحة المشركين ولكن الفضل والاختيار في مناكحة اهل الموافقة وبعد ذلك المستضعفين ، فكان ذلك اشد البلية واعظم المحنة والتقية ان يزوج علي عليه السلام عمر ابنته مع ما صنع الى ابيها وامها الزهراء فاطمة عليها السلام ، وهو على ذلك صابر، ولربه جل وعلا شاكر ، مقيم على ما هو عليه من تأليف القرآن وبيان تنزيله والهداية الى تأويله ، يطلع على ذلك من ارتضاه واختاره واصطفاه من آله الاطهار وشيعته الاخيار ، كابي ذر وسلمان وعمار وغيرهم من فضلاء المهاجرين والانصار ، وكان الصحابة يرون ان عمر اذا انقضت ايامه ودنى حمامه رد الامر الى وصي النبي ومن هو اولى الناس بالناس ، وقد ذكر بعض الصحابة فقالوا لو وليت عليا امر الامة فقال انه لاهل ذلك لو لا ان فيه دعابة ، وذلك خلاف للنبي صلع اذ قد جعله منه كهارون من موسى واستخلفه على امته كما استخلف موسى هارون في قومه.

وعن الزهري عن حميد بن عبد الرحمن قال كنت عند عمر وانا غلام فرأيته قد خلا برجل من الانصار و ليس معهما احد غيري ، فقال اننا نتحدث باحاديث ونكره ان تذاع عنا ، قال فرأيته انما عرّض بي فقلت اما انا والله لا اجالس احدا ، فقال عمر لا هذا ولا هذا عليك بالصفحة الجميلة ، قال يعني لا تدع مجالستهم ولا تذع السر ، ثم اقبل على الانصاري فقال من تحدثون ان يؤمر بعدي فقال الانصاري يذكر الناس فلانا فلانا وعدد رجالا لم يذكر فيهم عليا عليه السلام ، قال اظنه للذي يعلمه في نفس عمر، قال اذكروا عليا ، فسكت الانصاري ، فقال عمر اما والله اني لاعلم انه ان ولي من اموركم شيئا لحملكم على الحق .

وما زال عمر ابن الخطاب على ما هو عليه حتى قتله ابو لؤلؤة العجمي ، قال المسعودي : وكان عمر قد اسكن البصرة طوائف من العرب وحرم دخولها على العجم، فقال له المغيرة ابن شعبة ان هنا رجلا عجميا يدعى ابا لؤلؤة يحسن عمل الحديد وتجارة الخشب ، لو اسكنتها البصرة لانتفع الناس به فاذن له في اسكانه البصرة ، فاقام بها مدة ثم قدم على عمر الى المدينة فمر بعمر فقال له يا ابا لؤلؤ بلغني انك تعمل رحى تدور بالريح ، قال ابو لؤلؤ سوف اعمل لك رحى لا ينتهى الى مثله ، ثم انه وثب ابو لؤلؤ على عمر فوجأه بسكين ووجأ معه ستة حضروه ، فقتل الستة ثن بعج بطنه لئلا يقتل احد سواه ، واحتمل عمر وهو لما به وسئل من يقوم بعده بامر الامة فقال لو كان سالم مولى حذيفة حيا لم اعدل بها عنه ، فواعجبا كيف يقدم على الاسلام والمسلمين مولى حذيفة وفيهم علي ابن ابي طالب وصي رسول الله صلع وخليفته في اهله وامته ومن اختاره الله علىعلم على العالمين فقرنه به رسول الله صلع نفسه وجعله منه كهارون من موسى ، وقال فيه علي مني وانا منه وهو امام كل مؤمن من بعدي ، وقد جاء عن الاعمش وعن ابي سخيلة : قال قال ابو ذر رحمة الله عليه يا ابا سخيلة انها ستكون فتنة لا تشبه هذه التي نحن فيها ، فان ادركتها فعليك بعلي ابن ابي طالب فاني سمعت رسول الله صلع يقول وقد اخذ بيد علي ابن ابي طالب عليه السلام ، هذا اول من آمن بي وصدقني وهو اول من يصافحني يوم القيامة وهو الصديق الاكبر وهو الفاروق الذي يفرق بين الحق والباطل وهذا سلم الله وهذا حرب الله وهذا الذي يعصم من الفتنة ، وهذا يعسوب المؤمنين والمال يعسوي الظالمين ، وقد خاب من افترى ، ثم قال له يا علي ان للجنة ابوابا وطرقا وان للنار طرقا وابوابا ، وستكون بعدي فتنة وضلالة وانك لسبيل الجنة ورأية الهدى وعلم الحق وامام من آمن بي وولي من تولاني ، ونور من اطاعني يا علي بك يذهب الله الغل ويشفي صدور قوم مؤمنين وانت قصد السبيل ان استدلوا بك لم يضلوا ، وا اتبعوك لم يهلكوا ، ثم قال صلع ايها الناس اتبعوه وصدقوه ووازروه وسامحوه ولا تحسدوهولا تجحدوه فان جبرئيل امرني بالذي قلت لكم - في كثير من قول رسول الله صلع فيه ما لو ذكرناه لاحتجنا الى كتاب كثير عدها و تأليفات يبعد حصرها ، وفي اقل ما اوردناه كفاية يهتدى بها اللبيب ويعرف قصد سبيلها المصيب فكيف تحتاج الامة الى مثل مولى ابي حذيفة وعلي ابن ابي طالب صلوات الله عليه فيهم حاضر يعرفهم معالم دينهم ويقيم فيهم مقام نبيهم ، فما وازروه ولا ناصحوه ولا اتبعوا ما اوصاهم رسول الله صلع فيه بل سلكوا شعب من تقدمهم وفعلوا ما فعلت الامم قبلهم، وقد قال النبي صلع لتسلكن سبل من كان قبلكم ذراعا بذراع وباعا بباع حتى لو دخلوا جحر ضب لدخلتموه ، فقد سلكوا مسلكهم ونهجوا منهجهم واتبعوا سامريهم وتركوا وصي نبيهم رسول الله صلع وخيرته ووليه وقدموا من لم يتقدم، ولا يخطو في العلم بقدم، خلافا على الله سبحانه وعلى رسوله، واتباعا لغير سبيله .

ولما اشتدت بعمر علته ، ودنت منيته ، جعل الامر شورى بين ستة وهم علي ابن ابي طالب عليه السلام وعثمان ابن عفان وطلحة بن عبد الله والزبير بن عوام وسعد بن ابي وقاص وعبد الرحمن ابن عوف ، وقدم صهيبا على الصلوة ، وقال ان لم يجتمع الخمسة على سادس منهم فقد حل قتلهم ، وجعل ابنه عبد الله بن عمر الحاكم عليهم وامرهم بضرب اعناقهم ان لم يجتمعوا علىاحدهم فاتبعوا امره واقتدوا به ولم يتبعوا رسول الله صلع في وصيته ولم يختاروا من اختاره لامته ، ولما مات عمر بن الخطاب دفنوه عند قبر النبي صلع كفعلهم في امر صاحبه وقد منعه رسول الله صلع ان يجعل له الى المسجد بقدر ما ينظر اليه حين امر بسد الابواب غير باب علي عليه السلام ، فقتعدوا على النبي صلع وادخلوه الى بيته بغير اذنه ، وكانت وفاة عمر ابن الخطاب لاربع بقين من ذي الحجة سنة ثلاث وعشرين من الهجرة وكانت ولايته عشر سنين وستة اشهر وخمس ليالي ، وقيل ان عمره يوم مات خمس وخسمون سنة وقيل ست وستون .

واجتمع اهل الشورى الستة،

وعن الاعمش عن عمر بن وايلة قال كنت على الباب يوم الشورى فارتفعت الاصوات بينهم فسمعت عليا عليه السلام يقول :ايها الناس الله الله في انفسكم انها والله الفتنة العمياء والصماء البكماء المقعدة ، الى متى تعصون الله في ، اما تعلمون انه ما من نفس تقتل ظلما او تموت جوعا وما من ظلم يكون بعد اليوم او جور او فساد في الارض الا وزر ذلك على من رد الحق عن اهله ، وانا والله اهله ،والله ما الدنيا اريد ، ولقد علمت انكم لن تفعلوا ولن تستقيموا ولن تجمعوا علي ، لكن احتج عليكم واقيم المعذرة الى الله عز وجل فيما بيني وبينكم ، بايع الناس ابا بكر وانا والله احق واولى بها ولكن خفت رجوع الناس على اعقابهم لما رأيت من تجمع المنافقين في الكفر ، ثم جعلها ابو بكر بعده لعمر فخفت آخرا ما خفته اولا ،

وانت يا عبد الرحمن ابن عوف اقتديت بابي بكر وعمر وحالك ما قال الله عز وجل في اهل الضلالة انا وجدنا آباءنا على امة وانا على آثارهم مقتدون ، استقيم لكم ما استقمتم ، فاذا غيرتم تغيرت ، والله على ما نقول وكيل ، اما تعلم ان عمر جعلني في خمسة وانا سادسهم لا يعرف لهم علي فضل في وجه من الوجوه ،وانا احتج عليكم بحجج لا يستطيع العربي منكم ولا المولى ولا المعاهد ان يجحد بي بحجة ، ولا ان يرد علي منها خصلة .

اناشدكم بالله الذي لا اله الا هو ايها النفر الخمسة افيكم اخ لرسول الله صلع غيري، قالوا اللهم لا ، قال فاناشدكم الله الذي لا اله الا هو ايها النفر الخمسة هل فيكم من ولايته ولاية الله وعداوته عداوة الله غيري ، قالوا اللهم لا، قال فاناشدكم الله الذي لا اله الا هو ايها النفر الخمسة افيكم من قال رسول الله صلع انت مني بمنزلة هارون من موسى غيري ، قالوا اللهم لا ، قال فاناشدكم بالله الذي لا اله الا هو ايها النفر الخمسة افيكم من له عمي كعمي حمزة ابن عبد المطلب اسد الله واسد رسوله وسيد الشهداء عند الله ، قالوا اللهم لا ، قال فاناشدكم بالله الذي لا اله الا هو ايها النفر الخمسة افيكم من له زوجة كزوجتي فاطمة الزهراء ابنة رسول الله صلع وسيدة نساء عالمها وامها واول من آمن بالله ورسوله قالو اللهم لا ، قال فاناشدكم بالله الذي لا اله الا هو ايها النفر الخمسة هل فيكم من له سبطان كسبطي الحسن والحسين سيدي شباب اهل الجنة، قالوا اللهم لا ، قال فاناشدكم بالله الذي لا اله الا هو ايها النفر الخمسة هل فيكم اقرب الى رسول الله صلع مني ، قالوا اللهم لا، قال فاناشدكم بالله الذي لا اله الا هو ايها النفر الخمسة هل فيكم وصي لرسول الله صلع غيري ، قالوا اللهم لا ، قال فاناشدكم بالله الذي لا اله الا هو ايها النفر الخمسة هل فيكم من آمن بالله ورسوله قبلي، قالوا اللهم لا ، قال فاناشدكم بالله الذي لا اله الا هو هل فيكم من قدم صدقته بين يدي رسول الله صلع غيري، قالوا اللهم لا ، قال فاناشدكم بالله الذي لا اله الا هو هل فيكم احد جاهد في سبيل الله كجهادي وقتل من المشركين كما قتلت وبذل بين يدي رسول الله صلع كبذلي لنفسي ، قالوا اللهم لا ، قال فاناشدكم بالله الذي لا اله الا هو ايها النفر الخمسة افيكم احد اعطاه رسول الله صلع سهما في الخاصة وسهما في العامة غيري ، قالوا اللهم لا ، قال فاناشدكم بالله الذي لا اله الا هو ايها النفر الخمسة افيكم احد ولي من رسول الله صلع ما وليته عند موته حين سالت نفسه بيدي باختصاصه اياي بذلك ودعائه ان يلي ذلك منه غيري ، قالوا اللهم لا ، قال فاناشدكم بالله الذي لا اله هو ايها النفر الخمسة افيكم احد جاءته التعزية من الله عز وجل حين هتف بنا جبرئيل عليه السلام عند موت رسول الله صلع وليس معه في البيت الا انا وفاطمة والحسن والحسين وهو مسجى بيننا فقال السلام عليكم اهل البيت ورحمة الله وبركاته كل نفس ذائقة الموت وانما توفون اجوركم يوم القيامة فمن زحزح عن النار وادخل الجنة فقد فاز وما الحيوة الدنيا الا متاع الغرور ، ان في الله عزاء من فائت وخلفا من كل هالك ، فالله فارجو واياه فاعبدوا ، واعلموا ان المصاب من حرم الثواب ،والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته - غيري ، قالوا اللهم لا ، قال فاناشدكم بالله الذي لا اله الا هو ايها النفر الخمسة افيكم احد ولي غسل رسول الله صلع مع كرام الملائكة غيري ، قالوا اللهم لا، فاناشدكم الله الذي لا اله الا هو ايها النفر الخسمة افيكم احد كفن رسول الله صلع وحنطه مع الملائكة غيري، قالوا اللهم لا ، قال فاناشدكم الله الذي لا اله الا هو ايها النفر الخمسة افيكم احد وضع رسول الله صلع في لحده وكان آخر الناس عهدا به غيري، قالوا اللهم لا ، قال فاناشدكم الله الذي لا اله الا هو ايها النفر الخمسة افيكم احد كان يسمع حفيف اجنحة الملائكة غيري، قالوا اللهم لا ، قال فاناشدكم الله الذي لا اله الا هو ايها النفر الخمسة افيكم احد كان يقاتل بين يدي رسول الله صلع وجبرئيل عن يمينه وميكائيل عن يساره وملك الموت امامه غيري ، قالوا اللهم لا، قال فاناشدكم الله الذي لا اله اله هو ايها النفر الخمسة افيكم احد شهد الكتاب بتطهيره في الخمسة اصحاب الكساء غيري ، قالوا اللهم لا ، قال فاناشدكم بالله الذي لا اله الا هو ايها النفر الخمسة افيكم احد ندبه رسول الله صلع وولده واهله للمباهلة لما انزل الله عز وجل عليه قل تعالوا ندع ابنائنا وابنائكم ونسائنا ونسائكم وانفسنا وانفسكم ثم نبتهل فنجعل لعنة الله على الكاذبين ، وكان كنفس رسول الله صلع ، وقال له انت كنفسي غيري ، قالوا اللهم لا ، قال فاناشدكم الله الذي لا اله الا هو ايها النفر الخمسة افيكم احد ترك رسول الله صلع بابه شرع مع ابوابه الى المسجد وسد جميع ابواب اصحابه غيري ، قالوا اللهم لا، قال فاناشدكم الله الذي لا اله الا هو ايها النفر الخمسة افيكم احد ورث رسول الله صلع وصارت تركته اليه من بعده غيري ، قالوا اللهم لا، قال فاناشدكم الله الذي لا اله الا هو ايها النفر الخمسة افيكم احد خلفه رسول الله صلع وجعل طلاق نسائه اليه غيري ، قالوا اللهم لا ، قال فاناشدكم الله الذي لا اله هو ايها النفر الخمسة افيكم احد لا يجد حرا ولا بردا بدعاء رسول الله صلع بذلك غيري ، قالوا اللهم لا ، قال فاناشدكم الله الذي لا اله الا هو ايها النفرالخسمة افيكم احد امره رسول الله صلع على جميع الناس يوم جمع بني عبد المطلب وانذرهم كما انزل الله عز وجل ان انذر عشيرتك الاقربين وندبهم الى من يوازره منهم على امره على ان يجعله اخاه ووزيره في حياته ووصيه وخليفته على الامة بعد وفاته فابوا من ذلك واجابه وعقد له ذلك وامرهم بالسمع والطاعة له غيري ، قالوا اللهم لا ، قال فاناشدكم الله الذي لا اله الا هو ايها النفر الخمسة افيكم احد اقامه رسول الله صلع في حجة الوادع غيري عندما اجتمع اليه عامة الامة ، فقال الستم تعلمون اني اولى بكم من انفسكم ، قالوا اللهم نعم ، قال من كنت م ولاه فعلي مولاه ، اللهم وال من والاه وعاد من عاداه غيري ، قالوا اللهم لا ، قال فاناشدكم الله الذي لا اله الا هو ايها النفر الخمسة هل فيكم حد نهض به رسول الله صلع على ظهره ليلة غير اوثان الكعبة والقاها عنها وكسرها غيري ، قالوا اللهم لا ، قال فاناشدكم الله الذي لا اله الا هو ايها النفر الخمسة افيكم احد يعرف المنافقون ببغضهم اياه لما ابلى في المشركين غيري ، قالوا اللهم لا ، قال فاناشدكم الله الذي لا اله الا هو ايها النفر الخمسة افيكم احد نودي باسمه من السماء يوم احد لا فتى الا هو ولا سيف الا ذو الفقار غيري ، قالوا اللهم لا، قال فاناشدكم بالله الذي لا اله هو ايها النفر الخمسة افيكم احد اجابته الجن برسالة رسول الله صلع غيري ، قالوا اللهم لا ، قال فاناشدكم بالله الذي لا اله هو ايها النفر الخمسة افيكم احد قال رسول الله صلع فيه لاعطين الرأية غدا رجلا يحبه الله ورسوله ويحب الله ورسوله كرار غير فرار لا يرجع حتى يفتح الله على يديه ثم اعطاها اياه ففتح الله عز وجل على يديه غيري ، قالوا اللهم لا ، قال فاناشدكم بالله الذي لا اله الا هو ايها النفرالخمسة افيكم احد شهد له رسول الله صلع بانه اعلم الناس بالقضا وضرب على صدره ودعى له بالعلم بذلك غيري ، قالوا اللهم لا، قال فاناشدكم الله الذي لا اله الا هو ايها النفر الخمسة افيكم احد من نزل القرآن بمدحه وفضله مثل ما انزله في قالوا اللهم لا ، قال فانا شدكم الله الذي لا اله الا هو ايها النفر الخمسة افيكم احد يدعى شرف كل آية في القرآن اولها يا ايها الذين آمنوا لسبقه الى الايمان غيري ، قالوا اللهم لا ، قال فاناشدكم الله الذي لا اله الا هو ايها النفر الخمسة هل فيكم احد من انزل الله فيه انما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقميون الصلوة ويؤتون الزكوة وهم راكعون غيري ، قالوا اللهم لا ، قال فاناشدكم الله الذي لا اله الا هو ايها النفر الخمسة افيكم من انزل الله تعالى فيه ويطعمون الطعام على حبه مسكينا ويتيما واسيرا الى قوله تعالى ان هذا كان لكم جزاء وكان سعيكم مشكورا غيري ، قالوا اللهم لا ،

قال فحسبي بما اقررتم به من مناقبي وفضائلي ، ولو شئت ان اذكر غير ذلك لذكرته فاصنعوا بعد ذلك ما انتم صانعون ، فالله الشاهد على ما تفعلون ،

قال عمر ابن وايلة هذا ما حفظت مما عدده علي ع م من مناقبه على اهل الشورى فاقروا بها وصدقوه فيها ، ثم لم اسمعه كلمهم بعد ذلك بشيء حتى عقدوا ما عقدوه منهم وافترقوا، ولم يكن قول امير المؤمنين علي ابن ابي طالب لاهل الشورى واحتجاجه عليهم بفضائله التي لم يجدوا لها دفعا طلبا للدنيا التي عليها يتكالبون ، وفي ادخارها يتألبون ، بل اقامة لحجة الله عليهم وايضاحا لبيناته ، ولو اتبعوه ما اختلفوا ولا ضلوا ولا اضلوا وبذلك نبأهم النبي المنذر صلع واخبرهم وما صدهم عنه جهل بشرف مقامه ولا غباوة عن فضله وسوابقه وايامه ، بل حسدا وكبرا ومنافسة على الدنيا الدنية ورغبة في حطامها الفاني ، وكان صلع يخلو بواحد بعد واحد من اهل الشورى ويعرفهم ما اوجب عليهم الرسول صلع من طاعته وماله من الفضل الذي لا ينكره منكرمنهم ولا يدفع واضح حجته دافع فيريد كل منهم ان يبايعه على شرط من الدنيا يشترطه واثرة لا تبغى هي القصد الذي يرومه ويطلبه فلا يجدون عنده في دين الله تعالى هوادة وعلى ما اعطاهم الرسول صلع زيادة ، فلما لم يجدوا عنده ما راموه من الاثرة في الدنيا ايئسوا ان يحملهم الا على كتاب الله وسنة رسول الله صلع التي هي لمن عقل طريق النجاة - مالوا الى عثمان ابن عفان مبايعين له على ان يؤتيهم من الحطام ويبلغهم مما الفوه واعتادوه من الاولين قبله المرام ،

فلم يف ابن عفان لهم مناهم ، ولا اعطاهم الطعمة التي طمعوا فيها ولا آتاهم ولا يمسوا من يومهم حتى ندموا على بيعته ودبروا الحيل في خلعه والخروج عن طاعته ،

وقد ذكر ذلك امير المؤمنين علي ابن ابي طالب سلام الله عليه في قوله الذي اسنده عنه محمد ابن سلام وقد قدمت ذكره على الكمال والتمام بقوله عليه السلام في شرحه لما فعله عمر ابن الخطاب حيث قال عليه السلام :

فكان من فعله الذي ختم به امره ان سمى خمسة انا سادسهم لم يستو واحد منهم معي قط في حال يوجب له ولاية الامر من قرابة ولا فضيلة ولا سابقة ، ولا لواحد منهم مثل واحدة من مناقبي ولا اثر من آثاري فصيرها شورى بيننا وصير ابنه فيها حاكما علينا وامره بضرب اعناق الستة الذين صير الامر فيهم ان ابوا ان يختاروا واحدا منهم ، وكفى بالصبر على هذه ، فمكث القوم اياما كل يخطبها لنفسه وانا ممسك لا اقول في ذلك شيئا، فاذا سألوني عن امري ناظرتهم بايامي وايامهم وآثاري وآثارهم واوضحت لهم ما جهلوه بل تجاهلوه من وجوه استحقاقي لها دونهم، وذكرتهم عهد رسول الله صلع فيّ اليهم وتأكيده ما اخذ لي من البيعة عليهم ، فاذا سمعوا ذلك مني دعاهم حب الامارة وبسط الايدي في الامروالنهي والركون الى الدنيا وزخرفها الى الاقتداء بالماضين قبلهم وتناول ما لم يجعل الله عز وجل لهم ، واذا اخلو بين الواحد بعد الواحد فذكرته ايام الله وما هو قادم عليه وصائر اليه التمس مني شرط طائفة اصيرها له ، فلما لم يجدوا عندي ال المحجة البيضاء والحمل على كتاب الله عز وجل ذكره وسنة رسوله صلع واعطاء كل امرء ما جعله الله له فشكـك القوم مشكـك فازلها الىابن عفان طمع في التبجح معه فيها، وابن عفان رجل لم يستو بي وبه ولا بواحد ممن حضر فضيلة من الفضائل ولا مأثرة من المآثر ، ثم لا اعلم القوم امسوا من يومهم ذلك حتى ظهرت ندامتهم ونكصوا على اعقابهم واحال بعضهم على بعض ، كل يلوم نفسه ويلوم اصحابه ، ثم لم يطل الايام بالسفير لابن عفان حتى اكفره ومشى الى اصحابه وخاصته والى اصحاب محمد عليه السلام عامة يستقيلهم من بيعته ويتوب الى الله من فتنته ، فكانت هذه اكبر من اختها وافظع واحرى ولا يصبر عليها ، فلم يكن عندي فيها الا الصبر ، ولقد اتى الباقون من الستة من يومهم الذي عقدوا فيه لابن عفان ما عقدوه كل منهم راجع عنه يسألني خلع ابن عفان والقيام عليه في حقي ويعطيني صفقته وبيعته على الموت تحت رأيتي او يرد الله الي حقي ، وبعد ذلك مرارا كثيرة قد اتوني في ذلك وغيرهم فوالله ما منعني منها الا ما منعني من اختها قبلها ، ورأيت الابقاء على من بقي ابهج لي ، والله لو حملت نفسي على ركوب الموت لركبته ، ولقد علم من حضر وغاب من اصحاب محمد عليه السلام ان الموت عندي بمنزلة الشربة الباردة من الماء في اليوم الحار عند ذي العطش الصادي ، ولقد كنت عاهدت الله عليه انا وعمي حمزة واخي جعفر وابن عمي عبيدة ابن الحارث على ذلك فتقدموني وبقيت انتظر اجلي فانزل الله عز وجل فينا من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلا ، وما اسكتني عن ابن عفان الا اني علمت ان اخلاقه فيما خبرت منه لا تدعه حتى يستدعي الاقارب فضلا عن الاباعد الى خلعه وقتله فصبرت حتى كان ذلك ولم انطق فيه بحرف لا ولا نعم .

فقام عثمان ابن عفان ابن ابي العاص ابن امية ، وكان عثمان اول قائم من بني امية ولم تكن لابيه رياسة في قريش ، وانما عظم بالاسلام ، وقد ذكروا انه من السابقين الاولين وهو من الذين هاجر الى الحبشة ، قال الهيثم ابن عدي عن ابن عباس والكلبي وحمادي الراوية: المشهورون بالابنة من قريش ابو جهل ابن هشام ومنهم ابو امية المغيرة وابن ابي ابن خلف وعفان ابن ابي العاص ابو عثمان ابن عفان ، وهو الذي يقول في ابي احيحة سعيد ابن ابي العاص وكان ينادمه :

يا جواري الحي عدمنيه \* باخواتي لا تلمنيه

كيف التذ الحيوة وقد \* نزعوا عني معلليه

كيف تلحوني على رجل \* لو سقاني سم ساعتيه

لم اقل اني ندمت ولا \* انني فاضت مدامعيه

او اصابته منيته \* شرقت عيني بعبرتيه

قالوا وكان عفان يجيد ضرب الدف والزمر ، وفيه يقول عبد الرحمن ابن خيل الجمحي لعثمان ابن عفان يعير بابيه شعرا :

زعم ابن عفان وليس بهازل \* ان الفرات له يجوز المشرق

خرج له من شاء اعطي فضلة \* منا وتلك مقالة لم تصدق

انى لعفان سوى دف له \* ويراعة خرقاء لما تنطق

وبودنا لو كنت انثي مثله \* فيكون رق فتاتكم لم يعتق

وقد كان عثمان يدعى نعثلا ، قال الكلبي : شبهوه برجل من اهل مصر اسمه نعثل كان طويل اللحية ، وفي اللغة العربية النعثل الشيخ الاحمق ، ويقال النعثل الذكر من الضباع .

فلما ولي عثمان جمع اليه بني امية وكان رسول الله صلع قد نفى الحكم ابن ابي العاص وابنه مروان ابن الحكم من بلاد الاسلام فارجع عثمان مروان ابن الحكم وكان الحكم قد مات وقربه وادناه وذلك مما عيب على عثمان ونقمه الناس عليه وقد لعن رسول الله صلع الحكم وابنه مروان ونفاهما الى دهلك من ارض الحبشة ، فلم يزل فيها حياة رسول الله صلع وايام ابي بكر وعمر، فلما ولي عثمان رد مروان واعطاه من مال الله تعالى ومال المسلمين مائة الف درهم ايثارا له واختصاصا ، فانكر ذلك المسلمون وكان الحكم اشد الناس عداوة لرسول الله صلع وجعل يوما يحكي مشية رسول الله صلع مستهزئا به فابتلي بتخليع اعضائه عقوبة من الله تعالى ، وفي ذلك يقول بعض الشعراء الامويين :

ولا حجاب وليس فيكم سوى الكبر \* وبغض النبي والشهداء

بين حاك مخلع وطريد \* وقتيل بلعن اهل السماء

يعني بالشهداء عليا عليه السلام وجعفر وحمزة رضوان الله عليهم والحاكي المخلع الحكم ابن ابي العاص ، وهو الطريد ،

وذكروا ان رسول الله صلع التفت الى الحكم يوما وهو خلفه ورسول الله صلع يتكلم فرآه يعوج شدقيه ويحكي كلامه فقال له كذلك فلتكن ، وسمع رسول الله صلع يعلن فقيل له من تعلن فقال الحكم ابن ابي العاص جاء الي يشق الجدار وانا مع اهلي ، فلما نظرت اليه كلح في وجهي ، ثم قال صلع كأني انظر الى بنيه يصعدون على منبري وينزلون ، ولهذا قال الحسن ابن علي صلوات الله عليه لمروان ان رسول الله صلع لعن اباك وانت في ظهره ، وله ايضا قال عبد الله ابن الزبير وهو مستند الى الكعبة ورب هذا البيت الحرام والبلد الحرام ان الحكم ابن ابي العاص وولده الملعونون على لسان رسول الله صلع ، وقالت عائشة لمروان ابن الحكم وقد كتب اليه معاوية ليبائع لابنه يزيد ، فقال له عبد الرحمن ابن ابي بكر لقد جئتم بها والله هرقلية ، تبايعون لابنائكم ، فقال مروان لمن حضره هذا الذي يقول الله عز وجل فيه والذي قال لوالديه اف لكما ، فبلغ ذلك عائشة فقالت لمروان والله ما هو بالذي قلت ، ولو شئت ان اسميه لسميته ، ولكن والله لقد لعن ابوك وانت في صلبه على لسان رسول الله صلع فانت قطعة من لعنة الله ، وقال رسول الله صلع لما نفى الحكم ابن ابي العاص ان رأيتموه تحت استار الكعبة فاقتلوه ، وقد كان عثمان حاول ان يرد مروان واباه ورغب الى رسول الله صلع فابى له في القول واغلظ له فيه ، ثم سأل هو وبنو امية ابا بكر ان يردهم فانكر عليهم ذلك واباه، وقال ما كنت لارد من طرده رسول الله صلع ، وآوي من نفاه ، ثم سألوا عمر فقال مثل ذلك وغلظ عليهم ، فلما ولي عثمان ردهم وآواهم ، وكان ايضا معاوية ابن المغيرة ابن العاص ابن امية ممن طرده رسول الله صلع ونذر دمه فتردد في ضلاله ولم يخرج فامر عليا صلوات الله عليه وعمار بن ياسر فقتلاه وهو جد مروان لامه ، فمروان ابن الطريدين .

وكان ابو ذر بن جندب ابن جنادة الغفاري رضوان الله عليه ممن شهر فضله وعرفت صحبته للنبي صلع وكان من شيعة علي ابن ابي طالب عليه السلام المتوالين له لما عرف من فضله وسمع في ذلك من رسول الله صلع ، وكان ينادي بذلك على رؤوس الاشهاد ، ويذكره للحاضر والباد ، وروي عن ابي ذر رحمة الله عليه : فلما احتفل الناس في الطواف وقف بباب الكعبة وقال ايها الناس ثلاثا فاجتمعوا ووقفوا وانصتوا ، فقال ايها الناس من عرفني فقد عرفني ، فانا ابو ذر الغفاري ، احدثكم بما سمعته من رسول الله صلع سمعته يقول حين احتضر اني تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي اهل بيتي ، فانهما لن يفترقا حتى يردا علي الحوض كهاتين جمع بين اصبعيه المسبحتين من يديه وقرنهما وساوى بينهما ، وقال لا اقول كهاتين وقرن بين اصبعيه الوسطى والمسبحة من يده اليمنى ، لا احداهما تسبق الاخرى ، الا وان مثلهما فيكم مثل سفينة نوح من ركبها نجى ومن تخلف عنها غرق ، وعلى ذلك كان ابو ذر ايام ابي بكر وعمر، فحين ولي عثمان ضاق قلبه لمجاهرة ابي ذر رضوان الله عليه بفضل علي واهل بيته عليهم السلام ، ورفع ثوب التقية في ذلك فنفاه عنه واشخصه الى الشام ومعاوية العامل عليها ، فكان ذلك دأب ابي ذر ومضى على ما كان عليه فكره ذلك معاوية وكان ينقم على عثمان ومعاوية افعالهما ويشهر خلافهما للسنة النبوية ، وروي عن جعفر بن محمد ابن اسحاق الارزق ، قال حدثنا اسحاق ابن يوسف قال حدثنا شريك ابن عبد الله قال حدثنا الاعمش قال سمعت شقيق ابن سلمة يذكر عن جلام ابن حول الغفاري قال قدمت على معاوية من العواصم وهو يومئذ عامل لعثمان على الشام فبينا انا عنده وهو يسألني عن العواصم اذا انا بصائح يصيح على باب القصر: جاء القطار يحمل النار لعن الله الآمرين بالمعروف التاركين له ، لعن الله الناهين عن المنكرين الراكبين له ، فجعل وجه معاوية يتغير ثم قال يا قوم من لي بابي ذر ، قال وكان ابو ذر رجلا من قومي وكنت احب لقائه فدخل رجل طوال له حياء وعليه كساء كأنه يحمل شيئا ، فوالله ما حفل بمعاوية ولا سلّم عليه بالامرة، فقال معاوية والله لولا اني لا ادري ما رأى عثمان لكنت اول من يضرب عنقه ، فقال ابو ذر قاتلك الله يا معاوية اتضرب عنقي وتؤثر حب عثمان على لقاء الله ، اما اني سمعت رسول الله صلع يقول يلي هذه الامة الواسع البلعوم السبوب الشتوم الذي يأكل ولا يشبع يقتل ذوي صحبتي وتبيد عترتي ، عليه لعنة الله، ثم خرج فدعى معاوية بدوات وصحيفة الي وكتب الى عثمان : اما بعد فان كان لك حاجة في الشام فاشخص عنه ابي ذر جندب ابن جنادة فانه يجيء كل يوم حتى يقف بباب القصر فيقول جاء القطاء يحمل النار لعن الله الآمرين بالمعروف التاركين له لعن الله الناهين عن المنكر الراكبين له ، فكتب اليه عثمان اما بعد فاذا قرأت كتابي هذا فاشخص ابي جندب ابن جنادة على قتب ليس تحته وطأ ، فارسل الى معاوية فقال يا جلام عليك بصاحبك فاشخصه الى عثمان، فقلت اعفني ، فقال انه لا بد لك من ذلك، فحمله على قتب ليس تحته وطأ، فخرجت معه ومعي صاحبان لي فلما برزنا قالت هل لكما في ان اجعل لكما جعلا على ان تتركاني اجعل تحته وطأ ، فقال اما الليل فشانك ، واما النهار فلا ، فقدمت به المدينة وقد انسلخ من عجم ذنبه الى كعبه ،

فاتيت عثمان فاذا الدار ملأ ، فلما رآني قال ما فعله الراحلة قلت قد قدم هو مريض، قال اذا برئ فاحضره الدار ، فمكث حتى زال المه فاحضرته ، فلما رأى عثمان قال له لا يحيي الله لك عما تحية سخط اذا التقينا ، فقال ابو ذر انك لتحييني بتحية وتسميني باسم ما اعرفه ، فقال عثمان انك القائل عن رسول الله صلع ما لم يقل ، قال ما كذبت على رسول الله صلع ، قال انت القائل اذ كان آل ابي العاص ثلاثين رجلا اتخذوا مال الله دولا وعباده خولا ودينه دخلا ، قال سمعت رسول الله صلع يقول ذاك، قال عثمان يا اهل الدار سمعتم رسول الله صلع يقول ذلك ، قالوا لا وكذبوه فيناهم كذلك اذ طلع امير المؤمنين علي عليه السلام عليهم ومعه ابنه الحسين ابن علي عليه السلام، فلما نظر الى ابي ذر مال اليه واعنقه وصافحه ، ثم التفت الى عثمان فقال الا تعرف لهذا الشيخ صحبة وسنة ، قال انه قال على رسول الله صلع شيئا هل انت سمعته منه ، قال وما قال ، قال زعم انه قال اذا كان آل ابي العاص ثلاثين رجلا اتخذوا مال الله دولا وعباد الله خولا ودين الله دخلا ، فالتفت الى ابي ذر وقال له ا سمعته من رسول الله صلع ، قال نعم ، فقال علي عليه السلام اشهد لقد قال رسول الله صلع ، قال فغضب عثمان وقال يا اهل الدار هل تسمعون ما يقولان ، فقال علي عليه السلام اني سمعت رسول الله صلع يقول ما اظلت الخضراء ولا اقلت الغبراء على ذي لهجة اصدق من ابي ذر، فاشهد له ان رسول الله صلع قاله وان ابا ذر لم يكذب على رسول الله صلع ، فقال عثمان بفيك التراب ، ووقعت بين امير المؤمنين عليه السلام وبين عثمان مشاجرة ، فقال المغيرة ابن الاخس لعثمان انا اكفيكه ، فقال علي عليه السلام انت تكفيني فوالله ما اعز الله من انت ناصره ولا اقام من انت منهضه اخرج عنا ابعد الله نواك ثم ابلغ جهدك فلا ابقى الله عليك ان بقيت ،

ثم ان عثمان بن عقان نفى ابا ذر عن المدينة واخرجه عنها فخرج عنها خائفا يترقب الى الربذة ، ولما ازمع على الخروج الى الربذة شيّعه علي ابن ابي طالب عليه السلام وابناه الحسن والحسين سلام الله عليهما ، وقال علي عليه السلام لابي ذر لما اخرج الى الربذة يا ابا ذر انك غضبت لله فارج من غضبت له ، وان القوم خافوك على دنياهم وخفتهم على دينك فاترك في ايديهم ما خافوك على دنياهم وخفتهم على دينك فاترك في ايديهم ما خافوك عليه واهرب منهم بما خفتهم عليه ، فما احوجهم الى منعتهم واغناك عما منعوك وستعلم من الرابح غدا والاكثر حشدا ، ولوان السموات والارض كانتا على عبد رتقا ثم اتقى الله لجعل فيهما له مخرجا ، لا يونسك الا الحق ، ولا يوحشك الا الباطل ، فلو قبلت دنياهم لاحبوك ، ولو اقترضت منها شيئا لامنوك .

وقد روي عن عبد الرحمن ابن محمد باسناده عن ابي رافع قال سيّر عثمان ابا ذر الى الربذة ، واتيته لاسلم عليه ، فلما اردت الانصراف قال لي: انه ستكون فتنة ، ولست ادري ادركها ام لا، ولعلك ان تدركها فان ادركتها فعليك بالشيخ علي ابن ابي طالب فاني سمعت رسول الله صلع يقول له انت اول من آمن بي واول من يصافحني يوم القيامة ، وانت الصديق الاكبر وانت الفاروق الذي يفرق بين الحق والباطل ، وانت يعسوب المؤمنين والمال يعسوب الكفرة،

فخرج ابو ذر الى الربذة فلم يزل الى ان مات رحمة الله عليه بالربذة في ايام عثمان، وقد ذكره ابن هشام في سيرته وغيره ان النبي صلع لما خرج لغزوة تبوك جعل الرجل يتخلف عنه بعد الرجل فيقولون يا رسول الله تخلف فلان فيقول دعوه فان يكن فيه خير فيلحقه الله بكم وان يكن غير ذلك فقد اراحكم الله منه ، وكان ابو ذر قد ابطأ به بغيره فاخذ متاعه فجعله على ظهره ثم اقبل يتبع رسول الله صلع ماشيا ، ونزل رسول الله صلع في بعض منازله فنظر ناظر من المسلمين فقال يا رسول الله هذا الرجل يمشي على الطريق وحده، فقال رسول الله صلع كن ابا ذر ،فلما تأمله القوم قالوا يا رسول الله هو والله ابو ذر ، فقال رسول الله صلع رحم الله ابا ذر يمشي وحده ويموت وحده ويبعث وحده .

قال ابن اسحاق فحدثني يزيد ابن سفيان الاسلمي عن محمد بن كعب القرضي عن عبد الله ابن مسعود ، قال لما نفى عثمان ابا ذر الى الربذة فاصابه بها قدره لم يكن معه الا امرأته وغلامه ، فاوصاهما ان اغسلاني وكفناني ثم ضعاني على قارعة الطريق فاول ركب يمر بكم فقولا هذا ابو ذر صاحب رسول الله صلع فاعينونا على دفنه ، فلما مات فعلا ذلك ووضعاه على قارعة الطريق واقبل عبد الله ابن مسعود في ركب من اهل العراق عمار فلم يرعهم الا بالجنازة على ظهر الطريق ، وقد كادت الابل يطأها ، وقام اليهم الغلام فقال هذا ابو ذر صاحب رسول الله صلع فاعينونا على دفنه ، قال فاستهل عبد الله ابن مسعود يبكي ويقول صدق رسول الله صلع يمشي وحدك وتموت وحدك وتبعث وحدك ، ثم نزل هو واصحابه فصلوا عليه وواروه ثم حدثهم عبد الله بن مسعود حديثه وما قاله رسول الله صلع في مسيره الى تبوك ،

فهذا ابو ذر صاحب رسول الله صلع نسبوا اليه الكذب وطردوه عن موضع الهجرة ومجاورة قبر رسول الله صلع ولا سمعوا فيه قوله وكفى بهذا حدثا في الاسلام وتجريا على الله تعالى ذكره وعلى رسوله عليه الصلوة والسلام ،

واستعمل عثمان الوليد بن عقبة ابي معيط على الكوفة وعزل عنها سعد ابن ابي وقاص وكان عمر قد ولى سعد ، فلما قدم الوليد على سعد قال له سعد اكست بعدن ام حمقنا بعدك ، قال له الوليد ما كسنا بعدك ولا حمقت بعدنا ولكن القوم استأثروا عليك بسلطانهم.

وكان مما نقم الناس على عثمان استعماله الوليد على الكوفة وعزله عنها سعد ابن ابي وقاص، واستعماله عبد الله بن عامر ابن خال عثمان وعامر اخو اروى ام عثمان وكان سبب توليته اياه يزيد اين خرسة ابن ضرار الضبي وفد على عثمان فقال له اما فيكم وضيع فترفعوه ولا فقير فتجيروه عمدتم الى نصف سلطانكم فاعطيتموه الى هذه الاشعري فعزله عثمان وولى عبد الله ابن خاله ، فقال الناس استأثر عبد الله والوليد بن عقبة ابن معيط قتل رسول الله صلع اباه يوم بدر صبرا واوجب له يومئذ النار بقوله لما قال عقبة فمن للصبية يا محمد قال النار ، فاظهر الوليد بعد ذلك الاسلام لما رأى ظهوره وهو مجن لعداوة رسول الله صلع وعداوة اهل بيته في قلبه لقتله اباه، وكان رسول الله صلع قد استعمله على صدقات بني المصطلق فاتاه فقال منعوني الصدقات ولم يكونوا منعوه ولكن كذب عليهم فامر رسول الله صلع باخذ السلاح والخروج اليهم فانزل الله عز وجل يا ايها الذين آمنوا ان جاءكم فاسق بنبإ فتبينوا ان تصيبوا قوما بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين ، فسماه الله تعالى فاسقا وامسك رسوله صلع عن بني المصطلق ، فلما استبطؤ رسوله اتاه القوم بصدقاتهم عن قول الوليد فاكذبوه وحلفو الرسول صلع فلعنه وعزله ،

ووقع بين علي ص ع والوليد كلام فقال الوليد انا ارد للكتيبة واضرب لهامة البطل المشيخ فانزل الله عز وجل افمن كان مؤمنا كمن كان فاسقا لا يستوون ، فسماه الله عز وجل فاسقا في موضعين من كتابه ، وقال ابو معيط جد الوليد هذا خمار يبيع الخمر في الجاهلية.

فحين ولي الوليد الكوفة اساء السيرة وابعد اهل الدين والفضل وترك القسط والعدل، وكان عبد الله ابن مسعود بالكوفة ايام وليها الوليد ، فلما انتهى اليه احداث عثمان ورأى منها ما رآه كان اذا اجتمع الناس يقول ان اصدق الحديث كتاب الله وان احسن الهدي هدى محمد رسول الله صلع وان شر الامور محدثاتها ، وكل محدثة بدعة ، وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة كفر وكل كفر في النار ، فلما اكثر القوم القول هذا قال الوليد له سرا بينه وبينه اما ان تدع عنك هذا الكلام والا ان تخرج عنا ، فقال ما كنت ادع قول حق فكتب الى عثمان بخبره ، فكتب عثمان اليه ان ترك كلامه والا فاخرجه فبعث اليه الوليد عبد الرحمن بن جيش الاسدي ورجلا معه الىمنزله ليلا ومعه اصحاب له فجعلهم حيث يسمعون وادخل الرجلين فقال ان الامير يقرأ السلام ويقول ان قولك هذا مما يهيج الناس على امامهم فاما ان تدعه والا فاخرج عنا قال ما اقول بأسا ولا شرا ، قال هو كذلك ولكن قد عرفناك قول الامير وقد ورد عليه بذلك كتاب امير المؤمنين وهو لا يدعك الا ان تدع كلامك او تخرج ، قال بل اخرج فخرج من الكوفة مطرودا على قوله هذا الذي لا ينكره احد من الاسلام ، قد عرف الناس صحبة ابن مسعود لرسول الله صلع،

وقدم على عثمان اهل الكوفة فذكروا سوء حال الوليد فكذب ذلك عنه ونفاه ، فقالوا ابعث ثقة من عندك يكشف عما ذكرناه لك فبعث مولى له يقال حمران ابن ابان فكشف فاصاب الامر على ما قيل فاقبل الى عثمان فلقيه طلحة ابن عبيد الله وقد خرج من المدينة الى بعض امواله خارجا فقال له ما وراءك يا حمران ، قال وجدت والله ما قال القوم فيه حقا ، وقص عليه خبره ، ودخل الى عثمان فاخبره فقال له اكتم هذا عليه ومن سألك فقل له لم اجد مما جاؤا به شيئا وانه لباطل ، ثم انصرف طلحة فدخل الى عثمان وعنده حمران فقال عثمان لطلحة قد ارسلنا هذا فاصاب كل ما ذكره القوم باطل في الوليد ، -- جزاء هؤلاء الذين كذبوا عليه ، ولم يذكر ذلك احد غيرهم ، فقال طلحة واثكلاه الم تخبرني يا حمران بكيت وكيت ، فقال حمران نعم وهو كما اخبرتك واله احق ان يؤثر، فاستحيي عثمان من طلحة وغضب على حمران وحلف ان لا يقيم معه ببلد فارتحل – البصرة ، وكان الوليد قد امّ الناس في الصلوة اوان الفجر وهو سكران، فلما التفت الى الناس فقال هل ازيدكم، ففيه يقول الخطيئة :

شهد الخطيئة يوم يلقى ربه \* ان الوليد احق بالعذر

خلعوا عنانك اذ جريت \* ولو تركوا عنانك لم تزل تجري

نادى وقد تمت صلوتهم \* ازيدكم سكرا ولم يدر

ولو استزادوه لزادهم حتى \* يزيدهم على العشر

فجاء الشهود بذلك عثمان وبناؤه بذلك فحذف قولهم وقال انتم مدعون فاقيموا بينة من غيركم فاتوه من الشهود بمن لم يجد لقولهم مدفعا ، فعند ذلك عزله ، وامر باقامة الحد عليه وولى مكانه سعيد ابن العاص ، ولما وصل الوليد الى عثمان ادخله بيتا وامر ان يضرب الحد اذ لم يجد بدا من ذلك لما كثر النكير عليه ، فكلما دخل عليه ليجلده وقال له الوليد ناشدتك الله ان تقطع رحمي ويغضب عليك امير المؤمنين ، يعني عثمان ، وكان الوليد اخاه لامها اروى ابنة كرير ابن ربيعة ابن جيب ابن عبد شمس، فلم يقدم على ضرب الوليد تقية لعثمان وخوفا ، فلما رأى ذلك علي ابن ابي طالب عليه السلام غضب لتعطيل حدود الله فاخذ السوط ودخل عليه ودخل معه الحسن ابن علي عليهما السلام فقال له الوليد اناشدك الله ان تقطع رحمي فغضب امير المؤمنين ، قال الحسن عليه السلام صدق يا ابت وغيرك يليه فدفع علي في صدر الحسن عليهما السلام ثم اخذ السوط فضرب الوليد الحد،

وكان اول ما فعله سعيد ابن العاص انه لما وصل الكوفة دخل المسجد راكبا حتى اتى المنبر ودعى بجرة من ماء وقال اغسلوه فغسل المنبر وهو واقف علىدابته ثم صعد المنبر فخطبهم وكان احداث سعيد ابن العاص كثيرة، واقبل على اللهو وجمع المطربين ويروى انه اتى اليه ساحر فوقف عند داره وزعم انه يقتل رجلا ثم يحييه، واجتمع عليه الغوغاء وفتنوا به فغضب لذلك رجل يقال له جندب وكان من اصحاب رسول الله صلع وقد قال رسول الله صلع ان يضرب ضربة يفرق بها بين الحق والباطل ، فوثب على الساحر فضرب عنقه ، وقال ان كنت صادقا فاحي نفسك ، فاناله من سعيد الاذى لقتله الساحر وحبسه ، ولما كثرت افعال سعيد ابن العاص رفع من اهل الكوفة الى عثمان فتغاضى عن ذلك واعرض عنه ولما اكثروا الشكوى على عثمان كتب الى سعيد ابن العاص بالقدوم عليه فقدم على عثمان وقد سير معه من اهل الكوفة قوما ارضاهم وواطاهم على ان يزكوه ويذكروه بخير عند عثمان فوافى عثمان ومعه اولئك القوم فرده الى الكوفة وانتهى الخبر الى اهل الكوفة بانصرافه اليهم فقام مالك ابن الحرث النخعي خطيبا على منبر الكوفة فحمد الله تعالى واثنىعليه وصلى على رسوله ثم قال انكم معشر العرب كنتم شر الناس دينا ودنيا وعيشا يغذوا الرجل منكم ويقتل ولده ويغير على جاره ويرجع وقد اغير على اهله حتى بعث الله فيكم رسوله محمد صلع وانزل عليه كتابا حلل فيه الحلال وحرم فيه الحرام وسنن فيه السنن وشرع فيه الشرع فعمل رسول الله صلع بكتابه وسنة رسوله ، فحين عرفنا ذلك نرجع علىاعقابنا وقد علمتم سيرة ابن العاص فيكم وقد ورد اليكم ، فمن كان يرى لله حقا عليه فليخرج اليه ونزل فخرج الناس من الكوفة بالسلاح والعدة وقدموا عليهم مالك الاشتر فلقوا سعيد ابن العاص بوادي السباع ، فلما التقوا باوائل اصحابه جعلوا يقولون اين الشقي ويطلبونه فرجع سعيد الى عثمان فاخبره الخبر ، ورجع القوم الى الكوفة فامر عثمان سعيدا بالمقام عنده وبعث ابو موسى الاشعري الى الكوفة عاملا ،

وفي ايام عثمان ابن عفان كانت وفاة العباس ابن عبد المطلب رضوان الله عليه عم رسول الله صلع وكان العباس اسن من رسول الله صلع بثلاثة اعوام ، وقيل ان اسلامه قبل الهجرة وقد ذكروا حضوره مع رسول الله صلع لما بايع الانصار في العقبة وكلمهم في نصرته ووقف بعد الهجرة مع المشركين بمكة واخرجوه مع من اخرجوا من بني عبد المطلب مستكرهين يوم بدر فاسر العباس مع عقيل ابن ابي طالب فحكم النبي صلع عليهما بما يحكم به على من كان في دار الحرب ، وقال للعباس افد نفسك وعقيلا معك ففعل واجار له رسول الله صلع ابا سفيان ابن حرب حين خرج للفتح واعطاه رسول الله صلع السقاية يوم الفتح، وعاش بعد رسول الله صلع ان ادرك ايام عثمان ابن عفان فمات فيها بالمدينة بعد ان كف بصره ، وكان مدة ايام حياة رسول الله صلع وبعد وفاته يعرف لعلي ابن ابي طالب حقه ويستحقه على القيام بامره ويبذل له في ذلك نفسه ، ولما قبض رسول الله صلع سلّم لعلي ع م امره ولم يعارضه في شيء ، وقال له اين تدفن رسول الله صلع يا ابا الحسن فقال في الموضع الذي قبض فيه ، وجاء بابي سفيان يطلبان البيعة وقد ذكرنا ذلك ولم يذكر بينهما اختلاف خلا ما جاء انه طلب منه تراثه من رسول الله صلع وحاكمه في ذلك الى ابي بكر فقضى ابو بكر فيه لعلي عليه السلام ، وذكر فضله، وقد قيل ان ذلك منهما كان توقيفا لابي بكر على ما استأثر به من حق علي ع م ، وقيل ان العباس كان يرغب في العطاء واتى رسول الله صلع وقد جيء اليه بمال فامر به فصبّ في ناحية المسجد وخرج الى الصلوة فمر عليه وما التفت اليه ، فلما انفتل من صلوته قام اليه العباس عمه فقال يا رسول الله قد جاء هذا المال وانا ذو عيال وعلي دين فمر منه بما تراه ، فقال رسول الله صلع خذ منه ما يكفيك فجاء الى المال وبسط رداءه واخذ شيئا كثيرا وذهب لينهض به فلم يطق القيام فنقص منه مرارا حتى نهض بما اخر واتبعه رسول الله صلع نظره ولما يقل شيئا اكراما.

وفرض عمر العطاء للناس فجعل لكل رجل من اهل بدر اربعة آلاف وفرض للعباس اثني عشر الفا، ولما كان عام الرمادة فاشتد القحط فخرج عمر بالناس ليستقي فاخذ بيد العباس وقال اللهم هذا كبيرنا وسيدنا وعم نبينا اللهم انا نتقرب اليك بعم نبيك --- آبائه وكبر رجاله دلونا اليك مستشفعين متوجه نتوجه به اليك ، فاسقنا اليك ، فسقوا الغيب ببركة العباس بن عبد المطلب . وتوفي العباس وهو لتسع وثمانين سنة رضوان الله عليه ورحمته ، وصلى عليه عثمان وقبره بالبقيع وانزله الى قبره ابنه عبد الله ابن العباس رضوان الله عليهما.

ومات ايضا في ايام عثمان ابن عفان ابو سفيان ابن حرب ابن امية وكان قبل الاسلام رأس المشركين واعداهم لرسول الله صلع وقد ذكرنا من حديثه فيما مر ذكره ، واسلم استسلاما لا اسلاما حين قال له العباس اسلم قبل ان تضرب عنقك لما رأى مع رسول الله صلع من العدة والعديد وانه لا طاقة له بقتاله ، ويروى انه قال لرسول الله صلع وهو معه في بيت ابنته ام حبيبة يظهر انه يمازحه والله ان هو الا تركتك العرب ان انتطحت جماء ولا ذات قرن ، فضحك رسول الله صلع وقال انت تقول ذلك يا ابا حنظلة يداريه لما كان عليه ، ونظر اليه رسول الله صلع مقبلا وخلفه ابنه معاوية فقال اللهم العن التابع والمتبوع ، اللهم عليك آلاء فنعس يعني معاوية ،

ورآه يوما ويزيد بن ابي سفيان يقود به معاوية يسوق فقال صلع اللهم العن الراكب والقائد والسائق ، وقيل في ابي سفيان انزلت فقاتلوا ائمة الكفر انهم لا ايمان لهم لعلهم ينتهون ،

وقيل انه روي وقد كف بصره في المسجد وقد قامت الصلوة فدخل فيها مع الناس فلما ركع الامام طال عليه الركوع فجعل يقول لقائده وهو الى جانبه لم يرفعوا رؤسهم لا رفعوها ، استخفافا منه بالصلوة وتركا لاعتقادها ودلالة على انه انما كان يرائي بها وان اعتقاده الشرك الذي كان عليه لم يفارقه ولا خرج عنه ،

ودخل يوما على عثمان ابن عفان وقد كف بصره فجلس فقال هل على من عين ، قيل لا ، فقال لعثمان وهو يومئذ في امرته : يا عثمان لا تكن حجرا من حجر انظر من هذا الملك فتداولوه بينكم وتلقفوه تلقف الكرة ، وكان البراء بن عازب في الحضرة فاستحي منه عثمان وقال لابي سفيان انك شيخ قد خرفت ،

ومر يوما ومعه ابو بكر ببلال وسلمان وصهيب فقالوا لقد كان في قصرة هذا موضع لسيوف المسلمين عدو الله فسمعهم ابو بكر فقال اتقولون مثل هذا لشيخ من شيوخ قريش وانطلق ، واخبر النبي صلع بما قالوه فقال النبي صلع لعلك اغضبتهم ان كنت فانما اغضبت ربك ،

وكان ابو سفيان ومعاوية من المؤلفة قلوبهم وحضرا مع رسول الله صلع حنينا فانهزما فيمن انهزم ، وكان مع ابي سفيان الازلام يستقيم بها وظهر يومئذ نفاقه ، وقال هذه هزيمة لا يردها الا البحر ،

واعطاهما النبي صلع مع المؤلفة قلوبهم ، وقال ابو سفيان بعد وفاة رسول الله صلع ما علمت انه نبي حتى رأيته في حجة الوداع بعرفه هو يخطب ورأيت ما حوله من الخلائق فقلت في نفسي لو كان معي مثل نصف هؤلاء لقمت عليه فترك الخطبة واقبل علي بوجهه وقال اذن يكبك الله في النار على وجهك ، فعلمت حينئذ انه نبي.

ومرّ مرة اخرى ومعي هند فقلت لها يا هند بم غلبني هذا الغلام من بني هاشم وانا اكبر سنا واعظم شرفا في قومي منه وكنا في سفر فلما نزل يومه ذلك مضيت اليه فسلّمت عليه فقال بالله غلبتك يا ابا سفيان ، فقلت في نفسي ومتى لقيته هند فاخبرته والله ما سمع ذلك مني غيرها ، ولاضربنها ضربا وجيعا ، وسكت وتغافلت عن قوله ، فلما اردت القيام قال يا ابا سفيان اقلت في نفسك ان هند اخبرتني بشيء ، قال ابو سفيان فعلمت انه يوحى اليه .

ارسله رسول الله صلع والمغيرة ابن شعبة الى اهل الطائف لهدم اللات والعزى توقف سفيان عن هدمها ، ولما رآها تهدم جعل يقول واها لك واها لك اسفا على هدمها.

انه نزل في قادة الاحزاب ان الذين كفروا سواء عليهم انذرتهم ام لم تنذرهم لا يؤمنون ، فاخبر عز وجل انهم لا يؤمنون بقلوبهم، وانما اظهر ذلك من اظهره منهم بلسانه، وكان ابو سفيان منهم وقائد قادتهم وفيهم نزل : الم تر الى الذين بدلوا نعمة الله كفرا واحلوا قومهم دار البوار ، جهنم يصلونها فبئس القرار .

وقيل ان ابا سفيان مرض في ايام عمر ابن الخطاب فدخل عليه عثمان يعوده، فلما اراد القيام تمسك به وقال لي اليك حاجة، فقال وما هي ؟ قال ان مت فلا يلين غيرك ولا يصل الا انت، فقال عثمان وكيف لي بذلك مع عمر ، قال فادفني ليلا ولا تخبره ، قال افعل واحلف لي باللات والعزى لتفعلن ذلك ، فقال عثمان خرفت يا ابا حنظلة فنقه من علته تلك وفات في ايام عثمان .

ومما نقمه الناس على عثمان انه احرق القرآن واسقط منه آيات كثيرة .

وعن عمران بن شعبة عن ابي داؤد عن ابراهيم ابن سعد عن الزهري عن عبيد الله ابن عبد الله ابن عقبة ان عبد الله بن مسعود ذكره لما ولي عثمان زيد ابن ثابت نسخ، وقال يا معشر المسلمين اعزل عن نسخ كتاب ويولي رجل ، والله لقد اسلمت ، وانه لفي صلب رجل كافر ، وعند ذلك قال عبد الله بن مسعود يا اهل القرآن غلوا المصاحف والقول الله عز وجل بها ، فانه من يغلل يأت بما غل يوم القيامة .

وعن عمر ابن شيبة عن عبد الله ابن وهب عن يعقوب ابن عبد الرحمن عن حميد ابن عبد الرحمن عن حميد ابن عبد الله قال بلغني انه قيل لعبد الله بن مسعود مالك لا تقرأ على قراءة زيد ابن ثابت فقال ما لي ولزيد ولقراءته ، لقد قرأت على رسول الله صلع سبعين سورة، وان زيد ابن ثابت ليهودي له ذوابتان يعني قبل اسلام زيد .

وعن سفيان ابن شبر عن صالح ابن مسعود اخي منصور الاسود عن هاشم البريدي قال عبد الله ابن مسعود قرأت على رسول الله صلع سبعين سورة وقرأت الباقي على خير الناس بعده علي ابن ابي طالب صلوات الله عليه .

وروي ان عثمان قال كان الناس يختلفون في قراءتهم فاردت ان اجمعهم على قراءة واحدة .

وروي انه لما بويع عثمان ابن عفان غفل عن عائشة ابنة ابي بكر فارسلت اليه ان اجر علي ما كان يجري علي ابي فقال اجري عليك كما اجرى على نسائي على اهلي وولدي فرددت اليه الرسول وقالت ولم قل له يفعل لي كما فعل عمر ابن الخطاب فرد عليها قوله الاول ، فارسلت اليه ان اعطني ميراثي من رسول الله صلع ، فلما سمع ذلك وفي يده قضيب ضرب به الارض ثم قال لو كانت فاطمة حية لعلمت اي ابن عم اكون لها اليوم ، اليست عائشة الشاهدة ان الانبياء لا يورثون، فكانت عائشة تلومه وتحرض عليه وتقول اقتلوا نعثلا قتل الله نعثلا ، وكذلك حفصة بنت عمر.

وقد روي عن ابي ابن كعب الحارثي قال خرجت حتى اتيت المدينة وذلك في ايام عثمان بن عفان فدخلت عليه فسألته عن شيء من امر الدين وقلت يا امير المؤمنين اني امرء من اهل اليمن من بني الحرث ، واني اسألك عن اشياء فمر حاجبك ان لا يحجبني عنك، فقال يا حمران اذا جاءك هذا الحارثي فاذن له ، قال فكنت اذا جئت قال من هذا قلت الحارثي فاذن لي ، فجئت يوما فقرعت الباب فقال من فقلت الحارثي قال ادخل ، فدخلت ، فاذا عثمان جالس وحوله نفر من اصحاب النبي صلع سكوت لا يتكلمون كأن على رؤسهم الطير فسلمت ثم سلمت ولم اسأله عن شيء لما رأيت عن حالهم فبينا انا كذلك اذ جاء نفر فقال ابى ان يجيء ، فغضب عثمان فقال اذهبوا فجيئوا به ، فان ابى ان يجيئ فجيئوا به وجروه، فانصرفوا ، ومكثت قليلا فجاؤا ومعهم رجل آدم طوال اصلع في مقدم رأسه شعرات فقلت من هذا ، قالوا عمار ابن ياسر ، فقال له عثمان انت الذي تأتيك رسلنا فتأبى ان تأتيني وكلمه عمار بكلام لم اسمعه ، ثم خرج فما زالوا ينفضون من عنده ما بقي احد ، فقام عثمان وقمت معه حتى اتى المسجد ، فاذا عمار بن ياسر جالس الى سارية من سواري المسجد وحوله نفر من اصحاب رسول الله صلع وهو يحدثهم وهم يبكون ، فقال عثمان لحاجبه حمران علي بالشرط فجاء بهم فقال فرقوا ما بين هؤلاء يعني عمار والذي كانوا معه ، فتفرقوا بينهم ثم اقيمت الصلوة فتقدم عثمان ليصلي بالناس فلما كبر قامت امرأة في حجرتها فقالت يا ايها الناس اسمعوا ثم تكلمت فذكرت رسول الله صلع وما بعث الله به ثم قالت ضيعتم امر الله وخالفتم عهده ونحو هذا، ثم تكلمت اخرى بمثل ذلك واذاهما عائشة وحفصة ، فلما سلّم عثمان اقبل على الناس فقال ان هاتين فتانتان تفتنان الناس ،والله لتنتهين عن شتمي او لاسبنكما ما حل لي فاني باصلكما لعالم ، فقال له سعد ابن ابي وقاص اتقول هذا لحبائب رسول الله صلع ، فقال عثمان وما انت وذاك ، ثم اقبل على سعد قاصدا له قال فانسل سعد فخرج واتبعه عثمان ولقيه علي عليه السلام فقال اين تريد ، فقال اريد هذا الفاعل يعني سعدا ، فقال علي عليه السلام يا ايها الرجل دع هذا عنك فاقبل عليه عثمان بالكلام فلم يزل الكلام بينهما الى ان غضب عثمان فقال لعلي عليه السلام الست المتخلف عن النبي صلع يوم تبوك فقال علي ع م ما تخلفت عنه ولكنه خلفني في اهله، وانت تعلم ذلك ومن حضر ولكن الفار عن رسول الله صلع يوم احد، وهمّ كل واحد منهما بصاحبه فقام الناس فحجزوا بينهما ، قال الحارث فلما رأيت ما حدث في الناس خرجت من المدينة واتيت الكوفة فوجدتهم قد وقع بينهم اختلاف وردوا سعيد ابن العاص ومنعوه ان يدخل اليهم فلما رأيت ذلك رجعت الى اهلي باليمن .

وقد جاء ان عثمان لما عدد الناس افعاله وذكروا احداثه واكثروا فيها لومه وعنفوه وتواعدوه فخاف على نفسه وارسل الى خاصته من اعمال البلدان وقد حضر الحج ان يخرجوا يريدون الحج ويجتمعوا عنده فاجتمع اليه معاوية ابن ابي سفيان عامله على الشام وسعيد ابن العاص عامله كان على الكوفة وعبد الله ابن سعد ابن ابي سرح على مصر وعبد الله ابن عامر ابن كرير عامله على البصرة وعمر بن العاص وليس على عمل، وكان قد عزله عن مصر،

فقال لهم اشيروا علي فارى الناس كثروا فيّ ، فبدرهم سعيد ابن العاص فقال ان الناس فرغوا فتحدثوا واسيروا فبطروا وطعنوا فجهره بعوثهم حتى يكون دبره في ظهر احدهم اهم عليه من ذمك والتفرغ الى عيبك ،

وقال معاوية انك بلغت من كرامتنا ما لم يبلغ احد لاحد من قبلك من اهل بيته ووليتنا الآفاق واستعملنا على الاعمال وجعلتنا على رقاب الناس فحد كل انسان منا بما قبله فيكفيكه فخذ بي باهل الشام فني جاعلهم لك ارضا تطؤها ،

وقال عبد الله ابن عامر ان الناس لم ينقموا عليك في صلوتهم ولا صيامهم ولا زكوتهم ولا حجهم وانما نقموا عليك فيما بذلت الدنيا بمن بذلت ذلك له فابذل المال لوجوههم ورؤسائهم وانه عامتهم يرضوا عنك وعول على ما احببت ،

وقال عبد الله ابن سعد ابن ابي سرح قد مضى قبلك رجلان عملا عملا رضي الناس به فاعمل عملهما يرضى الناس كما رضوا عنهما ،

وقال عمر ابن العاص انت يا امير المؤمنين حملت الناس على ما انكروه فولوا وضللت فضلوا ، فاتق الله واعدل والا فدعهم واعتزل ، ونظر اليه عثمان وتنكر له وقال يا ابن النابغة ما كان هذا قولك بمصر ولكن قمل فروك فوغر صدرك، وما زلت غاصا بريقك مذ عزلتك عن مصر، قال لعمري ما هو كذلك ولكنه رأي ورأي جميع من هو وراء بابك ، واستشرتني ونصحتك وصدقتك ، ثم خلا عثمان بعمر وقال ويحك يا ابن العاص ابجد منك ما سمعت ، فايقاه عمر وقال ما هو بالله بالجد ولكني عملت انه سيحدث عن قولنا فاردت ان يعلم الناس عين ما قلت فيرجعوا الي ويسمعوا قولي فان اغنيت عنك اغنيت والا صرفت عنك ما صرفت ، فقبل عثمان قوله ورضي عنه ، واخذ برأي معاوية وامر العمال به وردهم الى اعمالهم فعوجل دون ما ذكره ،

وجمع عثمان اليه اصحابه وقرابته من بني امية واعطاهم مال الله وفيء المسلمين وابعد اصحاب رسول الله صل ونالوا منه المكروه، ولما كثرت احداثه كتب اصحاب رسول الله صلع الى المسلمين في كل وجه انكم خرجتم تقيمون دين الله وان دين الله قد غير فاقبلوا ، وكان اول من قدم اهل مصر فاتوا مسجد رسول الله صلع وبقية الصحابة فيه الا فذكروا لهم ما جاؤا له وما نقموه وعددوا افعال عثمان فقال لهم علي عليه السلام لا تعجلوا حتى تأتوه وتذكروا له ذلكم ثم ترون بعد ذلك رأيكم ، فقالوا قم معنا اليه لتشهد قولنا وقوله وتعلم اينا بالحق اولى ، فقال لهم يشهد ذلك منكم ومنه من هو اعلم به مني ، قالوا ومن هو ، قال الله بيني وبينكم وبينه ، قالوا صدقت ونعما قلت ومضوا الى عثمان ودخلوا عليه فرحب بهم وقد علم ما جاؤا له وسألهم عن حالهم وتذكروا احداثه وعددوها عليه شيئا ، وكل ذلك يرجع عنه ويتوب منه حتى ذكروا له امر مروان ابن الحكم وما استعظم الناس من رده وخلاف رسول الله صلع فابى الا رده فخرجوا جزوا بذلك عنه ، فاتاه ناس من اصحاب رسول الله صلع فقالوا انك قد اقدمت هؤلاء النفر الذين نفاهم رسول الله صلع وانا نذكر الله والاسلام ومعادك ان كان لك معاد ومنقلب فانك مسؤل عن ذلك وعن كل ما عملت لما اخرجتهم كما اخرجهم رسول الله صلع ولا خالفت امره ، فقد علمت رأي صاحبك الماضين فيهم، وان احدالم يطمع في ردهم عندهما ، فقال عثمان هم عندي بالمنزلة قد عرفتم من القرابة والحق وقد كان اطمعني في ان يأذن لهم في القدوم ولن يضركم مكانهم شيئا وفي الناس من هو شر منهم ، فانصرفوا ولم يعطيهم فيهم هوادة ولا رجع عن رأيه فيهم ، وارسل الى علي عليه السلام فقال قد ترى ما قدم له هؤلاء القوم وهم انما يريدون قتلي وانا ابن عمك وقد رماني الناس عن واحدة فتلطف في صرفهم ولكن الله لارجعن الى كل ما تريده ، وارسل الى عمر ابن العاص بمثل ذلك وذكر له قرابته ورحمه فاجتمع علي صلوات الله عليه مع القوم وقال لهم ان الرجل قد رجع عن كثير مما كان عليه مما نقمه الناس عليه ووعد ان يرجع عن باقيه وقد كتب لكم ثواب ما عنيتم له، ولطف بهم عمر ابن العاص فانصرف القوم واتى علي صلوات الله عليه وعمر الى عثمان فاخبراه بذلك وبانصراف القوم فخرج الى المسجد فخطب الناس وذكر امر الوافدين انهم جاؤا لاحاديث كاذبة بلغتهم ، فلما تيقنوا فسادها انصرفوا عارفين بذلك مكذبين للذين بلغهم ، فقام عمر ابن العاص من ناحية المسجد فقال اتق الله يا عثمان ودع عنك التهاتو واقصد قصد الحق وتب الى الله مما اتيت فان الله لا يرضيه عنك الا ذلك ولا يرضي المسلمين الا ذلك منك ، فقال عثمان وانك لههنا يا ابن النابغة ، ثم استقبل عثمان القبلة ورفع يديه فقال : اللهم اني اتوب اليك مما صنعت واستغفرك .

وجاء اناس من اهل المغازي فانصرفوا الى مغازيهم، ولما وصل اهل مصر الى ابله لحق بهم راكب مالت به الطريق اليهم فانكروه فاخذوه وفتشوه فاصابوا معه كتاب عثمان الى عبد الله ابن سعد بن ابي سرح عامله على مصر يأمره بقتلهم فانصرفوا بالكتاب راجعين الى المدينة وفيهم عبد الرحمن بن عس البليوري فقال شعرا :

رجعنا غير بليوري والصعيد \* مسربلات حلق الحديد

بطلين حق الله في الوليد \* وفي ابن عفان وفي سعيد

والحكم المخلع الطريد \*

وجاؤا بالكتاب وكان بخط مروان ، وكان عثمان قد استكتبه والكتاب بطابع عثمان والبريد على ناقة لعثمان ، فاعلموا اصحاب رسول الله صلع وعامة الناس بذلك فعرفوا الكتاب والخاتم والرسول والناقة،

وانكر ذلك عثمان وحلف عليه وخرج فرقي المنبر ليخطب ويعتذر فحصبه الناس من كل جانب حتى وقع مغشيا عليه فحمل ورجع عليه الناس خلا نفرا من بني امية،

وخرج عمر ابن العاص عنه الى ناحية ارضه بفلسطين لما علم انه سيقتل ، وكان عمر واجدا عليه لانه عزله مصر واستعمل عليه عبد الله بن سعد بن ابي سرح ،

وجاء علي صلوات الله عليه ليعوده ويسأل عن حاله فقال من حضر من بني امية قولا اغضبه وعرضوا فيه بانه اعان عليه فخرج مغضبا وهو يقول والله لولا مكاني لاجتز الذي فيه عيناه،

واعتزل الناس ولزم عليه السلام بيته وقام المهاجرون والانصار على عثمان ورأسهم طلحة ابن عبد الله والزبير بن العوام فحوصر عثمان في الدار واجمع المهاجرون والانصار فلم يقعد منهم عنه غير علي عليه السلام فانه لزم بيته وسائرهم بين خاذل ومحرض بامره بقتله او محاصر له ، فمنعوه الماء والميرة، ولم يكن امعين غير بني امية.

وقد روي عن ابي جعفر محمد بن علي ابن الحسين عليه السلام انه قال اشهد على ابي علي ابن الحسين انه حدثني انه سمع مروان ابن الحكم يقول انطلقت انا وعبد الرحمن ابن عوف الى عائشة وهي تريد الحج وعثمان قد حوصر فقلت لها قد ترين ان هذا الرجل قد حصر ، فلو اقمت فاصلحت ونظرت في شانه فقالت قد عبأت ابري وادنيت ركابي وفرضت الحج على نفسي فلست بالتي اقيم ، قال فجهدنا عليها فابت ، فقمت من عندها وانا انشد :

حرق زيد على البلاد حتى \* اذا اشتعلت اضرما

والبيت للربيع بن زياد والعيشي

قال فقالت ايها المتمثل بالشعر ارجع فرجعت فقالت لعلك ترى انما قلت هذا الذي قلت وانا اشك في عثمان وددت والله انك مخيط عليه في بعض غرائري هذه حتى اكون انا التي اقذف به في اليم ، ثم ارتحلت حتى نزلت ماء يقال له الصلصل ، وبعث الناس عبد الله بن العباس على الموسم وعثمان محصور ومضى حتى نزل ذلك الماء فقيل لها هذا ابن عباس قد بعث الناس على الموسم ، فارسلت اليه فقالت يا ابن عباس ان الله عز وجل قد اعطاك لسانا وعلما فاناشدك الله ان تخذل الناس عن قتل هذه الطاغية عثمان غدا ، ثم انطلقت الى مكة .

وبآخر عن الزبير انه قيل له ان عثمان محصور وانه قد منع الماء فقال وحيل بينهم وبين ما يشتهون كما فعل باشياعهم من قبل انهم كانوا في شك مريب.

وعن عبد الرحمن ابن ابي ليلا انه قال لما انتهيت الى المدينة ايام حصر عثمان في الدار فاذا طلحة ابن عبد الله في مثل الحية السوداء من الرجال والسلاح مطبق بدار عثمان حتى قتل ،

وفيما اتى عن سعد ابن المشيب قال انطلقت بابي الى المسجد فلما دخل سمعنا لفظ الناس واصواتهم فقال ابي ما هذا يا بني قلت الناس محدقون بدار عثمان فقال من ترى من قريش قلت طلحة ابن عبد الله قال اذهب بنا اليه فمضيت به حتى دنى منه فقال لطلحة يا ابا محمد الا تنهى الناس عن قتل هذا الرجل ، فقال طلحة يا ابا سعيد ان لك دارا فاقعد في دارك ، فان نعثلا لم يكن خاف هذا اليوم ،

قالوا ولما اشتد الحصار علىعثمان وايقن انهم قاتلوه كتب الى علي ابن ابي طالب عليه السلام ، وقال في كتابه يا امير المؤمنين قد بلغ السيل الربى والحزام الطبيين ، فان كنت مأكولا فكن انت آكلي ، والا فادركني ولما امزق ، فبعث علي ابن ابي طالب ابنه الحسن ابن علي عليهما السلام وقال ادفع عني يا بني ما استطعت واسقه الماء ، فلما اتى الحسن ع م واراد الدخول الى عثمان ليمنع منه فلم يتركه المسلمون ومنعوه الدخول وجبل واذيل قميصه حتى هتكوه ،

ثم ان القوم تواثبوا الدار فدخلوا على عثمان ودخل عليه التخوبي من اهل مصر فقتله وعنده امرأته وهو آخذ للمصحف في يمينه .

قال المسعودي وكان الحصار على عثمان اربعين يوما فلما بلغ عليا عليه السلام قتله اتى الى الدار فقال اقتلتموه ، ثم لعن عبد الله ابن الزبير لانه كان القائم في ذلك والذي اقحمهم الدار عليه.

وفيما رواه لوط بن يحي عن مخنف ابن سليمان قال حدثني عبد الملك ابن سليمان عن سالم ابن ابي الجعد الاشجعي عن محمد ابن الحنفية قال كنت وابي قاعدين اذ جاء الصريخ هذا عثمان يقتل ، قال فنهض ابي فجذبته من خلفه وكنت من اشد الرجال بطشا فجعل يقول ارسل لا ام لك فاقول يا ابه اني اخشى عليك ان تقتل ، فما زلت مشيتا حتى جاء الصريخ قد قتل الرجل .

وعن ابي مخنف وغيره بالاسناد الى الشعبي يرفعه قالوا قتل عثمان ابن عفان صبيحة الجمعة لثماني عشر خلت من ذي الحجة آخر سنة خمس وثلاثين من الهجرة على رأس احدى عشر سنة واحدى عشر شهور وعشرين يوما من مقتل عمر ابن الخطاب ، وقال الوليد ابن عقبة ابن ابي معيط يبكي اخاه لامه عثمان ابن عفان ويحرض اخاه عمارة ليثار به :

فان يك ظني بابن امي صادقا \* عمارة لا يطلب بذحل ولا وتر

يبيت واقتال ابن عفان حوله \* مخيمة بين الخورنق والجسر

فقل لعلي حين قرّ قراره \* جزتك الجوازي بالقطيعة والهجر

غدرتم بعثمان ابن عفان غدرة \* يسير بها الركبان في البر والبحر

الا ان خير الناس بعد ثلاثة \* قتيل التجوبي الذي جاء من مصر

تغافلت عن قتل ابن عفان لاهيا \* كأنك عما كان في ذاك لا تدري

فاجاب الفضل ابن العباس ابن عتبة ابن ابي لهب :

اتطلب ثارا لست منه ولا له \* واين الصفوري بن ذكوان من عمر

كما اتصلت بنت الحمار بامها \* وحلت اياها عنه جمجمة الحجر

وقربك ممن قد تمير وتدعي \* اليه كقرب الفيل من ولد الوبر

الا ان خير الناس بعد محمد \* مهيمنه ثانيه في النهي والامر

وخيرته وفي خيبر ورسوله \* ينبذ عهود الشرك فوق ابي بكر

اخوه رسول الله من دون اهله \* واول من اردى الغواة على الكفر

فذاك علي الخير من ذا كمثله \* ابو حسن اهل القرابة والصهر

ولو رأيت الانصار نصر ابن امكم \* لكانوا له في امره من ذوي النصر

كفى ذاك عارا ان يسيروا بقتله \* وان يسلموه للاحابش من مصر

## ذكر رجوع الناس الى امير المؤمنين

روى الرواة غير محمد بن يوسف الانصاري عن سهل ابن سعد صاحب رسول الله صلع وغيره من شيوخ الانصار قالوا لما قتل عثمان ابن عفان دخل المسجد المسلمون مسجد رسول الله صلع فنظروا في امرهم فقام عمار ابن ياسر وابو الهيثم التيهان ورفاعة ابن رافع ومالك ابن العجلان وابو ايوب خالد ابن يزيد فقالوا:

ايها الناس قد رأيتم ما سار فيكم عثمان وانتم على شرف ان تقعوا في مثلها فاسمعوا قولنا واطيعوا امرنا، قالوا قد فعلنا فاشيروا علينا فانتم اصحاب رسول الله صلع واهل السابقة ، وقد سماكم الله انصارا ورفعكم وشرفكم فمرونا بامركم ، قالوا قد علمتم فضل علي ابن ابي طالب وقرابته وسابقته وعلمه ولم يألكم خيرا ان شاء الله تعالى ، ولو علمنا غيره من هو افضل منه واحمل لهذا الامر واولى دعونا اليه ، فقال الناس بكلمة واحدة قد اجبناكم طائعين ،

قال ابو الهيثم ابن التيهان وكان عقبيا بدريا:

يا معشر الانصار قد عرفتم رأيي لكم ونصحي ومكاني من رسول الله صلع فردوا هذا الامر الى اولاكم برسول الله صلع واقدمكم سلما واكثركم علما عسى الله ان يجمع به الالفة ويحقن به الدماء ويصلح ذات البين وهو علي ابن ا بي طالب ، قالوا اجبناكم اليه وعرفنا فضل رأيكم .

واجتمع الناس الى علي ابن ابي طالب عليه السلام ليبايعوه في منزله واتاه اصحاب رسول الله صلع فقالوا ان هذا الرجل قد قتل ولا بد للناس من امام ولا نجد احدا احق بهذا الامر منك افضل سابقة ولا اقرب من رسول الله صلع فابسط نبايعك ، فان الناس لا يرضون الا بك .

فالتفت علي عليه السلام الى طلحة ابن عبيد الله فقال له ما تقول فقال طلحة انت اولى الناس بذلك واحق به لسابقتك وقرابتك ، وقد اجتمع من اهواء الناس لك ما قد تفرق عني ، فقال علي عليه السلام اني اخاف ان تغدر بي وتنكث بيعتي ، قالا لا تخافن هذا الامر والله توتى من قبلي ابدا بما تكرهه ، قال الله عليك الشاهد بذلك والكفيل ، قال الله بذلك كفيل ، ثم قال للزبير ابن العوام مثل ذلك فرد عليه الزبير شبيها بالذي رد طلحة واستخرج الناس عليا عليه السلام من داره وقالوا له ابسط يدك نبايعك فقبضها اليه ومدوها ، وتداكوا تداك الابل الهيم يوم ورودها على حياضها حتى كاد ان يقتل بعضهم بعضا ، فقال علي عليه السلام لا ابائع الا في مسجد رسول الله صلع فخرج علي عليه السلام الى المسجد ونادى مناديه بذلك ، قال بعض من حضره من بني عبد المطلب والله اني لاتخوف ان تقوم بعض السفهاء ممن قتل علي عليه السلام اباه او اخاه او ذا قرابته في مغازي رسول الله صلع فيقول لا حاجة لنا بعلي ، قال فلم يتكلم احد الا بالرضى والتسليم ، فلما اجتمع الناس على علي عليه السلام ليبائعوه قال علي عليه السلام احق واجب لي من الله سبحانه ومن رسوله ام رأي رأيتموه من عند انفسكم فقالوا بل رأي رأيناه فامسك علي عليه السلام عن بيعتهم فقام عمار ابن ياسر فقال بل حق لك اوجبه الله ورسوله علينا فقالت الجماعة كقول عمار ، فقام المهاجرون فبايعوا ثم جاءت الانصار فبايعت، وقام مالك ابن الحارث الاشتر النخعي فقال ابايعك يا امير المؤمنين وعلي بيعة الكوفة فبايعه ، ثم تتابع الناس بالبيعة ، قالوا وكان اول من بايع امير المؤمنين صلوات الله عليه طلحة ابن عبيد الله فقال رجل من الانصار ممن يقول بالزجر لبعض اصحابه يا هؤلاء ان اول يد وقعت على يد امير المؤمنين يد شلاء ، ان هذا الامر لا يتم من طلحة ابدا .

وعن الكلبي عن ابي صالح عن ابن عباس قال بايع الناس لامير المؤمنين علي ابن ابي طالب عليه السلام في المسجد على كتاب الله وسنة نبيه صلع ، فلما فرغ البيعة قام امير المؤمنين علي ابن ابيطالب ع م فخطب الناس فحمد الله واثنى عليه بما هو اهله وصلى على النبي وذكر فضله ، ثم قال :

ايها الناس اوصيكم بتقوى الله فانها نجاة لاهلها في الدنيا وفوز لهم في معادهم في الآخرة وخير ما تواصى به العباد واقر به من رضوان الله ، وخير الفوائد عند الله، وبتقوى الله بلغ الصالحون الخير ونالوا الفضيلة وحلوا الجنة وكرموا على الله عز وجل بتقواهم الذي امرهم به ، ثم احذروا عباد الله ما حذركم من نفسه واعملوا بما امركم بالعمل به مجاهدين لانفسكم فيه وارغبوا عما حذركم منه وتناهوا عنه فانه من يعمل لغير الله يكله الى من عمل له ومن يعمل لله بطاعته يتولى الله امره ، فان الله لم يخلقكم عبثا ولم يدع شيئا من امركم سدى ، وقد سمى آجالكم وكتب آثاركم ، فلا تغرنكم الحيوة الدنيا فانها غرارة لاهلها مغرور من اغتر بها والى الفناء ما هي ، وان الدار الآخرة لهي الحيوان لو كانوا يعملون ، نسأل الله تعالى جوار الشهداء ومرافقة الانبياء ، ومعيشة السعداء ، فانما نحن له وبه .

اما بعد ذلكم فانه لما قبض رسول الله صلع استخلف الناس --- ثم جعلها شورى بين ستة من قريش انا احدهم ، فدار الامر فعمل بما عرفتم وانكرتم وقد حصر المهاجرون والانصار ،وانما انا رجل من المهاجرين لي ما لهم وعلي ما عليهم ، وقد فتح الباب بينكم وبين اهل القبلة ولا يحمل هذا الامر ولا يضطلع به الا اهل الصبر والبصر بمواضع الحق ، الا واني حاملكم على نهج نبيكم ما استقمتم عليه وكنتم اليه ، وماض لما امرت به ، والله المستعان ،

ايها الناس موضعي من رسول الله صلع بعد وفاته كموضعي منه في حيوته ، الا وانهم لم يهلك قوم ولوا امرهم اهل بيت نبيهم اهل العلم والصفوة ، الا وان مواريث الانبياء عندي مجتمعة ، ولدي محصلة ، فاسألوني واسألوني ، والذي فلق الحبة وبرئ النسمة لان سألتموني عن العلم المخزون وعن علم ما يكون وعن علم ما لا تعلمون لاخبرتكم بذلك مما علمني النبي الصادق عن الروح الامين عن رب العالمين.

ايها الناس امضوا لما تؤمرون به وقفوا عما تنهون عنه ولا تعجلوا في امر تنكرونه حتى تسألون عنه فان عندنا اثرا وفي كل ما تكرهون عذرا .

ايها الناس ان اول من بغى في الارض فقتله الله ببغيه عناق ابنة آدم عليه السلام خلق الله لها عشرين اصبعا طول كل اصبع منها ظفران طويلان محددان معقفان وكان موضع مجلسها من الارض حريبا ، فلما بغت في الارض خلق الله لها اسدا كالفيل ونسرا كالبعير وذئبا كالحمار فاكلوها ، فاراح الله منها ، وقد قتل الله فرعون وهامان وخسف بقارون ، ثم عادت بليتكم مثلما بعث الله نبيكم عليه السلام ، وايم الله لتغربلن غربلة ولتبلبلن بلبلة ، ولتشاطن كما تشاط القدر حتى تصير اعاليكم اسافلكم واسافلكم اعاليكم وليسبقن قوم كانوا قد سبقوا ، اما والله ما انتحلت وصمة ولا كذبت كلمة ، الا وان التقوى مطايا ذلل حمل عليها اهلها وامكنوا من ازمتها فسارت بهم رويداحتى اتوا ظلا ظليلا ، فتحدثوا فيه تساءلوا وفتحت لهم ابواب الجنة وظلل عليهم ظلها وروحها ووجد طيبها ، وقيل لهم ادخلوها بسلام آمنين ، الا وان الخطايا خيل شمس حمل عليها اهلها فاقتحمت بهم نار جهنم ، ايها الناس انه حق وباطل ولكل اهل، فلئن دام الباطل فقديما ما فعل ، ولئن قام الحق فلربما ولعل ، وقل ما ادبر شيء فاقبل ، ولقد خشيت ان تكون في فترة وما علي الا الجهد وكانت امور مضت ملتم علي فيها ميلة واحدة كنتم فيها غير محمودي الرأي ، اما اني لو شئت ان اقول لقلت ،عفى الله عما سلف ، سبق الرجلان وقام الثالث كالغراب همه بطنه وفرجه ، يا ويحه لو قص ريشه، وقطع جناحاه ، شغل عن الجنة والنار امامه ، ثلاثة واثنان ليس لهم سادس ، ساع مجتهد وطالب يرجو ومقصر في النار ، وملك يطير بجناحيه ونبي اخذ الله ميثاقه، هلك من ادعى وخاب من افترى ، اليمين والشمال مضلتان والطريق المنهج عليه تأويل الكتاب وآثارالنبوة .

ايها الناس ان الله ادّب هذه الامة بالسيف والسوط ، ليس عند الامام فيهما هوادة لاحد فاستتروا ببيوتكم واصلحوا ذات بينكم، فالموت من ورائكم والتوبة امامكم ، ومن ابدى صفحته هلك، الا وكل قطيعة اقطعها عثمان او مال اعطاه من مال الله فهو مردود على المسلمين في بيت مالهم ، فان الحق قديم لا يبطله شيء، والذي فلق الحبة وبرئ النسمة لو وجدته قد تزوج به النساء واشترى به الامامء وتفرق في البلدان لرددته ، وان في الحق والعدل لكم سعة ، ومن ضاق به العدل فالجور به اضيق ، اقول ما تسمعون واستغفر الله لي ولكم.

فكانت هذه الخطبة مما سر به المؤمنون المخلصون واهل الحق والبصائر، واستوحش منه المنافقون والذين في قلوبهم مرض وكل من تطاعم الاثرة او كان في يديه شيء منها لما تواعد به امير المؤمنين ع م من اخذ ذلك من ايديهم ورده الى بيت مال المسلمين، وتداخل قلوبهم لذلك بغضه ع م مع ما اكنوه من عداوته لوتره لهم وهم الجاهلية ولما جبلوا من حسده لما آتاه الله من فضله واضمروا القيام عليه ان وجدوا السبيل الى ذلك ،

وامر علي عليه السلام بكل سلاح كان في دار عثمان او مال تقوّى به على المسلمين فقبض وامر بنجائب كان في دار عثمان اتخذها من مال –- فقبضت وقبض سيفه ودرعه وجعل كل ذلك في بيت مال المسلمين ، ونظر الى سوى ذلك مما لم يقاتل به المسلمين ولم يسع به عليهم فتركه ميراثا بين ولده وامر علي عليه السلام بكل ما كان عثمان اتخذه واشتراه من مال المسلمين فقبض وانتزع اموالا من رجال كان عثمان اجازهم بها من بيت المال

وبلغ ذلك عمر ابن العاص وكان بايله من ارض الشام وكان خرج اليها حيث ثار الناس علىعثمنا فارسل الى معاوية ما كنت صانعا اذا اقشرت من كل ما تملكه كما تقشعر العصا فاصنعه ، وكتب اليه تخبره بخطبة امير المؤمنين عليه السلام في قطائع عثمان وما اعطى من الاموال وذلك لما عليه معاوية وعمر ابن العاص ان في ايديهما من مال المسلمين ، وان امير المؤمنين لا يسوغ ذلك لهما ولا يجري عليه ايديهما حملهما ذلك على النفور منه والبعد عنه مع ما انطوت قلوبهما عليه من عداوته وطلبه بالترات البدرية والاحقاد الجاهلية .

وكان عثمان طلق بعض نسائه وهو في الحصار فورثها علي عليه السلام وجعلها بمنزلة من طلقها بعلها وهو في المرض الذي مات فيه وترك ما كان من اصل مال عثمان ميراثا بين ولده.

وقال الوليد ابن عقبة ابن ابي معيط في امر عثمان:

بني هاشم ردوا سلاح ابن اختكم \* ولا تنهبوه لا تحل مناهبه

بني هاشم انا وما كان بيننا \* كصدع الصفا لا يرئب الدهر شاعبه

بني هاشم كيف الهوادة بيننا \* وعند علي درعه ونجائبه

بني هاشم لا تخلطن صلوتكم \* مزامير ابليس وما خط كاتبه

غدرتم بعثمان الذي كان عيشكم \* كما غدرت قدما بكسرى مراربه

ثلاثة رهط قاتلان وسالب \* سواء علينا قاتلاه وسالبه

فوالله ما انسى ابن امي معيشتي \* ولا ينسين الماء من هو شاربه

هو الانف والعينان مني وليس لي \* سوى الانف والعينين وجه اعاتبه

فاجابه عبد الله بن ابي سفيان ابن الحرث ابن عبد المطلب ويقال للفضل ابن العباس اللهبي :

بكت من يبكي عفان بعد ما \* تنكب عن نهج ا لمحجة جانبه

ثوى جاهد في نقض سنة احمد \* وآثر بالمال الكثير اقاربه

اضاع الحدود في الوليد وغيب \* الشهود وقد يلوي على الدين ظالبه

فلا تسألونا عن سلاح ابن امكم \* وقد حازه عنه الزبير وصاحبه

هما قتلاه بعد ان صالح \* بشعبين من نعمان تعوى ثعالبه

ولا تسألون سيفكم ان سيفكم \* اضيع والفاه لديه محاربه

سلوا اهل مصر عن سلاح ابن اختكم \* فعندهم اسيافه ونجائبه

وشبهته كسرى وقد كان مثله \* شبيها بكسرى هديه وضرائبه

اليس الذي شق الكتاب سعة \* وآذى رسول الله فيمن يقاربه

فان كنت تخشى الله فاعلم بانه \* قوي عزيز غالب من يغالبه

وانت امرء من اهل صفو زارح \* فما لك من حميم تناسبه

وقد انزل الرحمن انك فاسق \* فما لك في الاسلام سهم تطالبه

وان ولي الامر بعد محمد \* علي وفي كل المواطن صاحبه

وصي رسول الله حقا وصهره \* واول من صلى ومن لان جانبه

وجاهد حتى اظهر الله دينه \* وانت مع الاشقين ممن يحاريه

فدع ذا وقل في الشعر غير مفاخر \* ولا مدع زورا به انت كاذبه

واثر على آل النبي محمد \* وقل فيهم قولا تسير غرائبه

لتصدق ان اثنيت خيرا عليهم \* وتوجر ان احببته واقاربه

فحبهم حق على كل مؤمن \* يرجى ثواب الله او هو راهبه

كرام قريش معدنا ومركبا \* هم الفرع منهم والذرى وذوائبه

لهم مأثرات في المكارم كلها \* ومجد قديم ما ترام مراتبه

هم القادة الهادون من يقتدي بهم \* يفز وتطب طول الحيوة مكاسبه

فمنهم علي كان صاحب خيبر \* وصاحب بدر يوم سارت كتائبه

يسير برايات النبي امامه \* وقد كثرت حول النبي مقانبه

وصي النبي المصطفى وابن عمه \* فمن ذا يدانيه ومن ذا يقاربه

وحمزة منهم ليث حرب هناكم \* عليه بفعل الخير قامت نوادبه

وجعفر منهم ذو الجناحين لم يكن \* هيوبا اذا اولى من الموت هاربه

وفي حسن اعلام خير منيرة \* وجود اذا ما جاء للجود طالبه

ومنهم حسين امه ابنة احمد \* كريم قريش حين ينسب ناسبه

ومنهم ابو العباس والفضل منهم \* وعم النبي المصطفى ومصاحبه

ومنهم سمي المصطفى وابن عمه \* روى العلم طفلا ثم طابت مضاربه

ومنهم ابو سفيان ذو الفضل و التقى\* نجيب حنين يوم ولت كتائبه

وذو الشرف العالي ربيعة منهم \* مشاركه في فضله ومغالبه

هم السابقون الاولون مفاخرا \* اذا ما ارتوى من حوض احمد شاربه

ويحدر اعداناعطاشا اذلة \* اذا عرضت للمسلمين جوانبه

يصدون عن ذات اليمين وجوههم \* كظلمة ليل لابتان كواكبه

ولما بائع امير المؤمنين صلوات الله عليه قام ابو ايوب الانصاري فحمد الله واثنى عليه وصلى على النبي صلع ثم قال :

يا امير المؤمنين انما انت الغاية في هذه الامة ولا نظير لك وان كان قوم تقدموك في الولاية ما تقدموك في الدين ، ولئن كانوا سبقوك امرا لقد سبقتهم قبل اليوم ولنعم المحبور انت غدا اما ما ذكرت عن رسول الله صلع وعن الله سبحانه صدقناك وما كان من رأيك قبلناه منك ، وما رضينا لامرنا غيرك ولا المنقلب لا اليك ، ولا وجدنا لاحد من اصحاب رسول الله صلع فضلك ، لقد وجدنا فيك ما فيهم وما وجدنا فيهم ما فيك اقول ما تسمعون واستغفر الله لي ولكم .

ثم قال ابو الهيثم ابن التيهان وكان بدريا نقيبا فقال يا امير المؤمنين انه ليس احد من اصحاب محمد صلع ذكره الله بخير او ابلى بلاء استوجب به الجنة وشهد مشهدا حمله عنه العامة وقد سمع به اهل الشام والعراق ولم يبق من اولئك احد الا هو يحب يزينك او يزين بك ، ولو خالفوك والله لعوجلوا بالحق ، فانما نحن فعندنا لكره القتال الجنية ولطاعة الموت الصبر ، حتى والله لقد استبطأناها وخف علينا ثقلها ولا نعلم لك عدوا غير معاوية ابن ابي سفيان وقد يجني البلاء من حيث لا يخاف والعاقبة من حيث لا يرجى فسر باهل الحجاز الى اهل العراق فيكشف الله بهم الشك ويزيدهم في اليقين .

ثم قام قيس ابن سعد ابن ابي عبادة الانصاري فحمد الله واثنى عليه وصلى على النبي ثم قال يا امير المؤمنين انه لم يعظم الله نعمته على احد من خلقه الا ازداد الحق عليه عظما ، ومن نعمة الله علينا ان كتب في قلوبنا الايمان وايدنا بروح منه وجعل لنا عند المحن التمحيص داعيا لجنة حين كثر الشك وقل اليقين ، ونحن بك اوثق منك بنا، لا تجد امثالنا ولا نجد مثلك لا والله ما اخترناك اضطرارا ، ولا بايعناك مخاتلة ولكنا نظرنا الى انفسنا حين زاغت الابصار واختلفت القلوب فنقلنا بك اقدامنا الى الحق وبسطنا بك ايدينا الى الجهاد ، ولولا ك ما نقلنا قدما ولا بسطنا يدا .

ثم قام الحجاج بن عرابة الانصاري فحمد الله واثنى عليه وصلى على النبي ثم قال :

ايها الناس انما عرفنا فتنة اهل الشرك بمحمد صلع وعرفنا فتنة اهل الضلال بعلي ابن ابي طالب ص ع ولما زينه الله من دينه وامانته وولايته اعظم مما زينه به من صحبتنا .

قال فلما سمع الانصار قول هؤلاء اجتمع اهل البلاء مع رسول الله صلع منهم ثم جاؤا بسيوفهم فقالوا يا امير المؤمنين ضربنا بهذه السيوف مع رسول الله صلع ونضرب اليوم معك والله ما نفرق بين الفريقين الا اسماء الرجال ، وان الآخر كالاول ولم يتخلف عنه رجل من اهل السوابق .

وقام عبد الرحمن بن حنبل الحمحي فذكر فضائل علي عليه السلام وسوابقه وقرابته من رسول الله صلع ثم قال لعمري بايعتم ذا حفيظة على الدين معروف العفاف مرفقا

عفيفا عن الفحشاء ابيض ماجدا \* صدوقا وللاحبار قدما مصدقا

ابا حسن فارضوا به ثم بايعوا \* فلن تجدوا فيه للذي العيب منطقا

وصي النبي المصطفى ووصيه \* واول من صلى لذي العرش واتقى

وقال خزيمة ابن ثابت الانصاري :

اذا نحن بايعنا علينا فحسبنا \* ابو حسن مما نخاف من الفتن

وجدناه اولى الناس بالناس انه \* اطب قريش بالكتاب وبالسنن

وان قريشا لا تشق غباره \* ولا احد منها يساويه في قرن

وفيه الذي فيهم من الخير كله \* وما فيهم مثل الذي فيه من حسن

وصي رسول الله صلع من دون اهله \* وفارسه قد كان في سالف الزمن

واول من صلى من الناس كلهم \* سوى خيرة النسوان والله ذي المنن

وصاحب كبش القوم في كل غمرة \* يكون لها نفس الشجاع الى الذقن

وانت الذي تثنى الخناصر باسمه \* امام لنا حتى نغيب في الكفن

واختلف الناس في قتل عثمان وافترقوا فرقا ، ففرقة برئت منه وقالت انه حلال الدم بما احدث وغير من سنة الرسول صلع ، وفرقة قالت انه قتل مظلوما ،وكان كابي بكر وعمر، وفرقة وقفت شكا لا يدري اصاب قتله ام اخطأوا ، وتخلف عن بيعة علي ع م ثلاثة من بني امية مروان ابن الحكم وسعيد ابن العاص والوليد بن عقبة ، فلما بائع المهاجرون والانصار جاء الثلاثة الامويين الى امير المؤمنين عليه السلام فتكلم الوليد ابن عقبة فقال لعلي عليه السلام انك قد وترتنا جميعا ، اما انا فقتلت ابي يوم بدر صبرا وجلدتني بالسياط ايام عثمان يعني حين قامت الشهادة عليه بشربة الخمر ، وخذلت عثمان فلم تمنعه ، واما سعيد ابن العاص فقتلت اباه يوم بدر وكن ثور قريش، واما مروان فشتمت اباه وعبت عثمان حين ضمه عليه، ولكنا بنو عبد مناف فنبايعك على ان تصنع عنا من ا صبنا من قتلة عثمان وهرقنا من دمائهم .

فقال علي صلوات الله عليه اما ما ذكرتم من وتري اياكم فبالحق وترت ، واما وضعي ما اصبتم فليس لي ان ضع حق الله ، اما قتله عثمان فلو لزمني قتلهم اليوم لزمني قتالهم امس ، ولكن لكم علي ان اومنكم وان احببتم ان اسيركم فعلت ،

فقال الوليد فان لم نبايعك فما انت صانع ؟

قال علي ص ع ان ابيتم حبستكم وان طغيتم قتلتكم .

فقال الوليد لا حاجة لنا في امرين اهونهما الحبس ،

فبايعوا ، وقال الوليد ابن عقبة بعد البيعة مظهرا لنفاقه، مصرا على بغيه وشقاقه:

تقدمت لما لم اجد متقدما \* امامي ولا خلفي من الموت مرحلا

واوذي ابن امي والحوادث جمة \* وكان الذي وافاه حتما موجلا

اتيت عليا غير راض بامره \* ولا ناظر فيه محقا ومبطلا

فبايعت لما ان ابى الناس غيره \* ولم اك فيما كان من ذاك اولا

فان لا تخفني فالمدينة بلدة \* اقيم بها حتى ارى متحولا

وبالشام امن لي واسع ومغول \* وشيخ سيغلي للحوادث مزحلا

ولما بلغ عليا ع م قول الوليد بعث اليه والى اصحابه ان خفتكم شيئا من امري امنتكم ، وان ابيتم الا ما في انفسكم فالحقوا ملاحقكم ، فقال مروان بل نقيم معكم فنرى وترى ، ولما اكثر الناس في قتل عثمان القول سئل علي ابن ابي طالب عليه السلام عن ذلك ، فقال : ان الله قتل عثمان وانا معه ، وقال ايضا ولا امرت ولا نهيت ولا ساءني ولا سرني ، وقال في ذلك عمر ابن عبادة الانصاري :

قد بايع الناس خير الناس كلهم \* بعد النبي عليا غير ما كذب

قالوا ابن عفان مظلوما فقال لهم \* قولا تلبس فيه الغرض بالجقب

ما سرني قتل عثمان ولا سفحت \* عني عليه دموع العين بالكسب

ولا امرت به في الآمرين ولا \* نهيت وهذا الوقف في العرب

ولا يقول تولوه كما انقطعت \* عنه الولاية منا آخر الحقب

لكنه لم يقل شيئا فنحمله \* عنه ولو قاله قلنا ولم نهب

قال القاضي النعمان ابن محمد رضوان الله عليه في كتاب شرح الاخبار :

وكان اول ما امتحن به علي عليه السلام بعد ان بوئع وافضى الامر اليه بعد اوغر صدور الخاصة بان قطع عنهم من الاثرة ما عودوه ، والعامة بما حملهم من العدل عليه الا من عصم الله جل ذكره ممن امتحن الله قلبه بالايمان فخف عليه من ذلك ما استثقله غيره من ما قد احتال به من اراد التوثب عليه من القيام بدم عثمان ممن قد آل عليه وقام مع قاتليه وممن خذله وقعد عنه فامتحن علي عليه السلام محنة لم يجد معها غير ما صار اليه لان جميع الخواص والوجوه من الصحابة والمهاجرين والانصار كانوا قد حلوا محلتين ، ونزلوا منه منزلتين ، بين قائم عليه مجاهر في ذلك حتى قتل ، وبين راض بذلك خاذل عما حل به ، وعامة من غاب عن ذلك من سواد الناس وجلهم ينكرون قتله ويتعاظمون مع ما فتحه لهم والهم به واغراهم من فتح ذلك ممن خرج مع طلحة والزبير وعائشة واظهارهم انهم انما قاموا يطلبون بدم عثمان ، وما اقتفاه معاوية وعمر ابن العاص في ذلك من آثارهم وسلكاه حتى صار ذلك عند العامة من اكبر الكبائر واعظم العظائم لا يلتفتون فيه الى من قتله واعان عليه ولا الى من قعد عنه وخذله من اكابر الصحابة الذين هم قدوته وعنهم يأخذون دينهم ، فوقف علي صلوات الله عليه من ذلك على امرين المكروه في كلاهما ان هو صرّح بتصويب قتله استفسد العامة ، وان صرح بانكاره استفسد الخاصة ، وكان اكثر عنه من ذلك اذا سئل عنه معاريض القول ومجمل الكلام كقوله عليه السلام ما سرني في ذلك وساءني ، فتأولت الخاصة ذلك على الاستحقاق به ، و تأولت العامة على انه ما سرني قتله ولا ساءني اذا استشهد فدخل الجنة ، كقوله عليه السلام ما قتلته ولا امرت بقتله ، وهذا مما ابان فيه عما كان منه كقوله قتله الله وانا معها ، فتاول ذلك الذين قتلوه على انه اراد به انه مع الله عز وجل في قتله ، وتأولته العامة على انه كان معه لما رأووه عنه من النهي عن حصاره وارساله الماء وهو محصور لانه معه من لا ينبغي ان يقتل عطشان في كلام كثير يحتمل التأويل ، وما سلم مع ذلك من الاقاويل كما ان سلطانا لو اسرى اسيرا او اعتقل رجلا مذكورا فمات المعتقل في سجنه لا يعدم قائلا يقول انه هو الذي قتله ، او سقاه سما او احتال في موته حتى لو رأوا صاعقة وقعت عليه او عذابا من السماء لما صرفهم ذلك عن ان يقولوا فيه ، وكان مع وقع من الفتنة وقتل فيها من فيها من الامة واختلاف الناس في ذلك الى اليوم مع شهرته واطباق من اطبق من الصحابة على قتل عثمان او خذلانه ولحق من ذلك عليا عليه السلام اولياء الله الائمة من ذريته ما لحقهم من السفل والعوام مع ذلك ، فكيف لو قد قام عليه السلام على ابي بكر فقتله او على عمر او كان قد قام فيمن قام على عثمان فمحنة اولياء الله وان يحفظوا فيها لا بد ان يمتحنوا بها ليكمل الله عز وجل لهم فضيلة الامامة ويرفعهم في اعالي درجات الكرامة، وما كان عسى ان يكون جوابه وقوله ، وفعل غير السكوت عن ذلك كما سكت لما نادى منادي اهل الشام اصحاب علي ع م يوم صفين وهم عالم لا يحصى عددهم يومئذ كثيرة ادفعوا الينا قتلة عثمان ، فقال اصحاب علي عليه السلام عن آخرهم بلسان واحد كلنا قتلته، افكان يمكن دفعهم كلهم الى اهل الشام فيقتلوهم او ان يقول لاهل الشام هم مصيبون في قتلهم اياه ، وليس كل من قال قولا بما لا يجب له يجب الجواب عليه ، ولو كان ذلك لوجب على كل سامع يسمع مخلا من الكلام ان يجيب عنه او يحتج على قائله والطلب بالقول انما يكون لاهلها عند امام المسلمين ، ذلك مما اجمعوا عليه وعلى ان عليا عليه السلام امامهم يومئذ ، وليس من اهل الشام ولا من غيرهم من يستحق القيام بدم عثمان ولا طلب بذلك احد ممن يستحقه عند علي صلوات الله عليه فيحكم له فيه بما يوجبه له الحق عنده ولكن الذين قاموا عليه ونكثوا بيعته وتعدوا امره جعلوا امر ذلك سببا يتسارعون به الجهال الى القيام لما ارادوا من التغلب على ظاهرامر الدنيا والتوثب علىاولياء الله . هذا قول القاضي النعمان بن محمد بن حيون رضي الله عنه وارضاه.

ونقول انه قد ورد في فضل امير المؤمنين علي ابن ابي طالب عن رسول الله صلع ما قد اجمعت الامة عليه من قوله انه وصيه وخليفته ومن امرهم بالسمع والطاعة له ومما له من الجهاد والسابقة في الاسلام وجميع الفضائل التي وجدت فيه عدم اكثرها في غيره من الصحابة ما لا شك فيه ولا مرية تعتريه ، وان من اعاد التقدم له غاصب ظالم لا يدفع ذلك احد ممن سلك سبيل الانصاف ولم يتجاوز الى البغضة التعصب والخلاف. وان امير المؤمنين صلوات الله عليه قد ابان فيها قدمنا ايراده من خطبتة المعروفة بالشقشقية التي رواها الرضي عن ابن عباس ما نفث فيه منها بالمكنون ونطق فيها من ظلمهم له بما هو الحق المبين ، واكثر ما يقول من كابر وجابره ذلك ان الخطبة ليست لامير المؤمنين عليه السلام وانها من قول الشريف الرضي رحمة الله عليه وخطأ بهتانهم وضلال قلوبهم في ذلك واضح لا يخفى على ذي لب، ممن لم يرن الشيطان له على قلب ، وهل يستطيع الشريف الرضي ان يأتي بمثل ذلك القول فصاحة وبلاغة وجزالة وهو مما لا يصدر الا عن نبي او وصي نبي ، وانم اراد بذلك دفع الحق وتكذيب الصدق كمن يريد ان يدفع نور الشمس فانه لا يسترها عن عيون الناظرين ولا يزيد على ان سترها عن بصره ، ويحول بينه وبين نظره ، وكذلك قد ابان امير المؤمنين علي عليه السلام القول في ذكر المواطن التي امتحن بها مما رواه محمد ابن سلام ، وقد قدمنا ذكره ذلك ، ولو اردنا اسقتصاء الحجة فيه لكان القول في ذلك يتسع ، والبرهان واضح لمن ابصر بعين قلبه وباذنه سمع ، انها لا تعمى الابصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور. وقد قال الله في صفة من ابصر آياته فلم تنفعه رؤيتها وسمعها فلم ينتفع سماعها صم بكم عمي فهم لا يعقلون ، وهم ينظرون ويسمعون ويقولون انهم يعقلون لكن لما لم ينتفعوا بذلك ولا يهتدوا به لا تظهرلهم البينات فيما انزل الله تعالى ذكره على رسوله من كتبه . نسأل الله تعالى ان يجعل محيانا ومماتنا على طاعة الله وطاعة اوليائه ولا يعدل بنا عن سبيله ، ولا يقطعنا عن الاتصال بهم ، وان يوزعنا شكر ما اولان من نعمه بمنه وفضله وكرمه.

ونرجع الى ما كنا فيه

روي عن معاوية ابن هشام عن عمرابن حفص الانصاري عن قدامة ابن سعد قال سمعت ابا جعفر محمد ابن علي عليه السلام يقول بائع عبد الله ابن عمر ابن الخطاب عليا عليه السلام بالعشي ثم غدا عليه يستقيله بيعته فقال علي عليه السلام لم هلا حدثت بينهما حدثا يعني بين العشي والغداة ، فقال عبد الله لا ولكن هذا الرجل قتل وينبعي ان يعلم ذلك اصحاب محمد جميعا واراك قد غصبت الناس امرهم ، فقال عليه السلام بل ابوك غصب الناس امرهم، فقال له عبد الله وكيف غصب ابي الناس امرهم، فقال علي عليه السلام بايع ابوك وابو عبيدة وسالم مولى ابي حذيفة ابا بكر ثلاثة ليس لهم اربع من المسلمين ، فلما سمع الناس اغتصبت حتى بائع مكرها ثم بائع ابو بكر لابيك ثاني اثنين بغير رضين المسلمين ولا مستورة فلم سلم الناس ذلك اغتصب حتى بائعت غصبا ثم جعلني ابوك سادس ستة كلهم يعرف فضلي عليه فبايعتم لعثمان ابن عفان واحدث ما علمتم وصنعتم به ما رأيت انا فاغصب الناس امرهم ولكني والله ما زلت اعرفك احمقا محمقا قديما وحديثا ، اما والله اني لارجو ان لا يميتك الله حتى تبائع شر الناس ، قال ابو جعفر يعليه السلام فبائع والله معاوية ثم بائع يزيد ابن معاوية ، ثم بائع الحجاج بن يوسف لعبد الملك ابن مروان .

وكان المتخلفون عن علي صلوات الله عليه وعن الجهاد معه وقتال من نكث بيعته وحاربه وناصبه سعد ابن ابي وقاص وكان احد الستة الذين سماهم عمر للشورى وعبد الله ابن عمر ابن الخطاب ومحمد ابن سلمة وكعب ابن مالك واسامة ابن زيد ، وعبد الله بن سلام واقتدى بهم جماعة فقعدوا بقعودهم عنه ولم يشاهدوا اشياء من حروبه معه ولا كانوا مع من حاربه ، وهذه الفرقة هم اصل المرجئة وبهم اقتدوا وذهب الى ذلك من رأيهم جماعة من الناس ودان بهم كثير من الامة ، قالوا في علي عليه السلام ومن قاتل معه وفي الذين حاربوه وناصبوه ومن قتل الفريقين انهم يخافون عليهم العذاب ويرجون لهم الخلاص والثواب ولم يقطعوا عليهم بغير ذلك ويخلفوا وتخلفوا عنهم، والارجاء في اللغة التأخير فسموا مرجئة لتأخيرهم القول فيهم وتأخيرهم عنهم ولم يقطعوا عليهم بثواب ولا عقاب لانهم زعموا ان كلهم موحدون ولا عذاب عندهم على من قال لا اله الا الله فقدموا الاقوال واخروا الافعال ، واسم المرجئة يلزم كل من اخر علي ابن ابي طالب عليه السلام وقدم عليه بعد الرسول صلع غيره ، وفي الحديث عن النبي صلع المرجئة يهود هذه الامة .

ولحق عبد الله ابن عمر بمعاوية وكان قتل رجلا من المسلمين ايام عثمان فقال امير المؤمنين صلوات الله عليه لو كان الامر الي لاخذت حق الله منه ، فلما قتل عثمان خرج هاربا الى الشام وقال حسان بن ثابت في قتل عثمان وكان عثمانيا

خذلته الانصار اذا عظم الـــ \* الخطب وكانت شعاره الانصار

ضربوا بالبلاء فيه مع الناس \* وفي تلكم القضية عار

حرمة في البلاد من حرم الله \* ووال من الولاية وجار

اين اهل الحياء اذ منع الماء \* فدته الاسماع والابصار

هكذا ضلت اليهود عن الحقا \* بما زخرفت لها الاحبار

من عديري من الزبير ومن \* طلحة هاجا امرا له اعصار

ثم قالا للناس دونكم الفحل \* فشب وسط المدينة نار

فولاه محمد ابن ابي بكر \* جهارا وخلفه عمار

ثم قال هذا ذان لهدم \* الذين جهر وللامور قرار

وعلى في بيته يسأل الناس \* ابتداء وعنده الاخبار

باسط للذي يريد ذرا \* عيه عليه سكينة ووقار

ينظر الامر ان يزف اليه \* فاذا بينت له الاقدار

قد رأى كثيرة الكلام فنحى \* كل قول يشوبه الاكثار

وقال حسان بن ثابت لامير المؤمنين ص ع يا امير المؤمنين ان الناس قد اكثروا فيك وفي عثمان وانه والله ما الشام احب الى من حجاز ولا معاوية بابز الي منك ، ولا بنو امية باولى من بني هاشم ، وما تزعم انك قتلت عثمان ولكن خذلته ، ولا انك امرت به ولكنك لم تنه عنه ، والخاذل اخو القاتل ، والسكوت اخو الرضى ، وان صاحبه لغيرك ، والله لئن كنت ما اضمروا واشتهيت ما فعلوا انه لعار لا يغسل وذنب لا يحتمل ولذا لنرجع في امرك الى حسن الظن بك.

ولما كثر الكلام في شان عثمان قام قيس ابن هبيرة وهو مكشوح مراد وكان فيمن قتل عثمان فقال : يا معشر المهاجرين والانصار والتابعين باحسان انا كنا اتينا هذا الرجل يعني ابن عفان عاما اولا مستعتبين له ، فردنا بالتعذير فقبلنا عذره ، وانتظرنا عدته ثم عاد فعدنا عليه وانا لم نقتله خطأ ، ولم نصبه على غفلة ، فهذه حجته وحجتنا في ايدينا وبيدي اهله والحق لسان العي والضعيف ، وهذا عامة امرنا .

فسكت الناس وقام مروان ابن الحكم فقال : اما والله لو كان القول ينفع الحي ويرد الميت لقلنا ما لا يرده سميع ولا ينقصه مجيب ، وما نحن فيه كما قال هبيرة ابن وهب :

وان كلام المرء في غير \* لكالسهم تهوي ليس فيها نصالها

فقال سعيد لمروان الصبر الصبر فان فيه صلاح اليوم ورجاء غد ، واعلم انا في وسعة ما لم نقل ، فاذا قلنا تزيد علينا في القول وغير علينا الحكم ، وانشأ مروان يقول :

الا قل لقوم شاربي كاس علقم \* بقتل امام المدينة محرم

قتلتم ابا عمر وعلي غير ردة \* ولا قذف احسان ولا قتل مسلم

تعالوا فقاضوا فان كان قتله \* لواحدة منها فحل لكم دمي

والا فاعظم بالذي جئتم به \* ومن يأت ما لم يرضه الله يظلم

نقمتم علينا ما نقمتم وقلتم \* له تب فلما تاب قلتم له اسلم

فلم تلبثوا ان قلتم حل قتله \* ولا شيء اعمى للقلوب من الدم

فلا يهنين الشامتين مصابه \* فقصراهم من قتله حكم جرهم

فاجابه به قيس بن مكشوح المرادي :

قتلنا ابن اروى بالكتاب ولم نكن \* لنقتله الا بامر محكم

طاع سعيد والوليد وعمه \* ومروان في المال الحلا وفي الدم

وقد كان اوماه بذاك ابن عامر \* فذاق بها من امرهم كأس علقم

نعاتبه في كل يوم وليلة \* علىهدم دين او مشيمة مسلم

فلما ابا قلنا له خل امرنا \* فانك ان تترك نسلم وتسلم

والا فانا قاتلوك وما دم \* ابى الحق الا سفكه بمحرم

فما زال ذاك الداب ستة اشهر \* وستة اعوام كذا كل موسم

فما نر الا قتله بعد غلظة \* ولين وامري شدة وتجهم

ابت نصره الانصار والحي حوله \* قريش وهم اهل الحطيم وزمزم

فمن كان ذا عقل فقد بان امره \* ومن كان ذا شك فقولوا له اسلم

فقال الرواة وكان عمر ابن العاص حين قتل عثمان بفلسطين فبلغه ذلك فلم يصدق به فخرج مغموما يطلب الخبر فاذا براكب من جذام فقال له عمر ومن اين اوضع الراكب ، قال من المدينة ، فقال له الخبر ، قال قتل عثمان، قال عمر وانا ابو عبد الله اذا حكـكت قرحة ادميتها ، قال فمن بايعوا ، قال علي ابن ابي طالب ، قال ذاك قريس فما صنع بقتلة عثمان ، قال آواهم ومنعهم ، فتبسم عمر وقال خلط عليهم ابو الحسن ، ثم قال فما صنع طلحة والزبير ، قال بايعاه ، قال عمر له يومهما وعليه غدهما ، قال فما فعلت عائشة ، قال هي على رأيها الاول في عثمان، قال كلا يعطفها على عثمان بغضها لعلي ، قال ما فعل مروان ، قال نحى ، قال ذاك رجل قومه ، قال فما يقول الناس في عمر بن العاص ، قال يقولون لعنه الله الهبها على عثمان نارا ثم فر الى فلسطين ، قال عمر قد كان بعض ذلك ، ثم قال له عمر فيم قدمت الشام ، قال قدمت على روح بن زنباع ، قال اقم عندي فانا لك خير من روح وانا عمر ابن العاص ، قال الفتى واسوءتاه لو عرفتك كتمت عيبك ، قال عمر انما تكتم ما لا يعرفه غيرك ، وقال الجذامي لعمر بن العاص ان رجلا حملني اليك كتابا من المدينة في سواد الليل ولا ادري ما فيه ولا اعرف الرجل وهو بخاتمه ، قال هاته ، قال فدفعه اليه ، فاذا فيه قول الوليد ابن عقبة ابن ابي معيط ، وهو :

الا يا لهف نفسي اين عمر \* ونجى عمر وعثمان قتيل

تعاروه السيوف وناصروه \* من الاحياء كلهم قليل

تبرى الناس منه غير رهط \* اجابوه عزيزهم ذليل

تواصوا بالحفاظ فادركتهم \* مناياهم وانفسهم فشيل

فدمعي ما حييت عليه شح \* وطرفي دون خاذله كليل

فاما قاتلوه فان بيني \* وبين اولئك السيف الصقيل

وعمر آمن بالشام خلو \* من الاحزن منزله ظليل

رأى عثمان قد شرعت اليه \* امور بعدها شر طويل

وان الناس قد طعنوا عليه \* وكان يقوله فيمن يقول

وايقن ان بعد الظعن قتلا \* وان القتل محمله ثقيل

وقال الناس عثمان قتيل \* وكان لقوله فيها قبول

فلم يكن الحجاز له بدار \* وكان بها له الخطب الجليل

وقال الشام فيها لين عيش \* وشيخ للذي اهوى جميل

فان قتل الامام سلمت مما \* يعاب به المحضـض والخذول

وان سلم فذاك هواي فيه \* وليس الى خلافته سبيل

فهذا رأي عمر وان عمرا \* الى الدنيا وزخرفها يميل

فقال عمر هذا كتاب ابي وهب ، وقال الخذامي هل علمت ما فيه ، قال انه لجهل بي ان احمل كتابا لا علم لي ، قال فاكتم ذلك لا يعلمه احد ، قال الجذامي هو بفلسطين غدا اشهر من قتل عثمان .

وخطب امير المؤمنين علي ابن ابي طالب صلوات الله عليه في المدينة وقال :

بسم الله الرحمن الرحيم ، الحمد الله الذي هدانا من الضلالة وبصرنا من العمى ومنّ علينا بالاسلام ، وجعل منا ميراث النبوة واصطفانا بالخلافة ، وجعلنا خير امة اخرجت للناس تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر، ونؤمن بالله لا نشرك به شيئا ولا نتخذ من دونه الها ولا وليا ، ونحن الشهداء على الناس والرسول شهيد علينا ، نشفع فنشفع وتغفر ذنوبنا وتستجاب دعوتنا من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له ، ويد الله مبسوطة بالخير ، ومن يدعون بدونه لا يملكون له ضرا ولا نفعا ، ولا موتا ولا حيوة ولا نشورا ،

اما بعد فان الله قتل عثمان وذلك انه قتل اهل الاسلام واضر بهم وسعىفي الارض فسادا ، والله لا يحب المفسدين ، جعل المال دولة بين اهل بيته وحمىالارض التي بسط الله لعباده وانزل فيها الماء واخرج اصحاب محمد صلع من مهاجرهم وقرارهم وظلمهم حقهم ومنعنا اهل البيت واحرق كتاب الله ومزقه في الآفاق وقتل وهب ابن زمعه بغير حق فلم يده ولم يقد من نفسه ، فمن اظلم من هذا فتوبوا الى الله ربكم واسمعوا واطيعوا واعرفوا الله حقه وتعاونوا على البر والتقوى واتقوا الله ان الله شديد العقاب.

ونقول لقد ابلغ امير المؤمنين صلوات الله عليه في هذه الخطبة واوضح البرهان، وازال البهتان ، وذكر عثمان بعيوبه، وما اقترفه من ذنوبه، فبان القول بغير اشكال، وما ذا بعد الحق الا الضلال ،

وكان هم علي ع م الشام وجهاد معاوية وبلغه عليه السلام عن سعد ابن ابي وقاص ومحمد ابن مسلمة وعبد الله بن عمر شيء كرهه فقام ص ع خطيبا فحمد الله واثنى عليه وصلى على النبي ثم قال :

ايها الناس بايعتموني على ما بويع عليه من كان قبلي وانما الخيار للناس قبل ان بايعوا فاذا بايعوا فلا خيار لهم ، وان على الامام الاستقامة وعلى الرعية التسليم ،وهذه بيعة عامة من ردها رغب عن دين المسلمين واتبع غير سبيلهم ، ولم تكن بيعتكم اياي بغلبة ولم يكن امرك واياكم بواحد ، وانما اردتكم لله، وانتم تريدونني لانفسكم ، وايم الله لانصحن للمسلمين ولانصفن المظلومين ، وقد بلغني عن رجال امور والحق بيني وبينهم.

ثم نزل فبعث الى سعد ومحمد بن مسلمة عبد الله بن عمر فاتوه فقال لهم بلغني عنكم امور كرهتها ولست اكرهكم على القتال معي بعد بيعتكم فاخبروني ما الذي بطأ بكم عني وعماّ دخل فيه المسلمون ، وما الذي تكرهون من القتال معي ، اليس في ثلاثة ايام بلياليهن ،

قال له سعد ابغ لي سيفا اقاتل به معك له لسان وشفتان يتكلم ويعرف المؤمن من الكافر ،

فقال له علي عليه السلام اترى لو ان سيفا نطق بخلاف ما جاء به جبرئيل وجاء به محمد صلع كان الا شيطانا ، اهكذا شرط الناس على ولاتهم بائع ثم اعمد سيفك واقعد في بيتك ، فانك انت الاخسر من قريش ، واعلم اني احدكم بسنة عمر بن الخطاب اذ قال اذا اجتمع اربعة وابى اثنان فاقتلوهما وقد بقينا اربعة وهكذا اثنان وقد اجتمع من الاربعة ثلاثة انا وطلحة والزبير وبقيت وحدك فان بايعت والا ضربت عنقك لان الاثنين من الستة ثلث والواحد من الاربعة ربع .

فلما سمع سعد قوله بايع.

ثم قال لمحمد بن مسلمة ما يمنعك من بيعتي والقتال معي ،

قال لا استحل القتال ،

قال له علي عليه السلام ولم ،

قال لان ابن عمك رسول الله صلع دفع الي سيفا وقال قاتل به المشركين فان رأيت رجلين من المسلمين ممن يصلي الى القبلة يقتتلان فان احدا فاعترضه سيفك حتىتكسره ثم الزم الارض حتى تأتيك يد خاطئة او ميتة قاضية ، وقد اعترضت به كما امرني رسول الله صلع حتى كسرته ، فقال له علي عليه السلام ليس كل مفتون يعاب ولا كل من بايعناه نريد قتاله ، والناس في هذا الامر غانم وسالم وشاحب والغانم المجاهد في سبيل الله الآمر بالمعروف الناهي عن المنكر الموفي للامام ، والسالم المبايع للامام القاعد في بيته ما لم يلعن محقا او يطعن عليه ، والشاحب المبايع لامام الضلالة التارك لامام الهدى .

ثم قال لابن عمر فانت ما يمنعك من القتال معي ،

قال لا استحل قتال اهل الصلوة ،

قال له علي صلوات الله عليه اترغب عن ابيك وعن ابي بكر ، قد استحلا قتال اهل الصلوة ومن قال لا اله الا الله محمد رسول الله وقالوا نقر بالاسلام ولا نؤدي الزكوة اليكم ، بل نقسمها في فقراءنا فشاور ابو بكر عمر فاشار عليه عمر ان يكف عنهم فقال ابو بكر لو منعوني عقالا من فريضة الزكوة جاهدتهم عليه فقتل وسبى وحرق بالنار ، وقد دعى ابوك المهاجرين والانصار فقال لهم قد جعلت هذا الامر الى ستة نفر منكم وجعلك معهم وليس لك في الامر شيء ، وقال ان اجتمع اربعة وخالف اثنان فاقتلوهما ، وان مضت ثلاثة ايام ولم يفرغوا فاضربوا اعناق الستة ، فخلونا اول يوم فلم نصنع شيئا ثم الثاني فلما صلينا العصر من اليوم الثالث راح الناس مخترطين اسيافهم فقالوا لان غابت الشمس ولم تفرغوا من هذا الامر لنضربن اعناقكم ،

فقال له عبد الله انشدك الله والقرابة ان تدخلني فيما لا اعرف ، انما انا جمل رداح لا غدو ولا رواح ،

فقال لهم اتخرجوا من هذه البيعة ،

قالوا لا ولكنا لا نقاتل معك ،

فقال علي عليه السلام اذا بايعتم فقد قاتلتم ، اذكركم الله هل سمعتم رسول الله صلع يوم غدير خم يقول من كنت مولاه فعلي مولاه اللهم وال من والاه وعاد من عاداه ، وقال يوم غزوة تبوك انت مني بمنزلة هارون من موسى الا انه لا نبي بعدي ،

قالوا اللهم نعم

قال علي فحسبي اذا.

وكان احتجاجه عليهم ص ع بقول من قالوا بامامته واجازوا قوله ثم ابان لهم الحق بما قال رسول الله صلع فسمعوا وكأنهم لم يسمعوا وتمادوا في غيهم ولم يرجعوا ، وقال في ذلك حبيب ابن اوس الانصاري:

ابا حسن متى ما تدع فينا \* تجبك سيوفنا من ارث شمر

بامثال العقائق مخلصات \* وغاب من رماح الخط سمر

فدع سعدا كفاك الله سعدا \* ودع عنك ابن مسلمة بن عمر

وعبد الله فرخ بني عدي \* فانهم على منكوس امر

تمنوا منية ذهبت ضلالا \* ومر بدا لهم دفاع نحر

وفي الانصار مثلهم كثير \* رجال جاهدوا في الله صبر

وليسوا ضائروك فخل عنهم \* على ما كان من عسرويسر

ومرنا بالذي نهوى فانا \* ندين الله انك خير فهر

وانا لا نريد سواك شيئا \* كمن يجري اليك وليس يدري

واما بيعة اهل الكوفة فجاء في الروايات عن الكلبي عن ابي صالح عن ابن عباس قال لما بلغ اهل الكوفة قتل عثمان وبيعة الناس لعلي ابن ابي طالب عليه السلام قالوا لابي موسى الاشعري الا نبايع لعلي وقد بايعه المهاجرون والانصار واجتمع عليه المسلمون، فقال انما انتظر كتابه ، واعلم ما صنع الناس ، قال فقام هاشم بن عتبة بن ابي وقاص فقال ما ننتظر بيعتك ايها الرجل وقد قتل الله الطاغي واجتمع الناس على الوصي بائع ان كنت مبائعا والا فاعتزل ، ثم قال هاشم ايها الناس ان يساري لي ويميني لعلي ابن ابي طالب امير المؤمنين ، واني اشهد الله واشهدكم اني قد بايعته على ما بايعه المهاجرون والانصار عليه ثم اطبق احدى يديه على الاخرى ، فلما فعل ذلك ابتدر الناس فمسحوا يده بالبيعة وبايعه ابو موسى حين رأى صنع الناس ثم صعد المنبر هاشم فعاب عثمان وذكر احداثه وحض الناس على بيعة امير المؤمنين علي ابن ابي طالب عليه الصلوة والسلام ، وقال هاشم بن عتبة في ذلك:

ابايع غير مكتتم عليا \* وان لم يرض ذلك الاشعريا

واعلم انني حقا سارضي \* بذاك عني والنبيا

فمن يبغي سوى من كان منهم \* لاحمد صاحبا وله وصيا

اعادي من يعاديه والقي \* لمن امسى يواليه وليا

وامضي في جهاد مجاهديه \* اذاكره المحامون المضيا

تباشر دونه نفسي احتسابا \* لدى الموت الفتى والمشرفيا

سبقت الناس كلهم لدينا \* لبيعته وكنت بها حريا

وقال هاشم ايضا

ان ابن عفان اذا اودى بشقوته \* طغى فحلب به من ذاكم غير

فاسخط الله فيما كان ملكه \* فابدل الله منه وهو مقتدر

وقام من بعده من ليس يعدله \* في دينه لا ولا في علمه بشر

قام الوصي امير المؤمنين لكي \* يحيي من الدين ما جاءت به السور

فما الذي يا ابا موسى بيعته \* ان كنت من اولياء الله تنتظر

حتى اتاك يقين الامر تعرفه \* حتى جلا عنك بالحق العمى الخبر

فقم فبايع له ان كنت ذا بصر \* من الامور بما تأتي وما تذر

واعلم بانك ان تظفر ببيعته \* ترشد ورشدك في القوم الاولى الظفر

ثم ركب هاشم راحلته فلحق بعلي عليه السلام فشهد معه وقعة الجمل ، وقاتل معه بصفين فاستشهد رحمة الله عليه .

وعن الاعمش عن سفين قال بلغ حذيفة بن اليمان بيعة الناس لعلي ع م فقال بايع الناس امير المؤمنين حقا حقا وضرب باحدى يديه على الاخرى ، وقال هذه لامير المؤمنين علي ابن ابي طالب عليه السلام، وقيل لحذيفة وهو بالمدائن ما تقول في قتل عثمان ، قال ما اقول كافر قتل كافرا بل اقول مؤمن خاض الغمرات حتى قتل كافرا ، فقيل له انك لم يجعل له عذرا ، قال بل الله لم يجعل له عذرا ، ان عثمان اتخذ مال الله دولا وعباده خولا ، ثم لم يردعه عنه رادع.

قال رواة الحديث وقام المغيرة بن شعبة الى امير المؤمنين علي عليه السلام فقال يا امير المؤمنين ان عندي لك نصيحة، قال له هات ما نصحك ، قال انه ليس احد شغب عليك غير معاوية وفي يده الشام وهو ابن عم عثمان وعامله فابعث اليه بعهده عليها تلزمه الطاعة وابعث الى عبد الله بن عامر بالبصرة بعهده عليها ثم ابعث بمحمد ابن ابي بكر الى مصر وعبد الله ابن العباس الى الكوفة فيهدأ عنك البلاء وسكن الناس ، فاذا استقرت قدماك رأيت رأيك في معاوية ، فقال علي عليه السلام يمنعني عما قلت قول الله تعالى وما كنت متخذ المضلين عضدا ، لا والله لا يراني الله مستغنيا معاوية على حاله هذا ابدا ولكني ادعوه الى ما نحن فيه فان ابى حاكمته الى الله فانصرف المغيرة بن شعبة وهو يقول :

نصحت عليا في ابن هند نصيحة \* فرد فما مني له الدهر ثانية

وقلت له ارسل اليه بعهده \* على الشام حتى تستقر معاوية

ويعلم اهل الشام ان قد ملكته \* وام ابن هند بعد ذلك هاوية

فتحكم فيه ما تريد فانه \* لداهية فارفق به وابن داهية

فلم يقبل النصح الذي جئته به \* وكانت له تلك النصيحة كافية

فقالوا له ما ارخص النصح كله \* فقلت لهم ان النصيحة غالية

وكتب علي عليه السلام الى عبد الله ابن عامر الى البصرة معا ، وكان عامل عثمان عليها يخبره بقتل عثمان وبيعة الناس له فقام خطيبا وقال في خطبته :

ايها الناس ان عثمان خليفتكم قتل مظلوما وبيعته في اعناقكم ونصرته ميتا كنصرته حيا ، ولي اليوم ما كان امس وقد بايع الناس عليا ونحن طالبوه بدم عثمان فاعدوا للحرب فقام اليه جارية بن قدامة السعدي ، فقال يا ابن عامر انك لم تملكنا عنوة ، ولم تستعملك بمشورة، وانما اطعناك لطاعة غيرك ، وقد قتل عثمان بحضرة المهاجرين والانصار وبائع الناس عليا، فان امرك اطعناك وان عزلك عصيناك ، فقال ابن عامر موعدك الصبح وتهيأ ابن عامر ليلته وخرج على وجهه واستخلف على البصرة عبد الله الحضرمي ثم اتخذ الليل جملا فاصبح قد قطع ارضا بعيدة واصبح القوم فشاوروا في امورهم وارادوا قتل ابن الحضرمي ، فمن بين آمر وناه فقال في ذلك الاعور الشني :

لعمرك والايام عذر عواثر \* لقد كادنا عن ما اراد ابن عامر

ايأمرنا بالحرب والليل همه \* يوامر نفسا بين خف وحافر

فاصبح صحا والحوادث جمة \* وقد بدرك المحتال رتب المفاخر

بجوب به عرض الفلاة بجيبة \* كأن ركابيه على ظهر طائر

وخلف فينا الحضرمي واننا \* على قتله ما بين ناه وآمر

فن يتركوه يتركوا بوسيلة \* وان يقتلوه يقتلوا غير غادر

وان غابت الاخبار عنا بامرهم \* ففي راحة التسليم محض السرائر

وان عليا حامل من اطاعه \* على الحق اذ والاه اهل البصائر

وان عليا خير من وطئ الحصا \* من الناس طرا حاضر ومهاجر

وقدم الاحنف بن القيس المدينة بعد قتل عثمان فلقي طلحة فقال له ان هذا الرجل قد قتل فمن ترى ان نبائع ، فقال له طلحة سبحان الله بائع امير المؤمنين عليا ، قال الاحنف اتأمرني بذلك ، قال نعم ، ثم لقي الزبير فقال له من ترى ان نبائع فقال له بائع عليا امير المؤمنين ، قال اتأمرني بذلك ، قال نعم ، للدين والدنيا .

وعزل امير المؤمنين ع م عمال عثمان ابن عفان ووجه عماله فاستعمل على اليمن عبد الله ابن العباس بن عبد المطلب ، وكان عليه يعلي بن منبه التيمي ، واستعمل على مصر قيس بن سعد ابن ابي عبادة الانصاري ، وكان عليها عبد الله بن ابي سرح ، واستعمل على مكة قثم بن العباس وعزل عنها عبد الله الحضرمي ، واستعمل على البصرة عثمان بن حنيف الانصاري وكان عليها عبد الله بن عامر وبعث حارثه بن السعدي على حربها واراد عزل ابي موسى الاشعري عن الكوفة فقال اليه مالك الاشتر فقال يا امير المؤمنين اهل الكوفة رضوا به فتركه على حاله ، وقال لعبد الله بن عباس قد بعثتك الى الشام فسر اليها فقال له عبد الله يا امير المؤمنين معاوية ابن ابي سفيان رجل من بني امية وهو ابن عم عثمان وعامله على الشام ولست آمن ان يضرب عنقي بعثمان وادنى ما يصنع ان يحبسني ويحكم علي وعليك ، ولكن اكتب اليه فمنه وعده فان استقامت لك الامور فابعثني ان شاء الله فتركه ، وبعث مسور بن محرمة الدهري الى معاوية فاستعصى عليه .

ولما نظر طلحة والزبير الى عمال علي ع م قد بعثهم ولم يولهما شيئا اتيا عليا ع م فقالا له انا بايعناك على انا شريكاك في هذا الامر ، فقال علي ع م اما شريكاي في هذا الامر فلا ولكنكما شريكاي في القوة والاستقامة ، واعواني على العجز والاود ،

كان الزبير فيما روي لا يشك انه يوليه علي عليه السلام على العراق وطلحة يرجو اليمن وكانا بايعا وهما يظنان ذلك ، فلما استبان لهما ان عليا ع م غير موليهما شيئا اظهر الشكاء ، وقال الزبير هذا جزاءنا من علي قمنا في امر عثمان حتى تثنينا عليه الدين وتسببنا اليه القتل وهو وادع في بيته قد كفي الامور ، فلما نال ما اراد منعنا ما اردنا ، وقال طلحة ما الوم الا نفسي انا كنا ثلاثة رهط من اهل الشورى وكرهه احدنا وبايعناه فاعطيناه ما في ايدينا وها هو منعنا ما في يديه فاصبحنا قد اخطأنا ما رجوناه امس ولا نرجو غدا ما ا خطأنا اليوم

وانتهى قولهما الىامير المؤمنين عليه السلام فقال لابن عباس هل بلغك قول هذين الرجلين ، قال نعم ، قال فما ترى، قال ارى ان تعصي حتى يظهر امرهما ، فقال علي عليه السلام لولا ما بدا لي من حرصهما علىالولاية لوليتهما ، فاما اذ قد انتهيا الى هذا فاني غير موليهما.

وعن ابي يوسف عن موسى بن الحسين عن سهل بن نافع عن مالك بن اوس الحدنان عن ابي الهيثم بن التيهان قال قام علي ابن ابي طالب صلى الله عليه خطيبا فقال :

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد الفعال لما يريد، ذي العرش المجيد ، الذي من علينا بالاسلام ورضي لنا دينا ، نحمده ونستعينه ونستغفره ، واشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له ، واشهد ان محمدا عبده ورسوله ارسله رحمة للعباد ونورا للبلاد ، والشجر والدواب والانعام ، حتى امتلأت البلاد ضلالة ، وكثرت فيها الجهالة ، واستولى عليها عدو الله وعلا في اكنافها ، فكان الذي اطفا الله به نائرتها واخمد به شرارها واقام به سننها محمد بن عبد الله رسول الله صلع ثم قال اني سمعت رسول الله صلع يقول ايما وال ولي امتي بعدي اقيم على حد الصراط ونشرت الملائكة صحيفته ، فان كان عادلا نجاه الله بعدله ، وان كان جائرا انتقض به الصراط انتقاضا يتزايل به ما بين مفاصله حتى يكون بين كل عضو من كل اعضائه مسيرة مائة عام ثم يتحرق به الصراط فيكون اول ما تبقى به النار انفه وحر وجهه، ثم قال الا لا تقولن رجال منكم غدا كانت الدنيا غمرتهم فاتخذوا العقار، وفجروا الانهار،وركبوا الدواب، فصار ذلك عليهم عارا وشنارا ، ان لم يغفر اذا منعتهم ما كانوا فيه يخوضون وصيرتهم فيه الى حقوقهم التي كانوا يملكون فينقمون ذلك ويشكونه ويقولون حرمنا ابن ابي طالب وظلمنا حقوقنا ، فانما رجل من المهاجرين والانصار من اصحاب النبي صلع يرى ان له الفضل لصحته على من سواه فله الفضل المبين عند الله غدا ، وثوابه واجره على الله، وايما استجاب لله ورسوله ودخل في ديننا واستقبل قبلتنا واكل ذبيحتنا فقد استوجب حق الاسلام وحدوده ، فانتم ايها الناس عباد الله المسلمون والمال مال الله نقسم منكم بالسوية ليس لاحد فضل على احد الا بالتقوى ، وللمتقين عند الله احسن الجزاء ، وافضل الثواب ، لم يجعل الله الدنيا للمتقين ثوابا ولا جزاء ، وما عند الله خير للابرار اذا كان غدا ان شاء الله تعالى ، فاغدوا علينا فان عندنا مالا نقسمه بينكم فلا يتخلفن احد منكم عربي ولا عجمي كان في عطاء اذا كان مسلما حرا الا حضر.

فلما كان من الغد اتى الناس لقبض المال ودعى علي عليه السلام كاتبه عبد الله بن ابي رافع فقال له ابدأ بالمهاجرين ثم نادى الانصار فاعطاهم مثل ذلك لمن حضر منهم ثم نادى الناس فاعطى كل رجل منهم ثلثة دنانير فساوى بين اهل بدر وبين الناس في العطاء فقام سهل بن حنيف فاخذ بيد غلام له وقال يا امير المؤمنين هذا غلامي اعتقته امس فاعطاه ثلاثة دنانير كما اعطا سهلا مولاه ولم يفضل احدا على احد ولم يتخلف احد عن العطاء الا الزبير وطلحة وعبد الله بن عمر وسعيد بن العاص ومروان بن الحكم وناس من قريش، وسمع عبد الله بن ابي رافع يومئذ الزبير يقول لطلحة ومروان وسعيد ما خفي علينا في كلام علي ابن ابي طالب ان هذا سيكون ، فالتفت سعيد الى زيد بن ثابت فقال اياك اعني فاسمعي يا جاره ، فقال عبد الله لسعيد ولزبير واكثرهم للحق كارهون ،

وبلغ معاوية امر طلحة والزبير وما اضمراه من النفاق، وازمعا عليه من الشقاق ، وكان يومئذ لا يطمع في الخلافة فكان يقوم في اهل الشام فيقول : يا اهل الشام هذا اميركم الزبير قادم عليكم وكتب معاوية الى الزبير سرا من علي عليه السلام : بسم الله الرحمن الرحيم لعبد الله الزبير امير المؤمنين من معاوية بن ابي سفيان سلام عليك ، اما بعد فاني بايعت لك اهل الشام فاجابوا واستوثقوا فدونك العراق لا يسبقك اليها علي ابن ابي طالب فانه ليس شيء بعد هذين البلدين ، وقد بايعت لطلحة بعدك فاظهر الطلب بدم عثمان وادع الناس الى ذلك وجد وشمر والسلام .

فلما قرأ الزبير كتاب معاوية سره ذلك واتى طلحة به فاعجبهما ولم يخالطهما شك في صحة ما قال لهما معاوية ، واجتمعا على خلاف علي عليه السلام ، وبلغ ذلك الناس وفشى فيهم فركب الى علي عليه السلام من كان من قريش والانصار والعرب والعجم فقالوا يا امير المؤمنين انظر في امتك وعاتب قومك فانهم قد نقضوا عهدك واخلفوا وعدك ، ودعونا في السراء الى رفضك ، وانهم فقدوا الاثرة التي عودوها ونقضوا اديانهم وافسدوها ، وان الدنيا قد غمرتهم ، فلما ساويت بينهم وبين غيرهم اجمع رأيهم على الطلب بدم عثمان ويفرقون جماعة اهل الاسلام ، فاقبل علي عليه السلام مغضبا حتى ركب بعلة رسول الله صلع الشهباء فاتى المسجد وصعد المنبر وعليه عمامة خز سوداء متوشحا بالسيف متوكيا على قوس فقال عليه السلام خطيبا فقال :

بسم الله الرحمن الرحيم ، الحمد لله رب العالمين، اما بعد ، ايها الناس فانا نحمد الله ربنا والهنا وولينا وولي نعمتنا علينا ظاهرة وباطنة يغير حول منا ولا قوة امتنانا علينا وفضلا ليبلونا انشكر ان نكفر ، فمن شكر جازاه ومن كفر عذبه عذابا اليما، واشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له فردا احدا صمدا لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا احد ، واشهد ان محمدا عبده ورسوله بعثه رحمة للعباد والبلاد والبهائم والانعام نعمة انعم بها علينا صلى الله عليه وآله ، فافضل الناس منزلة واعظمهم شرفا واقربهم من الله ومن رسوله اطوعهم لامر الله واتبعهم لسيرة رسول الله صلع واقومهم لكتاب الله تعالى عز وجل فليس لاحد فضل الا بطاعة الله واتباع كتابه واحياء سنة نبيه ، هذا كتاب الله عز وجل بين اظهركم وعهد نبي الله الينا وسيرته فينا لا يجهلها الا جاهل مخالف معاند، يقول الله في كتابه يا ايها ا لناس انا خلقناكم من ذكر وانثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ان اكرمكم عند الله اتقاكم ، فمن اتقى الله فهو الشريف المكرم ،وقد قال الله لنبيه صلع وسلم في كتابه : قل ان كنتم تحبون فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم والله غفور رحيم ، فمن اتبع رسول الله صلع واقتفى اثره احبه الله وغفر له وقربه ومن تولى عنه غضب عليه ولعنه ، ثم صاح باعلى صوته يا معشر المهاجرين والانصار يا معشر المسلمين اتمنون على الله وعلى رسوله باسلامكم، لله ولرسوله المن عليكم ان كنتم صادقين ، ثم نادى الا انه من استقبل قبلتنا واكل ذبيحتنا وشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له وشهد ان محمدا عبده ورسوله اجرينا احكام القرآن عليه واقسام الاسلام ، ليس لاحد على احد فضل الا بتقوى الله وطاعته ، وجعلنا الله واياكم من المتقين الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون ، ثم قال انا ابو الحسن اليوم وكان يقولها اذا غضب ، ثم قال : ايها الناس ان هذه الدنيا التي اصبحتم تمنونها وترغبون فيها وخلقتم اصبحت ترغبكم وترضيكم ليست بداركم ولا منزلكم الذي خلقتم له ولا الذي دعيتم اليه ، الا وانها ليست بباقية ولا تبقون انتم لها فلا تعدنكم فقد حذرتموها و جربتموها ، فاصبحتم لا يحمدون عواقبها فسارعوا رحمكم الله الى منازلكم التي امرتم ان تعمروها، فانها العامرة التي لا تخرب والباقية التي لا تفنى وهي التي رغبكم الله فيها ودعاكم اليها فانظروا يا معشر المسلمين هل نلتم من الله الفضيلة بحسب او نسب او نلتموها بالعمل الصالح والطاعة ، فاستتموا نعم الله عليكم بالصبر على الطاعة والقول بحكم الله والمسارعة الى رضوان الله والمحافظة على ما استحفظكم من كتابه، الا وانكم لا يضره تواضع شيء من دنياكم بعد حفظكم وصية الله ، الا وانه لا ينفعكم شيء حافظتم عليه من دنياكم بعد تضييعكم ما امرتم به من التقوى ، فعليكم عباد الله بالتسليم لامر الله والرضى بقضائه والصبر على بلائه ، فاما هذا الفيء فليس فيه لاحد على احد فضل، لقد فرغ الله من قسمته فهو مال الله وانتم عباد الله المسلمون ، وهذا كتاب الله به اقررنا وعليه شهدنا وله اسلمنا وعهد نبينا بين اظهرنا فسلموا رحمكم الله ، فمن لم ترض هذا فليتولى كيف شاء ، فان القائل بطاعة الله والحاكم بحكم الله لا وحشة عليه ، واولئك هم المفلحون ، فنسأل الله ان يجعلنا واياكم من المتقين من اهل الطاعة ، وان يجعل رغبتنا ورغبتكم فيما عنده ، اقول ما سمعتم واستغفر الله لي ولكم .

ونزل علي عليه السلام عن المنبر واتى ناحية المسجد فصلى ركعتين والناس قد ملئوا المسجد ينظرون اليه ودعى علي عليه السلام عمار ابن ياسر وعبد الرحمن بن حنبل فبعثهما الى طلحة والزبير وهما في ناحية المسجد فقاما حتى اتياه فجلسا اليه فقال لهما انشدكم ا لله هل جئتماني تبايعاني طائعين ، قالا اللهم نعم ، قال غير مكرهين ولا مجبرين واسلمتما بيعتكما الي واعطيتماني عهدكما ، قال اللهم نعم ، فقال علي عليه السلام الحمد لله رب العالمين على ذلك ، وقال لهما فما الذي غيركما ، قال اعطيناك بيعتنا على ان لا تقطع الامور دوننا او نستشيرنا ، ولا تستبد بها عنا ، ولنا من الفضل ما قد علمت على غيرنا، وانت تمضي الامور وتقسم الاموال بغير مشورتنا ولا علمنا ، قال علي عليه السلام لقد نقمتما يسيرا وان جئتما كبيرا ، فاستغفرا الله يغفر لكما ، ثم قال الا تخبراني اي شيء لكما فيه حق دفعتكما عنه او في اي قسم استأثرنا به عليكم ، قال معاذ الله ، قال ففي حد رفعه الى المسلمين فضعفت عنه وجهلته او حكم اخطأت فيه ، قالا اللهم لا ، قال فما الذي نقمتما علي ، قال نقمنا عليك انك خالفت عمر ابن الخطاب في قسمة الفيء وجعلت حقنا فيه كحق غيرنا وسويت بيننا فيه وبين من افاء الله علينا بسيوفنا ورماحنا واوجفنا بخيلنا وظهرت عليه دعوتنا ولم يأتوا الاسلام الا كرها ، قال علي عليه السلام الله اكبر ، فايهما اولى ان تتبع سنة رسول الله صلع ام سنة عمر، اشهد الله واشهدكما واشهد من حضر مجلسي الستم تعلمون الستم اتيتموني فعلتم نبايعك ، فقلت لا حاجة لي فيها، فقلتم لا بد ان نبايعك، فخفت ان تختلف الامة ان خالفتكم فبايعتم على ان نجعل كتاب الله اماما ونحيي سنة رسول الله صلع وهذا كتاب الله بين اظهركم وسنة رسوله فلا تجهلوها ، وقد نظرت فيهما فلم اجد في قسمة الفيء لكم فضلا على غيركم من المسلمين ، ولو كان غير ذلك من امر ليس في الكتاب ولا في السنة لاستشرتكما فيه وسألتكما المعونة عليه ولم استغن عنكما ، وقد وجدت انا وانتما رسول الله صلع يقسم فينا ، وقد عرفتم قسمته ، وفي رسول الله صلع اسوة حسنة ، فعليكما رحمكما الله بكتاب الله فانه لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد ، قد فرغ الله من قسمه وامضى فيه حكمه ،

واما قولكم اني جعلت من افاء الله عليكم بسيوفكم في الفيء معكم سواء فقد لعمري سبق الى الاسلام قوم على عهد رسول الله صلع فلم يزدهم بذلك في الفيء والاحكام بل قد علمنا لو ان السابق والمسبوق الى الاسلام اتيا امرا فيه حد من حدود الله لكان الحد عليهما سواء لا يفضل فيه اولهما الآخر ، والسابق له الفضل عند الله والثواب منه تعالى والاجر الكبير ، وليست لكما ولا لغيركما في هذا عندي عتبى ، اخذ الله قلوبنا وقلوبكم الى الحق والهمنا واياكم الصبر، والسلام .

فتكلم عبد الله بن الزبير واساء الكلام فامر به عليه صلوات الله عليه فاوجبت وقبته واخرج من المسجد فجعل يقول اردد عليهما بيعتهما، فقال علي عليه السلام اني لست مخرجكما مما دخلتما فيه ولا مدخلكما في امر خرجتما منه ، فقال ليس لك عندنا الا الوفاء ببيعتنا ، قال علي عليه السلام رحم رجلا رأى حقا فاعان عليه او رأى جورا فرده ،وكان عونا مع الحق ، وخرج علي عليه السلام ورجع عبد الله بن الزبير الى المسجد فسمع عمار صياحته من ناحية المسجد فقام اليه حتى اخرجه وشتمه، وقال له والله لتوردن اباك ثم لا تصدره.

وفي الرواية عن محمد بن سلام باسناده عن ابي رافع ان عليا صلى الله عليه لما صار الامر اليه بدأ بيت المال فحصل جميع ما فيه وامر بان يقسم ذلك على المسلمين بالسواء كما كان رسول الله صلع يقسم ما اجتمع عنده من فيئهم وما يجب قسمته بينهم ، وقد كان الذين ولوا الامة من بعده عودوهم الاثرة والتفضيل لبعضهم على بعض فامر علي عليه السلام من امر لقسمة ذلك ان يساوي بينهم فيه وان يعزلوا ذلك سهما كسهم احدهم ففعلوا وخرج الى ضيعته فاتاه طلحة والزبير وهو قائم في الشمس على اجير له يعمل في ضيعته فسلّما عليه وقالا ترى ان تنتقل معنا الى الظل ، ففعل فقالا انا اتينا الذين امرتهم بقسمة هذا المال بين الناس ومع كل واحد منا ابنه فاعطونا مثل ما اعطوا ابنائنا وسائر الناس وقد كان من مضى من قبلك يفضلنا لسبقنا وقرابتنا وجهادنا، فان رأيت ان تأمر لنا بما كان غيرك امر لنا به فافعل، فقال لهما علي عليه السلام انتما اسبق الى الاسلام ام انا ، قالا بل انت ، قال فانتما اقرب الى الرسول صلع ام انا قالا بل انت، قال فجهادكما اكثر ام جهادي قالا بل جهادك ، قال فوالله ما امرت ان يعزل من هذا المال لي الا كنصيب هذا الاجير واومى الى الاجير الذي يعمل بين يديه على ما عهدت وعهدتما رسول الله صلع يقسّم ذلك ، وسنته احق ان يتبع مما خالفهما بعده فصمتا ساعة ، ثم قال لم نأت لهذا ولكنه شيء ذكرناه ولكنا اردنا العمرة فاتينا اليك لتأذن لنا ان نخرج اليها، فنظر علي عليه السلام اليهما ثم قال لعمركما ما العمرة تريدان فحلفا بالله انهما لا يريدان الا العمرة ، فقال لهما امضيا لشانكما اما انكما تريدان ان تشق عصى المسلمين وتنكثا البيعة التي لي في اعناقكما ، قالا والله ما نريد ذلك، قال علي صلوات الله عليه فاعدوا البيعة فبايعاه ثم خرجا من عنده فدعاهما فقال لهما مثل قوله الاول حتى اذا بايعاه ثلاث مرات قال لهما قد بضتما وسوف تفرخان ، فلما مضيا من عند علي صلوات الله عليه قال والله لا اراهما بعد الا في فئة يقاتلاني ، قال له بعض اصحابه افلا تردهما يا امير المؤمنين ، قال دعوهما ليقضي الله امرا كان مفعولا .

وفيما حدث به عن محمد بن اسحاق عن اشياخه ان طلحة والزبير خرجا من المدينة مسرعين لا يلقيان احدا الا قالا له ما بايعنا عليا الا مكرهين فلا بيعة له علينا ، فاتى الناس الى امير المؤمنين علي عليه السلام فاخبروه بذلك وبما سمعوه منهما ، فقال ابعدهما الله ليغربا عني الا بعد دار واحرق نارا ما والله ني اظنهما سيقتلان نفسهما ويأتيان من وردا عليه ما شام ما اتى احدا احدا ، وقال امير المؤمنين صلوات الله عليه فيما روي عنه انهما لا يريدان العمرة لقد اتياني بوجهين فاجرين وخرجا بوجهين غادرين ، لا القاهما بعد الا في كتيبة خشنا يقتلان فيهما

--- من جهاد اهل البغي

روي عن الدعشي باسناده عن ابي سعيد الخدري قال كنا جلوسا ننتظر رسول الله صلع فخرج الينا من بعض بيوت نسائه فقمنا معه نمشي فانقطع ششع نعله فاخذها علي عليه السلام وتخلف ليصلحها وقام رسول الله صلع ينتظر ونحن قيام معه ، وفي القوم يومئذ ابو بكر وعمر فقال رسول الله صلع منكم من يقاتل على تأويل القرآن فاستشرف لها ابو بكر وعمر ، فقال لا ولكنه خاصف النعل .

قال ابو سعيد الخدري فاتيته بها لابشره فلم يرفع لها رأسه فعلمت انه قد سمعه من رسول الله صلع قبل ذلك.

وفي حديث آخر ان ابا بكر قال انا هو يا رسول الله صلع قال لا ، قال عمر فانا هو قال لا ولكنه خاصف النعل ، يعني عليا عليه السلام .

وبآخر عن ابن عباس ان النبي صلع قال لنسائه ليت شعري ايكن صاحبة الجمل الاذنب ينبحها كلا الحوأب فيقتل كثير عن يمينها ويسارها .

وفي حديث آخر فيقتل قتلى كثير عن يمينها ويسارها في النار ، ثم ينقلب بعد ما كادت ، ثم نظر الىعائشة فقال لها انظري يا حميراء لا تكونين انت هي ، ثم التفت الى علي عليه السلام فقال يا ابا الحسن ان وليت من امرها شيئا فارفق بها .

وفيما روي عن اسماعيل عن رجا عن ابيه ان رجلا قام الى علي عليه السلام وهو في الرحبة فقال يا امير المؤمنين اكان في النعل حديث قبل ذلك ، قال اللهم نعم ، انه مما اسرّ الي نبيك ان قال لي وانا اخصف نعله انك تقاتل على تأويل القرآن كما قاتلت على تنزيله .

وفيما رواه الرواة عن خالد الاعصري انه قال سمعت عليا ص ع يقول امرني رسول الله صلع ان اقاتل الناكثين والقاسطين والمارقين ، فاما الناكثون فاصحاب الجمل، واما القاسطون فاهل الشام ، واما المارقون فالخوارج .

وبآخر من ابي مخنف قال دخلت على ابي ايوب الانصاري وهو يعلف خيلا له فقلت يا ابا ايوب قاتلت المشركين بسيفك مع رسول الله صلع فلما ان اظهر الله الاسلام جئت الى المسلمين تقاتلهم به ، فقال نعم امرنا رسول الله صلع بقتال الناكثين والقاسطين والمارقين ، فقد قاتلت الناكثين وهم اهل الجمل والقاسطين وهم اهل الشام وانا مقيم حتى اقاتل المارقين بالنهر والطرقات ، ووالله ما ادري اين هي .

قال اهل الحديث وكانت عائشة ممن الب على عثمان وحضهم على قتله وكانت تقول اقتلوا نعثلا قتل الله نعثلا .

عن ابي جعفر محمد ابن علي ابن الحسين صلوات الله عليه عن عبد الله ابن عباس انها قالت له عائشة وهو عاد الى مكة اناشدك الله ان تخذل الناس عن قتل هذا الطاغية ابن عفان ، فلما قضت نسكها وانقضى امر الموسم بلغها ان عثمان قتله الناس وان طلحة بويع ، قالت ايه ذا الاصبع ، فلما بلغها بعد ذلك ان عليا عليه السلام بويع قالت وددت ان هذه يعني السماء وقعت على هذه، واشارت الى الارض .

ولما خرج طلحة والزبير من المدينة الى مكة وقد اسرا ان ينكثا بيعة امير المؤمنين علي ابن ابي طالب عليه السلام فقدما مكة وجدا بها عمال عثمان لع قد عزلهم علي ع م عن اعمالهم ولقيهما عبد الله ابن عامر بن كرير فقال لهما ان الناس قد اجتمعوا على علي فخذا الامر من وجهه ، فقالا له اشر علينا برأيك ، فقال ارى ان تظهر الطلب بدم عثمان وانه قتل مظلوما ، وانا اكفيكما امر البصرة فانهم اشد الناس حبا لعثمان وانا احسن الناس فيهم ، وتظهر القيام بدمه فاني اراهم لا يخالفوني ، ولي فيهم صنائع ، قالا له وتضمن لنا ذلك ، قال نعم ولكما عندي مائة الف سيف يطلبون بدم عثمان ، وقد كانوا عرضوا علي المقام معهم والطلب بدمه ولو شئت لم اخرج حتى اضرب الناس بعضهم ببعض بالبصرة، قالا اشفقت على مناكب بني تميم والازد .

قال الزبير ما صنعنا شيئا ان لم تخرج معنا عائشة فانها ان خرجت لم يخالفنا احد من اهل البصرة ، وقال لطلحة ادخل عليها فهي ابنة عمك فكلمها في ذلك ، فانها تجيبك كلامك ، فقال طلحة بل ابن اختها عبد الله ابن الزبير فانه آثر الناس عندها فليأتها ويخبرها ان عثمان قتل مظلوما تائبا وانه استخلفه على الناس بعده وانه غير تارك هذا الامر لعلي وغيره حتى يطلبه ، فاجتمع الناس لايهما على ذلك .

ودخل عبد الله ابن الزبير على عائشة فقال يا امتاه ان عثمان قتل مظلوما تائبا ، وانه استخلفني من بعده وانهم ما قتلوه حتى تاب واني والله غير تارك هذا الامر حتى اطلبه، وان علي ابن ابي طالب من قد عرفت شدته وغلظته على الناس وعليك خاصة في عهد رسول الله صلع ومن بعده فانطلقي معنا حتى تقدم البصرة فان اهلها لنا متابعون ولو قد رآك الناس لم يخالفنا احد منهم ولعل الله ان يصلح هذا الامر على يديك ، ودخل طلحة والزبير عليها فامرها بالخروج والطب بدم عثمان ، فقالت عائشة اتأمرني بالخروج من بيتي والقتال وانما انا امرأة ، قال بل تخرجين مصلحة وتنهين الناس عن بيعة علي ، وتخبريهم ان عثمان قتل مظلوما وتدعين الناس الى الطلب بدمه ، وقالت عائشة لطلحة يا ابا محمد قتلت عثمان وبايعت لعلي ، فقال طلحة يا امتاه انما انا كما قال الشاعر :

ندمت ندامة الكسعي لما \* رأيت عيناه ما صنعت يداه

عن الشعبي عن عبد الرحمن بن مسعود العبدي قال خرجت عائشة حتى دخلت على ام سلمة وهي بمكة تسألها ان تخرج معها الى البصرة للطلب بدم عثمان ، فقالت لها يا ابنة ابي امية كنت اول ظعنية هاجرت وكنت كبيرة امهات المؤمنين كان رسول الله صلع يقسم لنا من بليتك وكان جبرئيل اكثر شيء تعمد الى بيتك ، فقالت ام سلمة يا ابنة ابي بكر لامر ما تقولين هذا القول ، قالت لها عائشة ان ابني وابن اختي اخبراني ان القوم استتابوا الرجل حتى اذا تاب قتلوه ، واخبرني ان ابن عامر اخبرهم ان بالبصرة مائة الف سيف يغضبون لعثمان ويرون القيام بطلب دمه عليهم فرضا واجبا قد خشيت ان يكون بين الناس حرب ودمائهم تهراق ، فهل لك ان سير انا وانت لعل الله يصلح الامر على ايدينا ، فقالت لها ام سلمة يا ابنة ابي بكر ابدم عثمان تطلبين فوالله لقد كنت من اشد الناس عليه ، وما كنت تسمينه الا بالنبز نعثل ، ام علي ابن ابي طالب تنقضين وقد بايعه المهاجرون والانصار ، اذكرك الله وخمسة سمعتهن من رسول الله صلع انا وانت ، قالت ما هن، قالت يوم اقبل رسول الله صلع ونحن معه حتى اذا هبط من قديد مال ذات الشمال او ذات اليمين فاقبل هو وعلي ابن ابي طالب يتناجيان فاقبلت على جملك لتهجر عليهما فمنعتك وقلت لك رسول الله صلع معه ابن عمه ولعل لهما حاجة فعصيتني وهجمت عليهما فلم تلبثي ان رجعت تبكين فقلت الم انهك ، فقلت انه والله ما جرأني على ذلك الا كان يومي ، فقلت لك فما ابكاك ، فقلت هجمت عليهما فقلت يا علي انما لي من رسول الله صلع من تسعة ايام يوم فدعني ويومي ، فاقبل رسول الله صلع علي مغضبا قد احمر وجهه فقال والله لا يبغضه احد من اهل بيتي ولا من امتي خرج من الايمان لانه مع الحق والحق معه ، اتذكرين هذا ، قالت نعم.

قالت وكنت انا وانت مع رسول الله صلع وانت تفلين رأسه وانا احيس له حيسا وكان يعجبه فرفع رأسه الي فقال يا ابن ابي امية اعيذك بالله ان تكوني منبحة كلاب الحوأب وانت يومئذ ناكبة عن الصراط فرفعت يدي من الحيس وقلت اعوذ بالله ورسوله من ذلك ، فقال رسول الله صلع ما لاحداكن بد من ان يفعل ذلك ، اتذكرين، قالت نعم

قالت ام سلمة ويوم كنا ازواج رسول الله صلع في بيت حفصة ابنة عمر فتبدلت كل واحد مثا ثياب صاحبتها فاقبل رسول الله فجلس الى جنبك وضرب على ظهرك وقال يا حميرا اترين ان لم اعرفك اما مع ذلك ان لامتي منك يوما مرا ، اتذكرين ذلك ، قالت نعم .

ويوم كنت انا وانت مع رسول الله صلع في بعض اسفاره وكان علي يتفقد ثياب رسول الله صلع فاذا رأى ثوبه قد توسخ غسله ، واذا رأى نعله قد انحرقت خصفها فاقبل علي عليه السلام على نعل رسول الله صلع يخصفها اذ اقبل ابوك فاستأذن فقمت الى الخبأ ثم استأذن عمر فقمت الى الخبأ معي ، فقالا يا رسول الله ما ندري قدر ما تصحبنا وانك ميت افلا تعلمنا خليفتك فينا فيكون لنا مفزعا فقال رسول الله صلع اما اني ارى مكانه ، ولو فعلت لتفرقتم عنه كما تفرق بنو اسرائيل عن هارون ابن عمران، قالت فلما خرجا خرجت انا وانت فقلت وكنت جرية عليه يا رسول الله صلع من كنت مستخلفا عليهم ، فقال رسول الله صلع خاصف النعل، فقالت فنظرت الى علي فقلت يا رسول الله ما ارى الا عليا ، فقال رسول الله صلع هو ذاك . اتذكرين هذا ، قالت نعم .

ويوم جمع رسول الله صلع نساءه عند موته فقال يا نسائي اتقين الله تعالى وقرن في بيوتكن ولا يستفزكن احد.[[8]](#footnote-8)

فقال عبد الله ابن الزبير وكان وراء الباب جالسا والله يا ابنة ابي امية لقد عرفناك وعداوتك لآل الزبير للاحنة التي كانت في الجاهلية وانت تطلبين بها اليوم ، فقالت ام سلمة والله اني اقول هذا وانا اعلم ان امر الله ماض فيها وفي غيرها لتوردنها يا ابن الزبير والله لا تصدرنها ، فقالت عائشة يا ابن اختي ان خروجي علي شديد فانشدك الله ان تعرضني لقتال علي ابن ابي طالب ، فقال لها عبد الله وهل لك من بيت ان اجتمعت الامة على علي ، فقالت ولم ،قال لانه يزعم انه اولى برسول الله صلع من ابيك وعمر وعثمان وان البيوت التي ترك رسول الله صلع له دونك ، وقد سمعتك تقولين انه قال في امرة ابيك لئن استمكنت من مبائعه اهل اليمن لان تلن امرا كله الذبان عن مكانه، فكيف وقد وجد مائة الف سيف، وان اجتمعت الامة ليكشفن قناعه ، فقالت عائشة فاني سائرة ازمعت المسير ، ولما ايقن طلحة والزبير ان عائشة قد اجابتها الى الخروج معهما وازمعت على ذلك قالا ان من تمام ما نحن فيه ما تستميل الناس به ان تشخص عبد الله ابن عمر ابن الخطاب معنا وكان وقد اتى مكة فاتياه فقالا يا ابا عبد الرحمن ان ام المؤمنين قد خفّت معنا الى الخروج وجاء الصلح وان عليا ليس ارضى في الناس ولا احق بالالفة منك ولك بام المؤمنين اسوة ،فان تابعنا الناس فليس احد اولى بها منك ، فقال لهما عمر ايها الشيخان انكما تريدان ان تخدعاني حتى تخرجاني من بيتي كما تخرج الضبع من وجارها ثم تلقياني بين فكي ابن ابي طالب، ثم نظر الى من عنده فقال انما هؤلاء لا يطلبون الوصيف والوصيفة ويريدون الدينار والدراهم ،ولست من اولئك، قد تركت هذا الامر عيانا في عافية فانصرفا عنه ولقيه الزبير بعد ذلك فقال يا ابن عمر انظر فيما ندعوك اليه فان كان لله رضى فاجب اليه ، وان كان لنا فدعنا والناس انك رأيت لزوم البيت وانكرت السيف ، فقال لست اعلم بالسيف من علي ابن ابي طالب، وبلغ ذلك ابن كهاش الاوسي فقال :

الا قل لعبد الله ليتك باليمن \* ببرهون او صنعا او غوذري عدن

احببت سعس الزبير وصحبه \* واخطأت في ترك الوصي ابا الحسن

خطئت ومن اعلى السماء مكانها \* وارسى بثبر العور والهضب من حصن

هلم فقل لي والحوادث جمة \* الست بصيرا بالقبيح وبالحسن

ا اعلم فيكم من علي تريده \* اذا نص يوما بالكتاب وبالسنن

واحمل منه للثقيل تريده \* وابصر منه في الملمات بالفتن

وامحض منه في لوي ابن غالب \* واجراء منه في الصواب على سنن

واملاء منه في العجاج بضربة \* يطير شظاياها من الناظر الوسن

تراه اذا ما جالت الخيل جولة \* ولم يبق الا كل من ضمه المجن

يلاعب بالسيف المعلل ظله \* وبالرمح احيانا وربتما قرن

وما في علي سقطة غير انه \* عفا عن رجال منهم اظهروا الاحن

احل له الله العظيم اذا هم \* فلم يؤذهم ان الوصي لذو منن

وكتب ام سلمة رضي الله عنها الى امير المؤمنين صلوات الله عليه :

بسم الله الرحمن الرحيم لعبد الله امير المؤمنين من ام سلمة ابنة ابي امية ام المؤمنين اما بعد فان طلحة والزبير وعائشة ابنة ابي بكر وابنائهم ابناء السوء وشيعتهم شيعة الضلال يريدون الخروج عليك مع ابن الجزار عبد الله ابن عامر الى البصرة يزعمون ان عثمان قتل مظلوما وانهم يطلبون بدمه ، وهم الذين قتلوه والله كافيهم ان شاء الله ، ولولا ما نهى الله عنه من تشخص النساء لشخصت معك ولكني سابعث اليك باحب الناس الي ابني عمر ابن ابي سلمة والسلام عليك ، فبعثت ابنها عمر ابن ابي سلمة وكان لعمر فضل في عبادته وعقله فشهد مع علي عليه السلام الجمل، ثم ان عليا صلوات الله عليه استعمله على البحرين ثم لما عزله عنها استعمله على حلوان وماسندان والماهين، وفي ذلك يقول عمر بن ابي سلمة :

جرتك امير المؤمنين قرابة \* رفعت بها قدري جزاء موفرا

ورشحتني حتى اذا ما رأيتني \* لامرك اهلا قلت قولا موقرا

ولو كان حيا لم يزدني والدي \* فقد صرت في البحرين عمرا مؤمرا

وما انا الا كالحسين وتربه \* متى يوردا اورد وصدري اذا اصدرا

غذاني رسول الله طفلا بلطفه \* ومسحة كف رحمة وتعبرا

الى ان حوت كفي الازار ومن يكن \* ربيب رسول الله لا يأت منكرا

وقالت ام سلمة اذا ارسلت ابنها الىعلي عليه السلام له يا بني اذا لقيت القوم فاطعن واضرب واعلم اني سمعت رسول الله صلع يقول في علي ع م قولا لا يحل لك ان تخلف عنه وانت سمعي وبصري، وكان الفتى ناسكا وكان ابوه سيد بني مخزوم، وقال رجل من ولد عمرو بن الاكاف يختلف مع قشم ابن العباس يمدح ام سلمة رضي الله عنها .

ام يا ام تلقيت الظفر \* ثم لا زلت يسقين المطر

انت للناس جميعا رحمة \* ووقار ونحاه ننتظر

عظم الحق عليها انها \* مدت الستر وقرت في الحجر

قم قالت اذا رأت مراجثها \* ما رأت والخير قدما يبتدر

لابنها ائت عليا انه افضل \* الناس جميعا يا عمر

فاطعن الخيل اذ لاقيتها في \* كلاها ومن القوم الثغر

واضرب الهام وخذها انها \* عن رسول الله حقا في الاثر

اي ناس في قريش مثله \* وله في الدين فضل مشتهر

وهو ذو فقه قليل مثله \* واضح السنة جهرا كالقمر

ثم في الحرب فلا عدل به \* ثم في الرأي هو الافعى الذكر

اصبح اليوم اميرا سيدا \* يخطب الناس اميرا في هجر

وبعث عائشة الى حفصة ابنة عمر تسألها الخروج معها فاجابتها الى ذلك وبلغ الحديث عبد الله بن عمر فعزم عليها ان تقيم فاقامت ، وحدث عن الحسن بن الحارث عن علي بن ملاك قال : لما بلغ مالك الحارث الاشتر وهو بالمدينة امر عائشة وطلحة والزبير كتب اليها ، فلما جاءها كتابه دفعته الى ابي عبد الله الجدلي وقالت اقرأه ، فاذا فيه :

بسم الله الرحمن الرحيم ، من مالك بن الحارث النخعي الى عائشة بنت ابي بكر سلام عليك اما بعد فانك ظعينة رسول الله صلع وقد امرك الله ان تقري في بيتك فان تفعلي فهو خير لك وذلك ما امرت به ، وان ابيت الا ان تأخذي منسأتك وتلقى حبالك وتبدي للناس شعيراتك قاتلناك حتى نردك الى بيتك والموضع الذي رضيه لك وخلفك فيه رسول الله صلع .

فاجابته عائشة ابنة ابي بكر :

بسم الله الرحمن الرحيم من عائشة بنت ابي بكر زوجة النبي صلع الى مالك بن الحارث ، اما بعد فانك ول العرب انشأ الفتنة وطعن الى الائمة ودعى الى الفرقة وسعى في قتل الخليفة المظلوم وقد علمت ان لن تعجز الله حتى يصيبك منه بنقمة ينتصف بها منك للخليفة المظلوم ومن شيعتك ، وقد جاء ني كتابك وفهمته وسيكفيك الله ومن اغتر معك في عيك وضلالك .

وكتب عائشة الى زيد بن صوحان العبدي :

بسم الله الرحمن الرحيم من عائشة بنت ابي بكر زوجة النبي صلع الىابنها الخاص زيد ابن صوحان، اما بعد فاقم في بيتك وخذل الناس عن علي ابن ابي طالب وليبلغني ما احب عنك فانك من اوثق اهلي عندي والسلام.

فاجابها زيد بن صوحان عائشة بنت ابي بكر ، اما بعد ، فان الله امرك بامر وامرنا بامر، امرك ان تقري في بيتك وامرنا بالجهاد واتاني كتابك تأمريني بخلاف ما امر الله وان اضيع الذي امرني الله به ، وتضيعي ما امرك الله به فامرك الله به ، فامرك غير مطاع وكتابك غير مجاب ، والسلام.

عن محمد بن اسحاق عن عبد الرحمن بن يسار قال : خرج طلحة والزبير في طلب ابل يبتاعونها لمسيرهم حين اجابتهم عائشة الى الخروج فوجدوا ابلا بالابطح فابتاعوها وحبس صاحبها اعظمها واحسنها فاداروه على البيع له فابى عليهم فرفعوا له في الثمن فباعه منها ، وقال صاحب الجمل اني كنت احمل على هذا الجمل الحملين والثلاثة فكأنه يكون على طرف اذنه، وما هو الا عسكر من العساكر، فانطلقا به الى عائشة وقالا هذا لهودجك فاعجبها واخبراها بقول صاحبه ، فلما ذكرا لها ان اسمه كان عند صاحبه عسكر قالت انا لله وانا اليه راجعون ، لا حاجة لي بهذا الجمل، قالا ولم ما نرى انا نصيب مثله، قالت ان جبرئيل نزل على رسول الله صلع في يوم من ايامي التي كانت لي من رسول الله صلع فلما عرج الى السماء رأيت رسول الله صلع كهيئة المتفكر فقلت ما اعرف لبك يا رسول الله فلم يكلمني فاعرت عليه فقال صلع اخبرني جبرئيل آنفا ان امرأة من نسائي تركب جملا احمرا يقال له عسكر تأتي العراق تنبحها كلاب الحوأب، اتقي الله ان تكوني هي يا حميراء ، فلا ركبت هذا الجمل ابدا ، فاخرجاه وطلبا غيره فلم يرضيا لعائشة بجمل بعده فقال طلحة للزبير تخضب هذا البعير الذي لا تجد مثله ويجعل عليه قتبا وحقيبة وتجلله ثم تأتي به عائشة ونعلمها انه جمل آخر ففعلا ذلك ثم اتياها به فقبلته وقدمت لعبد الله بن عامر ابل فاعانهم منها بنحو من مائة بعير ، وجهزهم يعلا بن منبه باربعة آلاف درهم واقرض طلحة اربعين الف دينار واقرض الزبير بن العوام ستين الف دينار وابتاع ظهرا بالابطح فاخذ منها ما شاء ممن شخض معهم ، وهذا يعلا بن منبه كان عامل عثمان على اليمن فعزله اميرالمؤمنين عليه السلام، وولى اليمن عبد الله بن العباس كما ذكرنا.

ولما ارادت عائشة الخروج الى البصرة انتهى ام سلمة رضي الله عنها فقالت لها يا عائشة انك سدة بين رسول الله صلع وبين امته وحجابك مضروب على حرمته قد جمع القرآن ذيلك فلا تبدينه وسكن عقيرتك فلا تصحر بها ، وقد علم رسول الله صلع مكانك فلو اراد ان يعهد اليك بعهد وقد امرك الله عز وجل وامرنا ان تقر في بيوتنا ، وان عمود الدين لا يقام بالنساء ولا يرأب بهن صدعه ، وانما دأب النساء غض الاطراف وضم الذيول ، ما كنت قائلة لو ان رسول الله صلع عارضك باطراف الفلوات ناصة قعودك منهل الى منهل ان بعين الله عز وجل مهواك وعلى رسوله تردين، والله لو قيل لي ادخلي الفردوس على ان اسير مسيرك هذا لاستحييت ان القى محمدا صلع هاتكة حجابا قد ضربه علي فلا تهتكين حجابا قد ضربه عليك رسول الله صلع فانك اطوع ما تكونين لله عز وجل ما لزمته وانصر ما يكون للدين اذا قعدت عنه.

فقالت عائشة ما اقبلني لوعظك واعرفني بنصحك، وليس الامر على ما تظنين، وانما رأيت فئتين من المؤمنين متشاجرتين ، فان اقعد عن اصلاح ذات بينهما ففي غير حرج وان امضي فالى ما لا غنا بي عن الازدياد منه.

وخرجت عائشة من مكة وطلحة والزبير ومعهم عمال عثمان وابناه عمر وابان وابناء الطلقاء وقد حملوا عائشة على الجمل المسمى بعسكر فقال لهم من حضرهم من المهاجرين والانصار ان كان بيعتكم هدى فانتم ضلال ، وان كانت ضلالا فلسنا مجيبكم، فخف معها ابناء الطلقاء وعمال عثمان واهل الطمع وطالبو الحطام، وساروا في سنة مائة راكب حتى نزلوا الظهران.

فقال ابن كهاش الانصاري حين خرجت عائشة من مكة ومن معها :

خرجت ولم تخرجك والله غالب \* على امره الا الامور مذبذبة

اتاك بها من كنت تلحين امره \* وكنت به فيما مضى غير معجبة

وكنت باخبار الامور طبيبة \* لاحلو بالاشطار الدهور مجرّبة

وابرزت وجها حرم الله كشفه \* عليك فخافي ان تكون معذبة

فسبحان من ارسى ثبيرا مكانه \* برزت وقدما كنت فينا محجبة

لنبل رماة ينصبون قسيهم \* اذا ابعدوها والرماح مقلبة

وبيض بايدي المصلتين كأنها \* مخاريق ولدان صفاح مشطبة

اذا ما التقى الجمعان نادوك آمنا \* ولست على قتلا بنيك مسلبة

وقد يخرج الضبع الخموع خديعة \* من الحجر الضبع الخموع مكذبة

تكنفها الغادون من كل جانب \* كذاك المنايا للشقاء محبّبة

ولما بلغها شعره هذا بكت، وقالت فضحني ابن كهاس وهمت بالرجوع فلم يزل بها ابن الزبير وحمد ابن طلحة حتى مضت ، ولما نزلوا ذات عرق فشاوروا في امرهم فقالوا الزبير الشام بها معاوية فتى قريش سخاء ونوالا وهو ابن عم عثمان وبها الرجال والاموال ومتى يجمع بها نزلنا عليه، وكان كتب اليه معاوية بما قدمنا ذكره وقال ابن عامر البصرة اطوع الناس لي واشدهم حبا لعثمان ولي فيها صنائع ولكم عندي مائة الف سيف وما احتجتم من المال ، وان غلبتم فلكم الشام ، وان غلبتم كان معاوية لكم فئة ، وهذه كتب اهل البصرة الي.

---يعلي بن منبه وكان داهية ، ايها السحار قدّرا قبل ان تدخلا فان معاوية قد سبقكم الى الشام في الجماعة وانتم قادمون عليه في الفرقة غدا وهو ابن عم الرجل وانتم ان دفعكم عن الشام وقال اجعلوها شورى ما انتم صانعون ، اتقاتلونه فان قاتلتموه فللتم حدكم ، وان جعلتموها شورى لم تكن لكم ولا له، واقبح من ذلك ان تأتوا رجلا في يده امر قد سبقكم اليه فتخرجوه منه قالوا فاين نقصد، قال البصرة .

---سعد ابن العاص لطلحة والزبير ارأيتما ان ظهرتما على علي لمن تجعلان الامر بعده قالا لاحدنا اينا اختاره الناس ، قال سعيد لا بل اجعلوها لبعض ولد عثمان ابن عفان فانهم رجال والا فاجعلوها لاهل بيته ان كنتم يطلبون بدمه ، قالا لا نفعل ، قال سعيد لا اراني وانا اعمل الا في اخراج هذا الامر من بني عبد مناف ، ما هذا لي برأي ، ثم قام سعيد ابن العاص خطيبا فحمد الله واثنى عليه وصلى على النبي وذكرعثمان وفضله وسابقته ووصفه بالعدل وانه قتل مظلوما شهيدا ، ثم قال ايها الناس قد زعمتم انكم انما تخرجون للطلب بدم عثمان، فان كنتم ذلك تريدون فان قتلةعثمان على صدور هذه المطايا واعجازها فميلوا عليهم باسيافكم والا فانصرفوا الى منازلكم ولا تقتلوا في رضى المخلوقين انفسكم ولن يغني الناس عنكم والله شيئا يوم القيامة . فقال مروان بل نضرب بعضهم ببعض فمن قتل كان الظفر فيه ويبقى الباقي وهو واهن ضعيف ورجع سعيد ابن العاص حتى دخل مكة ولحق باليمن.

ايذبحنا الزبير بشفرتيه \* وينسى ما مضى منه وفاتا

وطلحة قد مضت منه خطوب \* وظلا في ضلالهما وباتا

ولاوالله لو ابصرت رشدا \* اسر به لقلت الي هاتا

ولواني اصيب به رجال حرب \* باوطاس اثور بهم لماتا

ولا مضيا وفي الروح حي \* ولا خفيت بحيهما خفاتا

ولكني اؤمل ان يذوقا \* وبال الحرب ان رقدا سباتا

وقد سارا بامهما جهارا \* على جمل الى ضر وفاتا

--- المغيرة بن شعبة ، فحمد الله واثنى عليه ثم قال ان الرأي ما رأى سعيد فمن كان ههنا من شقيق فاحب ان يتبعني فليفعل فاتبعه ناس كثير فاتى الطائف

اظن الناس ساحبة عليهم \* ذيول القوم عاد او ثمود

اتأتون الخطا متعمدين \* مكابرة كاحبار اليهود

الا لله دركما اجيبا \* برأي الحق والقول السديد

احقا ان امكما ينادي \* بها الحادي المشيح على قعود

ممناة تقاد بخدعتيها \* الى قرع الحديد على الحديد

ونسوتكم تصان مخبات \* يناديها المسلم من بعيد

فهذا قلة الانصاف فارعوا \* ذمار نبيكم قبل الورود

وانتم ثار عثمان وفيكم \* ذوو الآفات والرأي الهديد

نقمتم عاتبين عليه امرا \* ولم تك بالمدينة بالشهود

فلما جئتم جئتم شقاها \* على طول التهدد والوعيد

تخيرتم ابا حسن اماما \* ونعم المرأ للامر الرشيد

فلسنا زائدين عليه حرفا \* وهل بعد النصيحة من مزيد

وساروا بعائشة حتى نزلوا اوطاس فقال مروان ابن الحكم لاعلمن علم القوم فاذن ثم اتى الزبير وطلحة فقال ايكما يصلي بالناس فسكتا قليلا ثم اصطلحا على ان تصلي بهما عبد الله ابن الزبير ، قال مروان فعلمت ان القوم كانوا على عثمان وانهم لم يغضبوا له.

وكتب ام الفضل ابنة الحرث الهلالية امرأة العباس بن عبد المطلب الى علي ع م وهي يومئذ بمكة :

اما بعد يا امير المؤمنين فان طلحة والزبير فجرا وغدرا وخدعا عائشة وما اراد عمرة ولا حجا وقد سارا من مكة يريدان البصرة وقد استفزا معهما الناس فلم تخف معهما الا القليل من ابناء الطلقاء وقد ابصروا في ذلك ما كرها ومن خلف لك على ما تحب وقد وجهت اليك ظفرا وهو خبير بامور الناس فاسأله عما تحتاج لم اعطيت ظفرا ما به دينار وكسوة وقالت له اقتل كل يوم بعيرا الى ان تلقى عليا ع م فتدفع اله كتابي هذا حين تلقاه ان شاء الله فسار ظفر وكان من جهينة ذا عقل ولسان وجرأة حتى قدم على امير المؤمنين ع م والناس على ظهر مسير الى معاوية فتلقاه الناس فقالوا : ايها الراكب ما عندك ، فقال :

الا ايها الناس عندي الخبر \* بان الزبير اخاكم غدر

وطلحة ممن حذا نعله \* ويعلي بن منبه فيمن نفر

وامكم اليوم في عسكر \* يقود بها قائد من هجر

علام وفيم وقد بائعا \* عليا بحلان تلك المرر

امستكرهان فما استكرها \* ففي فم من قال ذاك الحجر

ويستأدنان الى عمرة \* وما استأذنا لقضاء العمر

ولكن لتربيص تلك الامور \* وسوف يذمان غب الصدر

وثار ابن عفان قاما له \* وكانا هنالك فيمن امر

وقد نصبا تلك صياده \* فاحطى المصيدة شيخا مضر

فلما قرأ علي عليه السلام الكتاب دعى محمد ابن ابي بكر فقال الم تر اختك خرجت من بيتها مع طلحة والزبير ، فقال محمد وما الذي يريدون ، قال يطلبون زعموا بدم عثمان ، فقال محمد :

وما للذي قد اوردا ثم اعذرا \* غداة المنايا من نجاة ولا عذر

اليس هم امراني واعاناني عليه فما بدا لهما ، ثم قال امير المؤمنين ع م ان الله معك ولن يخذلك والناس عليك ولن يضروك والله يكفيكهم ان شاء الله .

وروى الرواة عن علية بنت طارق قالت كنت جالسة عند امرأة تعالج الصبيان في صدى فاذا نحن براكب قد اشرف علينا فجاء حتى انتهى الى باب الدار ، ثم دخل فجاء المرأة التي كنا عندها فاكب عليها فاذا هو ابنها ، فقالت يا بني ما فعل الناس ، قال ما عندي من علم الا اني كنت بمكة فقدم طلحة والزبير على عائشة وتهجزه الى البصرة ، قال فقلت زوجة رسول الله صلع والله لاموتن مع هؤلاء او لاحيين معهم فخرجت اسير معهم حتى انتهيت الى ماء فقالت عائشة ما هذا الماء ، قيل لها هذا ماء الحفير قالت ردوني قد نهاني رسول الله صلع ان اكون في الركب الواردين حفيرا ، قال الفتى فقلت ثكلتني امي لا اراني الا في الركب الواردين حفيرا الذين نهى رسول الله صلع عائشة ان تكون فيهم ، قال فانخت بعيري ونزعت رحله واقبل الناس علي فقالوا ما لك يا عبد الله قلت اعتر علي بعيري وجلعت اشده مرة وانزعه اخرى ، فلما انقطع الناس عني توجهت خلاف وجهتهم، والله ما ادري اين اتوجه حتى رفعت لي نار ، والله ما ادري نار انس هي ام نار جن فقصدتها ، فاذا اعرابي معه اهله فسألني عن الخبر فاخبرته، فقال احسنت لا عليها ولا لها ، واستخبرته عن الطريق فدلني علها ثم كان وجهي اليك يا امه .

--- عن عمرو بن عمير عن صفوان بن قبيضة العربي صاحب عسكر الذي باعه من اصحاب عائشة قال قال عبد الله ابن الزبير بعد ما اشترى مني عسكرا يا اخا عربية هل لك هداية بالطريق ، قلت نعم انا من اهدى الناس بالطريق، قال فسرت معهم فكلما اتيت على ماء سألني ابن الزبير عنه حتى طرقنا ماء فنبحت به الكلاب فقالت لي عائشة يا اخا عرينة اي ما ء هذا ؟ قلت ماء الحوأب ، فصعقت صعقة افزعت اهل الماء واسترجعت ثم انها ضربت عضد بعيرها فاناخته وهي تقول ردوني ردوني فانا لله فانا لله، والله نبحة كلاب الحوأب ، قال العربي فاغلظوا لي في القول وقالوا ميشوم فعل الله بك وفعل ، وحلفوا لها بالله ما هو ماء الحوأب وان العربي لكاذب واقاموا لها خمسين شيخا من الاعراب فشهدوا بالله ما هو ماء الحوأب وان العربي كاذب ، لقد وزت ذلك الماء ليلا وجعلوا للشهود جعلا فكانت اول شهادة في الاسلام يجعل عرفت .

قال وخرج علي عليه السلام ليعارضهم في الطريق في خيل فبلغهم الخبر فقام الزبير بن العوام ساعة اناخوا فقال اتاكم والله علي ابن ابي طالب فرحلوا من ذلك المكان ومضوا مجدين لا يلوون على شيء ، قال العربي وانصرفت وتركت القوم حتى اذا كنت بجبال ذي قار اذا انا بعلي ابن ابي طالب صلوات الله عليه في زها ثلثمائة فارس مكتبا قوسا ، فلما رآني قال ايها الراكب فانتهيت اليه فقال ممن الرجل قلت من عرنبة ، قال من ولد من ، قلت من ولد فلان فانسبت له فلم يزل ينسبني حتى بلغ ابي ثم قال انت اذا فلان ، قلت نعم ، قال صاحب عسكر ، قلت نعم انا هو ، قال ويحك فما فعل عسكر ، قلت بعته من عبد الله ابن الزبير ، قال فاسترجع ثلاثا ، ثم قال اين القيت الظعينة، قلت له ا ني تركتهم بمكان كذا وكذا ، وكان من قولها وقولهم كذا وكذا ، فلما سمعت القوم يقولون ادركنا علي ابن ابي طالب عرفت الريبة فانصرفت ، قال ويحك قد ركبت عسكر، قلت نعم ، فانصرف راجعا ،

ولما بلغ امير المؤمنين ع م امر طلحة والزبير وخروجهم بعائشة الى البصرة امر المنادي بالمدينة فنادى الصلوة جامعة فاجتمع الناس الى مسجد النبي صلع وخرج امير المؤمنين صلوات الله عليه فخطب الناس فقال بعد حمد الله والثناء عليه، والصلوة على نبيه محمد خير الوسائل اليه :

اما بعد فانه لما قبض رسول الله صلع قلنا نحن اهله وعشيرته وورثته واوليائه واحق الناس به لا تنازع سلطانه ولا حقه فبينا نحن كذلك اذ انبرى قومنا نزعوا سلطان نبينا صلع فنظرنا فاذا الولاية لغيرنا فبكت والله العيون من ذلك والقلوب وخشيت الصدور وجزعت النفوس جزعا ارغم الانوف ، وايم الله لو لا مخافة الفرقة بين اهل الاسلام وان يعود الكفر ويذهب نور الدين لكنا غير ما كنا ، واني رأيت الصبر على ذلك اولى من تفريق المسلمين وسفك دمائهم ، افما نحن اهل بيت النبوة وورثة الرسول ومعدن الكرامة التي ابتدأ الله بها هذه الامة ،

وهذا طلحة والزبير فليسا من اهل بيت النبوة ولا ورثة الرسول، وان الله تعالى رد الينا حقنا بعد اعصر فلم يصبر حولا واحدا ولا شهرا كاملا حتى وثبا على داب الماضين قبلهما ليذهبا بحقي ويفرقا جماعة المسلمين عني ، وقد وليتموني ايها الناس اموركم وبايعني هذان الرجلان فيمن بايعني منكم ، وها هما قد نكثا بيعتي وسارا نحو البصرة بعائشة، والله لئن ظفروا بما يريدون ولا يروا ذلك ابدا لنضربن الزبير عنق طلحة او لنضربن طلحة عنق الزبير بتنازع شديد على الملك ، والله انها لراكبة الجمل لاشد عقدة ولا تسير عقبة ولا ينزل منزلا الا في معصية الله وسخطه حتى يوردونها ومن معها متالف الهلكة يقتل فيها ثلثهم ويهرب ثلثهم ويتوب ثلثهم ، والله لتنبحها كلاب الحوأب فهل معتبر يعتبر او متفكر يتفكر ، والله ان طلحة والزبير ليعلمان انهما مخطئان ولا يجهلان ذلك ولرب عالم قتله جهله وعلمه معه لا ينفعه ، قد قامت الفئة الباغية فاين المحسنون ، ما لي ولقريش ، والله لقد قتلتهم كافرين ولاقتلنهم مفتونين ، واني لصاحبهم امس ، وما لي ذنب اليهم، والله لافرق الباطل حتى اخرج المحق من خاصرته فلتصخ قريش صحيحها ، اللهم عليك طلحة والزبير فخذهما بغشهما لهذه الامة وسوء نظرهما للعامة ، انفروا معي رحمكم الله في طلب هذين الناكثين الباغيين القاطعين الظالمين غدا ان شاء الله ، فقام رجال كثير من المهاجرين من المهاجرين والانصار والتابعين فتكلموا واجابوه الى ما اراد واحسنوا في القول،

وقال له الحجاج بن عرنة بعد كلام: يا امير المؤمنين دراكها دراكها قبل الفوت، انفر بنا واسم بنا نحو الصوت، لا والت نفسي ان خفت الموت ،

خرج امير المؤمنين عليه السلام لحرب عائشة وطلحة والزبير من المدينة في سبعمائة راكب من اصحاب رسول الله صلع والمهاجرين والانصار والتابعين فيهم اربعمائة مهاجرين وانصار منهم سبعون بدريون ، واستخلف على المدينة سهل بن خسف الانصاري ومضى حتى اتى الربذة فقال اليه عدي ابن حاتم الطائي فقال اتأذن لي يا امير المؤمنين في ان آتي قومي فاحثهم في المسير معك فان لك علي من طي عدد من معك ، فقال له علي ابن ابي طالب عليه السلا افعل فخرج حتى اتى قومه فاجتمع اليه رؤساء طي وقام عدي خطيبا فقال :

يا معشر طي انكم امسكتم عن حرب الله وحرب رسوله صلع في الشك ونصرتم الله ورسوله صلع في الاسلام على اهل الردة، وعلي ابن ابي طالب من قد عرفتم ومن ليس له في الاسلام نظير، وقد ضمت عدد من معه منكم فخفوا معي ولا تعتلوا بداركم فانها دار يمنعها القليل ويقل فيها الكثير ، وايم الله لو شخص معه منكم ضعف من معه ما اخيف المقيم على الشاخص ولا خاف الشاخص علىالمقيم ، وقد كنتم في الجاهلية على الدنيا تقاتلون فقاتلوا في الاسلام على الآخرة وان اردتم الدنيا فعند الله مغانم كثيرة فاجابه معقل ابن جداح ثم مخنف بن زيد الخير ثم سائر طي وساروا معه الى علي عليه السلام ، فقال عدي في ذلك :

قضت طي عني الذمام وانطلقوا \* لساني بالامر المقرب بالكرم

نبذت اليهم دعوة علوية \* فقالوا جميعا يا عدي نعم نعم

فما نال ذاك الصوت حتى كأنما \* بسمعي من طول النداء بها صمم

فما لبثوا ان خف منهم فوارس \* ميامون ضرابون في الهيج للبهم

على كل وظفاءالخرام طمرة \* واجرد محمول على لبه شمم

فقالوا رضينا يا عدي ابن حاتم \* عليا اماما ما بقي الهضب من اضم

فعلت بنفسي انتم من عشيرة \* عظمتم بها في الناس والحل والحرم

فلما قدموا على علي ابن ابي طالب صلوات الله عليه وهو بالربذة قام شيخ منهم يقال له اكثل فرفع حاجبيه عن عينيه ثم نظر الى علي عليه السلام فقال انت علي ابن ابي طالب ع م، قال نعم ، قال مرحبا بك واهلا انا جعلناك بيننا وبين الله وجعلنا عديا بيننا وبينك ونحن بينك وبين الناس ، والله لو اتينا غير مبائع لك لنصرناك لقرابتك من رسول الله صلع واياديك الصالحة، ولئن كان ما يقال فيك من الخبر حقا ان امرك وامر قريش لعجب اذ اخروك وقدموا غيرك فسر فوالله لا يتخلف عنك من طي كلها الا عبد قن او راعي لهم الا باذن منك ثم نادى الشيخ وطي مجتمعة :

ان يكن ما يقال فيك من الخبر \* هو الحق يا وصي الرسول

اخبرني ما صد عنك قريشا \* ثم دعني من شك قال وقيل

اصابوك اذ اخروك فقلها \* وصواب السبيل خير سبيل

او خطأ فما الخطأ بعذر \* وقليل الخطاء غير قليل

ليس شيء الا خطا او صواب \* كاتفاق التنزيل والتأويل

فاعجب عليا ع م قوله وقال ذر عنك ذا فان قريشا اعني عليها علم ذلك مني ، قيل وكان الذين ساروا من طيء الى علي ع م ثلاثة آلاف رجل وقالوا في ذلك شعرا كثيرا، فلما وصلوا قام زفر ابن حذيفة الاسدي الى امير المؤمنين ع م فقال يا امير المؤمنين ان طيا اخواننا وجيراننا وقد اجابوا عديا ، ولي في قومي طاعة فأذن لي آتهم ، فقال علي ع م افعل فقدم على قومه فقال لهم يا بني اسد ان عديا ضمن لامير المؤمنين ضمانا فاجابوه وقضوا ذمامه وهم جيرانكم وخلطاؤكم في الاموال فانشدكم الله ان تقول الناس غدا نصر طي وخذلت بنو اسد فان الجار يقاس بالجار ، والعار ينسب بالعار ، فان خفتم في داركم فتوسعوا في بلادكم وانضموا الى خيلكم ، وقال في ذلك زفر بن الحذيفة الاسدي :

بني اسد من يأمن الحرب يوكل \* ومن لا يمت يوما من الدهر يقتل

ترقى عدي في العلى ثم مخنف \* واثكل في اشباهه وابن معقل

فما طي اولى بذلك منكم \* وما زفر رضوانه دون مرسل

وما اسد في الحي الا كطيء \* هما ما هما فيها كاسحم مسبل

تتابع لا تدري آخر صوبه \* اجد بوجه الارض ام مصور اول

فحوطوا عليا وانصروه فانه \* وصي وفي الاسلام اول اول

وان يخذلوه والحوادث جمة \* فليس لكم في الارض من متحول

وليس لكم من بعده من معيشة \* سوى لعلهن العامي اوقف حنظل

وترتضعوا من ثدي ام بكيت \* معحفة بين المقالت مقتل

ويطحنكم طحن الرجاء بثقالها \* فوارس نجران قبيل المحجل

فقال له قومه يا زفر انك لست كعدي ولا ابوك كحاتم ولا اسد كطي ، ان عدي قدم على قيصر ففتح الباب ويلقاه بالتحية وقدم على رسول الله صلع فولاه طيا على الاسلام ، ولو تعزت طي باجمعها لمنعت دعاؤها دارها ولو ان معنا اضعافنا لحقنا ديارها ولكنا ننفر معك ولا نكون دون جيراننا من طي ، ونحن موافقو اخواننا بني كنانة فسر بنا ان احببت وسارت الجماعة من اسد الى علي صلوات الله عليه في عدد وزفر وليسوا كطي ، ومنها صارت بنو اسد شيعة.

وقد كان علي ص ع كتب الى عثمان ابن حنيف عامله على البصرة :

بسم الله الرحمن الرحيم من عبد الله علي امير المؤمنين الىعثمان بن حنيف سلام عليك ، اما بعد ، فان هولاء النكثة بما عاهدوا الله عليه ركبوا ثم توجهوا الى مصرك فادعهم الى الله ساقهم الشيطان يريدون ما لا يرضى الله به والله اشد تنكيلا ، فان قدموا مصرك فادعهم الى الله والى الرجوع الى الوفاء بعهد الله وميثاقه الذي التحفوا عليه، فان فان فعلوا وتمسكوا فاحسن حوارهم ومرهم بالانصراف الى المكان الذي منه اقبلوا وان ابوا وتمسكوا بحبل النكث فقاتلهم حتى يحكم الله بينك وبينهم وكتبت اليك هذا وقد فصلت من المدينة ولا قوة الا بالله .

ولما جاء عثمان بن حنيف كتاب علي سلام الله عليه دعى عمران بن الحصين الخزاعي صاحب رسول الله صلع وابا الاسود الدولي فقال لهما انطلقا الى عائشة وطلحة والزبير فاعلما الى علمهم وما الذي اقدمهم فانطلق عمران وابو الاسود فلقوهم بحفر ابي موسى مسيره يوم وليلة من البصرة فدخلا على عائشة وبدءا بها فقالا لها : يا ام المؤمنين ما حملك على هذا المسير ابعهد من رسول الله صلع الم يبايع المسلمون ابن عم نبيهم وخير من يعلمون ، ثم تركب بلد رسول الله صلع وحرمه ، قالت انا جئنا لنطلب بدم عثمان ، قالا لها فليس بالبصرة احد ممن قتله ، قالت ولكنهم مع علي ابن ابي طالب فجئنا لنقاتلهم بمن معنا من اهل البصرة وغيرهم ،انا نقمنا على عثمان السوط والعصى فلم لم نعضب له من السيف ، قالا لها وما انت من سيفنا وسوط عثمان وعصاه ، وانما انت امرأة وقد امرك الله ان تقري في بيتك وتذكري ما يتلى عليك من آيات الله والحكمة ثم جئت تضربين الناس بعضهم ببعض ، ولست من طلب الدماء وحضور القتال في شيء ، وعلي اولى بعثمان منك ، قالت وهل احد يقاتلني ، قال الاسود اي والله قتالا اهونه الشديد ، قالت انما جئت مصلحة الم ولا اشعث واجمع ولا افرق ، قال لها عمران اتقي الله فان الله شرفك وعظمك في اعين الناسا بهاشم ولست من عثمان واختلاف الناس في شيء ، فاحفظي قرابة علي وسابقته وحب رسول الله صلع اياه وانك كنت اشد الناس في عثمان حتى قتل ثم بائع طلحة والزبير والمهاجرون والانصار عليا واتينا كتبكم بذلك فرضينا وسلمنا وبايعنا فما الذي بدا لكم، قالت أ لقيتما ابا محمد يعني طلحة ، قالا لا ما كنا لنبدأ باحد قبلك، قالت فأتياه فانظرا ما يقول.

فخرجا من عندها حتى اتيا طلحة فقال له عمران : يا ابا محمد ما جاء بكم وما تريدون ، قال جئنا لنطلب بدم عثمان وندعو الى الشورى فالقيا الزبير،

فخرجا من عنده فاتيا الزبير فلما دخلا عليه قال الزبير ما اظن ابن ابي طالب حين ملك ان احدا ينازعه ، فقال عمران يا ابا عبد الله ما حملك على هذا المسير ونكث بيعتك ، الست يوم بويع ابو بكر آخذا بقائم سيفك تقول ليس احد احق بهذا الامر ولا اولى به من علي ابن ابي طالب ع م ، فقال الزبير صبحوهم قبل ان يتشاوروا الا يستوي الصعب والذلول ان مع الخوف الشديد المطامع ،

واقبل طلحة والزبير فدخلا على عائشة فقال ابو الاسود ان البراء ابن عازب اودعني شعرا اسمعكموه ، وكان البراء بن عازب من الانصار من المعدودين منهم مع رسول الله صلع بعثه علي ع م مع عثمان ابن حنيف وزيرا له ، وقال ابو الاسود انه قال لنا البراء اذا بلغتما هؤلاء النفر الرسالة فاقرياهم مني السلام وانشداهم هذه الابيات:

قل للزبير وقل لطلحة قصروا \* دون الذين تبغون موت احمر

والضرب في هام الرجال وطال ما \* ذل العزيز لنا ودان الاصغر

بايعتم خير البرية واجدا \* نظرا لانفسكم وقيل تحيروا

فاخترتم من لا يشق غباره \* من عبثه في الناس شيء منكر

هيهات هيهات الحيوة واهلها \* ان الزجاجة صدعها لا يجبر

حتى اذا بايعتموه قلتم \* خفنا وهذا الذنب ما لا يغفر

افنيتم العلل التي جئتم بها \* حتى بقي الامر الذي لا يذكر

وكشفتم صلعا يبدو عظمها \* والغدر من قبل ابن اروى اكبر

لا تقربونا واحذروا من غركم \* ان السحاب ببرقه لا يمطر

خير المقالة ان تفيئوا توبة \* والسيل مقصده الفجاج الاكبر

فلما سمعا الشعر نكسا رؤسهما وقالا هذا والله اشد علينا من خطبتكما ،وقال طلحة للزبير اياك ان يكاشف الرجل ، فوالله ان يتبعها اخرى مثلها انها للفضيحة وسار القوم حتى اذا انتصف الليل خفقوا نعاسا ، قال عمران والاسود لبعضها بعضا ان القوم قد شغلوا عنا فضرب الرجلان رواحلهما حتى قدما على عثمان بن حنيف فاخبراه فقال استعين بالله ، وقال له ابو الاسود يا بن حنيف قد اتيت فانفر وطاعن وطاعن القوم وضارب واصبر والقهما منسلخا وشمر، فقال اي ورب الكعبة لافعلن ، وقال ابو الاسود الدولي في ذلك :

لقينا الزبير فدانا الامور \* وطلحة كالنجم او ابعد

فاحسن قولهمافاحش ، يغص به الحلق مستنشد

يريدان امرا له مانع \* من الله يهدم ما شيدوا

وقد اوعدونا بجهد الوعيد \* فاهون علينا بما اوعدوا

فقلنا ركبتم ولم يلحقوا \* واصدرتم ثم لم توردوا

فان تلحقوا الحرب بعد الوعيد \* فملحقها حده الانكد

وان عليا لكم مضجر \* كما تضجر الاسد المرود

اما انه ثاني العابدين \* بمكة والله لا يعبد

تراخو قليلا ولا تعجلوا \* فان عدا منكم الموعد

وجاء فيما حدث عن العلاء بن الشاير عن عمير بن سعيد الامامي قال: لما قيل هذا طلحة والزبير وعائشة يدخلون البصرة اجتمع الناس الى المسجد فقام رجل فحمد الله واثنى عليه فقال ايها الناس انا فلان ابن فلان الجشمي وانما اعترى الى قومه ليعلم ان له عشيرة يمنعه ثم قال ان هؤلاء القوم الذين جاؤكم انما جاؤا من المكان الذي يأمن فيه الطير والسباع، والله لئن كانوا جاؤا يطلبون بدم عثمان ما نحن قتلناه اطيعوني في هؤلاء القوم وردوهم من حيث جاؤا ، قال فرماه بالحصا القوم حتى جلسوه .

--- عن ابي نصر العبدي قال :

اقبل طلحة والزبير فيمن معهما حتى نزلوا مربد البصرة من قبل اعلاه مما يلي بني سليم وجاء اهل البصرة فاجتمعوا في المربد حتى امتلأ وغص باهله وكان الناس فيه ركبانا ومشائين فاشار طلحة الى الناس ان اسمعوا واسكتوا فازدحموا عليه وجعل يصف فضل عثمان فيما يزعم ويحرضهم على الطلب بدم عثمان وتكلم الزبير نحوا من كلامه فتكلم من تكلم من الناس فقالوا او لم تبائعوا قبل ان تأتونا بالمدينة ، ففيم استحللتم نكث بيعتكم ، قالا معاذ الله ما لاحد علينا بيعة وكانا يقولان انما استكرهنا ، وقال قوم من الناس لقد احسنا ونطقا بالحق واختلف الناس بينهم يموجون وارتفعت الاصوات واقبلت عائشة في هودجها على جملها فصف لها الناس في الطريق يقولون يا ام المؤمنين ما تقولين في عثمان ، فلما اكثروا نادت صه صه ثم تكلمت فقالت ان امير المؤمنين عثمان قد غير وبدل ثم لم يزل يغسل ذلك بالتوبة ويبلوه بالشدة والرخاء حتى قتل مظلوما ، وانما نقمتم ثلاث خصال ضربة بالسوط وضربة بالعصى وتأميره الفتيان حتى اذا مصتموه كما يماص الثوب الرخيص من الذنوب ركبتم فيه ثلاثة واستحللتم منه حرمة البلد وحرمة الشهر وحرمة الخلافة ، ثم ذبحتموه كما تذبح الحملان فانتم يا معاشر قريش الذين رميتم غرضكم بمقاتلكم وادميتم افواهكم بايديكم ، وخرقتم نعالكم بارجلكم والذي نفس عائشة بيده لترون بعد ثلاث ينبه النائم ويقام الجالس ويخرج الخافض ويهلك الظاعن مع اني اعلم انه سيسلط الله عليكم قوما لا يرحمونكم يسومونكم بسوء العذاب بعد اذ تاب الى ربه وخرج من ذنبه فقتلتموه ، والله ما بلغ من ذنبه ما يستحل به دمه ، ثم اتوا ابن ابي طالب فبايعوه من غير رضى ولا مشورة من المسلمين ابتزازا لامر الناس ، اترضون ان اغضب من سوط عثمان ولسانه ولا اغضب لعثمان من سيفكم ، الا وان عثمان قتل مظلوما فاقتلوا قتلته ثم ليكن الامر شورى بين الرهط الذي اختارهم عمر ابن الخطاب لا يدخل فيهم احد شرك في دم عثمان فصاح الناس من قائل يقول صدقت وقائل يقول كذبت ما لها ولهذا حتى اضطربوا بالنعال وتراموا بالحصى وتمايز الناس فصاروا فئتين فمال الى طلحة والزبيروعائشة فئة، والى عثمان ابن حنيف فئة، فقام عثمان بن حنيف خطيبا فكان مما قال :

ايها الناس بايعتم الله فيد الله فوق ايديكم ، ومن نكث فانما ينكث على نفسه، والله لو علم ابن ابي طالب ان احدا احق بهذا الامر منه ما قبله ، ولو بايع الناس غيره لبائع من بايعوا واطاع من اطاعوا وما به الى احد من اصحاب رسول الله صلع من حاجة وما باحد منه من غنى، لقد شركهم في محاسنهم وما شركوه في محاسنه، لقد بايعه هذان الرجلان وهما يريدان الله واستعجل الفطام قبل الرضاع والرضاع قبل الحمل طلبا ثواب الله من العباد وزعما انهما اكرها ، وانما قالا ذلك حتى صارا من اعراض الناس لا يأمران ولا ينهيان، واعلموا ان الهدى ما كانت عليه عامة المهاجرين والانصار وهم في بيعة علي ابن ابي طالب ولم يجعل الله للواحد على الامة طاعة الا نبي مرسل او امام عادل وليس طلحة والزبير بنبيين ولا امامين فما ذا تريدون

--- حكم بن حمل فقال ان دخلا علينا قاتلناهما وان توقفا تلقيناهما وما ابالي لو قاتلتهم وحدى فان كنت اريد الغلبة فما اريد الا الله صاحبا ولا اخشى في طريق الحق وحشة وانها لدعوة قتيلها شهيد وحيها ثائر ولئن اهلكونا اليوم ليهلكن غدا ، والتعجيل الى الله قبل البلاء احب الي من التأخر في الدنيا وهذه ربيعة معك .

--- طلحة والزبير من المربد يريدان عثمان بن حنيف وبلغ ذلك ابن حنيف واصحابه فاحدقوا بافواه السكـك واستقبلهم اصحاب عثمان ابن حنيف فشحروهم بالرماح وحكيم بن حبل على الخيل فحمل عليهم وهو يقول :

خيلي الى انها قريش \* لتردنيها بغيها والطلش

فقاتلوهم على فم السكة حتى دفعوهم عنها وقذفهم الصبيان والنساء بالحجارة ورموهم من فوق البيوت ومن افواه السكـك فباينوا حتى اتوا مقبرة بني مازن فوقفوا بها مليا من النهار حتى ثابت اليهم ثائبة من الناس فتأهبوا هنالك للقتال ثم اخذوا على مسناه البصرة من قبل الجبل حتى انتهوا الى الزابوقة فنزلوا بسبخه دار الرزق وذلك يوم الجمعة في رجب بعد قتل عثمان ابن عفان بسبعة اشهر ،

واتى حاربه بن قدامة السعدي الى عائشة وطلحة والزبير فقام خطيبا فقال بعد حمد الله والصلوة على نبيه :

لعمري يا عائشة لقتل عثمان اهون من خروجك من بيتك على هذا الجمل الملعون غرضا للسلاح، انه قد كان من رسول الله صلع عليك ستر وحرمة فهتكت سترك وانحت حرمتك وانه من رأى قتالك استحل قتلك ، فان كنت اتيت طائعة فارجعي الى منزلك سالمة وان كنت جئت مستكرهة فاستغيثي بالمسلمين يغيثوك ، ثم اقبل على طلحة والزبير فقال :

اما انت يا طلحة فوفيت رسول الله صلع بيدك ، واما انت يا زبير فحواري رسول الله صلع وهذه امنا معكما فهل جئتما بنسائكما قالا لا قال فما انصفتما رسول الله صلع وما نحن منكما في شيء ، وقال حاربه في ذلك :

صنتم حرائر كم وخنتم امكم \* هذا لعمرك قلة الانصاف

امرت بجر ذيولها في بيتها \* فهوت تجر البيد بالايجاف

غرضا يقاتل دونه آسادها \* بالنبل والخطي والاسياف

هتكت وطلحة والزبير ستورها \* هذا المخبر عنها والكافي

--- طلحة والزبير يدعون الناس الى نقض بيعة علي ابن ابي طالب صلوات الله عليه والمتابعة لهما على قتاله فقام اليهما يزيد بن الحارث الشكري وكان شيخا كبيرا له عبادة وفضل فقالا بايعنا يا اخا شكر ، فقال ابايعكما شمالي فاما يميني فقد شغلتها ببيعة علي ابن ابي طالب صلوات الله عليه ، وقد بايعته كما بايعتما فاغلظا له في القول فغضب الشيخ ثم قال يا معاشر قريش ان كنتم تريدون ان تملكوا اخرنا بمثل ما ملكتم اولنا فذلك سلطان النبوة وقد اصبحتم والله حفاة من بغالها عراة من ثيابها ، وان كنتم تريدون ان تملكونا بما ملكن به العرب بعضها بعضا في الجاهلية فالبسوا اثواب البلاء واناشدكم الله معاشر قريش ان تقودنا آخركم الى النار كما قادنا اولكم الى الجنة ، ولا تبطلوا ديننا بدنياكم فتخرجونا من الهدى الذي دخلنا فيه الى ضلالة قد خرجنا منها ولا تكلفونا ان نصدقكم علىالدعوى ونقضي لكم على الغائب ، دعونا وما في الصدور فانه يبقى فيها ما لا يضركم .

فغضب طلحة والزبير فقال الشيخ :

اما انكما ان فعلتماها فقد فعلها الامم من قبلكم وعصوا اوصياء انبيائهم عليهم السلام ورجع الشيخ الى اهله وهو يقول :

اذا انا بايعت الزبير وصحبه \* وطلحة والمهتوك عنها حجابها

حارب خير الناس بعد محمد \* فما لي في البطحاء الا ترابها

دعوني فقالوا يا يزيد اين حارث \* فقلت لهم والنفس جم جوابها

ء اقتل نفسا حرم الله قتلها \* وفي النفس داء حوبها وعذابها

يقول رجال من لوي ابن غالب \* ذياب عليها للخداع ثيابها

فما رجعت نفسي على القوم مطرقة \* وما طار مني للحجاج عقابها

فقلت دعوني لا ابا لابيكم \* لنفسي خطاها دونكم وصوابها

فقالوا دعوه انه غير غافل \* ولو اكرهوني قلتها لا اهابها

ولو قلتها سارت بها ركب يثرب \* وطار بها في المشرقين غرابها

وعيني بها لو قلت فيهم سخينة \* ونفسي طويل حزنها واكتيابها

ولما اصبحوا غدا عليهم عثمان ابن حنيف للقتال فناداهم عثمان :

يا طلحة ويا زبير ما ذا نقمتم على علي ابن ابي طالب ، فوالله ما ظهرت لعلي سيرة حكم فيها بغير ما انزل الله فقالا انه اعان على قتل عثمان ونحن نطالبه بدمه ، فقال عثمان بن حنيف ما انتم وذاك اقارب عثمان احق بالطلب بدمه منكما لا ولكنكما حسدتماه حين اجتمع الناس عليه وكنتما ترجوان هذا الامر وتعملان له وهل كان احد اشد على عثمان قولا وفعلا منكما ،

قالا له وما انت وذلك يا طليق ابن عامر ، فقال عثمان لو لا ان صفية مكانها من رسول الله صلع مكانها لعلمت، ثم قال لطلحة اما انت يا ابن صعبة يعني امه فان الامر بيني وبينك اعظم من القول والله لاعلمنكما من امركما ما يسوء كما ثم قال : اللهم اني قد اعذرت الى هذين الرجلين ، ثم حمل ابن حنيف فيهم فاقتتل القوم من اشد القتال وكثرت بينهم القتلى والجراحات فامر الزبير وطلحة من معهما فنادوا ايها النا س الله الله في دمائنا وما دمائكم ، هل لكم في الموادعة الى ان يقدم علي ابن ابي طالب ومشت بينهم وبينهم القرآن فاصطلحوا على ان لكل قوم ما يليهم من المشاريع والاسواق وكتبوا بينهم كتابا ، وهو :

بسم الله الرحمن الرحيم ، هذا ما اصطلح عليه عثمان ابن حنيف ومن معه من المسلمين والمؤمنين شيعة علي ابن ابي طالب وطلحة والزبير ومن معهما من شيعتهما ان لعثمان بن حنيف در الامارة ومن بيت المال والمسجد والمنبر وان لطلحة والزبير وعائشة ومن معهم ان ينزلوا حيث شاؤا من البصرة ولا يضار بعضهم بعضا في فرضه ولا سوقا في مشرعه ولا في مرفق حتى يقدم علي ابن ابي طالب صلوات الله عليه ، فان احبوا جميعا دخلوا فيما جميعا دخلوا فيما دخلت فيه الامة ، وان ابو لحق كل قوم باهوائهم ، وان احب طلحة والزبير ان يدخلا في طاعة علي دخلا واحبا ان يقاتلا قاتلا ، وان احبا ان يخرجا من البصرة خرجا ، وعلى الفريقين بما كتبا عهد الله وميثاقه وذمة الله وذمة رسوله صلع واشد ما اخذ الله على احد من خلقه عهدا وميثاقا وليفي كل قوم بما اعطوا من ميثاقهم ، ثم اشهدوا على ذلك شهداء من الفريقين جميعا وانصرف عثمان وامر اصحابه ان يضعوا اسلحتهم .

--- حكيم بن جبل لعثمان ابن حنيف ان لك في القوم حجة ليست لهم عليك، انهم بايعوا صاحبك ولم تبائعهم واني اخشى ان لا تفيؤا لك بما عاهدوك وانت تفي لهم، وعلينا لك الطاعة ولنا منك الامر فقاتلهم وهي لك قبل ان يقاتلوك وهي عليك، وقال في ذلك ابو امية الاصم :

ما للزبير تفي فيك العداة ولا \* للمراء طلحة فاخشى القوم عثمان

عابوا عليا وقالوا ان بيعته \* كانت حراما وهذا القول بهتان

هم العدو فلا تأمن خذيعته \* ان يقتلوك فخفهم حيث ما كانوا

ان اكثر القوم او قلوا فانهم \* هم العدو وان القلب حران

عثمان يا ابن حنيف بيعتنا \* لله فاحذر ولا يخدعك مروان

ان يفردوك ينالوا عنك حاجتهم \* ثكلا تجرعه في الدهر قحطان

عثمان كم من قليل كان قد غلبوا \* قوما كثيرا وهذا الدهر الوان

ولما رجع طلحة والزبير الى منزلهما قال طلحة للزبير والله لئن جاء علي ابن ابي طالب ونحن بالبصرة لنوخذن باعناقنا حتى ندفع اليه ، قال الزبير فوالله ما ينجينا الا المكر والخديعة والمكيدة ، فاجمع رأيهما على ان يسيرا في القبائل ويدعوان الناس اليهما فمشيا في القبائل ليلا حتى تابعهم الازد وصبه وبنو سليم بن منصور وبنو عامر بن صعصعة وباهلة وعني الا الرجل والرجلان والثلاثة من القبيلة كرهوا امرهم ذلك فتواروا عنهم وبائعهم زيد بن حبلة السعدي في ناس قليل من بني سعد من رهط بني عامر بن عبيد وكان زيد على شرطة عبد الله بن عامر زمن عثمان وبعث طلحة والزبير الى هلال بن وكيع بن سر من بني عبد الله ابن دارم وكان سيد قومه فدعوه فابى ان يأتيهم فاتياه الى منزله فتوارى عنهما فلامته امه وقالت اتاك شيخا قريش فتواريت عنهما فاذن لهما فدخلا عليه فكلماه حتى بايعهما ومعه بنو عمر وبنو تميم وبنو حنظلة غير بني مربوع فان عامتهم كانوا متابعين لعلي ابن ابي طالب عليه السلام واعتزل نفر من بني محاشع بن دارم ذو ودين وفضل، فلما قدموا علي ابن ابي طالب ص ع لحقوا به فشهدوا معه وقعة الجمل .

وخرج طلحبة والزبير معهما اصحابهما قد لبسوا الدروع ثم ظاهروا فوق الدروع بالثياب وخرجوا في ليلة مظلمة ذات ريح ومطر ليأخذوا ابن حنيف غدرا ومكرا حين يخرج لصلوة الصبح ، فلما انتهوا الى دار ابن حنيف قتلوا الحرس وكانوا اربعين رجلا فشد عليهم ابن حنيف وحمل عليه مروان بن الحكم وهو يقول :

يا ابن حنيف عنك اني \* لا قتال الامام قاتل

والناس منهم ناصر وخاذل \* والكف لا تخذلها الانامل

والامر فيه عجز وكاهل \*

فشد عليه ابن حنيف وهو يقول :

مروان يا بن الحكم الطريد \* مروان يا ابن الآكل الطريد

عشرين عاما في الفيافي البيد \* هذا علي الخير في الاسود

يسمو سمو الاسد الحريد \* لا تخلفوا الله في العهود

اني لقاض غرضي او مودي\*

فاقتتلوا قتالا شديدا وكثروا على عثمان فاخذوه اسيرا فنتفوا لحيته وشعر رأسه وحاجبيه واشفار عينيه ، فقال عثمان لمروان يا ابن الطريد شعر نابت وشر ثابت هلا كان حلقا ولم يكن نتفا ، اما انك ان فتني بها في الدنيا لم تفتني في الآخرة ، وان اشد ما علي غم امير المؤمنين وجزع الانصار وكانوا ارادو قتل عثمان ابن حنيف فخافوا اخاه سهل بن حنيف ان يقتل عيالاتهم في المدينة واخذوا السيانحة وهم سبعون رجلا كانوا على بيت المال وكانوا اهل ورع وعبادة فقالت عائشة للزبير اقتلهم فذبحهم الزبير كما تذبح الغنم ، وذلك بعد ان قاتلوهم على بيت المال وقتلوا منهم جماعة ويقال ان جميع من قتل من السيابحة اربعمائة رجل فيهم السبعون المقدم ذكرهم كان قتلهم صبرا .

--- عباس انه قال كان غدر طلحة والزبير اول غدر في الاسلام واول قوم ضربت اعناقهم صبرا من المسلمين السيابحة ، وبلغ سهل بن حنيف ما صنع باخيه فكتب الى طلحة والزبير وهو بالمدينة والله لئن اصيب عثمان وهو في ايديكم قتيلا او ميتا لا تركت لكم في المدينة احدا الا قتلته فخلوا عنه، وقال سهل بن حنيف :

مروان ويحك ان الدهر غدار \* له صروف فاحلا وامرار

ان تنتفوا شعر عثمان ولحيته \* والرأس منه فعقبى الكافر النار

هذا قصاصك في الدنيا وعاجلها \* والله ان فات في الدنيا له ثار

ان الذي جئت في عثمان فاحشة \* مروان قصرك منها النار والعار

ما ذا اردت الى شيخ له شرف \* واري الزناد له الانصار انصار

والىعليا واهلا ان يواليه \* من معشر لهم الايمان والدار

يفيه من سلف الانصار مشخة \* شم الانوف لها في الناس ابصار

كانوا بيثرب اقبالا متوجة \* ايام ايام اهل الشرك كفار

لم يبرحوا هكذا في الشرك قد علمت\* عليا معد وفي الاسد ابرار

ان الكثير قليل من صفاتهم\* ومن وسواهم قليل الوصف اكثار

مروان ان عليا قد اظلكم \* فاحتل فانك يا مروان فراّر

اما تقيموا ففيها قطع دابركم \* او تهربوا فرماح الحرب اعصار

ولما اخذ عثمان بن حنيف بعث حكيم بن حبل الى طلحة والزبير ان عثمان بن حنيف كان جمع طعاما كثيرا وجعله في الذابوقة فارسل الينا بنصيبنا منه فارسل اليه الزبير لا والله ما نرزق من ذلك الا من خلع عليا وبائعنا فقال حكيم لا والله لا اخلعه ابدا ثم نادى في قومه فاجتمعوا اليه فقام فيهم خطيبا فحمد الله واثنى عليه وصلى على النبي صلع وسلم ثم قال لهم يا معشر عبد القيس دم مصور وامانة موداة، ولله لو لم تكن عثمان ابن حنيف اميرا علينا لوجب ان نمنعه لحق الجوار وقد رأيتم ما صنع به القوم الا وان الحي ميت والميت مسؤل ، فشر ما طلب النساء الجزع، وشر ما اعد للجوار الغدر ، فاما ان تموتوا كراما واما ان تعيشوا احرارا ، وان الزبير قد منعكم حقكم وما افاء الله عليكم، وقد زعم ان لا يرزق الا من خلع عليا وبايعه وقد اعطيتم عليا ع م ثمار قلوبكم ، وقد بايعتموه طائعين غير مكرهين فانطلقوا رحمكم الله الى هذا الطعام لنأخذ حقنا منه فاجابه قومه وسار بهم الى الزابوقة فاخذوا الطعام وبلغ ذلك طلحة والزبير وعائشة فخرج طلحة والزبير الى حكيم في اثني عشر الف وحملوا عائشة على الجمل فسمى ذلك اليوم يوم الجمل الاصغر فالتفتوا بالزابوقة فاقتتلوا قتالا شديدا واخذ حكيم بن حبل يضربهم بسيفه وهو يقول :

اضربهم باليابس \* ضرب غلام عابس

من الحيوة آئس \* في الغرفات نافس

مخافة المجالس \*

وكان حكيم في ثلاثمائة فارس فهزمهم حتى ادخلهم سكة الموالا وحمل رجل من الازد على حكيم وهو غافل فضربه على رجله فقطعها فحبا حكيم الى رجله فاخذها فرمى بها الازدي فصرعه ثم حبا اليه فقتله ، وانشأ حكيم يقول :

يا نفس لا تراعي \* ان قطعت كراعي

ان معي ذراعي \*

ويقول ايضا :

هذا اوان الضرب والمصارع \* اقول لما جذني زماعي

عن غير لاحين ولا انخداع \* ومصلت في الكف ذو شعاع

يقد في البيض الى النخاع \* افرج روعي وانثني قراعي

في الله ما ابلى وما اساعي \* والمحض من يرعى ومن يراعي

قوم من الحق على الشراع \* في الله ما جاء من الوداع

ومن فراق الاهل والمتاع \* ما ان ابالي اليوم بالمصاع

وباعتناق البطل الشجاع \*

وكان حكيم ايضا يومئذ يرتجز ويقول :

ليس على ان اموت عار \* والعار في الناس هو الفرار \*

والمجد لا يفضحه الذمار\*

\*\*\*فقال له قائل من قتلك يا حكيم، قال وسادي هذا ، ثم مات رحمة الله عليه ، وقتل معه كثير من اصحابه، ولما قتل حكيم بن حيل ومن معه تتبعت ربيعة فاخرجت عن البصرة ولما اسر عثمان ابن حنيف وقتل حكيم ابن حيل نزل طلحة والزبير وعائشة دار الامارة وخرج طلحة والزبير لصلوة الصبح فوقع بينهما اختلاف شديد كل واحد منهما يريد ان يؤم في الصلوة وخشي كل واحد منهما ان صلى خلف صاحبه ان يكون قد قدمه وسلم له فلم يزل ذلك بينهما حتى طلعت الشمس فناداهم الناس الا تتقون الله واصلحت عائشة بينهما علىان يصلي عبد ابن الزبير بالناس يوما ومحمد ابن طلحة يوما، وقالت لطلحة والزبير لا يكون في انفسكما شيء من امساكـكما عن الصلوة فان اهل الشورى قد امسكوا عن الحكومة وكان صهيب يصلي بهم وليس بخيرهم وهذا مولاي وردان فليصل لكما حتى تستقبلا امركما ، فما صهيب خير من وردان، وقال غلام من الازد وقد نظر الى ابن الزبير وابن طلحة يؤمان ابويهما في الصلوة :

تنادي الغلامان اذ صليا \* وشح على الملك شيخاهما

اهذا امام وهذا امام \* ويعلي ابن منبه دلاهما

يريدان والله عيش الملوك \* وقد ظهر اليوم غشاهما

فما لي طلحة وابن الزبير \* وهذا بذي الجرع مولاهما

وهذا علي له بيعة \* وقد تنحاه فاخفاهما

ودخل طلحة والزبير بين المال فحين نظرا الى ما فيه قالا وعدكم الله مغانم كثيرة فعجل لكم هذه فنحن احق بهذا منكم يا اهل البصرة ، فلم يدركا ما رجواه من ذلك وبقي المال حتى غلب امير المؤمنين ع م على البصرة وقسم ذلك المال بين المسلمين ، وقال يا صفراء ويا بيضاء غري غيري .

عن ابي مخنف عن بريد بن ابي زياد عن عبد الرحمن بن ابي ليلا ، قال اقمنا مع امير المؤمنين علي ابن ابي طالب ص ع بالربذة اياما ، فاذا نحن براكب قد اقبل من البصرة فنظرنا فاذا المثني بن محرمة فسلم ثم اخبر عليا ع م بقدوم طلحة والزبير وعائشة وقتل حكيم ابن حبل والسيابحة وما صنع بعثمان بن حنيف الانصاري ، فلما بلغ امير المؤمنين عليه السلام ما صنع بابن حنيف وقتل حكيم ابن حيل والسيابحه جلاء ربيعة عن البصرة قال عليه السلام في ذلك :

دعى حكيم دعوة سميعة \* غير غير ما نكل ولا خديعة

نال بها المنزلة الرفيعة \* في الشرف العلا من الدسيعة

يا لهف اماه على ربيعة \* ربيعة السامعة المطيعة

نسها كانت بها الوقيعة \* فما بها النقص ولا الوضيعة

ولا الامور الرثة الشنيعة \* كانت قديما عصبة منيعة

ترجو ثواب الله في الصنيعة \* اصواتها في حربها رفيعة

ليست كاصوات بني الخضيعة

وقام علي عليه السلام خطيبا فقال :

بسم الله الرحمن الرحيم ، الحمد لله الذي لا يواري عنه سماء سماء ولا ارض ارضا ، ثم استمر فيها وذكر الله سبحانه بما هو اهله ،وصلى على نبيه محمد صلع وعدد فضله وذكر ما ابتلى به بعد رسول الله صلع حتى قال ، وقال لي قائل انك يا ابن ابي طالب علىهذا الامر لحريص ، فقلت بل انتم والله احرص وابعد وانا اخص واقرب وانما طلبت حقا لي وانتم تحولون بيني وبينه وتضربون وجهي دونه ، ولما قرعته بالحجة في الملأ الحاضرين بهت لا يدري ما يجيبني به ، اللهم اني استعدي على قريش فانهم قطعوا رحمي وصغروا عظيم منزلتي واجمعوا على منازعتي امرا هو لي ، ثم قال ان في الحق ان تأخذه وفي الحق ان تتركه الا ان طلحة والزبير وابناء الطلقاء خرجوا يجرون حرمة رسو ل الله صلع كما تجر الامة عند شرائها متوجهين الى البصرة فحبسا نساءهما في بيوتهما وابرزا حبيس رسول الله صلع لهما ولغيرهما في جيش ما منهم رجل الا وقد اعطاني الطاعة وسمح لي بالبيعة طائعا غير مكره قدموا على عاملي بها عثمان بن حنيف الانصاري فضربوه ضربا مبرحا ونتفوا شعر حاجبيه واشفار عينيه وشعر رأسه ولحيته وامروا بقتله وحبسوه وذبحوا اخوانكم وامنائكم من السيابحة خزان بيت مال المسلمين على غير ذنب ولا جرم فقتلوهم صبرا واخذوهم غدرا وقتلوا البعد الصالح حكيم بن حبل في ثلاثمائة من قومه ليس الا انهم تمسكوا ساعتي وانتظروا امري ، فوالله لو لم يصيبوا من المسلمين الا رجلا واحدا متعمدين لقتله بلا جرم حره لحل لي قتل ذلك الجيش كله اذ حضروه فلم ينكروا ولم يدفعوا عنه بلسان ولا بدمع انهم قتلوا من المسلمين مثل العدة التي دخلوا بها عليهم ، والله ما انكروا منكرا ولا جعلوا بيني وبينهم نصفا وانهم ليطلبون حقا تزكوه ودما سفكوه ، فان كنت شريكهم فيه فان لهم نصفهم منه، وان كانوا ولوه دوني فما الطلبة الا قتلهم ، وان اول عدلهم للحكم على انفسهم وان معي لصبري ما لبست ولا لبس علي ، وانها للفئة الباغية فيها الحمى والحمه والشبهة المغدقة وان الامر لواضح وقد زاح الباطل عن نصابه وانقطع لسانه عن شغبه، وايم الله لافرطن لهم حوضا انا ماتحه لا يصدرون عنه يرى ولا بغبور بعده في حسى، وانكم حين قتل عثمان ولقي عمله اقبلتم الي اقبال العوذ المطافيل على اولادها يقولون البيعة البيعة قبضت كفي فسطتموها ونازعتكم يدي فجبذتموها ، اللهم عليك طلحة والزبير فانهما قطعاني وظلماني ونكثا بيعتي والبا الناس علي ، اللهم فاحلل ما عقدا ولا تحكم لهما ما ابرما وارهما المساءة فيما املا وعملا فانهما غمطا النعمة ورد العافية ، اللهم عليك بهما وبابناء الطلقاء معهما، وبكى صلوات الله عليه اشد البكاء.

وبعث طلحة والزبير الى الاحنف بن قيس التميمي فاتاهما فقالا له اخلع عليا وبايعنا فقال لا اخلع عليا ولا ابايعكما ولم آتكما واسألكما عن عثمان فزعمتما انه قتله الله بذنبه وسألتكما عن علي ابن ابي طالب فقلتما بايعه فانه احق بذلك وقد بايعه المهاجرون والانصار ، فما الذي رد البن في الضرع ، وما الذي ردكما عن الذي كنتما عليه من غير حدث كان منه.

قالا انا كنا في شبهة فلما استبان الامر ووضح علمنا ان الرجل قتل مظلوما تائبا ولم يسعنا الا الخروج مما كنا فيه ، فقال لهما الاحنف اتقيا الله واذكرا معادكما فوالله ما غبتما امس عن شيء ابصرتماه اليوم ، ولا كل ما تحدثان به انفسكما يكون ، فقالا له نح عنا جيفتك فلست في حلو ما ههنا لا مرة انما انت فريسة آكل وتابعة غالب فلا اعز الله من اعززت ولا نصر من نصرت ، ان اهل البصرة قد بايعونا وانت مبايعنا غدا طائعا او كارها ذليلا ،

فقال الاحنف قد يماجد الحلم ولا حلمي بنافع لكم ولا جهلكما بضائري والخطب اعظم من ان تقولا ونقول ، ثم قام فخرج من عندهما واتى عائشة فقال لها : يا ام المؤمنين الم تعلمي اني اتيتك فقلت لك ان عثمان يقتل فمن نبايع فقلت عليك بعلي ابن ابي طالب فاني سمعت رسول الله صلع يقول الحق مع علي ابن ابي طالب وعلي مع الحق لا يفترقان حتى يردا علي الحوض ، قالت بلى ، قال الاحنف او لم آتك بمكة حين جاءك قتل عثمان فزعمت ان الله قتله بذنبه وان سربال رسول الله صلع لم يبل حتى ابلى عثمان دين الله، قالت بلى ، قال لها الاحنف : فهل تاب عثمان بعد ما قتل ؟

ثم انصرف الى قومه فانذرهم وبصرهم وكشف لهم الامر، ولقي هلال بن وكيع والله ما كان رأيي لقائهم ولا الخروج اليهم ولكني ابتليت بذلك ، فانا استحيي من تركهم بعد ان اعطيت من نفسي ما اعطيت وانت سيد بني تميم فاعتزل بهم فقال الاحنف لست بسيدهم ما حييت ولكني اخاف ان يقتل غدا مع فئة ظالمة فاسودهم فاذكرك الله في دينك ونفسك فانه والله لذهاب دنيا وآخرة من قتل مع هؤلاء ، فابى هلال وانصرف الاحنف الى قومه من بني سعد فقال يا بني سعد اطيعوا امري ترشدوا في الدنيا والآخرة والله ارى القوم لاهل الضلالة والقتل معهم في النار واطيعوني يحمدوا غدا قالوا نعتزل الفريقين ، قال الاحنف هي اهونهما والاخرى خيرهما ان نصرتم امير المؤمنين علي ابن ابي طالب ص ع ،قالوا والله ما كنا لنقاتل قومنا واراد الاحنف ان يلحق بمكة فابى عليه طلحة والزبير واراد ان يلحق بارض العدو فتشاور طلحة والزبير في امره فقالا ان لحق بمكة افسد علينا الناس واخبرهم بقوله لنا وان لحق بارض العدو لحقت به بنو تميم ولكن يكونون قريبا وقد كانوا ارادوا حبسه ثم خافوا قومه فخرج بقومه حتى نزل بهم البحت، وقال الاحنف في ذلك:

ولست بتارك لله عهدا \* ولست بناقص ابدا عقودا

اترك بيعة لله عندي \* اوكدها واحضرها شهودا

معاذ الله من فجرات قوم \* ارادوا الغدر وانتكثوا العهودا

ادنوا الي بداهية رسولا \* فحاول شاؤهم ساوا بعيدا

ارادوا بيعة عقدت بعقدي \* مساورة مجاهدة جحودا

فقلت مراجعا عن ذكر هذا \* الم اك قد لقيتكم مشيدا

ونحن ثلاثة تجري حديثا \* نكروه ونذكره قعودا

فكان جوابكم سنن اروى \* ليالي خر منجدلا وحيدا

فقلت فانني آتي عليا \* ابايعه فقلتم لي سديدا

فما نقض الامور بغير نقض \* واحدث ما ارى حدثا جديدا

فقلتم زلة كانت وعجزا \* الا في العجز ان تدعى الوعيدا

وكتب الاحنف الىعلي ابن ابي طالب عليه السلام وهو مقيم بالربذة ان شئت يا امير المؤمنين اتيتك انا واهل بيتي وان شئت كففت عنك اربعة آلاف سيف وبعث صعصعة ابن معاوية وهو ابن اخي الاخنف شعرا يقول فيه :

ابا حسن ان شئت جئناك نصرة \* وان شئت كفت عنك قاطبة سعد

وفي كف سعد عنك كسر لمالك \* وضبه فاعمل في اعتزالهما بعد

وما وفدت سعد ابن زيد بكفها \* لما بعد الا للامور التي تبدو

فكان اعتزال القوم اهون شركة \* عليك من الامر الذي زاده الحقد

فاعظم عناء كفهم عند حربهم \* وحربهم حرب يشيب له المرد

وان ايابحر براك امامه \* لك اليوم في ذاك الولاية والسود

ولكن سعد اريهم غير رابه \* وليس له مما يرى قومه بد

وانك لم يظلم ولم تلف ظالما \* وقد ظلموك القوم اذ نقض العهد

فذاك اليك اليوم ان شئت كفهم \* وان شئت جاء الشيخ في ذرعه يغد

على انه ان خلف القوم خليفة \* صليت بهم يوما وجدهم جد

فارسل اليه علي عليه السلام ان كف عني قومك فكفى باعتزالك نصرا فخرج الاحنف فنادى في بني ابيه فاجابه ناس قليل فنادى يا بني سعد فلم يبق منهم احد الا لحق به فنادى يا بني تميم فاجابه منهم بشر كثير فاعتزل بهم.

وارسل طلحة والزبير الى كعب ابن شور الازدي وكان قاضي البصرة من عهد عمر ابن الخطاب فابى ان يأتيهم وخذل الناس عنهم ، فقال طلحة والزبير ان خذل سعد خذلت الازد وهم حي البصرة فارسلت اليه عائشة ان امك تدعوك،

فقال ليت امي لم تلدني لا حاجة لي في امر تقريني الى النار ، ثم قال للرسول قل لامك ارجعي الى بيتك يصلح امر الناس فان الناس انما يبتغونك ، فقال في ذلك غلام من نبي دهمان:

ابلغ لديك ابن مثور قول منصح \* يا كعب لا تسمع رأي من شمان

خلوا قريشا وهذا الملك انكم \* حي العراق لكم شان من الشان

ان يهلكوا لا تقم للازد نائحة \* ننعا القبائل من ازد ودهمان

لا تسمع قول شيخي فشة عرضا \* ان تهلك الازد تجدع انف قحطان

دع صبر يهوي سريعا في اوائلهم \* ان لم يطعك وان الحراث الثاني

ما لي وطلحة والمحجوب هودجها \* وللزبير ابن عوام ومروان

قالوا اغضبوا لابن عفان فقلت لهم \* ما بال ازد عمان وابن عفان

ان كان قوم اصابوه بفاقرة \* فالازد سالمة من قتل عثمان

ان كنتم ناصروه فانصروا رجلا \* قد بايعوه على شورى واعلان

وكان صبرة بن شمان قد قال لكعب يا كعب انا نتبع مصرنا ونطيع امنا وننصر عثمان خليفتنا، ولم ير طلحة والزبير الا ان اشخصا عائشة الى كعب ابن شور فركبت بعيرها وانته في منزله ، فلما رآها قال لامرأته اجمع عليك ثيابك قد اتاك والله شر ، فلما دخلت عليه عائشة قالت له يابن شبور ارسلت اليك فلم تأتني فاتيتك في بيتك اعظاما لحقك فبكى ابن شور ، ثم قال لها يا ام المؤمنين شر ايام الديك يوم يغسل فيه رجلا، ليتك لم تأتني ما جاء بك ؟ قالت اتيتك لتنصر الخليفة المظلوم وتطلب بدمه ، قال سبحان الله نسيت ما كان منك والله لانت فتحت عيوبه ، وامرت بقتله ، فما بدا لك؟ قالت يا كعت استقلت تلك القتلة واستبان الامر وما ادعوك الا الى الحق ولم تزل بهذا القول واشباهه حتى بائعها كعب ودعى بسيف فتقلده ودعى بالمصحف فعلقه في عنقه وبال ادنيني من جملك فوالله لا يخرج حطامه من يدي وفيّ الروح ابدا ، فسر ذلك طلحة والزبير ووثقا بنصر الازد.

واتا حاربه بن قدامه السعدي عائشة فاستأذن عليها وعندها وجوه اهل البصرةواخلاط الناس وقال لها: يا ام المؤمنين لقد جئت بشيء تضيق به الصدور، فانظري عافاك الله اترين قولك ثانيا عليا عن حرب قدره كشف لنا عنها واقامها على ساق او ترين المهاجرين والانصار قائلين عنك في عثمان ما لا يعرفونه، او ترين اهل البصرة يوثرونك على علي ع م او يوثرون طلحة والزبير على الحسن والحسين ، و يوثرون علىعبد الله بن العباس مروان بن الحكم ، ويؤثرون عبد الله بن عامر علىعبد الله بن جعفر ذي الجناحين ، او يؤثرون محمد ابن طلحة على محمد ابن ابي بكر ، او يؤثرون عبد الله ابن الزبير على عمار ابن ياسر او يؤثرون اخلاط الناس ممن معك على المهاجرين والانصار، اتقي الله فلانك حرمة من حرم رسول الله صلع فاجابته عائشة بكلام غليظ ، وقال حاربه بن زيد في ذلك:

لعمري لقد احي اباه وجده \* واحي بني سعد بما قال حاربه

وفي لامير المؤمنين بعقده \* وقال لام المؤمنين علانية

تعديت امر الله يا عيش فارجعي \* الى سترك المعهود انك عاصية

وقاسمها في كل امر بقبضة \* وتلك امور بالعراقين باقية

فسرت بنو سعد ابن زيد بقوله \* ومالت بنو سعد اليه كما هيه

فرد لها قول الحتات وبعيه \* وعمرا ودانت من عميرة عاتية

وقال ابو بحر لها مثل قوله \* ولولا هما لم تدع للقوم داعية

فيا حي سعديها اطيعوا سراتكم \* وكونوا الى ان يفرغ القوم ناجية

ولا تسمعوا قول الزبير وصحبه \* ولا قول ام قد اتتكم بداهية

فان كنتم فيها تطول اكفكم \* الى الحرب فارضوا من علي بكافية

هما حارباه بعد ما بائعا له \* واحسبها عن نصرهاتين ناهية

فلما فشى شعره شمر جارية بن قدامة وحاربه بن زيد فلحقا بعلي عليه السلام وكان جارية بن قدامة يعد كالاحنف ، وارتحل امير المؤمنين علي ابن ابي طالب صلوات الله عليه بمن معه الى ذي قار وذلك بعد ان وصلته طي وبنو اسد.

وجاء عن ابي مخنف عن الحسن اين دينار عن الحسن البصري وعن حرير ابن يزيد عن الحكم عن محمد ابن علي قالوا لما نزل علي ابن ابي طالب عليهما السلام ذا قار اشاع طلحة والزبير انه انما نزل بها للذي بلغه من جدنا وجدنا وعددنا وعدتنا وتباشروا بذلك ، وكتبت عائشة الى حفصة ابنة عمر ابن الخطاب لع : اما بعد فاني اخبرك ان علي ابن ابي طالب قد نزل ذا قار واقام بها للذي بلغه من عدتنا فهو بمنزله الاشقر ان تقدم نحر وان تأخر عقر فدعت حفصة بجواريها ومراتهن ان يضربن بالدفوف ويتغنين ويقلن ما الخبر علي في سفر كالاشقر ان تقدم نحر وان تأخر عقر ، وجعل ابناء الطلقاء يدخلون على حفصة وجواريها يتغنين بذلك فبلغ ذلك ام كلثوم بنت علي عليه السلام فلبست جلابيبها ثم خرجت في نسوة منكرات فدخلت على حفصة وجواريها يتغنين والكتاب يقرأ فاسفرت ام كلثوم عن وجهها وقالت ان تظاهرا على ابي اليوم فقد تظاهرتما على جدي رسول الله صلع قبل اليوم ، فانزل الله عز وجل ان تظاهرا عليه فان الله هو مولاه وجبريل وصالح المؤمنين والملائكة بعد ذلك ظهير ، ثم قالت يا حفصة اني كنت عند ابيك فظلمني ميراثي، وكنت انت عند جدي فاخذت ميراثك، وقد شهدت انت وصاحبتك ان النبي صلع لا يورث لتمنعونا ميراثنا من ابينا، فقالت لها حفصة كفي رحمك الله وامرت بالكتاب فمزق وبلغ ذلك سهل بن حنيف الانصاري فقال :

عذرت الرجال بحرب الرجال \* فما للنساء وما للشغاب

اما حسبنا ما ابتلينا به \* لك الخير من هتك ذاك الحجاب

ويخرجها اليوم من بيتها \* يعرفها الحوأب نبح الكلاب

الى ان اتانا كتاب لها \* باقبح والله فحش الكتاب

اشتم علي يسوموننا \* فما فمن ردى دولا من عتاب

فقد جاءت اليوم بحرية \* بملأ الكتاب ووتر الرقاب

وعن الحسن ابن موسى عن ابي صالح عن ابي عمر مولى الزبير قال لما نزل علي ابن ابي طالب ع م ذا قار في قلة من معه صعد الزبير المنبر بالبصرة فقال الا الف فارس الا خمس مائة فارس اسير بهم الى علي فاتيته بياتا او اصلحه صباحا لعلي كنت قاتله قبل ان يأتيه امداده ، فلم يجبه احد فقال انا لله هذه والله الفتنة التي كنا نتحدث بها، فقال له مولاه رحمك الله يا ابا عبد الله تسميها الفتنة ثم تقاتل فيها، فقال الزبير ويحك انا والله لننصر ولكنا لا نبصر ، فاسترجع المولى فلما كان في الليل لحق بعلي عليه السلام فاخبره الخبر ، فضحك علي ع م ثم قال اللهم عليك به وقام طلحة بن عبيد الله فقال ان علي ابن ابي طالب ليث حرب بطل وهو لامرنا محتقر ، فلو اصبت ستمائة فارس مبائعين نلقيه فاصبت القوم وقد قطع بهم السير وطلع بهم المطي فكانوا نهزة ، وقال طلحة وقد اتاكم مع علي ابن ابي طالب منافقو مصر ونصارى العرب ونساجو اليمن ، فاذا لقيتم القوم فلا تقولوا ابن عم رسول الله صلع ومعه المهاجرون والانصار ، فضحك مروان بن الحكم وقال يا ابا محمد قد استبطأت هذا منك ولو كان على مكانك لم ينثن حتى ينتهزها ، فقال الزبير يئس والله الرامي امن علي ابن ابي طالب تنهزوا الفرص او مثلك يا طلحة يصبح مفقودا ، فقال له الاقاويل وبلغ عليا ع م مقام طلحة والذي قال فقام خطيبا فحمد الله واثنى عليه وصلى على النبي صلع وسلم وقال ان هذين الرجلين قدما البصرة وقد استجمع اهلها فمن عصاهم قتلوه ، وقد كان من قتل حكم ابن حبل ما قد بلغكم فكشفوا القناع وآذنوا بالحرب ثم قام طلحة بالامس فاخرجكم من دينكم وشتم اعراضكم ، وقد ارعد وابرق ، وقد كنت وما اهدد بالحرب ولا ارهب بالضرب وانا على ما وعدني ربي من النصر والله ما استعجل منخردا للطلب بدم عثمان الا خوفا من ان يطالب بدمه لانه مظنته ولم يكن في القوم احرص عليه منه فاراد ان يغالط بما احلب فيه لتلتبس الامور ويقع الشك ووالله ما صنع في امر عثمان واحدة من ثلاث ، لئن كان ابن عفان ظالما كما كان زعم لقد كان ينبغي له ان يوازر قاتليه او يناند ناصرته، وان كان مظلوما لقد كان ينبغي له ان يكون من المنهنهين عنه والمعندين فيه ، لئن كان في شك من الخصلتين لقد كان ينبغي له ان يعتزله وتر كدحا بنا ويدع الناس معه ، فما فعل واحدا من الثلاث ، وجاء بامر لم يعرف نابه ولم تسلم معاذيره ، فان طلحة وصاحبه قد ارعدا وابرقا وهذا امران معهما الفشل ولسنا نريد ان يلقوهم بفوق ما في انفسكم عليهم ولا يريدان ان يلقونا بدون ما في انفسهما علينا ولسنا نريد ان نرعد حتى نبرق ولا سبيل حتى نمطر ، وقد خرجوا من هدى الى ضلالة ودعوتموهم الى الرضى ودعوكم الى السخط فحل لكم بردهم ذلك القتال لهم وحل لكم بقصاصهم قد والله مشوا اليكم الصرا وادبرهم امس الجهل الجهر ، فاذا لقيتم القوم فاعذروا في الدعاء واحسنوا في البقية واستعينوابالله واصبروا ان الله مع الصابرين .

ولما نزل امير المؤمنين ع م بطن ذي قار بعث ابنه الحسن ابن علي ص ع وعمار ا بن ياسر وقيس بن سعد بن ابي عبادة الى الكوفة وكتب الى اهل الكوفة :

بسم الله الرحمن الرحيم من عبد الله علي امير المؤمنين الى من بالكوفة من المؤمنين والمسلمين سلام عليكم ، فاني احمد اليكم الله الذي لا اله الا هو ، اما بعد فان الله تبارك وتعالى اهل ان نحمده ونشكره ونثني عليه الخير ولا نكفره فانه هدانا لدينه واكرمنا بكتابه ومن علينا بنبيه صلع ففضلنا به على جميع خلقه فنحن نشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له وان محمدا عبده ورسوله بعثه لدينه ورضيه لتبليغ رسالاته فجعله خاتم النبيين وسيد المرسلين وحجة الله على جميع العالمين فقام بامر الله وامضى حدوده على ما احب العباد وكرهوا وعبد ربه حتى اتاه اليقين صلع ، قد علم الله اني كنت للحكومة بين امة محمد كارها ، فاراد الله امرا اسأل الله خيره واعوذ به من شره ، فاجتمع من كان قبلنا من الناس علي ليبايعوني وانا كاره لذلك اقبض يدي ويبسطونه وادخل منزلي وستخرجوني وذكروا انه لو وجدوا احدا احمل لهذا الامر وارضى لانفسهم اتوه وتركوني حيث اتيت عليهم ، وما اقول هذا تزكية لنفسي ، فلما رأيت ذلك استخرت الله ثلاث ليال كل ليلة مائة مرة وتخوفت على امة محمد صلع ولاية الفجار عليهم فاعطيت الله تعالى وبذلت مهجتي في طاعة ربي وسنة نبيه صلع الى آخر عمري ، وذلك لله ولرسوله قليل مني للذي انعم الله به علي فاتقوا الله عباد الله فان الله لم يرض من اهل القرآن بتلاوته دون العمل به وانما مثل من حمل القرآن وفقه في الدين وترك الجهاد لمن عصى الله كما قال الله تعالى مثل الذين حملوا التوراة ثم لم يحملوها كمثل الحمار يحمل اسفارا ، فالله الله فيما حملكم من كتابه وفقهكم من دينه فوالله ان الامر لجد ما فيه هزل وانه لا تسع اهل القرآن ان يقاسوا بالمستضعفين والجهال والغلمة الاطفال ولا بالنساء بالحجال ، ايها الناس فجدوا في الشخوص معي فوالله اني لعلى بينة من ربي وعهد من نبيي محمد صلع ولئن مت ولم تنصروني ليذلوني بعدي ولتمنون حياتي حين يظفر بكم من انتم اولى بالحق منه فيعذبوكم ويعذبهم الله بايديكم او بعذاب من عنده، قد ابلغتكم واعذرت اليكم ونصحت لكم واستغفر الله لي ولكم ، وقد بعثت اليكم الحسن ابن علي وعمار ابن ياسروقيس ابن سعد يدعونكم الى رشدكم والجهاد لعدوكم ، وان تسار فيكم بسيرة نبيكم صلع وتستخربون الولاة بعدي فيعرفون نصحي وصدقي والله المستعان عصمنا الله واياكم بالتقوى، ووفقنا واياكم لما يحب ويرضى ، والسلام.

وكتب امير المؤمنين ع م الى ابي موسى الاشعري وكان قد ظهر نفاقه وتثبطه الناس عن الخروج الى امير المؤمنين سلام الله وصلوته عليه:

بسم الله الرحمن الرحيم ، من عبد الله علي ابن ابي طالب امير المؤمنين الى عبد الله ابن قيس اما بعد يا ابن الحائك فاني كنت لا ارى ان ابعدك من هذا الامر الذي لم يجعلك الله له اهلا ولم يجعل لك فيه نصيبا ، سيمنعك من رد امري والا --- علي، وقد بعثت اليك بعبد الله ابن عباس ومحمدا ابن ابي بكر فخلهما والمصر واهله واعتزل عملنا مذموما مدحورا ، فان فعلت والا فاني قد امرتهما ان ينابذاك على سواء ان الله لا يهدي كيد الخائنين ، ولا يصلح عمل المفسدين ، فاذا ظهرا عليك قطعاك اربا اربا والسلام على من شكر النعمة ووفي بالبيعة وعمل لله ورجاء العاقبة.

وحين بلغ اهل الكوفة ورود الحسن ابن علي عليهما السلام وعمار ابن ياسر اليهم شاوروا واجمعوا على ان وجهوا هند الجملي للقائهما ويسأل عمارا عما سمعه من رسول الله صلع في ذلك ، وقد كان انتهى اليهم انه سمع من رسول الله صلع فيه قولا فمضى هند الجملي حتى لقيهما بموضع يقال له قرع البيضاء وهما نازلان، فخلى بعمار، ثم قال له فصره من طويلة انا رائد القوم والرائد لا يكذب اهله وقد ارسلوني اليك لتخبرني مما سمعت من رسول الله صلع في هذا الامر ، قال عمار اشهد بالله لقد امرني رسول الله صلع ان اقاتل مع علي ع م الناكثين والقاسطين واشهد لقد سمعته صلع يقول اقاتل على التنزيل ويقاتل علي ابن ابي طالب على التأويل ، فقال هند الله الذي لا اله الا هو لسمعته من رسول الله صلع ، قال عمار الله الذي لا اله الا هو لسمعته من رسول الله صلع فعطف هند راجعا فاستقبله الناس فقالوا ما وراءك قال الحق فمن شاء ان يقاتل ومن شاء ان يقعد، ثم اخبرهم خبر عمار .

ووصل الحسن ابن علي وعمار ابن ياسر وقيس الكوفة، فلما اجتمع الناس اليهم قرأوا كتاب امير المؤمنين ع م وارتقى الحسن ابن علي صلوات الله عليه على المنبر وهو شاب حدث فرماه الناس بابصارهم وفيما من تميم بن جذام الباهلي قال والله اني لارثي له لصغر سنه وصعوبة مكانه والناس يقولون اللهم سدد ابن بنت رسول الله نبيك صلع فوضع الحسن ع م يده على عمود المنبر يتساند عليه وكان عليلا من شكوى كانت به وخطب ص ع فقال :

بسم الله الرحمن الرحيم ، الحمد لله العزيز الجبار ، الحليم الغفار ، الواحد القهار ، الكبير المتعال ، سواء منكم من اسر القول ومن جهر به ومن هو مستخف بالليل وسارب بالنهار ، احمده على حسن البلاء وتظاهر النعماء على ما نالنا من شدهة ورخاء ، اشهد ان لا اله الا هو وحده لا شريك له واشهد ان محمدا عبده ورسوله امتن عليه بنبوته ، واختصه برسالته ، وانزل عليه وحيه واصطفاه على جميع خلقه ، ارسله الى الجن والانس حين عبدت الاوثان واطيع الشيطان وكفر بالرحمن فقال وما ارسلناك الا رحمة للعالمين ، وصلى الله عليه وآله وسلم وجزاه افضل ما جزى المرسلين ،

اما بعد فاني لا اقول الا ما تعرفون ، وان عليا امير المؤمنين ارشد الله امره واعز نصره وقدر له خير قدره بعثني اليكم ادعوكم الى الصواب والعمل بالكتاب والجهاد في سبيل الله وان كان في عاجل ذلك ما تكرهون ، فان في آجله ما تحبون ان شاء الله ، وقد علمتم ان عليا ص ع صلى مع رسول الله صلع قبل ان يعبد الله احد من هذه الامة غير رسول الله صلع وانه يوم صدق به لفي صغر من سنه ثم شهد مع رسول الله صلع كل مشاهدة فكان من اجتهاده في طاعة ربه ومرضاته وآثاره الحسنة في الاسلام ما قد بلغكم ، ولم يزل رسول الله صلع راضيا عنه حتى اغمضه بيده وغسله وحده والملائكة اعوانه والفضل ابن عباس ينقل الماء اليه ، ثم ادخله حفرته، وقد اوصاه بقضاء دينه وعداته وغير ذلك من امور ذكرها له كل ذلك مما من الله به عليه ، ثم والله ما دعى الى نفسه مع المعروف من عمله وفضله ولقد تداك الناس عليه تداك الابل الهيم عند ورودها فبايعوه طائعين غير مكرهين ثم نكث منهم ناكثون بلا حدث احدثه ولا خلاف اتاه حسدا له وبغيا عليه ، فعليكم بتقوى الله والجد والصبر والاستعانة بالله والحفوف الى ما دعاكم اليه امير المؤمنين. ايها الناس انا ندعوكم الى الله والى كتابه والى رسوله والى افقه من تفقه من المسلمين والى عدل من تعدلون والى افضل من يفضلون والى اوفى من تبايعون ، من لم يعنفه القرآن ولم يجهله السنة ولم يقعد به السابقة الى من قربه الله الى نبيه صلع قرابة الدين وقرابة الرحم الى من سبق الى كل مأثرة حتى كفى الله به نبيه والناس متخاذلون فقرّبه وهم مباعدون ، وصلى معه وهم مشركون ، وقاتل معه وهم منهزمون ، وبارز معه والناس محجمون ، وبايع له وهم صادون ، الى من لم ترد له رأية ولا تبلغ له غاية ولا تكافأ له سابقة وهو يسألكم النصر ويدعوكم الى الحق ويأمركم بالمسير اليه لتوازروه ولتنصروه على قوم نكثوا بيعته ، وقتلوا اهل الصلاح من اصحابه، ومثلوا بعماله وانتهبوا بيت ماله فاشخصوا اليهم رحمكم الله ، ومروا بالمعروف وانهوا عن المنكر، واحضروا بما يحضر به الصالحون عصمنا الله واياكم بما عصم به اوليائه ، والهمنا واياكم تقواه واعاننا واياكم على جهاد اعدائه واستغفر الله لي ولكم .

وقام عمار ابن ياسر رضوان الله عليه فحمد الله تعالى واثنى عليه وصلى على النبي وقال :

ايها الناس هذا اخ نبيكم وابن عمه يستفزكم لنصر دين الله لحق ربكم وحق ربكم اوجب من كل حق، وحرمته اعظم من كل حرمة ، اما بعد ، فانا لما خشينا على هذا الدين ان ينفري اديمه ، وان يهي من جوانبه نظرنا لانفسنا وديننا فاخترنا عليا امير المؤمنين عليه السلام لانفسنا ورضيناه خليفة لنا واماما وهاديا ودليلا وبدلا ممن كان قبله ، فنعم الخلف ونعم البدل مودبا لا يؤدب ، وفقيها لا يعلم وصاحب بأس لا ينكل وسابقة في الاسلام ليس لاحد من الناس اخو رسول الله صلع ووصيه وخير من خلفه من بعده ، فانهضوا اليه رحمكم الله فان عصابة من الناس حلفوه عليه وتوجهوا الى البصرة عاصين لله باغين عليه حاسدين له ولو قد حضرتموه ورأيتموه تعين لكم انهم ظالمون، وهذا ابن بنت نبيكم صلع يستفزكم وقد ابتلاكم به لينظر كيف تعملون ، ايها الناس كتاب الله بينكم وسنة نبيه فيكم ، ما درست المصاحف ولا عفى الاثر ولا قدم العهد بالسيرة ولا الاحداث التي حدثت من خفي فيجهل جاهل ويقول قائل وما ينكرون من حديث عثمان واستكباره ومخالفته ، فوالله ما عدل في الحكم ولا انصف في القسم ولا تحرم بالتوبة ولا رجع عن الاساءة ولا صدق فيما قال ولا اعذر فيما فعل ولا اقتدى بمن مضى ولارتأى ممن بقي وما قتله المسلمون وفيه بقية من خير يرجى لها اليوم ، ولا اول يكف عنه بها امس، ولقد حول هذا الامر الى محوله ونقل الى منقله الى اعظم الناس حلما واقدمهم سلما ، واعلمهم بذات الله وافقههم في دين الله واروعهم في حرمة الله واعلمهم بكتابه وسنة نبيه صلع واقربهم به رحما واعلاهم في الخير يدا ، فالى من تمد الاعناق بعده ، اما تستحي الناكثون طلحة والزبير واصحابهما الناقضون لعهد الله التاركون لدينهم والمخرجون زوجة نبيهم والمفرقون جماعة المهاجرين والانصار فانفروا رحمكم الله الى امير المؤمنين ع م فخذوا نصيبكم منه ومن الله في نصرته والجهاد في سبيله معه ، ثم قعد .

وقام قيس ابن سعد ابن ابي عبادة فحمد الله واثنى عليه وصلى على النبي وقال ايها الناس ان هذا الامر لو استغلبناه بعد وفاة رسول الله صلع لكان علي احق بها ولكان قتال من ابى ذلك حلالا وحجته علىطلحة والزبير انهما بايعاه رغبة ثم خالفاه حسدا وجاءكم المهاجرون والانصار يستفزونكم فانصروا الله ينصركم .

فقام شريح برهاني الحارثي فقال : والله لقد كنا اردنا ان نركب الى المدينة لنعلم علم عثمان ابن عفان فقد اتانا الله به في بيوتنا ، والله لو كان قتل عثمان ابن عفان رضى لله لكان علي اول راض به ، ولو كان بسخط الله لكان علي اول ساخط له ، وفي تكشفه احياء البلاء ، والله لا نعدو امر علي امير المؤمنين ولا نتخلف عن دعوته ،ولو لم تستنصرنا نصرناه سمعا وطاعة ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم .

--- زيد بن صوحان فحمد الله تعالى واثنىعليه وصلى على النبي ثم قال ايها الناس ما في الله ولا في نبيه من شك ولا بالحق والباطل من خفى ولا في النور والظلمة مختلف ، وانكم على سبيل حق وصراط هدى في بيعة مرضية لا يقبض يده عنها موفق ولا يبسط يده اليها مخطئ هل تعلمون لعلي ابن ابي طالب عليه السلام من خلف، او هل تعلمون له موازنا في حلمه وعلمه وسوابقه وخلائقه مقدم رسول الله صلع ومؤخره من بعده ، هل تنقمون له سابقة او يكدمون له لاحقة ، او تريدون به بدلا ، او تخافون له جهلا ، اليس هو صاحب المواطن التي من فضلها لا يعدون به شيئا ، فمن لعمود هذا الدين ونظامه الا هو ، الم يقبض رسول الله صلع واثرته عنده اثره ، وخاصته عنده ورحمته به رحمة وفقهه عنده فقه ، ثم تولى ابو بكر وعمر امر الناس فمضيا لسبيلهما وتولى بعدهما عثمان ذئب ثلة يأكلها ثروة ويطعمها جورا ويقسمها مستأثرا ، ويوضع في دمائها مره وفي اموالها لا تقصم عنها نابا ويكلم عنها ظفرا ، فلما فضحه الله باعماله استتابه المسلمون فلم يتب ووعظوه فلم يتعظ ، وكاشفوه فلم يستحيي فصرعه الله لحينه واوبقه بعمله، غير مقر بالحق ، ولا راجع عن الخطا ، وانتم اليوم من موقع الامر على الحق غير الباطل وعلى الثقة غير الغرور ، وعلى اليقين غير الشك وعلى القصد غير الجور ، فاجيبوا امير المؤمنين وسيد المسلمين فانه لا يستعينكم ان تخذلوا امامكم ولا تضيعوا دينكم فانفروا اليه وتمسكوا بطاعته ، وفقنا الله واياكم لارشد امره .

ثم قام صعصعة بن صوحان فقال انصر امير المؤمنين ونحن اليه احوج وهو عنا اغنى وما وسعه الله الا الذي صنع وما وسعنا الا الذي صنعنا والاعمال كلها لتحرضنا عليه وتدعونا اليه سوابقه في الاسلام وفقهه في الدين وقربه من الرسول وعلمه بالقرآن ورغبته عن الحرام وبصره بالسنة واجتهاده في العبادة وزهده في الدنيا ورغبته في الآخرة ، ولا اصبحت خصلة نخشاها عليه وانا اول من اجابه وقد بايعت وسلمت فلا رفعت يد نكثت من النسخة المتممة المذكورة فيما مضى من \_\_\_

وقالم حجر ابن عدي الكندي فقال ايها الناس هذا الحسن ابن علي وهو من قد عرفتم احد ابويه رسول الله صلع والآخر من ليس له عديل من امة محمد صلع وهو رسول ابيه اليكم يدعوكم الى الحق ويسألكم النصر لدين الله فالسعيد من ايده ونصره والشقي من صدّ عنه وجحده ، فاتقوا الله رحمكم الله وانفروا اليه خفافا وثقالا وجاهدوا في سبيل الله باموالكم وانفسكم لعلكم تفلحون.

ثم قام هند ابن عمر الجملي فقال ان رسول امير المؤمنين قد جاءتكم فاهلا وسهلا وقد امرنا بالمسير اليه والموازرة له فاجبنا الى ما دعانا فنحن اليه سائرون على بركة الله وآمر نفسي واياكم بتقوى الله الذي نحن اليه راجعون وان تلحقوا بامير المؤمنين ولا حول ولا قوة الا بالله .

ثم قال عبد الله ابن ربيعة ابن قدامة السلمي فحمد الله واثنى عليه وصلى على النبي ثم قال :ايها الناس ان هذا ابن بنت نبيكم واوجب الناس عليكم حقا قد اتاكم يستفزكم الى امير المؤمنين لينصروه ويوازروه على اهل الشقاوة والخلاف لجماعة المسلمين الناقصين لعهدهم فاتقوا الله رحمكم الله فانه اولى الناس بهذا الامر واحقهم به قديما وحديثا لقرابته من الرسول صلع وسوابقه التي ليس لاحد مثلها فسارعوا الى خليفتكم وقوموا معه فيما يجب عليكم ترشدوا ان شاء الله تعالى ، فلما اجاب اهل الكوفة بما اجابوا قال قيس بن سعد الانصاري :

جزى الله اهل الكوفة اليوم انهم \* اجابوا فلم ينظر الى خذل من خذل

وكان علي يأمل النصر منهم \* فلم يظهروا البلوى ولم يخلفوا الامل

وقالوا علي خير حاف وناعل \* رضينا به من ناقضي العهد من بدل

وان الزبير المصطلي بشرارها \* وطلحة ذاك الضارب الحق بالحيل

هما ابرزا زوج النبي سفاهة \* يسوق بها الحادي المشح على جمل

فما هكذا كانت وصاه نبيهم \* وما هكذا الانصاف اعظم بذا المثل

فهل بعد هذا من مقال لقائل \* لا قبح الله الاماني بالعلل

وقال النحاشي الحارثي في ذلك :

رضينا به قسما اذا كان قسمنا \* علي وابناء النبي محمد

تقول له اهلا وسهلا ومرحبا \* وملأ يديه من هوى وتودد

وما للزبير الناقض العمد حرمة \* ولا لاخيه اليوم من بد

فمرنا بما تهوى تجبك الى الرضى \* بسمر العوالي والصفيح المهند

وتسويد من سودت غير مدافع \* وان كان من سودت غير مسود

وان كان ما تهوى فداك مرادنا \* وان تحظ ما تهوى فغير تعمد

فلما رأى ابو موسى الاشعري ما اجاب به الناس قام فخطبهم وقال فيما قاله ان لكم حقا وانا مؤديه اليكم ، ان هذه فتنة صماء النائم فيها خير من اليقظان ، واليقظان خير من الجالس والجالس خير من القائم ، والقائم خير من الساعي، والساعي خير من الراكب ، فاطيعوني وكونوا جرثومة من جراثيم العرب فاغمدوا السيوف وقطعوا الاوتار يأوي اليكم المظلوم والمضطهد حتى تلتئم هذا الامر ، وتنجلي هذه الفتنة ، فاني سمعت رسول الله صلع يقول ان بين يدي الساعة لهرجا ، قالوا ما الهرج ، قال القتل ، فقال اصحابه يا رسول الله صلع انا لنفتل في هذه الفتنة كذا وكذا ، قال ليس قتلكم المشركين ولكن قتل بعضكم بعضا ، قالوا وفينا كتاب الله، وقال وفيكم كتاب الله ، وقالوا ومعنا عقولنا ، قال ومعكم عقولكم ، يؤخر لذلك هبأ من الناس يحسبون انهم على شيء وليسوا على شيء.

فصاح رجال الى ابي موسى فما النجاء من ذلك ؟

قال الخروج مما دخلنا فيه ولزوم منازلكم وان اردتم الدنيا فسيروا مع هؤلاء الى علي فاطاعه نفر فتخلفوا ، ولما فرغ من خطبته قام عمار ابن ياسر فقال ايها الناس قد سمعتم ما قال صاحبكم وما نهاكم عنه من الشخوص الى هذين الجمعين ، ولعمري ما صدق فيما قال وما يرضي الله من عباده بالذي ذكر ، لقد انزل الله علينا قرآنا بين فيه طاعته ومعصيته واحكم فيه احكامه فقال تعالى يا ايها الذين آمنوا اذا لقيتم الذي كفروا فضرب الرقاب حتى اذا اثخنتموهم فشدوا الوثاق فاما منا بعد واما فداء حتى تضع الحرب اوزارها، وقال في ملة اخرى ملة اهل الكتاب قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله ولا يدينون دين الحق من الذين اوتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون ، فجعل حكم هؤلاء الدخول في الاسلام او الجزية وهم صاغرون ، وسبى رسول الله صلع ذراريهم واخذ اموالهم ، وقال في طائفة اهل الملة وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فاصلحوا بينهما فان بغت احداهما على الاخرى فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء الى امر الله فان فاءت فاصلحوا بينهما بالعدل واقسطوا ان الله يحب المقسطين ، وقال في آية اخرى قاتلوهم حتى لا تكون الفتنة ويكون الدين كله لله ، فلم يرض دينا من اهل طاعته من عباده ان تجلسوا في بيوتهم ويخلو بين الناس يسفك بعضهم دماء بعض ، فسيروا رحمكم الله الى هذين الجمعين فاسمعوا من حجتهم وانصرفوا من اوفى بالعهد فالنصر فيما افترض الله عليكم ، فان اصلح الله امرهم وجمعه فانتم مأجورون وقد قضيتم حق الله عليكم وان بغى بعضهم على بعض نظرتم الى الفئة الباغية فقاتلتموها كما امركم الله وافترض عليكم ،

ثم التفت عمار الى ابي موسى الاشعري فقال انت تشهد يا ابا موسى انك سمعت من رسول الله صلع يقول سيكون بعدي فتنة الماشي فيها خير من الراكب ، قال ابو موسى هذه بدى بما قلت ، فقال ان رسول الله صلع انما نهاك وحدك لئن لا تكون مع المضلين واما انا فانا اشهد ن رسول الله صلع امر عليا بقتال الناكثين وسمى له طلحة والزبير، وامره بقتال القاسطين وسمى له معاوية، وامره بقتال المارقين وسمى له اهل النهروان والطرقات ، ثم قال له يا ابا موسى كم كانوا اصحاب العقبة الذين ارادوا ان ينفروا رسول الله صلع ، فقال ابو موسى الاشعري ثلثة عشر نفر، فقال عما لئن كنت منهم لقد كانوا اربعة عشر رجلا وقد لعنهم رسول الله صلع ، قال ابو موسى افما استغفر لي ، قال عمار شهدت اللعن ولم اشهد الاستغفار .

فلما سمع الناس قول عمار عرفوا فضله على ابي موسى فقالوا يا ابا اليقظان انك قد كنت مع رسول الله صلع بالمكان الذي تعلم هل سمعت رسول الله صلع يذكر هذا الحرب، فقال عمار اشهد ان رسول الله صلع امر بقتال الناكثين وسمى طلحة والزبير واصحابهما وامر بقتال القاسطين وسمى لنا معاوية واصحابه ، وامر بقتال المارقين من اهل النهروان ، وان رسول الله صلع قال علي مع الحق والحق معه لا يفترقان حتى يردا علي الحوض يوم القيامة .

--- مالك الاشتر الى امير المؤمنين ص ع فاستأذنه ان يلحق بالحسن ابن علي ع م ومن معه فبعثه الى الكوفة على آثارهم فخرج الاشتر حتى اتى الكوفة فدخل المسجد والناس فيه مجتمعون --- خطيبا فحمد الله تعالى واثنى عليه وصلى على النبي ثم قال :

ايها الناس اصيخوا نحوي باسماعكم وارموا الي بابصاركم وتفهموا قولي بقلوبكم ، ان الله عز وجل قد انعم الله عليكم بالاسلام ، نعمة لا تقدرون قدرها ولا تبلغون كنهها ولا تؤدون شكرها ، انكم كنتم اعداء يأكل قويكم ضعيفكم وينتهب كثيركم قليلكم ، الحرمات عندكم محللة ، والسبل مخوفة والارحام مقطوعة ، والدماء مسفوكة ، والاوثان معبودة ، وكل اهل دين لكم قاهرون فمن الله عليكم بمحمد صلع فجمعكم بعد الفرقة والّف بينكم بعد العداوة فاصبحتم بنعمته اخوانا ثم قبضه الله اليه صلى الله عليه فولى بعده رجلان فاجتهدا فيما كانا فيه وولى بعدهما رجل نبذ كتاب الله وراء ظهره وعمل بالهوى وآثر الحيوة الدنيا ، واحدث في الاسلام احداثا عظاما فوهى لذلك عهد الاسلام وتضعضعت اركانه فاستتبناه مرة بعد مرة كل ذلك يظهر التوبة ويبطن الاصرار على السوءة فسألناه ان يعتزل امورنا فكان حكمه علينا هلاكا لديننا ودنيانا ، فلا يبعد الله لا الظالمين ،

ثم اجتمع الناس فبائعوا اعظم الناس في الاسلام نصيبا وافضلهم فيه قدما واكثرهم علما واقربهم برسول الله صلع رحما ، فانفروا اليه وانصروا دين الله معه، ولعلكم تنتظرون سعيد ابن العاص القائل ان سوادكم ومراكز رماحكم ليستان له ولاهل بيته، والوليد ابن العتبة شارب الخمر، قبح الله رأيا بدى لكم على خذلان امير المؤمنين، الا فاني ناصح لكم، عليكم حدب مشفق ان كنتم تعقلون ، فاصبحوا على اسم الله غادين الى قتال الناكثين ، فان هذا وجهي الى هنالك ان شاء الله ولا قوة الا بالله .

--- امير المؤمنين ع م عدي ابن حاتم الطائي وعبد الله ابن العباس وعبد الله ابن جعفر ابن ابي طالب وكتب معهم :

بسم الله الرحمن الرحيم ، من علي ابن ابي طالب امير المؤمنين ابى من بالكوفة من المؤمنين والمسلمين سلام عليكم ، اما بعد ، فاني اخبركم عن عثمان حتى يكون سماعه كعيانه، ان الناس طعنوا علىعثمان فكنت رجلا اقل عيوبه واكثر استعتابه ، وكان طلحة والزبير اهون سرهما الوحيف وقد كان من عائشة في امره فلتة على غضب فاتيح له رجال فقتلوه ثم بائع لي الناس غير مستكرهين وكان طلحة والزبير اول من بايعني ثم استأذنا الى العمرة وهما لا يريدانها ، فاذنا بالحرب واخرجا عائشة من بيتها ليتخذاها فتنة للناس وقدما البصرة ولعمري ما اتاني تجيبون الا الله ورسوله ولن اقاتلهم وفي نفسي حاجة، وقد بعثت اليكم رسلي مستنفرين.

فلما قدم هؤلاء الرهط الكوفة وقرؤا كتاب علي ع م على الناس قام عبد الله ابن عباس وعبد الله ابن جعفر فرغبا الناسا في الجهاد ودعواهم الى الخروج ثم جلسا ، وقام عدي ابن حاتم فقال :

الحمد لله لا نشرك به شيئا وصلى الله علىمحمد النبي وآله وسلم ، اما بعد ، فاني اخبركم ان الناس دلفوا الى امير المؤمنين علي ابن ابي طالب ع م باجمعهم يطلبون اليه ان نتولى امرهم فابى ذلك عليهم فقالوا انا لو وجدنا احدا اهلا لهذا الامر واولى منك لاتيناه فلم يزل الناس به حتى اجابهم فبايعوه طائعين غير مكرهين ، ثم خالفه منهم مخالفون ونكث منهم ناكثون ولست فاعلا فعلهم وسالكا سبيلهم ولكني موف بيعتي وخارج الى ولهي ، ومن اتبعني ان شاء الله .

وقد كان ابو الهيثم بن التيهان بعث معهم شعر وهو هذا :

ايها الناس اتتكم جلة \* ذاك عمار وقيس والحسن

سيد الانصار قيس كلها \* ليس في عزة قيس من دنن

ثم عمار تقي مؤمن \* ميت الداء بصير بالفتن

وهما من حسن في فضله \* بمكان المذق من محض اللبن

وبهم كانوا عيونا خلت \* لا يكون الدلو الا بالرسن

قد اتتكم من علي آية \* انه فينا امين مؤتمن

فانصروا الله وكونوا حزبه \* ما لهذا من عطاء من ثمن

قد دعانا حين اوهى ديننا \* جدة الغي واخلاق السنن

فاجبناه ولستم مثلنا \* وتركنا الهزل من هن وهن

ولنا فضل عليكم بالذي \* فضل الله بها اهل المنن

ولكم فينا بهذا اسوة \* كلما قلنا من هذا حسن

فاقبلوا القول وبيعوا انفسا \* ليس فيما بعتم الله غبن

يكرم الله بهذا كله \* عارف الفضل ومن يجحد يهن

انما البصرة عدوا نقعه \* ود من حل بها لو لم تكن

فزاد قول ابي الهيثم الناس يقينا وقام ابو موسى الاشعري فقال ايها الناس والله ان بيعة عثمان ابن عفان لفي عنق علي ابن ابي طالب وعنقي وفي اعناقكم ، فاذا اردتم قتالا فما ينبغي لكم الا ان تبدوا بقتله عثمان ، فقام عما بن ياسر فقال :

ايها الناس ان كانت غابت عنكم انباؤنا فقد تناهت اليكم امورنا ، ان قتله عثمان لا يعتذرون الى الناس من قتله ، وقد جعلوا كتاب الله بينهم وبين مخالفيهم وفيه احياء من احي وقتل من قتل ، وان طلحة والزبير اول من طعن وآخر من امر واول من بايع لامير المؤمنين ع م فلما اخطأا ما املا نكصا على اعقابهما ونكثا بيعتهما ، وقد اظلكم المهاجرون والانصار فانصروا الله ينصركم ، ثم اقبل على ابي موسى فقال اخبرني يا ابا موسى عن عثمان ابن عفان قتل مظلوما او ظالما ، قال مظلوما ، قال فالعن قاتليه ، قال لا احب ان اكون لعانا ، قال فانا اذم انصاره فما تقول فيّ ، قال ابو موسى لو كانوا نصروه لله قلت فيكم ، قال عمار فتسمي قاتله محدثا ، قال نعم ، قال فان علي ابن ابي طالب ص ع آوى قتلته وقد قال رسول الله صلع في الحديث وفيمن آواه ما قال ، قال ابو موسى يرحم الله علي ابن ابي طالب ع م، قال عمار فما يمنعك من طلحة والزبير ان تكون معهما ، قال يمنعني انهم وعثمان كما قال ابو ذوئيب :

اتوني وقالوا يا خويلد لا ترع \* فقلت وانكرت الوجوه هم هم

قال عمار سبحان الله لا قاتلا تلعنه ولا ناصرا تولاه ، هكذا ضلت اليهود ، قال ابو موسى الاشعري اليك يا عمار قد علمت الذي تريد يعني انه كان يهوديا ، قال عمار اتدري ما اخذت وما اعطيت ، قال لا قال فحسبك .

ودخل علياء بن الهيثم السدوسي المسجد وابو موسى الاشعري يخطب ويخذل الناس عن امير المؤمنين ع م ويثبطهم فرفع علياء صوته وابو موسى ينظر اليه فقال ايها الناس سيروا الى ابن عم نبيكم صلع اولى الناس بهذا الامر قديما واولاهم به اليوم ،

فقال ابو موسى انك تقول الكذب وتدعو الى الضلال الباطل ، والله اني لاظن الله سيقتلك في هذه الفتنة

فقال علياء ان قتلت قتلت على حق ومع اهل الحق وانت ضال مضل تدعو الى الضلال وارجو ان يميتك الله على ندامة وضلالة فامر مالك الاشتر رجلا من النخع وقال خذ بيد هذا الحمار يعني ابا موسى فانزله عن المنبر فاقبل النخعي حتى اخذ بيد ابي موسى فانزله عن المنبر واخرجه من المسجد .

واجاب اهل الكوفة وصاح من في المسجد باجمعهم قد اجبنا دعوة امير المؤمنين ولبينا رسله وجدوا وازمعوا علىالمسير وبلغ حذيفة ابن اليمان وهو في المدائن قدوم الحسن ابن علي وعمار ابن ياسر يستنفران الناس الى علي ع م فجمع اصحابه فوعظهم وذكرهم وزهدهم في الدنيا ورغبهم في الآخرة ، ثم قال اتقوا الله والحقوا بامير المؤمنين وسيد المسلمين علي ابن ابي طالب فان في الحق ان ينصروه وقد بلغني ان الحسن ابن بنت رسول الله صلع وعمار ابن ياسر صاحب رسول الله صلع قدموا الكوفة الا فانفروا اليهما فنفر اصحاب حذيفة الى الحسن عليه السلام ووافوه وهو في الكوفة فساروا معه ومكث حذيفة بعد ذلك خمس عشرة ليلة ثم توفي رضوان الله عليه ، وكان من اصحاب رسول الله صلع من اهل الفضل والدين والعبادة.

--- عن ابي مخنف عن محمد ابن اسحاق عن الكلبي عن ابي صالح عن ابن عباس قال صلى بنا الحسن بن علي عليهما السلام صلوة العصر واستخلف على الكوفة قرظة بن كعب الانصاري وكان علي ع م امره بذلك ونادى الناس بالخروج وكان مقدمه الكوفة في جمادى الاولى سنة ست وثلاثين وخرج الى امير المؤمنين علي ابن ابي طالب ع م من اهل الكوفة خمسة آلاف وخمسمائة وستة وستون رجلا منهم الف رجل من عبد القيس فما مكث علي ع م من مسير الحسن ع م خمس عشرة ليلة حتى سمع صهيل الخيل وشحيح البغال فوافوه بذي قار

--- عن هشام عن ابي مخنف عن مالك بن زيد ين وهب قال تنازع الناس في الخروج الىعلي ع م ، كان جل من خرج اليه اليمن ، فلما سرنا مرحلة وكنت قد سمعت امير المؤمنين ع م يذكر عدة من يخرج اليه من اهل الكوفة فقلت في نفسي لو عرفت عددهم فقال فقعدت لهم اعدهم فوالله ما وجدتهم يزيدون رجلا ولا ينقصون رجلا فقلت اكبر وحمدت الله وقلت صدق الله ورسوله وتجهز اله الكوفة في خروجهم الى علي ع م من صلب اموالهم لم يعطهم الحسن ابن علي ص ع من بيت المال شيئا وجاؤا الى امير المؤمنين ع م يجنبون الحبل ، فلما وصلوا الى امير المؤمنين ع م سلموا عليه وقالوا الحمد لله يا امير المؤمنين الذي اختصنا بموازرتك واكرمنا بنصرتك قد اجبناك طائعين غير مكرهين .

--- امير المؤمنين علي ص ع خطيبا فيهم وهو معتم بعمامة سوداء ملتف بسلاحه فقال : يا معشر من حضر ليبلغ الشاهد منكم الغائب ان الحمد لله كثيرا علىكل امر واوان وفي حال بالغدو والآصال ، ثم اني اشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له وان محمدا عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله بعثه رحمة للعباد والبلاد والشجر والدواب حين امتلأت الارض ضلالا وفتنة واضطرب حبلها وعبد الشيطان في اكنافها واستمال عدو الله ابليس اهلها ، فكان الذي اخمد الله به نيرانها واطفأ شرارها ونزع به اوثانها واقام به ميلها محمد ابن عبد الله صلع امام الهدى والنبي المصطفى، واني سمعت رسول الله صلع يقول ما من وال يبلي امتي من بعدي الا اتي يه يوم القيامة مغلولة يده الى عنقه على رؤس الخلائق ثم ينشر كتابه فتقرأ الملائكة صحيفته بسيرته فان كان عادلا نجى ، وان كان ظالما جائرا هوى وانتقض به الصراط انتقاضة الى الدرك الاسفل من النار،

وقد كنت لا يسعني ردكم حين اجتمع علي ملأكم ، فان انتم معاشر هذه الامة سمعتم قولي واطعتم امري اقمتكم على المحجة البيضاء الواضحة من كتاب الله وسنة رسوله صلع، وان انتم ثنيتم اعناقكم فهذا سيفي حتى يحكم الله بيني وبينكم وهو خير الحاكمين ، ثم قال لهم يا اهل الكوفة انتم افضل اهل الاسلام سهما، واجودهم مركبا في العرب وانتم بيوتات العرب ووجوهها وفرسانها ومواليكم من اهل فارس اعوانكم واكفاؤكم ادالكم الدهر عليهم ، وانتم اشد العرب مودة للنبي صلع ولاهل بيته فلذلك بعثت اليكم واستنفرتكم عند نقض طلحة والزبير بيعتي وخلعها اياي واقبالها بعائشة الي واخراجهما اياها من حرم الله وحرم رسول الله من غير جور مني في حكم ولا حدث ولعمري لو لمن تنصروني لرجوت ان يكفيني الله غوغاء الناس وطغام اهل البصرة مع ارغامه من بها من وجوهها واهل الفضل فيها والذين قد اعتزلوا الزبير والطلحة،

فقال الناس يا امير المؤمنين قد دعوتنا فاجبناك، ولو دعوتنا الى اضعافهم لنهدنا اليهم صابرين محتسبين فانطلق بنا حيث احببت.

ولما قدم اهل الكوفة الىامير المؤمنين ص ع دعى عمران ابن الحصين الخزاعي فارسله الى طلحة والزبير وعائشة وكتب الى طلحة والزبير ، وقال عليه السلام في كتابه :اما بعد فاني اخبركما ان قد علمتما وان كتمتما اني لم اراد الناس حتى ارادوني ، ولم ابايعهم حتى بائعوني ، وكنتما ممن ارادني وبايعني، وان العامة لم تبايعني لسلطان عاص ولا لعرض حاضر، فان كنتما بايعتماني طائعين فارجعا وتوبا ، وان كنتما بايتعماني كارهين فقد جعلتما لي السبيل باظهاركما الطاعة واسراركما المعصية، ولعمري ما كنتما باحق المهاجرين بالفتنة والكتمان، انك يا زبير لفارس قريش ، وانك يا طلحة لشيخ المهاجرين، وان دفعكما الامر قبل ان تدخلا فيه كان اوسع لكما من خروجكما منه بعد ان دخلتما فيه واقررتما به ، وقد زعمتما اني قتلت عثمان فبيني وبينكم بعض ما تخلف عني وعنكما من اهل المدينة يلزم كل امرء بقدر ما احتمل، وزعمتما اني آويت قتلة عثمان فهؤلاء بنوه ، فليقروا بطاعتي ثم ليخاصموا في قتل ابيهم الي ، وما انتما وعثمان ان كان قتل ظالما او مظلوما ،وقد اتيتما خصلتين نقضكما بيعتي واخراجكما امكما، والسلام.

وكتب الى عائشة وقال في كتابه :

اما بعد فانك خرجت عاصية لله ولرسوله تطلبين امرا كان موضوعا، ما بال النساء والحرب والاصلاح بين الناس، تطلبين زعمت بدم عثمان وان كنت اشد الناس عليه، ولعمري ان من عرضك للبلاد وحملك على المعصية اعظم اليك ذنبا من قتلة عثمان فاتقي الله وارجعي الى بيتك فان الامة لا يصلح امرها النساء، انما ذلك الى الرجال ولهم جعلت الطاعة والمشورة ،ولم تؤمري بشيء من ذلك وقعودك في بيتك الذي امرك الله به احسن لك واتقى واودع ، والسلام.

فاجابه طلحة والزبير :

اما بعد فانك سرت سيرا له ما بعده ولست براجع، وفي نفسك منا حاجة دون ان يسفك الدماء ويستحل الحرمة، اما انت فلا ترضى غير دخولنا في طاعتك ،واما نحن فغير داخلين فيها ابدا، فاقض ما انت قاض، والسلام.

وكتبت عائشة :

جل الامر عن العتاب، والسلام.

ولما اتى جوابهم الى امير المؤمنين عليه السلام وهو بذي قار قام خطيبا فحمد الله واثنى عليه وصلى على النبي وقال :

ام بعد فان الله بعث نبيه محمدا صلى الله عليه وآله الى اهل الارض كافة فصدع صلع بما امر به وبلغ رسالات ربه على ما احب العباد وكرهوا ، ولأم الله به الصدع ورتق به الفتق واصلح به ذات البين وآمن به السبل وحقن به الدماء والف به بين الضغائن الواغرة في الصدور وعبدك حتى اتاه اليقين ، صلى الله عليه وآله ، ثم قبضه الله حميدا لا هو قصر عن الغاية التي اليها الانتهاء ولا بلغ شيئا كان عنه بالتقصير الرضى ، ثم ان الناس استخلفوا ابا بكر واستخلف ابو بكر عمر ثم ولى عثمان فنال منكم ونلتم منه حتى اذا كان الذي كان من امره اتيتموني لتبايعوني فدخلت منزلي فاستخرجتموني وقبضت يدي فبسطتموها وتداكـكتم علي حتى ظننت انكم قاتلي ، او ان بعضكم قاتل بعضا ، فبايعتموني وبايعني طلحة والزبير فاستأذناني للعمرة فقلت ليس العمرة تريدان فسارا الى مكة فاستخفا عائشة وخدعاها واشخصا معها ابناء الطلقاء ثم قدما البصرة فقتلا المسلمين وفعلا بها المنكر ، والعجب لاستقامتهما لابي بكر وعمر وصرا من خلافة عثمان وبغيها علي وهم يعلمان اني لست بدون رجل منهم ، ولو شئت ان اقول لقلت وقد كان معاوية كتب اليهما كتابا يخدعهما فيه فكتما عني بجهدهما ، ثم رفع يديه الى السماء : اللهم ان طلحة والزبير ظلماني وقطعاني ونكثا بيعتي والبا الناس علي ، اللهم فاحلل ما عقدا وانكث ما ابرما واكدا ، ولا تغفر لها ابدا ، وارهما المساءة فيما عملا واملا ،

فقام مالك الاشتر فقال : الحمد لله الذي من علينا فافضل واحسن الينا فاجمل ، واشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له ، واشهد ان محمدا عبده ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم ، قد سمعنا كلامك يا امير المؤمنين فاصبت ووفقت ، انت ابن عم نبينا صلع وصهره واول من صدق به وصلى معه ثم شهدت بدرا و جميع المشاهد مع رسول الله صلع وكان مشهد الفضل لك على الامة جميعها بين ذلك في وحي الله وكلام رسوله صلع فمن اتبعك اصاب حظه واستبشر بفلجه ومن عصاك ورغب عنك بنفسه فالى امه الهاوية ولعمري يا امير المؤمنين ما امر طلحة والزبير بمحيل علينا، ولقد دخلا فيما دخلنا والامة فيه من هذا الامر وفارقا نا على غير جور علمناه ولا حدث احدثناه ثم اقبلا تائهين حائرين ليست معهما حجتهما ، فان زعما انهما يطلبان بدم عثمان فليبعدا آل عثمان من انفسهما ، واشهد لئن لم يدخلا فيما خرجا منه لنلحقنهما بعثمان ان شاء الله تعالى.

وقام رجل الى امير المؤمنين علي ابن ابي طالب عليه السلام بذي قار فقال يا امير المؤمنين ع م على ما تقاتل اهل الصلوة ، فقال علي ع م نقاتلهم على الحق وندعوهم اليه، قال قان قالوا نحن على الحق ونحن ندعوكم اليه ، قال نقاتلهم على نكثهم بيعتنا وخروجهم من جماعتنا وافسادهم الناس علينا واخراجهم زوجة رسول الله صلع وقتلهم الاخيار من شيعتنا يذبحونهم كما تذبح الغنم في بيوتهم وعلى ابواب دورهم في كل سبيل وكل وجه منهم اجساد معفرة مطرحة في التراب بغير حدث احدثت ولا دم اهرقت، ليس الا انهم تمسكوا بطاعتي وانتظروا قدومي فبادرواني اليهم فقتلوهم جرأة على الله وعلى رسوله صلع واستخفافا بالدم الحرام ، فلو انهم لم يقتلوا من هؤلاء الا رجلا واحدا لحل لي قتالهم وقتلهم فبهت الرجل .

فقال له الناس من انت يا عبد الله انا لا نعرفك ،

قال ان لم تعرفوني فربي يعرفني ، وليس كل الناس يعرفوني ،

قالوا فمن اي القبائل انت

قال من قبيلة ليست بخير القبائل ولا بشرها من قبيلة تعلم انها ان احسنت اثيبت وان اساءت عوقبت ،

قيل له او ليس كل القبائل تعلم ذلك ؟

قالوا لو كانوا كذلك لم يقتل طلحة والزبير من قتلا بغير جرم

فقال علي ص ع وعى الرجل ما سمع وعقله ،

فزعموا ان ذلك الرجل عمار ابن ابي سلمة الكلابي قتل مع الحسين ابن علي ص ع بكربلاء.

--- امير المؤمنين علي ابن ابي طالب ص ع من ذي قار فنزل بمكان يقال له يربوع على اربع فراسخ من البصرة وكانت عائشة قد كتبت الى زيد بن صوحان تأمره ان يخذل الناس عن علي ع م وتقعد في بيته فكتب اليها زيد بن صوحان مع رجل من الازد يقال له حرشة بن قس فكان كتابه اليها :

اما بعد فاني قرأت كتابك وفهمته واني آمرك بان تقعدي في بيتك وترخي اليك حجابك وتطيعين ربك ، فانك ان خرجت كنت من العادين ، عليك بالسيف غدا ان شاء الله تعالى والسلام.

فانطلق الرسول حتى اتى عائشة بالكتاب، فلما قرأته قالت يا ايها الناس ان زيد بن صوحان سيلقاكم غدا بالسيف فاتقوا ناحيته فاني سمعت رسول الله صلع ان زيد ابن صوحان سبقه عضو من اعضائه الى الجنة فيتبع الله آخر جثته باولها ، فقالوا يا ام المؤمنين وكيف لنا ان تتقى ناحيته وانما هو طعن بالرماح وضرب بالسيوف ، فلو كان بالمنسأة امكناه اعراضا يفعل بها ما شاء ، ولو كان بالسياط امكناه وجوهنا فيضربها ، فقالت قد حدثتكم ما سمعت من رسول الله صلع ،فقال لها حرشة بن قيس الازدي اعطي الله عهدا ان قاتلت معكم ابدا ثم خرج حتى لحق بعسكر المؤمنين ع م فدخل على زيد ابن صوحان فسلم عليه وقال اني جئتك تائبا ، قال وما دعاك الى ذلك فحدثه بحديث عائشة فقال زيد صدقت وايم الله لاحرصن ان يكون ذلك في غد ان شاء الله ان يلحق الاله آخر جدي وله، فقتل يوم الجمل رحمة الله عليه.

--- امير المؤمنين علي ع م نحو البصرة حتى نزل الزاوية من ارض البصرة وقال بيننا وبينكم كتاب الله وجرت الرسل بينه وبينهم وخرج الى علي ع م ثلاثة آلاف رجل وخرج اليه عبد مرحوم العبدي في الفي رجل من عبد القيس، ولما اشرف علي ع م على البصرة نزل عمار ابن ياسر فصلى ركعتين ثم رفع يديه الى السماء فقال : اللهم رب السماء وما اظلت والارض ومن اقلت ورب الشياطين ومن اضلت ، ورب الرياح وما ذرت ، اعوذ بك من البصرة وما حوت ، ثم قام عمار ابن ياسر الى علي ص ع فقال يا امير المؤمنين اني اخاف ان ينزل اهل البصرة بمنزلة اهل مكة يوم الحديبية اذ يقول الله تبارك وتعالى ولولا رجال مؤمنون ونساء مؤمنات لم تعلموهم ان تطأوهم فتصيبكم منهم معرة بغيرعلم ، فقال علي عليه السلام : يا عمار انا ندعو فيهم بما دعى رسول الله صلع يوم فتح مكة في اهل مكة من جنح للسلم فهو آمن ومن اغلق بابه فهو آمن ، ومن القى سلاحه فهو آمن ، فلا يبقى عبد مؤمن الا اجابك يا عمار ، ان الله قد اعاذك من اهل البصرة اخبرني رسول الله صلع انا نقتلهم ونهزمهم وانك يا عمار تستشهد بصفين فابشر بكرامة الله وجنته، فقال في ذلك خزيمة ابن ثابت الانصاري:

ان الذي غم عمارا سيفرحه \* عنه علي بما يرضاه عمار

يدعو بتلك التي فيها لقائله \* كف وفي ردها بسط واعذار

دعى النبي غداة الفتح انهم \* حرب وان قيل كفار وفجار

الا يكونوا سوافر في حكومتهم \* عند الجواب فكل ضمت النار

ففي اولاك جحود الشرك اذ كفروا \* وفي اولاء لامر الله انكار

والناكثون فدون الشرك منزلة \* اذ هم شريجان انكار واقرار

عن هشام عن ابي مخنف عن الحسن ابن عبد الله عن ابيه عبد الله بن الحارث قال لما نزل علي ابن ابي طالب ع م البصرة بعث عبد الله ابن العباس وزيد ابن صوحان وابن العباس يومئذ على فرس كميت ذنوب وزيد على فرس له اغر محجل .

الشريف الرضي محمد ابن الحسين الموسوي ان امير المؤمنين عليه السلام قال لعبد الله ابن العباس وقد ارسله الى الزبير يستفيئه الى طاعته يوم وقعة الجمل لا يلقين طلحة فانك ان تلقه تجده كالثور عاقصا قرنه يركب الصعب ويقول هو الذلول ، ولكن الق الزبير فانه الين عريكة فقل له يقول لك ابن خالك عرفتني بالحجاز وانكرتني بالعراق فما عدا مما بدا .

--- اخرى ان امير المؤمنين علي ع م لما ارسل عبد الله بن العباس وزيد ابن صوحان قال لهما ائتيا طلحة والزبير فقولا لهما ما حملكما على مخرجكما ، الم تبائعني طائعين ، ثم استأذنتماني للعمرة فاعلمتكما ان ليس العمرة تريدان وما الذي دعاكما الى نكث بيعتي وتأليب الناس علي وقتل السابحة وحكيم ابن حبل ومن معه من قومه من غير جرم ولا استحلال قتال الا ان تمسكوا ببيعتي فانهما يقولان نطلب بدم عثمان ابن عفان فقولا لهما خليا آل عثمان والطلب بدمه ، وكان يومئذ عمر وابان ابنا عثمان، فان قالا نحن نطلب بذلك الاجر ونحن عليه اقوى، فقولا لهما والله ما انصفتما رسول الله صلع وسلم تحبسان نساءكما في بيوتكما وتبرزان حبيس رسول الله صلع وقد امر الله ان تقر في بيتها ولا تبرج تبرج الجاهلية الاولى فخليتما بينها وبين طاعة الله حتى استفززتماها واخرجتماها فانهما لو عدا حجة فان اجاباكما الى خير قبلتما وان ابياا فامضيا الىعائشة فقولا لها الم تأمرك الله ان تقري في بيتك فخدعت واستفززت فاتقي الله وارجعي وتوبي فان الله يقتل التوبة عن عباده ولا يحملك قرابة طلحة وحب عبد الله ابن الزبير على الاعمال التي تشفي بك على النار فانطلقا حتى اتيا طلحة والزبير فبلغاهما رسالة امير المؤمنين عليه السلام فقال طلحة للزبير انهم قوم خصمون، ناجز الرجل القتال فانه لا طاعة لنا بحجج علي ابن ابي طالب ، انا مع الخوف الشديد نطمع ان نلي الذي ولي غيرنا فقال زيد ابن صوحانا انكما لا تحاجان بل انتما تلاجان

عن ابي مخنف عن عوف ابن الحسن عن عبد الله بن العباس رضوان الله عليه قال بعثني امير المؤمنين علي صلى الله عليه الى الزبير فاتيته فقلت له ان امير المؤمنين يقرءك السلام ويقول لك الم تبايعني طائعا غير مكره ، فما الذي رأيت مني وما الذي استحللت به قتالي، قال فاجابني انا مع الخوف الشديد لنطمع اني انا مع خوف علي ومحاربته لنطمع في الملك ، فقال الهيثم ابن التيهان في ذلك وقد كان بدريا عقبيا نقيبا

قل للزبير وقل لطلحة اننا \* نحن الذين شعارنا الانصار

نحن الذين رأت قريش فعلنا \* يوم القليب وقد اتى الكفار

كنا شعار نبينا ودثاره \* يفديه منا كلنا الابصار

ان الوصي امامنا وولينا \* برح الحفا وناحب الاسرار

ان الجهاد مع النبي وبعده \* نصر الوصي وقصرنا الاعذار

اخرجتما سفها بزوج نبيكم \* غضبت لهذا الاوس والنجار

والحزر حيوت الذين هم هم \* نصبوا الجهاد مع النبي وساروا

وقال ابن انصاف الانصاري في ذلك :

ابا حسن ايقظت من كان نائما \* وما كل من يدعي الىالحق يسمع

ولا كل من يعطي الرضى يعرف الرضى\* ولا كل من يدعي لذلك يقنع

وانت امرء اعطيت من كل خطة \* محاسنها والله يعطي ويمنع

فما منك للمرء المسالم غلظة \* ولا فيك للمرأ المحارب مطمع

ونف الذي يهدي لك السلم سالم \* وانف الذي يهدي لك الحرب اجدع

فان رجالا بايعوك وخالفوا \* هداك واجروا في الضلال واوضع

لاهل لتجريد الصوارم فيهم \* وسمر العوالي والقنا يتزعزع

واني لارجو ان تدور عليهم \* رحىالحرب حتى يستكينوا ويخضعوا

وطلحة فيها والزبير فريسة \* وليس لما لم يدفع الله مدفع

فان يمضيا فالحرب اضيق حلقة \* وان يرجعا عن ذاك فالسلم اوسع

وما بايعاه كارهين لبيعة \* ولا ثنيت فيها على الكره اصبع

ولا ابطئا عنه فواقا ولا بدا \* بها اخر بعد الدين لجمع

وذكرهم قتل ابن عفان خدعة \* وهم قتلوه والمجادع اخدع

قعود على نبعه هاشمية \* وعودهما فيما هما فيه خروع

على نقضها من بعد ما شد عقدها \* فحسبهم فيها فضائح اربع

خروج بام المؤمنين وغدرهم \* وعيب علي ان ذلك اشنع

وقال عبد الرحمن بن حنبل اللثي

ما تنقمون من الوصي وانتم \* بايعتموه ولم يدن بضلال

لم ينكث البيعات الا فاجر \* الا لجور او لسوء فعال

قولا لطلحة والزبير وجندهم \* انتم ورب البيت اهل خبال

صارعتم الدنيا وزبرج اهلها \* فوقعتم منها بام سفال

ما ذا يقول الناكثون لربهم \* عند الحجاج غدا باي مقال

ما اذ اردتم ان خلعتم مسلما \* نعم الخليفة فيكم والوالي

لله دركم فتوبوا وارجعوا \* قبل القتال وضرب كل قذال

--- عن ابي بكرة عن ابيه قال دخلت على عائشة فاذا هي تأمر وتنهى واذا الامر امرها فذكرت حديثا سمعته من رسول الله صلع انه لا يفلح قوم تدبر امرهم امرأة ، قال ابو بكرة ففارقتهم واعتزلت وقد جاء عن رسول الله صلع انه قال فخرج بعدي قوم رأسهم امرأة لا يفلحون ابدا.

--- عنه صلع حين بلغه ان الاعاجم ولوا امرهم امرأة وهي بوزان بنت كسرى، فقال النبي صلع لا يفلح قوم يلي امرهم امرأة ، ولما رجع الرسل من طلحة والزبير وعائشة الى امير المؤمنين علي عليه السلام --- الحرب وتمادى اصرارهم على البغي --- امير المؤمنين السلام خطيبا فقال : الحمد لله الذي بطن بخفيات الامور ودلت عليه اعلام الظهور وامتنع عن البصر فلا عين من لم تره تنكره ، ولا قلب من اثبته يبصره ، سبق في العلو فلا شيء اعلى منه ، وقرب في الدنو فلا شيء اقرب منه ، فلا استعلاؤه باعلا عن شيء من خلقه ولا قربه ساواهم في المكان به لم يطلع العقول على تجديد صفته ولم يحجبها عن الواجب في معرفته ، واشهد ان لا اله الا الذي شهدت له اعلام الوجود على اقرار قلب ذي الجحود تعالى الله عما يقول المشبهون له الجاحدون علوا كبيرا ، واشهد ان محمدا رسوله الذي ابتعثه والناس ضلال في حيرة وخطئون في فتنة قد استهوتهم الاهواء واستزلتهم الكبرياء واستخفتهم الجاهلية الجهلاء الهادي في زلزال من الامر وبلاء من الجهل فبالغ صلى الله عليه في النصيحة ومضى على الطريقة ودعى بالحكمة والموعظة الحسنة صلوات الله عليه وسلامه وبركاته ورضوانه ، ايها الناس انما بدؤ وقوع الفتن اهواء تتبع واحكام تبتدع يخالف فيها كتاب الله ويتولى رجال رجالا على غير دين الله ، فلو ان الباطل خلص من مزاج الحق لم يخف من المرتادين ، ولو ان الحق خلص من لبس الباطل انقطعت عنه السن المعاندين ، ولكن يؤخذ من هذا ضغث ومن هذا ضغث فيمزجان فهنالك يستولى الشيطان على اوليائه وينجو الذين سبقت لهم من الله الحسنى ،

ايها الناس اني قد راقبت هؤلاء القوم كيما يرعووا ويرجعوا وقد وبختهم بنكثهم وعرفتهم بغيهم فابوا الا تماديا على الباطل واصرارا على البغي المتطاول وقد بعثوا الي ان ابرز للطعان واصبر للجلا د، فانما منتك نفسك الاماني من اتيان الباطل ، هبلتهم الهبول قد كنت وما اهدد بالحرب ولا ارهب بالضرب قد انصف القادة من راماها ، فانا ابو الحسن الذي فللت حدهم وفرقت جماعتهم وبذلك القلب القى اليوم عدوي ، وانا على ما وعدني ربي من النصر والتائيد والظفر، واني ليقين من ربي وفي غير شبهة من امري ،

ايها الناس ان الموت لا يفوته المقيم ولا يعجزه الهارب ، ليس عن الموت محيص ، وان لم يقتل يمت ، وان افضل الموت القتل ، والذي نفس ابن ابي طالب بيده لالف ضربة بالسيف تريح اهون من موت على فراش ،

يا عجبا لطلحة الب علي ابن عفان حتى اذا قتل اعطاني صفقة يمينه طائعا ثم نكث بيعتي وطفق ينعى ابن عفان ظالما ، وجاءني يطلبني بدمه، والله ما صنع في امر عثمان واحدة من ثلاث لئن كان ابن عفان قتل ظالما كما كان يزعم انه لينبغي له ان يوازره قتلته وينابذ ناصريه ، ولئن كان مظلوما انه ينبغي له ان يكون معه ، ولئن كان في شك من الخصلتين انه ينبغي له ان يعتزله ويلزم بيته ، ويدع الناس جانبا وما تولوا فما فعل من هذه الخصال شيئا ، وقد اعطاني صفقة يمينه غير مرة ثم نكث بيعته ، اللهم خذه ولا تهمله ، الا وان الزبير قطع رحمي وقرابتي ونكث بيعتي وظاهر عدوي ونصب لي الحرب وهو يعلم انه لي ظالم ، اللهم فاكفنيه بما شئت .

--- امير المؤمنين علي ع م لحرب اصحاب الجمل لعشر بقين من جمادى الاخرى من سنة ست وثلاثين ، فجعل علىميمنته مالك ابن الحارث الاشتر وعلى ميسرته عمار بن ياسر وعلى الرجالة ابا قتادة الانصاري ووقف ص ع في القلب في مضر، وجاء زيد اين صوحان واخوه صعصعة فقالا له ائذن لنا ان نكون في القلب معك ، فاتى رجل من قوم زيد ابن صوحان اليه فقال ما يوفقك في القلب محال مضر ، اما ترى الموت بازائك منهم فاعتزل ، قال زيد الموت اوبد، واعطى امير المؤمنين ع م رأيته ابنه محمد ابن الحنفية رضوان الله عليه وهي العقاب رأية رسول الله صلع يوم بدر ، وكانت رأية سوداء ، وقال امير المؤمنين ع م لمحمد حين اعطاه الرأية فيما قال له تزول الجبال ولا تزل عض على ناجذك اعز الله جمجتك ، تد في الارض قدميك وارم البصر اقصى القوم وغض بصرك،واعلم ان النصر من عند الله سبحانه .

--- اصحاب الجمل القتال فجعلوا في القلب مضر وحدها وطلحة والزبير وعائشة على جملها عسكر في قبة من خشب قد ضرب عليها صفائح الحديد وقد البست الدروع القبة فلا ترى منها قليل ولا كثير ، وجعلوا جمل عائشة لواءهم وجعلوا في الميمنة الازد عليهم صبرة بن شمان وعلى ميسرتهم هلال بن وكيع وكان الميسرة حنظلة وعمرو وتيم الرباب فتواقف الناس بالخزينة ووافقهم امير المؤمنين ص ع من صلوة الفجر الى صلوة الظهر يدعوهم ،

--- عن ابي مخنف عن عبد الملك ابن سالم عن عدي بن ثابت قال لما تدانى الناس يوم الجمل خرج امير المؤمنين ع م بين الصفين في ازار وعمامة ورداء اسود متقلدا بسيف رسول الله صلع ذا الفقار وهو راكب على بغلة رسول الله صلع الدلدل ، فنادى اين الزبير ابن العوام ليبرز اليّ فقيل له يا امير المؤمنين تخرج الى الزبير حاسرا وهو مدحج في السلاح، فقال انه ليس بأس علي منه بأس ، ثم ناداه ثانية اين الزبير فسمعته عائشة فقالت واثكل اسما ،قيل له يا ام المؤمنين انه ليس على علي سلاح ، فخرج اليه الزبير فقال له علي ع م يا ابا عبد الله ما حملك على ما صنعت ، قال الطلب بدم عثمان ، قال له علي ع م فانت واصحابك قتلتموه وانما التوبة من ذلك ان تقيد اهل الدم من نفسك ناشدتك الله الذي انزل القرآن علىمحمد اما تذكر يوم قال رسول الله صلع لك اتحب عليا ، فقلت وما يمنعني من ذلك يا رسول الله ، وهو مني بالمكان الذي علمت ، فقال لك رسول الله صلع اما انك تقاتله وانت له ظالم ، قال الزبير اللهم نعم ، قال وناشدتك الله الذي انزل القرآن علىمحمد ا تذكر يوم اتى رسول الله صلع من بني عمروابن عوف وانت معه وهو متوكئ عليك فسلم عليّ النبي صلع وضحك اليّوضحكت اليه، فقلت انت لا يترك ابن ابي طالب زهوة ابدا ، فقال لك رسول الله صلع مه مه فانه ليس بذي زهو ولتقاتلنه يوما وانت له ظالم ، قال اللهم نعم ولكني انسيت ذلك وقد اذكرتنيه اليوم ، فوالله لا صدقن ،

فقال علي ص ع ان صاحبة الجمل لتعلم واولوا العلم من اصحاب رسول الله صلع ان اهل الجمل ملعونون على لسان النبي الامي فسألوها عن ذلك وقد خاب من افترى،فقال له الزبير يا ابا الحسن كيف تكون ملعونين ونحن اهل الجنة ،قال علي ع م لو علمت انكم اهل الجنة ما قاتلتكم ، قال له الزبير اما علمت ان سعيد ابن زيد ابن عمر بن نفيل روى لعثمان ابن عفان ان رسول الله صلع قال عشرة من قريش في الجنة ، قال علي ع م قد سمعته يحدث عثمان في خلافته ، قال الزبير افتراه كذب على رسول الله صلع، قال له علي لا اخبرك حتى تسميهم لي قال له الزبير هم ابو بكر وعمر وعثمان وعبد الرحمن بن عوف وطلحة والزبير وابو عبيدة بن الجرااح وسعد وسعيد، قال له علي ع م عددت تسعة فمن العاشر قال له الزبير انت ، قال علي ع م اما انت قد اقررت اني من اهل الجنة وانا بما ادعيت لنفسك واصحابك من الجاحدين ، ثم قال علي ع م يا زبير هل معكم نساؤكم ، قال لا ، قال فما هذا بانصاف غدوتما الى امرأة من موضعها من كتاب الله القعود في بيتها فاخرجتماها وصنتما حلائلكما ، ما انصفتم محمدا صلع من انفسكم ، قال له الزبير انما جاءت للاصلاح ، قال هي الى ان تصلح نفسها احوج .

وجاء طلحة عند علي ع م والزبير وقال له علي ع م ما جاء بك يا طلحة الى محاربتي وما الذي حملك على نقض بيعتي ، قال جئت اطلب التوبة مما صنعت بعثمان ، قال له علي ع م انما كانت توبتك ان لا ينكث ما جعلت في عنقك لي ، وتقاتلني لا تفعل يا طلحة فاني احق بالامر منك ، فاستحلف عائشة بالله وبرسوله هل تعلم احدا من قريش كان اولى بالله وبرسوله مني ولا اقدم مني اسلاما ولا اكفى بسيفه ورمحه مني لرسول الله صلع ولا ابرء من دم عثمان مني ، فان قالت الحق قضيتما لي على انفسكما، وان كتمت الحق فعلي تقريرها، فاجابه طلحة جوابا غليظا ، ويرفق الزبير ، فخلى علي ع م بالزبير مليا فكلمه ثم انصرفا فقال علي ص ع اما الزبير فقاده اللجاج وادركه الندم ، وقد ذكرته امورا لن بقاتلكم لها ، واما طلحة فسألته عن الحق فاجابني بالباطل ولقيته باليقين ولقيني بالشك، فوالله ما نفعه حقي ولا ضرني باطله ، وهو مقتول غدا.وقال خزيمة ابن ثابت الانصاري في ذلك :

اما الزبير فعلّه ولعله \* والمرء طلحة ليس فيه مطمع

اما علي فالكتاب امامه \* يعطي بما فيه الحقوق ويمنع

قطع الكلام بحجة معروفة \* كالشمس تريح من يشاء وينجع

وامام دين الناكثين لحاجة \* ومن اللجاجة ما يضر وينفع

ذل الزبير لها وانكر حقها \* قلب لطلحة والرزية تضرع

طلب لعمرك ليس فيه فرية \* والقلب من بعد السلامة اطمع

واتى الزبير الى عائشة بعد ان رجع عن علي ع م فقال يا امه ما شهدت موطنا قط في جاهلية ولا اسلام الا كان لي فيه رأي غير هذا الموطن فانه مالي فيه رأي ولا بصيرة ، وانا لعلى باطل ، فقالت له يا ابا عبد الله فرقت من سيوف بني ابي طالب وبني عبد المطلب انها طوال حداد يحملها فتية انجاد ، اما والله ان فرقتها لقد فرقها الرجال قبلك تريد تحرضه لذلك ، وقال له ابنه عبد الله لا والله ما ذلك زهدك ولكنك رأيت الموت الاحمر تحت رأيات ابن ابي طالب ، فقال له الزبير لعنك الله من ولد ما اشأمك ، فقال له عبد الله سبحان الله اتريد ان تفضحنا في العرب والله ما رأيت مثلك اجتمع له من الناس ما اجتمع لك ، ثم جاءك علي بكلام لا ندري ما هو فتريد ان تدع ما انت فيه لقوله ، وانما هو فينا كآلكة الراهن والله لا نغسل رؤسنا منها في قريش ابدا اجبنا كل ما اراك تفعل ، قال فهيأ الزبير فرسه ثم رمى به القوم فحطمهم ثم انصرف وقد طعن طعنات ، ثم قال يا بني ايفعل الجبان مثل هذا ، اني سمعت من علي ابن ابي طالب ما لو سمعته منه كسرك وقد حلفت ان لا اقاتله فقم انت بامر الناس ، فقال له ابنه اعتق غلامك مكحولا كفارة عن يمينك فانه ليس بشيء فاعتق الزبير ملحق ليمينه ووقف في الصف ولم يقاتل حتى اذا رأى الهزيمة انصرف وفيه يقول عبد الرحمن ابن سلمان التميمي:

لم ارك اليوم حران \* اكذب من مكفر الايمان

بالعتق في معصية الرحمن \*

وقال ايضا :

اعتق مكحولا لصون دينه \* كفارة منه على يمينه

والكفر مكتوب على جبينه\*

وحرّض امير المؤمنين صلوات الله عليه اصحابه يوم الجمل فقال لهم عباد الله انفروا الى القوم منشرحة صدوركم لقتالهم فانهم نكثوا بيعتي واخرجوا عاملي عثمان ابن حنيف بعد الضرب المبرح والعقوبة الشديدة وقتلوا السيابحة وحكيم ابن حبل في رجال الخير ثم تتبعوا من نجى منهم يقتلونهم في كل وجه وتحت كل رابية قاتلهم الله انى يؤفكون ، انهدوا اليهم فكونوا اسودا عليهم فانهم اشرار فالقوهم صابرين محتسبين قد وطنتم انفسكم على الطعن الدسيع والضرب الوسيع ومبارزة الاقران واي امر منكم احسن من نفسه رباط جاش عند الفزع وشجاعة عند اللقاء ورأي من احد من خوانه فشلا او وهنا فالذب عن اخيه بالذي فضل عليه كما يذب عن نفسه ، فلو شاء الله جعله مثله الا لا تقاتلوا القوم حتى يبدؤكم فانكم بحمد الله على حجة، وكفكم عنهم حتى يبدؤكم حجة اخرى لكم، اذا قاتلتموهم فقتلتموهم فلا تجيزوا على جريح واذا هزمتموهم فلا تتبعوهم مدبرا ولا تكشفوا عورة ولا تمثلوا بقتيل فاذا وصلتم الى رجال القوم فلا تهتكوا سترا ولا تدخلوا دارا الا باذن ولا تأخذوا من اموالهم شيئا تجدونه في عسكرهم ولا تهيجوا امرأة ما ذا وان شتمن اعراضكم وسببن امراءكم وصلحائكم فانهن ضعاف القوى والانفس والعقول وان كنا لنؤمر بالكف عنهن وهن مشركات وان كان الرجل يتناول المرأة بالهراوة والجريدة فيعبر بها من بعده وجعل ع م يسير في اصحابه يوم الجمل ويحرضهم ويقول عضوا على النواجذ وغضوا الابصار واكثروا من ذكر ربكم واياكم وكثر الكلام فانه فشل واذا امرتكم ان تحملوا فاحملوا

وبلغ ذلك عائشة فقالت : انه يفعل كما فعل رسول الله صلع يوم الحديبية يعني في طلب الهدنة وحقن الدماء ، وما ينتظر بالقتال الا زوال الشمس

وقال صلوات الله عليه لاصحابه: اوصيكم بتقوى الله وبالصبر والجد في امر الله فوالله ما دخل قوم الجنة الا بالصبر على الاخذ بالكتاب والنهي عن المنكر والمحارم وحتى شروا انفسهم لله وقد قال الله تبارك وتعالى ام حسبتم ان تدخلوا الجنة ولما يأتكم مثل الذين خلوا من قبلكم مستهم البأساء والضراء وزلزلوا حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه متى نصر الله ، الا ان نصر الله قريب ، ثم قال افرغ الله علينا وعليكم الصبر واعد لنا ولكم النصر، وكان لنا ولكم ظهيرا .

--- الرواة ان عمار ابن ياسر نظر يوم الجمل الى اصحاب وطلحة والزبير وقد صفوا للقتال فجعل يحلف بالله ليهزمن الجمع ويولن الدبر، فقال رجل من النخع ما هذا يا ابا اليقظان اتحلف بالله على مالا تعلم ، فقال عمار لانا اشر من جمل يقاد بخطامه بين تهامة ونجد ان كنت اقول ما لا اعلم .

عن هشام عن ابي مخنف عن اذينة قال اقبل ابن ياسر يوم الجمل في كتيبة فقال الزبير لفتى من بني ضبة انظر من صاحب هذه الكتيبة ، فانطلق الفتى فسأل عنه فقال عمار ابن ياسر ، فرجع الى فاخبره فقال الزبير ما كنت احسب عمارا فيهم ، ثم قال للفتى ويحك ان عمارا رجل اسود في انفه خرم فانظر احقا نراه، فانطلق الفتى وتصفح القوم وهيف بعمار انه رسول وانه يريده فحسر المغفر عن رأسه فنظر الفتى الى صفته فاستبانه فرجع الى الزبير فاخبره فقال الزبير : وا انقطاع ظهراه وانجداع انفاه، فقال الفتى مم ذاك يا ابا عبد الله؟ فقال ويحك سمعت رسول الله صلع يقول اولعت قريش بعمار يدعوهم الى الجنة ويدعونه الى النار، فقلب الفتى رأسه وترسه ولحق بعلي عليه السلام ، وانشأ يقول :

قال الزبير ولم اعلم بنيته \* لله درك هل في القوم عمار

فانظر فدا لك نفسي هل ترى خرما \* بالانف منه وفي الحوباء اضمار

فاغتم جمعهم حتى هتفت به \* ثم استبنت وللخيلين اعصاب

حرما بانف ابي اليقظان اذ كشفت \* عنه العمامة اد مخ الفتى طار

لما رأيت الذي ابدت ندامته \* قلبت ترسي وفي تركيه اعذار

قالوا لبست بها عارا فقلت لهم \* شتان ما العار في الدنيا وما النار

عن ابي مخنف عن مسلم الاعور ابي بشير قال قال امير المؤمنين علي ابن ابي طالب صلوات الله عليه : يوم الجمل لا يرم رجل منكم بسهم ولا يطعن برمح حتى يبدؤكم بالقتال فرمى اصحاب الجمل اصحاب علي ع م بالنبل وضج اصحاب علي ص ع وقالوا يا امير المؤمنين قد عقرتنا نبلهم ورمي رجل من اصحاب امير المؤمنين فجيء به اليه فقالوا يا امير المؤمنين هذا فلان قد قتل ، فقال اللهم اشهد، واتي برجل آخر ، فقالوا فلان قد قتل ، فقال اللهم اشهد ، ثم قال اعذروا الى القوم واقبل عبد الله بن ورقا الخزاعي وكان من اصحاب رسول الله صلع يحمل اخاه قتيلا ، وكان قد اصابه سهم عرب فقتله ، فقال ي امير المؤمنين هذا اخي قد قتل ، فلما رآه استرجع ودعى بدرعة ذات الفصول وهي درع رسول الله فلبسها وكان عليه السلام بطينا فلما وقعت الدرع على بطنه رفعها بيده وقال الرجل من اهل بيته احزم فحزم وسطه وتقلد سيف رسول الله صلع ذا الفقار،

وكان قد اعطى ابنه محمدا الرأية، وقال للحسن والحسين عليهما السلام انما دفعت الى اخيكما الرأية وتركتكما صيانة لكما لمكانكما من رسول الله صلع، ثم اخذ امير المؤمنين عليه السلام مصحفا في يده ونادى اصحابه فقال من يحمل هذا المصحف ويعذر اليهم ويدعوهم الى ما فيه وله الجنة، فقام غلام شاب يقال له مسلم ، فقال انا يا امير المؤمنين فقال ص ع يا فتى ان يمينك تقطع فتأخذه باليسرى فتقطع ثم تضرب بالسيف حتى تقتل ، فقال الفتى لا صبر لي على هذا، واعاد علي عليه السلام قوله ثلاث مرات لا يجيبه الا مسلم ، ثم قال مسلم يا امير المؤمنين ان هذا في الله لقليل فاعطاه المصحف ودنى الفتى فناداهم بيننا وبينكم كتاب الله وندعوكم الى ما فيه فشد عليه رجل من اهل الجمل فضربه على يده اليمنى فقطعها فاخذ المصحف بيده اليسرى فقطعت فاحتضن المصحف في صدره فضرب حتى قتل ، فقالت ام مسلم ترثيه وهي ام دريح العبدية :

يا رب ان مسلما اتاهم \* بالحق والفرقان اذ دعاهم

يتلو كتاب الله لا يخشاهم \* تخضبوا من دمه لحاهم

وامهم واقفة تراهم \* تأمرهم بالبغي لا تنهاهم

في كفه القرآن اذ ناداهم \* بمصحف ارسله مولاهم

وقال الزحاف بن صعصعة المجاشعي في ذلك:

تناوله منهم شقي بضربه \* اطاحت بيمنى كفه حين يضرب

ونصرته اخرى فطار ذراعه \* وفي الله ما يلقى وما يتحسب

ويلتزم الفرقان في قبل بحرة \* فتخضبه من قانئ يتصبب

ملاه دما من نحر وذراعه \* واثبت فيه سيفه لا يكذب

عتوا على الرحمن اذ قال قائل \* الى الله يا اخواننا نتقرب

هلموا الى نور الكتاب وعدله \* وفي الله ما نرضى وفي الله نغضب

فاصبح منقولا الى الله روحه \* ومستشهدا في الله يعطي ويسلب

فطوبى لها من قتله طاب اوبها \* مجازاتها في الله تبغي وتطلب

فلما رأى امير المؤمنين ع م ذلك امر الناس بالقتال ونادى ابنه محمد اقحم يا ابن خوله وكان بازائهم قوم رماه من اعصر فرموا بالنبل، فقال محمد لاصحابه ان القوم قد رشقوكم بالنبل وانما تنقذ --- في رشق واحد واثنين، فلما ابطأ بالحملة اتاه ابوه امير المؤمنين ع م فوضع يده اليسرى على منكبه اليمنى ثم قال له اقحم لا ام لك وتناول علي ع م الرأية من يده وحمل على القوم وذلك حين زالت الشمس فطعن بالرأية حتى خضبها ورجع وهو يقول :

اطعن بها طعن ابيك تحمد \* لا خير في الحرب اذا لم توقد

بالمشرفي والفنا المسدد\*

ثم رفع الرأية الى ابنه وحمل ع م على الناس بسيفه فاقتتل الناس قتالا شديدا ثم رجع وقد انحنى سيفه فاقامه بركبته فقال له اصحابه نحن نكفيك يا امير المؤمنين فلم يجب احدا منهم وان بصره لطامح نحو القوم ثم حمل ثانية فدخل وسط القوم يضرب بسيفه حتى انحنى ثم رجع فاقامه وقال انما اريد بما ترون وجه الله والدار الآخرة ، وقال لابنه هكذا فاصنع، فقال محمد يا امير المؤمنين والله ما اقمت حينا لكن نصحتنا بنا لهم وانتظرت ان تنفد.

وقال في ذلك عمرو بن خالد الانصاري وكان مع محمد ابن الحنفية حين لامه امير المؤمنين ع م :

ابا حسن انت فصل الامور \* يبين لك الحل والمحرم

جمعت الرجال على رأية \* لها الله بالنصر مستتمم

وقد كنت اعطيتها مقحما \* كذاك ابوه بها يقحم

ولم ينكص المرأ من خفية \* ولكن توالت له اسهم

فقال رويدا ولا تعجلوا \* فما لي اذ رشقوا مقدم

فاعجلته والفتى مجمع \* بتلك التي يكره المحجم

سمي النبي وشبه الوصي \* ورأيته لونها العندم

قال محمد ابن الحنفية رضوان الله عليه :قال لي امير المؤمنين ع م لما امرني بالحملة اين كثرة القوم يعني عددهم فقلت ههنا نحو عائشة فدفعني في ظهري وقال احمل وحمل وحملت فانتهيت الى رجل لاطعنه ، فلما بوأته الرمح قال انا على دين ابي طالب فرفعت عنه الرمح وعلمت انه انما اراد علي ابن ابي طالب وحملت حتى خالطت القوم فاقتتل الناس قتالا شديدا حتى كانت المماونة بالسيوف ،

وبعث امير المؤمنين علي ع م الى مالك الاشتر ان احمل فحمل الاشتر على ميسرة اصحاب الجمل وعلى ميسرتهم هلال بن وكيع فاقتتل الناس قتالا شديدا وحمل الاشتر على هلال بن وكيع فقتله فهزهم الميسرة ، فمال من ميسرتهم كاشجاع واتوا الى عائشة فلاذوا بها واعظمهم بنو ضبة وبنو عدي وكان على ميمنة اصحاب الجمل صبره بن شمان الازدي في الازد فحمل على ميسرة علي ع م وفيها همدان وحمير ---خثعم وضيغم والانصار وخزاعة وعليهم مخنف بن سليم صاحب رأيتهم ، وفيهم عمار ابن ياسر واقف فيهم، فلما حملت ميمنة الجمل عليهم انكشفت ميسرة علي ع م الا اصحاب الرأيات واناس من اهل الحفاظ والصبر ، فلما رأهم عمار قد انهزموا صاح بهم فكرت ميسرة علي ع م على ميمنة اصحاب الجمل فاقتتلوا قتالا اشد القتال فصبر الرجال للرجال فضرب مخنف بن سليم على رأسه فوقع فاخذ الراية اخوه الصقعب ابن سليم فقتل فاخذها اخوه عبد الله ابن سليم فقتل فاخذها ابن اخيه العلا بن عروة ابن سليم فكر وهو يقول :

قد عشت يا نفس وقد غنيت \* دهرا فبعد اليوم ما لقيت

اما مللت طول ما حييت \*

فقاتل حتى قتل فاخذ الرأية الارملة بن عبد الله ابن سليم فقتل واخذها ابن مخنف عبد الرحمن واقبل جندب ابن عبد الله الازدي فنظر الى مخنف بن سليم وبه الحراك فقال اني لآمل الحيوة له فاجلسه ومسح عن جبينه الدم فافاق مخنف ورأ الرأية مع اببه عبد الرحمن فقال له يا بن فهيرة ما رد رأيتي اليك الا الشر ، ما فعل اخوتي ، قال احتسبهم في سبيل الله فاسترجع مخنف واشتد القتال وكان الجمل رأية اصحاب عائشة بكل من اراد ان يشهر بالقتال اخذ الخطام واقبل ابن ايزي فاخذ خطام الجمل وهو يقول :

اضربهم ولا ارى بالحسن \* ها ان هذا حرز من الحزن

فشد عليه امير المؤمنين علي ع م فضربه فالقى هامته ، وقال ص ع قد رأيت ابا الحسن فكيف رأيته ، ولما رأى ذلك كعب بن سور خاف الهزيمة فاخذ بخطام الجمل واجتمعت الازد حوله ومالت اليهم ضبه واعصر وباهلة وتميم واشتد القتال وجعل امير المؤمنين ع م عمار ابن ياسر ومالا الاشتر وعدي ابن حاتم بازاء الجمل فلما رأى ذلك طلحة والزبير جعلا الازد خامته بازاء القوم واختلط الناس وحالت الازد حوله وكثر القتلى ،

قال الرواة وخرج عمار ابن ياسر وعمرو ابن الحمق ومحمد ابن ابي بكر وعدي ابن حاتم وهم معلمون ينادون باسماءهم وخرج عمرو بن مثري الضبي وقال لابنه با بني الهوا عن علي وولده فانهم في تلك الغاية من الرماح ودونهم المهاجرون والانصار وعليكم بهؤلاء الرهط فهم قتلة عثمان وحمل مالك الاشتر على كعب بن شور وهو ممسك بخطام الجمل وطعنه فصرعه وحامت الازد دونه فاستنقذوه وتعاوروا خطام الجمل واقبل كعب ابن شور فوقف في الميمنة وقاتل فيمن معه وحمي القتال فخاف اصحاب علي عليه السلام على ميسرتهم من ميمنة القوم وقيل له يا امير المؤمنين انا نخاف على ميسرتنا من ميمنة القوم فدعى ع م عند ذلك عبد الله بن يحي الكندي فاتاه فقال له اترى صاحب اليلمق الاحمر والفرس الابلق اذهب فآتني برأسه فخرج عبد الله ابن يحي الى الرجل وهو كعب ابن شور فاطعنا حتى انكسر رمحاهما واضطربا بسيفهما حتى ارتفع الرهج وخرا على فرسيهما فخر كعب تحت عبد الله ابن يحي فذبحه عبد الله وجاء برأسه الى امير المؤمنين علي ع م فقال امير المؤمنين بعد ان وضع رأس كعب عنده من هذا الرجل كنتم تتخوفون على ميسرتنا ، قالوا نعم يا امير المؤمنين فقال علي ع م قد كفاكم الله امره ،هذا كعب ابن شور ، ثم قال علي ع م لعبد الله ابن يحي الكندي والذي فلق الحبة وبرئ النسمة يا ابن يحي لقد سماك رسول الله صلع وسما والدك قبل ان اعرفك واعرف والدك واخبرني انك ممن ينصر دين الله وانك من شرطة الخميس ، ثم قال علي ص ع ان رسول الله صلع قال لي ان امتي مثلت في الطين حتى عرفتهم وعرفت آبائهم ورفعت لي كل رأية من بعدي ، فلما رفعت لي رأيتك دعوت الله لك ولشيعتك .

--- ولما انهزم اصحاب الجمل طاف امير المؤمنين ص ع في القتلى فقيل له يا امير المؤمنين هذه جثة كعب ابن شور فقال ع م اقعدوه فاخذ بضبعه فاقعد فقال له ع م والله لقد رعيت ولكن الشيطان ازاغك وابى الله الا ان يكبك على منخريك في النار ، ولما قتل كعب ابن شور فحامت الازد فقاتلوا مليا وخرج عبد الله ابن عمر ابن بثري من اهل الجمل فدفع خطام الجمل الى ابنه ونادى من يبارز فخرج اليه عليا بن الهيثم السدوسي فقتله اين يثربي ثم نادى للبراز فقام زيد اين صوحان الى علي ع م فقال يا امير المؤمنين اني رأيت يدا اشرفت من السماء وهي تقول هلم الينا وانا خارج الى هذا الرجل فان قتلني فادفني ولا تغسلني ودعنى مزملا بدمي ، فاني مخاصمهم عند ربي يوم القيامة ، وكانت يد زيد قطعت في قتال اصحاب مسيلمة الكذاب، فلما خرج زيد الى ابن يثربي اختلفت بينهما ضربتان فقتله ابن يثربي، وقتل يوم الجمل سحبان ابن صوحان فدفن وزيد في قبر واحد ، وكانت رأية عبد القيس يومئذ مع سحبان ثم نادى عمرو ابن يثربي من يبارز فخرج اليه هند الجملي فقتله ابن يثربي وجعل يرتجز ويقول :

ان ينكروني فانا ابن يثربي \* قاتل علياء وهند الجملي

وزيد ابن صوحان على دين علي \*

فخرج اليه مالك ابن حارث الاشتر وهو يقول :

اثبت فاني لابن عم الجملي \* وكان علياء على دين علي

ثم ابن صوحان من الفحشا بري\*

وشد عليه الاشتر وطعنه فصرعه وحماه قومه فاستنقذوه ، ثم ركب ابن يثربي وحمل على اصحاب علي ع م فحمل عليه عبد الرحمن بن طود الكندي فطعنه طعنه اثخنه وانكسر منها ثم تحامل ابن يثربي ونادى هل من مبارز ، فخرج اليه عمار ابن ياسر ، فلما نظر الناس الى عمار اشفقوا فالتقى عمار وابن يثربي فاختلف بينهما ضربتان فوقع سيف ابن يثربي في جحفة عمار فضربه عمار على هامته فصرعه ، واقبل رجل من سدوس فاخذ برجله وبه رمق فجره الى علي، فجعل الناس يرجمونه بالحجارة فقال امير المؤمنين علي ع م كفوا لا يصاب السدوسي فادنوه من علي ع م فقال ابن يثربي يا امير المؤمنين استبقني اقتل منهم ثلاثة كما قتلت من اصحابك ، فقال عليه السلام ابعد ثلاثة استبقيك، فقال ابن يثربي فادنني منك ، قال ص ع انت متمرد ، وقد اخبرني رسول الله صلع بكل متمرد فانت احدهم ، قال ابن يثربي والله لو وصلت اليك لعضـضت انفك حتى ابينه عنك فامر به علي ع م فخلى سبيله فاتى اصحابه وهو لما به ، فقالوا له من نطلب بدمك ، قال اما الاشتر فلقيني وانا كالمهر الارن ففل حده حدي ، واما الكندي قد كنت احتاج الى عشرة من امثاله ، واما الذي تولى امري فاضعف القوم عمار ابن ياسر، وصاحبي مالك الاشتر فاطلبوه بدمي وبلغ ذلك عبد الرحمن بن طود فقال انا الذي قتلته فلقد طعنته طعنة علمت ان نفسه فيها ، ولكن حظ الاشتر غلب حظي ، والعامة تأبى الا ان يكون الاشتر صاحبه ، وقال ابن طود في ذلك :

اصرع عمروا في العاجة جهرة \* فيحظى بها يوم اللقا مهر مالك

ومن حظه ان اكون امامه \* ويحظى بها دوني فلا جب خارك

وما ذاك الا انني لست بمثله \* ومن مثله عند الرماح الشوابك

فان اك في اهل العراقين دونه \* فاني بحمد الله فوق الصعالك

واني اذا ما جالت الخيل جولة \* واذرى عجاج النقع فوق السنابك

ونادت حماة الخيل اول فارس \* بدرت وقالوا ذاك اول هالك

ولا اصرف المهر الجواد و نحره \* سليم ولا اقذف به في المهالك

وبلغ ذلك الاشتر النخعي فقال اما والله لولا اني اطفأت جمرة ابن يثربي ما دنى منه .

وقال مالك الاشتر :

يابن طود اطفأت جمرة عمرو \* ثم اوهنت حده عنك فلا

نلته في الوغى ببادرة الرمح \* وقد شل جمع قومك شلا

فبرمحي نلت الذي منت النفس \* فقل يا ابن طود اليوم كلا

يا ابن طود اذا حلفت على الله \* فاثنى تلك الالية حلا

ولما بلغ ابن طود قول الاشتر قال والله ما نازعته ولا القول الا قوله.

وخرج عميرة اليثربي بعد اخيه فقاتل حتى خرج عبد الله بن خلف الخزاعي فنادى يا علي ابن ابي طالب هلم الى البراز ، وانشأ يقول :

الا ادن مني يا علي فترى \* فانني دان اليك شبرا

فخرج اليه امير المؤمنين ص ع وهو يقول :

اياي تدعو في الوغى فجرب \* اثبت لعضب صارم مشطب

وضربه بسيف رسول الله صلع ففلق هامته ،

واستدار الجمل واستحر في اهل القتل فنادى الحبات عمرو بن حنظلة يا معشر الناس امكم امكم فشد عليه عين ابن صعصعة المجاشعي فطعنه في صدره فصرعه وكثر الرمي في الجمل وكان محففا فلم يبق فيه موضع الا اصابه النبل حتى صار كالقنفذ فنادت الازد يا ثارات كعب ين شور فقال الحارث بن كعب دعوا كعبا ونادوا يا ثارات عثمان ، ونادى اصحاب علي ع م يا محمد فقال لهم امير المؤمنين نادوا يا محمد يا منصور فانه شعار رسول الله صلع، فلما نادوا به تزلزلت اقدام اصحاب الجمل ونادوا بالحفظة ودعت كل عشيرة باسم قومها وتزايدوا لترى عائشة موضع كل قوم منهم فاقتتلوا من اشد القتال ،وكان شعار علي ع م يومئذ يومئذ لا ينصرون ، اللهم انصرنا على القوم الناكثين ، ويوم صفين اللهم انصرنا على القوم الباغين ،ويوم النهروان اللهم انصرنا علىالقوم المارقين ، ويوم بعث الى بني ناحية اللهم انصرنا على القوم الراجعين .

ولما رأى امير المؤمنين شدة القتال فرق مدحج فكانت فرقة مع مالك الاشتر وفرقة مع عدي ابن حاتم وفرقة مع شريح ابن هاني وفرقة مع عروة المرادي ، وجعل همدان فرقتين فرقة مع سعيد ابن قيس الهمداني وفرقة مع زياد ابن مرحب وجعل الازد فرقتين فرقة مع جندب ابن زهير وفرقةمع ابي زينب بن عوف ، وجعل لخما وسائر اهل الكوفة سوى كندة وبجلة مع عمرو بن الحمق الخزاعي ، وولى هو جملة القوم وكانت صعاليك مدحج مع الاشتر وكان من المهاجرين في قومه الى رسول الله صلع ، فحمل عمار ابن ياسر فدنى من القوم وطعن في اعراض الخيل وحمل الاشتر فما ترك رجلا يمسك خطام الجمل الا حطمه واقبل سبعون رجلا من قريش فتعاوروا خطام الجمل فقتلوا جميعا ، ولم يكن احد يأخذ بخطام الجمل الا سألته عائشة من انت فاقبلت بنو ناحية وقالت عائشة من انتم ، قالوا بنو ناحية ، فقالت صبرا بني ناحية ني اعرف منكم شمائل قريش ، فقتلوا جميعا حول الجمل ، واقبل عبد الله ابن الزبير فخذ بخطام الجمل فقالت عائشة من انت قال ابن اختك عبد الله ابن الزبير فقال عائشة واثكلاه ، واقبل الاشتر نحو الجمل فحمل على عبد الله ابن الزبير فضربه وهو لا يعرفه فقعد على صدره وجالت الخيل فنادى ابن الزبير ويلكم من هذا على صدري ، قالوا مالك الاشتر ، فقال اقتلوني ومالكا ، وكان الاشتر قد طوى قبل ذلك ثلاثا، وكان العرب اذا لقيت الحرب لم يطعم فادرك الاشتر الجوع وشد نحوه اصاحب ابن الزبير فاستنقذوه ، فقال الاشتر ما سرني انه نادى اقتلوني ومالكا وان لي حمر النعم ، وقال ابن الزبير امسيت يوم الجمل وبي ثلاث وثلاثون ضربة وطعنة ورمية وما رأيت مثل يوم الجمل قط ، وما كان الفريقان الا كالجبلين وما يزولان وكان لا يأخذ احد الخطام الا قطعت يده او سالت نفسه واقبل الاشتر رحمة الله عليه لم يكن يدنو منه احد ويأخذ بخطام الجمل ال قتله ، فلما رأيت ذلك منه دنوت من الجمل وعلي من السلاح ما لا اطيق حمله فناديت من يبارز فحمل علي الاشتر فضربني على رأسي بالسيف فجرحني جرحا شديدا وضربته ضربة خفيفة لم يصنع شيا فاعتنقني فصرعني وقعد على صدري فناديت اقتلوني ومالكا ثم نجوت بامر الله وبلغني انه كان طاويا ثلاثا ، وقال الاشتر ما تركته الا وقد ظننت انني قتلته ، وما نجاه لا عمره ، وما كنت احب قتل رجل مثله لانه الذي اخرج عائشة.

وتدامر شجعان العرب من اصحاب علي ع م وشجع كل امرء قومه وحملوا في اصاحاب الجمل فاقتتل الناس كاشد ما يكون من القتال وقصدت الهمدان للازدوصبرت الا زد لهم حتى اشفوا على المناجزة وكره بعضهم بعضا وقتلت بنو ضبة حول الجمل فعادت الازد فاخذوا بخطام الجمل فقالت لهم عائشة من انتم قالوا الازد قالت لهم صبرا صبرا وانما يصبر الاحرار ، وما زال بعيري ممنعا مع ضبة ، فلما فقدتهم انتظرتكم، فحرضت الازد بذلك وتدمروا وجعلوا يشمون بعر الجمل ويقولون بعر جمل امنا امسك، فقتلوا حوله ورغى الجمل فعادت اليه ضبة واجتمعوا حوله واكفهم تقعطع عليه وخرجت الانصار فقاتلت وابلت بلاء حسنا ولقي اهل الجمل منهم الموت بالسيوف والرماح ، وحرضهم ابو الهيثم ابن التيهان وخزيمة ابن ثابت وغيرهما من اولي الفضل والصحبة لرسول الله صلع وصبر لهم اهل الجمل واخذت عائشة كفا من تراب وطرحت به وقالت شاهت الوجوه فناداها اصحاب امير المؤمنين ع م وما رميت اذ رميت ولكن الشيطان رمى ، وقام رجل الى امير المؤمنين ص ع فقال اي فتنة اعظم من هذه ان اهل بدر ليضرب بعضهم وجوه بعض بالسيوف ويقتل بعضهم بعضا، فقال له علي ع م ويحك وافنتة هذه وانا قائدها واميرها ، والذي فلق الحبة وبرئ النسمة والذي كرم وجه محمد صلع ما كذبت ولا كذبت وما ضللت ولا ضل بي ولا زللت ولا زل بي واني لعلى بينة من ربي بينها الله لرسوله صلع وبينها لي رسول الله صلع وان رسول الله صلع امرني بقتال الناكثين والقاسطين والمارقين وليدعني ربي يوم القيامة ولا ذنب علي وليكفرن عني ذنوبي بقتالهم

ثم انها اقبلت بنو ضبة حول الجمل ورئسيهم الحتات فنادت عائشة يا حتات الصبر الصبر فانكم باحدى الحسنيين الفتح والا الجنة ، فحمل الحتات وحمل معه قومه فقاتلوا قتالا شديدا ، فلما رأى ذلك الحارث بن حسان الذهلي من اصحاب علي ع م حرض قومه وقال لهم يا بني ذهل بن ثعلبة اني قدمت على رسول الله صلع ورأيته ورأية فلم ار احدا عنك كان بمنزلة امير المؤمنين علي ابن ابي طالب ع م كان ادنى الناس منه مجلسا وامسهم به رحما وافضلهم عنده مكانا وكان نجيه وامينه ،فمن كان منكم ناصرا رسول الله صلع في حياته فلينصر هذا بعد وفاته ، فوالله ان ناصر هذا ناصر ذلك ثم اخذ رأيته وحمل فقاتل حتى قتل واخذ رأيته عميس ابن الحارث الذهلي ، فحمل فقاتل حتى قتل واخذ الرأية اخوه عبد الله ابن الحارث ابن حسان وهو يقول يا بني الحارث ابن الحسان هل تريدون الا يبقى منكم انسان فقال له اخوته كن ذلك ان شئت فاما نحن فلا نريد الحيوة بعد ابينا واخواننا وبني عمنا النجوم الزواهر فانا لا نرى العيش بعدهم الا سفاهة ، قال اما انا فاني مقاتل فاذهبوا قالوا اين نذهب وندعك فقاتل عبد الله حتى قتل فاخذ الرأية بعده اخوه حوظ ابن الحارث بن حسان فقال لاخويه فدا لكما نفسي تجنبا عن هذه الرأية فوالله اني لخائف ان نكون منايانا تحتها فابيا عليه فقاتل حوظ حتى قتل فاخذ الرأية اخوه ثور بن الحارث بن حسان فقال لاخيه محصن لم يبق غيري وغيرك فتنح عن هذه الرأية يأخذها ويتولاها غيرك فلعلك تبقى ولا يدرس ذكر الحارث ابن حسان فقال اتلذذ دياركم وآثاركم ولا ارى اخا ولا ولدا ولا عمالا يكون ذلك ابدا فقاتل ثور حتى قتل فاخذ الرأية اخوه محصن فقاتل قتالا شديدا واخذ يزدلف برأيته فقال له قومه انك مهلك نفسك وقومك قال اما هلاك نفسي فلا اريد سواه واما هلاكـكم فلا ابتغي ما ظنكم برجل قتل ابوه وخمسة اخوة له واحدى عشر رجلا من اهل بيته اينبغي لهذا ان يلتمس المتاع بشيء من هذه الدنيا فقال له رجل من قومه يقال له ابو غرفا الرياشي اي والله يا ابن الاخ لقد رأينا من هلك ابوه واخوته ثم طلب الدنيا وتمتع فيها فقال هذه رأيتكم فاعطوها من شئتم اما انا فلا اريد الا الموت قالوا انما اردنا لا تقتل فاما اذا ابيت فاصنع ما رأيت وامسك رأيتك فقاتل محصن حتى قتل واخذ الرأية ابن عمه وعله ابن محدوج واستبقى نفسه وقومه مع انه قاتل وابلا وفتح الله والرأية بيده

--- عن ابي مخنف ان الحارث ابن حسان الذهلي قتل يوم الجمل في خمسة وثلاثين من اهل بيته رحمة الله عليهم جميعا واقبل رجل من سلهم من اصحاب علي عليه السلام في جماعة عظيمة من قومه فقصد نحو طلحة والزبير لا يريد غيرهما وجعل يقول :

يا ايها الشيخان قولا واعلما \* ان عليا خير من تكلّما

بايعتماه عثمان وابقيتما \* وانتما سفكتما ذاك الدما

لن تقشع الوقعة حتى تندما \* لن ترقيا الى السماء سلّما

ولن تصيبا في البلاد مغنما \* الا الصفح والقنا المقوّما

قالوا فكان احب القوم قولا الى امير المؤمنين عليه السلام، وقاتل فحسن بلاؤه وعاود القتال مرارا عامة النهار واقبل محمد ابن طلحة فاخذ بخطام الجمل ثم قال يا ام بم تأمريني، قالت آمرك ان تكون خير بني آدم تسأل المبارزة فدعى للبراز فحمل عليه مالك الاشتر ، فلما غشيه بالرمح قال محمد انشدك الله واذكرك حم فقال له الاشتر الا ينهاك حم عن فتنة انت فيها وابوك جناها ثم طعنه فاكبه لوجهه، وقال مالك الاشتر في ذلك:

واشعث اقوام بآيات ربه \* قليل الاذى فيما ترى العين مسلم

هتكت له بالرمح جيب قميصه \* فخر صريعا لليدين وللفم

على غير شيء غير ان ليس تابعا \* عليا ومن لا يتبع الحق يندم

قصمت له في حلبة الخيل صلبة \* باسمر ماض ذي سنان مقوّم

اقول له والرمح يأخذ صدره \* وقد بل اقراب الغلام من الدم

الم ينهك الاسلام عن فتنة الهوى \* وعما جنى الشيخان عند التغمغم

ويذكر ني حم والرمح دونه \* فهل لا ترى حم قبل التقدّم

فلما رأى طلحة ابنه قتيلا قال سبحان الله ما ارانا الا وقد خصـصنا بهذه الآية دون اصحاب محمد واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة ، فلما رأت ذلك الازد وضبه تعاوروا خطام الجمل واقتتل الناس قتالا شديدا.

وبعث امير المؤمنين ع م الى ابنه محمد ابن الحنيفية ان كر فكر وقاتل قتالا شديدا ، فقال خزيمة ابن ثابت يا امير المؤمنين غير محمد افصح اليوم ، ولئن كنت خفت الجبن وهو بيننا وبين حمزة وجعفر ما خفناه عليه وتقدم محمد بن الحنفية بالرأية وتبعته الانصار حتى انتهى بهم الى الجمل ولما رأى الحسن والحسين عليهما السلام ما صنع اخوهما اقحما خيلهما فابليا ورأى الناس منهما ما لم يكن مثله ولما انجلت الحرب ذكر محمد وما صنع فقالت الانصار لولا ما جعله الله لابني رسوله صلع ما قدمنا قدام محمد احدا من العرب ، فقال لهم امير المؤمنين ع م: اين النجم من الشمس والقمر مع ان الليل لا يصلح الا بالنهار والنهار لا يصلح الا بالليل ولا تنقص ذا فضل فضله وحسب صاحبكم ما انتهيتم به اليه وانتهت نعم الله عليه ، فقال خزيمة ابن ثابت يا امير الؤمنين والله ما تجعله ما تجعله كالحسن والحسين ولا يظلمهما ولا نظلمه لفضلهما ، فقال له علي ع م اين تجعل ابني من ابني رسول الله صلع ، وقال خزيمة ابن ثابت في ذلك :

محمد ما في عودك اليوم ابنه \* ولا كنت في الحرب الكريهة قعددا

ابوك الذي لم يركب الخيل مثله \* علي وسماك النبي محمدا

فلو لا كان حي من ابيك خليفة \* لكنت ولكن ذاك ما لا يرى يدا

وانت بحمد الله اطول غالب \* مكانا واوفاها بما ملكت يدا

واقربها من كل خير تريده \* قريش واوفاهم بما قال موعدا

واطعنهم صدر الكمي برمحه \* واكساهم للرأس غصبا مهندا

سوى اخويك المصطفين هما هما \* اما ما قريش يومها وغدا عدا

وانتم بتقواكم ثلاثة انجم \* فنجمان منها الفرقدان هما الهدا

وانت الثريا كلها يهتدى بها \* اذا غاب نجم لاح نجم فاوقدا

ابى الله ان يجعل لشانيك مقعدا \* من الارض او يجعل لشانيك مصعدا

فقالت الانصار احسنت يا خزيمة لم تظلمهما فضلهما ولم تظلمه فضله .

--- عن ابي مخنف عن يوسف ابن زيد عن عبد الله ابن عوف بن الاحمر قال اندفعت عند المساء يوم الجمل الى الزبير ابن العوام وقد اخذ اصحابه يتصدعون عنه وقد كان واقفا في آخر الصفوف لا يقاتل ، فلما رأى ذلك نادى ايها الناس انه ابن ابي طالب ان ظهر عليكم اهلكـكم مهلا مهلا فجعلوا يمرون ولا يلوون عليه وهو يقول انا الزبير الي الي ومعه منادينا ينادي له اعن حواري رسول الله صلع تفرون وتنهزمون ، اعن ابي صفيه عمة رسول الله صلع تدبرون ، الله الله، قال فذهب الناس وانا انظر اليه وتبعه ستة نفر من اصحاب علي عليه السلام فكر عليهم فتفرقوا عنه وخرج الزبير منطلقا حتى مر بوادي السباع وفيه الاحنف بن قيس فاخبر الاحنف بذلك فقال ورفع صوته ما اصنع ان اكان الزبير الف بين غازين من المسلمين وقد قتل احدهما بالآخر حتى اذا قتلت القتلى وجحرت الجرحى تركهم وهو يريد اللحاق بقومه، فلما سمع ابن جرمون قول الاحنف خرج في طلب الزبير ، فلما رآه الزبير قال وراءك عني ، قال جرمون انما اريد ان اسئلك عن الناس وعن حالهم ، قال الزبير تركت الناس قياما على الركب يضرب بعضهم وجوه بعض ، وسار ابن جرمون مع الزبير ومع الزبير مولى له فقال الزبير لمولاه ما ارانا بقية يومنا الا كفارا ، ثم بات الزبير بالصعيد ، فلما اصبح رفع صوته وهو يقول :

ترك الامور التي يخشى عواقبها \* لله اسلم في الدنيا وفي الدين

من التقحم فيما لا يدان له \* ومن محاربة الهادي بتعلين

نادى علي بامر لست اجهله \* كان عمرا ابيك الخير من حين

فقلت حسبك من لوم ابا حسن \* بعض الذي قلت منه اليوم يكفيني

فاليوم ارجع من غي الى رشدي \* ومن مخالطة البغضاء الى اللين

فاحترزت عارا على نار موجحة \* اذ لا يقوم لها حلق من الطين

خليت طلحة وسط القوم منجدلا \* عن الضعيف وماوى كل مسكين

قد كان ينصرني طورا وانصره \* في النائبات ويرمى من يراميني

حتى اتينا بامر ضاق مصدره \* فاليوم اضحى الذي يعنيه يعنيني

فلما اصبح الزبير اتاه ابن جرمون فقال له ان دون اهلك يفانف وقفارا يسقط فيها الراكب فخذ نجيبي هذا وخلف فرسك ودرعك فانهما عليك شاهدان والحق باهلك فاعطى الزبير ابن جرمون درعه وسلاحه وركب مطيه ابن جرمون وسار معه ابن جرمون وقد ركب فرس الزبير وافرغ عليه لامته ، فلما انتهيا الى وادي السباع واصاب ابن جرمون منه غرة وامانا وثب عليه فقتله غدرا واخذ سيفه وخاتمه وراسه وحثى على جسده التراب وهرب مولى الزبير ورجع ابن جرمون الى الاحنف فاخبره الخبر فقال الاحنف والله ما ادري احسنت ام اسأت ، وخرج ابن جرمون برأس الزبير وسيفه واتى عسكر علي عليه السلام متنكرا فقالوا له من اين اقبلت قال رسول من الاحنف بن قيس، فمن قائل يقول مرحبا بك وبصاحبك ومن قائل يقول لا مرحبا بكما حتى اتى فسطاط امير المؤمنين علي ع م فوجد مالك الاشتر فقال له استأذن لي على امير المؤمنين فاني رسول الاحنف فاستأذن فه فدخل علي ع م فاذا هو متكئ على يلمق وبين يديه طعام على ترس وهو يأكل ، فهنا لامير المؤمنين ع م بالفتح عن الاحنف وقال انا رسوله وانا قاتل الزبير وهذا سيفه ، فقال له علي ع م ويحك وكيف والله ما كان ابن صفية بجبان ولا لئيم فحدثه بحديثه له فقال له ناولني السيف فاني اعرفه ، فناوله السيف فاستله امير المؤمنين ص ع وقال نعم السيف طال والله ما فرج به الكرب عن وجه نبيكم ص ع ولكنه الحين ومصارع السوء بشر قاتل ابن صفية بالنار لغدره به ،

ثم قال علي ع م سبق من رسول الله صلع انه قال من آمن رجلا وقتله فهو من اهل النار وان كان المقتول كافرا ، ثم قال امير المؤمنين ع م لولا ما كان من حاطب ابي بلعة ما اجترى طلحة والزبير علي ثم بكى امير المؤمنين ع م وبنوه واصحابه ، فقال ابن جرمون يا امير المؤمنين قاتلناكم او قاتلنا معكم لندخلن النار ، قال ع م ويلك ذلك شيء سبق لابن صفية ، قال ابن جرمون والله ما قتلته الا لهواك ثم ولى مغضبا وهو يقول :

اتيت عليا برأس الزبير \* وقد كنت ارجو به الزلفة

فبشر بالنار قبل العيان \* فبست بشارة ذي التحفة

فلما سمعت مقال الوصي \* رجعت الى حجتي زحفة

وقلت له ان قتل الزبير \* لولا هواك من الكلفة

فاما رضيت فمنك الرضى \* والا فدونكها خلفة

ورب المحلين والمحرمين \* ورب الخصائص والخفة

لسيان عندي قتل الزبير \* وضرطه غير بذي الجحفة

وقتل وكان ابن جرمون ممن خرج على علي ع م مع الخوارج بالنهروان فقتل، وقالت امرأة الزبير عاتكة بنت زيد بن عمرو بن نفيل يذكر قتل الزبير وعذر ابن جرمون به :

فتك ابن جرمون بفارس لهمة \* عند اللقاء وكان غير معود

يا عمر ولو نبهته لوجدته \* لا طائشا رعش الجنان ولا اليد

كم غمرة قد خاضها لم يثنه \* عنها الوعيد ولم يمن في الموعد

ثكلتك امك ان عمدت لمسلم \* وفعلت فعل القاصد المتعمد

وقال جرير ابن الخطفاء يعير مجاشعا بقتل الزبير :

اني يذكرني الزبير حمامة \* تدعو بمجمع نحلتين هذيلا

قالت قريش ما اذل مجاشعا \* جارا واكرم ذا القتيل قتيلا

افبعد قتلهم خليل محمد \* ترجو القيون مع الرسول سبيلا

لو كنت حرا يا ابن قن مجاشع \* شيعت ضيفك فرسخا او ميلا

وقال عبد الرحمن ابن حنبل حليف بني جمح في ذلك :

ولى الزبير على اسرة مقلص \* فهوى الشقي وجوفه منقوب

وافى الزبير حمامه ولم يحظه \* والموت لاقى طلحة المحروب

وافى ابن جرمون الزبيربطعنة \* فهوى لها ولباته مخضوب

ما ذا لقوا منا واين سراتهم \* وشبابهم لما ثووا والشيب

فالنار مثواهم ومثوى امهم \* يا ويلهم مما لقوا واصيبوا

واما قتل طلحة جاء عن هشام عن ابي مخنف عن جرير ابن زيد قال قلت للشعبي كيف كان قتل طلحة بن عبد الله فان الناس قد اكثروا فيه فقال كان مروان بن الحكم الى جانب طلحة بن عبيد الله في عصابة يقاتل فلما رأى مروان بن الحكم الى الناس قد انهزموا قال والله لا اطلب بثاري ودم عثمان بعد اليوم ابدا ولا اجده كاليوم ، ثم قال لغلامه استرني وانت حر ، ثم رماه بسهم فاصابه في اكحله من يده اليمنى فسقط طلحة واغمي عليه ثم افاق يقول

ندمت ندامة وغللت حلمي \* فلهفي ثم لهف ابي وامي

ندمت ندامة الكسعى لما \* جهلت معالمي الرضى ابن عمي

ولما رأى طلحة ما يسيل منه من الدم فبلغ الجهد قال لغلامه ابغ لي مكانا لادخله فقال الغلام والله ما ادري اين انطلق بك فقال طلحة ما رأيت كاليوم شيخا اضل ما رأيت كاليوم شيخا اضل فما زال يكرر ذلك حتى مات . ودفن في سبخة البصرة.

ذكر عقر الجمل

مسلم الاعور فيما رواه ان امير المؤمنين ع م لما رأى الموت حول الجمل عطف نحوه اللواء ووضع سيفه على عاتقه وامر الناس بذلك ثم مشى نحو الجمل ومشى الناس معه والخطام مع بني ضبة فالتقوا فاقتتلوا قتالا شديدا وكثرت القتلى في بني ضبة ، فقتل منهم مقتلة عظيمة وشد رجل من بني ضبة من اصحاب علي ع م يقال له بجير على الجمل فضرب عجره فعج الجمل عجيجا لم يسمع مثله ، وقتل من بني ضبة في تلك الحملة الف رجل وقال بجير ما اردت بموت الجمل الا اني رأيت قومي قد فنوا فاحببت ان تبقى منهم بقية وعرفت انه ان صرع الجمل تفرق عنه الناس،

وسمعت الازذ عجيج الجمل فاقبلت اليه فكانت حوله ، فلما رأى امير المؤمنين ع م ذلك دعى مالك ابن الحارث الاشتر واعين ابن ضبعة وعمرو بن عبد الله المرادي فقال لهم اعقروا الجمل فان الحرب لا يطفى ما دام حيا ، فحملوا وقاتلوا .

وفيما اتى من ابي حميد قال نظرت ابن الحنفية حمل حتى انتهى الى رجل من الازد وهو يقول يا معشر الازد كروا فضربه محمد وقال : يا معشر الازد فروا وحمل محمد ابن الحنفية وعمار ابن ياسر ومالك بن الحارث وعدي ابن حاتم وبجير الضبي فيمن معهم حتى نادى علي ع م اعقروا الجمل فلم يصنعوا شيئا واخذ علي ع م الراية من ابنه محمد ودفعها الى الحسن عليه السلام وقال شانك الجمل فحمل عليه الحسن صلوات الله عليه فطعنه ، فلما رأى محمد ذلك كأنه دخلت عليه عضاضة فقال له علي ع م هون عليك يا بني ان هذا ابن محمد وانت ابن علي وحمل عمرو ابن عبد الله المرادي فضرب الجمل في عرقوبه فاقعى له ورغى فوقع لحينه وتفرق من بقي من الناس عند عائشة ومروا منهزمين وجعلت عائشة تسب عاقر الجمل ، وقال المرادي في ذلك :

عقرت ولم اعقر بها من هواتها \* علي ولكني رأيت المهالكا

وما زالت الحرت العوان يحثها \* بنوها بها حتى هوى العود تاركا

فاضجعته بعد البروك لجنبه \* فخر صريعا كالبلية حالكا

فكانت شرارا اطفئت لوقوعه \* فيا ليتني عرقبته قبل ذلك

دعانا امير المؤمنين لعقره \* فشمرت اذيالي فناديت مالكا

اعائش ام المؤمنين الم ترى \* مصارعهم منا ومنكم كذلك

فان كنت فيما قد اتيت مريدة \* صلاح جميع المسلمين بذلك

فاخطأت اذ الزمت نفسك خفة \* دعاك اليها من دعى من اولئك

ابى الله الا ان سترك حرمة \* وكان لزوم البيت افضل ذلك

وانت على ما كان من ذاك آمنا \* وان كان لم يترك لنا الدهر حادكا

وفيما اتى به الرواة عن محمد ابن علي المعروف بابن الحنفية رضوان الله عليه قال لما انهزم اصحاب الجمل امر علي ع م محمد ابن ابي بكر وعار ابن ياسر ان يقطعا انساغ الرحل وينظر اهل اصاب عائشة شيء ففعلا، فقالت عائشة من هذا ، قال محمد انا ابغض اهلك اليك ، فقالت انت هو بابي وامي ، الحمد لله الذي دفع عن نفسك ، فقال لها محمد بحمد الله ليس بحمدك ، وم كان اغناك عن هذا، قالت ليس هذا موضع عتاب، واذا بخنصرها سهم اصابها وخرج من عضدها ، فقالت عائشة من هذا معك ، قال لها عمار ابن ياسر ابنك البر عمار ،قالت كذبت لست بام لك ، قال عمار فامي ام سلمة التي اطاعت ربها وقرت في بيتها ، قالت انت صاحب المشورة فيّ لعلي البارحة ، قال نعم ، قالت اما والله لولا اني سمعت رسول الله صلع يقول ان الله حرم عمارا على النار وان الجنة لتشتاق الى اربعة نفر احدهم عمار اذا لعنتك، فقال لها رجل من ثقيف فكيف كنت صانعة يا ام المؤمنين لو قتل عند جملك فلم تجبه بشيء ،

فقال لها عمار لقد القيت العداوة بين امة محمد ورددتهم كفارا يضرب بعضهم وجوه بعض بالسيف ، فقالت بعض الفخر يا ابن ياسر اترى انك قد غلبت ، فقال لها اخوها محمد والله لا نزال نقاتلكم على خطتين ابدا، تزعمون ان عثمان قتل مظلوما ونزعم انه قتل ظالما، وعلى انك حدثتني ان رسول الله صلع قال الحق مع علي وعلي مع الحق لا يفترقان حتى يردا علي الحوض ، فقالت عائشة كان ظني بك يا ابن امي غير هذا ، قال لها محمد فما ذنبي وانت كنت اشد الناس على عثمان حتى اذا قتل خرجت تطلبين بدمه ، فقالت عائشة انكم تركتم الرجل في احداثه حتى اذا تاب فصار كالذهب المصفى قتلمتوه،

قال واقبل علي عليه السلام وهي في كلامها فقرع الهودج برمحه ثم قال لها كيف رأيت صنع الله بك يا اخت ارم ، فقالت يا ابا الحسن ملكت فاسمح ، وانما اردت الاصلاح فبلغ الامر ما ترى ،

واقبل اليها عبد الله ابن عباس فقال اليس انما سميت ام المؤمنين بنا، قالت بلى ، قال افلسنا عصبة زوجك ، قال بلى ، قال فلم خرجت بغير اذننا ، قالت مكر بي وخدعت ، وقضاء مقدور ،

واقبل فكان اشدهم قولا لها حتى قال وددت والله ان السيوف نالت منك منالا ، وقال لها عمار ابن ياسر ضربت بنيك بعضهم ببعض، اما والله لو ثبت الجمل لاتينا على آخرهم فقالت يا ابا اليقظان ما تكلمت الا لله ، وانما استفزني الرجال وكان رأيي رأي امرأة.

وامر المؤمنين بفسطاط فضرب عليها ، واقبل عليه السلام الى فسطاط عائشة فقال لها كيف رأيت صنع الهل بك وباصحابك، فقالت عائشة رحم الله طلحة والزبير ، فقال علي ع م رحم الله زيد ابن صوحان وهند ابن عمرو .

وامرت عائشة مناديها فنادى انعى حواري رسول الله صلع ثم قالت لاخيها محمد ابن ابي بكر انك لفيمن قتل طلحة ، قال نعم وانت فيمن قتل زيد اين صوحان ، فبكت عائشة بكاء شديدا حتى رحمها من حولها وترحمت على زيد ابن صوحان وقالت ان زيدا كان يحب الله ويحب رسوله ، فقال امير المؤمنين ع م لمحمد ابن ابي بكر انطلق بها الى منزلك فانطلق بها محمد ابن ابي بكر الى دار صفية بنت الحارث بن طلحة ابن ابي طلحة العبدي وهي ام طلحة الطلحات ابن عبد الله ابن خلف .

روي عن جعفر ابن محمد عن ابيه ع م ان عليا ص ع اعد مناديين بين يديه حين التقى الناس وقال اذ رأيتموهم قد انهزموا فنادوا لا يجار على جريح ولا يمثل باسير ومن القى سلاحه ودخل داره فهو آمن ولكم ما في عسكرهم الا ام ولد، وما كان في بيوتهم فلا سبيل لكم عليه واقبل غلام من اهل الجمل بعد الهزيمة وهو من الازد الىالنعمان بن صهبان يا عماه ضلالة ما بنا ، اما الزبير فرجع على عقبيه ، واما طلحة فقتله مروان ، واما عائشة فرجعت تائبة ، وقتلنا انفسنا لرجال قريش ، وقال الغلام الازدي في ذلك :

كنا اناسا على دين فشكـكنا \* امر له عند اهل الدين تأويل

ضلال شيخين قد خفت حلومهما \* بعد المشيب وهذا الامر مجهول

قالا رضينا به رشدا وعائشة \* ترضى به والرضى في ذاك تضليل

لا طلحة ابن عبيد الله يجمعنا \* ولا الزبير كلا الامرين مدخول

اما الزبير فخلاّنا علانية \* والمرأ طلحة وسط القوم مقتول

قد قال قائلنا مروان قاتله \* شبه اليقين به والقول محمول

قلنا علام وفيم المرأ يقتله \* قال المخبر ان المرأ مبتول

ما لي وللجمل المعلون اتبعه \* سيان ما الجمل المعلون والفيل

ترمي النجاشي اذ ضلت مشومة \* ترمي بها فوقهم طير ابابيل

وسنة الله في الكفار واحدة \* كل له من عذاب الله تنكيل

لو ان كعب ابن شور قام ما قتلت \* منا فوارس لا عذل ولا ميل

ولا رأيت اكفا ثم طامحة \* كيف العزاء وناب الازد مفلول

لكنها فتنة القت كلاكلها \* فينا وليس لقول الله تبديل

فغدى النعمان الازدي الى علي ع م فاعجبه قوله وكساه وحمله، وعن ثابت الجزري عمن اخبره قال قال عبد الله ابن الزبير لما صنع بي الاشتر ما صنع يوم الجمل بقيت في القتلى فمر بي عبد الله بن زمعة بن الاسود فاحتملني حتى ادخلني دار عجوز بالبصرة

وعن ابي رحا العطاردي، قال دخلت الكوفة فاذا رجل حوله جماعة يحدثهم ورأيت سمتا حسنا واذا اذنه مجدوعة فقلت له ما اصاب اذنك هذه قال شهدت مع علي ص ع قتال اهل الجمل فلما هزمنا القوم خرجت اطوف القتلى عسى ان اعرف بعض من كنت اعرف فمررت برجل تشخب اوداجه وهو يفحص برجليه ويقول :

لقد اوردتنا حومة الموت امنا \* فلم ننصرف الا ونحن رواء

كفينا بني تيم ابن مرة ما جنت \* وما تيم الا اعبد واماء

لقد كان في نصر ابن ضبة امه \* واشياعها مستعبد ومناء

اطعنا قريشا ضلة من حلومنا \* وطاعتنا اهل الحجاز شفاء

قال فقلت له اتق الله وقل لا اله الا الله ، فقال لي من اي الجندين انت، قلت من اهل الكوفة ، قال هل انت مبلغ عني امانة ، قال نعم ، قال ادن مني فدنوت منه، ثم قال ادن مني فاني ضعيف نزفني الدم فدنوت منه فوثب الى اذني فقطعها بفيه كما ترى ، ثم قال لي اذا ا تيت اهلك فقالت من فعل بك هذا فقل عمرو بن الالهف الضبي خديع المرأة عائشة التي ارادت ان تكون اميرة المؤمنين .

وعن هشام عن ابي مخنف عن جرير ابن يزيد عن الشعبي عن الاصبغ بن نباتة قال لما انهزم الناس يوم الجمل ركب علي عليه السلام بغلة رسول الله صلع الشهباء ثم سار في القتلى يستعرضهم فمر بكعب ابن شور قتيلا ، فقال اجلسوه فاجلس فقال علي ع م ويل امك كعب لقد كان لك علم لو نفعك ولكن الشيطان اضلك فازلك فجعلك في الناس ارسلوه ، ثم مر بعبد الله بن خلف الخزاعي وهو ابو طلحة الطلحات فاذ هو قتيل بين يدي الجمل فامر ان يجلس ثم قال ويل امك عبد الله لقد اتيت امرا عظيما ارسلوه ، ثم مر بمحمد ابن طلحة وقيل ان هواه كان مع علي ع م فاجلس فقال هذا البائس صرعه هذا المصرع رضى ابيه ، ثم قال ارسلوه.

ومما اورده الشريف الرضي محمد ابن الحسين بن موسى قال : لما مرّ امير المؤمنين ع م بطلحة وعبد الرحمن بن اسيد قتيلان يوم الجمل قال لقد اصبح ابو محمد بهذا المكان غريبا، اما والله لقد كنت اكره ان يكون قريش قتلى تحت بطون الكواكب، ادركت وتري من بني عبد مناف وافلتتني اعيان بني جمح، لقد اتلعوا اعناقهم الى امر لم يكونوا اهله فوقصوا دونه. ففي ذلك يقول عمرو ابن عبد الله :

الا يا طلح خبرنا بعلم \* وكيف لنا برجع رهين قبري

اطعم الموت احلى ام حيوة \* ليالي انت في دعة وستر

فلو تسطع تبلغنا جوابا \* لكنت اذا تبيننا بخبر

غداة نراكم جهرا نهارا \* نجوم الليل في الجوزاء تجري

بكل مثقب وبكل عضب \* تشفي حرارة كل صدر

فكافح عن ابي حسن علي \* امير المؤمنين طلاب اجر

وقالت عائشة بنت طلحة بم عبيد الله ترثي اباها :

قد بان طلحة والفواد قريح \* ودموع عيني في الردا مسفوح

ما زلت مذ بان الجواد حزينة \* ابكي عليه تارة وانوح

عرض لنبلهم وطعن رماحهم \* ينتاب شلوك اعجم وفصيح

فلرب خرق قد قطعت وسبب \* ينجيه تغدو به وتروح

ولرب خيل قد قصدت لجمعها \* فعدت عداتك ذلة وفضوح

وامر امير المؤمنين ع م ان يكفن قتلى اصحابه في ثيابهم وان يدفنون ولا يغسلوا ليلقوا الله شهداء ، وصلى عليهم صلوة الشهداء وامر اهل البصرة فدفنوا قتلاهم ولم يمنع احدا من الصلوة على احد ودفن ع م اصحابه في سراديب كأنها خنادق وقدموا اكثرهم قرآنا واقدمهم اسلاما.

وفيما روي عن الكلبي عن ابي صالح قل قلت لابن عباس كيف لم يضع علي ابن ابي طالب السيف في اهل البصرة ، قال سار فيهم بالمن كالذي سار به رسول الله صلع في اهل مكة، وكان لرسول الله صلع في هل مكة ان يستعرضهم على السيف ولكنه منّ عليهم وكان يحب ان يهديهم الله .

واتى بمروان بن الحكم يوم الجمل اسيرا فبعث الى الحسن والحسين ص ع يسألهما ان يكلما امير المؤمنين ع م فيه وكلماه فخلى سبيله ، فقال مروان ابايعك يا امير المؤمنين فقال علي ص ع او لم تبايعني بعد قتل عثمان ، قال بلى ، فاخذ علي ع م فهزها وقال لا حاجة لي فيها فانها تنكث ولو بايعتني بيدك لنكست باستك ، ثم قال اما ان له امرة كلعقة الكلب بانفه وهو ابو الكبش الاربعة .

واتي بعمر وسعيد وابان ابناء عثمان ابن عفان ، فقال عمار ابن ياسر يا امير المؤمنين اقتل ابناء ائمة الكفر ورؤساء الضلال فخلى علي ع م سبيلهم .

واتي بالوليد بن عقبة بن ابي معيط فلما نظر علي ع م اليه قال اتدري ما مثلي ومثلك ، انه كما قال الاعشى :

امامة قد حللت بدار قوم \* هم الاعداء والاكباد سود

هم ان يثقفوني يقتلوني \* ومن اثقف فليس له خلود

ابشر بالنار يا عدو الله الحمد الله الذي امكن منك من لا يأخذه فيك هوادة ، فقال الوليد يا امير المؤمنين انشدك الله واسألك بحق رسوله الا ما مننت علي، فمنّ عليه امير المؤمنين ع م واخذ عليه لينصرفن الى بلاده ، فقال عمار ابن ياسر اقتلهم يا امير المؤمنين، قال ليس في ديننا قتل اسارى اهل القبلة اذا تابوا ورجعوا ، و اعطى علي ع م عهدا لئن ظفر بالوليد بن عقبة بن ابي معيط بعدها ليضربن عنقه ، وقال الوليد بن عقبة في ذلك :

يا ليتني كنت بالغورين من عدن \* او سرو حمير او صنعاء والجند

يوم اسحبت بشخي فتنة عرضا \* لولا ابن امي لم احفل ولم اكد

كانا عثمان فيمن كان غائلة \* سيطت لحوهما بالبغي والحسد

حتى اصابا باسهم الغي مقتله \* يا ليت عقبة لم يولد ولم يلد

والعين يغمضها الموتور مصطبرا \* للنائبات وفيها عابر الرمد

حتى اذا ما هما جاشت بحورهما \* واستوثق الامر للمرأين في كبد

شحا على الملك والاقدار غالبة \* اذ قال قائلهم روحان في جسد

شيخ قريش وكبشاهم بامهما \* ابناهما ما رأى ذا الرأي من احد

اما الزبير فناداه ابو حسن \* عند اللقاء فلم يبرز ولم يسد

قد كان قال له وقلا له مضـض \* ولى الزبير له ركضا ولم يعد

المرأ طلحة لاقى سهم ذي حنق \* رحب الذراع بضرب الرأس والحسد

ها ان قاتله مروان فارج له \* يوم القيامة اعلى جنة الخلد

او ناله غير مروان فادركه \* قتل الامام بلا عقل ولا قود

قد كنت اعلم ان البغي مهلكة \* يوم اللقا لما قد كان من نكد

واجتمع جماعة من قريش ممن كانوا مع عائشة لما ظهر عليهم امير المؤمنين ع م فقالوا والله لقد بايعنا هذا الرجل ونكثنا بيعته من غير حدث كان منه ثم ظهر فما رأينا رجلا اكرم سيرة ولا اعظم عفوا منه فانطلقوا بنا لنعتذر اليه فاتوه ، فلما نظر اليهم قال تكلموا ان شئتم وان شئتم كفيتكم ، قالوا تكلم يا امير المؤمنين ، فحمد الله بما هو اهله وصلى على نبيه محمد وآله ثم قال :

اما بعد فانشدكم الله الستم تعلمون ان رسول الله صلع قبض وانتم تعلمون اني اولى الناس بالناس وبعقود امرهم بعده ، فبايعتم ابا بكر وتركتموني فكرهت ان اشق عصى المسلمين وافرّق جماعتهم ، فلما هلك ابو بكر جعلها لعمر ابن الخطاب وتركني وانتم تعلمون اني اولى الناس وبعقود امرهم، حتى اذا قتل عمر جعلنى سادس ستة فكرهت ان اشق عصى المسلمين وافرق جماعتهم ، فبائعتم عثمان وتركتموني حتى اذا احدث ما احدث قتلتموه ثم اتيتموني وانا غير مستكره لكم فبايعتموني ثم نكثتم بيعتي عن غير حدث كان مني فما الذي جعلكم ببيعة ابي بكر وعمر وعثمان احق ان تفوا بها منكم ببيعتي ؟

فقال هشام بن مساحق القرشي يا امير المؤمنين كن كالعبد الصالح اذ قال لاخوته لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم وهو ارحم الراحمين ،

فقال علي ع م لا تثريب عليكم اليوم .

ولما فرغ امير المؤمنين ع م من امر اهل الجمل اتاه الاحنف بن قيس فهناه بالفتح ،

فقال له علي ع م الذين يتربصون بكم فان كان لكم فتح من الله قالوا الم نكن معكم وان كان للكافرين نصيب قالوا الم نستحوذ عليكم ونمنعكم من المؤمنين ،

فقال الاحنف يا امير المؤمنين انما اعتزلت بامرك وعن رأيك ولم اخالفك ،والذي فعلت كان خيرا لك وللمؤمنين .

وقال لامير المؤمنين علي ع م بعض اصحابه وددت ان احي فلانا كان شاهدا معنا ليرى ما نصرك الله به على اعدائك ، فقال علي ع م اهوى اخيك معنا ، قال نعم، قال فقد والله شهدنا في عسكرنا هذا قوم في اصلاب الرجال وارحام النساء سيرعف بهم الزمان ويقوى بهم الايمان

وفيما يروى عن الحارث ابن الاسود الدولي انه قال :

لما ظهر امير المؤمين ع م علىاهل البصرة دخل بيت المال في ناس من المهاجرين والانصار، فلما رأى ما فيه قال يا صفراء يا بيضاء غرا غيري ، ثم نظر فيه فصوب وصعد كأنما يريد حوزه ثم قال اقسموا بين اصحابي خمس مائة خمس مائة فقسّم بينهم فلا والذي بعث محمدا بالحق زادت درهما ولا نقصت درهما ، وكأنها كانت عنده بميزان وكان المال ستة آلاف الف والناس اثني عشر الف رجل .

ووفد على امير المؤمنين ع م بعد ان فتح البصرة قوم من اهل الكوفة لم يشهدوا معه القتال فقال هؤلاء قوم محرومون ، ولم يقسم لهم الا انه قال لاصحابه واسوهم .

وعن ابان ابن العباس عن ابي طفيل عامر بن وائلة ، قال دلف الناس الى امير المؤمنين يوم الجمل فقالوا يا امير المؤمنين اقسم بيننا ذراري اهل البصرة فقال ليس ذلك لكم، قالوا فلما حللت لما دمائهم وحرمت عليهم اموالهم ونسائهم ، فقال عليه السلام وما يحل لكم من ذرية ضعيفة في دار هجرة ، اما ما اجلب به القوم عليكم في عسكرهم فهو لكم مغنم، واما ما وارت البيوت والدور وغلقت عليه الابواب فليس لكم فلما اكثروا قال ص ع فان عائشة سهم فاقرعوا ، قالوا انا نستغفر الله ، قال وانا استغفر الله فسكتوا وانصرفوا ،

ونقول ان هذه السيرة في اهل البغي اول من بينها امير المؤمنين علي ابن ابي طالب سلام الله عليه وعلى ذلك ما ورد عن اهل البيت الطاهرين عليهم السلام، فقد جاء عن علي عليه السلام انه قال ما اجلب به من اهل البغي من مال وسلاح وكراع ومتاع وحيوان وعبد وامة وقليل وكثير فهو فيء يخمس ويقسم كما تقسم غنائم المشركين .

وقال ع م في اهل البغي ما اجمعوا به عليكم واستعانوا به على حربكم وضمه عسكرهم وحواه فهو لكم وما كان في دورهم فهو ميراث وعلى فرائضهم وعلى نسائهم العدة. وليس لكم عليهن ولا على الذراري من سبيل .

وعن ابن عمرو النمري عن ابي ليلا قال لما افتتح علي ص ع البصرة وقسم الفيء مما كان في عسكرهم وما في بيت المال قام اليه رجل من غني يقال له مخرمة ابن عاصم فقال والله ما عدلت في القسم قسمت بيننا ما في عسكرهم وتركت ابنائهم ونسائهم ، فقال امير المؤمنين ع م ان كنت كاذبا اني لم اعدل فلا اماتك الله حتى تدرك غلام ثقيف، فقام زيد بن يزيد اليه وقال يا امير المؤمنين وما غلام ثقيف ، فقال عبد لا يدع لله محرما الا انهتكه ولا حرمة ال ارتكبها ، فقال يا امير المؤمنين يموت او يقتل ، قال بل بقصمه قاصم الجبارين قبله ، فقال الغنوي نسأله غنائم فيأتينا بالترهات ، فقال له امير المؤمنين ص ع ثكلتك امك انا لا نسبي المرأة ولا نأخذ الصغير بذنب الكبير وقد اجتمع ابواه على الفطرة ووسعته الولاية قبل الفرقة ولكنا نربيه بالفيء ونتأناه بالكبر فان عجل علينا بالخروج اخذناه بذنبه وان لم يفعل لم نأخذه بذنب غيره ، فقام عمار ابن ياسر فقال والله لئن اتبعتموه لا تخالفوا من سنة رسول الله صلع شيئا ، ولئن خالفتموه لا تدركون من السنة شيئا ، ولتضلن ضلالا بعيدا ، فقام الغنوي الخبيث ايضا فقال اقسم بيننا نسائهم وابنائهم، فقال علي ع م ويلك ان دار الشرك احل ما فيها ،وان دارا الاسلام حرم ما فيها ، يكم يأخذ عائشة بسهمه ، قالوا لا احد، فامر علي ع م ان ينحي الغنوي فنحي وانصرف وهو يقول :

اذا ما سألت النصف والحق واضح \* عليا اتى بالترهات البسابس

فيا ليتني ادركت عبد ثقيفكم \* وما انا من هذا الكلام بآئس

فقال امير المؤمنين ع م اللهم اجعل منيته على يديه ، قال الشعبي فبقي والله هذا الغنوي حتى ادرك الحجاج الثقفي فقتله ، وقال الاسد في ذلك:

نقمت على ذاك الامام فعاله \* فدونك فاشربها بكأس ابن مروان

واسقاك حجاج شرابا بكفه \* فصيرت منه بين لحد واكفان

وقال عبد الله ابن كامل الشاكري لعلي عليه السلام :

اطعناك في الحل والحرم \* وفيما امرت من المغنم

وفي البسط والكف يوم اللقا \* ومن لا يرى ما ترى يندم

امرت بامر فلم نعده \* وما من نكوص ولا مقدم

وقلت لقوم وقد اولعوا \* بامر مصم لهم مبكم

دعوا ما ترون لهذا الامام \* فمن ينتصح مثله يسلم

وانصرف الناس وقالوا سمعنا واطعنا وقام خزيمة ابن ثابت الانصاري ذو الشهادتين وقال:

يا امير المؤمنين ان السماء اذ اظلمت عذر المخطئ القبلة، فاذا اسفرت نجومها عرف الناس قبلتهم ووجه مسيرهم وانت سماءنا ونجومنا، والله لو لا انت ما عرفنا مجيء هذه الحروب حتى جاءت ولا السيرة فيهم حتى وقعت،ولولا بسطك على اهل البغي من اهل البصرة لظهر الفساد في البر والبحر بما كسبت ايدي الناس ، ولوظهر فيها ذهب هذا الدين حتى لا يبقى منه شيء الا في صدور الذين اوتوا العلم من الناس ، فالامر اليك والنهي والبسط والقبض وعلينا التسليم، لسنا نقبل الا ما قبلت ولا نقول الا ما قلت وتتابعت الانصار بمثل ذلك القول واحسنوا، فقال امير المؤمنين عليه السلام وفقنا الله واياكم لما يرضى.

وقال خزيمة ابن ثابت في ذلك :

انما الامر ما تراه لنا اليوم \* ومهما نهيت عنه انتهينا

ان من الاله كان علينا \* وبه صار فضل ذاك مبينا

اننا نحسب الشديد شديدا \* كالذي جاء والهوينا هوينا

انما نعرف الامور بك اليوم \* كفينا من غيها واكتفينا

فلك الامر في الحوادث والنهي \* فمرنا فكل ذاك علينا

فاذا جاء ما تقول قبلناه \* وان جاء غير ذاك ابينا

ان امرا قربت منه قربنا \* او نأيت العداة منه نأينا

انت في هذه الامور امام \* قد هدينا بهديه واهتدينا

قد شهدنا بدرا واحدا مع الخنـ \* ـد ق قدما وقد شهدنا حنينا

فوصلنا بك المواطن باليوم \* وقوم تذبذبوا بين بينا

فلما سمع الناس قول خزيمة فذهب ما في انفسهم فسلموا ، وكان خزيمة اذا قال شيئا اخذت به الانصار.

وخرج امير المؤمنين ع م يريد عائشة وهي في دار عبد الله ابن خلف وامير المؤمنين ع م راكب على بغلة رسول الله صلع الشهباء واضع لجامها على القرنوس ومعه جماعة من اصحابه ، فاذا امرأة عبد الله ابن خلف تنوح على بعلها، وكان علي ع م قتله يوم الجمل مبارزة ، وقتل جدها طلحة ابن طلحة يوم بدر ، فلما نظرت الى علي ع م صاحت في وجهه وقالت يا ابن ابي طالب يا قاتل الاحبة يا مفرق الجمع ايتم الله ولدك كما ائيمت ولد عبد الله بن خلف ، فقال لها علي ع م انك انت هي، انك امرأة لا الومك ببغضتي فاعادت قولها الاول فقال علي صلوات الله عليه لو كنت قاتل الاحبة قتلت من في هذا البيت وهذا البيت، فاعادت الصياح، فقال يا عائشة اما تمنعين عني كلابك ، اما اني همت ان افتح هذا البيت وهذا البيت واقتل من فيها ، وكان عبد الله ابن الزبير في بيت ومروان بن الحكم في بيت وعبد الرحمن بن عتاب وبنو عثمان في بيت ، وذلك قبل امانهم. وقال امير المؤمنين ع م لو لا حبي العافية لاستخرجتهم فضربت اعناقهم ، فلما سمعن ذلك منه النوائح صمتت ، واقبل علي ع م على ابنة ابي بكر يلومها ويوبخها ويقول امرك الله ان تقري في بيتك فعصيته ، وخضت الدماء تقابليني وتحرضين عليّ الناس، وبنا اهل البيت شرفت وسميت ام المؤمنين، وضرب الله عليك الحجاب فالحقي ببيتك والموضع الذي خلفك فيه رسول الله صلع فالزميه حتى يأتيك اجلك ثم انصرف عنها.

وعن هشام عن ابي مخنف عن جابر بن يزيد ين محمد بن علي عن عبد الله بن العباس انه قال لما هزمنا اصحاب الجمل وانصرفت عائشة الى قصر بني خلف امرني علي عليه السلام اليها يأمرها بالرحيل الى المدينة فاتيتها فاستأذنت فاذنت لي فدخلت عليها البيت الذي هي فيه فاذا ستر بين وتدين وهي خلفه واذا البيت لم يعد لي فيه مجلس فتناولت طنفسة كانت في كسر البيت فجلست عليها فقالت عائشة يا ابن عباس اخطأت السنة تدخل مجلسنا بغير اذننا وتجلس على بساطنا بغير امرنا ، فقلت نحن علمناك واباك السنة ونحن اولى بها منك، انما بيتك الذي خرجت منه عاتية ربك عاصية لنبيك صلع ظالمة له، وهو الذي اسكنك فيه فاذا رجعت اليه لم ندخل بيتك الا باذنك ، ولم نجلس على بساطك الا بامرك ، ثم قلت لها ان امير المؤمنين ع م يأمرك بالرحيل الى المدينة وقلة العرجة ، فقالت رحم الله عمر ابن الخطاب ، فقلت هذا امير المؤمنين حقا حقا وله سبقه وقرابته ، وان رغمت منه المعاطس واسودت له الوجوه ، اما والله لهو امس برسول الله صلع رحما واكثر علما واقدم سلما واحسن في الاسلام واعلى فيه منارا من ابيك ومن عمر، فقالت عائشة انفت والله ذلك ، فقلت لا جرم والله ان اباك لقصير المدة عظيم التبعة ظاهر النكد بين الشوم وما زاد منك على حلبة شاة حتى صرت لا تأخذين ولا تعطين ولا تأمرين ولا تنهين ،وصرت كما قال حصن ابن الاسدي حين يقول :

ما زال اهداء القصائد بيننا \* عدا الذنوب وكثرة الالقاب

حتى تركت كان قولك فيهم \* في كل مجمعة طنين ذباب

قال ابن عباس فاذرت دموعها وقالت اخرج عنكم ، فوالله ما في الارض بلد ابغض الى من بلد انتم فيه ، معاشر بني هاشم ، فقلت اما والله ما هذا بلاؤنا عندك ولا احساننا اليك ، وقد جعلنا اباك صديقا ، وانما هو ابن ابي قحافة ، وجعلناك ام المؤمنين وانت ابنة ام رومان ، قالت اتمنون علي يا ابن عباس برسول الله صلع ، فقلت : وما يمنعنا من ذلك ، ولو كان فيك قلامة من ظفره لمننت به ونحن منه واليه ولحمه ودمه ، وانما انت حشة من سبع حشيات خلفهن رسول الله صلع بعده، اما والله ما انت بارسخهن عرقا ولا اطولهن فرعا، ولا انضرهن وجها ولا اكثرهن ظلا ولا احسنهن منظرا ، فصرت بنا تدعين فتجابين ، وتأمرين فتطاعين ، والله ما شكرت بلاءنا عندك ولا احساننا اليك، بل كنت في ذلك كما قال اخو فهر :

مننت على قوم فابدوا عداوة \* فقلت لهم خلوا العداوة والشكرا

قال فسكتت وانصرفت الى امير المؤمنين ع م فقصـصت عليه القصة ، وما جرى بيني وبينها ، فقال انا كنت اعلم بذلك اذ ارسلتك يا ابن عباس.

وبعث امير المؤمنين ع م مالك الاشتر الى عائشة يرحلها الى المدينة بعد ان رجع عنها ابن عباس فقالت عائشة لمولى لها اسود وهو قائم على رأسها متقلد سيفا ، اما ترى ويحك هذا الاشتر يرحلني وانا كارهة ، فقال الاسود اما والله هذا السيف في عنقي فلا ، فسمعه الاشتر فعطف عليه فلطمه لطمة وقع الاسود منها وسقطت البيضة عن رأس الاشتر من لطمته ، قال عدي بن حاتم فنظرت الى رأس الاشتر فاذا فيه ست وعشرون قطنة تحت كل قطنة ضربة ، فقالت عائشة للاشتر اما انك صاحب ابن اختي ، قال الاشتر نعم ومعذورة الى الله ثم اليك اني ان كنت طاويا ثلاثا قبل ذلك ، وضربته فصرعته وبركت عليه لاذبحه، فكلما مر عليه فارس استغاث به فمر عليه حرشة الضبي فعرفه فدنى منه ليعينه فوثبت اليه فقرنته به وما قمت عنه الا وانا اظن اني قد ارحت الامة منه ولكن له اكلة ومدته، ولو رأيته يقول اقتلوني ومالكا لعرفت انه قد يئس من الحيوة ، وكان ابن الزبير يسمع قول الاشتر من بيت آخر فتكلم بشيء، فقال الاشتر اما والله لئن دخلت عليك لافقأنك كما تفقأ السقاء ، فقالت عائشة يا مالك ان رسول الله صلع قال لا يحل قتل امرء مسلم الا باحدى ثلاث خصال : زني باحصان او قتل نفس بغير نفس ، او مرتد ، قال الاشتر فانما قاتلناكم على احدى هذه الثلاث ، وقال مالك الاشتر في ذلك:

اعائش لو لا انني كنت طاويا \* ثلاثا لالفيت ابن اختك هالكا

غداة ينادي والرجال نحوره \* بارفع صوتيه اقتلوني ومالكا

فلم يعرفوه اذ دعاهم وغمه \* عليه خدب كان في الحرب تاركا

ونجاه مني شيبتي وشبابه \* وخلوة بطن لم اكن متماسكا

وما فاتني الا باخر جرعة \* من الموت يدعو اسود اللون حالكا

وقالت على اي الخصال عرضته \* لقتل اتى او ردّة لا ابا لكا

او المحصن الزاني الذي حل قتله \* فقلت لها لا بد من بعض ذلكا

وقال عمار ابن ياسر يذكر يوم الجمل :

اعائش الا تتقين خطيئة \* نهاك رسول الله عنها محمد

اطعت بها رهطا اتوك شبهة \* وغير الذي جاؤا الى الحق اقصد

وما كان الا بغية الملك دهرهم \* ودنيا لها زموا المطي واوجدوا

فلما اتونا يحسبون باننا \* قطينا لهم واننا سوف نحصد

اقمنا لهم طعنا بكل مثقف \* وضربا ترى الاوصال منه تبدد

غداة ازرنا ضبة الذل واحتوت \* عديا لنا خيل تشل وتقصد

وقام الحجاج بن عرانه الى امير المؤمنين ع م وقال اني قلت شعرا فاسمعه،قال هاته فانشده :

اطعناك يا خير البرية كلها \* فطاعتك الحق الذي انت جامعه

اذا معك الرحمن لم تخش ضيعة \* ومن كان حزب الله فالله مانعه

رأوا نعمة الله ليس عليهم \* لديك وفضلا فيك ما ان ينازعه

يعضوا من الغيظ الطويل اكفهم \* عليك ومن عاداك فالله باخعه

فضلت قريشا بالذي انت اهله \* وفضلك فضل لا تطاق دوافعه

يطول علينا ان نعد دخيلة \* الى كل امر صالح انت جامعه

سبقت بامر لا يشق غباره\* قريش ومن حاذاك فالله واضعه

من الدين والدنيا جميعا على التقى \* وفوق منانا دينه وطبائعه

فان تك ام المؤمنين جرت لها \* جداول من بحر تنق ضفادعه

وادركها رأي النساء وقادها \* هواها الى الامر المخوف قوارعه

فان امير المؤمنين موقر \* وقد ملئت مما تقول مسامعه

فما ضره ان كف عنها جوابه \* ولكنه في كظمة الغيظ نافعه

وفارس خيل نفسه في ثباته \* واخر لم يقبل بها من يخادعه

فويل ابيه في اللقاء وامه \* اذا ضمت الرمح الطويل اصابعه

اذا شد في نفع العجاجة شدة \* فاقرب مهواه واقرب صارعه

ويعجز عنه كل خصم ولم يكن \* بلين لخصم من قريش يخادعه

وفيما روى عن هشام عن ابي مخنف عن عروة عن ابن الزبير ان محمدا ابن بكر اخذ له الامان من علي ع م وجهزه فخرج من البصرة ، قال عبد الله ابن الزبير فانطلقت فمررت في منصرفي حي من بني تميم فسمعت صهيل فرس ابي الزبير فقلت لغلامي رفق في مسيرك فلن اخرج حتى ارجع حتى اجده او اموت ، فانطلقت فحللت الفرس من مربطه ثم لحقت به غلامي ، فلما رآه بكى وقال عبد الله ابن الزبير في ذلك :

وذكرني الزبير صهيل طرف \* تناوله ابن جرمون بغدر

فقلت لصاحبي قف لي فاني \* لقاض غصتي بوفاء نذر

فان الحق فذاك نجا ونجح \* والا فانشمر اخبر بامري

فجئت اقوده والنجم عال \* وما هي من ابي بكر بنكر

وقد كان الزبير لجا قريش \* اذا فزعوا وفارس حي فهر

واجودهم على العلاء كفا \* واعودهم على عسر ويسر

واقومهم بنهج الحق فيهم \* واتركهم لشبهة كل امر

فان تكن المنية ادركته \* فكل فتى الى الغايات يجري

وقد قالوا هوت بابيك نعل \* فقلت لهم الا لا لست ادري

لان الامر من خوف ونكر \* فلست بغادر ابدا بغدر

ثم ان امير المؤمنين ارسل الى عائشة اخاها محمدا فقال لها ان امير المؤمنين عليه السلام يأمرك بالانصراف الى المدينة فقالت لست منصرفة حتى القاه فرجع الى علي ع م بقولها فقال ع م له ارجع فقل لها والله لتنصرفن او لاقول الكلمة التي تعرف، فاتاها محمد فابلغها الرسالة ، فامرت ان يشد رحلها حين ابلغها اخوها ذلك القول ، وكانت مع عائشة امرأة من بني هلال تخدمها احتسابا ، فقالت لها يا ام المؤمنين رأيتك اكبرت هذه الكلمة وقبل ذلك ما قد بعث اليك بالانصراف فابيت ان تنصرفين ، فانا اسألك بحق الله ورسوله صلع وحق خدمتي اياك لما اخبرتني فقالت عائشة ويحك ان رسول الله صلع اصاب فيئا عظيما فجعل يعطي الناس وكنت انا وحفصة بنت عمر وزينب بنت جحش عنده وهو يقسم ذلك الفيء فسألناه ان يعطينا منه ودخل علي ع م ونحن قد الحـحنا على رسول الله صلع واضجرناه ، فلما رأى علي الحاحنا على رسول الله صلع وعظنا فتجهمنا له وقلنا يا ابن ابي طالب اما في رسول الله صلع كفاية بما يعظنا حتى تعظنا انت ، فقال عسى ربه ان طلقكن ان بيدله ازواجا خيرا منكن الى آخر الآية ، فتجهمناه ايضا واغلظنا له القول فغضب رسول الله صلع ثم قال يا علي من طلقت منهن فهي طالق بنا ، ولم يذكر رسول الله صلع موتا ولا حيوة ، وهي الكلمة قد خفت ان يطلقني فابين من رسول الله صلع ، فقالت الهلالية فهل كان رسول الله صلع امرك بهذا المسير ، فقالت عائشة لا والله لا اكذب عليه اليوم ، ولقد نهاني عنه وتقدم الي فيه، فانصرفت الهلالية وهي نادمة على خدمتها عائشة .

وجاء عن هشام عن ابي مخنف عن عمار ابن معاوية عن ابي الجهد عن ابن عباس رضوان الله عليه قال ذكر رسول الله صلع خروج بعض نسائه فتعجبت عائشة فقال رسول الله صلع يا حميراء اني اراك هي ، ثم قال لعلي ع م اوصيك بنسائي خيرا امسكهن من وجدك وانفق عليهن من طولك ، قال يا رسول الله فمن عصاني منهن ، قال طلقها ان شئت .

وبعث علي عليه السلام مع عائشة ثلاثين رجلا كلهم من اشراف العرب وبعث معها من النساء ذوات الشرف والاخطار عشرين امرأة ، وقد قيل ان الذي بعث منها امير المؤمنين عليه السلام اكثر مما ذكرناه ، وهذه الرواية اصح لانه قد جاء عن جابر بن يزيد انه قال ذكرت هذا الحديث لمحمد ابن علي ابن الحسين عليهم السلام فقال صدقت يا جابر بعث معها علي ع م ثلاثين رجلا وعشرين امرأة قد ختموا القرآن وختمن اخبرني به علي ابن الحسين صلوات الله عليه .

وروي عن ابي يزيد الضبي عن ابيه انه قال بينا النساء الذين سيرهن علي عليه السلام مع عائشة فذكرت عليا ع م اذ عارضت عائشة فتنقصته واثنت على طلحة والزبير فقالت امرأة من عبد القيس :

اما يكفيك ما احدثت حتى \* تسبين الوصي ابا الحسين

وفيك العيب والشين المنادي \* به اذ جئت امرا غير رين

ازال الستر عنك غرور قوم \* فامسيت العشية بين بين

واخرجك الزبير بخدعته \* واجلى الامر عن كذب ومين

وطلحة شك مروان بسهم \* مطاه الشاه منه برأي عين

يقول لهم وعوتب في اخيه \* عدو كنت اطلبه بدين

فيا لله ما سحبت علينا \* ذيولك من بقا نقص وشين

فليتك كنت في اجأ وسلما \* ويحصب والقبائل من رعين

ولم تشدد لعسكر فسعتاه \* ولم يجن المجازة من حنين

وجاء عن ابي اسحق الهمداني ان عائشة لما انتهت الى المدينة وتلقاها الناس قالت الا ان علي ابن ابي طالب خير البرية وان رغمت انف عائشة .

وعنه انه قال لما دخلت عائشة المدينة وقد كانت ام سلمة نهتها وقالت ان خرجت لم اكلمك ابدا فمضت عائشة الى ام سلمة رض فولاها ام سلمة ظهرها وقالت الم انهك يا حائض ، الم اقل لك ، فقالت عائشة وددت اني كنت نسيا منسيا او كنت روثة او كنت كذا ولم اخرج على علي ابن ابي طالب ، وما من شيء كنت اتمناه لعثمان الا قد اصابني مثله ولو تمنيت ان يقتل لقتلت .

وفي رواية عن الاحلج بن عمار ابن معاوية عن عمته عميرة قالت دخلت على عائشة بنت ابي بكر بعد ما انصرفت الى المدينة فقلت لها يا ام المؤمنين انا كنا اخوة وان والدنا توفي فلم تزل امنا حتى افسدت بيننا الى ان تقاتلنا ، فقالت بشرى امك بالنار ، فقالت لها عميرة هي والله انت، قالت عائشة عراقية اخرجي عني فعل الله بك وفعل فقلت لا اخرج ، فقال رجل يا ام المؤمنين ما استطعت ان تصلحي بين الناس ، قالت عميرة لا لكنها افسدت ثم خرجت ، فقال سعيد بن وهب الهمداني في ذلك :

فقالت امنا ودعت علينا \* وام المؤمنين لها عشية

اعوذ بخالقي مما ارادوا \* واشهد انني منهم برية

غداة اتى بعائش خادعاها \* وقالا قولة فيها بلية

فجاء الظالمان فخادعاها \* وما كانت لتشهده صفية

وجاء عن الكلبي عن ابي صالح انه قال قتل يوم الجمل من اصحاب عائشة وطلحة والزبير من قريش تسعة وثلاثون رجلا ومن بني ناحية اربعمائة رجل ومن الازد اربعة آلاف رجل ومن بني ضبة الفا رجل ، ومن بني حنظلة بن عمر والرباب سبع مائة رجل ، قالوا ومن سائر الناس تسعة آلاف رجل فكان القتلى من اهل الجمل على هذه الرواية ستة عشر الفا ومائة وتسعة وثلاثين قتيلا .

وعن ابي مخنف عن جابر ابن زيد عن تميم بن جذام قال قتل من اصحاب علي مبارزة يوم الجمل عشرون ومائة رجل ومن اصحاب الجمل تسعة عشر الفا وتسعمائة وثلاثون رجل ، هذا الذي جاءت الروايتان به والله اعلم .

واقام امير المؤمنين ع م في معسكره خمسة عشر يوما وارسل للناس ليبايعوه على كتاب الله وسنة رسوله صلع فوافوه واخذ عليهم عهد الله وميثاقه واشد ما اخذ على النبيين من عهد وميثاق ان لا نكثوا ولا غدروا ولا مالوا عليه وعدوا ولا سعوا في امر يضر بالاسلام واهله ولينصحن وليجاهدن عدوه .

ثم دخل البصرة فاجتمع عنده بعد فراغهم من البيعة فقالوا يا امير المؤمنين ما رأى الناس قتالا قط اشد منه ، فقال عمار بن ياسر لو لا اننا فررنا ثم كررنا فضحك امير المؤمنين فقال لا عيش الا الجنة المخضرة لا بأس بالكرة بعد الفرة ، ثم قال ع م دلوني على بني ناحية فلما اتاهم وضع له كرسي فجلس عليه فحمد الله ووحده وصلى على نبيه محمد وقال يا معاشر الناس ان النساء نواقص الايمان نواقص الحظوظ نواقص العقول ، فاما نقصان ايمانهن قعودهن عن الصلوة والصيام في ايام حيضهن ، واما نقصان عقولهن فشهادة الامرأتين كشهادة الرجل الواحد ، واما نقصان حظوظهن فمواريثهن على الانصاف من مواريث الرجال ، فاتقوا شرار النساء وكونوا على خيارهن على حذر ، ولا تطيعوهن في المعروف حتى لا يطمعن في المنكر ، ثم قال يا اهل البصرة ا يتفكت باهلها ثلاثا ، وعلى الله تمام الرابعة ، كنتم جند المرأة واتباع البهيمة ، رغا فاجبتم وعقر فهربتم ، اخلاقكم رقاق ، وعهدكم شقاق ، ودينكم نفاق ، وماءكم زعاق ، المقيم بين اظهركم رهين بدينه ، والشاخص عنكم متدارك برحمة من ربه ، كأني بمسجدكم كجؤجؤ سفينة قد بعث الله عليها العذاب من فوقها ومن تحتها وغرق من في ضمنها،

ثم دخل المسجد وامر مناديه فنادى الصلوة ، وقام خطيبا فحمد الله واثنى على النبي صلع وكان فيما قال :

اما بعد ، فان الله ذو رحمة واسعة ، وعفو جم ، وعقاب اليم ، وعز ومنعة ، قضى ان رحمته ومغفرته وعفوه لاهل طاعته من خلقه وبرحمته اهتدى الصالحون ، وانابوا اليه وقضىان عقوبته لمن ابتدع في دينه وصد عن امره ، وبعد البيان ضل الضالون، يا اهل البصرة قد امكني الله منكم واظهرني عليكم ، فما انتم ظانون وما انتم قائلون ، فقد نكثتم بيعتي وظاهرتم علىعدوي ،

فقام الناس من وسط المسجد فقالوا يا امير المؤمنين نقول خيرا ونظن خيرا ، قد ملكت فان عفوت فذلك الظن فيك، وان عاقبت فمظلوم يكل ظالما وادبه ،

فقال ع م فاني قد عفوت عنكم وضمنت عليكم بامانكم ، فاياكم ان تعودوا لفتنة ولا نكث بيعة ابدا ، فانكم اول من اظهر القتل والشقاق ، وجار عن العدل والانصاف، ثم قال لهم اين امراء اجنادكم واين اصحاب رأياتكم والويتكم ،

قالوا قتلوا يا امير المؤمنين يوم الجمل ، قال بعدا لهم وسحقا ، اما والله لقد دعوتهم الى كتاب الله وسنة نبيه صلع فغضبوا لذلك ، الا ان كل رأية رفعت ليس لنا فهي رأية ضلال ، الا وكل من قام يدعو الينا وليس يسير بسيرتنا فنحن منه براء ،

فقام الاشتر النخعي رحمة الله عليه ، فقال يا امير المؤمنين ان الناس لا يعرفون ضلال ما كانوا عليه ولا هدى ما دخلوا به حتى تستيبهم من هذه الضلالة بعينها ،

فقال الاصبع يا مالك لا تنصب نصب السقاء ، الامر الى صاحبك

فقال يا امير المؤمنين بيعة عامة احب الينا من ولاية من ولينا وعداوة من عدونا والتسليم لامرنا ،

واعتل امير المؤمنين بالبصرة وامر ابنه الحسن فصلى بالناس وخطبهم فحمد الله واثنى عليه وصلى على النبي ثم قال ان الله تعالى لم يبعث نبيا الا اختار له وصيا ووزيرا من اهل بيته ، والذي بعث نبيه محمدا نبيا بالحق لا ينتقص من حقنا اهل البيت احد الا نقصه الله من عمله ولا تكون علينا دولة الا كانت لنا العاقبة من بعده ، ولتعلمن نبأه بعد حين.

واخبر علي ص ع بقوله فقال بابي وامي ذرية بعضها من بعض

وكتب علي ع م الى اخته ام هاني بنت ابي طالب وهي بمكة :

ام بعد فانا التقينا في النصف من جمادى الاولى فاعطانا الله النصر واعطاهم سنة الظالمين فقتل الله طلحة والزبير وعبد الرحمن بن اسد فيمن لا يحصى من اهل البصرة ، واستشهد بنو مجدوع الثلاثة وابنا صوحان وعلياء وهند وتمامه ابن المثني رحمة الله عليهم فيما لا اعد من المسلمين، والسلام.

وكتب عليه السلام الى اهل الكوفة بسم الله الرحمن الرحيم من عبد الله علي امير المؤمنين الى قرظة ابن كعب ومن قبله من المسلمين سلام عليكم ، اما بعد ، فانا التقينا والقوم الناكثون لبيعتنا المفرقون لجماعتنا الباغون علينا من امتنا ، فحاججناهم فحججناهم وحاكمناهم الى الله فادالنا الله عليهم ، فقتل طلحة والزبير بعد ان تقدمت اليهما في النصيحة واشهدت صلحاء امتي معي فما اطاعا المرشد ولا اجابا الناصح، ولاذ اهل البغي بعائشة فقتل حولها من اهل البصرة عالم وضرب الله وجوه بقيتهم فادبروا فما كانت ناقة حجر باشأم منها عليهم على اهل ذلك المصر مع ما انت به من الحوب الكبير في معصية الله ربها ، وترك طاعة نبيها صلع واعناقها في التفريق بين المسلمين وسفك دمائهم بلا بينة ولا معذرة ولا حجة ظاهرة ، فلما هزمهم الله امرت ان لا يتبع مدبر ولا يجاز على جريح ولا يهتك عورة ولا يكشف ستر ولا تدخل دار الا باذن وامنت الناس واستشهد منا رجال صالحون ضاعف الله حسناتهم ورفع درجاتهم واثابهم ثواب الصالحين الصابرين وجزاكم من اهل مصر من اهل بيت نبيكم افضل ما يجزي العاملين بطاعته الشاكرين لنعمته . فقد سمعتم واطعتم واجبتم اذا دعيتم ، فنعم الاخوان والاعوان انتم على الحق، والسلام . وانا على اثر كتابي هذا اليكم اريد نصرتكم وموازرتكم والحلول بين اظهركم فمن يجبني وينصرني فقد عرف الحق ونصر الله ، وهو ولي حرابه وحسبي بكم اعوانا وفي الدين اخوانا ولله انصار والسلام.

وحدث عن يزيد ابن جابر قال لما اراد امير المؤمنين ص ع الخروج عن البصيرة قام خطيبا فقال في خطبته :

اما بعد فاني قد استخلف عليكم عبد الله ابن عباس بن عبد المطلب فاسمعوا له واطيعوا امره ما اطاع الله ، فان احدث فيكم حدثا او زاغ عن الحق فاعلموني ذلك اعزله عنكم مع اني ارجو ان تجدوه عفيفا مسلما ورعا ، فاني لم اوله واني اظن به الا الخير ، ثم قال يا اهل البصرة اني قدمت اليكم في اسمالي هذه وعلى رحلي وراحلتي وقائمي يعني غلامه فانا ان خرجت من عندكم بغير هذا فانا من الظالمين الخائنين غفر الله لي ولكم ، ثم نزل.

ولما خرج علي ابن ابي طالب صلوات الله عليه من البصرة قال :

الحمد لله الذي اخرجني من اخبث البلدان مغيض الانهار ابعد ارض الله من السماء واقربها من الماء واسرعها خرابا وانتنها ترابا وفيها تسعة اعشار الشر ، وفيها مردة الشياطين وفيها كل ذا عضال ، المقيم فيها بذنب ، والخارج برحمة ، فقال الاحنف بن قيس افلا ارتحل عنها يا امير المؤمنين ، قال ع م لا انت معنا، انما اعني المقيم المتكبر عن نصرتنا.

وسار مع امير المؤمنين ع م اهل البصرة الى مرفوع ثم رجعوا وسار معه الاحنف بن قيس وشريك ابن الاعور الى الكوفة

وعن ابي الصلت التميمي قال حدثنا اشياخ الحي قبل دير الجماجم، قالوا خرجنا مع فرصه بن كعب يستقبل عليا ع م في مقدمه من البصرة فلقيناه دون نهر البصرة في يوم بارد وانه يمسح العرق عن وجهه ، فقال له الفرصة يا امير المؤمنين ، الحمد لله الذي اعز وليك واذل عدوك ونصرك على القوم الباغين، فقال عبد الله ابن وهب الشيباني اي والله انهم لظالمون باغون.

وعن ابي صالح قال قلت لابن عباس كم مقام علي عليه السلام يوم الجمل في معسكره حتى دخل البصرة، وكم اقام بالبصرة حتى خرج الى الكوفة؟ فقال اقام في عسكره خمسة عشر ليلة، ثم دخل البصرة فاجمع فيها، ثم خرج الى الكوفة.

وبعث امير المؤمنين علي عليه السلام على مقدمته من البصرة مالك الاشتر فاخذ على الظهر الىالخلجا ثم تبعه علي عليه السلام .

والحمد لله مظهر الحق على الباطل ، ومبتلي اوليائه واشياعهم بعظم الزلازل ، ومؤتيهم فيها الاجر الكامل ، وصلى الله على رسوله خير الاواخر والاوائل ، وعلى وصيه وآلهما السادة الافاضل.

تم الجزء الثاني من كتاب عيون الاخبار وصحيح الآثار

كتاب عيون الاخبار

الجلد الثالث

للداعي الاجل سيدنا ادريس عماد الدين رضوان الله عليه

# 

بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين في جميع الامور

الحمد لله الذي ارسل محمدا نبيه بشيرا ونذيرا ، وداعيا الى الله با ذنه وسراجا منيرا ، وجعل عليا منه كهارون من موسى اخا ووصيا ووزيرا ، صلى الله عليهما وعلى الائمة من آلهما الذين اذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا،

وكان مقدم امير المؤمنين علي ابن ابي طالب ع م الى الكوفة يوم الاثنين لاثنتي عشرة ليلة مضت من شهر رجب سنة ست وستين وقد اعز الله نصره ، ومعه اشراف اهل البصرة فاستقبله اهل الكوفة ومعهم قراءهم واشرافهم ، فدعوا له بالبركة وقالوا له يا امير المؤمنين اين تنزل ، قال الرحبة فنزلها ، والكوفة الرملة الحمراء وبها سميت الكوفة وكوفان ايضا .

واقبل امير المؤمنين حتى دخل المسجد الاعظم ثم صعد المنبر صلوات الله عليه وقام خطيبا فقال :

الحمد لله الاول فلا شيء قبله والآخر فلا شيء بعده والظاهر فلا شيء دونه، واشهد ان لا اله الا الله الذي اصطفى رسوله محمدا وجعله بروحه الامين مؤيدا واصطفاه من بين الورى بالحق والهدى مستقره خير مستقر ، ومنبته اشرف منبت في معادن الكرامة ، ومماهد السلامة ، وقد صرف نحوه افئدة الابرار ، وسيراليه ازمة الابصار، دفن به الضغائن الجاهلية ، واطفأ به نار العصبية والحمية، الف به اخوانا، وقرن به اقرانا ، اعز به بعد الذلة ، واذل به بعد العزة ، صلى الله عليه من نبي كلامه بيان ، ورحمته لسانا .

وقال ص ع في خطبته :

اما بعد ، يا اهل الكوفة فان لكم في الاسلام فضلا ما لم تبدلوا وتغيروا ، ودعوتكم الى الحق فاجبتم، وبدئتم بالمنكر فغيرتم ، الا ان فعلكم فيما بينكم وبين الله ، فاما في الاحكام والقسم فانتم اسوة من اجابكم ودخل فيما دخلتم فيه ، الا ان اخوف ما اخاف عليكم اتباع الهوى وطول الامل ، فاما اتباع الهوى فيضل عن الحق وطول الامل ينسي الآخرة ، الا ان الدنيا قد ترحلت مدبرة والآخرة قد اقبلت قبلة ، ولكل واحد منهما بنون فكونوا من ابناء الآخرة ولا تكونوا من ابناء الدنيا، فاليوم عمل ولا حساب، وغدا حساب ولا عمل ،

الحمد لله الذي نصر وليه وخذل عدوه ، واعز الصادق المحق، واذل الناكث المبطل ، عليكم يا اهل هذا المصر بتقوى الله وطاعته، وطاعة من اطاع الله من اهل بيت نبيكم الذين هم اولى بطاعتكم فيما اطاعوا ولي الله من المنتحلين الذين يتفوهون بفضلنا ويجحدوننا فسوف يلقون غيا ، ولقد علم المستحفظون من اصحاب محمد صلع اني الم ارد على الله وعلى رسوله ساعة قط ، ولقد واسيته بنفسي في المواطن التي ينكص فيها الابطال ، وتأخر الاقدام ، نجدة من الله اكرمني بها ، ولقد قبض رسول الله صلع وان رأسه لعلى صدري ، ولقد سالت نفسه في كفي ، فامررتها على وجهي ، ولقد وليت غسله صلع والملائكة اعواني، فضجت الدار والافنية ملأ يهبط وملأ يعرج، وما فارقت سمعي منهم يصلون عليه حتى واريناه في ضريحه، فمن ذا احق به مني حيا وميتا ، صلى الله عليه ، فانفذوا علي بصائركم ولتصدق نياتكم في جهاد عدوكم، فوالذي لا اله الا هو اني لعلى جادة الحق وانهم لعلى منزلة الباطل ، اقول ما تسمعون واستغفر الله لي ولكم .

وعاتب علي صلى الله عليه من تخلف عنه من من اهل الكوفة من اولي الرياسة منهم فيهم المسيب ابن محبة وسعيد ابن قيس الهمداني وسليمى بن طوط الخزاعي حليف بني هاشم والحرث ابن حسان والحصيني بن غنم التميمي فاعتذروا اليه ووعدوه ان ينصروه على اهل الشام وسألوه العفو عنهم وقالوا يا امير المؤمنين قد دلينا اليك فاعذر ، ولا عذر الا ان تعذر ، وامامك خرب ضروس ونحن لك حيث تحب، ومن حضرك او غاب عنك فهو على ما تحب ، وانا يا امير المؤمنين ممن لا يشك في مودته لك و نصحه وموالاته ، فقال يا امير المؤمنين ص ع قد قبلت معذرتكم وصدقت كلامكم وعفوت عنكم ورضيت نطقكم وحملت امركم ما ذكرتم ، وانما يعاتب الاريب وانتم من اهل الطاعة عندي والموالاة لي ،

فلما ظهرت لهم معاتبته وجاءهم منه القبول والعفو اجتمعت كلمتهم بالطاعة والموازرة ومالت اليه قلوبهم، واكثرهم قد عرف فضله ومنزلته عند رسول الله صلع

وقام الى امير المؤمنين ع م ابو بردة بن عوف الازدي وكان ممن تخلف عنه يوم الجمل ويذكر انه كان عثمانيا وقد شهد مع علي ع م مع ذلك صفين ، قالوا وكان يكاتب معاوية حتى اقطعه قطوعة بالعلوجة ، فقال ابو بردة : يا امير المؤمنين أرأيت القتلى حول عائشة وطلحة والزبير بم قتلوا ؟ فقال علي ع م قتلوا بما قتلوا شيعتي وعمالي، فقتلوا اخا بيعة العبدي رحمة الله عليه في عصابة من المسلمين قالوا لا ننكث كما نكثتم ولا نغدر كما غدرتم، ثم وثبوا عليهم فقتلوهم، فسرت اليهم ليدفعوا اليّ قتلة اخواني اقتلهم بهم ثم كتاب الله حكم بيني وبينهم فابوا علي فقاتلوني وفي اعناقهم بيعتي ودماء جماعة كثيرة من شيعتي فقتلتهم بهم ، افي شك انت من ذلك ؟ فقال الازدي اما الآن فلا قد عرفت واستبان لي خطأ القوم وانت المهتدي المصيب الرشيد .

وفيما روي عن ابي عبد الله عن الوليد بن عتبة عن ابي طبية عن ابيه قال اتم علي عليه السلام قال علي ابن الحسين بن علي ابن ابي طالب ع م : فلما كانت الجمعة وحضرت الصلوة خطب امير المؤمنين عليه السلام بالكوفة :

بسم الله الرحمن الرحيم ، الحمد لله احمده واستعينه واستهديه واعوذ بالله من الضلالة والردى ، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلن تجد له وليا مرشدا ، واشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له، واشهد ان محمدا عبده ورسوله انتخبه لامره واختصه بالنبوة اكرم خلقه عليه فاوصيكم بتقوى الله، فان تقوى الله خير ما تواصى به عند الله واقربه لرضوانه وخيره في عواقب الامور عند الله وبتقوى الله امرتم وللاحسان خلقتم ، فاحذروا من الله ما حذركم من نفسه فانه حذر بأسا شديدا، واخشوا الله خشية بغير تعذير ، واعملوا في غير رياء ولا سمعة ، فانه من عمل لغير الله وكله الله الى ما عمل له ومن عمل لله مخلصا تولىالله اجره، واشفقوا عن عذاب الله فانكم لن تخلقوا عبثا ، ولم يترك امركم سدى ، قد سمى الله آثاركم ، وعلم اعمالكم ، وكتب آجالكم ، فلا تغتروا بالدنيا فانها غدارة لاهلها مغرور من اغتر بها ، والى فناء ما هي ، وان الدار الآخرة لهي الحيوان لوكانوا يعلمون ابناء الدنيا ، اسأل الله منازل الشهداء وعيشة السعداء ومرافقةالانبياء ، فانما نحن له وبه .

وارتد بعض بني ناحية عن الاسلام وكان بنو ناحية من انصار عائشة واهل الجمل، ولما غلب امير المؤمنين ص ع علىالبصرة ركبواهم وعيالهم في سفن كانوا اعدوها وتوجهوا الى عمان ، وبعث امير المؤمنين ع م الى بني ناحية معقل بن قيس الرياحي في جيش من تميم من بني رياح فلحقهم في بعض آساف فارس وهم يريدون الذهاب الى عمان فقاتلهم قتالا شديدا ، فلما ان كثر القتل فيهم نزلوا على حكم معقل فقال لهم تميزوا ، وكان بعضهم قد تنصر ، فلما تميزوا دعى الذين تنصروا الى التوبة والرجوع الى الاسلام فابوا الا تماديا في الكفر فضرب اعناق المقاتلة وسبى الذرية من الذين تنصروا وخرجوا عن الاسلام ، واطلق المسلمين منهم ولم يعرض لهم ، وفي ذلك يقول معقل الرياحي :

لعمركم ان لي قربة \* الى الله قتل بني ناحية

قتلت الرجال واحذت العيال \* على الحق والسنة الماضية

وقد قال قوم قيس معقل \* وكانت قلوبهم قاسية

فقلت سبيت على ردة \* واني لواطئهم ثانية

تنصّر قوم ولم يسلموا \* فقلت تنحوا بهم ناحية

والحد قوم بما الحدوا \* فلم تك في قتلهم خاطئة

فكانوا سواء على كفرهم \* وكلهم امهم هاوية

وكان معقل سيّره امير المؤمنين عليه السلام وهو بالبصرة فرجع الى امير المؤمنين ص ع وهو بالكوفة والسبي مع معقل فامر بهم امير المؤمنين ع م ان يباعوا فاشترى حمران بن ابان كاتب عثمان جماعة منهم فاعتقهم ، واشترى مصقلة بن هبيرة الشيباني بعضهم باربع مائة الف واعتقهم ايضا ، فلما جن عليه الليل ركب دوابه ورواحله وهرب الى الشام الى معاوية ، فلما اصبح الناس ذكروا ذلك لعلي ع م فقال قبح الله مصقلة فعل فعل السادة وفرّ فرار العبيد ، فما انطق مادحه حتى اسكته ، ولا صدق واصفه بشيء حتى بكته ، ولو اقام اخذنا ميسوره وانتظرنا بماله موفورة ، فقال الناس لامير المؤمنين ع م لو رددتهم الى الرق ، قال ليس الي رقهم سبيل بعتموهم ورضيتم به فاعتقهم فقد اجزت عتقهم ، والحقوا مال صاحبكم ان كان له مال، فاما عتقه اياهم فقد جاز . وقال الاعور الشني في مصقلة :

لعمرك ان في اعتاق سبي \* اجاز لص مصقلة العتاقا

فاوعدنا بوعد منه حتى \* اذا ما الليل البسه رواقا

كسا وجناد عبلة هموسا \* قتودا لا تولفه السبّاقا

واصبح صبح ليلته بفتح \* من الفيفاء يدرع الرفاقا

وكان شراؤه منا خداعا \* وكان فراره عنا اباقا

وكان مقامه فينا خيالا \* يبطئنا ويشربنا نفاقا

فلم يحدث لاهل الشام انسا \* ولم يوحش لفرقته العراقا

وكتب الى مصقلة صديق له من قومه من بكر بن وايل بهذه الابيات :

امصقل قد زلت بك النعل زلة \* وغرك امرضائر في العواقب

امصقل غرتك الظنون باثمها \* وشمت سجايا من بروق خوالب

تركت نساء الحي بكر بن وائل \* واعتقت سبيا من لوي بن غالب

وفارقت خير الناس بعد محمد \* عليا بمال لا محالة ذاهب

فان تمضي لا تضرر بذلك واحدا \* سواك وان ترجع فرجعة تائب

اخذت ابن هند من علي صحبه \* فليس لك الدهر الطويل بصاحب

امصقل ان المال غاد ورائح \* امصقل ان العمل علم التجارب

وبعث مصقل بن هبيرة رجلا من بني تغلب يقال له حلوان يستخرج له مالا مدفونا في داره بالكوفة فانتهى خبره الى امير المؤمنين ع م فارسل الى حلوان رسول مصقلة فحبسه فقال مصقلة ما دل عليه غير اخير نعيم من هبيرة وكتب اليه اخوه :

لا ترجمني هداك الله معترضا \* رجم الظنون فما بالي وحلوانا

هو الحريص على ما نال من مطمع \* هو البعيد فلا يبكيك احزانا

ما ذا اردت الى ارساله طمعا \* ترجو سقاطا مرء لم يلفف سنانا

عرضته لعلي انه اسد \* يمشي العريضة من آساد خفانا

قد كنت في منظر من دار مستمع \* تحمي العراق وتدعى خير شيبانا

حتى تقحمت امرا كنت تكرهه \* للراكبين له سرا واعلانا

لو كنت اديت مال القوم مصطبرا \* احي فعالك موتا واحيانا

لكن لحقت بارض الشام ملتمسا \* فضل ابن هند وذاك الرأي اشجانا

فاليوم تقرع سن الغي من ندم \* ما ذا تقول وقد كان الذي كانا

اصبحت بنغصك الاحياء قاطبة \* لم يرفع الله بالبغضاء انسانا

ولم يزل مصقلة مع معاوية بالشام حتى وكان معه في صفين ،

وبنو ناحية كانوا اتوا الى عمر ابن الخطاب وقالوا له انا حي من قريش نحن بنو سامة بن لوي ، فقال عمر لم يدع ذكرا انما ترك ابنة له ، فانا كنتم بنيها فانتم بنو اختنا والا فالحقوا بعصبتكم ، اخبروني كيف كانت مناسبكم في الجاهلية ، فاخبروه ، قال انكم لتخبروني انكم حي من بني حريم فطردهم عمر ولم ينسبهم ، فلما ولي عثمان ادخلهم في قريش وفرض لهم فرائضهم وكذلك حتى قتل عثمان وبوئع لعلي ع م فاتوه ليفرض لهم ويدخلهم في قريش وقالوا نحن بنو سامة بن لوي بن غالب ، فقال علي ع م ان سامة احدث احداثا انه قفأ عين اخيه عمار بن لوي فاخافه عمار فهرب الى تلك البلاد من عمان فنزلها ولم يدع ذكرا غير ابنة وهي ام العتيد وسامة الذي يرثي نفسه حيث يقول :

اعين جودي لسامة بن لوي \* علقت ما بسامة العلاقة

لم ترى مثل سامة بن لوي يوم \* خلوا به قتيلا لفاقه

بلغا عامرا وكعبا رسولا \* ان نفسي اليهما مشتاقة

ان يكن في عمان داري فاني \* ماجد قد نزلت في غير فاقة

رب كاس هرقتها من لوي \* حذر الموت لم تكن مهراقة

وجزور بني السري نلت فيه \* بعد جد وجدة ورشاقة

ونفى امير المؤمنين علي ابن ابي طالب ع م بني ناحية عن قريش وكانوا مع عائشة وطلحة والزبير وكان من امرهم ما قصـصناه ولما ولي معاوية ابن سفيان ادخلهم في قريش لعداوتهم لعلي ع م ،

وكتب امير المؤمنين عليه السلام الى جرير بن عبد الله البجلي وكان عامل عثمان على ثغر همدان بعد قدوم علي ع م الى الكوفة مع زجر بن قيسي الجعفي :

بسم الله الرحمن الرحيم ، من عبد الله علي امير المؤمنين الى جرير بن عبد الله ، اما بعد ، فان الله تعالى لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بانفسهم ، واذا اراد الله بقوم سوء فلا مرد له وما لهم من دونه من وال، ثم اني اخبرك عنا وعمن سرنا اليه من جموع طلحة والزبير بعد نقضهم صفقتهم وما صنعوا بعاملي عثمان بن حنيف فهبطت من المدينة في المهاجرين والانصار حتى اذا كنت بالعذيب بعثت الىاهل الكوفة الحسن بن علي وبد الله بن العباس وعمار بن ياسر وقيس بن سعد ابن عبادة فاستنفروهم لحق الله وحق رسوله صلع فاجابوا فسرت بهم حتى اذا صرت بظهر البصرة اعذرت في الدعاء واقلت العثرة وناشدتهم عهد بيعتهم فابوا الا قتالي ،واستعنت بالله عليهم فقتل من قتل وولوا مدبرين الى مصرهم فسألوني ما كنت دعوتهم اليه قبل اللقاء فقبلت العافية ورفعت السيف واستعملت عليهم عبد الله بن العباس وقدمت الى الكوفة، وقد بعثت اليك زجر بن قيس فاسأله عما بدى لك. والسلام

وكتب في جمادى الاخرى سنة ست وثلاثين .

فلما قدم زجر على جرير وقرأ الكتاب فاقام زجر خطيبا فقال بعد حمد الله والثناء عليه والصلوة علىرسوله والسلام :

يا ايها الناس ان امير المؤمنين عليا قد كتب اليكم كتابا لا نقول بعده الا رجعا ، ولا بد من الكلام ، وقد كان الناس بايعوا عليا ع م بالمدينة غير محابين ببيعتهم ، وهو اعلم الناس بالكتاب وسنن الحق على ان هذين الرجلين طلحة والزبير نقضا بيعتهما على غير حدث ثم لم يرضيا حتى نصبا له الحرب والبا عليه الناس واخرجا عائشة فلقيهم فاعذر اليهم في الدعاء واقال العثرة وحمل الناس على ما تعرفون ، وهذا بيان ما غاب عنكم ، وان سألتمونا الزيادة زدناكم،

ثم قام جرير البجلي خطيبا فحمد الله تعالى وصلى على نبيه ثم قال :

ايها الناس ان امير المؤمنين عليا ع م قد كتب اليكم كتابا لا يقال بعده الا رجع من القول ولكن لا بد من رد القول ، ان الناس بائعوا عليا في المدينة عن غير محاباة ببيعتهم لعلمه بكتاب الله وسنن الحق فنقض بيعته الزبير وطلحة على غير حدث والبا عليه الناس، ثم لم يرضيا حتى نصبا له الحرب واخرجا عائشة فلقيها فاعذر في الدعاء واحسن في البقية ، وحمل الناس على ما تعرفون، وقد كتب اليكم يدعوكم الى البيعة وهو المامون على الدين والدنيا قد كان من امره وامر عدوه ما نحمد الله عليه وقد بائعه السابقون الاولون من المهاجرين والانصار وانتم التابعون باحسان الا ان البقاء في الجماعة والهلاك في الفرقة ، وعلي حاملكم على الحق ما استقمتم له ، فان ملتم اقام ميلكم فقال الناس من كل جانب سمعنا واطعنا ورضينا رضى من تقدمنا ، فقال القسري في ذلك :

لعمري ابيك والانباء تنبي \* لقد جلا بخطبته جرير

وقال مقالة خدت رجالا \* من الاحياء حظهم صغير

بدا بك قبل اسرته علي \* ومخك لو رددت الحق زير

اتاك بامره زجر بن قيس \* وزجر بالذي حدثت خبير

فكنت لما اتاك به قبولا \* وكرمت اليه من فرح تطير

فنعم المرء انت له وزير \* ونعم المرء انت له امير

فاحرزت الثواب ورب حاد \* حدى بالركب ليس له بعير

ليهنك ما سبقت به رجالا \* هو العليا والفضل الكبير

وقال جرير بن عبد الله :

اتانا كتاب علي فلم \* نرد الكتاب بارض العجم

ولم نعص ما فيه لما اتى \* ولما نذم ولما نلم

رضينا تقيا على ديننا \* ودين النبي مجلي الظلم

امين الاله وبرهانه \* ونور البرية والمعتصم

فصلى الاله على احمد \* رسول المليك تمام النعم

وخير البرية من بعده \* خليفته صاحب وابن عم

علي الوصي خليل النبي \* يجاهد عنه غواة الامم

له الفضل والسبق والمكرمات \* وبيت النبوة لا يهتضم

ونحن ولاة بعدها \* نضم العزيز ونحمي الذمم

نساقيهم الموت عند اللقاء \* وضرب السيوف يطير اللحم

وكان رجل من طي مع علي ع م وهو ابن اخت جرير فكتب اليه مع رجز بن قيس كتابا يقول فيه:

جرير بن عبد الله لا تردد الهدى \* وبائع عليا انني لك ناصح

فان عليا خير من وطئ الحصى \* سوى احمد والقول غاد ورائح

ودع عنك قول القائلين فانما \* اولاك ابا عمرو كلاب نوابح

وبائعه ان بايعته بنصيحة \* ولا يك فيها من ضميرك كاشح

فانك ان يطلب به الدين تعطه \* وان تطلب الدنيا فسعدك رابح

وان قلت عثمان بن عفان حقه \* عليك عظيم والشكور يناصح

فحق علي فيه اعظم حرمة \* وشكرك اوليتني في الناس واضح

فان قلت لا نرضى علينا امامنا \* فدع عنك بحرا ضل فيه السوابح

ابالله الا انه خير من مضى \* وافضل من ضمت عليه الاباطح

وردّ جرير جواب امير المؤمنين ع م بالسمع والطاعة وكتب امير المؤمنين ع م الى الاشعب بن قيس الكندي وهو عامل اذربيجان من ايام ابن عفان مع زياد بن كعب بن مرجب الهمداني ، وهو :

بسم الله الرحمن الرحيم

من عبد الله علي امير المؤمنين الى الاشعث بن قيس ،

اما بعد

فذر هنات كن منك ، كنت المقدم في هذا الامر قبل الناس فلعل امرك يحمل بعضه بعضا ان اتقيت الله ، وكان من بيعة الناس اياي ما قد بلغك ، وكان طلحة والزبير ممن بايعني ثم نقض بيعتي من غير حدث اخرجا عائشة عن حجابها وقدما الى البصرة فسرت اليهما فالتقينا فدعوتهما ان يرجعا الى ما خرجا منه فابيا فاعذرت في الدعاء واحسنت في البقية، وان عملك ليس بقطعة ولكنه امانة في عنقك وانت مسترعى لمن فوقك ليس لك ان تقتات في رعية ولا تخاطر الا بوثيقة ، وفي يدك مال من مال الله وانت من خزّاني حتى تسلمه الي ولعلي لا اكون شر ولاتك لك ان استمعت ولا قوة الا بالله ، وارسل امير المؤمنين ع م اليه بالكتاب ، فلما وصل زياد بن كعب بن مرجب الى الاشعث وقرأ الكتاب قام زياد خطيبا فكان من قوله :

ايها الناس انه من لم يكفه القليل لم يكفه الكثير، وان امر عثمان لا ينفع منه العيان ولا يشفي منه الخبر غير ان من شهده ليس كمن غاب عنه وان الناس بايعوا عليا ع م راضين به وان طلحة والزبير نقضا بيعة على غير امر احدثه ، ثم اذنا بالحرب واخرجا عائشة من حجابها المضروب عليها فسار اليهما فلم يقاتلهما وفي نفسه منهما حاجة فاروثه الله الارض وجعل له عاقبة المتقين،

ثم قام الاشعث خطيبا ، فمما قال :

ايها الناس ان عثمان ولاني اذربيجان فهلك وهي في يدي ، وقد بائع الناس عليا وطاعته طاعة وقد كان من امره وامر الزبير وطلحة ما قد بلغكم ، وعلي المأمون على ما غاب عنا وعنكم من ذلك ، فلما اتى منزله دعى اصحابه فقال لهم ان كتاب علي قد اوحشني وهو آخذ بمال اذربيجان وانا لاحق بمعاوية، قال القوم تدع مصرك وجماعتك تابعا لاهل الشام فاستحي من ذلك وقال انظر انشاء الله في امري فقال السكوني حيث خاف ان يلحق بمعاوية :

اني اعيذك بالذي هو مالك \* بمعادة الآباء والاجداد

فما يظن بك الرجال وانما \* بامرك خطة معشر اوغاد

اذربيجان وان تكن وليتها \* ليست لجدك فاستمع ببلاد

كانت بلاد خليفة ولاّكها \* وقضاء ربك رائح او غاد

فدع البلاد فليس فيها مطمع \* ليست بلاد اخي سبا ببلاد

والحق بمصرك انه لك واسع \* ضربت عليك الارض بالاسداد

وادفع بمالك دون عرضك اننا \* فادوك بالاموال والاولاد

انت الذي تثني الخناصر باسمه \* وبكبش كندة يستحصل الواد

ومعصب بالتاج مفرق رأسه \* ملك وعمرك راسخ الاوتاد

فاطع زيادا انه لك ناصح \* لا شك في قول النصيح زياد

وانصر عليا انه لك جنة \* ترشد ويهدك للسعادة هاد

وكتب جرير البجلي الى الاشعث الكندي :

اما بعد فانه اتتني بيعة علي فقبلتها ولم اجد الى دفعها سبيلا ، واني نظرت فيما غاب عني من امر عثمان فلم اجده يلزمني وقد شهدت المهاجرون والانصار وكانا اوثق امرهم فيه الوقوف فاقبل بيعته فانك لا تنقلب الى خير منه ، واعلم ان بيعة علي خير من مصارع اهل البصرة ، وقد بعثت اليك ابن اخي بشعر فانظر فيه وقال :

ابلغ الاشعث المعصب بالتاج \* غلاما حثى عليه القتير

قد اتى قبلك الرسول علي \* فتلقاه بالسرور جرير

يا ابن آل المرار من قبل الام \* وقيس ابوك غيث مطير

قد يصيب الضعيف ما امر الله \* ويخطئ المهذب النحرير

وله الفضل في الجهاد وفي الهجرة \* وللذين كل ذاك كبير

ان يكن حظك الذي انت فيه \* فكثير من الحظوظ صغير

فاقبل اليوم ما يقول عليّ \* ليس في كل ما يقول تخيير

واقبل البيعة التي ليس للناس \* سواها من امرهم قطمير

هلك اليوم قد تركت عليا \* هل له في الذي تريد نظير

يا ابن ذي التاج والمتوج من كنده \* ترضى بان يقال امير

فاقبل الاشعث حتى وفد على امير المؤمنين وقال ، وقيل ان ذلك قيل على لسانه :

اتانا الرسول رسول الوصي \* له السبق والفضل في المؤمنينا

بما نصح الله والمصطفى\* رسول الاله النبي الامينا

يجاهد في الله لا ينثني \* جميع الطغاة من الجاحدينا

وزير النبي وذو صهره \* وسيف المنية في الظالمينا

وكم بطل كان سأل النزال \* فآب الى النار في الآبئينا

فذاك الامام امام الهدى \* وغيث البرية والمرملينا

وكان اذا ما دعوا للنزال \* كليث العرين ابن العرينا

اجاب النبي بصدق وفاز \* بسبق وفضل على العالمينا

فما زال ذلك من شانه \* وفاق علوا على الفائزينا

ولما اتت امير المؤمنين ع م بيعته الى الكوفة من الامصار دعى اهل بيته وشيعته وعرفهم ذلك ، فاستبشروا وحمدو الله تعالى وهنوا بذلك امير المؤمنين ع ثم دعى صعصعة بن صوحان العبدي فقال له اني مرسلك الى معاوية بن ابي سفيان الى الشام فقال له صعصعة يا امير المؤمنين ان معاوية ابن سفيان غلام شاب مترف ، دينه هواه، وهواه دنياه ، فاكتب اليه انك لا تقطع له كلاما ولا تنقض له قولا وان عثمان ابن عفان لم يكن اولى بالاحسان اليه منك فلعله ان يستقيم ويبعث اليك بيعته ويلقي اليك حرانه ، ويخرج اليك من امارته، فقال امير المؤمنين ع م كلا انا بمعاوية اعلم منك ولكني سافعل بعض ما ذكرت ، واعذر اليه بالحجة عليه .

وكتب امير المؤمنين علي ابن ابي طالب الى معاوية ابن ابي سفيان :

اما بعد فانه بايعني القوم الذين بايعوا ابا بكر وعمر وعثمان على ما بائعوهم عليه فلم يكن للشاهد ان يجتاز ولا للغائب ان يرجع ، وانما الشورى للمهاجرين والانصار ، فان اجتمعوا على رجل وسموه اماما كان ذلك بعد رضى ، فان خرج خارج من امرهم بطعن او بدعة ردوه الى ما خرج خارج منه ، فان ابى قاتلوه على اتباعه غير سبيل المؤمنين ووالاه الله ما تولى، ولعمري يا ابا سفيان لو نظرت بعقلك دون هواك لتجدني اولى الناس بهذا الامر وابرأهم من دم عثمان الا ان تنجني فتجن ما بدا لك ، والسلام .

وختم الكتاب واعطاه صعصعة وقال اركب اليه واعلم انك واجده على الذي قلت لك بعيد الهمة شديد المنة طالبا للدنيا سالكا طريق الهوى ذاكرا للاحقاد الاولى ، فركب حتى انتهى الى دمشق وتقدم حتى انتهى الى باب الخضراء وصاح باعلىصوته استأذنوا لرسول امير المؤمنين علي ابن ابيطالب فثار اليه الناس فضربوه وارادوا قتله فسمع معاوية اللغط فقال ما هذا ؟ فاخبر به فامر معاوية من انتزعه من ايدي الناس ثم اذن لوجوه اهل الشام فدخلوا عليه ، فلما اخذوا مجالسهم قال لحاجبه ادخل الرسول فاقبل صعصعة حتى قام بين يديه فقال السلام عليك ورحمة الله وبركاته اتيتك من عند ابن عم حفي وفي بر تقي يريد الخير ولا يريد السوء ، وهذا كتاب امير المؤمنين اليك ، فلما نظر في الكتاب اخذته الحمية حمية الجاهلية ، وذكر الاحقاد البدرية والاحدية ، وانتفض حتى كاد يخرج عن سريره ، ثم قال لا والله لا يكون ما ذكر ابن ابي طالب ابدا ما سمعت الصوت واشتد بي الجواد، ايقتل ابن عمي ويسبقني تبلي ويريد ان يغلبني على ملكي ، لا يكون ذلك ابدا ، ثم تمثل :

تعطي لخشيتك الحمام دنية \* ترضي العدو بها وانفك راغم

الآن لما ان تحرك بحرهم \* زبدا وبحرك قبل ذلك دائم

وفيما روي انه جاء جرير بن عبد الله البجلي الى علي ع م فقال يا امير المؤمنين ابعثني الى معاوية فانه لم يزل لي مستنصحا ووادا ، فادعوه الى ان يسلم لك هذا الامر ويجامعك على الحق وادعو اهل بلادي وقد رجوت الا يعصوني ، فقال مالك الاشتر لعلي ع م لا تبعثه ولا تصدقه فوالله اني لاظن ان هواه هواهم ، ونيته نيتهم ، قال علي ع م دعه حتى ننظر ما يجيء به الينا ان شاء الله . فبعثه علي ع م وقال له حين اراد ان يبعثه يا جرير ان حولي من اصحاب رسول الله صلع من اهل الدين والرأي من قد رأيت ، واخبرتك فاذا دخلت على معاوية فادفع اليه كتابي، فان دخل فيما دخل فيه المسلمون والا فانبذ اليه واعلمه اني لا ارضى به اميرا وان الامة لا ترضى به خليفة، فانطلق جرير حتى اتى معاوية ، فلما دخل عليه حمد الله تعالى وصلى على نبيه ثم قال : اما بعد يا معاوية فانه قد اجمع لابن عمك اهل الحرمين واهل المصرين واهل الحجاز واهل اليمن واهل مصر واهل عمان واهل البحرين واليمامة فلم يبق الا هذه الحصون التي انت فيها لو سال عليها سيل من اودية غرقها، وقد اتيتك ادعوك الى ما يرشدك ويهديك ثم دفع اليه كتاب امير المؤمنين ص ع ثم خطب الناس جرير وقال في خطبته :

ان الناس قد بايعوا عليا ع م وكان طلحة والزبير ممن بايعه ثم نقضا بيعته على غير حدث ، الا وان هذا الدين لا يحتمل الفتن، الا وان العرب لا تحتمل السيف، وقد كان بالبصرة امس ملحمة ان يشفع بمثلها فلا بقاء للناس، وقد بايعت الامة امير المؤمنين عليه السلام ولو ملكناوالله امورنا لم نختر غيره ، ومن خالف هذا جهل فادخل يا معاوية فيما دخل فيه الناس ، فان قلت استعملني عثمان ثم لم يعزلني، وهذا امر لو جاز لم يقم لله دين ، ولكل امرء ما في يديه ، ولكن الله جعل للآخر من الولاة حق الاول امور معطاة وحقوق ينسخ بعضها بعضا ،

قال معاوية انظر وتنظر واستطلع رأي اهل الشام وجعل معاوية يغالطه القول ويعده ويمنيه، وهو مع ذلك يثبت قواعده ويعامل اهل الشام على نصرته والقيام معه ويجمعهم اليه ويذكر لهم قتل عثمان بن عفان وانه قائم بثاره وان عليا ع م قتله واهل الشام قوم اغتام لا معرفة لهم باهل الفضل في الاسلام مع ما ينسب اليهم من مضلة العقول والاحلام، وقد حكي ان امير المؤمنين ص ع ارسل رسولا الى معاوية، فلما انتهى رسوله الى باب دمشق وهو راكب على جمل تعلق به رجل من اهل الشام وقال هذه ناقتي ، فقال له العراقي يا هذا انه جمل ، فقال ناقتي ضلت علي وقد عرفتها ، فقال انه جمل ، فلم يقبل الشامي وجعل يصيح واتى بخمسين شيخا يشهدون انها ناقته ، وانتهوا الى معاوية فقضى بشهادة الشهود ان الجمل مع العراقي ناقة الشامي، واعطاه الجمل ، ثم خلا بالعراقي فارضاه عن جمله وقال له ابلغ علي ابن ابي طالب اني قاتله بقوم فيهم خمسون شيخا يشهدون ان الجمل ناقة ، وقد اورد هذه الرواية المسعودي في تاريخه الذي سماه مروج الذهب . فلذلك ومثله قدموا معاوية وعظموه كأنهم لا يعلمون ان اباه رئيس الاحزاب الذين اجمعوا على عداوة رسول الله صلع وناصبوه الحرب ، وان معاوية واباه معهم ولم يستسلم الى الاسلام هو وابوه الا استسلاما لما علما ان رسول الله صلع قد غلب فظهرالاسلام ، ورأوا ان لا قوام لهم على عبادة الاصنام ، وقد ذكرنا ذلك وقد ذكرنا من ذلك ونذكره ايضا منه اذا انتهينا اليه ما يعين الله عليه ومن الله تعالى نستمد التوفيق والهداية ونضرع اليه ان لا يجعلنا ممن سلك سبيل الجهل والغواية بمنه ولطفه.

وكان مسكين بن حنظلة الداري اعطى جرير بن عبد الله كتابا وقا له ان بيني وبين معاوية اخاء فاذا لاقيته اعطيته هذا الكتاب ، فلما وافاه اعطاه كتاب مسكين فاذا فيه :

معاوية بائع قد اتاك جرير \* وما لجرير بالعراق نظير

اتاك بامر فيه روح وراحة \* وفيه هدى للمهتدي وسرور

دعاه علي ثم قال لصحبه \* كفاكم مقال القائلين جرير

فبائع له اولا مشامك شحمه \* تعجله شاو ومخك زير

وهذا علي في صحاب محمد \* يكاد الى ما تكرهون يطير

يعضون من غيظ عليك اكفهم \* كاسد لها في العانتين زئير

وغرك قوم سودوك سفاهة \* علاءك فيهم منبر وسرير

وقالوا ابن حرب عامل لابن عمه \* على الشام ما اهتز العصاة امير

فلم يكذبوا قد كنت بالامس عاملا \* عليهم اميرا والكلا كثير

ويكفيك رد الكلام اقله \* وانت باشتات الامور بصير

فقارب وباعد اي ذلك شئته \* فشانك عند المسلمين صغير

وجعل جرير يستحث معاوية على البيعة فقال له معاوية يا جرير انها ليست بخلسة ابلعني ريقي حتى انظر فهو امر له ما بعده ، واستشار معاوية اصحابه فقال له عتبة بن ابي سفيان وهو اخوه ونظيره في الدهاء استعن على هذا الامر بعمرو بن العاص واشحن له بدينه ، فانه من قد عرفت وقد اعتزل امر عثمان في حياته وهو لامرا في اشد اعتزالا ان ترضيه ، فكتب معاوية الى عمرو ابن العاص :

اما بعد فانه كان من امر علي وطلحة والزبير وقد سقط الينا مروان بن الحكم في رافضة اهل البصرة وقدم الينا جرير في بيعة علي ، وقد حبست نفسي عليك حتى تأتيني على بركة الله فحين قدم كتاب معاوية على عمرو استشار ابنيه عبد الله ومحمدا ، فقال انها قد كانت مني في عثمان فلتات ثم استقلتها وقد كان من هربي بنفسي ين ظننت انه يقتل وقد احتمل لي ذلك معاوية وسألني القدوم عليه فما تريان ؟ فقال عبد الله ارى انه منذ قتل عثمان وانت عنه غائب فاقم في منزلك فلست بمجعول خليفة ولا تزيد على ان تكون حاشية لمعاوية على دنيا قلية ان نلتها وشيكا تهلكان فتسويان فيها ، وقال له محمد انك شيخ قريش وصاحب امرها ووشيك ان ينصرم هذا الامر وانت خامل صغير امرك ، فالحق بمعاوية واهل الشام وكن يدا من ايديهم واطلب بدم عثمان فانك قد استلومت فيه الى بني امية ، فقال عمرو اما انت يا محمد فاشرت علي بما هو خير لي في دنيا ، واما انت يا عبد الله فامرتني بما هو خير في ديني وانا انظر اي الامرين – ، فلما جن عليه الليل رفع صوته واهله يسمعون فقال :

تطاول ليلي للهموم الطوارق \* وخوف الذي تجلو وجوه العوائق

وان ابن هند سامني ان ازوره \* وتلك التي فيها بنات البوائق

اتاه جرير من علي بخطة \* امرت عليه العيش والمر ذائقي

فان نال مني ما يؤمل رده \* وان لم ينله ذل ذل المطابق

فوالله ما ادري وما كنت هكذا \* اكون ومهما قادني فهو سائقي

أاخدعه ان الخداع دنية \* ولم اعطه مني نصيحة وامق

وان كان في بيتي قعودي فراحة \* لشيخ يود الموت في ي كل شارق

وقد قال عبد الله قولا فعلقت \* به النفس ما لم تعتنقني عوائقي

وخالفه فيه اخوه محمد \* واني لصلب العود عند الحقائق

فلما سمع عبد الله قوله قال رحل الشيخ ، ثم دعى عمرو غلاما له يقال له وردان فقال ارحل يا وردان ثم قال حل يا وردان واعاد ذلك مرارا فقال له وردان خلطت والله يا ابا عبد الله، وان شئت انبأتك بما في نفسك ، قال هات يا وردان ، قال اعترضت الشكوك بالدنيا والآخرة في قلبك تقول علي معه الآخرة ولا يوشك ما تروم من الدنيا وفي الآخرة من الدنيا عوض، ومعاوية ذو دنيا ولا آخرة معه وليس في الدنيا عوض عن الآخرة ، فانت متوقف بينهما ، قال عمرو قاتلك الله يا وردان ما اخطأت ما في نفسي ، فما ترى ؟ قال ارى ان تقيم في منزلك ، فان ظهر اهل الدين عشت في عقود دينهم ، وان ظهر اهل الدنيا لم يستغنوا عنك ، قال الآن حين شهرتني العرب بمسيري الى معاوية اقيم ، ارحل يا وردان ، فارتحل متوجها الى معاوية وهو يقول :

يا قاتل الله وردانا وفعلته \* ابدا وعمرك ما في النفس وردان

وقال وردان قولا لا خفاء به \* فيه لذي اللب تبيان وبرهان

اما علي فدينا ليس تشركه \* دنيا ولا في الذي يأتيه بهتان

ام لعمر ابيه غير مشتبه \* والمرء يفطن والوسنان وسنان

فلما وصل عمرو الى معاوية طال القول بينهما واشتط عمرو في الشرط وترافع السوم ، وقال اما علي يا معاوية فلا تساوي العرب بينك وبينه ولا تعدلك به ، وان له في الحرب لحظا ما هو لاحد من قريش ، وانه لصاحب ما هو فيه الا ان تظلمه، فحين رأى ذلك معاوية ائس عن مقاربة عمرو وارى اعراضا عنه فاتى الى جرير في منزله فقال يا جرير اني قد رأيت رأيا قال وما هو ، قال اكتب الى صاحبك يجعلني على الشام ومصر حياته فان حضرته وفاة لم يجعل في عنقي لاحد بيعته واسلم له الامر واكني له بالخلافة ، قال جرير اكتب ما اردت واكتب فعلك ، فكتب امير المؤمنين ع م الى جرير :

اما بعد فان لي في عنق المارق الملعون بيعة فليس له من امره ما احب ، وانما اراد ان يريثك حتى يذوق جنا اهل الشام .وقد كان المغيرة بن شعبة اشار علي وانا بالمدينة ان استعمل معاوية على الشام فابيت ذلك ولم يكن الله ليراني اتخد المضلين عضدا ، فاذا وصل اليك كتابي فاحمل معاوية على الفصل وخذ بالامر الحزم ثم خيره بين حرب مجلية او سلم مخزية ، فان اختارالحرب فانبذ اليه وان اختار السلم فخذ بيعته ،والسلام.

وبعث النجاشي الحارثي الى جرير مع كتاب علي ع م قوله :

الا ليت شعري والحوادث جمة \* اللعب سار المالكي جرير

فقولا له والله بالغ امره \* فما ذاك في رد الجواب تحير

اقمت بارض الشام سبعين ليلة \* مراحك فيها دائم وبكور

على غير شيء كل ما جاء راكب \* طمعنا وقلنا جاء منك بشير

فقل لابن هند ان في السلم راحة \* وما انت تلقيه الي غرور

واني لا ارضى مقاما ببلدة \* وانت كما تهوى علي امير

فما بد من لا او بلى في جوابه \* وتلك اليها يا جرير تصير

وان بلا فيها سلام وعله \* دفاع ولا حرب تعض عقور

غنائك عن شام بن هند وعزه \* وانت الى عز العراق فقير

كحاد حدى بالركب يوما وليلة \* وليس له في الظاعنين بعير

وكتب الوليد بن عقبة الى معاوية يحرضه على امير المؤمنين ع م :

الا طرقت خيالك ام عمرو \* هدوّا ما تنام ولا تنيم

تذكرني اقاربها وتنسي \* اقارب كلهم مني حميم

فسائل ان سألت بنا قصيا \* وفيها ان سألت بنا عليم

تداركن ابن اروى بالمنايا \* يطفن به وقد غاب السليم

وقد علمت امية ابن عودي \* علي ريب الحوادث مستقيم

وكنت اذا اردت نفاذ امري \* عمدت ولم تهضمني الهموم

وامري حازم لا شك فيه \* وخير امور ذي الشك العزيم

الا ابلغ معاوية ابن حرب \* فكيف بقاء وجهك استديم

فانك والكتاب الى علي \* كدابغة وقد تغل الاديم

تمنيك الامارة كل ركب \* لا يقاض العراق لها رسيم

تغنيك الجرادة كل يوم \* كأنك ضارب طبلا مقيم

وقومك بالمدينة قد ابيدوا \* وبها طربا كأنهم هشيم

لك الخيرات الحمها عليهم \* فخير الطالب الثرة الغشوم

هم جدعوا الانف فاوعبوها \* تعالج بعدها وهي الهضيم

فلوكنت القتيل وكان حيا \* لحرد لا الف ولا السؤم

فاجابه معاوية :

الا ابلغ ابا وهب رسولا \* فاني للتي حدثت كظيم

فان يك ابن امك رام نصري \* عليه والمليم هو المليم

فما ابطا عليه اخوك حتى \* عرفاه وادحاه الشكيم

وحتى نادت الاحياء جهرا \* خلا فلا يسير ولا يقيم

فلم ار غير ان طأطأت فيها \* عناني استحث واستديم

الى ان نلت ما وحاولت فيها \* وقد تغل الاديم فلا اديم

فسار بهم يزيد فادركته \* امور خطبها خطب عظيم

فاما اليوم اذ عاتبت فيه \* فاني لا انام ولا انيم

ابا وهب ولما اجر هر \* باسومه يشيب لها الفطيم

واكثرت العتاب علي حتى \* بوجهي من عواقبه كلوم

اردت خديعتي فوجدت فيها \* حليما كاده رجل حليم

اكابد حية صماء ليست \* اذا نهشت يبل لها سليم

وللوليد بن عقبة اشعار كثيرة الى معاوية يؤنبه فيها ويحرضه على حرب علي ع م والتغلب على الشام

و نقول انها عداوة اصلية واحقاد جاهلية وبغضة لعلي ع م لنصره رسول الله صلع وقتله احبائهم واقربائهم ولما رأوه لا تأخذه في الله لومة لائم ، وانه غير مرخص لهم في شيء من حدود دين الله ولا ممكن لهم من الدنيا ما ارادوه وراموه ، بل مجريهم على سنة رسول الله صلع وحاملهم على طريق الحق الثقيل محمله الا على اولياء الله ومن اتصل بهم من عباد الله المخلصين ، ولم يرخص علي ع م للوليد حتى يشرب الخمر بل اقام الحد عليه واستوفاه منه ولم يحاب بذلك اخاه عثمانا بن عفان في ايام دولته وتغلبه فكيف به وقد صار الامر اليه وملكه الله قياده ، وجعل في يديه اصداره وايراده ، فتمالوا عليه واظهروا له ما اكنوه في نفوسهم من عداوة رسول الله صلع التي اقاموا بها في شركهم حتى غلبوا فدخلوا في الاسلام مكرهين بسيف علي ابن ابي طالب امير المؤمنين ودفاعه عن رسول الله صلع ولم يجدوا سبيلا الى ذلك الا باظهارهم القيام بثار عثمان والطلب بدمه ، وقد علم الناس ان علي ابن ابي طالب ابرئهم من دم عثمان وانه قعد في بيته ومعاوية خذله وعمرو بن العاص فرّ عنه وطلحة والزبير اللذان قاما وقعدا في قتله حتى قتله المهاجرون والانصار والتابعون باحسان الذين لا يشك احد في فضلهم ، ولا يقدر على دفع مناقبهم لما رأوه من احداثه ونقموا عليه من ذنوبه بعد ان استتابوه غير مرة ، فاراهم التوبة وفعل غير ما قال ولم يزل مصرا على ما هو فيه مبعدا لاهل الفضل والسابقة في الاسلام مقربا لاهل البغي والنفاق والعداوة كالوليد بن عقبة الذي سماه الله تعالى فاسقا في كتابه بقوله تعالى لرسوله يا ايها الذين آمنوا ان جاءكم فاسق بنبإ فتبينوا ان تصيبوا قوم بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين ، وقد اجمع كثير من اهل الدارية والصدق والرواية ان هذه الآية نزلت في الوليد وقد سعى بقوم الى رسول الله صلع وافترى عليهم حتى اغاظ رسول الله صلع واغضبه فنزلت الآية ببراءتهم وفسق الوليد ، وكذلك قرب عثمان مروان بن الحكم طريد رسول الله وابن طريده ولعينه وابن لعينه الذي نفاه رسول الله صلع ونفاه اباه وابعده واقصاه ولعنه كما قد ذكرنا ، فقرب هؤلاء وامثالهم ونفى ابا ذر الذي شهد رسول الله صلع بصدقه صاحب رسول الله صلع في مواطنه الذي قال فيه رسول الله صلع رحم الله ابا ذر يسير وحده ويموت وحده ويبعث وحده ، وكذلك عبد الله بن مسعود صاحب رسول الله صلع الذي قال فيه القول ما قال ابن مسعود ، وعمار ابن ياسر الذي قال فيه رسول الله صلع عمار جلدة ما بين عيني ، وقال ما لهم ولعمار يدعوهم الى الجنة ويدعونه الى النار فامر به عثمان فضرب حتى حمل الى بيت ام سلمة رضوان الله عليه قد اغشي عليه فلم يفق حتى مضى هزيع من الليل ، الى غير ذلك مما عد على عثمان من الاحداث التي يطول شرحها ويكثر عددها ، فلما قتل بادروا لطلب الدنيا عداوة اهل بيت رسول الله صلع وجعلوا آكد حججهم واقوى افكهم قتل عثمان، ولو ارداوا الحق لنازعوا قتلته الى امير المؤمنين ع م وحاكموهم واتبعوا قوله ورضوا حكمه ، فقد عرفوا وعرف اهل الاسلام فضله وسابقته وقول رسول الله صلع انه وصيه وخليفته ثم قوله اقضاكم علي الى غير ذلك مما هو مشهور مذكور يعرفه الموالف والمخالف لكن القوم طلبوا الدنيا ورياستها وحاولوا الملك فشبهوا على العوام واجتمع اليهم اهل النفاق والمؤلفة قلوبهم فغالبوا بهم اهل الفضل من بني النبوة الاقلين عددا الاعظمين عند الله قدرا ، وسيعلم الذين ظلموا اي منقلب ينقلبون، ولو استقصينا ذلك والحجة الوضحة فيه لاحتجنا الى كتب كثيرة ويتسع فيها المجال ويطول فيها المقام، وقد ذكرنا في كتابنا هذا ما يكتفي بقليل منه من سلك سبيل الانصاف وحكم دينه وعقله ولم يحكم هواه ، وكفى بما ورد عن امير المؤمنين علي ابن ابي طالب ص ع الذي اجتمعت الامة على تفضيله ولم ينكروا عظيم محله مما ان قام من قام بالحجة واجتهدوا جهد نفسه لبيان واضح المحجة لاعياه ان ياتي في اشباعه لحجته وايضاحه لمحجته ، باقل قليل مما ورد عن امير المؤمنين صلع في ابانته لظلم الظالمين واظهار الحق المبين في كتبه وخطبه وكلامه الذي قد اوردنا منه ما اوردنا واثبتنا به الحق واوضحنا ونرجع الى ما كنا فيه من القول وبالله نستعين وهو حسبنا الله ونعم الوكيل.

نرجع الى ما كنا فيه من القول وبالله نستعين وهو حسبنا الله ونعم الوكيل ، ولم يكن قول معاوية لجرير في الكتاب الى امير المؤمنين ع م وطلبه ان يوليه الشام ويبذل له بيعته ويلزم طاعته الا مماكرة ومغادرة حتى جمع اليه اهل الشام ونال من عمرو بن العاص المرام ، وذلك ان معاوية لما ماكره عمرو واكثر عليه السوم وقد كان اعرض عنه وهجره ثم انه لم يجد بدا من ان يستعين به على ما حاوله ، وعلم ان ذلك بغير معونته لا يتم له ، فقال له يا عمرو اني ادعوك الى جهاد هذا الرجل الذي شق عصى المسلمين وقتل الخليفة واظهرالفرقة وابدى الفتنة وقطع الرحم، قال له عمرو كالمتجاهل من تعني بذلك، قال علي ابن ابي طالب ، فقا له عمرو ان عليا من قد عرفت ولا اعلم انا ولا يعلم الناس احدا اولى بما يطلب منه وانه الامام والوصي ، ولقد عمي من ترك بيعته بعد رسول الله صلع، قال معاوية نعم ولكن نقاتل على ما في ايدينا ونلزمه دم عثمان ، قال عمرو يا سؤتاه والله انا لأحقُّ الناس ان لا نذكر عثمان ، قال ولم ، قال اما انت فخذلته ومعك اهل الشام ، واما انا فتركته عيانا وهربت الى فلسطين، قال معاوية فما الرأي ، قال عمرو اما والله ان لي مع ذلك لحدا وحدودا او خطوة وخطاء وبلاء من الله حسنا جميلا ،فما تجعل لي ان شايعتك على ما نريد مع الغرر والخطر ، قال نحكمك ، قال عمر وتجعل مصر طعمة ، فقال له معاوية يا ابا عبد الله اني اكره لك ان تحدث العرب انك انما دخلت في هذا الامر لغرض دنيا ، قال دعني منك ، قال له معاوية اني لو شئت ان امنيك واخدعك فعلت ، فقال عمر لا والله ما مثلي يخدع ، فقال معاوية بت عندنا الليلة يا عمرو مخافة ان يفسد الناس عليه ، فبات عنده وبعث معاوية عليه عينا يسمع ما يقول، فلما جن الليل رفع صوته وانشأ يقول :

معوى لا اعطيك ديني ولم انل \* به منك دنيا فانظر كيف تصنع

فان تعطني مصر فاربح بصفقة \* اخذت بها شيخ يضر وينفع

وما الدين والدنيا سواء وانني \* لآخذ ما تعطي ورأسي مقنع

ولكنني اغضي جفوني على القذى \* واخدع نفسي والمخادع يخدع

ااعطيك امرا فيه للملك قوة \* وانفي به ان زلت النعل اجدع

وتمنعني مصرا ولست برغبة \* واني بها ايام عمري لمولع

وانشأ عتبة ابن ابي سفيان ليسمع اخاه معاوية فقال :

ايها المانع سيفا لم يهز \* انما ملت على خز وقز

انما انت خروف ناعم \* بين ضرعين وصوف لم يجز

اعط عمرا ان عمرا آتاك \* دينه اليوم لدنيا لم تجز

اعطه مصرا وزده مثلها \* انما مصر لمن عز فبز

فاسحب الذيل له من اجلها \* وانتهزها ان عمرا ينتهز

يا لك الخبر فخذ من دره \* شخبة الاولي وابعد ما عرز

ان مصرا لعلي ولمن \* غلب اليوم ويشفي من عجز

فلما سمع معاوية قول اخيه عتبة دعى عمرا وقال له يا ابا عبد الله اما علمت ان مصرا مثلها مثل العراق ، قال بلى ولكنها انما تكون لي اذا كانت لك ، وانما تكون لك اذا غلبت على العراق وقد كان اهلها بعثوا بطاعتهم الى علي ع م فقال اخوه عتبة بن ابي سفيان اما ترى ان تشتري عمرا بمصر ان هي صفت لك بل ليتك تغلب على الشام ، فاعطى معاوية عمرا مصر واشهد له بها واكد له العقد في ذلك فخرج عمرو من عنده فاتى منزله فقال له ابناه ما صنعت ؟ قال اعطانا مصر ، قالا وما مصر في ملك العرب ، قال لا اشبع الله لكما بطنا ان يشبعكما مصر، وكان مع عمرو فتى من بني عمه ذا حذق وعقل، فلما رأى عمر جاء بما كتب له معاوية مسرورا عجب الفتى من سرور عمر وقال له عمر باي رأي تعيش في قريش اعطيت دينك ومنيت دنيا غيرك ، اترى اهل مصر وهم قتله عثمان يدفعونها اليك والى معاوية وعلي حي ، او تراها اذا صارت الى معاوية لا يخلف قوله وهو ابن هند وقد علمت مكره، وقال الفتى في ذلك :

الا يا اخت حي بني زياد \* رمي عمرو بداهية البلاد

باشتو سني عبشمي من قريش \* بعيد القعر مخثى الكياد

له خدع يحار العقل فيها \* مزخرفة صوائد للفؤاد

فاثبت في الكتاب عليه كيدا \* يناديه بخدعته المنادي

واثبت مثله عمرو عليه \* كلا الرجلين حية بطن واد

الا يا عمرو ما اخرزت مصر \* ولا ملت الغداة الى الرشاد

ابعت الدين بالدنيا خسارا \* فانت بذاك من شر العباد

فلو كنت الغداة اخذت مصرا \* ولكن دونها خرط القتاد

وفدت الى معاوية ابن حرب \* فكنت بها كوافد قوم عاد

واعطيت الذي عظمت بطرس \* به خدع ونصح من مداد

الم تعرف ابا حسن عليا \* وما نالت يداه من الاعادي

عدلت به معاوية بن حرب \* فيا بعد البياض من السواد

ويا بعد الاصابع من سهيل \* ويا بعد الصلاح من الفساد

انا من ان نراه على خدب \* يقود الخيل بالاسل الحداد

ينادي بالنزال وانت منه \* بعيد فانظرن من ذا تعادي

فقال عمرو يا ابن اخي لو كنت مع علي وسعني بيتي ولكني مع معاوية ، قال له الفتى انك لو لم ترد معاوية لم يردك ولكنه يريد دينك وتريد دنياه .

وبلغ معاوية قول الفتى فطلبه فهرب الى علي ع م واخبره بامر عمرو مع معاوية فقربه علي ع م وادناه فحين اجتمع عمرو مع معاوية اعملا المكر والخديعة واجتمع مكرهما وكلاهما داهيتان معاديان لاهل بيت الوحي والنبوة وقد ذكرنا من ذلك ونذكر فيما يأتي ذكره وما اسكتهما عما يسرانه ويخفيانه مما كان عليه في الجاهلية الا غلبة الاسلام وقوته ، حتى اذا ظهرا ابديا العداوة الاصلية والاحقاد الجاهلية.

وقال معاوية لعمرو يوما يا ابا عبد الله طرقتني في ليلتي هذه ثلاثة اخبار ليس فيها ورود ولا صدر ، قال وما ذاك ، قال منها ان محمد بن حذيفة كسر السجن في دمشق فخرج هو واصحابه وهو من الآفات، ومنها ان قيصر زحف بجماعة الروم ليغلب على الشام ، ومنها ان علي ابن ابي طالب في الكوفة تهيأ للمسير الي ، فما ترى ،

قال عمرو وكل هذا عظيم ، اما ابن حذيفة فما تعظيمك له انما هو رجل خائف خرج مرعوبا ان تبعه جندك يقتله وان يفبت لا يضرك. واما قيصر فاهد له من وصف الروم ووصائفها وابنة الذهب والفضة واسأله الموادعة ، واما علي فلا والله ما تساوى العرب بينك وبينه في شيء من الاشياء وان حظه في الحرب معروفة وانه لما هو فيه لصاحب ولكنا نغالبه على هذه الدنيا ونماكره بجهدنا .

ثم ارسل الى معاوية شرجيل بن البسمط ، فلما قدم عليه عظمه وامر من معه ان يتلقوه، ولما خلا به عمرو ومعاوية لم يزالا يماكرانه ويكثران من ترغيبه وعطائه من دنياهما حتى استمالا قلبه واجمع رأيه مع رأيهما فعند ذلك عمدوا الى قميص فضرجوه بالدم ورفعوه على الرمح وبعثوا من يدور به في نواحي الشام يقول هذا دم خليفتكم المقتول ظلما ، فقوموا في دمه ، وسار شرجيل في اهل الشام ومعه القميص المضرج بالدم، وبدى بحمص وقال :

ايها الناس ان عليا قتل عثمان وقد غضب له قوم فلقيهم فهزمهم وغلب على الارض فلم يبق الا الشام وهو واضع سيفه على عاتقه حتى يأتيكم او يحدث امرا ولا ارى احدا اقوى من معاوية وهو ولي عثمان فخفوا معه وجاهدوا عدوه فاجابه الناس الا رهط قليل من اهل حمص فانهم قالوا لسنا من القوم في شيء بيوتنا قبورنا ومساجدنا بيوتنا، فاستنفر شرجيل اهل الشام ، لا يأتي قوما الا قبلوا امره وبلغ اهل العراق مسير شرجيل من مدائن الشام وبواديه فاتى الاشعث بن قيس الكندي وسعيد قيس سعيد ابن قيس الهمداني فقال انك يا سعيد سيد همدان ومن خير اهل اليمن وان شرجيل قد اهلك اهل الشام مغولا عداوة بيني وبينه لكتبت اليه فالق اليه كتابا عساك ان تشكـه فانه اعمى القلب ، قال سعيد استأذن امير المؤمنين فاذن له فكتب سعيد ابن قيس الى شرجيل :

بسم الله الرحمن الرحيم ، اما بعد ، فانك رجل من اهل العراق هاجرت الى الكوفة ثم انتقلت الى الشام وكنت بها على ما احب الله لك حتى اذا قتل عثمان وبايع الناس عليا امير المؤمنين ووصي رسول الله صلع ومن لا تنكر سوابقه ولا تجحد فضائله هيأ لك ابن ابي سفيان رجالا ليس فيهم الا الظن والهوى فشهدوا ان عليا ع م قتل عثمان فقبلت الظن وقضيت على الغائب ولم ترض بذاك حتى سرت في مدائن الشام تدعوهم الى غيب امر قد اعى من يشهده فكنت رأس الخطيئة ومفتاح البلا ، ولو نظرت فيما بائع الناس عليا ع م لعرفت انه لم يقتل عثمان واعجب من ذلك اقبال المهاجرين والانصار واضعين سيوفهم على عواتقهم حتى اتوا البصرة فقتلوا اهلها ثم مالوا الى الشام وبها نفر من اصحاب رسول الله صلع لم يقاتلوا عليا ع م ولم ينصروا معاوية فلم ترض بمن هو خير منك ولم ترغب في حق من انت خير منه، وليس في يدك النفاد والبقا من الخير ، ثم دعى النجاشي فقال هذا كتاب الى شرجيل فانصف اليه ابياتا فقال النجاشي :

ا شرجيل ابن هند من علي فبئس ما \* اخذت وفيه مثل رغبة السقب

اخذت طليقا باغيا بمهاجره \* يقي له في الناس خطب من الخطب

على غير شيء كان منه علمته \* وما كان منه في ابن عفان من ذنب

وما كان الا لازما قعر بيته \* قليل التجني والحوادث والشغب

الى ان رماه --- في جوف داره \* فبايعه القوم الذين هم حسبي

فريقا منهم ناصر ومهاجرله \* منهم محض المودة في القلب

وصحب رسول الله في كل موطن \* اولئك اولى في الهدى من بني حرب

فلما اراد الله تغيير نعمه \* عليك بما غيرت من نعم الرب

لقيت رجالا لفقوا لك خدعة \* ملائمة قول المغيبة والكذب

قبلت الذي قالوا بغير بصيرة \* على خبر من نبي ولا قرب

فسبحان من ارسى ثبيرا مكانه \* ا ترضى بهذا من ضلال ومن عجب

وترضى من اصحاب النبي محمد \* برجراجة الراضي بالاكل والشرب

ولو نقضوها ثم صارت مشورة \* لاصبح من يهدي بها جرؤ الكلب

وكتب النجاشي ايضا الى شرجيل :

اشرجيل ا للدين فارقت امرنا \* ولكن ليقض المالكي جرير

وشحناء دبت بين سعيد وبينه \* فاصبحت كالحادي بغير بعير

وما انت ان كانت بجيلة عاتبت \* قريشا على ماجئته ببصير

اتفضل امرا غبت عنه بشبهة \* وقد حار فيه عقل كل خبير

يقول رجال لم يكونوا ائمة \* ولا للتي لاقوكها بحضور

وما قول قوم غائبين تلفقوا \* من الافك ما دلاهم بغرور

وحسبك ان الناس اعطوا عهودهم \* عليا على انس به وسرور

اذا قيل هاتوا واحدا يقتدى به \* نظيرا له لم يفصحوا بنظير

لعلك ان شيخا الغداة بحزبه \* جرير فاما جئته بصغير

علي وصي المصطفى وابن عمه \* وابن حرب لم يكن بوزير

واجتمع اهل الشام فبائعوا معاوية على الطلب بدم عثمان وقال لهم معاوية ان عمرا ولاني الشام وان علي ابن ابي طالب قتل عثمان ويريد ان يعزلني عن الشام ويتحكم في دمائكم واموالكم ونمق لهم من القول وزخرف لهم من الكلام ما خدعهم به فاجابوا الى قوله واجمعوا على حرب علي ع م وكتب علي ع م الى جرير بن عبد الله البجلي :

بسم الله الرحمن الرحيم ، من علي ابن ابي طالب امير المؤمنين الى جرير ابن عبد الله ، اما بعد ، فاذا اتاك كتابي فاحمل معاوية على الفصل ولا تبلعه الريق وخذه بالجواب ، فانك قد ارخيت مني خناقه واجريت معه في ميدانه حتى ذاق ثمرة اهل الشام وغمر فنائهم ، فان اعطاك البيعة والا فأذنه بالحرب. والسلام.

فلما انتهى الكتاب الى جرير اتى معاوية فقال يا معاوية انه لا يطمع علىقلب الا بذنب ولايشرح الا بتوبة ولا اظن قلبك الا مطبوعا عليه ، اراك قد وقفت على الجور والباطل كأنك تنتظر شيئا في يد غيرك ،

قال له معاوية القالك بالفصل في اول مجلس ان شاء الله ، ولما بائع اهل الشام معاوية ووافقوا على رأيه دعى جريرا واهل الشام حوله فقال له معاوية ابى اهل الشام الا ما ترى ، فالحق بصاحبك ، وكتب معاوية الى علي ع م يؤذنه بالحرب : بسم الله الرحمن الرحيم ، من معاوية بن ابي سفيان الى علي ابن ابي طالب ، اما بعد ، فلو بايعك القوم الذين بايعوك وانت بري من دم عثمان لكنت كابي بكر وعمر وعثمان ولكنك اغريت بدم عثمان المهاجرين والانصار وخذلتهم عنه فاطاعك الجاهل وقوي بك الضعيف، وقد ابى اهل الشام الا قتالك حتى تدفع اليهم قتلة عثمان ، فاذا فعلت كانت شورى بين المسلمين،وانما كان اهل الحجاز الحكام على الناس والحق فيهم فلما تركوه صار اهل الشام هم الحكام على الناس ولعمري ما حجتك على اهل الشام كحجتك على اهل البصرة ، كانوا اطاعوك ولم يطعك اهل الشام وطلحة والزبير كانا بايعاك ولم ابايعك انا ، واما فضلك في الاسلام وقرابتك من النبي صلع وموضعك من قريش فلست ادفعه ، والسلام.

وكتب في اسفل كتابه بقول كعب بن جعيل الثعلبي :

ارى الشام يكره اهل العراق\* واهل العراق كلهم كارهونا

وكل لصاحبه مبغض \* يرى كل ما كان من ذاك دينا

اذا ما رمونا فارميناهم \* ودنّاهم مثل ما يقرضونا

وقالوا علي امام لنا \* فقلنا رضينا بن هند رضينا

وقالوا نرى ان تدينوا لنا \* فقلنا لهم لا نرى ان ندينا

ومن دون ذلك خرط القتاد \* وضرب وطعن يقر العيونا

وكل يسر بما عنده \* يرى غث ما في يديه سمينا

وما في علي لمستمع \* مقال سوى ضمنه المحدثينا

وايثاره اليوم اهل الذنوب \* ودفع القصاص على القاتلينا

اذا سيل عنهم حدا شبهة \* ونحا الجواب عن السائلينا

فليس براض ولا ساخط \* ولا في النهاة ولا الآمرينا

ولا هو ساءه ولا سره \* ولا بد من بعض ذا ان يكونا

فاجابه امير المؤمنين صلوات الله عليه :

بسم الله الرحمن الرحيم ، من علي امير المؤمنين الى معاوية ين صخر ، اما بعد ، فقد اتاني منك كتاب ليس له بصر يهديه ، وقائد يرشده ، دعاه الهوى فاجابه ، وقاده الردى فاتبعه ، وزعمت انه انما افسد عليك بيعتي خصلتان : خذلي عثمان وايوائي قتلته ، ولعمري ما كنت الا رجلا من المهاجرين اوردت كما اوردوا واصدرت كما اصدروا ، وما كان الله ليجمعهم على ضلال ولا ليبصرهم بالعمى وما امرت فتلزمني خطيئة الامر ولا قتلت فيجب علي قصاص القاتل ، واما زعمك ان اهل الشام يقبل في الشورى وتحل له الخلافة فان زعمت ذلك كذبك المهاجرون والانصار ، والا اتيتك به من قريش الحجاز ، واما قولك ادفع اليك قتلة عثمان فما انت وعثمان ، انما انت رجل من بني امية وبنو عثمان اولى بذلك منك فان زعمت انك اقوى منهم فادخل في طاعتي ثم حاكم القوم الي ، واما تمييزك بين اهل الشام واهل العراق وبين الزبير وطلحة فلعمري فما الامر فيما هنالك الا واحد لانها بيعة عامة لا يقال فيها النظر ولا يستأنف فيها الخيار ، واما ولوعك في امرعثمان فوالله ما قلت ذلك عن حق العيان ولا يقين الخبر ، واما فضلي في الاسلام وقرابتي من رسول الله صلع وشرفي قريش فلعمري لو استطعت ان تدفعه لدفعته .

ثم دعى نجاشي بن الحرث فقال له ان كعب بن جعيل شاعر اهل الشام وانت شاعر اهل العراق فاجب الرجل ، فقال يا امير المؤمنين اسمعني شعره ، فاسمعه اياه فاجابه النجاشي ، فكتب في اسفل كتاب امير المؤمنين ع م قول النجاشي :

معوي دع عنك ما لا يكونا \* فقد حقق الله ما تكرهونا

على كل جرداء خفانة \* واجرد هند يقر العيونا

عليها فوارس مخشية \* كاسد العرين حمين العرينا

يرون الطعان خلال العجاج \* وضرب الفوارس في النقع دينا

هم هزموا لجمع الزبير\* وطلحة والمعشر الناكثينا

والوا يمينا على حلفة \* ليهدون للشام حربا زبونا

تشيب النواهد قبل المشيب \* وتلقي لها الحاملات الجنينا

فان تكرهوا اليوم اهل العراق \* فقد رضي الله ما تكرهونا

فقل للمضل من وائل \* ومن جعل الغث يوما ثمينا

جعلت ابن هند واتباعه \* نظير علي اما تستحونا

الى اول الناس بعد الرسول \* وصهر الرسول من العالمينا

دعى للصلوة ومن مثله \* اذا كان يوما تشيب القرونا

فاما ابن عفان فاسلك به \* سبيل الوقوف ودع ذا الجنونا

فليس له عندنا غيره \* الا ربما جرّ شان شؤونا

فاصدر امير المؤمنين ص ع الى معاوية هذا الكتاب جوابا عن كتابه.

ولم يزل امير المؤمنين علي ابن ابي طالب ع م يكتب الى معاوية ويبكته ويقرر على فضله ايضاحا للحجة وابانة للمحجة ، والا فهو قد علم اصراره على البغي وتماديه في الباطل وقد نبأه رسول الله صلع بما يكون منه من الخلاف عليه والعداوة له وما يؤول الامر اليه لكن اولياء الله صلوات الله عليهم يقيمون الحجة ويجعلون مع القتال الدعوة، وقد اوردت ان اذكر في كتابي هذا من كتب امير المؤمنين ع م الى معاوية ما يبين فيه وضوح الحق وقيام الصدق ويلعم الواقف عليه ظلم من شاقه ، وجحوده ونفاقه ، وبالله استعين ومنه استمد التوفيق والتسديد ، واياه ارجو املاء نعمه والمزيد، بمنه وجزيل آلائه، وفضل اوليائه ،

فما اورده الشريف الرضي ابو الحسن محمد بن الحسين الموسوي من كتاب امير المؤمنين علي ابن ابي طالب ص ع الى معاوية ابن سفيان وجوابه، فمن كتاب له صلوات الله عليه الى معاوية :

اما بعد فقد انثنى منك موعظة موصّلة ورسالة مخبرة نمقها بضلالك وامضيتها بسوء رأيك كتاب امرء ليس له بصر يهديه وقائد يرشده ، قد دعاه الهوى فاجابه ،وقاده الضلال فاتبعه ، فهجر لاغطا ، وضل خابطا ، ومنه لانها بيعة واحدة ولا يثنى فيها النظر ولا يستانف فيها الخيار، الخارج منها طاعن والمروي فيها مداهن ،

ومن كتاب له صلى الله عليه الى معاوية يقول فيه : فاراد قومنا قتل نبينا واجتياح اصلنا هموا بنا الهموم وفعلوا بنا الافاعيل وسامونا العذاب واحلسونا الخوف واضطرونا الى جبل وعر واوقدوا لنا لنار الحرب ، فعزم الله لنا على الذب من حوزته والرمي من وراء حرمته ، مؤمننا يبتغي بذلك الاجر وكافرنا يحامي ن الاصل ، ومن اسلم من قريش خلق مما نحن فيه بحلف يمنعه او عشيرة تقوم دونه هو من القتل بمكان آمن ، وكان رسول الله صلع اذا احمر البأس واحجم الناس قدّم اهل بيته فوقى بهم اصحابه حر السيوف والاسنة، فقتل عبيدة بن الحارث يوم بدر وقتل حمزة يوم احد وقتل جعفر يوم مؤتة ، رضوان الله عليهم، واراد من لو شئت ذكرت اسمه مثل الذي ارادوا من الشهادة ولكن آجالهم عجلت ومنيته اخرت ، فيا عجبا للدهر اذ مرت يقرن بي من لم يسمع بقدمي ولم يكن له كسابقتي التي لا يدع احد بمثلها الا ان يدعي مدع ما لا اعرفه ولا اظن الله يعرفه ، فالحمد لله على كل حال واما ما سألت من دفع قتلة عثمان فاني نظرت في هذا الامر فلم ار يسعني دفعهم اليك ولا الى غيرك ولعمري لئن لم تنزع عن غيك وشقاقك لتعرفنهم عن قليل يطلبونك لا يكلفونك طلبهم في بر ولا بحر ولا سهل ولا جبل الا انه طلب يسوءك وجدانه وزور لا يسرك لقيانه ، والسلام لاهله .

ومن كتاب له ع م اليه فكيف انت صانع اذا تكشفت عنك جلابيب ما انت فيه من دنيا قد تبهجت بزينتها وخدعتك بلذتها ، دعتك فاجبتها ، وقادتك فاتبعتها ، وامرتك فاطعتها ،وانه يوشك ان يقفك واقف على ما لا ينجيك منه منج، فاقعس عن هذا الامر وخذ اهبة الحساب ، وشمر لما قد نزل بك، ولا تمكن الغواة من سمعك، وان لا تفعل اعلمك ما اغفلت من نفسك ، فانك مترف وقد اخذ الشيطان منك مأخذه وبلغ فيك امله، وجرى منك مجرى الروح والدم، ومتى كنتم يا معاوية ساسة الرعية وولاة امر الامة بغير قدم سابق ولا شرف باسق ، ونعوذ بالله من لزوم سوابق الشقا ، واحذرك ان تكون متماديا في غرة الامنية مختلف العلانية والسريرة، وقد دعوت الى الحرب فدع الناس جانبا واخرج الي واعف الفريقين من القتال ليعلم اينا المرين على قلبه ، والمغطى على بصره ، فانا ابو الحسن قاتل جدك وخالك واخيك شدخا يوم بدر ، وذلك السيف معي وبذلك القى عدوي ، ما استبدلت دينا ولا استحدثت نبأ ، واني لعلى المنهاج الذي تركتموه طائعين ودخلتم فيه مكرهين ، وزعمت انك جئت ثائرا بعثمان ولقد علمت حيث وقع دم عثمان فاطلبه من هناك ان كنت طالبا ، فكأني قد رأيتك تضج من الحرب اذا عضتك ضجيج الجمال بالاثقال وكأني بجماعتكم تدعوني جزعا من الضرب المتتابع والقضا الواقع ومصارع بعد مصارع الي كتاب الله تعالى وهي كافرة جاحدة او مبائعة جائدة .

ومن كتاب له ع م الى معاوية جوابا :

واما طلبك الي الشام فاني لم اكن لاعطيك اليوم ما منعتك امس ، واما قولك ان الحرب قد اكلت العرب الا حشاشات انفس بقيت الا ومن اكله الحق فالى الجنة ، ومن اكله الباطل فالى النار، واما استواءنا في الحرب والرجال فلست بامضى على الشك مني على اليقين، وليس اهل الشام باحرص على الدنيا من اهل العراق علىالآخرة ، واما قولك انا بنو عبد مناف وكذلك نحن ولكن ليس امية كهاشم ولا حرب كعبد المطلب ولا ابو سفيان كابي طالب ، ولا المهاجر كالطليق ولا الصريح كاللصيق ولا المحق كالمبطل ، ولا المؤمن كالمدغل ، ولبئس الخلف خلفا يتبع سلفا هوى في نار جهنم وفي ايدينا بعد فضل النبوة التي اذللنا بها العزيز وافتنا به الذليل، ولما ادخل الله العرب في دينه افواجا واسلمت له هذه الامة طوعا وكرها كنتم ممن دخل في الدين اما رغبة واما رهبة على حين ، فان اهل السبق سبقهم وذهب المهاجرون الاولون بفضلهم فلا تجعل للشيطان فيك نصيبا ولا على نفسك سبيلا .

ومن كتاب له ع م الى معاوية :

اما بعد فقد اتاني كتابك تذكر اصطفاء الله محمدا صلع لدينه وتائيده اياه بمن ايده من اصحابه فلقد خبأ الدهر لنا منك عجبا ان طفقت تخبرنا ببلاء الله عندنا ونعمته علينا في نبينا فكنت في ذلك كناقل الثمر الى هجر او داعي مسدده الى النضال ، وزعمت ان افضل الناس في الاسلام فلان وفلان فذكرت امرأان ثم اعتزلك كلمه وان نقص لم يلحقك ثلمه ، وما انت والفاضل والمفضول والسائس والمسوس وما للطلقاء وابناء الطلقاء والتمييز بين المهاجرين الاولين وترتيب درجاتهم وتعريف طبقاتهم ، هيهات لقد حن قدح ليس منها ، وطفق يحكم فيها من عليه الحكم لها ، الا تربع ايها الانسان على ظلعك وتعرف قصور ذرعك وتتأخر حيث اخّرك القدر ، فما عليك غلبة المغلوب ولا لك ظفر الظافر ، فانك لذهاب في التيه ، وروّاع عن القصد ، الا ترى - غير مخبر لك - لكن بنعمة الله اُحدّث ان قوما استشهدوا في سبيل الله من المهاجرين والانصار- ولكل فضل - حتى اذا استشهد شهيدنا قيل سيد الشهداء، وخصه رسول الله صلع بسبعين تكبيرة عند صلوته عليه ، اولا ترى قوما قُطعت ايديهم في سبيل الله - ولكل فضل – حتى اذا فعل بواحدنا كما فعل بواحدهم قيل الطيار في الجنة وذو الجناحين، ولولا ما نهى الله من تزكية المرء نفسه لذكر ذاكر فضائل جمة تعرفها قلوب المؤمنين ولا تمجها آذان السامعين ، فدع عنك من مالت به الرمية فانا صنائع ربنا والناس بعد صنائع لنا لم يمنعنا قديم عزنا وغاديُّ طولنا على قومك اذا خلطناهم بانفسنا فنكحنا وانكحنا فعل الاكفاء، ولستم هنالك ، وانى تكونون كذلك ومنا النبي ومنكم المكذب ، ومنا اسد الله ومنكم اسد الاحلاف ، ومنا سيدا شباب اهل الجنة ومنكم صبية النار، ومنا خير نساء العالمين ومنكم حمالة الحطب ، في كثير مما لنا وعليكم ، فاسلامنا قد سمع وجاهليتكم لا تدفع ، وكتاب الله يجمع لنا ما شذ عنا ، وهو قوله تعالى واولوا الارحام بعضهم اولى ببعض في كتاب الله ، وقوله ان اولى الناس بابراهيم للذين اتبعوه وهذا النبي والذين آمنوا بالله والله ولي المؤمنين، فنحن مرة اولى بالقرابة، وتارة اولى بالطاعة ، ولما احتج المهاجرون على الانصار يوم السقيفة برسول الله صلع فلجوا عليهم ، فان يكن الفلج به فالحق لنا دونكم ، وان يكن بغيره فالانصار على دعواهم ، وزعمت اني لكل الخلفاء حسدت وعلى كلهم بغيت ، فان يكن كذلك فليس الجناية عليك فيكون العذر اليك ،

وتلك شكاة ظاهر عنك عارها \*

وقلت اني كنت اقاد كما يقاد الجمل المخشوش حتى ابايع، ولعمر الله لقد اردت ان تذم فمدحت، وان تفضح فافتضحت ، وما على المسلم من غضاضة في ان يكون مظلوما ما لم يكن شاكا في دينه ولا مرتابا بيقينه ، وهذه حجتي الي غيرك قصدها ولكني اطلقت لك منها بقدر ما سنح من ذكرها، ثم ذكرت ما كان من امري وامر عثمان فلك ان تجاب عن هذه لرحمك منه فاينا كان اعدى له واهدى الى مقاتله امن بذل له نصرته فاستقعده واستكفه ام من استنصره فتراخى عنه وبث المنون اليه حتى اتا قدره عليه ، كلا والله قد علم الله المعوقين منكم والقائلين لاخوانهم هلم الينا ولا يأتون البأس الا قليلا ما كنت لاعتذر اني كنت انقم عليه احداثا فان كان الذنب اليه ارشادي وهدايتي له فرب ملوم لا ذنب له

وقد سينتقد الظنة المنتصح \*

وما اردت الا الاصلاح ما استطعت وما توفيقي الا بالله عليه توكلت واليه انيب ، وذكرت انه ليس لي ولاصحابي عندك الا السيف فقد اضحكت بعد استعبار ، متى الفيت بتو عبد المطلب عن الاعداء ناكلين ، وبالسيوف مخوفين ،

فالبث قليلا يلحق الهيجا جمل \*

فسيطلبك من تطلب ويقرب منك ما يستبعد وانا مرقل نحوك في جحفل من المهاجرين والانصار والتابعين باحسان شديد زحامهم ساطع قتامهم مسربلين سرابيل الموت احب اللقاء اليهم لقاء ربهم ، قد صحبتهم ذرية بدرية وسيوف هاشمية قد عرفت مواقع نضالها في اخيك وخالك وجدك واهلك وما هي من الظالمين ببعيد .

ومن كتاب له ع م الى معاوية ابن ابي سفيان فاتق الله فيما لديك وانظر في حقه عليك وراجع الي معاوية ما لا تعذر بجهالته ، فان للطاعة اعلاما واضحة ، وسبلا نيرة، ومحجة نهجة وغاية مطلبة تردها الاكياس وتخالفها الانكاس من نكب عنها جاب عن الحق وخبط في التيه وغير الله نعمته واحل نقمته بنفسك نفسك فقد بين الله لك سبيلك وحيث تناهت بك امورك فقد اجريت الى غاية كفر ومحل خسر وان نفسك قد اوحلتك شرا واقحمتك غيا واوردتك المهالك واوعرت عليك المسالك .

ومن كتاب له ص ع اليه وارديت جيلا من الناس كثيرا عنهم خدعتهم بغيك والقيتهم في موج بحرك تغشاهم الظلمات وتلاطم بهم الشبهات فجاروا عن وجهتهم ونكصوا على اعقابهم وتولوا على ادبارهم وعولوا على احسابهم الا من فاء من اهل البصائر فانهم فارقوا بعد معرفتك وهربوا الى الله من موارزتك اذ حملتهم على الصعب وعدلت بهم عن القصد فاتق الله يا معاوية في نفسك وجاذب الشيطان قيادك فان الدنيا منقطعة عنك والآخرة قريبة منك ، والسلام.

ومن كتاب ع م له ايضا : فسبحان الله ما اشد لزومك للاهواء المتبعة مع تضييع الحقائق واطراح الوثائق التي هي لله طلبة وعلى عباده حجة ، واما اكثارك الحجاج في عثمان وقتلته فانك انما نصرت عثمان حيث كان لك النصر وخذلته حيث كان النصر له ، والسلام.

ومن كتاب له ص ع اليه : ان البغي والزور يوتغان المرء في دينه ودنياه ويبديان خلله عندمن يعيبه وقد علمت انك غير مدرك ما قضى فواته وقد خدم اقوام امرا بغير الحق وتأولوا على الله فاكذبهم ، واحذر يوما يغتبط فيه من حمد عاقبة عمله ويندم من امكن الشيطان من قياده فلم يجاد به وقد دعوتنا الى حكم القرآن ولست من اهله ولسنا اياك اجبنا ولكن اجبنا القرآن الى حكمه.

ومن كتاب له ص ع الىمعاوية : اما بعد ، فان الله سبحانه جعل الدنيا لما بعدها وابتلى فيها اهلها ليعلم ايهم احسن عملا ولسنا للدنيا خلقنا ولا بالسعي فيها امرنا ، وانما وضعنا فيها لبلائها، وقد ابتلاني الله بك وابتلاك بي فجعل احدنا حجة على الآخر فغدوت على طلب الدنيا بتأويل القرآن فطلبتني بما لم تجن يدي ولا لساني وغضبت انت واهل الشام بي والب عالمكم جاهلكم وقائمكم قائدكم ، فاتق الله في نفسك ونازع الشيطان قيادك واصرف الىالآخرة وجهك فهي طريقنا وطريقك واحذر ان يصبك الله تعالى بعاجل قارعة تمس الاصل وتقطع الدابر، فاني اولى بالله الية غير فاجرة لئن جمعتني واياك جوامع الاقدارلا ازال ساحتك حتى يحكم الله بيننا وهو خير الحاكمين.

وكتب ص ع ايضا الى ابن ابي سفيان معاوية ، اما بعد ، فانا كنا نحن وانتم على ما ذكرت من الالفة والجماعة ففرّق بيننا وبينكم امس انا آمنا وكفرتم ، واليوم انا استقمنا وفتنتم ، وما اسلم مسلمكم الا كرها وبعد ان كان انف الاسلام كله لرسول الله صلع حربا، وذكرت اني قتلت طلحة والزبير وشددت بعائشة ونزلت بين المصرين، وذلك امر غبت عنه فلا عتب عليك ولا العذر فيه اليك ، وذكرت انك زائري في المهاجرين والانصار وقد انقطعت الهجرة يوم اسر اخوك ، فان كان فيك عجل فاسترفه ، فاني ان ازرك فذاك جدير ان يكون الله انما بعثني للنقمة منك وان تزرني فكما قال اخو بني اسد :

ستقبلني رياح الصيف تضر بهم \* بحاصب بني اغوار جلمود

وعند السيف الذي اعضـضته بجدك وخالك واخيك في مقام واحد ، وانك والله ما علمت الا غلف القلب المفارق للعقل والاولى ان يقال لك انك قد رقيت سلّما اطلعك مطلع سوء عليك لا لك لانك نشدت غير ضالتك ورعيت غير سائمتك وطلبت امرا لست من اهله ولا في معدنه ، فما ابعد قولك من فعلك ، وقريب ما اشبهت من اعمام واخوال حملتهم الشقاوة وتمني الباطل على الجحود بمحمد صلع فصرعوا مصارعهم حيث علمت لم يدفعوا عظيما ولم يمنعوا حريما بوقع سيوف ما خلا منها الوغى ولم تماسها الهوينا، وقد اكثرت في قتلة عثمان فادخل فيما دخل فيه الناس ثم حاكم القوم الي احملك واياهم على كتاب الله ، واما تلك التي تريد فانها خدعة الصبي عن اللبن قبل الفطام. والسلام.

ومن كتاب له عليه السلام اليه :

اما بعد فقد آن لك ان تنفع باللمح الباصر في عيان الامور، فقد سلكت مدارج اسلافك بادعائك الاباطيل واقتحامك غرور المين والاكاذيب وبانتحالك ما قد علا عنك وابتز انك لما اختزن دونك فرارا من الحق وجحودا لما هو الزم لك من لحمك ودمك مما قد وعاه سمعك وملئ به صدرك ، فما بعد الحق الا الضلال ، وبعد البيان الا اللبس ، فاحذر الشبهة واشتمالها علي لبستها فان الفتنة طال ما اعذقت جلابيبها واعشت الابصار ظلمتها وقد اتاني كتاب منك ذو افانين من القول ضعفت قواها عن السلم واساطير لم يحكها منك علم ولا حلم اصبحت منها كالخائض في الديماس وترقيت الى مرقية بعيدة المرام نازحة الاعلام يقصر دونها الانوق ويحاذي بها العيوق ، وحاشا لله ان تلي المسلمين صدرا او وردا او اجري لك على احد منهم عقدا او عهدا ، فمن الآن فتدارك نفسك وانظر بها فانك ان فرطت حتى ينهد اليك عباد الله ارتجت عليك الامور ومنعت امرا هو منك اليوم مقبول ، والسلام.

ومن كتاب له عليه السلام : اما بعد ، فاني على التردد في جوابك والاستماع علي كتابك لموهن رأي ومخطئ فراستي ، فانك اذ تحاولني الامور وتراجعني السطور كالمستقبل النائم تكذبه احلامه والمتحير القائم بنهضته مقامه لا يدري اله ما يأتي ام عليه ولست به غير انه بك شبيه ، واقسم بالله لو لا بعض الاستبقاء لوصلت اليك مني قوارع تقرع العظم وتلهش اللحم ، واعلم ان الشيطان قد شبطك عن ان تراجع حسن امورك وتأذن لمقال نصحك، والسلام.

وروى الشيخ احمد بن حمدان الرزي رضوان الله عليه قال : ويروى ان معاوية كان كتب الى علي عليه السلام كتابا يظلمه فيه فاجابه عنه وكتب في الجواب :

تنام ولم تنم عنك المنايا \* تنبه للمنية يا نؤوم

تروم الخلد في دار المنايا \* فكم قد رام قبلك ما تروم

الى الديان يوم الدين \* نفضى وعند الله تجمع الخصوم

ستعلم في المعاد اذا التقينا \* غدا يوم الحساب من الظلوم

ومن كتاب له صلى الله عليه الى عمرو ابن العاص : فانك جعلت دينك تبعا لدنيا امرء ظاهر عنه مهتوك ستره يشين الكريم بمجلسه ويسفه الحليم بخلطته فاتبعت اثره وطلبت فضله اتباع الكلب للضرغام يلوذ الى مخالبه وينتظر ما يلقي اليه من فضل فريسته فاذهبت دنياك وآخرتك، ولو بالحق اخذت ادركت ما طلبت فان يمكن الله منك ومن ابن ابي سفيان اجزكما بما قدمتما، وان تعجزا وتبقياه فما امامكما شر لكما ، والسلام.

نقول وبالله نستعين وعليه نتوكل فيما ذكرناه واوردناه، وتوجهنا اليه وقصدناه، انا قد ذكرنا من كتب امير المؤمنين علي ابن ابي طالب ع م الى معاوية ابن ابي سفيان وكتابه الىعمرو ابن العاص ما فيه الدلائل البينة والبراهين الواضحة على فضل علي ع م وعلو قدره وسامي محله وفلج حجته وبيان شريف رتبته وعالي منزلته التي يقصرعنها من هو اعلى من معاوية قدما واقدم في الاسلام قدما ، ومن ذا الذي يدانيه في فضله ام من في اصحاب النبي صلع كمثله ، ومن ذا الذي كقرابته وسبقه وجهاده ووصايته، فانى لمعاويةان يساويه او يدانيه وهو وابوه راسا الكفر وقائدا الاحزاب في الجاهلية وجرثومة النفاق في الاسلام ، وقد لعن رسول الله صلع اباه واخاه يزيد ولعنه حين اقبل ابو سفيان راكبا بعيره واحدهما يقود به والآخر يسوق ، فقال لعن الله الراكب والقائد والسائق .

وروي ان رسول الله صلع لما اشرف يوم احد على عسكر المشركين قال اللهم العن القادة والاتباع، فاما الاتباع فان الله يتوب على من يشاء منهم ، واما القادة والرؤوس فليس منهم نجيب ولا ناج ، ومن القادة يومئذ ابو سفيان وابنه معاوية ، فقطع رسول الله صلع ان ليس فيهم نجيب ولا ناج ، وقوله الحق الذي لا خلف فيه والصدق الذي لا شك يعتريه ، وروي عن رسول الله صلع انه قال معاوية في صندوق من نار مقفل عليه ما تحته الا فرعون في اسفل درك جهنم ، ولولا قول فرعون انا ربكم الاعلى ما كان تحت معاوية، وقال صلع يخرج من ادخل النار من هذه الامة بعد ما شاء الله ويبقى فيها رجل تحت صخرة ينادي يا حنان يا منان ، وقيل ان ذلك الرجل هو معاوية ، وبعث رسول الله صلع يوما الى معاوية فقالوا هو يأكل فلبث ساعة ثم بعث اليه فقالوا هو يأكل فقال لا اشبع الله بطنه فلم يكن بعد ذلك يشبع . وقال صلع وقد نظر اليه ان هذا سيطلب هذا الامر بعدي فمن ادركه يطلب ذلك فليبقر بطنه بالسيف ، قال صلع اذا رأيتم عمروا مع معاوية فافرقوا بينهما فانهما لن يجتمعا لخير ،

وسمع امير المؤمنين صلع رجلا يلعن اهل الشام فقال ويحك لا تلعنهم ولكن العن معاوية وعمروا وشيعتهما ، وكان ص ع يلعنهما في قنوته ، وسمع رسول الله صلع معاوية وعمرو بن العاص يغنيان فرفع يديه فقال :اللهم اركسهما في الفتنة ركسا، ودعهما الى نار جهنم دعا .

وعن جابر بن عبد الله انه قال والله ما عادى معاوية عليا الا بغضة لرسول الله صلع ، ولقد قاتله علي وقاتل اباه وهو يقول صدق الله وصدق رسوله وهما يقولان كذب الله وكذب رسوله، والله لا يساوي بين اهل بدر والطلقاء .

وقال صعصعة بن صوحان في ايام يزيد ليت القبر لفظ الينا معاوية فننظر اليه كيف عذبه الله وينظر الينا كيف عذبنا ابنه .

وروي عن الاسود انه دخل يوما على عائشة ومعاوية يحارب عليا ع م فقال يا ام المؤمنين لا تعجبين لرجل من الطلقاء ينازع الخلافة رجلا من اهل بدر ، فقالت عائشة اوليس قد ملك فرعون بني اسرائيل اربع مائة سنة ، الملك لله يعطيه البر والفاجر .

وسئل ابو سعيد الخدري عن قتال معاوية لعلي ع م فقال معاوية الفاسق نازع الحق اهله.

ونكر الحسن البصري معاوية فقال جبان فاسق .

وعن ابي ذر انه قال سمعت رسول الله صلع يقول يرد علي الحوص امتي على خمس رأيات وذكر حديثا طويلا قال فيه ثم يرد فرعون امتي في اتباعه فآخذ بيده فاذا اخذتها اسودّ وجهه وجفّت قدماه ، وخفقت احشاؤه ، ويفعل ذلك باتباعه ، ثم قال هو معاوية بن ابي سفيان ، فاقول بم خلفتموني في الثقلين بعدي فيقولون كذبنا الاكبر ومزقناه وقاتلنا الاصغر فقتلناه فاقول اسلكوا طريق اصحابكم فينصرفون ظماء مسودة وجوههم لا يطعمون منه قطرة ، ولهذا الحديث وامثاله نفوا ابا ذر ورموه بالكذب تكذيبا منهم لرسول الله صلع ، وقد شهد له بالصدق .

وبلغ سعد بن ابي وقاص كلام تكلم به معاوية ، فقال ومن اين يدري الفاسق هذا .

وروي ان رسول الله صلع نظر الى معاوية يتبختر في برد حبرة وينظر الى عطفيه فلعنه وقال اي يوم سوء لامتي منك واي يوم سوء لذريتي من جرو يخرج من صلبك يتخذ آيات الله هزوا ويستحل من حرمتي ما حرم الله عز وجل.

وفيما يروى عن الكلبي وابي صالح والهيثم عن محمد بن اسحاق وغيرهم ان معاوية لغير رشدة وان امه هندا كانت من العواهر الغلمات اللواتي كن يخترن على اعينهن ، وكان احب الرجال اليها السودان وكانت اذا علقت من اسود فولدت له قتلت ولدها منه ، ولما اسلمت وانزل الله جل جلاله :يا ايها النبي اذا جاءك المؤمنات يبايعنك على ان يشركن بالله شيئا ولا يسرقن ولا يزنين ولا يقتلن اولادهن - الآية، اتت هند لتبائع رسول الله صلع فقال لها لا تسرقي ، قالت بابي انت وامي اني لاسرق من مال ابي سفيان لايتام بني عبد مناف، قال فلا تفعلين ، قالت لا افعل ، قال ولا تزني ولا تقتلين ولدك ، قالت بابي انت وامي وهل تزني الحرة ، فالتفت رسول الله صلع الى بعض من حضر وتبسم لعلمه صلع بها. وذلك في حديث طويل قد جاء به الرواة وانه كان يعزى الى جماعة من قريش وغيرهم وان امه لما دنى نفاسها به خرجت الى جبل اجياد لتضعه هنالك وتقتله كما كانت تقتل بمن تضعه من السودان ، فلما القته رأت عليه البياض وادركتها حنة فاحتملته، ولذلك يقول حسان بن ثابت :

لمن الصبي بجانب البطحاء \* ملقى عليه غير ذي مهد

نجلت به بيضاء آنسة من \* عبد شمس صلتة الخد

غلبت على شبه الغلام وقد بدى \* فيه السواد بحالك جعد

وفيمن نبذت من السودان ايضا يقول حسان ابن ثابت :

لمن سواقط سودان منبذة \* باتت تفحص في بطحاء اجياد

فيهم صبي له ام لها نسب \* في ذروة من ذرى الاحساب آساد

تقول وهنا وقد جاء المخاض بها \* يا ليتني كنت ارعى السوم للغادي

قد غادرته بحر الوجه منقعرا \* وخاله وابوه سيد النادي

وامه هي آكلة الاكباد التي شقت عن كبد حمزة بن عبد المطلب رضوان الله عليه يوم احد ولاكتها ثم لفظتها ولم يستطع تزدردها لما منع الله به لحم حمزة ان يخالط لحمها.

وكثير من اخبار معاوية ومعائبه ومثالبه لو تقصيناه اطلنا به الشرح ، ولو تقصينا الحجة في تغلبه وغصبه وكونه ظالما لاحتجنا الى افراد كتاب لذلك وفي اقل قليل مما اوردناه دلالة على بغيه وظلمه وتعديه وتطاوله الى ما ليس له وهو فرعون الامة وجبار الجبابرة ومن اكابر الائمة الذين يدعون الى النار، وعجبا لمن قدمه وولاه بعد منازعته لوصي رسول الله صلع المعروف فضله المشهور، انها لا تعمى الابصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور . وسوف نذكر من معائبه ومثالبه فيما يعرض من ذكر ذلك في الكلام ما هو ادل دليل على بغيه وظلمه هو ومن اقامه في ذلك المقام .

واما عمرو ابن العاص فهي مشهورة مثالبه ومعروفة معائبه ، وامه النابغة مشهورة بالعهر والفجور، قال ابن الكلبي وابن اسحاق والهيثم بن عدي :كانت النابغة ام عمرو بن العاص من العواهر المشهرات ذوات الرايات وكن يحضرن عكاظ وذو المجاز ومجنة اسواق العرب تنصبن فيها الرايات لتدل عليهن من اراد العهار ليأتيهن وكانت للنابغة ام عمرو راية بالابطح وكانت خزيمة بن عمرو الخزاعي وغيره ياتونها ، ووقع عليها العاص بن وائل فكان بيطارا بمكة يعالج الخيل والابل فجاءت منه بعمرو،

وقال هشام كان من حديث النابغة ام عمرو بن العاص انها كانت بغيا من طوائف العرب فقدمت مكة ومعها بنات لها، فوقع عليها نفر من قريش في الجاهلية منهم ابو لهب بن عبد المطلب وامية بن خلف الحمحي وهشام بن المغيرة المخزومي وابو سفيان بن حرب ابن امية والعاص بن وائل السهمي في طهر واحد فحملت فولدت عمروا واختصم القوم جميعا فيه كلهم يدعيه ثم اعرض عنه ثلاثة واكب عليه اثنان وهم العاص بن وائل وابو سفيان بن حرب ، فحكما فيه امه فقالت هو للعاص بن وائل فقيل لها بد ذلك ويحك ما حملك على ما صنعت فلقد كان ابو سفيان اشرف لك ، قالت ان العاص ينفق على بناتي ولو الحقته بابي سفيان لم ينفق العاص علينا شيئا وخفت الضيعة ، وكانت النابغة من عترة وكان العاص جزارا ، وقيل في عمرو انه اختصم فيه من قريش احرارها فغلب عليه جزارها ، وكان العاص بن وائل ادعاه وائل ، وقد قيل ان اصله من ناحية نحو تهامة وقيل ان ملحان مولى خزاعة كان ايضا يقع على النابغة ام عمرو ، وفي ذلك يقول حسان بن ثابت يهجو عمرا لما هجى رسول الله صلع حيث يقول :

اما ابن نابغة اعني الهجين فقد \* انحيت فيه لسانا صارما ذكرا

ما بال امك زاغت عن ذوي شرف \* الى ابن وائل لما عفت الاثرا

باتت بليل وملحان يعالجها \* عند الهجوع فما ملا ولا فترا

وهجا عمرو ابن العاص رسول الله صلع سبعين بيتا فقال رسول الله صلع اللهم اني لا احسن الشعر فالعنه من كل بيت لعنة .

وعن الصادق جعفر بن محمد صلوات الله عليه انه قال مر رسول الله صلع بعد منصرفه من جنازة ابنه القاسم بعمرو بن العاص وابيه العاص بن الوائل فقال احدهما للآخر اني والله اشنأه ، وقال الآخر دعه فقد اصبح ابتر ، يعني بموت ابنه ، فانزل الله عز وجل شانه : بسم الله الرحمن الرحيم ، انا اعطيناك الكوثر ، فصل لربك وانحر ، ان شانئك هو الابتر . وقال رسول الله صلع ائمة الكفر خمسة منهم معاوية وعمرو بن العاص .

وقال ابن مسعود خمسة من قريش ضالون مضلون فذكر منهم معاوية وعمرو ابن العاص .

وعن حذيفة اليمان انه قال كنت اقود برسول الله صلع وعمار يسوق به ليلة اذ اقبل انثا عشر راكبا وقد علونا العقبة ما نرى منهم الا الحدق لينفروا برسول الله صلع فجعلت اضرب وجههم عنه فقال دعهم فسيكفيكهم الله وهو السميع العليم ، ثم دعاهم وسماهم رجلا رجلا ، وقال هؤلاء المنافقون في الدنيا والآخرة ، قال وكان منهم معاوية وعتبة وعمرو ابن العاص وابو الاعور السليمي والمغيرة بن شعبة وجماعة معهم ، وقال امير المؤمنين علي ع م وهو يقاتل معاوية يا معشر المسلمين قاتلوا ائمة الكفر انهم لا ايمان لهم لعلهم ينتهون ، هم هؤلاء ورب الكعبة البيت الحرام .

وروي عنه ص ع انه قال رأيترسول الله صلع في منامي فجعلت ابكي واقول ما ذا لقيت من الامة بعدك يا رسول الله فقال لا تبك وافع رأسك فرفعت راسي واذا انا بمعاوية وعمرو بن العاص معلقين ترضح رؤسهما بالحجارة ، فجعلت آخذ الحجارة العظيمة فارضح بها رؤسهما، فقص هذه الرؤيا على الناس وكان بينهما وبين موته ص ع خمسة عشر يوما.

وكفى من مثالب معاوية انه من بني امية الذين هم الشجرة الملعونة في القرآن ،

وعن ابي جعفر بن محمد بن علي عليه السلام انه قال في قول الله عز وجل لتنذر قوما لدا ، قال يعني بني امية ، وقد قال رسول الله صلع وهو يخطب ان رأيتم رجلا من بني امية في الماء الى حلقه فغطوه في الماء حتى يغرق ، انه لولم يبق منهم الا رجل واحد لبغى دين الله عوجا.

وعن علي صلوات الله عليه انه قال لكل شيء آفة تفسده وآفة الدين بنو امية ، وقيل انه كانت ابغض الاحياء الى رسول الله صلع بنوامية .

وعن الحسين ابن علي ابن ابي طالب عليه السلام انه قال اذا قامت القيامة الكبرى حشر الله بني امية في صورة الذرة يطؤهم الناس حتى يفرغ من الحساب ،ثم اتى بهم فحوسبوا وصيروا الى النار ،

وعن ابي عبد الله جعفر بن محمد ص ع انه قال ما من اهل بيت الا والله فيهم نجيب او ناج ما خلا بني امية ، فان الله عز وجل لم يجعل فيهم نجيبا ولا ناجيا .

وقال علي ابن ابي طالب صلى الله عليه في قول الله عز وجل الم ترى الى الذين بدلوا نعمة الله كفرا واحلوا قومهم دار البوار ، جهنم يصلونها وبئس القرار ، وجعلوا لله اندادا ليضلوا عن سبيله ، قل تمتعوا فان مصيركم الى ا لنار ، قال نزلت هذه الآية في الافجرين من بني امية ، وبني المغيرة ، فاما بنو المغيرة فقطع الله دابرهم يوم بدر ، واما بنو امية فمتعوا الى حين

وعن رسول الله صلع انه قال قال لي جبرئيل ما ركزت لواءي قط في موضع الا ركز ابليس لواءه في بني امية ، وما زال ينازلني المنازل ، فلما نزلت هاشم نزل من بني امية وكان اول من جلس مجلس الخلافة من بني امية عثمان بن عفان ثم بنو ابي سفيان ورجعت الى آل الحكم.

وقد روي عن سلمان الفارسي رضوان الله عليه انه قال يوم بائع الناس ابا بكرلقد فعلتم فعلة اطمعتم فيها ابناء اللعنا فذلك اصل المحنة ، واس الفتنة ، فلو انهم جعلوا الامر فيمن ابان الله ورسوله فضله واسند اليه وصيته لما ضلوا ولا زلوا ، لكنهم اتبعوا اهوائهم واعطوا ابليس لواءهم ونصبوا من احبوه ورأسوه عليهم بغير امر من الله ورسوله صلع ، فسلكوا سبيل من قبلهم واتبعوا من الامم سبلهم كما قال رسول الله صلع لتسلكن سبل الامم قبلكم حذو النعل بالنعل والقذة بالقذة حتى لو دخلوا حجر ضب لدخلتموه ، وقال ايضا لتسلكن سبل من كان قبلكم ذراعا بذراع وباعا بباع حتى لو دخلوا خشرم دبر لدخلتموه ، والدبر جماعة الزنابير .

وفي كلمة واحدة مما ذكرناه عن الرسول صلع وعن اهل بيته صلوات الله عليه دليلا لمن انصف نفسه ولم يكن ممن ران الشيطان على قلبه ، نرجع القول الى ما كنا فيه .

عن صالح بن صدفة قال لما رجع جرير بن عبد الله البجلي الى علي ع م من معاوية كثر قول الناس في التهمة له في امر معاوية فاجتمع الاشتر وجرير عند امير المؤمنين ص ع فقال مالك يا امير المؤمنين لو كنت ارسلتني الى معاوية كنت خيرا لك من هذا الذي ارخى له واقام حتى لم يترك بابا يرجو روحه الا فتحه ولا بابا يخاف غمه الا اغلقه ، قال جرير لو كنت والله الذي اتيتهم لقتلوك وخوفه بعمر وذي كلاع وبحوشب وذي ظلم ، وقال انهم يقولون انك من قتلة عثمان فقال مالك لو اتيتهم والله يا جرير لم اعي عن جوابهم ولحملت معاوية على خطة اعجله فيها عن الفكر، قال فائتهم الآن اذا ، قال الاشتر الآن وقد افسدتهم ووقع بينهم الشر ، وقال مالك الاشتر لامير المؤمنين ع م لقد قلت لك لا تبعث جريرا واخبرتك بغشه ، وقال الاشتر لجرير يا اخا بجلة ان عثمان اشترى منك دينك بهمدان، والله ما انت اهل ان تترك تمشي على الارض حيا ابدا ، انك اتيتهم لتتخذ عندهم يدا بمسيرك اليهم ثم رجعت الينا من عندهم تهددنا بهم ، انت والله منهم ولا نرى سعيك الا لهم ، ولو اطاعني فيك امير المؤمنين لحبسك واشباهك في مجلس لا تخرجون منه ابدا حتى تستتم هذه الامور ، ويهلك الله الظالمين ، قال جرير وددت والله انك كنت مكاني اذا والله لم ترجع ،

ثم خرج جرير الليل فلحق بقرقيسا ولحق به اناس من اصحابه وقومه بجيله ولم يشهد صفين من قومه الا تسعة عشر رجلا وشهدها ---خمس سبع مائة رجل .

وخرج امير المؤمنين ص ع الى دار جرير فشغب منها واحرق مجلسه فخرج اليه ابو ذرعة عمرو بن جرير فقال يا امير المؤمنين ان فيها لغير جرير فخرج الى دار نويرة ابن عامر فاحرقها وهدم منها وكان قد لحق بجرير وقال له مالك الاشتر فيما كان من تخويف جرير له بعمر وحوش ذي ظلم وذي كلاع :

لعمر يا جرير لقول عمرو \* وصاحبه معاوية الشام

وذي كلع وحوش ذي ظلم \* اخف علي من ذرق النعام

اذا اجتمعوا علي فخل عنهم \* وعن ليث مخالبهم دوام

فلست بخائف ما خوفوني \* وكيف اخاف احلام النيام

وهمهم الذي حاموا عليه \* من الدنيا وهمي ما امامي

فان اسلم اعمهم بحرب \* يشيب لهولها راس الغلام

وان اهلك فقد قدمت امرا \* افوز بفلجه يوم الخصام

وقد راحو علي وواعدوني \* فمن ذا مات من خوف الكلام

وقال السكوني فيما كان بين مالك الاشتر وجرير البجلي :

تطاول ليل اخت آل السكاسك \* لقول اتاني عن جرير ومالك

اجرا عليه الذيل غم عداوة \* ولا يهلك الاقوام غير التماحك

فاعظم بما جرا علينا مصيبة \* وما هكذا فعل الرجال الحوانك

فان يبقيا يبقى العراق بغبطة \* وفي الناس ماوى للرجال الصعالك

وان جريرا ناصح لامامه \* حريص على غسل الوجوه الحوالك

ولكن امر الله في الناس بالغ \* وحبل المنايا بالنفوس السوامك

وما لجرير عاذر دون فتنة \* وما لاخيه عاذر دون ذلك

وعن عمرو بن سعيد عن ابي مخنف عن زكريا بن الحارث ، قال كنت تحت منبر امير المؤمنين ع م فقام خطيبا يحرض الناس فحمد الله تعالى واثنى عليه وصلى على النبي ثم قال :

ايها الناس سيروا الى اعداء السنن والقرآن ، سيروا الى قتلة المهاجرين والانصار ، سيروا الى حرب النبي محمد، سيروا الى المؤلفة قلوبهم ليكفوا عن الاسلام بأسهم ، سيروا الى القوم الذين كان اسلامهم كرها وخوفا وطمعا في الاموال ، لطال والله ما صدوا عن سبيل الله ولقوا الاسلام عوجا ، وتحزبوا وتحالفوا على رسول الله صلع وعلى المسلمين ، ووضعوا لهم المراصد والمسالح ، وجنحوا اليهم بالمناسر ورموهم بالكتائب والقناطر وصدوا عن رسول الله صلع والمسلمين عن المسجد الحرام وقتلوا الذين يأمرون بالقسط من الناس وجهدوا في اطفاء نور الله حتى ظهر امر الله وهم كارهون ، وايم الله ما زلنا لهم على الاسلام متهمين ولاحداثهم خائفين حتى نجم الامر الذي ترون، قال زكريا بن حارث فذكر هذا واشباهه من الكلام وهذا الذي حفط منه ، فقام رجل من قراره يقال له اربد بن ربيعة فقال يا علي اتريد ان تسير الى اخواننا من اهل الشام كما سرت بنا الى اخواننا من اهل البصرة فقتلناهم بالامس ، لا والله لا نفعل ذلك ابدا ، فقال الاشتر النخعي الى الناس من هذا لا يفوتنكم فوثب عليه همدان وشوب من كل قبيل معهم فلحقوه وادركوه في مكان من السوق كانت تباع فيه البراذين فتعاوره ضربا بالنعل حتى مات ، فقالوا لامير المؤمنين ع م قد قتل الرجل قال ومن قتله ، قالوا همدان وفيهم شوب من كل حي فقال عليه السلام قتيل عميا ديته من بيت مال المسلمين . وفي ذلك يقول علاقة التميمي :

اعوذ ربي ان تكون منيتي \* كما مات في سوق البراذين اربد

تعاوره همدان خصف نعالها \* اذا رفعت منه يد وقعت يد

وقام مالك الاشتر فقال يا امير المؤمنين لا تؤيسك من نصرنا ما سمعت من كلام هذا البائس الشقي ان من ترى من شيعتك من الناس لا يرغبون بانفسهم عن نفسك ولا يحبون البقا بعدك فسر على اسم الله الى عدوك فوالله لا ينجو من الموت من خافه ولا يعطى البقاء من احبه ، ولا يعيش بالآمال الا الاشقياء ، وانا على يقين من ربنا ان انفسنا لا تموت حتى يأتي اجلها فلم لا نقاتل قوما هم كما وصفت يا امير المؤمنين والله ما نعلمهم زادوا الاسلام الا غشا ولا اهله الا بغضا ، ولقد وليت طائفة منهم علىعصابة من المسلمين واسخطوا الرب واظلمت من فعلهم الارض واماتوا السنة واحيوا البدعة، وباعوا اديانهم بعرض من الدنيا يسير

وقام الرؤساء اولو الدين من اصحاب امير المؤمنين فتكلموا واجابوه بما سرّه

وقام الى امير المؤمنين صلى الله عليه قوم من عطفان وبني تميم منهم حنظلة بن ربيعة التميمي فقالوا يا امير المؤمنين انا قد جئنا بنصيحة اليك فاقبلها منا وقد رأينا لك رأيا فلا ترده علينا، فانا نظرنا اهل الشام فانك لا تدري لمن تكون الدائرة اذا التقيتم وعلى من يكون

فقال امير المؤمنين صلىالله عليه ان الله جل ذكره وارث العباد والبلاد والسموات والارضين السبع واليه ترجعون ، يؤتي الملك من يشاء وينزعه عمن يشاء ويعز من يشاء ويذل من يشاء ، واما الدائرة فانها على الضالين على العاصين ظفروا او ظفر بهم، وايم الله اني لاسمع كلام قوم ما اراهم يريدون معروفا ولاينكرون منكرا

فقام اليه معقل بن قيس الرياحي فقال : يا امير المؤمنين ، ان هؤلاء ما اتوك بنصح ولا دخلوا عليك الا بغش فاحذرهم فانهم ادنى العدو

وقال مالك بن حبيب : يا امير المؤمنين انه بلغني ان حنظلة بن ربيعة يكاتب معاوية فادفعه الينا نحبسه حتى تنقضي غزاتك

قال لهم امير المؤمنين علي ع م الله بيني وبينكم واليه اكلكم وبه استظهر عليكم اذهبوا حيث شئتم.

وخرج امير المؤمنين علي ابن ابي طالب ع م من الكوفة متوجها لحرب اهل الشام بعد ان دعى الحارث الاعور الهمداني فقال له ناد في الناس بالخروج الى معسكرهم الى النخيلة وبعث علي عليه السلام الى مالك بن حبيب الربوعي صاحب الشرطة بالكوفة فامره ان يحشر الناس الى معسكرهم بالنخيلة ودعى ابا مسعود عقبة بن عامر الانصاري فاستخلفه على الكوفة وكان احد السبعين من اصحاب العقبة وهو اصغرهم سنا .

وخطب امير المؤمنين ع م عن مسيره من الكوفة الى الشام فقال بسم الله الرحمن الرحيم ، ا لحمد لله غير مفقود الانعام ، ولا مكافاة الافضال ، اما بعد ، فقد بعثت مقدمتي وامرتهم بلزوم هذا الملطاط حتى يأتيهم امري ، وقد رأيت ان اقطع هذه النطفة التي شرذمة منكم موطنين اكناف دجلة فانهضهم معكم الى عدوكم واجعلهم من امداد القوة لكم وقال ع م في تلك الخطبة ان الله اكرمكم بدينه وخلقكم لعبادته فانصبوا ابدانكم في حقه وتنجزوا موعده واعلموا ان الله جعل مراسي الاسلام متينة ، وعراه وثيقة ، ثم جعل الطاعة حظ الانفس برضى الرب وغنيمة الاكياس عند تفريط العجزة، وقد حملت امر هذه الامة احمرها واسودها ولا قوة الا بالله ، ونحن سائرون ان شاء الله الى من سفه نفسه وتناول ما لا يدرك معاوية ابن ابي سفيان وجنوده الفئة الطاغية الباغية يقودهم ابليس ويبرق لهم بحربته فيدليهم بغروره ، وانتم اعلم الناس بحلال الله وحرامه فاتبعوا بما علمتم، واحذروا ما حذرتم وارغبوا فيها هيء لكم من الاجر ، واعلموا ان المسلمين من سلمت دينه وامانيه وغروره من اثر الضلالة على الهدى فان من الذود الى الذود ابل تريد القليل الى القليل يجتمع فيكثره، ومن لا يزد عن حوضه سلاحه يهدم ، ثم اخذكم بالشدة في الجهاد في سبيل الله وانتظروا الرضى العاجل من الله واستغفر الله لي ولكم.

ثم قام الامام الحسين بن علي ع م فخطب فقال بسم الله الرحمن الرحيم ، الحمد لله الذي لا اله غيره وحده لا شريك له واثنى عليه بما هو اهله ، وصلى الله على نبينا محمد وآله ، ايها الناس ان مما عظم الله عليكم من حقه واسبغ عليكم من نعمه ما لا يحصى ذكره ولا يؤدى شكره ولا تبلغه صفة ولا قول ، ونحن في حق الخالق والله يمن علينا بما هو اهله ، اهل ان نشكر منه آلائه وبلائه ونعمائه ، قولا يصعد الى الله والرضى وتيسر فيه عاقبة الصدق ويصدق الله فيه قولنا ، ونستوجب المزيد من ربنا قولا يزيد ولا يبيد ، فانه لم يجمع قوم على امر واحد الا اشتد امرهم واستحصف عقدهم فاحشدوا في قتال عدوكم ومعاوية وجنوده فانه قد حضر ولا تخاذلوا فان الخذلان طرف من الفشل ، وان الاقدام على الاسنة نجدة ، ولم يمتنع قوم قط الا دفع عنهم الغلبة ، وكفاهم حوائج الذلة وهداهم الى معالم الملة، ثم قال :

والصلح تأخذ منه ما رضيت \* والحرب يكفيك من انفاسها الجزع

وقام الحسين بن علي ص ع خطيبا فقال بعد حمد الله والثناء عليه والصلوة على رسوله :

اما بعد يا اهل الكوفة فانتم الاحبة الكرماء والساسة الحكماء اهل الحلم والنهى والشعاد دون الدثار جدوا في احياء ما امرتم به واستيهال ما وعد نبيكم والفة ما اذاع منكم فان الحرب شرها وزيع وطعمها فظيع وهي جرع نتحشى فمن قاتل في دهشها ولم يألم كلومها عند حلولها فذاك صاحبها ومن عاجل قبل فرصة واستيصال شافته فذاك الذي لا ينفع قومه ويهلك نفسه ، نسأل الله بحوله وقوته ان يسددكم لرشده وطاعته.

واجابهم الى السير معهم جل من الناس .

وقال امير المؤمنين ص ع حين جد مسيره من الكوفة الى الشام :

اللهم اني اعوذ بك وعثاء السفر وكآبة المنقلب وسوء المنظر في الاهل والمال، اللهم انت الصاحب في السفر وانت الخليفة في الاهل ولا يجمعها غيرك لان المستخلف لا يكون مستصحبا والمستصحب لا يكون مستخلفا .

وامر علي ع م على الاسباع من اهل الكوفة فجعل سعد بن مسعود الثقفي على قيس وعبد القيس ومعقد بن قيس اليربوعي على تميم والرباب وضبة وقريش وكنانة وبني، ومخنف بن سليم على الازد وبجيلة وخثعم وخزاعة والانصار، وحجر بن عدي الكندي على كندة وحضرموت وقضاعة ومهرور وزياد بن النضر بن شريف بن مالك على مدحج والاشعرين وسعيد بن قيس على همدان ومن معهم من حمير وعدي بن حاتم على طي يجمعهم الدعوة مع مدحج وتختلف الرايتان وراية مدحج مع زياد بن النصر وراية طي مع عدي بن حاتم

وجاءت طائفة من اصحاب امير المؤمنين ص ع قالوا اعط هذه الاموال وفضل علينا هذه الاشراف ومن تخاف فراقه وخلافه حتى اذا استتب لك الامور عدت الى احسن ما كنت عليه من العدل في الرعية والقسم بالسوية ، فقال امير المؤمنين ع م تأمروني ان اطلب النصر بالجور فيمن وليت عليه من اهل الاسلام ، والله ما اطور به ما سمر السمير وما جرى في السماء نجم لو كان ما لهم لي لسويت بينهم فكيف انما هي اموالهم ، ثم دام طويلا ساكتا ، ثم قال من كان منكم له مال فاياه والفساد، فان اعطاء المال في غير حقه تبذير واسراف وهو يرفع ذكر صاحبه في الناس ويضعه عند الله وما وضع امرء ماله في غير حقه وعند غير اهله الا حرمه الله شكرهم وكان لغيره ودهم فان بقي معه منهم يريد لوزر ويظهر له الشكر ، فانما هو ملقى وكذب فان زلت بصاحبه النعل واحتاج الى معونته ومكافاته فشر خليل وآثم جري ، وليس لواضع ماله عند غير اهله وفي غير حقه من الحظ فيما آتاه الا محمدة اللئام وثناء الاشرار ما دام منعما عليهم ما اجوده وهو على ذات الله بخيل، واي حظ يورد اشر من هذا الحظ واي معروف اقل عائدة من هذا المعروف ، فمن آتاه الله فليصل به القرابة ويحسن فيه الضيافة وليعن به العاري ويفك به الاسير وليعين به الغارم وابن السبيل والفقراء والمجاهدين وليصبر نفسه على الحقوق ، فاي فوز من مكارم الدنيا ودرك ثواب الآخرة اسنى من هذا

وحدث عن الاعمش باسناده عن رجل ممن كان مع امير المؤمنين ع م قال لما نزل امير المؤمنين ع م كربلا صلى بها الغداة ركعتين بين شجرات حرمل ثم اخذ كفا من تراب فشمه ثم قال يقتل في هذه البقعة قوم يدخلون الجنة بغير حساب

وبالاسناد عن عبد الله بن يزيد قال رأيت عليا ص ع بين الجسر والقنطرة فخرجه الى صفين فقصر الصلوة ونظر الى قبر النجلة عظيم يدفن اليه اليهود موتاهم ، فقال ما يقول الناس في هذا القبر ، قال الحسن بن علي يقولون هذا قبر هود عليه السلام لما عصاه قومه جاء حتى اذا كان ههنا وادركه الموت ، فقال كذبوا هذا قبر يهوذا بن يعقوب بن اسحاق بن ابراهيم ع م ثم قال اههنا احد من مهرة فاتى بشيخ كبير فقال له ابن منزلك ، قال على شاطئ البحر ، قال اين من الجبل الاحمر ، قال قريب منه ، قال فما يقول قومك فيه ، قال يقولون انه قبر ساحر ، قال كذبوا ذلك قبر هود وهذا قبر يهوذا.

ودعى امير المؤمنين ع م زياد بن النصر وشريح بن هاني فقال يا زياد اتق الله في كل مساء وصباح وخف على نفسك غرور الدنيا ولا تأمنها على حال من البلاء ، واعلم انك ان لم تنزع نفسك عن كثير مما تحب مخافة مكروهها تطغى بك الاهواء الى كثير من الضر حتى تطفي فكن لنفسك مانعا وزعها عن الظلم والبغي والعدوان ، فاني وليتك هذا الجند فانك تدرك الخير بالحلم ، وكف الاذى والجهل ، قال له زياد ارضيت يا امير المؤمنين حافظا لوصيتك متأدبا بادبك ، والرشد في امرك ، وامرهما ان يأخذ في طريق ولا يختلفا وبعثهما في اثني عشر الفا في مقدمته شريح بن هاني في طائف من الجند وزياد بن النصر في جماعة من الناس وكتب امير المؤمنين ع م الى زياد بن النصر وشريح بن هاني بعد انفصالهما بمن معهما:

بسم الله الرحمن الرحيم

من عبد الله علي امير المؤمنين الى زياد بن النصر وشريح ابن هاني سلام الله عليكما فاني احمد الله اليكما الله الذي لا اله الا هو ، اما بعد ، فاني قد وليت مقدمتي زياد بن النضر وامرته عليها وشريح بن هاني على طائفة من الجند فان انتما جمعكما امر فزياد بن نصر على الناس وان افترقتما فكل واحد منكما امير على الطائفة التي وليناه ، واعلما ان مقدمة القوم عيونهم وعيون المقدمة طلائعهم ، فاذا انتم خرجتما من بلادكما فلا تسأما من توجيه الطلائع في كل ناحية ومن كل الشعاب والشجر من كل جانب كيلا لا يضركما كيد ولا يعتريكما عدوا ويكون لهم كمين ولا تسرن الكتائب من لدن الصباح الى المئيا الا على تعبئة ، فان دهمكم دهم او عراكم مكروه كنتم قد تقدمتم في العتبئة ، فان نزلتم بعدو او نزل بكم فليكن معسكركم في الاشراق او صفاح الجبال واثناء الانهار كيما يكون لكم ردءا او يكون مقاتلكم من وجه واحد او اثنين واجعل رقباءكا في صياصي الجبال وباعلى الاشراف وبمناكب الانهار يرون لكم لئلا يأتيكم العدو من كان واياكم والتفرق فاذا نزلتم فانزلوا جميعا ، واذا غشيكم الليل فنزلتم فحفوا عسكركم بالرماح وفي الترسة ورماتكم يكون ترستكم ورماحكم ، وما اقمتم فكذلك فافعلوا كي لا تصاب لكم غفلة ولا تلقى لكم غرة ، فما من قوم يخفون عسكرهم برماحهم وترستهم الا كانوا كأنهم في حصون واحرسا عساكركما بانفسكما واياكما ان تذوقا نوما حتى تصبح الا غرارا ومضمضة وليكن ذلك شأنكما ودابكما حتى تنتهيا الى عدوكما وليكن كل يوم عندي خبركما ورسول منكما فاني حثيث المسير في اثركما ان شاء الله وعليكما بالقودة في حربكما واياكما والعجلة الا ان يمكنكما الفرصة واياكما ان تقاتلا الى ان يأتيكما امري ان شاء الله ولا قوة الا بالله . والسلام.

فمضى زياد بن النصر وشريح بن هاني معهما حتى لقيا ابا الاعور السلمي دون صفين بليلة في جماعة عظيمة من اهل الشام فارسل الى علي ع م :

اما بعد يا امير المؤمنين فانا لقينا بالاعور السلمي في جماعة عظيمة من اهل الشام وقد دعوناهم فلم يجيبوا فمرنا فيهم امرك ، فارسل امير المؤمنين ع م مالك بن الحارث الاشتر وقال يا مالك ان زيادا وشريحاارسلا الي يعلمان انههما لقيا ابا الاعور السلمي في جند من اهل الشام ونبأني الرسول انه تركهم متواقفين فالنجا النجا الى اصحابكما فاذا دفعت اليهم فانت امير عليهم واياك ان تلقى القوم بقتال حتى يبدؤكم وحتى تدعوهم وتعذر اليهم ولا يجرمنكم شنآنهم على قتالهم حتى يكون منك الاعذار مرة بعد مرة واجعل على ميمنتك زيادا وعلى ميسرتك شريحا وقف من اصحابك وسطا ولا تدن منهم دنو من يريد ان يشد الحرب ولا تباعد منهم تباعد من يهاب البأس حتى اقدم عليك فاني حثيث السير اليك

وكتب ع م الى زياد بن النصر وشريح بن هاني اميري جيشه :

اما بعد فقد امرت عليكما وعلى من في حيزكما مالك الاشتر فاسمعا له واطيعاه واجعلاه درعا ومجنا فانه ممن لا يخاف وهنه ولا سقطته ، ولا يبطؤه عما الاسراع فيه احزم ، ولا اسراعه الى ما البطؤ عنه امثل ، وقد امرته بمثل ما امرتكما به والسلام.

وكتب ع م الى امراء الجند :

بسم الله الرحمن الرحيم ، من عبد الله علي امير المؤمنين الى امراء الجند ، اما بعد ، فاني ابرء اليكم من معرة الجيشين الا من جوعة او شبعة او فقر الى غنى او عمى الى هدى، فان ذلك عليهم فانهوا الناس من الظلم والعدوان وخذوا على ايدي سفهائكم لكم واحرسوا ان تعملوا اعمالا لا ترضى الله فيرد بها عليكم وعلينا دعانا ، فان الله سبحانه يقول قل ما يعبؤ بكم ربي لولا دعاؤكم ، وان الله تعالى اذامقت قوما من السماء هلكوا في الارض فلا تدخروا انفسكم خيرا ولا الجند حسن سيرة ولا الرعية معونة ولادين الله قوة ، وابلوا في سبيله كما اوجب عليكم فان الله قد اصطنع عندنا وعندكم ما يجب ان نشكره بجهدنا وننصره بمبلغ قوتنا ولا قوة الا بالله

وكتب الى الجنود يخبرهم بالذي لهم وعليهم :

بسم الله الرحمن الرحيم من عبد الله علي امير المؤمنين ، اما بعد ، فان الله جعلكم في الحق جميعا سواء احمركم واسودكم ، وجعلكم من الوالي وجعل الوالي منكم بمنزلة الولد من الوالد وبمنزلة الوالد من الولد الذي لا يكفه منعه اياهم عن طلب عدوه والثقة به ما سمعتم واطعتم وقضيتم الذي عليكم مع انصافكم والتعديل بينكم والكف عن فيئكم ، فاذا فعل وجبت طاعته فيما وافق الحق ونصرته على سيرته والدفع عن سلطان الله فانكم وزعة الله في الارض فكونوا لي اعوانا ولدين الله انصارا ولا تفسدوا في الارض بعد اصلاحها ان الله لا يحب المفسدين

وفيما حدث به عن مصالح بن صدقه باسناده قال : قام عدي بن حاتم الطائي الى علي ع م فقال يا امير المؤمنين ان عندي رجلا من قومي لا يجازى بمثله وهو يريد ان يزور ابن عمه حابس بن سعد بالشام فلو امرناه ان يلقى معاوية فلعله ان يكسره ويكسر اهل الشام

فقال امير المؤمنين ع م : نعم من بذلك وكان اسم الرجل خفاف بن عبد الله فمضى حتى قدم على ابن عمه حابس وكان حابس مسيء الظن فحدثه خفاف انه شهد عثمان بالمدينة وسار مع علي ع م الى الكوفة وكان لخفاف لسان وهيئة وشعر فغدى حابس وخفاف الى معاوية فقال حابس هذا ابن عمي قدم من المدينة مع علي وشهد عثمان بالمدينة وهو ثقة فقال له معاوية هات ما عندك في عثمان ، قال نعم حصره المكشوح وحكم فيه حكيم ووليه محمد ابن ابي بكر وعمار بن ياسر وتجرد في امره ثلاثة نفر عدي بن حاتم والاشتر النخعي وعمرو بن الحمق الخزاعي ، وجد في امره رجلان طلحة والزبير وابرء الناس منه علي ابن ابي طالب ، قال ثم مه ، قال ثم تهافت الناس الى علي ع م بالبيعة حتى ضلت النعل سقط الرداء ووطئ الشيخ ، ثم تهيأ للمسير فخف معه المهاجرون والانصار وكره القتال معه ثلاثة نفر سعيد بن مالك وعبد الله بن عمر ومحمد بن مسلمة، فلم يستكره احدا واستغنى بمن خف معه عمن تثاقل عنه وسار حتى دنى من جبلي طيء فاتته منها جماعة كان ضاربا بهم الناس حتى اذا كان في بعض الطريق اتاه مسير طلحة والزبير وعائشة الى البصرة فسرح رجالا الى الكوفة فاجابوا دعوته وسار الى البصرة فهي في كفه ثم قدم الكوفة فحمل اليه الصبي ودبت اليه العجوز وخرجت اليه العروس فرحانة وشوقا اليه ، ثم خرج معسكر في النخيلة وليس له هم الا الشام فذعر معاوية من قوله ، فقال حابس ايها الامير لقد اسمعني شعرا غير به حالي في عثمان وعظم عليا به عندي ، قال معاوية اسمعنى اياه فانشأ يقول :

قلت والليل ساقط الاكناف \* وبجنبي عن الفراش تجاف

ارقب الليل ما يلائمني الغمضى \* لعين طويلة التذراف

ليت شعري وانني لسؤل \* هل لي اليوم بالمدينة شاف

من صحاب النبي اذا اعظم الخطب \* وفيهم من البرية كاف

احلال دم الامام بذنب \* ام حرام بشبهة الوقاف

قال لي اليوم لا سبيل اليها \* تطلب اليوم قلت حسب خفاف

قلت لما ضعفت قولا دعوني \* ان قلبي من القلوب ضعاف

قد مضى ما مضى ومرّ به الدهر \* كما مرّ ذاهب الاسلاف

انني والذي يحج له الناس \* علي ضمر البطون محجاف

ارهب اليويم ان اتاك علي \* صيحة مثل صيحة الاحقاف

انه الليث غاديا وشجاعا \* مطرقا نافثا بسم الذعاف

فارس الخيل يوم كل نزال \* ونزال الفتى من الانصاف

واضع السيف فوق عاتقه الايمن \* يغري به شؤن القحاف

لا يرى القتل في الخلاف عليه \* الف الف كانوا من الاشراف

يسوم الخيل ثم قال لقوم \* تابعوه الى الطعان خفاف

استعدوا لحرب طاغية الشام \* فلبوه كالبنين اللطاف

ثم قالوا انت الجناح لك الريش \* القداما ونحن فيها خواف

انت وال وانت والدنا البر \* ونحن الغداة كالاضياف

وثوى الضف في الديار قليل \* قد تركنا العتاق للايجاف

وهم ما هم اذا انتسب الناس \* اولوا الفضل والامور الكفاف

فانظر اليوم قبل بادرة الحرب \* بسلم اردت ام بخلاف

ان هذا رأي الشفيق على الشام \* ولولاه ما جشمن مساف

فانكر معاوية وقال يا حابس اني لاظنه عينا لعلي فاخرجه لا يفسد اهل الشام ، ثم بعث اليه بعد فقال يا خفاف اخبرني عن امور الناس فاعاد عليه ما حدثه به اولا فعجب معاوية من عقله وحسن وصفه للامور وقلة اختلافه ، ولما بلغ معاوية معسكر علي ع م بالنخيلة ومعاوية بدمشق عمد هو وعمرو بن العاص الى قميص فضرّجاه دما والبسوه المنبر وقالوا هذا قميص عثمان ، وقام معاوية فقال يا اهل الشام قد كنتم تكذبونني في علي وقد استبان لكم امره، والله ما قتل عثمان خليفتكم غيره ، وهو امر بقتله والب الناس عليه وآوى قتلته ، وهم جنده وانصاره وبطانته ، يا اهل الشام الله الله في عثمان وانا وليه واحق من طلب بدمه وقد جعل الله لولي المقتول المظلوم سلطانا فانصروا خليفتكم المظلوم ، فقد صنع القوم ما تعلمون ، قتلوه ظلما وعدوانا وبغيا ، وقد امر الله بقتل الفئة الباغية حتى تفيء الى امره فقام اليه اهل الشام فدعوه بامر المؤمنين واجابوه بما سره واعجبه وجددوا بيعته ، فلما استقامت له البيعة اعجب بنفسه وازداد في طغيانه وقال والله ما علي باحق بالامر مني اني لكاتب رسول الله صلع وصهره وعامل عمر وعثمان وانا ابن ابي سفيان وابن هند ولئن كان بائعه اهل الحجاز لقد بايعني اهل الشام ، ولما اصبح وجد في مجلسه كتابا لا يعلم كاتبه ، واذا فيه شعر :

معاوية لله من خلقه \* اناس قلوبهم قاسية

وقلبك من شر تلك القلوب \* وليس المطيعة كالعاصية

دع ابن خدج ودع ذا الكلاع \* ودع حوشبا واقبل العافية

وبايع عليا فان الذي \* تحاوله حية قاضية

وان عليا له فضله \* ويكفيك واحدة شافية

ابالدين تطلبها دونه \* فلا تقعدنها لنا ثانية

وان تك شورى من المسلمين \* فانت منحى لها ناحية

وان تاب الا رجيع الكلام \* وغرتك اكلبك العاوية

فان عليا لو سورة \* به تفرق العصب العاتية

وانت طليق فلا ترجها \* وان ترجها صرت في الهاوية

ونقول ان فخر معاوية بما افتخر له غير موجب له فضلا ، اما قوله انه كاتب رسول الله صلع فقد كان عبد الله بن ابي سرح كتب لرسول الله صلع ثم كان يكتب مكان العزيز الحكيم الغفور الرحيم وارتد الى الشرك ، ثم قال لاهل مكة من المشركين اني قد انزلت قرآنا كما نزل على محمد ، فقال الله فيه ومن قال سانزل مثل ما انزل الله الآية ، وهو ممن نذر رسول الله صلع دمه يوم فتح مكة وامر بقتله وان كان تحت استار الكعبة ، فان كان ذلك فخر لابن ابي سرح فلا غرو ان يكون مثله لمعاوية .

وقوله انه صهر رسول الله صلع فليس ذلك له بفخر فان رسول الله صلع قد تزوج ابنة حي ابن اخطب اليهودي وهو خارج عن دين الاسلام ولا فخر لمعاوية في ذلك مع نفاقه وعداوته لرسول الله صلع ولاهل بيته صلوات الله عليهم ولعن رسول الله صلع له ولابيه ابي سفيان ، وقد وافى ابو سفيان رملة وهي عند رسول الله صلع قبل فتح مكة واومى ليجلس على فراش رسول الله صلع فقامت رملة فطوته عنه ، فقال لها يا بنية ارغبت بي عن هذا الفراش ام رغبت به عني ، قالت انه فراش رسول الله صلع وانت امرء مشرك لا ينبغي لي ان ادعك تجلس عليه ، فلم يك ذلك بمقرب له من الرسول صلع وهو على شركه ، وانما يتقرب اليه بما يتقرب به الى الله جل وعلا من العمل الصالح ولا فخر لمعاوية في ذلك ولا فضل له به.

وقوله انا ابن ابي سفيان وابو سفيان عدو الله وعدو رسوله الذي نابذه الحرب وحزب عليه الاحزاب ومعاوية منه ولم يسلما رغبة في الاسلام بل مكرهين لما خشيا القتل .

وقوله انه ابن هند فتلك آكلة الاكباد الباذلة لوحشي في قتل حمزة ما بذلت فاي فخر لمن هذا افتخاره ، واي قدم تقر في الفضل قراره ، ولكن جاز ذلك ومثله على العوام ونفذ سحره وافكه في اهل الشام الذين لا معرفة لهم بفضل الفاضلين ولا اهتدوا الىما يتفاضل الفضلاء من المسلمين .

واما قوله انه عامل عمر وعثمان فمن الذي استعمل عمر وعثمان في الخلافة ومن اقامهما مقام الامامة ابنص من الرسول وجب ذلك لهما ام بآية في الكتاب نزلت فيهما، ولو كان ذلك لهما فان عليه ان يعتزل لما ولي الامر غيرهما ولو تقصينا الحجة في ذلك لاتينا بما يطول، واوردنا فيه ما يكثر عده من الابواب والفصول .

نرجع الى ما كنا فيه ،

وقال عمرو بن العاص يا اهل الشام اتدرون من اتاكم اتاكم الاسد الورد والشجاع المطرق علي ابن ابي طالب واتاكم افاعي العراق التي لا يبل سليمها من ذي دين يحامي على دينه او ذي شرف يحامي عن شرفه ، او ذي كلب يؤمل منكم الغني فخوضوا اليهم ارض العراق فانهم خائضون اليكم ارض الشام، فقال يا عمرو انك قطعت القوم قبل اللقاء ، فقال اني اردت ان يوطنوا انفسهم على ما تحب ، ولما قام اهل الشام للكلام نالوا من علي ومن اهل العراق واطرق معاوية وذكروا عثمان وقتله واكثروا من ذلك وقدم على معاوية الحجاج بن خزيمة في مائة راكب من قومه واعد عدة واحسن هيئة ،فقام فخطب وحض معاوية على القتال وقال :

معاوية اغضي للاله له واجتنب \* ثم اهزف الصعدة للشاس الكلب

ان بني عمك عبد المطلب \* هم قتلوا شيخهم غير الكذب

وانت اولى الناس منهم بالوثب \* تجمع اهل الشام جمعا ونصب

فاهتز معاوية لذلك وسر به وبهج لمقالته وقال له وهل عندك مهزان هززت لك الصعدة وحملتك على المصمئلة اما عاطبا واما ناجيا ، قال نعم يا ابن هند ذي الارب، وانا والمجد محجي هلا ، فقال فتى شاب من حمير وكان ناسكا له عقل ولسان وهو احد احاطة بني سعد فقال سبحان الله اما من رجل يهب نفسه لله يامعاوية انه والله ما يؤخذ الشام الا بهلاك العراق ، ولا يؤخذ العراق الا بهلك الشام في بقاء هذه بعد صاحبتها واعظم من ذلك ذل الحي وفقد القتيل يا اهل الشام والله ما لكم عند الله الا ما عندكم له ان اهل الحجاز هم الحكام على الناس لمكانهم من النبي صلع والهجرة والجهاد فان كان في ايديكم مثل ذلك فكافوهم في الامر واشركوهم في المشورة والا فقدموا من قدموا واخروا من اخروا فامر به معاوية فلبّب وحنق بعد ان وثب عليه اصحابه فشتموه ثم خلوا عنه ، وكان حميري من اهل حمص حاضر فانشأ يقول :

قل لقوم يرون حرب علي \* احرزوا الشام ثم يرموا العراقا

ان دون الذي ترون من الامر \* طعانا مثل الدلاء وفاقا

وقراعا بكل ابيض كالملح \* يزيل الرؤس والاعناقا

ونزالا لمن اراد نزالا \* وعناقا لمن اراد عناقا

يا بن هند دع التبرع للحرب \* فحرب العراق يشجي الخناقا

يلقك العام في العجاج علي \* يقحم العب في اللقاء العتاقا

واضع السيف فوق عاتقه الايـ \* ـمن فانظر اهل يليق فواقا

اين اين الفرار ان رفع المغفر \* من رأسه وشد الوثاقا

ثم نادى اليه في خمس الحرب \* رجالا قد اكدوا الميثاقا

فهناك الغفا قد علم الناس \* وكأس المنون كاسا دهاقا

فلما بلغ معاوية قول الحميري كتب الى عماله من اهل حمص ان شدوه وثاقا وابعثوا به الي وبلغ الحمير ذلك فلحق امير المؤمنين علي ابن ابي طالب ص ع واستشهد معه في صفين ، رحمة الله عليه،

وكتب معاوية الى اهل مكة والمدينة كتابا فيه :

اما بعد فانه مهما غاب عنا من الامور فلم يغب عنا ان عليا قتل عثمان والدليل على ذلك مكان قتلته منه وانما اطلب بدمه حتى تدفع الي قتلته فاقتلهم به فان دفع الي قتلتهم كففنا عنه وجعلناها شورى بين المسلمين كما جعلها عمر، فاما الخلافة فلسنا نطلبها فاعيونا عليه وانهضوا من ناحيتكم فان ايدينا وايديكم ان اجتمعت على امر واحد هاب علي ما هو فيه .

وكتب الى عبد الله بن عمر :

بسم ا لله الرحمن الرحيم ، اما بعد ، فانه لم يكن احد من قريش احب الي ان يجتمع الناس عليه بعد عثمان منك، ثم ذكرت حربك اياه وطعنك على انصاره فقصرت عن ذلك ، وهون ذلك على خلافك عليا وردني عليك بعض ما كان منك فاعنا يرحمك الله على حق هذا الخليفة المظلوم فاني لست اريد هذه الامارة عليك وانما اريدها لك فان انت ابيت كانت شورى بين المسلمين.

وكتب اليه بقوله هذا والى محمد بن مسلمة وسعيد بن مالك

الا قل لعبد الله واخصـص محمدا \* وفارسا المشهور سعد بن مالك

ثلاثة رهط من اصحاب محمد \* نجوم وماوى للرجال الصعالك

الا فخيرونا والحوادث جمة \* وما الناس الا بين ناج وهالك

اخذلكم قتل الامام بذنبه \* فلست لاهل الجور اول تارك

والا يكن ذنب ذا احاط بقتله \* ففي قتله والله احدى المهالك

واما وقفتم بين حق وباطل \* وقوف سدير من اماء موارك

وما الامر الا نصره او قتاله \* يقينا وما من ثالث غير ذلك

فان تنصروه تنصروا اهل حقه \* وفي خذلنا يا قوم جب الحوارك

وكتب الى سعد ابن ابي وقاص

بسم الله الرحمن الرحيم، اما بعد فان احق الناس بنصر عثمان اهل الشورى الذين اقاموا حقه واختاروه على غيره ، وقد نصره طلحة والزبير وهما شريكاك في الامر ونظيراك في الاسلام وخفت لذلك ام المؤمنين فلا تكره ما رضوا ولا ترون ما قتلوا فانما نريدها لك والا جعلناها شورى بين المسلمين وكتب في اسفل الكتاب :

الا يا سعد قد اظهرت شكا \* وشك المرء في الاحداث داء

على اي الامور وقفت حقا \* ترى او باطل فله دواء

وقد قال النبي وحدّ حدّا \* تحل به من الناس الدماء

ثلاث قاتل نفسا وزان \* ومرتد مضى فيه القضاء

فان يكن الامام الم فيها \* بواحدة فليس له ولاء

والا فالذي جئتم حرام \* وقاتله وخاذله سواء

فهذا حكمه لا شك فيه \* كما ان السماء هي السماء

وخير القول ما اوجزت فيه \* وفي اكثارك الداء العياء

ابا عمرو دعوتك في رجال \* فخان عراقي الدلو الرشاء

فاما اذا ابيت فليس بيني \* وبينك حرمة ذهب الاخاء

سوى قولي اذا اجتمعت قريش \* على سعد وصاحبه العفاء

وكتب الى محمد بن مسلمة الانصاري :

بسم الله الرحمن الرحيم ، اما بعد ، فاني لا اكتب اليك وارجو متابعتك ولكن اردت ان اذكرك النعمة التي خرجت منها والشك الذي صرت اليه ، انك كنت فارس الانصار وعدة المهاجرين فادعيت على رسول الله صلع امرا لم تستطع الا المضي عليه فاذا نهاك عن قتال اهل الصلوة فلا نهيت اهل الصلوة عن قتال بعضهم بعضا ، فقد كان عليك ان تكره لهم ما اكره لك رسول الله صلع ، اولم تر عثمان واهل الدار من اهل الصلوة، فاما قولك قد عصوا الله وقتلوا عثمان وخذلوا فالله سائلكم يوم القيامة وسائلهم عن ذلك

وكتب مروان في آخر شعرا ، وهو :

ايا فارس الانصار في كل كربة \* وسيدها الباني لها كل مكرمة

ويابن الذي لم يركب الخيل مثه \* خطوط لارواح الفوارس مسلمة

وانت ابنه والمرء يخلفه ابنه \* على ذاك كنتم في الامور المقدمة

اما تستحيي الانصار من غدر دمه \* ونفس اصيبت بالمدينة مسلمة

حرام عليك سفكها وفضوحها \* طويل عليكم والدما محرمة

فلا قود فيها يقام لاهلها \* ولا دية منهم اليهم مسلمة

شهدت فلم تنظره والقوم حوله ، كأنهم الاكليل والارض مظلمة

وقالت لك الانصار ما ذا الذي ترى \* فاغمضت اذ قالوا جمجمت جمجمة

وقد كنت بمن نرجع الخيل والقنى \* رأوا اطراف العوالي مثلمة

ينادي باعلى الصوت يا خير فارس \* كما نادت الاحيا سعد ين خيثمة

فاجاب اهل مكة والمدينة معاوية :

بسم الله الرحمن الرحيم، اما بعد ، فانك يا معاوية انت وعمرو تناولتماها من مكان بعيد واما انتما والشورى ، وما انتما والخلافة ، اما انت يا معاوية فطليق واما انت يا عمرو فظنون ، الا تكفا عنه فليس لكما قبلنا ولي ولا نصير ، وكتب رجل من الانصار في اسفل الكتاب شعرا :

معاوية ان الحق ابلج واضح \* وليس بما ريصت انت ولا عمرو

نصبت بن عفان لنا اليوم خدعة \* كما نصب الشيخان اذ زخرف الامر

فهذا كهذا كالبلاء حذو نعله \* سواك فراق تفر به السفر

رميت عليا بالذي لا تضره \* وان عظمت فيها المكيدة والمكر

وما ذنبه ان نال عثمان معشر \* اتوه من الاحيا بجمعهم مصر

فسار اليه المسلمون ببيعة \* علانية ما كان فيها لهم سر

وما انتم والنصر مما وانتم \* بعثتم حروبا لا يبوح لها جمر

وما انتما لله درّ ابيكما \* وذكركما الشورى وقد وضح الامر

واجابه سعد

بسم الله الرحمن الرحيم ، اما بعد ، فان عمر لم يدخل في الشورى الا من تحل له الخلافة فلم يكن منا احد احق من صاحبه غير ان عليا قد كان فيه ما فينا وما كان فينا ما كان فيه ، وهذا امر قد كرهنااوله وكرهنا آخره ، فاما طلحة والزبير فلو لزما بيوتهما كان خيرا لهما ، وعسى الله ان يعفو لام المؤمنين وكتب في اسفل كتابه شعرا :

معاوي داءك الداء العياء \* فليس لما تجيء به دواء

طمعت اليوم فينا يا بن هند \* فلا تطمع فقد ذهب الرجاء

عليك اليوم ما اصبحت فينا \* اما يكفيك من مثلي الاباء

فما الدنيا بباقية لحي \* ولا حي له فيها بقاء

ومل سرورها فيه غرور \* وكل متاعها فيها هباء

فكل ما اسطعت فيها يابن هند \* وليس الدلو يتبعه الرشاء

ايدعوني ابو حسن علي \* فلم اردد عليه ما يشاء

وقلت اعطني سيفا بصيرا \* تبان به العداوة والولاء

وتطمع في اعانتنا عليه \* عليك بما طمعت به الوفا العفاء

فان الشر اصغره كبير \* وان الظفر تثقله الدماء

ليوم منه خير منك حيا \* وميتا انك للمر الفداء

فاما امر عثمان فدعه \* فان الرأي اذهبه البلاء

واجابه عبد الله بن عمر :

بسم الله الرحمن الرحيم ، اما بعد ، فان الرأي الذي اطمعك في هو الذي حيرك الى ما حيرك الييه لئن كنت تركت عليا في المهاجرين والمهاجرين وطلحة والزبير وعائشة واتبعك اني اذا لغاو مثلك، واما قولك اني ظننت على علي ولعمري ما انا كعلي في الايمان والهجرة والمكانة من رسول الله صلع ونكايته للمشركين ولكنه حدث امرلم يكن من رسول الله صلع فيه الي عهد ففزعت الىالوقوف وقلت ان كان هذا فضل تركته،وان كان ضلالا فشر نجوت منه فاغن عنا نفسك ، ثم قال لابن عرنة وكان حظي بشعر فريش اجب الرجل عني فقال شعرا :

معاوي لا ترجو الذي لست نائلا \* وحاول نصيرا غير سعد بن مالك

ولا تزج عبد الله واترك محمدا \* ففيما تريد اليوم حب الحوارك

تركنا عليا في صحاب محمد \* وكان لما يرجى له غيرتارك

نصير رسول الله في كل موطن \* وفارسه المشهور عند المعارك

وقد خفت الابصار وعصبة \* مهاجرة مثل النجوم الشوابك

وطلحة يدعو والزبير واُمّنا \* فقلنا لها قولي لنا بدا لك

حذار امور شبهت ولعلها \* صوابا وفي الاخطار احدى المهالك

وتطمع فينا يا بن هند سفاهة \* عليك بعليا حمير والسكاسك

وكتب اليه محمد بن مسلمة :

بسم الله الرحمن الرحيم ، اما بعد فقد اعتزل هذا الامر من ليس في يده مثل الذي في يدي رسول الله صلع وقد اخبرني بالذي هو كائن قبل ان يكون ، فلما كان ذلك كسرت سيفي ولزمت منزلي واتهمت الرأي على الدين اذا لم يصح في معروف آ

مر به ولا منكر انهى عنه ولعمري ما طلبت الا الدنيا ولا اتبعت الا الهوى ولئن كنت نصرت عثمان ميتا لقد خذلته حيا ، وما اخرجني الله من نعمة ولا صرت في شك، ثم دعى مسلمة رجلا من الانصار وكان ممن يرى رأيه في الوقوف فقال اجب عني فقال شعرا :

دع الامر ما ذاكم وفي الامر حجمة \* ولا تطلبن منا جواب ابن مسلمة

فانك ان هجت حية فبادرها \* الراقون بالخيف معاوية

فتى لا يزال الدهر افضل ماله \* طمير وملساء الكعوب مقومة

وبيضاء مثل النهى يغشى وميضها \* اذا ما بدى فيها القتير مدرهمة

وعضب حده القين حتى كأنما \* برونقه آثار نهل منمنمة

فهذا لاغراض الحوادث عنده \* ونفس يراها الله للخير مسلمة

رأى حدثا فيه اختلاف وشبهة \* وكانت دماء المسلمين محرمة

وامسك فيها سيفه وسنانه \* حذار امور تذهب الدين مظلمة

وخيل صحاح ردها ونحورها \* مخضبة كالاقحوان مكلمة

ينادي بفتيان الصباح اذا التقوا \* حرام عليكم ان تروح مسلمة

وهؤلاء عبد الله بن عمرو وسعد ابن ابي وقاص ومحمد بن مسلمة هم الواقفون الذين وقفوا عن نصر امير المؤمنين علي ابن ابي طالب ص ع وخذلوه وتركوا فرضا اوجبه الله عليهم في ولايته ونصرته وتخلفوا عن بيعته وبايعوا بعد ذلك معاوية مكرهين وطامعين فيما عنده من الدنيا التي مكنهم منها ، وبقي عبد الله بن عمر الى وقت يزيد بن معاوية فبايعه وهم مع ذلك غير منكرين لفضل علي اذ سابقته مشهورة ومناقبه مذكورة ، وقد سمعوا من رسول الله صلع من القول فيه ما يوجب طاعته ويخرج عن الدين من فارق جماعته لكنه الضلال المبين والله لا يصلح عمل المفسدين .

وكتب محمد بن ابي بكر الى معاوية ابن ابي سفيان :

بسم الله الرحمن الرحيم، من محمد بن ابي بكر الى معاوية بن صخر، سلام الله على اهل الطاعة لله ممن هو سلم لاهل ولاية الله ، اما بعد فان الله بجلاله وعظمته وسلطانه وقدرته خلق خلقه بلا عبث منه ولا ضعف في قوته ولا حاجة به الى خلقهم ولكنه خلقهم عبيدا، فجعل منهم شقيا وسعيدا، وغويا ورشيدا ، ثم اختار من خلقه علىعلمه فاصطفى وانتجب منهم محمدا صلع فدعى الى سبيل ربه بالحكمة والموعظة الحسنة ، فكان اول من اجاب واناب ورافق وصدق واسلم وسلم اخوه وابن عمه علي ابن ابي طالب فصدقه بالغيب المكتوم وآثره على كل حميم ووقاه كل هول، وواساه بنفسه في كل خوف، وحارب حربه وسالم سلمه ، ثم لم يبرح باذلا لنفسه في ساعة الازل والخوف حتى برز سابقا لا نظير له في سبقه، ولا مقارب له في فعله، وقد رايتك تساميه وانت انت وهو هو شارى نفسه على فراش رسول الله صلع واول الناس ايمانا به واصدق الناس فيه واطيب الناس ذرية خير الناس وابن عم رسول الله صلع واخوه جعفر الشاري نفسه يوم مؤته وعمه سيد الشهداء يوم احد وابوه الذاب عن رسول الله صلع والمحامي عنه الرامي عن حوزته وانت اللعين ابن اللعين لم تزل انت وابوك تبغيان لدين الله الغوائل وتجهدان على اطفاء نور الله تجمعان على ذلك الجموع وتبذلان عليه الاموال وتحالفان عليه القبائل حتى مات ابوك وعلى ذلك خلفته والشاهد عليك من يأوي ويلجأ اليك من بقية الحزاب ورؤوس النفاق والشنآن لرسول الله صلع والشاهد لعلي عليه السلام على فضله المبين وسبقه القديم انصاره الذين ذكرهم الله في كتابه من المهاجرين والانصار فهم معه كتائب وعصائب يجاهدون باسيافهم عليه وتهراق دمائهم دونه يرون الفضل في اتباعه والشقاء في خلافه ، فكيف لك الويل تعدّل نفسك بعلي وهو وارث رسول الله صلع وابو ولده واول الناس له اتباعا وآخرهم به عهدا يخبره بسره ويشركه في امره وانت عدوه وابن عدوه فتمتع بباطلك ما استطعت وليمد لك ابن العاص في غيك وكأن اجلك قد انقضى وكيدك قد وهى ثم ليستبين لمن تكون العاقبة العلياء ، واعلم انك انما تكابد ربك الذي قد امنت كيده وايئست من روحه وهو لك بالمرصاد وانت منه في غرور وبالله وآل رسوله عنك الغنى والسلام.

فاجابه معاوية ابن ابي سفيان :

بسم الله الرحمن الرحيم ، من معاوية ابن ابي سفيان الى الزاري على ابيه محمد ابن ابي بكر سلام على اتبع الهدى واناب ، اما بعد ، فانه اتاني كتابك تذكر ما لله اهله في قدرته وسلطانه ، وما اصطفى نبيه صلع مع كلام لك الفته ووضعته برأيك الضعيف ولابيك فيه تعنيف ، ذكرت فضل علي ابن ابي طالب وقديم سوابقه وقرابته من رسول الله صلع وصهره له ومواساته اياه في كل خوف وهول فكان اساطيرك واطرائك عليا وعيبك اياي احتجاجا علي بفضل غيرك لا بفضلك فاحمد الها صرف ذلك الفضل عنك وجعله في غيرك ، فقد كنا وابوك معنا في حيوة نبينا صلع نرى فضل ابن ابي طالب لازما لنا ومبرزا علينا، فلما اختار الله لنبيه ما عنده وانجز له بيان ما وعده وانجز دعوته وافلح حجته وقبضه الله كان ابوك وفاروقه اول اليه من غره وابتزه وخالفه على ذلك واتفقا واتسقا ثم دعواه الى بيعتهما فابطأ عليهما وتلكا فهما به الهموم واردا به العظيم حتى بايع لها وسلم لامرهما وهو كاره لا يشركانه في امرهما ولا يطلعانه على سرهما حتى قبضا وانقضى امرهما ثم قام من بعدهما ثالثهما تهدى بهديهما وسار بسيرتهما فعبته انت وصاحبك وطلبتما فيه الغوائل حتى طمع فيه الاقاصي من اهل المعاصي وابطنتما له واظهرتما عداوتكما وغشكما حتى بلغتما فيه منا كما فخذ حذرك يا ابن ابي بكر فسوف تذوق وبال امرك فقس شرك بفترك فانت تقصر ان تساوي من يزن الجبال حلمه ولا تلين على قسر قناته ابوك مهد مهاده وثنى لملكه وساده فان يكن ما نحن عليه صوابا فابوك اوله وان يك جورا فابوك اسـسه ونحن شركاء بهديه اهتدينا وبفعله اقتدينا ولولا ما سبقنا اليه ابوك وفاروقه ما خالفنا علي ابن ابي طالب ولسلمنا له ولكنا رأينا اباك فعل ذلك فاحتذينا بمثاله واقتدينا بفعاله فعي اباك بما بدا لك او دع، والسلام.

هذا قول معاوية واعترافه ان ابن ابي قحافة هو السبب لما ناله وانه احتذى مثاله وهو الذي مهد مهاده وثنى لملكه وساده ، ولقد صدق فيما قال وان كان كاذبا واصاب الفرض على انه لم يكن قوله وفعله صائبا ، ولقد وافق هذا قول سلمان الفارسي رضوان الله عليه اذ قال حين ولي ابو بكر لقد اطمعتم فيها ابناء اللعناء ، فلقد صدق لقد طمع ابناء اللعناء فيها وتمكنوا من مهواتها ونواصيها ومن سن سنة سيئة كان عليه وزرها ووزر من عمل بها الى اليوم المعلوم وان في عنق الظالم الاول ما نال كل مظلوم وقول معاوية في هذا من الاقوال المبرهنة وشهادة الخصم لا يحتاج معها الى بينة.

وكتب امير المؤمنين علي ابن ابي طالب ص ع الى معاوية بن صخر :

بسم الله الرحمن الرحيم من عبد الله امير المؤمنين الى معاوية ابن ابي سفيان ، سلام الله على من اتبع الهدى ، فاني احمد اليك الله الذي لا اله الا هو ، اما بعد ، انك قد رأيت الدنيا وتصرمها باهلها والى ما مضى منها وخبر ما بقي من الدنياا وما اصاب العباد الصادقون فيما مضى وما يقس الدنيا بشان الآخرة يجد بينهما بونا بعيدا ، واعلم يا معاوية انك قد ادعيت امرا لست من اهله لا في القدم ولا في البقية ولا في الولاية ولست تقول بامر تبين به بعدك اثرة ولا لك عليه شاهد من كتاب الله ولا عهد تدعيه من رسول الله صلع وكيف انت صانع اذا تقشعت عنك جلابيب ما انت فيه من دنيا قد ابتهجت بزينتها وركنت الى لذتها مع ما قد عرض بنفسك من دنيا دعتك فاجبتها وقادتك فاتبعتها وامرتك فاطعتها ، فايئس من هذا وخذ اهبة الحساب فانك اوشك ان يوقفك واقف على ما لا ينجيك منه منج ومتى كنتم يا معاوية ساسة للرعية او ولاة لامر هذه الامة بغير قدم حسن ولا شرف سابق على قومكم فستنجز لما نزل بك ولا تمكن الشيطان من بغيته فيك مع اني اعرف ان الله سبحانه ورسوله صادقان فتعوذ بالله من لزوم الشقاق ، وان لا تعلم اعلمك ما اغفلت من نفسك فانك مترف قد اخذ الشيطان منك مأخذه فجرى منك مجرى الدم في العروق ، واعلم ان هذا الامر لو كان الى الناس او بايديهم لحسدونا ولامتنّوا به علينا ولكنه قضاء ممن امتنّ به علينا على لسان نبيه الصادق المصدق ، ولا افلج من شك بعد البرهان والبينة ، اللهم احكم بيننا وبين عدونا بالحق وانت خير الحاكمينز

فاجابه معاوية بسم الله الرحمن الرحيم ، من معاوية ابن ابي سفيان الى علي ابن ابي طالب اما بعد ، فدع الحسد فانه طال ما لم تنتفع به ولا تفسد سابقة قدمك بشره نخوتك ، فان الاعمال بخواتمها ولا تلحق بسابقتك في حق من لا حق لك في حقه ، فانك ان تفعل لا تضر بذلك الا نفسك ولا تمحق الا عملك ولا تبطل حجتك ولعمري لما مضى لك من السوابق حسبته ان يردعك عن ما اجترأت عليه من سفك الدماء وخلاف اهل الحق فاقرء بسورة الفلق ثم تعوذ من حاسد اذا حسد .

فهذا قول ابن آكلة الاكباد وعدو رسول الله صلع وابن عدوه ردّا على وصي رسول الله صلع وابي سبطيه ومن آخاه بنفسه ولم يجعل له قرينا غيره تجريا على الله وعدوانا وتماديا في الاصرار وعصيانا وتنميقا على اتباعه من الضالين وزخرفا لا يخفى على ذي حجى ولا دين ، واين يقاس اللعين بن اللعين من امير المؤمنين واسبق السابقين وافضل المجاهدين وخليفة رسول رب العالمين ، ان ذلك لهو الضلال المبين ، ولعمري انه الحاسد الذي حسد ذا الفضل فضله ونازع الامر اهله وجحد آيات ربه، وباء باثمه وذنبه ، الا لعنة الله على الظالمين ، الذين يصدون عن سبيل الله ويبغونها عوجا وهم بالآخرةة كافرون .

وشخص امير المؤمنين عليه السلام من النخيلة لخمس مضين من شوال يوم الاربعاء بعد ان قام صلع خطيبا فقال :

بسم الله الرحمن الرحيم ، الحمد لله غير مفقود النعم ولا مكافا بالافضال ، واشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له ونحن على ذلك من الشاهدين ، واشهد ان محمدا عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله ، اما بعد ، ذلكم فاني قد بعثت مقدماتي وامرتهم بلزوم المسطاط حتى يأتيهم امري وقد اردت ان اقطع هذه الفرضة الى شرذمة موطين اكناف دجلة فانهضهم معكم الى عدوكم ان شاء الله ، واراد قوم ان يتكلموا فدعى امير المؤمنين صلع دابته فجيء بها ، فلما اراد ان يركب وضع رجله في الركاب ثم قال بسم الله الرحمن الرحيم، فلما جلس على ظهره قال سبحان الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين وانا الى ربنا لمنقلبون ، ثم قال اللهم اني اعوذ بك من وعثاء السفر وكآبة المنقلب والجبن بعد اليقين وسوء المنظر في الاهل والمال والولد ، اللهم انت الصاحب في السفر والخليفة في الاهل والمال والولد ، وقال قد وليت على البصرة عقبة بن عمر الانصاري ولم آلكم ولا نفسي واياكم والتخلف والتربص فاني قد خلفت مالك بن حبيب الربوعي وامرته ان لا يترك متخلفا الا الحقه بكم عاجلا ان شاء الله فقام اليه معقل بن قيس الرياحي فقال يا امير المؤمنين والله لا تتخلف عنك الا ظنين ولا يتربص الا منافق وامر مالك بن حبيب فليضرب اعناق اولئك قال قد امرته بامري وليس بمقصر ان شاء الله ، وقال مالك بن حبيب وهو آخذ بعنان دابة امير المؤمنين عليه السلام يا امير المؤمنين تخرج بالمسلمين فيصيبوا اجر الجهاد وتخلفني في حشد الناس فقال امير المؤمنين ص ع انهم لن يصيبوا من الاجر شيئا الا كنت شريكهم فيه وانت ههنا اعظم عناء منك لو كنت معهم ، قال سمعا وطاعة يا امير المؤمنين ،

وكان الحربن سهم يرتجز بين يدي امير المؤمنين حين خرج ويقول :

يا فرسي سيري وامي الشاما \* وقطعي الافواز والاعلاما

ونابذي من خالف الاماما \* اني لارجو ان لقينا العاما

جمع بني امية الطغاما \* ان تقتل العاصين والهماما

وان تزيل من رجال هاما \*

ونزل امير المؤمنين ع م في مسجد يسمى مسجد ابي شهر فقصر فيه الصلوة فصلى الظهر ركعتين وقال ص ع من كان مشيعا او مقيما فليتم فانا قوم سفر الا ومن صحبنا فليقصر من المفروض والصلوة ركعتين ، ولما انتهى الى فرسخين من الكوفة نزل ديراني موسى فصلى به العصر ركعتين ، فلما انصرف قال سبحان الله ذي الطول والنعم ، سبحان الله ذي القدرة والافضال نسأل الله الرضاء بقضائه والعمل بطاعته والانابة الى امره فانه سريع الدعا ثم ركب حتى انتهى الى شاطئ يونس بين حمام برده وحمام عمر ونزل فصلى بالناس المغرب ثلاثا ، فلما انصرف قال الحمد لله الذي يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل ، الحمد لله كلما وقب ليل وغسق ، والحمد لله كلما طلع نجم وخفق ، وصلى العشاء الآخرة ركعتين ، ثم اقام حتى صلى صلوة الفجر ثم شخص حتى انتهى الى قرو فيها نخيل طوال الى جانب البيعة من وراء النهر فنزل فمكث قدر الغداة ثم ارتحل فحدث بعض من كان قال اني لانظر فنزل الى مخنف بن سليم وهو يسائر امير المؤمنين ص ع ببابل وهو يقول ان بابل ارض خسف بها فحرك دابتك حتى نصلي العصر خارجا منها فحرك امير المؤمنين دابته وحرك الناس دوابهم في اثره ، فلما جاز جسر الصراة نزل فصلى بالناس العصر ثم تخرج حتى جاز من ورائه الى حنان ثم نزل كربلا فبات فيه حتى صلوة الغداة ، وقد روي عن سعد بن وهب قال بعثني مخنف بن سليم الى علي ع م بكربلا فوجدته يشير بيده ونقول ههنا مناخ ركابهم وههنا مهراق دمائهم فويل لكم منهم وويل لكم عليهم ، فقال اما ويل لهم فقد عرف واما ويل لنا عليهم فما هو ؟ قال ترونهم يقتلون لا تستطيعون ان تنصروا ، ثم مضى ص ع حتى انتهى الى قصر سيرا واذا رجل من اصحابه يقال له الحر بن سهم طريق وهو يتمثل بقول الاسد بن يعفر التميمي :

جرت الرياح على محل ديارهم \* وكأنما كانوا على ميعاد

فقال امير المؤمنين علي ع م افلا قلت ما قال الله كم تركوا من جنات وعيون وزورع ومقام كريم ونعمة كانوا فيها فاكهين كذلك واورثناها قوما آخرين ، فما بكت عليهم السماء والارض وما كانوا منظرين . ان هؤلاء كانوا وارثين فاصبحوا موروثين، وذلك انهم لم يشكروا النعمة فسلبوا دنياهم بالمعصية فاياكم وكفر النعم فيحل لكم النقم ، ثم تحول فنزل بدبيران وقال لاصحابه انزلوا هذه الفجوة وارسل الحارث الاعور فصاح في المدائن من كان من المقاتلة فليواف امير المؤمنين صلوة العصر فوافق في تلك الساعة فكلمهم فحمد الله تعالى واثنى عليه وصلى على نبيه ثم قال :

اما بعد قد عجبت من تخلفكم عن دعوتكم وانقطاعكم من اهل مصركم في هذه المساكن الظالم اهلها الهالك اكثر سكانها لا معروف يأمرون به ولا منكرون ينهون عنه ، قالوا يا امير المؤمنين انا كنا ننتظر امرك وراءك فمرنا بما احببت فسار علي ع م بالانبار فاستقبل امير المؤمنين ع م اهل الانبار وخلف عليهم عدى بن حاتم الطائي فاقام فيهم ثلاثة ايام ثم خرج في ثلاثة مائة وخلف ابنه زيدا عليهم فخلفه منهم باربع مائة فلحق عليا ع م الانبار وهم بنودها قينها يقودون البراذين وقد اعدوا له الطعام والعلف ، فلما استقبلوه نزلوا عن دوابهم وجاؤا يشتدون اليه فقال ما هذه الدواب التي معكم وما اردتم بهذا الذي صنعتم ، قالوا اما هذه البراذين التي معنا فهي لك هدية منا وقد صنعنا لك ومسلمين طعاما وهيأنا لدوابكم الكثير من العلف ، قال اما هذه الذي زعمتم انكم تعظمون به امراءكم فوالله ما ينتفع به الامراء وانكم لتشقون به على انفسكم فلا تعودوا له، واما دوابكم هذه فان احببتم ان نأخذها باثمانها ونحتسبها من الذي عليكم من الخراج فعلنا ، واما طعامكم الذي صنعتم لنا فانا نكره ان نأكل شيئا من اموالكم الا بثمن ، قالوا يا امير المؤمنين فان لنا من العرب موالي ومعارف اتمنعنا ان نهدي لهم وتمنعهم ان يقبلوا منا، قال كل العرب لكم موالي ولست امنعكم ان تهدوا لاحد ولا امنع احدا ان يقبل منكم وان غصبكم احد فاعلمونا ، قالوا يا امير المؤمنين قد كنا نحب ان تقبل هديتنا ، قال ولم ويحكم ونحن اغنى منكم، ثم مضى حتى نزل الجزيرة فاستقبله بنو تغلب والنمر بن قاسط بارض الجزيرة فقال عليه السلام ليزيد بن قيس الارجي يا يزيد هؤلاء قومك فمن طعامهم فاطعم ومن شرابهم فاشرب .

وفيما روي عن ابي سعيد التميمي قال كنا مع امير المؤمنين ع م في مسيره الى الشام حتى اذا بعدنا عن الكوفة من جانب هذا السواد عطش الناس عطشا عظيما فاتوا امير المؤمنين ع م فشكوا ذلك اليه فانطلق حتى اتى الى الصخرة فقال لجماعة من اصحابه اقلبوها فان تحتها الماء فاداروها غير مرة فاعجزتهم فلما رأى ذلك حسر عن ذراعيه ثم مد يده وقال بسم الله الرحمن الرحيم، فوالله لكأنها كرة في يده يديرها كيف اراد ونبع من تحتها ماء لم يرى الراؤن اعذب منه ولا اطيب حتى اذا ارتوى الناس وارووا دوابهم اتوا بالقرب فملؤها ثم اطبق الصخرة كما كانت ومضى ومضى الناس معه حتى اتوا المنزل فقال لهم امنكم احد يعلم مكان هذا الماء الذي شربتم منه، قالوا نعم يا امير المؤمنين فانطلق رجال مشاة وركبانا فاقتصوا الطريق حتى انتهوا الى المكان الذي يرون انه فيه فلم يقدروا عليه وداروا في تلك الناحية التي وجدوا الماء فيها واذ دير راهب بقربهم فصاحوا بصاحب الدير واشرف عليهم راهب من الدير فقالوا له يا عبد الله اين موضع الماء الذي عندكم، قال الراهب لا نعرف عندنا ماء بالقرب ، قالوا ان امير المؤمنين اراناه وشربنا منه ، قال فوالله ما بني هذا الدير الا لذلك الماء وما استخرجه الا نبي او وصي نبي ثم ان الراهب مضى الى علي ع م فآمن وصدق به واستشهد بصفين معه رحمة الله عليه .

ولما نزل امير المؤمنين ع م الرقة كان فيها حديث الراهب كما حدّث عن عمر بن سعيد قال حدثني مسلم الملائي عن حبة العربي قال :

لما نزل امير المؤمنين الرقة بمكان يقال له جيب على جانب الفرات فنزل راهب من صومعته فقال لعلي ع م ان عندنا كتابا ورثناه عن آبائنا كتبه اصحاب عيسى بن مريم ع م اعرضه عليك ، قال نعم ، فما هو ، قال الراهب هو هذا بسم الله الرحمن الرحيم قضى فيما قضى وسطر فيما كتب انه باعث في الاميين رسولا منهم يعلمهم الكتاب والحكمة ويدلهم على سبيل الهدى لا فظا ولا غليظا ولا سحاتا في الاسواق ولا ولا يجزي بالسيئة السيئة ولكن يعفو ويصفح ، امته الحامدون الذين يحمدون الله على كل حال من يسر وعسر وصعود وهبوط ، فتح قفل السنتهم بالتكبير والتهليل وينصره الله على كل من ناواه ، فاذا توفاه الله ثم اختلفت امته ثم اجتمعت ما شاء الله ثم اختلفت ثم يمر رجل من امته على شاطئ هذا الفرات يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ويقضي بالحق ولا يركن الى الدنيا ، الدنيا اهون عليه من رماد عصف به الريح، والموت اهون عليه من شرب الماء على الظمأ يخاف الله في السر وينصح له في العلانية، لا يخاف في الله لومة لائم ، فمن ادركه فلينصره ، فان القتل معه شهادة

وانا صاحبك لا افارقك حتى يصيبني ما اصابك

فبكى امير المؤمنين ع م وقال : الحمد لله الذي لم يجعلني عنده منسيا ، الحمد لله الذي ذكرني عنده في كتاب الابرار ، فمضى الراهب بعد ان اسلم معه فكان فيما ذكروا يتغدى ويتعشا مع امير المؤمنين ص ع حتى اصيب في صفين ، فلما خرج الناس ليدفنوا قتلاهم قال امير المؤمنين ص ع اطلبوا الراهب فوجدوه قتيلا فصلى امير المؤمنين عليه ودفنه وقال هذا منا اهل البيت واستغفر له مرارا.

قال الرواة وكان اكثر اهل عثمانية وهم الذين فروا من الكوفة يريدون معاوية فتحصنوا في بيوتهم وغلقوا ابوابهم وكان اميرهم سماك بن مخرمة الاسدي على طاعة ابن ابي سفيان وامرهم امير المؤمنين ص ع ان يعقدوا الجسر لميضي ومن معه عليه فامتنعوا عن ذلك فقال لهم مالك الاشتر اقسم بالله لئن لم تفعلوا ما امركم به امير المؤمنين لاجردن فيكم السيف لاقتلن مقاتلتكم واحرز ارضكم واخذت اموالكم ، فلما سمعوا الاشتر يقول ذلك نصبوا الجسر وجاء امير المؤمنين ص ع فعبر والناس معه واقام الاشتر النخعي في ثلاثة فارس حتى عبر الناس كلهم ثم عبر في آخرهم ، ولما عبر امير المؤمنين سرح زياد بن النصر وشريح بن هاني امامه في اثنا عشر الفا على بعبيتهم الاولى وقد كان رجعا من عانه لما بلغهما ان معاوية ابن ابي سفيان قد اتى في جيوش اهل الشام مما لا قبل لهم به

واجتمعت طائفة من اصحاب امير المؤمنين ص ع فقالوا له لو كتبت الى معاوية ومن قبله من قومه بكتاب تدعوهم فيه اليك وتخبرهم بما لهم فيه من الحظ لتعظم عليهم الحجة فكتب امير المؤمنين ص ع :

بسم الله الرحمن الرحيم ، من عبد الله علي امير المؤمنين الى معاوية بن ابي سفيان ومن قبله من قريش ما سلام عليكم ، فاني احمد اليكم الله الذي لا اله الا هو ، اما بعد ، فان لله عبادا آمنوا بالتنزيل وعرفوا التأويل وفقهم في الدين ودين الله وفضلهم في القرآن الحكيم ، وانتم في ذلك اعداء الرسول مكذبون الكتاب مجمعون على حرب المسلمين من ثقفتم منهم عذبتموه وفتنتموه او قتلتموه حتى اراد الله اعزاز دينه واظهار رسوله ودخلت العرب في دين الله افواجا واسلمت الامة طوعا وكرها فكنتم ممن اجاب هذا الدين اما رغبة او رهبة على حين فاز اهل السبق بسبقهم وفاز المهاجرون الاولون بفضلهم فلا ينبغي بمن ليست له كسوابقهم في الدين ولا فضائلهم في الاسلام ان ينازعهم الامر الذي هم اهله واولى ولا ينبغي لمن كان له عقل ان يجهل قدره ولا يعدو طوره، ولا ان يشقي نفسه بالتماس ما ليس اهله ، وان اولى الناس بامر هذه الامة اعلمها بالكتاب واقربها من الرسول صلع وافقهها في الدين واولها اسلاما وافضلها جهادا واشد لما تحمله الرعية من امورها اضطلاعا، فاتقوا الله الذي اليه ترجعون ولا تلبسوا الحق بالباطل لتدحضوا به الحق واعلموا ان خيار عباد الله واقربهم اليه الذين يعملون بما يعلمون وان شرارهم الجهلاء الذين ينازعون اهل العلم بالجهل ، وان للعالم بعلمه فضل وان الجاهل لن يزداد بمنازعة العالم الا جهلا ، الا واني ادعوكم الى كتاب الله وسنة نبيه وحقن دماء هذه الامة ، فان قبلتم اصبتم رشدكم واهتديتم لخظكم وان ابيتم الا الفرقة وشق عصى هذه الامة فلن تزدادوا من الله الا بعدا ولن يزداد الرب عليكم الا سخطا .

فاجاب معاوية بهذا البيت :

ليس بيني وبين قيس عتاب \* غير طعن الكلا وضرب الرقاب

\*\*\*

وكان امير المؤمنين ع م قد وجد من الاشعث تثاقلا عن حرب معاوية من غير ان يصرح بذلك فبعث اليه امير المؤمنين وقال له اني اترك عقابك استبقاء لما بيني وبينك ولست اريد ان امسي بك القهقرى انه قد بدى لي فيك رأي وستعلمه فانصرف الاشعث ودعى امير المؤمنين ص ع بحسان بن محدوج النهلي وهو يومئذ سيد ربيعة نسكا وفضلا فجمع له رأية كنده الى رأية ربيعة وجعل رياسة الاشعث له فتكلم في ذلك رجال من اهل اليمن فقالوا لا تكون رياسة الاشعث الا له فان الاشعث كان في الجاهلية ملكا وفي الاسلام رئيسا وسيدا وهو موقر بالتاج ، فغضب رجال ربيعة وكان اشدهم في ذلك قولا حريث بن جابر وقالوا رجل كرجل وليس صاحبنا بغمر ولا بنكس ولسنا ندفع فضل الاشعث فاقصدوا في القول فان صاحبنا يحمل ما هو فيه ، وان ابيتم الا ان تلجوا فوالله ما صاحبنا دون صاحبكموشمت اخلاط من الناس بالذي كان حتى غضبت اليمانية فاتاهم سعد بن قيس الهمداني فقال ما رأيت قوما قط ابعد رأيا منكم ، ارأيتم ان غضبتم على علي هل لكم الى عدوكم وسيلة ، وهل لكم في معاوية عوض من امير المؤمنين علي ع م ، او هل لكم في الشام عوض من العراق ، وهل يخذل ربيعة ناصري مضر ، فقالوا القول ما قال امير المؤمنين فاصنع ما شئت ، وقال النجاشي الحارثي في ذلك :

رضينا بما يرضى عليا لنا به \* وان كان فيما – من جدع المناجر

وصي رسول الله من دون اهله \* ووارثه دون العموم الاكابر

رضاه بن مجدود فقلنا رضى به \* وذاك وحسان الرضي للعشائر

وللاشعث الكندي في الناس فضله \* وارثة ملك كابرا بعد كابر

متوج آباء كرام اعزة \* ان الملك في اولاد عمرو بن عامر

فلولا امير المؤمنين وحقه \* علينا لاشجينا حريث بن جابر

فلا تظلمنا يا حريث فاننا \* لقومك ود في الدهور العوابر

وما ياين مجدوع بن زهل نقيصة \* وما قومه في وابل بغوادر

وليس لنا الا الرضى بابن حرة \* اشم طويل الساعدين مهاجر

على ان في تلك النفوس حرارة \* وصدع تأبته اكف الحوابر

ولما بلغ معاوية بن ابي سفيان ما صنع امير المؤمنين ع م بالاشعث دعى معاوية خديج الكندي .... (كتاب خديج الكندي الى الاشعث يخثه لنصره)

بسم الله الرحمن الرحيم ، اما بعد فانه لم يدخل في الاسلام ملوك الجاهلية غيرك وغير ذي كلاع ، فاما انت فنزلت العراق فسدت اهلها ، واما ذو الكلاع فنزل الشام فساد اهلها ثم نزل هذا البلا فاخذ ذو الكلاع معاوية واخذت انت عليا، ولعمر الله ما ابلا صاحبنا معاوية ما ابليت انت عليا، وما اتى اليك علي ما اتى اليه معاوية ثم كان من علي ما غضب له اهل الشام حتى اتهموا فيك وان امرك لعجب، والله ما انت بالزاري على عثمان وما انت بالراضي عن علي ولا بالخفيف المستغير ولا حاميت الا على مصر نزلته ، وانا لا نسألك ان تأخذ الشام بالعراق ولا معاوية بعلي ولكنا نسألك ان تعيننا على علي في دفع قتلة عثمان فانه والله ان بقينا لا نشيم سيوفنا ولا نقضه لاستثنا ولا نحط قبابنا حتى يدفع الينا قتلة عثمان او يحدث الله امرا غير ذلك

فاجابه الاشعث :

بسم الله الرحمن الرحيم ، اما بعد ، ذكرت من نعم الله ما اسأله ان يهب لي عليه من الشكر ما يوجب المزيد ويتم به النعمة، وانا اذكر الله من نعم الله ما تعرف واسألك اهو مما سألتني انت المطاع في اهل الشام فاركب الي من تخلف من صاحبي وصاحبك من المهاجرين والانصار فاسألهم فان كان على احق بهذا الامر من معاوية اعتزلته واعنتنا عليه ، وان يكن معاوية احق بالامر من علي ابن ابي طالب اعتزلته واعنتك عليه ، وانك ان نظرت بعقلك دون هواك علمت ان ليس لمعاوية في الامر حق ولا حظ ، واما قولك اني لست بالزاري على عثمان ولا الراضي عن علي فما اكفني عن عثمان وارضاني بعلي ولعمري لما يقاتل عليه العراق اعجب الي مما يقاتل عليه اهل الشام ، فانا نقاتل مع امام قد بائعه المهاجرون والانصار ، وانت تقاتل مع رجل استخف رعاع اهل الشام وليس له في المشورة ولا الخلافة نصيب

وذكروا ان معاوية ابن ابي سفيان دعا مالك بن هبيرة الكندي فقال لو قذفت الى الاشعث الكندي قولا تهيجه به على علي فكتب مالك الى الاشعث :

زلت عن الاشعث الكندي رأيته \* وقلد الامر حسان بن محدوج

يا للرجال لعار ليس يغسله \* ماء الفرات وكرب غير مفروج

ان ترض كندة حسانا بصاحبها \* ترضي الدناءة وما قحطان بالهوج

هذا لعمرك امر ليس ينكره \* اهل العراق وعار غير تصريج

كان ابن قيس هما في ارومته \* ضخما ينوء بملك غير متنوج

ثم استقيل بعار في ذرى يمن \* والقوا اعداد ياجوج وماجوج

ان الذين نزلوا بالعراق لا \* لا يستطيعون فاعلم دوح فروج

فترك الاشعث اجابته وانتهى الشعر الى اهل اليمن فقال شريح بن هاني يا معشر اليمن يريد صاحبكم الشامي ان يفرق بينكم وبين ربيعة، وهذا رأي ابن ابي سفيان، وحين بلغ ذلك حسان بن محدوج مشى برأيته الى الاشعث بن قيس فركزها على داره وكان مع حسان وجوه قومه فقال الاشعث اترى هذه الرأية عظمت علي لهي والله اخف علي من ذرق النعام ، ومعاذ الله ان يغيرني عن حالي وعرض عليه امير المؤمنين ص ع ان يعيد الرأية فقال الاشعث يا امير المؤمنين ان يكن اولها شر فليس آخرها بعار، قال امير المؤمنين ع م لست بالذي تترك حتى تلي ، قال الاشعث ذلك اليك يا امير المؤمنين.

ثم ان امير المؤمنين ع م عبأ عساكره وكتّب كتائبه فاستعمل عماله ودفع اللواء الاعظم الى هاشم بن عتبة المرقال فلما فرغ عليه السلام من تعبيتهم امر بعدهم فبلغوا مائة الف ، فلما استقلت الاثقال واستوثق العسكر قام امير المؤمنين ع م خطيبا حين مسير عساكره الى الشام فقال بعد ان حمد الله بما هو اهله وصلى الله على محمد وآله عليكم في مسيركم ومقامكم بتقوى الله وما الرفق والتودة والنزاعة عن الزناة وحسن الهداية والنظر لمن وليناكم امره والشفقة عليهم وحسن الظن بهم والمواساة لهم وابدوا بانفسكم فجاهدها قبل جهاد عدوكم واعطفوها بالحق عن البعيد وردوها بالحق على القريب واحملوا انفسكم على المكروه في حق الله وجنبوها المحبوب في معصية الله وانتهوا الى امري واعتصموا بما تؤمرون به واني لم آلكم خيرا ، وما توفيقي الا بالله عليه توكلت وهو رب العرش العظيم . انتهوا عما تنهون عنه والزموا ما تؤمرون به وآثروا حق الله ولا تقصروا في امر الله فاذا خرجتم من ارضكم ان شاء الله فلا تسرون الا على تعبئة ، فان التعبئة مع الطلائع قوام الحرب وزكاتها ، واذكروا المناب بالحرس والعيون ، واقيموا الطلائع وليكن المخيل لكم بما تحبون فان المخيل بما تحبون فرصة وان المخيل بما تكرهون تحذير ، ولا تغتروا اذا رأيتم السلامة ولكن انزلوا باحسن ما تقدرون عليه واحيوا ا لليل بالمسير والمنازل

فقال له عبد الله بن العباس وابو سلمة وابو ليلى سمعنا واطعنا ووعينا واخذنا من العالم المحدب الناصح ثم تتابع القواد واصحاب الآيات على ذلك القول فقال ع م انصرفوا على بركة الله حتى يأتيكم رائي

وخطب ايضا ص ع وهو واقف على ظهر دابته فحمد الله واثنى عليه وصلى على نبيه وقال اوصيكم بتقوى الله العظيم فان تقوى الله جماع كل خير ونجاة من كل شر ، واوصيكم الله بها في الرضى والغضب،واوصيكم بها في السر اذا خلوتم الى الله وفي العلانية بين اظهر الناس واوصيكم بطاعة الله في عباد الله وبلاده ، ومن تمرون به في طريقكم من المسلمين واهل دينكم من المعاهدين فالينوا لهم الجانب واطيبوا لهم الكلمة واحسنوا فيهم السير واعفوا عن اموالهم وحرمهم واعملوا فيهم بكتاب الله واقتدوا بسيرة رسول الله صلع واهتدوا بهدي فاني حاملكم على ذلك المنهاج ان شاء الله وانتهوا عما نهاكم الله وانتفعوا بالعلم ولتنفعكم الموعظ ولا تغرنكم الحيوة الدنيا ولا يغرنكم بالله الغرور ولا تفسدوا في الارض بعد اصلاحها ان الله لا يصلح عمل المفسدين ، اسأل الله لنا ولكم التوفيق لارشد الامور والعصمة بالتقوى والقيام بحق الله اقول قولي هذا واستغفر الله لي ولكم ،

وخطب ص ع وهو يستعرض الجيوش والعساكر وقد ثنى رجله على منسج فرسه فحمد الله تعالى واثنى عليه وصلى على نبيه ثم قال:

ايها الناس انا واياكم سرنا على قدرة الله لذا ولكم بالخيار وعليكم بتقوى الله في السر والعلانية والاناة والتثبت وترك العجلة وامساك الالسن عن التأنيب والتعنيف فان ذلك وقود الحرب اذا تدانا اهلها وفشل في الحرب فاخفضوا الصوت وغضوا البصر واذا حملتم فكونوا على رجل واحدة وعليكم بالتجافي واعلموا ان الحرب سجال فلا تشتدون عليكم فرة بعدها كرة ولا جولة بعدها حملة ولا تجيزوا على جريح ولا تبتكوا مدبرا ولا تخيفوا آمنا ومن القى اليكم السلام فاقبلوا منه واستعينوا بالله واصبروا ان الارض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين ، ثم تمثل ع م بهذه الابيات :

الم تر قومي اذ دعاهم اخوهم \* اجابوا وان يغضب على القوم يغضبوا

هم حفظوا عهداي كما كنت حافظا \* لغيبهم يا زيد لما تغيبوا

بنو الحرب لم تقعد بهم امهاتهم \* وآبائهم آباء صدق فانجبوا

واني لاجلو عن فوارسي الغضى \* اذا ضن بالنفس الجبان المهيب

وحين بلغ معاوية ان امير المؤمنين ع م قد صار الى فرقيبا جمع اهل الشام وقد كان جمعهم قبل ذلك في استعداد الحرب وقد اجمع على المسير فقال :

ايها الناس ما ذا الذي ترون ، هذا علي شارق ارضكم

فقال معاوية بن جديح وذو الكلاع وحرشي ذو ظلم ويزيد ين اشنب وغيرهم: انا نشير ان نصبر حتى يجفل الشام خلفنا ونجورها وما فيها ويكون العراق امامنا فان تنازل منها شيئا عصينا عدونا .

فقال معاوية هذا هو الرأي وجند معاوية الجنودوصنع فيها الالوية والرأيات وامر الناس بالانكماش في امرهم ودفع الرأية الى عبد الرحمن بن خالد بن الوليد وجعل في المجنبة اليمنى قيس بن وحمص وجعل دمشق القلب وجعل الاردن وفلسطين المجنبة اليسرى ، وترك قريش الذين معه بغير تعبئة لانها كانت عنه كأنها في الناس جماعة وعقد لعمرو بن العاص لواء وقدمه امامه وسرح معه جندا عظيما، فاخذ عمرو اللواء وخرج على الناس وهو يقول :

اني تحاذرت وما بي من حذر \* ثم خبات العين من غير عور

ذا صولة في المضئلات الكبر \* احمل ما حملت من خير وشر

وكتب معاوية الى امير المؤمنين ع م يخبره بمسيره وكتب في اسفل كتابه :

لا تحسبني يا علي غافلا \* لاوردن الكوفة القبائلا

في عامنا هذا وعاما قابلا \*

فاجابه امير المؤمنين ع م وفي جوابه :

اصبحت عني يابن هند غافلا \* لاوردن شامك الصواهلا

لاضربن منكم الكواهلا \* بالحق والحق يزيل الباطلا

هذا لك العام ودعني قابلا \*

كتب علي ص ع على عمر بن العاهر :

لاصحبن العاص وابن العاص \* سبعين الفا عاقد النواصي

مستحقين حلق الدهر لاصي \* قد جنبوا الخيل مع النواصي

آساد غيل حين لا مناص \*

فاجابه عمرو بن العاص :

خوفتني بلابس الدلاص \* وقائد الخيل مع القراص

اهو بقوم والوغى نكاص \* لو قدرا ما ينقص النواصي

قد قال كل هارب خلاص \*

وسرح معاوية ابن ابي سفيان يزيد ين اسد وابا الاعور السلمي ومالك بن هبيرة وعمرو بن العاص جنديا مولاه في مقدمة عساكره ورجالته ليحولوا بين القوم وبين الفرات ولقيهم مالك الاشتر وزياد بن النضر وشريح بن هاني في العسكر الذي كان وجهه علي ع م في مقدمه فاتبع الاشتر ما اوصاه امير المؤمنين ع م حين توجهه وكف عن القتال وتوافقوا حتى اذا كان المساء حمل عليهم ابو الاعور السلمي وبدأهم بالحرب فتثبطوا واضطربوا ساعة فانصرف اهل الشام ، خرج هاشم بن عتبة في خيل ورجال حسن عدتها وعددها وخرج اليهم ابو الاعور السلمي فاقتتلوا يومهم ذلك تحمل على الخيل والرجال على الرجال وصبر بعضهم لبعض وكر عليهم الاشتر وقتل عبد الله النذر ا لتنبوخي من اصحاب معاوية ونادى الاشتر بالاعور السلمي للبراز فامتنع عن مبارزته وقال : ان حقد الاشتر وسوء رأيه حمله على احد اعمال عثمان من العراق، وتوافق القوم حتى حجز الليل بينهم وازال الاشتر بالاعور ومن معه من جمع اهل الشام عن الماء ثم اقبل معاوية في جميع الفيلق ، فلما رأى الاشتر كثرة عدد معاوية ووفور عساكره انحاز، وغلب على الماء معاوية ، ونزل معاوية منزله يقال له عبدين على شاطئ الفرات فضرب فيه مضاربه وجعل فيه عساكره وبنى فيه بناء من الخشب شبه المنجنيق يرقاه لينظر القتال وجاء امير المؤمنين علي ابن ابي طالب ص ع فامر اصحابه فنزل منزلا يقال له البرج والبرج بناء من حجارة بناه الاعاجم فعسكروا حوله ، وكان امير المؤمنين يشرف من البرج فينظر الى العسكرين وكان بين العسكرين نحو نحوه من ثلاثة اميال

وفيما روي عن عمرو ابن سعد عن الاصبغ بن نباته قال ذهبوا قوم من اصحاب علي ع م يستقون الماء فمنعهم اهل الشام فسار الاشعث فنضحوهم بالنبل ساعة ثم اطعنوا بالرماح واضطربوا بالسيف فارسل امير المؤمنين ع م الى اصحابه ان كفوهم ودعى الاشعث بن قيس وشيث بن ربعي وقيل بل الاشعث وصعصعة بن صوحان وقال لهما ائتيا معاوية فقولا له ان خيلك حالت بيننا وبين الماء ونحن نكره قتالهم قبل الاعذار اليكم ، وانك قدمت الينا خيلك ورجالك وقاتلتنا قبل ان نقاتلك ونحن من رأينا الكف عنك حتى نحتج عليك وهذه اخرى قد فعلتموها وحلتم بيننا وبين الماء فخلوا بين الناس وبين الماء حتى ننظر فيما بيننا وبينكم وفيما قدمتم له ، وان كان اعجب اليك ان نترك ما جئنا له ونتجادل على الماء حتى يكون الغالب هو الشارب فعلنا ولو كنا سبقناكم الى الماء نخل بينكم وبينه ، فانطلقا حتى اتيا معاوية وابلغاه قول امير المؤمنين ع م فاقبل معاوية على الاشعث فقال يا اشعث ما امر بلغني بينك وبين علي ابن ابي طالب اخمل في ذكرك وطرح رياستك ، فقال الاشعث لم آتك استنصرفي ذلك فانك ان تمنعنا الفرات ترى ما لا تريد،وايم الله نشرب منه فخل عنه قبل ان نغلب عليه ، ثم اقبل شيث بن ربعي او قيل صعصعة فقال يا معاوية انك لست باحق بهذا الماء منا فخل عنا وعنه ، فانا والله لا نموت عطشا وسيوفنا على عواتقنا ، فنظر معاوية الى اصحابه وقال ما ذا ترون فقال الوليد بن عقبة وهو اخو عثمان لامه نرى ان نمنعهم الماء كما منعوا عثمان وقد حصروه اربعين صباحا ومنعوه بارد الماء ولين الطعام ، وقد امكنك الله منهم فاقتلهم عطشا ، ثم التفت معاوية الى عمرو ابن العاص فقال ما ترى انت يا عمرو؟ قال ما اظن عليا يظمأ وفي يده اعنة الخيل وهو ينظر الى الفرات فخل عنه وعن الماء ، وقال عبد الله بن ابي سرح امنعهم الماء الى الليل منعهم الله اياه يوم القيامة ، فقال له صعصعة انما يمنعه الله يوم القيامة الكفرة الفجرة شربة الخمر ضروبك وضروب هذا الفاسق الوليد بن عقبة فوثبوا عليه يشتمونه ويهددونه فقال معاوية كفوا عنه فانه رسول فرجع الاشعث وصاحبه الى امير المؤمنين ص ع فاخبراه بما رد معاوية عليهما وما كان من امر القوم فقال علي ع م انصرفوا حتى يأتيكم رأيي .

## ذكر وقعة الماء بصفين

وبعث معاوية خيلا كثيرة الى الماء من كان عليه وامرهم ان يمنعوه، وذهب قوم يتسرعون الى القتال من اصحاب علي ع م، فكفهم وقال لسنا نقاتلهم حتى نؤكد الاحتجاج عليهم، وبقي الناس يومهم وليلتهم بغير ماء، واغتم امير المؤمنين ع م لذلك فخرج ليلا قبل الرأيات التي لمدحج ، فاذا هو برجل ينادي بصوت عال وهو يقول:

ايمنعنا القوم ماء الفرات \* وفينا السيوف وفينا الجحف

وفينا الشوارب مثل الوشيج \* وفينا الرماح وفينا الزغف

وفينا علي له سورة \* اذا خوفوه الردى لم يخف

وفينا الحسين ابن بنت الرسول \* شهاب يضيء اذا ما وقف

ونحن الذين غداة الزبير \* وطلحة خضنا غمار التلف

فما بالنا امس العرين \* وما لنا اليوم شاء النجف

وما للعراق ومالك \* سوى اليوم يوم فصكوا الهدف

ودبوا اليهم دبيب الجمال \* دوين الذميل وفوق القطف

فاما --- بشط الفرات \* ومنا ومنهم عليه جيف

واما نموت على طاعة \* نحوز الجنان ونحوي الشرف

والا فانتم عبيد العصى \* وعبد العصى ذليل نطف

فحرك ذلك من امير المؤمنين علي ع م ثم مضى نحو رأية كنده واذا مناد ينادي عند مضرب الاشعث بن قيس رافع صوته وهو يقول :

لئن لم تجل الاشعث اليعن كربة \* من الموت فيها للنفوس تغلت

فنشرب من ماء الفرات بسيفه \* فهبنا اناسا قبل كانوا فموتوا

فان انت لم ترفع لنا اليوم امرنا \* وتلقى التي فيها عليك انتثمت

فمن ذا الذي تثنا الخناصر باسمه \* سواك ومن هذا اليه التلفت

وهل من بقاء بعد يوم وليلة \* نظل عطاشا والعدو يصوت

هلموا الي ماء الفرات ودونه \* صدور العوالي والصفيح المثبت

فاني امرء من عصبة يمنية \* وكل امرء من عصبة حين ينست

فرجع امير المؤمنين عليه السلام الى منزله مغموما واستيقظ الاشعث لقول الرجل فاتى عليا من ساعة وكان امير المؤمنين ص ع لا يرجو جد الاشعث معه ولا مناصحته وعند امير المؤمنين ع م في تلك الساعة قوم من اصحابه منهم مالك الاشتر فقال اشعث يا امير المؤمنين ايمنعنا القوم الماء وانت فينا وسيوفنا على عواتقنا ، خل عني وعن الناس فوالله لا نرجع اليك الا بعد وروده او الموت دونه ، فقال امير المؤمنين عليه السلام للاشتر دونك وذا وذاك وامر امير المؤمنين ع م ان يعلو بخيله على الفرات فانصرف الاشتر الى مضربه ونادى مناديه في الناس من ليله من كان يريد الموت فالصبح ميعاده فاني ناهض الى الماء ان شاء الله ، فاصبح على باب مضرب الاشعث اثنا عشر الفا فبايعوه على الموت فشد علي عليه السلام سلاحه وهو يقول :

ميعادنا الصبح بياض الصبح \* لا يصلح الزاد بغير ملح

لا لا ولا الامر بغير نصح \* دبوا الى القوم بطعن سمح

مثل العزالي وضرب كفح \* لا صلح للقوم واي صلح

حسبي من الاقدام فاب رمح \* هذا علي في سنا ومدح

موفق مؤيد بالفتح \*

وحرض امير المؤمنين ع م واصحابه فمما قال :

ان القوم قد استطعموكم القتال فاقروا على مذلة وتأخير محلة ورووا السيوف من الدماء ترووا من الماء فالموت في حياتكم مقهورين والحيوة في موتكم قاهرين ، الا وان معاوية قاد له من الغواة وعمي عليهم الخبر حتى جعلهم اعراض المنية ،

ولما اصبح الاشعث بعث الى الاشتر ان اقحم خيلك، وتقدم الاشعث بن قيس فنادى عمرو بن العاص فقال له يا عمرو ويحك خل بيننا وبين الماء، فقال عمر لا نفعل حتى تأخذ السيوف منا ومنكم وننظر من اصبر ، فحمل الاشعث واصحابه والاشتر وفرسانه وكثروا وقتل رجل من ذي غيرت ممن كان مع علي ع م، وكان يقول والله اني كنت كارها لقتال اهل الصلوة ولكني مع من هو اقدم في الاسلام ، وطال القتال بين اهل العراق وبين اهل الشام، وجعل الاشتر يضرب بسيفه ويقول :

ويحك يا ابن العاص \* تنح في القراص \* واهرب الى الصياصي\*

اليوم في عراصي \* نأخذ بالنواصي \* نحن ذري الخماص \* لا نعرو المعاصي

في الزرد الدلاص \* في الحب المصاص \*

وحمل الاشعث وكان يوما ذا عناء عظيم، وكان تحت الاشتر فرسي محذوف كأنه جلد غراب، فبرز له رجل من فرسان اهل الشام يقال له صالح بن فيروز العكي وكان مشهورا ان تقدم الينا فاقدم ، فشد عليه الاشتر فدق صلبه فقتله ، وخرج الى الاشتر رجل يقال له مالك بن ادهم السلماني ، وكان من فرسان اهل الشام وطعنه الاشتر في ثغرة نحره فقتله، فحمل على الاشتر فارس يقال له رياح بن عبيد فضربه الاشتر فقتله ، فخرج اليه الوضامي اللخمي فحمل عليه الاشتر فقتله ، ثم خرج اليه فارس يقال له رامل بن عتبة الجذامي وكان من اصحاب الالوية فطعن الاشتر في موضع نطاق الجوشن فصرعه ووثب الاشتر الىالطعنة وقد خالطت احشاؤه فاخذ عمامته فشد بها موضع الطعنة، ثم حمل عليه الاشتر فضرب هامته متن السيف فقتله فخر صريعا، وخرج الى الاشتر رجل من ابطال اهل الشام فعلاه الاشتر بالسيف فقتله وخرج الى الاشتر محمد بن روضة وهو يضرب بسيفه في اهل العراق ضربا منكرا هائلا فحمل عليه الاشتر فقتله ، وقتل الاشتر ذلك اليوم الاحلج بن منصور الكندي فماتت اخته جزعا عليه ، فقال امير المؤمنين حين بلغه ذلك ليس يملكن الا ما رأيتم من الرقة ، اما انهم قد اضرروا نسائهم واحزنوهن ، اللهم حمل ابن آكلة الاكباد اوزارهم واوزارا مع اوزارهم يوم القيامة ، وقتل اخو الاجلح يومئذ وكان من اصحاب الرأيات، وجاء رجل من بجيلة برأسه الى امير المؤمنين ع م وقد نازعه في سلبه رجل من همدان وكل واحد منهما يزعم انه قتله ، فقضى امير المؤمنين ع م بسلبه وارضى الهمداني

وقتل الاشعث في تلك الحملة خمسة وهم المحارق بن الصباح الكلاعي وبشير بن الحارث الجزامي ومالك بن عزير العكي ، وعمرو ابن امية القرشي، ونادى الاشعث ايها الناس ان الحظ لمن سبق

وحمل عمرو العكي على النجاشي الحارثي فعلاه النجاشي بالسيف وفلق هامته ، وبرز رجل من اهل الشام يقال له عوف من اهل الشدة والبأس فبرز اليه رجل من اصحاب علي ع م يقال له علقمة بن عمر فطعنه علقمة فقتله ، وقال في ذلك :

يا عوف لو كنت امرء حازما \* لم تبرز اليوم الى علقمة

لا قيست منه اسدا باسلا \* يأخذ بالانفاس والغلصمة

لا قيته قرنا له صولة \* يفترس الاقران في الملحمة

ما لابن هند حرقه يرتجى \* بها ثواب الله بل مندمة

لاقيت ما لاقى غداة الوغى \* من بارز الابطال يابن الامه

ضيعت حق الله في نظرة الظالم\* والمعروف بالمظلمة

ان ابا سفيان من قبله \* لم يك مثل العصبة المسلمة

لكنه نافق في دينه \* من خشية القتلى على المرغمة

بعدا لصخر ولاشياعه \* وجاحم النار لذي المضرمة

وكبر الاشعث والاشتر وحملا باصحابهما على اهل الشام فازاحوهم عن الماء وارسلوا الى امير المؤمنين ان هلم فقد غلب لك الله على الماء فارتحل امير المؤمنين حتى عسكر على الماء ، وقال معاوية لعمرو ما الرأي ، قال عمر وارى ان تكتب الى علي ع م وتسأله ان يمن عليك بالماء فانه رجل فيه اللين والرحمة وهو يطلب امرا انت تطلب خلافه ، وانما جاء لامر اعظم من الماء فكتب الى علي ع م بقول عبيد بن الابرص :

اني ندمت على بني اسد \* وهل تغني الندامة

اهل القباب السود \* والنعم المؤثل والقدامة

خرقوا بامرهم كما خرقت \* ببيضتها الحمامة

وضعت لها عودين من \* نشم وعودا من ثمامه

اسمج ابيت اللعن \* واعلم ان بعض الطول لامه

فلئن عفوت فقد قدرت \* وان قتلت فلا ملامه

وزاد معاوية بيتا من قوله يعني به قتل عثمان بن عفان ، وهو :

فلقد اتيت لغيره \* فيما تجوز به الغسامة

فلما رأى امير المؤمنين ع م كتاب معاوية ضحك واجابه متمثلا عليه السلام بقول ابن ابي كاهل :

كتب الرحمن والخلق له \* سعة الارزاق فينا والضلع

رب من انضجت غيظا قلبه \* قد تمنا لي موتا لم يطع

قد كفاني الله ما في نفسه \* ومتى ما يكف شيئا لم يضع

لم يضرني غير ان يحسدني \* وهو يزقو مثل ما يزقو الضوع

ورث البغضاء عن آبائه \* حافظا منهم لما كان استمع

فسعى مسعاتهم في قومهم \* قد بدى منهم ذباب فنبع

ورث الداء فلم يدرك به \* ترة فانت ولا وهنا رفع

بئس ما يجمع ان بغنا بني \* مطعم وخم وداء يدرع

وبعث امير المؤمنين ص ع الى معاوية انا لن نكافيك بصنيعك فهلم الى الماء فنحن وانتم فيه سواء وقال جاسر الطائي في يوم الفرات وقتل جاسر هذا مع امير المؤمنين عليه السلام في اليوم الثاني من صفين ، وقوله :

الا ام جهم تسأل اليوم ذرقتي \* وعلك ان فارقتني ان تندمي

فقلبي مراء يعكم الزاد كله \* ولا خير في زاد لمثلك يعكمي

شديد رباط العكم يعكم كيله \* وليس يبالي ان تلومي وتشتمي

ويقعد عند القدر ان تبرزي بها \* ويضربك ما بالقدر حين تقسمي

فان يك قال سآتك مني خليفة \* فبيني اذا حببت ذلك اسلم

علىغير ما بانت عليه ضغينة \* يحل ولم تلمم بامر محرم

لا ولست من سود القباح ولا التي \* تكون بخدن مانع الزوج يكتم

فلو ابصرت عيناك باشتر مالك \* عشية سرنا في عديد عرمرم

الى جحفل كالموج في عرصاته \* ضراب وطعن بالوشيج المقوم

فطاعنهم منا حماة اعزة \* هم الغر فلاوفوا على كل محرم

قليلا فطاحت عند ذاك فوارس \* باجمعها قد حالفت في التقدم

لحى الله اقواما اباحوا حماهم \* لاعدائهم والخيل تعثر في الدم

يصفين اذ خلوا عن الماء عنوة \* ولم ينتفوا عي الحديث المزحمي

فكم صرعوا من سد ذي حفيظة \* كريم الايادي واسع البيت خضرم

وكم فارس ذي لهجة متوسع \* غداة اللقا عند الصباح مرجم

تعاوره بالضرب فرسان مدحج \* اخي ثقة صافي الاديم مكرم

فقل لابن هند يتقي مثلها غدا \* ويدرك ثارا من خمير ململم

وينصب فيها حر وجه ويتقي \* بجبهته ليست باسل الوجه ضيغم

وانا اناس في ذرى مشمخرة \* من العز قد نحمي عليها ونحتمي

اذا انشبت حرب وقل حماتها \* سمونا لهم عند اللقاء بصيلم

برحراحة مراجة ذات بهجة \* وكل جواد اشرف الخلق مقدم

وقال الاشتر في يوم الفرات :

شددنا عليهم شدة مدحجية \* بسم القنا والمرهفات البواتر

وكل طموح كالعقاب محجل \* وغراء مثل السيل جرد اضامر

اذقنا ابن هند بأسنا وتتابعت \* على نصره ذوبان تلك العشائر

صدمناهم في الملتقى بكتيبة \* وكل فتى رخو النجاة مهاجر

وكل امرء يرجو الاله بنية \* نمته قروم كالليوث الخوادر

فخلوا لنا ماء الفرات ولم يكن \* لدى البأس منهم من كريم مصابر

وولوا شعاعا حين جرت رماحنا \* على كل سهم من كمي وحاسر

معاوية قد زلّت بك النعل زلة \* فانت لدى الهيجاء لئيم العناصر

سما لك في الهيجاء ذو الفرق والنهى \* فانت دليل الاختلا بالدوائر

قال النجاشي يومئذ يمدح الاشعث الكندي :

كشف الاشعث عنا \* كرب الموت عيانا

بعد ما طارت خصانا \* طيره نالت كلانا

اذ حما القوم حماهم \* اذ لم نحم حمانا

اذ دعا الاشعث قوما \* من معد ودعانا

يذرع الارض برمح \* نابه كانت خطاما

فنهضنا نهضة البا \* زي فلم يبغ سوانا

فمنحنا القوم ضربا \* وجلادا وطعانا

ساعة ثم نولوا \* وحمى الاشعث مأنا

فله المن علينا \* وبه دارت رحانا

ولمثل الاشعث اليو \* م لك الخبر كفانا

لبس التاج غلاما \* ثم لم يثن عنانا

عن حمى الملك وقيس \* قد حمانا ووقانا

من رأى الاشعث فينا \* يحسب المرء ابانا

وعسكر امير المؤمنين ع م على الماء وعسكر معاوية فوق ذلك وخرج قراء اهل الشام وقراء اهل العراق فعسكروا بناحية صفين في ثلاثين الفا ومشوا بين الناس يطلبون صلاح ما بينهم فدخلوا على معاوية وقالوا ما الذي تريد من علي ، قال اطلب دم عثمان ، قالوا ممن تطلب دم عثمان ؟ قال من علي، قالوا او علي قتله ؟ قال نعم هو قتله ، فانصرفوا الى علي ع م فذكروا ذلك له فقال لم اقتل عثمان، قالوا فان معاوية يزعم انك مالاءت عليه وان قتلته في عسكرك ، فقال علي ع م يأتي الي اولياء الدم فاحكم بينهم وبين القاتلين بما انزل الله

ودعى معاوية ابا الدرد وابا هريرة وقال انطلقا الى علي فاقرأ عليه السلام وانا لنعرف فضله وسوابقه وقرابته وعلمه وانه قد قعد في بيته ولم يكن قتل عثمان وانا ابن عم عثمان والطالب بدمه فليدفع الي قتلة عثمان الذين قتلوه ونبايعه ونسلم الامر له ، فلما اتوا عليا ع م وبلغه ابو هريرة وابو الدرد قول معاوية فقال امير المؤمنين ص ع ان كان هذا الامر بالخيرة فقد حضر المهاجرون والانصار ورضوا ببيعتي بعد مشورتهم ثلاثة ايام ، وان كان بامر الله ورسوله واختيار الله قبل اختيارهم فان الله قد اختارني واستخلفني الرسول صلى الله عليه وآله وسلم عليهم وامرهم بطاعتي ونصرتي في الكتاب المنزل وعلى لسان النبي المرسل ، وذلك آكد لحقي واوجب لقولي ، ولقد انصف معاوية إن تم علي قوله وصدق فيما اعطاني من نفسه فهؤلاء بنو عثمان رجال قد ادركوا ، ليسوا سفهاء ولا مُوالى عليهم فليأتوني فاجمع بينهم وبين قتلة ابيهم ، فان عجزوا فليوكلوا معاوية في خصومتهم وليقعدوهم وخصماءهم بين يدي مقعد الخصوم الى الوالي الذي يقرون بحكمه وينفذون قضاءه فانظر حجتهم وحجة خصمائهم ، فان كان ابوهم قتل ظالما حلال الدم ابطلت دمه ، وان كان مظلوما اقدتهم من قاتل ابيهم ان شاؤا قتلوا ان شاؤا وعفوا ان شاؤا ، وان كان قبلوا الدية ، وهؤلاء قتلته في عسكره يقون بقتله ويرضون بحكمي عليهم ولهم ، فليأتني ولد عثمان او معاوية ان كان لهم وكيلا وليخاصموا قتلته حتى احكم بينهم بكتاب الله وسنة رسول الله صلع ، فقال ابو هريرة وابو الدرد قد والله انصفت وجئت بحجة قاطعة صادقة عليها نور الحق ، وبيان المصدق ، ثم خرجا من عنده ، فاذا نحو المصر من عشرين الفا مقنعين في الحديد فقالوا نحن قتلنا عثمان فليخاصمونا الى امير المؤمنين ، فان رأى علينا قودا او دية اصطبرنا وسلمنا، فقالا قد انصفتم ولا يحل لعلي دفعكم الى القوم ولا قتلكم حتى يحاكموكم اليه فيحكم بينكم وبين اصحابكم بكتاب الله وسنة نبيه صلع ، وقال النعمان بن صهبان الواسي في ذلك :

الا ذهب الخداع فلا خداع \* وابدى السيف عن طبق النجاع

ابالدرد الا تعجل علينا \* وانت ابا هريرة خير واع

هلما بالسواء فانصفانا \* فان النصف خير الاستماع

نقمتم قتل عثمان علينا \* وهذا الامر مكشوف القناع

فقولا قول من جعلت اليه \* حكومة نفسه غير الخناع

احاط به الرجال يحاصروه \* ولو زجروا لكانوا قنع قاع

وكان المسلمون له شهودا \* وما اهل المدينة بالرعاع

فلم يهنو بنصرته مناد \* ولا نادى بنهي القوم داع

ولو صاح النساء بهم لكانوا \* اذل لهن من زمع الكراع

فان يكن ساءهم فمساة خذل \* وان يك سرهم فسرور ساع

فهذا الامر والقولان فيه \* برجم الغيب او بهوى مطاع

فردا غرب قومكما وكفا \* فلسنا بالجلائب في الخداع

وجرت بين امير المؤمنين علي ابن ابي طالب ص ع وبين معاوية مكاتبات ومراسلات وامير المؤمنين ع م يكرر على معاوية واهل الشام الحجة ويذكر لهم ما اتاه الله من الفضيلة وما جعل له الى نبيه صلع من القرابةوالوسيلة وهم لا يزيدون على قولهم ان عثمان قتل مظلوما وانا نريد ان ننتصر له فكانت تلك حجتهم واليها دعوتهم وبها قطعهم جميعا ومقالتهم

ثم ان امير المؤمنين علي ع م دعى بشر بن محصن الانصاري وسعيد بن قيس الهمداني وشيث بن ربيعي التميمي فقال لهم ائتوا هذا الرجل معاوية بن ابي سفيان وادعوه الى كتاب الله تعالى والى الطاعة والجماعة ، فقال شيث بن ربيعي بل يا امير المؤمنين نطمعه في سلطانك وان توله عملا من اعمالك ونجعل له منزلة عندك واثرة ان هو بايعك ، قال امير المؤمنين ع م ايتوه فاحتجوه وانظروا ما ذرا رأيه ، فاتوا معاوية فدخلوا عليه فقام بشر بن محصن الانصاري فحمد الله واثنى عليه ثم قال يا معاوية ان الدنيا رائلة عنك وانك راجع الى الآخرة وان الله محاسبك بعملك ويجازيك بما قدمت يداك واني انشدك ان تفرق هذه الامة وان تسفك دماءها بينهما ، فقطع عليه معاوية الكلام وقال فهل اوصيت صاحبك بهذا قال بشر سبحان الله ان صاحبي ليس مثلك ، ان صاحبي احق البرية كلها بهذا الامر في الدين والفضل والسابقة في الاسلام والقرابة من الرسول صلع ، قال معاوية فنقول ما ذا ؟ قال امرك بتقوى الله واجابة ابن عمك الى ما يدعوك اليه من الحق فانه اسلم لك في دينك وخير لك في عاقبة امرك ، قال معاوية وابطل دم عثمان ، لا افعل ذلك ابدا ، واراد سعيد ان يتكلم فبدره شيث بن ربعي فحمد الله واثنى عليه ثم قال قد فهمنا يا معاوية ما رددت علي ابن محص انه ما يقوت علينا ما نقول وما تطلب انك لا تجد شيئا تغري به الطغام وتستميل اهوائهم به وتستخلص به طاعتهم الا قولك قتل امامكم مظلوما فها انا اطلب بدمه واستجاب لك سفهاء طغام وقد علمنا ان قد ابطأت عنه بالنصر واحييت له سنجاب القتل بهذه المنزلة التي اصبحت تطلب ، ورب مبتغي امرا وطالبه يحول الله دونه وربما اوتي المتمني امنيته وفوق امنيته ، والله ما لك في واحدة منهما خير ، ووالله ان اخطاك ما ترجو انك لشر العرب رجالا في امرك والله لان اصبت ما تتمنى لا تصيبه حتى تستحق من ربك ان تصلى النار ، فقال معاوية ان اول ما عرفت به سفهك وخفة عقلك قطعك على هذا الرجل الحسيب الشريف سيد قومه مقالته ، ثم اطنبت بعد ذلك فيما لا علم لك به فقد كذبت ولا من ايها الاعرابي الجلف الجافي كل ما ذكرت ووصفت انصرفوا من عندي فليس بيني وبينكم الا السيف وغضب ، فخرج القوم من عنده وشيث بن ربعي يقول افعلينا نهول بالسيوف اقسم بالله لتعجل بها اليك ، ثم اتوا عليا ع م فاخبروه بذلك فقال صلوات الله عليه ذلك اوكد للحجة عليه ،

ثم دعى امير المؤمنين ص ع عدي بن حاتم الطائي ويزيد ين قيس الاريحي وزياد بن حفصة التميمي فقال لهم اوضوا الى معاوية فادعوه الى الله تعالى والى كتابه والى الدخول فيما دخل فيه المسلمون حتى لا تكون له حجة بعد كثرة الاعذار والكتب فاعلموه اني لم اتأناه لشك بي في القتال ولا رجوا منه الاقبال ولا ان معي قلة من الرجال، وانما انظر تصرم هذا الشهر الحرام فمضوا حتى دخلوا على معاوية وابتدأ عدي بن حاتم بالكلام فحمد الله واثنى عليه وصلى على نبيه وآله ثم قال اما بعد يا معاوية فانا اتيناك لندعوك الى امر يجمع الله به كلمتنا وامتنا ويحقن الله به دماءنا ودماء المسلمين الى افضل الامة سابقة واحسنها اثرا في الاسلام وفي المشركين غيرا ، واقربهم بالرسول صلع قرابة واسرعهم له اجابة وقد اجتمع له الناس وقد ارشدهم الله بالذي رأوا واتوا فلم يبق الا انت ومن معك فانتبه يا معاوية واتق ان يصبك الله ومن معك بمثل يوم الجمل ، فقال معاوية انما جئت متهددا لم تأت مصلحا هيهات يا عدي كلا والله اني اناابت حرب لا يقعقع لي بالشنان ، اما والله انك لمن المجلبين على ابن عفان وانك لمن قتلته وارجو ان تكون ممن يقتله الله به هيهات يا عدي قد حشدت بالساعد الاشد فاقبلت تضرب لنا الامثال دع عنك ما لا ينفع في القول والفعل واجبنا بما ينفعنا واياك ، ثم انه تكلم يزيد بن قيس الارجي فقال يا معاوية انا لم نأتك الا لنبلغ ما بعثنا به اليك ونودي عنك ما سمعناه منك ولن ندع ان ننصح لك وان نذكر ما ظننا ان الحجة لنا عليك به وبانه راد لك الى الالفة والجماعة ، ان صاحبنا من قد عرف المسلمون فضله ولا اظنه يخفى عليك ان اهل الفضل والدين لن يعدلوك به وهيهات ان يساوي بينك وبينه فاتق الله يا معاوية ولا تخالف عليا ع م، انا ما رأينا رجالا قد اعمل بالتقوى ولا ازهد في الدنيا ولا اجمع لخصال الخير كلها منه، فقال معاوية انكم دعوتم الى الطاعة والجماعة ، فاما الجماعة التي دعوتم اليها فنعما هي واما الطاعة لصاحبكم فاني لا اراها ، ان صاحبكم قتل خليفتنا وفرّق اُلفتنا وانه يزعم انه لم يقتله ، فنحن لا نرد ذلك عليكم ، ارأيتم ان قتلة صاحبنا اصحاب صاحبكم فليدفعهم الينا لنقتلهم به ونحن نجيبكم الى الطاعة والجماعة . قال له عدي انشدك الله يا معاوية لو انك مكنت من عمار بن ياسر اكنت تقتله ، قال معاوية وما يمنعني من ذلك ، والله لو امكنني الله من ابن سمية ما قتلته بعثمان بل انما كفيت اقتله بنابل عثمان ، قال له عدي والله رب السماء ما عدلت معدلا ، والله لا تصل الى قتل ابن ياسر حتى تبدر الهمام عن كواهل الرجال ، او تضيق الارض الفضاء عليك برحبها ، قال له معاوية انه والله لو كان ذلك كانت عليك اضيق ، فرجع القوم عن معاوية

وبعث معاوية شرجيل ابن السمعا وحبيب بن مسلمة ومعن بن يزيد الاحنسي السلمي الى امير المؤمنين علي ابن ابي طالب عليه السلام فدخلوا على امير المؤمنين ع م فقال حبيب اما بعد فان عثمان كان خليفة مهديا يعمل بكتاب الله وينيب الى امر الله واستثقلتم حياته واستبطأتم وفاته فعدوتم عليه فقتلتموه فادفع الينا قتلته لنقتلهم ان كنت لم تقتله، ثم اعتزل الامر فيكون امرهم بعد شورى بينهم فيولو امرهم من اجمع عليه رأيهم

فقال له امير المؤمنين عليه السلام وما انت لا ام لك والعمل بهذا الامر ، اسكت فانك لست هناك ولا باهل لذاك

فقال حبيب بن مسلمة اما والله لتراني حيث تكره ، فقال امير المؤمنين ع م وما انت ولو اجلبت بخيلك ورجلك قم فلا بقي الله عليك ان ابقيت

قال شرجيل اني ان كلمتك فلعمري ما كلامي الا نحو كلام صاحبي وهل اجد جوابا غير الذي اجبته، قال امير المؤمنين ص ع نعم عندي جواب غير ما اجبته لك و لصاحبك ، ثم تكلم امير المؤمنين ص ع فحمد الله بما هو اهله وصلى على النبي صلع وعدد فضله وقال :

اما بعد فان الله بعث النبي صلع فانقذ به من الضلالة ونعش به من الهلكة وجمع به بعد الفرقة ثم قبضه الله عز وجل اليه وقد ادى امانته فاستخلف الناس ابا بكر واستخلف ابو بكر عمرو بن الخطاب فعملا بسيرتهما ثم ولي الناس عثمان بن عفان فعمل باشياء عابها الناس عليه فسار اليه اناس فقتلوه ثم اتاني الناس وانا معتزل امورهم فقالوا الا نبايعك يا ابا الحسن ، وابيت عليهم ، قالوا ان الامة لا ترضى الا بك ونحن نخاف فان لم تفعل ان يفترق الناس فبايعوني ولم يرعني الا شقاق رجلين قد بايعاني وخلاف ابن ابي سفيان --- الذي لم يجعل الله له سابقة في الدين ولا سلف صدق في ا لاسلام طلبق بن حرب من حزب الاحزاب ثم لم يزل لله ولرسوله صلع عدوا هو وابوه حتى دخلا كارهين في الاسلام فعجبا لكم ولاحلامكم ولانقيادكم له وتدعون آل نبيكم الذي لا ينبغي لكم شقاقهم ولا الخلاف عليهم وان لا تعدلوا بهم احدا من الناس ، ثم اني ادعوكم الى كتاب الله وسنة نبيه واماتة الباطل واحياء معالم الحق ، اقول قولي هذا واستغفر الله لي ولكم

فلما انقضى قول علي عليه السلام قالا نشهد ان عثمان قتل مظلوما فنحن ممن قتله براء ، ثم قاما فانصرفا ، فقال امير المؤمنين صلى الله عليه وما انت بهادي العمي عن ضلالتهم ان تسمع الا من يؤمن بآياتنا فهم مسلمون ، ثم انفتل ص ع فقال لا يكون هؤلاء اوفى بالجد في ضلالهم منكم في حقكم بطاعة ربكم .

وفيما رواه جابر بن زيد الجعفي قال قام امير المؤمنين صلى الله عليه خطيبا قبل حرب صفين بخمسة ايام فقال :

بسم الله الرحمن الرحيم ، الحمد لله على نعمه الفاضلة على جميع من خلق من بر وفاجر ، وعلى حجته البالغة على خلقه من عصاه ومن اطاعه ، ان رحم فبفضله ورحمته ، وان عذب فبما قدمت ايديهم ، ان الله ليس بظلام للعبيد ، نحمده على تظاهر النعماء وحسن البلا ونستعينه على ما فاتنا من امر الآخرة والدنيا واؤمن به واتوكل عليه وكفى بالله وكيلا ، ثم اشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له وان محمدا عبده ورسوله صلى الله عليه وآله ارسله بالهدى ودين الحق وارتضاه لذلك فكان اهلا لما اصطفاه على جميع العباد يبلغ رسالته وحجته على خلقه ، وكان كمعلمه فيه رؤفا رحيما اكرم خلق الله حسبا واجمله منظرا واسخاه نفسا وابر واوصله لرحم ، وافضله علما واثقله حلما واوفاه بعهد ، واتمه على عقد ، لم يتعلق عليه كافر ولا مسلم بمظلمة قط ، بل كان يظلم فيغفر ويقدر فيعفو ويصفح حتى مضى صلى الله عليه وآله مطيعا لله صابرا على ما اصابه مجاهدا في الله حق جهاده عابدا لربه حتى اتاه اليقين ، صلى الله عليه وآله ، وكان ذهابه اعظم المصيبة على جميع اهل الارضين البر والفاجر ثم ترك فيكم عهده وخلف فيكم كتابه وعترته وقد حضرتم عدوكم وعلمتم ان رأسهم منافق وابن منافق يدعوهم الى النار ، وابن عم نبيكم يدعوكم الى الجنة وطاعة ربكم ، والعمل بسنة نبيكم ، فلا يستوي، ومن صلى قبل كل ذكر لم يسبقني بالصلوة غير نبي الله صلع وانا من اهل بدر ومعاوية طليق وابن طليق، والله انكم لعلى حق والقوم على باطل ، فلا يصير القوم على باطلهم ويجمعوا عليه وتفرقوا عن حقكم حتى يغلب باطلهم حقكم ، قاتلوهم يعذبهم الله بايديكم وان لا تفعلوا يعذبهم بايدي غيركم ، فاجابه الناس ان يا امير المؤمنين انهض الى القوم اذا شئت ، فوالله لا نبتغي بك بدلا ، نموت معك ونحيى ،وقال مجيبا لهم والذي نفسي بيده لنظر رسول الله صلع الي اضرب امامه يوم احد وقد فر الناس عنه فقال لا سيف الا ذو الفقار ولا فتى الا علي

ومضى ذو الحجة وتداعى الناس ان يكف بعضهم عن بعض شهر المحرم ولعل الله ان يجري صلحا واختلفت بذلك الرسل والكتب فيما بينهم ، وامير المؤمنين يقيم على اهل الشام ومعاوية الحجج ويوضح الدلائل ويؤكد البراهين والقوم متمادون في بغيهم مصرون على غيهم لا يقبلون البرهان ولا يرتدعون عن قولهم انا نطلب بدم عثمان وهم مصرون في ذلك على الطغيان، فلما بقي من شهر المحرم يوم او يومان امر امير المؤمنين ع م يزيد بن الحارث الخشعي فنادى اهل الشام الا ان امير المؤمنين يقول لكم اني قد استأنيتكم لترجعوا الى الحق وتنيبوا اليه واحتججت عليكم بكتاب الله وحملتكم عليه فلم تناهوا عن الطغيان ولم تجيبوا الى حكم القرآن ، واني قد نبذت اليكم على سواء ، ان الله لا يهدي كيد الخائنين

ففزع اهل الشام الى امراءهم ورؤسائهم وخرج معاوية وعمرو الى الناس يعبيان الكتائب وينصبان الرايات وفي ذلك يقول كعب بن جعيال الرعي شاعر اهل الشام :

قد قلت والعين بدمع تنسكب \* اصبحت الامة في امر عجب

والملك مجموع عند المرء غلب \* وقلت قولا صادقا غير كذب

ان غدا تهلك اعلام العرب \* غدا نلاقي ربنا فنحتسب

يا رب لا تشمت بنا ولا تجب \* من عبد الانداد عمدا والصلب

غدا يكونوا كرماد قد كثب \* بعد الجمال والبهاء والحسب

وقال شاعر العراق في ذلك :

اما دون المنايا غير يوم \* واحيا ليلة فيها الذباح

جمعنا جمعنا لما امرنا \* وفي الاصلاح لو قبل الصلاح

وقال حابس ابن سعد الطائي وقد بقي من شهر المحرم ثمانية ايام :

اما دون المنايا غير سبع \* بقين من المحرم او ثماني

ومثل زماننا فيه خطوب \* لاهل الكوفة السود ابطاني

الم يعجبك انا قد كففنا \* وما كفوا وهم بصر العيان

ووضع امير المؤمنين صلى الله عليه الرأيات وعقد الولاية على مراتب الامراء والقواد والرؤساء والاجناد وبدا باهل الكوفة فوضع قبائلها في مواضعها ونصب فيها الويتها ورأياتها وجعل من كان من قريش من كان الكوفة على حدة ، وجعل الاشتر النخعي على مقدمته ، وشريح بن هاني على ساقته وعلى المهاجرين والانصار محمد ابن ابي بكر، وعلى ميمنة عبد الله بن بديل الخزاعي وعلى ميسرته عمرو المحرفي ربيب رسول الله صلع وامه ام سلمة زوج النبي صلع

وجعل على جماعة الخيل عمار ابن ياسر وعلى اللواء الاعظم هاشم ابن عتبة بن ابي وقاص وهو لواء رسول الله صلع ، ودفع رأية رسول الله صلع الى ابنه محمد بن علي بن ابي طالب المعروف بابن الحنيفة لقبا وكان النبي صلع دفعها الى امير المؤمنين يوم احد ، فلم تزل معه وجعل رأية الانصار الى قرمز ضبة بن كعب ، ثم قدم الرؤساء للرايات وهيأ الناس للقتال ولما فرغ امير المؤمنين ع م من تعبية اهل الكوفة ونصب رأياتهم امر عبد الله بن عباس فاحضر ديوان اهل البصرة واقامهم على قبائلهم ومراكزهم .

وعبأ معاوية ابن ابي سفيان وعمرو ابن العاص من معهما من اهل الشام ونصب الرأيات

ولما عبأ امير المؤمنين علي ابن ابي طالب ع م الكتائب ونصب الرأيات والالوية همز جواده وهز رمحه وتمثل بقول ابيه ابي طالب:

ايا قومنا لا تظلمونا فاننا \* متى ما نخف ظلما من الناس نغضب

وكفوا عليكم من فضول حلومكم \* ولا تذهبوا في غيكم كل مذهب

وتمثل ايضا بقول عمه العباس بن عبد المطلب :

ايا قومنا ان تنصفونا فانصفت \* قواطع في ايماننا تقطر الدما

استبطأ الناس اذن امير المؤمنين صلى الله عليه لهم في القتال وتأنيه ، وقالوا في ذلك فقال لهم عليه السلام اما قولكم كل ذلك كراهية الموت فوالله ما ابالي دخلت الى الموت او خرج الموت الي ، واما قولكم شكا في اهل الشام فوالله ما دفعت الحرب يوما الا وانا اطمع ان يلحق بي طائفة فتهتدي بي وتعثوا الي ضنوي ، وذلك احب الي من ان اقتلها على ضلالها وان كانت تبوء بآثامها .

وروى الرواة عن بعض من كان مع امير المؤمنين عليه السلام من الانصار : قال كأني انظر الى امير المؤمنين علي ابن ابي طالب صلى الله عليه اخذا بعمود الفسطاط يوم صفين اذا مر منادي فنادى الصلوة جامعة فاجتمع الناس اليه ، ثم قال ليدن من اصحاب محمد صلع فاكتنفه اصحاب النبي صلع ودنوا اليه فخطب ص ع وبدأ بحمد الله والصلوة على نبيه وذكر فضله وما اكرمه الله واختصه به ثم قال : ايها الناس ان من اعجب ما رأيت وسمعت ان معاوية ابن ابي سفيان الاموي وعمرو ابن العاص السهمي وابا الاعور السلمي اصبحوا يحضغون علي يبتغون بذلك دين محمد فيما يزعمون، والذي فلق الحبة وبرئ النسمة ما علمت خلقا من هذه الامة كان اطوع لله ولرسوله صلع مني ، ولقد علم المستحفظون من اصحاب محمد صلع اني لم اعصه طرفة عين قط ، اقف بنفسي في المواطن المكروهة التي تحير فيها الابصار ويضمحل عندها العقول وترعد عندها الفرائض نجدة اكرمني الله بها ، ولقد قبض رسول الله صلع ورأسه في حجري وبين جوانحي، ولقد سالت نفسه في يدي فمسحت بها وجهي ، ولقد غسلته وحدي ما يشركني فيه احد من الآدميين ، والملائكة تقلبه معي ما اشاء ان اقلب عضوا من اعضائه الا سقت اليه ، ولقد سترت منه ما كان يستر في حياته من اهل بيته ، وكان من كان معي يناولني الماء من وراء حجاب ، ولقد قبض صلع وانه لمن ارضى الخلق عني ولقد عجبت لمن ينازعني في دين الله .

وعن مالك بن اعين عن زيد بن وهب قال : لما فرغ امير المؤمنين ص من تعبية الناس في صفين عشية الاربعاء انسلاخ من شهر المحرم اول سنة سبع وثلاثين قام ص ع خطيبا فقال :

بسم الله الرحمن الرحيم ، الحمد لله الذي لو شاء ما اختلف اثنان من خلقه ولا تنازعت الامة في شيء من امره ، ولا جحد المفضول ذا الفضل في فضله ، ولو شاء الله ما اقتتلوا ولكن الله يفعل ما يريد، ثم ما قد ساقتنا هذه الاقدار ونحن وهؤلاء القوم ولغت بيننا وبين عدونا في هذا المكان ، فنحن من الله ربنا بمرآه ومسمع ، ولو شاء لعجل النقمة وكان منه التغير حتى يكذب اهل الباطل ويعلم اهل الحق اين مصيرهم ، ولكنه جعل الدنيا دار الاعمال والآخرة دار القرار ، ليجزي الذين اساؤا بما عملوا ويجزي الذين احسنوا بالحسنى ، الا انكم لا قوا عدوكم ان شاء الله فاطلبوا الليلة القيام واكثروا من تلاوة القرآن واسألوا الله النصر والقوا اعدائكم بالجد والحزم والصبر وكونوا صادقين ، القوهم وعليكم السكينة والوقار وسيماء الصالحين ، فوالله لأقرب بقوم من الجهل بالله وقائدهم ومربيهم معاوية وابن النابغة وابن الاعور وابن ابي معيط شارب الخمر المحدود في الاسلام حدا ، وقد بغلني انهم يقومون فينصفوني وقبل اليوم ما قاتلوني وشتموني وانا ادعوهم الى الاسلام وهم يدعونني الى عبادة الاصنام ، فالحمد لله قديما ما عاداني الفاسقون ، فوالله هذا لهو الخطب الجليل ان فساقا كانوا عندنا غير مرضيين وعلى الاسلام واهله مخوفون خدعوا شطر هذه الامة واشربوا قلوبهم الفتنة واستمالوا اهوائهم الافك والبهتان، وقد نصبوا الحرب وجدوا في اطفاء نور الله والله متم نوره ولو كره الكافرون ، اللهم فان ردوا الحق فافضـض جماعتهم وشتت كلمتهم وابتلهم بخطاياهم فانه لا يذل من واليت ولا يعز من عاديت .

وقام عبد الله ابن العباس خطيبا فقال :

بسم الله الرحمن الرحيم ، الحمد لله رب العالمين الذي دحى تحتنا سبعا وسمك فوقنا سبعا ، وجعل فيما بينهن خلقا وانز لهم رزقا ، وجعل كل شيء قدرا يبلى و يفنى غير وجهه الحي القيوم الذي يحيا و يبقى إن الله تعالى بعث أنبياء و رسلا فجعلهم حججا على عباده عذرا أو نذرا لا يطاع إلا بعلمه و إذنه يمن بالطاعة على من يشاء من عباده ثم يثيب عليها و يعصى بعلم منه فيعفو و يغفر بحلمه لا يقدر قدره و لا يبلغ شي‏ء مكانه أحصى كل شي‏ء عددا و أحاط بكل شي‏ء علما و أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له و أشهد أن محمدا عبده و رسوله إمام الهدى و النبي المصطفى و قد ساقنا قدر الله وقضاءه إلى ما ترون فيما اضطرب من حبل هذه الأمة و انتشر من أمرها واستكثر الطيق من الغوغاء الفسقة وتخذ باموال الله واموال المسلمين أعوانا على امير المؤمنين علي ابن ابي طالب ابن عم رسول الله و صهره و أول ذكر صلى معه بدري قد شهد مع رسول الله ص كل مشاهده و معاوية وابو سفيان مشركان كان يعبدان الأصنام ويكفران بالرحمن والله الذي فاز بالملك وحده و كان أهله لقد قاتل علي بن أبي طالب مع رسول الله و هو يقول صدق الله و رسوله وابو سفيان ومعاوية ويقولان كذب الله ورسوله فما معاوية بابر ولا اتقى ولا ارشد من علي ابن ابي طالب ولا اصدق فعليكم بتقوى الله و الجد و الحزم و الصبر والله إنا لنعلم إنكم لعلى حق و إن القوم لعلى باطل فلا يكونوا أولىبالجد على باطلهم منكم في حقكم و إنا لنعلم أن الله سيعذبهم بأيديكم أو بأيدي غيركم اللهم ربنا أعنا و لا تخذلنا و انصرنا على عدونا وافتح بيننا و بين قومنا بالحق و أنت خير الفاتحين، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته واستغفر الله لي ولكم.

وقام مالك الاشتر خطيبا فقال :

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله الذي خلق السموات والارض وجعل الظلمات والنور ، الرحمن على العرش استوى يعلم ما في السموات وما في ا لارض وما بينهما وما تحت الثرى احمد على حسن البلاء وتظاهر النعماء حمدا كثيرا بكرة واصيلا ، من يهده الله فقد اهتدى ومن يضلل فلن تجد له وليا مرشدا ، واشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له واشهد ان محمدا عبده ورسوله اظهره بالهدى والضيا فاظهره على الدين كله ولو كره المشركون ، صلى الله عليه وعلى آله ، ثم كان مما قضاه الله ان جمعنا الى هذه الارض فاجتمعنا نحن وعدونا فنحن بحمد الله على نعمتنا قريرة اعيننا نرجو بقتالهم حسن الثواب والامان من العذاب ، معنا ابن عم رسول الله وسيف من سيوف الله علي ابن ابي طالب امير المؤمنين صلى مع النبي صلع غلاما حتى صار شيخا لم يكن بالصبوة ولا سقطة ولا نبوة فقيه في دين الله عالم بحدود الله ذو رأي اصيل وصبر جميل فاتقوا الله عباد الله وعليكم بالجد والحزم، واعلموا انكم على الحق والقوم على الباطل فقاتلوا معاوية وانتم مع البدريين ومن سواهم من اصحاب رسول الله صلع معكم رأيات قد كانت مع رسول الله صلع فما يشك في هؤلاء الا ميت القلب وانتم على احدى الحسنيين اما الفتح واما الشهادة عصمنا الله واياكم بما عصم به من اطاعه والهمنا واياكم طاعته وتقواه، واستغفر الله لي ولكم

وقام الناس من الفريقين تلك الليلة الى سيوفهم يصلحونها والى رماحهم يثقفونها والى قسيهم يوترونها والى بندهم يشدون رصافها ووقع منهم امر مهول

وخطب معاوية فقال فيما قال لهم انكم تقاتلون العرب على احدى ثلاث خصال اما ان تكون تطلبون بدم خليفتكم القتيل الملظلوم واما تقاتلون قوما بغوا عليكم فاقبلوا من بلادهم حتى نزلوا بين اظهركم في بيضتكم ، واما ان تذبون عن نسائكم وابنائكم ، فاجابه اهل الشام بما يريد .

ولما بلغ امير المؤمنين ص ع مقال معاوية في هذه الخطبة قام عليه السلام خطيبا فقال بعد حمد الله والثناء عليه والصلوة على نبيه رحم الله امرءا تعاهد صلوته وحافظ عليها واستكثر منها وتعرب بها فانها كانت على المؤمنين كتابا موقوتا ، وقد يعلم ذلك اهل النار حين يسألون ما سلكـكم في سقر قالوا لم نك من المصلين ولم نك نطعم المسكين ، وقد عرف حقها من طوقها من المؤمنين وكرم بها الذين لا يشغلهم زين متاع ولا قرة عين من المال والولد بقول الله سبحانه رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله واقام الصلوة وايتاء الزكوة يخافون يوما تتقلب فيه القلوب والابصار ، وقال تع لرسوله نحن نرزقك والعاقبة للتقوى ، وكان يأمر اهله بها ويصبر نفسه عليها

ثم الزكوة جعلت مع الصلوة قربانا لاهل الاسلام فمن اعطاها طيبة بذلك فانها تجعل له كفارة فلا يتبعنها احد نفسه ، فان اخراجها واجب لمن احتسبها ، ومن اعطاها غير طيب النفس بها او يرجو بها من الثمن ما هو افضل منها فهو جاهل بالسنة مغبون الاجر ضال العمل طويل الندم لترك امر الله والرغبة عما عليه صالح عباد الله فانه يقول ومن يتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى ونصله جهنم وساءت مصيرا

ثم الامانة وقد خسر من ليس من اهلها وضل عمله انها عرضت على السموات والارض والجبال فابين ان يحملنه واشفقن منها وحملها الانسان ، انها عرضت على السموات المبنية والارض المدحية والجبال المنصوبة فلا اطول ولا اعرض ولا اعلى منهن فلو امتنع شيء يطول او عرض او عظم او قوة او عزة لامتنعت ولكن اشفقت من العقوبة وعقلن وما جهلن جهل من هو اصغر منهن وهو الانسان ، قال الله سبحانه انا عرضنا الامانة على السموات والارض والجبال فابين ان يحملنها واشفقن منها وحملها الانسان انه كان ظلوما جهولا

ثم ان الجهاد اشرف الاعمال بعد الاسلام وهو تمام الدين عظم فيه الامر مع العز والمنعة وهو كره وفيه الحسنات البشرى بالجنة بعد الشهادة والرزق عند الرب بعد الكرامة يقول الله سبحانه ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله امواتا بل احياء عند ربهم يرزقون ، فرحين بما آتاهم الله من فضله ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم الا خوف عليهم ولا هم يحزنون

ثم الرهب والخوف عليهم من جهاد المستحقين للجهاد المستوزرين على الضلال ضلال في الدين وسبب الدناءة مع الذل والصغار وفيه استيجاب النار بالفرار من الزحف عند حضور القتال لقول الله عز وجل يا ايها الذين آمنوا اذا لقيتم الذين كفروا زحفا فلا تولوهم الادبار ومن يولهم يومئذ دبره الا متحرفا لقتال او متحيز الى فئة الى قوله وبئس المصير

فحافظوا على امر الله في هذه المواطن التي الى الصير فيها كرم وسعادة ونجاة في الدنيا والآخرة من الهول والمخافة ، فان الله لا يغير بها العباد المعترفين في ليلهم ونهارهم لصق به خبرا واحاط به علما ، كان ذلك عنده في كتاب لا يضل ربي ولا ينسى ، اصبروا عباد الله وصابروا واسألوا الله الصبر ووطنوا انفسكم على القتال واتقوا الله في زواجره واوامره ، فان الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون ، ايها الناس ان مع معاوية اهل الشام وليس معه غيرهم ولي ولا نصير ، وانتم اهل الحجاز واهل العراق واهل اليمن وقد جعل القوم معاوية جنة فيما بينهم وبين ربهم وليس له دعوة في الدنيا ولا في الآخرة وقد --- الروم فان غلبتموهم استغاثوا بها والحقوا بارضهم ، لئن غلبوكم فالغاية الموت والمفر الى الله ، وقد زعم ابن آكلة الاكباد ان اهل الشام اهل صبر ونصر ، ولعمري انكم اولى بذلك منهم لانكم المهاجرون والانصار والتابعون باحسان ن ان القوم اهل شبهة تركوا فيها العيان واتبعوا فيها الامر الاول ، وانما سميت الشبهة لانها تشبه الحق، فاما اولياء الله فضيائهم فيها النور ودليلهم فيه الهدى ، واما اعداء الله فدعاؤهم الضلال ودليلهم فيها العمى ، الا انما الصبر اليوم والنصر غدا

وخرج امير المؤمنين ص ع يوم الخميس اول شهر صفر سنة سبع وثلاثين وهو اول الحروب بصفين . قال ا لرواة وخطب امير المؤمنين ع م والناس على ظهور خيولهم وهو على ظهر دابته فقال بعد ان حمد الله واثنى عليه وصلى على النبي وعدد فضائله وعظيم مناقبه وما خصه الله تعالى به :

ايها الناس ان الله قد دلكم على تجارة تنجيكم من عذاب اليم ، الايمان بالله وبرسوله والجهاد في سبيله وجعل ثوابه مغفرة الذنب ومساكن طيبة وجنات عدن ثم اخبركم انه يحب الذين يقاتلون في سبيله صفا كأنهم بنيان مرصوص فسووا صفوفكم كالبنيان المرصوص ، قدموا الدراع واخروا الحاسر وعضوا على النواجذ من الاضراس فانه انبأ للسيوف عن الهام واكملوا اللامة وقلقلوا السيوف في اغمادها قبل سلها والحظوا الخزر واطعنوا الشزر وكافحوا بالظبى وصلوا له السيوف بالخطى ، واعلموا انكم بعين الله ومع ابن عم رسول الله صلع فعاودوا الكر واستحيوا من الفر فانه عار في الاعقاب ونار يوم الحساب ، وطيبوا عن انفسكم نفسا وامشوا الى الموت مشيا سجحا وعليكم بهذا السواد الاعظم والرواق المطنب فاضربوا ثبجه فان الشيطان كامن في كسره قد قدم للوثبة يدا واخر للنكوص رجلا فصمدا صمدا حتى ينجلي لكم عمود الحق وانتم الاعلون والله معكم ولن يتركم اعمالكم

وقال عمار بن ياسر رضي الله عنه:

ايها الناس قاتلوا الفجرة الطغام من اهل الشام الذين استخفهم اللعين فاطاعوه ودعاهم فاجابوا جهلا يطلبون فيما يزعمون بدم عثمان المظلوم بل كان الظالم لنفسه الحاكم على عباد الله بغير ما في كتاب الله، وانما قتله الصالحون المنكرون العدوان ، الآمرون بالمعروف والاحسان ، فقال هؤلاء الذين لا يبالون اذا سلمت لهم دنياهم لو ردس منهم الدين لم قتلتموه ، قلنا لاحداثه فقالوا ما احدث شيئا ،وذلك انه كان مكنهم من الدنيا فهم يأكلونها ويرتعونها لا يبالون اذا سلمت لهم دنياهم ، لو انهدت عليهم الجبال والله انهم ليعلمون انه كان الظالم غير المظلوم ولكن القوم ذاقوا الدنيا فاستحلوها واستمروها ، واعلموا ان الحق لو لزمهم حال بينهم وبين ما يتمرغون فيه منها ولم يكن لهم في الاسلام سابقة يستحقون بها طاعة الناس او ولايتهم عليهم فخدعوا اتباعهم بان قالوا قتل خليفتنا مظلوما ليكون بذلك جبابرة ملوكا وتلك مكيدة قد بلغوا بها يرمون، ولولا هي ما تبعهم من الناس رجلان ، اللهم ان تنصرنا فطال ما نصرت وان تجعل لهم فاذخر لهم ما احدثوا في عبادك العذاب الاليم ، اللهم تولنا وافتح لنا بخير وانت خير الفاتحين .

واستقبل امير المؤمنين ص ع القبلة بوجهه ورفع الى السماء طرفه وقال : اللهم رب هذا السقف المرفوع المحفوظ الملفوف الذي جعلت فيها الشمس والقمر ومنازل الكواكب والنجوم وجعلت سكانه الملائكة لا يسأمون العبادة ، ورب هذه الارض التي جعلتها قرارا للانام والهوام والانعام وما لا يحصى وما يرى وما لا يرى من خلقك العظيم ورب الفلك التي تجري في البحر بما ينفع الناس ورب السحاب المسخر بين السماء والارض ورب البحر المسجور المحيط بالعالم ورب الجبال الرواسي التي جعلتها للارض اوتادا او للخلق متاعا ان اظهرتنا على عدونا فجنبنا البغي وسددنا للحق ، وان اظهرتهم علينا وارزقنا الشهادة واعصمنا من الفتنة ، اللهم اليك رفعت الايدي ونقلت الاقدام وشخصت الابصار وافضت القلوب ، اللهم احكم بيننا وبين قومنا بالحق وانت خير الحاكمين .

ثم جعل على ميمنته عبد الله بديل بن ورق الخزاعي وعلى ميسرته عبد الله بن العباس ومعه قيس بن سعد وعمار بن ياسر ووقف امير المؤمنين ع م وجل من معه الانصار ومعه اهل الكوفة واهل البصرة ومعه من خزاعة عدد حسن ومن كنانة وغيرهم واقاموا بصفين اربعين يوما يغدون الى القتال ويروحون الى مصافهم ، وقال الاشتر لقومه من مدحج انهضوا الى البأس باعا او ذراعا او شبرا وقوموا ثم اقعدوا والا فكونوا كما قال اصحاب موسى اذهب انت وربك فقاتلا انا ههنا قاعدون ، قالوا اليك يا اشتر ما والله لترين شيئا تشيب منه الذوائب ، وقالوا ان اول من شب القتال من اصحاب امير المؤمنين ع م المخارق بن الاشعث ومن اصحاب معاوية ورفا بن المهيال العبشي

وفيما روي عن عمرو بن سعد قال اول خلق الله برز يوم صفين جندب بن زهير فقتدم وهو يقول:

اقول لما رأيت المعمعة \* واجتمع الجندان وسط السلقعة

هذا علي والهدى حقا معه \* يا رب فاحفظنه ولا تضيعه

فاعترضه رجل من لخم من اصحاب معاوية فطعن بنديا فمشى اليه جندب في الرمح فقنع اللخمي بالسيف فقتله ونجى جندب وقيل ماتا جميعا .

ونادى عمار بن ياسر اهل الشام تريدون ان تنظرون الى من عاد الله رسوله وحادهما وبغى على المسلمين وظاهر المشركين ، فلما اراد الله ان يعز دينه ويظهر رسوله جاء الى النبي صلع وهو فيما ترى راهب غير راغب ، ثم قبض رسول الله صلع فوالله ان زلنا نعرفه بعداوة المسلم ومودة المجرم فالعنوه لعنه الله وقاتلوه فانه يريد ليطفئ نور الله ويظاهر اعداء الله

وكان مع عمار يومئذ زياد بن النصر الحارثي فامره ان يحمل فحمل

واستقبلهم عمرو ابن العاص وهو يقول في رجزه :

هل يغنين وردان عني قنبرا \* او يغنيني اللجب عني حميرا

وتقرنوا محمدا والاشترا \* وتقرنوا بالشيخ شيخا آخرا

اكلهم شيخهم الغضنفرا \* ذاعر للحر عمر وشمرا

اذا الكماة لبسوا السنوّرا \*

فقال امير المؤمنين عليه السلام ما يقول ابن النابغة فاخبر فقال عليه السلام :

يا عجبا لقد سمعت المنكرا \* كذبا علي الله يشيب الشعرا

ما كان يرضي احمدا لو خبرا \* ان يقرنوا وصيه والابترا

شاني الرسول واللعين الاخزرا \* كلاهما في جنده قد عسكرا

قد باع هذا دينه فافجرا \* دينا بدنيا بعته فاخسرا

بملك مصر ان اصاب الظفرا \* لو كنت ادعو اليوم عضدي جعفرا

وحمزة القمقام اعني الازهرا \* رأت قريش نجم ليل ظهرا

اني اذ الموت دنى واحضرا \* ادنيت مهري ودعوت قنبرا

قدم لوائي لا تأخرا حذرا \* لا ينفع الاحذار ما قد قدرا

وازال عمار بن ياسر عمروا عن موضعه في ذلك اليوم وامر امير المؤمنين علي ابن ابي طالب ص ع زجر بن قيس فقال له سر الى --- فاقطع الميرة بمن معاوية ، وبلغ ذلك معاوية فدعى الضحاك بن قيس وقال له ان عليا قد وجه خيلا الى القطقطانه ليقطع علينا الميرة وليس بعد هذا بقية فسر اليهم فسار الضحاك حتى التقى هو وزجر بن قيس فهزمه زجر بن قيس فقطع الميرة ورجع الضحاك الى معاوية منهزما خائبا فلامه معاوية وعيره بالجبن وكتب اليه لا يدخل العسكر الا ليلا وتكلم شاب من السكون فشتمه معاوية وافحش عليه وكان السكوني فارسا شاعرا ، فقال في ذلك :

يخوفنا معاوية بن حرب \* معاشر شرها في الدهر باق

ويزعم اننا لمنا وجبنا \* عن فوارسي في العراق

وما ان ردنا جبن ولكن \* لعينا كل فتحافنحتال ساق

بحر الدرع يضرب اخمصيه\* كماء النهي ذيال النطاق

افاع ما يبدلهم سليم \* وهل تغني من الموت الراق

فوارس اولعوا في كل يوم \* بطعن القوم والقب العتاق

يقحمها الى الهيجا علي \* ملي بالنزال وبالعناق

امام الخيل كل صباح يوم \* ملي رمحه مر المذاق

وانت تدير طرفك من بعيد \* مطار القلب مكعوم الخناق

فان تك مثله كنا كقوم \* سقونا السم نلحق بالرفاق

فلا تظلم ابا حسن عليا \* فانك يابن هند في شقاق

فسوف يزيل ملكـك بالعويل \* والقضب المهندة الرقاق

ثم لحق الضحاك والسكوني بامير المؤمنين ع م من ليلتهما فشق ذلك على معاوية

واراد معاوية ان يعلم رأي اهل الشام فخطبهم وقال :ايها الناس انه اتاني من ناحية من النواحي خبر وامر شديد فاجابه وجوه اهل الشام وقالوا عليك ان تأمرنا وعلينا ان نطيع ، وبلغ ذلك امير المؤمنين ع م فاراد ان يعلم حال اهل العراق فقال ايها الناس انه اتاني خبر من ناحية من النواحي فقالوا يا امير المؤمنين ان لكل منا رأي واختلف قولهم فقال علي ع م ظفر والله ابن هند ، قالوا لم يا امير المؤمنين ، قال باجتماع اهل الشام واختلافكم ، ويغلبن باطله حقكم

وذكروا ان الناس لما رأوا عطايا معاوية وسعة الدنيا لديه وميل كل من معه الى ما يشتهيه من حله وغير حله ووجدوا من امير المؤمنين ع م الشدة والغلظة في ذات الله واقامة الحدود ولم يجعل لاحد رخصة فيما حرمه الله وساوى في ذلك بين الرفيع والوضيع والدني والشريف اصبح قوم ممن في عسكر امير المؤمنين ع م قد ارتحلوا الى معاوية ورضوا بالحيوة الدنيا من الآخرة، فقام امير المؤمنين خطيبا فحمد الله واثنى عليه وصلى على نبيه ثم قال :

ايها الناس انم هلك من كان قبلكم بركوبهم المعاصي ولم ينههم الربانيون والاحبار ، فلما تمادوا في المعاصي نزلت بهم العقوبات فالامر بالمعروف والنهي عن المنكر لا يقدم اجلا ويقطع رزقا ، وان الامر لينزل من السماء كقطر المطر الى كل نفس بما قدر الله لها من زيادة او نقصان في اهل او مال او نفس فان احدا منكم اصابه نقص في اهل او مال او نفس او رأى باخيه مثل ذلك فلا يكون له فتنة فان المرء المؤمن ما لم يغشى ذنوبا فتظهر فيخشع لها اذا ذكرت ويعيره الناس بها كالناظر الذي ينظر اول فورة من القدح يحرز بها دينه ويدفع بها الغرم ، كذلك المرء المسلم البريء من الخيانة ينتظر احدى الحسنيين اما لقاء الله فما عند الله خير للابرار ، واما رزقا من الله، فاذا هو ذو اهل ومال ، الا وانما المال والبنون زينة الحيوة الدنيا والعمل الصالح حرث الآخرة ، وقد يجمعهما الله لاقوام ، وقد راح من هذا العسكر من راح طمعا في ابن ابي سفيان فضعوا عنكم هم الدنيا يذكر فراقها شدة ما اشتشهد منها لرجاء ما بعدها ، فان دعتكم انفسكم الى غير ذلك فعوذوا بالصبر ووطنوا انفسكم على الوفاء فوالله ان رجاء ما ارجو لكم من الرزق من حيث لا تحسبون ، وقد فارقكم مصقلة بن هبيرة مؤثرا للدنيا على الآخرة فلم يجد منها بطائل ، وفارقكم بشر بن ارطاة فحمل فيكم فيكم الى معاوية فاصبح ثقيل الظهر من الدنيا مفتضحا وفارقكم زيد بن عدي بن حاتم فاصبح متمنيا للرجعة وايم الله لود رجال مع معاوية انهم قد باعوا الدنيا بالآخرة ولود رجال معي قد باعوا الآخرة بالدنيا

وكان زيد بن عدي بن حاتم قد قتل رجلا من بني حنظلة من اصحاب امير المؤمنين ص ع بحابس الطائي اذ قتله رجل من بني حنظلة من اصحاب معاوية فغدا زيد على حنظلة غير القاتل ممن كان مع امير المؤمنين وخشي القصاص وعلم ا ن اباه عديا سلمه في جريرته ولا يخالف امير المؤمنين فيما يجري عليه من قضيته ، ثم ندم زيد على ما كان منه وعلى لحوقه بمعاوية وقال :

تطاول ليلي باعتراك الوساوس \* وبيعي الهدى بالترهات البسابس

وتركي عديا في جماعة مدحج \* وقتلى اضار مصرح حابس

انفت له لما رأيت سلاحه \* \_\_\_\_\_\_\_ لثورة بائس

فيا ليت شعري هل لي اليوم توبة \* اناصح فيها الله لست بآئس

فان تطمعوني ارجع اليوم تائبا \* والا ففي الاصرار احدى الدراهس

فاجابه ابوه عدي بن حاتم وقال :

ايا زيد قد عصبتني بعصابة \* وما كنت للثوب المدنس لابسا

فليتك لم تخلق وليتك لم تكن \* وليتك اذ قد كنت تلحق حابسا

اأيان ان احي عدي بن حاتم \* اباه واضحى في العراقين رائسا

وحامت عليه طي ابنة مدحج \* واصتحر الاعداء فينا قوابسا

نكصت على العقبين يا زيد ردة \* فاصبحت مما كنت املا \_\_ يسا

قتلت امرءا من غير حي بحابس \* فاصبحت قد جدعت منا المعاطسا

وكان من جملة من مال من عسكر اهل العراق الى معاوية ايام صفين عبد الله بن ام محقق الضبي ، فقال المعاوية اتيتك من عند العي الجبان البخيل علي ابن ابي طالب ، فقال معاوية يا اهل الشام اكرموا اخاكم ونظر عمرو ابن العاص الى معاوية وقال لا يسرك من مغيرك ، فقال معاوية اكفنا نفسك ، فلما جن الليل ارسل معاوية الى ام محقق ، فلما دخل اليه قال اعد علي قولك اليوم فاعاده ، فلما قضى كلامه قال له معاوية اما قولك العي فلو ان السن الناس جمعت فجعلت لسانا واحدا ليس فيها لسانان لكفاها لسان علي ، واما الجبن ثكلتك امك فهل بارزه احد الا قتله ، واما البخل فوالله لو كان له بيتان بيت من تبر وبيت من تبن لانفق تبره قبل تبنه ، فارتاب الضبي وقال فعلى ما تقاتله ، قال على دم عثمان وعلى هذا الخاتم الذي من جعله في يده واطعم عياله ازدخر لاهله ، فضحك الضبي ثم خرج من ليله فلحق بامير المؤمنين ، وقال الضبي في ذلك :

اتيت ابن هند والحوادث جمة \* وقلت له من يشتر الناس بالثمن

وقلت لعلي اشتفي بدلالة \* وقلت لعلي اطرد الهزل بالسمن

فسرت اليه غير طالب دينه \* ولو لم ازره خفت والله لم اجن

فنفسي على ما اشرفت مستميتة \* ونفسي لها شوق الى الاهل والعصن

فقمت مقاما لبستني من قبله \* تيسر به خوص الركاب الى اليمن

اردت بها الدنيا وكانت خيانة \* اعاب بها حتى اغيب في الكفن

وقال ابن هند قولة كدت عندها \* افوت بها حتى صير الى المجن

فقلت علي خير حاف وناعل امن \* علي ما يمتري فيه مؤتمن

فلو كنت قد اظهرت ما كان خافيا \* شفيت فؤادي من معاوية الفتن

ولكنني داريته خوف كيده \* وادليت دلوي ثم اتبعتها الرسن

وقلت ولم املك سوابق عبرة \* اتوب فاني بالذي كنت مرتهن

على انني لم ار زمنه قلامة \* ولم اك فيها بالدني ولا الوهن

اخذت ابن هند من علي فبئس ما \* اخذت به مما رضيت من الفتن

واخذي يزرأ من حسين خطيئة \* هدمت بها ديني وعتبة من حسن

وذكروا ان معاوية كتب الى ابي ايوب الانصاري وكان من اشد الانصار عليه:

ابلغ لديك ابا ايوب ما \* انا وقومك مثل السبد والنقد

اما قتلتم امير المؤمنين فلا \* ترجو الهوادة عندي آخر الابد

ان الذي قد قتلتم ظالمين له \* ابقت حرارته سطعا على الكبد

اني حلفت يمينا غير كاذبة \* لقد قتلتم اماما غير ذي اود

لا تحسبوا اعنتني مصيبته \* وفي البلاد من الانصار من احد

احرز علي بامر لست فائله \* واجهد علينا فلسنا بيضة البلد

قد ابدل الله منكم في ذوي كلع \* واليحصبين اهل الحقد والجند

ان العراق لنا فقع بقرقرة \* او شحمته بزّها شاو ولم يكد

والشام ينزلها الابرار بلدتنا \* ابناء حرمتها عريسة الاسد

وكتب ابو ايوب الانصاري مجيبا له:

لا توعدنا ابن هند اننا انف \* لا تبتغي ود ذي البغضاء من احد

فاسعوا جميعا بني الاحزاب كلكم \* لسنا نريد ولاكم آخر الابد

نحن الذين ضربنا الناس عن عوض \* حتى استقاموا وكانوا رعضة الاود

والعام قصرك منا ان اقمت لنا \* ضربا يزائل بين الروح والجسد

اما علي فانا لا نفارقه \* ما رقرق الال في الداوية الجدد

اما تبدلت منا بعد نصرتنا \* حي الرسول بقوم ساكني الجند

لا يعرفون اضل الله سعيهم \* الا اتباعكم يا راعي النقد

فقد نرى الخير ذلا في بني لكع \* واليحصبيين طرا بيضة البلد

اذ ليس تدفع كذ دون صاحبها \* حد السنان ولا ام على ولد

ولما كان في بعض ايام صفين دعى معاوية مولى له يقال له حريث وكان حريث فارس معاوية الذي يعتده لكل شديدة وكان فيما يقال يتشبه بمعاوية فلبس لامته ويركب جواده فاذا رآه الناس يقاتل قالوا قاتل معاوية وكان حريث يتمنى ان يلقى عليا ع م ، فقال له معاوية انك تمني لقائه فاياك يا حريث ولقاء علي ابن ابي طالب ومبارزته وضع رمحك حيث اردت فان لي فارسين انت وعبد الرحمن بن خالد بن الوليد ، فاما عبد الرحمن ولوائي بيده وانت الذي ادعوه لكل شديدة ، قال حريث افعل ما قلت ان شاء الله ، فلما ولى من عند معاوية تبعه عمرو بن العاص فقال له يا حريث انك لو كنت من انفس قريش لاحب معاوية ان تقتل عليا فتذهب بفخرها ، فاياك ان امكنتك فيه فرصة ان تتركها، فتقدم حريث في عسكره فلما نظر اليهم امير المؤمنين علي ابن ابي طالب ص ع قال فرسان القوم ورب الكعبة وكان امير المؤمنين ع م راكبا بغلا وغلامه قنبر على فرسه الادهم فقال يا قنبر انزل عن الادهم فنزل عنه قنبر واستوى على ظهر ه ثم اخذ رمحه وهو يقول :

انا علي وابن عبد المطلب \* نحن وبيت الله اولى بالكتب

وبالنبي المصطفى غير الكذب \* اعني الرسول المرتضى والمنتجب

ونظر حريث فرصة ظنها من امير المؤمنين ص ع فحمل عليه دنا منه بالرمح عطف عليه امير المؤمنين ع م فضربه ففلق هامته والقاه صريعا ، وحمل على الشهباوتين وهما كتيبا معاوية وكان فيها ثمانية الف معلم مكفر فازالهم عن مصافهم حتى الجأهم الى القبة الحمراء ، ثم نادى يا معاوية ابرز الي ، علام يقاتل الناس بيني وبينك، اعلى ملك ان نلته كان لك دونهم، والتف معاوية الى عمرو بن العاص وقال له ما ترى يا ابا عبد الله ، قال عمرو وارى انه قد انصفك الرجل ، واعلم انك ان نكلت عنه لم تزل سبة عليك ما بقي عربي ، فقال معاوية يا ابن العاص امثل يخدع عن نفسه، فقال عمر وما اراه ان يجمل بك ان لا تبارزه وقد دعاك ، قال ويحك اطمعت بها من بعدي، وما اراك يا عمرو الا مازحا، ومال معاوية يذكر مشورة عمرو ومكره اياه :

يا عمرو انك قد قشرت لي العصى \* برضاك لي يوم الوغى ببرازي

يا عمرو انك قد اتيت بتهمة \* ان المبارز مثل تبس رازي

ولقد اعدت فقلت رجعة مازح \* والمزح يحمله مقال الهازي

فاذا الذي منتك نفسك جاريا \* قبلي جزاك بما نويت الجازي

قال عمرو يا معاوية اتعجز عن ابن عمك وتتهم نصيحك ، وقال عمرو في ذلك :

معاوي ان جبنت عن البراز \* لك الويلات فانظر من تناز

اضبع في العجاجة يا ابن هند \* وعند الباه كالتيس العناز

معاوي ما اجترمت اليك ذنبا \* ولا انا في الذي قد قلت هاز

وما ذنبي بان نادى علي \* وكبش القوم يدعو للبراز

وتزعم انني اضمرت غشا \* جزاي بالذي اضمرت جاز

وقال عتبة بن ابي سفيان في ما كان من مشورة عمرو لمعاوية :

اراد ومن ارسى ثبيرا مكانه \* هداك عمرو فانظر هل تجامله

اشار بامر لا يراه لنفسه \* فقد صرحت سوأته وغوائله

وقد علمت عليا لوي بن غالب \* بان عليا قاتلا من يقاتله

وان عليا خادرا وسط غابة \* متى ير شيئا شاخصا فهو آكله

فان هو نادى الف صوت فقل له \* ثقلت عن الامر الذي انت سائله

والق جلابيب الحيا وولّه \* قفاك فان الموت حيث تنازله

ولما نظر معاوية الى حريث صريعا استعبر وقال :

حريث الم تعلم وعلمك ظاهر \* بان عليا للفوارس قاهر

وان عليا لم يبارزه فارس \* من الناس الا نشبته الاظافر

امرتك امرا حازما فعصيتني \* فجدك ان لم تقبل النصح عاثر

ودلاك عمرو والحوادث جمة \* فلله ما جرت عليك المقادر

وظن حريث ان عمرا نصيحه \* وقد يهلك الانسان ما لا يحاذر

ايترك عمرو راسه فوق ترسه \* ويبلى حريث انها لفواقر

ودعى معاوية عروة بن داود الدمشقي فقال له قد علمت يا ابا محمد ما كان من علي الى حريث بالامس وقد املتك له ظن عند ظني، فخرج عروة في جيش عظيم وكان من فرسان الشام ، فلما دنى من عسكر علي ع م برز من اصحابه ونادى يا ابا الحسن فخرج اليه امير المؤمنين ع م وقال ما حاجتك، قال وان كان معاوية كره برازك فاني اليه مشوق فبرز اليه علي ص ع فقال اصحابه يا امير المؤمنين دع هذا الكلب فانه لا يخطر ببال ابن حرب ، فقال والله ما معاوية باغيظ علي منه ، ثم حمل عليه امير المؤمنين ص ع فقتله،

وخرج كريب بن الصلاح الحميري وليس في الشام يومئذ اشهر منه بالشدة البأس فنادى هل من مبارز فبرز اليه المرتفع بن الوضاع الوبيدي من اصحاب علي ع م فقتله الشامي ، ثم نادى هل من مبارز فبرز اليه شرجيل بن طارق البكري فقتل شرجيل رحمة الله عليه ، ونادى هل من مبارز فبرز اليه الحارث بن الحلاح فقتله الشامي ، ونادى هل من مبارز فخرج عائذ بن مشروق الهمداني فقتله رحمة الله عليه ، ورمى باجسادهم بعضا على بعض ثم نادى هل بقي من مبارز فاحجم اهل العراق عنه فلما رأى ذلك امير المؤمنين علي ابن ابي طالب عليه الصلوة والسلام دعى بفرس رسول الله صلع المرتجز وانما سمي المرتجز لحسن صهيله ، ولبس درع رسول الله صلع ذات الفضول ثم اخذ راية رسول الله صلع المعلمة ثم تقدم الى كريب فقال له يا كريب اني احذرك الله وادعوك الى سنة رسول الله صلع فالله الله ويحك لا يدخلك ابن آكلة الاكباد النار، وكان جوابه ان قال ما كثر ما قد سمعنا مثل هذه المقالة فاقدم اذا شئت ، ثم قال من يشتري سيفا هذا اثره ، فقال امير المؤمنين ع م لا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم ، ثم مشى الى كريب فقتله ثم نادى هل من مبارز فبرز اليه الحارث من وادعة فقتل الحارث ثم نادى هل من مبارز فبرز اليه ورقا من الحارث فقتله ، ثم نادى هل من مبارز فبرز اليه الوداع بن المطلب العتبي فقتله ، ثم رمى باجسادهم بعضهم على بعض ونادى هل من مبارز فنظر اليه عمرو بن العاص وهو يفعل ما يفعل فقال ضرب ابن ابي طالب ورب الكعبة ، ويحكم كفوا لا تبرزوا اليه فوالله لو برز اليه اهل الشام رجلا رجلا لافناهم ، فاحجم القوم عنه ، فحين علم انهم قد عرفوه كشف بيضته عن رأسه ثم قال يا معشر المسلمين الشهر الحرام بالشهر الحرام والحرمات قصاص ، فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم واتقوا الله واعلموا ان الله مع المتقين ، ثم حمل فشق الصفوف حتى انتهى الى التل عليه معاوية فناداه للبراز ثانية ، وقال ويحك يا معاوية هلم فبارزني ولا تعني العرب بيني وبينك ، فقال له عمرو بن العاص انتهزه مغتنما ، قد قتل اربعة من سباع العرب ، قال معاوية وهذا ايضا عمرو .

وسمع ذو الكلاع آخر الكلام ولم يعرف عليا ع فتصاعد الى معاوية وقال يا معاوية ان بالهضبة رجلا يدعوك الى البراز وقد انصفك ، قال معاوية تعرفه يا ذا الكلاع ، قال رأيت رجلا حسن الوجه فاحسن الضلع مستقدم البطن على فرس اشقر ، وقال ادهم ، قال يا ذا الكلاع ذلك الموت الاحمر ذاك ابو تراب ، قال ما عرفته

واقتتل القوم اشد قتال في ذلك اليوم ،واصاب امير المؤمنين من حماة اهل الشام بشرا كثيرا وخرج في بعض الايام الزبرقان بن اظلم من اهل الشام وخرج اليه شريح بن هاني الحاريث من اصحاب علي ع م وكان جل من مع الزبرقان جذام والاشعريون ، فلما رأى ذلك امير المؤمنين ع م وجه بني ذهل وشيبان الى شريح وكانت الحرب يومئذ لعبد الله بن بدل

ونادى ابن اظلم يومئذ هل من مبارز فبرز اليه الحسين ابن علي ابن ابي طالب ص ع فحين عرفه ابن اظلم رجع عنه وقال اني لاستحي من رسول الله صلع ان ابارزك

ونادى عتبة بن ابي سفيان للبراز فبرز اليه محمد بن علي ابن ابي طالب رضي الله عليه فحاد عنه عتبة وكان ذلك اليوم من اشد الايام واقتتلوا الى الليل وصاح بعضهم بالانصراف فابوا وقالوا من كل ناحية لا براح من ههنا يكون المحشر ، فتزاحف القوم بعضهم بعضا كتزاحف السيول واقتتلوا عامة ليلتهم وكثر القتل بينهم ، وكانت راية بني ذهل بن ثعلبة مع المغيرة بن خالد ، فلما رأى القتل من اهل الشام واهل العراق شك في امره وضاق صدره وكانت اخواله من جذام فتركرأيته وانصرف من ليلته الى البصرة واضحت بنو ذهل ولا حامل لرأيتهم فتنازع فيها الخالد بن المغيرة وشقيق بن ثور وتشاجرا وهما يومئذ السيدان من بكر بن وائل ، فاتوا عليا ع م فقال ص ع ان ا لخرق شوم وكلاكما اهل لها قالا الامر اليك يا امير المؤمنين فقال عليه السلام التمسوا لي رجلا حبيبا فيكم لا يحسد ولا يحسد قالا قد رضينا واتيا بالحصين بن المنذر وانه لفتى شاب فلما انتسب لامير المؤمنين ص ع دفع اليه الراية ونودي في الناس فخرج الحصين وذلك اول يوم ابلا فيه فتقدم حصين برأيته وحوله وجوه بكر بن وائل فمضى يخرق الصفوف امام القوم حتى انتهى الى معاوية وهو لا يسمع الا قول القوم تقدم يا حصين تقدم ، فانكر معاوية الرأية اذ رآها وكانت الراية سودا ، وقال ويحكم من هذا ، قال عمرو بن العاص هذا غلام من ولد الحارث بن وعلة من بني ذهل، ومضى حصين واصحابه حتى استووا على الاكمة وازالو عنها معاوية فشرف به الحصين حتى مات وقام ابو العقار الذهلي الى علي ع م فقال يا امير المؤمنين ان كان اساء المغيرة بن خالد فقد احسن الحصين بن المنذر ، وقال ابو العقار في ذلك:

وان تك رأية تركت جهارا \* وقلدنا بها الذهلي عارا

واوردها ورودا في حفاظ \* وخاض بها الى الموت الغمارا

فلم يك عظمه في الحرب هشا \* ولم يك مخه في الحرب رارا

فان تفخر بنجدته سدوس \* فان المرء خيرهم فخارا

وان له اذا انتسبوا جدودا \* وآباء معظمة كبارا

تماه منذر وابوه حار \* ووعلة معشر منعوا الذمارا

فلما سمع امير المؤمنين ص ع قول ابي العقار قال جزا الله بني ذهل خيرا اولهم وآخرهم واثنى على حصين فقال حصين يا امير المؤمنين هذا احب الي من الدنيا وما فيها.

واظهر معاوية بعض بني بكر بن وائل ووقع فيهم فقال القوم رضينا بحب علي وبغض معاوية وبالآخرة من الدنيا وبالعراق من الشام ، وقال امير المؤمنين علي ابن ابي طالب :

لمن رأية سوداء يخفق ظلها \* اذا قيل قدمها حصين تقدما

تهز بكفي ماجد ذي عزيمة \* يروي سنانيها اذا هز اقدما

تراه اذا ما كان يوم حفيظة \* ابا فيه الا عزة وتكرما

جزا الله قوما صابروا في لقائهم \* لدى البأس قوما ما اعز واكرما

واشرف احياء واطيب سيمة \* اذا كان اصوات الكماة تغمغما

ربيعة اعنى انهم اهل نجدة \* وبأس اذا لاقوا خميسا عرمرما

مصاليت امثال الاسود وصولها \* اذا شارت الفرسان ركنا مقدما

اذاقوا ابن هند طعنهم ونزالهم \* واقدمهم حتى تولّى واحجما

وما ان نبالي الموت عند نزوله \* ولا صرفت عنه جبينا ولا فما

ولا ضيعت في الحرب حجة ناره \* ولا عظمت حربا وان كان معظما

وما ان تراها الدهر الا مغيرة \* تحاول حربا او تحاول مغنما

ومدوا الى الاسلام كفا ببسطة \* وصالوا بعرض كان فيها مسلما

ترى الموت في اسيافها وسلاحها \* على اي حال مستحيل ومبرما

واظهر القوم حسد الحصين وانفرد بذلك منهم سفيان بن ثور وخالد بن معمر فقال الحصين في ذلك :

لعمري لئن امست بكفي رأية \* رآني امير المؤمنين لها اهلا

لما نلتها من خالد بن معمر \* ولا ابن شقيق والعلا يورث الدخلا

وما لي دين غير اين حملتها \* باحمل حميلها ورنت بها ذهلا

وقد جئتما فيها امورا قبيحة \* نعماي مهلا لا ابا لكما مهلا

وقال لهما ما لي اليكما ذنب اعظم من نعمة الله علي

وجاء ذو الكلاع الحمرالي معاوية فقال له ائذن لي في كلام ابي نوح وكان ابي نوح مع امير المؤمنين ص ع وهو رجل من حمير كان له فضل ، فقال معاوية لذي الكلاع ما اردت من لقائه ، قال لغمي بثـثت في امره ، فاذن له معاوية ابن ابي سفيان وكان مع معاوية رجل يقال له الحصين بن مالك بن حمير وقد استبان الحصين ضلال معاوية وكان له صديق من التكاسك له رياسة في قومه يدعى الحارث فقال له يا حارث ان غدا يلتقي رأس اهل الشام ورأس اهل العراق وهل لك ان نحضرهما غدا ، قال ومن هما، قال ذو الكلاع ابو نوح الحميريان ، فقال الحارث لو كان عمرو العاص وعمار بن ياسر شهدتهما، واما هذان اليمانيان فلا حاجة بي في لقائهما

فخرج ذو الكلاع حتى دعى ابا نوح فاجابه ووقف بين الصفين ، فقال ابو نوح يا ذا الكلاع انه ليس احد اولى من هذا الجمع بنصيحتك مني ، ان معاوية اخطأ بخصال او اخطأتم بخطائه ، منها انه من الطلقاء الذين لا تحل لهم الخلافة، فاخطأ اولا اذ ادّعاها واخطأتم ببيعته ، واخطأ في دم عثمان على علي بن ابي طالب ع م ، واخطأتم بنصركم اياه ، فقد غاب وغبتم، وقد كان معاوية كتب الى علي انه يدفع اليه الشام ومصر، ولو اعطاه ذلك ادخل في طاعته ، لكنه قال يقول الله تعالى وما كنت متخذ المضلين عضدا ،

قال ذو الكلاع دعني من هذا القول قد سمعت مقالتك، فما لك ولعلي

قال ابو نوح اتيح لعثمان قوم فقتلوه على دعوى الله الحاكم فيها يوم القيامة، فبايع الناس عليا ع م ولم يكن لهم بد من امام فقاتل علي بمن اطاعه من عصاه ، فان قلتم بايع اهل الشام معاوية فقد بايع عليا المهاجرون والانصار فان قلب مع معاوية مثل علي فعد واعد، فقال ذو الكلاع دعني عن هذا وقل لي هل فيكم عمار بن ياسر ، قال ابو نوح لا اخبرك حتى تخبرني لم تسأل عنه ، قال ذو الكلاع ان عبد الله بن عمرو بن العاص ذكر ان نبي الله صلع حدثه انه يلتقي اهل الشام واهل العراق وفي احدهما الحق وامام الهدى ، وفيهم عمار بن ياسر ، تقتله الفئة الباغية ، قاتله وسالبه في النار ، فانشدك الله والرحم افيكم عمار ، قال ابو نوح الله اكبر الحمد لله الذي اخرجها من فيك بشهادتك على نفسك ، والله انه فينا جادّ على قتالكم ، وانه لأجدّ على ذلك مني ووددت انكم حلق واحد فاذبحكم وابدأ بك يا ذا الكلاع ، قال ذو الكلاع وعلام تقتلني فوالله ان رحمي منك لقربته وما قطعت بيني وبينك رحمك ، قال له ابو نوح ان الله قد قطع بالاسلام ائمة الكفر ورؤساء الاحزاب ، فقال ذو الكلاع استطيع ان ات تنطلق معي الى صف اهل الشام فانا لك جاز الى ان تلقى عمرو ابن العاص فتخبره بمكان عمار لعله ينتهي هو واصحابه وينصلح امر هذين الحيين ، فسار ابو نوح معه حتى انتهى الى عمرو بن العاص ومعه ابنه عبد الله وحولهما من اهل الشام كثرة ، فقال ذو الكلاع يا ابا عبد الله هل لك في رجل صادق نصيح يخبرك عمن عمار بالحق ولا يكذبك ، قال ومن هو ، قال ابن عمي هذا الكوفي ، قال عمرو ابن العاص اني لا ارى عليه سماء عدونا ، قال ابو نوح بل هي سيماء محمد واصحابه ومعك سيما ابن ابي جهل بن هشام وسيماء فرعون ، فقام ابو الاعور السلمي فسل سيفه وقال ارى هذا العراقي يشتمنا وهو في عسكرنا ، فقال له ذو الكلاع اقسم بالله يا ابا نوح تكلم وانشدك الله ان لا تكذبنا ولا تكتمنا ، افيكم عماربن ياسر ، قال ابو نوح لا اخبرك حتى تخبرني لم تسألني عنه فان معنا غيره من اصحاب رسول الله كلهم جادّين على قتالكم ، مستبصر فيكم وفينا امير المؤمنين علي ابن ابي طالب صلوات الله عليه ، قال عمرو ابن العاص حدثني رسول الله صلع ان عمار بن ياسر تقتله الفئة الباغية ، وانه لا ينبغي له ان يفارق الحق ولا تأكله النار، قاتله وسالبه في النار ، قال ابو نوح الله اكبر نعم والله انه لفينا الحمد الله الذي انطقك فشهدت بها على نفسك ، والله انه لجادّ على قتالكم ، مستبصر فيكم، ولقد حدّثني يوم الجمل انا نستظهر عليهم واخبرني امس انكم لو ضربتمونا حتى تنتهوا بنا الى سعفات هجر لكنا على الحق وانتم على الباطل ، قتلانا في الجنة وقتلاكم في النار ، قال عمر هل تستطيع ان تجمع بيني وبينه ، قال نعم ، فركب عمر ومعه ابنه عبد الله وعتبة بن ابي سفيان ، والوليد وعمرو بن مرة وذو الكلاع ابو الاعور السلمي وحوشي ذو ظليم فوقفوا بين الصفين واتى ابو نوح عمارا فوجده قاعدا ومعه مالك الاشتر وهاشم بن عتبة وخالد بن زيد الانصاري وعبد الله بن زيد ، فقال لهم انه دعاني ذو الكلاع فانطلقت معه الى صفوف اهل الشام وان عمرا اخبرني بما سمع من رسول الله صلع وقد ارسلني اليك لتلتقيان ، قال عمار رحمة الله عليه اركبوا فركب عمار ومعه جماعة من الفرسان وان الحصين بن مالك الحميري لقي الحارث بن عمرو السكسكي فقال له قد اتاك الله بما اردت ، هذا عمار وعمرو قد التقيا فهل لك ان تسمع قولهما فتثاقل الحارث مخافة ان يسمع قول عمار بن ياسر رحمة الله عليه ثم افكر فقال انما هو حق وباطل وفي يدي من الله هدى فسر بنا فسارا في نفر من قومهما حتى انتهوا الى عمرو واصحابه ، ثم ان عمارا رحمة الله عليه انطلق ومعه الاشترالنخعي واثنا عشر رجلا فارسا حتى لقوا عمرو ابن العاص ومن معه ، واختلف اعناق خيولهم فتكلم عمرو واخذ في التشهد

فقال له عمار بن ياسر اسكت ، فقد تركت ذلك في حياة رسول الله صلع ولكن اخطب بخطب الجاهلية ، وقال بقول من كان في الاسلام ذنبا وفي الجاهلية رأسا ، فان شئت اخبرتك بكلمة دعاء تفصل بيننا وبينكم قبل ان تقوم ولا تسطيع ان تكذبني بها

قال يا عمار --- لهذا انما جئت اسألك الك اطوع هذين الجندين فانشدك بالله الا كففت سلاحهم وحقنت دمائهم وحرصت على ذلك منهم علام تقاتلوننا ، السنا نصلي قبلتكم ونؤمن برسولكم ونقر بكتابكم ونقر بدعوتكم

فقال عمار رضي الله عنه الحمد لله الذي اخرجه من فيك انها لي ولاصحابي الذين هم اهل الدين والدعوة والكتاب واتباع النبي صلع ، فالحمد لله الذي اقررت بها لي ولاصحابي دونك ، وجعلك الله اعمى لا تدري ما انت عليه ، لقد امرنا رسول الله صلع ان نقاتل الناكثين فقد قاتلناهم يوم الجمل ، وامرنا بقتال القاسطين وانتم هم ، واخبرنا بالمارقين ، فلا ادري ادركهم ام لا ، ايها الابتر الست تعلم ان رسول الله صلع قال يوم غدير خم من كنت مولاه فعلي مولاه ، اللهم وال من والاه وعاد من عاداه ، فانا مولى الله ورسوله وعلي مولاي ، واما انت فليس لك مولى لان الكافرين لا مولى لهم ،

قال عمرو بن العاص لم تشتمني فاني لم آتك لاشتمك

فقال له عمار رضي الله عنه وبم ذا تشتهي ،

قال عمرو وان فيك لهناة، لو شئت ان اقول هاء لقلت

قال عمار وما عسى ان تقول تزعم انني خنت الله ورسوله او حاربت الله ورسوله يوما او بعت ديني من علي كما بعت دينك من معاوية ، وقال عمار رضي الله عنه الكريم من اكرمه الله وكنت ضالا فهداني الله وحقيرا فرفعني الله ومملوكا فاعتقني الله وضعيفا فقواني الله وفقيرا فاغناني الله فكيف تبصر القذى في عيني وتعمى عن الجذع في عينك ، فوالله لقد اختصم فيك خمسة من قريش كلهم يزعن انه ابوك فغليب عليك جزار قريش الأمهم حسبا وشرهم نصيبا واعظمهم لعنة ، ثم قلت انا شانئ رسول الله صلع فانزل الله في كتابه ان شانئك هو الابتر ، ثم كانت امك تمشي في عبدان قريش فانت عدو بني هاشم في الجاهلية وفي الاسلام

فقال له عمر وبالله اعلي قتل عثمان

قال بل رب علي قتله عثمان

قال اكنت فيمن قتله

قال بل كنت معهم

قال فلم قتلتموه

قال قتلناه اذ غير الاسلام

فغضب عمرو وقال الا تسمعون يا اهل الشام فقد اعترفوا بقتل امامكم

قال عمار قد قالها فرعون من قبلكم ، الا تستمعون

وررجع كل منهم الى معسكره ، فلما رأى الحصين بن مالك حجج عمار قال للحارث بن عمر ما عندك والله لقد وقعت بين العار والنار ، ولحق الحصين بمصر تائبا من حرب علي ع م ولم يزل في مصر حتى هلك بها مع محمد بن ابي بكر رضي الله عنه ، وقال الحارث بن عمرو السكسكي في ذلك :

قال الحصين ولم اعلم بفتنته \* يا حار هل لك في عمرو وعمار

يا حار هل لك في امر له سبب \* فيه شريحان من عوف وانكار

فاسمع واسمع ما يأتي العيا به \* ان العيان شقاء النفس يا حار

لما رأيت رجاء النجح قلت له \* قول الضعيف نعم والكره اضماري

سرنا الى ذلك المرءى في نفر \* شم الانوف كرام زندهم وار

لما تشهد عمر وقال صاحبه \* اسكت فانك من ثوب الهدى عار

فارتد عمر على عقبيه معترفا \* كالهر يرقب جب الغار للفار

ما زال عمار يرميه بحجته \* حتى اقر له من غير انكار

قال الحصين اما ابصرت حجته \* غراء مثل بياض الصبح للسار

ما بعد ذلك من غيب لمنتظر \* فاختر فذلك بين العار والنار

قلت النجاة فراق القوم معترفا \* بالذنب حقا فليس النار كالعار

وكان فيص سمع كلام عمار وعمرو وعقيل بن مالك وكان فارس اهل الشام وله عقل فتوقف عن قتال علي ع م واصحابه فدعاه معاوية وقال له ما يمنعك عن القتال وانت فارس اهل الشام ، فقال له عقيل من ترك جبن ، ثم لم يلبث ان مات ، فقال الناس سماه معاوية ، وقال ذو الكلاع لعمرو بن العاص يا عمر واشد ما افهمك الرجل ، فقال عمرو وليس كل قول يجاب ، وكان رجل من حرش ورجل من عبش قد سمعا قول عمرو وعمار فخرجا فاصبحا به في عسكر علي ع م وقال الحرشي في ذلك :

ما زلت يا عمرو قبل اليوم منتدبا \* تبغي الخصومة جهرا غير اسرار

حتى لقيت ابا اليقظان منتصبا \* لله در ابي اليقظان عمار

ما زال يقرع منك الطعم منثقبا \* منح العظام بنزر غير اكثال

حتى رمى بك بحر له لجج \* يهوى بك الموت ها فاذهب الى النار

وقال العبشي في ذلك :

والراقصات بركبان مجاهرة \* ان الذي جاء عن عمرو لمأثور

قد كنت اسمع والانباء شائعة \* هذا الحديث فقلت الافك والزور

حتى تلقيته من اهل عيبته \* فاليوم ارجع والمغرور مغرور

واليوم ابرء من عمرو وشيعته \* ومن معاوي اذ تحدو به العير

لا لا اقاتل عمارا على طمع \* بعد الرواية حتى ينفخ الصور

ودعت عمرا واشياعا له تبعا \* اني بتركهم يا صاح مسرور

ما في مقال رسول الله في رجل \* شك ولا في مقال الرسل تخيير

وعاب معاوية عمرو ابن العاص فيما كان منه من لقاء عمار وقال ان ذلك قد غير على اهل الشام فقا عمرو ابن العاص :

تعاتبني ان قلت شيئا سمعته \* وقد قلت لو ان صفتني مثل قبلي

وما كان لي علم بصفين انها \* تكون وعمار يحث على قتلي

ابالله الا ان صدرك واغر \* علي بلا ذنب جنت ولا دخل

سوى انني والراقصات عشية \* بنصرك مدخول الهوى ناقص العقل

ولا وضعت عندي حصان خمارها \* ولا حملت وجناء دعبلة رحلي

ولا زلت ادعى في لوي بن غالب \* قليل عتادي لا امرّ ولا احلي

اتيت بامر فيه للشام زلة \* وفي دخّان ما اظهرته زلة النعل

تعاتبني في كل يوم وليلة \* كأن الذي ابليت ليس كما تبلي

فيا قبح الله العتاب واهله \* الم تر ما اصبحت فيه من الشغل

فدع ذا ولكن هل لك اليوم حيلة \* ترد بها قوما راجلهم تغلي

دعاهم علي فاستجابوا لدعوة \* احب اليهم من بقا المال والاهل

اذا قيل هابو الموت في الحرب ارقلوا \* الى الموت ارقال الفحول الى الفحل

ولما اشتد الامر على معاوية احضر الى عنده قوما من عك والاشعريين وخثعم من رؤوسهم واهل نجدتهم وحضهم على القتال وقال : انكم جل من معي واهل الصبر واولوا البأس واولى الناس ان تقدموا بدم خليفتكم المظلوم عثمان وان لا تهدروه

فقال له رجل من عك : يا معاوية ان الذي تأخذ منا خير مما تعطينا ، ولا والله لا ننصحك الا بشرط ، قال معاوية : وما هو ، قال اجعل لنا فريضة الفيء رجل من عك ارزاق الفي ، فمن هلك فابن عمه مكانه ، قال معاوية ذلك لك ، وقال رجل من الاشعريين اعطنا الارض والماء بحوزان والشية، قال ذلك لك ، وقال لهم معاوية انصرفوا الى مواضعكم حتى يأتيكم عمرو ابن العاص بالرأي.

وقيل ان معاوية لما جعل ذلك لهم مالت قلوب اهل العراق ممن في قلبه مرض الى معاوية وتاقت انفسهم الى عرض الدنيا الذي له عرض ، فقام المنذر بن ابي حصين الهمداني ثم اخذ وادعه وكان فارس همدان وشاعرها فقال يا امير المؤمنين ان عكا والاشعريين طلبوا الى معاوية الفرائض والعقارات فباعوا الدين بالدنيا واشتروا الضلالة بالهدى وانا قد رضينا بالآخرة من الدنيا وبك يا امير المؤمنين من معاوية فآخرتنا والله اثبت من دنياهم ، وامامنا خير من امامهم ، فانتجينا للصبر واحملنا على الموت ، وقال :

ان عكا سألوا الفرائض والاشــ \* ـعريون سالوا جوزان ثم الثنية

تركوا الدين للعقار والفرض \* فكانوا بذاك شر البرية

وسألنا حسنى الثواب من الله \* وصبرا على الجهاد ونية

فلكل ما ساله ونواه \* وكفى القوم بالخلاف وخطية

ولاهل العراق واعرف بالله \* وبالدين والامور السنية

ولاهل العراق احسن في الحرب \* اذا جلت الامور الثنية

ولاهل العراق احمل للقتل \* اذا عمت البلا بلية

قد رضينا عن ابن هند عليا \* خيرة الله ربنا ووليه

ليس حيا من لم يكن لك في الله \* وليا يا ذا الولا والوصية

حسبنا مر منك ما يبلغنا اليوم \* الى مثله ورب البنية

قد بذلنا النفوس في طلب الحق \* لنجزى به جنانا علية

حبذا القتل في السبيل ولا بد \* لنا من ورود حوض المنية

فقال امير المؤمنين صلوات الله عليه : حسبك يرحمك الله ودعى له واثنى عليه وعلى قومه، ولما بلغ معاوية قوله قال والله لاعطين المال حتى استميل ثقات علي ولافشين المال حتى تغلب دنياي آخرته، فلما بلغ ذلك امير المؤمنين ص ع قال لاصحابه لهم الدنيا ولكم الآخرة

ونقول كذب معاوية فليست دنياه تغلب الآخرة ، وقد قال الله تعالى وما الحيوة الدنيا الا متاع الغرور والآخرة خير وابقى ، وهذا دليل مقامه على ما كان عليه اعتقاده كاعتقادهم في الجاهلية الجهلاء اذ قالوا ان هي الا حياتنا الدنيا نموت ونحي، وما هو قد اخذ منه بالكظم وقدم على ما قدم وقد قال النبي صلع فيه قولا كثيرا فيما ذا يصير اليه من عذابه ويعاقبه في ما به اذ قال من ذلك يخرج من ادخل النار من هذه الامة بعد ما شاء الله ويبقى فيها رجل تحت صخرة ينادي يا حنان يا منان ، وقد قيل انه معاوية ، وقد ذكرنا من ذلك فيما قدمناه واتينا منه فيما اوردناه .

ونرجع الآن الى ما كنا فيه من القول ،

قال الرواة فلما رجع عبد الله بن مسروق العكي من معاوية وهو صاحب عسكر ورأسها ورجع من عنده الاشعري وصاحب خثعم واخبروا قومهم بما فرض لهم بعث اليهم معاوية عمرو بن العاص فقال يا معشر عك ان عليا قد عرف انكم حي اهل الشام ويسعى لكم حي اهل العراق فاعيرونا جماجمكم اليوم ساعة من نهار اصبروا وصابروا وهبوا لنا انفسكم ، فقد بلغ الامر منقطعه فخرج عك وخثعم واخرج امير المؤمنين صلى الله عليه همدان لعك ومدحج لخثعم ولما التقت عك وهمدان وصبروا مليا واقتتلوا هويا ونادى سعيد ين قيس يا همدان خذموا ارجل القوم فانهم باعوا دينهم بدنياهم وبعتم الله انفسكم واموالكم فاخذت السيوف ارجلهم ، ونادى عبد الله بن مسروق :يا آل عك بركا كبرك الابل فبركوا تحت الحجوف وشرعوا الرماح في وجوه الخيل فشجرتهم همدان بالرماح ، وتقدم زياد بن كعب بن مرحب الهمداني وهو يقول :

قومي بكيل يامها وحاشد \* نفسي فداكم طاعنوا وجالدوا

حتى تجر منكم فماحد \* وارجل تتبعها سواعد

بذلك اوصى جدكم والوالد \*

فخرج اليه رجل من عك فقتله الهمداني ، وخرج ابن مسروق العكي يقول :

تدعون همدان وندعو عكا \* نفسي فداكم يال عك بكا

ان محك القوم فزيدوا محكا \* لا يدخل القوم عليكم شكا

لا يعرف القوم سواكم فتكا \*

فطعن الهمداني فقتله وجعلت همدان يطحنهم طحنا وما يزولون ، فقال رجل من جذام حين طحنتهم رحى همدان الله الله في عك وفي جذام ، وقال رجل من عك يا آل عك ليس المفر اليوم يجزي من صبر ، ونادى منادي الاشعريين يا آل همدان من للنساء والبنات والصبيان اما تذكرون فارس والروم والاتراك قد اذن الله فيكم بالهلاك والقوم يناجز بعضهم بعضا وتطاعنوا بالرماح ثم قذفوها وساروا الى السيوف حتى فللوها وهم يتجالدون بعمد الحديد ويضعونها على الهام ، فلما اشتد قتال القوم وكان منهم امر يشيب الذوائب من اول طلوع الشمس الى ان قامت الصلوة ، قال امير المؤمنين ع م الى كم تخلون هذين الفريقين قد تفانتا وانتم وقوف تنظرون اما تخافون المقت من الله ، قال ع م ما كذب الشاعر الذي يقول :

كأن دماء القوم ماء منحابة \* بايدي كماة بل هي اليوم اكثر

صلاة حماة حولها غير عصبة \* مصاليت فيها والمنية تنظر

ثم استقبل امير المؤمنين ع م سيفه واقتحم يضرب في عك ولخم حتى خرق الصف وازال اصحاب الجحف عن مواضعهم وهو يقول :

ومبتهج بالموت ما ان يرى له \* من الفئة الماضين بالامس مقعدا

وتماحك القوم وتنافسوا القتال مع امير المؤمنين صلى الله عليه فما زالوا يقتلون حتى ادركهم الليل فبعث معاوية الى عك ان انصرفوا، فاجلوا يومهم ذلك على اربعة آلاف قتيل من الفئتين واقبل عمرو ابن العاص الى معاوية فقال لم ار كاليوم اسد القيت اسدا ، ولو ان مع علي حيا كهمدان ومعك حي كعك لكان الفتا

وروي عن الاصبغ بن نباته قال شهدنا صفين مع امير المؤمنين علي ابن ابي طالب عليه السلام فاجتمعنا عند فسطاط عمار بن ياسر ومعنا الف من القراء بين اعينهم آثار السجود فخرج علينا عمار بن ياسر معتما معتجزا للحرب فمشى ومشينا حوله فاتى بفرس له وقال والله ما قدرت ان تقرب لي فرس منذ حين ولكن ادن مني البغلة فاتي له ببغلة عليها رحاله فركب عليها وسرنا معه حتى انتهى الى الصف فاذا امير المؤمنين ع م واقف فقال عمار رضي الله عنه الا احدثكم بحديث سمعته من رسول الله صلع ، قلنا بلى، قال سمعت رسول الله صلع يقول يا علي ان الله زينك بزينة لم يزين اهل الدنيا بزينة احب اليه منها وهي زينة الابرار عند الله الزهد في الدنيا ، فجعلك تميل اليها ولا تميل اليك ووهب لك مع ذلك حب المساكين فجعلهم يرضون بك اماما وترضي بهم اتباعا ، وطوبى لمن صدق عليك وويل لمن كذب عليك فاني اقسم بالله ليقفهم الله يوم القيامة موقف الكذابين ، ثم قال قاتلوا هذه الرأية يعني رأية معاوية وقال يعني معاوية لعنه الله فوالله لقد قاتلناها مع رسول الله صلع ثلاث عشرة مرة ما هي في هذه المرة بابرئها من الشرك ، ونظر الى رأية امير المؤمنين صلى الله عليه وقال فقاتلوا مع هذه فوالله لقد قاتلت معها اثنتا عشرة مرة والله ما هي في هذه المرة باقلهن برا

وسمع امير المؤمنين قوما من اصحابه يسبون اهل الشام ايام حربهم بصفين فقال لهم ع م اني اكره لكم ان تكونوا سبابين ولكن لو وصفتم اعمالهم وذكرتم حالهم كان اصوب في القول وابلغ في العذر ، وقلتم مكان سبكم اياهم اللهم احقن دماءنا ودمائهم واصلح ذات بيننا واهدهم من ضلالهم حتى يعرف الحق من جهله ويرعوي عن الغي والعدوان من لهج به

وقال صلع وقد رأى ابنه الحسين بن علي صلى الله عليهما يسرع الى الحرب املكوا عني هذا الغلام لا يهدني فاني انفس بهذين يعني الحسن والحسين عليهما السلام علي لئلا ينقطع نسل رسول الله صلع .

وكان العكم بن جرير فارس اهل العراق فخرج يركض فرسه لا يلوي على شيء قاصدا لمعاوية فتحاماه الناس وشجرته الرماح فقتل عشرين رجلا عند تل معاوية من دونه ورجع

ودعى معاوية ابن ابي سفيان وجوه اهل الشام وقال ان عليا يخرج في سرعان الخيل وهل من فارس يندب له فيريحنا الله منه ، فقال عبد الرحمن بن خالد انا له فقال له فمر، قال اقعد فانك ان تقتل لا يكن بك عوض من قريش ، قال بشر بن ارطاة انا له ، قال معاوية اني لم اعهد خفيفا ، فقال عبد الرحمن ابن مسروق العكي انا له ، قال ان فيك لعجلة في الحرب ، ثم قام اليه عمرو بن الحصين السكوني وكان فارس اهل الشام واياه امراد معاوية ، فقال اني ما اخرت نفسي الا اني كرهت ان اخالس القوم ما خفوا له واني لا اضع رمحي الا في موضعه ، قال معاوية انت صاحبه ، فابرز له فخرج السكوني في عسكر فيه عك والصدو فلما رأى امير المؤمنين قد شغله بعض ما هو فيه حمل عليه السكوني من خلفه ، فلما كاد رمحه ان يصل امير المؤمنين صلى الله عليه اعترضه سعيد بن قيس الهمداني فقصم ظهره بالرمح ونادى الناس يا امير المؤمنين الفارس خلفك فالتفت علي صلوات الله عليه فاذ هو صريع وكانا علي ع م ذلك اليوم في همدان وثبت القوم جميعا حتى حال بينهم الليل وانهزم اهل الشام وكثر بينهم القتل وجزع معاوية على عمرو بن الحصين وبكى عليه اهل الشام وقالوا لمعاوية عرضتنا لعلي وبخلت باصحابك وقتل سعيد بن قيس ذلك اليوم رجالا من ابطال رعير من اصحاب معاوية وقال في ذلك :

لقد فجعت بفارسها رعين \* كما فجعت بفارسها السكون

غداة اتى ابا حسن عليا \* ووسط النقع مرفاة طحون

اترجو ان تطول الى علي \* ابي حسن فهذا لا يكون

اقول له ورمحي في صلاة \* وقد قرت بمصرعه العيون

لقد بكت السكون عليه حتى \* وهب منها النواظر والجفون

الا ابلغ معاوية بن حرب \* ورجم الغيب يكشفه اليقين

بانا لا نزال لكم عدوا \* طيال الدهر ما سمع الحنين

الم تر ان توالينا عليا \* ابا بر او نحن له بنون

وانا لا نريد سواه \* وذاك الرشد والحظ السمين

ومن له العراق وكان كبش \* حديد القرن تزهيه القرون

وابلت همدان ذلك اليوم بلاء حسنا ، وقال امير المؤمنين علي ابن ابي طالب عليه السلام في همدان :

ولما رأيت الخيل تقرع بالقنا \* فوارسها حمر النحور دوام

واعرض نجم في السماء كأنه \* ضبابة دجن ملبس بظلام

ونادى ابن هند ذا الكلاع ويحصبا \* وكندة في لخم وحي جذام

تتممت همدان الذين هم هم \* اذا ناب امر جنتي وسهامي

وناديت فيهم دعوة فاجابني \* فوارس من همدان غير ليام

فوارس ليسوا في الحروب بعزّل \* غداة الوغى من شاكر وشبام

ومن ارحب الشم المطاعين بالقنا \* ونهم واحياء السبيع ويام

ووداعة الابطال يخشى مصالها \* بكل رقيق الشفرتين حسام

ومن كل حي قد اتتني فوارس \* كرام لدى الهيجا واي كرام

يقودهم حامي الحقيقة ماجد \* سعيد بن قيس والكريم محام

بكل حديد الشفرتين تخالهم \* اذا اختلف الاقوام سيل عزام

فخاضوا لظاها واصطلوا حر نارها \* كأنهم في الحرب شرب مدام

جزى الله همدان الجنان فانهم \* سمام العدى في كل يوم سمام

لهم تعرف الرأيات عند اختلافها \* وهم بدؤا للناس كل لجام

رجال يحبون النبي ورهطه \* لهم سالف في الدين غير اثام

هم نصرونا بالسيوف كأنها \* حريق تلظى في هشيم ثمام

لهمدان اخلاق ودين يزينها \* وبأس اذا تلقى وجد خصام

ونصح وصدق في الحديث ونجدة \* وحلم اذا لوقوا وطيب كلام

متى تستضفهم او اتيت بدارهم \* تبت ناعما في خدمة وطعام

اذا كنت بوابا على باب جنة \* لقلت لهمدان ان ادخلوا بسلام

وقال امير المؤمنين ع م لهمدان يا معشر همدان انتم درعي ورمحي والله اذا كنت بوابا على باب جنة لادخلتكم قبل جميع الناس ، وما نصرتم الا الله تعالى وما اجبتم غيره ، فقام عمرو بن عباس العبدي فقال يا امير المؤمنين اذا رقيت بهمدان قوما فاجعلنا معهم ، فقال عليه السلام وانتم يا عبد القيس سيفي وقوسي، وقال ص ع جزيت ربيعة عني خيرا وكفي لهمدان بحب علي ع م لهم وحبهم له فخرا يبقى في الاعقاب، وفضلا ينيلون به جزيل الثواب ، وما زال في همدان كثير من يحب عليا ع م ويتشيع الى هذا الاوان

وروي سعد بن محمد عن ابيه عن جابر بن زيد عن رجل من تميم قال والله اني لواقف مع امير المؤمنين ص ع بصفين اذ اتى علقمة بن زهير الانصاري فقال يا امير المؤمنين ان عمرو ابن العاص ينادي بين الصفين وهو يقول :

انا الغلام القرشي المؤتمن \* الماجد الابلج ليس كالشطن

اعلا قريش ومعد في الزمن \*

فضحك امير المؤمنين ع م وقال اما والله لقد حذر عدو الله وحاد عني وانه لعارف لمقامي ولكن اعلموا الي مكانه وخلاكم ذمي ، فلما كان ثاني ذلك اليوم اقبل عمرو في جيوش اهل الشام ومعه ابناه وهو يقول :

شدوا علي لا تنكشف \* ابعد طلح والزبير نأتلف

او عبد عثمان نبا لي من تلف \* والمشرفي ثابت ومختلف

واقبل حتى وقف بالقرب من اصحاب امير المؤمنين ع م واخبر امير المؤمنين بمكانه فخرج ع م متنكرا وخرج اليه عمرو ولا يعرفه وقال لاصحابه اتعرفون هذا الفارس ، قالوا لا والله ما عرفنا فشد عليه عمرو حتى اذا غشيه بالرمح عطف عليه امير المؤمنين عليه السلام وهو يقول :

قد علمت ذات القرون الميل \* والخصر والانامل الطفول

اني احمي اول الرعيل \* بصارم ليس بذي فلول

اتاك من تحذر عن قليل \*

ثم شد امير المؤمنين صلى الله عليه على عمر فطعنه فارداه عن متن جواده ووقع على صلبه وكشف سوءته فصرف امير المؤمنين ع م عنه وجهه ورجع عليه السلام يقول :

ضربا بني الكرام في المساغب \* ضرب الهزبر البطل الملاعب

ان الطعان في العجاج السالب \*حين احمرار الحدق الثواقب

للقوم في همعة الكتائب \* والصبر فيه احمد العواقب

فقال الناس يا امير المؤمنين اقتلت الرجل ، قال اعلمتم من هو ، قالوا لا قال ذاك عمرو بن العاص لعنه الله تلقاني بعورته فصرفت وجهي عنه ، فقال القوم وفق الله امير المؤمنين.

وكان الاصبغ بن نباته من اصحاب امير المؤمنين وذخائره وقد استعمله على شرطة الخميس وهم الف فارس من عباد الناس قد تبايعوا على الموت فحمل الاصبغ بن نباته فيهم حتى صبغ رأيته من كتيبة معاوية وازاله عن التل وقيل في ذلك :

لعمري لقد اورد الخافقات \* وغاظ بن هندي بها الاصبغ

يروي الاسنة في جنده \* عيانا ومهجته تبلغ

كفى ما يحازره رمحه \* اذا نكص الاشهل الاروع

ويدمغ حجة اعدائه \* بما في يديه ولا يدمغ

وصاحب شرطة يوم الخميس \* وللقاصدي مدحه ابلغ

فان يلدغوه على فضله \* فاي فتى صار لا يلدغ

وانصرف عمرو الى معاوية فقال له معاوية ما صنعت ، قال لقيني علي فضربني ، فقال له معاوية يا عمرو احمد الله وعورتك ، اما والله لو عرفته ما اقحمت عليه ، وقال في ذلك معاوية :

الا لله من هفوات عمرو \* يعاتبني على ترك البراز

فقد لاقى ابا حسن عليا \* فآب العائلي اياب خاز

فلو لم تبد عورته لاودى \* به شيخ يذلل كل ناز

فان يكن كالمنية اصدرته \* فقد غناها اهل الحجاز

فغضب عمرو وقال يا معاوية ما اشد تعظيمك لعلي في كسر اهل الشام ما هو الا رجل لقي ابن عمه فصرعه ، افترى السماء لذلك انقطرت دما ، قال لا ، ولكنها تعقبك جبنا وشمت معاوية بعمر وقال عمر :

معاوي لا تشمت بفارسي همة \* لقي فارسا لا تعتريه الفوارس

معاوي لو ابصرت في الخيل مقبلا \* ابا حسن يهوي اعترتك الوساوس

وايقنت ان الموت حق وانه \* لنفسك ان لم تعمل الركز خالس

فانك لو لاقيته كنت يومة \* اتيح لها صقر من الجوّ دائس

وما ذا بقاء اليوم بعد احتفاظه \* واني لمن يلقى عليه لآيس

دعاك فصمت عنه اذ تك هاربا \* بنفسك قد ضاقت عليك المجالس

واي امرء لاقاه لم يلق شلوه \* بمعترك تسفي عليه الروامس

وايقنت ان الموت آخر موعد \* وان الذي لاقاك فيها الدارانس

وتشمت بي ان نالني جد رمحه \* وعضـضتي ناب من الحرب ناهس

ابالله الاانه ليث غابة \* او شبل تهدي اليه الفوارس

فان كنت في شك فدونك لاقه \* والا فتلك الترهات الببائس

وخرج رجل من اهل الشام من كلب فنادى هل من مبارز فبرز اليه رجل من اهل العراق فقتله الكلبي ، ثم نادى هل من مبارز فبرز اليه رجل من اصحاب امير المؤمنين ع م فقتله الكلبي ايضا ، ثم نادى هل من مبارز فبرز اليه من اصحاب امير المؤمنين ع م فقتله الكلبي ، ونادى هل من مبارز فلم يبرز اليه احد فانشأ يقول :

قد علمت حسناء من تحت الكلل \* واضحة الخدين عجز الكفل

اني غداة الروع ضرغام بطل \*

ثم نادى هل من مبارز فاحجم الناس عنه فلما رأى ذلك امير المؤمنين ع م خرج اليه فقتله، ثم نادى هل من مبارز فخرج اليه رجل من اهل الشام فقتله ايضا، ثم نادى للبراز فخرج اليه ثالث من اهل الشام فقتله ، ثم نادى صلى الله عليه هل من مبارز فخرج رجل من اهل الشام فقتله ، ثم انشأ يقول :

قد علمت ميالة الذوائب \* واضحة اللبات والترائب

اني غداة الروع غير هائب \* اشجع من ذي لبدة مواثب

قتال اقران مخوف الجانب \*

ثم نادى هل من مبارز يا اهل الشام فلم يبرز اليه احد وتحاماه الناس ، فلما رأى ذلك رجع وهو يقول قاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله ، فان انتهوا فلا عدوان الا على الظالمين ، فقام الى معاوية عبد الرحمن بن مسروق فقال الا اغتنم عليا يا معاوية عند الاعيا ، قال له معاوية : بلى فافعل فتقدم وبرز بين الصفين وهو يقول :

اثبت عليا للغلام الحازم \* بكفه مثل الشهاب صارم

يقتض للهام والجماجم \*

فبرز اليه امير المؤمنين ص ع وهو يقول :

ما علتي وانا جلد صارم \* وعن يميني مدحج القاقم

وعن يساري وائل الخضارم \* قلب حولي مضر الجماجم

وحي همدان الاولى الاكارم \* اقسمت بالرحمن وهو العالم

الا انثنى حتى يرد الراغم \*

ثم حمل عليه امير المؤمنين ع م فقد هامته بالسيف

وبرز رجل من اهل الشام حتى وقف بين الصفين ونادى رجل لرجل واني لضعيف فبرز اليه رجل من اصحاب علي ع م فقتله الشامي ثم نادى رجل لرجل واني ضعيف فبرز اليه آخر فقتله ، ثم نادى رجل لرجل واني لضعيف فحين رأى ذلك امير المؤمنين برز متنكرا ثم حمل على الشامي فقتله ثم نادى رجل لرجل فنظر اليه معاوية وعمرو فقالا نرى حملات علي ورب الكعبة ، ونادى يا ايها الناس حاذروا الرجل فانه ابن ابي طالب ، فلما سمع ذلك علي صلوات الله عليه وعلم انهم قد عرفوه رفع المغفر عن رأسه ثم قال يا معاوية علام يقتل الناس بيني وبينك ابرز الي اناجزك ، فالتفت معاوية الى عمرو وقال ما ذا ترى ، فال قد اشرت عليك واخبرتك ان جبنك عنه عار عليك فلم تستنصحني فضحك معاوية وقال فهذه ايضا يا عمرو انه يكفيني عليا رجلا افرض له ثلاثين الف دينار، وقال في ذلك عبد الرحمن بن دوءيب :

الا ابلغ معاوية بن حرب \* فما لك لا تجيب الى الصواب

اكل الدهر رواغ لئيم \* تخالف من دعاك الى الكتاب

وان يبقى لو حسن علي \* يزرك بجحفل مثل الضياب

يقودهم الوصي اليك حتى \* يردك عن عقوق وارتياب

فاقتتل القوم يومهم ذلك الى الليل وراح كل الى معسكره ، وفيما روي عن عمرو بن حبيب قال بينا نحن جلوس عند سينا سعيد بن قيس بصفين وقد اختطأ الظلام اذ اقبل علي ابن ابي طالب ع م يتوكأ على عنزته وان الصفين ليترايا فقال له سعيد بن قيس سبحان الله يا امير المؤمنين اما تخاف ان يغتالك عدو، قال يابن قيس ان لي ليوما لا يتأخر عني ولا اتقدمه ، وان الله تعالى كما قال يدافع عن الذين آمنوا، ان الله لا يحب كل خوان كفور

وخرج رجل من اصحاب امير المؤمنين يقال له اثال بن حجل وكان ابوه حجل بن عامر من اصحاب معاوية وكان هذا فارس اهل الشام وهذا فارس اهل العراق فخرج اليه ابوه وهو لا يعرفه وبرز كل واحد منهما لصاحبه فبده الشيخ بالطعنة وانتهى، فاذا هو ابنه فنزل كل واحد منها عن دابته واعتنق بعضها بعضا وقال حجل لابنه اي اثال هلم الى الدنيا ، قال له ابنه بل انت هل الى الآخرة ، وكان اثال مستبصرا فقال له يا ابتاه والله لو كان من رأيي الانصراف الى اهل الشام لكا ينبغي لك ان تنهاني واسوتاه يا ابتاه ما ذا تقول علي ان اكون على ما انا عليه وانت على ما انت عليه ، وانصرف كل واحد منهما الى اصحابه واخبرهم الخبر فعجب الناس منهما، ومكث الشيخ اياما في عسكر معاوية ثم لحق بعلي ع م

ووقف معاوية على التل ومعه وجوه اصحابه من قريش فقال لهم معاوية لطال ما دعاني ابو الحسن الى البراز حتى قد استحيت فما ترون ، فقال له اخوه عتبة اله عن هذا كأنك لم تسمعه فقد علمت انه فضح بن العاص وقتل حريثا واردى فوارس بعدهما وانما اراد معاوية يقول ذلك ان ينقذ له بشر بن ارطاة فقال بشر ما كان احد اولى بذلك من بني حرب ، فاما ا ذا ابيتم ذاك فانا له فقال معاوية اما انه في العجاجة اول الخيل ، واصبح علي صلوات الله عليه من غد ذلك اليوم فخرج منقطعا من خيله الاشتر خلفه وهو عامد للتل الذي عليه معاوية وعلي صلوات الله عليه يقول :

انا علي فاسألوا لتخبروا \* ثم ابرزوا لي في اللقاء او ذروا

سيفي حسام وسناني ازهر \* منا النبي الطاهر المطهر

وحمزة الخير ومنا جعفر \* له جناح في الجنان اخضر

ذا اسد الله وفي ذا مفخر \* هذا وما لنجل هند مصدر

لانه مذبذب موخر \* لما به اوحى الاله منكر

فاستقبله بشر ومعاوية ينظر اليهما وطعنه علي ع م فصرعه وهو لا يعرفه فاتقاه ابن ارطاة برجله وانكشف عورته فصرف امير المؤمنين صلى الله عليه عنه وجهه ، وكان لا ينظر عورة احد واتاه مالك الاشتر فقال يا ا مير المؤمنين انه ابن ارطاة فقال دعه لعنه الله ، ومضى الاشتر وهو يقول :

في كل حين رجل شيخ شاغرة \* وعورة تحت العجاج ظاهرة

ابرزها طعنة كف واترة \* عمرو وبشر رميا بالفاقرة

وحمل ابن عم بشر على علي صلوات الله عليه وهو يقول :

ارديت بشر علي او الغلام ثائر \* ارديت شيخا غاب عنه الناصر

وكلنا انت بشر واتر \*

فاعترضه الاشتر فدق صلبه ، وقام بشر من صرعته وولت خيله ونادى امير المؤمنين ص ع يا بشر معاوية كان احق بهذا منك ورجع بشر الى معاوية وكان بشر يعيب على عمرو ابن العاص ما صنع به علي سلام الله عليه فقال معاوية يا بشر قد ادال الله منك عمر ، وقال النضر بن الحارث في ذلك :

افي كل يوم فارس تبقى به \* له عورة وسط العجاجة بادية

يكف له عمدا علي يناله \* ويضحك منها في الخلاء معاوية

بدت امس من عمرو فقنع رأسه \* ودعوة بشر مثلها حذو حاذية

فقولا لعمر وابن ارطاة ابصرا \* سبيلكما لا تغشيا الليث ثانية

ولا تحمد الا الحي وخصاكما \* هما كانتا والله للنفس واقية

ولولاهما لم يجتنب من سنانه \* وفيها علي فاتركا الخيل ناحية

وكونا بعيدا حيث لا يبلغ القنا \* نحوركما ان التجارب كافية

وان تك منه بعد في النفس حاجة \* فعده اذا ما شئتما هي ماهيه

وكان بشر بعد ذلك اذا لقي الخيل وفيها امير المؤمنين تنحى ناحية وتحاما فرسان اهل الشام عليا صلى الله عليه فلم يكن يبرز له بعد بشر احدا الا ان يخرج متنكرا، فيبلى ويرجع .

وكانت ميسرة علي عليه السلام قد الحت علىميمنة معاوية وكان في ميسرة علي ع م بكر بن وائل، فقال معاوية لعمرو ان هذه الميسرة قد اسرعت في الناس فما ترى ، قال عمرو وارى ان تقرع بين فرسانك وقوادك فمن خرج سهمه على الميسرة فارمها به وبجنده واضمم اليهم شهباويك جميعها وهما كتيبتا معاوية وكانا يسميان الشهباوين وهما ثمانية آلاف فارس ، وقال عمرو لمعاوية انك ان حسمت الميسرة كان القوم بعد لك هائبين فاقرع بينهم معاوية فخرج سهم ذي الكلاع في اهل حمص فعبأ معاوية ذا الكلاع واهل حمص وضم اليهم كتيبة الشهباوين وجعل اليهم عبيد الله بن عمر بن الخطاب وكانت امرأة عبيد الله ابنة هاني بن قبيصة الشيبائي ، فقال لها من الليل اما اني قد عبّيت لقومك ربيعة واني لارجو ان آتيك بهم غدا مصفدين واوثق بكل طبن من اطناب قسطا طي سيدا منهم ، قالت ابنة هاني والله لاكره لك ان تلقاهم، قال ولم ذلك ، قالت وايم الله سبحانه ان لقيتهم اني لاخاف فيهم عليك ان يقتلوك انهم قوم صُبر مع امام صادق مقدم ، والله لكأني بك بينهم قتيل او قد سألتهم يهبوا لي جيفتك ، قال ستعلمين غدا ، فلما اصبح اصحا معاوية غدوا على تعبيتهم فعقلوا انفهم بعمائمهم وقالو والله لا نبرح هذا المقام حتى نموت او نفتح الله علينا واتى عمرو ابن العاص ذا الكلاع واليمانية يحثهم على القتال وامره بالصبر وانما اراد عمر فناء الفريقين ، وكان لذي الكلاع معنفا .

ولما بلغ ذلك عليا ص ع عبأ ربيعة وعبد القيس عليهم عبد الله ابن سوار ابن همام العبدي وعلى بني يبشان نعيم بن هبيرة وعلى بني حنيفة حريث بن جابر وعلى بني حجل عبد الله بن حجل وعلى بني ثعلبة قيس بن عبار وعلى بني ذهل حصين بن المنذر وعلى بني تميم الاسود بن ذرلح ، وحض علي ابن ابي طالب عليه السلام بكر بن وائل على الصبر والتقى القوم واقتتلوا قتالا شديدا وحمل عبيد الله بن عمرو وهو يقول :

انا عبيد الله ينميني عمر \* خير قريش من مضى ومن غبر

الا نبي الله والشيخ الاغر \* قد ابطأت عن نصر عثمان مضر

والربعيون فلا سقوا المطر \* وسارع الي اليمانين الغر

والخير في الناس قديما يبتدر \*

فحمل عليه حريث بن جابر الحنفي وهو يقول :

قد سارعت في نصرها ربيعة \* بالحق والحق لها شريعة

في عصبة سامعة مطيعة \* م هتك الاستار كالوقيعة

حتى تذوق كأسها القطيعة \*

والحق عمار بن ياسر عبيد الله بن عمر وهو يقول انا الطيب ابن الطيب فقال له عمار بن ياسر بل انت الخبيث بن الخبيث وحمل حريث بن جابر على عبيد الله بن عمر فقتله ، وثبت ذو الكلاع بعد قتل عبيد الله فقاتل حتى ولى النهار وقتل ذو الكلاع ذلك اليوم والنفر الذين كانوا عقلوا انفسهم بعمائمهم فلم يبق منهم احد .

قال صاحب كتاب صفين فقتل ذلك اليوم من الفئتين عشرين الف قتيل وركب حريث بن جابر ليلته فحاز القتلى فاصبح وقد جعلهم من ورائه وحمل جثتي عبد الله بن عمرو وذي الكلاع فلفهما في ثيابهما والقاهما في فسطاطه وركبت امرأة عبيد الله بن عمر الشيبانية الى قومها فرحبوا بها وسألتهم جثته فاجابوها الى ذلك ولقوه في مطرفها وحمل الرجال منهم معها حتى اتوا به عسكر معاوية وقالت امرأة عبيد الله الشيبانية في ذلك :

الم اك فيما قد مضى قلت قوله \* اعنف فيها رأيه واوهن

وخوفته اني اخاف عشيرتي \* وصولتها ان يقتلوه فيدفن

واوجل منه ان يظل رهينة \* يصادف حتفا ثم لات يكفن

فما لبثوا ان طائروا قحف رأسه \* فمهواه اذ يهوى من الارض اشحن

فيا بؤسه لما تنظم بالقنا \* وغودر مقتولا لا يجس ويلقن

يؤبنه اصحابه وهو غافل \* وكانوا له من قبلها لا يؤبنوا

وقال بشر بن عوف الشني في ذلك :

الى الله ندعو لا الى ا لكفر ندّعي \* وفي الله ما نرضى وما نتعتب

ولن تلقنا في دهرنا فرد مرة \* هنالك انكاسا بامر تحبب

ولا واضعي خد لنخوة كافر \* ولا مكبري امرا يجل ويتعب

وما ان نبالي من لقينا مناصبا \* اذا كان ما نرجو الى الله ينسب

نجالد عن دين النبي المصطفى \* الى منتمي في هضبة لا توثب

وبيعتنا كانت لافضل ناعل \* وافض حاو سلسل الماء يشرب

مددنا اليه رأيه ذات حيلة \* وعهدا على اعناقنا لا يقضب

زئير نبي الله والمهتدي الذي \* اليه الهوى والود والمتقرب

ولم تحمل الدنيا بمطلع شمسها \* ولا من نواحي غربها حين تغرب

شبيها له في حلمه ثم علمه \* ولا بالتقى من امره حين يحسب

عشية مثلنا بالحديد وبالقنا \* اليه على نصر الهدى نتألب

نعظمه طورا وطورا نجله \* وبالبيض عنه ما نلم ونشعب

وان هو الفى مغضبا فرد مرة \* فقد علموا انا الى السيف نغضب

ربيعة طرا كلها من ورائه \* ونار على اعدائه نتلهب

فقل في حكيم حين صال بقومه \* وقل في حصين والمكذب اكذب

اذاقوا عبيد الله بن عمر حتفه \* فاصبح في ارماحهم يتخشب

صريعا على حر الجبين لوجهه \* على الارض ملقى والاسنة ترغب

وصار بن عتاب صريعا لوجهه \* يجزره عرج الضباع وتسحب

مجاشع والضبي عمرو بن يثرب \* قتلنا جميعا والسيوف تلحب

وبابن عدي قتله في لفيفة \* ومعرض فيها وابن جبلة اخبب

فما منهم الا اذتنا منية \* وفي الله ما نرجو وما نستوجب

وكم من صريع منهم ما نعده \* الى النار مثواه وفيها يعذب

ومن قبل ما قلنا اتقوا الله وارجعوا \* وحاموا على الامر الذي هو اصوب

وقلنا لذي غي تخبط سادرا \* لك الويل من ذي غبته اين تذهب

عليك بدين الله من محض امره \* ابر واتقى ان عملت واطيب

وكان حريث بن جابر نازلا بين العسكريين في قبة له حمراء وكان اذا التقى الناس امدّهم بالشراب من اللبن والسويق والماء اذا انصرف الناس من القتال انصرفوا اليه ، فمن شاء اكل وشرب وفيه يقول النجاشي الحارثي :

لعمري لقد احيا حريث من جابر \* بقبته الحمراء بكر بن وائل

وزاد بهاء احيا ربيعة كلها \* وورثهم فخرا بها في القبائل

وخص بها منهم حريث فانه \* وعمر ابيه خير حاف وناعل

فما مثله في الناس فاصل خطة \* ولا مثله فينا مجيب لسائل

جزتك الجوازي يا حريث بن جابر \* ولا زلت ممنوع الحمى والغوائل

باشباعك الجوعا واروائك الظما \* والطافك الجرحا وطيب الشمائل

وكم مقتر يرجو الغنى في جواره \* وكم جائع طاو وآخر عائل

وذكر ان معاوية قال لعمرو ابن العاص ان رأس الناس مع علي ع م عبد الله بن العباس فلو القيت اليه كتابا لعلك ان تجد فيه الحيلة ، فانه ان قال قولا لم يخرج منه علي ابن ابي طالب وقد اكلتنا هذه الحرب ولا ارانا نطيق العراق الا بهلاك الشام ، فقال له عمرو ان ابن عباس لا يخدع ، ثم كتب الى عمرو بن العاص الى ابن عباس :

ام بعد فان الذي نحن وانت عليه ليس باول امر قاده البلاء وساقته العافية وانك رأس هذا الجمع بعد علي فانظر فيما بقي بغير ما مضى فوالله ما اتعب لنا هذه الحرب ولا لكم ، واعلم ان الشام لا يهلك الا بهلاك العراق وان العراق لا يهلك الا بهلاك الشام ، فما خيرنا بعد اعدادكم منا وليس نقول ليت الحرب عادت ولكنا نقول ليتها لم تكن، وان فينا لمن يكره الفنا كما فيكم ، وانما هو امير مطاع ومأمور مطيع ومشاور مأمون وهو انت ، فاما العاصي السفيه فليس باهل ان يدعى في ثقات اهل الشورى ، ولا خواص اهل النجوى .

وكتب في اسفل الكتاب بهذا :

طال البلاء فيما يرجى له آسي \* بعد الاله سوى رب فق ابن عباس

ما في الرجالة خوف يزاحمه \* جل الرجاء وخفت رحلة الباس

قول له مسرور برحلته \* لا تنس حظك ان التارك الناسي

يابن الذي زمزم تسقي الحجيج له \* اعظم بذلك في فخر على الناس

لسنا باصبر من اهل العراق ولا \* اهل العراق بدون القوم في البأس

كل لصاحبه قرن يساوره \* اهل العراق اسود بين اخياس

لو قيس بينهم في الحرب لاعتدلوا \* العجز بالعجز ثم الرأس بالرأس

فانظر فدا لك نفسي قبل قاصمة \* للظهر ليس لها فاد ولا آسي

ان العراق واهل الشام لن يجدوا \* طعم الحيوة مع المستعلن القاسي

بشر واصحاب بشر والذين هم \* اذا العراق رجل اهل وسواس

هم عراة من الخيرات كلهم \* مما يشان به اصحابه كاس

قالوا يرى الناس في سلم العراق لكم \* والله يعلم ما في القوم من بأس

فيه البقا وامر ليس يجهله \* الا الجهول وليس ا لظن كالياس

انت الشجاع وباس في حلوقهم \* مثل الشجى شجاه موضع الفاس

فاصدع بامرك امر القوم انهم \* خساس طير رأت حيا من الناس

فاجاب عبد الله بن العباس عمرو بن العاص :

بسم الله الرحمن الرحيم، اما بعد ، فاني لا اعلم رجل من اهل العرب اقل حياء منك ، انه مال بك الخبل او بعت دينك بالثمن الخسيس ثم خبطت الناس في عشواء مظلمة طمعا في هذا الملك واعظمت الدنيا اعظام اهل الدين للدين ، واظهرت فيها نزهة ذي الورع لا تريد بذلك الا ترهيب الحرب وكسر اهل العراق ، فان كنت تريد الله بذلك فدع مصر وارجع الى بيتك فان هذه حرب ليس معاوية فيها مثل امير المؤمنين علي ، فان عليا عليه السلام بدأها على الحق وانتهى منها الى العدل وابتدأها معاوية بالبغي وانتهى الى السرف ، وليس اهل الشام فيها كاهل العراق وبايع اهل العراق عليا وهو خير منهم ، وبايع اهل الشام معاوية وهم خير منه ، ولست انا وانت فيها بسواء ، اردت الله واردت مصر ، وقد عرفت الشيء الذي باعدني منك ولا اعرف الشيء الذي قربك مني ، فان ترد الشر لا تفتنا ، وان تريد الخير لا تسبقنا اليه .

ثم دعى اخاه الفضل بن العباس وكان الفضل اسن منه وكان شاعر قريش فقال : يابن ام اجب ، فقال الفضل مجيبا لعمرو ابن العاص :

يا عمرو حسبك من خدع ووسواس \* فاذهب فما لك في ترك الهدى آسي

الا بوازد طعن في نحوركم \* تشجي النفوس بها في الحرب قداسي

والسمهري وضرب في سراتهم \* يلقي الرقاب ويفري فروة الرأس

هذا الدنيا ----- يسقي جماجمكم \* حتى تطيعوا عليا وابن عباس

اما علي فان الله فضّله \* فضل له شرف عال على الرأس

ان تعقلوا الحرب نعقلها محبته \* او تتبعوها فانا غير انكاس

قد كان منا ومنكم في عجاجتها \* ما لا يزيد وكل عرصة البأس

لا بارك الله في مصر لقد حلبت \* شرا وحظك منها حسوة الحاسي

يا عمرو انك عار من ملابسها \* وانت من كلا ثوب الخزي كاسي

ان عادت الحرب عدنا فالتمس نفقا \* في الارض او سلما في الافق يا قاسي

وعرض هذا الشعر ابن عباس على امير المؤمنين علي ابن ابي طالب ص ع فقال لن يجيبك بعد هذا ان كان له عقل ، ولعله يعود فتعود ، فلما انتهى الكتاب الى عمرو اتى به معاوية فقال انت دعوتني الى ما ترى ، ما كان اغناني واغناك عن بني عبد المطلب .

واجتمع عند معاوية عتبة ابن ابي سفيان والوليد بن عقبة ومروان بن الحكم وعبد الله ابن عامر وطلحة الطلحات الخزاعي ، فقال عتبة والله ان امرعلي وامرنا لعجب، ليس فينا الا موتور ، اما انا فقتل خالي وشرك في دم ابني يوم بدر ، واما انت يا وليد فقتل اباك صبرا وقتل اخاك عثمان ، واما انت يابن عامر فاسر اباك وسلبك عملك ، واما انت يا طلحة فقتل اباك يوم الجمل وايتم اخوك، واما انت يا مروان فكما قال الاول :

وافلتهن علياء جريضا \* ولو ادركته صفرا لو طاب

قال معاوية هذا الاقرار فاين الغيرة ، فال مروان واي الغيرة تريد ؟ قال اتشجر بالرماح ، قال انك لهاز ، ولقد ثقلنا عليك ، وقال الوليد بن عتبة في ذلك :

يقول لنا معاوية بن حرب \* اما قيل لواتركم طلوب

يشد على ابي حسن علي \* باسمر لا تهيجه الكعوب

فيهتك مجمع اللباب منه \* ونقع الخيل مطرد ينوب

فلقت له مقالا يا ين هند \* كأنك بيننا رجل غريب

اتأمرنا بحية بطن واد \* اتيح له بها اسد مهيب

باضعف حيلة منا اذا ما \* لقيناه وذا منا عجيب

دعى للقائه الهيجاء داع \* فاخطأ نفسه الاجل القريب

سوى عمرو وقته خصيتاه \* نجا ولقليه منه وجيب

كأن القوم لما عاينوه \* خلال النقع ليس لهم قلوب

لعمر ابي معاوية بن حرب \* وما ظني يخالفه المغيب

لقد ناداه اذا نادى علي \* فاسمعه ولكن لا يجيب

فغضب عمرو من قول الوليد وقال : ان كان الوليد صادقا فليلق ابا الحسن او فليقف حيث يسمع صوته ، وما كنت ارى ان احدا يعيرني بعلي ، وقال عمر و في ذلك :

يذكرني الوليد شجى علي \* وصدر المرء يملأه الوعيد

لقد ضاق الوليد لدى علي \* فما فيه لمن نادى مزيد

متى تذكر مشاهده قريش \* يطر من خوفه القلب الشديد

واما في اللقا فاين منه \* معاوية بن حرب والوليد

وبينهما اذا لم يظلماه \* وبين اخيهما بون بعيد

يعيرني الوليد لقاء ليث \* اذا ما زأر هابته الاسود

لقيت ولست اجهله عليا \* وقد بلت من العرق اللبود

فاطعنه ويطعنني دراكا \* وما ذا بعد طعنته اريد

فرمها منه يابن ابي معيط \* فانت الفارس البطل النجيد

واقسم لو سمعت ندا علي \* لطار القلب وانقفح الوريد

ولولا قبته شقت جيوب \* عليك ولطمت فيها الخدود

وذكروا ان معاوية دعى مروان بن الحكم فقال له يا مروان ان الاشتر قد غمني فاخرج له في هذه الخيل من الكلاع ومحصب فقاتلهم غدا ، فقال مروان لو دعوت لها عمرا فانه شعارك دون الدثار ، فقال معاوية فانت نفسي دون الشعار ، فقال مروان لو كنت عندك كمثله الحقتني به في العطا والحقته بي في الحرمان ، فدعى معاوية عمروا فلما اصبح عمرو خرج في القبائل من ذي الكلاع ومحصب فلقيه الاشتر ، فلما علم عمرو انه الاشتر اقبل وهو يقول :

يا ليت شعري كيف لي بمالك \* كم قاتل لقيته وفاتك

فقال الاشتر:

يا ليت شعري كيف لي بعمرو \* ذاك الذي اوجب فيه نذري

فالتقيا فلما غشيته الاشتر بالرمح راوغه عمرو فطعنه الاشتر في وجهه وطعن عمرو الاشتر فلم يصنع شيئا فامسك عمرو على وجهه ورجع الى العسكر فناداه غلام من حمير يا عمرو عليك العفا ما هب الريح ، يا آل حمير انما لكم ما كان لكم واخذ اللواء ثم مضى وهو يقول :

ان يك عمرو قد علاه الاشتر \* باسمه فيه شتان يزهر

فذاك والله لعمري مفخر \* يا عمر تكفيك الطعان حمير

فنادى الاشتر ابنه ابراهيم بن مالك وقال يا بني غلام لغلام ، فتقدم وهو يقول:

يا ايها السائل عني لا تزع \* اقدم فاني نجل عرنين النخع

وحمل ابراهيم على الحميري فقتله ، واخذ لواءه وانتدب يومئذ محصب والكلاع واظهر مروان الشماتة بعمر وقال مروان في ذلك :

جبت طعان القوم ياعمرو بالقنى \* جباتك المال الموفر من مصر

وان ابن هند جاعل لك مهلة \* تعيش بها حتى القيامة والحشر

لقيت رجالا محضة مدحجية \* يروون اطراف الردينية السمر

يقحمهم في معظم النقع مالك \* ينادي امالي من دليل على عمرو

فلاقيت في نقع العجاج بن حرة \* هداه اليك الله من حيث لا تدري

فراوغته لما سمعت نداءه \* كأنك كركيّ تحرز من صخر

مليا فلما خالطتك قناته \* تمنيك ان لو كنت غيبت في القبر

نجوت وارسلت الكلاع ويحصبا \* وكنت بحمد الله من ولد العهر

فقل لابن هند في الذي كان غيره \* ليعلم اني في الحوادث ذو قدر

متى رد عمرو خيله مستقله \* بعقل ولم يجرح بناب ولا ظفر

وفي كل يوم ساحب ذيل فتنة \* يراكضها والموت اقرب من فتر

وما تلك من عمرو بنكر وعادة \* له قذفه الاصحاب في لجة البحر

وقام الى معاوية شيخ من ذي الكلاع فقال يا معاوية انك تولي علينا من لا يقاتل معنا بشر مرة وعمرو مرة وعبد الرحمن بن خالد مرة وعتبة مرة فول علينا رجلا منا والا فلا حاجة لنا فيك ، فقال معاوية لا اولي عليكم بعد هذا الا رجلا منكم .

وذكروا ان معاوية امر عمرو بن العاص ان يقاتل باليمانية فاتى عمرو فقاتل بهم قتالا شديدا فحمل عليه عمرو بن الحمق فطعنه فكسر الرمح فيه فلم يستطع ان ينزعه حتى اتى الى معاوية ، فلما رآه معاوية ضحك وشمت به وقال لا بأس عليك اذا لم تمت يا ابا عبد الله فابشر .

واجتمعت اخمس وهي ثمان مائة مقاتل من اصحاب امير المؤمنين الى شيخ منهم يقال لهم ابو شداد وكان يحمل رأيتهم في الجاهلية فقالوا له يا ابا شداد ان اليوم يوم مذكور في العرب ، فاحمل لنا رأيتنا اليوم ، قال يا معشر اخمس اني قد كبرت وذهب مني ما تعلمون ، قالوا لا والله ما لها غيرك ، قال اما اذا ابيتم علي الا حملها فوالله الا انتهي حتى اطعن صاحب الترس المذهب وكان يظل الرجل بالترس على معاوية ، قالوا : اصنع ما بدى لك ، وكان على ابي شداد درع حصينة فاخذ الرأية وحمل معه قومه فلم يزل يخوض برأيته الغمرات فكلما غبي على اصحابه مكانه رفع لهم رأيته حتى انتهى الى صاحب الترس المذهب فقتله ، وحمل رجل من اهل الشام على ابي شداد فطعنه ولم يفعل شيئا ، فحمل عليه رجل آخر فضرب رجليه تحت الدرع فقطعهما ، فقال ابو شداد مالك عقرتني عقرك الله ورفع ابو شداد السيف فضرب به الشامي فخر ميتا ، وحمل ابو شداد بنفسه الى عسكر امير المؤمنين ع م ثم هلك ، فقال رجل من قومه يرثيه :

لا فند الله ابا شداد \* نعم الفتى كان لدى الطراد

وحوته الموت لدى الجلاد \*

ثم اخذ رأيته اخمس بعد ابي شداد عبد الرحمن بن خلع فقاتل حتى قتل فاخذها عطيف بن اياس فقاتل حتى قتل، وقتل ذلك اليوم من اخمس خمسمائة رجل.

وقال معاوية انا اكفيكم سعيد بن قيس وقومه، وانت يا عمرو لاعور بني زهرة يعني المر، قال وانت يا بشر لخصي الانصار يعني قيس سعد بن سبعه ، وكان ذلك قبل قتل عبد الله بن عمر ، وانت يا عبيد الله بن عمر للاشتر ، وانت يا عبد الرحمن بن خالد لاعورطي ، يعني عدي بن حاتم ،فليلق كل رجل منكم صاحبه في حماة الخيل ، فاصبح معاوية ولم يدع فارسا يشهر بالنجدة الا انتقاه معه فقصد همدان وتقدم امام الخيل وهو يقول :

لا عيش الا ضرب روس الهام \* من ارحب شارك ويام

اتركوا بالامس جمع الشام \* بين قتيل وجريح دام

فطعن في اعراض الخيل فتنادت همدان بشعارها واقحم سعيد بن قيس على معاوية فولى معاوية ركضا واشتد بينهم القتال حتى حجز بينهم الليل ، فقال سعيد بن قيس:

يا لهف نفسي فاتني معاوية \* فوق طمر كالعقار هاوية

والراقصات لا يعود ثانية \*

وقد ذكر المسعودي ان امير المؤمنين عليا صلوات الله عليه هو الذي لحق معاوية وانه قائل هذا الرجز، واقول والله اعلم لو كان امير المؤمنين ص ع الذي لاقى معاوية ما فاته ، وانه لم ينج من سيف امير المؤمنين الا بانه ما لاقاه ولا برز اليه لانه كلما رأى امير المؤمنين ع م امتنع عن القتال ومال عنه جهده ، فالرواية ان سعيد هو الذي فاته معاوية اصح واثبت والله اعلم .

وقال النجاشي الحارثي فيما كان من فرار معاوية :

ونجى ابن هند سابق ذو حفيظة \* اجشى هزيم والرماح دواني

اذا قلت اطراف الرماح ينلنه \* تنازي به الساقان والقدمان

واما ابن العاص عمر فانه صمد لهاشم المر ، قال وفي يد المر قال لوا ء امير المؤمنين الاعظم وهو في جملة الناس وحمل عمرو وهو يقول :

لا عيش لي ان لم الاق هاشما \* ذاك الذي جشمنا الجاشما

وهو الذي يشتم عرضي ظالما \* فان يفن او ينج مني سالما

يكن شجا حتى الممات كاظما \*

فقال هاشم :

لا عيش ان لم الق يومي عمرا \* ذاك الذي احدث فينا الغدرا

ويحدث الله لامر امرا \* لا تجزعي يا نفس صبر صبرا

ضربا دراكا وطعانا شزرا \*

فطعن هاشم عمروا وارتدع عمر و اشتد القتال وانصرف الفريقان والفضل لهاشم

وذكروا ان ابن ارطاة غدا في حماة الخيل فلقيه قيس بن سعد في حماة الانصار واشتد القتال بينهم حتى كثرت القتلى وبرز قيس بن سعد وهو يقول :

انا ابن سعد بن ابي عبادة \* والخزرجيون رجال سادة

ان الفرار للفتى قلادة \* يا ربنا فلقني الشهادة

لعلني القى بها سعادة \* مع الوصي الفوز والزيادة

حتى متى تثنى لي الوسادة \*

فطعن في اعراض الخيل مليا وخرج بشر بن ارطاة وهو يقول :

انا ابن ارطاة وهو يقول :

انا ابن ارطاة عظيم القدر \* من غالب قومي وآل فهر

ليس الفرار من طباع بشر \* ان رجع اليوم بغير وتر

فقد قضيت للعجو نذري \* يا ليت شعري ما بقي من عمري

فطعن قيسا فضربه قيس بالسيف فرده على عقبيه والفضل لقيس عليه

وخرج عبيد الله بن عمر بعد ان جمع ما استطاع وقال له معاوية انك تلقي افاعي العراق فارفق فلقيه مالك الاشتر وهو يقول :

في كل يوم هامتي موقرة \* بالضرب ابغي مية موقرة

والدرع خير من يرود الحبرة \* يا رب جنبني سبيل الكفرة

واجعل وفاقي باكف الفجرة \* لا تعدل الدنيا جميعا وبرة

ولا اعياض من ثواب البررة \* خير الفعال ما زكى في الآخرة

والله ذو الجود ولي المغفرة \*

فرد الخيل وحده واكثر القتل في اهل الشام فاستحي عبيد الله بن عمرو وبرز امام خيله وهو يقول :

ابغي ابن عفان وارجو ربي \* فهو الذي يخرجني من ذنبي \* ان ابن عفان عظيم الخطب

يأبى له حبي بكل قلبي \* الا طعاني بعده وضربي

حسبي الذي انويه حسبي حسبي\*

فحمل عليه الاشتر فطعنه واشتد الامر وانصرف الناس والغلب للاستر

وجاء عبد الرحمن بن خالد وكان ارجاهم عند معاوية فلقيه عدي بن حاتم في مدحج وقضاعة فبرز عبد الرحمن ثم نادى :

قل لعدي ذهب الوعيد \* انا ابن سيف الله لا مزيد

وخالد يزينه الوليد \* ذاك الذي فيكم هو الوحيد

قد ذقتم الحرب فزيدو زيدوا \* ما لنا ولا لكم مجيد

عن يومنا ويومكم قعود \*

ثم حمل وطعن وقصد له عدي بن حاتم وهو يرتجز ويقول :

ارجو الهي واخاف ذنبي \* وليس شيء مثل عفو ربي

يا بن الوليد بغضكم في قلبي \* اعظم من احد ورب الكتب

ثم حمل في القوم حتى توارى بالعجاج ورجع عبد الرحمن الى معاوية فانكسر وقال وددت اني لم اعبكم اليوم

وقام امير المؤمنين علي ابن ابي طالب صلوات الله عليه خطيبا فقال في خطبته :

ايها الناس قد بلغ بكم وبعدوكم ما قد رأيتم ولم يبق منكم الا آخر نفس ، وان الامور اذا اقبلت اعتبر آخرها باولها وقد صبر لكم القوم على غير دين ، وقد بلغوا منكم ما قد بلغوا وانا غاد اليهم بالغداة فاحاكمهم الى الله سبحانه، فقام الاشتر فقال يا امير المؤمنين انا والله من القوم لقريب وانا لو اردنا اليهم حربا لكسرنا جمعهم فاحمل عسكرك ليلتك هذه حتى تنزل في عسكرهم فيقطع الله بذلك طمعهم ويزداد اهل الجد جدا ، فانه لا خير فيمن لم يقاتل معنا، ولما بلغ معاوية حديث علي عليه السلام والاشتر وانهم مصبحوه جزع جزعا شديدا وامتلأ قلبه من الوجل وكان مع معاوية الضحاك بن شقيق صاحب رأية بني سليم مع النبي صلع وكان لمعاوية كارها وكان يكاتب عبد الله بن الطفيل باخبار معاوية فقال اني قائل شعرا ارغم به معاوية وقال ليلا ليسمع اصحابه :

الا ليت هذا اليل اطبق سرمدا \* علينا وانا لا نرى بعده غدا

وان كان هذا الليل وافى صباحه \* فليت الى مجرى الكواكب مصعدا

حذارا على انه غير مخلف \* مدى الدهر ما لبى اللبون موعدا

كأني به في الحرب كاشف رأسه \* مغذّ الىالهيجا يركب اجودا

يخوض غمار الموت في مدحية \* ينادي لدى نقع العجاج محمدا

باصحاب بدر والنضير وخيبر \* واحد يروون الصفيح المهندا

ويوم حنين جالدوا مع نبيهم \* لجمع من الاحزاب حتى تبددا

هنالك لا تلوي عجوز على ابنها \* وان اكثرت في القول نفسي لك الفدا

فقل لابن حرب ما الذي انت صانع \* اتثبت ام ندعوك في الحرب قعددا

فظني بان لا صبر للقوم موقفا \* فواقا وان لم يجر للدهر مقعدا

فاني اراني تارك الشام جهرة \* وان ابرق ا لعجاج منها وارعدا

فلما كان بصبح ست وثلاثين من ايام صفيني نادى امير المؤمنين علي ابن ابي طالب ع م بالرحيل من ليلته ، فقال عمرو بن العاص اظن الرجل يرتحل هاربا وذلك اذ سمعوا ذغاء الابل، فلما اصبحوا اذا علي ابن طالب صلوات الله عليه الى جانبهم فقال معاوية بن ابي سفيان كلا زعمت يا عمرو ان عليا قد ولى فضحك عمرو وقال هذه احد فعلات ابن ا بي طالب، فايقن معاوية بالهلاك ، ولما رأى معاوية اصحاب علي ابن ابي طالب صلى الله عليه قد دنوا من عسكره على رأياتهم ومصافهم وبرزوا للقتال قال لعمرو بن العاص ما ترى يا عمرو ، قال ارى ان رجالك لا يقومون لرجاله ، ولست مثله يقاتلك على امر وتقاتله على غيره ، يريد الفنا وانت تريد البقا ، وليس يخاف اهل الشام على خوفك اهل العراق ، قال يا عمرو الم تزعم انك لا تقطع في امر قط، فان اردت الخروج منه لاخرجت ، قال بلى ، قال فلا تخرج وتخرجنا مما ترى ، قال عمرو والله ان شئت دعوتهم الى امر افرق به جمعهم وازيد في جمعك ان اعطوكه اختلفوا ، وان منعوكه اختلفوا ، قال معاوية وما ذاك ؟ قال عمرو تأمر برفع المصاحف وتدعوهم الى ما فيها ، فان قبلوا افترقوا ، وان ردوه كفر بعضهم بعضا ولم ازل اذخرها لك يا معاوية فكانت الحيلة من عمرو بن العاص في رفع المصاحف المرة الاولى ولبس الحق بالباطل وادعى التزين بالاسلام وجيده منه عاطل ، فالحق كتاب الله والباطل ما ادعاه ، فامر معاوية ان يرفعوا المصاحف على رؤس الرماح ويقلدوها الخيل وارسلوا رجل ابن اهل الشام فبرز بين الصفين ناشرا للمصحف ونادى الله الله في دمائنا ودمائكم ، البقية ، كتاب الله بيننا يا اهل العراق ، من لذرارينا من الروم ان اهلكتمونا ، ومن لذراريكم من اهل فارس ان اهلكناكم وتلى الآية الم تر الى الذين اوتوا نصيبا من الكتاب يدعون الى كتاب الله ليحكم بينهم ثم يتولى فريق منهم وهم معرضون ، وقال تعالى في موضع آخر :واذا دعوا الى الله ورسوله ليحكم بينهم اذا فريق منهم معرضون،وان يكن لهم الحق يأتوا اليه مذعنين

فاقبل الاشعث الى امير المؤمنين ع م فقال يا امير المؤمنين والله لا نا\_\_ هذا ابدا وتابعه اشراف اليمن وركنوا الى الصلح وقالوا لامير المؤمنين صلى الله عليه والله لئن لم تقبل ما ندعوك اليه لنتركن القتال معك ، فقال امير المؤمنين صلى الله عليه يا اشعث ان القوم لا يريد ون كتاب الله ولا يدعون اليه ، واما جزعوا من السيوف ونصبوا كتاب الله لكم مكرا وخديعة ، والقوم غير عاملين بما فيه ، فامضوا على ما انتم عليه ولا يغلبون بباطلهم حقكم ، فابى الناس ذلك ووقع بينهم اللغط وكادوا ان يتضاربوا بالسيوف ، فقال امير المؤمنين ع م اللهم انك قد ترى انهم لا يطيعوني ، وابى الناس الا الاختلاف في القول ، وقام اهل الشام الى معاوية فقالوا له انك لم تزد ان اطمعت فينا اهل العراق وانهم لا يجيبونك الى ما دعوتهم اليه ، قدعى معاوية عبد الله بن عمر وعمرو بن العاص وامره ان يكلم اهل العراق فاقبل عبد الله حتى اذا كان بين الصفين نادى يا اهل العراق انا عبد الله بن عمرو انه كان بيننا وبينكم امور الدين والدنيا فمن كان للدنيا فقد فقد والله اسرفتم واسرفنا ، وان يكن للدين فقد والله اكثرتم و اكثرنا ، وقد دعوناكم الى امر لو دعوتمونا اليه اجبناكم ، فاتى سعيد بن قيس الهمداني الى امير المؤمنين ع م فاخبره بقول عمرو فقال امير المؤمنين ع م اجب الرجل فتقدم سعيد بن قيس بين الصفين ثم نادى يا اهل الشام انه كان بيننا وبينكم امور حامينا فيها عن الدين فقدمتمونا الى ما قاتلناكم عليه ، ولم يكن اهل العراق ليرجعوا الى عراقهم واهل الشام ليرجعوا الى شامهم بامر اجمل منه ، فان تحكموا بما انزل الله فالامر في ايدينا وهذا امامنا الذي بايعه المهاجرون والانصار وهو من تعلمون في دينه وفضله وسابقته ، وليس معاوية يقوم مقامه ، وان تابوا ذلك فنحن نحن وانتم انتم

ثم اهل العراق اتوا الى امير المؤمنين صلى الله عليه حين سمعوا قول عبد الله بن عمرو فقالوا اجب القوم الى ما دعوك اليه فانا دعونا عثمان الى ما دعاك القوم اليه فابى فقتلناه .

وكتب امير المؤمنين ع م مع الاشعث الى اهل الرأيات ان يرجعوا الى رحالهم حتى يروا رأيهم فلم يأت الاشعث قوما الا قالوا سمعا وطاعة حتى اتى رأية بني حنظلة فقام اليه عروة بن اذية فقال والله يا اشعث ان احق اهل العراق ان لا يخف لهذا ، انت لست الذي سقيتنا ماء الفرات ، وقد غلبنا عليه ، قال الاشعث بل ان الصلح خير ولسنا برادين ما دعانا اليه القوم ، قال عروة افترجو ود اهل الشام بعد ما خاضت الخيل في دماء القوم فاستوجبنا العداوة والبغضاء منهم واستوجب القتيل منا الحيوة والفوز في آخرته ، قال وادعو القوم ثم شد عروة على الاشعث بالسيف ليضربه فاخطاه ووقع السيف في عجز دابته وغضب اهل اليمن لما صنع ابن اذيه مع الاشعث وكان اكثرهم غضبا الاشتر وعدي بن حاتم وغضب على عروة قومه فاخذوه واتوا به الاشعث فقالوا له هذه ايدينا لك بجرم هذا الرجل فعفى لهم عنه ، وقال احسنوا ادبه ، وقال عروة بن اذية الحنظلي :

تحرم اهل الشام منا بشبهة \* وليس علينا قتلهم بمحرم

وقالوا كتاب الله يحكم بيننا \* فقلنا كتاب الله خير محكم

قبلناه عنكم والحوادث جمة \* رضينا به في حرمة المال والدم

فان قبلوه فالهدى في اكفنا \* والا اجتلد نا بالصفيح المصمم

بضر يزيل الهام عن مستقرها \* ونثني طعانا بالوشيح المقوم

ولا شيء ادنى من شفاء صدورنا \* والا فهبنا من بقية جرهم

وتضعضع الناس وارتابوا وظن اهل الشام ان اهل العراق لا يقبلون الموادعة

وذكروا ان معاوية دعى اخاه عتبة ابن ابي سفيان وقال له اذهب فالق الاشعث فانه ان رضي رضيت العامة وكان عتبة كمعاوية في المكر والدهاء فخرج عتبة حتى ووقف بين الصفين ثم نادى اين الاشعث؟ فقال الناس للاشعث هذا رجل يدعوك فقال الاشعث سلوه من هو ؟ فقال انا عتبة ابن ابي سفيان ، فقال الاشعث غلام مترف ولا بد لي من لقائه فخرج اليه ، فقال ما عندك يا عتبة ؟ فقال عتبة انك راس اهل العراق وسيد اهل الشام وقد سلف اليك من عثمان ما قد سلف من الصهر والعمل ولست كاصحابك ، اما الاشتر فانه من قتلة عثمان في من قتل ، واما عدي بن حاتم فحض عليه ، واما سعيد بن قيس فقلد ابا الحسن دينه ، واما شريح بن هاني وزجبر بن قيس فلا يعرفان الا الهوى وانك حاميت على العراق تكرما وحاربت اهل الشام حمية ، وقد بلغنا منك وبلغت الذي اردت وانا لا ندعوك الى ما لا يكون منك من ترك علي ونصر معاوية ولكنا ندعوك الى ما فيه البقية التي فيها صلاحك وصلاحنا

فتكلم الاشعث فقال له يا عتبة اما قولك اني راس اهل العراق وسيد اهل الشام فالراس الآمر والسيد المطاع وهاتان لعلي ، وهو احق الناس بهما ، واما ما سلف الي من امر عثمان فوالله ما زادني صهره شرفا ولا عمله غنى ، واما عيبك لاصحابي فهذا لا يقربك مني ، واما محاماتي عن العراق فمن نزل بيتا حماه ، واما البقية فلستم باحوج منا اليها ، ثم انصرف كل واحد منهما الى اصحابه

واخبر عتبة معاوية فقال له معاوية يا عتبة لا تلقين الرجل بعدها

ولما كثر قول الناس واختلاطهم لحيلحة عمرو بن العاص ورفعه المصاحف قام عثمان بن حنيف الانصاري وهو من اصحاب رسول الله صلع وكان له فضل ودين فقال :

ايها الناس اتهموا رأيكم ، فقد والله كنا مع رسول الله صلع يوم الحديبية وانا نريد ان نقاتل انكارا للصلح حتى ردنا عنهم رسول الله صلع ، وان اهل الشام دعونا الى كتاب الله اضطرارا فاجبناهم اليه اعتبارا ، ولسنا والقوم سواء ، اما والله ما عدلنا الحي بالحي ولا القتيل بالقتيل ولا الشام بالعراق ولا معاوية بعلي ابن ابي طالب وانه امر منعه نافع واعطاؤه غير ضار ، قد كلت البصائر التي كنا نقاتل بها ، ورحل اليقين الذي كنا نؤول اليه، وذهب الحياء الذي كان النداء اليه ، ولئن ابيتم هذا الامر ليرجعن ولئن استكره ليذهبن فاستظلوا هذا الفيء واقبلوا العافية ، فان قلتم نقاتل على ما كنا نقاتل امس عليه فهيهات هيهات ذهب قياس امس ورجاء غد.

فاعجب عليا ع م قوله وافتخرت به الانصار

وقام عدي بن حاتم الطائي بعد ان كثر اللجاج فقال ايها الناس انه والله لو ان غير علي دعانا الى قتال اهل الصلوة ما اجبناه وما وقع في امر قط الا ومعه من الله برهان ، وفي يده من الله سبب وقف عن عثمان عن شبهة وقاتل اصحاب الجمل على النكث واهل الشام علىالبغي واحالهم امس الى الانصاف فانظروا في امركم وامره فان كان له فضل ليس لكم مثله فسلموا له، والله لئن كان الى العلم بكتاب الله والسنة انه لاعلم الناس ، وان كان الىالاسلام انه لاحق برسول الله صلع والرأس في الاسلام ، ولئن كان الى الزهد والعبادة انه لاظهر للناس زهدا وعبادة ، ولئن كان الى الشرف والنجدة انه لاعظم الناس شرفا واكرمهم نجدة ، وان كان الى القرب من رسول الله صلع انه لاقربهم قربة وادناهم رحما ، ولئن كان الىالرضى للعامة لقد رضيه المهاجرون والانصار وبايعوه بعد عثمان ونصروه على اهل الجمل واهل الشام ، فما هذا الفضل الذي قربكم من الهدى وما هذا النقص الذي قربه الى الضلال، والله لو اجتمعتم جميعا على امر لاتاح الله له من ينصره ويقاتل معه لامر مقضي وكتاب سبق ، فاعترف كل اهل صفين لعدي بن حاتم بالفضل ورجع كل من شغب على علي ع م عند قوله، وقال عدي بن حاتم في ذلك :

احقا بانا لا تجوز عقولنا \* ترقينا في الحادث المتفاقم

وانا نريد الامر نطلب فضله \* ونقصده عند الامور العظائم

الى هاشمي لا يشق غباره \* فداه على البلوى عدي بن حاتم

فمن ذا يجاريه ليبلغ فضله \* ودون بلوغ الشام جزّ الغلاصم

فما هكذا الانصاف حتى تسلموا \* لامجد واري الزند من آل هاشم

فوالله لو لا الله لا شيء غيره \* وان عليا دون بيح المحارم

لاصبح اهل الشام اربد مصرنا \* ولكنه من مصرنا غير نائم

واقبل عدي بن حاتم الى امير المؤمنين ص ع فقال انه وان كان اهل الباطل لا يقومون لاهل الحق فان لم يقتل منا عميد الا واصب منهم مثله وكل مقروح ولكنا اهل بقية وقد جزع القوم وليس بعد الجزع الا ما تحت ان شاء الله ، فناجز القوم وقام مالك الاشتر رح فقال يا امير المؤمنين معاوية لا خلف له من رجاله ولك بحمد الله الخلف من رجالك ولو كان له مثل رجالك لم يكن له مثل صبرك فاقرع الحديد بالحديد واستعن بالله عليهم ، ثم قام الاشعث بن قيس مغضبا فقال يا امير المؤمنين انا لك اليوم كما كنا لك امس ، ولست ادري كيف نكون من الغد وقد والله كل الحديد وقلت البصائر وما آخر امرنا كأوله وما القوم الذين كالملوك باحمى على العراق مني ولا اوتر لاهل الشام مني ، فاجب القوم الى كتاب الله فانك احق الناس به وقد احب الناس فيه البقا ، وقام اهل العراق فتكلموا فمن رغب في الصلح مشير الى اجابة ما دعى اليه اهل الشام ومن قائل يا امير المؤمنين انما انت اعلمنا بربنا واقربنا بنبينا فانفذ لرأيك نتبعك وان حربا وان سلما فانت الولي المطاع ، ونحن الرعية والاتباع ، ومن قائل يقول ان قتيلنا شهيد وان حينا لثائر وانك يا امير المؤمنين على بينة من ربك فناجز القوم

ولما اكثروا الاختلاط في القوم وتنازعوا واختلفوا قام الاشعث واهل اليمن فقالوا لامير المؤمنين ما قالوا ورأى امير المؤمنين ع م منهم ما رأى وكادوا يرجعون عليه بالسيوف قال عليه السلام : اللهم انك تراهم لا يطيعون

فقام عمار بن ياسر حين رأى ذلك الى امير المؤمنين ع م فقال يا امير المؤمنين اما والله لقد اخرجها معاوية غير بيضاء ولا نقية من اقرّ بها هلك ومن انكرها سلم ، كهيئة نهر طالوت ، ما لنا شكـكنا في ديننا وارتددنا عن بصائرنا، انحكم في ديننا بعد ان قتل منا ومنهم مائة الف افلا كان ذلك قبل السيف وقبل طلحة والزبير وقبل عائشة ، الست احق الناس بالرسول وابن عمه واولى بالحق منهم ، وان من خالفك ضال حلال الدم ، وقد حكم الله في هذه الملل بما تعلمه مما انت به اعلم ، فان يكن القوم مشركون وكفارا فليس ان نرفع السيوف عنهم حتى يسلموا ،وان كانوا من اهل الكتاب فليس لنا ان نرفع السيف منهم حتى يسلموا او يؤدوا الجزية عن يد وهم صاغرون، وان كانوا اله قبلتنا بغوا علينا فليس ان نرفع عنهم السيوف حتى يفيئوا الى امر الله واطفئت الفتنة حينئذ

فقال امير المؤمنين :

اني لهذا الامر لكاره ، وما هو من رأيي، وما جزع القوم الا من حر السيوف ، واني لعلي بينة من ربي الفظها لفظا

فقال عمار بن ياسر لما رد عليه امير المؤمنين عليه السلام اني لهذا الامر لكاره ، وان ذلك ليس من رأيي ، فقال عمار اللهم انك تعلم لو اعلم ان رضاك في ان اقذف نفسي في هذا اليم لفعلت ، اللهم انك تعلم لو اعلم ان رضاك ان اضع سيفي في صدري ثم اتكئ عليه حتى يخرج من ظهري لفعلت ، اللهم واني لا اعلم اليوم عملا هو ارضى عندك من جهاد هؤلاء الفاسقين ، ولو اعلم عملا هو ارضى منه لطلبته .

وفيما يروي الرواة عن صالح بن ابراهيم عن رجل من اسلم قال شهدت صفين مع الناس وقد امسك الفريقان عن القتال اذ اقبل عمار بن ياسر في عسكر كالليل المدلهم قد شد عليه سلاحه وهو يقول هل من رائح الى الله على الظمأ يرد الماء ، الجنة تحت اطراف العوالي .

وقد روي عن الاصبغ بن نباته قال مررت بعمار والناس حوله بعد ان كاعوا عن القتال وعملت فيهم حيلة بن العاص وهم يقولون يا ابا اليقظان دعوة كدعوتك يوم الجمل ، قال اني ارى قوما ليضربنكم ضربا يرتاب فيه المبطلون ، وايم الله لو ضربونا الى الله يبلغونا سعفات هجر لعلمنا انا على الحق وانهم على الباطل ، وان قتلانا في الجنة وقتلاهم في النار .

فلما كان يوم سبعة وثلاثين من صفين وهو الذي يسمى فيلق الموت تقدم عمار بن ياسر رضوان الله عليه وهو يقول :

اني انا عمار شيخي ياسر \* وكلنا فمؤمن مهاجر

اني الى خيري وشري صائر \* والحق في كف علي ظاهر

وتبعه عمرو بن الحمق وهو يقول :

اني انا بن الحمق بن عمر \* من معشر شم الانوف زهر

حي يمانين عظيم القدر \* ادعو الهي بشفاء صدري

من معشر الفجار اهل الغدر \*

وتبعه ابو الهيثم ين التيهان وهو يقول :

انا ابو الهيثم شيخي التيهان \* اقول قولا ليس فيه بهتان

شري بما فيه على الركبان \* الله رب العالمين الرحمن

منزل الآيات اي الفرقان \* خص عليا بالهدى والبرهان

بيعة رضوان وفيها الرضوان\*

فاتبعهم الناس وقاتلوا قتالا شديدا وخرج رجل من حي خثعم من اهل الشام وهو يقول :

قد علمت خثعم في الليالي \* اني شديد في الوغا نزالي

اضربهم بباتك فصال \* هل فارس يبرز للقتال

فخرج اليه وهب بن مسعود بن وهب وهو يقول :

قد علمت بيضاء في الحجال \* ذات جمال بيّن الكمال

اني لدى الحرب فتى الابطال \* كالليث يحمي غيضه الاشبال

انصر دين الله ذي الجلال \* مع الوصي المرتضى المفضال

فشد على الشامي فقتله

وحمل رجل من اهل العراق يقال له ابو كعب معه رأية خثعم فقتل ستة من اهل الشام ثم حمل عليه صاحب رأية خثعم من اهل الشام فطعن ابا كعب يرحمه الله فقتله ، فاخذ الرأية ابنه كعب بن ابي كعب وهو يقول :

اليوم يوم كاسف التنوير \* نحمل في الهيجاء كالصقور

مع الوصي العالم البصير \* لا بد من زيارة القبور

فحمل عليه الرجل من خثعم الشام فطعنه كعب بن ابي كعب فقتله ، وخرج اليه رجل آخر من خثعم الشام وهو يقول :

اصبر فتى كعب لطعن ماجد \* ليث على الاعدا شديد الساعد

بنصر عثمان الامام القائد \*

فطعن كعبا فقفاعينه وضربه فصرعه فاخذ الرأية شريح بن مالك الخثعمي من اهل العراق وحمل وهو يقول:

لاحملن اليوم مشرفيا \*يقطع الهامات خثعميا

ارضى به علياً الوصيا \*

فلم يزل يقاتل حتى هزم خثعم الشام بعد قتال شديد فقتل من خثعم الشام ذلك اليوم ثمانون رجلاا ، وقتل من خثعم العراق خمسون رجلا وقتل كثير من غيرهم من الفريقين

وفي يوم ثمانية وثلاثين من صفين قال معاوية في حديث لاصحابه لم الق من حي ما لقيت من ربيعة ، وايم الله ان امكنني الله منهم لانزلهم منازلهم ، اني لست اسأل عن فارس ولا ادعو به الا قيل قتله ربيعة ، ثم قال لعمرو بن العاص وعبد الرحمن بن خالد بن الوليد اني قد وليتكما حربهم اليوم ، ونادى في اهل الشام فلم يبق فارس تذكر منه شدة الا بعثه مع عمرو وعبد الرحمن

وقام حريث بن جابر في اصحابه فقال لهم بعد حمد الله والصلوة على محمد نبيه وآله ، اما بعد ، فان معاوية قد اخبركم ان ربيعة قتلت عثمان وقد تواعدكم وعبأ لكم عيون اهل الشام ولم يترك شيئا يقوى عليكم الا رماكم به، واعلموا ان هذا يوم ستحمله العرب فاتقوا الله واصبروا فان الله وعد الصابرين خيرا ،وانما انتم بين احدى الحسنيين ، اما شهادة فمرافقة محمد صلع في جنات النعيم ،واما ظفر فتذهبون بالفضل والشرف في الدنيا والآخرة

واقبل عمرو بن العاص وهو يقول :

يال جذام ثم يال اغسان \* ان بني بكرهم للاضغان

قد فتكوا لبغيهم بعثمان\*

واقبل عبد الرحمن يتبعه وهو يقول :

لانصرن والدي عثمانا \* بصارم يفصل الاركانا

ما لعلي يدعى السلطانا \*

ولقيهما حريث بن جابر الحنفي وهو يقول :

قل لابن هند ما الذي تريد \* اتاك ليث غابة شديد

ان عليا بالهدى رشيد \* اني عن ابن العاص لا احيد

ارجو ثواب الله لا يبيد \*

واتبعه ابو عرفا الكبري وهو يقول :

اليوم تبدو ضرو العواتق \* من ضرب ابطال لكل فاسق

وكل كفار وكل مارق \* بابيض للسابغات خارق

يسمع منه الوقع كالصواعق \* ابلغ عليا خيرة الخلائق

ان بن هند صاحب البوائق \* منافق ينمي الى منافق

لا انتهي عن مبلغ السرادق \* برأية فوق جواد شاهق

يهوي الى الاعدا كنسر خافق \* يا رب فاجعل ذا الهدى موافقي

محمدا في الغرف السوابق \* يا خير مأمول وخير رازق

واستقبل حريث عمرو بن العاص فضربه –- وعلى هامته وولى هاربا ، وثبت عبد الرحمن بن خالد وشد على ابي العرقا فطعنه وصرعه وصبر بعضهم لبعض وباشر عبد الرحمن القتال يومئذ فجن خمس جراحات، وقتل من ربيعة تسعمائة رجل، ومن اهل الشام الف وتسع مائة، وادركهم الليل فباتوا يقتتلون حتى ذهب من الليل نصفه، فبعث امير المؤمنين صلى الله عليه الى ربيعة بعزيمتي عليكم الا ما انصرفتم فرجعوا ، وبات الناس يصلحون السلاح ويداوون الجرحا حتى اذا كان وقت السحر نادى منادي كل عشيرة السلاح والصلوة والركوب واللحوق بالمصاف ، فاصبح الناس على مصافهم في اليوم التاسع والثلاثين من صفين ، وهو اليوم الذي يقال له يوم الميدا ، اصبح الناس فيه يميدون من النعاس والجرح ، وفي ذلك يقول زياد بن حنظلة :

شجى من غداة الميد والقتل فيهم \* كأن رحيقا سائلا فوقهم يجري

وهم قاتلونا يوم ذاك واسرعوا \* فما زال فيه الضرب والطعن بالسمر

وسمي ايضا ذلك اليوم يوم الغمغمة

فعبأ معاوية جيب من مسلمة الفهري وعتبة ابن ابي سفيان في اهل الشام ، وقال لهما توليا لقتال اليوم، وعليكما بربيعة خاصة ، ولا يؤتى اهل الشام من قبلكما فاقبل عتبة وجيب وكان جل من معهما وبلغ ذاك امير المؤمنين صلى الله عليه فعبأ لهم ربيعة وولى امرهم خالد بن المعمر وشفيق بن ثور الذهلي وقال عليه السلام :

يا معشر ربيعة انتم شعاري ودثاري وخاصتي فكونوا عند ظني بكم ولا يؤتى اهل العراق من قبلكم ، فقام خالد بن المعمر وشقيق فحرضا الناس على الصبر والجد وقال خالد :

يا معشر ربيعة انكم بحمد الله علىما يحب امير المؤمنين في بصيرة ودين واهل الشام لا دين لهم، انما يقاتلون على هذه الدنيا حمية وانفا ، وانتم على احدى الحسنيين اما شهادة فتكونوا احياء مرزوقين واما ظفر فاجر وشرف ، واقبل جيب من مسلمة قد تقدم خيله وهو يقول :

لاضربن اليوم كل عاصي \* من قاتل الخليفة المصاصي

انهم لو يذهبوا قصاصي \*

واقبل عتبة بن ابي سفيان خلفه وهو يقول :

انا ابن حرب قد نماني فخرا \* صخر ومن ذاك سيما صخرا

عتبة لا تجزع ولكن صبرا \* لاطعنن القوم طعنا شزرا

فطعنا ومن معهما في عراض الخيل حتى انكشف الناس من كل جانب وتقدم خالد بن المعمر وهو يقول :

قل لابن هند قد اتاكم جحفل \* يهديهم الله المليك المجزل

قائدهم ليث تليه الاشبل \* ذاك علي سيد مفضل

اخو رسول الله حين يسأل \* من بعده فهو المصلي الاول

فشد على جيب بن مسلمة فلما غشيه بالرمح رمى جيب نفسه عن الفرس ومضى خالد واقبل شقيق بن ثور الذهلي يقعف خالدا وهو يقول :

قل لابن هند البغي عن شقيق \* قد جئت فوق اجرد سحوق

اسحب رمحا لي كالعقيق \* وصارم يلمع كالحريق

ارجو ثواب الملك الرفيق \*

ثم حمل عليه فلم يبن حتى الحقه بالعسكر وفر عنه عتبة وكان جبانا ، ولم يزالوا يقتتلون كاشد قتال رآه احد من الناس وجرح خالد وشقيق واصيب يومئذ منهم الف ومائتا رجل واصيب من اهل الشام اضعاف ذلك ، فلما رأى معاوية ذلك دعى ابا الاعور السلمي وبعث مضر معه خاصة فاقبل ابو الاعور على اصحابه فامرهم بالصبر وقال لهم انكم تنتصرون الخليفة المظلوم فلا يلزم اهل الشام عار قبلكم ، فكونوا صادقين فلما بلغ ذلك عليا عليه السلام دعى كردوس بن هاني الثعلبي وكان من فضلاء اصحابه ووجوههم وكان في نحو مما كان فيه ابو الاعور السلمي فقام كروس خطيبا وقال :

الحمد لله الذي خلق السموات والارض وجعل الظلمات والنور ثم الذين كفروا بربهم يعدلون ، نعوذ بوجه ربنا ان نعدل شيئا او ان نتخذ من دونه وليا ، الحمد لله الذي اسبغ النعمة ولو شاء كان منه النقمة واظهر الجميل وستر القبيح فله الحمد على ما اعطى وله الحمد كما ينبغي له جل ثناءه وتقدست اسماءه ، اشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له واشهد ان محمدا عبده ورسوله الامي وامينه المؤدي ارسله بشيرا ونذيرا وداعيا الى الله باذنه وسراجا منيرا ، يبشر من اطاعه وينذر من عصاه فبلغ ما ارسل به وجاهد من امر بجهاده حتى ظهر امرالله وهم كارهون ، عباد الله تواصوا بتقوى الله وطاعته والصبر واعلموا ان الفرار من الزحف كفر ، فعليكم بالصبر والجد ، فانكم تلقون رؤس الاحزاب واعداء الرسول والكتاب وطغام الاحزاب ، وانتم والحمد لله على بينة من ربكم ومع ابن نبيكم واخيه في المواطن ولي كل مؤمن وهو على بينة وبرهان من ربه فاصبروا وصابروا واتقوا الله لعلكم تفلحون ، واتموا صفوفكم واقلوا الكلام وكونوا صادقين ولا يكونن هؤلاء الضلال على باطلهم اصبرمنكم على حقكم ، عصمنا الله واياكم عن الكفر بعد الايمان ومن الضلالة بعد الهدى ومن الفتنة بعد المعرفة ، واستغفر الله لي ولكم ، واقبل ابو الاعور متقدما اصحابه وهو يقول :

اضربكم ولا ارى عليا \* ذاك الذي قد قتل الوليا

ذاك الذي قد قتل التقيا \* ذاك الذي قد قتل المهديا

لسنا عليه ناقمين شيئا \* الا الامام السيد البريئا

اسأل ربا واحدا قويا \* ان ينصر الخليفة الرضيا

ان انا نلت ذلك الوصيا \* جللته ابيض مشرفيا

فحمل عليه كردوس بن هاني وهو يقول :

يا ايها المبتغي عليا \* ان تلقه تلق فتي بدريا

مكر بالمجد ابطحيا \* اضربكم ولا ارى الغويا

اعني ابن هند لم يزل شقيا \* لأمنعن منكم عليا

اخا النبي المرتضى الزكيا \* ارجو الاله المالك القويا

ان امامي لم يزل مرضيا \*

فاستقبله ابو الاعور واطعنا برمحهما واضطربا باسيافهما فلم يصنعا شيئا ، واشتبك القتال وصبر بعضهم لبعض وقتل بينهم الفان واربع مائة من اهل العراق وسبع مائة وباقي القتلى من اهل الشام ، وكان يوما شديدا ،

فلما رأى ذلك معاوية دعى ابن العاص عمرا فقال له انتجب من العسكر عشرين الفا، وتوال القتال بقية يومك هذا فاني لم ار ممن عبات خيرا،

ثم قام عمرو يوصيهم بالصبر والمحافظة فقال عليكم بالصبر يا اهل الشام فانكم تقاتلون قوما قتلوا الامام وادعوا الاحكام وانتم اعدائهم وفيكم اكفائهم واقيموا صفوفكم واعيرونا جماجمكم ساعة من نهار ، فقد بلغ الامر الى انقطاعه ، فبلغ ذلك امير المؤمنين صلى الله عليه فوجه الاحنف بن قيس في مثل عدة اصحاب عمر وكان معظمهم بنو تميم فقام الاحنف خطيبا فقال :

الحمد الذي انزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجا قيما احمده على نعمه السوابغ وبلائه الحسن الجميل ، حمدا كما هو اهله، واشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له، وان محمدا عبده ورسوله ارسله بالحق بشيرا ونذيرا ، ليهلك من هلك عن بينة ويحي من حي عن بينة ، فكان اول من صدقه واتبع ما جاء به ابن عمه علي ابن ابي طالب وكان يقيه بنفسه حتى ظهر امرالله وكان اشد الناس عداوة واعظمهم تكذيبا هؤلاء قادة الطغام ، فلا تدخلوا الشك في قلوبكم في جهادهم فوالله ان ينازعونكم الا على دنياهم ، فاتقوا الله وكونوا مع الصادقين ، واعلموا ان الثواب على قدر العمل وان الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون ، ثم تقدم فيمن معه من همدان ومدحج هو يقول :

ان تميما للحروب تزحف \* يقدمهم عطارد والاخنف

همدان قوم كلهم مشرف \* ومدحج تجيب اذا تهتف

واستقبل عمرا فلم يمهله ان ضربه في وجهه وضربه عمرو فجرحه وثبتت خيلهما ورجالهما فقتل من الفريقين الف من اهل الشام وخمس مائة من اهل العراق وانصرف عمرو بن العاص حتى دخل على معاوية فاراه الجراح الذي في وجهه فقال له معاوية صبرا يا ابا عبد الله فقد وقع اجرك على الله ، فقال عمرو يا معاوية اياي تخدع ، اما والله لو اردت الآخرة لكنت مع علي ابن ابي طالب، وكان بين الناس في ذلك اليوم قتال شديد لم يكن مثله فيما قبله وصبر الفريقان جميعا فكسروا اغمدة السيوف ومشى بعضهم الى بعض بالسيوف مصلتة فلم يكن يسمع الا تغمغم الرجال وصلصلة الحديد ووقع الظبير في الهام ، وامسوا على ذلك حتى ذهب هوي من الليل ورجع الناس الى مصافهم وبات الناس متحاجريين وقد كرهوا القتال وكل يظن الدائرة عليه

فلما كان يوم الاربعين وهو يوم الفنا ، اصيب فيه عمار بن ياسر وجماعة من المهاجرين والانصار وتفانى الناس ولم يكن في الاسلام بلاء ولا قتل اعظم منه فحدث الرواة من عبد الرحمن بن جندب بن عن ابيه قال ما رأيت امير المؤمنين غلس بصلوة الغداة اشد من تغليسه يومئذ ثم خرج بالناس فدنا من اهل الشام .

وعن جابر بن زيد الجعفي رضوان الله عليه قال استقبل امير المؤمنين عليه السلام بوجهه القبلة حين انصرف من صلوة الفجر من يومه ذلك وقال اللهم اليك بسطت الايدي ورفعت الابصار وافضت القلوب ونقلت الاقدام ، اللهم افتح بيننا وبين قومنا بالحق وانت خير الفاتحين ، ثم دعى هاشم بن ابي وقاص وعمار بن ياسر وخزيمة بن ثابت الانصاري ، فقدمهم في المقدمة فنادى عمار بن ياسر في الناس من يبتغي رضوان الله عليه ولا يؤب الى مال ولا اهل ولا ولد، فاتته عصابة من الناس فقال يا ايها الناس اقصدوا منا نحو هؤلاء الفاسقين وتقدم هاشم بن عتبة حاملا للواء يرقل امام الناس ينصبه لهم فيقتدون به ويزحف زحفا وهو يقول :

ار قل ار قال الفينق الخاضب \* انفي عن القوم عجاج الحاصب

عند اصطكاك السمر والقواضب \*

ولحقه عمار بن ياسر من خلفه وهو يمور الناس مورا ، فقال يا هاشم انته الى القوم حتى تلقاهم ، قال هاشم دعني وما اريد فانك تخف في الحرب وانما صاحب القوم من مكث ولم يعجل فيقطع اصحابه قبل لقائه فقرعه عمار رضوان الله عليه بالرمح وقال له ولكنك جبنت وجعل عماريقول :

لا خيرفي اعور لا يغشى الفزع \* في كل حين لم يرع ولم يرع

فقال هاشم اتعيرني بالجبن والله لاوردنك حياض الموت فالزم وخرج ابو الهيثم بن التيهان ذو الشهادتين وهو اول من وضع يده على يد رسول الله صلع ليلة العقبة مبايعا له ، وشهد مع رسول الله صلع بدرا وجميع مشاهده ، فجعل ابو الهيثم يطوف الصفوف وهو يقول يا اهل العراق ليس بينكم وبين الفتح العاجل او الجنة في الآجل الا قليلا فارسوا اقدامكم واستووا في صفوفكم واصبروا ان الارض لله يورثها من يشاء من عباده وللعاقبة للمتقين ، وطفق هاشم المر قال : يا ايها الناس احملوا على عدوكم وصفوا جحفكم واثقلوا في مشيكم لتلقوا عدوكم وانتم مريحون على انفسكم ، قيل وانما سمي المر قال لانه كان اذا رأى الحرب ارقل اليها ارقال الفحل، وكان اعور اصيب عينه يوم اليرموك بالشام ، وكان رجلا ضخما فحمل فطعن باللواء حتى خضبه دما وكان جل من معه الرجالة فقتدم امام الصفوف فقال معاوية اتدرون من اعطى علي لواء ، قالوا نعم اعطاه هشا غير دهشي، واشتد القتال وطعن بالراية المر قال حتى اعي او قام ليريح ، فقال له امير المؤمنين صلى الله عليه يا هاشم حتى متى تأكل الخبز وتشرب الماء فدع القعود في هذا الموضع ، فقال هاشم ستعلم يا امير المؤمنين والله لاغيبن بين جماجم القوم ، وقال له عمار يا هاشم احمل فداك ابي وامي فقال هاشم يا ابا اليقظان انك لتخف في الحرب واني ازحف اليهم باللوء زحفا ، ارجو ان انال بذلك حاجتي واني ان اجمعت لم امن الهلكة فلم يزل عمار بهاشم وقال له اعورا وجبنا فحمل هاشم وهو يقول :

اعور يبغي اهله محلا \* قد عالج الحيوة حتى ملا

لا بد ان يفل او يفلا \*

ونظر اليه معاوية فوجه اليه حماة اصحابه ولقي هاشم رجلا من اهل الشام من همدان ثم من عذر وهو يقول :

يا اعور العين رمى فيها العور \* كيف ترى ضرب غلام من عذر

يبغي ابن عفان ويلحيمن غدر \*

فحمل عليه هاشم وهو يقول :

اعور يبغي نفسه خلاصا \* ميل الفينق لابسا دلاصا

ولن يجد عن يومه مناصا \*

فطعنه هاشم فقتله ومضى قدما وهو يقول : والله لا ارجع الى امير المؤمنين حتى اموت وقال :

قد اكثر الوصي وما اقلا \* ساصبر النفس الى ان تجلا

مع الذي لمجده استقلا \* وصلى وخير آل هاسم تولى

يقفو النبي الفاضل الاجلا \*

ثم قال ايها الناس لا يهولنكم ما ترون وجعل يطعن ويضرب فانه كذلك اذ خرج من اهل الشام فتى شاب يحمل ولا ينثني حتى يطعن ويضرب ويشتم ، ويقول :

انا ابن مها ارباب ملوك غسان \* بناءنا قراعنا بايقان

ان عليا قاتل ابن عفان \*

فقاله هاشم يا عبد الله ان هذا الكلام بعده الخصام ، وان هذا القتال بعده الحساب ، فاتق الله فانك الى الله ترجع وهو سائلك عن هذا الموقف ، وما اردت به ، قال الغلام اني اقاتلكم ان صاحبكم ذكرلي انه لا يصلي وانكم لا تصلون ، واقاتلكم ان صاحبكم قتل خليفتنا وانتم وازرتموه على قتله ، قال هاشم وما انت وابن عفان انما قتله اصحاب محمد صلع وابناء اصحابه وقز الناس حين احدث الاحداث وهم اهل الدين واولى بالنظر في امور الناس منك ومن اصحابك ثم الا اظن امر هذا الدين وامر هذه الامة عناك طرفة عين قط ، قال اجل والله، قال فان هذا الامر لا علم لك به فخله واهل العلم به، قال اظنك واله قد نصحتني ، قال وما قولك ان صاحبي لا يصلي فهو اول من صلى لله وافقه خلق الله في دين الله واولى في دين الله فلا يغررك عن دينك الاشقياء المغرورون ، قال الفتى يا عبد الله هل تجد لي من توبة ، قال نعم ان تبت تاب الله عليك ، فانه يقبل التوبة ، ويعفو عن السيئات ، فولى الفتى عن الناس راجعا ، فقال له رجل من اهل الشام خدعك العراقي ، قال لا بل نصح لي

ولم يزل المرقال يقاتل حتى اثقلته الجراح واثر فيه فسقط اللواء من يده وكان جل اصحابه اسلم وربيعة فنادى امير المؤمنين ع م اللوا اللواء فشد شقيق بن ثور فاخذ اللواء، فقال له هاشم والدماء على وجهه وبه رمق من ا نت ؟ قال انا شقيق بن ثور ، قال خذه واهله انت وافضل ، اقرء امير المؤمنين السلام واخبره بمصرعي وقل له انشدك الله لما اصبحت بخيلك وقد ربطتها بالقتلى فان الدائر لمن غلب على القتلى فمضى شقيق باللواء وهو يرتجز ويقول :

لا تخش قد قام بها شقيق \* باللعن في الوغى بها حقيق

يهوي الى الموت لها عتيق \* في درعه كأنه فنيق

ان شقيقا باللواء خليق \*

ثم اخذ اللواء وانصرف الى امير المؤمنين عليه السلام برسالة المرقال رحمة الله عليه فقال امير المؤمنين عليه السلام رحم الله هاشم نصحنا حيا ونصحنا ميتا ، ثم حمل هاشم بن هاشم ابن عتبة المرقال وهو يقول :

يا هاشم ابن عتبة ابن مالك \* اعظم شيخ من قريش هالك

تخبطه الخيلات بالسنابك \* في رهج من نقعهن حالك

ابشر بحور العين والارائك \* والروح والريحان غد ذلك

وقتل بين يدي هاشم سبعة قواد من اسلم بعد ما قاتلو وقاتلوا قتالا شديدا ، وابلوا بلاء حسنا ، فقال فيهم ابن آماق الانصاري :

جزى الله خيرا عصبة اسلمية \* حسان الوجوه صرعوا حول هاشم

يزيد وعبد الله منهم ومعبد \* وسلمان وابنا هاشم ذي المكارم

وعتبة لا يبعد ثناؤه وذكره \* اذ الحرب هاجت بالخفا والصوارم

اذا اضطرب الاقدام واختلف القنا \* وكان حديث القوم ضرب الجماجم

ثم رجع عمار بن ياسر رضي الله عنه الىعليي ع م فقال يا امير المؤمنين اهذا يوم العتيق الذي اخبرنا به رسول الله صلع فسكت عنه امير المؤمنين ع م فقال انشدك الله يا امير المؤمنين اهو الذي اخبرنا عنه رسول الله صلع فرفع رأسه فنظر الى الشمس فقال نعم ، الآن ، فتقدم عمار رضي الله عنه في اصحابه الى الصف فقال امير المؤمنين ردوه فانطلق اليه رجل لرده ، فقال يا امير المؤمنين لم رددتني اخوفا ان اقتل ، قال ليس لذلك رددتك ولكن عليك السلام ورحمة الله وبركاته ، رضي الله عنك وجزاك خيرا عن الله وعن رسوله صلع ثم قال للرجل خل عنه فخرج عمار رضوان الله عليه يضرب سيفه وهو يقول :

نحن قتلناكم على تنزيله \* فاليوم نضربكم على تأويله

ضربا يزيل الهام عن مقيله \* ويذهل الخليل عن خليله

ويرفع الحق الى اصوله \*

فلم يزل يضرب بسيفه ومعه خزيمة بن ثابت ذو الشهادتين وابو الهيثم بن التيهان فقاتلوا اشد القتال وتقدم عبد الله بن بديل الخزاعي رحمة الله عليه فقال لاصحابه استقدموا فوالله لان رأيت معاوية لاقتلنه فارسل اليه الاشتر لا تفعل ، قاتل مع الناس فهو خير لك وابقى لك ولاصحابك فابى ومضى نحو معاوية وحوله مثل الجبال، وعلى عبد الله درعان وهو يقول :

لم يبق غير الصبر والتوكل \* اخذ رمي مع سيف مصقل

ثم لتمش في الرعيل الاول \* مشي الجمال في حياض المنهل

فجعل لا يدنو منه رجل الا قتله حتى دنى من معاوية فنهض معاوية من مكانه ونهض اليه ا لناس واحدقوا به فزعموا ان معاوية لما رآه قال اراه كبش القوم ، ثم قال اني ارى رجلا لا يقتل بالسلاح، عليكم بالصخر فرمى بالصخر حتى قتل رحمة الله عليه ، فلما قتل قام اليه معاوية فنظر الى وجهه رحمة الله عليه فاذا هو ميت وعليه درعان قد ظاهر بينهما ، فقال معاوية هذا والله كما قال الشاعر :

رأتي كامثل ذا اللجام ولن يرى \* اخو الحرب الا اشعث الرأس اغبرا

اخو الحرب ان عضت به الحرب ضها \* وان شمرت يوما به الحرب شمرا

وكان اذا ما الموت حم لقاؤه \* مدى السير محمي الالف ان يتأخرا

كليث عرين كان يحمي ذماره \* رمته المنايا قصدها فتقصرا

وقال معاوية والله لو استطاعت نساء خزاعة ان تقاتلنا فضلا عن رجالها لعفكت

وقتل من اصحاب ابن بديل خلق كثير ، قتلوا اعدادا ورجعت طائفة منهم وانهزم بعضهم وبعث الاشتر الحرث بن جهمان الجعفي فحمل في كردوس على اهل الشام الذين كانوا اتبعوا من نجى من اصحاب ابن بديل حتى كشفوهم عنهم وانتهى اصحاب ابن بديل الى الاشتر فقال الم يكن رأيي خيرا لكم من فنائكم ، الم آمركم ان تثبتوا مع الناس

وفيما روي عن مالك بن اعين عن زيد بن وهب قال مرّ امير المؤمنين صلى الله عليه وتبعه بنوه ، واني لارى النبل وهي تقع بين عاتقه ومنكبه فما من بنيه الا من يقيه بنفسه يتقدم فيحول بينه وبين اهل الشام فيأخذ امير المؤمنين ع م بيده ويرده الى خلفه فنظر الى احمر مولى ابي سفيان فقال علي ورب الكعبة قتلني الله ان لم اقتله اولم يقتلني، فاقبل اليه كيسان مولى امير المؤمنين ع م فاختلفا ضربتان فقتل كيسان ووثب اليه امير المؤمنين ع م فاخذ بجيب درعه قال فكأني انظر رجليه على عاتق امير المؤمنين ع م ثم ضرب به الارض فكسر منكبه واعضائه وشد عليه الحسين ومحمد فضرباه باسيافهما فكاني انظر الى ابي الحسين ص ع وان شبليه ليضربان الرجل الى ان قتلاه ، ثم اقبلا الى ابيهما والحسن ع م قائم معه فقال ما منعك ان تفعل كفعل اخويكم قال كفياني يا امير المؤمنين وكرهت

(و عن نمير بن وعلة عن عامر الشعبي أن علي بن أبي طالب ع مر بأهل راية) فرآهم لا يزولون فحرض عليهم اصحابه فقال ان هؤلاء لن يزولوا عن مواقفهم دون طعن دراك تخرج منه النسم وضرب تسقط منه المعاصم والاكف حتى تصدع جباههم باعمدة الحديد

ثم قال عليه السلام اين اهل الصبر وطلاب الاجر ، فقام اليه عصابة من المؤمنين فدعى ابنه محمد ابن الحنيفية فقال سر الى اهل الرايات مشيا على هيئتك حتى تشجر في صدورهم الرماح ثم امسك حتى يأتيك رأيي، ففعل محمد ونهض بمن معه في وجوههم وشرعوا الرماح في صدورهم فقتلوا منهم خلقا كثيرا وازالوهم عن مواقعهم

وضم عمار اليه كتيبة عبد الله بن بديل الخزاعي الرحراحة وكان فيها ثمانية الف فلم يزل يقاتل بها ومعه والمهاجرون والانصار فقاتلوا اعظم قتال واشده حتى قاموا على الركب ضربا بالسيف ثم عطف عمار بن ياسر رضي الله عنه فاقبل الىحقبة حريث فاستسقى فاتاه غلام باداة فيها ضياح من لبن فتناولها عمار وهو يظن فيها ماء، فلما رآها لبنا كبر ، وقال سمعت رسول الله صلع يقول آخر زادك من الدنيا ضياح من لبن ، ثم قال عمار رضي الله عنه اليوم القى الاحبة محمدا وحزبه ، وعاد الى موضعه فقاتل هو واصحابه قتالا شديدا حتى صرعوا حول سرادق معاوية جميعا لم يعد منهم ف--- رحمة الله عليهم ، وعلم ذلك اصحاب رسول الله صلع فقاتلوا قتالا شديدا وتعرضوا للشهادة فقتل من المهاجرين والانصار بشر كثير ، وقتلوا بشرا كثيرا ، وكان قاتل عمار رضوان الله عليه وسالبه ابو العادية وابن حوى السكوني لعنهما الله واتيا الى معاوية يختصمان في سلبه ، قال احدهما سمعت يقول حين ضربته اليوم اليوم القي الاحبة محمدا وحزبه ، فلما طعنه وضع كم قيمصه على وجهه وقال الآن طاب الموت ، وكان رسول الله صلع قال لعمار تقتلك الفئة الباغية وذلك مشهور في الآثار يرويه الخاص والعام من رواة الاخبار .

وفيما اتى عن ابي غسان باسناده ان رسول الله صلع قال ما يريدون من عمار يدعوهم الى الجنة و يدعونه الى النار .

وعن سعيد بن كثير عن عفير عن ابي نهيعه يرفعه الى النبي صلع انه قال لعمار تقتلك الفئة الباغية ، وباسناده عن ربيعة بن ماجد قال قال عمار بن ياسر يوم صفين الجنة تحت الابارقة والظمان يرد الماء والماء مورود، اليوم القى الاحبة محمدا وحزبه .

وعن محمد بن حميد الاضاعي باسناده عن ابي عبد الرحمن السليمي قال شهد عمار صفين وكان لا يأخذ واديا الا رأيت اصحاب محمد صلع يتبعونه كأنه لهم علم ، وذلك لما سمعوا من قول رسول الله صلع ان تقتله الفئة الباغية ، وكان معاوية بن ابي سفيان واصحابه يأثرون ذلك ويقولون معنا يقتل عمار ، وسوف يصير الينا فلما قتلوه مع علي ع م اسقط ما في ايديهم ورأو انهم قد ضلوا فانبرى عمرو ابن العاص فقال انا نحن لم نقتل عمارا انما قتله علي واصحابه الذين اتوا به ، فقام ذلك في عقول طغام اهل الشام ، الذين هم اضل من الانعام، واتصل قوله بامير المؤمنين ص ع فقال لعن الله معاوية وعمر ويا لها من عقول ان كنا نحن قتلنا عمارا لان نحن الذين جئنا به وكان معنا فرسول الله صلع واصحابه قتلوا من استشهد معهم من المسلمين

وعن ابي عبد الله جعفر بن محمد باسناده ان رسول الله صلع نظرالى عمار وهو يبني مسجده بالمدينة والناس ينقلون اللبن والحجارة حجرا حجرا وعمار ينقل حجرين حجرين فقال له رسول الله صلع لم تحمل على نفسك يا عمار ، فقال يا رسول الله اني مع ذلك لمحموم ، فقال رسول الله صلع ان الله قد ملأ قلب عمار وسمعه وبصره ايمانا لا يعرض عليه امر حق الا قبله ولا امر باطل الا رده ، تقتله الفئة الباغية ، آخر زاده من الدنيا ضياح من لبن ، وقاتلاه وسالباه في النار

وعن ابي نعيم باسناده عن انس بن مالك قال قال رسول الله صلع ثلثة تشتاق اليهم الجنة علي وسلمانوعمار

وفي حديث احمد بن ثابت باسناده عن بشير بن يتم انه قال : انزل في ابي جهل وعمار افمن يلقى في النار يعني ابا جهل خير امن يأتي آمنا يوم القيامة يعني عمار بن ياسر

وعن الليث بن سعد باسناده ان اول من بايع رسول الله صلع يوم الشجرة عمار

وروى عن ابي غسان باسناده عن امير المؤمنين علي ابن ابي طالب صلى الله عليه انه قال استأذن عمار بن ياسر على رسول الله صلع فعرف صوته فقال مرحبا بالطيب المطيب

وبآخر عن الاشتر قال نازع عمارا خالد بن الوليد وسبه ، فشكاه الى رسول الله صلع فقال يا خالد لا تسب عمارا فانه من سب عمارا سبه الله ومن ابغض عمارا ابغضه الله ، فقال خالد استغفر لي يا رسول الله

وقد اتى عن اسماعيل بن ابان باسناده عن عائشة قالت ما من اصحاب محمد الا من لو شئت ان اقول فيه لقلت غير عمار فانه قد ملئ من كعبه الى عنقه ايمانا

وعن صالح بن محمد الاصبهاني باسناده عن زياد مولى عمرو بن العاص قال اهدى عمرو ابن العاص الى اصحاب النبي صلع هدايا وفضل عليهم عمارا فقيل له في ذلك ، فقال اني سمعت رسول الله صلع يقول ان الله قد ملأ قلب عمار وسمعه وبصره ايمانا تقتله الفئة الباغية

وقيل لحذيفة بن اليمان لما احتضر اوصنا فقال : اذا اما اذا قلتم فاسندوني فاسندوه فقال اني سمعت رسول الله صلع يقول ابو اليقظان علىالفطرة لا يدعها

وبآخر عن رسول الله صلع انه قيل له ان عمارا وقع عليه حائط فمات ، قال لا يموت عمار موته انما يقتله الفئة الباغية ، يدعوهم الى الجنة ويدعونه الى النار

واتى عن ابي غسان باسناده عن حذيفة بن اليمان انه قيل له حين قتل عثمان بن عفان ان هذا الرجل قد قتل فمن ترى لنا ان نبايع بعد ، قال اتبعوا عمارا فمن اتبعه عمار فبايعوه فقالوا ان عمار مع علي ابن ابي طالب، فقال ان الحسد اهلك الجسد ، وانما يقربكم من علي ع م قرب عمار منه فوالله لعلي ع م خير من عمار بعد ما بين السحاب والتراب وان عمارا لمن الاخيار

وقال عثمان بن ابي شيبة عن ابي هشام بن الوليد المغيرة قال كنت امرض عمارا في مرضة مرضها فجاء معاوية يعوده فقال اللهم لا تجعل منيته في ايدينا فاني سمعت رسول الله صلع يقول تقتل عمار الفئة الباغية

فعلى هذا فبغير جهل من معاوية وعمرو انهما من اهل البغي في حرب امير المؤمنين علي ابن ابي طالب صلوات الله عليه ومن اتبعاه واتبعهما من الظالمين لكنهم ارادوا الدنيا وكفروا بالآخرة كفرا اخفوه في قلوبهم واظهروه بافعالهم ، عصمنا الله عن اتباع ضلالهم ولا سلك بنا شعبهم

وفيما رواه ابو روق عن ابيه عن آبائه عن الحارث الاعور انا علي ابن طالب صلى الله عليه قال : اي امرء اسلم لم يعظم عليه قتل عمار وتدخل عليه المصيبة الموجفة ، فانه لعبد رشيد رحم الله عمارا يوم اسلم رحمه الله يوم قتل ورحم الله عمارا يوم يبعث حيا ، فما ذكر من اصحاب النبي صلع اربعة الا عمار خامسهم ، ولا خمسة الا عمار سادسهم ، وما كان احد من قدماء اصحاب النبي صلع الا وقد علم ان عمارا قد وجب له الجنة في غير موطن فهنيا لعمار الجنة هنيا لعمار الجنة ولقد كان عمار مع الحق والحق مع عمار يدور معه اين ما ادار

فيما روى الرواة عن الحرث الاعور قال كأني انظر الى عمار قتيلا بين خزيمة بن ثابت ذي الشهادتين وابو الهيثم بن التيهان واويس القرني رحمة الله عليهم ورضوانه ،

فهؤلاء هم ماهم من الفضل والسابقة في الاسلام والصحبة للنبي صلع وختم الله سبقهم وفضلهم وجهدهم مع رسوله بالشهادة في سبيله مع وصي نبيه صلع فطوبى لهم وحسن مآب ، وويل لقاتلهم من نكال العذاب اليم العقاب ، عصمنا الله سبحانه من اتباع الضالين ، والحقنا بالشهداء والصالحين ، بحق محمد وآله الطاهرين.

\*\*\*

وقال الحجاج بن عرية الانصاري رحمة الله عليه يرثي عمار بن ياسر رضوان الله عليه :

يا للرجال لخطب بات ارقني \* اذ هاج حزنا ابو اليقظان عمار

اهوى له ابن حوى في فوارسه \* يدعو السكون وللخيلين اعصار

فاختل صدر ابي اليقظان معترضا \* بالرمح قد وجبت فيها له النار

كانت علامة بغي القوم مقتله \* ما فيه شك ولا للقوم انكار

قال النبي له تقتلك شرذمة \* سطت لحومهم بالبغي كفار

فاليوم يعلم اهل الشام انهم \* اصحاب بغي وفيها النار والعار

وقالت ابنة ابي التيهان رحمة الله تبكي اباها :

يا ابا الهيثم التيهان فاني \* صرت للهم معدنا ومرادا

اذا غدى الفارس الجواد عليهم \* انه كان ماجدا معتادا

وقد لحقتم اخوانكم يوم احد \* رحمكم الله تلك الاجسادا

وقالت ابنة خزيمة بن ثابت ذي الشهادتين تبكي اباها :

عين جودي على خزيمة بالدمع \* قتيل الاحزاب يوم الفرات

قتلوا ذا الشهادتين عشوا \* ادرك الله منهم بالترات

قتلوه وفيئة غير عزل \* يسرعون الركوب في الغدوات

نصروا احمدا الموفق ذا العدل \* ودانوا بذاك حتى الممات

لعن الله امة قتلتهم \* ورماهم بالخزي والنقمات

ولما قتل عمار رضوان الله عليه فيمن قتل من فضلاء المهاجرين والانصار وانكسر الناس انكسارا شديدا واقحم اهل الشام على اهل العراق وذلك من آخر النهار وتزايلت عن مواضعها الرأيات وتشقت الناس عن امير المؤمنين صلى الله عليه فبقي وحده وانصرف عنه الناس فجاء آل ربيعة فوقف معهم وعظم الامر واشتد واقبل عدي بن حاتم فلم يجد امير المؤمنين في الموضع الذي كان فيه ولم يزل يطلبه حتى وافاه في مصاف ربيعة فقال يا امير المؤمنين اما اذا كنت حيا فالامر اهون ما نئيت اليك الا على قتيل ، وما ابقت الوقعة لنا ولهم عميدا، فقاتل حتى يفتح الله عليك فان في الناس بقية ، قال امير المؤمنين صلى الله عليه يا عدي قتل عمار ، قال نعم فرحم الله عمارا استوجب الجنة والرزق ، واقبل مالك الاشتر النخعي وهو يلهث من الجراح ، فلما رأى امير المؤمنين ع م كبر وقال يا امير المؤمنين خيل كخيل ورجال كرجال ولنا الفضل الى ساعتنا هذه ، فعد الى مكانك الذي كنت فيه فان الناس يطلبونك حيث كنت ودنى من علي ع م فقبل رأسه ثم بكى وقال عدي بن حاتم يا امير المؤمنين ان قوما انت اليهم هذه الساعة عظيم علينا حقهم ، وقال امير المؤمنين ع م لربيعة انتم رمحي ودرعي

فقال عدي يا امير المؤمنين اما والله انهم حشد عند اللقاء صبر عند الموت فافتخرت ربيعة باتيان امير المؤمنين ع م اليهم وكونه دون الناس فيهم ، وقال التبني في ذلك :

اتانا امير المؤمنين فحسبنا \* على الناس طرا اجمعين به فضلا

على حين ان زلت بنا النعل زلة \* ولم يترك الحرب العوان لنا فحلا

وقد اكلت منا ومنهم فوارسا \* كما اكلت نار اللظى الخطب الحزلا

وكنا له في ذلك اليوم جنة \* وكنا له من دون ما خافه نعلا

فانباء نعجز لم يرى الناس مثله \* على قومنا طرا وكنا له اهلا

وقال لنا انتم ربيعة جنتي \* ورمحي وقد صرتم لي الترس والنبلا

ورغبتنا فيها عدي بن حاتم \* بامر جميل صدّق القول والفعلا

فان يك اهل الشام اودى بهاشم \* اودى بعمار وابقوا لنا ثكلا

ويا بني بديل فارسي كل مهمة \* ومن بهما نستدفع البؤس والمحلا

فهذا عبيد الله والمر حوشب \* وذو كلع كل اذقناهم القتلا

فحين اتى عدي ومالك الى امير المؤمنين صلى الله عليه وهو في ربيعة دعى بدرع رسول الله صلع ذات الفضول فنصبها عليه وتعمم بعمامة رسول الله صلع السحاب وتقلد بسيف ذي الفقار ونزل علي ع م عن فرسه وقال علي بغلة رسول الله صلع الشهباء التي كان اهداها له دهية الكلبي ، ثم نادى ايها الناس من بيع الله نفسه يريح، هذا يوم له ما بعده، ان عدوكم قد قرح كما قرحتم ، وانتدب له ما بين العشرة الف الى العشرين الفا فوضعوا سيوفهم على عواتقهم وتقدمهم امير المؤمنين صلى الله عليه وهو يقول :

دبوا دبيب النمل لا تفوتوا \* واصبحوا بحربكم وبيتوا

حتى تنالوا الثار او تموتوا \* اولا فاني طال ما عصيت

قد قلتم لو جئتنا فجئت \* ليس لكم ما شئتم وشئت

بل ما يشاء المحي المميت \* لكل نفس اجل موقوت

فلما دنى من اهل الشام جعل يقول :

دبوا دبيب النمل اصحاب الظفر \* لا تنكلوا والحرب ترمي بالشرر

انا جميعا اهل صبر لا خور \*

وتبعه الاشتر بلوائه وهو يقول :

يكفيكها همدانها ومدحج \* قوم اذا ما حسموها انضجوا

روحوا الى الله ولا تعرجوا \* دين قويم وسيل منهج

وتبعه عدي بن حاتم الطائي وهو يقول :

ابعد عمار وبعد هاشم \* واين بديل فارس الملاحم

نرجو البقا مثل حلم الحالم \* ليس امرء من يوته مسالم

وحمل خالد البديل وهو يقول:

هدا علي والهدى يقوده \* من خير عبدان قريش عوده

لا بسام الحرب ولا يوده \* لكنه يشعرها وقوده

يبين فيها حزمه وجوده \* وكل من قاربه يسوده

فلم يزل يقاتل ومعه ابوه حتى قتل رحمة الله عليهما علىباب سرادق معاوية ، ثم حمل جندب بن زهير وهو يقول :

هذا علي والهدى حقا معه \* يا رب فاحفظه ولا تضيعه

يا رب وانصره على من نازعه \*

فاعترضه رجل من اهل الشام فطعنه فمشى اليه جندب في الرمح حتى علاه بالسيف فماتا جميعا رحم الله جندبا

ولما رأى الاشتر عمارا وخزيمة بن ثابت وابا الهيثم بن التيهان رضوان الله عليهم قتلى بكى وقال والله ما حجبت عني الشهادة الا لذنب وما لي ذنب هو اعظم عندي من ترك اصحابي فتقدم وهو يقول :

يا معشر المسلمين قد حمي الوطيس واشتد الحرب وعظم الامر وبقي منا آخرنفس فاصدقوا القوم الجلاد فداكم عمي وخالي، فقالوا ما نريد الا الموت وحمل مالك الاشتر وهو يقول :

نفسي فداكم قاتلوا عن دينكم \* ان المضي في الوغا يزينكم

والجبن عن اعدائكم يشينكم \* يكرمكم هذا وذا يهينكم

والله ان ناصحتم يعينكم \*

فاكثر من الجراح والقتل في القوم ، قال بعض مؤلفي السير فحسب بعض من حضر ذلك اليوم انه قتل في تلك الحملة اربعين رجلا، فنظر اليه رجل من لخم وهو يفعل ما يفعل فقال لله دره اي رجل هذا آن اعانته نيته ، فقال له رجل من مدحج ثكلتك امك اي نية بعد هذا تريد ان رجل قد تخضب بالدم واحجمت عنه الفرسان وكاعت عنه الابطال وهو يفعل ما يفعل اللهم لا تبقنا بعده وتقدم عمرو بن محض الانصاري وكان بدريا من اصحاب علي ع م ، فلم يزل يطعن ويضرب حتى قتل عند السرادق، ففيه يقول النجاشي وهو يرثيه :

لنعم الفتى في الحرب عمرو بن محض \* غداة اذا ما صارخ الحرب ثوبا

اذا الخيل جالت في الوغى قصد العنا \* يثير عجاجا ساطعا متنصبا

لقد فجع الانصار منهم بسيد \* اخي ثقة ما زال نديا مجربا

فيا رب خير قد افدت غنائه \* ويا رب قرم قد تركت ملحبا

ويا رب قرم قد تركت مجدلا \* فبات ذليلا بعد ما كان مصعبا

ورأية حرب قد حملت وكره \* شهدت اذا النكس الجبان تهيبا

لقد كنت من خير العشيرة منصبا \* وما كنت في النادي عبوسا مقطبا

طويل عمود البيت رحبا فناؤه \* خصيبا اذا ما وادي الحي اجدبا

عظيم رماد الحي لم تك فاحشا \* ولم تك نكسا في اللقاء فحيبا

وكنت ربيعا يرتجي الناس صوبه \* وسيعا على الاعداء عضبا مشطبا

وحين انهزمت مضية العراق ولم يبق فيها احد الا نحو من ثمان مائة رجل من همدان يقاتلون من اشد قتال ، قاتل قوم من الناس اليوم وكانت رأيتهم مع كرين بن شريح فحمل على اهل الشام وهو يقول :

اليوم يوم بعده ما بعده \* والله يعطي من يشاء رشده

ان لاهل الخير خيرا عنده \*

ثم حمل فقاتل حتى قتل رحمة الله عليه ثم اخذ الرأية شرجيل بن شريح فلم يزل يقاتل حتى قتل رحمة الله عيله ثم اخذ الرأية اخوه زيد بن شريح فقاتل حتى قتل فاخذ الراية هبيرة بن شريح فقاتل حتى قتل فاخذ الرأية بشر بن شريح فقاتل حتى قتل رحمة الله عليهم وهم خمسة اخوة ، فاخذ الرأية بعدهم عبك الملك بن يزيد فقاتل حتى قتل فاخذ الرأية سفيان بن يزيد فقاتل حتى قتل فاخذ الرأية الحارث بن يزيد فقاتل حتى قتل ثلاثة اخوة رحمة الله عليهم ، ثم اخذ الرأية عمر بن بشير فلم يزل يقاتل حتى قتل فاخذ الرأية اخوه الحرث بن بشير فقاتل حتى قتل فقتل منهم يومئذ مائة وثمانون رجلا منهم احدى عشر رئيسا ثم اخذ الرأية وهب بن كريب واراد ان يحمل بها ، فقال له رجل منهم لا تقتل نفسك وقومك ، فقد قتل منهم من ترى فانصرفوا حتى لحقوا بالقلب وهم يقولون :

يا ليت اعداءنا من العرب يحالفونا على الموت فلا نرجع حتى نظفر او نموت فسمعهم الاشتر وقد مروا به فقال هلموا اني احالفكم لا نرجع حتى نغلب او نموت ، فضمهم اليه وكانوا في القلب معه وحملت ميمنة اهل الشام على ميسرة اهل العراق فبلغت الهزيمة الى امير المؤمنين صلى الله عليه فامر اهل القلب ان يزحفوا وجلهم اهل المدينة من المهاجرين والانصار ، فقاتلوا اشد القتال واختلط الرجال بالرجال، والتقى الابطال بالابطال، وكثر القتل بين الفريقين، ولم يكع احد عن ملاقاة الحين ،

وفيما حدث عن فضل اين خديج مولى الاشتر قال لما انهزمت ميمنة اهل العراق وقتل من رؤسائهم من قتل وتطر امير المؤمنين عليه السلام اليهم منهزمين اقبل نحو الميسرة الميسرة فمر بمالك الاشتر فقال له يا مالك قال لبيك يا امير المؤمنين قال له ائت هؤلاء القوم فقل لهم اين الفرار من الموت الذي لن تعجزوه الى الحيوة التي لا تبقى لكم، فمضى الاشتر فاستقبل القوم منهزمين فقال لهم الذي قال له امير المؤمنين وقال : ايها الناس انا مالك بن الحارث، ا نا الاشتر، ايها الناس فاقبلت اليه طائفة من الناس ورجعت عنه طائفة فقال ايها الناس ما اقبح ما صنعتم منذ اليوم مدحج فالتفت اليه مدحج ، فقال ما ارضيتم ربكم ولا نصحتم له في عدوه فكيف ذلك وانتم --- الحرب وفرسان الطراد وحماة الحريم ومدحج الطعان الذين لم يكونوا يحسدون عن قرن ولا يسبقون بوتر ، وانتم جند مصركم وخير حي من قومكم وما تفعلوا في هذا اليوم فانه مأثور بعد اليوم فاصدقوا عدوكم فان الله مع الصابرين ، والذي نفسي بيده ما من هؤلاء واشار بيده الى اهل الشام رجل له مثل جناح بعوضة من دين محمد، انكم ما احسنتم القراع فاجلوا سواد وجهي يرجع فيه دمه وعليك بهذا السواد الاعظم فان الله لو قد فضه جاء كاليل يتبع آخره اوله ، قالوا توجه بنا حيث شئت ، فعمد بهم نحو القلب وانضم اليه شبام حي من همدان كانوا نحو من ثمان مائة فرجعوا معه وتراجع الى الاشتر اهل البصيرة والوفاء ، فاخذ مالك لا يصمد لكتيبة الا كشفها حتى كشف الميمنة والقلت وانتهت الهزيمة الى معاوية ، قالوا وكان الاشتر يومئذ يقاتل على فرس له وفي يده صفحة يمانية يخال الماء ينصب منها اذا طأطأها واذا رفعها وكان النار تشتعل فيها وهو يضرب بها ويقول :

هل هي الا الغمرات تبخلينا \* يحيين قوما ويمتن آخرينا

فنظر اليه الحارث بن الجهمان الجعفي والاشتر مقنع في الحديد فلم يعرفه فدنى منه وقال له جزاك الله خيرا ايها الرجل عن امير المؤمنين وعن جماعة المؤمنين فعرفه الاشتر فقال يا بن جهمان امثلك يتخلف عن مقامي هذا ا لذي انا فيه فعرفه ابن جهمان وكان الاشتر عظيما طويلا غائر العينين اقنى الانف اشهب اللحية فيها خف ، فقال جعلت فداك والله ما عرفت بمكانك وقاتل معه حتى ابلى وذكروا ان معاوية لما رأى الاشتر وما يفعل وجه اليه ذا الكلاع الحميري في عشرين الف مدحج وعشرين الف رامح فحملوا على ميمنة اهل العراق وهي اليمن فاقتتطعوا الف فارس ، فارسل اليهم امير المؤمنين ع م عبد الهمداني وكان على فرس جواد فاتاهم فقال امير المؤمنين عليه السلام يقرءكم السلام ويقول كبروا و--- تكبروا واحملوا وتحملوا حتى نلتقي ان شاء الله فكبر القوم وحملوا وكبر امير المؤمنين عليه السلام وحملوا حتى التقوا ولم يصب منهم احد وقد قتلوا جماعة كثيرة من اهل الشام ، ولما عادت ميمنة امير المؤمنين صلى الله عليه الى مصافها بعد ان انكشف من بازائها اقبل امير المؤمنين صلى الله عيله حتى انتهى اليهم فخطبهم فحمد الله اثنى عليه وصلى على النبي وقال لهم :

اني رأيت جولتكم وانحيازكم عن صفوفكم تحوزكم الجفاة الطغام من العرب اعراب الشام وانتم لهاميم العرب والشام الاعظم وعمار الليل بتلاوة القرآن واهل دعوة الحق اذا ضل الخاطئون ، فلو لا اقبالكم بعد ادباركم وكركم بعد انحيازكم وجب عليكم ما وجب على المولّي من الزحف وكنتم من الهالكين ، ولقد هون وجدي وشفى بعض اختلاج صدري ان ناجزتموهم كما ناجزوكم وازلتموهم عن المصاف كما ازالوكم ، اني رأيتكم تحسونهم بالسيف حسا ، يركب آخرهم اولهم كالابل الهيم المطردة ، فالآن فاصبروا وقاتلوا في سبيل الله وجاهدوا واقتلوا ائمة الكفر وبقية الاحزاب انهم لا ايمان لهم، لقد طال ما جاهدنا هذه الرأيات مع رسول الله صلع ونحن على الاسلام وهم على الكفر ، وانهم على ما كانوا عليه وما دخلوا في الاسلام الا كارهين وليعلم المنهزم منكم انه يسخط الله ربه ، ويوثق نفسه ان في الفرار الذل والعار واغتصاب الفي وفساد العيش فموت المرء محقا محقا قبل هذه الخصال خير له من الرضى بها والاقرار عليها، انزل الله السكينة وثبتكم باليقين.

وقال لهم عليه السلام : معاشر المسلمين ، استشعروا الخشية وتجلببوا السكينة وعضوا على النواجذ فانه انبا للسيوف عن الهام فاكملوا اللامة وقلقلوا السيوف في اغمادها قبل سلها والحظوا الخزر واطعنوا نحوا بالظبى وصلوا السيف بالخطى ، واعلموا انكم بعين الله ومع ابن عم رسول الله صلع فعادوا الكر واستحيوا من الفر ، فانه عار في الاعقاب ، ونار يوم الحساب ، وطيبوا عن انفسكم نفسا وامشوا الى الموت مشيا شجحا ، عليكم بهذا السواد الاعظم والرواق المطنب فاضربوا ثجه ، فان الشيطان كامن في كسره قد قدم للوثبة يدا واخّر للنكوص رجلا ، فصمدا صمدا حتى ينجلي لكم عمود الحق وانتم الاعلون ، والله معكم ولن يتركم اعمالكم ، واستغفر الله لي ولكم

قالوا وكان شعار امير المؤمنين ع م يوم صفين بسم الله الرحمن الرحيم ، اللهم اليك نقلت الاقدام واتعبت الابدان وافضت القلوب ورفعت الايدي وشخصت الابصار ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق وانت خير الفاتحين ، بسم الله على بركة الله ، الله اكبر لا اله الا الله والله ا كبر يا الله ، يا احد يا صمد يا اله محمد بسم الله الرحمن الرحيم لا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم، اللهم اياك نعبد واياك نستعين ، اللهم كفا عنا بأس الظالمين.

وقتل عبد الله بن كعب المرادي من اصحاب امير المؤمنين عليه الصلوة والسلام ، وكان عبد الله من الزاهدين فمر به الاسود بن قيس المرادي وبه رمق وهو صريع فقال عز علي والله مصرعك يا عبد الله ، اما والله لو شهدتك اسبقك نفسي لادفع عنك ان استطعت او يلحقني الله بك ، ثم نزل فقال اما والله ان كان جارك الا آمنا من بوائقك ، وان كنت لمن الذاكرين الله كثيرا اوصني يرحمك الله، فرفع عبد الله بن كعب اليه مصيره وقال : بسم الله الرحمن الرحيم ، الحمد لله غير مدفوع قضاء ربنا ولا مستغن عنه اللهم انا نعوذ بك من اعطاء الدنية واوصيك بتقوى الله وان نناصح امير المؤمنين علي ابن ابي طالب وان نقاتل معه الباغين حتى يظهر او نلحق بالله ، ابلغ امير المؤمنين ع م السلام وقل له قاتل عن المعركة حتى يجعلها الله خلف ظهرك فانه من اصبح غدا والمعركة خلف ظهره كان العالي ، ثم لم يلبث ان مات رحمة الله عليه ، وابلغ الاسود امير المؤمنين صلى الله عليه الرسالة فقال امير المؤمنين ع م ورحمة الله علينا وعليه فقد جاهد معنا في الحيوة ونصح لنا بعد الوفاة ، ولما اشتد البلا وكثرت القتل ورأى امير المؤمنين ع م ما نزل بالناس دعى الاشتر فاوصاه بما اوصاه ودعى الاشتر ثقاته فاوصاهم وحض الناس بعضهم بعضا ومشى الرؤساء بعضهم الى بعض فتواصوا بالصبر والجلد فحمل امير المؤمنين صلى الله عليه حملة واحدة وحمل معه اهل الصبر والبأس فلم يبق لاهل الشام صف الا انتقض وهزموا كل ما اتوا عليه فبلغت هزيمة اهل الشام يومئذ برج بطتان من حلب على مسيرة يوم وليلة حتى افضى الامر الى معاوية

وامير المؤمنين صلى الله عليه يضرب سيفه وهو يقول :

اضربكم ولا ارى معاوية \* الاخزر العين العظيم الهاوية

هوت به في النار ام هاوية \* غوى طغاما لاهتدتهم هاوية

فدعى معاوية بفرسه لينجو ، فلما وضع رحله في الركاب تمثل بابيات عمرو بن الاطنابه وقيل ان الابيات لقيس الحطيم، وهي :

الا من مبلغ الاحلاف عني \* وقد تهدي النصيحة للنصيح

بانكم وما ترجون عني \* من القول المجوب والصريح

ابت لي اسرتي وابي بلائي \* واخذي الحمد بالثمن الربيح

واعطائي على المكروه مالي \* وضربي هامة البطل المشيح

وقولي كل ما جاشت لنفسي \* مكانك تحمدي او تستريحي

اناضل عن مآثر طيبات \* واحمي بعد عن حب صحيح

بذي شطب كلون الملح صاف \* ونفس لا تقر على القبيح

ثم نظر الى عمر فقال يا عمر اليوم صبر وغدا فخر ، والشام ومصر لا يغلب عليهما

قال صدقت وما نحن فيه كما قال ابن ابي الافلح الانصاري :

ما علي وانا جلد نابل \* والقوس فيها وتر عنابل

تزل عن صفحته المعابل \* والموت حت والحيوة باطل

وكل ما حم الاله نازل \* بالمرء والامر اليه آئل

ان لم اقاتلكم فاني جاهل \*

فصبر الناس بعضهم لبعض واشتد القتال، وقطعت جماجم الابطال ، ولم يكن الا على القتل المجال، واقتتل الناس ليلة الهرير التي تتبع يوم القتال الى الصباح حتى انحنت السيوف وانحطمت الرماح ، وعقرت الخيل وصاروا يتضاربون باعمدة الحديد ، وجعل امير المؤمنين صلى الله عليه يحرض الناس ويحمل حملاته المشهورة ويأمر كل قبيلةوكتيبة ان تحمل على من يليها وجعل علي ع م يقول غداة الهرير : والذي بعث محمدا بالحق لقد قاتلت معاوية واباه على تنزيل القرآن واني اليوم لاقاتل على تأويله ، وان البصيرة في المنزلتين جميعا لواحدة في العلم بما نحن عليه بحمد الله من الحق وما هم عليه من الضلالة

وفيما روى الرواة عن جابر عن ابي الطفيل وعن تميم عن ابي حاتم قالوا لامير المؤمنين ص ع يوم الفنا وليلة ا لهرير خمس مائة رجل زيادة على الثلاثين رجلا كلما قتل رجلا كبر حتى يسمعه عامة العسكر واصابه ص ع يومئذ جراحات في شريف جسده واصطبغ بالدم وكانت صلوته والقوم في القتال جعل مكان كل ركعة تكبيرة ، وحدث عن جابر ابي الطفيل عن زيد بن وهب قال ما باشر علي عليه السلام القتال حتى قتل امة من الامم ونحن نناشده في نفسه ان لا يصل الى معاوية وكان قد وضع عليه العيون فكان اذا اخبر انه في جانب تنحى الى الجانب الآخر تسترا منه ، ووالله لنحن كنا اشد اهتماما بامير المؤمنين ع م لما نرى من شدة تقحمه في عرض الكتيبة

وروى الرواة عن محمد بن اسحاق عن عبد الرحمن بن حميد اللخمي انه قال لم يزل امير المؤمنين ع م يتقدم بالناس حتى اضحت المعركة خلف ظهره ، قال وانجلت المعركة يوم الفنا وليلة الهرير عن سبعين الف قتيل من الفريقين وهذا الحديث ذكره في كتاب صفين وقد جاء عن المسعودي فيما اورده ان الذي قتل من الفريقين في ايام صفين جميعها سبعين الفا والله اعلم بذلك .

قالوا وكان الاشتر في ميمنة الناس وعلي ع م وابن عباس في القلب والناس يقاتلون من كل جانب وذلك يوم الجمعة ، وهي ليلة الهرير ويوم الجمعة حتى انصف النهار وهو يقول لاصحابه انه ازحفوا قاب قوسين فاذا فعلوا قال ازحفوا هذا الرمح ، فاذا فعلوا سألهم مثل ذلك حتى اشتد البأس وقتل اكثر الناس ، فلما رأى ذلك قال اعيذكم بالله ان تهنوا في هذا اليوم ثم دعى بقوسه وترك رأيته مع جنان بن هبرة النخعي وخرج يسير في الكتائب وهو يقول : من يشتري نفسه لله ويقاتل مع الاشتر حتى يظفر او يلحق بالله ، فلا يزال يندب رجل معه بعد رجل ، ثم اقبل حتى رجع الى المكان الذي كان فيه من الميمنة ثم قال لاصحابه فدى لكم عمي وخالي شدة ترضون بها الرب وتعزون بها الدين اذا حملت فاحملوا ، ثم ضرب وجه دابته وقال لصاحب رأيته اقدم ثم لم يزل يضرب اهل الشام حتى انتهى الى عسكرهم فقاتلهم عنده قتالا شديدا فقتل صاحب رأية الاشتر جنان بن وهودة النخعي ، ورجى امير المؤمنين ع م الظفر من قبل الاشتر فلم يزل يمده بالرجال وفي ذلك اليوم استبان ذل اهل الشام والتفت معاوية الى عمر وقال اما ترى ما ا نتهى الحال اليه ، وان كان عندك حيلة والا فلا شام ولا عراق لنا فامر عمرو مرة اخرى بالمصاحف فرفعها اهل الشام على الرماح وقلدوها الخيل وجعلوا ينادون الله الله في دمائنا يا علي كتاب الله بيننا وبينك فاقبل الاشعث بن قيس في ناس كثير من اهل اليمن وكانوا اشد الناس في ذلك ، فقال الاشعث ، فقال الاشعث ووجوه اليمن لا نرد ما دعانا القوم اليه ابدا ، وكانوا قد ملوا الحرب وملأ معاوية قلوب اهل النفاق منهم ومنّاهم دنياه ووعدهم ، فلما اكره القوم امير المؤمنين ع م على الحكومة قالوا له ابعث الى الاشتر ليأتيك فارسل الى الاشتر يزيد ين هاني السبعي فابى الاشتر ان يأتيه وقال ليس هذا الاوان ينبغي فيه ان ازول عن موقفي وقد رجوت الظفر والفتح ، فرجع يزيد الى امير المؤمنين صلى الله عليه ، فلما رجع الى امير المؤمنين عليه السلام عن الاشتر ارتفعت الاصوات من قبل الاشتر فقالوا لامير المؤمنين ع م والله ما نراك الا قد امرته بالقتال ، فقال ص ع ومن اين ينبغي ان يكون ذلك وهل رأيتموني اسررت اليه في كلمته وانتم تسمعون ، قالوا ابعث اليه ليأتيك والا قتلناك ، قال امير المؤمنين اذهب اليه يا يزيد فانها وقعت الفتنة فرجع يزيد الى مالك الاشتر فاخبره الخبر ، فقال له مالك الاشتر الرفع هذه المصاحف ، قال نعم ، قال الاشتر اما والله لقد علمت انها ستوقع خلافا واختلافا حيث رفعت وما هي الا مشورة ابن النابغة ، ثم قال الاشتر الا ترى الفتح اما ترى ما يلقون ، اما ترى ما يصنع الله اينبغي لنا ان ننصرف وقد بلغ من القوم ما ترى ، قال له يزيد اتحب ان تظفر وامير المؤمنين فيما هو فيه ، اترضى ان يسلم الى عدوه ، قال الاشتر سبحان الله قد بلغ الامر الى ما تقول ، قال نعم ، ثم قال قالوا لامير المؤمنين ايضا ارسل الى الاشتر والا قتلناك الآن والحقناك بابن عفان ، فاقبل الاشتر اليهم فقال :

يا اهل العراق يا اهل الخلف والشقاق والوهن ، احين ظهرنا على عدونا ودنى الفتح منا رفعوا المصاحف يدعونكم الى ما فيها خديعة لكم وقد تركوا امر الله وسنته وسنة نبيه فلا تخشوهم فامهلوني فواقا ، قالوا لا ، قال فامهلوني عدوة فرس ، قال اطمعت في النصر ن قال حدثوني عنكم حين قتل خياركم وبقي شراركم متى كنتم محقين احين كنتم تقاتلون وخياركم معكم ام الآن حين امسكتم عن القتال، فان كنتم الآن محقين فان قتلاكم الذين لا تنكرون فضلهم وانهم خير منكم اذا في النار ، قالوا دعنا منك يا مالك ، قاتلناهم لله وتركناهم لله ، انا لسنا مطيعيك ولا صاحبك ، فانا مللنا الحرب ودعانا القوم الى كتاب الله ، قال لهم مالك الاشتر خدعتم وانخدعتم، والى وضع السلاح اجبتم يا اصحاب الجباة السود انا كنا نرى صلاتكم لله وزهدكم لله في الدنيا ، الا قبح الله وجوهكم يا اشباه النساء ابعدوا كما بعد القوم الظالمون فشتموا الاشتر وسبوه وضربوا وجه دابته وضرب وجوه دوابهم وسلوا السيوف وكاد ان تقع الفتنة بينهم والفرقة ، فزجرهم امير المؤمنين صلى الله عليه عن ذلك فقالوا باجمعهم قد صار كتاب الله حكما ، فقال امير المؤمنين انا العاملون بكتاب الله وهم النابذون له وراء ظهورهم ، التاركون للسنة المفرقون للجماعة ، فابوا الا وضع السلاح ووثب الاشعث بن قيس فقطع وتر قوسه ، وتلاه الناس يقطعون اوتار القسي فقيل انه انقطع تلك الساعة جميع اوتار اهل العراق وعزموا بعد الاجتماع على الافتراق، فلما انتهى الحال بينهم الى ذلك قال امير المؤمنين صلى الله عليها ايها الناس انه لم يزل امري معكم على ما احب حتى نهكتكم الحرب، فقد والله اخذت منكم وتركت وهي لعدوكم انهك ، لقد كنت امس امير المؤمنين فاصبحت اليوم مأمورا ، وكنت امس ناهيا فاصبحت اليوم منهيا، وقد احببتم البقاء وليس لي ان احملكم على ما تكرهون

وقال معقل بن تهيك بن اساف الانصاري يذكر فرار معاوية وعمرو بن العاص ونجاتهما مما خافاه :

يا لهف نفسي وما تشفي حرارتها \* اذ افلت الفاسق الملعون منطلقا

وافلت الخيل عمرا وهي سابحة \* حين النجا تحت الركض والعنقا

ووافق الموت عبد الله حين لقي \* اولي الخيول فاعجز بالذي لحقا

وانساب مروان في الظلماء منفلتا \* ارضي الكلام وداجا خائفا فرقا

وقال النعمان بن عجلان الانصاري :

سائل بصفين عنا يوم وقفنا \* كنا هناك غداة المجد نبتدر

واسأل غداة لقينا الازد قاطبة \* يوم البصيرة لما اجتمعت مضر

لولا الاله وقوم قد عرفتهم \* فيهم عفاف وما يأتي به القدر

لما تداعت لهم بالمصر ملعبة \* الا الكلاب والالثاء والخمر

كم مفعص قد تركناه بمغفرة \* تهوي السباع اليه وهو منعفر

ما ان يزال ولا يبكي علانية \* الى القيامة حتى تنفخ الصور

وقال محمد بن عمرو بن العلى يذكر ما كان منهم ايام صفين :

فلو شهدت جمل مقامي ومشهدي \* بصفين يوما شبت منها الذوائب

غداة اتى اهل العراق كأنهم \* من البحر موج لجه متراكب

وحينا جميعا في الحديد كأنما \* سحاب خريف صفقته الجنايب

فقالوا نرى في ديننا ان تبايعوا \* عليا فقلنا بل نرى ان نضارب

وطار الينا بالرماح كماتهم \* وطرنا اليهم والخفاف القواضب

ولم ار يوما كان اكثر سيّدا \* قتيلا وذا عرض زكي يكالب

رجالا اذا ما استهزموا عرضت لنا \* كتائب منهم وارجحنت كتائب

وان كنت ولوا مدبرين اتت لهم \* مقانب تترى بعدهن مقانب

فراحوا وقد نالوا سراة رجالنا \* وليس لما لاقوا من الامر حاسب

فاجابه محمد بن علي ابن ابي طالب رضوان الله عليه ابن الحنيفية :

فو شهدت جمل مقامك ابصرت \* مقام لئيم اذ اتتنا الجلائب

غداة تركنا الخيل تدمى نحورها \* ووليت مهزوما وقلبك راهب

اتنعت صفينا وتذكر خيلنا \* وعندك منا يوم باك التجارب

ونحن ضربناكم بصفين جهرة \* مشارقها تنبي بها والمغارب

ذكرت مقاما لم يكن لك ذكره \* وقد ظهرت فيها عليك الكتائب

فاعطيتمونا ما اردنا اذلة \* على غير تقوى الله والموت واصب

وقال النجاشي الحارثي يذكر معاوية وفراره يوم صفين :

اصاح اهاجتك الغداة مغاني \* بما بين اعشار وحقد دلان

عهدنا به حيا حلولا فاصبحوا \* الشآمة قد صاروا بكل مكان

منهم فريق ساكنون بدومة \* ومنهم فريق ساكن بعمان

وقفت بها فانهل دمعي كأنه \* غروب احالت ماءهن سوان

سبت قلبه احدى مراد خلانه \* ببوسان او بالغيل من عمران

منيعة في رأس قصر ممرّد \* تعل بمسكر خالص ودهان

لعمرك اني يوم عدو وصاحبي \* لتختلفا شوقان مختلجان

فيا راكبا اما عرضت فبلغا \* نميما وهذا الحي من عطفان

فما لكم لولم تكونوا فخرتم \* لادراك مسعاة الكريم يدان

بكت عين من يبكي ابن عفان انه \* نفى ورق القرآن كل مكان

فمن يرجعينا غداة تلاقيا \* يقل جبلا خيلين ينتطحان

وسدلهم ناريب في جوف غمرة \* بلا حطب عند الضحى بفدان

فما دفنت قتلى سليم وعامر \* بصفين حتى حكم الحكمان

وما دفنوا حتى كأن يطونهم \* رفاق شراص او بطون دنان

اقاموا ثلاثا تأكل الطير منهم \* على غير نصف في الانوف عوان

وخفاقة غواصة صوبها رم \* وتكشف عن ساق لها في الافعان

اجيلت علينا فانجلت لم تضرنا \* وكنا لها في نخوة وعنان

فيا حزنا ان لا اكون شهدتهم \* فادهن من لحم العبيد سناني

جذام ولخم اسلتي غطيه \* وخثعم بطر طال بعد ختان

وفرت صدا فرق الله شملها \* الى بلد البلقاء بين ميان

واما بنو نضر ففرشريدهم \* الى فتيان كالظباء حسان

واما قشير واستمر شريدها \* الى منت الضلال والعجلان

واما عقيل فاستمر شريدها الى \* جبل الزيتون وانشطران

اما ثقيف فاستمر شريدها \* الى منبت التنوم والتيهان

كأني اراهم يطرحون ثيابهم \* من الروع والخيل ان يطردان

واما ثقيف فاستضاف شريدها \* الى حفيان والرقاب ثوان

ولاذوا باقوام فلم ينفعوهم \* كما لاذت المعزى بغير كنان

واما تميم فاستقامت وصابرت \* فلم يبق منها عابرا رجلان

وازدكم رجلان بعد ضجيجة \* ورجل بها ريب من الحدثان

فاما التي صحت فازد شنوة \* واما التي شلت فازد عمان

وانا لمبذودون ما بين دابق \* الى الشجرات الخضر من عيدان

فما عز اولاد الاماء بباسها \* بكل فتى رخو النجاد يماني

غشيناهم يوم الهرير بعصبة \* يمانية كاليل سيل عزان

فاصبح اهل الشام قد رفعوا القنا \* عليها كتاب الله خير قران

ونادوا عليا يابن عم محمد \* اما تتقي ان يهلك الثقلان

فمن لذرارينا من الروم بعدنا \* ومن لليتامى ايها الفتيان

جبنتم قتال الاشعريين وتبع \* وهمدان اكل الزبد بالصرفان

فما زال من همدان خيل تدوسهم \* سمان واخرى لم تكن بسمان

ونجى ابن هند سابق ذو حفيظة \* اجشى هزيم والرماح دوان

اذا قلت اطراف الرماح تنيله \* تنازي بها الساقان والقدمان

من الاعوجيات الطوال كأنه \* على شرف التقريب شاه اران

شديد على فاس اللجام اعتراضه \* يفرج عنه الزير بالعسفان

فلا وقع الا وقعهن ذو وقعة \* باطراف اكم كربة وهنان

كأن عقابا كاشرا تحت لبده \* وهن باصحاب الرماح دواني

اذا ابتل بالماء الحميم رأيته \* كقادمة الشؤبون ذي الهمدان

محشى مجشى مقبل مدبر \* معاقب كنسر حد بالعدوان

كاحنابه وصفته سرجه \* من الماء توفا مائح خضلان

كأن يمنهي سرجه وقطابه \* ملاعب ولدان على صفوان

من الورد او احوى كأن سراته \* بعيد ولا صرحت بهدان

امير الشطا عبد الشوى ثابت الـ \* المطي حميص الحشى مستدمج النصبان

بودهما لو اصلحا وتواصيا \* بترك التعادي اذ هما ملكان

جزاه بنعما كان قدمها له \* بما كان في الاصطبل غير كهان

ثم ان اهل العراق لما احبوا الصلح وكرهوا الحرب واجابوا الى الحكومة وشغبوا على امير المؤمنين صلى الله عليه من كل جانب، ووضع سلاحه منهم المحارب ، وكان ان يكون بينهم الضرب بالسيوف ووقعت فيهم الفتنة واظهر كل منافق منهم ما اجنه اجابهم امير المؤمنين صلى الله عليه الى ما طلبوا وساعدهم الىما املوا فتعاهدوا على الصلح والموادعة الى شهر رمضان علىان يرضوا حكمين يحكمان بين الفريقين بكتاب الله فيثبتان ما اثبته الكتاب ويبطلان ما ابطله ، على ذلك كان بينهم العقد وعليه وقع العهد

وذكروا ان معاوية قال لاصحابه من ترون ان عليا يختار وصاحبنا عمرو اني اخاف ان يرمي بعبد الله بن عباس او الاخنف بن قيس او عدي بن حاتم او شريح بن هاني او سعيد بن قيس الهمداني او مالك الحارث ، فان رمينا بهؤلاء حكموا لعلي ولم يجد عمرو معهم موردا ولا مصدرا ، ولو كان عبد الله بن قيس صاحب الحكومة لوجدنا فيه مدخلا ولم يجد من حجة عمرو موئلا ، وانا نخاف ان عليا لا يثق به ولا يرضاه ان يحكم في امره فقال له عمرو بن العاص يغلب والله على عمر امره ابن الكوا ويثبت وقال عمرو في ذلك :

ذكرت رجالا يابن حرب تعدهم \* على الثغر من الحادث المتفاقم

فاما ابن عباس فالناس فضله \* وبعد ابن عباس عدي بن حاتم

واحنف يتلوه شريح بن هانئ \* ولا كسعيد في الامور العظائم

وكلهم منا بعيد وان يطع علي \* فلا يعد بها آل هاشم

ويابى بها القراء الا خلافه \* وان كان ما قالوا له غير لازم

فان يعصهم بغمصي بها \* من نفسه ويقرع بها سن نادم

وان يعطهم ما يطلبون فانه \* لصاحبهم يعقد بها كل قاائم

وتصلح بها منهم قلوب مريضة \* وما هو فيما ينتحون بسالم

فرفع شعره الى امير المؤمنين صلى الله عليه فقال له قاتله الله ما اشد رأيه اظن والله انه سيصير الامر الى ما قال ، وسمى اهل الشام عمرو بن العاص ان يكون حكما ، قال امير المؤمنين صلى الله عليه وصاحبك عبد الله بن العباس ، قال اهل اليمن نصلا حتها فاذا جاء فخرها ذهبت به قريش لا يكون قرشي بل يكون يماني ، قال عليه السلام فهذا مالك الحارث الاشتر قالوا انه ان خلا بعمرو قتله ، ولكن هذا عبد الله بن قيس وافد رسول الله صلع وصاحب مقاسم ابي بكر وعامل عمر فلا نرضى الا به

فعند ذلك قام امير المؤمنين علي ابن ابي طالب صلى الله عليه خطيبا فحمد الله واثنى عليه وصلى على النبي ثم قال : ايها الناس ان القوم انما فروامن كتاب الله ، ثم بدا لهم ان يدعونا اليه واني لاكره ان اكون من الفريق المولي عن كتاب الله ، فان الله تعالى يقول : الم تر الى الذين اوتوا نصيبا من الكتاب يدعون الى كتاب الله ليحكم بينهم ثم يتولى فريق منهم وهم معرضون ، وان يكن لهم الحق يأتوا اليه مذعنين ، افي قلوبهم مرض ام ارتابوا ام يخافون ان يحيف الله عليهم ورسوله بل اولئك هم الظالمون ، ولست اخاف ان يحيف الله علي ولا رسوله ، الا وان اهل الشام جفاة طغام عبيد اقزام جمعوا من كل اوب وتلقطوا من كل شوب ممن ينبغي ان يفقه ويؤدب ويعلم ويولى عليه ويؤخذ على يديه ، ليسوا من المهاجرين والانصار ولا الذين تبؤا الدار والايمان ، وان القوم قد اختاروا لانفسهم وانكم اخترتم لانفسكم اقرب القوم مما تكرهون ، وانما عهدكم بعبد الله بن قيس بالامس يقول انها فتنة فقطعوا اوتاركم وشيموا سيوفكم ، فان كان صادقا فقد اخطأ بمسيره غير مستكره ، وان كان كاذبا فقد لزمته التهمة ، فادفعوا في صدر عمرو ابن العاص بعبد الله بن العباس وخذوا مهل الايام وحوطوا نواصي الاسلام، فان ابيتم فانهما حكما شورى يحكمان بكتاب الله من فاتحته الى خاتمته، يحيان ما احي ويميتان ما امات الا وان من احيا الكتاب والسنة ان يخلع معاوية فان حكما وعدلا فذلك الذي نريد وان غيرا فالله والرسول والامة برأيهما ، فقال اهل العراق لا نريد الا ابا موسى ، وكان ذلك منهم ملل الحرب ورأوا ان من رأي عبد الله بن قيس ابتغاء السلم ، فهذا الذي حملهم على الشغب على امامهم وتولية من ولوه بجهلهم وضلالهم، ولما رآهم امير المؤمنين مجدين فيما هم مجمعين على خلاف رأيه في تحكيم ابي موسى ليخاصم عمروا ويلاقيه قال اللهم انك ترى ما يصنعون واجابهم الى ما قالوه بعد ما اوعز الى ابي موسى في الشرط على ان يحكم بكتاب الله وسنة الرسول وان لا يميل عن سنن الحق ولا يزول

وحين استقام رأي الناس على رأي ابي موسى اتاه عبد الله بن العباس الى بيته فقال يا ابا موسى ان الناس لم يرضوا بك لفضل تساوي فيه ما اكف اكثر اشباهك والمقدمين عليك في المهاجرين والانصار ولكن اهل الشام ابوا غيرك ، وايم الله اني لاظن ذلك شرا لهم ولنا انه قد ضم اليك داهية العرب ، واعلم انه ليس في معاوية خطة يستحق بها الخلافة وليس في علي خطة تحرمها عليه ، فان نقذف بحقك على باطله تدرك حاجتك ، وان تطمع باطله في حقك يدرك حاجته منك ، ان معاوية طليق الاسلام وان اباه رأس الاحزاب وامه آكلة الاكباد وانه دعي الخلافة عن غير مشورة، فان صدقك فقد حل عقده ، وان كذبك فقد حرم عليك كلامه ، وان ادعى ان عمرو عثمان استعملاه فقد صدق استعمله عمر وهو الوالي عليه بمنزلة الطبيب من المريض يحميه ما يشتهي ويؤجره ما يكره ، ثم استعمله عثمان برأي عمر، واعلم يا ابا موسى ان لعمرو مع كلا امر يسرك مر يسوءك ، ومهما نسيت فلا تنس ان علي ابن ابي طالب اخو رسول الله صلع الذي قرنه بنفسه ووصيه الذي خلفه في امته واجمع المسلمون بعد عثمان على بيعته ، وانها بيعة هدى ، وانه لم يقاتل الا عاصيا او ناكثا

فقال ابو موسى رحمك الله ابا عبد الرحمن والله ما فيّ لنفسي فضل ولا عندي في الاسلام توقف ولرضى الله عز وجل احب اليّ من رضى اهل الشام ، فقال قيس بن الحارثي في ذلك :

والله ما كلم الاقوام من بشر \* بعد الامام علي كابن عباس

اوصى ابن قيس بامر فيه عصمته \* ان كان فيها ابو موسى من الناس

اني اخاف عليكم مكر صاحبه \* عمرو وارجو ارجاثيب بالياس

شبيه المنام واخشى منه قاصمة \* تخزي العراق وتهوي بعد في الراسي

انا رمينا بشر الناس كلهم \* لضاربي الحق اخماسا باسداس

نادى ابن هند اذ ضاق مخرجه \* يا عمرو ناهض فداو القرح بالآس

ولما بلغ اهل الشام رضى القراء بابي موسى الاشعري قال ايمن بن فاتك الاسدي وكان هواه ان يكون الغلب لاهل العراق:

لو كان للقوم رأي يعصمون به \* عند الخطاب رموكم بابن عباس

لله در ابيه اتما رجل ما مثله \* عند فصل الخطب للناس

لكن رموكم بشيخ من ذوي يمن \* لم يدر ما ضرب اخماس باسداس

ان يخل عمرو به بقذفه في الحجج \* تهوي به البحر تيس بن تياس

ابلغ لديك عليا غير غائبة \* قول امرء لا يرى بالحق من باس

ما الاشعري بمامون ابا حسن \* هذا كذاك وليس العجز كالراس

فاصدم بصاحبك الادنا زعيمهم \* ان ابن عمك عباس هو الآسي

وكان ابن فاتك الاسدي من اهل الشام فاعتزل معاوية واصحابه ولم ير حرب علي ع م وكان عليه مجتهدا، وكان معاوية اطمعه بسقاطين على ان يبايعه علي فقال علي ع م فابى وبعث الى معاوية بهذا الشعر :

ولست مقاتلا رجلا يصلي \* على سلطان آخر من قريش

له سلطانه وعلي اثمي \* معاذ الله من سفه وطيش

ااقتل مسلما من غير جرم \* فليس بنافعي ماعسى عيشي

فلما بلغ شعر ايمن الذي ذكر فيه ما ذكر من ابن قيس وابن عباس اهل العراق تاقت قلوبهم ابن عباس ومالت اليه اهوائهم فابى القراء الا عبد الله بن قيس ظنا منهم انه يميل الى الصلح وحقن الدماء وان تولي الحكم غيره لا يبالي ما كان من سلم او حرب فعصوا امامهم واخطوا رأيهم

ولما تعاقد اهل الشام واهل العراق على الصلح ولم يبق الا كتب الكتاب بينهم واجتماع الحكمين قام الاحنف بن قيس التميمي الى امير المؤمنين ع م فقال يا امير المؤمنين اني خيرتك يوم الجمل ان آتيك فيمن اطاعني او اكف عنك بني سعد فقلت كف عني بني سعد فكفى بكفك نصرا ما قمت بامرك ،وان عبد الله بن قيس رجلا قد صلبت اشطره فوجدته قريب القعر كليل المدية وهو رجل يماني وقومه مع معاوية وقد رميت بحجر الارض وبمن حارب الله رسوله ، وانما صاحب القوم من نأى حتى يكون كالنجم ودنى حتى يكون في اكفهم ، وابعثني فوالله لا احل عنك عقدة الا عقدت لك اشد منها فان قلت اني لست من اصحاب رسول الله صلع فابعث رجلا من اصحاب رسول الله غير عبد الله بن قيس ، قال امير المؤمنين ص ع ان القوم قد اتوني بعبد الله بن قيس مبرئا فقالوا ابعث هذا فقد رضينا به والله بالغ امره

فوضع الناس السلاح والتقوا بين العسكرين فلما دعي بالكتاب قال امير المؤمنين صلى الله عليه لعبد الله بن رافع اكتب ذكر الكتاب وكتب عبد الله بن رافع

بسم الله الرحمن الرحيم ، هذا ما تقاضى عليه امير المؤمنين علي ابن ابي طالب ومعاوية بن ابي سفيان فقال له معاوية علىما اقاتلك ان كنت امير المؤمنين ، اكتب علي ابن ابي طالب ، فقال الاشعث اطرح هذا الاسم فانه لا يضرك وضحك امير المؤمنين ص ع ، قال دعاني رسول الله صلع يوم الحديبية حين صده المشركون عن العمرة فقال اكتب يا علي هذا ما تقاضى عليه محمد رسول الله ومشركو قريش ، فاخذ ابو سفيان بكفي وقال لقد ظلمنا يا محمد ان قاتلناك وانت رسول الله ولكن اكتب اسمك واسم ابيك في عهده الي مدة فقال صلع انا محمد بن عبد الله وانا رسول الله ولن يذهب بنبوتي اسمي واسم ابي ، وكنت اذا امرني رسول الله صلع بامر اسرعت به ، واذا قال مشركو قريش شيئا ابطأت عنه ، فقال صلع امحها يا علي فتعاظمني ذلك فدعى بمقراض فقرضه ، وقال انك سوف تدعى الى مثل ذلك ، ولقد صدق رسول الله صلع وهؤلاء ابناء اولئك ، فكتبت لابنائهم كما كتب رسول الله صلع لآبائهم فكتبوا وكان الكتاب :

بسم الله الرحمن الرحيم ، هذا ما تقاضى عليه علي ابن ابي طالب ومعاوية ابن ابي سفيان وقدموا اسم امير المؤمنين ع م على معاوية ، فقال الاشعث بن قيس لا لعمر الله ولكنا نبدأ باولهما وهجرة وادناهما من الغلبة ، فقال قدموا واخروا ، فكتبوا تقاضيا ان عليا ع م ومن معه من شيعته من اهل العراق ومعاوية ومن معه من اهل الشام اننا ننزل عند حكم الله وكتابه من فاتحته الى خاتمته ، فما احيا القرآن احييناه وما امات القرآن امتناه ، فما لم يجد عبد الله بن قيس وعمرو بن العاص ولم يعلماه من القرآن حكما بما يعلمان في السنة العادلة غير الجائرة والمجتمعة غير المفترقة ، وعلى شيعتهما وضع السلاح الى نقضاء هذه المدة، وهو من شهر رمضان الى شهر رمضان ، وعلى ان عبد الله بن قيس وعمرو بن العاص آمنان على دمائهما واموالهما وحريمهما والامة على ذلك لهما انصار ما حكما بالكتاب والسنة وعليهما ان يقضيا بما في كتاب الله وما لم يجداه في الكتاب ولم يعلماه قضيا بما يجدان في السنة ، وعليهما ان لا يوخرا امرهما عن هذه المدة وان احبا الا يقولا قبل انقضائها فلهما ان لا يقولا على تراض منهما وعلى ان يرجع اهل العراق الى العراق واهل الشام الى الشام ويكون المجتمع بدومة الجندل وان رضيا ان يجتمعا بغيرها فلهما ذلك ولهما ان لا يحضرهما الا من احبا و لا يشهدهما الا من اراد وهؤلاء من اهل العراق واهل الشام ضامنون بالوفاء الى هذه المدة وعلى هؤلاء الفريقين ان لا يتلاقوا بالتعس وليس لهؤلاء الذين يحضرونهما ان يعترضوا في امرهما الا بما احبا فان حكما بالكتاب والسنة والا فلا حكم لهما وعلي ابن ابي طالب والمسلمون براء منهما وشهد اهل العراق على اهل الشام واهل الشام على اهل العراق

فلما ختم الكتاب قام عدي بن حاتم الطائي رحمة الله عليه فتكلم بما سر امير المؤمنين ع م به وقوى اهل العراق فقال امير المؤمنين ع م ان عديا ثقتي وهو سائر معكم، ونادى معاوية بالرحيل الى الشام ونادى امير المؤمنين ص ع بالرحيل الى العراق

وقال ابو موس الاشعري لامير المؤمنين ع م يا امير المؤمنين اني لست آمن الغوائل دون دومة الجندل فابعث معي من يخفرني ، فقال امير المؤمنين ص ع لشريح بن هاني سر مع ابي موسى في خمس مائة فارس وتجهز القوم الذين يسيرون مع ابي موسى فقام الاشعث بن قيس فقال ايها الناس انا ما ننطق قائلين ولا مجيبين ولكنا ننظر فان قيل خير سمعناه وان كان الحكم بعدل قبلنا وان يكن غير ذلك انصرفنا اليكم

ثم قام عدي بن حاتم فقال ايها الناس انه ليس امر من الحق الا والى جنبه شبهة من الباطل وانما النصر بالصبركما ان الورد بالصدر ، ان عبد الله بن قيس خصيم اهل الشام من اهل العراق ، وان عمرو ابن العاص خصيم اهل العراق من اهل الشام ،وكلاهما عن امر من ارسله، فان حكما بما انزل الله ... حكم بغير ما انزل الله فلن يلزمانا باطلا، الا ومن يتول يستغني الله عنه .

ثم قام شريح بن هاني فاخذ بيد ابي موسى وقال له انك قد نصبت لامر لا يجبر صدعه ولا تستقال عثرته ومهما تقل من شيء لك او عليك يثبت حقه ويزل باطله انه لا بقاء لاهل العراق ان ملكها معاوية ولا بأس على اهل الشام ان ملكها علي ع م ، وقد كانت منك واحدة بالكوفة فان تبعتها باخرى يكون الظن بك يقينا والرجا يأسا ، وقال شريح في ذلك :

ابا موسى رمتي تشر خصم \* فلا تضع العراق فدتك نفسي

واعطى القوم شانهم وخذه \* فان القوم في العدوى كأسي

وان غدا يجيء بما عليه \* يدور الامر من سعد ونحس

فلا يغررك عمرو ان عمروا \* عدو الله بطلع كل رجس

له خدع يحار العقل منها \* مموهة مزخرفة بلبس

فلا تجعل معاوية بن حرب \* كشيخ في الحوادث غير نكس

هداه للاسلام فرداء \* سوى عرس النبي واي عرس

فقال ابو موسى لا ينبغي لقوم ان يتهموني ويرسلوني لادفع عنهم باطلا او لاجر اليهم حقا ، وان شريح بن هاني جهز ابا موسى بجهاز حسن وعظم امره في الناس فقال الشيء في ذلك لشريح بن هاني :

رفعت ابن قيس زفاف العروس \* شرح الى دومة الجندل

أفي زفك الاشعري البلا \* فلا نقص من جادث ينزل

ولا الاشعري بذي اربة \* ولا صاحب الخطبة الفصل

ولا اخذ حق لاهل العراق \* وان قيل ها خذه لم يفعل

يحاول عمرا وعمرو له \* خدائع يأتي بها من علي

فان يحكما بالهدي ينفعاه \* وان يحكما بالهوى الاميل

يكونا كهقلين في قفزة \* واكيلي نقيف من الحنظل

وسار مع عمرو ابن العاص شرحيل بن السمط في خيل عظيمة حتى اذا امن عليه خيل العراق ودعه ثم قال له عمر وانك رجل قريش وان معاوية لم يبعثك الا ثقة بك وانك لن توتي من عجز ولا مكيدة وقد عرفت اني وطأت هذا الامر لك ولصاحبك فكن عند ظننا بك ثم انصرف وانصرف شريح حين امن اهل الشام على ابي موسى ودعه وجوه الناس وكان آخر من ودعه الاحنف بن قيس وقال يا ابا موسى اعرف خطب هذا المسير ، واعلم ان له ما بعده وانك ان ضيعت العراق فلا عراق واتق الله فانها تجمع لك دنياك وآخرتك ، واذا لقيت عمروا فلا تبده بالسلام فانه سنة ولا تعطيه يدك فانها امنة ، واياك ان يقدك على صدر الفراش فانها خدعة ولا تلقه وحدك واياك ان تكلمه في بيت فيه مخدع فيخبأ لك في الرجال فقال افعل يا ابا محرم ، فرجع الاحنف الى امير المؤمنين ع م فقال له اخرج والله ابو موسى زيدة سقاية في اول مخضة ما ارانا الا بعثنا رجلا لا ينكر خلعك ، فقال امير المؤمنين ص ع يا احنف ان الله غالب على امره ، قال فمن ذلك اجزع يا امير المؤمنين ، وسار امير المؤمنين صلى الله عليه من صفين ، فلما انتهى الى حاضرين اوصى ابنه الحسن بن علي ع م بوصيته المعروفة التي اطالها واكثر العبر فيها وجعلها عظة للغابرين وهدى لمن يأتي من الآخرين وقد ذكرها الشريف الرضي محمد بن الحسين بن موسى الموسوي في كتابه الذي جمع فيه خطب امير المؤمنين ص ع وسماه نهج البلاغة

وخطب امير المؤمنين ع م بعد انصرافه من صفين فقال :

الحمد لله احمده استتماما لنعمته ، واستسلاما لعزته ، واستعصاما من عصمته ، واستعينه فاقة الى كفايته، انه لا يضل من هداه ولا ينيل من عاداه ، ولا يفتقر من كفاه ، فانه ارجح ما وزن وافضل ماخزن ، واشهد ان لا اله الا الله شهادة ممتحنا اخلاصها معتقدا مصاصها، نتمسك بها ابدا ما ابقانا ، ونذخرها لانها ويل ما يلقانا، وانها عزيمة الايمان وفاتحة الاحسان ، ومرضاة الرحمن ، ومدحرة الشيطان ، واشهد ان محمدا عبده ورسوله ارسله بالدين المشهور والعلم المأثور ، والكتاب المسطور ، والنورالساطع ، والضياء اللامع ، والامر الصادع ، ازالة للشبهات، واحتجاجا للبينات ، وتحذيرا بالايمان وتخويفا للمثلات ، والناس في فتن انجذم بها حبل الدين ، وتزحزحت سواري اليقين ، واختلف الخبر وتشتت الامر وضاق المخرج وعمي المصدر فالهدي خامل والعمى شامل، ما عصى الرحمن ونصر الشيطان وخذل الايمان فانهارت دعائمه وتنكرت معالمه ، ودرست سبله وعفت شرعته اطاعوا الشيطان فسلكوا مسالكه ووردوا مناهله ، بهم سارت اعلامه ولواه في فتن داستهم باخفافها ووطئتهم باظلافها وقامت على سنابكها ، فهم فيها تائهون حائرون جاهلون مفتونون في خير دار وشر جيران نومهم سهود وكحلهم دموع بارض عاملها ملجم وجاهلها مكرم

وقال فيها يصف النبي صلع :

فمحمد وآله صفوة الله في ارضه وموضع سره ونجاة امته وعيبة علمه وموئل حكمه وكهف كتبه وجبال دينه بهم اقام انحناء ظهره واذهب ارتعاد فرائضه، وان الذين اخروا آل نبيهم وارادوا تحويل الامر منهم زرعوا الفجور وسقوه الغرور وحصدوا الثبور ، لا يقاس بآل محمد صلع من هذه الامة احد، ولا يستوي بهم من قرت نعمتهم عليه ابدا ، هم اساس الدين، وعماد اليقين ، اليهم يفيء الغالي وبهم يلحق القالي ، ولهم خصائص حق الولاية ، وفيهم الوصية والوراثة ، الآن اذا رجع الحق الى اهله ونقل الى منتقله اتخذوا الشيطان لامرهم ملاكا ، واتخذهم له اشراكا ، فباض وفرخ في صدورهم ودب ودرج في حجورهم ، نظر باعينهم ونطق بالسنتهم فركب بهم الزلل وزين لهم الخطل ، فعل من قد شركه الشيطان في سلطانه ، ونطق الباطل على لسانه ، عصمكم الله بالهدى وكفاكم ما تستقبلون من اكتساب العمى واتباع الهوى.

وسار امير المؤمنين صلى الله عليه حتى انتهى الى ابيات اهل الكوفة فاذا بقبر على الطريق فقال امير المؤمنين ص ع قبر من هذا ؟ قالوا قبر خباب ابن الارت مات بعد مخرجك الى صفين ، فعدل امير المؤمنين ص ع فوقف على قبره فقال رحم الله خبابا اسلم راغبا وهاجر طائعا وعاش مجاهدا ولن يضيع الله اجر من اجسن عمل

ثم مضى حتى اتى الناعطيين وكانوا عثمانية ، فلما رآوه قالوا ما صنع علي شيئا ذهب في غير شيء وانصرف في غير شيء ، فنظر ع م في وجوههم وقال متمثلا :

اخوك الذي ان اجرضتك ملمة \* من الدهر لم يبرح لبثك واجما

وليس اخ يوما اذا ما تشعبت \* عليك امور بات يلحاك دائما

ثم لم يزل يستغفر الله حتى دخل القصر بالكوفة.

وكتب امير المؤمنين ص ع الى الامصار يقتصي ما جرى في صفين:

وكان بدء امرنا انا التقينا والقوم من اهل الشام والظاهر ان ربنا واحد ونبينا واحد ودعوتنا الى الاسلام واحدة ، لا نستزيدهم في الايمان بالله والتصديق لرسوله صلع ولا يستزيدوننا والامر واحد الا ما اختلفنا فيه من امر عثمان ودمه ونحن منه براء ، فقلنا تعالوا ما لا يدرك باطفاء النائرة وتسكين العامة حتى يشتد الامر ويستجمع فنقوى على وضع الحق مواضعه فقالوا بل نداويه بالمكابرة وابوا حتى جنحت الحرب وركدت ووقدت نيرانها وحميت فلما ضرستنا واياهم ووضعت مخاليبها فينا وفيهم اجابونا عند ذلك الى الذي دعوناهم اليه فاجبناهم الى ما دعوا وسارعنا الى ما طلبوا حتى استبانت لهم الحجة وانقطعت منهم العدوة ، فمن تم على ذلك فهو الذي انقذه الله من الهلكة ومن لج وتمادىفهو الراكيش الذي ران الله على قلبه وصارت دائرة السوء على رأسه ، والسلام.

واستقبل امير المؤمنين ص ع شيخ ممن كان معه في صفين بعد رجوعه فقال يا امير المؤمنين اخبرنا عن مسيرنا الى الشام ابقضاء من الله وقدر ؟ فقال ع م اجل ايها الشيخ ، والله ما هبطنا واديا ولا علونا طلعة الا بقضاء من الله وقدر ، فقال الشيخ عند الله احتسب عناءي اذ مالي من اجر ، فقال ع م ويحك لعلك ظننت قدرا لازما وقضاء حتما، لو كان ذلك كذلك بطل الثواب والعقاب وسقط الاجر والوعد والوعيد ، وكانت تأتي بمحمدة من الله لمحسن ولا بمذمة لمسيء ، تلك مقالة عبدة الاوثان وخصماء الرحمن واولياء الشيطان قدرية هذه الامة ومجوسها ، ان الله امرتخييرا ونهى تحذيرا ولم يعص مغلوبا ولم يطع مكرها ، فقال الرجل فما هذا القضاء والقدر اللذان ما علونا تلعة ولا هبطنا واديا الا بهما ، فقال هو الامر من الله ثم تلا هذه الآية : وقضى ربك الا تعبدوا الا اياه فسر ذلك الشيخ وانشأ يقول :

انت الامام الذي نرجو بطاعته \* يوم المعاد من الرحمن رضوانا

اوضحت من ديننا ما كان ملتبسا \* جزاك ربك عنا فيه احسانا

وكتب امير المؤمنين ص ع الى ابي موسى وهو بدومة الجندل :

بسم الله الرحمن الرحيم ، من عبد الله علي امير المؤمنين الى عبد الله بن قيس ، اما بعد ، فان الناس قد تغير كثير منهم عن كثير من حظهم فمالوا مع الدنيا ونطقوا بالهوى ، وباعو الدين بالدنيا ، واني نزلت من هذا الامر منزلا معجبا اجتمع به اقوام اعجبتهم انفسهم ، فاني اداوي منهم قرحا اخاف ان يكون علقا وليس رجل فاعلم احرص على جماعة محمد ص ع والفتها مني ابتغي بذلك حسن الثواب وكرم المآب ، وساءني بالذي رأيت على نفسي وان تغيرت عن صالح ما فارقتني عليه فان الشقي من حرم نفع ما اوتي من العقل والتجربة فدع ما لا تعرفه فان شرار الناس طائرون اليك باقاويل السوء ، والسلام.

وكتب التثني الى ابي موسى مع كتاب امير المؤمنين بهذه الابيات :

ابا موسى جزاك الله خيرا \* عراقك ان حظك بالعراق

وان القوم قد نصبوا اماما \*من الاحزاب معروف النفاق

وانا لا نزال لهم عدوا \* ابا موسى الى يوم التلاق

فلا تجعل معاوية بن حرب \* اماما ما مشى قدم يساق

فكن منه على حذر وانهج \* طريقك لا تزل بك المراقي

ستلقاه ابا موسى مليا \* عبر القول مرخي الخناق

ولا تحكم بان سوى علي \* اماما ان هذا الشر باق

وكان اجتماع عبد الله بن قيس الاشعري وعمرو بن العاص المخزومي بدومة الجندل وحضرهم من يليهم من العرب ليسمعوا قولهما ، فلما التقيا استقبله عمرو بن العاص بوجه البشر واخفى ما اجنه من الشر واعطاه ابو موسى يده فحياه ثم ضمه عمرو اليه وقال يا اخاه لقد طال عهدي بك ، قبح الله امرأ فرّق بيننا ، ثم اقعده في صدر المجلس وجلس دونه واقبل عليه بوجهه فما برحا كذلك حتى تفرق القوم وما زالا الا يلتقيان في امرهما بالتحية والبشر فانكرالناس ذلك واتهموهما فطال وقوفهما بدومة الجندل يلتقيان ليلا ونهارا يتناجيان سرا لا جهارا ، وفي كل ذلك عمرو يثني بابي موسى ويقدمه ويرفعه ويعظمه وقال له اني لا اتقدمك في القول لانك صاحب رسول الله صلع واقدم مني في الاسلام قدما واسبق سابقة وقدما حتى استماله عمرو واستغواه وصده عن سبيل الله فاظهر له نفاقه وابدى من كراهية امير المؤمنين ع م وحب عمر ما كان اخفاه حتى قال له عمرو بن العاص انك تعلم يا ابا موسى شفقتك بالمسلمين وما قد لقوه في هذه الحروب من هراق الدما وتلاف النفوس وليس اهل العراق باوثق بك من اهل الشام وقد عرفت ما كان من قتل عثمان بن عفان وان عليا آوى قتلته وقد علمت ان معاوية يدنو الى عثمان رحما وانت تعرف حاله وشرفه في بني عبد مناف وانه ابن هند وابن ابي سفيان فما ترى

فلم يقع ذلك الحديث من ابي موسى موقعه ولا رضي معاوية ولا سرّ قول عمرو في ذلك قلبه ، وقال لعمرو: اما قولك ان اهل الشام يثقون بي فكيف ثقتهم بي وقد سرت اليهم مع علي ، واما غضبي لعثمان فلو شهدته نصرته ، واما بغضي الفتن فقبح الله الفتنة ، واما معاوية فليس باشرف في قريش من علي ابن ابي طالب بن عبد المطلب فاين فاطمة بنت اسد الذي لا يجحد فضله ولا يكون معاوية في اي الخصال مثله ، ولكن ترى ونرى، وباعده في ذلك ابو موسى ، فغم ذلك عمرو بن العاص واحتال له بالمكر والخديعة وجاءه يريه انه من ا لناصحين فقال يا ابا موسى قد علمت العرب انك لست لاهل العراق بانصح مني لاهل الشام ولا لعلي مني لمعاوية، وان في هذين الرجلين مقالا ان قال قائل ان معاوية من الطلقاء وكان ابوه من الاحزاب ولم يبايعه المهاجرون والانصار ، فان عليا آوى قتلة عثمان وقتل انصاره يوم الجمل وتورد على اهل الشام بصفين ، وفينا وفيكم بقية ان عادت عليها الحرب ذهبت بكلها ، وهل لك ان تخلع عليا ومعاوية وتقدم لها عبد الله بن عمر فانه لم يبسط في هذا الامر لسانا ولا يدا ، وكان ابو موسى وادا لابن عمر مائلا اليه فسره ذلك القول ، وقال لعمرو رحمك الله وجزاك بنصيحتك خيرا ولكني ارى ابن عمر لا يرضى بذلك ، ولا يراه لنفسه ، ولا يعدله اهل العراق بعلي ، فذكر له عمرو سعيد ابن ابي وقاص ، ثم قالا هو لا يدخل في ذلك ، ثم ذكرا سعيد بن زيد فلم يرضياه لذلك وطال بينهما القول وعمرو يلقاه بالنصح ويخبأ له الغدر ويخفي له المكر ، فقال له عمرو فهل لك ان تخلع صاحبك واخلع صاحبي ونصيرها شورى فاجابه موسى الى ذلك ، وذلك لما كان يخفيه موسى من عداوة امير المؤمنين علي ابن ابي طالب صلى الله عليه ويجنه من ذلك ويطويه ، على انه قد جهر به في الكوفة ونادى به على المنبر ومنع المسلمين عن الجهاد وان ينصروا وصي رسول الله صلع ويتبعوه ويقبلوا قوله ويسمعوه ، وما الظن بمن دخل مع المنافقين وعاقدهم على ان ينفروا برسول الله صلع ناقته واراد فيمن اراد اطفاء نور الله المبين ، والفتك برسول رب العالمين ، حتى لعنه رسول الله صلع وقد ابان له ذلك عمار بن ياسر رضوان الله عليه بمشهد ملأ من المسلمين وقد ذكرنا ذلك فيما ذكرنا من هذا الباب لكن جهال الامة هم الذين قدموه للحكومة بغير امر من الله ولا رسول الله صلع وخالفوا امير المؤمنين ووصي خاتم النبيين فركبوا الابلق في المكابرة وباؤا لعصيان ولي الله بالصفقة الخاسرة الا من عصم الله من اوليائه المتبعين لمنهجهم والمستنيرين بضياء سرجهم ، ويكفيهم في امير المؤمنين ص ع ما سمعوه من رسول الله صلع فيه واوضحه من فضله وشرفه لخاصهم وعامهم ، الذي لا ترقى مراقيه وبينه الله تعالى في كتابه الكريم وانزله من الآيات البينات في امير المؤمنين ص ع التي تشهد بفضله وعظيم مقامه وسني محله مما لو تقصيناه لطال به القول واتسع واكثر ان يحصره من جمع وقد اشتهر اكثره بين المسلمين واوضحه فيما اتوا به جماعة المؤلفين واكثرها بين لا يحتاج الى التبيين وفي اقله كفاية لمن هداه الله فلم يسلك سبيل المكابرين دون من جعل الله على قلبه غشاوة واعمى بصره ان ينظر الى الآيات البينات في التلاوة او يسمع ما اتى من النهي ص ع وينظر بعين قلبه بل قد اعماه الله تعالى عن سبيل رشده فصار من اتباع الشيطان وحزبه ضلوا فاضلهم الله واعمىابصارهم والذين اهتدوا زدناهم هدى وآتاهم تقواهم ، وسوابق امير المؤمنين ص ع مشهورة وفضائله معروفة مأثورة لكنهم انكروها بغيا عتوا وجحدوها واستيقنتها انفسهم ظلما وعلوا

وقد سأل امير المؤمنين كيف دفعكم قومكم من هذا المقام وانتم احق به

فقال عليه الصلوة والسلام يا اخا بني اسد انك لقلق الوصين ترسل في غير سدد ، فلك بعد ذمامة الصهر وحق المسألة وقد استعملت فاعلم اما الاستبداد علينا بهذا المقام ونحن الاعلون نسبا والاشدون بالرسول نوطا فانها كانت اثرة شحت عليها نفوس قوم وسخت عنها نفوس آخرين والحكم لله والموعود اليه القيامة ودع عنك خطبا صيح في حجراته وهلم الخطب في ابن ابي سفيان ولقد اضحكني الدهر ولا غرو والله فيناله خطبا يستفرغ العجب ويكثر الاود حاول القوم اطفاء نور الله من مصباحه وسد فواره من ينبوعه وخدعوا بيني وبينهم شربا رويا فان ترتفع عنا وعنهم محن البلوى احملهم من الحق على محضه ، وان يكن الاخرى فلا تذهب نفسك عليهم حسرات ، ان الله عليم بما يصنعون

ونقول ليس ابو موسى ممن جهل فضل امير المؤمنين ع م ولا ممن غاب عن شاهدة مناقبه وفضائله لكنه جحد بعد ان عرف ومال عن الحق بعد ان رآه وصدق

وقد روي عن ابي موسى انه قال لعمرو بن العاص لما ان تفاوضا في الحكومة ويحك يا عمرو ما يدعوك الى ان تجعل الخلافة في غير علي ابن ابي طالب ، اما سمعت رسول الله صلع يقول انما مثل اهل بيتي فيكم كمثل سفينة نوح من ركبها نجى ومن تخلف عنها غرق

اما تذكر يوم كنا بباب رسول الله صلع فخرج الينا فقال ان ابراهيم خليل الله وموسى كليم الله وعيسى روح الله وانا حبيب الله وعلي ابن ابي طالب وديعتي عند الله

اوما تذكر اذ كنا في سفر مع رسول الله صلع اذ اقبل علي يمشي على رجليه فقال رسول الله صلع والذي نفسي بيده لان شئتم لاريكم اشبه الناس شبها ومنطقا بابراهيم خليل الرحمن عليه السلام ، قالوا يا رسول الله من هو ؟ قال هذا المقبل علي ابن ابي طالب ع م نور الله بين عينيه فرفعوا ابصارهم فاذا نور علي ابن ابي طالب ع م يضيء كالشمس

ولم ينه ذلك ابا موسى ما اضمر من حب عبد الله بن عمر وحبه الخلافة له غير قاصد وجه الله ولا سنة رسوله ولا مهتد لاتباع وصي رسول الله صلع وخليله وخدعه عمرو فباء باثمه واحدث عظيم ذنبه وجرمه .

نرجع الى ما كنا فيه ثم ان ابا موسى لما اجاب عمرو على ان يخلعا عليا ع م ومعاوية وافترقا على ذلك غدا عمرو اليه من الغد وجاء الشهود معه فقال له يا ابا موسى انشدك الله ما تقول في عثمان قال ابو موسى قتل مظلوما ، قال عمرو فما تقول فيمن قتله قال يقتل بكتاب الله ، قال فمن يقتلهم ، قال اولياء عثمان ، قال فان الله تعالى يقول ومن قتل مظلوما فقد جعلنا لوليه سلطانا ، قال عمرو فهل تعلم ان معاوية من اولياء عثمان، ثم قال عمرو للشهود واشهدوا بالذي سمعتم ، فقال ابو موسى نعم فاشهدوا على ما قلت ، ثم قال ابو موسى قم يا عمر فقل ، فقال عمرو سبحان الله اقوم قبلك وقد قدمك الله قبلي في الايمان والهجرة وانت وافد قومك الى رسول الله صلع وصاحب مقاسم ابي بكر ولكن قم انت فقل ، ثم اقول فقال موسى ابو موسى فقال ايها الناس ان خير الناس للناس خيرهم لنفسه واني لا اهلك ديني بدنيا غيري ، وان هذه الحرب قد اكلت العرب ولم يبق منها الا آخر نفس واني قد رأيت ورأى عمر ان نجعلها لعبد الله بن عمر فانه لم يبسط في هذا الحرب لسانا ولا يدا ، وكره الدخول في ذلك، فذكرنا سعيد ابن ابي وقاص ثم علمنا انه نزع عن الدخول في ذلك ، ثم ذكرنا سعيد بن عمرو بن نفيل فلم يستقم ذلك ، وقد رأيت انا وعمر ان نخلع عليا ومعاوية ونجعلها شورى بين المسلمين

فصاح به عمرو وانما عليك خلع صاحبك ودع صاحبي فستكفاه

قال ابو موسى وقد خلعت عليا كما خلعت نعلي هذه - وخلعه فلعنة الله عليه من خلع واي فتنة ضل بها واضل فنجم قرن الشيطان بها وطلع ويا له من كلم في الدين ذا بؤس كلمه فيه ابو موسى

ثم قال ابو موسى قم يا عمرو فتكلم ، فقام عمرو فقال ايها الناس هذا عبد الله بن قيس شيخ المسلمين ومن لا يبتاع الدنيا بالدين وحكم اهل العراق وقد خلع عليا وانا قد خلعته كما خلعه واثبت معاوية

قال له ابو موسى ما لك عليك لعنة الله ما انت الا كما قال الله تعالى كمثل الكلب ان تحمل عليه يلهث او تتركه يلهث

قال له عمرو لكنك كما قال الله تعالى كمثل الحمار يحمل اسفارا

ثم نزل وركل ابا موسى برجله حتى القاه على وجهه وقال متى كان رعاة الضان يدخلون في احكام الله واختلطا القوم فقام سعيد بن قيس فتكلم وقال في كلامه والله لو اجتمعنا على الهدى ما زدتمانا مما نحن عليه وما ضلالكما بلازمنا ولا رجعتما الا بما بدأتما به وانا اليوم على ما كنا به امس ، ثم تكلم كرودس بن هاني فقال والله ما جاوزتما الظن بكما ولقد كنا ننظر الى هذا الامر قبل ان يقع ، ولقد حكم الله وكتابه وسنة نبيه صلع ان عليا امير المؤمنين وان معاوية لعين الله حلال الدم ولعلكم ستنالون امثلها فلا تفعل يريد ان يسببا لهم الموادعة

واعتد عمرو بن العاص ذلك على معاوية اعظم صنائعه، وقيل انه جرى من معاوية الى عمر بعض ما يكره بعد وفاة امير المؤمنين علي صلى الله عليه لما استتب الامر لمعاوية، فقال عمرو ابن العاص يعدد آلائه ويذكر لمعاوية اجتماع اهل الشام في جلق لصلوة الجمعة ومعاوية في بعض ما شغله فقال عمرو لاهل الشام ان معاوية اخر الجمعة الى غد فاجتمعوا يوم السبت وجعلوا الجمعة وكذلك ذكر امر دومة الجندل وانه باع الدين بالدنيا فقال:

معاوية الخير لا تنس لي \* وعن منهج الحق لا تعدل

نسيت احتيالي في جلق \* على اهله يوم جمع الحلي

وقد اقبلوا زسيرا يهرعون \* مهاليع كالبقر الجقلي

فقلت لهم ان فرض الصلوة \* بغير حضورك لم يقبل

فولوا ولم يعبؤا بالصلوة \* وقد كان جامعهم ممتلي

وقلت بمن التقى في اللقا \* ومن تراه يلاقي علي

ابالبقر الغفل لاهل الشام \* لاهل التقى والحجى ابتلي

فقلت نعم قم فاني ارى \* قتال المفضل بالاجهل

ولما عصيت امام الهدى \* ورمت الفرار الى صلصل

وبي عاندوا سيد الاولياء \* بقولي دما طل من نعثل

ولما اذنت لهم واثبتوا \* الى الحرب كالنعم الجفل

وعلمتهم كشف سوآتهم \* لرد الغضنفرالمقبل

وسيرتهم للقاء الكماة \* كسير الحمير الى المحمل

وصيرت اهل نفاق العراق \* يسيرون قصدا الى الموصل

وقلت لهم ان تشلوا الرماح \* عليها المصاحف في القسطل

ورمت الحكومة عن حيدر \* لينقض ما شيدوا معول

وجهل ابن آكلة للكبود \* باعظم شيء به ابتلي

ولولاا موازرتي كمثل النساء \* تهاب الخروج من المنزل

نسيت محاورتي الاشعري \* ونحن على دومة الجندل

ما لعقة عسلا باردا \* وامزجه بجنى الحنظل

الين فيطمع في جانبي \* وقد غاب سهي في المفصل

خلعت الخلافة من حيدر \* كخلع النعال من الارجل

فالبستها فيك بعد ولى الاياس \* كلبس الخواتم في الانمل

وارقيتك المنبر المشمخر \* بلا حد سيف ولا منصل

اعناك من جهلنا يا نجل هند \* على السيد البطل الاكمل

نصرناك يا نجل هند على \* ابي الحسن السيد الافضل

وسيرت ذكرك في الخافقين \* كسير الحمياء في المفصل

فحيث تركناك فوق الرؤوس \* فانزلتنا اسفل الاسفل

وكم قد سمعنا من المصطفى \* وصايا مخصـصة في علي

وفي يوم خم رقى منبرا \* يبلغ والركب لم يرحل

وفي كفه كفه معلنا \* يقول بامر العزيز العلي

الست بكم منكم بالنفوس \* باولى فقالوا بلى فضل

فقال ومن كنت مولى له \* على له الآن نعم الولي

فوال مواليه يا ذا الجلال \* وعاد معادي اخي المرسل

وانحله امرة المؤمنين \* من الله واستخلت في الولي

وقال وليكم فاحفظوه \* كحفظي فمدخله مدخلي

ولا تنقضوا العهد في عترتي \* فقاطعهم بي لم يوصل

فبخبخ شيخك لما رأى \* عرى عقد حيدر لم يحلل

وانك شيطاننا المستزل \* لنا عنه في الآخر الاول

فانا وما كان من فعلنا \* من النار في الدرك الاسفل

وان عليا غدا خصمنا \* ويعتز بالله والمرسل

يطالبنا عن امور جرت \* ونحن عن الحق في معزل

وما دم عثمان منج لنا \* عن النار والموقف المحجل

الا يابن هند ابعت الجنان \* بعهد عهدت ولم توف لي

واخرت عقباك كيما تنال \* قليل الحطام مع الاكمل

واهملت اخرى كيما انال \* لشر الحطام بذي الارذل

واخسرت في الناس كيما استقام \* لك الملك في فلك مهول

ولم تنقع بعد سخف المقام \* فاعلاه في الشرف الاكمل

وكنت كمقتنص في الشراك \* تذود الظبا عن المنهل

فما عذرنا عند كشف الغطا \* لك الويل منه غدا ثم لي

فان قلت بينكما نسبة \* فاين الحسام من المنجل

واين الثريا واين الثرى \* واين معاوية من علي

كان قد نسيت ليالى الهرى \* وما كان من هولها المهول

وقد بت تذرق ذرق النعام \* حذارا من الصارم المفصل

لحظت بطرفك يا عمرو اين \* المفر من البطل المقبل

وشاطرتني كلما يستقام \* من الملك دهرك لم تنكلي

فمن فرق من علي كشفت \* عن سوءتي مبعدا اذيلي

فستر عن وجهه وانثنى \* حياءا وروعك لم يعقل

وانت لخوفك من بأسه \* هناك ملئت من الافكل

فلما ملكت ومات الحسام \* ونالت عصاك يد الاطول

سمحت لغيري يوزن الجبال \* ولم تعطني زنة الخردل

وصيرت مصرا لمن قد اردت \* واصبح عقلك مستجهل

فان كنت تطمع فيها فقد \* تخل القطا من يد الاجدل

فان لم تساعد الى ردها \* فاني لحربكم مصطلي

بخيل جياد وشم الانوف \* وبالمرهفات وبالذبل

وحد اللسان كلدغ السنان \* بطوع الخليقة بالفيصل

وانك من امرة المؤمنين \* ودعوى الخلافة في معزل

وما لك في ذاك حق بحق \* ولا لجدودك في الاول

ولكنني ملت ميل الضلال \* لعظم شقاء عن الامثل

عدلت الخلافة عن حيدر \* اليك فيا لك من معدل

فان كنت فيها بلغت المنى \* ففي عنقي علق الجلجل

وذكر المسعودي ان عمرو بن العاص لما غلب الاشعري في الحكومة عظمه اهل الشام وطمع في الخلافة وارى ان الامر في يديه ان شاء اقام نفسه وان اراد ان يقيم معاوية ازداد شرطا الى شرطه وطلب مع مصر غيره، فلما رجع الىمعاوية وهو في دمشق لم يوافق معاوية ووصل الى بيته فحين علم معاوية ذلك سار بمن معه اليه وامر ان يحمل غداءه ودخل الى عمر وقال له انك تأخرت عن زيارتنا فاتيناك زائرين ومسلمين فلم يقم عمرو له عن مكانه وجلس في صدر المجلس ومعاوية الى جنبه ، فلما سلم عليه وسأله عن ما اراد من امره وامر الاشعري قال له معاوية هل عندكم شيء من الفداء قال عمرو لا ، فقال معاوية اتونا غدانا فاتوا بما كان هيأه فقال لا يدخل الذين معي الا بعد الذين معك يا عمرو اجلالا لك وتعظيما لمكانك وقد امر معاوية اصحابه انه اذا قام واحد من اصحاب عمرو عن الغداء قعد واحد منهم مكانه فلم يزالوا كذلك حتى اذا لم يبق في المجلس الا الذين مع معاوية امرهم معاوية فغلقوا الباب ثم قال ياعمرو لئن لم تبائع لاضربن عنقك ، واخترط سيفه فقال عمرو ادخل اصحابي ليشهدوا ما بيني وبينك فامتنع عليه معاوية ان يدخل اليه من اصحابه حتى بائعه .

ولما بلغ امير المؤمنين ع م امر الحكمين وما صنعا قام خطيبا فقال :

الحمد لله وان اتى الدهر بالخطب الفادح والحدث الجليل واشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له ليس له معه اله غيره وان محمدا عبده ورسوله صلى الله عليه وآله

اما بعد فان معصية الناصح الشفيق العالم المجرب تورث الحيرة وتعقب الندامة وقد كنت امرتكم في هذه الحكومة امري ونخلت لكم مخزون رأيي لو كان يطاع لقصير امر فابيتم علي اباء المخالفين الجفاة والمنابذين العصاة حتى ارتاب الناصح بنصحه وضن الزند بقدحه فكنت واياكم كما قال اخو هوازن

امرتكم امري بمنعرج اللوى فلم تستبينوا النصح الا ضحى الغد

الا ان هذين الرجلين الذين اخترتموها حكمين قد نبذا حكم القرآن وراء ظهورهما فاماتا ما احيا القرآن واحييا ما امات القرآن واتبع كل واحد منهما هواه بغير حجة بينة ولا سنة ماضية وحافا في حكمهما فكلهما لم يرشد ولم يسدده الله تعالى فالله بريء منهما ورسوله وصالح المؤمنين.

وقام الحسن ابن علي عليه السلام خطيبا بعد ان خاض الناس في امر ابي موسى وعمرو فحمد الله واثنى عليه وصلى على النبي وقال :

ايها ا لناس قد اكثرتم في امر عبد الله بن قيس وعمرو بن العاص وانما بعثا ليحكما بالكتاب على الهوى فحكما بالهوى على الكتاب فمن كان هكذا لم يسم حاكما ولكنه محكوم عليه وقد اخطأ عبد الله بن قيس ان جعلها لعبد الله بن عمرو فاخطأ في ثلاث خصال خلاف ابيه وابوه لم يرضه لها ، ولم يؤامره في نفسه، ولم يجتمع عليه المهاجرون والانصار الذين يعتقدون الامامة ويحكمون بها على الناس ، فاما الحكومة فرضى الله وقد حكم سعيد بن معاذ في بني قريظة بحكم الله لا شك فيه فحكم فيهم بالحق ولو خالف ذلك لم يرضه رسول الله صلع ولم يمضه ، ثم جلس .

وقام عبد الله ابن العباس خطيبا فحمد الله واثنى عليه وصلى على نبيه ثم قال :

ايها الناس ان للحق اهلا اضاء نورهم بالتوفيق ، وانما سار عبد الله بن قيس بهدي الى ضلال وسار عمرو بن العاص بضلال الى هدي ، فلما التقيا رجع عبد الله بن قيس عن هداه ومضى عمرو بن العاص على ضلالته ، فوالله لئن كانا حكما بالكتاب لقد حكما عليه ولئن كان حكما بما اجتمعا عليه فما اجتمعا على شيء ، ولئن كانا حكما بما سارا عليه لقد سار عبد الله وعلي امامه ، وسار عمرو ومعاوية امامه ، فما بعد هذا من غيب ينتظر ولكن قرحت الحرب نابا واحبوا البقاء فدفعوا البلاء بمثله ، ورجى كل قوم صاحبهم ، ثم جلس

ثم قام عبد الله بن جعفر بن ابي طالب خطيبا فقال بعد حمد الله والصلوة على نبيه صلع :

ايها الناس ان هذا امر النظر فيه الى امير المؤمنين والرضى فيه لغيره ، وجئتم بعبد الله بن قيس مبرنسا فقلتم لا نرضى الا بهذا فارض به ، فانه رضى الله ، وايم الله ما استفدنا به علما ولا انتظرنا منه غائبا ، وما امنا ضعفه ، ولا رجونا توبة صاحبه ، ولا اصلحا اهل الشام بما فعل ولا افسدا العراق ولا اماتا حق علي ولا احييا باطل معاوية وانا على ما كنا عليه امس، ثم جلس.

فقال الثني في ذلك :

اقام امير المؤمنين ثلاثة \* فجازاهم ربي بخير موفر

اقام ابنه خير البنين شبيهه \* ونادى ابن عباس ونادى ابن جعفر

فقالوا بامر يقصر الوصف دونه \* ولم يبرموه في الخلا والتفكر

فاحيوا بما قالوا القلوب وانما \* يراد بذاك الامر اهل التدبر

فنحن على ما كان بالامس ديننا \* عليه واهل الشام اهل التحير

وعمرو وعبد الله شيخا ضلالة \* وحكهما هذا سراب بقرقر

وقام الى امير المؤمنين ص ع رجل فقال نهيتنا عن الحكومة ثم امرتنا بها فما ندري اي الامرين ارشد

فصفق امير المؤمنين ع م احدى يديه على الاخرى ثم قال هذا جزاء من ترك القعدة، اما والله لو اني حين امرتكم بما امرتكم حملتكم على المكروه الذي يجعل الله فيه خيرا فان استمعتم هديتكم وان اعوججتم قومتكم وان ابيتم تداركتكم ، لكانت الوثقى ولكن بمن والى من اريد ان اداوي بكم وانتم دائي كناقش الشوكة بالشوكة وهو يعلم ان ضلعها معها ، اللهم قد ملت اطباء هذا الداء الدوي وكانت النزعة باشطان الزكي، اين القوم الذين دعوا الى الاسلام فقبلوه وقرؤا القرآن فاحكموه وهيجوا الى الجهاد فولهوه وله اللقاح اولادها وسلبوا السيوف اغمادها واخذوا باطراف الارض زحفا زحفا وصفا وصفا ، بعض هلك وبعض نجى، لا يبشرون بالاحياء ، ولا بعزون عن الموتى ، مره العيون من البكاء ، خمص البطون من الطوى ، ذبل الشفاه من الدعاء ، صفر الالوان من السهر، على وجوههم غيرة الخاشعين ، اولئك اخواني الذاهبون فحق لنا ان نظمأ اليهم ونض الايدي على فراقهم ، ان الشيطان سنى لكم طرقه ويريد ان يحل عن دينكم عقدة ويعطيكم بالجماعة الفرقة وبالفرقة الفتنة ، فاصدفوا عن نزعاته ونفثاته، واقبلوا النصيحة ممن اهداها اليكم اعقلوها على انفسكم .

ومن كلامه عليه السلام :

انا لم نحكم الرجال وانما حكمنا القرآن وهذا القرآن انما هو خط مستور بين الدفتين ، لا ينطق بلسان ولا بد له من ترجمان وانما ينطق عنه الرجال ، ولما دعى القوم ان نحكم بيننا القرآن لم نكن من الفريق المتولي عن كتاب الله ، قال الله تعالى فان تنازعتم في شيء فردوه الى الله اي بحكم كتابه ، والى الرسول اي باخذ سنته ، فاذا حكم بالصدق في كتاب الله فنحن احق الناس به وان حكم بسنة رسول الله صلع فنحن اولاهم بها

واما قولكم لم جعلت بينكم وبينهم اجلا في تحكيم فانما فعلت ذلك ليتبين الجاهل ويتثبت العالم ولعل الله ان يصلح في هذه الهدنة امر هذه الامة ، ولا تؤاخذ باكظامها فتعجل عن تبيين الحق وتنقاد لاول الغي ، ان افضل الناس عند الله من كان العمل بالحق احب اليه وان نقصه وكثرته من الباطل ، وان جرى فيه فائدة وزائدة فاين يتاه بكم وابن اتيتم ، استعدوا للمسير الى قوم حيارى عن الحق لا يبصرونه ومولعين بالجور لا يعدلون عنه جفاة عن الكتاب نكب عن الطريق ما انتم بوثيقة يعلق بها ولا زوافر يعتصم اليه ، لبئس حشاس ا نار الحرب انتم اف لكم لقد لقيت منكم قرحا يوما اناديكم ويوما اناجيكم فلا احرار عند النداء ولا اخوان ثقة عند الرجا

ومن كلام له عليه السلام في معنى الحكمين

فاجمع رأي ملئكم على ان اختاروا وجلين فاخذنا عليهما ان يجعجعا عند القرآن ولا يجاوزاه وتكون السنتهما معه وقلوبهما تبعه فتاها عنه وتركا الحق وهما يبصرانه وكان الجور هواهما والاعوجاج دأبهما وقد سبق اشتثناؤنا عليهما في الحكم بالعدل والعمل بالحق سوء رأيهما وجور حكمهما والثقة في ايدينا لانفسنا حين خالفا سبيل الحق واتيا بما لا يعرف من معكوس الحكم

وكان امير المؤمنين صلى الله عليه اذا قنت يلعن معاوية وعمرو بن العاص وابا موسى وابا الاعور السلمي ويدعو عليهم وكان قيس بن سعد بن ابي عبادة الانصاري قد استعمله امير المؤمنين علي ابن ابي طالب ص ع على مصر وهو سيد الانصار وابوه سعد حامل رأية الانصار مع رسول الله صلع يوم بدر وغيره ، فلما اراد معاوية كيده كان يقول في اجتماع اهل الشام ان قيسا قد صار باطنه منا وان كان ظاهره من علي ابن ابي طالب وحسبكم في ذلك تما ترون من احسانه الى اخواننا وبره بهم ، وكان اهل العراق يأتون الى امير المؤمنين ص ع ويقولون ان معاوية قد استمال قيسا وصار اصحاب معاوية في مصر مع قيس فهيف منعمني ، فكتب اليه امير المؤمنين ع م ان ناجز من بمصر من اصحاب معاوية الحرب فابى قيس وكتب الى امير المؤمنين انهم عشرة الف فارس واني اخاف ان ناجزتهم الحرب ان يكون لهم الغلب فان وجوه اهل مصر واشرافهم وذوي البأس والحفاظ منهم وقد رضوا مني بان اومن سربهم واجري عليهم ارزاقهم وقد علمت ان اهوائهم مع معاوية ولست بمكائدهم بآمن اهون علي وعليك من ان افعل بهم ذلك ولو دعوتهم الى قتال كانوا اقرب الي وهم اسود العرب فمنهم بشر بن ارطاة ومحمد بن مخلد ومعاوية بن خديج فدعنى يا امير المؤمنين ورأيي فيهم

وكتب معاوية بن ابي سفيان الى قيس بن سعد الاانصاري :

بسم الله الرحمن الرحيم ، اما بعد فانك يهودي ابن يهودي عنى نفسك ما ليس لك ، ولئن ظهر احب الفريقين اليك عزلك ولئن ظهر ابغضهما اليك نكل بك وقتلك ، وقد كان ابوك وتر قوسه ورمى غرضه فاكثر الجز وادامى المفصل فخذله قومه وادركه يومه ثم مات طريدا بحوران ، والسلام

فاجابه قيس بن سعد :

بسم الله الرحمن الرحيم ، اما بعد ، يا معاوية فانما انت وشن وابن وشن دخلت في الاسلام كرها وخرجت منه طوعا ، لم يقدم ايمانك ولم يحدث نفاقك ، كان ابي وتر قوسه ورمى غرضه وشغب عليه من لم يبلغ كعبه ولم يشق غباره ونحن انصار الدين الذي اخرجت منه واعداء الدين الذي اخرجت اليه ، والسلام.

فاقام قيس بن سعد رحمة الله عليه اياما بمصر وساس الامور ودارى العدو ولم يأل جهدا في طاعة امير المؤمنين عليه السلام ، واستعمل امير المؤمنين على مصر محمد ابن ابي بكر رضوان الله عليه فلما علم قيس بوصول محمد بن ابي بكر تلقاه واكرمه وكان امير المؤمنين ص ع يحل محمدا محل احد ولده وكان من شيعته المخلصين، وخلا قيس بن سعد بمحمد بن ابي بكر وقال ان عزلي عن مصر ليس يمنعني ان انصح لامير المؤمنين واني من طاعته وولايته لعلى بصيرة ، واني قد كنت اكايد معاوية وعمرا ووصف له قيس ما كان يكايدهم به وخرج قيس الى امير المؤمنين صلوات الله عليه ونبأه بما كان عليه من مكايدة معاوية فعلم امير المؤمنين نصحه وانه كان يكف منهم شرا ، ووجه امير المؤمنين ص ع قيس بن سعد الى اذربيجان وارضها فلم يزل قيس يشد ذلك الثغر حتى فتك ابن ملجم اللعين بامير المؤمنين ص ع وملك العراق معاوية

وكان من عهد امير المؤمنين ص ع لمحمد بن ابي بكر حين قلده مصر: فاخفض لهم جناحك والن لهم جانبك ، وابسط لهم وجهك وآس بينهم في اللحظة والنظرة حتى لا يطمع العظماء في حيفك ولا ييأس الضعفاء من عدلك ، فان الله تعالى سائلكم معشر عباده عن الصغير من اعمالكم والكبير والظاهر والمستور ، فان يعذب فانتم اظلم وان يعفو فهو اكرم ، واعلموا عباد الله ان المتقين ذهبوا بعاجل الدنيا وآجل الآخرة فشاركوا اهل الدنيا في دنياهم ولم يشاركهم اهل الدنيا في آخرتهم، سكنوا الدنيا بافضل ما سكنت واكلوها بافضل ما اكلت ، فحظوا من الدنيا بما حظي به المترفون واخذوا منها ما اخذ الجبابرة المتكبرون ، ثم انقلبوا عنها بالزاد المبلغ، والمتجر الرابح ، فاصابوا لذة زهد الدنيا في دنياهم ، وتيقنوا انهم جيران الله في آخرتهم ، لا ترد لهم دعوة ولا تنقص لهم نصيب من لذة فاحذروا عباد الله الموت وقربه ، واعدو له عدة فانه يأتي بامر عظيم وخطب جليل بخير لا يكون معه شر ابدا وشر لا يكون معه خير ابدا ، فمن اقرب الى الجنة من عاملها ومن اقرب الى النار من عاملها ، وانتم طرداء الموت ان وقفتم له اخذكم ، وان فررتم منه ادركـكم ، وهو الزم من ظلكم الموت معقود بنواصيكم والدنيا تطوى خلفكم فاحذروا نارا قعرها بعيد وحرها شديد وعذابها جديد ، ليس فيها رحمة ولا تسمع فيها دعوة ولا تفرج فيها كربة ، وان يحسن ظنكم به فاجمعوا بينهما فان العبد انما يكون حسن ظنه بربه على قدر خوفه من ربه ، وان احسن الناس ظنا بالله اشدهم خوفا لله ، واعلم يا محمد بن ابي بكر اني قد وليتك اعظم اجنادي في نفسي اهل مصر فانت محقوق على ان تخالف على نفسك وان تنافح عن دينك ولو لم يكن لك الا ساعة من الدهر وتسخط الله برضى احد من خلقه فان في الله خلفا من غيره وليس من الله خلف في غيره ، صل الصلوة لوقتها الموقت لها ، ولا تعجل لفراغ ولا تؤخرها عن وقتها لاشتغال ، واعلم ان كل شيء من عملك تبع لصلوتك ، واعلم انه لا سواء امام الهدى وامام الردى ، وولي النبي وعدو النبي ، ولقد قال رسول الله صلع اني لا اخاف على امتي مؤمنا ولا مشركا، اما المؤمن فيمنعه الله بايمانه ، واما المشرك فيقمعه الله بشركه ، ولكني اخاف عليكم كل منافق الجنان عالم اللسان يقول ما تعرفون ويفعل ما تنكرون

ثم ان محمدا ابن ابي بكر لما ولي مصر اقام العدل وكره الجور وقرب اهل الدين والامانة، وباعد اهل الفسوق والخيانة ، وانقطعت عن بسر بن ارطاة من كان يميل الى رأيه من اصحاب معاوية الاشرة ، وعلموا انهم مع غيرهم من المسلمين بالسوية تشغبوا في البلاد وسعوا فيها بالفساد فاضطربت امر مصر ونواحيها وبدأ الاختلاف والفساد فيها

فولى امير المؤمنين مالك بن الحارث الاشتر النخعي امر مصر وجعل اليه جباية خراجها وجسها وعدوها واستصلاح فاسدها وعمارة بلادها ، وكتب امير المؤمنين ص ع الىمصر مع مالك الاشتر :

بسم الله الرحمن الرحيم

اما بعد فان الله سبحانه بعث محمدا صلى الله عليه وآله وسلم نذيرا للعالمين ومهيمنا على المرسلين فلما مضى عليه السلام تنازع المسلمون الامر من بعده فوالله ما كان يلقي في روعي ولا يخطر ببالي ان العرب تزعج هذا الامر من بعده صلى الله عليه وآله وسلم عن اهل بيته ولا انهم منحوه عني من بعده فما راعني الا انثيال الناس على فلان يبايعونه فامسكت يدي حتى رأيت راجعة الناس قد رجعت عن الاسلام يدعون الى محق دين محمد صلى الله عليه وآله وسلم فخشيت ان لم انصر الاسلام واهله ان ارى فيه ثلما او هدما تكون المصيبة به علي اعظم من فوت ولايتكم التي انما هي متاع ايام قلائل يزول منها ما كان كما يزول السراب او كما يتقشع السحاب فنهضت في تلك الاحداث حتى زاح الباطل وزهق واطمأن الدين وتنهنه

ومنه : اني والله لو لقيتهم واحدا وهم طلاع الارض كلها ما باليت ولا استوحشت واني من ضلالهم الذي هم فيه والهدى الذي انا عليه لعلى بصيرة من نفسي ويقين من ربي واني الى لقاء الله لمشتاق وحسن ثوابه لمنتظر راج ولكنني آسى ان يلي امر هذه الامة سفهاؤها وفجارها فيتخذوا مال الله دولا وعباده خولا والصالحين حربا والفاسقين حزبا فان منهم الذي قد شرب فيكم الحرام وجلد حدا في الاسلام وان منهم من لم يسلم حتى رضحت له على الاسلام الرضائح فلولا ذلك ما اكثرت تأليبكم وتأنيبكم وجمعكم وتحريضكم ولتركتكم اذ ابيتم وونيتم

الا ترون الى اطرافكم قد انتقصت والى امصاركم قد افتتحت والى ممالككم تزوى والى بلادكم تغزى انفروا رحمكم الله الى قتال عدوكم ولا تثاقلوا الى الارض فتقروا بالخسف وتبوءوا بالذل ويكون نصيبكم الاخس وان اخا الحرب الارق ومن نام لم ينم عنه والسلام

وكتب عليه السلام الى اهل مصر ايضا لما استعمل عليهم الاشتر :

بسم الله الرحمن الرحيم ، من عبد الله علي امير المؤمنين الى القوم الذين غضبوا لله حين عصي في ارضه وذهب بحقه فضرب الجور سرادقه على البر والفاجر والمقيم والظاعن فلا معروف يستراح اليه ولا منكر يتناهى عنه

اما بعد فقد بعثت اليكم عبدا من عباد الله لا ينام ايام الخوف ولا ينكل عن الاعداء ساعات الروع اشد على الكفار من حريق النار وهو مالك بن الحارث اخو مدحج فاسمعوا له واطيعوا امره فيما طابق الحق فانه سيف من سيوف الله لا كليل الظبة ولا نابي الضريبة فان امركم ان تنفروا فانفروا وان امركم ان تقيموا فاقيموا فانه لا يقدم ولا يحجم ولا يؤخر ولا يقدم الا عن امري وقد آثرتكم به على نفسي ليصيحته وشدة شكيمته على عدوكم

قول امير المؤمنين ص ع في اهل مصر الذين غضبوا لله حين عصي في ارضه يريد ع م انهم الذين نقموا على عثمان وعابوا عليه ما غيره من سنن الدين والقرآن وسعوا في قتله حتى كان.

ولما بلغ معاوية مسير الاشتر لولاية مصر شق ذلك عليه وكان قد طمع في الفرج وقد عرف عداوة الاشتر له وشدته عليه ، وقال علي بالعراق ومالك بمصر انها لداعية الهلاك ، فدس معاوية رجلا من موالي بني امية فخرج من الشام حتى استقبله بارض القلزم فجعل له طعاما ونزلا وقد كان حين بعث ذلك الرجل يقول لاهل الشام ادعو الله يا اهل الشام على الاشتر فاني لارجو ان تكفوه ان شاء الله ،فلما لقي الرجل الاشتر انزله واكرمه واتاه بشربة من عسل فيها سم ، فلما شربها الاشتر مات رحمة الله ورضوانه عليه

وكان الاشتر من التابعين باحسان الذين وفدوا على النبي صلع وكان من الولاية للوصي الاكيدة وصحة الولاية والعقيدة، والعداوة لاعداء الله الشديدة ، من لا يقوم احد في مقامه لقوته في ذات الله وشدته على المنافقين الباغين، وجهاده المشهور مع علي ابن ابي طالب امير المؤمنين ،

ولما بلغت امير المؤمنين ص ع وفاة الاشتر رضوان الله عليه بلغ ذلك منه مبلغا عظيما وجزع عليه جزعا شديدا حتى استبان ذلك في وجهه وقال رحم الله مالكا فلو كان من الصخر كان جلمودا او كان من الحديد كان فرندا ، وما احسبه الا قدّ متني قدا ، وقد هدّ المسلمين بوفاته هدا .

وكتب امير المؤمنين الىمحمد بن ابي بكر عامله بمصر وقد بلغه توجعه من عزله بالاشتر بعد وفاة الاشتر رحمة الله عليه في توجهه اليه :

بسم الله الرحمن الرحيم ، من علي ابن ابي طالب امير المؤمنين الى محمد بن ابي بكر ، اما بعد فسلام عليك واني احمد الله سبحانه اليك وانه قد بلغني توجدك من تسريحي الاشتر الى عملك واني لم افعل ذلك استبطاء لك في الجهد ولا ازديادا لك في الجهد ، ولو نزعت ما تحت يدك من سلطانك لوليتك ما هو ايسر عليك مؤنة واعجب اليك ولاية ، ان الرجل الذي كنت وليته امر مصر كان رجلا ناصحا وعلى اعدائنا شديدا ناقما فرحمه الله فلقد استكمل ايامه، ولاقى حمامه ، ونحن عنه راضون ، اولاه الله رضوانه وضاعف الثواب له فاصحر علي عدوك وامض على بصيرتك وشمر لحرب من حاربك ، وادعى ا لى سبيل ربك ، واكثر الاستعانة بالله يكفك ما اهمك ، ويعنك على ما ينزل بك ان شاء الله ، والسلام.

واجتمع اصحاب معاوية في مصر وتالبوا وكتبوا الى معاوية كتابا فوجه اليهم عمرو بن العاص في اثنا عشر الفا ، فلما بلغ محمدا رضوان الله عليه اقبال عمرو بن العاص في الجنود بعث من قبله صريخا الى امير المؤمنين عليه يخبره بذلك ويستمده، فلما بلغ ذلك امير المؤمنين سلام الله عليه قام خطيبا فحمد الله تعالى واثنى عليه وصلى على النبي ثم قال :

ام بعد فان هذا صريخ محمد بن ابي بكر واخوانكم بمصر وقد سار اليهم ابن النابغة عدو الله وعدو من والى الله فلا يكونن اهل الضلالة والباطل اشد اجتماعا على باطلهم وضلالتهم منكم على حقكم وهداكم فاعجلوا اليه بالمواساة، عباد الله واعلموا ان مصر اعظم من الشام اكثر خيرا وخيرا فلا يغلبن على مصر ان بقاء مصر في ايديكم عزّ لكم وكبت لعدوكم ، اخرجوا الى الجزعة بين الكوفة والحيرة ووافرني هناك غدا ان شاء الله ، فلما كان من الغد خرج امير المؤمنين صلى الله عليه فاقام بالجزعة الى الليل فلم يتواف بها الا مائتا رجل فدخل الكوفة فجمع اشرافها فقام فيهم خطيبا ، فقال الحمد لله احمده على ما قضى من امر وقدم من فعل وعلى ابتداء بكم ايها الفرقة اذا امرت لم تطع واذا دعوت لم تجب ، ان امهلتم خضتم وان جوزيتم جرتم وان مجتمع الناس على امام طعنتم وان اجبتم الى مشافهة لا ابا لغيركم ما تنتظرون بنصركم والجهاد على حقكم الموت او الذل لكم ، فوالله ان جاء يومي وليا تبين ليفرقن بيني وبينكم وانا لصحبتكم قال وبكم غير مكترث ، لله انتم اما دين يجمعكم ولا حمية تشحذكم وليس عجبا ان معاوية يدعو الجفاة الطغام فيتبعونه على غير معرفة ولا عطاء وانا ادعوكم وانتم تركة الاسلام وبقية ا لناس الى المعونة او طائفة من العطاء فتفرقون عني وتختلفون علي انه لا يخرج اليكم من امري رضاء فترضونه ولا سخط فتجتمعون عليه ، وان احب ما انا لاق الي الموت قد دارستكم الكتاب وفاتحتكم الحجاج وعرفتكم ما انكرتم وسوغتم بجحتم ولو كان الاعمى يلحظ او النائم يستيقظ واقرب بقوم من الجهل بالله قائدهم معاوية ومؤدبهم ابن النابغة، وانتهى عمرو بن العاص بجنوده الى مصر وخرج محمد بن ابي بكر في لقائهم فخان محمدا اصحابه ولم يبق معه الا قليلا من الصابرين قد استعدوا للجهاد ورضوا بالشهادة ليفوزوا بها في المعاد ، فقتل محمد رضوان الله عليه شهيدا فيمن صبر معه رحمة الله عليهم

فقدم على امير المؤمنين ص ع عبد الرحمن بن شيب القرازمي فاخبره بشهادة محمد بن ابي بكر واستفتاح اهل الشام مصر وقال ما رأيت امرا قط اسر ولا سرورا اظهرمن شيء رأيته بالشام حين اتاهم هلاك ابن ابي بكر فقال ص ع : اما ان حزننا بقدر سرورهم لا بل يزيد اضعافا، وقال عليه السلام لعن الله معاوية اما مالك فقد متني قدا ، واما محمد ابن ابي بكر فكان لي ولدا وجزع امير المؤمنين ص ع جزعا شديدا وقام خطيبا في الناس فحمد الله واثنى عليه وصلى على النبي ثم قال الا ان مصر قد افتتحت الا وان محمد بن ابي بكر قد استشهد رحمة الله عليه وعند الله نحتسبه اما والله ما علمت انه قد كان ممن ينتظر القضاء ويعجل للجزا في ويحب مصارع الشهداء ويبغض شكل الفاجرين ويحب هدي المؤمن ، اني والله ما الوم نفسي في تقصير ولا عجز واني بمقاساة الحرب لجد خبير ، واني لاتقدم في الامر واعرف وجه الحزم واقوم فيكم بالرأي المصيب فاستصرخ معلنا وانادي نداء المستعتب متنوبا فلا تسمعون لي قولا ولا تطيعون لي امرا حتى يصير الامر الى عواقب المساة فانتم قوم لا يدرك بكم الثار ولا تقضي بكم الاوتار ، دعوتكم الى غياث اخوانكم من بضع وخمسين ليلة فجرجرتم جرجر الجمل الاشتر وثاقلتم الى الارض تثاقل من ليست له نية في جهاد العدو ولا اكتساب الاجر ثم اخرج الي منكم جند مترائص كأنما يساقون الى الموت وهم ينظرون ، فاف لكم ثم نزل ع م

وكتب الى عبد الله بن العباس رضي الله عنه وهو عامله بالبصرة اما بعد فان مصر قد افتتحت ومحمد بن ابي بكر قد استشهد فعند الله نحتسبه ولدا ناصحا وعاملا كادحا وسيقا قاطعا وركنا دافعا ، وقد كنت حثـثت الناس على لحاقه وامرتهم بغياثه قبل الوقعة ودعوتهم سرا وجهرا وعودا وبدأ فمنهم الآتي كارها ومنهم المعتل كاذبا ومنهم القاعد خاذلا اسأل الله تعالى ان يجعل لي منهم فرجا عاجلا ، فوالله لولا طمعي عند لقاء عدوي في الشهادة وتعطيني نفسي على المنية لاحببت ان لا ابقى مع هؤلاء يوما واحدا ولا التقي بهم ابدا

وقال امير المؤمنين ع م وما يمنعني ان لا احزن على ابن ابي بكر والله انه كان لي ربيبا وكان لبني اخا وكنت اعده ولدا

ومكث امير المؤمنين ع م بعد قدومه من صفين ستة اشهر

ثم ان ابن الكوا اليشكري وشيب بن ربعي التميمي خرجا في جماعة من اصحاب البرانس والاساطين وهؤلاء هم المارقون الذين امر امير المؤمنين رسول الله صلع بجهادهم وبدا منهم النفاق بعد امرالحكمين واظهروا ا لطعن علىامير المؤمنين ص ع وقالوا انه قد كفر واما ان يقر بالكفر على نفسه ويتوب من فعله والا فقد وجب جهاده ومباينته ، فكلمهم امير المؤمنين ع م وقال لهم اصابكم ولا بقي منكم عاثر ، ابعد ايمان بالله وجهادي مع رسول الله صلع اشهد على نفسي بالكفر فقد ضللت اذا وما انا من المهتدين ، فاوبوا شر مآب وارجعوا علي اثر الاعقاب ، اما انكم ستلقون بعدي ذلا شاملا وسيفا قاطعا واثرة يتخذها الظالمون فيكم سنة.

وعن احمد بن شعيب النساءي باسناده عن عبد الله بن العباس قال لما خرجت الحرورية ، اعتزلوا في دار وكانوا ستة آلاف فقلت لعلي ع م يا امير المؤمنين اوجز في الصلوة لعلي اكلم هؤلاء القوم فاني اخافهم عليك ، فصلى وصليت معه ثم دخلت عليهم الدار وهم يأكلون فقالوا مرحبا بابن عباس فما جاء بك ، فقلت اتيتكم من عند اصحاب النبي صلع المهاجرين والانصار ومن عند ابن عم النبي صلع وصهره وعليهم نزل القرآن وهم اعلم بتأويله منكم وليس فيكم منهم احد لابلغكم ما يقولون ولابلغهم ما تقولون ، فانتحى الى نفر منهم فقلت هاتوا ما تنقمون على امير المؤمنين ع م وعلى اصحاب رسول الله صلع ، قالوا ثلاثا قلت وهاتهن ، فقالوا :

اما واحدة فانه حكم الرجال في امر الله وقد قال الله عز وجل ان الحكم الا لله

فقلت هذه واحدة ،

قالوا نعم والثانية انه احل الغنائم وحرم السبي، فان كان الذين قاتلهم وقتلهم كفارا فقد حل سبيهم وان كانوا مؤمنين فما حل قتلهم ولا قتالهم ولا غنائمهم ،

قلت هذه اثنتان

قالوا نعم واما الثالثة فمحى اسمه من امرة المؤمنين فان لم يكن امير المؤمنين فهو امير الكافرين ، وان كان امير المؤمنين فلم محى اسمه من امرة المؤمنين

قلت هذه الثلاثة ،

قالوا نعم

قلت هل عندكم غير هذا ،

قالوا لا وحسبنا هذا ،

قلت لهم أرأيتم ان قرأت عليكم من كتاب الله واخبرتكم عن رسول الله صلع بما لا تدفعونه بان الذي انكرتموه قد جاء عن الله عز وجل ورسوله اترجعون ،

قالوا نعم

قلت اما قولكم انه حكم الرجال في امر الله فانا اقرأ عليكم من كتاب الله عز وجل انه قد صيرحكمه الى الرجال في ربع درهم فامر الرجال ان يحكموا فيه وذلك ارنب قتله محرم ، قال الله عز وجل يا ايها الذين آمنوا لا تقتلوا الصيد وانتم حرم ومن قتله منكم متعمدا فجزاء مثل ما قتل من النعم يحكم به ذو عدل منكم ، فكان من حكم الله عز وجل ان صيره الى الرجال يحكمون فيه ، اناشدكم الله احكم الرجال في صلاح ذات بينهم وحقن دمائهم افضل ام حكمهم في ارنب ، قالوا بل ذلك افضل ،

قال قلت وقول الله عز وجل في المرأة وزوجها فان خفتم شقاق بينهما فابعثوا حكما من اهله وحكما من اهلها ان يريدا اصلاحا يوفق الله بينهما ، اناشدكم الله احكم الرجال في صلاح ذات بينهم وحقن دمائهم افضل ام حكمهم في بضع امرأة ، قالوا بل ذلك افضل

قال قلت اولستم تعلمون ان رسول الله صلع حكم سعدا في بني قريظة

قالوا نعم

فقلت لهم هل خرجت من هذه

قالوا نعم

قالوا فقلت اما قولكم انه قاتل وقتل احل الغنائم ولم يسب الذراري فهو انما فعل ذلك بتوفيق من رسول الله صلع ان ذلك هو الحكم في اهل القبلة ، ولم يفعله برأي نفسه ، وقد انكرذلك من انكره يوم الجمل فاخبرهم بذلك وقال فايكم يضرب على عائشة ويأخذها في سهمه ان ابيتم ، قالوا لا احد واعترفوا له بالصواب فيما فعله وان قلتم انتم انكم تسبون امكم عائشة وتستحلون منها ما تستحلون من غيرها وهي امكم فقد كفرتم، وان قلتم انها ليست بامكم فقد كذبتم ، فانتم في ذلك بين ضلالتين ، فالتمسوا المخرج فلم يحيروا جوابا الا ان قالوا صدقت ،

قال قلت واما محوه تسميته في المحاكمة امير المؤمنين اذ قال معاوية واصحابه اما اذا اقررنا انه امير المؤمنين لم يجب لنا نتحكم عليه افلستم تعلمون ان رسول الله صلع لما صالح المشركين بالحديبية امر عليا ع م ان يكتب هذا ما قاضى عليه محمد رسول الله فقال المشركون انا لو نعلم انك رسول الله ما صددناك ولكن اكتب محمد بن عبد الله ، فقال رسول الله صلع لعلي امحه فابى من ذلك تعظيما له ، فقال رسول الله صلع ارني اياه فاراه مكان رسول الله صلع فمحاه وابى هذاا ما قاضى عليه محمد بن عبد الله وقال الله يعلم اني رسوله، ورسول الله صلع افضل من علي وقد محى ذكر رسالته فهل محاه ذلك من الرسالة ، قالوا لا ،

قلت فكيف مثله عليا ع م من امرة المؤمنين فرجع منهم الفان وخرج باقيهم .

وروي محمد بن راشد باسناده عن عمر بن علي قال لما نزل امير المؤمنين علي ابن ا بي طالب بحرورا عند منصرفه من صفين صف المحكمة وهم يومئذ ثلاثون الفا فاقبل علي ص ع على بغلة رسول الله صلع الشهباء حتى وقف بينهم بحيث يسمعون كلامه فخطبهم امير المؤمنين ص ع فقال :

الحمد لله الذي دنى في علوه فحال دون القلوب وقرب فلم تدرك الابصار ، الاول الآخر الظاهر الباطن الذي اطلع على الغيوب ، وعفى عن الذنوب ، يطاع باذنه فيشكر ، فيعصى بعلمه ويغفر ويستر ، لا يعجزه شيء طلبه، ولا يمتنع منه امر اراده، قدر فحلم ، وعاقب فلم يظلم ، وابتلى من يحب ومن يبغض

ثم قال فيما انزل على نبيه صلع ليمحص الله الذين آمنوا ويمحق الكافرين ، ثم انتم ايها القوم قد علمتم انني كنت للتحكيم كارها حتى غلبتموني فالله شهيد بيني وبينكم ثم كتبنا كما علمتم كتابا وشرطنا فيه ان يحييا ما احي القرآن ويميتا ما امات القرآن ، وانهما لم يفعلا ذلك ، فلا حكومة لهما ، وانتم على الكتاب من الشاهدين وقد عملت على هيئتنا الا ولي فما ذا تقولون ، والى اين تذهبون ، فامتاز منهم ارعبة وعشرون الفا فقالوا اللهم انا نعلم ان هذا هو الحق ودخلوا معه ن وخرج منهم الف فعسكروا بالنخيلة وقالوا هذا مقامنا حتى يرجع امامنا الى قتال اهل الشام وخرج منهم خمسة الف حتى اتوا النهروان وبايعوا عبد الله بن وهب الراشي على الموت

واقام امير المؤمنين ص ع حتى انقضت المدة التي بينه وبين معاوية فامر الناس بالجهاد الى الشام ، وقام ص ع خطيبا فقال بعد ان حمد الله واثنى عليه ووعظ وابلغ ثم قال : ايها الناس سيروا الىعدوكم فان الموادعة التي كانت بيننا وبينهم قد انقضت واعلموا اني اليوم على ما كنت امس عليه فقد رجعت الحرب ولن تلقوا العدو بمغل صبر وصدق وجد ومناصحة ، فاتقوا الله وناصحوه، سيروا على بركة الله فسار بالناس على مثل الجماعة التي سار فيها قبل ذلك فلما نزل امير المؤمنين ص ع بالنهروان خرج ناس من اهل البصرة كانوا قراء الناس قد حلقوا رؤسهم فوجه اليهم امير المؤمنين ع م الحارث بن مرة العبدي في خيل فلقيهم فقتلوا الحارث وتخلف عن امير المؤمنين عليه السلام اربعة الف رجل من القراء كلهم ممن خرج يوم حرورا، فقال نوفل بن فروة الاشجعي :

كرهنا ان نريق دما حراما \* وهيهات الحرام من الحلال

وقلنا في الذي حدثت عنا \* معاذ الله من قيل وقال

نقاتل من يقاتلنا ونرضى \* بحكم الله لا حكم الرجال

وفارقنا ابا حسن عليا \* فما من رجعة اخرى الليالي

وانا بعد فرقته لقوم \* نزف الى علو او سفال

فان يكن السفال فقد هلكنا \* وان يكن العلو فخير حال

تركناه ولم ننقم عليه \* الى يوم الحكومة جمع حال

ولا جهلا بما يأتيه فينا \* ولا جئنا اذا دعيت نزال

وكان لنا ابا في كل امر \* ينجله وندعو خير وال

فحكم في كتاب الله عمروا \* وذاك الاشعري اخا الضلال

فوثب عليه اصحابه فقالوا اظهرت الشك واطرأت عليا ، قال لم اشك ، ارأيتم حيث يقول الله تعالى وانا واياكم لعلى هدى او في ضلال مبين ، هل في هذا من شك، واما علي فوالله ان حزني على فرقته لطويل .

وسار امير المؤمنين ع م من النهروان وفقد الناس بعضهم بعضا فاتى الناس امير المؤمنين ع م فقالوا انا فقدنا قراءنا الذين كانوا خرجوا الى حرورا فبعث اليهم ص ع الرسل فوجدوهم مقيمين فرحلوهم فابوا ان يرحلوا واظهروا البراءة من علي ع م ومن معه فرجعت رسل امير المؤمنين ص ع واخبروه امرهم فارسل امير المؤمنين ص ع ابن عمه عبد الله بن العباس وقال له لا تحاججهم بالقرآن فان القرآن حمال ذو وجوه تقول ويقولون ، ولكن حاججهم به وبالسنة فانهم لن يجدوا عنهما محيصا ، فركب عبد الله بن العباس احسن دوابه وتجمل باجمل ثيابه فانكروا ذلك عليه وقالوا له يابن عباس بينا انت من خير الناس حتى اتيتنا في زي الجبارين فتلى عليهم قول الله تعالى قل من حرم زينة الله التي اخرج لعباده والطيبات من الرزق

ثم قال عبد الله بن عباس ارسلني علي امير المؤمنين ع م الى الخوارج الحرورية لاكلمهم فكلمتهم

فقالوا لا حكم الا لله

قلت اجل ولكن اما تقرؤن القرآن وقول الله عز وجل يحكم به ذوا عدل منكم وقوله تعالى ان احكم بينهم بما انزل الله وقوله سبحانه فابعثوا حكما من اهله وحكما من اهلها وقد شهد منكم من شهد رسول الله صلع اذ حكم سعدا في بني قريظة ، فلما حكم فيهم بالحق اجاز حكمه ، وقال لقد حكمت فيهم بحكم الله من فوق سبعة ارقعة ، فهل تقولون ان رسول الله صلع اخطأ في تحكيم سعد في بني قريظة ، او ايهم اوجب عندكم ان يحكم في امر ما بين رجل او امرأته وجزاء صيد يصيبه محرم او الحكم في امة قد اختلف وقتل بعضها بعضا ليرجع منها الى حكم الكتاب من خالفه فيحقن دماء الامة ويلم شعثها

فقالوا لبعضهم بعضا دعوا ما يقول هذا واصحابه فان الله تعالى قد اخبر انه قوم خصمون ، فرجع ابن عباس الى امير المؤمنين ص ع فاخبره ما هم فيه وما تمادوا عليه من البراءة منه والخلاف عليه وجعلوا يقتلون الناس ويغيرون الاطراف

فلما بلغ امير المؤمنين ص ع صنيعهم قام خطيبا في الذين معه فقال لهم سيروا الى عدوكم او ترجعون الى هؤلاء الذين خلفكم في دياركم ، قالوا بل نرجع اليهم ، فقال ص ع اني محدثكم عن رسول الله صلع انه قال ان طائفة يخرج من قبل المشرق عند اختلاف الناس لا ترون جهادكم مع جهادهم شيئا ، ولا صلوتكم مع صلوتهم شيئا ولا صيامكم مع صيامهم شيئا يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية ، علامتهم ان فيهم رجلا احدى يديه كثدي المرأة يقتلهم اولى الطائفين بالحق ،

فسار علي ع م اليهم فحين رأى الخوارج امير المؤمنين ص ع قد اقبل ومن معه قالوا لبعضهم بعضا روحوا بنا روحة الى الجنة ، فقال عبد الله بن وهب لعلها روحة الى النار، قالوا شكـكت ، قال اتأ لون على الله ، واعتزل منهم فروة بن نوفل الاشجعي في الف، وارسل امير المؤمنين اليهم خباب بن الارث ليكلمهم في الدين فوثبوا عليه فقتلوه

فلما بلغ امير المؤمنين ع م ذلك ركب حتى جاز الى جانب النهر فقال لهم امير المؤمنين ع م من زعيمكم عليكم ، قالوا عبد الله بن وهب الراسي ، فكلمه امير المؤمنين ص ع ودار بينهم قول كثير فلم يرجعوا بل تمادوا على طغيانهم، ولجوا في عتوهم وعدوانهم

ثم قال لهم امير المؤمنين ع م ايكم قتل خبابا ، قالوا كلنا قتله ، فقال امير المؤمنين ص ع الآن طاب الضراب ، والله لو قيل لي انه شرك في قتل خباب ربيعة ومضر لقتلتهم به

ثم قال لاصحابه جوزوا اليهم النهر ، فوالذي فلق الحبة وبرئ النسمة لا يقتلون منكم عشرة ولا يفلت منهم عشرة فاقتتلوا قتالا شديدا ، وجعلت خيل امير المؤمنين ع م لا تقوم لهم ، فقال ص ع ايها الناس ان كنتم تقاتلون لي فوالله ما عندي ما اجزيكم به وان كنتم تقاتلون لله فلا يكن هذا قتالكم ، فحملوا عليهم فقتلوهم كلهم ، فقال لهم امير المؤمنين ص ع اطلبوا المخدج فطلبوه فلم يوجد فركب امير المؤمنين ص ع دابته فانتهى الى وهدة من الارض فاذا فيها قتلىبعضهم على بعض، فاستخرج من تحتهم يجرّ برجله

وعن يحي بن اكتم باسناده الى عبد الله بن العباس قال لما قتل امير المؤمنين ع م اهل النهروان قال اي نهر هذا قالوا هو النهروان قالوا اطلبوا في القتلىرجلا اخدج احدى اليدين ليست له كف ولا ذراع على موضع عضده مثل ثدي المرأة في طرفه كأنه مثل حلمة الثدي فيها سبع شعرات طوال فالتمسناه فلم نجده فما رأيته اشتد عليه شيء كما اشتد ذلك عليه ، وقال اطلبوه فوالله ما كذبت ولا كذبت ، وانه لفيهم فرجعنا واتينا خندقا فيه قتلى بعضهم على بعض فاستخرجناه من تحتهم فلما رآه امير المؤمنين ص ع فرح فرحا ما رأيناه فرح مثله ،

وعن اسماعيل بن موسى باسناده عن علي ص ع انه لما اتى بالمجدح سجد في الشكر

ومما اتى في ذكر الخوارج عن الدعشي باسناده عن علي ابن ابي طالب ع م قال امرني رسول الله صلع ان اقاتل الناكثين والقاسطين والمارقين

وجاء عن ابي سعيد الخدري انه قال قال رسول الله صلع تفترق امتي فرقتين تمرق بينهما مارقة يقتلهما اولى الطائفتين بالله وبرسوله ، فقيل لابي سعيد الخدري فان عليا قتلهم ، قال فما يمنعه ان يكون اولاهم بالله ورسوله .

وروي عن امير المؤمنين علي ابن ابي طالب ع م انه قال في خطبة خطبها :

انا فقأت عين الفتنة ، ولو لم اكن فيكم ما قوتل اهل الجمل ولا اهل الشام ولا اهل النهروان، ولو لا ان تتكلوا قتدعوا العمل لاخبرتكم بما سبق على لسان نبيكم لمن قاتلهم منكم مبصرا لضلالتهم عارفا بالهدى الذي نحن عليه ، ثم قال ع م سلوني قبل ان لا تسألوني فانكم لا تسألوني عن شيء فما بينكم وبين الساعة ولا عن فئة تهدي مائة او تضل مائة الا حدثتكم بناعقها وسائقها، فقام اليه رجل فقال يا امير المؤمنين حدثنا عن البلا فقال ع م اذا سأل سائله فليعقل، واذا سأل مسؤلا فليثبت، ان من ورائكم امورا والذي فلق الحبة وبرئ النسمة لو فقدتموني لفشل كثير من السائلين واطرق من المسؤلين وذلك اذا قلصتحربكم عن ناب وكشفت عن ساق وصارت الانباء وبالا على اهلها حتى يفتح الله لبقية الابرار.

فقام رجل فقال حدثنا يا امير المؤمنين عن الفتن

فقال ان الفتن اذا اقبلت اشتبهت واذا ادبرت اسفرت، وانما الفتن نجوم كنجوم السرياح وان اخوف الفتن عليكم فتنة بني امية فانها عمياء مظلمة خصت فتنتها وعمت بليتها اصاب البلا من ابصر فيها واخطأ البلا من عمي عنها ، يظهراهل باطلها على اهل حقها حتى تملأ الارض عدوانا وظلما ، وان اول من يكر عمدها ويضع جبروتها وينتزع اوتادها الله رب العالمين الا وستجدون في بني امية ارباب سوء لكم بعدي كالناقة الضروس تعض بفيها وتركض برجلها وتخبط بيدها وتمنع درها وانه لا يزال بلاؤهم بكم حتى لا يبقى في الارض الا نافع لهم او غير ضار حتى لا يكون نصرة احدكم الا كنصرة العبد سيده ، وايم الله لو فرقوكم تحت كل كوكب لجمعكم الله لشر يوم لهم فقام رجل فقال هل يعد ذلك جماعة ، يا ا مير المؤمنين ، فقال نعم ، الا انها جماعة شتى غير ان قبلتكم واحدة وحجكم واحد و القلوب مختلفة كذا كذا وشبك بين اصابعه ، قال فيم ذلك يا امير المؤمنين ، قال امير المؤمنين ع م يقتل هذا هذا هجرا هجرا فتنة وقطيعة جاهلية ليس فيها امام هدى ولا عامل بر ، نحن اهل البيت فيها النجاة ولنا فيه الدعاة ، قال فما بعد ذلك يا امير المؤمنين ، قال ع م يفرج الله البلا برجل منا اهل البيت كتفريج الاديم ، يأتي ابن خيرة الامة يسومهم سوم الخسف ويسقيهم كأسا مرة ودت قريش بالدنيا وما فيها ان يقبل منهم بعض ما اعرضه اليوم ويأبى الا قتالا

يعني الذي يفرج الله به البلاء المهدي بالله عليه السلام القائم بالمغرب وبلاد افريقية من ذرية الرسول وسلالة البتول ومن قام من ذريته الذين نشروا العدل وجهروا بما لامير المؤمنين من الفضل ، ووقع الستر بعدهم وسيفرج الله البلا بقائمهم كما قال بعض الائمة عليهم السلام كلنا قائم وكلنا مهدي ، ولا يزال يتعاقب الستر والظهور كتعاقب الليل والنهار حتى يأذن الله تعالى بظهور كلمته بالصدق ويكون الدين كله لله فهنالك يظهر القائم بالحق الناطق بالصدق ، وتزول البدع والاختلاف ويجمع الله الامم على دين نبيه محمد صلع ويظهره على الدين كله ويتم الوعد الحق ويظهر الصدق ويفرج الله الظلمة ويكشف الغمة ، وسنذكر في كتابنا من الدلائل في ذلك الواضحات والآيات البينات ما يمكن ايراده مما يعين الله عليه وييسر القول فيه والبلوغ الى تمامه بعونه ورحمته وبركات اوليائه الطاهرين

نرجع الى ما كنا فيه

وعن المبارك بن فضاله باسناده عن ابي نصر العبدي عن ابي سعيد الخدري انه قال قال رسول الله صلع يقتتل من امتي فئتان عظيمتان فتمرق من بينهما مارقة يقتلها اولى الفئتين بالحق

وعن ابي نصر قال قتلهم والله اولى الفئتين بالحق من اصحاب رسول الله صلع وهو علي ابن ابي طالب وصيه

وفيما روي عن ابي لهيعه باسناده عن ابي سعيد الخدري انه قال سمعت رسول الله صلع يقول سيخرج من بعدي اقوام يقولون الحق بالسنتهم وتاباه قلوبهم يقرؤن القرآن لا يجاوز تراقيهم ، يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية تنظر الى نصله فلا ترى شيئا ، ثم تنظر الى قدحه فلا ترى شيئا ، تنظر الى ريشه فلا ترى شيئا، ثم تنظر الى رصافه فلا ترى شيئا ، فلا يعلق بها من الدين الا كما يعلق ذلك السهم

وروي عن غالب الهمداني قال اخبرني رجل من كندة قال خرجت من الكوفة اريد الحج فمررت بعائشة فدخلت عليها فقالت الى من الرجل فقلت من اهل العراق قالت اني اسألك عن امر ولا تقل بلغني ولا قيل لي ان ذلك قد يشوب الكذب ، ولا تخبرني الا ما رأته عيناك وسمعته اذناك ، قلت سلي عما شئت يا ام المؤمنين فاني لا اخبرك الا بما رأيت وما سمعت ، قال ما شهدت شيئا من حروب علي ع م قلت شهدت جميعها فاسألي عما شئت ، قالت صف لي الموضع الذي اصيب فيه الخوارج ، قلت اصيبوا بجانب نهر يقال لاسفله النهروان ولاعلاه تامرا اصبنانهم بين اخافيق واودية وطرق بقرب بنالبوران بنت كسرى هنالك اصبناهم ، قالت فاصبتم فيهم ذا الثدية ، قلت نعم ، اصبناه رجلا اسود له يد كثدي المرأة اذا مدت امتدت واذا تركت تقلصت ، قالت لعن الله عمرو ابن العاص قد قال انه اصابه على نيل مصر ، قلت يا اماه اردت سؤالك عن ذلك ، قالت لخير ، قلت فاني اسألك ... الا اخبرتنيه ، قالت سبحان الله سمعت رسول الله صلع يقول هم شر الخلق والخليقة ، يقتلهم خير الخلق والخليقة ، واقربهم عند الله وسيلة يوم القيامة .

وفي رواية عن الدعشي باسناده الى سروق قال قالت عائشة ترى قول علي ع م والله ماعبروا النهر ولا يعبرونه احق قلت ، اي والله حق قالت افترى قوله في الثدية اطلبوه فوالله ما كذبت ولا كذبت حقا قلت اي والله حق قالت والله اني لاعلم ان الحق مع علي ابن ابي طالب ولكني كنت امرأة من الاحماء

وفي المارقين حديث كثير وفي بعض ما ذكرناه دلالة على ضلالهم وطغيانهم وبغيهم وعدوانهم.

قال ابو حاتم الرازي رحمة الله عليه وللمارقة خمسة القاب ، يقال لهم المارقة والشراة والخوارج والحرورية والمحكمة، فاما اللقب القديم الذي جاءت فيه الاخبار عن النبي صلع فهم المارقة وسموا الشراة واحدهم شار لانهم قالوا بزعمهم انا شرينا انفسنا في طاعة الله سبحانه اي بعناه بالجنة حين فارقنا الامة الجائرة ، قال بعضهم:

انا الوليد ين طريف الشاري \* قسورة لا يصطلي بناري

وكان هذا الوليد بن طريف من الشراة ونسبه من تغلب وهو منهم من اهل الشجاعة والبأس خرج في ايام الرشيد من بني العباس فاستولى على نصيبين وميافارقين وغيرهما من البلدان واخاف السبيل ، فارسل اليه الرشيد ابراهيم بن حازم الى ديار ربيعة متوليا لها ومحاربا لابن طريف الخارجي فدخل ابراهيم بن حازم بن خزيمة الى ديار ربيعة متوليا لها ومحاربا لابن طريف الخارجي فدخل ابراهيم بن حازم الى نصيبين وجاءه الوليد الخارجي في جموع قد التفت معه فدخل نصيبين قهرا وقتل ابراهيم فيما لا يحصى عده واباح نصيبين خمسة ايام يقتل اهلها ويأخذ نفلها فعظم ذلك على الرشيد وقال له بعض الشعرا :

لا تبعثن الى ربيعة غيرها \* ان الحديد بغيره لا يصلح

فوجه اليه يزيد ين يزيد الشيباني في عدة وعدة واموال جمة فالتقى يزيد بابن طريف بموضع من برية الموصل وكانت بينهما وقعة عظيمة دامت اياما وهرب ناس من اصحاب ابن طريف وثبت معه اصحاب البصائر بزعمهم فاصبحوا يوما قد عقروا دوابهم وكسروا جفان سيوفهم واستقتلوا وقد علموا ان لا طاقة لهم من الجموع العباسية وقد توالت اليه وتتالت فقتل الوليد وجميع الذين معه بعد قتال شديد وكتب ابن مزيد بالفتح الى الرشيد فقالت اخت الوليد ليلى ابنة طريف ترثيه وكانت لها شجاعة وفصاحة ، ومن قولها فيه :

ايا شجر الخابور مالك مورقا \* كأنك لم تحزن على ابن طريف

تبل نباتا رسم قبر كأنه \* على علم فوق الجبال منيف

تضمن جودا حاتميا ونائلا \* وصورة مقدام وقلب حصيف

الا قاتل الله الحبشي كيف اضمرت \* فتى كان للمعروف غير عيوف

فتى لا يحب الزاد الا من التقى \* ولا المال الا من قنى وسيوف

ولا الخيل الا كل جرداء شطبة \* واجرد عالي المنسجين عزوف

فقدناه فقدان الربيع وليتنا \* فديناه من دهمائنا بالوف

وما زال حتى ازهق الموت نفسه \* شجى لعدو اولجا لضعيف

فان يك ارداه يزيد بن مزيد \* فرب زحوف فضها برجوف

فلا تجزعا يا بني طريف فانني \* ارى الموت وقاعا بكل شريف

الا يا لقوم للنوائب والردى \* ودهر ملح بالكرام عنيف

وللبدر من بين الكواكب اذ هوى \* وللشمس همت بعده لكسوف

ويقال ان اول من تشري رجل من يشكر جاء منكرا للتحكيم فقتل رجلا من اصحاب امير المؤمنين ص ع ووثب عليه قوم من همدان فقتلوه ، وفي ذلك يقول شاعرهمدان :

وما كان اغنى البشكري عن التي \* تصلا بها جمرا من النار حاميا

غداة ينادي والرماح تنوشه \* خلعت عليا باديا ومعاويا

وسموا الخوارج لخروجهم على امير المؤمنين علي ع م ، وقيل لهم الحرورية لانهم نزلوا بحرورا وهو موضع بالنهروان واجتمعوا هناك فناظرهم امير المؤمنين ص ع وقد ذكرنا ما دار في ذلك بينهم ، فقال امير المؤمنين ع م اسميكم انتم الحرورية وذلك لاجتماعهم بحرورا ، قال السيد الحميري فيهم مخاطبا للشيعة:

انتم قليل ممن كثير فاقصدوا \* ودعوا التعمق واحذروا ان تمرقوا

ان الذين بنهروان انما مرقوا \*عن الاسلام حين تعمقوا

نزعوا غداة اذ تحكم واقع \* عند الحكومة جاهلين فاغرقوا

وقال الشاعر :

ا كرّ على الحروريين مهري \* واحملهم على نهج الصراط

واما المحكمة فانهم انما سموا بذلك لانه لما جرى امر الحكمين بصفين اجتمعوا وكان رأسهم عبد الله بن الكوا وعروة بن جرير ويزيد بن عاصم الحارثي فاعتزلوا بجماعتهم ، وبايعوا عبد الله بن وهب الرأسي سبي وتبرؤا من الحكمين وممن رضي بهما وتولوا ابا بكر وعمرو توقفوا عن عثمان وعن امير المؤمنين علي ابن ابي طالب وبترؤامنهما برئ الله منهم وكفرا امير المؤمنين صلوات الله عليه وقالوا ان عليا ترك حكم الله وحكم الحكمين ولا حكم الا لله ، وقد ذكرنا ما احتج به عليهم امير المؤمنين وما احتج عليهم عبد الله بن عباس مما فيه كفاية لمن انصف وقبل الحق وفاز بالحظ الازلف ، فهذه اصولهم التي اجمعوا عليها وهم يكفرون كل امام بعد ابي بكر وعمر ، ولهم ائمة قد نسبوا اليهم ولقبوهم بامرة المؤمنين ، قال ابن خلدة الخارجي :

ولا خير ان كانت قريش عداتنا \* يصيبون منا مرة ونصيب

فلا صلح ما دامت منابر ارضنا \* يقوم عليها من نقيف خطيب

فان يك منهم كان مروان وابنه \* وعمرو ومنهم هاشم وجيب

فمنا سويد والبطين وقنعب \* ومنا امير المؤمنين شبيب

ومنا سنان الموت وابن عويمر \* ومرة فانظر اي ذاك تعيب

وقال منهم رجل يرثي نافع بن الارزق :

يشمت ابن ثور والحوادث جمة \* والجائرون بنافع بن الازرق

والموت حتم لا محالة واقع \* من لا يصبحه نهارا يطرق

فلئن امير المؤمنين اصابه \* ريب الحمام فمن يصبه يغلق

ومنهم الازارقة نسبوا الى نافع بن الازرق الحنفي ، وكان رئيس الخوارج في البصرة والاهواز ومن فقهائهم وفرسانهم وشجعانهم مقدما عندهم والازارقة هم الذين احاطوا بالبصرة حتى رحل اكثر اهلها ثم حاربهم المهلب بن ابي صفرة الازدي حتى اخرجهم الى الاهواز ثم الى فارس ثم الى كرمان، وفي ذلك يقول بعض الشعراء :

ونحن رددنا اهلها اذ ترحلوا \* وقد نظمت خيل الازارق بالجسر

وقال ابن الرقيات :

الا طرقت من اهل بثينة طارقة \* على انها معشوقة الدل عاشقة

تبيت ارض السوس بيني وبينها \* وسؤلات رستاق حمته الازارقة

اذا نحن شئنا صادفتنا عصابة \* حرورية اضحت عن الدين مارقة

ومنهم الاباضية نسبوا الى عبد الله بن اباض وكانت له مقالة ، كان يقول ان اعداءنا كاعداء رسول الله صلع ولكن لا احرم مناكحتهم وموارثتهم لان معهم التوحيد والاقرار بالكتاب والرسول عليه السلام ودعوة الاسلام تجمعهم وهم كفار النعم ،

وسموا الصفرية قيل انهم نسبوا الى رئيس لهم يقال له ابن صفار ولم يكن يعمل الصفار وقال قوم نهكتهم العبادة فاصفرت وجوههم

قال ابن عاصم الليثي وكان خارجيا ففارقهم

فارقت نجدة والذين ترزقوا \* وابن الزبير وشيعت الكذاب

والصفر الالوان هاتان اللذين تخيروا \* دينا بلا ثقة ولا بكتاب

يعني شيعة الكذاب شيعة المختار الثقفي

ومنهم البهيثية فرقة نسبوا الى نجدة بن عامر الحنفي وكان من رؤسائهم وكان يصلي بالناس بمكة في يوم الجمعة بحذاء عبد الله بن الزبير وعبد الله بن الزبير من جانب وعبد الله يطلب الخلافة وامسكا عن القتال من اجل الحرام ، وفي ذلك يقول الزاعي الشاعر :

ما ان اتيت ابا جيب وافدا \* يوما اريد ببيعتي تبديلا

ولما اتيت نجيدة من عويمر \* ابغي الهدى فيزيدني تضليلا

وابو جيب هو ابن الزبير

وهذه من اصول اسمائهم ولهم مقالات كثيرة والحجة عليهم تخرج عن حد هذا الكتاب ويكفي فيهم ما اتى عن رسول الله صلع

وروي ان امير المؤمنين ص ع لما قتل اهل النهروان قام اليه رجل فقال يا امير المؤمنين : الحمد لله الذي قتلهم واخزاهم وافناهم ، فقال امير المؤمنين ع م لقد بقي منهم م هو في اصلاب الرجال ومن هو في ارحام النساء ولا تزال الخارجة تخرج منهم بعد الخارجة حتى تخرج منهم فرقة او قال طائفة لا يناويهم مناو الا قتلوه او قال ظهروا عليه ، قال فيخرج اليهم رجل مني او قال من اولادي فيقتلهم فلا تخرج منهم خارجة بعدها ابدا، فكان ذلك كما وصف ص ع وما زالوا يخرجون حتى خرج مخلد بن كيداد بالغرب من جبال البربر فافسد في الارض فسادا عظيما وهتك الحرمات وفعل الافعال المنكرات فخرج اليهم امير المؤمنين المنصور بالله اسماعيل بن محمد القائم بامر الله من المهدية وكانت دار ملكه ولم يزل يقتلهم في كل موطن وهم يولون بني يديه ناكسين على الاعقاب يتوغلون في الصحاري ويتوقلون في الجبال وهو يتبعهم حيث امعنوا وجدوا حتى اظفره الله بهم واهلك مخلد على يديه المعروف بالاعور الدجال ، فلم تقم لهم بعد ذلك قائمة ولا اجمعت منهم جماعة غير ابي ركوة وكان هلاكه على يد الحاكم بامر الله ثم خمل ذكرهم وانقطع امرهم ، وقد ذكرنا من ذلك في هذا الكتاب في موضعه.

وقد روي عن عبد الله بن الحارث باسناده عن عاصم بن الكلب عن ابيه قال بينا علي ع م يحدث اصحابه بالكوفة وحوله جماعة اذ وقف عليه رجل فقال يا امير المؤمنين اتأذن لي بالكلام فقال تكلم قال اني خرجت معتمرا فلقيت عائشة فقالت لي ما هؤلاء الذين خرجوا بارضكم يسمون الحرورية، قلت قوم خرجوا بارض تسمى حرورا ، فنسبوا اليها ، فقالت والله لو شاء علي ابن ابي طالب لاخبركم بما اخبره رسول الله صلع عنهم وقد جئتك يا امير المؤمنين اسألك عن ذلك ، فهلل امير المؤمنين ع م وكبر مرتين ، ثم قال نعم ، دخلت على رسول الله صلع وليس عنده احد غير عائشة فقال يا علي كيف انت وقوم كذا وكذا ، قلت الله ورسوله اعلم ، قال هم قوم يخرجون من المشرق يقرؤن القرآن لا يجاوز تراقيهم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية ، فيهم رجل مخدج على يده ثدي امرأة ، ثم نظر الى الناس فقال ايها الناس اناشدكم الله هل اخبرتكم بهم ، قالوا نعم ، قال فاناشدكم الله هل اخبرتكم انه فيهم ، فقلتم انه ليس فيهم فحلفت لكم انه فيهم واني ما كذبت ولا كذبت ، فاتيتموني به تسحبونه كما نعتُّ لكم، قالوا نعم .

واذ قد ذكرنا الخوارج الذي خرجوا على امير المؤمنين ع م وجاؤا في انكار فضله ع م بالبهتان المبين ، فلنذكر ايضا الغلاة الذين غلوا فيه وانتهوا في ذلك الى ان فارقوا الملة وخرجوا من الاسلام جملة لما استدعاهم الشيطان بدواعيه، واتى كل منهم بالكفر الصراح فيما يقوله ويدعيه ، فقال قوم منهم ان امير المؤمنين عليا ص ع هو النبي وانما غلط جبرئيل واليه ارسل فاتى محمدا صلع ، فيا لها من عقول ناقصة وآراء واهية ، لو ان احدا منهم ارسل رسولا بادنى الاشياء واقلها الى رجل واعطى غيره رسالته وسلم اليه امانته هل يستجيز فعله ام يترك ان يعوض من ارسل اليه غيره ، وجبرئيل الروح الامين كان ينزل على محمد سيد النبيين صلع بالوحي صباحا ومساء مدة عمره وياتيه بالانباء الى حين فاته ، وعلي ص ع مؤتمر لامره داخل تحت حكمه بالغ مبلغا لم يبلغه احد من الصحابة في الطاعة له وكيف يظنون ذلك الظن في رب العالمين وفي جبرئيل الروح الامين تعالى الله ان ينزل الى انبياء ه بوحيه من يتعد ما ارسل به ، وجل عما نسبه الجاهلون اليه والى اوليائه من خلاف ما انزله .

وقالت فرقة منهم ان امير المؤمنين ص ع في السحاب رقاعة منهم وكذبا لا يخفى على ذوي الالباب ، واتاه صلع قوم غلوا فيه قد استزلهم الشيطان واخرجهم الى الكفر من الايمان، وجاؤا بامر عظيم من الزور والبهتان، فقالوا له انت الهنا وخالقنا ورازقنا واليك معادنا فتغير وجه امير المؤمنين ص ع وارفض عرقا وارتعد كالسعفة تعظيما لجلال الله وخوفا منه ، وخشية له وقام مغضبا ونادى من حوله وامر بحفير يحفر وقال لاشبعنك اليوم لحما وشحما ، ولما علموا انه قاتلهم قالوا ان قتلتنا فانت تحيينا فاستتابهم فتمادوا عليه واصروا على كفرهم فامر بضرب اعناقهم واضرم نارا في ذلك الحفير فاحرقهم فيه ، وقال عليه السلام :

لما رأيت اليوم امرا منكرا \* اضرمت نارا ودعوت قنبرا

وهذا من مشهور الاخبار عنه صلوات الله عليه من الغلاة فيه

ومنهم السبائية اصحاب عبد الله بن سبا الذي قال لامير المؤمنين ص ع انت انت يعني الاله تعالى فنفاه امير المؤمنين ص ع الى المدائن، وقيل انه كان يهوديا فاسلم ، وكان قبل ذلك يغلو في وصي موسى ع م يوشع بن النون ويقول فيه كقوله في علي ع م قالوا وزعم بافكه ان امير المؤمنين ع م حي لم يقتل وفيه الجزء الالهي ، ولا يجوز ان يستولى عليه ، وانه يجيء في السحاب وهم اول فرقة قالت بالتناسخ وجميع الغلاة يقولون بالتناسخ

ومنهم الكاملية لاصحاب ابي الكامل وهم العلمانية اصحاب العليا بن رداع الاسدي ، وقيل الدوسي يذكر انه فضل امير المؤمنين علي رسول الله ، وقال ان امير المؤمنين هو الاله الذي بعثه تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا ، وجل ونزه اوليائه عن افتراء المفترين وقول الضالين الملحدين ، ومنهم من قال بالهية محمد وعلي وقدم محمدا ومنهم من قدم عليا ولهم اقوال منكرة وافعال كافعال الكفرة وقد قفاهم في ذلك المغيرة وغيرهم ممن نذكرهم اذا انتهينا الى ذكر الائمة الذين غلوا فيهم

ومن مذهب الغلاة اطراح الاعمال واستحلال المحرمات والقول بالاباحات ولهم اقوال شنيعة وآراء فظيعة وهم يقولون بالهية البشر ، ويعتقدون ان امير المؤمنين علي ابن ابي طالب ع م الكل والجملة وانه يظهر في كل دور وزمان بما يريد من الشيخوخة والكهولة والشباب والطفولية

ومنهم من يقول انه جمع الائمة ويطرحون الاعمال الشرعية والتكاليف الوضعية ، ويعتقدون انها اصار لا يجب عليهم الالتزام بها

ومنهم من يرى ان صاحبها وواضعها صلع ضد الحق واهله ويفترقون فرقا يطول شرحها ، وجميعهم لا يرون بشيء من العمل قليله ولا كثيره ، ويرون ان لا نجاة لاحد الا بالعلم وحده ولا علم عندهم الا ما يخرج لهم الى الكفريات وقبائح الاباحات نعوذ بالله منهم ومن اعتقادهم ونبرأ الى اليه منهم فانهم جاؤا بالكفر الصراح وكذبوا على الله واوليائه فليس في سبهم ولعنهم من جناح .

قال بعض دعاة الائمة عليهم السلام وهم المعنيون بقول الله تعالى ومن الناس من يعبد الله على حرف ، ومنهم حذر الله سبحانه عباده بقوله سبحانه يا اهل الكتاب لا تغلو في دينكم ولا تقولوا على الله الا الحق، واليهم توجهت اللعنات من جميع المقامات صلوات الله عليهم وفيهم قال الداعي الاجل جعفر بن منصور اليمن واسم منصوراليمن الحسين بن الفرح بن حوشب ، وهذا جعفر بن منصور اليمن رضوان الله عليه من دعاة الامام المعز لدين الله معد بن اسماعيل المنصور بن محمد القائم بن عبد الله المهدي عليهم السلام ، فقوله في بعض ما الفه:

وكذلك الشيعة الملاعين غلوا في امير المؤمنين ع م وقالوا انه لم يلد ولم يولد وان الحسن والحسين ولد الازور بن قيس وكذلك الى ان صارت الامامة في الحسين وتمسك طائفة منهم بمحمد بن الحنيفية وقال فيهم حميد الدين احمد بن عبد الله الكرماني رض الداعي بالعراقين عن الامام الحاكم بامر الله بن نزار العزيز بالله بن معد المعز لدين الله حيث يقول في بعض تصنيفه :

ان اعظم الفرق ضلالا فرقة الغلاة ضلت واضلت غيرها كالسعلات سول لها الشيطان فتبعه ودعاها الى ترك عبادة الله فاطاعته وانسلخت عن جملة اهل الدين والامانة فاياك والركون اليهم فتهلك قال الله تعالى ولا تركنوا الى الذين ظلموا فتمسكم النار فاحذر ايها الاخ كل الحذر من مخالطتهم فيقسو قلبك ، واحسن ان الله يحب المحسنين ، وقال المؤيد في الدين هبة الله بن موسى السلماني داعي الامام معد المستنصر بن الظاهر لاعزاز دين الله بن الحاكم بامر الله حيث قال في بعض مجالسه :

معشر المؤمنين طهر الله من دنس الشبه اثوابكم ، وفك من رق العمى والعمه رقابكم ، استعيذوا بالله من قوم يقولون انهم شيعة ، وهم من طلائع الكفر والالحاد شر طليعة ، يستوطنون مركب الاباحة ويميلون ميل الراحة ويحتجون بكون الصلوة اشارة الى حد من حدود الدين فاذا عرف سقطت الصلوة وان الزكوة اشارة الى مثله فاذا عرف بطلب الزكوة ووان الصوم هو السكوت عن افشاء سرهم الى غير اهله ، فاذا هم سكتوا لم يبق منهم حاجة الى احتمال كله ، وان النهي عن شرب الخمر هو النهي عن موالاة بعض الاضداد فاذا هم كفوا كان شربها لهم حلالا لهم سهل القياد ، ولا يزالون كذلك حتى يحلوا من تكاليف الشريعة كل عقد ، ويردوا من موارد الهوى في تحليل شر ورد ، وهؤلاء اضر بالدين وبالمؤمنين ممن شهر سيفه وشرع رمحه الى ائمتهم بالبغضاء وركب الابلق مجاهرة لهم بالكفاح واللقاء ، ولم يزل من مضى من امير المؤمنين علي ابن ابي طالب صلوات الله عليه والائمة من ذريته عليهم السلام آخرا الى امام زمانكم براء الى الله سبحانه ممن هذه سبيله سرا وجهرا ، ينشرون صحف الخزي على من دان دينهم نشرا

وقال فيهم رضى الله عنه :

يظن جهلامن غلا ان قد علا \* وانه من سخف رأي قد سفل

وهؤلاء حقا هم الرافضة نصارى هذه الامة الذين قال فيهم النبي صلع الرافضة نصارى هذه الامة لانهم والمرجئة يهود هذه الامة ، والقدرية نجوس هذه الامة لانهم اشبهوا النصارى القالين بالهية البشر نعوذ بالله من انتحالهم ونبرؤ اليه من كفرهم وضلالهم واما من نسب ذلك الى غير هذه الفرقة الغوية والطائفة الجاهلية وان ذلك غلط وميل عن الحق وحيف عن الصدق ، وكيف يسمى فيهم بما ليس فيهم وينسب اليهم ما ليس من فعلهم هل ذلك الا افك وعدوان وظلم وطغيان وانه لاجهل وابعد عن الحق واميل من قوم رأوا امير المؤمنين صلى الله عليه وغيره من الائمة ع م الذين غلوا فيهم وهم من البشرياكلون ويشربون ويتغوطون وينكحون ورأو منهم من اتاه الحمام حين انتهاء اجله، ومن قتل ملظلوما من عدوه بحد سنانه ومنصله ، وتغلب اعداؤهم عليهم وجرت منهم العظيمات من المحن اليهم ثم ادعوا بعد ان نظروا ذلك وشاهدوه لم الربوبية وانهم الشحمية لكن الشيطان سول لهم واملا لهم فزين لهم كفرهم واستحسنوه وضلالهم ، ذلك بان الله مولى الذين آمنوا وان الكافرين لا مولى لهم

واما القدرية فهم الذين يقولون بالقضا والقدر ، ويأتون بالمعاصي ويقولون ان الله قضى عليهم ذلك وقدره ، وانهم مجبورون على ذلك واولئك هم المجبرة وهم ينفون هذا الاسم عنهم ويقولون انها القدرية الذين يقولون ان العباد يفعلون ما لا يريده الله عز وجل ولم يقدره من افعال الشر وقد ذكرنا ما ورد عن امير المؤمنين عليه السلام في القضاء والقدر بعد رجوعه من صفين ونذكر ما جاء عن جعفر بن محمد الصادق عليه السلام في اوان ذكره ولعمري ان قولهم في المعاصي انها من قضاء الله وقدره مع علمهم بقوله تعالى وقضى ربك الا تعبدوا الا اياه، وفي الناس من عبد الاوثان وكفر بالرحمن مما يبطله ظاهرالكتاب ويخل باعتقاد عدل الله سبحانه الذي اليه المآب ان قضى على قوم بالطاعة ثم جزاهم بالثواب وعلى آخرين بالمعاصي وخلدهم في العقاب، ولو سألوا اهل الذكر عما لا يعلمون لنجوا من الهيمان في اودية الضلال وسلموا، نسأل الهداية والتوفيق وان يثبتنا على سواء الطريق بمنه وكرمه ، والارجاء هو التأخير ، والمرجئة هو لقت قد لزم كل من ارجأ عليا ع م واخره وقدم عليه ابا بكر وعمر كما ان ا لتشيع اسم قد لزم كل من فضل عليا ع م على ابي بكر وعمر وقد اتفق كثير من الامة على ذلك ، وقيل فلا مرجئ وفلان شيعي ، قال كثير من الرجئة بالقدر وكذلك كثير من الشيعة ، فقيل مرجي قدري ، وشيعي قدري ، ولم يقل احد مرجي شيعي ، ولا شيعي مرجي ، وانما سميت المرجئة لانهم ارجو عليا عليه السلام اي اخّروه ، وقدموا ابا بكر عليه ، فهذا اللقب لازم لكل من اعتقد ذلك من اي مذهب كان كما ان الرافضة هم الغلاة من كل مذهب ، وقد شبه النبي صلع وصيه عليه السلام بالمسيح فالذين غلوا فيه كالنصارى الذين غلوا في المسيح عليه السلام ، والذين قصروا فيه شابهوا اليهود الذين نقصوا المسيح فضله ، وقد قال ابو عبد الله محمد بن عبد الكريم الشهرستاني في كتاب الملل والنحل: وقيل الارجاء تأخير علي عن الدرجة الاولى الى الدرجة الرابعة ، فعلى هذا المرجئة والشيعة فرقتان متقابلتان ، قال والمرجئة اضاف اربعة مرجئة الخوارج ومرجئة الجبرية ومرجئة الخاتمية ، وقد قال محارب بن دريا شعرا وهو مشهور المنزلة من رواة الحدث واعترف في شعره بالارجاء واستصوبه وتتبح به حيث قال :

يعيب عليّ اقوام سفاها \* بان ارجي ابا حسن عليا

وارجائي ابا حسن صواب \* على القطرين برا وشقيا

وعثمانا فماج الناس فيه \* فقالت فرقة قولا بذيا

وقال الآخرون اما صدق \* وقد قتلوه مظلوما بريا

وليس علي في الارجاء لبس \* ولا شين ولست اخاف شيئا

فهذا قوله معترفا بالارجاء على نفسه ، وقد قال بعض شعراء الشيعة وهو السيد الحميري:

وفيقي لا ترجيا واعلما \* بان الهدى غير ما تزعمان

فارجاء ذي الشك بعد اليقين \* وضعف البصيرة بعد البيان

ضلال اذ ازيلا لها عنكما \* فبئس لعمركما الخلتان

اترجي عليا امام الهدى \* وعثمان ما اعتدل المرجيان

اترجي ابن هند واحزابه \* يهود الخوارج بالنهروان

وترجي الاولى نصروا نعثلا \* باعلى الخريبة والسابران

ويقال ان اول ما وقع اسم الارجاء وظهر وشاع لما افترق اصحاب امير المؤمنين ع م سموا الشيعة فظهر اسم التشيع عليهم ظهورا شائعا وفرقة خرجوا عليه فسموا المارقة ولزم هذا اللقب عليهم وفرقة كانوا مع معاوية فسموا المرجئة فظهر اللقب عليهم واعلن اعلانا ، قال ابو حاتم الرازي رضوان الله عليه وسمعت من يذكر ان النبي صلع انما شبه المرجئة باليهود وشبه الرافضة بالنصارى فقال المرجئة يهود هذه الامة والرافضة نصارى هذه الامة لان الارجاء لقب وقع في هذه الامة قبل الرفض كما ان اليهودية قبل النصرانية ، قالوا وانما سميت المرجئة بذلك لان المرجئة ضاهوا اليهود في فعلهم لان عليا ع م قام مقام رسول الله صلع فاول من عاداه المرجئة ، وكتموا فضائله ومناقبه ، وجهلوا حقه وتركوا ما امروا به من تفضيله وتقديمه، كما ان اليهود كانوا اول من عادى المسيح ع م وعادى رسول الله صلع وكتموا ذكرهما وما وجدوا في التوراة ومحوه منها وجهلوا حق الله فيهما وكفروا به، فكان فعل المرجئة بامير المؤمنين ع م فعلهم ومضوا على شاكلتهم واحتذوا حذوهم فمن اجل ذلك شبهوا باليهود، هذا قوله

والمرجئة مفترقون فرقا ويجمعهم تقديم ابي بكر وعمروا وارجا امير المؤمنين وصي رسول الله صلع وابن عمه وزوج ابنته وابو ذريته والسابق الى الاسلام والمجاهد في سبيل الله الذي لم تنكص له رأية ولا تدرك له غاية ولم يفر كغيره ولا انهزم ولا رجع على العقبين في خيبر وحنين وعلي ع م الذي سماه الله ولي المؤمنين ، وقال تعالى انما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلوة ويؤتون الزكوة وهم راكعون، وقد وقع الاجماع ان علي ابن ابي طالب ع م هو الذي تصدق بخاتمه وهو في ركوعه وانه المعني في هذه الآية والحجج في ذلك يطول شرحها، يشرق صبحها ، وهي تخرج عن حد هذا الكتاب وفيما ذكرناه ادل دليل واقصد سبيل نسأل الله تعالى هدايته وتوفيقه وان يجعلنا ممن استقام على الطريق ،

ونرجع الى ما كنا فيه

ولما بلغ معاوية وعمرو بن العاص حديث اهل النهروان سرهما ذلك واستبشرا به وقال عمرو ان عليا فل حده بيده ، وجعل اصحاب معاوية يشنون الغارات الى الاطراف ، وكان النعمان بن بشير الانصاري وهو من اصحاب معاوية الذين مالوا اليه وطمعوا في الدنيا فيما لديه ، فاغار على عين التمر وعامل امير المؤمنين عليها مالك بن كعب ، فقام امير المؤمنين عليه السلام خطيبا في اهل الكوفة فقال يا اهل الكوفة انتدبوا الى مالك بن كعب فان النعمان بن بشير قد نزل في جمع من اهل الشام ليسوا بكثير وانهضوا الى اخوانكم لعل الله يقطع من الظالمين طرفا ثم نظر ص ع ولم يجبه منهم احد فصعد الى المنبر فتكلم بكلام لم يسمع الا انهم ظنوا انه يدعو ويحمد ربه ثم انه رفع صوته فقال اما بعد يا اهل الكوفة لئن منسر من مناسر اهل الشام اظل عليكم ، اغلق كل امرء منكم بابه وانحجر انحجار الضب في حجره او الضبع في وجارها ، ايها الناس المجتمعة ابدانهم المختلفة اهوائهم، كلامهم يوهي الصم الصلاب ، وفعلكم يطمع فيكم العدو ، الم تاب تقولون في المجالس كيت وكيت ، فاذا جاء القتال قلتم حيدي حياد مه ما عزت دعوة من دعاكم ولا استراح قلب من قاساكم ، اعاليل باضاليل ، دفاع ذي الدين المطول ، لا يدفع الضيم الذليل ولا يدرك الحق الا بالجد ، اي دار بعد داركم تمنعون ، ومع اي امام بعدي تقاتلون ، المغرور والله من غررتموه ، ومن رمى بكم فقد رمى بافوق ناصل، اصبحت والله لا اصدق قولكم ولا اطمع في نصركم ولا اوعد العدو بكم ، ما بالكم ما طبكم ما دوائكم ، القوم رجال امثالكم ، اقول بغير علم ، وغفلة من غير ورع ، وطمعا في غير حق

وطالت الغارات من اصحاب معاوية وامير المؤمنين ينفر اهل الكوفة ، فلا يجد منهم الا التواني وتعاليل الاماني

وخرج بشر بن ارطاة في جيش كثيف من اهل مصر والشام من جنود معاوية فاستولى على مدينة النبي عليه السلام وعلى مكة ودخل اليمن واجتمع اليه اوباش الناس واغزا بهم ومن لا حظ له في الاسلام الا ما يرومه من الحطام ، فاستولى على اليمن ، قال الشريف صاحب كنز الاخيار في السير والاخبار :

لما غلب بشر بن ارطاة على اليمن فرت همدان يريد ذمرمر شبام حمير جبله الكوكبان وشبام الذي هو عند ذمرمر شبام بني جيب وفيه آثار عمارة جاهلية وقتل بشر اللعين ابني عبد الله ابن العباس عبد الرحمن وقاسم رحمة الله عليهما ورضوانه ، وامهما يعاينهما فاصابها حزن عظيم قالت امهما عائشة الحارثية يرثيهما :

يا من احس بابني اللذين هما \* كالدر شين تشظي مكة عنهما الصدف

وطاش عقل امهما من الاسف والحزن عليهما وقبراهما الى اليوم معروفان بضعايزاران ويعرفان بقبر الشهيدين ، قال المسعودي واسم امهما امرأة عبد الله بن العباس ام حكيم جويرة بنت فارط بن خالد الكنانية ، قال ودخل عبد الله بن العباس يوما على معاوية وعنده قاتلهما بشر بن ارطاة العامري ، فقال له عبيد الله انت القاتل الصبيين ، قال نعم ، قال والله لوددت ان الارض انبتتني عندك يومئذ ، قال بشر قد اينتك الساعة ، فقال عبد الله لاسيف ، قال بشر هاك سيفي ، فلما اهوى عبد الله الى السيف ليأخذه قبض معاوية ومن حضر على يد عبد الله قبل ان يقبض على السيف ثم اقبل معاوية على بشر ، فقال اخزاك الله من شيخ فقد كبرت وذهل عقلك تعمد الى رجل موتور من بني هاشم تدفع اليه سيفك ، انك لغافل عن قلوب بني هاشم ، والله لو تمكن من السيف لبلأني قبلك ، قال عبد الله ذلك والله اردت، وكان علي ابن ابي طالب ص ع حين اتاه قتل بشر لابني عبد الله قاسم وعبد الرحمن دعى علي عليه السلام عليه فقال اللهم اسلبه دينه وعقله فخرف بشر حتى ذهل عقله واستهتر بالسيف فكان لا يفارقه فجعل له سيف من حشب وجعل بين يديه زق منفوخ يضرب كلما تخرق ابدل فلم يزل يضرب الزق بذلك السيف حتى مات زائل العقل يلعب بنجوه وربما كان يتناول منه ثم يسأل من يراه فيقول انظروا كيف يطعموني هؤلاء الغلمان ، وكان ريما شدت يداه الى الورى منعا من ذلك فانحنى ذات يوم في مكانه ثم اهوى بفيه فتناول منه فبادروا الى منعه فقال انتم تمنعوني وقاسم وعبد الرحمن يطعماني الىان مات لعنه الله سنة ست وثمانين .

وتوارت الاخبار الى امير المؤمنين صلى الله عليه باستيلاء بشر بن ارطاة ومن اصحاب معاوية على البلاد وقدم اليه عاملاه على اليمن وهما عبد الله بن العباس وسعيد بن غزان لما غلب عليه بشر بن ارطاة فقام امير المؤمنين ص ع الى المنبر ضجرا لتثاقل اصحابه عن الجهاد ومخالفتهم له في الرأي ، فقال عليه السلام ما هي الا الكوفة اقبضها وابسطها ان لم تكوني الا انت تهب اعاصيرك فقبحك الله، ثم تمثل :

لعمر ابيك الخير يا عمرو انني \* على وضر من ذي الاناء قليل ،

ثم قال ع م انبئت بشرا قد اطلع اليمن ، اني اظن هولاء القوم سيدالون منكم باجتماعهم على باطلهم وتفرقكم عن حقكم وبمعصيتكم امامكم في الحق وطاعتهم امامهم في الباطل ، وبادائهم الامانة الى صاحبهم وخيانتكم ،وبصلاحهم في بلادهم وفسادكم ، فلو ائتمنت احدكم على كعب لخشيت ان يذهب بعلاقته ، اللهم اني قد مللتهم وملوني وسئمتهم وسئموني ، فابدلني بهم خيرا منهم وابدلهم بي شرا مني ، اللهم مث قلوبهم كما يماث الملح في الماء ، اما والله لوددت ان لي بكم الف فارس من بني فراس ابن غنم :

هناك لو دعوت اتاك منهم \* فوارس مثل ارمية الحميم

وهذا البيت لابن جندب الهزيلي في فراس

ثم نزل صلوات الله عليه ، ولم يزل امير المؤمنين عليه السلام كئيبا حزينا يدعوهم الى الجهاد فلا يجيبون وينهاهم من التثبط وهم عليه مصرون قد ضلوا ضلال بني اسرائيل لو قالوا لبنيهم اذهب انت وربك فقاتلا انا ههنا قاعدون حتى اغار رجل من اصحاب معاوية من عان على اهل الانبار في اربعة الف فارس فقتل ابن حسان البكري عامل امير المؤمنين عليه السلام على الانبار ، وقتلوا رجالا معه من اهل الفضل والعبادة ، فلما انتهى خبر ذلك الى امير المؤمنين ع م امر مناديه فنادى الصلوة جامعة وخرج ص ع يحمل المصحف حتى رقي على المنبر فقعد عليه ثم ضرب بيده الى لحيته واكب ص ع يبكي وينحب حتى اذا غص المسجد باهله نشر المصحف وجعله فوق رأسه ثم قال يا كتاب الله انطق يا كتاب الله انطق وقال انا كتاب الله الناطق وهذا كتاب الله الصامت ، وانا المبين لما فيه والمترجم لما يحويه ، ثم خطبهم صلى الله عليه فقال :

الحمد لله رب العالمين وسلام على المرسلين وعلى عباد الله الصالحين ، وصلى الله على رسوله وصفيه محمد سيد المرسلين ، ايها الناس ما هي الا الكوفة اقبضها وابسطها ،اللهم اني قد دعوت القوم الى ما في المصحف من اوله الى آخره من الامر بالمعروف والنهي عن المنكر والجهاد في سبيل الله وطلب ما فيه الرضى لوجهه الكريم ،

اما بعد فان الجهاد باب من ابواب الجنة فتحه الله تعالى لخاصة اوليائه وهو لباس التقوى ودرع الله الحصينة وجنته الوثيقة ، فمن ترك البسه الله ثواب الذل وشمله البلا وديث بالصغار والقمأ وضرب على قلبه بالاسداد واديل الحق منه بتضييع الجهاد وسيم الخسف وبيع النصف الاواني ، قد دعوتكم الى قتال هؤلاء القوم ليلا ونهارا وسرا وجهارا ، وقلت لكم اغزوهم قبل ان يغزوكم فوالله ما غزي قوم قط في عقر دارهم الا ذلوا ، فتواكلتم وتخاذلتم حتى شنت عليكم الغارات وملكت عليكم الاقطار ، هذا اخو عامر قد وردت خيله الانبار وقد قتل حسان بن حسان البكري وازال خيلكم عن مسالحها ولقد بلغني ان الرجل منهم كان يدخل على المرأة المسلمة والاخرى المعاهدة فينتزع حجلها وقلبها وقلائدها ورعاثها ما تمتنع منه الا بالاسترجاع والاسترحام ثم انصرفوا وافرين الجانب ما اصاب رجلا منهم كلم ولا اريق له دم ، فلو ان امراء مسلما مات من هذا اسفا كان به ملوما بل كان عندي جديرا ، فيا عجبا عجبا والله بميت القلب يجلب الهم من اجتماع هؤلاء على باطلهم وتفرقكم عن حقكم فقبحا لكم وترحا حين صرتم غرضا يرمى يغار عليكم ولا تغيرون ويعصى الله وترضون، فاذا امرتكم بالسير اليهم في ايام الحر قلتم هذه حمارة القيظ امهلنا ينسلخ عنا الحر، واذا امرتكم بالسير اليهم في الشتاء قلتم هذه صبارة القر امهلنا ينسلخ عنا البرد كل هذا فرار من الحر والقر فانتم والله من السيف افر، يا اشباه الرجال ولا رجال ويا حلوم الاطفال وعقول ربات الحجال ، لوددت اني لم ارك ولم اعرفكم معرفة والله جرت ندما واعقبت سدما ، لقد ملأتم قلبي قيحا وشحنتم صدري غيظا وجرعتموني تعب التهام القساسا ، وافسدتم على رأيتي بالعصيان والخذلان حتى قالت قريش ان ابن ابي طالب رجل شجاع ولكن لا علم له بالحرب، لله ابوهم وهل احد منهم اشد لها مراسا واقدم فيها مقاما مني ، ولقد نهضت فيها وما بلغت العشرين ، وها انا قذ ذرفت على الستين ولكن لا رأى لمن لا يطاع

واعترضه الاشعث بن قيس وهو يخطب على منبر الكوفة فقال يا امير المؤمنين هذه عليك لا لك ، فقال عليه السلام للاشعث عليك لعنة الله ولعنة اللاعنين حائك بن حائك منافق بن كافر والله لقد اثرك الكفار مرة والاسلام اخرى فما فداك من واحدة منهم مالك ولا حسبك، وان امرء دل على قومه السيف وساق اليهم الحتف لحري ان يمقته الاقرب ولا يأمنه الابعد

فقوله عليه السلام دل على قومه السيف اراد ان الاشعث دل خالد بن الوليد في اليمامة على قومه ومكر بهم حتى اوقع بهم خالد وكان بعد ذلك قومه يسمونه عرف النار وهو اسم للغادر عنهم وكان الاشعث قد اسر مرة في الشرك ومرة في الاسلام فاما التي في الاسلام فانه ارتد ايام ابي بكر واسر فاطلقه ابو بكر وزوجه اخته ام فروه ولذلك حديث يطول ، وهذا الاشعث قد ذكرنا نفاقه على امير المؤمنين علي ابن ابي طالب ص ع وتثبيط الناس عن الجهاد معه وما استماله معاوية به وذكر محمد بن عبد الكريم الشهرستاني صاحب كتاب الملل والنحل في كتابه المذكور ان الاشعث الكندي من الخوارج المارقين ، قال ان اول من خرج على علي ابن ابي طالب كرم الله وجهه جماعة ممن كان منه بصفين ومن اشدهم خروجا عليه ومروقا عن الدين الاشعث بن قيس ومسعود بن فدين اليمني وزيد ين حصن الطائي حين قالوا القوم يدعوننا الى كتاب الله وانت تدعونا الى احزاب ،انفروا الى من يقولون كذب الله ورسوله وانتم تقولون صدق الله ورسوله ، قالوا لترجعن الاشتر عن قتال المسلمين او لنفعلن بك كما فعلنا بابن عفان ، فاضطر الى رد الاشتر بعد ان هزم الجمع وولوا مدبرين، هذا قوله وانما لم نذكر الاشعث مع من ذكرناه من الخوارج لانه لم يجاهده امير المؤمنين ع م كما جاهدهم ولا نابذه الحرب مثلهم

ومن كلام امير المؤمنين عليه السلام في ذم اصحابه كم اداريكم كما تدارى البكار العمدة والثياب المتداعية ، كلما خيط من جانت تهتك من آخر ، كلما اطل عليكم منسر من مناسر اهل الشام اغلق كل رجل منكم بابه وانحجر انحجار الضبة في حجرها ، والضبع في وجارها الذليل ، والله من نصرتموه ومن رمي بكم فقد رمي بافوق ناصل ، انكم والله لكثير في الباحات قليل تحت الرأيات ، واني لعالم بما يصلحكم ويقيم اودكم، ولكني لا ارى اصلاحكم في افساد نفسي ، اضرع الله جدودكم ، واتعس خدودكم ، لا تعرفون الحق كمعرفتكم الباطل ، ولا تبطلون الباطل كابطالكم الحق ،

وله ص ع في ذم اهل العراق :

اما بعد يا اهل العراق فانما انتم كالمرأة الحامل حملت فلما اتمت امصلت ومات جنينها ، وطل تايمها ، وورثها ابعدها ، اما والله ما اتيتكم اختيارا ، ولكن جئت اليكم سوقا ولقد بلغني انكم تقولون علي يكذب قاتلكم الله فعلى من اكذب اعلى الله فانا اول من من آمن به ام على نبيه فانا اول من صدقه كلا والله ولكنها لهجة غبتم عنها ولم تكونوا من اهلها ويل امه كيلا بغير ثمن لو كان له وعاء ولتعلمن نبأه بعد حين

ومن كلام له عليه السلام :

ولئن امهل الله الظالم فلن يفوت اخذه وهو له بالمرصاد على مجاز طريقه وبموضع الشجى من مساغ ريقه اما والذي نفسن بيده ليظهرن هؤلاء القوم عليكم ليس لانهم اولى بالحق منكم ولكن لاسراعهم الى باطل صاحبهم وابطائكم عن حقي ولقد اصبحت الامم تخاف ظلم رعاتها واصبحت اخاف ظلم رعيتي استنفرتكم للجهاد فلم تنفروا واسمعتكم فلم تسمعوا ودعوتكم سرا وجهرا فلم تستجيبوا ونصحت لكم فلم تقبلوا اشهود كغياب وعبيد كارباب اتلو عليكم الحكم فتنفرون منها واعظكم بالموعظة البالغة فتتفرقون عنها واحثكم على جهاد اهل البغي فما آتي على آخر القول حتى اراكم متفرقين ايادي سبا ترجعون الى مجالسكم وتتداعون عن مواعظكم اقومكم غدوة وترجعون الي عشية كظهر الحية عجز المقوِّم واعضل المقوَّم

ايها الشاهدة ابدانهم الغائبة عقولهم المختلفة اهواؤهم المبتلى بهم امراؤهم صاحبكم يطيع الله وانتم تعصونه وصاحب اهل الشام يعصي الله وهم يطيعونه لوددت والله ان معاوية صارفني بكم صرف الدينار الدرهم فاخذ مني عشرة منكم واعطاني رجلا منهم

يا اهل الكوفة منيت منكم بثلاث واثنتين صم ذووا اسماع وبكم ذوو كلام وعمي ذوو ابصار لا احرار صدق عند اللقاء ولا اخوان ثقة عند البلاء

يا اشباه الابل غاب عنها رعاتها كلما جمعت من جانب تقرقت من جانب آخر والله لكأني بكم فيما اخال ان لو حمس الوغى وحمي الضراب وقد انفرجتم عن ابن ابي طالب انفراج المرأة عن قبلها واني لعلى بينة من ربي ومنهاج من نبي واني لعلى الطريق الواضح القطه لقطاانظروا اهل بيت نبيكم فالزموا سمتهم واتبعوا اثرهم فلن يخرجوكم من هدى ولن يعيدوكم في ردى فان لبدوا فالبدوا وان نهضوا فانهضوا ولا تسبقوهم فتضلوا وال تتأخروا عنهم فتهلكوا لقد رأيت اصحاب محمد صلى الله عليه وآله فما ارى احدا منكم يشبههم لقد كانوا يصبحون شعثا غبرا وقد باتوا سجدا وقياما يراوحون بين جباههم وخدودهم ويقفون على مثل الجمر من ذكر معادهم كأن بين اعينهم ركب المعزى من طول سجودهم اذا ذكر الله هلمت اعينهم حتى تبل جيوبهم ومادوا كما يميد الشجر يوم الريح العاصف خوفا من العقاب ورجاء للثواب

ومن قوله ع م يصف المتغلبين بعده :

والله لا يزالون حتى لا يدعوا لله محرما الا استحلوه ولا عقدا الا حلوه وحتى لا يبقى بيت مدر ولا وبر الا دخله ظلمهم ونبا به سوء رعيهم وحتى يقوم الباكيان يبكيان باك يبكي لدينه وباك يبكي لدنياه وحتى تكون نصرة احدكم من احدهم كنصرة العيد من سيده اذا شهد اطاعه واذا غاب اغتابه وحتى يكون اعظمكم فيها عناء احسنكم بالله ظنا فان اتاكم الله بعافية فأقبلوا وان ابتليتم فاصبروا فان العاقبة للمتقين

ومن كلام له عليه السلام :

ايتها النفوس المختلفة والقلوب المتشتتة الشاهدة ابدانهم والغائبة عنهم عقولهم اظأركم على الحق وانتم تنفرون عنه نفور المعزى من وعوعوة الاسد هيهات ان اطلع بكم سرار العدل او اقيم اعوجاج الحق

اللهم انك تعلم انه لم يكن الذي كان منا منافسة في سلطان ولا التماس شيء من فضول الحطام ولكن لنرد المعالم من دينك ونظهر الاصلاح في بلادك فيأمن المظلومون من عبادك وتقام المعطلة من حدودك

اللهم اني اول من اناب وسمع واجاب لم يسبقني الا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بالصلاة

وقد علمتم انه لا ينبغي ان يكون الوالي على الفروج والدماء والمغانم والاحكام وامامة المسلمين البخيل فتكون في اموالهم نهمته ولا الجاهل فيضلهم بجهله ولا الجافي فيقطعهم بجفائه ولا الحائف للدول فيتخذ قوما دون قوم ولا المرتشي في الحكم فيذهب بالحقوق ويقف بها دون المقاطع ولا المعطل للسنة فيهلك الامة

وعن نوق البكالي فيما روي عنه قال امر امير المؤمنين عليه السلام جعده بن هبير بالمخزومي فنصب له حجارة ثم قام امير المؤمنين ع م عليها وعليه مدرعة من صوف وحمائل سيفه ليف وفي رجليه نعلان من ليف وكأن جبينه ثفنة بعير، فخطب عليه السلام بهذه الخطبة ، فقال :

الحمد لله الذي اليه مصائر الخلق وعواقب الامر نحمده على عظيم احسانه ونير برهانه ونوامي فضله وامتنانه حمدا يكون لحقه قضاء ولشكره اداء والى ثوابه مقربا ولحسن مزيده موجبا ونستعين به استعانة راج لفضله مؤمل لنفعه واثق بدفعه معترف معترف له بالطول مذعن له بالعمل والقول ونؤمن به ايمان من رجاه مؤقنا واناب اليه مؤمنا وخنع له مذعنا واخلص له موحدا وعظمه ممجدا ولاذ به راغبا مجتهدا لم يولد سبحانه فيكون في العز مشاركا ولم يلد فيكون موروثا هالكا ولم يتقدمه وقت ولا زمان ولم يتعاوره زيادة ولا نقصان بل ظهر للعقول بما ارانا من علامات التدبير المتقن والقضاء المبرم

ومن شواهد خقله خلق السموات موطدات بلا عمد قائمات بلا سند دعاهن فاجبن طائعات مذعنات غير متلكئات ولا مبطئات ولولا اقرارهن له بالربوبية واذعانهن له بالطواعية لما جعلهن موضعا لعرشه ولا مسكنا لملائكته ولا مصعدا للكلم الطيب والعلم الصالح من خلقه جعل نجومها اعلاما يستدل بها الحيران في مختلف فجاج الاقطار لم يمنع ضوء نورها ادلهمام سجف الليل المظلم ولا استطاعت جلابيب سواد الحنادس ان ترد ما شاع في السموات من تلألؤ نور القمر فسبحان الله من لا يخفى عليه سواد غسق داج ولا ليل ساج في بقاع الارضين المتطأطئات ولا في يفاع السفع المتجاورات وما يتجلجل به الرعد في افق السماء وما تلاشت عنه بروق الغمام وما تسقط من ورقة تزيلها عن مسقطها عواصف الذرة ومجرها وما يكفي البعوضة من قوتها وما تحمل الانثى في بطنها

الحمد لله الكائن قبل ان يكون كرسي او عرش او سماء او ارض او جان او انس لا يدرك بوهم ولا يقدر بفهم ولا يشغله سائل ولا ينقصه نائل ولا ينظر بعين ولا يحد بأين ولا يوصف بالازواج ولا يخلق بعلاج ولا يدرك بالحواس ولا يقاس بالناس الذي كلم موسى تكليما واراه من آياته عظيما بلا جوارح ولا ادوات ولا نطق ولا لهوات بل ان كنت صادقا ايها المتكلف لوصف ربك فصف جبرائيل وميكائيل وجنود الملائكة المقربين في حجرات القدس مرجحنين متولهة عقولهم ان يحدوا احسن الخالقين فانما يدرك بالصفات ذوو الهيئات والادوات ومن ينقضي اذا بلغ امد حده بالفناء فلا اله الا هو اضاء بنوره كل ظلام واظلم بظلمته كل نور

اوصيكم عباد الله بتقوى الله الذي البسكم الرياش واسبغ عليكم المعاش ولو ان احدا يجد الى البقاء سلما او الى دفع الموت سبيلا لكان ذلك سليمان بن داؤد عليه السلام الذي سخر له ملك الجن والانس مع النبوة وعظيم الزلفة فلما استوفى طعمته واستكمل مدته رمته قسي الفناء بنبال الموت واصبحت الديار منه خالية والمساكن معطلة وورثها قوم آخرون وان لكم في القرون السالفة لعبرة اين العمالقة وابناء العمالقة اين الفراعنة وابناء الفراعنة اين اصحاب مدائن الرس الذين قتلوا النبيين واطفأوا سنن المرسلين واحيوا سنن الجبارين اين الذين ساروا بالجيوش وهزموا بالالوف وعسكروا العساكر ومدنوا المدائن

ومنها : قد لبس للحكمة جنتها واخذها بجميع ادبها من الاقبال عليها والمعرفة والتفرغ لها وهي عند نفسه ضالته التي يطلبها وحاجته التي يسأل عنها فهو مغترب اذا اغترب الاسلام وضرب بعسيب ذنبه والصق الارض بجرابه بقية من بقايا حجته خليفة من خلائف انبيائه

ثم قال عليه السلام :

ايها الناس اني قد بثثت لكم المواعظ التي وعظ الانبياء بها اممهم واديت اليكم ما ادت الاوصياء الى من بعدهم وادبتكم بسوطي فلم تستقيموا وحدوتكم بالزواجر فلم تستوسقوا لله انتم اتتوقعون اماما غيري يطأ بكم الطريق ويرشدكم السبيل

الا انه قد ادبر من الدنيا ما كان مقبلا واقبل منها ما كان مدبرا وازمع الترحال عباد الله الاخيار وباعوا قليلا من الدنيا لا يبقى بكثير من الآخرة لا يفنى ما ضر اخواننا الذين سفكت دماؤهم وهم بصفين ان لا يكونوا اليوم احياء يسيغون الغصص ويشربون الرنق قد والله لقوا الله فوفاهم اجورهم واحلهم دار الامن بعد خوفهم اين اخواني الذين ركبوا الطريق ومضوا على الحق اين عمار واين ابن التيهان اين ذو الشهادتين واين نظراؤهم من اخوانهم الذين تعاقدوا على المنية وابرد برؤوسهم الى الفجرة

قال : ثم ضرب بيده على لحيته الشريفة الكريمة فاطال البكاء ثم قال عليه السلام :

اوه على اخواني الذين قرأوا القرآن فاحكموه وتدبروا الفرض فاقاموه احيوا السنة واماتوا البدعة دعوا للجهاد فاجابوا ووثقوا بالقائد فاتبعوه

ثم نادى باعلى صوته :

الجهاد الجهاد عباد الله الا واني معسكر في يومي هذا فمن اراد الرواح الى الله فليخرج

قال نوف وعقد للحسين عليه السلام في عشرة آلاف ولقيس بن سعيد رحمه الله في عشرة آلاف ولابي ايوب الانصاري في عشرة آلاف ولغيرهم على اعداد اخر وهو يريد الرجعة الى صفين فما دارت الجمعة حتى ضربه الملعون ابن ملجم لعنه الله فتراجعت العساكر فكنا كاغنام فقدت راعيها تختطفها الذئاب من كل مكان

ذكر فتك ابن ملجم لعنة الله عليه ولعنة اللاعنين بعلي ابن ابي طالب امير المؤمنين وسيد الوصيين وما اتى في ذلك من الروايات والاخبار عن النبي صلع وعن امير المؤمنين وصيه وخليفته الذي عظم الله مقامه بوصيته وكرم ورد فيما اثبته الرواة عن ابي ايوب الانصاري رحمة الله عليه انه قال قال رسول الله صلع لعلي ع م من اشقى الاولين ومن اشقى الآخرين ؟ قال الله ورسوله اعلم ، قال اشقى الاولين عاقر الناقة واشقى الآخرين قاتلك يا علي

قال اسماعيل بن ابان فيما اسنده عن جابر بن سموة قال اخذ رسول الله صلع وقوله لعلي ع م اشقى ا لاولين عاقر الناقة واشقى الآخرين قاتلك يا علي من قول الله تعالى: اذا انبعث اشقاها .

وبالاسناد عن ابي الطفيل قال دعى علي عليه السلام الناس الى البيعة فجاءعبد الرحمن بن ملجم فرده مرتين ، وبايعه في الثالثة ، ثم قال له ما يحبس اشقاها والذي نفس محمد بيده ، لتخضبن هذه واومى الى لحيته من هذا ن واومى الى رأسه

وما اتى من علي ع م انه قسّم مالا فجاء ابن ملجم لعنه الله فاعطاه ثم قال:

اريد حياته ويريد قتلي \* عذيرك من خليلك من مراد

وعن ابي عبد الله بن صلح باسناده عن زيد بن اسلم انه قال مرض امير المؤمنين علي ع م فدخلنا اليه خوده فقال اني ما اخشى الموت من مرض لاني سمعت الصادق المصدق يعني رسول الله صلع يقول يا علي انك ستضرب ضربة هاهنا واومى الى رأسه يسيل دمها حتى تخضب لحيتك ، يكون ضاربك اشقى هذه الامة كما كان عاقر الناقة اشقى ثمود

وروي عن اسماعيل بن ابان باسناده عن ثعلبه بن يزيد قال قال علي عليه السلام والذي نفس محمد بيده لتخضبن هذه واومى الى لحيته من هذا واومى يده الى رأسه ، فلما اصيب ع م وخضبت لحيته بالدم اخذها بيده وقال الم اقل لكم انها ستخضب

وروي ابو غسان باسناده عن علي صلوات الله عليه قال قال لي رسول الله صلع ان هذه الامة ستغدر بك

وبآخر عن حكيم بن سعيد قال ذكر لنا علي ع م ان سيقتل ، فقلنا لو علمنا قاتلك لابدنا عترته ، قال مه ذلك الظلم لكن اصنعوا به ما يصنع بقاتل نبي او وصي نبي يقتل ثم يحرق

وعن ابي رافع قال كنت مع امير المؤمنين ع م بالكوفة وهو يمشي عند دار الزبير بن العوام وهم يتبعونه حتى ادموا عقبيه فالتفت اليهم فقال اللهم ارحني منهم فرق الله بيني وبينكم اللهم ابدلني بهم خيرا منهم وابدلهم بي شرا مني ، قال فما كان الا يومه يعني قتل عليه السلامز

وعن الحسين بن علي ع م قال امير المؤمنين علي ابن ابي طالب ع م رأيت حبيبي رسول الله صلع البارحة في النوم فشكوت اليه ما لقيت من اهل العراق بعده فوعدني الراحة منهم عن قريب، قال فما لبث بعد ذلك الا جمعة حتى قتل ص ع

زيد بن وهب قال قدم على علي ص ع نفر من اهل البصرة منهم رجل يقال له الجعد فرأى خشونة لباسه وكلمه في ذلك فقال عليه السلام ما لكم وللباسي هو احسن لصلوتي واجدر ان يقتدي بي المسلمون من بعدي، فقال له اتق الله يا امير المؤمنين في نفسك ولا تحمل عليها فانك ميت ، قال علي صلوات الله عليه بل مقتول تخضب هذه وقبض على لحيته من هذا واومى الى رأسه عهد معهود وقضا مقضي وقد خاب من افترى

وعن اسماعيل البزاز عن ام موسى وليدة كانت لعلي عليه السلام قالت قال امير المؤمنين ع م يوما لابنته ام كلثوم وكانت خير بناته يا بنية ما اراني الا اقل ما اصحبك ، قالت ولم يا ابتاه ، قال رأيت رسول الله صلع يمسح الغبار عن وجهي ويقول لا عليك قد قضيت ما عليك ، قالت فما لبث الا يسيرا حتى قتل عليه السلام.

وعن الحسين بن علي ع م قال سهر امير المؤمنين ليلة قتل وقال اني مقتول لو قد اصبحت، فجاءه مؤذنه للصلوة فقام ثم رجع فقالت له ابنته مر جعدة بن هبير فليصل بالناس ، فقال لا مفر من الاجل ، ثم قال فخرج فمر على صاحبه وقد سهر ليله ينتظره فغلبته عيناه فنام فضربه ص ع برجله وقال الصلوة فقام لعنه الله فضربه.

وعن موسى ابن عبد الحميد بن سروق باسناده عن اسماعيل بن راشد انه ذكر قصة قتل امير المؤمنين علي ابن ابي طالب صلوات الله عليه فقال ما كان من خبر ابن ملجم لعنه والله واصحابه ان عبد الرحمن بن ملجم والحرث بن عبد الله وعمر بن البكر التميمي اجتمعوا في جماعة من الخوارج بمكة فذكروا امر الناس وعابوا الولاة ثم ذكروا اهل النهروان اصحابهم فترحموا عليهم وقالوا والله ما في البقاء بعدهم خير فقد كانوا واعة دعاة المسلمين الى عبادة ربهم وكانوا لا يخافون في الله لومة لائم ، فلو شرينا انفسنا من الله عز وجل واتينا ائمة الضلال فالتمسنا قتلهم وارحنا البلاد منهم وادركنا ثار اخواننا ، فقال ابن ملجم لعنه الله انا اكفيكم علي ابن ابي طالب وكان من اهل مصر ، قال الحارث اني اكفيكم معاوية بن ابي سفيان وقال عمرو بن بكر انا اكفيكم عمرو ابن العاص فتعاهدوا وتواثقوا الا ينكص رجل منهم عن صاحبه حتى يقتله او يموت دونه فاخذوا وتوجه كل واحد منهم الى المصر الذي فيه صاحبه بعد ان سموا سيوفهم ، فصار عبد الرحمن الى الكوفة ولقي بها من لقي من اصحابه فكاتمهم امره كراهة ان يظهروا شيئا منه الى ان رأى ذات يوم اصحابا له من تيم الرباب وكان امير المؤمنين عليه السلام قد قتل منهم يوم النهروان عدة ، فذكروا قتلاهم ورأى معهم يومئذ امرأة من تيم الرباب يقال له قطام لعنها الله قد كان امير المؤمنين ص ع قتل اباها كانت فائقة الجمال ، فلما رآها علقها وخطبها فقالت له لا اتزوجك حتى تشفي قلبي ، قال لها وما يشفي قلبك ، قالت قتل علي ابن ابي طالب ، قال ما قلت هذا وانت تريدينني ، قالت بلىان قتلته وسلمت زوجتك وانتفعت بي ، وان هلكت فلك عند الله ما هو خير مني، قال والله ما جئت الى هذا الموضع الا التمس قتله ، فاذا قلت ما قلت فهل عندك من معونة ، قالت نعم اجد لك من يستظهر ك ويساعدك على ذلك ، قال افعلي ، فاتت رجلا من قومها يقال له وردان فاخبرته الخبر وكلمته في ذلك وعاهدها عليه واجتمع مع عبد الرحمن ابن ملجم لعنهما الله ولقي ابن ملجم ايضا رجلا من النخع يقال له شبيب وكان يتوثق به فاطلعه على امره ورغبه في معونته وموازرته على قتل امير المؤمنين ص ع اذ قد علم عدو الله شدته وجلده فخافه على نفسه وجبن من الاقدام فاجابه الى ذلك وعاهده عليه وبما كان من قصة قطام فتعاظم ذلك شبيب ، وقال يا عبد الرحمن ويحك قد علمت بسوابق علي في الاسلام ومكانه من رسول الله صلع وشدته وشجاعته، قال له افما تعلم من قتل من اخواننا ونحن فانما نحتال في ان نفتك به ولسنا نبارزه ولا نباريه ولم يزل به حتى اجابه فاجتمعوا ثلاثة لعنهم الله وعرفهما عبد الرحمن بن ملجم بالليلة التي واعد فيها اصحابه وقال انظروا كيف يكون الرأي والعمل فيه، واتوا الى قطام وكانت بها جزالة وحزم ورأي وتقشف كانت تلزم المسجد مع النساء فتعتكف فيه فاخبروها بما اجتمع امرهم عليه وقالوا لها هل عندك من حيلة في الوصول اليه في منزله ، قالت لا ولكن امكن من ذلك وقت خروجه الى صلوة الفجر ، فانه يغلس بالخروج فتكمنون له عند باب المسجد فاذا دخل وبتم عليه فضربتموه ضربة رجل واحد وخرجتم وافترقتم في الغلس، فتعاقدوا على ذلك ، واشتمل كل واحد منهم على سيفه واتوا المسجد ليلا فباتوا فيه مع – من الناس مقابل السدة التي يخرج منها امير المؤمنين عليه السلام ، فلما خرج امير المؤمنين ص ع من منزله يريد صلوة الفجر استقبله اوز كنّ في الدارفصحن فطردن ، فقال صلوات الله عليه دعوهن فانهن نوائح ، قاال جعفر بن محمد الصادق عن آبائه عليهم السلام كان امير المؤمنين ع م يخرج الى صلوة الفجر وبيده درة يوقظ به النوام في المسجد ، فالقى ابن ملجم لعنه الله نائما قد سهر ليله لانتظاره فخفقه بالدرة وقال قم للصلوة فثار لعنه الله فضرب امير المؤمنين ع م على ام رأسه وشد عليه شيب لعنه الله فضربه بالسيف فوقع سيفه في عضادة الباب وهرب وردان اللعين خوفا ان يدركه الناس فصرخ بهم الناسوتبادروا اليهم فاما وردان فهرب حتى دخل منزله ودخل عليه بعض من رآه فقتله يا منزله لعنه الله ، واما شبيب اللعين فخرج نحو باب كنده في الغلس وتصارخ الناس فلحقه رجل من حضرموت وشيب بيده السيف فرماه به فاخذه الحضرمي، فلما رأى الناس قد لحقوه خاف ان يظنوا انه في القاتلين فرمى بالسيف ونجا شبيب لعنه الله في غمار الناس ، واما ابن ملجم لعنه الله فشدوا عليه فاخذوه بعد ان ضربه رجل من همدان على رجله فصرعه وحضر وقت صلوة الفجر فدفع امير المؤمنين ع م في ظهر جعدة بن هبيرة بن ابي وهب المخزومي وامره ان يصلي بالناس ، وهذا جعده هو ابن اخت امير المؤمنين ع م ام هاني ابنة ابي طالب ، واحتمل امير المؤمنين ع م فادخل عليه عدو الله ابن ملجم لعنه الله فقال له امير المؤمنين : اي عدو الله الم احسن اليك ، قال نعم ، قال فما حملك على ما صنعت فاطرق فقال له امير المؤمنين ع م لا اراك الا مقتولا وصائرا الى النار ومن شرخلق الله وقالت ام كلثوم بنت علي عليه السلام لابن ملجم حين جيء به الى امير المؤمنين صلى الله عليه يا عدو الله قتلت اميرالمؤمنين ، قال لا ولكني قتلت اباك ، قالت ارجو ان لا يكون عليه من بأس ، فقال اللعين افعلي تبكين ، اذا ما والله لقد سممته يعني سيفه اربعين ليلة ، فان اخلفني فابعده الله فقالت اما والله لتقتلن ، قال لا الا ان يموت ابوك ، قالت اما والله ما عليه من بأس ، قال اما والله لقد ضربته ضربة لو كانت بجميع اهل منى ما افاقوا منها .

وفيما روي عن الحسين بن عمران عن ابيه قال رأيت الناس لما اخذ ابن ملجم لعنه الله وقد احاطوا به لو استطاعوا لنهشوه با--- بهم وهم يقولون يا عدو الله قتلت خير الناس اهلكت خير الامة ، قال وهو ساكت لا يجيب املاهم وجعل اناس يقولون له الحمد لله الذي اخزاك ياعدو الله وسلم اميرالمؤمنين ، فقال فعلى من تبكي رقية يعني ابنة علي صلى الله عليه .

وفيما روي عن عمرو بن ذمر قال لما ضرب امير المؤمنين عليه السلام دخلت عليه وقد عصب رأسه بعصابة فقلت يا امير المؤمنين ارني الضربة فحل العصابة فنظرت اليها فقلت ليس بشيء والله يا امير المؤمنين وما هي الا خدش فقال عليه السلام اني مفارقكم اني مفارقكم مرتين ، فبكت ام كلثوم من وراء الحجاب ، فقال لها امسكي لو ترين ما ارى ما بكيت فقلت يا امير المؤمنين ما ذا ترى فقال هذه الملائكة وقوف والنبيون ، وهذا محمد ص ع يقول يا علي ابشر فما تصير اليه خير مما انت فيه

وعن الاصبغ بن نباته كنا نسهر عند علي ع م فيتحدث منا نفر عنده كل ليلة ثم يتبعهم غيرهم حتى تدور لدورته فكانت سهري ليلة الجمعة ليلة تسع عشرة من شهر رمضان فلم ازل عنده واصحاب لي حتى ذهبت ساعات من الليل ، فانصرفنا الى منازلنا ، ولم تكن تفوتنا صلوة الفجر والعشاء الآخرة معه ، قال فخرجت حين السحر لاصلي معه فاذا المصابيح تتوقد واذاهم يقولون قتل علي امير المؤمنين، قال فمكثنا مليا لا نصل اليه ثم دخلنا عليه ليلة احدى وعشرين من شهر رمضان زمرة نسلم عليه وندعو له فدخلت في عشرة نفر فسلمنا عليه ودعونا له وقلت يا امير المؤمنين والله اني لاحبك ، فقال الله الذي لا اله الا هو ، فحلفت فقال اما والذي انزل التوراة على موسى والانجيل على عيسى والفرقان على ابي القاسم صلوات الله عليه لقد ضربت في الليلة التي قبض فيها يوشع ابن نون ولأقبض في الليلة التي رفع فيها عيسى بن مريم ع م ، قال الاصبغ وهي ليلة احدى وعشرين من شهر رمضان.

وكان مما اوصى به امير المؤمنين علي ابن ابي طالب صلوات الله عليه :

هذا ماتصدق يه علي ابن ابي طالب وهو حي سوي تصدق بداره التي في بني زريق صدقة لا تباع ولا توهب ولا تورث حتى يرثها الله الذي يرث السموات والارض ، واسكن هذه الدار الصدقة خالاته ما عشن واعقابهن ما عاش اعقابهن ، فاذا انقرضوا فهو لذوي الحاجة من المسلمين .

واوصى باوقاف واوقفها من ماله ذكرها في كتاب وصية كان فيما ذكره منهما هذا ما وصى به وقضى في ماله علي ابن ابي طالب ابتغاء وجه الله ليولجني الله به في الجنة ، ويصرفني عن النار ويصرف النار عني يوم تبيض وجوه وتسود وجوه ما كان لي في ينبع من ماله ويعرف لي بها وما حولها صدقة ، ورفيقها غير ان رياحا وعن علي ص انه اوصى باوقاف اوقفها من امواله ذكرها في كتاب وصيته . وكان فيما ذكره منها : هذا ما اوصى به وقفا فقضى في ماله علي ابن ابي طالب ابتغاء وجه الله ليولجني الله به الجنة ويصرفني عن النار ويصرف النار عني يوم تبيض وجوه وتسود وجوه . ما كان لي ينبع من مال ويعرف لي منها وما حولها صدقة ورقيقها غير ان رياحا وابا بيرز وحبترا عتقاء ليس لاحد عليهم سبيل وهم موالي يعملون في المال خمس حجج وفيه نفقتهم ورزقهم ورزق اهاليهم ، ومع ذلك ما كان لي بوادي القرى ثلثه مال بني فاطمة ورقيقها صدقة ، وما كان لي ببرقة واهلها صدقة ، غير ان زريقا له مثل ما كتبت لاصحابه . وما كان لي باذينة واهلها صدقة ، والذي كتبت من اموالي هذه صدقة واجبة بتلة حي انا او ميت ، تنفق في كل نفقة يبتغى بها وجه الله وفي سبيل الله ووجهه وذوي الرحم من بني هاشم وبني عبد المطلب والقريب والبعيد ، وانه يقوم على ذلك الحسن بن علي ع م يأكل منه بالمعروف وينفقه حيث يريه الله في حل محلل لا حرج عليه فيه . وان اراد ان يبذل مالا من الصدقة مكان مال ، فانه يفعل ذلك لا حرج عليه فيه . وان اراد ان يبيع نصيبا من المال فيقضي به الدين فعل ان شاء ، ولا حرج عليه فيه . وان ولد علي ومالهم الى الحسن ابن علي ، وان كانت دار الحسن بن علي دارا غير دار الصدقة ، فبدا له ان يبيعها فليبع ان شاء ولا حرج عليه فيه ، فان باع فثمنها ثلاثة اثلاث ، يجعل ثلثا في سبيل الله وثلثا في بني هاشم وثلثا في آل ابي طالب ، يضعه فيه حيث يريه الله ، وان حدث بالحسن حدث والحسين حي ، فانه الى الحسين بن علي . وان حسين بن علي يفعل فيه مثل الذي امرت حسنا ، وله مثل الذي كتبت للحسن ، وعليه مثل الذي على حسن ، وان الذي لبني فاطمة من صدقة علي ع م مثل الذي لبني علي ، واني انما جعلت الذي جعلت الى بني فاطمة ابتغاء وجه الله ثم لكريم حرمة محمد صلع وتعظيما وتشريفا ورضا بهما ، فان حدث بالحسن والحسين حدث فان ولد الآخر منهما ينظر في ذلك ، وان رأى ان يوليه غيره نظر في بني علي ع م فان وجد فيهم من يرتضي دينه واسلامه وامانته جعله اليه ان شاء ، وان لم ير فيهم الذي يريده فانه يجعله ان شاء الى رجل من آل ابي طالب يرتضيه ، فان وجد آل ابي طالب يومئذ قد ذهب اكابرهم وذوو آرائهم واسنانهم ، فانه يجعله ان شاء الى رجل يرضى حاله من بني هاشم ، ويشترط على الذي يجعل ذلك اليه ان يترك المال على اصله ، وينفق ثمرته حيث امرته في سبيل الله ع ج ووجوهه ، وذوي الرحم من بني هاشم وبني عبد المطلب والقريب والبعيد ، لا يباع منه شيء ولا يوهب ولا يورث ، وان مال محمد صلع على ناحيته الى بني فاطمة ، وكذلك مال فاطمة الى بنيها

ودخل على امير المؤمنين عليه السلام جند بن عبد الله رحمة الله عليه فقال يا امير المؤمنين ان فقدناك ولا نفقدك ان شاء الله فالى من الامر من بعدك ، فدعى بالحسن والحسين صلوات الله عليهما فقال اوصيكما بتقوى الله وان لا تأنيا على شيء من الدنيا زوي عنكما وعليكما بقول الحق ومواساة اليتيم ، وعون الضعيف ، ونصرة المظلوم ، وجميع المظالم عملا بما في كتاب الله ولا تأخذكما في الله لومة لائم ، ثم نظر الى محمد بن الحنفية فقال اوصيك بتقوى الله وتوقير اخويك العظيم حقهما عليك ، وايثار امرهما ثم نظر اليهما فقال اوصيكما به فانه اخوكما

وعن علي بن الحسين ومحمد بن علي عليهما السلام انهما ذكرا وصية علي ع م فقال اوصى الى ابنه الحسن واشهد على وصيه الحسين ومحمد بن الحنيفة وجميع ولده ، ورؤساء شيعته واهل بيته ، ثم دفع الكتب اليه والسلاح ، ثم قال له امرني رسول الله صلع ان اوصي اليك وان ادفع اليك كتبي وسلاحي كما اوصى الي رسول الله صلع ودفع الي كتبه وسلاحه وامرني ان آمرك اذ حضرك الموت ان تدفع ذلك الى اخيك الحسن ثم اقبل على الحسين ص ع فقال وامرك رسول الله صلع ان تدفعه الى ابنك هذا ، ثم اخذ بيد ابن ابنه علي ابن الحسين فضمه اليه ثم قال له يا بني وامرك رسول الله صلع ان تدفعه الى ابنك محمد واقرأه من رسول الله ومني السلام، ثم اقبل الى ابنه الحسن عليهما السلام فقال يا بني انت ولي الامر وولي الدم فان عفوت فلك وان قتلت فضربة مكان ضربة ولا --- يعني لا تبطئ ، وكان ذلك قد خص الحسن والحسين عليهما السلام بوصيته اسرها اليهما كتب لهما فيها اسماء الملوك ومدة الدنيا واسماء الدعاة الى يوم القيامة ودفع اليهما كتاب القرآن وكتاب العلم

ثم كتب وصيته وهو :

بسم الله الرحمن الرحيم ، هذا ما اوصى به عبد الله علي ابن ابي طالب لآخر ايامه من الدنيا وهو صائر الى برزخ الموتى والرحيل عن الاهل والاخلاء ، وهو يشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له ، وان محمدا عبده ورسوله وامينه صلوات الله عليه وعلى آله وعلى اخوانه المرسلين وذريته الطيبين ، وجزى الله عنا محمدا افضل ما جزى نبيا عن امته ، واوصيك يا حسن وجميع من حضرني من اهل بيتي وولدي وشيعتي بتقوى الله ، ولا تموتن الا وانتم مسلمون . واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا ، فاني سمعت رسول الله صلع يقول : صلاح ذات البين افضل من عامة الصلاة والصوم ، واوصيكم بالعمل قبل ان يؤخذ منكم بالكظم ، وباغتنام الصحة قبل السقم ، وقبل ان تقول نفس يا حسرتى على ما فرطت في جنب الله وان كنت لمن الساخرين ، او تقول لو ان الله هداني لكنت من المتقين ، وانى ومن اين ؟ وقد كنت للهوى متبعا فيكشف عن بصره وتهتك له حجبه لقول الله ع ج : فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد ، انى له البصر ، الا ابصر قبل هذا الوقت الضرر قبل ان تحجب التوبة بنزول الكربة فتتمنى النفس ان لو ردت لتعمل بتقواها فلا ينفعها المنى ، واوصيكم بمجانبة الهوى فان الهوى يدعو الى العمى ، وهو الضلال في الآخرة والدنيا ، واوصيكم بالنصيحة لله عز وجل وكيف لا تنصح لمن اخرجك من اصلاب اهل الشرك وانقذك من جحود الشك ، فاعبده رغبة ورهبة ، وما ذاك عنده بضائع . واوصيكم بالنصيحة للرسول الهادي محمد صلع . ومن النصيحة له ان تؤدوا اليه اجره ، قال الله عز وجل : قل لا اسألكم عليه اجرا الا المودة في القربى ، ومن وفى محمدا اجره بمودة قرابته فقد ادى الامانة ، ومن لم يؤدها كان خصمه ومن كان خصمه خصمه ، ومن خصمه فقد باء بغضب من الله وماواه جهنم وبئس المصير .

ايها الناس ، انه لا يحب محمد الا لله ، ولا يحب آل محمد الا لمحمد ، ومن شاء فيلقلل ، ومن شاء فليكثر ، واوصيكم بمحبتنا والاحسان الى شيعتنا ، فمن لم يفعل فليس منا ، واوصيكم باصحاب محمد الذين لم يحدثوا حدثا ، ولم يؤوا محدثا ، ولم يمنعوا حقا ، فان رسول الله صلع قد اوصانا بهم ، ولعن المحدث منهم ومن غيرهم ، واوصيكم بالطهارة التي لا تتم الصلاة الا بها ، وبالصلاة التي هي عمود الدين وقوام الاسلام فلا تغفلوا عنها ، وبالزكاة التي بها تتم الصلاة ، وبصوم شهر رمضان وحج البيت الحرام من استطاع اليه سبيلا ، وبالجهاد في سبيل الله فانه ذروة الاعمال وعز الدين والاسلام ، والصوم فانه جنة من النار ، وعليكم بالمحافظة على اوقات الصلاة ، فليس مني من ضيع الصلاة ، واوصيكم بصلاة الزوال فانها صلاة الاوابين ، واوصيكم باربع ركعات بعد صلاة المغرب فلا تتركوهن ، وان خفتم عدوا . واوصيكم بقيام الليل من اوله الى آخره ، فان غلب عليكم النوم ففي آخره ، ومن منع بمرض فان فان الله يعذر بالعذر ، وليس مني ولا من شيعتي من ضيع الوتر او مطل بركعتي الفجر ، ولا يرد على رسول الله صلع من اكل مالا حراما ، لا والله الا والله لا والله ، ولا يشرب من حوضه ولا تناله شفاعته ولا والله ، ولا من ادمن شيئا من هذه الاشربة المسكرة ، ولا من زنى بمحصنة لا والله ، ولا من لم يعرف حقي ولا حق اهل بيتي ، وهي اوجبهن لا والله ، ولا يرد عليه من اتبع هواه ، ولا من شبع وجاره المؤمن جائع ، ولا يرد عليه من لم يكن قواما لله بالقسط .

ان رسول الله صلع عهد الي فقال : يا علي مر بالمعروف ، وانه عن المنكر بيدك ، فان لم تستطع فبلسانك ، فان لم تستطع فبقلبك ، والا فلا تلومن الا نفسك ، واياكم والغيبة فانها تحبط الاعمال ، صلوا الارحام وافشوا السلام وصلوا والناس نيام ، واوصيكم يا بني عبد المطلب خاصة ان يتبين فضلكم على من احسن اليكم ، وتصديق رجاء من املكم فان ذلكم اشبه بانسابكم ، واياكم والبغضة لذوي ارحامكم المؤمنين ، فانها الحالقة للدين ، وعليكم بمدارة الناس فانها صدقة ، واكثروا من قول لا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم ، وعلموها اطفالكم واسرعوا بختان اولادكم فانه اطهر لهم ، ولا تخرجن من افواهكم كذبة ما بقيتم ، ولا تتكلموا بالفحش فانه لا يليق بنا ولا بشيعتنا ، وان الفاحش لا يكون صديقا ، وان المتكبر ملعون والمتواضع عند الله مرفوع ، واياكم والكبر فانه رداء الله عز وجل ، فمن نازعه رداءه قصمه الله ، والله الله في الايتام فلا يجوعن بحضرتكم ، والله الله في ابن السبيل فلا يستوحشن من عشيرته بمكانكم ، والله الله في الضيف لا ينصرفن الا شاكرا لكم ، والله الله في الجهاد للانفس فهي اعدى العدو لكم ، فانه قال الله تبارك وتعالى : ان النفس لامارة بالسوء الا ما رحم ربي ، وان اول المعاصي تصديق النفس والركون الى الهوى ، والله الله لا ترغبوا في الدنيا فان الدنيا هي رأس الخطايا ، وهي من بعد الى زوال ، واياكم والحسد فانه اول ذنب كان من الجن قبل الانس ، واياكم وتصديق النساء فانهن اخرجن اباكم من الجنة وصيرنه الى نصب الدنيا ، واياكم وسوء الظن فانه يحبط العمل ، واتقوا الله وقولوا قولا سديدا يصلح لكم اعمالكم ويغفر لكم ذنوبكم .

وعليكم بطاعة من لا تعذرون في ترك طاعته وطاعتنا اهل البيت ، فقد قرن الله طاعتنا بطاعته وطاعة رسوله ونظم ذلك في آية من كتابه ، منا من الله علينا وعليكم ، واوجب طاعته وطاعة رسوله وطاعة ولاة الامر من آل رسوله وامركم ان تسألوا اهل الذكر ، ونحن والله اهل الذكر ، لا يدعي ذلك غيرنا الا كاذبا ، يصدق ذلك قول الله ع ج قد انزل الله اليكم ذكرا رسولا يتلو عليكم آيات الله مبينات ليخرج الذين آمنوا وعملوا الصالحات من الظلمات الى النور ، ثم قال : فاسألوا اهل الذكر ان كنتم لا تعلمون ، فنحن اهل الذكر ، فاقبلوا امرنا وانتهوا عما نهينا ، ونحن الابواب التي امرتم ان تأتوا البيوت منها ، فنحن والله ابواب تلك البيوت ، ليس ذلك لغيرنا ، ولا يقوله احد سوانا .

ايها الناس هل فيكم احد يدعي قبلي جورا في حكم ، او ظلما في نفس او مال ، فليقم انصفه من ذلك ، فقام رجل من القوم فاثنى ثناء حسنا عليه واطرأه وذكر مناقبه في كلام طويل ، فقال علي : ايها العبد المتكلم ليس هذا حين اطراء ، وما احب ان يحضرني احد في هذا المحضر بغير النصيحة ، والله الشاهد على من رأى شيئا يكرهه فلم يعلمنيه ، فاني احب ان استعتب من نفسي قبل ان تفوت نفسي ، اللهم انك شهيد وكفى بك شهيدا ، اني بايعت رسولك وحجتك في ارضك محمدا صلع انا وثلاثة من اهل بيتي على ان لا ندع لله امرا الا عملناه ولا ندع له نهيا الا رفضناه ، ولا وليا الا احببناه ، ولا عدوا الا عاديناه ، ولا نولي ظهورنا عدوا ، ولا نمل عن فريضة ، ولا نزداد لله ولرسوله الا نصيحة ، فقتل اصحابي رحمة الله ورضوانه عليهم ، وكلهم من اهل بيتي : عبيدة بن الحارث ، قتل ببدر شهيدا ، وعمي حمزة قتل يوم احد شهيدا رحمة الله عليه ورضوانه ، واخي جعفر قتل يوم مؤتة شهيدا رحمة الله عليه ، فانزل الله في وفي اصحابي : من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم ينتظر وما بدلوا تبديلا ، انا والله المنتظر ما بدلت تبديلا ، ثم وعدنا بفضله الجزاء فقال : قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون ، وقد آن لي فيما نزل بي ان افرح بنعمة ربي ، فاثنوا عليه خيرا وبكوا .

فقال : ايها الناس انا احب ان اشهد عليكم ان لا يقوم احد فيقول : اردت ان اقول فخفت ، فقد اعذرت بيني وبينكم ، اللهم الا ان يكون احد يريد ظلمي والدعوى علي بما لم اجن ، اما اني لم استحل من احد مالا ، ولم استحل من احد دما بغير حله ، جاهدت مع رسول الله صلع بامر الله وامر رسوله ، فلما قبض الله رسوله ، جاهدت من امرني بجهاده من اهل البغي وسماهم لي رجلا رجلا ، وحضني على جهادهم ، وقال : يا علي تقاتل الناكثين وسماهم لي ، والقاسطين وسماهم لي ، والمارقين وسماهم لي ، فلا تكثر منكم الاقوال فان اصدق ما يكون المرء عند هذا الحال ، فقالوا خيرا واثنوا بخير وبكوا ،

فقال للحسن : يا حسن انت ولي دمي وهو عندك وقد صيرته اليك ، يعني ابن ملجم لعنة الله عليه ، ليس لاحد فيه حكم ، فان اردت ان تقتل فاقتل ، وان اردت ان تعفو فاعف ، وانت الامام بعدي ، ووارث علمي وافضل من اترك بعدي وخير من اخلف من اهل بيتي ، واخوك وابن امك بشركما رسول الله صلع بالبشرى ، فابشرا بما بشركما واعملا لله بالطاعة ، فاشكراه على النعمة ، ثم لم يزل يقول : اللهم اكفنا عدوك الرجيم ، اللهم اني اشهدك انك لا اله الا انت ، وانك الواحد الصمد ، لم تلد ولم تولد ولم يكن لك كفوا احد ، فلك الحمد عدد نعمائك لدي واحسانك عندي ، فاغفر لي وارحمني وانت خير الراحمين .

ولم يزل يقول : لا اله الا الله وحدك لا شريك لك وان محمدا عبدك ورسولك ، عدة لهذا الموقف وما بعده من المواقف ، اللهم اجز محمدا عنا خيرا ،واجز محمدا عنا خير الجزاء ، وبلغه منا افضل السلام ، اللهم الحقني به ولا تحل بيني وبينه ،انك سميع الدعاء ، رءوف رحيم . ثم نظر الى اهل بيته فقال : حفظكم الله من اهل بيت وحفظ فيكم نبيكم واستودعكم الله اقرأ عليكم السلام . ثم لم يزل يقول : لا اله الا الله محمد رسول الله حتى قبض ، صلى الله عليه ورحمته ورضوانه وسلامه وعلى آله الطاهرين سلاما دائما متصلا ( ليلة احدى وعشرين من شهر رمضان سنة اربعين من الهجرة )[[9]](#footnote-9)

روى الدعشي باسناده عن الاصبغ بن نباته قال لما ضرب امير المؤمنين ص ع الضربة التي مات فيها كنا عنده ليلا فاغمي عليه فافاق فنظر الينا فقال : ما يجلسكم فقلنا حبك يا امير المؤمنين فقال اما والذي انزل التوراة على موسى والانجيل على عيسى والزبور على داود والفرقان على محمد ص ع لا يحبني عبد الا رآني حيث يسره ولا يبغضني عبدا الا اراني حيث يكره ، ان رسول الله صلع اخبرني ان اضرب في ليلة تسعة عشر تمضي من شهر رمضان التي في الليلة مات فيها موسى او قال وصي موسى واموت في ليلة احدى وعشرين من شهر رمضان في الليلة التي رفع فيها عيسى بن مريم عليه السلام ، قال الاصبغ فمات والله الذي لا اله الا هو فيها .

وعن اسماعيل بن ابان باسناده عن محمد عبد الرحمن قال قال عبد الملك بن مروان للزهري اي واحد انت ان اعلمتني بعلامة اليوم الذي قتل فيه علي ، قال له الزهري نعم اخبرك انه لم ترفع ذلك اليوم حصاة بيت المقدس الا وجد تحتها دم عبيط ، فقال عبد الملك للزهري اني واياك في هذا الحديث لغريبان ، يعني لم يروه غيرهما

وكانت وفاته صلوات الله عليه ليلة احدى وعشرين من شهر رمضان سنة اربعين من هجرة النبي عليه وعلى آله افضل الصلوة والسلام.

وكان عمره صلى الله عليه ثلاث وستون عاما كعر النبي صلع وقيل اثنان وستون ، وقيل ثمان وخمسون ، وقد قال النبي صلع في بعض خطبه وها ان قد رزقت على الستين والصحيح كون عمره عمر رسول الله صلى الله عليه وصلوته وبركاته عليهما وعلى الطاهرين من آلهما .

وعن ابي جعفر محمد بن علي سلام الله عليه انه سئل عن علي صلوات الله عليه يوم اصيب كم كانت سنه قال كان يوم اصيب ابن ثلاث وستين سنة . فهذا هو القول الصحيح الثابت من باقر العلم صلوات الله عليه وعلى آبائه الطاهرين وابنائه الاكرمين ، وكانت خلافته صلى الله عليه اربع سنين وتسعة اشهر لانه بويع في ذي الحجة لثمان عشرة ليلة خلت منه سنة خمس وثلاثين واستشهد في شهر رمضان سنة اربعين وغسله ابناه الحسن والحسين صلوات الله عليهم وابن اخيه عبد الله بن جعفر رحمة الله عليه وكان عنده من بقيا حنوط رسول الله صلع فحنطوه به وكفن به وكفن في ثلاثة اثواب بيض شحولية وصلى عليه ابنه الامام الحسن بن علي صلوات الله عليهما وكبر عليه خمسا وقيل سبعا واختلف في مكان دفنه صلى الله عليه ، وقالوا في ذلك اقوالا الصحيح ان قبره عليه السلام في النجف ناحية الكوفة ، وهو المكان الذي يزاراليه ، وهذا لا مراء فيه ولم تقصد هذه البقعة المباركة من جميع الاقطار الا لما صحت روايته عن الائمة الاطهار ، ولو كان غير ذلك لنهوا عن زيارتها وقصدها ولم يتركوا افاضل الشيعة في خطها، فما عدى هذا القول فهو افك مفتعل وزور منتحل

ثم ان الامام الحسن بن علي ع م احضر ابن ملجم لعنه الله ليقتله فقال اللعين هل لك ان تطلقني واعطيك عهدا لا اخدعك فيه ان اذهب الى معاوية فاقتله، فقال له الحسن ص ع يا ملعون لا كان ذلك ابدا حتى تعاين النار وتبوء باثمك مع الكفرة والفجار ، وامر به فقطعتا يداه ورجلاه وسلمت عيناه ، قالوا وكان الذي سمل عينيه عبد الله بن جعفرالطيار ، فلم يجزع لعنه الله وقال يا ابن اخ انك لتكحل عين عمك بملمول مض ، فلما ارادوا قطع لسانه جزع ثم قطع لسانه وترك في قوصرة واحرق بالنار ، وذلك اقل ما يستحقه اللعين من النكال وله بعد ذلك المصير الى اشد العذاب والورود اسفل سافلين معاقبا اشد العقاب ، وقال ابو الاسود الدولي رحمة الله عليه يرثي امير المؤمنين عليه السلام :

الا ابلغ معاوية ابن حرب \* فلا قرت عيون الشامتينا

افي شهر الصيام فجعتمونا \* بخير الناس طرا اجمعينا

قتلتم خير من ركب المطايا \* ورحلها ومن ركب السفينا

ومن لبس النعال ومن حذاها \* ومن قرأ المثاني والمبينا

لقد علمت قريش حيث كانت \* بانك خيرها حسبا ودينا

اذا استقبلت وجه ابي تراب\* رأيت البدر حار الناظرينا

بكيتك يا علي بدر عيني \* وهل يغني بكائي عنك شيئا

لقى حزنا بدفنك ثم اني \* نفضت تراب قبرك من يديا

وقيل للامام الباقر ابي جعفر بن محمد بن علي صلوات الله عليهم كيف كانت صفة امير المؤمنين علي ابن ابي طالب صلوات الله عليه ، قال كان آدم اللون شديد الادمة ، ثقيل العين عظيمها ذا بطن اضلع قيل كان طويلا او قصيرا ، قال هو الى القصر اقرب ، قيل فما كانت كنيته ،قال ابو الحسن ، قيل فاين دفن ، قال بالكوفة ليلا وغمي على قبره .

وعن اسماعيل بن ابان باسناده عن محمد بن الحنيفية رضوان الله عليه وسلم ، قال كان ضخم الهامة عريض ما بين المنكبين عظيم المشاش ضخم البطن حش الساقين كأنما كسرت عظامه ثم جبرت لو اخذ الاسد افترسه.

وروي عن يحي بن الحسن باسناده عن الصادق جعفر بن محمد عن ابيه عليهما السلام انه سئل عن صفات علي صلى الله عليه قال كان ضخم الهامة عريض ما بين المنكبين اذا مشى لا يسرع وهو مع ذلك يقطع اصحابه له اكليل من شعر اشعر الجسد ابيض الرأس واللحية ، عظيم البطن اخشن من الحجر في ذات الله عز وجل .

وآخر عن الشعبي قال رأيت عليا ع م فكان عريض اللحية قد اخذت ما بين منكبيه على رأسه رغيبات

وبآخر عن المغيرة قال كان علي عليه السلام غليظ منه ما استغلظ دقيق منه ما استدق ، قال كذلك صفة الاسد ، قال المغيرة كذلك صفة اشد الرجال .

وفيما اسنده الرواة عن محمد بن السايت الكلبي عن ابي صالح قال دخل غرار بن ضمرة على معاوية بن ابي سفيان فقال له معاوية يا ضرار صف لي عليا ، قال او تعفيني، قال لا اعفيك ، وقال ضرار اما اذا ابيت فكان والله بعيد المدى شديد القوى يقول فصلا ويحكم عدلا ينفجر العلم عن جوانبه وتنطق الحكمة من نواحيه يستوحش من الدنيا وهورتها ويستأنس بالليل وظلمته كان غزير الدمعة طويل الفكرة يقلب كفيه ويخاطب نفسه يعجبه من اللباس ما خشن ومن الطعام ما جشب ، كان والله كأحدنا يجيبنا اذا سألناه ويأتينا اذا دعوناه ، ونحن والله مع قربه منا ودنوه الينا لا نكلمه هيبة ولا تبديه لعظمته، فان تبسم فعن مثل اللؤلؤ المنظوم ، يعظم اهل الدين ويحب المساكين لا يطمع القوي في باطله ، ولا ييأس الضعيف من عدله، واشهد بالله لقد رأيته في بعض مواقفه ليلة وقد ارخى الليل سدوله ومارت نجومه وقد مثل قائما في محرابه قابضا على لحيته يتململ تململ السليم ويبكي بكاء الحزين وكأني اسمعه وهو يقول يا دنيا غري غيري ، ابي تعرضت ام الي تشوقت لا حان حينك هيهات هيهات لا حاجة لي فيك قد طلقتك ثلاثا لا رجعة فيها فعيشك قصير وخطرك يسير واملك حقير، آه من قلة الزاد وطول الطريق وبعد السفر، فقال له معاوية كيف حزنك عليه يا ضرار ، قال حزن من ذبح ولدها في حجرها وحزن من لا ترقى دمعته ولا تبكي حسرته حتى توارته حزنه

وزهد امير المؤمنين عليه السلام وخطبه ومواعظه وتزهيده في الدنيا وترغيبه الآخرة واشعاره وفضائله ومفاخره ومناقبه كثير لو تقصينا ما ورد فيها واتينا بحملها ومفصلها ومحملها لطال القول واتسع الكلام ، وكان الغور ليس له مرام واحتجنا الى مسندات كثيرة وتأليفات جمة ، واين من يحصي مناقبه وتدرك فضائله .

وقد روي عن رسول الله صلع انه قال لو كانت الفياض اقلاما والبحار مدادا والجن حسابا والانس كتابا ما احصوا فضائل علي بن ابي طالب،

ولله القائل :

لو تكون السماء والارض صحفا \* نشرت والمداد ماء البحور

وجميع النبات اقلام مشق \* والورى يكتبون طول الدهور

فضل آل النبي من هاشم الطهر \* بلا راحة ولا تفتير

ما احتووا من علومهم بعض بعض \* البعض من بعض جزء يسير

لا ولا عشرعشرعشر العشير \* من عشر عشر عشر العشير

وقد ذكرنا من ذلك ما يكتفي به من حكم عقله وازال جهله ، وفي ادنى مناقبه وايسر فضائله وما اتى عن النبي صلع وما انزل الله تعالى من آيات القرآن واعلام البيان ادل دليل وانهج سبيل على انه سيد الامة بعد نبيها وافضلها واشرفها عند الله واجلها وكيف وهو سيد الوصيين واخو خاتم النبيين وخير الامة وابو الائمة والمجلي عن وجه نبيه كل غمة

فصلوات الله وبركاته وتحياته ورضوانه وسلامه عليه وعلى آله الطاهرين وعقبه الاكرمين الذين اختصهم الله بالامامة وحباهم بالفضل والكرامة وقرن طاعتهم بطاعته وطاعة رسوله في محكم الذكر فقال تعالى في كتابه : يا ايها الذين آمنوا اطيعوا الله واطيعوا الرسول واولي الامر منكم

ذكر اولاد امير المؤمنين عليه السلام والصلوة وعلى الطاهرين من آله الكرام

قال علماء السير والذين اخذ عنهم علم الخبر كان ولد امير المؤمنين علي صلوات الله عليه اثنين وثلاثين منهم اربعة عشر ذكرا ، وثمانية عشرة انثى ، واولاده صلى الله عليه الحسن والحسين سيدا شباب اهل الجنة وخيرة الله من الائمة ، ومحسن مات طفلا وقيل القته فاطمة عليها السلام جنينا وزينت الكبرى وام كلثوم الكبرى وامهم فاطمة الزهراء سيدة النساء خامسة اهل الكساء نجلة رسول الله صلع التي هي خيرة بناته وام الائمة الطاهرين من ذريته ، ومحمد بن الحنيفية رضوان الله عليه وامه خولة بنت جعفر من بني حنيفة رضوان الله عليه وعبد الله قتله المختار ابن ابي عبيد، وامه ليلى بنت مسعود من بني تميم ، وابو بكر قتل مع اخيه الامام الحسين بن علي ع م بكربلا ء ، وامه ايضا ليلى بنت مسعود التميمية ، والعباس الاكبر السقاء وعثمان وجعفر قتلوا مع اخيهم الحسين عليه السلام بكربلا ، وامه ام البنين الكلابية تزوجها امير المؤمنين بعد فاطمة ع م ومحمد الاصغر قبل مع اخيه الحسين صلوات الله عليه بكربلا وامه ام ولد ويحي وعوف امهما اسما بنت عميش كانت امرأة جعفر الطيار ع م وتزوجها بعده ابو بكر ابن ابي قحافة وكانت في ايام تغلبه تولي عليا عليه السلام لما تعرف له من الفضل وتخبره بما يسر له الظالمون الغل ، وهي ام محمد بن ابي بكر وتزوجها امير المؤمنين عليه السلام بعد ابي بكر ، وعمر الاكبر ورقية امهم الصهبا بنت ربيعة من بني وائل ، وتكنى ام حبيب، وهي السبية التي اصطفاها امير المؤمنين ع م لنفسه في--- رسوله صلع لما بعثه الى اليمن ومعه خالد بن وليد ، ومحمد الاصغر وامه امامة بنت ابي العاص بن الربيع وام امامة زينب بنت رسول الله صلع وامامة هذه كان النبي صلع يحبها ويحملها وهي ابنة ابنته كما ذكرنا ، ورملة الكبرى وامها ام سعيد بنت عروة وهي آخر ازواجه صلى الله عليه وام هاني وميمونة وزينب الصغرى وام كلثوم الصغرى وفاطمة وخديجة وام الكرام وام جعفر ونفيسه هن لامهات اولاد شتى ، قالوا وابنة صغيرة لم يضبط اسمها توفيت في صغرها

وعن الوف قال توفي امير المؤمنين صلى الله عليه عن اربع من الحرائر امامة بنب ابي العاص وليلى التميمية وام البنين الكلابية واسماء بنت عميش ، وعن جماعة من امائه صلى الله عليه

قال اهل السير والذين لهم النسل من اولاد امير المؤمنين علي ابن ابي طالب عليه السلام الحسن والحسين صلوات الله عليهما ومحمد بن الحنفية وعمر الاكبر الاطرف والعباس الاكبر السقا رضوان الله عليهم ، وبقية اولاد امير المؤمنين صلوات الله عليه لم يعتقبوا ولم يكن لهم اولاد

ونقول قد ذكرنا من فضل امير المؤمنين عليه السلام وجهاده ومناقبه ما يدل على ما نعتقده من ولايته وولاية الطاهرين من آله واردنا ان نتشرف بذكره صلى الله عليه والا ففضائله مشهورة واخباره مذكورة يرويها الخاص والعام ويجمع كثيرا منها جميع اهل الاسلام .

والحمد لله على ما انعم علينا من ولايته وولاية الائمة الطاهرين من عترته ، حمدا يواري اياديه الينا وجزيل نعمته ، وعظيم فضله وجسيم منته ، وصلى الله على محمد رسوله وصفوته ومجتبى من جميع العالمين وخيرته وعلى وصيه علي ابن ابي طالب خليفته في امته ، وابي الائمة من عترته ، وعلى آلهما الذين اختارهم على بريته ، وعلى جميعهم اسنى سلام الله وتحيته . حسبنا الله ونعم الوكيل ونعم الوكيل ونعم النصير.

تم السبع الثالث من عيون الاخبار

كتاب عيون الاخبار

للداعي الاجل سيدنا ادريس عماد الدين رضوان الله عليه

السبع الرابع من عيون الاخبار وفنون الآثار في ذكر جمل وفضائل النبي المصطفى المختار ، ووصيه علي ابن ابي طالب صاحب ذي الفقار ، وآلهما الائمة الاطهار، عليهم صلوات العزيز الغفار، سلامه ما اختلف اللي والنهار .

بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين في جميع الامور

الحمد لله خالق العباد، وساطح الارض المهاد، وصلى الله على رسوله محمد امجد الامجاد، الذي به الفوز يوم المعاد، وعلى وصيه علي ابن ابي طالب ازهد الزهاد، المختص بفضل السبق والقرابة والجهاد، وعلى الائمة من ذريتهما الذين للامة في كل عصر منهم امام وهاد، ومنهم الاتماء والخلفاء والاشهاد، صلى الله عليهم وسلم ما لمع برق ووكف صور عهاد.

الباب الثالث من كتاب عيون الاخبار في ذكر الائمة الاطهار من نسل الوصي والنبي المختار، وسيرة اهل الظهور منهم والاستتار، وما خصهم بهم من الفضل الخالق القهار.

ذكر السبطين الامامين الطاهرين، والبدرين الزاهرين، ابي عبد الله الحسين وابي محمد الحسن، وما جعله الله لهما من الفضل المبين، وقيامهما وما به امتحنا بعد ابيهما علي امير المؤمنين وما نالهما من اعداء الله واعداء رسوله الظالمين.

روي عن ابي غسان باسناده عن علي امير المؤمنين ع م قال لما ولد الحسن بن علي سمته امه حربا، فجاء النبي صلع فقال اروني ابني ما سميتموه ؟ قلنا : حربا، لا بل هو حسن، فلما ولد الحسين سمته امه ايضا حربا فجاء النبي صلع فقال : اروني ابني ما سميتموه، قلنا حربا، قال بل هو حسين، فلما ولد محسن سمته امه حربا فجاء النبي صلع فقال : اروني ابني ما سميتموه، قلنا حربا، قال : لا بل هو محسن، ثم قال اني سميتهم باسماء اولاد هارون شبر وشبير ومشبر .

وفي هذه الرواية دليل على ان محسنا ولد على عهد النبي صلع والاشهر الذي عليه الاجماع ان النبي صلع سماه وهو في بطن فاطمة وانها اسقطه حين راعها عمر بن الخطاب ودفع على بطنها الباب، والله اعلم بالصواب.

وبآخر اي باسناده عن ام الفضل ابنة الحارث انها رأت في المنام وفاطمة حامل بالحسن ان عضوا من اعضاء رسول الله صلع في بيتها، قالت فراعني ذلك فذكرته للنبي صلع فقال خيرا رأيت، تلد ان شاء الله فاطمة غلاما في بيتك وتربينه، فكان ذلك.

وفيما رواه يحي بن الحسين باسناده عن جعفر عن ابيه عليهم السلام قال : لما ولد الحسن ابن علي اهدى جبرئيل للنبي صلع اسمه في خرقة من حرير من ثياب الجنة مكتوب فيها حسن، واشتق منه اسم الحسين، فلما ولدت فاطمة الحسن اتت به رسول الله صلع فسماه حسنا، فلما ولدت الحسين اتت به وقال : وهذا احسن من ذاك، فسماه ا لحسين.

وروي عن عمران بن سليمان قال : ان الحسن والحسين اسمان من اسماء اهل الجنة لم يكونا في الجاهلية

وعن ابي نعيم باسناده عن ابي رافع قال : رأيت رسول الله صلع اذّن في اذن الحسن بن علي لما ولد، وكذلك في اذن الحسين لما ولد عليهما السلام .

وعن جعفربن محمد بن علي بن الحسين ان رسول الله صلع عقّ عن الحسن شاة، ون الحسين شاة، وحلق رأس كل واحد منهما يوم ذلك وهو يوم سابعه، وقال :يا فاطمة تصدقي بزنة شعره، فوزنت شعر الحسين فكان فيه درهم ونصف .

قال رسول الله صلع من عق عن ولده فليعط القابلة رجل العقيقة، يعني ربعها المؤخر

عنه صلع انه ذكر العقيقة والمولود قال: اذا كان يوم سابعه فاذبح عنه كبشا، وقطعه اعضاء واطبخه، فاهد منه وتصدق وكل واحلق رأس المولود، وتصدق بزنة شعره ذهبا وفضة، قال جعفر بن محمد : وكل مولود مسترهن بعقيقته حتى يفكه والداه.

وعن ابي كربه باسناده عن بن عباس انه قال : كان رسول الله صلع يعوذ حسن وحسينا فيقول : اعيذكما بكلمات الله التامة من كل شيطان وهامة، ومن كل عين لامة، ثم يقول : هكذا كان ابي ابراهيم عليه السلام يعوذ ابنه اسماعيل واسحاق .

قال ابن غسان باسناده : لم يكن بين الحسن والحسين الا الطهر، طهرت فاطمة من نفاس الحسن وحملت بالحسين.

وروى الاوزاعي باسناده عن رسول الله صلع انه سمع بكاء الحسن والحسين فقام فزعا حتى علم حالهما ثم انصرف وهو يقول : ان الولد لفتنة، لقد قمت وما اعقل .

وروى اسماعيل بن ابان باسناده عن ام سلمة : قالت : دعى رسول الله صلع فاطمة والحسن الحسين فاخذ الحسن فوضعه على صدره واحتضن الحسين على ذراعه، قالت ام سلمة : وكنت انا جالسة خلفه وفاطمة بين يديه ن فلبث هويا من الليل لا نرى الا انه قد رقد، فزحل الحسين عن ذراعه فذهبت لآخذه، فسبقني اليه فاخذه فقلت : يا رسول الله صلع ما كنت اراك الا نائما، قال ما نمت مذ اتوني، ثم قال لفاطمة بعد ما مضى من الليل صدر، اي بنية اهلك لا ارى الا وقد اعجبهم ان تأتيهم، فحملت الحسين ومشى الحسن بين يديها، وجلس رسول الله صلع ينظر اليهم ثم قال : اللهم هؤلاء اهل بيتي وعترتي، اللهم اني احبهم فاحبهم، ثلاث مرات.

وعن ابي غسان عن ابي هريرة باسناده قال : بينا نحن نصلي مع رسول الله صلاة العشاء اذ دخل الحسن والحسين فجعلا اذا سجد يثبان على ظهره، فاذا اراد ان يرفع رأسه اخذهما بيده اخذا رفيقا حتى يضعهما على الارض، فاذا عاد الى السجود عادا حتى قضى صلاته وانصرف، فجاء اليه فاخذهما فقبلهما ووضعهما على فخذيه، قال ابو هريرة : فقمت اليه فقلت : يا رسول الله الا اذهب بهما، قال لا فبرقت برقة فقال لهما : الحقا بامكما فلم يزالا في ضوئها حتى دخلا المنزل.

وبآخر عن البراء عن عازب، قال رأيت رسول الله صلع يحمل الحسن والحسين وهو يقول : اللهم اني احبهما فاحبب من احبهما.

وبآخر عن ابي ذر قال : كان رسول الله صلع يوما يصلي، فاقبل الحسن والحسين وهما غلامان، فجعلا يتواثبان على ظهره اذا سجد واقبل الناس ينحونهما عنه، فلما انصرف قال: دعوهما بابي وامي هما، من احبني فليحب هذين .

وعن الليث بن سعيد باسناده ان رسول الله صلع كان يصلي يوما في بيته والحسين بن علي صغير بالقرب منه، فكان اذا سجد جاء الحسن فركب ظهره ثم حرك رجليه، وقال : حل حل، فاذا اراد رسول الله صلع ان يرفع رأسه اخذه فوضعه الى جانبه فاذا سجد عاد الى ظهره وقال : حل حل، فلم يزل يفعل ذلك حتى فرغ رسول الله صلع من صلوته، ورجل من اليهود بالقرب منه ينظر الى ذلك من فعله، فقال :يا محمد انكم لتفعلون بالصبيان شيئا ما نحن نفعله بهم، فقال رسول الله صلع اما لو كنتم تؤمنون بالله ورسوله لرحمتم الصبيان، فقال :فاني اؤمن بالله ورسوله، واسلم لما رأى من رسول الله مع عظيم قدره .

وروي عن ابي عبد الله بن صالح باسناده عن يعلي بن مرة انه قال : خرجنا نمشي مع رسول الله صلع فاذا الحسين ابن علي وهو صبي صغير يعلب فبسط رسول الله صلع يديه نحوه، فجعل الحسين يمر ههنا مرة وههنا مرة، ويضاحك رسول الله صلع حتى اخذه رسول الله صلع فجعل احدى يديه تحت ذقنه والاخرى عند رأسه واهوى اليه فقبله واعتقه، ثم قال رسول الله صلع حسين مني وانا منه، احب الله من احبه، ثم قال : الحسن والحسين سبطان من الاسباط.

وعن حسن بن حسين باسناده عن رسول الله صلع انه خرج بالحسن والحسين فقال : من احب الله ورسوله فليحب هذين .

وعن احمد بن اسماعيل باسناده عن محمد بن علي الباقر عليه ا لسلام قال : بعث الله عز وجل املاكا فابطأ احدهم، فاوهى الله جناحه، فسقط على جزيرة من جزائر البحر، فلما دنى مولد الحسين ع م بعث الله جبريل ببشارته الى رسول الله صلع فمر بذلك الملك، فقال له : ايها الملك الطيب ريحه، الحسن وجهه، الكريم على ربه، الا تدعو لي ربك ان يطلق جناحي هذا الواهي، فقال له جبريل : ليس ذلك لي، ولكني ارسلت الى من هو اكرم على الله مني، وسأسأله ان يدعو الله لك. فلما بشر جبريل النبي صلع بمولد الحسين فقال له: يا محمد اني مررت بملك على جزيرة من جزائر البحر قد وهى جناحه، فسألني ان ادعو الله له، فقلت اني ارسلت الى من هو اكرم على الله مني وسأسأله ان يدعو الله لك، فادع له يا محمد، قال : فدعى النبي صلع فاوحى الله الى جبرئيل ان يأمر ذلك الملك ان يدف دفيفا الى المولود يعني الحسين عليه السلام فيمسح الجناح الواهي به فانه يصح، ففعل ذلك فصح جناحه، وعرج الى السماء، ثم قال الباقر عليه السلام : افترى ان قوما قتلوا الحسين يفلحون.

وروى جعفر الفراء باسناده ان رسول الله صلع كان جالسا مع اصحابه ذات يوم اذ اقبل اليه الحسن والحسين عليهما السلام وهما صغيران، فجعلا ينزوان عليه فمرة يضع لهما رأسه ومرة يأخذهما اليه فيقبلهما، ورجل من جلسائه ينظر اليه كالمتعجب من ذلك، ثم قال : يا رسول الله ما اعلم اني قبلت ولدا لي قط، فغضب رسول الله صلع حتى التمع لونه، وقال للرجل : ان كان الله نزع الرحمى من قلبك فما اصنع بك ؟ من لم يرحم صغيرنا ولم يعزز كبيرنا فليس منا .

وعن اسماعيل بن يزيد باسناده عن محمد بن علي عليه السلام قال : اذنب رجل ذنبا في حياة رسول الله صلع فطلب فتغيب حتى وجد الحسن والحسين في طريق خال فاخذهما فاحتملهما على عاتقه، واتى بهما الى رسول الله صلع فقال : يا رسول الله انا مستجير بالله وبهما، فضحك رسول الله صلع حتى ردّ يده الى فمه، ثم قال للرجل : اذهب فانت طليق الحسن والحسين، ثم قال لهما : قد شفعتكما فيه اي فتيان، فانزل الله عز وجل: ولو انهم ظلموا انفسهم جاءوك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله توابا رحيما

وعن الاعمش باسناده عن عبد الله بن عباس قال : بينما نحن عند رسول الله صلع اذ اتاه عن فاطمة ان الحسن والحسين جميعاخرجا فلم يدر اين هما، وانهما طلبتهما فلم تجدهما، فقال لها : اي بنية، ان الله، عز و جل حافظهما، فقال : يا محمد ان الله يقرئك السلام ويقول : لا تحزن عليهما فهما في خفظي حيث كانا واين توجها، وهما الآن في حظيرة بني النجار وقد وكلت بهما ملكين يحفظانهما، فقام رسول الله صلع وقمنا معه الى الحظيرة فوجدناهما نائمين قد اعتنقا، فاكب عليهما يقبل اعينهما حتى استيقظا فحملهما على عاتقه وجعل يسرع في المشي ليبشر فاطمة بهما حتى دخل المسجد بهما، فاصاب جماعة من الناس قد فزعوا لذلك، فقال: ايها الناس الا اخبركم بخير الناس ابا واما، قالوا بلى يا رسول الله، قال هما هذان الحسن والحسين، ابوهما علي وصي افضل الوصيين، وامهما فاطمة ابنتي افضل نساء العالمين، الا اخبركم بخير الناس جدا وجدة، هذا الحسن والحسين جدهمارسول الله صلع وجدتهما اول من آمن بالله ورسوله، الا اخبركما بخير الناس عما وعمة؟ قالوا بلى يا رسول الله صلع، قال هذان الحسن والحسين عمهما جعفر الطيار في الجنة، وعمتهما ام هانئ بنت ابي طالب ما اشركت بالله طرفة عين، الا اخبركم بخير الناس خالا وخالة ؟ قالوا : بلى يا رسول الله صلع، قال: هذان الحسن والحسين، خالهما القاسم بن رسول ا لله صلع وخالتهما زينب بنت رسول الله صلع، ثم قال: اللهم انك تعلم انهما واباهما وامهما وجدهماوجدتهما وخالهما وخالتهما وعمهما وعمتهما في الجنة، وان شيعتهما ومحبيهما في الجنة .

وعن عبد الله بن الهاد بن شداد باسناده، ان رسول الله صلع كان يصلي بالناس فاتى الحسين وهو صغير فركب على ظهره وهو ساجد فاطال رسول الله صلع السجود حتى نزل فرفع رأسه واتم الصلوة وانصرف، ولم يكن علم الناس امر الحسين، فقالوا يا رسول الله لقد اطلت السجود حتى ظننا انه حدث امر، فقال : ان ابني هذا ارتحلني فكرهت ان اعجله حتى يقضي حاجته .

وبآخر عن النبي صلع سمع بكاء الحسن والحسين فقام مسرعا فزعا نحوهما حتى علم حالهما، ثم قال : ان الولد لفتنة، لقد قمت وما اعقل .

وآخر عن ابي هريرة، قال : رأيت رسول الله صلع يقبل الحسين وهو غلام صغير، وان لعابه ليسيل على شفتي رسول الله صلع فيتلمظه .

وروي عن محمد بن عبد الله باسناده عن ابن الخطاب انه قال : رأيت رسول الله صلع وعلى عاتقه الحسن والحسين فوجدت عليهما نفاسة، فقلت : نعم الفرس تحتكما، فقال رسول الله صلع نعم الفارسان هما.

وبآخر عن اسامة بن زيد انه قال : طرقت النبي صلع ذات ليلة لحاجة عرضت لي، فخرج الي وهو مشتمل على شيء لم ادر ما هو، فلما فرغت من حاجتي، قلت : ما هذا الذي انت مشتمل عليه يا رسول الله صلع، فكشف فاذا الحسن والحسين عليهما السلام على وركيه قد احتضنهما فقال : هذان ابناي ابنا بنتي، اللهم اني احبهما فاحبهما واحب من احبهما .

وبآخر عن بريدة انه قال : بينما رسول الله صلع يخطب على منبره اذ اقبل الحسن والحسين وهما صغيران عليهما قميصان احمران يشتدان نحوه يعثران ويقومان،فنزل رسول الله صلع فاخذهما ووضعهما بين يديه على المنبر وقال : صدق الله عز وجل، انما اموالكم واولادكم فتنة، رأيت هذين فلم اصبر، ثم مضى في خطبته .

وعن سفيان الثوري باسناده عن ابي هريرة قال : كنت مع النبي صلع في بعض اسواق المدينة، فانصرف حتى اتى فناء فاطمة فنادى ثلاث مرات،يا حسن، فلم يجد احد، فانصرف حتى اتى فناء عائشة، فقعد وقعدت معه، فاقبل الحسن يشتد نحو رسول الله صلع وفتح رسول الله صلع يديه حتى التزمه، ثم قال : اللهم اني احبه فاحبه من يحبه .

وعن علي بن هاشم باسناده ان رجلا جاء الى النبي صلع فاصاب الحسين في حجره وهو صغير، فقال الرجل ابنك يا رسول الله صلع، قال ابني وما ولدته، قال اتحبه ؟ قال : الله عز وجل اشد حبا مني له .

وعن علي ابن هاشم باسناده عن ابي رافع ان فاطمة اتت رسول الله صلع بالحسن والحسين وهما صغيران فقالت :يا رسول الله هذان ابناك فانحلهما اي اعطهما، قال : نعم، اما الحسن فقد نحلته هيبتي وحلمي، واما الحسين فقد تحلته جودي ونجدي، ارضيت يا فاطمة ؟ قالت : رضيت يا رسول الله صلع، فكان كذلك، الحسن مهيبا حليما والحسين نجدا جوادا.

وعن علي ابن هاشم ايضا باسناده عن سعيد بن المسيب انه، دخل رجل من الانصار الى رسول الله صلع وهو مستلق على ظهره والحسن والحسين يلعبان على بطنه، فقال اتحبهما يا رسول الله صلع ؟ قال :وكيف لا احبهما وهما ريحانتي في الدنيا والآخرة .

وعن محمد بن سلام باسناده ان رسول الله صلع كانت له وسادة لا يجلس عليها احد الا جبريل اذا جاءه، فاذا قام طويت، فيتعلق بهما من زغب جناحه فتلتقطه فاطمة حتى اذا اجتمع عندها جعلته في تمائم الحسن والحسين، والتمائم جمع تميمة، والتميمة قلادة من سيور او نحو ذلك . يجعل فيها العوذ وتعلق في اعناق الصبيان.

وفي الحديث ان رسول الله صلع نهى عن التمائم والتول، وقال من تعلق تميمة فلا اتم الله له، ورخص فيما كان ذلك من كتاب الله تعالى وما يتقرب اليه به .

والنهي الذي ورد عن النبي صلع هو فيما يعلق من الخرز والاعواد والحديد والنحاس واشباه ذلك، وكذلك التول، ما تضعه النساء مما يزعمن انه يحبهن الى ازواجهن، وذلك ضرب قريب من السحر، فعن ذلك واشباهه نهى النبي صلع.

وقد جاء عن النبي صلع وعن الائمة الطاهرين سلام الله عليهم في ذكر ما يستشفى به من القرآن والدعاء ما يطول شرحه .

وقد ذكرنا من ذلك القاضي النعمان بن محمد رضىالله عنه ولم نقصد الىذلك فنستقصيه ايرادا لما ينشر عنه مطاويه.

وعن ابي خيثمة عن امير المؤمنين قال : كان الحسن اشبه الناس برسول الله صلع في ما بين الصدر الى الرأس والحسين اشبه به فيما كان اسفل من ذلك .

وعن الدعشي باسناده عن ابي جعفر محمد بن علي عليه السلام انه قال كان الحسن والحسين عند النبي صلع وهما صغيران يطلبان الماء، فابطأ عنهما وبكيا، فاعطاهما رسول الله صلع لسانه فامتصاه فدر عليهما ماء فشربا حتى رويا

وروي ان رسول الله صلع حمل الحسن والحسين على عاتقه وهما صغيران ومر بمجلس من مجالس الانصار وهو يحملهما، فقالوا نعم المطية انت لهما يا رسول الله صلع، فقال : ونعم الراكبان هما .

وعن ابي غسان باسناده ان رسول الله صلع نظر الى الحسن والحسين وهما صبيان صغيران يصطرعان فجعل يقول للحسن : ايها حسن، فقالت فاطمة : يا رسول الله كأنه احبهما اليك هو اكبرهما، وتقول له ايها حسن، قال : كلا ولكن هذا جبريل يقول : ايها حسين.

وروى آخر ان رسول الله صلع كان يفرج ما بين رجلي الحسين وهو طفل ويقبل ما بينهما .

وعن عبد الرحمن بن زياد بن انعم باسناده ان رسول الله صلع رأى الحسن والحسين مقبلين اليه فقال: هذان سيدا شباب اهل الجنة، وابوهما خير منهما .

وعن الحسن بن عطية باسناده عن حذيفة بن اليمان قال : سألتني امي متى عهدي برسول الله صلع ولم اكن والله زرته قبل ذلك بايام فاخبرتها، قالت : امض اليه واسأله ان يستغفر لك فاتيته، فصليت المغرب معه ثم انفتل فقام يصلي حتى صلى العشاء الآخرة، ثم خرج فتبعته لاسأله ذلك، فعرض له رجل فوقف معه طويلا، ووقفت حتى انصرف عنه، ومضى رسول الله صلع فاتبعته فاحس بوقع قدمي، فانفتل وقال : من هذا ؟ فقلت : حذيفة فقال : ما تريد ؟ فاخبرته بخبري . قال : رأيت الرجل الذي وقف معي؟ قلت : نعم، قال انه ملك من الملائكة استأذن في زيارتي فاذن له، ولم يكن هبط الى الارض قبل هذه الساعة، فسلم علي وبشرني بان الحسن والحسين سيدا شباب اهل الجنة، وان فاطمة سيدة نساء اهل الجنة، قال :واخبرته بما كان بيني وبين امي، فقال غفر الله لك ولامك يا حذيفة .

وبآخر عن جابر بن عبد الله الانصاري انه قال : سمعت رسول الله صلع يقول : الحسن والحسين سيدا شباب اهل الجنة .

وعن شريك بن عبد الله باسناده عن ابي هريرة انه قال للحسن بن علي : اكشف لي عن بطنك اقبل المكان الذي رأيت رسول الله صلع يقبه، فكشف له عن بطنه فقبل سرته، قال شريك ولو كانت السرة من العورة ما كشف الحسن عليه السلام.

قال القاضي النعمان بن محمد رض وكذلك فيما جاء عن الائمة صلوات الله عليهم ان عورة الرجل ما بين سرته وركبته.

وبالاسناد عن حذيفة ابن اليمان ان رسول الله صلع قال : اتاني جبريل فبشرني ان الحسن والحسين سيدا شباب اهل الجنة .

وعن نصر ين علي الجهضمني باسناده عن علي انه قال : اخذ رسول الله صلع بيد الحسن والحسين فقال : من احبني واحب هذين واباهما وامهما كان معي في درجتي في الجنة.

وعن ابن الاعرابي باسناده عن ابي هريرة قال : سمعت رسول الله صلع يقول من احب الحسن والحسيني فقد احبني ومن ابغضهما فقد ابغضني .

وعن عبد الله بن لهيعة باسناده عن رسول الله صلع انه قال لعلي عليه السلام انا وانت من شجرة وانا اصلها وانت فرعها، والحسن والحسين اغصانها وفاطمة ثمرها، فمن تعلق بغصن من اغصانها ادخله الجنة .

وعن محمد بن رستم باسناده عن سلمان الفارسي رحمة الله عليه ان رسول الله صلع قال : من احب الحسن والحسين احبتته، ومن احببته احبه الله، ومن احبه الله ادخله الجنة . ومن ابغضهما ابغضته ومن ابغضته ابغضه الله ومن ابغضه الله ادخله النار.

وعن جعفر بن محمد عليه السلام ان رجلا سأله فقال : يا بن رسول الله سمعت اليوم حديثا سرني واعجبني واريد ان اسمعه منك، قال وما هو، قال سمعت عن بعض اصحاب رسول الله صلع انه قال سمعه يقول: انا افضل النبيين، وعلي افضل الوصيين، والحسن والحسين افضل الاسباط، قال : نعم قد سمعوا منه ذلك وغيره.

وعن الحسن بن موسى باسناده عن عبد الله بن عباس قال : دخلت على رسول الله صلع وهو في منزل عائشة وهو محتب وحوله ازواجه، فبينما نحن كذلك اذ اقبل علي ابن ابي طالب فاذن له فدخل، فلما رآه رسول الله صلع قال : مرحبا بابي الحسن، مرحبا باخي وابن عمي، وناوله يده فصافحه، فقبل علي بين عيني رسول الله صلع وقبله رسول الله صلع ثم اجلسه عن يمينه، وقال : ما فعل ابناي الحسن والحسين، قال مضيا الى بيت ام سلمة يطلبان رسول الله صلع، فبينما نحن كذلك اذ قالوا : ابو بكر وعمر وعثمان وجماعة من اصحاب رسول الله صلع بالباب، فاذن لهم، وتفرق ازواجه، ودخلوا فسلموا وجلسوا، ثم اقبل ابو ذر وسلمان فاذن لهما فدخلا فسلما، فقال رسول الله صلع مرحبا بكما وصافحهما، فقبلا بين عيني رسول الله صلع، واوسع ابو بكر وعمر لهما، فمالا الى علي ابن ابي طالب، فقال رسول الله صلع يجلسان الى من يحبهما ويحبانه، ثم اقبل بلال ومعه الحسن والحسين، فدخلوا وسلموا، وقال رسول الله صلع للحسن والحسين : مرحبا بحبيبي وابني حبيبي وحبيبتي، فقال رسول الله صلع، فقبل بين اعينهما وجلسا بين يديه، ثم قاما فدخلا الى عائشة، فقال رسول الله صلع احبيهما يا عائشة وامحضيهما المحبة فانهما ثمرة فؤادي وسيدا شباب اهل الجنة، ما احبهما احد الا احبه الله، وما ابغضهما احد الا ابغضه الله، من احبهما فقد احبني ومن ابغضهما فقد ابغضني، ومن ابغضني فقد ابغض الله، كأني ارى ما يرتكب منهما وذلك في سابق علم الله عز وجل، وكأني ارى مقعدهما من الجنة ومقعد من ابغضهما من النار . والذي نفسي بيده ليكب الله عز وجل عدوهما ومبغضهما على وجوههم في النار .

ثم قال رسول الله صلع لا تولوا اهل الذمة رقاب المسلمين فيذلوهمويبدأهم من ولوا عليه بالسلام ويصافحوهم، خذوهم بحلق رؤسهم واظهار زنانيرهم، ان حرمة المؤمن عند الله اعظم من حرمة الملائكة، قال عمر ابن ا لخطاب : ومن جبريل ؟ فالتفت رسول الله صلع فقال : ما تقول يا ابا الحسن ؟ فقال : ومن جبريل وميكائيل واسرافيل وحملة العرش والملائكة المقربين، فقال رسول الله صلع صدق اخي وابن عمي ووصي، ثم التفت فقال : قد ملأ الله قلبه ايمانا وعلما و فقها في الدين، فمن اشكل عليه شيء من امر دينه وشريعته وفروضهوسنته فليأت عليا، ثم اخذ بيده فقال :يا علي من احبك احبني، ومن احبني فقد احب الله، ومن ابغضك ابغضني ومن ابغضني فقد ابغض الله . ومن سبك سبني، ومن سبني فقد سب الله،انت يا علي قاتل الناكثين والقاسطين والمارقين،ومن خالف سنتي

ولما انزل الله عز وجل قل لا اسألكم عليه اجرا الا المودة والقربى قال الناس : يا رسول الله صلع من قرابتك الذين افترض الله مودتهم ؟ قال : على وفاطمة والحسن والحسين، يقول ذلك ثلاثا

ونزلت آية التطهيرعلى رسول الله صلع، انما يريد الله ليذهب الرجس عنكم اهل البيت ويطهركم تطهيرا.وهو في بيت ام سلمة مع علي وفاطمة والحسن والحسين، وكانت ام سلمة على باب البيت فقالت :يا رسول الله انا منكم، قال :أنت على خير، انت من ازواج النبي رسول الله صلع .

وآخر عن يعلي بن مرة قال : سمعت رسول الله صلع يقول : حسين مني وانا من حسين، احب الله من احب حسينا، حسين سبط من الاسباط .

وبآخر ان الحسين ع م كان يقعد في المكان المظلم فيهتدى اليه ببياض نحره وجبينه.

وروى آخر عن رسول الله صلع قال : اذا استقر اهل الجنة في الجنة : يا رب اليس قد وعدتني ان تزينني بركنين من اركانك ؟ فيقول الله عز وجل : قد زينتك بالحسن والحسين.

وعن اسماعيل بن صالح باسناده عن فاطمة قالت : يا رسول الله، ان ام سلمة قد غلبتني على الحسن والحسين ما يبرحان من عندهما، ولست اصبر عنهما، فقال ذلك رسول الله صلع لام سلمة، فقالت : يا رسول الله اني احبهما حبا شديدا، فقال لها رسول الله صلع اتحبينهما ؟ قالت: اي والله احبهما، فاعاد ذلك عليها ثلاثا وهي تقول مثل ذلك، فقال رسول الله صلع والذي بعثني بالحق نبيا انهما لسيدا شباب اهل الجنة .

وروى ابو سعيد الاشج باسناده عن انس بن مالك قال : سئل رسول الله صلع :اي اهلك احب اليك ؟ قال الحسن والحسين وكان يقول لفاطمة : ادعى ابني اشمهما، ويضمهما اليه.

وعن رسول الله صلع انه قال : ان الولد ريحانة من الله قسمها بين العباد، وان ريحانتي من الدنيا الحسن والحسين سميتها باسمي سبطي بني اسرائيل .

وروى عن الشعبي قال : كنت بواسط وكان يوم اضحى، فحضرت صلوة العيد مع ا لحجاج بن يوسف الثقفي، فلما انصرف من صلاته وخطبته جاءني رسوله، فاتيته فوجدته جالسا مستوفزا فقال : هذا يوم اضحى قد اردت ان اضحي فيه برجل من اهل العراق فاحببت ان تسمع قوله فتعلم اني اصيب فيما افعل به.

قال الشعبي فقلت : ايها الامير او ترى ان تستن بسنة رسول الله صلع وتضحي بما امر ان يضحي به، وتفعل مثل ما فعل، وتدع ما اردت ان تفعله في هذا اليوم العظيم الى غيره .

قال يا شعبي انك اذا سمعت ما يقول صوبت رأيي فيه لكذبه على الله وعلى رسوله صلع وادخاله الشبهة في الاسلام، قلت : او يرى الامير ان يعفيني من ذلك ؟ قال : لا بد من ذلك، ثم امر بنطع فبسط، وبالسياف فاحضر، وقال احضروا الشيخ . فاتوا به، فاذا هو يحي بن يعمر، فاغتممت عليه غما شديدا، وقلت في نفسي: اي شيء يقوله يحي مما يوجب قتله ؟

فقال له الحجاج : انت تزعم انك زعيم العراق ؟ قال يحي الزعم كذب، ولكني اقول اني فقيه من فقهاء اهل العراق، فقال : فمن اي فقهك زعمت ان الحسن والحسين من ذرية رسول الله صلع، قال : ما انا زاعم لذلك، بل انا قائله بحق، قال فباي حق قلته ؟ قال بكتاب الله عز وجل، قال الشعبي :فنظر الي الحجاج فقال : اسمع ما يقول : فان هذا مما لم يكن اسمعه عنه، اتعرف في كتاب الله عز وجل دليلا على ان الحسن والحسين من ذرية محمد صلع ؟ فجعلت افكر في ذلك فلم اجد في القرآن شيئا يدل على ذلك .

فقلت : ما وجدت في القرآن شيئا يدل على ذلك، وفكر الحجاج مليا ثم قال ليحي : لعلك تريد قول الله عز وجل : فمن حاجك فيه من بعد ما جاءك من العلم فقل تعالوا ندع ابناءنا وابنائكم ونساءنا ونسائكم وانفسنا وانفسكم ثم نبتهل فنجعل لعنة الله على الكاذبين . وان رسول الله صلع خرج للمباهلة ومعه علي وفاطمة والحسن والحسين، قال الشعبي: فكأنما اهدى الى قلبي سرورا وقلت في نفسي قد خلص يحي، وكان الحجاج حافظا للقرآن، فقال له يحي : والله انها الحجة في ذلك البالغة، ولكن ليس منها احتج لما قلت، فاصفر وجهه، واطرق مليا، ثم رفع رأسه الى يحي وقال له : ان جئت من كتاب الله عز وجل بغيرها فلك عشرة آلاف درهم، وان لم تأت بها فانا في حل من دمك، قال : نعم

قال الشعبي : فغمني قوله وقلت في نفسي : ما كان في الذي نزع الحجاج له ما يحتج به يحي ويرضيه بانه قد عرفه وسبقه اليه ويتخلص منه حتى رد عليه فافحمه، فان جاءه بعد هذا بشيء لم آمن انه يدخل عليه فيه من القول ما يبطل به حجته لان لا مرية انه قد علم ما قد جهله هو .

فقال للحجاج : قول الله عز وجل : ومن ذريته داود وسليمان، من عنى بذلك ؟ قال الحجاج : ابراهيم، قال يحي : فداود وسليمان من ذريته ؟ قال : نعم، قال يحي : ومن نص الله عليه بعد هذا انه من ذريته ؟ فقرأ الحجاج : وزكريا ويحي وعيسى، قال يحي : ومن اين كان عيسى من ذرية ابراهيم ولا اب له من صلبه ؟ قال: من قبل امه مريم، قال يحي : فمن اقرب رحما ؟ مريم من ابراهيم، ام فاطمة من محمد ؟ ام الحسن والحسين منه ام عيسى من ابراهيم ؟ قال الشعبي : فكأنما القمه حجرا، فقال اطلقوه قبحه الله، وادفعوا اليه عشرة آلاف درهم، لا بارك الله له فيها، ثم اقبل علي فقال : قد كان رأيك صوابا، لكن ابيناه، ودعى بجزور فنحره ثم انه دعى بطعام فاكل، واكلنا معه، وما تكلم بكلمة حتى انصرفنا، وما زال واجما على ما احتج به يحي بن معرم عليه.

وروي ان رسول الله صلع لما احتضر دعى بالحسن والحسين فوضعهما على وجهه، وجعل يقبلهما حتى اغمي عليه، فاخذهما علي عن وجهه، ففتح رسول الله صلع عينيه وقال لعلي : دعهما يستمتعان مني واستمتع منهما، فانه سيصيبهما بعدي اثرة، اراد رسول الله صلع ما استأثر به اهل البغي من حقهما وما تغلبوا به على مقامهما، وما نالهما من الظلم والعدوان والتجري على الله ورسوله بعظيم الاثم الذي يحلون به اسفل درك النيران .

وروي ان الحسين بن علي جاء الى عمر فاستأذن عليه وكان عمرعلى شغل فلم يؤذن له، فجلس، ثم جاء ابن عمر فاستأذن فلم يؤذن له، فلما رأى ذلك الحسين انصرف، ثم امر عمر بادخال الحسين فخرج الآذن فلم يجده، فعاد الى عمر فقال : انه لما لم يؤذن له انصرف، فارسل اليه عمر فجاء، فقال له : لم انصرفت بعد ان استأذنت يا بن رسول الله ؟ قال : لم يؤذن لي، وجاء عبد الله فلم يؤذن له فعلمت اذ لم يؤذن له انه لا يؤذن لي، فقال له عمر : وما انت وعبد الله ؟ هل انبت الشعر في الرأس الا الله وانتم

وروى الرواة عن الائمة الطاهرين صلوات الله عليهم ان اعرابيا اتى الى مسجد رسول الله صلع في ايام عمر، فاتاه فقال :اني رجل محرم مررت على بيض نعام فجنيت وشويت واكلت، فقال عمر : ما عندي في هذا علم، ولكن اجلس الساعة يجيء من عنده علم ذلك، فجلس حتى اقبل امير المؤمنين، فقال عمر للاعرابي : سل هذا، وكان الحسن يومئذ غلاما مع علي، فاتى الاعرابي عليا فقال له : اني رجل محرم، مررت على بيض نعام فجنيت وشويت واكلت، فقال له علي : سل هذا، واومأ بيده الى الحسن، فقال الاعرابي : يا ويلتا ما لي ولكم يا اصحاب محمد ؟ اعجزتم عن الجواب، كلما سألت واحدا منكم احالني على آخر، فقال له عبد الله بن مسعود : سله يا اعرابي فانه من اهل بيت النبوة . فسأله الاعرابي فقال الحسن : يا اعرابي الك ابل ؟ قال : نعم، قال فخذ بعدة البيض نوقا فاضربهن بالفحل، فما فصل من اولادهن فاجعله هديا، فقال الاعرابي : فرجت عني فرج الله عنك، وقام فاستقبله عمر فقال له : ما الذي قال لك ؟ فاخبره، فقال : ارجع اليه فقل له اما علمت ان النوق يزلقن، فقال الحسن : قل للذي قال لك : اما علمت ان البيض يمرقن، فقام اليه ابوه علي فقبّل بين عينيه وقال : ذرية بعضها من بعض والله سميع عليم، فقال عبد الله بن مسعود : ان الذي فهم هذا الغلام هذه القضية هو الذي فهم سليمان بن داود تلك القضية، والذي انطق هذا الغلام بالحكمة هو الذي انطق يحي بن زكريا بالحكمة، والله لو ردوا الامر في نصابه لاكلوها خضراء عن ايمانهم وعن شمائلهم . فقال له عمر : يا بن مسعود تؤلب الناس علينا ؟ فقال له الحسن بن علي : كنت تفتيه ولا ترشده الينا

فمقام الحسن والحسين المقام المعروف المشهور، وفضلهما الفضل العظيم المذكور، الذي لا يجحده ولا ينكره الا من انكر فضل النبي صلع وجحد شريف مقامه، وما خصه الله به من عظيم فضله وانعامه، والجاحدون لفضلهما المنكرون لشريف مقامهما انما انكروا فضل رسول الله صلع، فحين غلبهم الاسلام، وظهر امرالله لهم بالارغام، لم يجدوا لهم ذريعة الى نقض الاسلام، وان يرموا بنيانه بالانهدام، الا بصد وصي رسول الله صلع عن مقامه، وبظلم السبطين ونقم الثأر منهما لما اردى جدهما وابوهما من رؤساء شركهم بصمصامه، والا ففضلهما وما اشار اليهما رسول الله صلع شهير، قد اجمع عليه المؤالف والمخالف وتحدث به الصغير والكبير، بل كانوا فيما تعدوا فيه بغيا وعتوا كما اخبر الله تعالىعنهم بقوله سبحانه وجحدوا بها واستيقنتها انفسهم ظلما وعلوا، وقد نص النبي صلع بالامامة فقال : الحسن والحسين امامان قاما او قعدا، وقال بعد ذلك:وابوهما خير منهما، فابان فضلهما وفضل ابيهما علي ابن ابي طالب، فهل بعد هذا القول قول قائل، او هل ينكره الا متعام عن الحق متجاهل، وهو كما قال الله عز وجل في كتابه المسطور، فانها لا تعمى الابصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور.

وروي ان الحسن والحسين حجا فخرجا الى الحج يمشيان يعني من مكة فما يمران براكب فرآهما يمشيان الا نزل يمشي، فاشتد ذلك على كثير من الناس، فقالوا لسعد بن ابي وقاص :قد اشتد علينا المشي ولا يسعنا ان نركب وابنا رسول الله صلع يمشيان، فجاء سعد الى الحسن فقال : يا ابا محمد ان المشي قد ثقل على جماعة ممن معك من الناس، ولا يسعهم الركوب وانتما تمشيان، فلو ركبتما لركبوا، قال: قد جعلت على نفسي ان امشي، ولكنني اتنكب الطريق، فاخذا جانبا حيث لا يراهما الناس.

وبآخر ان الحسن حج خمسا وعشرين حجة ماشيا وان النجائب لتقاد معه، وكان امير المؤمنين علي ابن ابي طالب يجل الحسن والحسين ويعظمهما ويذكر فضلهما وما خصهما الله به، ويقول : هما ابنا رسول الله صلع وكان يصونهما عن الحرب ويقدم محمد بن الحنيفة ويجعله وقاء لهما، وقال : لولا خوفي على هذين الغلامين لئلا ينقطع نسل رسول الله صلع . وقال القوم من اصحابه فيهما وفي محمد بن الحنيفية رضوان الله عليه : اين تجعلون ابني من ابني رسول الله، ولما كان فضلهما عظيما، وما خصهما الله به جليلا، وكان الحسن هو السابق وهو الاكبر، فوض امير المؤمنين اليه الوصية،وقدمه في شرف الامامة.

وقد ذكرنا ما اتى عن علي ابن الحسين ومحمد بن علي فيما ذكرنا من وصية امير المؤمنين علي ابن ابي طالب فقالا : اوصي الى ابنه الحسن واشهد الحسين على وصيته ومحمدا وجميع ولده ورؤساء شيعته واهل بيته، ثم دفع اليه الكتب والسلاح، ثم قال له : امرني رسول الله صلع ان اوصي اليك وان ادفع اليك كتبي وسلاحي، كما اوصى اليّ رسول الله صلع ودفع الي كتبه وسلاحه، الى قول محمد بن علي وعلي ابن الحسين عليهما السلام : وكان قبل ذلك قد خص الحسن والحسين بوصيته كتب لهما فيها اسماء الملوك ومدة الدنيا واسماء الدعاة الى يوم القيامة، ودفع اليهما كتاب القرآن وكتاب العلم .

وقد قال امير المؤمنين ع م : ما من فئة تضل مائة وتهدي مائة الى يوم القيامة الا وانا اعرف قائدها وسائقها وناعقها، وجميع علمه وما اودعه رسول الله صلع اودعه الحسن والحسين، وجرى مثل ذلك من كل واحد منهم الى من يليه في كل عصر وزمان، وحين واوان، لان لا يخلي الله العالم طرفة عين من حجته والقائم بامره، الحافظ لسره، كما قال امير المؤمنين علي ابن ابي طالب لكميل بن زياد : الا وانها لا تخلوا الارض من قائم لله بحجته، اما ظاهرا موجودا، واما خائفا مغمودا.

وقال في بعض خطبه : فان جميع العلم وما فضل به النبيون في محمد وفي آله الطاهرين .

وحين اصيب امير المؤمنين علي ابن ابي طالب افضت الامامة الى الامام الحسن بن علي وهو اول الائمة في دور محمد صلع، لان امير المؤمنين علي ابن ابي طالب في مقام الوصاية .

قال علماء السير : وبويع الامام الحسن بن علي بالخلافة في اليوم الذي استشهد فيه امير المؤمنين علي ابن ابي طالب ع م، واول من بايعه قيس بن سعد بن عبادة الانصاري، قال له ابسط يدك ابايعك على كتاب الله وسنة رسول الله صلع، فان ذلك يجمع كل شرط فبايعه وبايعه الناس.

قال الزهري فيما روي عنه : قد كان بايع امير المؤمنين عليا اربعون الفا من اهل العراق على الموت ليسيروا معه الى الشام، فلما استشهد بايعوا الحسن.

وروي عن هبيرة بن مريم قال : لما دفن امير المؤمنين وصعد الامام الحسن على المنبر فحمد الله واثنى عليه، وصلى علىالنبي صلع ثم قال : اما بعد ايها الناس، فانه قد اصيب فيكم الليلة رجل لم يسبقه الاولون، ولا يدركه الآخرون، وما ترك بيضاء ولا صفراء الا سبعمائة درهم بقيت من عطائه اراد ان يبتاع بها خادما لاهله، ولقد كان رسول الله صلع يبعثه البعث فتكتنفه الملائكة، جبريل عن يمينه وميكائيل عن يساره وملك الموت امامه، فما ينثني حتى يفتح الله على يديه . ولقد صعد بروحه في الليلة التي صعد فيها بروح يحي بن زكريا

واقام الحسن بن علي ستة اشهر الى سلخ ربيع الاول سنة احدى واربعين ثم خرج من الكوفة ونزل بالمدائن، وبعث قيس بن سعد على مقدمته في اثني عشرالفا، واقبل معاوية من الشام في جيوشه، وكتب معاوية الى الامام الحسن بن علي يستدعيه الى الصلح، فامتنع عن ذلك، فلما صار في المدائن، وسار قيس بن سعد في مقدمته، اختلف على الامام الحسن ابن علي من معه، فكثر شغبهم عليه واولو النفاق فيهم، وقد استمالهم معاوية بحطامه، ووعدهم ومناهم باحسانه وانعامه، وداخل بعضهم الجبن والفرق وخوف معاوية واصحابه، وقد مال اكثر الناس اليهم، وطمعوا من الحطام فيما لديهم، اذ قد فني مع امير المؤمنين اهل البصائر الدين كعمار بن ياسر وابي الهيثم بن التيهان، وخزيمة بن ثابت ذي الشهادتين، ومالك بن الحارث وغيرهم ممن قتل بصفين، واسف عليهم علي ابن ابي طالب، ولم يجد في اهل العراق طاعة من بعدهم، ولم يزل واجما لفقدهم حتى قبضه الله اليه واختار له ما لديه، بعد ان كان يدعو على اهل العراق، ويتمنى الراحة من الدنيا والفراق، وقال اللهم ابدلني بهم خيرا منهم، وابدلهم بي شرا مني، فاستجاب الله دعائه ونزلت بهم المحنة بعد فقده، وتمالأوا على الحسن بن علي بالخلاف والشقاق، وبدا ما استجن من حسيكة النفاق.

فبينا الحسن بن علي ع م في سرادقه بالمدائن وقد تقدم قيس بن سعد، اذ نادى مناد في العسكر الا ان قيس بن سعد قد قتل فانصرفوا، فنفروا الى سرادق الحسن بن علي فانتبهوا ما في سرادقه، وانتزعوا بساطه من تحته، ووثب عليه رجل فطعته بمشقص في فخذه حتى ادماه، ولم يكن قتل قيس بن سعد بن عبادة صحيحا، بل قول من نطق الشيطان على لسانه، وابدى ما ابدى من زوره وبهتانه ليفرق اهل العراق، وليحملهم على اظهار النفاق، لما وعده معاوية ومناه، فاعمل الحيلة في تفريق من اجتمع ليردهم في النكوص علىالاعقاب، ويحملهم على التشتت عن ابن الرسول والرجوع بعد اليقين الى الارتياب، فدخل الامام الحسن بن علي الى المقصورة التي بالمدائن خائفا مترقبا، صابرا على ما ناله في سبيل الله محتسبا، وكان الامير على المدائن سعد بن مسعود الثقفي عم المختار بن ابي عبيد، فقال له المختار : هل لك في الغنى والشرف ؟ قال :وما ذاك؟ قال :تستوثق من الحسن وتسلمه الى معاوية، فقال له سعد : لعنك الله اثب على ابن رسول الله صلع واسلمه الى ابن هند آكلة الاكباد ؟ بئس الرجل انا ان فعلت ذلك، وقال له : هذا بلاء اهل البيت عندنا .

ولما رأى الامام الحسن بن علي ع م تفرق الناس عنه واختلاف اهل العراق عليه، وغدر اهل الكوفة، رغب في الصلح، قيل : فكره ذلك اخوه الامام الحسين بن علي ع م، فقال له امير المؤمنين الحسن بن علي ع م : يا اخي اما ترى ما نحن فيه

ووجه اليه معاوية يسأله تسليم الامر اليه ويدعوه الى ذلك، ويبذل له ولشيعته وانصاره الامان والبر والاكرام والرغائب الجسام، فلم يجد امير المؤمنين الحسن بن علي غير ذلك اذ لم يجد بدا لافتراق من معه عليه، وخذلهم له وغدرهم به، فاجاب معاوية الى ذلك . وليس ذلك يقطعه من حقه، ولا يدفعه عما اوجب الله من الامامة له ونطق به رسول الله صلع من الشهادة له ولاخيه بالامامة والبيان لما هو لهما عند الله من الفضل والكرامة، والامامة حق من حقوق الله عز وجل، وامر من اموره ليس يوجبها لغير اهلها ترك اهلها لها ولا تسليمهم اياها لمن تغلب عليهم فيها، كما لم يجب ذلك لمن تقدم من المستأثرين على امير المؤمنين اذ ذاك اغتصاب منهم وظلم وبغي، امهلهم الله واوليائه ليسدروا في غيهم، ويتمادوا فيما هم عليه من بغيهم، فيزدادوا اثما الى اثمهم، ويستحقوا الورود في ادراك الجحيم بما تجرؤا عليه من ظلمهم، والامامة لا تكون الا لمن جعلها الله له واقامه لها . وليس التغلب على ظاهر امرها مما يزيل من جعلت له عنها، سلمها او لم يسلمها، وعلى الامة ان لا يأتموا الا لمن جعل الله عز وجل الامامة له بنص الرسول صلع . والقاء الامامة ممن سبقه من الائمة اليه . اذ الامامة خلافة النبوة ولم تكن النبوة بعناية احد من العالمين، بل بما اوحى الله به الى الرسل المصطفين المكرمين، والحجج في ذلك تخرج عن حد هذا الكتاب . والامر فيما ذكرناه بين لمن هداه الله الى نهج الصواب .

وشرط الامام الحسن بن علي عليه السلام على معاوية شروطا كثيرة منها ان لا يسب امير المؤمنين علي ابن ابي طالب فاجاب معاوية الى ما شرط .

وخطب الحسن بن علي اصحابه لما عزم على صلح معاوية فقال في خطبته : ايها الناس ان هذا الامر الذي اختلفت فيه انا ومعاوية انما هو حق اتركه ارادة لاصلاح الامة وحقنا لدمائها وان ادري لعله فتنة لكم ومتاع الى حين.

وبلغ قيس بن سعد صلح الحسن بن على معاوية، فقال للذين معه : ايها الناس ان الامام الحسن بن علي هو ابن رسول الله صلع ومن عرفتم فضله، وانه قد خانه اهل العراق وحملوه علىان صالح معاوية، فاختاروا اما ان تقاتلوا بغير امام او ترجعوا الى مساكنكم، قالوا بل نرجع فرجع ورجعوا الى الكوفة.

والتقى الامام الحسن بن علي ع م ومعاوية بن ابي سفيان بموضع من ارض العراق يقال له مسكن بكسر الكاف على نهر دجيل عند دير الجاثليق، وهو الموضع الذي قتل فيه مصعب بن الزبير، وابراهيم بن الاشتر في ايام عبد الملك بن مروان، وقيل بل التقى الحسن بن علي ومعاوية ابن ابي سفيان بموضع يسمى ادرح، فسلم اليه الحسن بن علي امر الدنيا، وطلقها كما طلقها ابوه من قبل، وتركها لاهلها يتلاعبون بها حتى اعرضوا عن امر الآخرة ورفضوا اولياء الله العترة الطاهرة، وتركهم في وادي ضلالهم يهيمون، وفي سبيل بغيهم وغيهم يتوغلون، نعوذ بالله من غضبه وغضب اوليائه، ونسأله ان يبرئنا ممن عاندهم وناصبهم من اعدائه.

ثم دخل معاوية بن حرب الكوفة، وقال عمرو بن العاص لمعاوية : لو امرت الحسن بن علي ان يخطب فانه لا يدري ما يعتذر وما يقول في تسليمه الامر اليك وتخليه عنه، فلعله ان يبين عيه، فقال له معاوية : قم فاخطب، فصعد الامام الحسن بن علي عليه السلام فحمد الله تعالى بما هو اهله، واثنى عليه، وصلى على النبي، وقال في خطبته : ايها الناس ان الله اهداكم باولنا، وحقن دمائكم بآخرنا، ونحن اهل البيت الذين اذهب الله عنا الرجس، وطهرنا تطهيرا، ونحن حزب الله المفلحون، وعترة رسوله المطهرون، واهل بيته الطيبون الطاهرون، واحد الثقلين اللذين خلفهما رسول الله صلع وطاعتنا مقرونة بطاعة الله، فان تنازعتم في شيء فردوه الى الله ورسوله، وان معاوية بن ابي سفيان دعانا الى امر ليس فيه عز ولا نصفة، فان وافقتم رددناه عليه وحاكمناه الى الله عز وجل بظبى السيوف، وان ابيتم قبلناه، فناداه الناس من كل جانب : البقية البقية يابن رسول الله صلع، فقال : ان لهذا الامر مدة، والدنيا دول، وقد قال الله تعالى لنبيه صلع : وان ادري لعله فتنة لكم ومتاع الى حين. فضج الناس بالبكاء، فنظر معاوية الى عمرو وقال : هذا رأيك، ثم قال للحسن بن علي : حسبك يا ابا محمد.

وفي رواية ان سفيان بن الليل الخارجي نادى الحسن بن علي : يا مذل المؤمنين ومسود وجوههم، فقال له الامام الحسن بن علي عليه السلام : ويحك ايها الخارجي، لا تعنفني، فان الذي احوجني الى ما فعلت اقبالكم الي وطعنكم اياي وانتهابكم متاعي، وانكم لما صرتم الى صفين كان دينكم امام دنياكم، وقد اصبحتم اليوم ودنياكم امام دينكم، ويحك ايها الخارجي، اني رأيت اهل الكوفة قوما لا يوثق بهم، وما اغتر بهم امرؤ الا ذل، ليس احد منهم يوافق رأى الآخر، ولقد لقي ابي منهم امورا صعبة وشدائد مرة، وهي اسرع البلاد خرابا، واهلها هم الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا، وما اذللت المؤمنين ولكني كرهت ان افنيهم واستأصل شأفتهم .

قال اهل السير : ولما سلّم الامام الحسن بن علي الامر الى معاوية اقام يتجهز هو واهل بيته الى مدينة النبي صلع، فاجتمع الى معاوية رهط من شيعته منهم عمرو بن العاص والوليد بن عقبة – وقد ذكرنا انه اخو عثمان بن عفان لامه وكان امير المؤمنين قد جلده لما شرب الخمر كما ذكرنا - وعتبة بن ابي سفيان، وقالوا لمعاوية نحب ان تحضر الحسن ابن علي لنخجله قبل مسيره الى المدينة . فنهاهم معاوية فالحوا عليه، فارسل الى الحسن بن علي فاستزاره، فحين حضر شرع القوم فتناولوا عليا والامام الحسن ع م ساكت، فلما فرغوا تكلم الامام الحسن بن علي فحمد الله واثنى عليه وصلى على النبي ثم قال : ان الذي اشرتم اليه قد صلى القبلتين وبايع البيعتين حين انتم مشركون، وبما انزل الله تعالى على نبيه كافرون، وانه حرم على نفسه الشهوات، وامتنع من اللذات، حتى انزل الله فيه :يا ايها الذين آمنوا لا تحرموا طيبات ما احل الله لكم، وانت يا معاوية ممن قال رسول الله صلع : لا اشبع الله له بطنا،وبات امير المؤمنين يحرس رسول الله صلع من المشركين وفداه بنفسه ليلة الفراش حتى انزل الله تعالى :ومن الناس من يشري ابتغاء مرضاة الله والله بصير بالعباد، ووصفه الله تعالى بالايمان فقال عز وجل انما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا، المراد به امير المؤمنين، وقال له رسول الله صلع انت مني بمنزلة هارون من موسى، وانت اخي في الدنيا والآخرة، وانت يا معاوية نظر النبي اليك يوم الاحزاب فرأى اباك على جمل يحرض الناس على قتاله واخوك يقود الجمل وانت تسوقه، فقال رسول الله صلع :لعن الله الراكب والقائد والسائق . وما قابله ابوك في موطن الا ولعنه وكنت معه يا معاوية، وولاك عمر الشام فخنته، وولاك عثمان فتربصت به، وانت الذي كنت تنهى اباك عن الاسلام حتى قلت مخاطبا له :

يا صخر لا تسلمن طوعا فتفضحنا \* بعد الذين ببدر اصبحوا مزقا

لا تركنن الى امر تقلدنا \* والراقصات ينعمن به الخرقا

وكنت يوم بدر واحد والخندق والمشاهد كلها تقاتل رسول الله صلع وقد علمت الفراش الذي ولدت عليه

ثم التفت الى عمرو بن العاص وقال : واما انت يا ابن النابغة فادعاك خمسة من قريش حتى غلب عليك الأمهم، وهو العاص ولدت على فراش مشرك، وفيك نزل : ان شانئك هو الابتر، وكنت عدو الله ورسوله وعدو المسلمين، وكنت اضر عليه من كل مشرك وانت القائل :

ولا انتهي عن بني هاشم \* بما اسطعت في الغيب والمحضر

وعن عائب اللات لا انثني \* ولولا رضى اللات لم نمطر

واما انت يا وليد فلا الومك على بغض امير المؤمنين، فانه قتل اباك صبرا، وجلدك في الخمر لما صليت سكرانا صلوة الفجر وقلت ازيدكم، وفيك يقول الحطيئة :

شهد الحطيئة يوم يلقى ربه \* ان الوليد احق بالعذر

نادى وقد تمت صلاتهم \* اازيدكم سكرا وما يدري

ليزيدهم اخرى ولو قبلوا \* لاتت صلاتهم على العشر

وسماك الله تعالى في كتابه فاسقا، وسمى امير المؤمنين مؤمنا، فقال : افمن كان مؤمنا كمن كان فاسقا لا يستوون، وفيك يقول حسان وفي امير المؤمنين :

انزل الله ذو الجلال علينا \* في علي وفي الوليد قرآنا

ليس من كان مؤمنا عمرك الله \* كمن كان فاسقا خوانا

سوف يدعى الوليد بعد قليل \* وعلي الى الجزاء عيانا

فعلي يجزى هناك جنانا \* ووليد يجزى هناك هوانا

واما انت يا عتبة فلا الومك في امير المؤمنين، فانه قتل اخاك يوم بدر، واشرك في دم عمك شيبة، وهلا انكرت على من غلب على فراشك ووجدته نائما مع عرسك حتى قال فيك نصر بن الحجاج بن علاط السلمي حيث يقول :

يا للرجال لطارق الاحزان \* ولغلمة فضحت ابا سفيان

عرس لعتبة خالفته فراشه \* لصداقة الذهلي من لحيان

الفاه معها في الفراش ولم يكن \* فحلا وامسك خشية النسوان

لا تتبعن يا عتب نفسك حبها \* ان النساء حبائل الشيطان

ثم نفض الحسن ثوبه وقام عنهم . فقال معاوية : وانتم ايضا فذوقوا، فقال الوليد بن عقبة : والله ما ذقنا شيئا الا وقد ذقت انت ما هو اشد منه . وقال معاوية :

امرتكم امرا فلم تسمعوا له \* وقلت لكم لا تبعثن الى الحسن

فاني ورب الراقصات عشية \* بركبانها يهوين من سرة اليمن

اخاف عليكم منه طول لسانه \* وبعد مداه عند تجريره الرسن

فلما ابيتم كنت فيه كبعضكم \* وكان خطابي فيه غبنا من الغبن

فحسبكم ما قال مما علمتم \* وحسبي الذي القاه في القبر والكفن

ولما خرج الامام الحسن ع م من الكوفة الى مدينة جده النبي محمد صلع جعل طريقه مسجد الكوفة، فقال : يا اهل الكوفة، اتقوا الله في جيرانكم وضيفانكم واهل بيت نبيكم، فبكى الناس، ثم سار ومعه اخوه الامام الحسين، فنزل المدينة، وجاور حرم الرسول صلع

وكان مروان بن الحكم عامل معاوية على المدينة، فارسل رسولا الى الامام الحسن بن علي ص ع فقال: يقول لك مروان : ابوك الذي فرق الجماعة وقتل امير المؤمنين عثمان واباد العلماء والزهاد، وانت تفخر بغيره، فاذا قيل لك من ابوك ؟ قلت جدي رسول الله، فجاء الرسول الى الحسن، فقال له : اني اتيت برسالة من تخاف سوطه، وتحذر سيفه، فان كرهت ان ابلغك اياها وقيتك بنفسي، فقال الامام الحسن ابن علي عليه السلام : هات رسالتك وبالله نستعين، فاداها فقال له الامام الحسن بن علي :تقول لمروان : ان كنت صادقا فالله يجزيك بصدقك، وان كنت كاذبا فالله اشد نقمة .

فخرج الرسول من عنده فلقي الامام الحسين بن علي صلوات الله عليه، فقال له من اين اقبلت ؟ قال من عند اخيك، قال وما كنت تصنع ؟ قال اتيته برسالة مروان، قال وما هي؟ فامتنع الرسول من ادائها، قال لتخبرني والا قتلتك، فسمع الحسن بن علي الجلبة، فخرج الى اخيه فقال خل عن الرجل، قال الحسين بن علي : لا والله حتى اسمع الرسالة، فاعاد الرسول عليه فقال له الحسين بن علي ص ع : قل لمروان يقول لك الحسين ابن علي وابن فاطمة : يا بن الزرقاء الداعية الى نفسها بسوق ذي المجاز صاحبة الرأية بسوق عكاظ، ويا بن طريد رسول الله ولعينه، اعرف من انت ومن امك ومن ابوك، فجاء الرسول الى مروان بقول الحسين بن علي، فقال له مروان : ارجع الى الحسن فقل له : اسهد انك ابن رسول الله، وقل لاخيه الحسين : اشهد انك ابن علي ابن ابي طالب، فقال له الحسين بن علي : انا ابن كليهما ورغما لانفك يا ابن الحكم.

وقول الحسين بن علي لمروان يابن الداعية لنفسها ذكر ابن اسحاق ان اسم ام مروان آمنة، وكانت من البغايا في الجاهلية، وكان لها رأية مثل رأية البيطار، وكانت تسمى ام حنبل الزرقاء، وكان مروان لا يعرف له اب وانما نسب الى الحكم كما نسب عمرو بن العاص الى العاص، واما قوله يا بن طريد رسول الله صلع فقد قدمنا ذكر ذلك، وان رسول الله صلع طرد اباه الحكم ولعنه.

وقيل ان الحسن بن علي ع م لم تسمع منه قط كلمة مكروهة الا مرة واحدة، فانه كان بين الحسين بن علي وعمرو بن عثمان بن عفان خصومة في ارض، فذكر ذلك للحسن فقال : ليس لعمرو عندنا الا ما يرغم انفه. فقيل ان هذه الكلمة حفظت عليه، وذلك لما نحله رسول الله صلع من حلمه.

وروي عن اسماعيل بن ابان باسناده عن الامام الحسن بن علي انه مر في مسجد رسول الله صلع بحلقة فيها قوم من بني امية، فتغامزوا عليه، وذلك عند ما تغلب معاوية على ظاهر امره، فرآهم وتغامزهم به، فصلى ركعتين ثم جاءهم، فلما رأوه جعل كل واحد منهم يتنحى عن مجلسه، فقال لهم : كونوا كما انتم، فاني لم ارد الجلوس معكم، ولكن قد رأيت تغامزكم بي، اما والله لا تملكون يوما الا ملكنا يومين، ولا شهرا الا ملكنا شهرين، ولا سنة الا ملكنا سنتين، وانا لنأكل في سلطانكم ونشرب ونلبس ونركب وننكح، وانتم في سلطاننا لا تأكلون ولا تشربون، ولا تنكحون، فقال له رجل : وكيف يكون ذلك يا ابا محمد وانتم اجود الناس وارأفهم وارحمهم ؟ تأمنون في سلطان القوم ولا يأمنون في سلطانكم ؟ قال : لانهم عادونا بكيد الشيطان وكيد الشيطان ضعيف، وانا عاديناهم بكيد الله وكيد الله شديد.

وروى الربيع بن سليمان البصري باسناده عن ابي جعفر محمد بن علي قال : قدم الامام الحسن بن علي الى الشام ومعه اخوه الحسين . فقام الحسن بن علي خطيبا بين السماطين والحسين جالس، فتكلم الامام الحسن بكلام عجيب، فحسده معاوية لما سمع من فصاحته وبلاغته ولما سمع اهل الشام منه، فقام اليه مروان بن الحكم فاخذه بيده وقال له : اقعد فانك صبي احمق، تعلمت الكلام بالعراق ثم جئتنا به، فغضب الحسن ابن علي وقال لمروان : كذبت لا ام لك، هو فضل آتاه الله تعالى، وان بالمشرق مدينة يقال لها بلساء وبالمغرب مدينة يقال له بقلاء ما بينهما ولد نبي غيري وغير اخي . وكان رأس الجالوت حاضرا حينئذ عند معاوية، فقال: صدق والله انهما لمدينتان ما عرفهما قط الا نبي او وصي نبي او ولد نبي .

وقيل ان الامام الحسن بن علي دخل على معاوية فقال :

فيم الكلام وقد سبقت مبرّزا \* سبق الجواد الى المدى والمقبس

فقال معاوية : اياي تعني، والله لآتينك بما يعرفه قلبك ولا تنكره بلسانك، انا ابن بطحاء مكة، انا ابن اجودها جودا، واكرمها جدودا، واوفاها عهودا، انا ابن من ساد قريشا ناشئا

فقال الامام الحسن بن علي : نعم اياك اعني، افعلي تفتخر ؟ انا بن ماء السماء وعروق الثرى، وابن من ساد اهل الدنيا بالحسب الثاقب، والشرف الفائق، والقديم السابق، انا ابن من رضاه رضى الرحمن، وسخطه سخط الرحمن، فهل لك اب كأبي او قديم كقديمي ؟ فان تقل نعم تكذب، وان تقل لا تغلب

فقال معاوية : لا تصديقا لقولك

فقال الامام الحسن ابن علي ص ع :

الحق ابلج لا تخفى طرائقه \* والحق يعرفه ذوو الالباب

قيل فاستأذن الامام الحسن بن علي ع م علىمعاوية وعنده عبد الله بن جعفر ابن ابي طالب وعمرو بن العاص، فاذن له، فلما اقبل قال عمرو : قد جاءكم الفهّ العيّ الذي كان بين لحييه عقله، فقال عبد الله بن جعفر : صه يا بن العاص، فوالله لقد رميت صخرة ململمة تنحط منها السيول، وتقصر دونها الوعول، ولا تبلغها السهام، فاياكم والحسن، فانك لا تزال راتعا في لحم رجل من قريش، ولقد رميت فما برح سهمك، ولا اورى زندك، فسمع الحسن بن علي الكلام، فلما اخذ الناس مجالسهم قال :يا معاوية لا يزال عندك عبد يرتع في لحوم الناس، اما والله لئن شئت ليكونن بيننا ما نتفاقم فيه الامور وتخرج فيه الصدور، ثم انشأ يقول:

اتأمر يا معاوية عبد سهم \* بشتمي والملا منا شهود

اذا اخذت مجالسها قريش \* فقد علمت قريش ما نريد

فما لك من اب كابي تسامى \* به من قد تسامى او تكيد

وما تنفك تشتمنا سفاها \* لضغن ما يزول ولا يبيد

فما جدّ كجّدي يابن هند \* رسول الله اذا ذكر الجدود

ولا ام كأمي من قريش \* اذا ما حصّل الحسب التليد

ولا مثلي تهكم يا بن هند \* ولا مثلي تنقصه العبيد

فمهلا لا نهج منا امورا \* بشيب لهولها الطفل الوليد

وذكروا ان عمرو بن العاص قال لمعاوية : ابعث الى الحسن بن علي فمره ان يخطب على المنبر لعله ان يحضر فيكون ذلك مما يعير به . فبعث اليه معاوية فاصعده المنبر وقد اجتمع الناس.فخطب الامام الحسن بن علي ع م ثم قال : ايها الناس من عرفني فقد عرفني، ومن لم يعرفني انبأته باسمي، فانا الحسن بن علي ابن ابي طالب ابن عم رسول الله صلع، انا ابن البشر النذير، السراج المنير، انا من بعث رحمة للعالمين، انا ابن من بعث الى الانس والجن اجمعين، انا ابن مستجاب الدعوة، انا ابن الشفيع المطاع، انا ابن اول من ينفض رأسه من التراب، انا ابن اول من يقرع باب الجنة، انا ابن من قاتلت معه الملائكة، ونصر بالرعب من مسيرة شهر.

وامعن عليه السلام في هذا الباب، ولم ينزل حتى اظلمت الدنيا على معاوية ابن ابي سفيان، فقال له معاوية ك يا حسن كنت ترجو ان تكون خليفة ولست هناك، فقال الامام الحسن بن علي : انما الخليفة من سار بسيرة النبي رسول الله صلع وعمل بطاعته، وليس الخليفة من دان بالجور، وعطل السنن، واتخذ الدنيا ابا واما، ولكن ذلك ملك اصاب ملكا تمتع به قليلا ويعذّب بعده طويلا، وكان قد انقطع عنه واستعجل الدنية وبقيت عليه التبعة، وكان كما قال الله تعالى : وان ادري لعله فتنة لكن ومتاع الى حين. ثم نزل عن المنبر فقال معاوية لعمرو : والله ما اردت الا هتكي، ما كان اهل الشام يرون احدا مثلي حتى سمعوا من الحسن ما سمعوه.

ومما يروى من فضل الامام الحسن بن علي ع م وسعة صدره وكرم نفسه وطيب عنصره، ولوم معاوية ويزيد وتجريهما على الله ان معاوية حين مكن يزيد من الدنيا وآتاه منها ما احب واشتهى قال له : يا بني اني وقد وسعت عليك وملأت من الدنيا يديك، فهل بقي شيء لم افعله ؟ او هل شذّ عنك شيء لم تحصله، قال : يا ابتاه لم يبق لي من الدنيا شيء الا ان امرأة عبد الله بن عامر ابنة اسماعيل بن عمرو وصفت بالجمال والكمال، فتاقت نفسي اليها، واحببت الاجتماع بها، وان زوجتنيها فقد جمعت الي محاسن الدنيا ولم اغادر منها شيئا، فقال : يا بني كيف انكحك امرأة رجل من المسلمين، واني لاخشى ان ينكر ذلك علي العرب وتكثر فيه الشنعة، ولكني يا بني الطف الحيلة .

ثم انه كتب الى عبد الله بن عامر وسأله ان يقدم عليه فحين قدم عليه اكرمه وقربه، ولما خلا به قال : اني اريد ان ادنيك مني، وان انكحك ابنتي، وان اجعل لك نصيبا من ملكي، فاجاب الى ذلك وتاقت نفسه اليه، وقد قال معاوية لابنته: اذا اردت ان انكحك فاجيبي اني لا افعل ذلك الا ان يطلق امرأته، فلما اراه معاوية انه قد ازمع على ذلك وانه مزوجه بابنته ارسل اليها فاتته، فقال لها : ان هذا الرجل قد قدم علي وعظم مكانه عندي، واني اريد ان ازوجك منه، فاجابت اني لا افعل ذلك الا ان يطلق امرأته، فجعل معاوية بزعمه يلطف بها وهي مشتطة في ذلك الشرط غير راجعة عنه، فقال : ان طلاق امرأتي علي عسير، وان حبي لها شديد، فقال له من عند معاوية :ان هذه ابنة امير المؤمنين، وانك ان تزوجتها شاركته في ملكه، وقربت منه وحظيت عنده، فألجأوه الى ان طلق امرأته، وجعل معاوية يماطله بزواجه ابنته وهي تشتط عليه في الشرط وتطلب منه ما لا يطيق عليه ولا تسعه قوته .

ثم ان معاوية ارسل ابا هريرة ليخطب لابنه يزيد المرأة وكانت بالمدينة، فحين قدم ابو هريرة المدينة لقي الامام الحسن بن علي ع م فسأله عن مقدمه وما الذي جاء به، فقال : يا بن رسول الله ان معاوية ارسلني لكيت وكيت، وقص عليه القصة، وعرفه القضية، فقال الامام الحسن بن علي ع م : فاخطب لي هذه المرأة فلعلها ان ترغب الي، فقال :افعل ذلك وتختار من اختارت.

ثم ان ابا هريرة قال للمرأة : قد علمت ان بعلك طلقك، وان معاوية قد ارسلني ان اخطبك ليزيد ابنه، وهو من تعرفين سعة ملكه، وان كل ما تريدين من الدنيا عنده، وانه لقيني الامام الحسن بن علي ع م فشرحت له القصة، وعرفته القضية، فامرني ان اخطبك له، فاختاري منهما من اردت، قالت : اني مفوضة امري اليك، وآخذة في ذلك رأيك، قال لها : ان اردت الدنيا فيزيد، وان اردت الآخرة فالحسن بن علي من لا يجهل فضله ولا احد مثله، سبط رسول الله صلع وابن بنته . فقالت :اني مختارة للآخرة على الدنيا، ولابن رسول الله صلع على ابن معاوية، فتزوجها الامام الحسن بن علي ع م، ومكثت معه برهة

ثم قدم بعلها من الشام، وكان قد يئس من تزوج ابنة معاوية وعرف كيده، وكان قد ترك عندها مالا يوم شخص الى الشام واودعها اياه، فذكر ذلك للامام الحسن بن علي، وقال : اني تركت عندها مالا، فقال لها الامام الحسن : اعطيه حقه وسلمي ما اودعك اليه، فاخرجت اليه المال على هيئته، فشكرها واثنى عليها، واظهر الندامة لفراقها وما خدعه به معاوية، ورأى الحسن بن علي به رغبة اليها وبها رغبة اليه، فقال : هل لك ان اطلقها وترجع اليك فتتزوجها ؟ فقال : يا بن رسول الله، الامر اليك، فاني قد فارقت الدنيا بفراقها، وعدمت منها لذيذ مذاقها، فطلقها الامام، فحين بانت تزوجها بعلها وشكر للامام ما اسداه، وحمده على ما اولاه .

فكم بين فعله وفعل معاوية ويزيد، ولكن اين يقاس التراب من السحاب، اين ابن النبي والوصي من الغوي ابن الغوي، وشتان بين النور والظلمة، والسخط والرحمة.

وكان الامام الحسن بن علي ع م كثير التزويج والطلاق، وقال امير المؤمنين علي ابن ابي طالب وهو يخطب : يا اهل الكوفة لا تزوجوا حسنا فانه رجل مطلاق. وقيل انه مر بعصابة من النساء كثيرة فتوارى عنهن، فقلن له : والله ما منا الا من تزوجتها وذاقت عسيلتك وذقت عسيلته، ثم ابنتها بعذ ذلك وطلقتها .

وقيل انه طلق امرأة من نسائه فمتعها بعشرين الف درهم وزقاق من عسل، فقالت المرأة :

متاع قليل من حبيب مفارق \* وزاد يسير من خليل موافق

ودس معاوية الى ابنة الاشعث بن قيس وهي عنده فسمته، وسنذكر ذلك اذا انتهينا اليه.

ودخل الامام الحسن بن علي على معاوية بن ابي سفيان يسأله شيئا مما هو له مما تغلب عليه معاوية وذلك لما كثر عليه الزوار وصغر ما في يده، فاعتذر معاوية، فنكس الحسن بن علي رأسه مليا، ثم رفع رأسه ومد يده الى دواة معاوية، فاخذها وكتب على ظهرها :

لنا الفضل يا هذا عليك ببذلنا \* اليك وجوها لم تشنها المطالب

وان الذي نعطيك من حر اوجه\* لافضل مما انت معط وواهب

ثم نفض ثيابه وولى، فمدّ معاوية يده الى دواته وقرأ ما عليها، ثم قال : يا غلام هات اربعين الف درهم، فلما اتى بها، قال احملها الى الحسن بن علي، فلقيه فقال : ما وراءك، قال ان معاوية ابن ابي سفيان امر لك باربعين الف درهم، فقال الحسن بن علي : ردها فلا حاجة لي في شيء منها، فرجع الى معاوية، فقال: ما الخبر ؟ فقال كرهها، فقال لعله استقلها، فاحمل اليه ثمانين الف درهم، فلما جاءه قال : ردها فلا حاجة لي بها، فرجع بها الى معاوية وقال : انه ابى ان يقبلها، فقال له : احمل اليه ثمانين الف دينار، فان قبلها فانت حر لوجه الله، قال : فاتاه الغلام فقال يا بن رسول الله انها ثمانون الف دينار، فقال له : ردها فلا حاجة لي بها، فقال : يا بن رسول الله لا تحرمني العتق، قال وما ذاك ؟ فاخبره الخبر . فقال الامام الحسن بن علي صلوات الله عليه : قد قبلتها ووهبتها لك، فرجع الغلام الى معاوية فقال له : انه قد قبلها ووهبها لي، فقال معاوية : لله ابوه من اي بيضة خرج، وفي اي عش درج، تلك والله افعاله وافعال آبائه، واما وانت يا غلام فقد نفذ عتقك ولك من المال عشره، فاخذ الغلام ثمانية آلاف دينار وعتق.

وقد روي عن الكسائي انه قال لهارون الرشيد، وكان يعلم ابنيه عبد الله المأمون ومحمد الامين، فقال له وقد ذكر التواضع :ان عبد الله ابن العباس كان يأخذ بركاب الحسن والحسين اذا ركبا حتى يستويا راكبين، فقيل له في ذلك: لم تفعله وأنت اسن منهما ؟ فقال عبد الله رضوان الله عليه :اني عرفت من فضلهما ما جهله غيري.

فهذه فضائل الامامين الحسن والحسين مشهورة، ومناقبهما مذكورة، يعرفها الخاص والعام، ويجمع عليها اهل الاسلام، وقد قيل ان اميرالمؤمنين علي ابن ابي طالب لا يحبه الا مؤمن، وان الحسن والحسين عليهما السلام اشترك في حبهما البر والفاجر، وكفى لهما فضلا ما روي عن رسول الله صلع فيهما، ولو تقصينا ذلك لطال الشرح واتسع القول، وانما نذكر جملا من اخبار الائمة صلوات الله عليهم.

واقل لفظة وادنى كلمة تشهد لهم بالفضل وتبين ان المتغلبين عليهم ادعوا ما ليس هم له باهل، فليس تغلب معاوية على متاع الدنيا وما ناله منها بموجب له فضلا على من اعطاه الله تعالى فضله وجعله محل ذلك واهله، وان الدنيا قد اشترك فيها البر والفاجر، والمؤمن والكافر، وقد قال الله تعالى :ولو لا ان يكون الناس امة واحدة لجعلنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم سقفا من فضة ومعارج عليها يظهرون، ولبيوتهم ابوابا وسررا عليها يتكئون، وزخرفا وان كل ذلك لما متاع الحيوة الدنيا والآخرة عند ربك للمتقين.

وقد روي عن الاسود انه دخل يوما على عائشة ومعاوية يحارب امير المؤمنين علي ابن ابي طالب، فقال يا ام المؤمنين، الا تعجبين لرجل من الطلقاء ينازع رجلا من اهل بدر ؟ فقالت عائشة : اوليس قد ملك فرعون بني اسرائيل اربعمائة سنة ؟ الملك لله تعالىيعطيه البر والفاجر.

ولا شك في ان معاوية فرعون الامة، وقد ذكرنا مثالبه ومعائبه ما لا يوجب له حسن الاسلام، فضلا ان يكون لاهل الملة الامام، وقد قدمنا ذكر ما ورد عن ابي ذر رحمة الله عليه اذ قال : سمعت رسول الله صلع يقول : ترد على الحوض امتي على خمس رايات وذكر حديثا طويلا قال فيه : ثم يرد علي فرعون امتي، فآخذ بيده، فاذا اخذتها اسود وجهه، وجعت قدماه، وخفقت احشاؤه، ثم قال : هو معاوية بن ابي سفيان، وقد قال رسول الله صلع اذا رأيتم معاوية يخطب على المنبر فاقتلوه، قال الحسن البصري قد والله رأوه فلم يفعلوا.

وروي في الحديث عن رسول الله صلع انه قال : لما اسري بي رأيت معاوية يخطب على المنبر فساءني ذلك فانزل الله عز و جل وان ادري لعله فتنة لكم ومتاع الى حين.

ونقول ما كان اجتماع الناس على معاوية وتركهم لابني رسول الله صلع الا كما اجتمع اهل الضلال على ضلالهم، وتوالوا على افكهم ومحالهم، وقد قال المسعودي قولا يحسن موقعه، ولا يكون الا في الصواب موضعه، وقد ذكر اجتماع الناس على معاوية فقال : وقد رأينا اوباش الناس وعامتهم فلم نرهم يجتمعون الا على قرد او ضرب دف او ما اشبه ذلك، فاحسن في التشبيه وجاء بما هو المعروف المشهور ان عامة الناس كثيرة، وخاصتهم قليلة، فالعامة يجتمعون على اللهو واللعب والبطالة والجهل، واهل الفضل يجتمعون على الورع والزهد والامانة وهم قليل. وقال تعالى : وقليل ما هم، وقال تعالى : وقليل من عبادي الشكور، وقال تعالى : فما آمن لموسى الا ذرية من قومه على خوف من فرعون وملأهم ان يفتنهم، وان فرعون لعال في الارض وانه لمن المسرفين.

وكان معاوية اعطى الامام الحسن بن علي وشيعته الامان واسر بهم الغدر، ولما اجتمع مع مولانا الامام الحسن خطب معاوية واراد ان يقول في خطبته : كل شيء كان بيني وبين الحسن فهو تحت قدمي، يعني هدر ما مضى بينهما، فقال كل شيء اعطيته الحسن فهو تحت قدمي، فغلب على لسانه ما اضمر في قلبه من النكث والغدر

ولما دخل معاوية المدينة ودخل دار عثمان وسلم على اهله، ودخل معه الحسن والحسين، فلما رأتهما عائشة بنت عثمان اعولت وقالت : واثار والداه

فلما انصرف الناس من عند معاوية دعى بها خاليا فقال : يا ابنة اخي ان هؤلاء اعطونا سلطانا واعطيناهم امانا، واظهرنا لهم حلما تحته غضب، واظهروا لنا طاعة تحتها حقد، وابتعنا منهم هذا بهذا، فان اعطيناهم غير ما اشتروا شحوا على حقهم ومعهم سيوفهم، وهم يرون مكان شيعتهم، ان نكثنا بهم نكثوا بنا ولم ندر ا علينا تكون الدائرة ام لنا، ولان تكوني بنت عم امير المؤمنين – يعني نفسه – خير لك من ان تكوني من سائرالمسلمين .

وقيل لمعاوية : لو سكنت المدينة فهي دارالهجرة وبها قبر رسول الله صلع فقال : قد ضللت اذا وما انا من المهتدين. وقد قال النبي صلع : من خرج عن المدينة رغبة عنها ابدله الله شرا منها، ومعاوية يقول : قد ضل ان سكنها، ولعمري ان الضلال قوله وفعله .

واجرى معاوية ماء على موضع قبور الشهداء في احد وامر بنبشهم، فنبشوا واخرجوا من قبورهم وهم رطاب يتثنون، واصابت ا لمسحاة حمزة بن عبد المطلب فدميت، وازالهم معاوية عن قبورهم، وقد امر رسول الله صلع بدفنهم فيها، وقال :ادفنوهم في مصارعهم، وحمل بعضهم الى المدينة فامر برده، فخالف معاوية ذلك من امره وغيره من فعله.

ومن احداث معاوية ادعاؤه اخوة زياد بن عبيد بزعمه ان ابا سفيان اوصاه انه ابنه، فترك قول رسول الله صلع الولد للفراش، واثبت قول ابي سفيان رجوعا الى الجاهلية وخروجا عن احكام الملة الاسلامية، وهذا زياد امه سمية . وكانت امة لبعض ملوك كندة، فاعتل ذلك الملك بالحمرة فجاءه الحارث بن كلدة طبيب العرب، فعالجه منها فبرئ، فاجازه وكساه ووهب له اماء كانت منهن سمية، فاعجبت الحارث فوقع بها وكانت بغيا، ووقع بها غلام اسود كان يقال له مسروج، فحملت منه فجاءت بولد اسود وهو نفيع ابو بكرة ادرك النبي صلع فاسلم على يديه وتولاه، وقال الحارث بن كلدة ما اعرف اسود في آبائي، فنفى نفيعا عن نفسه واعتزل سمية وزوجها عبدا له يقال له عبيد، ووهبها لابنة له، فولدت سمية زيادا على فراش عبيد، فاعتقته مولاته بنت الحارث، فخرج ظريفا ذا مكر ودهاء وفطنة وذكاء، وكان نفيع ابو بكرة يقول : انا مولى رسول الله صلع فان ابى هؤلاء فانا ابن مسروج.

ولقي زياد ابا موسى الاشعري بالبصرة ورأى فيه نباهة فاستكتبه ثم قدم على علي ع م لما فرغ من اصحاب الجمل، فرأى فيه فضل عقل وقوة على العمل، فاستعمله على فارس، وكان معاوية يخافه، ورأى ان يستعطفه ويستميله فكتب اليه يعرفه انه اخوه ويعده ويمنيه، وكان ذلك في حياة امير المؤمنين علي ابن ابي طالب، فبلغ ذلك امير المؤمنين فكتب الى زياد : وقد عرفت ان معاوية كتب اليك يستزل لبك ويستغل غربك، فاحذره، فانما هو الشيطان يأتي بالمرء من بين يديه ومن خلفه وعن يمينه وعن شماله ليقتحم غفلته ويسلب غرته .

وقد كان من ابي سفيان زمن عمر بن الخطاب فلتة من حديث النفس ونزعة من نزعات الشيطان لا يثبت بها نسب، ولا يستحق بها ارث، والمتعلق بها كالواغل المدفع والنوط المذبذب، فلما قرأ زياد الكتاب قال : شهد بها ورب الكعبة، ولم يزل في نفسه حتى ادعاه معاوية، ولم يزل معاوية يكاتبه ويلاطفه حتى انحنى اليه، وقدم عليه بعد ان قبض امير المؤمنين ع م، فقدم عليه زياد بعد مكاتبة ومراجعة كانت بينهما وامور ذكرها يطول، واعد معاوية المغيرة بن شعبة وابا مريم السلولي للشهادة على ذلك، فلما حضر زياد وجمع معاوية الناس الى المسجد وصعد المنبر وقد واعده المغيرة وابو مريم وحضر زياد فحمد الله معاوية واثنى عليه وصلى على النبي صلع ثم قال :

اما بعد فاني انشد الله رجلا علم من ابي سفيان علما في زياد الا قام به، فاني قد علمت انه ابن ابي سفيان حقا، غير اني احببت ان يقوم بذلك شاهدان من المسلمين ولا اقتصر على علمي، فقام ابو مريم فقال : اشهد ان ابا سفيان قدم علينا الى الطائف وهو يريد اليمن، فبدأ بنا فقال لي : هل تعلم مكان امرأة اصيب منها؟ فقلت: ما بحضرتنا الا سمية بغي بني علاج، فقال لي : انطلق فأتني بها، فاتيته بها فكانت معه، فلما قضى منها حاجته قلت : فكيف وجدتها ؟ قال : لا بأس بها على ذفرها وعظيم ثدييها، فخاف معاوية ان يغضب زياد لذلك فينكره، وقال لابي مريم : رحمك الله انما قمت شاهدا ولم تقم شاتما، فدع هذا واقصد لما لا بد منه، قال : نعم، ثم قال لي ابو سفيان : يا بني اني قد وطئت هذه الجارية عند طهرها، وان من حقي عليك ان تحبسها عندك حتى تستبرئ رحمها، قال فحبستها عندي حتى كلف وجناتها وتفتل شعرعينيها واسودت حلمتا ثدييها ونشأ بطنها ثم ولدت، فحسبت مذ يوم وقع بها الى يوم ولدته فوجدتها ولدته تماما .

ثم قام المغيرة بن شعبة فقال: اشهد اني كنت مع ابي سفيان بفناء الكعبة قبل ذهاب بصره، فمر بنا زياد غلاما حظا بظا يقول صغيرا حين نشأ، فنظر اليه ابو سفيان نظرا انكرته، فقلت ما اشد ما نظرت الىهذا الغلام يا ابا سفيان، فقال لو لا ان نبيكم قال الولد للفراش وللعاهر الحجر انه ابني بل هوابني حقا .

فقام معاوية باحياء عهر الجاهلية ونفي قول النبي صلع الولد للفراش وللعاهر الحجر، هو وابوه، وهذا من دلائل انكار ابي سفيان لنبوة محمد صلع اذ قال نبيكم ولم يقل نبينا، ولا قال النبي، ثم قال : بل هو ابني حقا بعد حكايته لقول رسول الله صلع : الولد للفراش وللعاهر الحجر، واعجب من ذلك قول معاوية وهو بزعمهم امير المؤمنين امام المسلمين ويخطب على المنبر بنقيض ما قال رسول الله صلع وتثبيت قول ابي سفيان والمسلمون مجتمعون يسمعون لم ينكروا ذلك من قوله وفعله، ولكنهم قد رضوا ما هو اكثر من ذلك وساعدوه فيما ادعاه، واجابوا الى ما افتراه، دومن من عصمه الله وهداه، فهو ان لم يستطع ان ينكربيده او لسانه فهو منكر ذلك بعقله وجنانه

وقال معاويةبعد قول ابي مريم والمغيرة بن شعبة : وعى سمعك ووفى لسانك ان زيادا ابن ابي سفيان حقا، فرد قول رسول الله صلع كما رده ابوه من قبله، وفعل من التجري علىالله كفعله، وولى معاوية زيادا الكوفة والبصرة، فكان اشد الناس عداوة لآل امير المؤمنين علي ابن ابي طالب ولشيعته وكذلك ابنه من بعده. ولم يذكروا صنيع اميرالمؤمنين اليهم اذ ولاهم واسبغ النعمة عليهم، وكيف لا يكون ذلك ومعاوية ينادي عليه انه ولد زنا، وقام بالشهود بذلك اليه على رؤوس المسلمين، وقد قال النبي صلع لامير المؤمنين علي ابن ابي طالب ع م : لا يبغضك يا علي الا ولد الزنا والمأتي في دبره، الا لعنة الله على الظالمين الذين يصدون عن سبيل الله ويبغونها عوجا.

ومعاوية اول من حمل اليه رأس مسلم في الاسلام، وهو رأس عمرو بن الحمق الخزاعي رحمة الله عليه، ارسل من قتله وحمل رأسه اليه، وكان عمرو من فضلاء التابعين المتوالين لعلي ابن ا بي طالب امير المؤمنين .

وامر معاوية بحجر بن عدي الكندي رحمة الله عليه وجماعة من اصحابه فاتى بهم الى دمشق من الكوفة مصفدين وهم يعلمون انه يريد قتلهم، لا يجدون من المسلمين نصيرا ولا وليا ولا حميما، وكان حجر من فضلاء الصحابة، ولما دنى حجر من دمشق قال : ما اظن معاوية الا قاتلي، فادفنوني في ثيابي، ولا تطلقوا عني الحديد فاني لاق معاوية على الجادة، فقتله معاوية واصحابه صبرا، ولم يخف في ذلك اثما ولا وزرا، وكان حجر واصحابه اول من قتل صبرا في الاسلام .

وقيل ان معاوية قتله هو واصحابه في بستان فجفت اشجار ذلك البستان قي قوم قتل، وكان من خاصة اصحاب امير المؤمنين علي ا بن ابي طالب ع م .

وقالت ابنة حجر بن عدي لما ساروا به من الكوفة :

ترفّع ايها القمر المنير \* لعلك ان ترى حجرا يسير

يسير الى معاوية ابن حرب \* ليقتله وذا امر نكير

تجبرت الجبابر بعد حجر \* وطاب لها الخورنق والسدير

واصبحت البلاد بها محولا \* كان لم يحيها مزن مطير

الا يا حجر حجر بني عدي \* تلقتك السلامة والسرور

اخاف عليك ما اردى عديا \* وشيخا في دمشق له زئير

فان تهلك فكل زعيم قوم \* من الدنيا الى هلك يصير

وقد روى عن الحسن البصري انه قال : غزوت الدروب زمن معاوية وعلينا رجل من التابعين ما رأيت رجلا كان افضل منه، فانتهى الينا ان معاوية قتل حجر بن عدي واصحابه، فصلى بنا الظهر ثم صعد المنبر فقال : اما بعد فقد حدث في الاسلام حدث لم يكن مذ قبض رسول الله صلع ان معاوية قتل حجر بن عدي واصحابه من المسلمين صبرا، فان يكن عند الناس تغيير والا فاني اسأل الله ان يقبضني اليه. قال الحسن: فوالله ما صلينا العصر حتى مات رحمة الله عليه.

وقيل ان معاوية دخل بعد قتله حجرا على عائشة بنت ابي بكر، فقالت له : اتدخل علي وقد قتلت حجرا واصحابه؟ اما خفت ان اقعد رجلا يقتلك ؟ قال معاوية : لا اخاف ذلك لاني في دار امان، ولكن كيف انا لك في حوائجك ؟ قالت : صالح، قال : فدعيني واياهم حتى نلتقي عند الله، قالت : وكيف ادعك وقد احدثت مثل هذا الحدث وغيرت حكم رسول الله صلع اذ قال : الولد للفراش وللعاهر الحجر، فنفيت زيادا عمن ولد على فراشه ونسبته الى ابيك ووليت يزيد ابنك ؟ قال : يا ام المؤمنين، اما اذا ابيت فاني لو لم اقتل حجرا لقتل بيني وبينه خلق كثير، واما زياد فان ابي عهد الي فيه، واما يزيد فاني رأيته احق الناس بهذا الامر فوليته، وكان عند عائشة المغيرة والمسور بن مخرمة . فقالت لهما : اما تسمعان عذر معاوية ؟ فاما المغيرة فرفق في القول، واما المسور فغلظ عليه، ثم افترقوا فوفد المسور على معاوية بعد ذلك في جماعة، فحجبه دونهم وقضى حوائجهم واخره، ثم ادخله بعد ذلك اليه فقال له : اتذكر كلامك عند عائشة ؟ قال : نعم، ما اردت به الا الله عز وجل، فانت ما اردت بما فعلت ؟ قال له : دع هذا وهات حوائجك .

وكان معاوية يداري حين يخاف ويتلقى خصمه بالالطاف، فاذا امكنته فرصة وثب لا يبالي بالغدر ولا يحيد عن المكر، وهو كما قال لصاحبه وخدينه وخله وقرينه عمرو بن العاص وقد قال له : ما ادري اشجاع انت ام جبان، فقال :

شجاع اذا ما امكنتني فرصة \* وان لم يكن لي فرصة فجبان

وقد قيل لشريك بن عبد الله : اكان معاوية حليما ؟ قال : لا وكيف يكون حليما من سفه الحق؟

وقال مالك بن انس فيما رواه عند سعد بن داود الزبيري : يقول الناس ما احلم معاوية ! وكيف يكون حليما من ارسل بسر بن ارطاة ما بينه وبين اليمن لا يسمع باحد عنده خبر يخاف الا قتله حتى اذا قتل الناس حلم عن الناس. ما كان بحليم، وكان ا ذا اتاه احد من اصحاب امير المؤمنين ممن يعرف عزة في قومه ومكانة في عشيرته وانهم مانعوه من شره، وان لا يتمكن منه بما يضمر من غدره، اظهر له الجميل ولقيه بالتجميل.

وقيل انه وفد اليه ابو الطفيل عامر بن وائله الكناني وكان من اصحاب امير المؤمنين علي ابن ابي طالب ع م له فقه واجتهاد مع بأس شديد ولسان ومنطق، وكان فارس اهل صفين وشاعرهم، وكان اخص الناس بعلي ع م،فاتاه ابو الطفيل وهو شيخ كبير وعند معاوية اخلاط قريش ووجوه الناس، فقال له معاوية : انت ابو الطفيل ؟ فقال:نعم، قال : انت ممن قتل عثمان؟ قال :لا ولكنني ممن شهده فلم ينصره، قال : وما منعك ان تنصره ؟ قال : لم ينصره المهاجرون والانصار، قال معاوية : اما والله لقد كانت نصرته حقا، قال : فما منعك منها ومعك اهل الشام، اذ تربصت به ريب المنون ؟ قال معاوية : او ما ترى طلبي بدمه نصرة ؟ فضحك ابو الطفيل وقال : انك وعثمان لكما قال عبيد بن الابرص حيث يقول :

لالفينك بعد اليوم تندبني \* وفي حياتي ما زوّدتني زادي

فبينما هما كذلك اذ دخل سعيد بن احيحة ومروان بن الحكم وعمرو بن العاص وابن اخت معاوية عبد الرحمن بن ام الحكم، فلما جلسوا نظر اليهم معاوية ثم قال :اتعرفون هذا الشيخ؟ قالوا : لا، قال هذا ابو الطفيل عامر بن وائلة الكناني خليل علي ابن ابي طالب وفارس اهل صفين وشاعرهم، فقال عمرو : هذا الذي يقول :

انا الارحب الشدقين اذ تعرفونني \* مع الخيل حاويها احم حديدها

قال ابو الطفيل : نعم انا قائلها، قال معاوية : اجزها يا ابا الطفيل عزمت عليك، فقال ابو الطفيل :

اذود كركن الطود كل كتيبة \* اذا سلمت كانت قليلا شريدها

لها سرعان من رجال كأنهم \* دواهي سباع نمرها واسودها

يجرون موج البحر ثم دعاهم \* الى ذات ابدان كثير عديدها

اذا نهضت مدت جناحين فيهما \* على الخيل فرسان قليل صدودها

كأن شعاع الشمس تحت لوائها \* يخالطها حمر المنايا وسودها

شعارهم باسم النبي وراثة \* لها الله ظهري على من يكيدها

كهول وشبان يرون دمائكم \* ظهورا وثارات لها تستفيدها

كأني اراكم حين تختلف القنا \* وزال باكفال الرجال لبودها

ونحن نكر الخيل كرا عليكم \* كخطف عتاق الطير طيرا تصيدها

هنالك اما النفس بالغة العلى \* واما تراها قد ابين وريدها

فلا تجزعوا ان اعقب الله دولة \* وامست مناياكم قريبا بعيدها

قال سعيد لمعاوية : هذا الأم جليس، واشد فارس، واشغب شاعر، فما منعك منه ؟ فنظر اليه معاوية وقال : يا ابا الطفيل اتعرف هؤلاء النفر؟ قال : والله ما اعرفهم بخير ولا انكرهم من شر، قال معاوية : هذا عمرو بن العاص ومروان بن الحكم وسعيد بن احيحة وهذا ابن اخي عبد الرحمن بن ام الحكم، قال : اما عمرو فاقطعته مصر، واما سعيد فاقطعته مكة، وكان والي معاوية فيها، واما مروان فاقطعته الحجاز، وكان عاملا في مدينة النبي صلع، واما عبد الرحمن فاقطعته ام الحكم اختك، واما قول سعيد بن احيحة الأم جليس فهو الأم مني، واما قوله اشد فارس فانا صاحبكم يوم صفين، واما قوله اشغب شاعر فمعي لساني . فنظر معاوية الى القوم وقال : دعوا شيخكم، فقال ابو الطفيل : الآن يا معاوية لما شتموا عرضي واوعدوني من نواحي مجلسك تقول هذا، ثم قام الى منزله وكتب الى معاوية بهذا الشعر حين اصبح :

ايشمتني عمرو ومروان ضلّةً \* بحكم ابن هند والشقي سعيد

وحول ابن هند شامتون كأنهم \* اذا ما استفاضوا في الحديث قرود

يعضون من غيظ علي اكفهم \* وردك مما تعتليه شديد

وما سبّني الا ابن هند وانني \* لتلك التي يشجى بها لرصود

وما منعوه والرماح تنوشه \* وناقله رحب اللبان عتود

فطارت بعمرو في العجاجة شطبة \* ومروان من طعن الرماح بعيد

وما لسعيد همة غير نفسه \* وكل التي تخشونها ستعود

فلما شاعت هذه القصيدة دعاه معاوية فلم يعاتبه وادنى مجلسه واغضب ذلك عمرو بن العاص، ودخل ايضا ابو الطفيل على معاوية وعنده جماعة من قريش وغيرهم من اهل اليمن ووجوه الناس، فقال له معاوية : كيف حبك يا ابا الطفيل اليوم لعلي ؟ فقال ابو الطفيل : حب ام موسى لموسى، واشكو الى الله التقصير، فضحك معاوية وقال لكن هؤلاء النفر لم يكونوا ليقولوا فيّ مثل قولك، قال مروان : اجل وابيك ما كنا لنقول الباطل، قال ابو الطفيل : ولا الحق تقولون.

ومما اتت به الروايات عن تميم بن مالك القرشي قال : كتب معاوية الى زياد ابن ابيه ان ابعث الي خطباء اهل العراق وابعث اليّ صعصعة بن صوحان العبدي ففعل، فلما قدموا على معاوية خطبهم، فقال : قدمتم على امامكم وهو جنة لكم، يعطيكم مسألتكم، ولا يعظم في عينه كبير، ولا يحتقر لكم صغيرا، وقدمتم على ارض المحشر والمنشر والارض المقدسة وارض هجرة الانبياء، ثم قال في خطبته : لو ان ابا سفيان ولد الناس لكانوا كلهم اكياسا

فلما فرغ من خطبته قال لصعصعة قم فاخطب يا صعصعة، فقام صعصعة فحمد الله واثنى عليه وصلى على النبي صلع ثم قال : ان معاوية ذكر انا قدمنا على امامنا وهو جنة لنا، فما تكون حالنا اذا انخرقت الجنة ؟ وذكر انا قدمنا ارض المحشر والمنشر والارض المقدسة وارض هجرة الانبياء، والمحشر والمنشر لا يضر بعدها مؤمنا ولا ينفع قربها كافرا، والارض لا تقدس احدا، وانما يقدس العباد اعمالهم، ولما وطئها من الفراعنة اكثر مما وطئها من الانبياء، وذكر ابا سفيان وقال لو ولد الناس كلهم كانوا اكياسا، فقد ولدهم من هو خير من ابي سفيان آدم ع م فولد الاكيس والاحمق، فغضب معاوية وقال : اسكت لا ام لك ولا اب، فقال صعصعة : الام والاب ولداني، ومن الارض خرجت واليها اعود. فامر معاوية برد صعصعة الى زياد ثم كتب اليه : اقمه للناس ومره ان يعلن عليا، فان لم يفعله فاقتله، فاخبره زياد بما امره به فيه، واقامه للناس، فصعد المنبر فحمد الله واثنى عليه وصلى على النبي ثم قال : ايها الناس ان معاوية امرني ان العن عليا فالعنوه لعنه الله، ونزل فقال زياد لصعصعة لا اراك لعنت الا امير المؤمنين يعني معاوية، قال ان تركتها مبهمة والا بينتها، قال لتلعنن عليا او لانفذن فيك حكم امير المؤمنين، فصعد المنبر فقال : ايها الناس انهم قد ابوا علي الا ان اسب عليا عليه السلام، وقد قال رسول الله صلع من سب عليا فقد سبني، ومن سبني فقد سب الله، وما كنت بالذي اسب الله ورسوله . فكتب زياد بخبره الى معاوية، فامره بقطع عطائه وهدم داره، ففعل فمشى بعض الشيعة الى بعض فجمعوا له سبعين الفا.

وكان صعصعة بن صوحان واخوه زيد بن صوحان من اهل الفضل والولاية لامير المؤمنين علي ابن ابي طالب ع م، وممن صحب النبي صلع، وقد قال النبي صلع : ان عضوا من زيد سبقه الى الجنة وقد قدمنا ذلك .

ثم ان معاوية بن ابي سفيان لم يقنع بما ترك الامام الحسن بن علي ع م من الحطام، ولا ارتدع عن اكتساب الاوزار والآثام، بل كان ينصب للحسن بن علي ع م الحبائل، ويضمر له الغدر، ويبغيه الغوائل، فلم يمكنه منه ما اراد حتى دسّ اليه بالسم وتجرأ في قتله عظيم الاثم، لم يراقب الله سبحانه والرسول صلع ولم يخش وزرا بتجريه على سبط النبي وابن البتول، ومن قتل نفسا زكية بغير نفس فكأنما قتل الناس جميعا، ومن احياها كأنما احيا الناس جميعا، وتلك احقاد جاهلية واضغان اموية ورثها من ابي سفيان ابن حرب، وورثها ابنه يزيد المستحق للغضب واللعنة من الرب.

وعن يحي بن الحسين بن جعفر باسناده ان الحسن ع م سقي السم وان معاوية بعث الى امرأته جعدة ابنة الاشعث بن قيس مائة الف درهم، وكانت بينها وبين الامام الحسن بن علي ع م منازعة، وهم بطلاقها فارسل اليها معاوية سما لتسقيه اياه، ووعدها ان يزوجها من ابنه يزيد وان ينيلها من الدنيا شيئا كثيرا، فحملها ما كان بينها وبين الامام الحسن ع م وما تخوفت من طلاقه اياها وما عجله اليها معاوية وما وعدها على ان سقته ذلك السم . فاقام عليه السلام اربعين يوما في علة شديدة لذلك السم .

وكان مما حكي عن الحسن بن علي ع م انه قام الى المستحم وعنده اخوه الامام الحسين عليه السلام وجماعة من شيعتهما، ثم جاءهم فقال : ما جئتكم حتى لفظت طائفة من كبدي، ولقد سقيت السم مرارا، فما كان باشد علي من هذه المرة، وانا ميت، فقال الامام الحسين ع م فمن فعل بك يا اخي ؟ قال : وما تريد من ذلك ؟ اتريد ان تطلب بثاري ؟ دعني ومن صنع بي ذلك الى يوم القيامة بين يدي الله، ولا تحدث بعدي في ذلك حدثا، وفوض الامر اليه، واقامه مقامه الذي اقامه الله عز وجل ورسوله صلع، ونص عليه في محضر من شيعته، وعرفهم انه القائم في مقام الامامة بعده مع ما سبق اليهم واطلعوا عليه فيهما جميعا من رسول الله صلع ومن امير المؤمنين علي ابن ابي طالب ع م، واوصى الى اخيه الحسين ان يدفنه عند رسول الله صلع ان لم ينازع في ذلك منازع، فان نازعه في ذلك منازع ترك ذلك ودفنه في الجبانة الى جانب امه فاطمه ع م، وانتهى ذلك الى بني امية وما اوصى به الامام الحسن من دفنه عند رسول الله صلع فقالوا : لا والله لا يدفن فيه، وذلك قبل موت الحسن ع م، فانتهى ذلك اليه، فقال : اما اذا كان هذا هكذا فادفنوني في المقبرة الى جانب امي فاطمة، وقبض ع م في شهر ربيع الاول سنة تسع واربعين، وهو ابن سبع واربعين سنة.

ومما روي عن سفيان بن عيينة عن رقية عن مصقلة قال : لما نزل بالحسن عليه السلام الموت قال : اخرجوا فراشي الى صحن ا لدار فاخرجوه، فرفع رأسه الى السماء فقال : اللهم اني احتسب عندك نفسي فانها اعز الانفس علي ولم اصب مثلها، اللهم ارحم مصرعي وآنس في القبر وحدتي، ثم توفي.

فقام اخوه ابو عبد الله الامام الحسين بن علي ع م بتجهيزه وغسله، والبسه اكفانه وقال : لا ادفنه الا عند قبر رسول الله صلع وفي جواره، وانتهى ذلك الى سعيد بن العاص، وكان يومئذ عامل معاوية على المدينة، واتاه بنو امية فقالوا : ما انت صانع في امر هؤلاء ؟ يريدون ان يدفنوا حسنا في بيت رسول الله صلع وقد منعوا منه عثمان، فقال :ما كنت بالذي احول بينهم وبين ذلك، فغضب مروان بن الحكم وكان بالحضرة، وقال :ان كنت لا تصنع شيئا في هذا، فخل بيني وبينهم، فقال : انت وذاك، فجمع مروان بني امية وحشمهم ومواليهم واخذوا السلاح.

وقيل انه بلغ عائشة ابنة ابي بكر ما اوصى به الحسن ع م من دفنه مع رسول الله صلع فقيل انها قالت : ما بقي والله غير مكان قبر كنت رأيت ان ادفن فيه، فالحسن احق، وقيل بل منعت من ذلك لما اتاها الخبر، وركبت بغلا واستعدت بني امية، وذلك الاشهر، وقالت : اغلب على بيتي ويدفن فيه بغير اذني، وانما بقي موضع قبر اعددته لنفسي، وفيها يقول بعض الشعراء:

فيوما على بغل ويوما على جمل

وقيل :

ايا بنت ابي بكر \* ولا كان ولا كنت

تجملت تبغلت \* ولو عشت تفيلت

لك التسع من الثمن \* فبالكل تملكت

وبلغ الامام الحسين بن علي ع م ذلك فجمع اصحابه واخذوا لامتهم، وحمل النعش وخرج الناس ليصلوا عليه، وخرج سعيد ابن العاص، فدفع الامام ا لحسين بن علي ع م في قفا سعيد وقال له : تقدم فلو لا السنة ما قدمتك، يعني بذلك سنة التقية، لانه قد جاء من الائمة ع م ان يتقدم اهل التغلب في الصلوة، ويحسبهم الذي يصلي خلفهم كاحدى سواري المسجد، ويصلي لنفسه سرا، يكبر بتكبيرهم ويرفع بركوعهم في الصلوة المفروضة، وعلى ذلك كان امير المؤمنين علي ابن ابي طالب ع م يفعل ويوصي شيعته، والائمة الطاهرين من بعده ايام التغلب والتقية. وقد قال الامام الصادق جعفر بن محمد ع م : التقية ديني ودين آبائي الا في ثلاث : شرب المسكر والمسح على الخفين وترك الجهر ببسم الله الرحمن الرحيم فيما يجهر به . يعني ع م ان هذا لا تقية فيه، وفي غيره التقية واجبة، وعلى ذلك فعل الامام الحسين ع م فصلى عليه سعيد بن العاص، وانحاز بنو امية ومواليهم بالسلاح، وجعل مروان يقول :

يا رب هيجا هي خير من دعة

ايدفن عثمان بالبقيع ويدفن الحسن مع النبي، والله لا يكون ذلك ابدا وانا احمل السيف . فلما صلوا عليه قام عبد الله بن جعفر بن ابي طالب فاخذ بمقدم السرير ومضى نحو البقيع، فقال الامام الحسين بن علي ع م : الى اين يا عبد الله ؟ قال : عزمت عليك يا ابا عبد الله ان تلقح شرا، وجعل يسأله ويذكر له وصية الامام الحسن بن علي ع م في ان لا يهاج شر من اجله، وان يدفن بالبقيع الى جانب امه . ولم يزل به حتى اجابه الى ذلك.

وقد بلغ معاوية ابن ابي سفيان ان الحسن بن علي ع م اوصى ان يدفن مع رسول الله صلع فقال : ان صدق ظني مروان بن الحكم فانه سيمنع من ذلك، وجعل يقول : ايه مروان انت لها، فلما جاءه الخبر سرّ بما بلغه من ذلك، واثنى على مروان وعزل سعيد بن العاص عن المدينة وولى مروان لذلك.

فدفن الامام الحسن بن علي ع م عند قبر امه فاطمة بنت رسول الله صلع بالبقيع. ولما دفن الامام الحسن بن علي ع م قام على قبره اخوه محمد بن علي المكني بابن الحنفية باكيا، وقال : رحمك الله يا ابا محمد يا سبط رسول الله صلع لئن عزت حياتك لقد هدت وفاتك، فنعم الروح روح عمر به بدنك، ولنعم البدن بدن تضمنه كفنك، فكيف لا وانت سليل الهدى، وحليف اهل التقى، وخامس اصحاب الكساء، ربيت في حجر الاسلام، وضرعت ثدي الايمان، ولك السوابق العظمى، والغايات القصوى، وبك اصلح الله بين فئتين عظيمتين من المسلمين، ولمّ بك شعث الدين، فعليك السلام، فلقد طبت حيا وميتا وانشد شعرا:

اادهن رأسي ام تطيب مجالسي \* وخدك معفور وانت سليب

سأبكيك ما ناحت بقربي حمامة \* وما اخضر في دوح الرياض قضيب

غريب واكناف الحجار تحوطه \* الا كل من تحت التراب غريب

وروي عن ابي اليقظان قال : قدم البصرة بوفاة الامام الحسن ع م عبد الله بن سنان الهذلي مسرعا في السير بذلك، فقال الجارود بن ابي سبره في ذلك:

اذا ما بريد السوء اقبل نحونا \* باحدى الدواهي الربد سار واسرعا

فان يك شرا سار يوما وليلة \* وان كان خيرا قسط السير اربعا

ولما جاء خبره زياد ابن ابيه وهو زيادبن عبيد الذي ادعى معاوية اخوته، نعاه لجلسائه، وهو يومئذ بالكوفة، وخرج الحكم بن ابي العاص الثقفي فنعاه الناس، فعلت الاصوات بالبكاء عليه.

وروي عن عمرو بن بشير قال : قلت لابي اسحاق متى ذل الناس؟ قال : اذا مات الحسن بن علي ع م وقتل حجر بن عدي، وادعي زياد، ومات سعيد بن ابي وقاص في السنة التي مات فيها الحسن بن علي ع م، وقيل ان معاوية سقى سعدا ايضا .

ولما اتى معاوية موت الحسن بن علي ع م وهو بخضراء دمشق استفزه السرور فكبر، وكبر كذلك من حوله، واتصل التكبير فيه، فسمعه عبد الله بن عباس وهو في المسجد، وكان قد وفد على معاوية، وقد اذّن للناس، فقام فدخل عليه فوجده متهللا مسرورا، فقال : ان الحسن قد هلك، قال ابن العباس : فلذلك كبرت والله، ما عجل لك ذلك ما تريد، ولا زاد في اجلك، ولا سد حفرتك، وانك لصائر الى ما صاراليه، ولئن كنا قد اصبنا به لقد اصبنا بافضل منه رسول الله صلع، ثم جبر الله تلك المصيبة، فقال له معاوية : ما كلمناك يا ابن عباس الا وجدناك معدا للجواب، واخذ في حديث غير ذلك وتغافل عنه.

ولما قبض الامام الحسن بن علي ع م على يدي جعدة بما دس اليها معاوية من السم، وقد وعدها ان يزوجها ابنة يزيد فارسلت اليه تستنجز وعدها به، فقال :ان لي في يزيد حاجة ولست آمن ان يدس اليها فيه، كما دس اليها في الحسن، فضلّ سعيها وخسرت الدنيا والآخرة، وذلك هو الخسران المبين.

وكان الامام الحسن ع م يقول وهو في مرضه الذي مات فيه وقد بلغه ما صنعه معاوية: لقد علمت شربته، وبلغ امنيته، والله ما يفي بما وعد، ولا يصدق بما يقول، وقد قال الشاعر:

تأس فكم لك من اسولا \* تفرج عنك غليل الحزن

بموت النبي وقتل الوصي \* وقتل الحسين وسم الحسن

وكان اولاد الامام الحسن بن علي عليه السلام محمد الاكبر وبه يكنى، والحسن بن الحسن وامهما خولة بنت منظور وهي غطفانية، ومحمد الاصغر وجعفر وحمزة وفاطمة، وامهم ام كلثوم بنت الفضل ابن العباس بن عبد المطلب، وزيد وام الحسن وام الخير، وامهم ام بشر بنت ابي مسعود الانصاري، واسمه عقبة بن عمرو، واسماعيل ويعقوب وامهما جعدة بنت الاشعث بن قيس التي سمته لعنها الله، والقاسم وابو بكر وعبد الله قتلوا مع الحسين بن علي ع م بالطف وامهم ام ولد، وقيل ان اسم اسمهم بفيلة، وهي التي قال عبد الله بن الحسن للسفاح واشار اليها :

الم تر انه قد صار بيني \* قصورا نفعها لبني بفيلة

وحسين الاثرم وعبد الرحمن وام سلمة لام ولد تدعى ظمياء، وعمر لام ولد لا بقية له، وام عبد الله بنت الحسن، وهي ام ابي جعفر محمد الباقر، وامهما ام ولد تدعى صافية، وطلحة لا بقية له، وامه ام اسحاق بنت طلحة بن عبيد الله التيمي، وعبد الله الاصغر، وامه ام اسحق زينب بنت سبيع بن عبد الله البجلي اخي جرير بن عبد الله البجلي.

وعن الواقدي انه قال : كان لزيد بن الحسن بن علي ع م اولاد منهم محمد لام ولد لا بقية له، ونفيسة بنت زيد تزوجها الوليد بن عبد الملك الاموي، فتوفيت عنده، وامها لبانة بنت عبد الله بن عباس، وحسن بن زيد ولي المدينة لابي جعفر المنصور، وامه ام وند

وقال الواقدي : توفي زيد بن الحسن ببطحاء ابن زهر على اميال من المدينة، فحمل الى البقيع ولم تاريخ موته .

وكان للحسن بن الحسن بن علي ابن ابي طالب من الاولاد جماعة، منهم عبد الله بن الحسن بن الحسن، وحسن بن حسن بن الحسن، وابراهيم بن الحسن بن الحسن، وكلهم ماتوا في حبس ا لمنصور العباسي بالكوفة، وزينب بنت حسن بن الحسن تزوجها الوليد بن عبد الملك الاموي ثم فارقها، وام كلثوم بنت حسن، وام الجميع فاطمة بنت حسن وامها ام اسحاق بنت طلحة بن عبد الله، وجعفر بن حسن بن الحسن، وداود وام القاسم ومليلة لام ولد تدعى حبيبة فارسية، وام كلثوم لام ولد، فهؤلاء اولاد الحسن بن الحسن، ومن الحسن بن الحسن بن علي ابن ابي طالب كانت الذرية .

ومات عقيل بن ابي طالب بن عبد المطلب رضوان الله عليه في ايام ابن اخيه الامام الحسن بن علي ابن ابي طالب عليهم السلام سنة خمسين من الهجرة، وكان عقيل من اهل الفضل وان كان ليس يعدل علي ابن ابي طالب وجعفر بن ابي طالب، فقد عرف فضله وبان في الاسلام محله، وقد اوصى النبي صلع المهاجرين والانصار يوم بدر به وببني عبد المطلب خيرا، وقال : انما خرجوا مكرهين، واسلم فحسن اسلامه ورجع الى مكة، وهاجر الى المدينة سنة ثمان من الهجرة، وشهد مؤته مع اخيه جعفر بن ابي طالب، ووجد يوما خاتما من ذهب عليه تماثيل فنفله اياه رسول الله صلع بعد ان اتاه به، وكان رسول الله صلع اطعمه من خيبر مائة واربعين وسقا كل سنة، وشهد حنينا فكان من الفائزين، وكان النبي صلع قال لعقيل : يا ابا زيد اني احبك حبين : حبك لقرابتك، وحبا لحب ابي طالب اياك.

ولما قل ما في يد عقيل وكثر عياله في ايام اخيه علي امير المؤمنين ع م اتاه وقال له : اعطني من المال ما اتسع به كما اتسع الناس . فعرض عليه مما في يده فلم يقنعه، وقال : اعطني مما في يدك من مال المسلمين، فقال له : اما هذا فما لي اليه سبيل، ولكني اكتب لك الى ينبع فتأخذ منه . قال ما يرضيني ذلك شيئا، وكان بينهما في ذلك ما قصه امير المؤمنين علي ابن ابي طالب ع م في بعض خطبته حيث يقول : والله لان ابيت على حسك السعدان مسهدا، واجر في الاغلال مصفدا، احب الي من ان القى الله ورسوله ظالما لبعض العباد، غاضبا لشيء من الحطام، وكيف اظلم احدا لنفس يسرع الى البلى قفولها، ويطول في الثرى حلولها، والله لقد رأيت عقيلا وقد املق حتى استماحني من بركم صاعا، ورأيت صبيانه شعث الالوان من فقرهم كأنما اسودت وجوههم بالعظلم، وعاودني مؤكدا، واتبع قياده مفارقا طريقي، فاحميت له حديدة ثم ادنيتها من جسمه ليعتبر بها، فضج ضجيج ذي دنف من المها، وكان ان يحرق من ميسمها، فقلت له : ثكلتك الثواكل يا عقيل، اتئن من حديدة احماها انسانها للعبه، وتجرني الى نار سجرها جبارها لغضبه ؟ اتئن من الاذى، ولا ائن من لظى

ثم ان عقيلا قال : سأذهب الى رجل يعطيني فاتى معاوية، فسر معاوية بقدومه عليه، وجمع وجوه اهل الشام وقال لهم : هذا ابو يزيد عقيل بن ابي طالب، قد اختارنا على اخيه علي، ورآنا خيرا له منه، فقال عقيل : نعم انت خير لنا لما نريده من الدنيا من علي، وعلي خير لنفسه لما يريده من الآخرة منك لنفسك، فسكت معاوية .

ثم نظر الى اهل الشام وقال : في بني هاشم عزة وان كان فيهم مع ذلك لين، فقال عقيل : هو كذلك يا معاوية، ان فينا للينا في غير ضعف وعزة في غير صلف، وانتم بنو امية فلينكم غدر وعزكم كبر، ثم نظر الى معاوية وتفصفح وجوه من حوله وضحك، فقال له معاوية : ما اضحكـك يا ابا يزيد ؟ ا منا ضحكت ام من علي ؟ قال : ضحكت والله لما قسم الله تعالى لعلي، ان كنت في مجلسه فنظرت الى من حوله فلم ار غير المهاجرين والانصار، ونظرت الى من في مجلسك فلم ار غير الطلقاء وبقايا الاحزاب، فقال معاوية لاهل الشام : لا تعجبون من رجل يقول هذا القول، وانتم تقرأون قول الله تعالى : تبت يدا ابي لهب وتب، ما اغنى عنه ماله وما كسب، سيصلى نارا ذاب لهب، هو عم هذا وعم علي، ثم اقبل على عقيل فقال له : يا ابا يزيد : اين ترى عمك الآن ابا لهب في النار؟ وما هو الآن صانع فيها ؟ فاقبل عقيل على اهل الشام فقال : الا تعجبون من معاوية يقول هذا القول، وانتم تقرأون قول الله تعالى وامرأته حمالة الحطب، في جيدها حبل من مسد، وهي عمة معاوية، ثم اقبل على معاوية فقال : ان شئت ان تعلم اين مكان ابي لهب من النار وما هو الآن صانع فيها، فانت تراه فيها اذا دخلتها مفترشا عمتك حمالة الحطب، فتعلم حينئذ ان الراكب افضل من المركوب، فندم معاوية على اعتراضه اياه، وقال : ما كل هذا اردنا يا ابا يزيد، وانما اردنا ان نمازحك ونبسطك، قال عقيل : وكذلك انا ايضا اردت بسطك وممازحتك، قال معاوية : ونحن يا ابا يزيد بعد هذا نفعل بك ما لم يفعله علي بك، فقد انتهى الي انك سألته فمنعك، ونحن نعطيك دون ان تسألنا، اراد بذلك ليرضيه ليلين له في القول، فقال : نعم لقد سألت عليا فبذل لي ماله، فلم يرضيني وسألته دينه فمنعني، وانت تسمح بما منعه علي، وتبخل بما بذله، فسكت معاوية.

فلما انصرف اهل الشام عنه، دعى بمال كثير فاعطاه عقيلا، وقال : يا ابا يزيد قد كنا نحب مقامك عندنا، فاما بعد ما لقينا منك فانصرف الى مكانك، فقال عقيل : والله اني لارغب في ذلك منك فيه، وما كثرة عطائك اياي وقلته عندي الا سواء، وان فضل ما بينهما عندي يسير، وما كنت ممن يسمح لك بعرضه ونقصه طمعا فيما يناله منكم، وانصرف.

وعن عطاء بن رياح انه قال :رأيت عقيلا بن ابي طالب شيخا كبيرا ينزع بغرب على زمزم وعليها غروب كثيرة يسقي الحجيج، ومعه رجال من قومه ما معهم احد من مواليهم، وان اسافل قمصهم لمبتلة بالماء، ينزعون قبل الحج وفي ايام منى وبعد الحج، يبتغون بذلك الاجر لا يكلونه الى عبد لهم ولا مولى

وفي علي وعقيل يقول جعدة بن حبيرة المخزومي الذي امه ام هاني بنت ابي طالب شعرا :

انا من بني مخزوم ان كنت سائلا \* ومن هاشم امي لخير قبيل

فمن ذا الذي ينبو عليّ بخاله \* وخالي علي ذو الندى وعقيل

ومن اولاد عقيل مسلم، وقيل انه كان له ولد يسمى يزيد هو الاكبر من اولاده، وبه كان يكنى

وكانت وفاة عقيل بالمدينة في السنة التي ذكرناها من الهجرة، وهو الاصغر من اخيه طالب بن ابي طالب، وبينه وبينه عشر سنين، واكبر من جعفر وبينه وبينه عشر سنين

ولنرجع الى ذكر الامام الحسين عليه السلام

قام الامام ابو عبد الله الحسين بن علي ابن ابي طالب بامر الامامة، واعتقد امامته المؤمنون، وبايعه الخلصاء من شيعته وشيعة ابيه واخيه سرا، وقد ذكرنا فضائله وما اتى فيه وفي اخيه عن النبي صلع وما خصهما به وشرفهما مما لا يدعيه احد غيرهما، وهو احد الفرقدين لانه روي عن النبي صلع انه قال : اطلبوا ا الشمس فان غابت فاطلبوا القمر، فان غاب فاطلبوا الزهرة، فان غابت فاطلبوا الفرقدين، فكنى عن نفسه الشمس لظهور انواره عموم هدايته، وقد كنى عز وجل عنه بالسراج المنير بقوله تعالى : يا ايها النبي انا ارسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا وداعيا الى الله باذنه وسراجا منيرا، وقال تعالى في ذكر الشمس : وجعلنا سراجا وهاجا، فاذا كان النبي صلع الشمس كان القمر وصيه، والزهرة فاطمة بنت رسول الله صلع، والفرقدان السبطان، ولعمري انهم الذين تنظر بهم ثواقب العقول الى معالم الآخرة، وما اعد الله من ثوابه للمحسنين، وقدرة الله تعالى في السموات الغائبة عن العيان كما قال في بعض الصالحين : اصحبت كأني ارى اهل الجنة في الجنة واهل النار في النار. ومن ذلك قول النبي صلع : اصحابي كالنجوم بايهم اقتديتم اهتديتم، قالت المعتزلة والمرجئة ان افضل الصحبة صحبة من دخل معه الغار حين اخافه الكفار، وقد قدمنا قول علماء الشيعة ان دخول الغار بالمثلبة اشبه من المنقبة، اذ وقع معه الحزن الذي نهاه عنه الرسول صلع ولم يكن نبي الله ينهى الا عن المعصية والخلق المذموم، واعظم من ذلك انه حرم السكينة اذ نزلت على الرسول صلع ومنعها، وقد قال الله تعالى في موضع آخر من كتابه : فانزل الله السكينة على رسوله وعلى المؤمنين، واتوا في ذلك بحجج كثيرة وقالوا ان افضل الاصحاب علي ابن ابي طالب الذي صحب رسول الله صلع في اللوح المحفوظ، وصحبه في ساق العرش حين نظر آدم اليه وهو مكتوب : لا اله الا الله محمد رسول الله ايدته بعلي، فتلك الصحبة النافعة والطريقة الواضحة، واصحاب النبي حقا هم الائمة من ذريته الذين صحبوه على اقامة شريعته وهداية اهل ملته، فكان امير المؤمنين علي ابن ابي طالب والحسن و الحسين افضل الصحابة وخيرة القرابة .

فلم يزل الامام الحسين بن علي ع م كاظما لغيظه متجرعا لغصـصه يرى من معاوية واصحابه الاذى، وينظر الى ظلمهم لشيعته واهل بيته ذات قذى ايام تغلب معاوية ابن ابي سفيان، حتى اذا انقضت ايامه واتاه حمامه، تناهى بهم الظلم وجحود فضل اهل الفضل الى ان قصدوا لاولاد الرسول صلع بالقتل، وتألب اهل النفاق على اهل بيت الرسول صلع يتظاهرون يريدون ان يطفئوا نور الله بافواههم، ويأبى الله الاان يتم نوره ولو كره الكافرون . وبابعتهم الامة الخاسرة، متناهين بعد ظلم اهل بيت نبيهم الى القتل، واظهر اولوا الاضغان ما اكنوه للرسول من العداوة والغل.

## ذكر ما ذكر فيما كان من قتل الحسين بن علي من الاخبار، وما روي في ذلك عن النبي الصادق المختار

وروي عن ابراهيم بن ميمون باسناده عن امير المؤمنين علي ابن ابي طالب انه قال : جاء جبرئيل الى رسول الله صلع فقال : يا رسول الله ان الرعد ملك السحاب قد استأذن الله في زيارتك وهو آتيك، فبينا رسول الله صلع معنا اذ اتاه فسلم عليه، فقال :يا رعد هل لك في المنزل، قال نعم، فخرج رسول الله صلع والرعد حتى انتهيا الى المنزل، ثم دخل الحجرة، فدخل رسول الله صلع البيت، ووقف الرعد في الحجرة فقال رسو ل الله صلع ادخل، فقال انا لا ندخل بيتا فيه تصاوير، قال :وكان نمط لبعض ازواج رسول الله صلع فيه صور موضوع على فراش النبي صلع، قال: فما نصنع به ؟ انبيعه ؟ قال : لا ولكن ابسطوه وطؤا عليه، ففعل ذلك رسول الله صلع ودخل الرعد البيت، واستلقى رسول الله صلع وجاء الحسين بن علي عليه السلام وهو صبي صغير فقعد على بطنه، فقال له الرعد : من هذايا رسول الله ؟ قال : هذا ابني وابن بنتي، قال : ان امتك ستقتله من بعدك، فان شئت اريتك تربة البلاد التي يقتل فيها، قال رسول الله صلع نعم، فبسط جناحه نحو المشرق،وجاء بقبضة من تراب من كربلاء، فاعطاه النبي صلع، فخرج وهو يبكي ويقول : هذا ابني حسين ابن علي يقتل من بعدي.

وعن علي بن موسى الجهني باسناده عن علي بن صالح بن اربد قال : قال رسول الله صلع لام سلمة : اجلسي بالباب ولا يلجن علي احد، فجاء الحسين وهو وصيف فذهبت ام سملة لتناوله فسبقها الباب، قالت: فلما طال مكثه خفت ان يكون وجد علي رسول الله صلع فتطلعت من الباب فرأيته يقلّب بكفيه شيئا والصبي نائم على بطنه ودموع رسول الله صلع تسيل، فلما نظر الي قال ادخلي، قلت يا رسول الله صلع ان ابنك جاء فذهبت اتناوله فسبقني، فلما طال علي خفت ان يكون رجد علي رسول الله فتطلعت من الباب فرأيتك تقلّب بكفيك شيئا، ودموعك تسيل، والصبي نائم على بطنك، قال : ان جبريل اتاني بالتربة التي يقتل عليها، واخبرني ان امتي تقتله.

وروى محمد بن ربيعة الحضري باسناده عن رسول الله صلع قال : اتاني جبريل فقال :يا محمد ان امتك ستقتل ابنك حسينا من بعدك، قلت اولا اراجع الله فيه ؟ قال : انه امر كتبه الله عز وجل.

وعن سعد بن طريف عن ابي جعفر محمد بن علي ع م انه قال : دخل الحسين ع م على رسول الله صلع وهو غلام صغير فوضعه على بطنه، فاتاه جبرئيل فقال : يا محمد ابنك هذا تقتله امتك على رأس ستين سنة من هجرتك، ثم اراه التربة التي يقتل عليها

وعن ابن غسان باسناده عن زينب بنت جحش زوج النبي صلع، وانبة اميمة بنت عبد المطلب، انها قالت : كان رسول الله صلع في بيتي نائما، والحسين ابن علي ع م صبي صغير يجول في البيت، فجاء حتى جلس على بطن رسول الله صلع، فبال فبادرت لاخذه، فقال دعي ابني فتركته، حتى اذا فرغ صب عليه ماء، ثم احتضنه، وقام وصلى، وكان اذا قام احتضنه، واذا سجد وجلس وضعه على الارض، حتى قضى صلوته، ثم رأيته يدعو ويرفع يديه، فقلت : يا رسول الله لقد رأيتك تصنع في صلوتك هذه شيئا ما رأيتك تصنعه ابدا، فقال : ان جبريل اتاني فاخبرني ان ابني هذا يقتل بعدي، وقال ان شئت رأيتك من التربة التي يقتل عليها، فقلت ارني، فاراني تربة حمراء .

وعن محمد بن ابراهيم باسناده عن عن عائشة بنت ابي بكر قالت : اجلس رسول الله صلع الحسين على فخذه فاتاه جبريل فقال : يا محمد ان امتك ستقتل ابنك هذا من بعدك، فدمعت عينا رسول الله صلع فقال له جبريل : ان شئت اريتك التربة التي يقتل عليها، قال : نعم، فاتاه بتراب من تراب الطف.

وروى الدعشي باسناده عن الاصبغ بن نباتة : قال سرنا مع علي ع م الى شاطئ الفرات، فمر براهب، فقال له يا راهب اين العين التي ههنا ؟ قال : لا اعلم بها الا بالخبر، فانه يقال انه لا يعلم مكانها الا نبي او وصي نبي، فاخذ علي ع م مع الوادي وجعل ينظر يمينا وشمالا ثم قال : احفروا ههنا فحفروا، فوجدوا حجرا، فقال ارفعوه، فاذا عين ماء تحته، فشربنا وسقينا دوابنا، ثم قال لنا علي ع م يقتل ههنا فتية من آل محمد تبكي عليهم السماء والارض.

وعن القسم بن محمد الروزي باسناده عن شيبان بن مخزوم انه قال : بينا نحن نسير مع امير المؤمنين علي ابن ابي طالب ع م اذ بلغ كربلاء فقال : ما اسم هذا المكان ؟ قالوا : كربلا، قال كرب وبلاء، ثم نزل فقعد على رابية، ثم قال : يقتل في هذا الموضع شهيد خير شهداء على ظهر الارض بعد شهداء رسول الله صلع، ثم قام فنظرت فاذا عظام حمار، فقلت لغلامي خذ عظما، فاخذه ثم جاءني به فقلت له احفر ههنا حيث جلس امير المؤمنين عليه السلام، فحفر هنالك حفيرا فدفنت فيه العظم وابقيت شيئا يسيرا على وجه الارض ليرى موضعه، فلما قتل الحسين ع م قلت لاصحابي انطلقوا بنا الى المكان، فسرنا حتى انتهينا الى المكان الذي قتل فيه الحسين ع م فاذا جسد الحسين على العظم الذي دفنت واصحابه حوله.

وعن الاعمش عن ابي عبيد قال : كنا جلوسا فدخلت شاة فبعرت فقال بعض اصحاب علي ع م : لقد ذكرني هذا البعر حديثا سمعته عن امير المؤمنين علي ابن ابي طالب ع م، فقيل له هات بعض هناتكم معشر الشيعة، فقال : اقبلنا مع امير المؤمنين ع م من صفين حتى نزل بكربلاء، فصلى بنا صلوة الفجر بين شجرات حرمل، فلما قضى الصلوة انفتل فاذا هو ببعير غزال، فاخذه ففته وجعل يشمه، ثم قال : يحشر من هذا المكان يوم القيامة قوم يدخلون الجنة بغير حساب.

وقيل ان الامام الحسين اجتمع مع عبد الله بن جعفر عند معاوية فخرج بخروجه، فقال له جعفر :يا ابن رسول الله، ان لي الى يزيد حاجة، فلو وقفت معي اليه، فقال نعم، فاتياه، فاصاباه يشرب وعنده مسلم بن عمر الباهلي يغنيه، وكان يضرب الطنبور، وقيل انه اول من تغنى بالنصب بالبصرة، فحمل يزيد السكر علىان اذن لهما وهو على حالته، فلما رآه الحسين تعاظمه امره، فقال يزيد للساقي اسقهما، فنظر الحسين الى يزيد نظرا منكرا، وامسك الساقي هيبة له، فقال يزيد لمسلم : يا مسلم غنني شعرا

الا يا صاح للعجب \* دعوناه فلم يجب

الى القينات واللذات \* والشهوات والطرب

وفيهن التي تبلى \* فؤادك ثم لم تتب

وكان معاوية قد عهد الى يزيد لعنهما الله جميعا، فقال الحسين ع م اعهد الى الله عهدا لئن خلص الامر اليك وانا في الحياة لما اعطيتك الا السيف بعد ان شهدت عليك بهذا المشهد، وقام فخرج معه عبد الله بن جعفر، فقال يزيد لمسلم وهما موليان: غنني، فغنى :

تحمل اهلها عنها فبانوا \* على آثار من ذهب العفاء

فقال الحسين ع م بل عليك العفاء يا ملعون

ولم ينه ذلك معاوية عن ان اقام يزيد ونصبه اماما للمسلمين بزعمه وزعمهم يقدمهم في صلوتهم ويكون خليفة فيهم . ومعاوية ممن ساء حاله، ولم تصلح اعماله، وكفى باثمه العظيم فيما كان من سمه الحسن بن علي بن ابي طالب، سليل النبوة، واول القائمين بالامامة، وهو كان يفعل كفعل يزيد الا انه كان متكتما يجن النفاق ويظهرالاسلام . وقد قيل ان معاوية كان سبب ادخال الغناء الى ارض العرب، وانما كان الغناء عند العرب غناء الركبان فارسل معاوية الى ارض فارس فاتى برجلين يجيدان الغناء الخسرواني، واظهروا انهما بناءان وكان حينئذ يبني بناء له، فغنياه وانتشر هذا الغناء الخسرواني عنهما .

وكان معاوية اول من سمع الغناء، وقيل له : هذا الشعر الذي ينشدك الاعرابي الجلف الجافي فتستحسنه تنشدك اياه الجارية الحسنة الوجه الطيبة الرائحة بحلاوة منطقها، فقال جيئوا بها، فاتته مغنية فقال لها : انشديني، قيل له هو بلحنه احسن، فقال : هاتيه، فغنته فارتاح وطرب واجاز من فتح له ذلك واستحسنه.

وقيل ان معاوية سمع عند يزيد مغنيا يغنيه فوقف وراء الباب حتى اعي وهو يسمع، ثم دعى بكرسي، فجلس عليه حتى اصبح وهو يسمع غناءه.

وقيل ان اسقف نجران كتب الى معاوية يستعينه في بناء كنيسة فارسل اليه بمائتي الف درهم من بيت مال المسلمين .

وقيل ان معاوية ارسل بصور اصنام من ذهب وفضة ونحاس وبخمر الى ارض الهند يباع هنالك ممن يعبد الاصنام، وارسلها في سفينة، فمرت السفينة في البحر بموضع فيه مسروق، فاخبر بذلك فقال : والله لو لا علمت ان معاوية يقتلني لغرقت هذه السفينة، ولكني اخاف ان يعذبني فيفتنني في دين الله، وما ادري اي الرجلين معاوية، ارجل يئس من رحمة الله فهو لا يبالي ما صنع، ام رجل زين له سوء عمله فرآه حسنا .

ومما عيب على معاوية عهده الى ابنه يزيد بعده وهو غلام يشرب الشراب ويلهو بالكلاب. وقيل ان معاوية لما مرض مرضه الذي مات فيه جعلوا يقلبونه على فراشه، فقال : اي شيخ تقلبونه ان نجاه الله من النار، وقال : لو لا هواي ليزيد لابصرت رشدي.

وعن المسيب وغيره من جلة التابعين ان معاوية مرض مرضه الذي مات فيه واشتد قال لطبيبه كان يعالجه : ويحك ما ارى امر الا يتزايد بي، فهل بقيت عندك من حيلة ؟ قال : لا والله الا ان عندنا صليبا من ذهب، ما علقه عليه مريض الا برئ، قال فجئني به فاتاه به فعلّقه في عنقه فمات وهو معلق في عنقه .

وانه لما مات انزوى ما بين عينيه فصار ذلك الانزواء كتابا كافرا لا يراه احد الا قرأه كافر، وهو تصديق ما روي عن عبد الله بن عمر ابن العاص من طرق شتى وجهات انه قال : جلست عند رسول الله صلع وهو في جماعة من اصحابه فسمعته يقول : اول طالع يطلع عليكم من هذا الفج يموت على غير ملتي، قال عبد الله وكنت تركت ابي يلبس ثيابه ليأتي رسول الله صلع فما زالت عيني الى الطريق وكنت كحابس البول خوفا من ان يكون ابي هو الذي يطلع اذ طلع معاوية، فقال رسول الله صلع : هو هذا . فقال بعض من نقل الحديث : ما كان اسوء ظن عبد الله بابيه، فذلك لما يعلم من سوء حاله، وعمرو بن العاص اسوأ حالا من معاوية، وقد ذكرنا امره ما سنح ذكره.

وسمع عبد الله بن عباس حديث عبد الله بن عمر هذا، فقال : فاين كان عبد الله عن هذا الحديث حين قاتل عليا ع م مع معاوية، وكان لعبد الله في ذلك عذر لعله لم يكن علمه عبد الله بن عباس، وذلك انه قيل : كان يوما جالسا مع قوم، اذ مر بهم الامام الحسين بن علي ع م فقال عبد الله ابن عمر : اما والله انه لاحب اهل الارض الى اهل السماء، وما كلمني كلمة من ايام صفين، ولو كلمني ورضي عني لكان احب الي من حمر النعم.

وارسل اليه بعد ذلك من يرضاه فاخبر بما قال وسأله ان يأذن له، فاذن له فدخل عليه، فقال له الامام الحسين بن علي ع م : تعلم اني احب اهل الارض الى اهل السماء وقد سمعت رسول الله صلع يقول : الحسن والحسين سيدا شباب اهل الجنة وابوهما خير منهما ثم تقاتله ؟ فقال : يا بن رسول الله ما حملني على ذلك الا قول قاله لي رسول الله صلع شكاني اليه عمر في شيء، فقال لي : اطع اباك، فلما سار الى معاوية امرني بالمسير معه فاطعته كما امرني رسول الله صلع، فقال له الامام الحسين بن علي ع م : او لم تسمع قول الله تعالى في كتابه وقد امر ببر الوالدين ثم قال : وان جاهداك على ان تشرك بي ما ليس لك به علم فلا تطعهما، وقول رسول الله صلع : انما الطاعة في المعروف، فقال : كأني والله ما سمعته ولقد سمعته . وقيل ان ابن عمر تاب واستغفر الله تعالى مما كان منه اذ اطاع اباه في حرب علي ع م .

وكان موت معاوية وقيام ابنه يزيد اللعين سنة سبعين، وكان عمره خمسا وسبعين سنة . فلما انتهى علم معاوية الى المدينة وعليها مروان بن الحكم وسعيد ابن العاص عاملان لمعاوية فدعوا الناس الى البيعة ليزيد.

وعن سعيد بن عمر باسناده عن بشر بن غالب، قال: اني يوما لجالس عند الحسين ابن علي ع م اذ اتاه رجل فقال : يا ابا عبد الله سمعت رجلا يبكي لموت معاوية بن ابي سفيان، فقال الحسين ع م : لا ارقى الله دمعته، ولا اخرج همه، ولا كشف غمه، ولا سلى حزنه، اترى انه يكون من بعده من هو شر منه ؟ تربت يداه وفمه، اما والله لقد اصبح من النادمين.

ثم ان امير المؤمنين الحسين بن علي بن ابي طالب صلوات الله عليه لما رأى تغلب الظلمة وتداولهم للملك ومصير ملك الاسلام الى سفهائهم وغلمانهم من صبية النار واولاد الفجار، وبقية لعنة الله ولعنة رسوله ابناء الاحزاب وبقية الكفار، غضب لله وللاسلام وعزم علىالقيام استنجازا لوعد الله وما كتبه له من الفوز بالشهادة، واعده له من الزلفى والسعادة، مع علمه بما يرتكب منه ا لطاغون، ويناله من اعداء الله الضالون المضلون، لانه قد علم ذلك من غير واحد من الناس بما سمعوه من رسول الله صلع كيف وهو عيبة علم النبي والوصي، وامام كل مؤمن تقي، فامتنع عن البيعة ليزيد، واجتمع اليه شيعته واهل بيته، وجاءته كتب اهل الكوفة يسألونه القدوم عليهم، والوصول اليهم، ووعدوه ان ينصروه ويعينوه على دفع الظلم عن الاسلام ويوازروه.

فاصدر اليهم ابن عمه مسلم بن عقيل بين يديه لكي يذكرهم بفضله الذي هواهله ويدعوهم اليه، فقدم اليه مسلم بن عقيل رضوان الله عليه الى الكوفة مستترا، غير مظهرامره، واجتمع عليه اهل الكوفة، واخذ عليهم البيعة للامام الحسين بن علي ع م، وبلغ ذلك النعمان بن بشير الانصاري وهو عامل يزيد بن معاوية اللعين على الكوفة، فقال : ابن بنت رسول الله صلع خير لنا من ابن بنت بجدل. وامسك يده ولم يعترض بشيء، وتكاثر الشيعة واجتمعوا على البيعة . وبلغ ذلك يزيد اللعين فكتب الى عبيد الله بن زياد : اني قد وليتك الكوفة والبصرة واستعملتك عليها فبادر اليها قبل ان يصلها الحسين ابن علي، فانه قد صار بها مسلم ابن عقيل فاقتله .

فاقبل ابن زياد في خروجه باهل البصرة حتى اتى ا لكوفة متلثما متنكرا، وظن اهل الكوفة انه الامام الحسين بن علي ع م، فما مر بملأ منهم الا قالوا : السلام عليك يا بن رسول الله، فلم يزل كذلك حتى انتهى الى قصر الامارة، وفيه النعمان بن بشير، فقال النعمان - وهو يظنه الحسين عليه السلام – ما حملك على نزول بلدي من بين البلدان يابن رسول الله ؟ فحسر عبيد الله بن زياد عن لثامه وقال : لقد طال نومك يا نعمان ففتح له النعمان باب القصر اذ عرفه .

وكان مسلم بن عقيل في دار رجل يقال له عوسجة، فحين دخل ابن زياد تحول مسلم الى دار هانئ بن عروة المرادي، وخفي امره عن عبيد الله بن زياد . واراد ان يعلم علمه، فدعى مولى له واعطاه ثلاثة آلاف درهم، وقال له : اذهب فاسأل عن الرجل الذي يبايعه اهل الكوفة، واعلمه انك من شيعته، وادفع اليه هذا المال ليتقوى به، وائتني باخباره .

فلم يزل ذلك المولى اللعين يتلطف حتى دخل على مسلم بن عقيل وعنده هانئ بن عروة فبايعه ودفع المال اليه، ونافق له، واراه المودة لاهل البيت عليهم السلام، وكان يأتي عبيد الله بما يطلع عليه من اخبارهم وعرفه مقام مسلم في بيت هانئ بن عروة.

فارسل عبيد الله بن زياد الى هانئ بن عروة محمد بن الاشعث، فاتاه به، فلما نظر اليه ابن زياد قال له: يا هانئ اين مسلم؟ قال لا ادري، فجاء مولى ابن زياد الذي اعطاه الدراهم فقرر عليه مقام مسلم عنده، فلما رآه هانئ اسقط في يده وقال : والله ما دعوته وانما جاء فرمى بنفسه في منزلي.

وكان مسلم قد تحول ايضا من بيت هانئ بن عروة حين طلبه ابن زياد، فقال ابن زياد لهانئ بن عروة : ائتني بمسلم وعندي لك الصلة والمكانة عند امير المؤمنين يزيد، فقال هانئ : والله لو كان مسلم تحت قدمي ما رفعتها، فضربه ابن زياد بقضيب فشجه، ومال هانئ الى سيف شرطي ليأخذه فدفع عنه. وكانت مذحج اجتمعت على باب القصر لاجل هانئ، فاخرج اليهم القاضي شريحا فشهد بسلامة هانئ وانه لا يصل الشر اليه فتفرّقوا . وبلغ مسلم بن عقيل ما فعل بهانئ فامر مناديه فنادى بشعاره فاجتمع اليه اربعة آلاف من اهل الكوفة، فعبأهم وسار الى القصر، وكان عند زياد وجوه اهل الكوفة، فقال لهم : قوموا ففرّقوا اصحابكم والا ضربت اعناقكم، فخرجوا اليهم فخوفوهم ورود جموع الشام، ولم يزل كل بصاحبه، حتى اذا كان الليل تفرّقوا عن مسلم، وبقي وحده لا يدري اين يسلك، ولا يعلم حيث يذهب، ووجد عجوزا فاستسقاها ماء فسقته، وقالت : من انت؟ قال :انا مسلم بن عقيل، فادخلته بيتها وخبأته في مخدع عندها .

واصبح عبيد الله بن زياد يبحث عنه، ويبذل الرغائب لمن اتاه بخبره، وكانت العجوز التي آوته ام مولى لابن الاشعث، فاطلع ابنها على علمه، وانطلق فعرف سيده بخبره، فاعلم ابن الاشعث ابن زياد لعنهما الله، وامرمحمدا في جمع فلم يشعر مسلم رضوان الله عليه حتى احاطوا بالدار، فخرج عليهم كالليث المغضب فقاتلهم مليا من النهار، ودافعهم وقتل جماعة منهم. فحين علموا ان لا طاقة لهم به، قالوا هل لك في امان؟ وامنه ابن الاشعث على ان يخرج عن الكوفة وينطلق الى الحسين بن علي، فحين وقع في ايديهم غدر ابن الاشعث به وانتهب درعه وسيفه، واتى به نحو عبيد الله بن زياد، فامر به ابن زياد لعنة الله عليه فاصعد الى اعلىالقصر وضرب عنقه وعنق هانئ رحمة الله عليهما، وطرحا من اعلى القصر، ثم امر بجثتيهما فصلبا في الكناسة ففي ذلك يقول بعض شعراء الشيعة:

فان كنت لا تدرين ما الموت فانظري \* الى هانئ في السوق وابن عقيل

ترى جسدا قد غير الموت شخصه \* وهالت عليه الريح كل مهيل

اصابهما ريب المنون فاصبحا \* احاديث من يسعي بكل سبيل

وقال آخر في فعل ابن الاشعث وغدره بمسلم وخذله لهانئ رحمة الله عليهما :

وتركت عمك لم تقاتل دونه \* فشلا ولو قاتلت كان منيعا

وقتلت وافد آل بيت محمد \* وسلبت اسيافا له ودروعا

وبعث ابن زياد الى يزيد بن معاوية لعنهم الله جميعا برأس مسلم ورأس هانئ رحمهما الله، وكان رأس مسلم اول رأس هاشمي حمل في الاسلام.

وكان الامام الحسين بن علي ع م قد بعث قيس بن مشهر الى مسلم ابن عقيل ليعلم علمه فوجده قد قتل، وانتهى علم ابن مشهر الى ابن زياد اللعين، فاخذه اسيرا، وقال له : قم في الناس واشتم الكذاب ابن الكذاب يعني الحسين بن علي ع م، فقام ابن المشهر على المنبر فقال : ايها الناس اني تركت الحسين علي بالحاضر وانا رسوله اليكم لتنصروه، فعلن الله الكذاب ابن ا لكذاب عبيد الله ابن زياد، فامر به ابن زياد فطرح من القصر، فمات رحمة الله عليه.

واما خبر مسير المؤمنين ابي عبد الله الامام الحسين بن علي بن ابي طالب عليه السلام فانه لم يرسل مسلم بن عقيل ولم يسر اليهم حتى تواترت عليه الكتب من اهل الكوفة يعدونه النصرة، ويحثونه على القدوم عليهم، وكان ممن كتب اليه سليمان بن صرد والمسيب بن نجية الفزاري، ووجوه اهل الكوفة، وكان فيما كتبوه اليه : يا بن رسول الله وابن وصيه انه قد فشى فينا الجور وعمل فينا بغير كتاب الله وسنة رسوله، ونرجو ان يجمعنا الله بك على الحق، وينفي عنا الظلم، فانت احق بهذا الامر من يزيد الذي غصب الامة فيئها وشرب الخمور ولعب بالطنبور وتلاعب بالدين، فارسل اليهم مسلم بن عقيل.

وخرج الحسين ع م ليلة بيعة الناس ليزيد حين بلغ موت معاوية من مدينة الرسول صلوات الله عليه الى مكة المشرفة، وخرج من مسجد الرسول صلع وهو يتمثل بقول ابن مفرع ك

لا ذعرت السوام في فلق الصبح \* مغيرا ولا دعيت يزيدا

يوم اعطى من المهانة ضيما \* والمنايا يرصدنني ان احيدا

وكثرت الكتب من اهل الكوفة الى الامام الحسين بن علي عليه السلام وقالوا له : ان لم تصلنا فانت آثم، فعزم على المسير اليهم، فجاءه عبد الله بن عباس عليه السلام وقال له : ان اهل الكوفة قتلوا اباك وخذلوا اخاك وطعنوه وسلبوه واسلموه الى عدوه، وفعلوا ما فعلوا، فقال الامام الحسين بن علي عليه السلام : هذه كتبهم ورسلهم، وقد وجب علي المسير لقتال اعداء الله، واني لاعلم ما يصير اليه امري وامرهم، فبكى ابن عباس.

وذكر المسعودي ان ابن عباس قال للحسين : ان كرهت المقام بمكة خوفا من نفسك فسر الى اليمن، فان فيها عزلة ولنا بها انصار واعوان، وبها شعوب وقلاع، واكتب الى اهل الكوفة فان اخرجوا اميرهم وسلموها الى نائبك فسر اليهم، فانك ان سرت اليهم اليوم على هذه الحالة لم آمن عليك منهم، فان عصيتني فاترك اولادك اهلك فاني اخاف عليك وعليهم، فلما يئس ابن عباس رضي الله عنه من مقام الامام الحسين بن علي ع م ودعه وهو جازع لفقده .

ولقي ابن الزبير فقال له: الآن قرت عينك يابن الزبير، وانشد :

يا لك من قبرة بمعمر \* خلا لك الجو فبيضي واصفري

ونقّري ما شئت ان تنقري \*

واتى عبد الله بن الزبير الى الامام الحسين بن علي ع م وقال له : لو اقمت ههنا بايعناك فانت احق من يزيد، وكان يسر ابن الزبير خروج الامام الحسين بن علي ع م الى العراق من مكة فيخلو فيها، وانما قال له هذا اذ رآه مجدا على المسير وغير منته عنه، فقال له الحسين يمنعني من ذلك قول رسول الله صلع ان سيستحل الحرم من اجل رجل من قريش، والله لا اكون ذلك الرجل، صنع الله بي ما هو صانع . فكان ذلك الرجل الذي استحل به الحرم عبد الله بن الزبير.

وبكى محمد بن الحنفية رضي الله عنه لمسير اخيه الحسين ع م، وسأله المقام فابى عليه، وانشد ابيات اخي الاوس:

سأمضي فما في الموت عار على الفتى \* اذا ما نوى خيرا وجاهد مسلما

وواسى الرجال الصالحين بنفسه \* وفارق مثبورا وخالف محرما

فان عشت لم اذمم وان مت لم الم \* كفي بك ذلا ان تعيش وترغما

ثم قرأ : وكان امر الله قدرا مقدورا، واستودع الحسين اخاه محمدا رضي الله عنه لاهله وشيعته، واوصاه ان يسلم الامر لولده زين العابدين ع م .

وعن هشام الكلبي قال : كان مخرج الامام الحسين بن علي ع م من المدينة الى مكة يوم الاثنين لليلتين بقيتا من شهر رجب سنة ستين، ودخل مكة يوم الجمعة لثلاث مضين من شعبان، واقام بمكة شعبان وشهررمضان وشوال وذي القعدة، وخرج سائرا الى الكوفة لثمان مضين من ذي الحجة يوم الثلثاء، وذلك اليوم الذي قتل فيه مسلم بن عقيل بالكوفة .

وخرج الامام الحسين ع م من مكة سابع ذي الحجة سنة ستين، ولما انتهى الى بستان بني عامر لقي الفرزدق الشاعر، وكان ذلك يوم التروية، فقال له : الى اين يابن رسول الله عن الموسم ؟ فقال الحسين ع م لو لم اعجل لاخذت اخذا، فاخبرني يا فرزدق عما وراءك، فقال تركت الناس بالعراق قلوبهم معك وسيوفهم مع بني امية، فاتق الله في نفسك وارجع، فقال : يا فرزدق ان هؤلاء قوم لزموا طاعة الشيطان وتركوا طاعة الرحمن، واظهروا الفساد في الارض وابطلوا الحدود، وشربوا الخمور واستأثروا باموال الفقراء والمساكين، وانا اول من قام بنصرة دين الله واعزاز شرعه، والجهاد في سبيله لتكون كلمة الله هي العليا.

ولم يزل الامام الحسين بن علي صلوات الله عليه قاصدا للكوفة مغذا في السير، ولا علم له بامر مسلم بن عقيل رضوان الله عليه وقتله وتفرّق اهل الكوفة عنه وتسليمهم اياه.

وقد كان عبيد الله بن زياد قد ارسل الحر بن يزيد الحنظلي في خيل وامره ان يواقف الحسين بن علي عليه السلام حتى تأتي عساكر ابن زياد. فوافي الحر بن يزيد الحسين وبينه وبين القادسية ثلاثة اميال، فسلم عليه وقال : اين تريد يا بن رسول الله ؟ فقال له : اريد هذا المصر، قال له الحر : ارجع فوالله ما تركت خيرا خلفي، ان اهل الكوفة قد اسلموا مسلم بن عقيل وتفرقوا عنه، وانه قد استشهد ومعه هانئ بن عروة وان ابن زياد قد اعد الجيوش للقاءك، قالوا فهم الامام الحسين عليه السلام بالرجوع وكان معه اخوة مسلم بن عقيل فقالوا : والله لا نرجع حتى نصيب بثأرنا او نقتل، فقال الامام الحسين ع م لا خير في الحياة بعدكم.

وروى الواقدي وغيره قالوا : لما رحل الامام الحسين ع م من القادسية وقف يختار مكانا لينزل فيه، واذا سواد الخيل قد اقبل كالليل وكأن رأياتهم اجنحة النسور، واسنتهم اليعاسيب، فنزلوا بقبالتهم ومنعوهم الماء ثلاثة ايام .

وكان الامام الحسين بن علي عليه السلام في خمس واربعين فارسا ومائة راجل، فلما رأى الجيوش اقبلت مع عمرو بن سعد بن ابي وقاص وقد ارسلهم عبيد الله بن زياد اللعين لقتال الحسين ع م وولاه العسكر. فعدل الامام الحسين ع م الى كربلاء فاسند ظهره الى قصب، وحلف الا يقاتل الا من جانب واحد فضرب هنالك افنيته.

ولما ضرب عمرو بن سعد لعنه الله مضاربه بحيال الحسين ناداهم الامام الحسين ع م ما ذا تريدون منا؟ قالوا : نريد قتلك، قال : لم ؟ قالوا : لانك جئت لتفسد اهل هذا المصر يعنون الكوفة على امير المؤمنين، يعنون يزيد لعنه الله، قال : ما جئت لذلك، قالوا : بلى لقد صح ذلك عند امير المؤمنين، قال : فانا انصرف الى المدينة، قالوا: لا والله لا ندعك ان تنصرف، قال : فانا امضي الى يزيد حتى اضع يدي في يده، قالوا : لا الا ان تسلم نفسك الينا فنمضي بك الى الامير يعنون عبيد الله بن زياد فيحكم فيك بحكمه، فلما لم يجد فيهم غيرذلك قام خطيبا في اصحابه فحمد الله واثنى عليه وصلى على النبي وذكر فضله وقرابته منه ومكانه عنده، ثم قال : قد نزل ما ترون من الامر، وان الدنيا قد تغيرت وتنكرت وادبر معروفها وانشمرت وولت، حتى لم يبق فيها الا صبابة كصبابة الاناء والاخسيس عيش كالمرعى الوبيل، الا ترون ان الحق لا يعمل به، وان الباطل لا يتناهى عنه، فليرغب المؤمنون الى لقاء الله عز وجل فاني لا ارى الموت الا سعادة والحيوة مع الظالمين الباغين الا برما.

ولما علم الحسين بن علي عليه السلام ان القوم قاتلوه لعنهم الله لعنا وبيلا واصلاهم جهنم وساءت مصيرا، عرض على اصحابه واهله الانصراف وان يتفرقوا فبكوا وقالوا : قبح الله العيش بعدك، وسمعته اخته زينب ابنة امير المؤمنين عليه السلام فقامت تجر ذيولها وتقول : واثكلاه ليت الموت اعدمني الحياة، اليوم قتل علي، اليوم ماتت امي فاطمة امي، اليوم مات اخي الحسن، اليوم يا خليفة النبيين والوصيين يا ثمال الباقين، وجعل الامام الحسين بن علي بصبرها ويعظها .

ولما بان الصباح ونادى المنادي بحي على الفلاح يوم عاشوراء من المحرم وهو يوم الجمعة عبى ا لامام الحسين ع م اصحابه ميمنة وميسرة وقلبا، واعطى الرأية اخاه العباس بن علي ابن ابي طالب ع م وجعل البيوت والحرم وراء ظهره، وامر بالنار فاشعلت من خلفهم لتحول بينهم وبين من يريدهم من ورائهم، ثم نادى الحسين ع م اهل الكوفة : يا شيث ابن ربعي، يا حجار بن الحر، يا قيس بن الاشعث، يا زيد بن الحارث يا اهل الكوفة الم تكتبوا الي، فقالوا : لا ندري ما تقول .

قال المسعودي : ولم يشهد قتل الامام الحسين بن علي ع م احد من اهل الشام بل كانوا جميعا من اهل الكوفة، وكان الحر بن يزيد اليربوعي من سادات الكوفة فقال : بلى والله نحن الذين كاتبناك ونحن الذين اقدمناك، فابعد الله الباطل واهله، والله لا اختار الدنيا على الآخرة، ثم ضرب فرسه واقبل مسرعا حتى اتى الامام الحسين بن علي ع م فقال له الحسين : اهلا بك انت والله الحر في الدنيا والآخرة، ثم ان الحر نادى اهل الكوفة : ويحكم ولا ام لكم، انتم الذين اقدمتموه فلما اتى اسلمتموه فصار كالاسير منعتموه واهله الماء، وهو تشرب منه اليهود والنصارى والمجوس وتلغ فيه الكلاب، بئس ما خلفتم محمدا صلع في اهله وذريته، واذا لم تنصروه فدعوه يمشي في بلاد الله حيث احب، اما انتم بالله مؤمنون ؟ وبنبوة محمد صلع مصدقون ؟ وبالمعاد مؤقنون ؟ ثم حمل عليهم وقال :

اضرب في اعناقكم بالسيف \* عن خير من حل منى والخيف

وقتل منهم جماعة حتى تكاثروا عليه فقتل رحمة الله عليه. وحين رآهم الامام الحسين بن علي ع م علىالبغي مصرين وعن منعه الماء غير ممتنعين اخذ المصحف وجعله على رأسه وناداهم فقال : بيني وبينكم كتاب الله وجدي رسول الله صلع، يا قوم بما تستحلون دمي ؟ الست ابن بنت نبيكم ؟ الم يبلغكم قول جدي في وفي اخي هذان سيدا شباب اهل الجنة ؟ والتفت الامام الحسين عليه السلام واذا بطفل من اولاده يتلظى عطشانا فاخذه على يده وقال : يا قوم ان لم ترحموني فارحموا هذا الطفل، فرمى رجل منهم الطفل بسهم فقتله، فقال الامام الحسين بن علي ع م : اللهم احكم بيننا وبين قوم دعونا لينصرونا فقتلونا، وخفق الامام الحسين ع م برأسه خفقة ثم انتبه وهو يقول : رأيت في منامي رسول الله صلع وهو يقول : يا بني اصبر الساعة تأتي الينا، وجعل اصحاب عمر بن سعد ينادون اصحاب الامام الحسين بن علي ع م ويعدونهم الامان، وكان فيمن نادوه علي ابن الحسين الاصغر ع م وكان اخوه علي الاكبر عليلا، وقد اختلف في المقتول ذلك اليوم، فقال بعضهم هو الاصغر وقال بعضهم هو الاكبر، وسوف نذكر ما اتى في ذلك من القول . فقالوا لعلي بن الحسين ع م ان لك قرابة من امير المؤمنين، يعنون يزيد لعنه الله، يريدون ان ميمونة بنت ابي سفيان جدته لامه، ام ليلى ابنة ابي مرة، وامها ميمونة ابنة ابي سفيان، وهذا دليل على انه علي ابن الحسين الاصغر، فاما علي بن الحسين الاكبر فامه ام ولد وهي من بنات كسرى، فقالوا له : فان شئت آمناك وصرت الينا، فقال لهم علي ع م : قرابة رسول الله صلع احق ان ترعى، ثم حمل فيهم وهو يقول:

انا علي ابن ا لحسين ابن علي \* نحن وبيت الله اولى بالنبي

اضربكم بالسيف احمي عن ابي \* تالله لن يحكم فينا ابن الدعي

يعني عبيد الله بن زياد، ولم يزلد علي ابن الحسين ع م يحمل فيهم على فرسه ويقتل منهم، ثم يرجع الى ابيه فيقول : يا ابت العطش العطش، وكانوا قد منعوهم عن الفرات كما ذكرنا، واجهدهم العطش فيقول له الحسين : اصبر حبيبي فلعلك لا تمسي حتى يسقيك جدك رسول الله صلع، فلم يزل كذلك يحمل فيهم ويقتل منهم حتى اصاب حلقه سهم رمي به، ويقال بل حمل عليه مرة بن سعد بن النعمان لعنه الله من عبد القيس فطعنه فانفذه، فاخذه الحسين ع م فضمه اليه فجعل يقول له : يا ابت هذا رسول الله صلع يقول لي: عجل بالقدوم علينا، ولم يزل كذلك على صدره عليهما السلام حتى مات، فلما نظر اليه ع م ميتا قال : على الدنيا بعدك العفا

ولم يزل اصحاب الامام الحسين بن علي عليهما السلام ورحمة الله عليهم اجمعين ورضوانه يقاتلون ويقتلون من اصحاب عمر بن سعد ويقتلون منهم حتى قتلوا اعدادهم وقتلوا واحد بعد واحد.

وفيما رواه اسماعيل بن اويس عن ابي عبد الله جعفر بن محمد صلوات الله عليه انه قال : عبأ الحسين بن علي ع م اصحابه يوم الطف فاعطىالرأية اخاه العباس بن علي، وسمى العباس السقاء لان الحسين ع م عطش يومئذ وقد منعوه الماء، فاخذ العباس قربة ومضى نحو الماء واتبعه اخوته ولد علي عليه السلام عثمان وعبد الله وجعفر، فكشفوا اصحاب عمر بن سعد عن الماء بعد ان قتلوا منهم كثيرا، وملأ العباس القربة وجاء بها يحملها على ظهره الى اخيه الحسين صلوات الله عليه وحده وقد قتل اخوته عثمان وجعفر وعبد الله في المعركة رضوان الله عليهم ورحمته، ولم يكن لاحد منهم عقب فورثهم العباس وقتل بعدهم يومئذ بعد ان ابلى وحمل كرات فكشفهم عن الماء رضوان الله ورحمته عليه وسلامه، وخلف عبيد الله بن العباس بن علي، وبقي محمد عمر ابنا علي، وكان العباس وعثمان وجعفر وعبد الله بنو علي ع م اشقاء امهم ام البنين بنت جميل بن خالد بن ربيعة بن الوليد، وكان العباس بن علي السقاء رضوان الله عليه يحمل وحده على الذين حالوا دون الماء، فيكشفهم عنه ويضرب فيهم حتى ينفرجوا، فيأتي الفرات فميلأ القربة ويحملها ويأتي بها الحسين فيواسي الاطفال الذين معه بما يجيء به من الماء قليلا قليلاحتى تكاثروا على العباس رض واثخن جراحة بالنبل فقتلوه رحمة الله عليه ورضوانه وكان الذي يلي قتله يزيد بن زياد الحنفي واخذ سلبه حكيم ابن الطفيل الطائي لعنهما الله، وقيل ان الطائي شرك في قتله، وقطعوا يديه ورجليه لعنهم الله حنقا عليه لما ابلى فيهم، وكان قتله رحمة الله عليه وهو يحمل الماء بين الفرات والسرادق.

وفيه يقول الفضل بن محمد بن الفضل بن الحسن بن عبد الله بن العباس ابن علي ابن ابي طالب ع م يرثيه وهو جده :

احق الناس ان يبكى عليه\* اذا بكي الحسين بكربلاء

اخوه وابن والده علي \* ابو الفضل المضرج بالدماء

ومن آساه لا يثنيه شيء \* فجاء له على عطش بماء

وقتل العباس بن علي يومئذ وهو ابن اربع وثلاثين سنة، وقتل عبد الله ابن علي وهو ابن سبعة عشر سنة، وقتل جعفر بن علي وهو ابن تسعة عشر سنة .

وقتل مع الحسين بن علي ع م يوم قتل ابنه علي ابن الحسين وقد قدمنا ذكره، وعبد الله بن الحسين طفلا رمي وهو في حجرابيه، وقد ذكرناه، وامهما الرباب بنت امرء القيس بن حارث بن كعب بن عليم بن كلب، وكانت ام سكينة ابنة الحسين ع م ايضا، وكان الحسين عليه السلام يحبهما وفيها يقول :

لعمري انني لاحب دارا \* تحل بها السكينة والرباب

وقد قيل ان ام علي بن الحسين القتيل بالطف غير الرباب وانها ام ليلى ابنة مرة والله اعلم .

وقتل معه يومئذ ابو بكر بن الحسين بن علي ابن ابي طالب، وهو لام ولد، رماه حرملة الكاهلي بسهم فاصابه فمات منه.

وقتل معه القاسم بن اخيه الحسن قتله عمر بن سعيد بن عمر بن نفيل الازدي لعنه الله . قال حميد بن مسلم : رأيت القاسم بن الحسن بن علي ابن ابي طالب يوم الطف وقد خرج الينا وهو غلام، وكان وجهه شقة قمر عليه قميص قد انقطع شيع نعله اليسرى، فقال لي عمر بن سعد وهو الى جانبي، والله لاقتلنه، قلت : وما الذي تريد من قتل هذا ؟ فلم يلتفت الي وحمل اليه فضربه فصرعه، فنادى يا عماه فثار اليه الحسين ابن علي فضرب عمر بالسيف فاتقاه عمر بيده فابانها من المرفق وادبر، وحملت عليه خيل الكوفة ليحملوه فحمل عليهم الحسين ع م فنكصوا عنه ووطئوه فقتلوه، ووقف الحسين ع م على الغلام فقال : عز على عمك يا بني ان تدعوه فلا يجيبك، او يجيبك فلا ينفعك، ويل لقوم قتلوك، ومن خصمهم فيك يوم القيامة، ثم امر به فاحتمل فكأني انظر اليه ورجلاه يخطان في الارض حتى وضع مع علي ابن الحسين ع م، وسمعتهم يقولون : هذا القاسم بن الحسن بن علي .

وقتل يومئذ عبد الله بن الحسن بن علي ابن ابي طالب لام ولد وكان الحسين ع م قد زوجه ابنته سكينة، فقتل يومئذ قبل ان يبنى بها

فهؤلاء الذين قتلوا معه واستشهدوا من اولاد اخيه الحسن بن علي رضوان الله ورحمته وبركاته عليهم، ولعنة الله علىالظالمين لآل رسوله الصادين عن سبيله .

وقتل يومئذ مع الحسين بن علي ابن ابي طالب عليه السلام من ولد عقيل بن ابي طالب عبد الرحمن بن عقيل، وامه ام ولد قتله عثمان بن خالد الجهني لعنه الله، وعبد الله بن عقيل رض وامه ام ولد قتله عمرو بن صبيح الصداني لعنه الله بسهم رماه به، وجعفر بن عقيل وامه ام البنين بنت النعمان قتله بشر بن حوط الهمداني لعنه الله، وعبد الله بن مسلم بن عقيل امه رقية بنت علي بن ابي طالب عليه السلام، وقتله عمرو بن صبيح الصداني لعنه الله، ويقال اسيد بن مالك .

وفي الشهداء من اهل البيت عليهم السلام مع الحسين بن علي ع م يقول سراقة البارقي :

عين بكى بعبرة وعويل \* واندبي ان ندبت آل الرسول

تسعة منهم لصلب علي \* قد ابيدوا وسبعة لعقيل

لعن الله حيث كان زيادا \* وابنه العوراء ذات البعول

يعني سمية ام زياد

وعن ابراهيم بن محمد باسناده عن محمد بن علي الحنفية رضوان الله عليه قال : قتل منا مع الحسين عليه السلام تسعة عشر شابا كلهم ارتكض في جوف فاطمة عليها السلام.

وقاتل اصحاب الامام الحسين بن علي حتى قتلوا جميعا، وقتلوا من الظالمين اعداد جمة .

وبقي الحسين صلى الله عليه وحده بعد ان استشهد اصحابه كل ما حمل عليه جنود الطغام المعادون له حمل عليهم فردهم على الادبار وجدّ لهم ضربا بسيفه ذي الفقار.

وروى الزبير بن بكار باسناده عن المدائني قال : لما قتل حول الحسين ع م جميع من كان معه وبقي الحسين صلوات الله عليه عامة النهار لا يتقدم عليه احد الا انصرف عنه، وكره ان يتولى قتله، حتى حمل رجل من كندة يقال له مالك بن بشير، فضربه على رأسه وعليه برنس فقطع البرنس ودخل السيف الى رأس الحسين فارداه، فقال له الحسين ع م : لا اكلت بيمينك ولا شربت بها وحشرك الله مع الظالمين، ورمى الحسين ابن علي ع م بالبرنس ولبس قلنسوة واعتم عليها وتنحى وقعد، واقتل الشمر بن ذي الجوشن لعنه الله وترك الحسين ع م ومضى نحو رحله فيمن تبعه فمشى اليهم الحسين بن علي ع م، فحالوا بينه وبين رحله واقدموا عليه واحاطوا به فقاتل ع م حتى انكشفوا عنه وقتل منهم جماعة، ثم تصايح آخرون فاحاطوا به، قال عبيد الله بن عمارة بن عبد يغوث : ما رأيت قط اربط جأشا من الحسين ع م قتل ولده وجميع اصحابه حوله واحاطت به الكتائب، فوالله لكان يشد عليهم فينكشفوا عنه انكشاف المعزى شد عليهم الاسد. فمكث مليا والناس يدافعونه ويكرهون الاقدام عليه، وجرح ع م بالنبل جراحات كثيرة وثبت لهم، وقد اوهنته الجراح، فاحجموا عنه فصاح بهم شمر اللعين : ما تنتظرون؟ فتعاوروه بالنبل ثم حمل عليه سنان بن انس النخعي فطعنه فاثبته واجهز عليه خولي بن يزيد الاصبحي، وقيل شمر بن ذي الجوشن لعنهم الله جميعا، فاجتز رأسه واتى به الى عبيد الله بن زياد اللعين وهو يقول :

اوفر ركابي فضة وذهبا

انا قتلت الملك المحجبا

قتلت خير الناس اما وابا

فاستشهد صلى الله عليه ورحمته وبركاته وسلامه ورضوانه يوم عاشوراء من شهر المحرم اول شهور سنة احدى وتسعين.

ولما قتل عليه السلام انتبهوا ما كان في عسكره معه ومع اصحابه من الامتعة والاسلحة والمال والكراع وساقوا من كان معهم من الحرام سبايا، وكان الذين اسروا ممن كان مع الحسين بن علي عليه السلام من اهل بيته بعد مقتل من قتل منهم يومئذ علي بن الحسين زين العابدين، وكان عليلا دنفا، وكان يومئذ ابن ثلاث وعشرين سنة، وابنه محمد بن علي الباقر، وكان يومئذ طفلا، والحسن بن الحسن، عبد الله بن الحسن، والقاسم بن عبد الله بن جعفر، وعمرو بن الحسن، ومحمد ابن الحسن، ومحمد بن عمرو بن الحسن، ومحمد بن عقيل، والقاسم ابن محمد بن جعفر بن ابي طالب، وعبد الله بن عباس بن علي بن ابي طالب .

ومن النساء ام كلثوم بنت علي بن ابي طالب، وام الحسن بنت علي بن ابي طالب، وفاطمة وسكينة ابنة الحسين بن علي ابن ابي طالب .

وقيل ان زينب بنت عقيل بن ابي طالب خرجت على الناس بالبقيع تبكي قتلاها بالطف وهي تقول :

ما ذا تقولون ان قال النبي لكم \* ما ذا فعلتم وانتم آخر الامم

باهل بيتي وقد اضحوا بحضرتكم \* منهم اسارى وقتلى ضرجوا بدم

هل كان هذا جزائي اذ نصحت لكم \* ان تخلفوني بسوء في ذوي رحم

ومضوا بالامام علي ابن الحسين عليه السلام وهو شديد العلة لا يعقل ما هو فيه.قال الامام علي ابن الحسين ع م فمما فهمته وعقلته يومئذ مع علتي وشدتها انه اتي به الى عمرو بن سعد لعنه الله فلما رأى ما بي اعرض عني، فبقيت مطروحا لما بي، فاتاني رجل من اهل الشام فاحتملني فمضى بي وهو يبكي وقال لي : يا بن رسول الله اني اخاف عليك، فكن عندي، ومضى بي الى رحله فاكرم نزلي، وكان كلما نظر الي بكى فكنت اقول في نفسي ان يكن عند احد من هؤلاء خير فعند هذا الرجل . فلما صرنا الى عبيد الله بن زياد سأل عني فقيل : قد ترك وطلبت فلم اوجد، فنادى مناديه من وجد علي بن الحسين فليأت به وله ثلثمائة درهم . فدخل علي الرجل الذي كنت عنده و هو يبكي وجعل يربط يدي الى عنقي ويقول : اخاف على نفسي يا بن رسول الله ان سترتك عنهم ان يقتلوني، واخذني فدفعني اليهم مربوطا واخذ الثلثمائة درهم وانا انظر اليه.

ومضى بعلي بن الحسين ع م الى عبيد الله بن زياد اللعين، فلما صار بين يديه قال : من انت ؟ قال : انا علي ابن الحسين . قال : اولم يقتل الله علي ابن الحسين ؟ قال : كان اخي قد قتله الناس . قال عبيد الله بن زياد : بل قتله الله . فقال الامام علي بن الحسين عليه السلام : الله يتوفى الانفس حين موتها، فامر عبيد الله بن زياد اللعين بقتل علي ابن الحسين، فصاحت زينب بنت علي : يا بن زياد حسبك من دمائنا اناشدك الله ان قتلته الا قتلتني معه . فتركه وحماه الله منه ودفع عنه لما اراد الله تعالى من بقاء كلمة الله فيه وفي عقبه، وبقاء الامامة في ذريته.

وعن ابن ابي اويس عن ابيه عن جعفر بن محمد ع م قال : وجد في الحسين بعد ان قتل ثلاثة وثلاثين طعنة واربعا واربعين ضربة، ووجد في جبة خز كانت عليه مائة خرق وبضعة عشر خرقا من بين طعنة او ضربة او رمية .

وروي عن ابي مخنف قال : اخذ بحر بن كعب سراويل الحسين ع م فكانت يداه يقطران دما في الشتاء، فاذا اصاف يبستا فكانتا كالعود اليابس . واخذ قطيفة كانت معه قيس بن الاشعث فكان يقال له قيس قطيفة، واخذ برنسه مالك بن بشير الكندي وكان من خز، فاتى به امرأته فقالت له : اسلب الحسين ع م تدخله بيتي ؟ اخرجه والله لا دخل بيتنا ابدا . فلم يزل فقيرا محتاجا حتى هلك. وانتهب الناس روسا من عسكر الحسين ع م فما استعملته امرأة الا برصت، وذلك فيما روي عن محمد بن الحكم باسناده عن بشار بن ا لحكم عن امه، وفي روايات كثيرة من طرق شتى ان السماء مطرت بعد قتل الحسين ع م دما، فاحمرت منه البيوت والحيطان، وكان ذلك بالبصرة والكوفة والشام والخراسان.

ومما روي عن محمد بن سيرين انه قال : لم نر هذه الحمرة في افق السماء حتى قتل الحسين ع م، قال: وبقيت الحمرة بعد قتل الحسين ع م ستة اشهر .

وروي عن امرأة كعب قالت : قيل له قتل الحسين بن علي ع م، قال : لا والله لو قتل نهارا لما امسيتم حتى تروا لذلك علامة، ولو قتل ليلا لما اصبحتم حتى تروا لذلك علامة . قالت :فلما امسوا احمر افق السماء فقال : نعم، الآن قتل الحسين ع م، وبكت السماء عليه كما بكت على يحي بن زكريا.

وروي عن الحسن بن داود باسناده عن ام سلمة زوج النبي صلع انها قالت : رأيت النبي صلع في منامي يبكي، فقلت : يا رسول الله ما يبكيك ؟ قال : قتل ابني الحسين، فلما اصبحت جاءنا نعيه.

واتى محمد بن ميمون باسناده الى عبد الله بن العباس رض قال : رأيت رسول الله صلع في النوم اغبر ومعه قارورة فيها دم، فقال لي : لم ازل منذ الليلة التقط دم الحسين واصحابه، وكان ذلك يوم قتل الحسين بن علي ع م .

وعن ابي نعيم باسناده عن ام سلمة رضوان الله عليها، انها لما بلغها مقتل الامام الحسين بن علي عليه السلام صربت قبة سوداء في مسجد رسول الله صلع ولبست السواد.

وروى الحسين بن جعفر بن موسى باسناده الى ام سلمة انها قالت: سمعت رسول الله صلع يقول : الا ان ابني الحسين مقتول، فوالله لو اشترك في قتله اهل السموات والارض لادخلهم الله عز وجل كلهم في النار، الا وان ما بين قبري وقبر الحسين روضة من رياض الجنة . الا وان قبر الحسين على ترعة من ترع الجنة، الا وان كربلاء ارض من ارض الجنة، ثم التفت الى جابر بن عبد الله فقال له : يا جابر زر قبر ابني الحسين فان زيارته تعدل مائة حجة.

وعن محمد بن بشير باسناده عن ابي عبد الله جعفر بن محمد ع م انه قال : اذا كان يوم القيامة وضع لفاطمة عليها السلام سرادق من نور بين يدي منبر رسول الله صلع فتكون فيه، ثم ينادي مناديا معشر الخلائق، هذه فاطمة بنت محمد صلع تريد ان تجوز الصراط، فطأطئوا رؤسكم، ثم يقال لها يا فاطمة، قومي الى منزلك، فاذا وضعت رجلها في باب السرادق قيل لها : يا فاطمة التفتي، فتلفتت فاذا الحسين ع م قائم الى جنب منبر رسول الله صلع جسد بلا رأس، فتصرخ صرخة لا يبقى نبي مرسل ولا ملك مقرب الا جثى على ركبتيه ونحن معها، ثم تفيق والحسين ع م يمسح وجهها بكمه ورأسه عليه، ثم يدعى بقاتله واشياعه وكل من اعان عليه الى النار، قال ابو جعفر فما ظنكم بمن يكون رسول الله صلع خصمه.

ومما ورد في ما نال قاتلي الحسين عليه السلام ومن اعانهم وعجل لهم في الدنيا، ولعذاب الله جل وعلا في الآخرة اشد واخزى، وروي عن محمد بن ابراهيم التميمي باسناده عن عبد الله بن العباس انه قال : اوحى الله عز وجل الى نبيه محمد صلع فيما اوحى، اني قتلت بدم يحي بن زكريا سبعين الفا، واني اقتل بدم الحسين ع م سبعين الفا وسبعين الفا، هذا ما روي عن ابن عباس.

ونقول انه قد قتل بعد مقتل الحسين ع م من اهل الكوفة زهاء ذلك، وما هو الا جزاء لهم بما فعلوه من قتل الحسين ع م وخذله.

وروي عن سليمان بن ابي فاطمة باسناده عن جوبير بن سعيد قال : امسى رجل من الحي صحيحا واصبح اعمى، فمررت بكرة ببابه والناس يسألونه ما الذي اصابك ؟ فقال رأيت رسول الله صلع الليلة في منامي وبين يديه طشت، وبيده سكين وهو يقول : ائتوني بقتلة الحسين ع م، ولا يؤتى باحد الا ذبحه في ذلك الطشت وجيء بي اليه فقال لي : انت ممن قتل الحسين؟ فقلت يا رسول الله شهدته، والله ما رميت بسهم ولا طعنت برمح ولا ضربت بسيف، فقال لي : لا والله ولكنك سوّدت وكثرت ثم اخذ من ذلك الدم باصبعه فاهوى به الى عيني فاصبحت كما ترون.

وعن سليمان بن ابي فاطمة باسناده عن ابي الصلت بن الوليد قال : تذاكرنا يوما ونحن في مجلس انه لم يفلت ممن شرك في قتل الحسين ع م احد الا قتل او اصابته عقوبة، فقال رجل ممن كان في المجلس قد شهدت قتل الحسين وما اصابني شيء اكرهه الى اليوم، فما قام من المجلس حتى مرّ غلام في يده مجمرة فيها نار، فطارت شرارات فتعلقت بثياب ذلك الرجل، وهبت ريح فاضرمتها نارا فاحترق ومات .

وعن علي ابن الصلت قال : جاء رجل الى السدي فقال له : اني شهدت قتل الحسين ع م والله ما طعنت برمح ولا ضربت بسيف فرأيت في المنام كأن القيامة قد قامت، وكأن الناس قد حشروا، فمررت برسول الله صلع فقال لي : اشهدت حسينا ؟ قلت :نعم ووالله ما ضربت بسيف ولا طعنت برمح، فبخص باصبعه في عيني فاصبحت اعمى، فقال له السدي : فترو من الماء البارد.

وعن عبد الله بن ادريس عن الربيع بن حسم انه ذكر له قتل الحسين ع م فقال :والله لو كنت فيمن قتله ثم ادخلت الجنة لاستحييت ان ارى رسول الله محمدا صلع او يراني وقد اعنت على قتل الحسين ابنه.

وروي عن موسى بن اسحاق باسناده عن عبد الملك بن عمير قال : كان لنا جار في بني ساعدة جسده ابيض ورأسه ووجهه اسود، فقلت : يا عبد الله ما هذا الذي بك ؟ قال : اما اني ما حدثت احدا وسأحدثك به، شهدت عسكرعمرو بن سعد فاخذت رأسا من رؤوس اصحاب الحسبن ع م فاصبحت وقد اصابني ما ترى، وما انام من ذلك الوقت الا رأيت ذلك الرأس كأنه يكبني في النار، وقد عرفت بذلك اهلي، فاذا علموا اني قد نمت ورأيت ذلك ايقظوني .

وجاء عن هارون بن حاتم باسناده عن ابي بصير الحضرمي قال : رأيت رجلا اعمى وحيش العمى، فقلت يا عبد الله كيف ذهب بصرك؟ قال : كنت مع عمرو بن سعد، فلما ان قتل الحسين ع م رأيت رسول الله صلع في النوم، وبين يديه طشت من ذهب فيه دم، وريشة في الدم ليس يمر به احد ممن اعان على قتل الحسين بن علي ع م الا جعل في عينيه من ذلك الدم، فمررت به فاهوى به الي، فقلت : يا رسول الله لا تفعل، فوالله ما رميت بسهم ولا طعنت برمح ولا ضربت بسيف، قال : اليس قد كثرت؟ قلت : بلى، فادخل اصبعه المسبحة والوسطى في ذلك الدم ثم اهوى بهما نحو عيني، فاصبحت وقد ذهب بصري.

وعن عبد الرحمن بن فضل قال : كنت قاعدا فجاء رجل فجلس الى جانبي، فاذا هو يفوح رائحة قطران، وكنت لا احتملها فقلت : يا عبد الله اتبيع القطران ؟ قال : لا، قلت :فما هذه الرائحة التي اجدها منك ؟ قال :شهدت عسكر عمرو بن سعد فكنت ابيعهم اوتاد الحديد، فلما ان قتل الحسين ع م بت في العسكر فرأيت رسول الله صلع في منامي معه علي ابن ابي طالب ع م يسقي الماء كل من قتل من اصحاب الحسين ع م فاستسقيته فابى ان يسقيني، فقلت لرسول الله صلع قل لعلي يسقيني، فقال :الست ممن اعان علينا؟ قلت :انما كنت ابيعهم اوتاد الحديد، قال :فقال لعلي عليه السلام اسقه قطرانا، قال : فناولني قعبا فشربت منه فكمثت ثلاث ليال ابول القطران، ثم ذهب ذلك عني وبقيت هذه الرائحة، قال له السدي : كل من خبز البر وترو من الماء ما دمت في الدنيا، فما اراك الا من اهل النار.

وروى محمد بن عبد الله بن ابي محمد الحارثي باسناده عن يغوث ابن سليمان قال : اجتمعنا جماعة بالليل فصلينا العشاء الآخرة وجلسنا فتحدثنا وجرى ذكر الحسين ع م فقال رجل من القوم : ما احد شهد الواقعة التي قتل فيها الحسين ع م الا اصابه بلاء قبل ان يموت، وكان معنا شيخ يقال له اسماعيل بن داود فقال: انا ممن شهد الواقعة واعان فيها وما اصابني شيء كرهته، ثم تحدثنا شيئا فخفت السراج فقام ليصلحه فطار منه شيء فعلق بثيابه واشتعلت عليه نار فحاول ان يزيلها فلم يستطع، وكنا بقرب الفرات فبادر اليه، فرمى بنفسه فيه فمات غرقا وحرقا ونحن ننظر اليه.

وعن سفيان بن عيينة عن امه عن جدته قالت : كان رجل ممن شهد قتل الامام الحسين ع م ومعه الماء لا يروى من الماء، وكان يشرب الراوية فلا ترويه.

وحين انتهى رأس الامام الحسين بن علي صلوات الله عليه الى ابن زياد لعنه الله، جعل ينكت ثنايا الحسين ع م بقضيب في يده ويقول : ما احسن ثغر ابي عبد الله، وكان قد اجلس زيد بن ارقم معه على السرير فقال له زيد: نح قضيبك، اتضعه موضعا طال ما رأيت رسول الله صلع يلثمه ؟ فقال له عبيد الله : انك قد خرفت، فوثب زيد بن ارقم عن السرير ولصق بالارض وقال : اشهد لقد رأيت رسول الله صلع والحسن على فخذه اليمنى ويده اليمنى على رأسه، والحسين على فخذه اليسرى ويده اليسرى على رأسه وهو يقول : اللهم اني استودعكما وصالح المؤمنين. فكيف كان حفظك لوديعة رسول الله صلع ان كنت مؤمنا؟

ولما اصيب الحسين بن علي ع م قام زيد بن ارقم على باب مسجد الكوفة وقال : افعلتموها ؟ اما اني سمعت رسول الله صلع يقول للحسن والحسين اللهم اني استودعكهما وصالح المؤمنين .

ثم انفذ ابن زياد لعنه الله برأس الحسين بن علي ع م وبعلي ابن الحسين ع م ومن كان معه من الاسارى من ذرية رسول الله صلع وذوي لحمته صبيان واطفال وبنات رسول الله صلع سبايا علىاقتاب الجمال مهتكات الحجب، معولات باكيات، لم يذكروا فيهن قرابة رسول الله ولا وصلوا رحمه ولا جازوه اذ عفى عنهم يوم الفتح واطلقهم ومنّ عليهم . فلعنة الله على الظالمين الذين قتلوا آل الرسول وظلموهم وجاؤوا بامر عظيم فيهم، ولقد صدق بهلول رحمة الله عليه حيث يقول :

يا سائلي مستخيرا \* عن كل معظلة طريفة

ان الجواب لحاضر \* لكنني اخفيه خيفة

لولا اتقاء معاشر \* خلى سياستها الخليفة

وبيوت اعداء لنا \* هاماتنا منهم نقيفة

لنشرت من مكنون آل \* محمد جملا طريفة

واريتكم ان الحسين \* اصيب في يوم السقيفة

ولاي حال الحدت \* بالليل فاطمة الشريفة

آها لبنت محمد \* ماتت بغصتها لهيفة

لا تكشفن مغطاء \* فلربما كشفت جيفة

ولو لم يجتمعوا على السقيفة \* لم يدع يزيد بن معاوية الخليفة

نرجع الىما كنا فيه، قال الرواة فلما ساروا بالسبايا والاسارى من آل رسول الله صلع ورأس الحسين معهم فكانوا اذا نزلوا منزلا اخرجوا الراس من صندوق اعدوه له فوضعوه على رمح وحرسوه طول الليل الى وقت الرحيل، ثم يعيدونه الىالصندوق ويرحلوا .

فنزلوا بعض المنازل، وفي المنزل دير راهب، فاخرجوا الرأس على عادتهم فوضعوه علىالرمح وحرسه الحرس، واسندوا الرمح الى الدير، فلما كان نصف الليل رأى الراهب نورا ساطعا من مكان الرأس الى عنان السماء، فاشرف على القوم وقال:من انتم ؟ قالوا: نحن اصحاب ابن زياد، قال : فرأس من هذا ؟ قالوا : رأس الحسين بن علي وامه فاطمة ابنة رسول الله، قال : نبيكم، قالوا : نعم، قال :بئس القوم انتم، لو كان المسيح له ولد لاسكناه احداقنا، ثم قال : هل لكم في شيء ؟ قالوا : وما هو ؟ قال : عندي عشرة آلاف دينار، تأخذونها وتعطوني الرأس يكون عندي تمام الليلة الى الصبح، فاذا رحلتم فخذوه، قالوا : وما يضرنا فناولوه الرأس وناولهم الدنانير، فاخذه الراهب فغسّله وطيّبه وتركه على فخذه وقعد يبكي الليل كله، فلما اسفر الصبح قال : يا رأس ابن رسول الله لا املك الا نفسي وانا اشهد ان لا اله الا الله وان جدك محمدا رسول الله، واشهد الله انني مولاك وعبدك، ثم خرج من الدير وصار يخدم اهل البيت بقية عمره.

قال ابو محمد عبد الملك بن هشام النحوي، ثم انهم اخذوا الرأس فساروا، فلما ان قربوا من دمشق قال بعضهم لبعض : تعالوا حتى نقسم الدنانير لئلا يراها يزيد فيأخذها، فاخرجوا الاكياس وفتحوها، فاذا الدنانير قد حولت خرقا، وهو مكتوب على احد جانبيها : ولا تحسبن الله غافلا عما يعمل الظالمون، وعلى الجانب الآخر وسيعلم الذين ظلموا اي منقلب ينقلبون.

وذكر هشام بن محمد بن الكلبي انه قال : لما دخل النساء على يزيد نظر رجل من اهل الشام الى فاطمة بنت الحسين عليه السلام وكانت وضيئة، فقال الشامي ليزيد لعنهما الله جميعا : هب لي هذه فانهن لنا حلال، فصاحت الصبية وارتعدت واخذت بثوب عمتها زينب ابنة امير المؤمنين عليه السلام، فصاحب زينب : ليس ذلك الى يزيد ولا كرامة، فغضب يزيد وقال : لو شئت لفعلت، فقالت له زينب : صل الى غير قبلتنا ودن بغير ديننا وافعل ما شئت، فسكن غضبه ودفع الله عن حرم رسوله شره واشره .

وفيما رواه ابن ابي الدنيا عن الحسن البصري قال : ضرب يزيد لعنة الله عليه رأس الحسين بن علي عليه السلام ومكانا كان يقبله رسول الله صلع ثم تمثل الحسن البصري :

سمية امسى نسلها عدد الحصى \* وبنت رسول الله ليس لها نسل

وقالوا : نظر ابو بريدة الاسلي الى يزيد يضرب بقضيبه رأس الحسين عليه السلام فقال له ابو بريدة: ارفع قضيبك فوالله لطالما رأيت رسول الله صلع يقبل ثناياه.

وقام ايضا رجل من اهل الشام فقال ليزيد لع : يا امير المؤمنين نساؤهم لنا حلال، فقال له علي ابن الحسين : كذبت والله الا ان تخرج عن ملة الاسلام فتستحل ذلك بغيرها، فاطرق يزيد مليا وامر بالنسوة فادخلن الى نسائه، ثم امر برأس الحسين عليه السلام فرفع على رأس قناة، فلما رأت ذلك نساؤه اعولن فدخل اللعين يزيد على نسائه فقال : ما لكنّ لا تبكين مع بنات عمكن؟ وامرهن ان يعولن معهن تمردا على الله عز وجل، واستهزاء باوليائه عليهم السلام. وانشأ يزيد يتمثل بقول الحصين ابن الغمام المري :

صبرنا وكان الصبر منا سجية \* باسيافنا يفرين هاما ومعصما

نفلق هاما من رجال اعزة \* علينا وهم كانوا اعق واظلما

واستفزه الطرب والسرور والنساء يبكين ويندبن، ونساؤه يعولن معهن وهو يقول :

شجي بكى شجوه فاجعا \* قتيلا وباك على من قتل

فلم ار كاليوم في مأتم \* كأن الضباء به والنفل

شبه اللعين نساءه بالظباء وجعل نساء الحسين ع م نفلا اي مغنما، وتمثل اللعين بابيات ابن الزبعري التي يقول فيها :

ليت اشياخي ببدر شهدوا \* جزع الخزرج من وقع الاسل

حين القت بقباء بركها \* واستمر القتل في عبد الاشل

لاهلوا واستهلوا فرحا \* ولقالوا يا يزيد لا شلل

قد قتلنا النصف من ساداتهم \* وعد لنا مثل بدر فاعتدل

لعبت هاشم بالملك فلا \* خير جاء ولا وحي نزل

لست من خندق ان لم انتقم \* من نبي احمد ما كان فعل

وقال الزهري : لما جاء الرؤوس كان يزيد في منظرة له على جيرون فانشد يقول :

لما بدت تلك الحمول واشرفت \* تلك الرؤوس على ربا جيرون

نعى الغراب فقلت صح اولا تصح \* فقد اقتضيت من النبي ديوني

ولما رأى الامام علي ابن الحسين عليه السلام الى ما عند يزيد من الجذل والسرور قال : ما اصاب من مصيبة في الارض ولا في انفسكم الا في كتاب من قبل ان نبرأها

ولا يشك احد من المسلمين ولا ممن يدين بالله تعالى بالدين في ان من قتل الحسين واعان عليه انه من اهل النار، وكثير من المسلمين يعلن يزيد ويتبرأ منه، وأي ذنب اعظم من ذنبه، واي اثم اكبر من اثمه اذ قتل ابن رسول الله وخيرة خلقه وسيد شباب اهل الجنة بامره، وان اعظم الذنوب واكبر الكبائر قتل النفس التي حرم الله، فكيف بنفس هي افضل النفوس واشرفها عند الله، من رباه رسول الله صلع في حجره، وابان ما عظم الله من قدره، فان من تجرأ عليه بذلك اعظم الناس جرما واشدهم اثما . وقد قال رسول الله صلع في الحسن والحسين :من ابغضهما ابغضته ومن ابغضته ابغضه الله، ومن ابغضه الله اصلاه جهنم وساءت مصيرا فاوجب النار ببغضهما فكيف بقتلهما.

وقد قال القاضي ابن خلكان في تاريخه: ان الغزالي قال لا يجوز لعن يزيد، ومن لعن مسلما فهو ملعون، ولعن الذين يلعنون يزيد، وهذا دليل على عداوة الغزالي لآل الرسول عليهم السلام وبغضه لهم، اذ يوجب اللعنة على من يلعن قاتلهم، وكيف وهو يقول من لعن مسلما فهو ملعون وقد لعن الذين يلعنون يزيدهم وهم كثير من المسلمين، الم يكن الغزالي بقوله من لعن مسلما فهو ملعون لعن نفسه بلعنه من لعن يزيد من المسلمين وهم خير من يزيد ؟ فاين الناظرون بعين العقول، المميزون بين المعلوم والمجهول، ويل لمن يدعي العلم وهو منه خلي، ويتزيا بزي الدين وعواره بيّن جلي، افلا ينظر الغزالي الى قول الله تعالى : ومن يقتل مؤمنا متعمدا فجزاؤه جهنم خالدا فيها، وغضب الله عليه ولعنه واعد له عذابا عظيما، ولا يخلو الغزالي في قوله ذلك اما ان يكون قد دفع القرآن بالراح، واتى بالكفر الصراح، او انه يقول ان الحسين عليه السلام ليس من المؤمنين، فتلك سبيل الغزالي وامثاله ممن تبرأ من امير المؤمنين علي ابن ابي طالب ع م وكفّره، ان هم الا في ضلال مبين، اعاذنا الله من ضلالتهم، ونجانا من جهالتهم.

وقيل ان محمد بن مسلم بن قتيبة قال : كان الحسين بن علي خارجيا على يزيد، ولا شك ان هؤلاء ممن حارب رسول الله صلع وناصبه، فقد قال صلع لامير المؤمنين علي ابن ابي طالب وفاطمة والحسن والحسين : انا سلم لمن سالمكم وحرب لمن حاربكم، فهؤلاء من المحاربين لرسول الله صلع بحربهم والمبغضين له ببعضهم، وكيف لا يكون يزيد من الجاحدين للاسلام، الدائن بما دان آباؤه من ا لكفر والعداوة لرسول الله صلع، وقد ذكر عنده رسول الله صلع فقال :

تلاعب بالبرية هاشمي \* بلا وحي اتاه ولا كتاب

تكذيبا منه لعنه الله لرسول الله صلع، وكان اكثر ما انكر الناس على معاوية عهده الى يزيد، فقال بعض الصحابة جعلها معاوية هرقلية .

وقال الامام علي ابن الحسين ع م : ولي يزيد رقاب المسلمين وهو يشرب الشراب ويعلب بالكلاب، في كلام طويل ذكره في معاوية .

وقد ذكرنا ما كان من دخول الامام الحسين بن علي ع م وعبد الله بن جعفر على يزيد وهو يشرب الخمر ويتغنى بالهجر.

وقد قال ابن حنبل في كتاب الوجهين والروايتين : ان صح عن يزيد ما قيل فيه فقد فسق، وقال مجاهد : قد نافق.

وقد قال ابو يعلي بن الفرا في كتابه المعتمد في الاصول عن صالح بن احمد بن حنبل قال : قلت ان قوما يتوالون يزيد بن معاوية . فقال : يا بني، وهل يتوالى يزيد احد يؤمن بالله واليوم الآخر ؟ فقلت : لم لا تلعنه ؟ فقال : يا بني لم لا تلعن من لعنه في كتابه ؟ قال : قلت واين لعن ؟ فقال :في قوله تعالى فهل عسيتم ان توليتم ان تفسدوا في الارض وتقطعوا ارحامكم، اولئك الذين لعنهم الله، فاصمهم واعمى ابصارهم، فهل يكون فساد اعظم من القتل.

وفي موضع آخر انه سأله صالح قال : يا بني ما اقول في رجل لعنه الله في كتابه وذكره

وقد قال منهم من قال ان يزيد لم يسره قتل الحسين ابن علي عليه السلام، وانه قال : لعن الله ابن مرجانة يعني ابن زياد، لقد كنا نرضى من اهل العراق بدون قتل الحسين، وقالوا قال : يا حسين لقد قتلك رجل لم يعرف حق الارحام. وهذا القول من يزيد لعنه الله نفاق وشقاق، والا فقد وفد اليه ابن زياد بعد ذلك فاكرمه وعظمه وشكره على فعله في قتل الحسين عليه السلام ورده على ولايته الى العراق، وجرى فيما كان عليه عداوة اولياء الله وبغضهم على ساق.

ونرجع الى ما كنا فيه من تجري الظالمين على الله وفعلهم برأس ابن رسول الله صلع وما وعدوا على ذلك من عظيم النكال،وشديد الوبال.

وروي عن محمد بن نضر الطلقاني باسناده عن الاعمش انه قال : حججت فبينا انا اطوف اذ برجل يطوف ويقول: اعوذ بالله من درك الشقاء لا يزيد على ذلك . فقلت ايها الرجل ما بالك لا تدعو بغير هذا ؟ فقال : دعني فان لي قصة عظيمة، قلت : وما هي يرحمك الله ؟ قال : دعني ايها الرجل . قلت : اقسمت عليك بالله لما حدثتني بقصتك، قال : لقد اقسمت علي بعظيم، فاخذ بيدي وخرجنا من الطواف ومشينا حتى بلغنا شعبا من شعاب مكة ويده في يدي فجلس ثم قال : اي شعب هذا؟ قلت : شعب علي ابن ابي طالب، فوثب مسرعا وقال : لا والله، لا اجلس في شعب رجل كنت في فيمن قتل ولده، فاخذ بيدي فخرجنا الى الابطح وجلست معه، فقال لي : من انت ؟ قلت : سليمان بن مهران الاعمش، قال : سمعت بك وما وفقت الا توفيقا، اخبرك بقصتي التي اقسمت علي بالله ان اخبرك بها،

اني كنت من وزعة اللعين ابن اللعين يزيد بن معاوية، فلما اتي برأس الحسين ع م وطيف به، وامر به فوضع في طشت من ذهب وجعل بين يديه، فاقبل يقلبه وينكت ثناياه بقضيب كان في يده ويقول : لقد كان في ابيك وفيك عبرة، خرج ابوك على ابي باهل العراق فنصر الله ابي عليه، وحكم له وهو خير الحاكمين، وخذل الله اباك واتباعه بقتل المؤمنين الموحدين يوم النخيلة، اذ قتل منهم اربعة آلاف، والله عز وجل يقول : ومن يقتل مؤمنا متعمدا فجزاؤه جهنم خالدا فيها وغضب الله عليه واعد له عذابا عظيما، ثم اهل العراق خدعوك واخرجوك لتخرج علي فنصرني الله عليك وخذلك واهرق دمك، فالحمد لله الذي اظفر بك وامكن منك. قال الرجل: وظننت ان كبدي قد ذابت في جوفي حزنا على الحسين وغيظا على عدو الله يزيد ين معاوية اللعين، وعلم عليه لعنة الله انكار الناس لقتل الحسين ع م فجمعهم فقال : ان ابا عبد الله رحمة الله عليه يعني الحسين بن علي ع م اختدعه اهل العراق، وعزيز علي ان يختدع وان يصيبه ما اصابه وقد نفذ فيه حكم الله وقدره . ثم دعى برأسه فغسله بيده، ثم دعى بحنوط فحنّطه وطيّبه ودعى بكفن فكفّنه، وصلى عليه ثم دعى بصندوق فجعله فيه واغلق عليه وقال : دعوه بين يدي قصري واضربوا عليه سرادقا يكون مسجدا، يريد عدو الله لعنه الله ان يرضي بذلك الناس ويكفهم عنه، ففعلوا وجعل على السرادق حرسا ووكلني بهم، فكانوا خمسين رجلا،

فلما ان كان الليل ارسل الينا طعاما فاكلنا ونام اصحابي، وانا لما بي من الغم والحزن على الحسين ع م قد استلقيت على ظهري مفكرا في عدو الله يزيد اللعين وما فعل، وقد استغرقني ذلك، وما انا بنائم ان نظرت الى سحابة بيضاء قد اظلتنا لها نور وقائل يقول : اهبط يا آدم فنزل رجل ومعه وفد من الملائكة فقيل له :ادخل يا آدم فدخل الخيمة واحاطت الملائكة بها .

ثم نظرت الى سحابة اخرى مثلها وسمعت قائلا يقول : اهبط يا نوح، فدخل الخيمة واحاطت الملائكة بها .

ثم اقبلت سحابة اخرى كمثل ذلك وسمعت قائلا يقول : اهبط يا ابراهيم، واذا رجل حوله وفد من الملائكة، فقيل له : ادخل يا ابراهيم، فدخل واحاطوا بالخيمة .

ثم نظرت الى سحابة رابعة كمثل ذلك وسمعت قائلا يقول : اهبط يا موسى، فاذا رجل وحوله وفد من الملائكة، فقيل له : ادخل يا موسى، فدخلوا واحاطوا بالخيمة .

ثم اقبلت سحابة خامسة وسمعت قائلا يقول : اهبط يا عيسى، فاذا رجل حوله وفد من الملائكة، فقالوا : ادخل يا عيسى فدخل واحاطوا بالخيمة.

ثم اقبلت سحابة سادسة وسمعت قائلا يقول : اهبط يا محمد، فاذا رجل حوله وفد من الملائكة وقالوا: ادخل يا محمد على ابنك، واحاط سائر الملائكة بالخيمة، فدخل فسلم على من فيها من النبيين فردوا عليه باحسن رد وعزوه بالحسين ع م وتقدم الى الصندوق واخرج رأس الحسين ع م وجعل يبكي ويقول : يا ابي يا آدم، يا ابي يا نوح، يا ابي يا ابراهيم، يا اخي يا موسى، يا اخي يا عيسى، انظروا الى ما خلفني به امتي في ذريتي، ويبكي ويبكون معه فانهم لكذلك اذ نظروا الى نور قد سطع ما بين السماء والارض، واذ ملائكة قد نزلوا فدخلوا الخيمة فقالوا : يا محمد الله يقرءك السلام، ويقول لك اخفض من صوتك فقد ابكيت ملائكة السموات، وقد ارسلنا الله اليك لنتمثل امرك في امتك، من الله جاء السلام، والى الله يعود السلام . من انتم رحمكم الله من الملائكة ؟

فقال احدهم : اما ملك الشمس فان امرتني ان احرق هذه الامة احرقتها الساعة

وقال آخر : انا ملك البحار، فان اردت تغريقهم اغرقتهم الساعة

وقال آخر: انا ملك الريح، فان اردت ان اعرج بهم وان احملهم في جو السماء واذريهم في البحار فعلت ذلك الساعة .

وقال آخر : انا ملك الارض، فان اردت ان ازلزلها بهم واخسفها واقلب اعاليها اسافلها عليهم فعلت ذلك الساعة .

وقال آخر : انا ملك السماء الدنيا، فان شئت ان اطبقها عليهم وان اصب عليهم عذابا منها فاهلكهم به فعلت.

قال رسول الله صلع : بل دعوهم، فان لهم مدة، وسأقف انا وهم بين يدي الله عز وجل فيحكم بيننا بالحق وهو احكم الحاكمين، فقال جميع من حضر من الملائكة والنبيين : جزاك الله يا محمد خيرا عن امتك، فما ارأفك بهم، وارحمك بهم .

فهذا يا سليمان ما رأت عيناي وسمعت اذناي، وما ذكرته لغيرك، فاصبحت هاربا متخليا عن الدنيا خائفا وجلا من الله تبارك وتعالى لما تقدم من صحبتي للظالمين اعداء الله الملاعين.

وقد ذكر رواة الاخبار ان يزيد لعنة الله عليه امر برأس الامام الحسين بن علي ع م فطيف به في مدائن الشام وغيرها، قالوا : ولما امر يزيد اللعين بان يطاف برأس الحسين بن علي ع م في البلدان اتي به الى مدينة النبي صلع، وعامله عليها يومئذ عمر بن سعيد بن العاص فسمع صياح النساء فقال : ما هذا ؟ قالوا : نساء بني هاشم يبكين لما رأين رأس الحسين، وكان عنده مروان بن الحكم فقال اللعين مروان :

عجت نساء بني تميم عجة \* كعجيج نسوتنا غداة الازيب

فقال له عمرو بن العاص عامل المدينة يومئذ : لوددت والله ان امير المؤمنين يعني يزيد اللعين لم يبعث الينا برأس الحسين، فقال له مروان : اسكت لا ام لك وقل كما قال الاول :

ضربوا رأس كمي ضربة \* اثتبت اوتاد ملك فاستقر

ثم اتي بالرأس الى عمرو بن سعيد، فاعرض عنه بوجهه واستعظم امره، فقال مروان اللعين لحامل الرأس الشريف: هاته فدفعه اليه فاخذه بيديه وقال :

يا حبذا بردك في اليدين \* ولونك الاحمر في العينين

وهذه العداوة الاصلية والاحقاد الجاهلية من بني امية حين ثاروا بالحسين ع م قتلى بدر الذين قتلهم الله بسيف الاسلام وارداهم النبي والوصي عليهما الصلوة والسلام . وما الذي يذكر مروان من رسول الله صلع وهو الذي طرد اباه ولعنه واقصاه ومروان معه اذ نفاه، لولا ان عثمان بن عفان الذي ادخله بلاد الاسلام، وذلك من اكثر ما نقم عليه المهاجرون والانصار حين قاموا في قتله، وقعد منهم من قعد لخذله، ولم يصح اسلام احد من بني امية ولا اقلعوا عما هم عليه من اعتقاد الكفر وخبث الطوية، والامة مساعدة لهم على افعالهم غير منكرة عليهم ما اتوه في قتل آل رسول الله صلع ومتبعون لهم على كفرهم وضلالهم.

ولقد حكي عن هشام بن محمد عن عبيد الله بن عمير قال : كان رسول قيصر حاضرا عند يزيد بن معاوية اللعين حين اتي برأس الحسين بن علي ع م فقال ليزيد : هذا رأس من ؟ فقال : رأس الحسين. قال : ومن الحسين ؟ قال : ابن فاطمة . قال : ومن فاطمة ؟ قال : بنت محمد . قال : نبيكم ؟ قال : نعم . قال :ومن ابوه ؟ قال : علي ابن ابي طالب . قال :ابن عم نبيكم؟ قال : نعم . قال : تبا لكم ولدينكم، ما انتم وحق المسيح على شيء، ان عندنا في بعض الجزائر دير فيه حافر حمار ركبه عيسى المسيح عليه السلام . فنحن نحج اليه في كل عام من الاقطار، وننذر النذور له، ونعظمه كما تعظمون كعبتكم، فاشهد انكم على باطل، ثم قام ولم يعد اليه.

وقد روي عن محمد بن سعيد بن محمد بن عبد الرحمن قال : لقيني رأس الجالوت فقال : ان بيني وبين داود ع م سبعين ابا وان اليهود تعظمني وتحترمني، وانتم قتلتم ابن بنت نبيكم.

فكانت اليهود والنصارى اعرف بفضل اهل بيت نبوتهم من ضلال هذه الامة الذين انكروا فضل اهل الفضل من اهل بيت النبي صلع وقتلوهم وظلموهم . واجمع كثير من الامة على ولايتهم، واعتقاد امامتهم، بعد افعالهم الخبيثة، واعمالهم السيئة، التي اعظمها قتل ابناء الانبياء والتمثيل بهم، الذين شهر النبي فضلهم، وعدد من الخصال الشريفة ما هو لهم مما قد اجمعت عليه الامة، فكانوا على ذلك الا من عصم الله ممن استمسك بالعروة الوثقى من اهل بيت نبيهم الذين شبههم الرسول صلع بسفينة نوح التي من ركبها نجى ومن تخلف عنها غرق . فيا فوز المتبعين لهم المستمسكين بعروة ولايتهم، الراكبين لسفينتهم، ويا خسار الاشقين الذين باينونهم بالعداوة، واعرضوا عن فضلهم المذكور في آي التلاوة .ولو اطنبنا القول في ذلك اتينا به لطال واتسع، واحتاج الى كتب ودفاتر جمة تكثر ان تحصر وتجمع. وفيما ذكرناه كفاية لمن انصف وحكم العقل دون الهوى، وراقب الله تعالى فلم يتعصب بغير برهان ولا هدى مع انه قد ورد في ذلك عن اهل البيت عليهم السلام والتابعين لهم من الحجج البينات، والآيات الواضحات، والاخبار الواردات، ما لا يحصيها من درسها طول عمره، وجعلها دابه ايام دهره، مما اقلها يغني من جعلوا الله ادكارهم وافتكارهم، ولا يضل عنها الا الذين اصمهم واعمى ابصارهم .

ثم ان الله تعالى حمى وليه علي ابن الحسين زين العابدين عن يزيد اللعين، ومنعه منه لان تبقى كلمة الامامة في عقبه، ويحيي الله دين جده المصطفى به، والقى الله في قلب يزيد الهيبة له والاجلال، وحماه من اتباعه من اهل الشام الضلال، فخيّره يزيد بين المقام عنده او الانصراف فاختار الانصراف الى طيبة مدينة جده، ومجاورة تربته الشريفة العظيمة ولحده، فسرّحه ومن معه من الاطفال والنساء فعاد بهم الى مدينة الرسول، وقطن بها مكلوءا من الله تعالى مدفوعا عنه شر كل ظلوم جهول، على ما نأتي به ونشرح ما امكن منه اذا انتهينا الى ذكره

واختلف في دفن رأس الامام الحسين بن علي ع م فقيل انه بمدينة النبي صلع وان سعد بن العاص دفنه عند قبر امه فاطمة عليها السلام، وقيل انه دفن بدمشق في دار الامارة، وقيل ان يزيد لعنة الله عليه ارسل به الى اولاد عثمان بن عقان الى الرقة فدفنوه بها . قال صاحب خصائص الائمة :ان الخلفاء العلويين عليهم الصلوة والسلام نقلوه من باب الفراديس الى القاهرة المعزية، ولا يكون ذلك الا في تابوته، وله مشهد عظيم. وقد قال القاضي المحفوظي في بعض كتبه الواردة الى اليمن في ايام الداعي علي بن حنظلة المحفوظي قدس الله روحه وذلك حين توجه القاضي المذكور الى مصر في ايام بني ايوب انه زار قبر الامام الحسين ع م ولا شك ان ذلك هو القبر الذي فيه رأسه صلوات الله عليه، قال صاحب خصائص الائمة : وله مشهد عظيم بالقاهرة يزار، فصلوات الله عليه وعلى ابيه وجده، وعلى الائمة الطاهرين من بعده.

واما ما قيل من نوح الجن على الامام الحسين بن علي عليه السلام، فروى الحسن بن محمد باسناده عن ام سلمة رضوان الله عليه زوج النبي صلع انها اصبحت ذات يوم فقالت لخادمها : لا ارى ابني الحسين عليه السلام الا وقد قتل، وما سمعت نوح الجن مذ قبض رسول الله صلع الا البارحة فاني سمعتهم يقولون :

الا يا عين جودي لي بجهد \* ومن يبكي على الشهداء بعدي

على رهط تقودهم المنايا \* الى متجبر في زي عبد

وعن عبد الله بن مسلم السلامي عن ابيه عن جده قال : سمعت نوح الجن على قتل الحسين عليه السلام ونائحهم يقول :

ابك ابن فاطمة الذي \* من موته شاب الشعر

ولاجله زلزلتم \* ولاجله خسف القمر

واتى عن داود بن قاسم الكلبي قال : سمعت ابا جرثومة الكلبي تحدث عن ابيه قال : لما قتل الحسين ع م سمعت مناديا ينادي في الجبانة، يعني المقبرة :

ايها القاتلون جهلا حسينا \* ابشروا بالعذاب والتنكيل

كل اهل السماء يدعو عليكم \* من نبي وحافظ ورسول

قد لعنتم على لسان ابن داود \* وموسى وصاحب الانجيل

وروي عن عبد الرزاق قال : سمعت رجلا من الانصار يحدث معمرا قال : لما كان اليوم الذي استشهد فيه الحسين بن علي ابن ابي طالب عليه السلام، مرّ رجل في بعض الليل بمنى، فسمع صوتا على كبكب كأنه صوت امرأة تنوح وتقول : ابك حسينا ايما، فاجابتها اخرى من ثبير تقول : ابك ابن الرسول ايما . وكبكب جبل مما يلي المسجد من منى . وثبير جبل ايضا هناك يقابله، قال الرجل : فكتبت تلك الليلة فاذا هي الليلة التي تتلو اليوم الذي قتل فيه الحسين بن علي ع م .

وروى عن حسن بن حسن عن عمرو بن المقدام قال : مرقوم بكنيسة، او قال ببيعة، بالشام فرأوا فيها مكتوبا :

اترجو امة قتلت حسينا \* شفاعة جده يوم الحساب

فسألوا عنها فقالوا : بنيت قبل الاسلام بثلثمائة سنة،وهو كذلك مكتوب فيها

قال الشعبي : سمع اهل الكوفة قائلا يقول شعرا :

ابكي قتيلا بكربلاء \* مضرج الجسم بالدماء

ابكي قتيل الطغاة ظلما \* يغير جرم سوى الوفاء

ابكي قتيلا بكى عليه \* من ساكن الارض والسماء

هتك اهلوه واستحلوا \* ما حرم الله في الاماء

يا ثاويا جسمه المعرى \* الا من الدين والحياء

كل الرزايا له عزاء \* وما لذا الرزء من عزاء

وقال الزهري : ناحت الجن على الحسين عليه السلام فقالت ك

لقد جئن نساء الحي \* يبكين شجيات

ويلطمن خدودا \* كالدنانير نقيات

ويلبسن الثياب السود\* بعد القصبيات

ومما قالوا مما حفظ من قول الجن في النوح على الحسين ع م :

مسح النبي جفونه \* فله بريق في الخدود

ابواه من عليا قريش \* وجده خير الجدود

قتلوك يا نجل النبي \* فاسكنوا نار الخلود

واما بعض ما جاء من المراثي في الامام الحسين بن علي ابن ابي طالب فذكر المدائني عن رجل من اهل المدينة قال : خرجت اريد اللحاق بالامام الحسين ابن علي ع م لما توجه الى العراق، فلما وصلت الى الربذة فاذا رجل جالس فقال لي : يا عبد الله لعلك ان تريد ان تمد الحسين ؟ قلت : نعم، قال : وانا كذلك ولكن اقعد قد بعثت صاحبا لي والساعة يقدم بالخبر، فما مضت الا ساعة وصاحبه قد اقبل وهو يبكي فقال له الرجل : ما الخبر ؟ فقال :

والله ما جئتكم حتى بصرت به \* في الارض متعفر الخدين منحورا

وحوله فتية تدمى نحورهم \* مثل المصابيح يغشون الدجى نورا

وقد حثـثت قلوصي كي اصادفهم \* من قبل ما ينكحون الخرد الحورا

يا لهف نفسي لو انّي لحقتهم \* اذا لحليت اذا حلوا اساويرا

فقال الرجل الجالس :

اذهب فلا زال قبر انت ساكنه \* حتى القيامة يسقى الغيث ممطورا

في فتية بذلوا لله انفسهم \* قد فارقوا المال والاهلين والدورا

وقالت الرباب بنت امرؤ القيس ترثي الامام الحسين ع م وقد اخذ رأس الحسين فوضع في حجرها وجعلت تقبله، ثم قالت :

واحسينا فلا نسيت حسينا \* اقدصته اسنة الاعداء

وقال السدي : اول من رثى الامام الحسين بن علي ع م عقبة بن عمر القيسي فقال :

اذا العين قرت في الحياة وانتم \* تخافون في الدنيا فاظلم نورها

مررت على قبر الحسين بكربلا \* ففاض عليه من دموعي غزيرها

وما زلت ابكيه وارثي لشجوه \* ويسعد عيني دمعها وزفيرها

وناديت من حول الحسين عصائبا \* اطافت به من جانبيه قبورها

سلام على اهل القبور بكربلا \* قل لها مني سلام يزورها

سلام بآصال العشي وبالضحى \* تؤديه نكباء الرياح زمورها

ولا برح الزوار زوار قبره \* يفوح عليهم مسكها وعبيرها

ورثاه عبد الله بن الحر رحمة الله عليه فقال شعرا :

يقول امام غادر اي غادر \* الا كنت قاتلت الشهيد ابن فاطمة

ونفسي على خذلانه واعتزاله \* وبيعة هذا الناكث العهد لائمة

فيا ندمي الا اكون نصرته \* الا كل نفس لا تسدّد نادمة

تأسوا على نصر بن بنت نبيهم \* باسيافهم آساد غيل ضراغمة

واني على ان لم اكن من حماته \* لذو حسرة ما ان تفارق لازمة

سقى الله ارواح الذين تأزروا \* على نصره سقيا من الغيث دائمة

وقفت على اطلالهم وديارهم \* وكاد الحشى ينشق والعين ساجمة

لعمري لئن كانوا سراعا الى الوغى \* مصاليت في الهيجا حماة ضراغمة

فان يقتلوه كل نفس تقية \* على الارض قد اضحت لذالك واجمة

وما ان رأى الراؤون افضل منهم \* لدى الموت سادات زهرا قماقمة

اتقتلهم ظلما وترجو ودادهم \* فدع خطة ليست لنا بملائمة

لعمري لقد ارغمتمونا بقتلهم \* فكم ناقم منا عليكم وناقمة

اهم مرارا ان اسير بجحفل \* الى فئة زاغت عن الحق ظالمة

فكفوا والا زرتكم في كتائب \* اشد عليكم من زحوف الديالمة

وقال آخر من ابيات وقد مر عليهم بكربلا :

كربلا لا زلت كرب وبلا \* ما لقي عندك آل المصطفى

كم على تربك لما صرعوا \* من دم سال ومن دمع جرى

يا رسول الله لو ابصرتهم \* وهم ما بين قتل وسبا

هاتفان برسول الله في \* شدة الخوف وعثرات الخطى

قتلوه بعد علم انه \* خامس الامجاد اصحاب العبا

ليس هذا لرسول الله يا \* امة الطغيان والكفر جزا

يا جبال المجد عزا وعلا \* وبدور الارض نورا وسنا

جعل الله الذي نالكم \* سبب الحزن عليكم والبكا

لا ارى حزنكم يبكي ولا \* رزءكم ينسى وان طال المدى

قالوا ومرّ سليمان بن قنة بكربلاء فنظر الى مصارع القوم فبكى حتى كاد ان يموت ثم قال :

وان قتيل الطف من آل هاشم \* اذل رقابا من قريش فذلت

مررت على ابيات آل محمد \* فلم تر عيني مثلها يوم غمت

اولا ابعد الله الديار واهلها \* وان اصبحت منهم برغمي تخلت

الم تر ان الارض اضحت مريضة \* لفقد حسين والبلاد اقشعرت

وقال ابن الهبارية الشاعر وقد مر بكربلا فجلس يبكي على الحسين ابن علي عليه السلام :

احسين والمبعوث جدك بالهدى \* قسما يكون الحق عنه مسائلي

لو كنت شاهد كربلا لبذلت في \* تنفيس كربك فوق جهد الباذل

وسقيت حد السيف من اعدائكم \* عللا وحد السمهري الذابل

لكنني اخّرت عنك لشقوتي \* فبلابلي بين العراء وبابل

هبني حرمت النصر من اعدائكم \* فاقل من حزن ودمع سائل

ثم نام فرأى رسول الله صلع في المنام، فقال له : يا فلان جزاك الله خيرا، ابشر فان الله قد كتبك ممن جاهد بين يدي الحسين ع م

وفي الحسين ع م مراثي يكثر عدها ويبعد حدها تنشد على ابناء الزمان، ويذكر فيها ما استحق لعين بني امية بقتله من لعنة الرحمان.

قال جعفر بن محمد ع م : ونيح على الحسين بن علي ع م سنة كل يوم وليلة، وثلاث سنين في اليوم الذي اصيب فيه، وكان المسور بن مخرمة وابو هريرة وتلك المشيخة من اصحاب رسول الله صلع يأتون مستترين متقنعين فيبكون. وقد جعل الائمة صلوات الله عليهم يوم عاشوراء يوم كآبة وحزن لما كان فيه من المصيبة العظماء بقتل الحسين سيد شباب اهل الجنة، وابن بنت رسول الله صلع، ولما كان يوم تغلب اعداء الله واعداء رسوله على اولياء الله وصفوته وخيرته من عباده . وقد ورد من التغليظ والتشديد في النوح على الموتى، وقد كتب امير المؤمنين الى رفاعة قاضيه على الاهواز : واياك والنوح على الموتى ببلد يكون لك به سلطان. وقال رسول الله صلع : صوتان ملعونان يبغضهما الله، اعوال عند مصيبة وصوت عند نعمة، يعني النوح والغناء . وقد نيح على بعض الائمة صلوات الله عليهم، ولم ينح على بعضهم، فمن نيح عليه منهم فلعظم الرزية بهم لكونهم هداة الخلق، وصفوة الله في العباد. وخيرته في البلاد. وهداة الانام وزينة الايمان والاسلام . فالخطب فيهم عظيم، والمصاب بهم جليل، ومن لم ينح عليهم منهم فلامرين : اما بوصية منه تواضعا لربه واستكانة اليه، واما ان يكون الامام بعده قد آثر الصبر والزمه سواه لما يكون من الغبطة والسعادة في عقباه، كما وعد الله عز وجل الصابرين، ولم يجز النوح الا على اولياء الله وحججهم ودعاتهم، وفي الصبر فضل عظيم وترغيب شديد، جعلنا الله من الصابرين التائبين، واعاذنا من المغضوب عليهم ولا الضالين.

وكان عبد الله ابن الزبير قد لزم الحرم هربا من يزيد، فحين استشهد الحسين ابن علي ع م دعى الى نفسه وادعى الامامة له، وكتب الى عبد الله بن عباس رضوان الله عليه ليبايعه وقال : انا اولى من يزيد الفاسق الفاجر، وقد علمت سيرته وسوابق الزبير مع رسول الله صلع وسوابق معاوية، فابى ابن عباس وقال : الفتنة قائمة وباب الدماء مفتوح وما لي ولهذا؟ وامتنع عليه.

فلما بلغ ذلك يزيد بن معاوية كتب الى ابن عباس رضوان الله عليه : اما بعد فقد بلغني ان الملحد في حرم الله دعاك لتبايعه، فابيت عليه وفاء منك لنا، فانظر من بحضرتك من اهل بيتك ومن يطيع قولك في البلاد فاعلمهم حسن رأيك فينا وسوء رأيك في ابن الزبير، فان ابن الزبير انما دعاك الى طاعته والدخول في بيعته لتكون على الباطل ظهيرا وفي المآثم شريكا، وقد اعتصمت ببيعتنا طاعة منك لنا، ولما تعرف من حقنا، فجزاك الله من ذي رحم ما جزى به الواصلين ارحامهم، الموفين بعهودهم، فما انس من الاشياء ما انا بناس برك وتعجيل صلتك بالذي انت اهله، فانظر من يطلع عليك من الآفاق فحذرهم زخارف ابن الزبير، وجنبهم لقلقة لسانه، فانهم منك اسمع، ولك اطوع، والسلام.

فكتب اليه عبد الله بن العباس رضوان الله عليه ورحمته : بلغني كتابك تذكر اني تركت بيعة ابن الزبير وفاء مني لك ولعمري ما اردت حمدك ولا ودك، تراني ناسيا قتلك حسينا وفتيان بني عبد المطلب مضرجين بالدماء مسلوبين بالعراء، تسفي عليهم الرياح، وتنتابهم الضياع، حتى اتاح الله لهم قوما واروهم، فما انس ولا انس طردك حسينا وحرم رسوله، وكتابك الى ابن مرجانة تأمره بقتله، واني لارجو من الله ان يأخذك عاجلا حيث قتلت عترة نبيه محمد صلى الله عليه وعلى آله وسلم، ورضيت بذلك .

واما قولك انك غير ناس بري فاحبس ايها الانسان برك عني وصلتك، فاني حابس عنك ودي، ولعمري انك ما تؤتينا مما لنا من حقنا قبلك الا اليسير، وانك لتحبس عنا منه العريض الطويل، ثم انك سألتني ان احث الناس على طاعتك، وان اخذلهم عن ابن الزبير، فلا مرحبا ولا كرامة، تسألني ان احث الناس على طاعتك ومودتك وقد قتلت ابن عمي واهل رسول الله صلع مصابيح الدجى ونجوم الهدى، غادرتهم جنودك بامرك صرعى في صعيد واحد قتلى، اانس انفاذك اعوانك الى حرم الله لقتل الحسين بن علي ع م فما زلت وراءه تخيفه حتى اشخصته الى العراق عداوة منك لله ولرسوله ولاهل بيته الذين اذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا، فنحن اوليائك لا آباؤك الجفاة الطغاة، الكفرة الفجرة اكباد الابل والحمير، والاجلاف اعداء الله واعداء رسوله، قاتلوا رسول الله صلع في كل موطن، وجدك وابوك هم الذين ظاهروا علىالله ورسوله، ولكن ان سبقتني قبل أن آخذ منك ثاري في الدنيا فقد قتل النبيون قبل وكفىبالله ناصرا، ولتعلمن نبأه بعد حين . ثم انك تطلب مودتي وقد علمت اني لم ابايعك، الا وانا اعلم ان ولد عمي اولى بهذا الامر منك ومن ابيك، ولكنكم معتدون مدعون اخذتم ما ليس لكم بحق، وتعديتم على من له الحق، واني على يقين من الله عز وجل ان يعذبكم كما عذب قوم نوح وعاد وثمود، وقوم لوط، اصحاب مدين يا يزيد . فان اعظم الشماتة حملك بنات رسول الله صلع واطفاله وحرمه واهله من العراق الى الشام اسارى مجلوبين مسلوبين ترى الناس قدرتك علينا وانك قهرتنا واستوليت على آل رسول الله صلع وفي ظنك انك اخذت بثأر الكفرة الفجرة يوم بدر، واظهرت الانتقام الذي كنت تخفيه، والاضغان التي انت تكمن في قلبك كمون النار في الزناد، وجعلت انت وابوك دم عثمان وسيلة الى اظهارها، فالويل لكم من ديان يوم الدين، ووالله لان اصبحت آمنا جراحة يدي فما امنت من جراحة لساني بفيك الكثكث، وانت المفند المنبوذ ولك الاثلب وانت المذموم . ولا تغرنك ان ظفرت بنا اليوم، فوالله لئن لم نظفر بك اليوم لنظفرن غدا بين يدي الحاكم العدل الذي لايجوز في حكمه، وسوف يأخذك سريعا اخذا اليما، ويخرجك من الدنيا مذموما مدحورا اثيما، فعش لا ابا لك ما استطعت، فقد زاد عند الله ما اقترفت، والسلام على من اتبع الهدى.

فلما قرأ يزيد كتابه اخذته العزة بالاثم فوقاه الله شره، وشغله عنه امر ابن الزبير، ثم اخذه الله بعد ذاك بيسير اخذا اليما، وبوأه جهنم وساءت مصيرا.

اولاد الامام الحسين بن علي عليه السلام علي الاكبر وعلي الاصغر قتل احدهما يوم كربلاء مع ابيه عليه السلام كما ذكرناه ولا عقب له، وامه آمنة بنت ابي مرة بن عروة بن مسعود الثقفي، وامها بنت ابي سفيان بن حرب، وزيد العابدين عليه السلام وامه ام ولد، وكان معه ابنه محمد الباقر ع م يوم كربلاء وهو يومئذ طفل صغير قيل كان عمره سنتين. وامه ام ولد . وكان له اعني الامام الحسين ع م من الولد جعفر ولا بقية له، وامه ام الثلاثة قضاعية، وعبد الله بن الحسين ع م قتل مع ابيه يوم ا لطف وهو صبي صغير وفاطمة امهما ام اسحق بنت ظليم بن عبيد الله، فكانت فاطمة ابنة الحسين بن علي ع م عند الحسن بن الحسن بن علي ع م ومات عنها فتزوجها عبد الله بن محمد بن عثمان بن عفان، وسكينة وامها الرباب بنت امرؤ القيس، وكان الامام الحسين بن علي ع م يحب الرباب حبا شديدا، وله فيها اشعار منها :

لعمري انني لاحب دارا \* تحل بها سكينة والرباب

وابذل في هواها كل جهدي \* وليس لعاذل عندي عتاب

ولست لهم وان عذلوا مطيعا \* حياتي او يغيبني التراب

وكان يزيد لعنه الله بعد قتل الحسين بن علي ع م قد خطب هذه الرباب وغيره من اشراف قريش، فقالت : والله لا كان لي حموا آخر بعد ابن رسول الله صلع، وعاشت بعد الحسين ع م سنة ثم ماتت كمدا رحمة الله عليها، وقيل انها لم تستظل بعد الحسين ع م بظل .

وقيل انه كان للامام الحسين بن علي ولد من الرباب يسمى محمدا قتل مع ابيه ايضا يوم الطف وهو طفل.

وتزوج سكينة ابنة الحسين عبد الله بن عثمان، ثم عبد الله بن حكيم بن حزام، فولدت له عثمان الذي يقال له قرين، ثم تزوجها الاصبغ بن عبد العزيز بن مروان اخو عمرو بن عبد العزيز، ثم فارقها قبل الدخول بها، وماتت في ايام هشام بن عبد الملك الاموي رحمة الله عليها، ولها السيرة الجميلة والكرم الوافر والعقل التام، هذا قول ابن قتيبة . وقال غيره اسمها آمنة، وقيل اميمة، قالوا : واول من تزوجها مصعب بن الزبير وقتل عنها، وقالوا: كانت من الجمال والادب والظرف والسخاء بمنزلة عظيمة .

فهؤلاء اولاد الامام الحسين بن علي صلوات الله عليه وعلى الطاهرين من آبائه، والصفوة من ابنائه، ولم يكن له ذرية الا من ولده الامام علي بن الحسين عليه السلام والصلوة، وعلى آبائه وابنائه الهداة.

## ذكر فصل ابي الحسين زين العابدين وخير الراكعين والساجدين علي ابن الحسين بن علي ابن ابي طالب سلام الله عليه وعلى آبائه، والصفوة من ابنائه

نقول انا قد ذكرنا ما اتى من امير المؤمنين علي ابن ابي طالب ع م الى ابنه الحسن بن علي وانه قال له : امرني رسول الله صلع ان اوصي اليك، وان ادفع اليك كتابي وسلاحي، كما اوصى الي رسول الله صلع ودفع الي كتبه وسلاحه، وامرني ان آمرك اذا حضرك الموت ان تدفع ذلك الى اخيك الحسين ع م، ثم اقبل على الحسين ع م فقال : وامرك رسول الله صلع ان تدفعه الىابنك هذا، ثم اخذ بيد ابنه علي ابن الحسين فضمه اليه، ثم قال :يا بني وامرك رسول الله صلع ان تدفعه الى ابنك محمد واقرأه من رسول الله ومني السلام . فنص عليه امير المؤمنين علي ابن ابي طالب ع م عن امر رسول الله صلع وابان فضله، وفضل ابنه محمد الباقر عليه السلام . وهذا دليل انه علي الاكبر، وان الذي قتل هو علي الاصغر رضوان الله عليه لانهم قد اجمعوا ان عليا الاصغر يوم الطف كان دون البلوغ، وهذا علي ابن الحسين الامام عليه السلام كامل قد كان منه ابنه محمد الباقر في حياة ابيه صلوات الله ورضوانه عليه، وكان عليلا مدنفا كما ذكرنا وكان مع النساء يمرضنه.

قال القاضي النعمان بن محمد رضوان الله عليه :فالعامة تزعم ان المقتول منهما هو الاكبر، واهل العلم بهم من اوليائهم وشيعتهم وغيرهم من علماء العامة بالانساب والتواريخ يقولون ان المقتول مع الحسين ع م هو الاصغر وان الباقي منهما هو الاكبر، وانه كان يوم قتل الحسين بن علي ع م دنفا شديد العلة، فذلك كان سبب بقائه، وقد تقدم ذكر ذلك.

وذكر محمد بن عمرو الواقدي ان الامام عليا بن الحسين ولد في سنة ثلاث وثلاثين من الهجرة، وقتل الامام الحسين بن علي ع م يوم عاشوراء سنة احدى وستين، وكان على هذا يوم قتل ابوه ع م ابن ثمان وعشرين سنة، وذكر غير الواقدي انه ولد في ايام عثمان بن عفان، وعثمان قتل في ذي الحجة سنة خمس وثلاثين.

وقد ذكرالرواة عن ابن الكلبي ان امير المؤمنين عليا بن ابي طالب ع م ولى حرث بن جابر الحنفي جانبا من المشرق فبعث اليه بنت يزدجرد ابن شهريار بن كسرى فاعطاها امير المؤمنين ع م ابنه الحسين فولدت منه الامام عليا بن الحسين زين العابدين.وقيل ان حريث بن جابر بعث الى امير المؤمنين ع م بابنتي يزدجرد ابن شهريار بن كسرى، فاعطى واحدة منها ابنه الحسين ع م فاولدها عليا ابن الحسين، واعطى الاخرى محمد بن ابي بكر، فاولدها القاسم بن محمد بن ابي بكر، فهما ابنا خالة . والاصح من الخبر انهما صارا ابنتا يزدجرد الى امير المؤمنين ع م في ايام عمر بن الخطاب،وكان مولد الامام زين العابدين ع م في ايام عثمان سنة ثلاث وثلاثين من الهجرة . ويؤيد ذلك ان الامام عليا بن الحسين زيد العابدين قد روى عن جده امير المؤمنين علي ابن ابي طالب اخبارا حملت عنه، منها ما ذكر انه رواه عند سعد بن طريف انه قال : حدثني علي ابن الحسين ع م قال : سمعت جدي عليا بن الحسين ع م يقول : ايها الناس اتدرون ما يتبع الرجل بعد موته ؟ فسكتوا فقال : يتبعه الولد يتركه يدعو له بعد موته ويستغفر له، وتتبعه الصدقة يوقفها في حياته فيتبعه اجرها بعد موته، وتتبعه السنة الصالحة يعمل بها، فيعمل بها بعده، فيتبعه اجرها واجر من عمل بها من غير ان ينقص من اجورهم شيء،

فكان الامام علي ابن الحسين زين العابدين ع م افضل اهل بيت رسول الله عليه السلام واشرفهم بعد الحسن والحسين عليهم جميعا الصلوة والسلام، واكثرهم ورعا وزهدا وعبادة .

وقد روي عن بهلول رحمة الله عليه انه قال : خرجت حاجا الى بيت الله الحرام، فبينا انا بشارع من شوارع الكوفة اذ انا بصبيان يلعبون بالجوز واللوز ومعهم صبي وادمعه تنحدر على خديه كاللؤلؤ الرطب، فدنوت منه وقلت له : اي بني ما يبكيك ؟ ااشتري لك من الجوز واللوز ما تلعب به مع الصبيان ؟ فما تمالك ان رفع رأسه وقال : يا قليل العقل او للعب خلقنا ؟ قلت : فلما ذا خلقنا ان كنت تعلم ؟ قال : للعمل والعبادة في سبيل الله، قلت : ومن اين لك ذلك بارك الله فيك ؟ قال : ومن قول الله عز وجل : وما خلقنا والسماء وما بينهما لاعبين، وقوله تعالى : وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون، ما اريد من رزق وما اريد ان يطعمون، فقلت : اي بني، اني اراك على صغر سنك حكيما فعظني موعظة واوجز، فانشأ يقول شعرا :

ارى الدنيا تجهر بانطلاق \* مشمرة على قدم وساق

فيا مغرور بالدنيا رويدا \* الا تأخذ لنفسك بالوثاق

كأن الموت والحدثان فيها \* الى نفس الفتى فرسا سباق

فما الدنيا بباقية لحي \* ولا حي على الدنيا بباق

ثم رمق الى السماء بعينه، واشار اليه بكفيه، وادمعه تنحدر على خديه وهو يقول :

يا من اليه المبتهل \* يا من عليه المتكل

يا من اذا امله \* الآمل لم يخط الامل

بحق وجهك الذي \* حجبته عز وجل

اغفر لعبد قد اتى \* كل خطاء وزلل

ثم خرّ على وجهه مغشيا عليه، قال : فرفعت رأسه في حجري وجعلت انفض التراب عن وجهه . فلما افاق قلت له: يا بني، اني اراك صبيا حديث السن ولم يكتب لك ولا عليك، فقال : اسكت عني يا بهلول، فانني نظرت والدتي توقد الحطب في البيت فلا يقد لها الحطب الكبار الا بالصغار، انا اخشى ان اكون من صغار حطب حجر جهنم، فقلت له : زدني موعظة بارك الله فيك، فانشأ يقول :

غفلت وحادي الموت في اثري يحدو \* فان لم ارح ميتا فلا بد ان اغدو

ارى العمر قد ولى ولم ادرك المنى \* وليس معي تقوى وفي سفري بعد

اانعم جسمي باللباس ولينه \* وليس لجسمي من قميص البلا بد

كأني به قد مد في برزخ البلا \* ومن فوقه ردم من تحته لحد

وقد ذهبت عني المحاسن وامحت \* ولم يبق فوق العظم لحم ولا جلد

وقد كنت عاصيت المهيمن جهرة \* واحدثت احداثا وليس لها رد

وارخيت خوف الناس ستري من الحيا \* وما خفت من سرى غدا عنك يبدو

بلى خفته لكن وثقت بحلمه \* وان ليس يعفو غيره فله الحمد

فوالله لو لم نخش شيئا سوى البلى \* ولم يك من ربي وعيد ولا وعد

لكان لنا في الموت شغل وفي البلا \* عن اللهو لكن غاب عن رأينا الرشد

الهي ترى نفسي وقلة صبرها \* اذا لاح ضوء البرق او سبح الرعد

فكيف اذا احرقت بالنار جثتي \* ونارك لا يقوى لها الحجر الصلد

انا عبد سوء خنت مولاي عهده \* كذلك عبد السوء ليس له عهد

عسى غافر الزلات يغفر زلتي \* فقد يغفر المولى اذا اذنب العبد

انا الفرد عند الموت والفرد في البلى \* وابعث فردا فارحم الفرد يا فرد

فلما اتى كلامه خرّ بهلول مغشيا عليه، وانصرف الصبي عائدا الى اهله، فلما افاق نظر الى الصبيان فلم يره معهم، فقال لهم : من يكون هذا الغلام؟ قالوا : وما عرفته ؟ قال : لا والله ما عرفته، قالوا : ذلك علي ابن الحسين بن علي ابن ابي طالب . قال : قد قلت من اين تلك الثمرة الا من تلك الشجرة .

كان بهلول رحمة الله عليه محبا لاهل بيت رسول الله متواليا لهم . وقد كان نسب اليه انه قليل عقل، قيل وانه استعمل ذلك لما طلبه بنو امية ان يولوه ولاية، فكره دنياهم ورفضها، ولم يجد حيلة دون ان تبهلل. وقيل انه عاش الى زمن الصادق جعفر بن محمد ع م، وان جماعة من اهل مدينة النبي صلع ازمعوا ان يسافروا لطلب العلم الى صين الصين فسبقهم الى الطريق واخذ غربالا وجعل ينخل تراب البرية فلما وصلوا اليه قالوا له : ما هذا يا بهلول ؟ قال : اني ضيعت في المدينة فلسا فانا اطلبه وانخل التراب من اجله، فتضاحكوا به، فقال : لا تسخروا مني فانه لشر مني من اراد ان يطلب العلم بصين الصين وجعفر الصادق في المدينة، فعرفوا صدق قوله ورجعوا.

ولبهلول اخبار عجيبة طريفة تغرب على العقلاء من الناس ليس هذا موضع ذكرها.

فكان زين العابدين عليه السلام يظهر زهده وفضله ونسكه وعبادته في صغر سنه حتى ورثه الله امر الامامة بعد ابيه وصير اليه عظيم فضله . ولا تحتمل رواية بهلول الا ان ذلك كان في ايام الحسين بن علي ع م او في ايام الحسن ان لم يكن ذلك او ان جده علي ابن ابي طالب عليه السلام . وقد عرف عند علماء الشيعة وفضلائهم ان الامام الحسين بن علي ع م لم يسر الى الطف للقاء اعداء الله الظالمين الا وقد احضر فضلاء شيعته وعرفهم فضل ولده الامام علي ابن الحسين زين العابدين وانه الخالف له في مقامه، والوصي في اهل بيته بعد انقضاء ايامه، واعلمهم ما عهد اليه ابوه امير المؤمنين علي ابن ابي طالب ع م فيما اخذه عن رسول الله صلع مما اوحى اليه به ربه واوجب بلاغه عليه.

وجعل الامام الحسين بن علي ع م اخاه محمد بن علي المعروف بابن الحنفية رضوان الله عليه سترا على زين العابدين ع م وحجة له، فكان اكثر الشيعة يقولون بامامة محمد بن علي، واهل الفضل منهم يعرفون ان الامام هو زين العابدين ع م الذي هو من ذرية البتول، وسلالة الرسول، وقد كان محمد ابن علي عليه السلام اذا وحد من احد من الشيعة فضلا ورآه لكتم سره محلا يدله على الامام زين العابدين ع م ويقول له : هو امامي وامامك وامام المسلمين، واحق من ولي ذلك من اهل البيت الطاهرين . وكان محمد يتقي على ابن اخيه زين العابدين خوفا عليه من الظالمين وتقية عليه من لعناء بني امية المشاقين لاهل الوحي المعاندين.

وقد قال ابو عبد الله محمد بن عبد الكريم الشهرستاني في كتابه الذي سماه كتاب الملل والنحل حيث قال في محمد بن الحنفية رضوان الله عليه : والسيد كان كثير العلم غزير المعرفة وقاد الفكر مصيب الخواطر في العواقب، قد اخبره امير المؤمنين ع م عن اخبار الملاحم، واطلعه على مدارج العلم، وقد اختارالعزلة وآثر الخمول على الشهرة، وقد قيل انه كان مستودعا علم الامامة حتى سلّم الامامة الى اهلها، وما فارق الدنيا حتى اقرها في مستقرها، هذا قوله .

وكان من سر الله تعالى في زين العابدين ان وقاه الله شر الظالمين، ودفع عنه كيد اعدائه المتغلبين مع جدهم واجتهادهم في اطفاء نور الله الذي يريد اتمامه، وقطع كلمته التي ابقاها في عقب رسوله الى يوم القيامة.

ولقد روي عن محمد بن الحسن بن علي بن ابي طالب ع م انه قال: قدم بنا على يزيد بن معاوية بن ابي سفيان لعنه الله بعد ما قتل الامام الحسين بن علي عليه السلام ونحن اثنا عشر غلاما ليس منا احد الا مجموعة يداه الى عنقه، وفينا علي ابن الحسين ع م فقال لنا يزيد :صيرتم انفسكم صيدا لاهل العراق ما علمت بمخرج ابي عبد الله حتى علمت بقتله، يعني الامام الحسين عليه السلام، ولقد كذب عدو الله بل هو الذي جهز اليه الجيوش، وكتب الى ابن زياد يحثه في لقائه وقتله ان ظفر به . فلما سمع الامام علي بن الحسين ع م قوله تلا قول الله تعالى : ما اصاب من مصيبة في الارض ولا في انفسكم الا في كتاب من قبل ان نبرأها ان ذلك على الله يسير، لكيلا تأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما اتاكم والله لا يحب كل مختال فخور، فاطرق يزيد اللعين مليا، وجعل يعبث بلحيته وهو مغضب ويقرأ وما اصابكم من مصيبة فبما كسبت ايديكم ويعفو عن كثير، ثم قال: يا اهل الشام ما ترون في هؤلاء ؟ فقال قائلهم : لا تتخذ جروا من كلب سوء فلعنهم الله ان شبهوا رسول الله صلع بذلك، وذلك دليل على كفرهم وانهم ما اعتقدوا الاسلام،الا طمعا في الحطام، ولا عرفوا فضل الرسول عليه وعلى آله الصلوة والسلام. فقال النعمان بن بشير الانصاري ليزيد بن معاوية لعنه الله : انظر ما كنت ترى ان رسول الله صلع يفعله فيهم لو كانا حيا فافعله، فبكى يزيد، فقالت فاطمة بنت الحسين ع م : يا يزيد ما تقول في بنات رسول الله صلع سبايا عندك؟ فاشتد بكاؤه رياء ونفاقا حتى سمع ذلك نساؤه فبكين حتى سمع بكاءهن من كان في مجلسه، وقيل ان ذلك كان بعد ان حبسهن في منزل لا يكنهن من حر ولا برد فاقاموا فيه شهرا ونصفا حتى تقشرت وجوههم من حر الشمس . ثم اطلقهم يزيد اللعين وحيل بينهم وبينه، وابقى الله كلمته وخلافة نبيه في الامام علي بن الحسين زين العابدين صلوات الله عليه، فبان فضله، وظهرت معجزته، فسار عليه السلام الى مدينة جده وموضع هجرته وجوار قبره، ومن معه من حرمه واهله، وحفظ الله به امره، وهو امام الامة وابو الائمة، ومنه تناسل عقب الحسين ع م وذريته، وليس للحسين عقب الا منه .

وروي عن جعفر بن محمد بن علي ع م انه قال : اصيب الحسين ع م وعليه دين وبضعة وسبعون الف دينار، قال : وكف يزيد عن اموال الحسين ع م، غير ان سعيد ابن العاص هدم دار علي ابن ابي طالب ودار عقيل ودار بنت امرء القيس امرأة الحسين ع م، وهي ام سكينة بنت الحسين، وقد ذكرناها، قال : فاهتم علي ابن الحسين بدين ابيه هما شديدا حتى امتنع عن الطعام والشراب والنوم في اكثر ايامه ولياليه، فاتاه آت في المنام فقال له : لا تهتم بدين ابيك، فقد قضاه الله عنه بمال بجيش، فقال له علي ابن الحسين ع م: والله ما اعرف من مال ابي ما يقال له مال بجيش، فلما كان في الليلة الثانية رأى مثل ذلك، فسأله عنه اهله، فقالت له امرأة من اهله : كان لابيك عبد رومي يقال له بجيش، استنبط له عينا بذي خشب فسأل عن ذلك فاخبر به وان الحسين بن علي ع م كان اعطى الرباب بنت امرئ القيس منها سقي يوم السبت وليلة السبت نحلة فورثت ذلك سكينة بنتها، فما مضت بعد ذلك ايام قلائل حتى ارسل الوليد بن عقبة بن ابي سفيان الى علي ابن الحسين ع م يقول له : قد ذكرت لي عين لابيك بذي خشب تعرف بعين بجيش، فان احببت بيعها ابتعتها منك، قال له علي ابن الحسين : خذها بدين الحسين، وذكره له، قال : قد اخذتها، واستثنى منها ما كان لسكينة ووفى دين الحسين عليه السلام والصلوة .

ولزم علي ابن الحسين الخمول للتقية والعبادة، وكان يقال له ذو الثفنات لانه كان بموضع السجود منه كثفنات البعير، وكان علي ابن الحسين ع م يصوم النهار ويقوم الليل، فاذا هدأت كل عين دعى بدعاء كان يدعو به كل ليلة يقول فيه : اهلي مادت نجوم سماواتك، وهدأت اصوات عبادك، وغلقت ملوك بني امية عليها ابوابها وطاف عليها حراسها، واحتجبوا عمن يسألهم حاجة او يبتغي منهم فائدة وانت الهي حي قيوم لا تأخذك سنة ولا نوم، ولا يشغلك شيء عن شيء، ابواب سماواتك لمن دعاك مفتحات، وخزائنك غير مغلقات، ورحمتك غير محجوبة، وفوائدك لمن سألكها غير محظورات، انت الهي الكريم لا ترد سائلا من المؤمنين ما تختزل حوائجهم دونك، ولا يقضيها احد غيرك، الهي وقد ترى مقامي بين يديك، وتعلم سريرتي، وتطلع على ما في قلبي وما يصلحني في دنياي وآخرتي . الهي وترقت الموت وهول المطلع والوقوف بين يديك نغضني مطعمي ومشربي، وغصني بريقي، واقلقني عن وسادي وهجعتي، وارقني ومنعني من رقادي، الهي وكيف ينام من يخاف بيات ملك الموت في طوارق الليل والنهار، ثم يبكي حتى ربما ايقظ اهله بكاؤه فيفزعون اليه فيجدونه قد الصق خده بالتراب وهو يقول : رب اسألك الراحة والروح والامان .

روي عن طاووس اليماني انه قال : حججت فدخلت الحجر ليلا فرأيت علي ابن الحسين ع م قائما يصلي، فدنوت منه وقلت : رجل من الصالحين لعلي اسمع منه دعاء فانتفع به فسمعته يقول في دعائه وهو ساجد : عبدك بفناءك مسكينك بفناءك فقيرك بفناءك، ثم يدعو بما يريد، قال طاووس : فاخذتهن عنه، فما دعوت بهن بعد ذلك في كرب الا فرج الله علي.

وكان علي ابن الحسين ع م اذا قام الى الصلوة تغير لونه واصابته رعدة وحال لونه، وربما سأله عن حاله من لا يعرف امره في ذلك فيقول : اني اريد الوقوف بين يدي ملك عظيم.

وعن ابي جعفر محمد بن علي انه قال : كان ابي علي ابن الحسين ع م يصلي في كل يوم وليلة الف ركعة وان كانت الريح لتميله اذا هو قائم في الصلوة، وكان ع م اذا وقف في الصلوة لم يشتغل بغيرها ولم يسمع شيئا لشغله بالصلوة، وسقط بعض ولده في بعض الليالي فانكسرت يده، فصاح اهل الدار، واتاهم الجيران وجيء بالمجبر فجبر الصبي وهو يصيح من الالم وكل ذلك لا يسمعه، فلما ان اصبح رأى الصبي يده مربوطة الى عنقه، فقال : ما هذا ؟ فاخبروه .

وجاء عن ابي جعفر محمد بن علي ع م انه دخل عليه فرآه في حال رق له بها لما بلغت به العبادة قد اصفر لونه من السهر والصيام ورمضتا عيناه من البكاء، ودبرت جبهته وانخرم انفه من السجود، وورم كفاه وقدماه من القيام، فلم يملك ان بكى رحمة له، قال : فعلم اني انما بكيت لما رأيت منه، فقال : يا بني اعطني بعض الصحف التي فيها ذكر عبادة علي ابن ابي طالب ع م فاعطيته منها صحيفة فنظر في شيء منها ثم وضعها بين يديه وقال : من يقوى على عبادة امير المؤمنين ع م ثم لم يمت حتى عمل بعمل علي عليه السلام.

وروي عن سعيد بن كلثوم قال : كنت عند ابي عبد الله جعفر بن محمد عليه السلام فذكر علي ابن ابي طالب ع م فقال : والله ما اكل من الدنيا حراما قط حتى مضى لسبيله، وما عرض عليه امران هما رضا الله الا اخذ باشدهما عليه في دينه، وما نزل برسول الله صلع نازلة الا دعاه فقدمه امامه لها ثقة به، وما اطاق على عمل رسول الله صلع من هذه الامة غيره، وانه كان ليعمل عمل رجل كأن وجهه بين الجنة والناريرجو ثواب هذه ويخاف عقاب هذه. ولقد اعتق من ماله الف مملوك في ابتغاء وجه الله والنجاة من النار مما كد منه بيده ورشح منه جبينه . وان كانت ليقوت اهله بالخل والزيت والعجوة، وكان لباسه الا الكرابيس، واذا فضل شيء عن يده من كمه قطعه . وما اشبهه من اهل بيته احد وان كان اقرب القوم شبها في احواله وافعاله غير علي بن الحسين عليه السلام.

وكان ع م اذا انقضى الشتاء تصدق بكسوته في الشتاء، واذا انقضى الصيف تصدق بكسوته في الصيف، وكان يلبس من خز الثياب فقيل له : تعطيها من لا يعرف قيمتها ولا يليق به لباسها، فلو بعتها وتصدقت بثمنها، فقال :اني اكره ان ابيع ثوبا صليت فيه.

ومما يروى في حلم الامام علي بن الحسين عليه الصلوة والسلام ان الحسن ابن الحسن وقف عليه فاسمعه وعنده جماعة فسكت علي ابن الحسين عليه السلام ولم يجبه بشيء، فلما مضى قال علي ابن الحسين لاصحابه : سمعتم ما قال هذا الرجل ؟ قالوا : سمعنا، ولقد نحب ان تقول فيه ونقول، فتلى عليه السلام : والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس والله يحب المحسنين، ثم قال : احب ان تقوموا معي الى منزله حتى تسمعوا ردي عليه، فانه لم ينبغ ان ارد عليه في مجلسي، فقام القوم معه وهم يرون انه يستنصف منه، فلما ان اتى منزله استأذن عليه، فخرج اليه وظن انه انما جاءه ليستنصف منه فبدأه بالكلام، فقال له علي ابن الحسين ع م : على رسلك يا اخي، قد سمعت بما قلت لي في مجلسي، ونحن الآن في مجلسك فاستمع ما اقول لك، ان كان الذي قلت لي كما قلت فاني اسأل الله ان يغفر لي، وان لم يكن ذلك كما قلت فاني اسأل الله ان يغفر لك، فاستحي الحسن فقام اليه فقبّل رأسه وما بين عينيه وقال : بلى قلت والله ما ليس فيك واستغفره واعتذر اليه.

وقيل ان جارية له كانت يوما توضيه فسقط الابريق من يدها على وجهه فشجه، فنظر اليها فقالت : يا مولاي ان الله عز وجل يقول :والكاظمين الغيظ، قال : قد كظمت غيظي، قالت ويقول : والعافين عن الناس، قال قد عفوت عنك، قالت ويقول والله يحب المحسنين، قال فانت حرة لوجه الله.

ونادى علي ابن الحسين ع م يوما مملوكا له فلم يجبه وهو يسمعه فقال : يا بني اناديك فلا تجيبني، اما تخاف ان اعاقبك ؟ قال : لا والله ما اخافك، وذلك الذي حملني على ان لم اجبك، فقال علي ابن الحسين عليه السلام : الحمد لله الذي جعل مملوكي آمنا مني.

وقيل ان مولى لعلي ابن الحسين كان يتولي عمارة ضيعة له فجاء ليطلع فيها، فاصاب فيها فسادا وتضييعا كثيرا اغاظه من ذلك ما رآه وغمه، فقرع المولى بسوط كان في يده، وكان ذلك مما لم يكن منه الى احد قبله مثله، وندم على ما كان منه ندامة شديدة، فلما انصرف الى منزله ارسل في طلب المولى فاتاه، فوجده مقاربا والسوط بين يديه، فظن انه يريد عقوبته، فاشتد خوفه، فاخذ علي ابن الحسين ع م السوط ومد يده اليه، فقال : ما هذا ؟ قال : قد كان اليك مني ما لم يتقدم لي مثله، وكانت هفوة وزلة، فدونك السوط فاقتص مني، فقال المولى : يا مولاي، والله اني ظننت انك تريد عقوبتي وانا استحق العقوبة،فكيف اقتص منك ؟ قال : ويحك اقتص، قال : معاذ الله، انت في حل وسعة، فكرر عليه مرارا والمولى في كل ذلك يتعاظم قوله ويجلله، فلما ابى الغلام ان يقتص منه قال له : فالضيعة صدقة عليك، فاعطاه اياها .

وروى ابو حمزة الشمالي، قال : سمعت علي ابن الحسين عليه السلام يقول : ما احب ان لي بنصيبي من الدنيا حمر النعم وما تجرعت من جرعة هي احب الي من جرعة غيظ لا اكافئ بها صاحبها .

وروي عن زاررة بن اعين انه قال : كانت لعلي ابن الحسين ع م ناقة حج عليها اربعة وعشرين حجة ما قرعها قرعة قط .

واتى عن ابراهيم بن علي المواقفي عن ابيه قال : حججت مع علي بن الحسين ع م وهو على ناقة، فالتاثت عليه فرفع القضيب فاشار اليها به وقال : لولا خوف القصاص لفعلت.

وروي عن عبد الله بن موسى عن ابيه عن جده انه قال : كانت امي فاطمة بنت الحسين تامرني ان اجلس الى خالي علي ابن الحسين، فما جلست اليه بمجلس قط الا افدت منه علما

ونقول كيف لايكون ذلك وقد اخذ العلم عن رباني الامة وعالمها الذي قال فيه النبي صلع : انا مدينة العلم وعلي بابها، وقد اخذ عنه السبطين الحسن والحسين. وقد قال امير المؤمنين علي ابن ابي طالب ع م : فان جميع ما فضل به النبيون في محمد صلىالله عليه وعلى آله الطاهرين، فكان الامام علي ابن الحسين وارث علم رسول الله صلع عن الحسن والحسين، ثم عن امير المؤمنين علي ابن ابي طالب، وورثه الائمة من ذريته واحد بعد واحد، فهم خلفاء رسول الله صلع ومعدن فضله، ووارثو علمه، يرثه منهم آخر عن اول، وولد عن والد افضل وراثة عن النبي المرسل، وخلافة جعلهم الله لها خير محل، حتى تقوم الساعة ويرج الامر الى الله ويكون الدين كله لله، هل ينظرون الى تأويله يوم يأتي تأويله يقول الذين نسوه من قبل قد جاءت رسل ربنا بالحق.

ومما روي من كرم الامام علي ابن الحسين ع م انه ولي هشام بن اسماعيل المخزومي المدينة فنال منه علي ابن الحسين ع م من الاذى والمكروه عظيما، ثم عزله الوليد بعد ذلك، وامر ان يوقف للناس فلم يكن اخوف من احد منه من علي ابن الحسين ع م لما ناله منه ان يرفع ذلك عنه، ويقول فيه ويشكوه، فلم يقل فيه شيئا، ونهى خاصته واهل بيته وكل من سمع له عن القول فيه بسوء، ثم ارسل اليه وهو واقف عند دار مروان : انظر ما اعجزك من مال تؤخذ به فعندنا ما يسعك، فطب نفسا منا ومن كل من يطيعنا، فنادى هشام باعلى صوته : الله اعلم حيث يجعل رسالته .

واعتل زيد بن اسامة بن زيد علته التي مات فيها، فلما احتضر حضره الامام علي زين العابدين فجعل زيد يبكي، فقال له الامام علي ابن الحسين عليه السلام : ما يبكيك ؟ قال : خلفت علي خمسة عشر الف دينار وليس فيما اخلفه وفاء ذلك، فقال له علي ابن الحسين ع م فطب نفسا، فعلي وفاء ذلك عنك فوفاه

ومر علي ابن الحسين ع م يوما بسعيد بن المسيب وعند سعيد رجل، فقال له : من هذا ؟ فقال ابن المسيب : هذا علي ابن الحسين زين العابدين.

وحج الامام علي ابن الحسين ع م في ايام هشام بن عبد الملك، فوافق ان هشاما اراد ان يستلم الركن، فلم يبلغ الى ذلك لكثرة الازدحام فوقف، واتى الامام علي ابن الحسين ع م وهشام لا يعرفه، فانفرج له الناس حوله حتى وصل البيت واستلم الركن، فقال هشام الاموي : من هذا الذي انفرج الناس له ولم ينفرجوا لي وانا امير المؤمنين ؟ فقال الفرزدق مجيبا له :

يا سائلي اين حل الجود والكرم \* عندي الجواب اذا سؤاله قدموا

هذا الذي يعرف البطحاء وطأته \* والبيت يعرفه والحل والحرم

هذا ابن خير عباد الله كلهم \* هذا التقي النقي الطاهر العلم

اذا رأته قريش قال قائلها \* الى مكارم هذا ينتهي الكرم

ينمي الى ذروة المجد التي قصرت \* عن نيلها عرب الاسلام والعجم

من جده دان فضل الانبياء له \* وفضل امته دانت له الامم

ينشق ثوب الدجى عن نور غرته \* كالشمس تنجاب عن اشراقها الظلم

يكاد يمسكه عرفان راحته \* ركن الحطيم اذا ما جاء يستلم

يغضي حياء ويغضى من مهابته \* فما يكلم الا حين يبتسم

في كفه خيزران ريحه عبق \* من كف اروع في عرنينه شمم

مشتقة من رسول الله نبعته \* طابت عناصرها والخيم والشيم

كلتا يديه غياث عم نفعهما \* يستوكفان فلا ينحوهما العدم

عم البرية بالاحسان فانقشعت \* عنه الغباوة والاملاق والظلم

ما قال لا قط الا في تشهده \* لولا التشهد لم تنطق بذاك فم

لا يخلف الوعد ميمون نقيبته \* رحب الفناء لبيب حين يعتزم

سهل الخليقة لا تخشى بوائقه \* يزينه الخلتان الخلق والكرم

حمال اثقال اقوام اذا قدموا \* حلو الشمائل تحلو عنده النعم

وليس قولك من هذا بضائره \* العرب تعرف من انكرت والعجم

هذا ابن فاطمة ان كنت جاهله \* بجده انبياء الله قد ختموا

الله شرفه قدما وكرمه \* جرى بذاك له في لوحه القلم

من معشر حبهم دين وبغضهم \* كفر وقربهم منجى ومعتصم

مقدم بعد ذكر الله ذكرهم \* في كل امر ومختوم به الكلم

قوم بهم عرفت بطحاء مكتها \* والبيت بيت اله الناس والحرم

يستدفع السوء والبلوى بحبهم \* ويستتم به الاحسان والنعم

ان عد اهل التقى كانوا ائمتهم \* او قيل من خير خلق الله قيل هم

لا يستطيع جواد بعد غايتهم \* ولا يدانيهم قوم وان كرموا

هم الغيوث اذا ما ازمة ازمت \* والاسد اسد الشرى والحرب مضطرم

يأبى لهم ان يحل الذم ساحتهم \* خيم كريم وايد بالندى سجم

لا ينقص العيش قصد من اكفهم \* سيان ذلك ان اثروا وان عدموا

اي الخلائق ليست في رقابهم \* لاولية هذا اوله نعم

من يعرف الله يعرف اولية ذا \* فالدين من جد هذا ناله الامم

لو يعرف الركن من قد جاء يلثمه \* لخر يرشف رجليه ويلتثم

وروي عن جعفر بن محمد ع م انه قال : كان علي ابن الحسين يعجب بالعنب، فدخل منه المدينة شيء حسن، فاشترت منه ام ولده شيئا واتته به عند افطاره فاعجبه، فوقف سائل بالباب قبل ان يمد اليه يده فقال: احمليه الى السائل، فقالت يا مولاي بعضه يكفيه، قال : لا وارسله اليه كله، فاشترت له من غد واتت به اليه، فوقف السائل ففعل مثل ذلك . وارسلت فاشترت له في الليلة الثالثة، واتته به ولم يأت سائل فاكل وقال : ما فاتني شيء فالحمد لله.

وروي ان الزهري قارف ذنبا فخاف منه على نفسه، فاستوحش من الناس وهام على وجهه، فلقيه علي ابن الحسين ع م فقال له : يا زهري لقنوطك من رحمة الله التي وسعت كل شيء اعظم من الذنب الذي خشيت منه على نفسك، فسكن الزهري الى قوله وقال الله يعلم حيث يجعل رسالته، ثم وعظه الامام علي بن الحسين ع م بمواعظ وتلى عليه آيات من القرآن فيما قارفه وفي التوبة والاستغفار، فتاب واستغفر ورجع الى اهله، ولزم علي ابن الحسين عليه السلام وكان يعد من اصحابه، وكان يروي عنه، ويحدث عنه، ويحدث بفضله، ولذلك قال له بعض بني مروان : يا زهري ما فعل نبيك؟ يعني علي ابن الحسين عليه السلام لما كان الزهري يذكر من فضله

وكان الامام علي بن الحسين ع م يقول : الحلم هو الذل

وروي ان الامام عليا بن الحسين كان يحاسب نفسه ويناجي ربه ويقول : يا نفس متى الى الحياة ركونك ؟ والى الدنيا وعمارتها سكونك ؟ اما اعتبرت بمن مضى من اخلافك، ووارته الارض من اسلافك، وبمن فجعت به من اخوانك، وبمن شيعته من اخدانك .

فهم في بطون الارض بعد ظهورها \* محاسنهم فيها بوال دواثر

اخلت دورهم منهم واقوت عراصهم \* وساقتهم نحو المنايا المقادر

وخلوا عن الدنيا وما جمعوا لها \* وضمتهم تحت التراب الحفائر

وكم تخرم ايدي المنون من قرون بعد قرون، وكم غيبت الارض في ثراها، وغيرت ببلاها ممن عاشرت من اصناف الناس، وشيعتهم الى ا لارماس.

وانت على الدنيا مكب منافس \* لخطابها فيها حريص مكاثر

على خطر تمسي وتصبح لاهيا \* اتدري بما ذا لو عقلت تخاطر

وان امرء يسعى لدنياه جاهلا \* ويذهل عن اخراه لا شك خاسر

فحتام على الدنيا اقبالك، وبلذاتك انشغالك، وقد وخطك القيتر ووافاك النذير، وانت عما يراد بك ساه، وبلذة نومك لاه.

ولم تتزود للرحيل وقد دنى \* وانت على حال وشيك مسافر

ابعد اقتراب الاربعين تربص \* وشيب قذال منذر لك ذاعر

كأنك معني بما هو ضائر \* لنفسك او عمدا عن الرشد جائر

فانظر الى الامم الخالية، والقرون الماضية، كيف انتسفتهم الايام، وطحنهم الحمام، فاضمحلت من الدنيا آثارهم، وبقيت فيها اخبارهم.

واضحوا رميما في التراب واقفرت \* مجالس منهم عطلت ومقاصر

وحلوا بدور لا تزاور بينهم \* وانى لسكان القبور التزاور

فما ان ترى الا جثا قد ثووا بها \* مسنمة تسفي عليها الاعاصر

فكم عاينت من ذي عزة وسلطان، وجنود واعوان، قد تمكن من دنياه فنال فيها مناه، وبنى الحصون والدساكر، وجمع الاعلاق والذخائر.

فما صرفت كف المنية اذ اتت \* مبادرة تهوى اليه الذخائر

ولا دافعت عنه الحصون التي بنى \* وحفت بها انهارها والدساكر

ولا طاعنت عنه المنية خيله \* ولا طمعت في الذب عنه العشائر

اتاه من امر الله ما لا يرد، ونزل به من قضائه ما لا يصد، فتعالى الله الملك القهار المتكبر الجبار قاصم الجبارين، ومبيد المتكبرين .

اله عظيم لا يرد قضائه \* حكيم عليم نافذ الامر قاهر

عن كل ذي عز لعزة وجهه \* فكل عزيز للمهيمن صاغر

لقد خشعت واستسلمت وتضاءلت \* لعزة ذي العرش الملوك الجبابر

فالحذار الحذار، والبدار البدار، عن الدنيا ومكائدها، وما نصبت لك من مصائدها، واستشرف لك من زينتها، وتجلت لك من فتنتها

وفي دون ما عاينت من فجعاتها \* الى رفضها داع وبالزهد آمر

فجد ولا تغفل فعيشك زائل \* وانت الى دار المنية صائر

ولا تطلب الدنيا فان طلابها \* وان نلت منها رغبة لك ضائر

وهل يحرص على الدنيا اديب، او يسر بلذاتها اريب، وهو على ثقة من فنائها، وغير طامع ببقائها، وهل تسكن نفس من يتوقع الممات، او تقر عين من يخشى الفوات.

وكيف يلذ العيش من هو موقن \* بموقف عرض يوم تبلى السرائر

الا لا ولكنا تغرنفوسنا \* وتشغلنا اللذات عما نحاذر

كأنا نرى ان لا نشور واننا \* سوى ما لنا بعد المنية ناشر

وكم عسى ان ينال طالب الدنيا من لذاتها، ويتمتع من بهجتها، مع فنون مصائبها، واصناف عجائبها، مع ما يكابد من اسقامها، ويعالج من اوصابها وآلامها .

المت به في كل يوم وليلة \* يروح عليه صرفها ويباكر

تعاوره آفاقها وهمومها \* وكم ذاعى يبقى لها المتعاور

فلا هو مغبوط بدنياه آمن \* ولا هو عن تطلابها النفس زاجر

وكم غرت الدنيا من مخلد اليها، وصرعت من مكب عليها، فلم تقله من عثرته، ولم تنعشه من صرعته، ولم تداوه من سقمه، ولم تشفه من المه .

بلى اوردته بعد عز ومنعة \* موارد سوء ما لهن مصادر

فلما رأى ان لا نجاة وانه \* هو الموت لا تنجيه منه المعاذر

تندم لو يغنيه طول ندامة \* عليه وابكته الذنوب الكبائر

بكى على ما اسلف من خطاياه، وحسر على ما خلف من دنياه، عند حلول المنية، ونزول البلية، حيث لا ينفعه الاعتذار، ولا ينجيه الاستغفار

احاطت به آفاقه وهمومه \* وابلس لما اعجزته المعاذر

ليس له من كربة الموت فارج \* وليس له مما يحاذر ناصر

وقد خضعت خوف المنية نفسه \* ترددها دون اللهات الحناجر

هنالك خف عنه ممرضوه وعواده، واسلمه اهله واولاده، وارتفعت الرنة والعويل، عند يأسهم من برء العليل، ومدوا عند خروج نفسه رجليه، وغمضوا بعد ذلك عينيه .

فكم موجع يبكي عليه مفجع \* ومستنجد صبرا وما هو صابر

ومسترجع داع الى الله مخلص \* يعود منه خير ما هو ذاكر

وكم شامت مستبشر بوفاته \* وعما قليل كالذي صار صائر

فشقت نساؤه ولطمت خدودها اماؤه، واعول لفقده جيرانه، وتوجع لمفارقته اخوانه، ثم اقبلوا على جهازه، وشمروا لابرازه .

وظل احب القوم من كان خله \* يحث على تجهيزه ويبادر

وشمر من قد احضروه لغسله \* ووجه لما فاظ للقبر حافر

وكفن في ثوبين واجتمعت له \* مشيعة ارحامه الاناصر

فلو ترى الى الاصغر من اولاده، وقد غلب الجنون على فؤاده، وقد غشي من الجزع عليه، ودمعه يخضل على خديه، وقد افاق من غشيته، وهو يندب اباه، ويقول يا ويلتاه.

لعاينت من هول المنية منظرا \* يروع ويرتاع الذي هو ناظر

اكابر ولدان يهيج اكتيابهم \* اذا ما تناساه البنون الاصاغر

ورنة نسوان عليه جوازع \* مدامعها فوق الخدود غزائر

واخرجوه من سعة قصره، الى ضيق قبره، وردوا عليه بايديهم التراب، واكثروا عليه التردد والانتجاب، ووقفوا ساعة عليه، وكلهم قد يئس النظر اليه .

فولوا جميعا مدبرين وكلهم \* لمثل الذي لاقى اخوهم محاذر

كشاء رتاع آمنات بدالها \* بمدينة عبل الذراعين حاسر

فريعت ولم ترتع قليلا واجفلت \* فلما انتهى عنها الذي هو ذاعر

رجعت الى مرعاها، ونسيت ما فاجاها، افبافعال البهائم اقتدينا، وعلى عاداتها جرينا، عد الى المنقول الى الثرى، المطلع على هول ما يرى .

ثوى مفردا في لحده فتوازعت \* مواريثه ارحامه والاصاهر

وانحوا على امواله يهضمونها \* ولا حامد عنهم عليها وشاكر

فيا عامر الدنيا ويا ساعيا لها \* ويا آمنا من ان تدور الدوائر

ما امنك من هذه الحالة وانت صائر اليها لا محالة ؟ ام كيف تتهيأ حياتك وهي مطيتك الى مماتك ؟ ام كيف تتهيأ الى طعامك وانت منتظر حمامك؟

وفي ذكر هول الموت والقبر والبلى \* عن اللهو واللذات للمرء زاجر

فيا لهف نفسي كم اسوف توبة \* وعمري ماض والردى لي حاضر

والقى الذي اسديت في الحكم مثبتا \* يجازي عليه عادل الحكم قاهر

فيا راقعا بدينه دنياه، ويركب مع ذلك هواه، اني اراك ضعيف اليقين، يا راقع الدنيا بالدين، ابهذا امرك الرحمن ؟ اعلى هذا دلك القرآن؟

تخرب ما يبقى تعمر فانيا \* فلا ذاك موفور ولا ذاك عامر

فحسبك ان فاجاك موتك بغتة \* ولم تكتسب خيرا لدى الله عاذر

اترضى بان تفنى الحياة وتنقضي \* ودينك منقوص وما لك وافر

وبلغ الامام علي ابن الحسين صلوات الله عليه ان مسرفا استعمل على المدينة وانه يتواعده بسوء، فكان يقول عليه السلام : لم ار مثل التقدم في الدعاء لان العبد ليس يحضره الاجابة في كل وقت، فجعل يكثر من الدعاء لما اتصل به امر مسرف، وكان من دعائه : كم نعمة انعمت بها علي، قل لك عندها شكري كم من بلية ابتليتني بها قل لك عندها صبري، وكم من معصية اتيتها فسترتها علي فلم تفضحني، صلى على محمد وعلى آل محمد وبك ادفع في نحره، وبك استعيذ من شره، فكفى عليه السلام شره، واستجاب الله دعاءه، واستمع نداءه. وهذا مسرف اللعين فاسمه مسلم بن عقبة، وسمي مسرفا ومجرما لعظيم اسرافه في القتل وجرمه، وكونه ضد اسمه، وسبب تولية يزيد لعنه الله لمجرم المدينة فيما رواه الواقدي وابن اسحاق وابن هشام ان جماعة من العلماء من اهل المدينة وفدوا على يزيد بن معاوية سنة اثنتين وستين بعد ما قتل الحسين عليه السلام فرأوا يزيدا يشرب الخمر ويلعب بالكلاب القردة، فلما رجعوا الى المدينة اظهروا سبه وثلبه والبراءة منه، وخلعوه وطردوا عامله عثمان بن محمد بن ابي سفيان، وقالوا قدمنا من عند رجل لا دين له ولا اسلام يسكر ويدع الصلوة، وبايعوا عبد الله بن حنظلة الغسيل، وكان عبد الله بن حنظلة يقول : يا قوم والله ما خرجنا على يزيد حتى خفنا ان نرمى بحجارة من السماء، رجل ينكح الامهات والبنات والاخوات ويشرب الخمر ويفعل المنكرات ويقتل اولاد النبيين ويدع الصلوة، والله لو لم يكن عندي احد من الناس لابليت في الله بلاء حسنا، فبلغ العلم الى يزيد بن معاوية، فبعث اليهم مسلم الذي هو بالحقيقة مجرم بن عقبة في جيش كثيف من اهل الشام، فخرج اليه الناس من بقية المهاجرين والانصار فوافوه في الحرة، فاوقع بهم لعنه الله وقتل منهم مقتلة عظيمة، وقالوا كانت القتلى يوم الحرة سبعمائة من وجوه الناس من المهاجرين والانصار وقريش، ومن الموالي، واما من لم يعرف من حر او عبد او امرأة فعشرة آلاف، وخاض الناس في الدماء حتى وصلت الى قبر رسول الله صلع وامتلأت الروضة والمسجد، والتجأ الناس الى حجرة رسول الله صلع ومنبره والسيف يفعل فيهم والرمح، واباح اللعين مسلم بامر يزيد مدينة رسول الله صلع وحرمه الذي حرمه كما حرم ابراهيم ع م مكة، فاباح المدينة ثلاثا ينهب المال ويهتك الحريم، وقتل عبد الله بن حنظلة الغسيل رحمة الله عليه واشراف الناس.

وذكر المدائني عن ابي مرة فيما اسنده عن هشام بن حسان قال : ولدت الف امرأة من غير زوج بعد الحرة، وقد قال غيره عشرة آلاف في مدينة النبي صلع

نقول اي مصيبة اعظم واي رزية اكبر من استباحة حرم الرسول صلع وان يفعل فيه كهذه الافعال الشنيعة والمسلمون ينظرون لا ينهون عن ذلك ولا ينكرون، ولو قاموا جميعا حتى يقتلوا يزيد اللعين او يقتلوا اجمعين لكان ذلك في الله قليلا. هذا والغزالي يلعن من لعن يزيد، وهم يعظمونه ويفخمونه، ويقولون بعلمه، وهل يذكر بخير من فعل هذه الافعال؟ نعوذ بالله من الضلال واتباع اصحاب المحال الذين غيروا الاسلام ونصروا ائمة الكفر المعاندين لاولياء الله .

قال ابن سعد وكان مروان بن الحكم يحرض على اهل المدينة وبلغ ذلك يزيدا فشكر مروان وادناه ووصله وحباه، واعظم من ذلك ما فعلوا في ذرية الرسول صلع يوم الطف، فلم ينكر يزيد على ابن زياد فعله، بل ادناه وقربه ووصله، واستدعى عبيد الله بن زياد لعنه الله بعد قتل الحسين بن علي عليه السلام واعطاه اموالا عظيمة وتحفا كثيرة، وقرّب مجسله، ورفع منزلته، وسكر يزيد لعنه الله ليلة ثم قال للمغني غنّ فغنّى، ثم قال يزيد بديها :

اسقني شربة تروي فؤادي \* ثم قم واسق مثلها ابن زياد

موضع السر والامانة مني \*وعلىثغر مغنمي وجهادي

قاتل الخارجي اعني حسينا \* ومبيد الاعداء والاضداد

فلعنة الله على يزيد ومتواليه، وعلى من انكر على لاعنيه، وكيف يلعن الغزالي لاعن يزيد وقد قال احمد في المسند : حدثنا انس بن عياض حدثني يزيد بن حصينة عن عبد الله بن عبد الرحمن بن صعصعة عن عطاء ابن مثنى عن السائب بن جلاد ان رسول الله صلع قال : من اخاف المدينة ظالما اخافه الله وعليه لعنة الله والملائكة والناس اجمعين، لا يقبل الله منه يوم القيامة صرفا ولا عدلا، فهذا رسول الله صلع يلعن من اخاف المدينة، ومن الذي اخافها سوى يزيد ؟ فيما بال الغزالي يلعن لاعنه؟ ان هذا لكفر صراح، ودفع القرآن الحق بالراح.

وقال البخاري : حدثنا حسين بن حريث حدثنا الفضل بن جعيد عن عائشة قالت : سمعت سعدا يقول سمعت رسول الله صلع يقول لا يكيد اهل المدينة احد الا انماع كما ينماع الملح في الماء، ولا يريد اهل المدينة احد بسوء الا اذابه الله في النار كما يذوب الرصاص.

وقد قال رسول الله صلع : اللهم ارحم الانصار وابناء الانصار وابناء ابناء الانصار، وهذا يزيد يقتلهم عوض الرحمة من الله ورسوله، واعظم من ذلك قتله اهل بيت رسول الله صلع الذين شرف بهم الانصار، وبهم نجاة المسلمين من النار.

ولم يزل مسرف لعنه الله يقتل اهل المدينة، ثم انه بايعهم على انهم عبيد ليزيد بن معاوية غير زين العابدين علي ابن الحسين عليه السلام، فانه طاف بقبر رسول الله صلع فلم يعرض له احد يكرهه ومنعه الله من الظالمين، وعلي بن عبد الله بن العباس منعه اخواله من ربيعة، وكانوا في جيش مسرف، وفيهم يقول علي بن عبد الله بن العباس :

هم حفظوا ذماري يوم جاءت \* كتائب مسرف وبني اللكيعة

وقد كان مسرف تواعد الامام علي ابن الحسين ع م ثم ارسل اليه ان يأتيه فاتاه زين العابدين ع م وعند مسرف مروان بن الحكم وقد علم ما ذكر من وعيده، فجعل مروان يغريه به، فلما دخل الامام ع م قام اليه مسرف واعتنقه، وقبل رأسه واجلسه الى جانبه، واقبل عليه بوجهه، فسأله عن حاله واحوال اهله، فلما رأى ذلك مروان جعل يثني على الامام علي ابن الحسين ع م ويذكر فضله، فقال له مسرف : دعني عن كلامك، فاني انما فعلت ما تراه من اكرامه عن امر امير المؤمنين يزيد، ثم قال لعلي بن الحسين ع م : اني انما عجلت الاجتماع معك لما سبق اليك عني لان لا تستوحش مني، وانا احب الاجتماع معك، والانس بك، والتبرك بقربك، والنظر فيما يجب من صلتك وبرك، وانا على ذلك. لكني اخاف ان يستوحش اهلك ان طال عندي مقامك، فانصرف اليهم ليسكنوا وليعلموا ويعلم الناس ما لك عند امير المؤمنين وعندي من الجميل، ثم قال : قدموا له دابته، قالوا كا له من دابة، قال فقدموا له دابتي، فقدموها له بيني يديه، وعزم عليه ان يركبها، فركب عليه السلام وانصرف الى اهله، وهم والناس ينظرون ما يكون منه.

فهذه من معجزات زين العابدين عليه السلام وآياته الباهرة ان اذل الله له الجبابرة ودفع عنه شرهم، وكف عنه ضرهم مع ما يضمرونه من عداوته وعداوة اهل بيته عليهم السلام والوعيد لهم واضمار المكروه فيهم.

ثم ان مسرف بن عقبة خرج قاصدا لمكة ولابن الزبير وهو فيها، فاهلكه الله في طريقه بفعله، وصار الى خزي الله ولعنته وغضبه وعقوبته .

واستعمل على جيشه واستخلف الحصين بن يمني السكوني فدخل مكة، والتجأ الزبير الى الكعبة، فرمى الحصين البيت بالمجانيق وحرقها، وجاءه وهو في ذلك نعي يزيد بن معاوية لعنه الله ووفاته، فعرض الحصين على ابن الزبير البيعة له وقال ابايعك على ان علي بيعة اهل الشام، فقال ابن الزبير لا يكون ذلك الا على قتل الذين قتلوا اهل الحرة، فرجع الحصين الى الشام بمن معه .

وكان موت يزيد لعنه الله في منتصف شهر ربيع الاول من سنة ثلاث وستين، ووقعة الحرة في ذي الحجة من سنة اثنتين وستين، وما بين الحرة وموته الا ثلاثة اشهر.

ولا خلاف بين كثير من علماء المسلمين ان يزيد بن معاوية مات كافرا خارجا عن الاسلام، قالوا : ومما يدل على كفره وزندقته، فضلا عن سبه ولعنه، اشعاره التي افصح فيها بالالحاد، وابان عن خبث الضمير وسوء الاعتقاد، فمنها قوله في قصيدته التي اولها :

علية هاتي اعلني وترنمي \* حديثك اني لا احب التناجيا

حديث ابي سفيان قدما سمى بها \* الى احد حتى اقام البواكيا

الا هات سقيني على ذاك قهوة \* تخيرها العيسى كرما شآميا

اذا ما نظرنا في امور كثيرة \* وجدنا حلالا شربها متواليا

فان مت يا ام الاحيم فانكحني \* ولا تأملي بعد الفراق تلاقيا

فان الذي حدثت عن يوم بعثنا \* احاديث طسم تترك العقل واهيا

ومن ذلك قوله :

معشر الندمان قوموا \* اسمعوا صوت الاغاني

واشربوا كأس مدام \* واتركوا ذكر المغاني

شغلتني نغمة العيدان \* عن صوت الاذان

وتعوضت عن الحور \* عجوزا في الدنان

الى غير ذلك من اشعاره التي ينكر فيها البعث والنبوة، ويحل المحرمات في الشريعة، فلعنه الله واخزاه، واصلاه جهنم وساءت مصيرا .

وذلك قول لو سكت كفيته \* لاني سألت الله فيه وقد فعل

ولفعل يزيد وسوء ولايته توجه الطعن على الامة، وقد قال احمد بن سليمان المعري :

ارى الايام تفعل كل نكر \* فما انا في العجائب مستزيد

اليس قريشكم قتلوا حسينا \* وصار على خلافتكم يزيد

وكانت ولاية يزيد بن معاوية ثلاث سنين قتل فيها الامام الحسين ابن علي بن ابي طالب ع م، واستحل حرم المدينة، وقتل بقية المهاجرين، ورمى الكعبة بالمجانيق وهدمها واحرقها، واظهر شرب الخمر والمعازف واباح المحارم، وعطل الاحكام، وجعل يزيد الامر من بعده لابنه معاوية بن يزيد، فحين مات يزيد لعنه الله وولي بعده ابنه معاوية قيل انه تحرج منها، وعلم اغتصاب ابيه وجده اياها، واراد ان يسلمها الى اهلها فعمل عليه مروان وبنو امية حتى سم، وقيل قتل، وقيل طعن.

وكانت ولاية معاوية بن يزيد بعد ابيه اربعين يوما، وقيل عشرين يوما، وزعم الذين قالوا انه تحرج من الخلافة وخرج منها، وانه امر فنودي في الناس : الصلوة جامعة، فاحتفلوا في المسجد فخطبهم فحمد الله، واثنى عليه، ثم قال : اما بعد، فاني نظرت في امركم فضعفت عنه، فابتغيت فيكم رجلا مثل عمر بن الخطاب حين فزع اليه ابو بكر فلم اجده، فابتغيت لكم ستة في الشورى مثل ستة عمر فلم اجدهم، فانتم اولى بامركم، فاختاروا له من احببتم، ثم نزل، فدخل منزله فلم يخرج حتى مات، فقيل انه دس اليه سم فسقيه فمات، وقيل اصابه الطاعون، وكان ايام الطاعون، وكان يكنى ايا ليلى، وفيه يقول الشاعر:

اني ارى فتنة تغلي مراجلها \* والملك بعد ابي ليلى لمن غلبا

واضطر امر بني امية، وغلب عبد الله بن الزبير على مكة والمدينة ومصر والعراق، ونفى من كان هناك من بني امية الى الشام، فاجتمعوا هناك، ودعى اكثر اهل الشام الى ابن الزبير، واخذ مروان ابن الحكم في السيراليه ليبايعه، وخافته بنو امية، فاجمعوا على ان يقدموا خالد بن يزيد وهو يومئذ غلام حدث الا انه كان ذا بلاغة وجزالة، واجتمع نفر من بني امية بالجابية، وتفاوضوا في ذلك، واجتمع اهل الجابية في المسجد الجامع بعد ان تواعدوا في الاجتماع ليقيموا رجلا يبايعونه، وكان رأى من حضر يومئذ من بني امية البيعة لخالد بن يزيد، وكان صغيرا، فقالوا : ننظر في رجل منا يكفله ويلي عليه الى ان يدرك، فدس مروان من ذكره لذلك وقال : اين لهذا الامر مثل مروان ؟ ومشوا له في ذلك ليلا الى جماعة، وعاهد مروان عمرو بن سعيد بن العاص ان يسعى له في ذلك. وان يكون له الامر من بعده، وكان مروان يومئذ اسنهم، ثم اجتمعوا من غد في جماعة الناس. فتفاوضوا في ذلك، فقام عمرو بن سعيد فقال من لهذا الامر مثل مروان شيخ بني امية، لقد شاب حتى شاب ذراعاه، فلم يجد له منقبة يذكره بها غير شيب ذراعيه، وكم من شيخ شاب في الضلالة، وطال عمره في الغواية والجهالة . فقام كل من عوقد بالليل وقالوا كقول سعيد لا يصلح لهذا الامر الا مروان حتى كثر القول في ذلك، فقال بعض من حضر: هذا الامر مشي فيه بليل، فولوا مروان الذي لعنه رسول الله صلع ولعن اباه، وطردهما فصار طريد رسول الله صلع بزعمهم على اميته يقضي في دمائهم ويحكم في فروجهم ويؤمهم في مساجدهم.

ومروان الذي قال له الامام الحسن بن علي ابن ابي طالب عليه السلام ان رسول الله صلع لعن اباك وانت في ظهره، وله قال عبد الله بن الزبير وهو مستند الى الكعبة : ورب هذا البيت الحرام ان الحكم بن العاص وولده لمعلونين على لسان رسول الله صلع، وله ايضا قالت عائشة وقد كتب اليه معاوية وهو عامله على المدينة ليبايع يزيدا، فقال له عبد الرحمن بن ابي بكر جئتم والله بها هرقلية تبايعون لابنائكم، فقال مروان لمن حضره : هذا الذي يقول الله عز وجل فيه : والذي قال لوالديه اف لكما، فبلغ ذلك عائشة فقالت لمروان : والله ما هو بالذي قلت، ولو شئت ان اسميه سميته ولكن الله عز وجل لعن اباك على لسان رسوله صلع وانت في صلبه، فانت قطعة من لعنة الله، وقد قال رسول الله صلع في الحكم :كأني انظر الى بنيه يصعدون على منبري وينزلون، ولعنه رسول الله صلع ولعن بنيه.

واصبح رسول الله صلع يوما حائرا حزينا، فقيل له في ذلك فقال : رأيت الليلة في منامي غلمان بني الحكم يصعدون منبري وينزلون، فقلت يا رب افي حياتي، فقيل لا، ولكنهم بعدك، فانزل الله عز و جل عليه : وما جلعنا الرؤيا التي اريناك الا فتنة للنا س والشجرة الملعونة في القرآن ونخوفهم فما يزيدهم الا طغيانا كبيرا.

وقال رسول الله صلع : اذا بلغ آل ابي العاص ثلاثين رجلا اتخذوا دين الله دغلا، وماله دولا، وعباده خولا . وفي ذلك قول كثير لو تقصيناه لطال به الشرح واتسع له القول، فبنو امية الشجرة الملعونة في القرآن اعداء رسول الله صلع والمناصبون له الذين افسدوا الدين وعطلوه، واقاموا الباطل ونصروه، وشربوا الخمر واظهروا الفجور، فتداول الامر مروان وابناؤه اللعناء في القرآن.

ولما مات يزيد بن معاوية تحركت الشيعة بالكوفة وكانوا يخافون يزيدا، وقيل ان حركتهم كانت بعد قتل الامام الحسين ع م سنة احدى وستين، وما زالوا في جمع الاموال حتى مات يزيد لعنه الله، وذلك انهم ندموا على ما كان من خذلهم الحسين بن علي ع م وقالوا : ان ظهرنا وضعنا الامر في اهله ورجونا ان يكون ذلك توبة لنا، وان قتلنا اعذرنا الى الله ورجونا عفوه وغفرانه ورحمته ورضوانه . وفزعوا الى خمسة من رؤساء اهل الكوفة، وهم سليمان بن صرد الخزاعي وكان من اصحاب امير المؤمنين علي ابن ابي طالب ع م والمسيب بن نجبة الفزاري، وكان ايضا من اصحاب علي ع م وعبد الله بن سعد بن نفيل الاسدي، وعبد الله بن وائل التميمي، ورفاعة بن شداد البجلي، وكان اجتماعهم في منزل سليمان بن صرد، فاتفقوا وتعاهدوا وتعاقدوا على المسير لقتال اهل الشام والطلب بدم الحسين ع م، وولوا عليهم سليمان بن صرد.

وكان سليمان من المهاجرين وكنيته ابو الطيب، وصحب رسول الله صلع وكان اسمه قيسا، فسماه رسول الله صلع سليمان، وكان له سن عالية وشرف في قومه، فلما قبض رسول الله صلع تحول سليمان فنزل الكوفة، وشهد مع امير المؤمنين الجمل والصفين، ولم يقاتل مع الامام الحسين ع م خوفا من ابن زياد، ثم ندم بعد قتل الحسين ع م فجمع الناس للطلب بثأره، ثم ان شيعة الكوفة كتبوا الى الشيعة فاجابهم اهل الامصار ووصل المختار بن عبيد من مكة من عند ابن الزبير نائبا عنه بزعمه، فوجد الشيعة اجتمعوا على سليمان بن صرد، فسحده فقال : انما جئت من محمد بن الحنفية، وهو المهدي وانا امينه ووزيره، فانضمت اليه طائفة من الشيعة وجمهورهم مع سليمان بن صرد . وكان المختار لحسده له يقول : ان سليمان لا خبرة له بالحروب، انه يقتلكم ويقتل نفسه.

ولما دخلت سنة خمس وستين اجتمع سليمان بن صرد مع الشيعة بالنخيلة وقد كان حلف له من اهل الكوفة ثمانية عشر الفا، فصفى لهم منهم خمسة آلاف،فلما عزم على المسير الى الشام قال له عبد الله بن سعد : تمضي الىالشام وقتلة الحسين بالكوفة عمرو بن سعد ورؤوس الارباع، فقال سليمان هو ما تقول غير ان الذي جهز الجيوش بالشام هو الفاسق ابن مرجانة .

وكان ا بن زياد لعنه الله حين بلغه موت يزيد قد هرب من الكوفة الى الشام والتجأ الى مروان بن الحكم وله سعاية في توليته، قال سليمان فاذا قتلناهم عدنا الى قتلة الحسين ع م .

قال ابن الاختر يحرض الشيعة من قصيدة طويلة يذكرفيها الحسين بن علي ع م اولها :

صحوت وقد يصحو محب الغوانيا \* وقلت لاصحابي اجيبوا المناديا

وقولوا له اذ قام يدعو الى الهدى \* وقبل الدعاء لبيك لبيك داعيا

ومنها :

الا فانع خير الناس جدا ووالدا \* حسينا لاهل الدين ان كنت ناعيا

لبيك حسينا عائل ذو غضاضة \* عديم وايتام تبكي المواليا

فاضحى حسين للرماح درية \* وغودر مسلوبا لدى الطف ثاويا

فياليتني اذ ذاك كنت شهدته \* فضربت عنه في الكفاح الاعاديا

سقى الله قبرا ضمن المجد والتقى \* تغاديه بالطف الغمام الغواديا

فيا امة تاهت وضلت حلومها \* انيبوا وارضوا الواحد المتعاليا

ثم سار سليمان في الذين معه، وكانوا يسمون التوابين لتوبتهم اذ خذلوا الحسين ع م، حتى اذا انتهوا الى عين وردة وهي الخابور من قرقيسيا من شاطئ الفرات، فالتقاهم عبيد الله بن زياد لعنه الله هناك جيوش اهل الشام قد جهزم معه مروان بن الحكم، وقيل بل كان على اهل الشام الحصين بن نمير، فاقتتلوا اياما، وكان التوابون اربعة آلاف، وجيوش اهل الشام ثلاثين الفا، ثم التقوا يوما فكانت لسليمان اول النهار، ثم عادت عليه في آخر النهار اذ كثر عليه اهل الشام، فاقتتلوا اشد القتال، وابلى سليمان بلاء حسنا، وقاتل قتالا عظيما، وحمل في اهل الشام فلم يقم له احد، فرماه الحصين بن نمير بسهم فقتله، ووقع في الارض وهو يقول : فزت ورب الكعبة، وقتل معه المسيب بن نجية رحمة الله عليهما، وانهزم التوابون بعد ان ابلوا، وقتلوا من اهل الشام جماعة كثيرة، وقتل وجوههم وذوو بأسهم، وكان سن سليمان بن صرد يومئذ ثلاثا وتسعين عاما، وقطع رأسه ورأس المسيب بن نجية رحمة الله عليهما، وبعث بهما الى مروان بن الحكم، وكان ذلك في شهر رجب سنة خمس وستين.

وقال الاعشى يرثي التوابين رحمهم الله من قصيدة :

توجه من دون التوبة سائرا \* الى ابن زياد في جموع الكتائب

فساروا هم من بين ملتمس التقى \* وآخر مما جر بالامس تائب

فجاءهم جمع من الشام بعده \* جموع كموج البحر من كل جانب

فما برحوا حتى ابيدت جموعهم \* ولم ينج منهم ثم غير عصائب

وغودر اهل الصبر صرعى فاصبحوا \* تعاورهم ريح الصبا والجنائب

واضحى الخزاعي الرئيس مجدلا \* كأن لم يقاتل مرة ويحارب

ورأس بن شمخ وفارس قومه \* جميعا مع التيمي هادي الكتائب

وعمرو بن عمرو ابن بشر وخالد \* وبكر بن زيد والرئيس ابن غالب

ابوا غير ضرب يفلق الهام وقعه \* وطعن باطراف الاسنة صائب

فيا خير جيش للعراق واهله \* سقية روايا كل اسحم ساكب

فلا يبعدن ساداتنا وحماتنا \* اذا البيض ابدت عن خدام الكواعب

فان يقتلوا فالقتل اكرم ميتة \* وكل فتى يوما لاحدى الشواغب

وفي سنة خمس وستين مات مروان بن الحكم في شهر رمضان، وكان مروان قد استتخلف ابنه عبد الملك، وترك ما بينه وبين عمرو بن سعيد بن العاص الاشدق، وكان عمرو بن سعيد قد قام معه في امره حتى استفحل واستقام له الامر واستتب له، وكان مروان خال عمرو بن سعيد قد تزوج امرأة يزيد بن معاوية ام ابنه خالد بن يزيد، وكانت ترجو ان يصير الامر الى ابنها، فلما عهد مروان الىابنه عبد الملك وجدت لذلك ام خالد، ودخل اليه خالد يوما وعنده جماعة، فقال له مروان : يابن الرطبة ليضع قدره عند الحاضرين، فاخبر بذلك خالد امه، فاتت فيما يقال الى مروان وهو نائم فالقت على وجهه وسادة وقعدت عليه حتى مات، فهو يعد ممن قتله النساء. وقيل انه بقي في مروان رمق ودخل اليه بنوه، فاراد ان يعرفهم ان ام خالد قتلته، فلم يطق الكلام، فجعل يومئ اليها، فقالت : ما زال ابو عبد الملك بي شفيقا حتى عند الموت، انه يوصيكم بي.

ولما مات مروان بايع اهل الشام ابنه عبد الملك، ولما دخلت سنة ست وستين اعلن المختار بن عبيد بالطلب بثار الحسين بن علي ع م، واظهر الدعوة الى محمد بن الحنفية، رضوان الله عليه، وقال انه الامام بعد الحسين بن علي ع م، فاجابته الشيعة، وكان قد اتى من قبل الزبير واليا بالكوفة، فعلم ان اهل الكوفة لا يطيعونه الا ان يدعو الى اهل البيت فدعىالى ابن الحنفية طلبا للرياسة والتغلب، وقد ذكرنا ما اشار على عمه الامام الحسن بن علي ابن ابي طالب في تسليمه الى معاوية .

فحين اجتمعت الشيعة للمختار واطاعوه قاتل عمرو بن سعد بن ابي وقاص في الكوفة، واجابه ابراهيم بن مالك الاشتر، وكان له معه عناء، وكان فيما يقال المختار مخلطا مختبطا، وقيل انه ادعىالنبوة، والتقى هو وعمر بن سعد يوما وقد امر من حمل معه حماما بيضاء، وقال له : وان رأيتنا قد غلبنا القوم وقهرناهم ارسلت الحمام، فقال للناس : هذه الملائكة، وكان قد وعدهم انها تنصرهم، وغلب المختار على الكوفة، وملك قصرها، وصالح عمرو بن سعد وامنه، ثم ان المختار لما صفت له الكوفة قال لاقتلن رجلا يرضي قتله اهل السماوات والارض، فاتى رجل الى عمر بن سعد فقال له لقد قال المختار كذا وكذا وما يريد سواك، فارسل اليه عمر ولده حفصا وقال له قل للمختار : يقول لي ابي اتفي لنا بالذي وعدتنا وبالذي كان بيننا وبينك؟ فقال المختار للحفص اجلس حتى انظر في ذلك . ثم سير المختار رجلين فغابا ثم عادا وبيد احدهما رأس عمر ابن سعد، فقال ولده اقتلتم ابا حفص ؟ فقال له المختار وانت تطمع في الحيوة بعده ؟ لا خير لك فيها، ثم ضرب عنقه، وقال المختار : عمر بالحسين وحفص بعلي ابن الحسين فلا بسواء. ثم قال : والله لو قتلت به ثلاثة ارباع قريش ما وفوا ولا بانملة من انامله .

وقتل شمر بن ذي الجوشن اقبح قتلة، وقيل انه امر به فذبح كما يذبح الكبش، وكان شمر قرشيا، واوطأ الخيل صدره وظهره، واخذ المختار من شهد قتل الامام الحسين بن علي صلوات الله عليه باقبح المثلات والقتلات واشنعها، فلم يبق من الستة آلاف الذين قاتلوا الحسين بن علي ع م وملكوا شرائع الماء احد، وذلك من الله نكال لهم في الدنيا ولهم في الآخرة عذاب شديد .

وجهز عبد الملك بن مروان عبيد الله بن زياد في ثلاثين الفا فاخرج اليه المختار ابراهيم بن الاشتر في ثلاثة آلاف، وقيل في سبعة آلاف، وذلك في سنة سبع وستين، فالتقى ابن زياد وابن الاشتر على الزاب، وجرت بينهما وقعة عظيمة، فقتل عبيد الله بن زياد، قيل انه قتله ابن الاشتر وقال : قتلت رجلا شممت منه رائحة المسك على شاطئ نهر خازر، قال ضربته فقددته نصفين، وقيل ان الذي قتله شريك بن جرير التغلبي، وقتل كثير من اصحاب زياد اللعين، والذين غرقوا منهم اكثر، وبعث ابن الاشتر برأس ابن زياد الى المختار، فجلس في القصر، والقيت الرؤوس بين يديه، فالقاها في المكان الذي وضع فيه رأس الحسين عليه السلام.

قال عمار بن عمير : بينا انا واقف عند الرؤوس بالكناسة فاذا حية عظيمة تتخلل الرؤوس حتى دخلت في منخر ابن زياد وخرجت فغابت ساعة ثم عادت ففعلت كذلك، وقيل انما فعلت الحية بالقصر بين يدي المختار، فقال المختار : دعوها، وفي رواية انها فعلت ذلك ثلاثة ايام.

وكان الامام علي ابن الحسين ع م يدعو في كل يوم ان يريه الله قاتل ابيه مقتولا، فلما قتل المختار قتلة الحسين ع م بعث برأس عمر بن سعد ومرة برأس عبيد الله بن زياد، وقال للرسول الذي بعثه من قبله ان علي ابن الحسين ع م يصلي ليله، فاذا اصبح وصلى صلوة الغداة هجع، ثم يقوم فيستاك ويؤتى بغدائه، فاذا اتيت بابه فاسأل عنه، فاذا قيل لك ان المائدة قد وضعت بين يديه فاستأذن عليه، وضع الرأس على مائدته، وقل له : المختار يقرأ عليك السلام ويقول لك يابن رسول الله قد بلغك الله ثأرك، ففعل الرسول ذلك، فلما رأى الامام علي ابن الحسين خر لله ساجدا وقال : الحمد لله الذي اجاب دعائي وبلغني ثأري من قتلة ابي، ودعى للمختار وجزاه خيرا .

ولما ظهر امر المختار بالدعوة الى محمد بن علي المعروف بابن الحنفية رضوان الله عليه ارسل عبد الله بن الزبير الى محمد وطلب منه ان يبايعه، وحبسه في مكان يقال له حبس عارم، وفي ذلك يقول كثير : وكان ممن يقول بامامة محمد بن الحنفية يخاطب ابن الزبير :

تخبر من لاقيت انك عائذ \* بل العائذ المظلوم في حبس عارم

ومن ير هذا الشيخ في الخيف من منى \* من الناس يعلم انه غير ظالم

سمي نبي الله وابن وصيه \* وفكاك اغلال وقاضي مغارم

وقيل انما حبسه ابن الزبير في قبة زمزم، وحبس معه عشرين من وجوه قريش شيعته، وجماعة من بني هاشم لم يبايعوه، وضرب لهم اجلا ان لم يبايعوه فيه احرقهم بالنار، فاشار بعض من كان مع محمد ان يبعث الى المختار فيعرفه حديثهم، وما تواعدهم به ابن الزبير ففعل، وقال في كتابه : يا اهل الكوفة لا تخذلونا كما خذلتم الحسين، فلما قرأ المختار كتابه بكى وجمع الاشراف، وقرأ عليهم كتابه، وقال هذا كتاب مهديكم وسيد اهل بيت نبيكم، وقد تركهم الرسول ينتظرون القتل والحريق ولست ابا اسحاق ان لم انصرهم واسرب الخيل في اثر الخيل حتى يحل بابن الكاهلية الويل .

ثم سرج اليهم عبد الله الجدلي في الفي فارس، واتبعهم الف فارس والفا، فساروا حتى هاجموا مكة، ونادوا :يا لثارات الحسين، ووافوا الحطب على باب القبة قد امر بجمعه ابن الزبير ليحرق ابن الحنفية والذين معه، ولم يبق من الاجل غير يومين، فكسروا باب القبة واخرجوا محمدا رضوان الله عليه ومن معه، وسلموا عليه وقالوا: خل بيننا وبين عدو الله ابن الزبير، فقال محمد لا استحل القتال في حرم الله، ثم تتابعت خيول المختار حتى خرج محمد في اربعة آلاف، وصار الى ابلة، فاقام بها سنتين وقبل بل اقام بالطائف، وهو الاشهر عند اهل الاخبار، وكان ابن الزبير قد احرق داره .

وروي عن الامام زين العابدين ع م انه قال خرجت يوما من نزلي ايام فتنة ابن الزبير، وقد ضاق صدري مما ينتهي الي منها، فانتهيت الى حائط لي فاتكأت عليه ووقفت كذلك مقاربا، فاني على ذلك اذ وقعت على رجل عليه ثياب بيض ما اعرفه فنظر الى وجهي وقال : يا علي ابن الحسين ما لي اراك كئيبا حزينا، اعلى الدنيا حزنك ؟ فرزق حاضر يأكل منه البر والفاجر، ام على الآخرة فهو وعد صادق يحكم به ملك قادر، قلت : اللهم ما آس على الدنيا ولا من اجل الآخرة كان مني ما ترى، قال :ففيم حزنك ؟ قال :تخوفت فتنة ابن الزبير، فضحك وقال لي يا علي ابن الحسين، هل رأيت احدا يسأل الله فلم يعطه ؟ قلت : لا، فسكت وبقيت مفكرا في قوله ثم رفعت رأسي فلم ار احدا .

وكان عبد الله ابن الزبير عدوا لاهل بيت رسول الله صلع مبغضا لهم معاديا مناصبا، الا ان الله دفع شره عنهم ببركة علي ابن الحسين ع م ومستجاب دعائه، وتمكن ابن الزبير وغلب على الكوفة، وذلك ان الشيعة كانت تنتظر قيام محمد بن علي بن ابي طالب، فلما امتنع من ذلك وكثر تخليط المختار حتى انه كان يزعم انه يأتيه الوحي، وكان يسجع اسجاعا، من ذلك انه ذكر له اسماء بن خارجة فقال فيما سجع به : لتنزلن نار من السماء ن فلتحرقن دار اسماء، وبلغ ذلك اسماء فقال : اسجع انه محرق داري، ثم تحول عنها وارسل المختار سرا من احرقها في الليل .

فلما يئست الشيعة من قيام محمد بن الحنفية رضوان الله عليه ظهر لهم من المختار ما انكروه افترقوا عنه، وكاتبوا ابن الزبير، فاتى مصعب الى الكوفة في جيوش عظيمة، وكانت بينه وبين المختار حروب انتهى الحال فيها الى ان قتل المختار، وملك مصعب قصر الكوفة، واحضر امرأتين كانتا للمختار احداهما ابنة سمرة بن جندب الفزاري والاخرى ابنة النعمان بن بشير الانصاري، وقال تبرآ من المختار والا ضربت عنقيكما، فتبرأت منه ابنة سمرة وقالت ابنة النعمان : شهادة ارزقها واتركها ؟ كلا، انها موتة والجنة والقدوم على الرسول واهل بيته، والله لا يكون ابي مع ابن هند واترك ابن ابي طالب، اشهد اني متبعة للنبي وابن عمه واهل بيته وشيعته، فامر بها مصعب فقتلت صبرا، وفي ذلك يقول كثير، وقيل الابيات لغيره، وزعم بعضهم انها لعمرو بن زمعة الفزاري :

ان من اكبر الكبائر عندي \* قتل بيضاء خريدة عطبول

قتلوها بغير ذنب اتته \* ان لله درها من قتيل

كتب القتل والقتال علينا \* وعلى الغانيات جر الذيول

وقوي امر ابن الزبير واستحكم، واراد عبد الملك بن مروان الاموي ان يخرج اليه، فخالفه عمرو بن سعيد بن العاص الاشدق، واستولى على دمشق، وجاءه من ملك الروم التوعد، فرجع الى عمرو بن سعيد واعطاه اكيدات العهود انه شريكه في امره، ثم لم يزل عبد الملك يحتال عليه بالحيل حتى قتله، وصالح ملك الروم، وخرج الى ابن الزبير في جيوش اهل الشام، وكان مصعب بن الزبير في الكوفة، فخرج الى لقاء عبد الملك، وتوافقا جرت بينهما وقائع الحروب، وكاتب عبد الملك كثيرا من كبراء اهل العراق واستمالهم ووعدهم، ووصل منه كتاب الى ابراهيم بن الاشتر، فجاء ابراهيم الى مصعب وقال : هذا كتاب ابن مروان، وانه لم يكتب الي حتى كتب الى اهل العراق واستمالهم ووعد رؤسائهم، فاحضرالرؤساء، ومرهم ليأتوك بالكتب التي اليهم كما اتيتك بالكتاب الذي الي، وجدد عليهم البيعة، فلم يقبل مصعب في ذلك رأيه، وخذله اهل العراق، وما زال القتال بينهم حتى قتل ابن الاشتر وكان زعيم جيوش مصعب وصاحب امره ورأيه، ثم قاتل مصعب، وابلى ذلك اليوم بلاء عظيما، ثم قتل واجتز رأسه، اتى به الى عبد الملك، واستولى عبد الملك على الكوفة، واتي اليه برأس مصعب الى قصر الكوقة فقام بعض من حضر وقال لعبد الملك : يا امير المؤمنين لقد رأيت رأس الحسين بن علي ع م بهذا المكان بين يدي عبيد الله بن زياد، ثم رأيت رأس عبيد الله بن زياد بين يدي المختار، ثم رأيت رأس المختار بين يدي مصعب، وهذا رأس مصعب بن الزبير، وانا اعيذك من امرهم، فتطير عبد الملك لقوله وقام مسرعا وامر بهدم ذلك الموضع، وولى عبد الملك اخاه بشر بن مروان على الكوفة، وخالد بن عبد الله القسري على البصرة، ورجع الى الشام.

واخرج الحجاج بن يوسف الثقفي الى عبد الله بن الزبير وهو بمكة، فانحاز عبد الله الى البيت وحاصره الحجاج في ذي القعدة سنة اثنتين وسبعين، وهي السنة التي قتل فيها مصعب، وكان حصار الحجاج لعبد الله بن الزبير خمسين يوما، ورمىالبيت بالمجانيق حتى هدم اكثره، ونزلت صاعقة من السماء، فاحرقت المنجنيق، وقاتل ابن الزبير عن نفسه اشد القتال، وابلى فيهم حتى شدخ بالحجارة وصرع، وقتل وصلب بمكة،وقتل معه قوم من اتباعه، وتفرق كثير منهم.

وكان قتل عبد الله بن الزبير في الكعبة يوم الثلاثاء لاربع عشرة ليلة خلت من جمادى الاولى سنة ثلاث وسبعين، وكان معاديا لاهل البيت، وقد ذكرنا حبسه لمحمد بن علي ابن ابي طالب.

وروى المسعودي ان ابن الزبير خطب اربعين خطبة لم يذكر فيها النبي محمدا صلى الله عليه وعلى آله بصلوة، فقيل في ذلك فقال اني اخاف ان تطول بذلك علي اعناق قوم.

ولما قتل ابن الزبير جاءت امه اسماء بنت ابي بكر الى الحجاج تسأله جثته لتدفن فابى عليها، فقالت : يا حجاج اشهد اني سمعت رسول الله صلع يقول : يخرج من ثقيف كذاب ومبير، فالكذاب المختار، والمبير اظنك هو .

وولى عبد الملك الحجاج مكة والمدينة والحجاز ثلاث سنين ثم جمع اليه العراق بعد موت اخيه بشر بن مروان، ففعل في المسلمين كفعل فرعون في بني اسرائيل، ودفع الله شره عن اهل البيت مع انه يتقطع من بغضهم، وينصب الغوائل لهم، فاما الشيعة فسامهم سوم العذاب وذبحهم كما تذبح الاغنام، ولو اتينا بجميع افعاله لطال القول واتسع الكلام، وهو الذي كان امير المؤمنين علي ابن ابي طالب ع م يدعو على اهل الكوفة به، ومن ذلك قوله رافعا يديه : اللهم اني قد مللتهم وملوني، وسئمتهم وسئموني، فابدلني بهم خيرا منهم، وابدلهم بي شرا مني، اللهم عجل عليهم بالغلام الثقفي الذيال الميال يأكل خضرتها، ويلبس فروتها، ويحكم فيها بحكم الجاهلية، ولا يقبل من محسنها، ولا يتجاوز عن مسيئها . قال الرواة : وما كان الحجاج ولد يومئذ، فابتلىالله اهل الكوفة بالحجاج لما تمادوا به من عصيان امير المؤمنين، واستجاب دعوته عليهم ليبتلي الله المؤمنين ويمحق الكافرين .

فلم يزل الحجاج واضعا سيفه فيهم حتى قتل سعيد بن جبير في سنة اربع وتسعين وهو كما قيل آخر رجل قتله، وقيل انه لما ادخل عليه قال : ما اسمك ؟ قال سعيد بن جبير، قال: بل شقي بن كسير، قال : كان ابي اعلم باسمي منك، قال : لقد شقيت وشقي ابوك، قال : الغيب انما يعلمه غيرك، قال : فما قولك في الخلفاء؟ قال : وما انا عليهم بوكيل، قال : فاختر اي قتلة اقتلك، قال : بل اختر لنفسك يا شقي، فوالله ما تقتلني قتلة الا قتلتك في الآخرة مثلها، فامر به فاخرج ليقتل، فلما ولى ضحك، فامر الحجاج برده، وسأله عن ضحكه، فقال : من جرأتك على الله وحلم الله عنك، فامر به فذبح، فلما كب على وجهه قال : اشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له، وان محمدا عبده ورسوله، وان الحجاج غير مؤمن، ثم قال : اللهم لا تسلط الحجاج على احد بعدي ليقتله، فقتل واجتز رأسه، ولم يقم الحجاج بعده الا خمس عشرة ليلة حتى وقعت في جوفه الآكلة، فمات من ذلك، لا رحمة الله عليه.

قال المسعودي : واحصي من قتله الحجاج صبرا سوى من قتل في عساكره وحروفه فوجدوا مائة الف وعشرين الفا، ومات في حبسه خمسون الف رجل وثلاثون الف امرأة منهن ست عشرة الف مجردة، وقد كان يحبس الرجال والنساء في موضع واحد، ولم يكن لحبسه سقف يستر الناس من الشمس في الصيف ولا من المطر في الشتاء.

ومات عبد الله بن العباس بن عبد المطلب رضوان الله عليه بالطائف وقبره فيه، وكانت وفاته رحمة الله عليه سنة ثمان وستين من الهجرة، وعمره اثنان وسبعون عاما، وكان عبد الله بن العباس رضوان الله عليه ممن صحب النبي صلع وتعلم منه وروى عنه، وهو من خير الصحابة ومن فضلائهم الذين لم يحدثوا حدثا ولم يغيروا من سنة رسول الله صلع شيئا، ودعى له النبي صلع حين وضع له الماء للطهر في بيت خالته ميمونة زوج النبي صلع فقال : اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل، فكان في الدين فقيها، وبالتأويل عالما، ولعلي ابن ابي طالب متواليا، وكان من خاصة اولياء امير المؤمنين واهل محبته، وكان به خصيصا، وعلى طاعته حريصا، دائنا لله تعالى بولائه، متبرئا من مناصبيه واعدائه، وشهد معه جميع حروبه، وكان على ولايته الى ان مات، وعلى ذلك كان ابوه العباس بن عبد المطلب رحمة الله عليهما ورضوانه.

وقد ذكرنا ما كان لعبد الله في مناظرة اهل النهروان وتبكيته لهم في مفارقة علي ع م، وقد كان رأي امير المؤمنين ان يكون عبد الله بن العباس هو الخارج لعمرو بن العاص، وان يكون احد الحكمين لكونه لا تأخذه في الله لومة لائم، ولا يحول عن امير المؤمنين وواجب ولائه اللازم.

وقيل لابن عباس ما منع عليا ان يبعثك مكان ابي موسى يوم الحكمين ؟ فقال : منع من ذلك حائل القدر، وقصر المدة، ومحنة الاسلام، والله لو بعثني مكانه لاعترضت مراوح نفسه ناقضا لما ابرم، ومبرما لما نقض، اسف اذا طار، واطير اذا اسف، ولكن مضى قدر، وبقي اسف، ومع اليوم غد، والآخرة خير للمتقين.

وكان عبد الله بن العباس يخدم الحسن والحسين ويمسك لهما الركاب اذا ركبا، وقد قيل له لم تفعل ذلك وانت اسن منهما ؟ فقال : اني عرفت من فضلهما ما جهله غيري.

وما رواه عبد الله بن العباس عن النبي صلع في فضل امير المؤمنين عن الاعمش عن مجاهد عن عبد الله بن العباس انه قال : قال رسول الله صلع انا مدينة العلم وعلي بابها، فمن اراد العلم فليأت الباب.

وعن عمرو بن ميمون عن ابن عباس انه قال : قال رسول الله صلع علي مني وانا منه، وهو ولي كل مؤمن بعدي .

وفيما اسند الىابن عباس ان رسول الله صلع نظر الى علي ع م واشار بيده اليه وقال لمن حضره من الناس: هذا الوصي علىالاموات من اهل بيتي والخليفة علىالاحياء من امتي .

وفي رواية عن ابن عباس انه قال : قال علي ع م في حياة رسول الله صلع ان الله عز وجل يقول: افان مات او قتل انقلبتم على اعقابكم، والله لا ننقلب علىاعقابنا بعد ان هدانا الله، ولئن مات او قتل لاقاتلن على ما قاتل عليه او اموت، والله اني لاخو رسول الله صلع وابن عمه ووصيه ووارثه وخليفته من بعده، فمن احق به مني.

وعن عبد الله بن العباس انه قال : قال رسول الله صلع لام سلمة : يا ام سلمة اشهدي هذا علي امير المؤمنين وسيد المسلمين وعيبة العلم ومنار الدين، وهو الوصي على الاموات من اهلي، والخليفة على الاحياء من امتي .

وفيما اتى عن عبد الله بن العباس قال : نظر رسول الله صلع الى علي عليه السلام وقال : سيد في الدنيا سيد في الآخرة، يا علي من احبك احبني، ومحبي حبيب الله، ومن ابغضك ابغضني، ومبغضي عدو الله، والويل لمن ابغضك.

وروي عن ابن عباس انه مر بعد ما كف بصره بمجلس من مجالس قريش وهم يسبون عليا ع م فقال لقائده : ما تسمع هؤلاء يقولون ؟ قال : يسبون عليا، قال : فردني اليهم فرده، فوقف عليهم فقال : ايكم الساب لله تعالى ؟ فقالوا: سبحان الله، من سب الله قد اشرك، قال : فايكم الساب رسول الله صلع، قالوا : سبحان الله، من سب رسول الله فقد كفر، قال : فايكم الساب علي ابن ابي طالب، قالوا : اما هذا فقد كان، قال ابن عباس : فانا اشهد بالله لقد سمعت رسول الله صلع يقول : من سب عليا فقد سبني، ومن سبني فقد سب الله، ثم تولى عنهم وقال لقائده : ما سمعت هؤلاء يقولون؟ قال : ما سمعتهم يقولون شيئا، قال : فكيف رأيت نظرهم الي حين قلت ما قلت ؟ فقال شعرا :

نظروا اليك باعين مزورة \* نظر التيوس الى شفار الجازر

فقال زدني لله ابوك، فقال :

خزر الحواجب ناكسوا اذقانهم \* نظر الذليل الى العزيز القادر

فقال زدني لله ابوك، قال : ما عندي ما ازيدك، قال عبد الله : لكن عندي :

احياهم حزن على موتاهم \* والميتون فضيحة للغابر

وقال عبد الله بن العباس : ان الانصار اجتمعوا الى رسول الله صلع فقالوا يا رسول الله انك قد جئتنا بخير الدنيا والآخرة، وهذه اموالنا فخذها اليك جزاء بما جئتنا به، او ما شئت منها، فانزل الله عز وجل عليه : قل لا اسألكم عليه اجرا الا المودة في القربى، قال عبد الله بن العباس : فلما نزل ذلك اجتمع الناس الى رسول الله صلع فقالوا : يا رسول الله، من قرابتك الذين فرض الله عز وجل علينا مودتهم ؟ فقال : علي وفاطمة وولدها، وكان عبد الله بن العباس من القرابة، فاخرج نفسه من القربى المفروضة مودتهم اقرارا لاهل الفضل بفضلهم وبما خصهم تعالى به وجعله لهم .

وفيما روي عن ابن ابي غسان باسناده الى ابن عباس انه سئل عن سوابق امير المؤمنين علي ابن ابي طالب عليه السلام فقال : والله سقبت له سوابق لو كان بعضها لامة من الامم لرأت ان الله عز وجل قد منحها بذلك فضلا عظيما

واتى في الرواية عن ابي اسحاق قال : قلت لقاسم بن العباس : كيف ورث علي رسول الله صلع وابوك حي ؟ قال: لانه كان اشدنا به لصوقا، واسرعنا به لحوقا.

وعن عبد الله بن العباس انه قال : قال رسول الله صلع علي ولي كل مؤمن بعدي.

وروى الرواة عن ابي صالح باسناده عن ابن عباس انه قال في قول الله عز وجل : انما وليكم الله ورسوله والذين يقيمون الصلوة ويؤتون الزكوة وهم راكعون، قال اتى عبد الله بن سلام ورهط من اهل الكتاب الذين اسلموا رسول الله صلع عند صلوة الظهر فقالوا : يا رسول الله ان بيوتنا قاصية، ولا نجد محدثا دون المسجد وان قومنا لما رأونا قد آمنا بالله ورسوله وتركنا دينهم اظهروا لنا العداوة واقسموا ان لا يخالطونا ولا يجالسونا ولا يكلمونا، وتبرأوا من ولايتنا وقطعونا، فشق ذلك علينا فبيناهم يشكون ذلك الى رسول الله صلع اذ نزل عليه : انما وليكم الله ورسوله الذين آمنوا الذين يقيمون الصلوة ويؤتون الزكوة وهم راكعون، فقرأها فقالوا رضينا بالله وبرسوله وبالمؤمنين، واذن بلال لصلوة الظهر، فخرج رسول الله صلع الى ا لمسجد والناس يصلون، ومسكين يسأل، فقال له رسول الله صلع هل اعطاك احد شيئا ؟ قال نعم، قال ما ذا؟ قال خاتم فضة، قال ومن اعطاكه ؟ قال ذلك الرجل القائم، واومأ الى علي، فقال وعلى اي حال اعطاكه ؟ قال وهو راكع، مررت به وانا اسأله فاستله من اصبعه وناولني اياه، فقال رسول الله صلع : الله اكبر .

وفيما رواه ابو حمزة عن ابن عباس انه قال في قول الله عز وجل : ربنا آتنا في الدنيا حسنة، قال الدخول في الولاية، وفي الآخرة حسنة قال : الجنة .

وعن الشعبي عن ابن عباس انه قال في قول الله عز وجل : وقفوهم انهم مسؤلون، قال يوقف الناس على الصراط فيسألون عن ولاية علي ع م .

وعن ابراهيم بن الفضل الكوفي باسناده عن موسى ابن غسان قال : كان اهل الشام يسبون امير المؤمنين علي ابن ابي طالب ع م فاجتمعوا ذات يوم فقالوا :قد طال سبنا لهذا الرجل، وهذا عبد الله بن عباس يفتي الناس بمكة فهلموا ارسلوا رسولا يسأله : لم قتل علي ابن ابي طالب من قتل من المسلمين ولم يشركوا بالله العظيم، ولم يقتلوا النفس التي حرم الله، ولم يتركوا صلوة ولا زكوة ولا صوما، ولم يكفروا بحج ولا بعمرة، فاختاروا رجلا منهم، واشتروا له راحلة وزودوه وارسلوه، فخرج حتى اتى مكة فوجد عبد الله بن العباس جالسا علىزمزم يحدث الناس فسلم عليه فرد عليه ابن العباس فقال له الرجل : رحمك الله اني رجل غريب، فاقبل علي بسمعك وذهنك واسمع كلامي، فوضع ابن عباس يده على فمه يومئ بها الى الناس ان اصمتوا فصمتوا، ثم اقبل على الرجل فقال : ممن الرجل، قال :من اهل الشام، قال له ابن عباس : اعوان كل ظالم الا من عصم الله، فما حاجتك يا اخا اهل الشام ؟ قال : اني جئت من عند قوم يلعنون عليا، وكان ابن عباس متكئا على درابزين زمزم فاستوى جالسا، وقال ولم ذاك لعنهم الله ؟ أ لقرب قرابته من رسول الله ام لسابقته في الاسلام ؟ قال : رحمك الله فعلى ما ذا قتل المسلمين الذين لم يشركوا بالله العظيم، ولم يقتلوا النفس التي حرم الله، ولم يتركوا الصلوة ولا الزكوة ولا الصوم، ولم يكفروا بالحج ولا بالعمرة ؟ قال ابن عباس : ويحك يا اخا اهل الشام، سل عما يعنيك ودع ما لا يعنيك، قال الرجل له : والله ما جئت الا لتشرح لي امر علي وقتله اهل لا اله الا الله، فاهدني واهد معي خلقا كثيرا، فاني انما جئت عند قوم اشتروا لي راحلتي وزودوني وارسلوني اليك لاسألك عما سألتك عنه وارجع اليهم بجوابك، قال له ابن عباس : يا اخا اهل الشام، ان الحديث لا يحدث به الا من سمعه فاداه كما سمعه، قال له الرجل : رحمك الله، لو انهم يعلموا اني كما يريدون في الابلاغ اليهم لم يختاروني، قال له :ويحك يا شامي، انما مثل علي ابن ابي طالب عليه السلام في هذه الامة كمثل العبد الصالح الذي قال له موسى : هل اتبعك على ان تعلمني مما علمت رشدا ؟ ويحك اجلس حتى اخبرك بما سمعت وحفظت عن رسول الله صلع، فان الله عز وجل لما اعطى موسى التوراة وعلمه من كل شيء قال موسى اني اعلم الناس، فلما لقي الخضر ع م اقر له بعلمه ولم يحسده كما حسدتم عليا انتم، فكان خرقه السفينة لله رضى وسخطا لاهل الجهالة من الناس، ويحك يا شامي : انا كنا عند رسول الله صلع وقد تزوج زينب بن جحش فكان يطعم الحيس فاقام اسبوعا يطعم الحيس، وكنا اذا دخلنا اليه جلسنا نتحدث، وكان ذلك يؤذيه ولم نعلم، فانزلت الآية يا ايها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوت النبي الا ان يؤذن لكم الى طعام غير ناظرين اناه ولكن اذا دعيتم فادخلوا فاذا طعمتم فانتشروا ولا مستأنسين لحديث، ان ذلكم كان يؤذي النبي فيستحي منكم والله لا يستحي من الحق، وكنا اذا اكلنا خرجنا من عنده، فلما اتم اسبوعا خرج النبي صلع الى بيت ام سلمة، وكان علي ع م لم يأته في ذلك الاسبوع حياء منه، فاقبل لما بلغه انه خرج الى منزل ام سلمة حتى وقف على الباب فقرعه قرعا خفيفا، فعرفه النبي صلع ولم تعرفه ام سلمة،فقال لها النبي صلع قومي فافتحي الباب، قالت ام سلمة :وما بلغ من هذا الذي اقوم اليه فاستقبله بمعاصمي ومحاسني فافتح الباب له ؟ وقد نزل فينا بالامس ما قد نزل ؟ فقال لها رسول الله صلع كالمغضب :اما لي عليك حق ؟ قالت :بلى يا رسول الله، قال:قومي فافتحي الباب فان على الباب رجل ليس بالخرق ولا النزق، وليس يدخل الدار بعد ان تفتحي الباب حتى يخفى عليه الوطء، ان بالباب رجلا يحب الله ورسوله، ويحبه الله ورسوله، ففتحت الباب، فاخذ علي بعضادتي الباب، ومكث حتى سكن عنه الوطء، دخلت ام سلمة خدرها، فسلم ثلاثا ثم دخل فقال له رسول الله صلع ساعة رآه :والله يا ابا الحسن لقد كنت مشتاقا اليك، فقال له علي ع م : وانا والله بابي انت وامي يا رسول الله اشد شوقا، وقبّل كل واحد منهما بين عيني الآخر، ثم جلس علي ع م والتفت رسول الله صلع الى ام سلمة وهي في خدرها وقال لها : اما تعرفين هذا؟ قالت : بلى يا رسول الله، هذا اخوك وابن عمك علي، فقال لها رسول الله صلع : يا ام سلمة احفظي واسمعي واشهدي، هذا علي شبط لحمه بلحمي ودمه بدمي، وهو مني بمنزلة هارون من موسى، الا انه لا نبي بعدي، يا ام سلمة احفظي واسمعي واشهدي، هذا علي قاتل الناكثين والقاسطين والمارقين .

قال الشامي :من الناكثون الذين بايعوه بالمدينة ونكثوا بيعتهم وقاتلوه بالبصرة، والقاسطون معاوية واصحابه، والمارقون اهل النهروان، قال ثم قال رسول الله صلع لام سلمة : يا ام سلمة اسمعي واحفظي واشهدي، هذا علي عيبة علمي، والباب الذي اوتي من قبله، والوصي على الاحياء من اهل بيتي، وهو معي في السنام الاعلى، صاحب لوائي، والذائد عن حوضي، وصاحب شفاعتي، يا ام سلمة اسمعي واحفظي واشهدي، ان الله عز وجل دافع الى يوم القيامة لواءين لواء الحمد ولواء الشفاعة، فلواء الشفاعة بيدي، ولواء ا لحمد بيد علي وهو واقف على حوضي لا يسقي من حوض من شتمه او شتم اهل بيته،

فقال له الشامي : حسبك يا بن عباس رحمك الله، فرجت عني كربتي، واحييتني واحييت معي خلقا، فاحياك الله الحياة الطيبة في الدنيا والآخرة، اشهد الله واشهدك ومن حضر ان عليا مولاي ومولى كل مؤمن ومسلم، ثم انصرف الى الشام، فاعلم الذين ارسلوه بما كان من ابن عباس، فرجع معه خلق كثير من اهل الشام عن سب علي ع م .

وروي عن ابي عباس انه قال : علي ولي كل مؤمن .

وفيما اتت به الرواية عن ابن عباس انه قال : قال رسول الله صلع لعلي ع م : ما ينقم الناس منك يا علي ؟ قال : ما ينقمون مني الا اني منك يا رسول الله صلع، فقال رسول الله صلع : ايها الناس انكم عباد الله وفي قبضته وانا رسوله اليكم، فاذا قلت لكم شيئا فاسمعوا واطيعوا، وتبين الغضب في وجهه، ففزع لذلك من كان عنده، فقالوا يا رسول الله نعوذ بالله من غضبه وغضبك، فقال رسول الله صلع : ايها الناس لا تعصوا عليا فان من عصاه فقد عصاني، ومن عصاني فقد عصى الله.

وروي عن سعيد بن جبير انه قال : وعظنا رسول الله صلع فقال : ايها الناس انكم تحشرون يوم القيامة عراة، قال الله عز وجل : كما بدأنا اول خلق نعيده وعدا علينا انا كنا فاعلين، وانه سيؤتى يوم القيامة بقوم من اصحابي فيؤخذ بهم ذات الشمال، الى آخر الحديث وقد ذكرنا هذا الحديث من قبل.

وعن الاعمش باسناده عن عبد الله بن العباس، قال : سمعت رسول الله صلع يقول في علي ابن ابي طالب ع م وهو آخذ بيده : هذا اول من آمن بي، واول من يصافحني يوم القيامة، وهو الصديق الاكبر، وهو فاروق هذه الامة، يفرق بين الحق والباطل، وهو يعسوب المؤمنين والمال يعسوب الظلمة، وهو بابي الذي اوتى منه، وهو خليفتي من بعدي.

وعن محمد بن زياد الاعرابي باسناده عن عطاء بن السائب عن سعيد ابن جبير عن ابن عباس انه قال : لما انزلت انما انت منذر ولكل قوم هاد. قال النبي صلع : انا المنذر وانت يا علي الهادي بك يا علي يهتدي المهتدون.

وعن احمد بن شعيب النسائي باسناده عن عمران بن ميمون انه قال : اني جالس عند عبد الله بن عباس اذ اتاه تسعة رهط، فقالوا له اما ان تقوم معنا، واما ان يخلونا هؤلاء الذين معك، فانا اردنا ان نسألك عن شيء فيما بيننا وبينك، قال : بل انا اقوم معكم، وقال لنا : تحدثوا، وقام عجلا معهم، فما ادري ما قالوا له، الا انه جاء وهو ينفض ثوبه ويقول اف وتف يقعون في رجل قال رسول الله صلع : لابعثن رجلا يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله، ولا يخزيه ابدا، فاستشرف لها من استشرف فقال : اين علي ؟ فدعي له وهو ارمد لا يكاد ان يبصر، فنفث في عينيه ودعى له، ثم اخذ الرأية فهزها ثلاثا، وفدفعها اليها جاء بصفية بنت حيي. وبعث ابا بكر بسورة براءة، وبعث علينا ع م خلفه فاخذها منه وقال : لا يذهب بها الا رجل مني، وعلي مني وانا منه. ودعى رسول الله صلع عليا وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام ومد عليهم ثوبا وقال : اللهم هؤلاء خاصتي واهل بيتي، فاذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا .

وكان اول من اسلم من الناس بعد خديجة، والبسه النبي ثوبه في الليلة التي امره جبريل بالخروج فيها الى الغار، ونام على فراشه، وجعل المشركون يرمونه وهم يحسبون انه نبي الله صلع، فجاء ابو بكر اليه فقال : اين رسول الله صلع ؟ قال : ذهب نحو بئر ميمون، اتبعه فدخل معه الغار، والمشركون يرمون عليا ع م حتى اصبح .وخرج الناس في غزوة تبوك فقال علي : اخرج معك يا رسول الله ؟ فقال : لا، فبكى، فقال الا ترضى ان تكون مني بمنزلة هارون من موسى الا انك لست بنبي، ثم قال : انت خليفتي على كل مؤمن من بعدي، وسد ابواب المسجد غير باب علي ع م فكان يدخل وهو جنب وهو طريقه ليس له طريق غيره، وقال : من كنت مولاه فعلي مولاه ومن كنت وليه فعلي وليه.

قال ابن عباس :واخبرنا الله عز وجل في القرآن انه قد رضي عن اصحاب الشجرة، وكان منهم، وما اخبرنا بعد انه سخط عليهم. وقال رسول الله صلع لعمر حين قال له ائذن لي ان اضرب عنق حاطب، فقال : ما يدريك لعل الله قد اطلع على اهل بدر فقال لهم : اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم.

وروي عن علي بن زياد بن المنذر باسناده عن عبد الله بن العباس انه قال :قس العلم ستة اجزاء، فاعطى علي ع م منها خمسة، وقسم بين الناس سدس، وايم الله لقد شاركنا في سدسنا حتى هو اعلم به منا.

وعن عمرو القتاد باسناده عن عبد الله بن العباس : قدم وفد اهل نجران على رسول الله صلع وفيهم السيد وابو الحارث، وهو عبد المسيح ابن يونان، وهو اسقف نجران، وهم يومئذ سادات نجران، فقالوا يا محمد لم تذكر صاحبنا ؟ قال : ومن صاحبكم ؟ قالوا : عيسى بن مريم، تزعم انه عبد الله، قال : اجل هو عبد الله، قالوا : فارنا فيمن خلق الله عبدا مثله فيما رأيت وسمعت، فاعرض نبي الله عنهم، ونزل جبرئيل بقول الله عز وجل :ان مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون، فقال لهم كذلك، فقالوا له :اما انه ليس كما تقول، فقال لهم : فان الله يقول : فمن حاجك فيه من بعد ما جاءك من العلم فقل تعالوا ندع ابناءنا وابناءكم ونساءنا ونساءكم وانفسنا وانفسكم ثم نبتهل فنجعل لعنة الله على الكاذبين، قالوا : نعم نلاعنك، فخرج رسول الله صلع فاخذ بيد علي عليه السلام ومعهما فاطمة والحسن والحسين، فقال رسول الله صلع هؤلاء ابناؤنا ونساؤنا وانفسنا، فهموا ان يلاعنوه، ثم ان السيد قال للعاقب وابي الحارث : ما تصنعون بملاعنته ؟ ان كان كاذبا لم نصنع بملاعنته شيئا، وان كان صادقا لنهلكن، وصالحوه على الجزية، فقال رسول الله صلع: والذي نفسي بيده لو لاعنوني ما حال عليهم الحول وبحضرتهم منهم بشر، ولاهلك الله الظالمين.

وروي عن مبدل عن عبد الله بن العباس انه قال في قول الله عز وجل : وكونوا مع الصادقين، قال : كونوا مع علي عليه السلام واصحاب علي .

وروي عن اسماعيل بن عبد الله باسناده عن عبد الله بن العباس انه بينما هو يطوف بالبيت الحرام اذ هو بشاب قد شاب يديه حتى تبين بياض ابطيه، وهو يبترأ من امير المؤمنين علي ابن ابي طالب ع م وما احدث في الاسلام، فقال ابن عباس لبعض من حوله : لا يفتك الرجل، فقبض عليه، اتى به اليه، فقال له عبد الله بن عباس :ممن الرجل ؟ قال : من اهل الشام، قال : ما اسمك ؟ قال : ربيعة بن خارجة الخارجي، قال : واي شيء احدث علي ابن ابي طالب يا ربيعة في الاسلام ؟ قال : قتله الموحدين يوم صفين، ويوم النهروان، ويوم الجمل ويوم النخيلة، قال له عبد الله بن العباس : ويحك انما قتل علي من خالف الملة وطعن في الاسلام، وامره بقتلهم رسول الله صلع فهل انت راد على الله وعلى رسوله ؟ ويحك يا ربيعة ان لعلي ع م اربع سوابق لو قسمت الواحدة منهن على جميع الخلق لوسعتهم، قال : وما هن ؟ قال ابن عباس :انه اول من آمن بالله وبرسوله صلع، صلى مع النبي القبلتين، وهاجر الهجرتين، وبايع البيعتين، لم يعبد قط صنما، ولا شرب خمرا، وان الله عز وجل اوحى الى نبيه صلع ان زوج عليا من فاطمة، قال : قد زوجتها منه، فان الله امر شجرة في الجنة يقال لها طوبى ان احملي، فحملت، فقال لها : اثمري، فاثمرت، ثم قال انثري، فنثرت درا كامثال القلال، فالتقطه حور العين في الجنة يتفاخرون به الى يوم القيامة يقلن : هذا نثارفاطمة ع م.

وكان يسمع وقع جناح جبريل على سطحه اذا هبط بالوحي على رسول الله صلع .

وكان صنم لخزاعة مرفوعا فوق الكعبة، فقال له النبي صلع انطلق بنا نلقي هذا الصنم عن البيت، فانطلقا ليلا، فقال له : يا ابا الحسن، ارق على ظهري، وكان طول الكعبة اربعين ذراعا ن، فقال : يا رسول الله بل ترقى انت على ظهري، فانا اولى بذلك، واحق بحملك، قال : يا علي انك لا تقدر على ذلك، ولو اجتمعت الجن والانس على ان تحمل مني عضوا ما قدرت للايمان الذي هو في قلبي، وحمله رسول الله صلع فلما استوى عليه قال له رسول الله صلع : انتهيت يا علي ؟ قال : نعم، والذي بعثك بالحق لو هممت ان المس السماء بيدي لمستها، واحتمل الصنم فجلد به الارض فتقطع قطعا، ثم تعلق ع م بالميزاب وتنحى عن رسول الله صلع اكراما له واجلالا، ثم رمى بنفسه الى الارض، فلما سقط ضحك، فقال له النبي صلع ما يضحكـك يا علي اضحك الله سنك ؟ قال : ضحكت يا رسول الله صلع تعجبا من ان رميت بنفسي من فوق البيت الىالارض وما المت، وما اصابني وجع، فقال النبي صلع :وكيف تألم يا ابا الحسن او يصيبك وجع وانك انما رفعك محمد وانزلك جبريل.

وروى محمد بن اسماعيل باسناده عن عبد الله بن عباس انه قال : قد علي ع م من بعض غزواته، فقال له النبي صلع يا علي ان جبريل يقرئك السلام، واخبرني انه عنك راض، قال :فبكى علي ع م، فقال له النبي صلع :افرحا بكيت يا علي ؟ قال :فكيف لا افرح يا رسول الله وانت تخبرني برضى جبريل عني، فقال :يا علي ان الله وملائكتك ورسله عنك راضون، ولولا اني اخاف ان تقول فيك الناس ما قالت النصارى في عيسى بن مريم لقلت فيك اليوم قولا لا تمر بملأ من امتي الا اخذوا التراب من تحت قدميك يرجون بذلك البركة والرحمة.

ومما روي عن احمد بن يحي الازدي عن عبد الله بن العباس انه قال : قال رسول الله صلع : يأتي على الناس يوم القيامة وقت ما فيه راكب الا اربعة : قال له العباس بن عبد المطلب : فداك ابي وامي من هؤلاء الاربعة ؟ قال : انا على البراق، واخي صالح على ناقة الله عز وجل التي عقرها قومه، وعمي حمزة اسد الله واسد رسوله على ناقتي العضباء، واخي علي ابن ابي طالب على ناقة من نوق الجنة مدبجة الجنبين، وعليه حلتان خضراوان من كسوة الرحمن على رأسه تاج من نور في ذلك التاج سبعون ركنا، في كل ركن ياقوتة حمراء تضيء مسيرة ثلاثة ايام للراكب المجد بيده لواء الحمد ينادي لا اله الا الله، محمد رسول الله، فتقول الخلائق من هذا ؟ املك مقرب، ام نبي مرسل ام حامل عرش ؟ فيناديهم مناد من بطنان العرش ليس بملك مقرب ولا نبي مرسل ولا حامل عرش، هذا علي ابن ابي طالب وصي رسول الله صلع، وامام المتقين، وقائد الغر المحجلين الى جنات النعيم.

واتى عن الحسن باسناده عن عبد الله بن عباس قال : اكتنفنا رسول الله صلع في مسجد المدينة فتذاكرنا من اول الجنة دخولا، فقال رسول الله صلع : ان اولكم دخولا الجنة علي ابن ابي طالب، فقام ابو دجانة الانصاري فقال : بابي انت وامي يا رسول الله، لقد سمعتك تقول قبل هذا ان الجنة محرمة على الانبياء والامم حتى تدخلها انت يا رسول الله، قال صدقت يا ابا دجانة، ان لله عز وجل لواء من نور وعمودا من نور خلقهما قبل ان يخلق الدنيا بالف عام، مكتوب على ذلك اللواء انا الله لا اله الا انا محمد عبدي ورسولي الى خلقي محمد خير البرية، ثم اهوي بيده على علي ع م فقال : هذا حامل ذلك اللواء بين يدي يوم القيامة، وصاحب لواء القوم امامهم، فكبر الناس تكبيرة واحدة، واشرق لون علي ع م، وقام فقال :الحمد لله الذي شرفنا برسول الله صلع.

وعن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس باسناده عن ابيه قال : قال رسول الله صلع احبوا الله لما يقدركم به من نعم، واحبوني لحب الله عز و جل، واحبوا اهل بيتي لحبي .

وعن ابي صالح عن ابن عباس انه قال في قول الله عز وجل :ولا تقتلوا انفسكم ان الله كان بكم رحيما، قال يقول لا تقتلوا اهل بيت نبيكم.

فاوردنا في هذا الفصل ما اوردناه لما ذكرنا عبد الله بن عباس دلالة على فضله وولايته لوصي رسول الله صلع وتواضعه لمن خصهم الله بفضله من اوليائه وخلفاء رسله، مع ما هو مذكور عند كثير من اقراره بفضل امير المؤمنين علي ابن ا بي طالب والائمة من نسله، وانهم الذين جعل الله منهم لكل قوم هاديا، وانهم قربى رسول الله صلع التي مودتهم واجبة على العباد، مع غير ذلك مما ذكرناه وما لم نذكره، ولم يدّع الفضل كما ادعى بنوه، بل هو مقر لاهله، واضع له حيث وضعه الله في محله، كما وضعه الله جل وعلى وابانه لرسوله صلع وابانه رسول الله صلع لمن اتبعه، واعلن في صحبه وامته، ان اولى الناس بالفضل بعده واحراهم بذلك وصيه علي ابن ابي طالب والحسن والحسين والائمة من ذريته عليهم الصلوة والسلام. فاقر بذلك من اقر ممن اراد الله به الخير وهداه.وانكره من انكره ممن اضله الله واغواه واتبع هواه، وجحد فضل مولاه، وفيما ذكرناه في كتابنا هذا دلالة لى اهل الفضل ومن جعله الله له من الاهل، مع اننا لم نذكر من ذلك كالرشح من الاناء المملوء واقل من ذلك، لان فضل علي والائمة الطاهرين من ذريته عليهم السلام لا تسعه الاوراق، ولا يجحده الا اهل الشقاق والنفاق.

وقد ذكر الشريف محمد بن الحسين بن موسى الموسوي رحمة الله عليه كتابا من امير المؤمنين علي بن ابي طالب الى عبد الله بن عباس رحمة الله عليه لما نزع من ولاية البصرة وصار الى الحجاز، وفي ذلك الكتاب تعنيف شديد لو حملته الجبال لاثقلها، او رميت به لقلقلها، وذلك من امير المؤمنين تأديب لعبد الله بن عباس وغيره في اداء الامانة الى الله واوليائه والمسلمين وجميع العالمين، ليتعظ به الاخيار المذكرون، وهو توبيخ يوبخ به الاشرار المنكرون والمستكبرون.

وكتاب امير المؤمنين الى ابن عمه عبد الله بن العباس : اما بعد فاني كنت اشركتك في امانتي، وجعلتك شاري وبطانتي، ولم يكن في اهلي اوثق منك في نفسي لمواساتي وموازرتي واداء الامانة الي، فلما رأيت الزمان على ابن عمك كلب، والعدو قد حرب، وامانة الناس قد خربت، وهذه الامة قد فتكت وشغرت، قلبت لابن عمك ظهر المجن، ففارقته مع المفارقين، وخذلته مع الخاذلين، وخنته مع الخائنين، فلا ابن عمك آسيت، ولا الامانة اديت، وكأنك انما كنت تكيد هذه الامة عن دنياهم، وتنوي غرتهم عن فيئهم، فلما امكنتك الشدة في خيانة الامة، اسرعت الكرة وعجلت الوثبة، واختطفت ما قدرت عليه من اموالهم المصونة لاراملهم وايتامهم اختطاف الذئب الازل دامية المعزى الكسيرة، فحملته الى الحجاز رحيب الصدر، تحمله غير متأثم من اخذه كأنك لا ابا لغيرك حدرت على اهلك تراثك من ابيك وامك، فسبحان الله اما تؤمن بالمعاد، او ما تخاف من نقاش الحساب، ايها المعدود كان عندنا من ذوي الالباب، كيف تسيغ شرابا وطعاما وانت تعلم انك تأكل حراما، وتبتاع الاماء وتنكح النساء من مال اليتامى والمساكين والمؤمنين، والمجاهدين الذين افاء الله عليهم هذه الاموال، واحرز بهم هذه البلاد، فاتق الله واردد الى هؤلاء القوم اموالهم، فانك ان لم تفعل ثم امكنني الله منك لاعذرن الى الله فيك، ولاضربنك بسيفي الذي ما ضربت به احدا الا دخل النار، والله لو ان الحسن والحسين فعلا مثل الذي فعلت ما كانت لهما عندي هوادة وظفرا مني بارادة حتى آخذ الحق منهما، وازيح الباطل من مظلمتهما، واقسم بالله رب العالمين ما يسرني ان ما اخذته من اموالهم حلال لي اتركه ميراثا لمن بعدي فضح رويدا، فكأنك قد بلغت المدى، ودفنت تحت الثرى وعرضت عليك اعمالك بالمحل الذي ينادي فيه الظالم بالحسرة . ويتمنى المضيع الرجعة ولات حين مناص، والسلام.

وقد ذكر كثير من الرواة كالواقدي وغيره ان عبد الله بن العباس فاء الى امير المؤمنين علي ع م راجعا عن خطيئته مؤديا اللازم له من امانته، وكان محمود الطرائق ثابتا في رضى الخالق، ملتزما بامير المؤمنين واهل بيته عليهم السلام، متواليا لهم، ناشدا لفضلهم .

وقال المسعودي قد ذهب بصره لبكائه على علي والحسين والحسين عليهم السلام، وهو الذي يقول :

ان يأخذ الله من عيني نورهما \* ففي فؤادي وقلبي منهما نور

قلبي زكي وعقلي غير مختبل \* وفي فمي صارم كالسيف مأثور

وكانت وفاة عبد الله بن العباس رحمة الله عليه بالطائف كما ذكرنا، وصلى عليه محمد بن الحنفية وتولى دفنه، وما مات عبد الله الا مطرودا عن مكة والمدينة حرم الله تعالى وحرم رسوله، طرده المتغلبون على اهل البيت عليهم السلام المغتصبون لحقهم، المنكرون لصدقهم بنو مروان وابن الزبير، الا لعنة الله على الظالمين الذين يصدون عن سبيل الله ويبغونها عوجا، ورحمة الله على المتوالين لاهل بيت نبيهم، الجاعلين منهجهم لهم منهجا.

ذكر وفاة محمد بن علي ع م بن الحنفية سنة 81

وفي ايام الامام علي ابن الحسين ع م كانت وفاة عمه محمد بن علي بن ابي طالب رضوان الله عليه في المحرم اول سنة احدى وثمانين من الهجرة وعمره خمس وستون عاما، واختلف في اي مكان كانت وفاته على ثلاثة اقوال : احدهما ان وفاته كانت بايلة، وقيل بالمدينة، وزعم قوم ان وفاته كانت بالطائف، والصحيح الثابت انه توفي في مدينة النبي صلع وصلى عليه ابان بن عثمان، ودفن بالبقيع، وانما خفي امره رضوان الله عليه ورحمته لما كان عليه من التقية والاختفاء لخوف الظالمين المتغلبين.

وكان محمد بن علي ابن ابي طالب رضوان الله عليه من الاخيار الفضلاء، وكان اخوه الامام الحسين بن علي ع م لما توجه الى الطف قد استودعه لولده الامام علي ابن الحسين ع م سترا عليه، فكان محمد يعرف المخلصين من الشيعة بمقام علي ابن الحسين في سر وكتمان لخوف الظالمين المتغلبين، وام محمد بن علي خولة بنت جعفر ابن ابي قيس الحنفي من اليمامة، ولد بعد وفاة رسول الله صلع، وبعد ان توفيت فاطمة بنت رسول الله صلع تزوج امير المؤمنين خولة المذكورة، وكان رسول الله صلع قد قال لامير المؤمنين علي ابن ابي طالب ع م انه سيولد لك بعدي ولد فسمه باسمي، وكنه كنيتي .

قال الزهري : وكان محمد ع م من اعقل الناس واشجعهم .

وقد قدمنا قول ابي عبد الله محمد بن عبد الكريم حيث قال في محمد بن الحنفية : وكان السيد كثير العلم، غزير المعرفة، وقاد الفكر، كثير الخواطر في العواقب، قد اخبره امير المؤمنين ع م اخبار الملاحم، واطلعه على مدارج العلم، وقد قيل انه كان مستودعا علم الامامة حتى سلم الامامة الى اهلها وما فارق الدنيا حتى اقرها في مستقرها، وقد ذكرنا في كتابنا هذا مما كان لمحمد من الجهاد مع ابيه امير المؤمنين علي عليه السلام ووقايته الحسن والحسين عليهما السلام بنفسه.

وفيما روي عن الثوري عن علي ابن الحسين ع م انه قال مالك الاشتر لمحمد بن الحنفية في يوم من ايام صفين :قم بين الصفين وامدح اباك امير المؤمنين عليا ع م واذكر فضله، قال فبرز محمد بن علي بين الصفين واومأ الى عسكر معاوية وقال في خطبته : يا اهل الشام اخسئوا يا ذرية النفاق وحشو النار، وحطب جهنم، عن البدر الزاهر والقمر الباهر، والنجم الثاقب، واللسان النافذ، والشهاب المنير، والحسام المبين، والصراط المستقيم، والبخر الخضم، من قبل ان نطمس وجوها فنردها على ادبارها او نلعنهم كما لعنا اصحاب ا لسبت، وكان امر الله مفعولا.

او ما ترون اي عقبة تقتحمون، واي هضبة تتسنمون، اني تؤفكون، بل ينظرون اليك وهم لا يبصرون،اصنو رسول الله صلع وعلى خير آله تستهدفون، ويعسوب دبن الله تلمزون، فاي سبل للرشاد بعد ذلك تسلكون، واي خرق بعد ذلك ترقعون، هيهات هيهات برزالله في السبق وفاز بالخضل، واستولى على الغاية، واحرز الفصل في الخطاب، فانحسرت عنه الابصار، وانقطعت دونه الرقاب، وفرع الذورة العليا، وبلغ الغاية القصوى، فعجز من رام سعيه وعناه بالطلب وفاته المأمول والارب، ووقف عند شجاعته الشجاع الهمام، وبطل سعي البطل الضرغام، انى لهم التناوش من مكان بعيد، فخفضا خفضا ومهلا مهلا، افلصديق رسول الله صلع تثلبون، ام لاخيه تسبون، وهو شقيق نسبه اذا نسبوا، ونديد هارون اذا مثلوا، والمصلي الى القبلتين اذا انحرفوا، والمشهود له بالايمان اذ كفروا، المدعو له بخيبر اذ نكلوا والمندوب لنبذ عهد المشركين اذ نكثوا، والخليفة على الفراش ليلة الهجرة اذ جنبوا، والثابت يوم احد اذ هربوا، والمستودع الاسرار ساعة الوداع اذ حجبوا .

هذي المكارم لا قعبان من لبن \* شيبا بماء فعاد ابعد ابوالا

وكيف يكون بعيدا من كل سناء وسمو وثناء وعلو وقد نحلته ورسول الله ابوه وانجبت بينهما جدود ورضعا بلبان، ودرجا في سنن، وتفيأ بشجرة، وتفرعا من كرم اصل، فرسول الله صلع للرسالة وامير المؤمنين رتق الله به، فتق الاسلام حتى انجابت به طنحية الريب، وقمع به نخوة النفاق، حتى ارفأن جيشانه، وطمس رسم الجاهلية، وخلع ربقة الصغار والذلة، وكفت الملة العوجاء، ورنق شربها، وجلاها عن درها، واطيا كواهلها آخذا باكظامها يقرع هاماتها، ويرحضها على بال الله حتى همها الخشاش وعضها الثقاف،ونالها فرض الكتاب، فجرجرت جرجرة العود الموقع فزادها وقرا، فلفظته افواهها وازلقته بابصارها، وبنت عن ذكره اسماعها، فكان لها كالسم المقر والزعاف الزعف، لا تاخذه في الله لومة لائم، ولا يزيله عن الحق تهيب مهند، ولا يزيله عن الصدق رهب متوعد، فلم يزل كذلك اقشعت غياهب الشرك، وخنع طيخ الافك، وزالت قحم الاشراك، فيه تنسمتم روح النصفة، وتطعمتم قسم السواء بعد ان كنتم لوكة الآكل، ومذثة الشارب، وقبسة العجلان، بسياسة مأمون الحرفة مكتحل الحنكة، طب بادوائكم قمن بدوائكم، مثقف لاودكم، كال لحوزتكم، حام لقاصيكم ودانيكم، يقتات الحنوة ويرد الخمس ويلبس الهدم، ثم اذا سبرت الرجال، وطاح الوشيظ، واستسلم المشيح، وغمغمت الاصوات، وقلصت الشفاه، وقامت الحرب على ساق، وخطر فنيقها، وهدرت شقاشقها، وجمعت قطرتها، وسالت بابرق الفى امير المؤمنين هنالك مثبتا لقطبها، مدبرا لرحاها، قادحا زنادها، موريا لهبها، مذكيا جمرها، دلافا لبهمها، ظرابا للقلل، غصابا للمهج، تراكا للسلب، خواضا لغمرات الموت، مثكل امهات، موتم الاطفال، مشتت آلاف، قطاع اقران، طافيا عن الجولة، راكدا في الغمرة، يهتف باولاها، فيكتنف اخراها، فتارة يطويها طي الصحيفة وآونة يغرقها تغريق القرقرة، فباي آلاء امير المؤمنين تمترون، وعن اي امرأ مثل حديثه تأثرون، وربنا المستعان على ما تصفون.

قال : فلم يبق في الفريقين الا من عرف فضل محمد بن الحنفية رضوان الله عليه.

وقيل انه كتب ملك الروم الى عبد الملك ابن مروان الاموي يتهدده ويتوعده ويحلف ليبعثن اليه مائة الف في البر ومائة الف في البحر او يؤدي اليه الجزية، فكتب عبد الملك الى الحجاج بن يوسف وقال له : توعد محمد بن الحنفية واخبرني بجوابه، فلما وصل كتابه الى الحجاج كتب الى محمد بن الحنفية بالوعيد، فكتب اليه محمد رضوان الله عليه : اما بعد فان لله تعالى في كل يوم ثلثمائة وستون نظرة الى خلقه وانا ارجو ان ينظر الي نظرة تمنعني منك، فكتب الحجاج بذلك الى عبد الملك، فكتب به عبد الملك الى ملك الروم، فكتب ملك الروم الى عبد الملك : ما لك ولهذا الكلام وما خرج منك ولا من اهل بيتك، انما خرج من بيت النبوة . وفي رواية اخرى ان محمدا قال للحجاج بهذا القول ولقد لقيه بمكة وهو يطوف بالبيت، فعض الحجاج على شفتيه فقال له محمد بهذا القول المتقدم ذكره .

وقد ذكرنا دعوة المختار بن عبيد الى محمد بن الحنفية، وقال المختار انه المهدي وانه لا يموت حتى يملأ الارض عدلا وقسطا كما ملئت جورا وخبطا، وهذا مذهب الكيسانية اصحاب المختار، وكان المختار بن عبيد يلقب بالكيسان، وذهبت الكيسانية الى ان محمد نجل الحنفية لم يمت وانه مقيم بجبل رضوى في شعب منه ومعه اربعون رجلا من اصحابه ودخلوا ذلك الشعب معه فلم يوقف لهم على خبر وانهم احياء يرزقون .

وفيه وفي امير المؤمنين علي والحسنين ع م يقول كثير وقد كان احد الكيسانية :

الا وان الائمة من قريش \* هداة الخلق اربعة سواء

علي والثلاثة من بنيه \* هم الاسباط ليس بهم خفاء

فسبط سبط ايمان وبر \* وسبط غيبته كربلاء

وسبط لا يذوق الموت حتى \* يقود الخيل يقدمه اللواء

تغيب لا يرى فينا زمانا \* برضوى عنده عسل وماء

وكان اسماعيل بن محمد الحميري من الكيسانية وهو يلقب السيد الحميري وهو القائل في ابن الحنيفة :

الا قل للوصي فدتك نفسي \* اطلت بذلك الجبل المقاما

اضر بمعشر والوك منا \* وسموك الخليفة والاماما

وعدوا اهل هذي الارض طرا \* مقامك فيهم ستون عاما

وما ذاق ابن خولة طعم موت \* ولا وارت له ارض عظاما

لقد امسى بمورق شعب رضوى \* تراجعه الملائكة السلاما

هدانا الله اذ حزنا بامر \* به ولديه نلتمس التماما

وقال السيد ايضا :

يا شعب رضوى ما لمن بك لا يرى \* وبنا اليه من الصبابة اولق

حتى متى والى متى وكم التي \* يا بن الوصي وانت حي يرزق

ثم انهم لما طال عليهم امر ابن الحنفية رجع اكثرهم عما كان عليه، ورجع السيد فيمن رجع الى امامة الصادق جعفر بن محمد ع م وسنذكر ما قال في ذلك اذا انتهينا اليه، وهذا من الجهل العظيم والافك المبين، ومحمد رضوان الله عليه قد عرف موته ودفنه.

وروي عن الواقدي انه قال : حدثني زيد بن السائب مولى زيد بن ثابت، قال سمعت ابا هاشم عبد الله بن محمد بن علي يقول : توفي ابي في المحرم سنة احدى وثمانين، فلما وضعناه في البقيع لنصلي عليه اتانا بن عثمان وهو الوالي يومئذ ليصلي عليه قال فقلت له انك لا تصلي عليه ابدا الا ان تطلب ذلك الينا قال فقال لي ابان بن عثمان : انتم اولى بجنازتكم فيصلي عليه من شئتم، قلنا له : تقدم فصل عليه، فزعم من تعلق بالمقالة التي قال فيها انه لم يمت، وكانوا على ذلك الى ان كلم بعض رؤسائهم ابا جعفر محمد بن علي الباقر ع م في مثل ذلك فقال له الباقر عليه السلام : ويحك ما هذه الحماقة انتم اعلم به ام نحن ؟ قد حدثني ابي علي ابن الحسين عليه السلام انه شهد موته وغسله وتكفينه والصلوة عليه وانزله في قبره، فقال له شبه على ابيك كما شبه عيسى بن مريم على اليهود، قال محمد بن علي بن الحسين ع م : افتجعل هذه الحجة قضاء بيني وبينك ؟ قال نعم، قال أ رأيت اليهود الذين شبه المسيح عليهم كانوا اوليائه او اعدائه ؟ قال بل كانوا اعدائه، قال افكان ابي عدو محمد بن علي فيتشبه عليه ؟ قال لا، وانقطع وترك ما كان عليه ورجع الى قول محمد بن علي وتتابعوا على ذلك من الرجوع ايام محمد بن علي، وايام ابنه الصادق جعفر بن محمد ع م فسموا الجعفرية .

واقام الامام علي ابن الحسين زين العابدين سلام الله وصلواته عليه في مدينة النبي وشيعته واوليائه يختلفون اليه ويسمعون من علمه، وعليه من الله تعالى جنن ستر واقية، ومواد حفظ وكلاية كافية، وهو مقبل على عبادة الله ربه ليله ونهاره، لا يلتفت الى الدنيا ولا يروقه زبرجها، وكان عليه السلام يدعى مع زين العابدين والسجاد ذو الثفنات لانه كان في مساجده كثفنات البعير لكثرة السجود.

وقد اعلم خواصّ شيعته واهل الفضل منهم ان الامام الباقر ولده محمد بن علي ع م خليفته والقائم بامر الله بعده، وكان ذلك في سر وكتمان لخوف اهل الضلال والعدوان.

وتوفي الامام زين العابدين علي ابن الحسين عليه الصلوة والسلام والرضوان بمدينة النبي صلع سنة اربع وتسعين من الهجرة وعمره ثمان وخمسون سنة، فلما جرد عليه السلام ليغسل رأوا على حبل عاتقه اثرا مثل الذي في مساجده فسألوا عنه ابنه محمد بن علي ع م وقالوا : قد علمنا ان الذي في مساجده لكثرة السجود ما هذا الذي نراه على عاتقه مما هو يابن رسول الله ؟ فقال لهم الباقر عليه السلام : والله ما علم بهذا غيري، ولا كان اطلعني عليه، ولكني عملته من حيث لم يكن يعلم اني علمت به، كان اذا جن الليل وهدأت العيون قام الى منزله فجمع كل ما يبقى فيه من قوت اهله وجعله في جراب ورمى به على عاتقه وخرج، وكنت اخرج في اثره مخافة عليه فاراه يقصد قوما في دورهم من اهل الفقر يفرق ذلك عليهم وهو متلثم لا يعرفونه.

وكنت كثيرا ما اجدهم قياما علىابوابهم ينتظرونه، فاذا اقبل وانا وراءه مستترا عنه، تباشروا وقالوا : قد جاء صاحب الجراب، فلا يزال كذلك حتى لا يبقى في منزله مما يفضل من قوت اهله، فهذا اثر ذلك الجراب، وقيل انه كان في المدينة عدة بيوت يأتيهم قوتهم من علي ابن الحسين ع م لا يدرون من حيث ياتيهم ذلك، فما عرفوا ذلك حتى مات فانقطع ذلك عنهم فعلموا انه كان من عنده، وانما كان يفعل ذلك لما جاء في الصدقة في السر من الفضل، وقيل ان تلك البيوت حصلت فوجدت مائة بيت، في كل بيت جماعة من الناس.

وتولى غسله عليه السلام والرضوان والصلوة ابنه محمد بن علي فلما اراد ان يغسل فرجه قال : لقد كنت اجلّك عن ان امس عورتك حيا، وانت عندي ميت كما كنت حيا فما كنت لامس عورتك، ودعى بام ولده فتولت غسل عورته، ودفن بالبقيع، وضربت امرأته على قبره فسطاطا، فلما كان بالعشي جاءت ناقة له فوضعت جرانها على الفسطاط وجعلت تحن، فقال ابو جعفر ع م لبعض مواليه، نحها لان لا يراها الناس فنحاها عن الفسطاط .

ومن علي بن الحسين ع م كان عقب الحسين ع م وفيه وفي ذريته جرت الامامة بعد الحسين بن علي عليه السلام ولم تخرج من عقب الحسين ع م بل فيهم تسلسلت واليهم جرت، يسلمها اولهم لآخرهم، وعابرهم لغابرهم .

وقد سأل سائل الصادق جعفر بن محمد ع م، فقال السائل : اخبرني عن خروج الامامة عن ولد الحسن الى ولد الحسين عليه السلام كيف ذلك وما الحجة فيه ؟ قال الصادق عليه السلام : قول الله تعالى : انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت ويطهركم تطهيرا، انزلت هذه الآية في خمسة نفر شهدت لهم بالتطهير من الشرك ومن عبادة الاصنام وعبادة كل شيء دون الله عز وجل، اصلها دعوة ابراهيم عليه السلام حيث يقول : واجنبني وبني ان نعبد الاصنام، والخمسة الذين نزلت فيهم آية التطهير رسول الله صلع وعلى وفاطمة والحسن والحسين سلام الله عليهم، وهم الذين عنتهم دعوة ابراهيم ع م.

فكان سيدهم فيها رسول الله صلع.

وكانت فاطمة ع م امرأة شاركتهم في التطهير وليس لها في الامامة شيء، وهي ام الائمة صلوات الله عليهم .

ولما قبض الله نبيه كان علي ابن ابي طالب عليه السلام اولى الناس بالامامة بعد رسول الله صلع لقول الله تعالى : والسابقون السابقون اولئك المقربون، ولقول رسول الله صلع في الحسن والحسين عليهما ا لسلام هما سيدا شباب اهل الجنة وابوهما خير منهما، ولقوله صلع الحسن والحسين اماما حق قاما او قعدا وابوهما خير منهما، فكان علي ع م بالامامة اولى من الحسن والحسين لانه السابق،

فلما قبض كان الحسن اولى بالامامة من الحسين بحجة السبق، وذلك لقول الله تعالى : والسابقون السابقون، وكان الحسن اسبق من الحسين واولى بالامامة،

فلما حضرت الحسن الوفاة لم يجز ان يجعلها في ولده واخوه نظيره في التطهير، وله بذلك وبالسبق فضيلة على ولد الحسن عليه السلام، فصارت اليه .

فلما حضرت ا لحسين الوفاة لم يجز ان يردها الى ولد اخيه الحسن لقول الله تعالى : واولوا الارحام بعضهم اولى ببعض في كتاب الله فكان ولده اقرب اليه رحما من ولد اخيه وكانوا بها اولى، فاخرجت هذه الآية ولد الحسن عليه السلام من الامامة، وحكمت هذه الآية لاولاد الحسين ع م بمصير الامامة فيهم الى يوم القيامة والحمد لله رب العالمين.

واوضح الصادق عليه السلام الحجة وبين المحجة في خروج الامامة من ولد الحسن وتسلسلها في ولد الحسين عليهم السلام، اذ قد كانت قد صارت الى الحسين بفضيلة السبق، ولم يجز ان يقطعها عن ولده لكونهم اولي الارحام واولى به، ثم انه لم يكن في اولاد الحسن عليه السلام ولا في غيرهم بعد الحسين ع م من يضاهي علي بن الحسين في فضله وعلمه وزهده وورعه وعبادته .

وقد ذكرنا قول امير المؤمنين علي ابن ابي طالب عليه السلام للحسين بن علي : وامرك رسول الله صلع ان تدفع الى ولدك هذا، يعني علي ابن الحسين ع م فكان اولى بالامامة وكان احق بها واهلها وموضعها ومحلها، ثم جرت بعده في عقبه الطاهرين الاخيار المنتجبين، فلا تخرج عنهم ولا تزول منهم حتى تقوم الساعة ويرث الله الارض ومن عليها، والحمد لله رب العالمين على ما اقام من آياته، واوضح من دلالاته، وصلى الله على سيدنا محمد وآله الطاهرين .

## ذكر نبذ من اخبار الامام ابي جعفر محمد علي الباقر وما له من الفضائل المشهورة والمفاخر

كانت ام الامام الباقر محمد بن علي ابن الحسين عليه السلام ام عبد الله بنت الحسن بن علي ابن ابي طالب عليه السلام

ومحمد بن علي عليه السلام اول من حاز شرف الاصلين، واجتمعت له ولادة الحسن والحسين، ونشأ على الفضل والطهارة والرياسة والسيادة والعلم، و احتذى سيرة آبائه الطاهرين عليهم السلام ولم يزل في درجات الفضل منتقلا، وللمفاخر السامية متوقلا، وقد ذكرنا ما كان من قول جده امير المؤمنين علي ابن ابي طالب عليه السلام يوم وصيته الامام علي بن الحسين اذ قال له وقد ضمه اليه : وامرك رسول الله صلع ان تدفع ذلك الى ولدك محمد وابلغه مني ومن رسول الله السلام وقل له : يا باقر العلم ابقره بقرا.

وكان جابر بن عبد الله الانصاري رحمة الله عليه يسأل عن ولد ولد الحسين هل ولد فيهم من اسمه محمد الى ان مرّ يوما وقد كف بصره بباب علي ابن الحسين ع م وخادمة تدعو محمدا يا محمد، فقال لقائده : اليست هذه دار علي ابن الحسين ؟ قال نعم، فقال للخادمة من محمد هذا الذي دعوت به ؟ قالت محمد بن علي ابن الحسين، قال قربيه مني، فقربته منه وهو صبي فجعل يلتزمه ويمرغ وجهه عليه ويقبل يديه ويقول يابن رسول الله جدك رسول الله صلع يقرءك السلام، فقيل لجابر في ذلك فقال : رأيت الحسين بن علي بين يدي رسول الله صلع فقال لي : يا جابر انك ستعيش حتى تدرك ولد ولد هذا يقال له محمد بن علي الباقر يهب الله له النور والرحمة فاقرأه مني السلام . وقل له : يا باقر العلم ابقره بقرا.

وهذا الحديث عن جابر مع الامام محمد بن علي ع م مشهور معروف يرويه الخاص والعام، وراه فقهاء اهل المدينة واهل العراق ويروى عن كبرائهم، ويرويه ابو حنيفة ومالك والشافعي وغيرهم، ويقرون بفضله وعلمه ومنه اخذوا ذكر حجة رسول الله صلع حجة الوداع، لان الامام ابا جعفر محمد بن علي ع م سأل عنها جابر بن عبد الله الانصاري لانه شهدها مع النبي صلع، واخبره بها شيئا شيئا مذ خرج رسول الله صلع من المدينة الى ان قضى الحج، وهو اتم حديث جاء في ذلك، يروى عن ابي جعفر محمد بن علي عليه السلام . وكان افقه اهل زمانه، وعنه اخذ ظاهر علم الحلال والحرام اهل الفقه من الخواص والعوام، وسمي باقر العلم لانه اول من بقر عنه من الائمة من آل محمد فاظهره .

وذلك انه وجد في الزمان لينا من بني امية لقرب انقطاع مدتهم وضعف امرهم، ولشغل من بقي منهم بلهوهم وآثامهم، وفيه يقول القرطبي :

يا باقر العلم لاهل الهدى \* وخير من لبى على الاجبل

وله يقول مالك بن اعين الجهني :

اذا طلب الناس علم القرآن \* فكانت قريش عليه عيالا

وان قيل هذا ابن بنت النبي \* رأيت لذلك فرعا طوالا

نجوم تهلل للمدلجين \* جبال تورّث علما جبالا

وروي عن عبد الرحمن بن صالح الازدي عن عبد الله بن عطا المكي، قال ما رأيت العلماء عند احد اصغر منهم عند ابي جعفر محمد بن علي عليه السلام لتواضعهم له، ومعرفتهم بحقه وعلمه، واقتباسهم منه، ولقد رأيت الحكم بن عيينة على جلالته في الناس وسنه وهو بين يديه يتعلم منه ويأخذ عنه كالصبي بين يدي المعلم.

وكان محمد بن المنكدر يقول : ما كنت اظن اني ارى علي ابن الحسين حتى رأيت ابنه محمد بن علي ع م، ولقد اردت ان اعظه مرة فوعظني، فقيل له : كيف كان ذلك ؟ قال : خرجت الى بعض نواحي المدينة في ساعة حارة فلقيني ابو جعفر، وكان رجلا بدينا ثقيل الجسم، وهو معتمد على غلامين له اسودين، فقلت في نفسي : شيخ من اشياخ قريش في هذه الساعة على هذه الحال في طلب الدنيا، لاعظنه، فدنوت منه فسلمت عليه ورأيت قد انصب عرقا، فقلت له : اصلحك الله ارأيت لو جاءك الموت وانت على هذه الحال؟ قال : فخلى الغلامين من يديه ثم تساند الى حائط وقال : لو جاءني الموت وانا على هذه الحال جاءني وانا على طاعة من طاعات الله عز وجل اكف بها نفسي واهلي عنك وعن الناس، وانما كنت اخاف لو جاءني وانا على معصية من معاصي الله عز وجل، قلت : رحمك الله لادرت ان اعظك فوعظتني .

روي عن جعفر بن محمد عليه السلام انه قال : حججت مع ابي محمد بن علي فبينا هو يصلي من الليل في الحجر في ليالي العشر وانا خلفه، اذ جاء رجل ابيض الرأس واللحية، جليل العظام، بعيد ما بين المنكبين، عريض الصدر، عليه ثوبان غليظان ابيضان في هيئة المحرم، فجلس الى جانبه فكأنه ظن انه يريد حاجة فخفف الصلوة، فلما سلم اقبل اليه بوجهه فقال له الرجل : يا ابا جعفر اخبرني عن بدء خلق هذا البيت كيف كان ؟ فقال له ابو جعفر عليه السلام : ممن انت ؟ قال الرجل : من اهل الشام، فقال له ان احاديثنا اذا سقطت الى الشام جائتنا صحاحا، واذا سقطت الى العراق جاءتنا وقد زيد فيها ونقص، يعني ان شيعتهم بالعراق كثير يأخذ بعضهم من بعض فتقع لذلك الزيادة والنقصان بين الناس، وهم بالشام قليل فاذا سقط الى من سقط اليه بقي بحاله، قال ثم اقبل عليه فقال : بدء خلق هذا البيت ان الله عز وجل لما قال للملائكة اني جاعل في الارض خليفة فردوا عليه بقولهم اتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء، ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك، وقالوا في انفسهم : نحن الحافون بعرشه والمسبحون بحمده يستخلف غيرنا ونحن اقرب اليه، قال الله تعالى : اني اعلم ما لا تعلمون، واعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون، فعلموا انهم قد وقعوا في الخطيئة، فلاذوا بالعرش فطافوا به سبعبة اشواط يسترضون ربهم فرضي عنهم .

وقال اهبطوا الى الارض فابنوا لي بيتا يعوذ به من اذنب من عبادي ويطوف حوله كما طفتم انتم حول عرشي، فارضى عنهم كما رضيت عنكم فبنوا هذا البيت، فهذا يا عبد الله بدء هذا البيت، فقال الرجل صدقت يا ابا جعفر، فما بدء هذا الحجر ؟ قال ان الله عز وجل لما اخذ ميثاق بني آدم اجرى نهرا احلى من العسل والين من الزبد، ثم امر بالقلم فاستمد من ذلك النهر وكتب اقرارهم وما هو كائن الى يوم القيامة، ثم القم ذلك الكتاب هذا الحجر، فهذا الاستلام الذي ترى انما هو بيعة على اقرارهم، قال جعفر بن محمد عليه السلام : وكان ابي عليه السلام اذا استلم الركن قال : اللهم امانتي اديتها وميثاقي تعاهدته، ليشهد عندك لي بالبلاغ، قال الرجل صدقت يا ابا جفعر، ثم قام . فلما ولىّ قال لي ابي رضوان الله عليه : اردده علي فخرجت وراءه وانا اراه الى ان حال الزحام بيني وبينه حتى صار على الصفاء فصعدت الصفا فلم اره، فذهبت الى المروة فلم اره، فجئت الي فاخبرته فقال ابي عليه السلام :اني ارى انه الخضر.

فهذا خبر يؤثر عن ابي جعفر عليه السلام على ظاهر القول وهو يحتوي من الحكمة على ما هو اللباب منه والجوهر والدر المكمن في صدفه، وكلام اولياء الله يتضمن من الحكمة على ما يبعد غوره، ويقرب للمتصلين بهم مأخذه، فمن غاص منهم اخذا عنهم واستفاده منهم، وجد الدر الثمين، والحق المبين.

ويروى عن الزهري انه قال : حج هشام بن عبد الملك فدخل المسجد الحرام معتمدا على يد سالم مولاه فرأى الامام محمد بن علي ابن الحسين ع م جالسا في المسجد والناس حوله يسألونه، فقال له سالم : يا امير المؤمنين هذا محمد ابن علي ابن الحسين، فقال هشام : المفتون به اهل العراق، قال نعم، قال : اذهب اليه فقل ما الذي يأكل الناس يوم القيامة ويشربون حتى يفصل بينهم، فجاء اليه فذكر له ذلك، فقال له ابو جعفر ان الله تعالى يقول : يوم تبدل الارض غير الارض فيحشر الناس يوم القيامة على ارض تكون لهم كالخبزة النقية فيأكلون منها الى ان يفرغ الناس من حسابهم، فانصرف سالم الى هشام فاخبره بجوابه فرأى هشام انه قد ظفر فقال : الله اكبر ارجع اليه فقل له ما اشغلهم عن الاكل والشرب بما هم فيه من هول يوم ا لقيامة، فرجع اليه فقال له ذلك، فقال الامام ابو جعفر : هم في النار في اهول من ذلك وما شغلهم ما هم فيه ان قالوا لاهل الجنة افيضوا علينا من الماء او مما رزقكم الله واكلوا الضريع والزقوم وشربوا الصديد والحميم، فرجع الى هشام فاخبره فافحم ولم يرد جوابا .

وروى عن قيس بن الربيع قال : سألت ابن اسحاق عن المسح على الخفين فقال ادركت الناس يمسحون حتى لقيت ابا جعفر محمد بن علي وما لقيت قبله مثله، فسألته عن المسح على الخفين، فقال لم يكن امير المؤمنين يمسح على الخفين، وقال عليه السلام سبق الكعبان الخفين، يعني قول الله تعالى : وامسحوا برؤسكم وارجلكم الى الكعبين، قال ابن اسحاق : فما مسحت على الخفين مذ نهاني، قال قيس : وما مسحت عليهما مذ سمعت هذا من ابي اسحاق.

وقيل ان الامام ابا جعفر محمد بن علي بن الحسين عليهم السلام كان يحبو قوما يغشون مجلسه من المائة الى الالف، وكان يحب مجالستهم ولا يملهم، منهم عمرو بن دينار، وعبد الله بن عبيد بن عميرة، وقال سفيان : وكان يحمل اليهم الصلة والكسوة، ويقول هيأنا لكم من اول السنة.

وروي عن الحسن بن كثير قال : جلست الى ابي جعفر محمد بن علي بن الحسين ع م فسألني عن حالي فشكوت اليه تحلل الماء وجفاء الاخوان، فقال لبئس الاخ اخا يرعاك غنيا ويقطفك فقيرا، ثم اسر الى غلام بين يديه كلاما فاخرج كيسا فدفعه الي وقال : استعن بهذا فاذا نفذ فاعلمني، فوجدت فيه سبعمائة درهم .

وعن الحسن بن صالح قال : سمعت ابا جعفر محمد بن علي ع م يقول : ما شيب شيء احسن من حلم بعلم.

ومما روي من حلم الامام ابي جعفر محمد بن علي عليه السلام ما ورد عن القاضي النعمان بن محمد رضي الله عنه مما اورده انه قال : كان الامام محمد بن علي الباقر ع م مع اصحابه حتى سمع صيحة عالية في داره ثم اتاه بعض الخدم فاكب عليه واسرّ اليه سرا فقال : الحمد لله له ما اعطى وله ما اخذ، انههم عن البكاء وخذوا في جهازه، واطلبوا السكينة، وقولوا لها لا ضير عليك، وانت حرة لوجه الله لما تداخلك من الروع، ورجع الى حديثه فتهيب القوم سؤاله حتى اتى، فقيل له : قد جهزناه فقال لهم : قوموا بنا نصلي على هذا الصبي، قالوا وما هو يا بن رسول الله صلى الله عليك ؟ قال : ولدي فلان سقط من يدي جارية كانت تحمله فمات.

وقد روى الرواة عن الامام ابي جعفر محمد بن علي عليه السلام ان سائلا سأله عن قول الله عز وجل : يا ايها الذين آمنوا اطيعوا الله واطيعوا الرسول واولي الامر منكم، فكان جوابه ان قال : الم تر الى الذين اوتوا نصيبا من الكتاب يؤمنون بالجبت والطاغوت ويقولون للذين كفروا هؤلاء اهدى من الذين آمنوا سبيلا، ثم قال : يقولون لائمة الضلال والدعاة الى النار هؤلاء اهدى من الذين آمنوا سبيلا، اولئك الذين لعنهم الله ومن يلعن الله فلن تجد له نصيرا، ام لهم نصيب من الملك يعني الامامة والخلافة، فاذا لا يؤتون الناس نقيرا، نحن الناس الذين عنى الله ههنا، والنقير النقرة التي رأيت في وسط النواة، ام يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله، نحن ههنا الناس المحسودون على ما آتانا الله من الامامة دون خلق الله جميعا، فقد آتينا آل ابراهيم الكتاب والحكمة وآتيناهم ملكا عظيما، اي جعلنا منهم الرسل الى الناس والائمة، الى قوله ظلا ظليلا . ثم قال : ان الله يأمركم ان تؤدوا الامانات الى اهلها واذا حكمتم بين الناس ان تحكموا بالعدل ان الله نعما يعظكم يه ان الله كان سميعا بصيرا، ثم قال : ايانا عنى بهذا ان يؤدي الاول منا الى الامام الذي يكون بعده الكتب والعلم والسلاح، واذا حكمتم بين الناس ان تحكموا بالعدل، اي اذا ظهرتم ان تحكموا بالعدل الذي في ايديكم، ثم قال للناس : يا ايها الذين آمنوا لجميع المؤمنين الى يوم القيامة : يا ايها الذين آمنوا اطيعوا الله واطيعوا الرسول واولي الامر منكم، ايانا عنى بهذا، قيل له فقوله تعالى : انما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلوة ويؤتون الزكوة وهم راكعون، قال ايانا عنى بهذا.

قيل له فقوله : يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين، قال : نحن الصادقون وايانا عنى بهذا، قال فقوله : وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون، قال ايانا عنى بهذا، قال فقوله : وكذلك جعلناكم امة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا، قال نحن الامة الوسط ونحن شهداء الله على خلقه وحججه في ارضه.

قال فقوله في آل ابراهيم : وآتيناهم ملكا عظيما، قال الملك العظيم ان جعل منهم ائمة من اطاعهم اطاع الله ومن عصاهم عصى الله، فهذا الملك العظيم، وكيف يقرون به في آل ابراهيم وينكرونه في آل محمد ؟ قال فقوله : يا ايها ا لذين آمنوا اركعوا واسجدوا واعبدوا ربكم، وافعلوا الخير لعلكم تفلحون، وجاهدوا في الله حق جهاده هو اجتباكم، الى آخر السورة . قال ايانا عنى بذلك، نحن المجتبون بملة ابينا ابراهيم، والله سمانا المسلمين من قبل في الكتاب وفي هذا القرآن ليكون الرسول عليكم شهيدا، وتكونوا شهداء على الناس، فرسول الله صلع الشهيد علينا بما بلغنا عن الله، ونحن شهداء على الناس، فمن صدق يوم القيامة صدقناه، ومن كذب يوم القيامة كذبناه .

قال فقوله بل هو آيات بينات في صدور الذين اوتوا العلم قال ايانا عنى بهذا، ونحن الذين اوتينا العلم، قال فقوله : قل كفى بالله شهيدا بيني وبينكم ومن عنده علم الكتاب، قال ايانا عنى بهذا، وعلي اولنا وافضلنا وخيرنا بعد رسول الله صلع، قال فقوله : وانه لذكر لك لقومك وسوف تسألون، قال ايانا عنى، نحن اهل الذكر ونحن المسؤلون، قال فقوله : انما انت منذر ولكل قوم هاد، قال المنذر رسول الله صلع وفي كل زمان امام يهديهم الى ما جاء به رسول الله صلع، واول الهداة بعده علي ع م ثم الائمة من بعده، عليهم افضل السلام. واحد بعد واحد، قال فقوله : وما يعلم تأويله الا ا لله والراسخون في العلم، قال رسول الله صلع افضل الراسخين في العلم قد علمه الله جميع ما انزل عليه من التنزيل والتأويل، وما كان ينزل عليه شيء الا يعلم تأويله، والاوصياء من بعده الراسخون في العلم يعلمون تأويله كله.

قال فقوله تعالى : ثم اورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات باذن الله ذلك هو الفضل الكبير، قال ايانا عنى فالسابق منا الامام، والظالم لنفسه الشاك الواقف منا، والمقتصد العارف بحق الامام والعامة تزعم انها هي التي عنى الله عز وجل بقوله : ثم اورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا ولو كان كما زعمت لكانوا هم المصطفين،ولكانوا هم في الجنة، كما قال الله تعالى : جنات عدن يدخلونها .

وكذلك قالوا في تأويل الآية التي بدأنا بذكرها في اول الباب قولين : قال بعضهم اولوا الامر الذين اوجب الله طاعتهم هم امراء السرايا، وقال آخرون هم اهل العلم يعنون اهل الفتيا منهم، ومهما كان لهم في ذلك من قول فاهل بيت محمد اولى به كما اخبرنا الصادق عليه السلام لان كل امير عند اهل الاسلام لا تجب طاعته سيما مع تشعب الآراء واختلاف الاهواء، وقتال بعضهم لبعض، وما اكثرهم فيه من الفساد في الارض، وكذلك العلماء . فاهل العلم بالحقيقة هم امير المؤمنين علي ابن ابي طالب صلوات الله عليه المنصوص عليه بالعلم من الرسول، المقر بفضله من اهل الاسلام كل علوم وجهول، والمصطفون من ذريته وذرية الزهراء البتول المشهود بفضلهم المنصوص عليهم ايضاحا لعالي مجلسهم دون من ظلم نفسه فادعى من العمل ما ليس له، وجحد لمن اختاره الله من اوليائه فضله .

واوضح القاضي النعمان بن محمد في ذلك الحجة وابان المحجة بما كفانا فيه التطويل، اتى بالشاهد فيه والدليل، وعلى الله قصد السبيل.

وروي عن الامام ابي جعفر محمد بن علي عليه السلام انه قال في قول الله تعالى ولو ردوه الى الرسول والى اولي الامر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم، قال هم الائمة من اهل بيت رسول الله صلع جعلهم الله اهل العلم الذين يستنبطونه ثم اوجب طاعتهم فقال : اطيعوا الله واطيعوا الرسول واولي الامر منكم، واتى عنه ان رجلا قال له : يا بن رسول الله ان قريشا تجد في انفسها من قولكم انكم مواليهم، فقال ابو جعفر عليه السلام : الناس على ثلاثة اصناف : صنف دعوناه الى الله فاجابنا، فمنة الله ومنة رسوله ومنتنا عليه، وصنف قتلناه، وصنف من الله ورسوله عليهم عام الفتح فمنة الله ومنة رسوله عليهم لنا، فمن اي الاصناف شاء هذا القائل فليكن.

وعنه ع م انه قال : رحم الله عبدا حببنا الى الناس ولم يبغضنا اليهم، اما والله لو يروون عنا ما نقول ولا يحرفونه ولا يبدلونه علينا برأيهم ما استطاع احد ان يتعلق عليهم بشيء، ولكن احدهم يسمع الكلمة فينيط اليها عشرا ويتأولها على ما يراه فرحم الله عبدا سمع من مكنون سرنا فدفنه في قلبه، ثم قال : والله لا يجعل الله من عادانا ومن توالانا في دار واحدة.

واوصى عليه عليه السلام بعض اصحابه انفذه الى قوم من شيعته فقال له : بلغ شيعتنا عنا السلام واوصهم بتقوى الله العظيم، وبأن يعود غنيهم على فقيرهم، ويعود صحيحهم عليلهم، ويحضر حيهم جنازة ميتهم، ويتلاقوا في بيوتهم فان لقاء بعضهم بعضا حيوة لامرنا . رحم الله احيى امرنا وعمل باحسنه، وقل لهم انا لن نغني عنهم من الله شيئا الا بعمل صالح، ولن ينالوا ولايتنا الا بالورع والاجتهاد، وان اشد الناس حسرة يوم القيامة لمن وصف عملا ثم خالف الى غيره، ووصف له رجل فقيل له : انتهك وارتكب المحارم واستخف بالفرائض، حتى انه ترك الصلوة المكتوبة، وكان الامام ابو جعفر ع م متكئا، فاستوى جالسا وقال : سبحان الله ترك الصلوة المكتوبة، ان ترك الصلوة عند الله عظيم.

واوصى بعض شيعته فقال : يا معشر شيعتنا اسمعوا وافهموا وصايانا وعهدنا الى اوليائنا، اصدقوا في حديثكم وبروا في ايمانكم لاوليائكم واعدائكم، وتواسوا باموالكم، وتحابوا بقلوبكم، وتصدقوا على فقرائكم، واجتمعوا على امركم، ولا تدخلوا غشا ولا خيانة على احد، ولا تشكوا بعد اليقين، ولا تولوا بعد الاقدام جبنا، ولا يول احدكم اهل مودته قفاه، ولا تكونن شهوتكم في مودة غيركم ولا مودتكم في سواكم، ولا عملكم لغير ربكم، ولا ايمانكم وقصدكم لغير نبيكم، واستعينوا بالله واصبروا، فان الارض لله يورثها من يشاء من عباده، والعاقبة للمتقين، وان الارض لله يورثها من عباده الصالحين.

ثم قال ان اولياء الله واولياء رسوله من شيعتنا من اذا قال صدق، واذا وعد وفى، واذا اؤتمن ادى، واذا حمل احتمل في الحق، واذا سئل الواجب اعطى، واذا امر بالحق فعل، شيعتنا من لا يعدو علمه سمعه، شيعتنا من لا يمدح لنا معيبا، ولا يواصل لنا مبغضا، ولا يجالس لنا خائنا، ان لقي مؤمنا اكرمه، وان لقي جاهلا هجره، شيعتنا من لا يهر هرير الكلاب، ولا يطمع طمع الغراب، ولا يسأل احدا الا من اخوانه وان مات جوعا، شيعتنا من قال بقولنا وفارق احبته فينا، وادنىالبعداء في حبنا وابعد الغرباء في بغضنا .

فقال له رجل ممن شهد : جعلت فداك اين يوجد مثل هؤلاء ؟ فقال في اطراف الارضين، اولئك الخفيض عيشهم، القريرة اعينهم، ان شهدوا لم يعرفوا، وان غابوا لم يفتقدوا، وان مرضوا لم يعادوا، وان خطبوا لم يزوجوا، وان وردوا طريقا تنكبوا، واذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما، ويبيتون لربهم سجدا وقياما

قال يابن رسول الله وكيف بالمتشيعين بالسنتهم، وقلوبهم على خلاف ذلك ؟ فقال التمحيص يأتي عليهم بسنين تفنيهم، وضغائن تبيدهم، اختلاف يقتلهم، اما والذي نصرنا بايدي ملائكته، لا يقتلهم الله الا بايديهم، فعليكم بالاقرار اذا حدثتم، وترك الخصومة فانها تقصيكم، واياكم ان يبعثكم قبل وقت الاجل فتطل دماؤكم، وتذهب انفسكم ويذمكم من يأتي بعدكم، وتصيروا عبرة للناظرين، وان احسن الناس فعلا من فارق اهل الدنيا من والد وولد، وولي وناصح، وكافى اخوانه في الله، وان كان حبشيا، او زنجيا، وان كان لا يعبث الله من المؤمنين اسود، بل يرجعون كالبرد قد غسلوا بماء الجنان، واصابوا النعيم المقيم وجالسوا الملائكة المقربين، ورافقوا الانبياء المرسلين، وليس من عبد اكرم على الله من عبد شرد وطرد في الله حتى يلقى الله، على ذل شيعتنا المنذرون في الارض سرج وعلامات، ونور لمن طلب ما طلبوا، وقادة لاهل طاعة الله، شهداء على من خالفهم ممن ادعى دعواهم، سكن لمن اتاهم، لطفاء بمن والاهم، سمحاء، اعفاء، رحماء، فذلك صفتهم في التوراة والانجيل والقرآن العظيم.

ان الرجل العالم من شيعتنا اذا حفظ لسانه وطاب نفسا بطاعة اوليائه واظهر المكايدة لعدوه بقلبه، ويغدو حين يغدو، وهو عارف بعيوبهم ولا يبدي ما في نفسه لهم، ينظر بعينه الى اعمالهم الردية ويسمع باذنه مساوئهم ويدعو بلسانه عليهم، مبغضوهم اوليائه ومحبوهم اعدائه، فقال رجل : بابي انت وامي فما ثواب من وصفت اذا كان يمسي آمنا ويصبح آمنا، ويبيت محفوظا، فما منزلته وثوابه ؟

فقال : تؤمر السماء باظلاله، والارض باكرامه، والنور ببرهانه، قال :فما صفته في دنياه ؟ قال : ان سئل اعطى، وان دعي اجيب، وان طلب ادرك، وان نصر مظلوما عزّ

واتى الى الامام ابي جعفر محمد بن علي ع م قوم من شيعته من خراسان فنظر الى رجل منهم وقد تشققتا رجلاه، فقال له : ما هذا ؟ فقال : بعد المسافة يابن رسول الله، والله ما جاءني من حيث جئت الا محبتكم اهل البيت . فقال له ابو جعفر عليه السلام : ابشر فانت والله معنا تحشر، قال : معكم يابن رسول الله ؟ قال : نعم، ما احبنا عبد الا حشره الله معنا، وهل الدين الا الحب، وهل الدين الا الحب، ان الله تبارك وتعالى يقول في كتابه: قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم.

وعنه ع م انه قال : انفع ما يكون لكم حب علي اذا بلغت النفس الحلقوم.

ودخل على ابي جعفر زياد الاسود فنظر الى رجليه قد تشققتا فقال له ابو جعفر عليه السلام : ما هذا يا زياد؟ فقال : يا مولاي اقبلت على بكر لي ضعيف فمشيت عامة الطريق، وذلك انه لم يكن عندي ما اشتري به مسنا، وانما ضممت شيئا الى شيء حتى اشتريت هذا البكر، قال فرق له ابو جعفر حتى رأينا عينيه ترقرقتا دموعا، فقال له زياد : جعلني الله فداك اني والله كثير الذنوب مسرف على نفسي حتى ربما قلت قد هلكت، ثم اذكر ولايتي اياكم وحبي لكم اهل البيت، فارجو بذلك المغفرة، فاقبل عليه ابو جعفر عليه السلام عند ذلك بوجهه وقال : سبحان الله وهل الدين الا الحب، وهل الدين الا الحب، ان الله تبارك وتعالى يقول في كتابه : حبب اليكم الايمان وزينه في قلوبكم، وقال : قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله، وقال يحبون من هاجر اليهم،، ثم قال ابو جعفر ع م : ان اعرابيا اتى النبي صلع فقال : يا رسول الله اني احب المصلين ولا اصلي، احب الصائمين ولا اصوم، قال ابو جعفر :يعني لا اصلي ولا اصوم التطوع ليس الفريضة، فقال له رسول الله صلع : انت مع من احببت، ثم قال ابو جعفر: ما الذي تبغون، اما والله لو وقع امر يفزع الناس له ما فزعتم الا الينا، ولا فزعنا الا الى نبينا، انكم معنا فابشروا ثم ابشروا والله ما يساويكم الله وغيركم، لا والله ولا كرامة لهم.

وذكر عنده ابو هريرة الشاعر فقال : رحمه الله، فقال بعض من حضره فيه قولا وكأنه اغراه به، فقال ابو جعفر عليه السلام : ويحك اعزيز على الله ان يغفر لرجل من شيعة علي ابن ابي طالب.

وروي عنه انه قال : ان الجنة لتشتاق ويشتد ضوءها لمجيء آل محمد صلع وشيعتهم، ولو ان عبدا عبد الله بين الركن والمقام حتى تقطع اوصاله وهو لا يدين الله بحبنا وولايتنا اهل البيت ما قبل منه.

وعنه ع م انه قال لقوم من شيعته : انما يغتبط احدكم اذا بلغت نفسه ههنا واومأ بيده الى حلقه، ينزل عليه ملك الموت فيقول له : اما ما كنت ترجوه فقد اعطيته، واما ما كنت تخافه فقد امنت منه، ويفتح له باب الى منزله من الجنة فيقول له : انظر الى مسكنك من الجنة، فهذا رسول الله وعلي والحسن والحسين صلوات الله عليهم وهم رفقاءك . فقال ابو جعفر وهو قول الله عز وجل : الذين آمنوا كانوا يتقون لهم البشرى في الحياة الدنيا وفي الآخرة، وسئل الامام ابو جعفر عن قول الله عز وجل :قل يا عبادي الذين اسرفوا على انفسهم لا تقنطوا من رحمة الله ان الله يغفر الذنوب جميعا، انه هو الغفور الرحيم، اخاص ام عام؟ قال : هو خاص لشيعتنا.

وعنه ع م انه قال : يخرج شيعتنا يوم القيامة على ما فيهم من عيوب، ولهم من ذنوب، على نوق لها اجنحة، شرك نعالهم من نور يتلألأ، قد سهلت لهم الموارد وذهبت عنهم الشدائد، يخاف الناس ولا يخافون، ويحزن الناس ولا يحزنون، فينطلق بهم الى ظل العرش، فتوضع بين ايديهم مائدة يأكلون منها، والناس في الحساب.

وقال عليه السلام : من افتى بغير علم لعنته ملائكة السماء، وملائكة الارض وملائكة الرحمة، وملائكة الغضب، ووزر من عمل بفتياه .

وعن ابي جعفر محمد بن علي ع م ان رجلا سأله فقال : يابن رسول الله، بلغني تقول ان من طلق لغير السنة فليس طلاقه بطلاق ؟ قال ابو جعفر عليه السلام : ما انا اقول ذلك ولكن الله عز وجل قاله : ولو كنا نفتيكم بالجور لكنا اشر منكم، ان الله عز وجل يقول : لولا ينهاهم الربانيون والاحبار عن قولهم الاثم. وقال عليه السلام لو وليت امر الناس لعلمتهم الطلاق وكيف ينبغي لهم ان يطلقوا، ثم لو اتيت برجل خالف ذلك لاوجعت ظهره، ومن طلق لغير السنة رد الى كتاب الله عز وجل وان رغم انفه . ولو ملكت من امر الناس شيئا لاقمتهم بالسيف والسوط حتى يطلقوا للعدة كما امر الله عز وجل.

وفي ايام الامام ابي جعفر بن محمد بن علي عليه السلام كانت قصة زيد بن علي بن الحسين اخيه، وذلك ان زيد بن علي لما نظر اقبال الناس على اخيه محمد بن علي عليه السلام وعلو ذكره فيهم قال له : ما لك لا تقوم وتدعو الناس الى القيام معك، فاعرض عنه وقال : لهذا وقت لا يتعداه، فدعى زيد الى نفسه وقال : انما الامام منا من شهر سيفه وقام يطلب حق آل محمد عليهم السلام، لا من ارخى عليه ستره وقعد في بيته . واوهم الشيعة انه قام عن امر اخيه، فاجابه منهم جماعة كثيرة، فاظهر نفسه، فقال له اخوه الامام ابو جعفر : يا زيد انما مثل القائم منا اهل البيت قبل قيام المهدي منا مثل فرخ نهض من عشه قبل ان يستوي جناحاه، فاذا فعل ذلك سقط فاخذه الصبيان يتلاعبون به، فاتق الله في نفسك لا تكون المصلوب غدا بالكناسة، فلم يلتفت الى قوله، فنهى ابو جعفر عليه السلام الشيعة عن القيام معه، وعرفهم انه يقتل ويصلب، فتوقف كثير ممن كان انتدب للقيام معه

وجاءه بعض الشيعة فقال له : اهذا الذي تدعونا اليه عندك فيه عهد من ابيك او وصية اوصى بها اليك ؟ قال : لا ومعاذ الله ان اقول عليه ما لم يقله، ولكن الامام منا من شهر سيفه وقام بامر الامة لا من قعد في بيته، وارخى عليه ستره. قال له الرجل : وان لم يكن منكم امام شهر السيف لم يكن منكم امام، وان قام منكم جماعة ايكونون كلهم ائمة ؟ فصمت ولم يحر جوابا، وعلم من حضر فساد قوله،

ثم قال له الرجل : ان اخاك ابا جعفر يذكر ان اباه عهد اليه عهده، واوصى اليه واشهد له، وعرفنا من اشهده عليه من ثقات اوليائه، قال : معاذ الله ولو كان ذلك لاطلعني عليه، والله لقد كان ربما نفض المخ من العظم ليطعمني اياه، فما يضعه في في حتى يبرده، فهو يتوقى علي من حر المخ، ولا يتوقي علي من حرارة النار. فيطلع على ذلك غيري ويستره عني .قال له الرجل : نعم قد يكون ذلك، وهذا كتاب الله عز وجل يشهد به . قال : واين هذا من كتاب الله عز وجل ؟ قال : فيما حكاه الله سبحانه عن يعقوب في قوله ليوسف لما اخبره بما رآه وعلم ان الامر يصير اليه، فقال له : يا بني لا تقصـص رؤياك على اخوتك فيكيدوا لك كيدا ان الشيطان للانسان عدو مبين، فكتم ذلك عن اخوته، وامره بكتمانه عنهم واخبره بما يصير اليه من الامر، فقال : وكذلك يجتبيك ربك ويعلمك من تأويل الاحاديث ويتم نعمته عليك وعلى آل يعقوب كما اتمها على ابويك من قبل ابراهيم واسحق . لم يطلع اخوته على ذلك، فافحم زيد ولم يحر جوابا، وسمع ذلك من بقي معه ممن كان اجابه فافترقوا عنه، وكان الرجل الذي حاج زيد بن علي من شيعة اخيه ابي جعفر ع م ارسله ليقيم الحجة عليه في محضر من الشيعة .

وكان ام زيد بن علي ابن الحسين ام ولد، قال عبد الله بن صالح : دخل زيد بن علي ابن الحسين بن علي ا بن ابي طالب ع م على هشام بن عبد الملك وهو يومئذ بالرصافة فسلم عليه بالخلافة ثم جلس، فقال : يا امير المؤمنين، انه لس احد ان يكبر عن ان يؤمر بتقوى الله، ولا يصغر عنه احد، واني اوصيك بتقوى الله وكفى بالله جازيا لعباده الصالحين ومثيبا، فظن هشام انه يريد ان يتكلم واشفق ان لا يبلغ جوابه فاراد ان يقطع عليه كلامه فقال : انت الراجي للخلافة والمنتظر لها، وكيف ترجوها وانت ابن امة، قال : يا امير المؤمنين ان لتعييرك اياي بامي جوابا فان شئت اجبت، وان شئت امسكت، قال بل اجب فما انت وجوابك، قال زيد : انه ليس احد عند الله اعظم من نبي بعثه رسولا، فلو كانت ولادة ام الولد تقصر عن بلوغ منزلة الانبياء والرسل لم يبعث الله اسماعيل بن ابراهيم عليه السلام، وكانت امه مع ام اسحاق كامي مع امك، ولم يمنع الله سبحانه ان بعثه نبيا، وكان عنده مرضيا، وكان ابا للعرب، وابا لخير الانبياء وخاتم الرسل، والنبوة اعظم خطرا من الخلافة، وما على رجل بامه وهوابن رسول الله، وابن علي ابن ابي طالب ثم خرج مغضبا فقال : ما احب احد الحياة الا وذل، فقال سالم مولى هشام : لا يسمعن هذا الكلام منك ابدا .

وقيل كان من اسباب قيام زيد على هشام انه طالبه وامر بالقبض عليه، وذلك لما عزل خالد بن عبد الله القسري عن الكوفة، واخذه يوسف بن عمرو الثقفي بمكة واتهمه ان يكون عنده مال خالد بن عبد الله واخذ معه داود بن علي، ففي ذلك يقول كثير بن المطلب السهمي :

يأمن الطير والحمام ولا \* يامن آل النبي عند المقام

طبت بيتا وطاب اهلك اهلا \* اهل بيت النبي والاسلام

رحمة الله والنبي عليكم \* كلما قام قائم بسلام

حفظوا خاتما وحروا رداء \* واضاعوا قرابة الارحام

ثم اطلقه يوسف بن عمرو فغضبت له الشيعة واتوه فسألوه القيام معهم

وقيل ان سبب قيامه رؤيا رآها،وانه امر بالقيام على هشام فترك قول اخيه ابي جعفر ع م وخرج الى الكوفة فشهر بها دعوته، واجتمعت عليه الشيعة وسألوه عن ابي بكر وعمر فتولاهما، فافترقت الشيعة عليه، فصاروا فرقتين، فرقة قامت معه على ما قال فسموا الزيدية، وفرقة بقيت على ولاية اخيه الامام محمد بن علي بن الحسين.

وحين ثار زيد بن علي بالكوفة، وقع الحرب بينه وبين يوسف بن عمر الثقفي فانهزم اصحاب زيد بن علي وبقي في جماعة يسيرة، فقاتلهم زيد اشد القتال وهو يقول :

فذل الحياة وعز الممات \* وكل اراه طعاما وبيلا

فان كان لا بد من واحد \* فسيري الى الموت سيرا جميلا

وحال المساء بين الفريقين فانصرف زيد مثخنا بالجراح، وقد اصابه سهم في جبهته، فطلبوا من ينزع النصل فاتي بحجام فاستكتموه امره، فاستخرج النصل فمات من ساعته، فدفنوه في ساقية ماء، وجعلوا على قبره التراب والحشيش واجري الماء على ذلك، وحضر الحجام مواراته، وعرف الموضع فدل عليه يوسف الثقفي فاستخرجه وجزّ رأسه وبعث به الى هشام بن عبد الملك فكتب اليه هشام يأمره بصلبه فصلب على جذع نخلة، ثم امر بعد ذلك به فاحرق حتى صار رمادا، وذرى به في الرياح .

وفي صلبه يقول بعض شعراء بني امية يخاطب آل ابي طالب وشيعتهم من ابيات :

صلبنا لكم زيدا على جذع نخلة \* ولم يك مهدي على الجذع يصلب

وقال يحي بن زيد بن علي ك

لكل قتيل معشر يطلبونه \* وليس لزيد في العراقين طالب

وبامامة زيد بن علي قالت الزيدية، واليه انتسبت، وقالوا بامامة اولاد فاطمة عليها السلام، وان كل فاطمي كان شجاعا زاهدا سخيا حري بالامامة اذا ادعاها، وسواء عندهم كان من اولاد الحسن او من اولاد الحسين عليهما السلام. ونحن نجد كثيرا من اولاد الحسن و الحسين عليهما السلام كلهم يدعي الشجاعة والسخاء ويتحلى بالزهد فعلى قولهم يجب ان يكونوا جميعا ائمة، وهم مع ذلك متناقضون مختلفون يفسّق بعضهم بعضا. وقد شاهدنا في زماننا ثلاثة كلهم يدّعي الامامة، وهم المهدي بن ابي الفضائل وابن المؤيد القطابري المتسمى بالهادي، وعلي بن صلاح المتسم بالمنصور صاحب صنعاء وصعدة وذمار وثلا ومدن وقرى وحصون كثيرة في اليمن الاعلى، وكان المهدي يفر منه في المغارب والبلاد الوعرة ويلجأ الى القبائل في الخوف والترقب، والقطابري مستجير في ملكه من نواحي صعدة بقبائل كثيرين من خولان، ولم يقم احد من الزيدية المنتحلين الامامة فكان له ما لعلي بن صالح المنصور ولابيه صلاح الناصر وجده علي بن محمد المهدي كأنهم وجدوا الاعوان واستطالوا على من في نواحيهم بالعدوان، والزيدية يقول كثير منها ان علي بن صلاح لا علم له وانما ملك بالسيف. والسيف عندهم قاعدة الامامة، ويقولون بمن اوتي سلطانا في الدنيا التي قدرها عند الله مهين، ولا يأتون في اكثر دعواهم ببرهان مبين، يرمون المتبعين لاسماعيل بن جعفر عليه السلام بالترهات، ويأتون اليهم بالافعال المنكرات، مع انهم يستطيلون حيث قدروا على جميع المسلمين، ولا يبقون على زيدي ولا غيره من الناس اجمعين، ولا يمنعهم عن التهتك الا قلة الاستطالة، وضعفهم عما راموه لا محالة .

ولما كان في سنة اربعين وثمانمائة من نزول الحسين في كثير مما باقطار اليمن، ونزول امر الله النافذ على من قرب وشطن، كان ممن نزلت به الوفاة علي بن صلاح وجميع من ينسب اليه من الاولاد، وحل بهم ما حل بثمود وعاد والله للظالمين بالمرصاد. ونزل بالمهدي نازل حمامه.وكان القطابري قبل ذلك قد افاه انقطاع ايامه، فقام بعدهم ثلاثة ائمة واحد بصعدة يدعي صلاح بن ابي القاسم، والآخر بذمار يسمى الناصر بن محمد بن الناصر، وهو ابن بنت علي ين صلاح وتنسب اليه صنعاء بالاسم وهي بالحقيقة لعبد بن صلاح قاسم وهما هادويان ممن ينسب الى الحسن عليه السلام، وواحد ثالث حمزي ينتمي الى الحسن خانه الاعوان وليس له سلطان الى شهر المحرم اول سنة اثنين واربعين وثمانمائة، فهذا في صقع من اليمن لا يزال جماعة منهم يدّعون الامامة، ولا يعلم ما في الارض ممن يتسم بتلك السمة ويعتلم بتلك العلامة، وتابع هذا يلعن ذاك ويسعى لو قدر عليه بالهلاك، وكلهم على الدنيا يتكالبون، ولجمع حطامها يتألبون.

وقد ذكرنا حجة الامام الصادق جعفر بن محمد عليه السلام في خروج الامامة من اولاد الحسن، وكونها في ذرية الحسين عليهم السلام ما فيه كفاية لمن هدى الله قلبه، ونور بنور الايمان لبه.

وتلمذت الزيدية في الفروع والاصول على مذهب واصل بن عطاء الغزالي، رأس المعتزلة، فقالوا قوله ذهبوا مذهبه الا في الامامة، وكان واصل بن عطاء الغزالي يبغض امير المؤمنين علي بن ابي طالب عليه السلام ويخطيه في حرب اهل الجمل واهل الشام، ولقد كان في مذهب اهل البيت وفي الرجوع الى باقرهم وصادقهم ما يغني عن واصل بن عطاء ومذهبه

وكان يزعم الزيدية الامام بعد زيد يحي ابنه، ثم محمد وابراهيم ابنا عبد الله ابن الحسن بن الحسن بن علي ابن ابي طالب عليه السلام اللذان خرجا ايام المنصور العباسي، فظفر بهما وقتلهما وسوف نذكر من خبرهما اذا انتهينا اليه، ولم ينتظم امر الزيدية في اصول مذهبهم وفروعه حتى صاحبهم ناصر الاطروش بخراسان، وهو احمد بن يحي بن عبد الله بن الحسن بن الحسن، فحين ظهر بخراسان طلب ليقتل فاختفى واعتزل الى بلاد الجيل والديلم وكانوا غير مسلمين، فاسلم خلق كثير على يديه، واعتقدوا امامته ومذهبه، وكان ينتمي الى مذهب زيد بن علي بن الحسين ويقول بامامته، ويجعل علمه استملاء عن واصل بن عطاء المعتزلي، وانما اخذوا على علم واصل بن عطاء لان زيد قتل سريعا ولم يعرف له مذهب ولا اخذ عن علمه احد.

وبقيت الزيدية في تلك البلاد ظاهرين فكان يخرج واحد بعد واحد من ائمتهم ويلي امرهم، ثم لما كثروا وتشعبوا، ودخلوا اليمن فقويت فيه دعوتهم، وكان اول ائمتهم في اليمن الهادي الذي وصل الى مدينة صعدة فنشر بها دعوته واستجاب كثير من الشيعة له . وهم فرق منهم الجارودية وعقيدتهم ان امير المؤمنين علي ابن ابي طالب صلوات الله عليه الامام بعد رسول الله صلع وان النبي صلع نص عيله بغير تسمية له بل بالوصف والاشارة، ويقولون ان الذين نصبوا ابا بكر باختيارهم قد كفروا حيث لم يعرفوا الوصف ويطلبوا الموصوف فقد قصروا. واختلفت الجارودية فمنهم من قال ان محمد بن عبد الله بن الحسن لم يقتل وانه سيخرج ويملأ الارض عدلا، ومنهم من ساق الامامة الى محمد بن القاسم بن علي الحسين صاحب الطالقان وقد اسر ايام المعتصم وحمل اليه.

ومنهم من قال بامامة يحي ين عمر العلوي صاحب الكوفة لانه خرج ودعى الناس الى نفسه، واجتمع كثير، وقتل ايام المستعين، وحمل رأسه الى محمد بن عبد الله طاهر حتى قال بعض العلويين :

قتلت اعز من ركب المطايا \* وجئتك استلينك في الكلام

وعز علي ان القاك الا \* وفيما بيننا حد الحسام

وهذا صاحب الكوفة هو يحي بن عمرو بن الحسين بن زيد بن علي ابن ا لحسين وكانوا ابو الجارود الذي انتسبت اليه الجارودية اسمه سرجوب. قال محمد بن عبد الكريم الشهرستاني سرحوب اسم شيطاني في البحر اعمى سماه بذلك ابو جعفر محمد بن علي ابن الحسين عليه السلام.

ثم من فرق الزيدية السليمانية نسبوا الى سليمان بن جرير، وكان يقول ان الامامة شورى فيما بين الخلق، ويقول ان الامة اخطأت في تقديم من قدمت على امير المؤمنين علي عليه السلام الا ان ذلك الخطأ دون الفسق، ويطعن على عثمان ويكفر طلحة والزبير وعائشة، ويجوز امامة المفضول مع وجود الفاضل.

ثم من فرقهم اصحاب الحسن بن صالح بن حي، واصحاب كثير التوراني الابتر، ويقال لهم الصالحية والبترية وقولهم واحد، وعقيدتهم في الامامة عقيدة السليمانية انها شورى وانه يجوز ان يتقدم فيها المفضول الفاضل، وهم يقفون في عثمان ويقولون : ان نظرنا الى قول النبي صلع انه من العشرة رأيناه مؤمنا، وان نظرنا الى احاثه في الاسلام رأيناه كافرا، لكنا نقف ولا نقطع بايمانه ولا بكفره. ويقولون ان علي ابن ابي طالب عليه السلام افضل الامة بعد رسول الله صلع لكنه قد رضي بتقدم من تقدم عليه ويقولون نحن نرضى ما رضيه .

فهذه اصول الزيدية وعمدة مذهبهم في اوليته، ثم انهم جعلوا مذهبهم مذهبان : مذهب الهادي ومذهب الناصر، وبينهما اختلاف، فمن ذلك انه يقول احدهما ان الماء القليل اذا اصابته النجاسة اليسيرة نجس حتى يكون ذراعين في ذراعين في عمق ذراعين، فلا يغيره بعد ذلك من النجاسة الا ما غلب على ريحه او طعمه او لونه، وذلك يوافق قول اهل البيت عليهم السلام، وزعم الآخر ان الماء القليل اذا اصابته نجاسة لم ينجس الا ان تغلب عليه النجاسة، فيكون ذلك الماء بقول هذا طاهر، وبقول هذا نجس، ثم يقولون ان امرأة هذا طلقت على مذهب الهادي وهي امرأته على مذهب الناصر، فيكون حلال حراما بزعمهم، الى غير ذلك من اقوالهم.

ومنهم فرقة تسمى المطرفية اوجبوا جهادهم، وجاهدهم المنصور عبد الله ابن حمزة الحسني وابتنى مسجدا وقال ابيات اولها :

بالبيت احلف مقسما والمصحف \* لا يدخلنك ما بقيت مطرفي

فاجابه بعض المطرفية بقوله من ابيات :

انتم وقبلتكمومسجدكم معا \* كذبالة في وسط مصباح طفي

وجرت بينهم وبين امامهم حمزة حروب كثيرة، وذلك في مدة فترة بني ايوب في اليمن، فخرج ابن النساخ الى الخليفة العباسي الى بغداد، فلما دخل على الخليفة انشده رسالة انشأها وهي معروفة وقصيدته المشهورة التي اولها :

لمنشي الخلق ذي الملكوت حمدي \* رداء الفضل افضل ما تردي

منها :

علينا ان نبين لكم ونبدي \* بان المرء شيمته التعدي

ويقول فيها :

نيام يا بني العباس انتم \* وهذا ثوب امرتكم تردى

ولم نقصد ذكر ذلك فنستقصيه وانما ذكرنا اعتقادهم والمشهور من امرهم

ولما قتل زيد بن علي ابن الحسين وصلت عرفت الشيعة فضل اخيه الامام ابي جعفر محمد بن علي عليه السلام وما اوعده من انه يصلب في الكناسة بعد قتله، وعلمت صدق وعده وقوله .

وروي عن الصادق جعفر بن محمد عليه السلام انه قال : رحم الله عمي زيدا، فلو ملك الامر رده الينا. ووقفت على قول بعض المؤلفين ان زيد بن علي وعلي ابن موسى الرضى لم يشهرا انفسهما الا سترا على صاحب الحق للتقية عليه، ولو ملكا الامر رداه اليه، ونقول ان من ادعى الامامة وليس من اهلها ولا هو مستحقها فقد ظلم نفسه، وباء باثمه، واضل من بعده، ومن لم يقصد الا الستر على ولي امره وهو يعتقد ولايته ولايخرج عن طاعته فهو من المقتصدين السالكين نهج الهدى المتبعين لاولياء الله امراء المؤمنين.

نرجع الى ما كنا فيه، وكان الامام ابو جعفر محمد بن علي ع م غزير العلم، كثير الفضل، عظيم المناقب، وكان اليه رجوع الخاصة والعامة، وهو الذي ابان معالم الشريعة، وحلالها وحرامها، وقضاياها واحكامها، وروي عن الحكم بن عيينة انه قال : كنت جالسا على باب ابي جعفر محمد بن علي ع م اذ اقبلت امرأة فقالت : استأذنوا لي على ابي جعفر، فقيل لها وما الذين تريدين منه ؟ فقالت : اردت ان اسأله عن مسألة، قيل لها هذا الحكم فقيه اهل العراق فاسأليه، فقالت : ان زوجي هلك وترك الف درهم وكان لي عليه من صداقي خمسمائة درهم، فاخذت صداقي، واخذت ميراثي، ثم جاء رجل فقال له عليه الف درهم، وكنت اعرف ذلك له فشهدت بها، فقال الحكم : اصبري حتى اتدبر المسألة احسبها، وجعل يحسب، فخرج اليه ابو جعفر عليه السلام وهو على ذلك فقال : ما هذا الذي تحرك به اصابعك يا حكم؟ فاخبره، فما اتم كلامه حتى قال ابو جعفر عليه السلام اقرت له فله ثلثا ما في يديها ولا ميراث لها حتى تقضيه.

وروي عن الحسن بن ادريس بن سالم قال : كنت مع محمد بن النعمان في الكوفة بالمسجد، وفيه جماعة من المرجئة فيهم ابو حنيفة وسفيان الثوري، ورجل من الحرورية محجاج قد اسكت الناس بالحجج والمجادلة، فنظر ابو حنيفة الى الباقر محمد بن علي عليه السلام فقال : ويحك هذا رأس الشيعة اليوم وعالمها فهل لك ان تقوم اليه ؟ قال : اذا شئت، واخذ ابو حنيفة بيدي الحروري وقام معه سفيان الثوري وتقاومت حلق المسجد وارتج باهله، فاتى القوم ابا جعفر محمد بن علي عليه السلام وهو قائم يصلي فقعدوا حتى فرغ من صلوته، ثم اقبل علىالقوم بوجهه فسلم فردوا عليه السلام . ثم اقبل الاعمش من ناحية اخرى ومعه شريك فسلما وجلسا .

قال ابو جعفر عليه السلام لابي حنيفة هل من حاجة ؟

قال نعم، اتيناك للمناظرة

قال ابو جعفر عليه السلام : لقد اضللتم دينكم فانتم تطلبونه، ولولا ذلك لقلت مناظرتكم، واشتغلتم بالعمل، وانما العمل بالتقوى يقبل وقليله ينفع، قال الله عز وجل : انما يتقبل الله من المتقين.

قال الحروري : وانا ادعي مثل ما تدعي وقد اتيناك للمناظرة

قال الامام محمد بن علي ابن الحسين ان كنت تريد الله عز وجل وتقبل كلامنا اذا عرفت فيه الحق فما احوجنا الى ذلك ان نتكلم فينفع الله بكلامنا من انتفع واتبع الهدى، وان كنت تريد الغلبة والرياسة فلك ذلك عندنا دون الكلام، انت عالم وانت ريئس.

قال الحروري : ما نريد الا الله بكلامنا

قال ابو جعفر : فتكلم اذا شئت

قال الحروري : من امامك ؟

قال ابو جعفر : من نصبه رسول الله صلع يوم الغدير وابان ولايته

قال الحروري : وما اسمه ؟

قال : قد بينت ذلك لك،

قال الحروري : هو ابو بكر ؟

قال ابو جعفر محمد بن علي عليه السلام : ذلك المردود يوم براءة، وصاحبي هو المؤدي عن الله وعن رسوله الى اهل مكة

قال الحروري : لنا لا لك ذلك ابو بكر.

قال ابو جعفر : تلك دعوى منك تحتاج عليها بينة

قال الحروري : بل انت المدعي

قال ابو جعفر : وكيف اكون المدعي وانا منكر لصاحبك ان يكون ذلك . وانا اقول ذلك رجل قد اجمعت عليه الامة، انه صاحب الغدير والمبعوث خلف ابي بكر، افيكون الاجماع دعوى لي ؟ بل انت المدعي انه ابو بكر

قال الحروري : دعنا من هذا

قال ابو جعفر : واحدة لم تخرج عنها، ولم تقم البينة عليها، ولم تثبت حجة فالحق في يدي حتى تأتي بالبينة من غير اهل مقالتك.

قال الحروري في ابي بكر اربع خصال بان بهن عن العالم بعد رسول الله صلع فاستحق الامامة .

قال ابو جعفر : ان كان يوم الغدير ويوم براءة منها فنعم.

قال الحروري : لصاحبي اربع خصال غير هذه

قال ابو جعفر : وما هن؟

قال : اما واحدة فاول الصديقين لا يعرف صديق غيره من الخلق، والثانية صاحب رسول الله صلع في الغار، والثالثة المولىّ في الصلوة، والرابعة ضجيعه في القبر.

قال ابو جعفر ع م : اخبرني عن هذه الاربع امناقب لصاحبك بان بها عن الناس؟

قال نعم

قال ابو جعفر ع م : فانها مثالب

قال الحروري :بقولك

قال ابو جعفر : بل باقرارك

قال الحروري : فهات بيّن

قال ابو جعفر : انت رجل مكابر جحود ولكن اجعل بيني وبينك من يحكم علي وعليك

قالت الجماعة : انا اذا سمعنا الحق وجاءت البينة على احدكما عرفناها وشهدنا بها، فبين يا ابا جعفر انها مثالب

قال: نعم، اما قولك انه صديق فاسألوه لم سمي بهذا الاسم ؟

قال الحروري : لانه كان اول الناس ايمانا

قال ابو جعفر : سل الفقهاء هل اجمعوا على ذلك من روايتهم ان ابا بكر اول من آمن.

قالت الجماعة : لا قد روينا ان علي ابن ابي طالب اول من آمن.

قال الحروري : اوليس بزعمهم اناه ما اشرك قط،

قال ابو جعفر ع م : اليس اتباعه محمدا صلع في اي وقت م الاوقات وان كان لم يكن حدثا مشركا يستحق به هذا الاسم ؟

قالت الجماعة : اجل

قال ابو جعفر ع م : ان كان ما سمي صاحبك صديقا بهذه الملة فقد استحقها غيره . فهو المحقوق بهذا الاسم اذ كان اول المسلمين. ثم من جاء بالصدق وصدق به.

قال الحروري : لست اقول هذا القول انه اول المستحقين

قال ابو جعفر : فانا نسوغك ما ذكرت انه صديق ؟

قال : نعم

قال ابو جعفر ع م : للجماعة اشهدوا عليه ان انا وجدت في اصحاب الرسول صلع من سمي صديقا سقطت حجته .

قال نعم

قال ابو جعفر ع م : يا حروري هل قال رسول الله صلع ما اظلت الخضراء ولا اقلت الغبراء اصدق ذي لهجة من ابي ذر .

قالت الجماعة : خصمت يا حروري، هذه رواية يعرفها الكل منا.

قال : لا اعرف هذه الرواية

فقالت الجماعة : ظلمت يا حروري وفلج عليك

قال ابو جعفر ع م : افتقبل القرآن

قال : نعم

قال ابو جعفر ع م : فيلزمك ما بينه من الحجة .

قال نعم

قال ابو جعفر : قد شارك صاحبك المؤمنون جميعا، قال الله تبارك وتعالى : والذين آمنوا بالله ورسوله اولئك الصديقون والشهداء عند ربهم

قالت الجماعة : خصمت وفلج عليك يا حروري.

قال ابو جعفر : واما ما ذكرت انه صاحبه في الغار، فما رأيت الصاحب محمودا في كتاب الله تعالى، قال ا لله سبحانه اذ يقول لصاحبه :اكفرت بالذي خلقك من تراب، وقال : وما صاحبكم بمجنون، وقال العالم لصاحبه وهما ما هما في الفضل ان سألتك عن شيء بعدها فلا تصاحبني، فما رأيت الصاحب محمودا في حال الصحبة .

قال الحروري : ليس هذا من ذلك .

قال ابو جعفر : صدقت ذلك المعصوم قد استجهل عالما قد علمه الله تعالى ما لم يعرفه موسى بن عمران، ولكن لعل صاحبك يستحق المثل الاول، اكفرت بالذي خلقك .

قالت الجماعة : غلبت يا ابا جعفر.

قال : ما قلت سوءا انما ذكرت الصحبة فاحببت ان لا يحتج بالذي ذكر الله تعالى عن الصالحين.

قال الحروري : هذا صاحبه في الغار لقي البلاء وصبر عن الخوف .

قال ابو جعفر ع م : فهل كان صابرا على البلاء يرجو ثوابا ؟

قال : نعم

قال ابو جعفر ع م : اما السكينة فقد نزلت على غيره، واما الحزن فقد تعجله لنفسه، كما قال الله تعالى : اذ يقول لصاحبه لا تحزن ان الله معنا، فرسول الله صلع لا ينهى عن طاعة، انما ينهى عن معصية، فقد عصى الله في حزنه وهو مع رسول الله صلع في موضع الصبر. واكتسب ذنبا، فهذا ينبغي ان يستغفر فيه لا نعده له حسنة لان ثواب الغار انما هو لمن نزلت عليه السكينة، فقد قال الله تعالى :انزل الله سكينته على رسوله، فهل شاركه فيها ابو بكر ؟

قال الحروري : نعم

قال ابو جعفر : فهل ابان الله ذلك اذ كانت السكينة مخصوصا بها رسول الله صلع وحده، افلا كانت السكينة التي نزلت على رسول الله صلع وهو في جماعة فخصت رسول الله وعمتهم حيث يقول تعالى : انزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين،فهلا ابان الله ذلك في صاحبه كما قال عز وجل :فانزل الله سكينته عليه وايده بجنود لم تروها، وقد نهاه عن الحزن. وزعنت انه ينهى عن الفضائل، وتلك من الرذائل، فاطلب في غير تلك الفضيلة .

قال الحروري لاصحابه : قوموا فقد اخرجه من الايمان

قال ابو جعفر ع م ما انا اخرجته

قال الحروري : فتقول اني اخرجته

قال ابو جعفر ع م : انا ما قلت ولكن الله تعالى قال، وهذا كتاب الله ينطق بالحق.

قالت الجماعة : خصمت يا حروري وفلج عليك. فامسك عن ذكر الغار.

قال ابو جعفر : واما ما ذكرت من الصلوة فلعمري انكم تقولون ما استتمها ابو بكر حتى خرج رسول الله صلع فاخرج ابا بكر وتقدم فصلى بالناس . فان كان قدمه للصلوة فعددتم ذلك فضلا فقد كان اخراجه عن المحراب نقصا، ولعمري لو تركه فصلى لكان ذلك فضلا.

قال الحروري : فانه لم ينحه

قال ابو جعفر فهل كان المكبر قبل رسول الله صلع او بعده ؟

قال الحروري : بعده

قال ابو جعفر : فمن كان امام القوم في تلك الصلوة، رسول الله صلع او ابو بكر.

قال الحروري : رسول الله صلع

قال ابو جعفر ع م : امام لابي بكر وللناس جميعا

قال نعم

قال ابو جعفر ع م : فانما منزلة ابي بكر كمنزلة من كان في الصف الاول له فضل على من كان في سائر الصفوف، فهذه الدعوى التي تدعيها لا بد ان تكون لمعنى، فما هذا المعنى الذي اوقف ابا بكر ذلك الموقف ؟

قال الحروري : ليرفع صوته بالتكبير ويسمع الناس.

قال ابو جعفر ع م : لا تقع في ابي بكر وتكذب على رسول الله صلع

قالت الجماعة : وكيف ذلك ؟

قال :لان رسول الله صلع قال عن الله عز وجل : ان الذين يغضون اصواتهم عند رسول الله اولئك الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى . فنهى الله تعالى عن رفع الصوت عند رسول الله صلع ووعد من غض صوته عند رسوله مغفرة واجرا عظيما، ويفعل ابو بكر ذلك، هذا الكفر والعصيان لرسول الله صلع والكذب على ابي بكر.

قال الحروري :ليس ذا من ذاك، انما وقف ابو بكر يسمع الناس التكبير

قال ابو جعفر :هذا مسجد رسول الله صلع معروف الحدود، هل كان يحتاج الى مسمع بل كان من في اقصاه يسمع صوت رسول الله لا يحتاج الى مسمع، لان رسول الله صلع في حال ضعفه اقوى من قويهم في شدته .

قالت الجماعة : هذه ثلاثة قد عرفت الجماعة انك فيها يا حروري مخصوم مفلوج عليك.

قال ابو جعفر ع م : وزعمت يا حروري ان ابا بكر في القبر معه

قال نعم

قال ابو جعفر ع م : لا يكون في بيت ابي بكر

قالت الجماعة :لا

قال ابو جعفر ع م : فلعله في بيت عمرو

قالوا : لا

قال ابو جعفر ع م :افليس قد قال الله تعالى : لا تدخلوا بيوت النبي الا ان يؤذن لكم . فهل استؤذن لهما في ذلك

قال الحروري : نعم قد استأذناه في ذلك

قال ابو جعفر : انما هو حديث العامة، انه قد امر ان تسد ابوابهما حتى قال احدهما يا رسول الله لي دع لنا كوة ننظر اليك منها، قال : لا ولا مثل الاصبع . فاخرجهما بسد ابوابهما، فاقم البينة على انه اذن لهما

قال الحروري : ببرهان لا تدفعه

قال : هات البرهان

قال : بميراث ابنتيهما

قال ابو جعفر ع م : كم يكون نصيبهما مع تسع نسوة كن لرسول الله صلع اشتركن في الثمن طلبنه وادعينه، وابو بكر يجحد فاطمة ميراثها ويقول :الانبياء لا تورث ما خلفوا فهو صدقة . ولذلك اخذ فدكا غير ان الامر كما ذكرت يرث رسول الله صلع اهله وولده ونساءه، ولكن ابى ذلك ابو بكر بزعمه ان الانبياء لا تورث، فسقط عند الناس بالقليل من ميراث ابنته الكثير من ميراث فاطمة، فان احببت ان املكـك ما ذكرت صيرنا وللاخرى على قدر الحصة م الثمن لتسع نسوة كن لرسول الله صلع اشتركن في الثمن.

قال ابو سفيان وابو حنيفة : ويلك يا حروري، كم اذا صار لهما اذا كان هكذا، ونحن نقول ان الانبياءلا تورث.

قال ابو جعفر : قد احتمل الحجة وطلب المقاصة،والله ما اظن نصيبهم ذراعين في البيت

وقد ابصرتم وسمعتم انقطاع صاحبكم

فقال ابو حنيفة : يا ابا جعفر ما ترام ولا يقادر قدرك، وقام هو سفيان الثوري وهما يقولان : ما للشيعة غير هذا الرجل .

وجاءت رواية عن عبد الله بن الحسين قال : وقف ابو هاشم بن محمد بن الحنفية على ابي جعفر محمد بن علي ابن الحسين فشتمه وشتم اباه وقال : تدعون وصية رسول الله بالاباطيل وهي لنا دونكم، فاقبل عليه ابو جعفر ع م غير مكترث وقال له : قل ما بدى لك فانا ابن فاطمة وانت ابن الحنفية، فوثب الناس على ابي هاشم يرمونه بالحصى ويضربونه بالنعال حتى اخرجوه من المسجد.

وهذا ابو هاشم بن محمد بن ا لحنفية قد قالت طائفة من القائلين بامامة محمد بن الحنفية، ان محمدا قد افضى الامر اليه، واطلعه علىمكنون علمه.

وقد اختلفت شيعة ابي هاشم بعده خمس فرق : وقالت فرقة ان ابا هاشم مات منصرفا من الشام بارض السراة واوصى الى محمد بن علي بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب، قالوا فانجزت الوصية في اولاده حتى صارت الخلافة الى بني العباس.

وفرقة قالت ان الامامة بعد موت ابي هاشم لابن اخيه الحسن بن علي بن محمد بن الحنفية، وفرقة قالت لا بل اوصى ابو هاشم الىاخيه علي بن محمد، وعلي اوصى الى ابنه الحسن، وان الامامة في بني الحنفية لا تخرج الى غيرهم، وفرقة قالت ان ابا هاشم اوصى الى عبد الله بن حرب الكندي وان الامامة خرجت من ابي هاشم وتحولت روح ابي هاشم اليه، وقولهم هذا من اقوال اهل ا لتناسخ، ثم اطلعوا من عبد الله الكندي على خيانة وسيرة خبيثة فاعرضوا عنه، وقالوا بامامة عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر بن ابي طالب القائم بادعاء الامامة في بلاد فارس، وسنذكر من خبراه اذا انتهينا اليه.

وكان اتباع عبد الله يقولون بالتناسخ وان الثواب والعقاب في الدنيا، واقوال من ذلك شنيعة، ولهم آراء خارجة عن الاسلام فظيعة، وقد ذكرنا من قال بغيبة محمد بن الحنفية برضوى وانه سيرجع ويملأ الارض عدلا، وقد ذكرنا حجة الامام ابي جعفر محمد بن علي بن الحسين ع م على بعض رؤساء الكيسانية الذين زعموا ان محمد بن الحنفية حي لم يمت ورجوعه عما كان عليه، وما زالوا على ذلك الى وقت الصادق جعفر بن محمد ع م فرجع كثير منهم عما كانوا عليه من البهتان، واعتقدوا امامة الصادق حين قام لهم على ذلك واضح البرهان.

ولما فشى امر ابي هاشم بن محمد الحنفية وما يقوله ويقال فيه من ادعاء الامامة له وانتهى ذلك الى سليمان بن عبد الملك ارسل سليمان الى ابي هاشم يستوفده، فوفد عليه واظهر بره وكرامته، فلما اراد الانصراف دخل الى سليمان ليودعه في يوم شديد الحر، وقد تقدم ثقله فحبسه ليتغدى عنده، ثم خرج ليلحق ثقله فمر باخبية وقد عطش فاستسقى وقد اعد له سليمان هنالك سما، فارسل رسولا الى محمد بن علي بن عبد الله بن العباس وكان هناك فاتاه فحضره وشهد وفاته ودفنه، ولذلك قيل انه اوصى اليه.

وكان المغيرة بن سعيد العجلي لعنه الله من اصحاب ابي جعفر محمد بن علي ابن الحسين عليه السلام ومن دعاته،فاستزله الشيطان واخرجه من الاسلام والايمان فادعى النبوة، وزعم انه يحيي الموتى، وزعم ان الامام ابا جعفر ع م اله تعالى الله رب العالمين، وانه الذي بعثه رسولا، وتابعه على قوله كثير من اصحابه سموا المغيرية باسمه.

وبلغ ذلك الامام محمد بن علي ع م ولم يكن له السلطان الذي كان لجده امير المؤمنين علي ابن ابي طالب فيقتلهم كما قتل امير المؤمنين ع م الذين غلوا فيه. فلعن الامام ابو جعفر ع م المغيرة واصحابه وتبرأ منه ومن قوله، وكتب الى اوليائه وشيعته وامرهم برفضهم والبراءة الىالله منهم وبالغ في لعنه، ولعنهم وسماهم المغيرة الرافضة لرفضهم اياه، وقبولهم ما قاله المغيرة لعنه الله، وهؤلاء هم الرافضة بالحقيقة الذين شبههم رسول الله صلع بالنصارى . وقد اشبهوهم لغلوهم في المسيح ع م وقولهم جميعا بالهية البشر لا كما زعمت الزيدية وغيرهم من جهلاء الامة الذين فارقوا ائمة الحق ونسبوا الرفض الى من اتبع الامام محمد بن علي وترك اتباع زيد بن علي، فقد كذبوا في ذلك وافتروا واتو ببهتان مبين. فان محمد بن علي ع م اولى من زيد بالامامة لنص ابيه علي ابن الحسين ع م عليه، وتفويضه اليه، ولان الامام محمد ابن علي الباقر ع م قد عرف فضله وعلمه وسماه رسول الله صلع باقر العلم، وقال على لسان جابر بن عبد الله الانصاري : يا باقر العلم ابقره بقراب بعد ان اقرأه السلام عن رسول الله صلع، وكان باقر العلم الذي بقره واظهره، وابان علم رسول ا لله صلع جده صلع، ولم يحتج الى علم واصل بن عطاء الذي طعن على امير المؤمنين علي ابن ابي طالب ع م، وكان مذهبه مذهب المعتزلة التاركين لبيعته، كما رجع اليه اتباع زيد بن علي، ووجدنا رسول الله صلع قد قال : دين الله بين الغالي والمقصر، فدين الله الحق هو الذي قام به الامام الباقر ع م فلم يكن من دين الغلاة الذين فارقوا الاسلام وتناهوا في الكفر، غلوا الامام فشبهو النصارى في اعتقادهم، وكانوا نصارى الامة لما اضلهم الشيطان فتمادوا في فسادهم، ولا مذهب المقصرين الضلال الذين قصروا في باقر علم الدين وقدموا عليه من ليس له كفضله، ولا يساويه في علمه، فقالوا زيد بن علي احق من باقر علم الدين بالامامة . وجهلوا فضله جهلا افضى بهم الى ان اخذوا علمهم عن العامة كواصل بن عطاء وغيره ممن اعتزل بيعة امير المؤمنين ص ع، وكان من المقصرين في فضله، الطاعنين عليه، فصح ان الذين هم على دين الله هم الذين توالوا الباقر عليه السلام واخذوا عنه علم شرائع الاسلام مما اخذه عن آبائه الطاهرين مما نزل به الروح الامين على قلب محمد سيد المرسلين، وباينهم في ذلك الغالون والمقصرون الذين هم في دينهم ضالون متحيرون.

ولا يزال من يغلو في الائمة صلوات الله عليهم ويقصروا من بيعتهم على نهج الحق غير جاحد لفضلهم ولا منكر كما كان ذلك وقت امير المؤمنين علي ابن ابي طالب ع م وصي خاتم النبيين سلام الله عليه وعلى آله الطاهرين وصلواته عليهم اجمعين، فقد غلا فيه قوم وقصر آخرون وكثير من الامة لفضله منكرون، وعلى ذلك جرى الحال في ائمة الاعصار من غلو من غلا ممن اضلهم الشيطان، وتقصير من قصر فيهم من اهل الغلو والاستكبار.

نرجع الى ذكر المغيرة لعنه الله وكانت بين المغيرة واصحابه وبين اصحاب الامام ابي جعفر محمد بن علي ع م مناظرة وخصومة واحتجاج يطول ذكره، ويتسع شرحه، واستحل المغيرة واصحابه المحارم كلها واباحوها، وعلطوا الشرائع وتركوها، انسلخوامن الاسلام جملة، وبانوا من جملة شيعة الحق كافة، واشهر الامام ابو جعفر ع م لعنهم والبراءة منهم .

ولما ان قتل المغيرة لعنه الله اختلف اصحابه، فمنهم من قال بانتظاره ورجعته، وقد قال المغيرة لهم انه سيرجع ويظهر لهم، وادعى ان جبرائيل وميكائيل يكونان معه عند المقام، وجميع شيعة ابي جعفر محمد بن علي ع م الخلصاء، وافاضلهم الاتقياء، يلعنون المغيرة ويتبرأون الى الله تعالى من افعاله، ويجانبونه في جميع احواله، وعندهم في اقامة دينهم الحجج الواضحة البراهين اللائحة، فما اخذوه عن باقر علم الدين وابنائه الخلفاء الراشدين الذين اخذوا عن آبائهم الهادين.

وبقي الباقر يبين علم الحلال والحرام، ويوضح فرائض الاسلام، لم يشغله عن ذلك تغلب المتغلبين، من بني امية وما تمنيهم به انفسهم من اطفاء نور الله، وما هم فيه من قتل اولياء الله ولا يصده عن ذلك عن اقامة دين ربه وهداية من اتبعه الى منهج الحق وسلوك شعبه، حتى اذ دنت نقلته، واتت عن الخلق غيبته، سلم الامر الى ولده، الامام الصادق جعفر ابن محمد صلوات الله عليه وعلى آبائه الطاهرين، وابنائه الاكرمين، وشيعته المخلصين.

واختلف في العام الذي كانت فيه وفاة الامام الباقر ابي جعفر محمد بن علي صلوات الله عليه وسلامه ورضوانه، فقال الواقدي توفي ابو جعفر محمد بن علي عليه السلام بالمدينة سنة تسع عشرة ومائة وهو ابن ثلاث وسبعين سنة .

وروي سفيان بن عيينة عن الصادق عليه السلام قال : سمعت ابي يقول لعمتي فاطمة ابنة الحسين وقد كلمته في شيء لي ثمان وستون وتوفي تلك السنة .

وقال مصعب بن عبد الله توفي ابو جعفر محمد بن علي بن الحسين عليه السلام بالمدينة سنة اربع عشرة ومائة

وقال الزبير قال لي محمد بن الحسن بن مالة توفي محمد بن علي بن الحسين عليه السلام في آخر ايام هشام بن عبد الملك في سنة اربع وعشرون ومائة، وتوفي هشام سنة خمس وعشرين ومائة وكانت ولايته عشرين سنة غير شهر واحد.

ودفن الامام صلوات الله عليه وسلامه ورحمته عليه في البقيع الى قبر ابيه الامام علي بن الحسين زين العابدين عليهم الصلوة والسلام.

## ذكر الامام ابي عبد الله جعفر بن محمد الصادق عليه السلام

وصارت الامامة بعد الباقر ابي جعفر محمد بن علي بن الحسين سلام الله ورضوانه عليه الى ابنه ابي عبد الله جعفر محمد الملقب بالصادق لما عرف واشتهر من صدقه، وعظم من فضله وحقه، وكان نشؤه كنشؤ آبائه على الفضل والطهارة، والعلم والهداية، وكان العلماء يأتون اليه وهو في صغر سنه وعنفوان عمره في حياة ابيه ليسألونه عن مسائل مستبهمة في الدين فيجدون عنده علم ما يسألون، ومعرفة ما يطلبون.

ومن ذلك روي عن ابي حنيفة انه سأل معلما كان يعلم الصادق جعفر ابن محمد عليه السلام وهو صبي صغير عن الافعال فعل من هي ؟ فاعتذر المعلم فقال الصادق عليه السلام على صغر سنه، اتأذن لي يا معلم ان اجيبه ؟ قال : نعم، فقال عليه السلام لابي حنيفة : اعلم ان الافعال لا تخلو من ثلاثة اوجه، اما من الله لا منا، واما منا ومن الله، واما منا لا من الله، فان كانت من الله لا منا فما باله يعذبنا على شيء تفرد به دوننا، وان كانت منا ومن الله فما بال الشريك القوي يعذب الشريك الضعيف، وان كانت منا لا من الله فبها استحقاق الثواب وعليها استحقاق العقاب، وانشد :

لن تخل افعالنا اللاتي نذم بها \* احدى ثلاث خصال في معانيها

اما تفرد بارينا بصنعتها \* فالذم يسقط عنا حين نأتيها

او كان شاركنا فالذم يلحقه \* ان كان يلحقنا من لائم فيها

او لم يكن كالهي في جنايتها \* فعل ما الفعل الا فعل جانيها

قال ابو حنيفة : قاين موضع الغائط يا غلام ؟ قال : تجنب افنية الديار، ومساقط الثمار، ومجاري الانهار، ولا تستقبل القبلة باستقبال ولا استدبار، واقعد من الارض حيث شئت. هذا قوله .

وهذه المسألة عن الافعال هي التي تخبط فيها المدعون للعلم في عشوائهم، واختلفوا فيها على قدر اهوائهم، قد ابانها الصادق عليه السلام في صغر سنه وتكلم عليها باوجز لفظ يجمع المعنى على طول فنه، وابانها بيانا واضحا جليا، وحق فيه قوله تعالى : وآتيناه الحكم صبيا.

وصار الامر الى الامام ابي عبد الله جعفر بن محمد ع م عن ابيه الامام محمد بن علي عليه السلام بعد ان عهد اليه عهده واوصى اليه وصيته، وسلم اليه ما تسلمه من آبائه عليهم السلام من العلم والكتب والسلاح.

وكان الامام جعفر بن محمد عليه السلام يكنى ابا عبد الله، وكان اعلم اهل زمانه، وعنه تفرع العلم بالحلال والحرام، في الخاص والعام، ومن روى عنه من الكبراء المذكورين بالفقه ابو حنيفة النعمان بن ثابت الكوفي، ومالك بن انس المدني، وسفيان بن عيينة، وسفيان الثوري، وحي بن صالح، وايوب السجستاني، وعمرو بن دينار، وكثير من علماء العامة، وكان موصوفا بالعلم والفضل والورع، لا ينكر فضله، ولا يجهل مقامه عند الخاص والعام.

وعنه عليه السلام وعن ابيه محمد بن علي عليه السلام اخذ علم الاسلام والحلال والحرام وثبت القضايا والاحكام، وتبين فضل آل محمد المنتجبين من ذريته بالنسبة اليه، وان ما ادعته العامة الذين يزعمون انهم آل محمد خطأ وجهل، و ادعاء منهم لما لبسوا من اهله واعتراض على اولياء الله الذين اختارهم الله بعد رسوله صلع وجعلهم هداة الخلق والقائمين بتبيين الدين الحق .

وقد روي عن الامام جعفر بن محمد ع م ان الحسن بن صالح وعلي بن صالح بن حي سألاه عن قول الله عز وجل : يا ايها الذين آمنوا اطيعوا الله واطيعوا الرسول واولي الامر منكم، من اولوا الامر ؟ قال : العلماء، فلما خرجا من عنده قال علي بن صالح : ما صنعنا شيئا الا كنا سألناه من هؤلاء العلماء ؟ فرجعا اليه فسألاه، فقال : الائمة من اهل بيت رسول الله صلع .

وسمع الامام ابو عبد الله جعفر بن محمد ع م رجلا بالبيت وهو يقول :اللهم اجعلني من الذين اذا ذكروا بآيات ربهم لم يخروا صما وعميانا، اللهم اجعلني من الذين يقولون ربنا هب لنا من ازواجنا وذرياتنا قرة اعين، واجلعنا للمتقين اماما . فقال الامام ابو عبد الله جعفر بن محمد ع م : لقد سألت ربك شطـطا سألته ان يجعلك اماما للمتقين مفترض الطاعة، فقال له بعض اصحابه جعلت فداك فيمن الآية الاولي ؟ قال : فيكم انزلت، قال : فالثانية ؟ قال : فينا .

وروي عنه عليه السلام انه قال في قول الله تعالى : اطيعوا الله واطيعوا الرسول واولي الامر منكم، قال هم الائمة منا فطاعتهم مفروضة

وسئل عن قول الله عز وجل : ان في ذلك لآيات للمتوسمين، قال : هم الائمة منا ينظرون بنور الله فاتقوا فراستهم فيكم.

وقال عليه السلام في قول الله تعالى : ولو ردوه الى الرسول والى اولي الامر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم، قال : نحن اولوا الامر الذين امر الله بالرد الينا، وقال له رجل : جعلت فداك ان من عندنا يقولون ان قول الله تعالى فاسئلوا اهل الذكر ان كنتم لا تعلمون، انهم علماء اليهود، فتبسم وقال : اذا والله يدعونهم الى دينهم، بل نحن اهل الذكر الذين امر الله برد المسألة الينا.

وقال عليه السلام في قول رسول الله صلع : من مات لا يعرف امام زمانه مات ميتة جاهلية، فقال : اما دهره حيا، قالوا : لم نسمع حيا، قال : قد والله قال ذلك، يعني رسول الله يعني بقوله اما دهره حيا انه لا ينفعه ولاية الامام الماضي الا ان يدين الله بولاية الذي هو عصره وزمانه وهو حي، فيتولاه ويعتقد امامته لانه السبب له الى الماضي قبله، وهم اسباب العباد الى الرسول وهو السبب الى الله تعالى فلا تقبل طاعة الله وولايته الا بولاية الرسول وطاعته، ولا تقتل ولاية الرسول وطاعته الا بولاية وصية وطاعته، وطاعة الائمة الطاهرين وولايتهم، كما قال الله تعالى : يا ايها الذين آمنوا اطيعوا الله واطيعوا الرسول واولي الامر منكم، واحد بعد واحد اوجب الله طاعتهم وافترض الله ولايتهم،

وعن الامام ابي عبد الله جعفر بن محمد ع م انه قال : في قول الله تعالى : يوم ندعو كل اناس بامامهم، قال بمن يأتمون به في الدنيا، يدعى علي ع م بالقرن الذي كان فيه، والحسن ع م بالقرن الذي كان فيه، والحسين ع م بالقرن الذي كان فيه، وعدد الائمة واحد بعد واحد، ثم قال قال رسول الله صلع من مات لا يعرف امام دهره حيا مات ميتة جاهلية .

وروي عن ابي عبد الله جعفر بن محمد ع م ان سائلا سأله فقال : يابن رسول الله اخبرني عن آل محمد من هم ؟ قال : هم اهل بيته خاصة، قال فان العامة يزعمون ان المسلمين كلهم آل محمد، فتبسم ابو عبد الله ثم قال : كذبوا وصدقوا، قال السائل : يابن رسول الله ما معنى كذبوا وصدقوا ؟ قال : كذبوا بمعنى وصدقوا بمعنى، كذبوا في قولهم المسلمون كلهم آل محمد الذين يوحدون الله تعالى ويقرون بالنبي على ما هم فيه من النقص في دينهم والتفريط فيه. وصدقوا في ان المؤمنين منهم من آل محمد وان لم يناسبوه، وذلك لقيامهم بشرائط القرآن لا على انهم آل محمد الذين اذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا. فمن قام بشرائط القرآن واتبع آل محمد ع م فهو من آل محمد على التولي لهم وان بعدت نسبته من نسبة محمد صلع.

قال السائل اخبرني ما تلك الشرائط التي من قام بها وحفظها كان من آل محمد بذلك المعنى، فقال القيام بشرائط الايمان والاتباع لآل محمد، فمن تولاهم وقدمهم على جميع الخلق كما قدمهم الله من قرابة رسول الله صلع فهو من آل محمد على هذا المعنى، وكذلك حكم الله في كتابه، قال جل ثناؤه : ومن يتولهم منكم فانه منهم، وقال يحكي قول ابراهيم ع م : فمن تبعني فانه مني، ومن عصاني فانك غفور رحيم، وقال تعالى في اليهود يكي قول الذين قالوا ان الله عهد الينا ان لا نؤمن لرسول حتى يأتينا بقربان تأكله النار، قال عز وجل لنبيه : قل قد جاءكم رسل من قبلي بالبينات وبالذي قلتم فلم قتلتموه ان كنتم صادقين، وقال في موضع آخر : فلم تقتلون انبياء الله من قبل ان كنتم مؤمنين، وانما نزل هذا القول في اليهود الذين كانوا على عهد رسول الله صلع فلم يقتلوا هم الانبياء بايديهم ولا كانوا في زمانهم ولكن قتلهم اسلافهم ورضوا هم بفعلهم و تولوا هم على ذلك، فاضاف الله سبحانه اليهم فعلهم وجعلهم منهم لاتباعهم اياهم.

قال السائل : اعطني جعلني الله فداك، حجة من كتاب الله استدل بها على ان آل محمد هم اهل بيته خاصة دون غيرهم؟ قال نعم قال الله تعالى وهو اصدق القائلين : ان الله اصطفى آدم ونوحا وآل ابراهيم وآل عمران على العالمين، ثم بين من اولئك الذين اصطفاهم فقال : ذرية بعضها من بعض والله سميع عليم، ولا يكون ذرية قوم الا نسلهم.

وقال تعالى : اعملوا آل داود شكرا، وقال تعالى : وقال رجل مؤمن من آل فرعون يكتم ايمانه اتقتلون رجلا ان يقول ربي الله، وانما كان ابن عم فرعون، وقد نسب الله هذا المؤمن الى فرعون لقرابته في النسب، وهو مخالف لفرعون في الدين، ففي هذا دليل على ان آل الرجل هم اهل بيته، ومن اتبع آل محمد فهو منهم بذلك المعنى لقول ابراهيم ع م : فمن تبعني فانه مني ومن عصاني فانك غفور رحيم، وقال عز وجل : ادخلوا آل فرعون اشد العذاب، يعني اهل بيته خاصة، واتباعهم عامة، ومن دخل النار من غير اهل بيت فرعون فانما يدخلها يتوليه اهل بيت فرعون، وهم منهم باتباعه لهم وآل فرعون ائمة عليهم، فمن تولاهم فهو منهم لهم تبع، وقال تعالى : سلام على آل ياسين، فياسين محمد وآل ياسين اهل بيته، كما قال تعالى : اعملوا آل داود شكرا وقليل من عبادي الشكور، وقال : بقية مما ترك آل موسى وآل هارون تحمله الملائكة، وذلك انه قد يكون من آل موسى وآل هارون وآل داود وآل ياسين من لا نسب بينه وبينهم الا بالاتباع، فاهل بيوتات الانبياء صلوات الله عليهم من توالاهم واتبعهم فهو منهم على ذلك المعنى وعلى نحو ما وصف الله تعالى.

ثم قال جعفر بن محمد ع م للسائل : اعلم انه لم يكن من الامم السالفة والقرون الخالية والاسلاف الماضية ولا سمع به احد اشدّ ظلما من هذه الامة، فانهم يزعمون انه لا فرق بينهم وبين اهل بيت نبيهم، ولا فضل لهم عليهم، فمن زعم ذلك من الناس فقد اعظم على الله الفرية ن وارتكب بهتانا عظيما، واثما مبينا.

وهو بذلك بريء من محمد وآل محمد حتى يتوب ويرجع الى الحق بالاقرار بالفضل لمن فضّله الله تعالى عليه من اهل بيت النبوة وموضع الرحمة، ومعدن العلم واهل الذكر ومختلف الملائكة، فمن زعم انه لا فضل لمن هذه صفته عليهم فهو بريء منهم في الدنيا وفي الآخرة، ثم قال ع م : وههنا قول آخر من قبل الاجماع، قال السائل : وما هو ؟ قال : اليس ما اجتمع المسلمون كان اولى بالحق واحرى ان يؤخذ به مما اختلفوا فيه ؟ قال : نعم، قال اخبرني عن المدعين من المسلمين انهم آل محمد اليس هم مقرون ان آل محمد شركائهم فيما ادعوا انهم من آل محمد ؟ قال : بلى، قال : افلا ترى ان المدعين انهم آل محمد مقرون لاهل بيت محمد الذين هم اهل بيته، وان آل محمد منكرون لما ادعاه المدعون من ذلك وانه باطل مدفوع حتى يثبتوه لانفسهم باحد امرين، اما باجماع من اهل بيت محمد واقرار لهم بما ادعوه وان يصدقوهم فيما ادعوه المدعون لآل محمد وشهدوا لهم، او ببينة من غيرهم تشهد لهم ممن ليس لهم في الدعوى شيء ولايجدون لذلك سبيلا، افلا ترى ان حق اهل بيت محمد قد ثبت، وان ما ادعاه المدعون باطل لما فيه من الاختلافات بين الناس وحق آل محمد المجتمع عليه من الوجهين، وبطلت دعوى المدعين بالوجه الذي ذكرنا فيه اولا بالحجة وبوجه الاجماع الذي بينا ذكره،

قال السائل اخبرني جعلني الله فداك عن امة محمد اهم اهل بيت محمد ؟

قال : نعم

قال : اليس المسلمون جميعا وكل من آمن به وصدقه امته ؟

قال جعفر بن محمد ص : هذه المسألة مثل المسألة الاولى في آل محمد، وليس كل المسلمين ممن لم يكن من اهل بيت محمد من بني هاشم امة محمد، والناس كافة اهل مشارق الارض ومغاربها من عربها وعجمها وانسها وجنها من آمن منهم بالله ورسوله وصدقه واتبعه بالتولي بالامة التي بعث فيها فهو من امة محمد بالتولي لتلك الامة، ومن كان هكذا من المسلمين الذين يوحدون الله ويقرون بالنبي فهو من الامة التي بعث اليها محمد، ومن انكر فضل هذه الامة فهو من الذين قالوا : نؤمن ببعض ونكفر ببعض واحبوا ان يتخذوا بين ذلك سبيلا، وهم الذين اذا قيل لهم أ تؤمنون بالله ورسوله ؟ قالوا : نعم، واذا قيل لهم افتقرون بفضل آل محمد الذين انتم به مؤمنون وله مصدقون، قالوا : لا، لانهم لا فضل لهم علينا،

قال السائل :وما الحجة في ان امة محمد هم اهل بيت محمد الذين ذكرت دون غيرهم ؟

قال : قول الله تبارك وتعالى وهو اصدق القائلين : واذ يرفع ابراهيم القواعد من البيت واسماعيل ربنا تقبل منا انك انت السميع العليم، ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا امة مسلمة لك وارنا مناسكنا وتب علينا انك انت التواب الرحيم، فلما اجاب الله دعوة ابراهيم واسماعيل عليهما السلام ان يجعل من ذريتهما امة مسلمة وان يبعث فيها رسولا منها يعني من تلك الامة يتلو عليها آياته ويزكيها ويعلمها الكتاب والحكمة اردف ابراهيم دعوته الاولى لتلك الامة التي سأل لها من ذريته بدعوة اخرى يسئل لهم التطهير من الشرك بالله ومن عبادة الاصنام، ليصح امرهم فيها، ولئلا يتبعوا غيرها، فقال : واجنبني وبني ان نعبد الاصنام، الذين دعوتك لهم، ووعدتني ان تجعلهم ائمة وامة مسلمة، وان تبعث فيها رسولا منها وان تجنبهم عبادة الاصنام، رب انهن اضللن كثيرا من الناس، فمن تبعني فانه مني ومن عصاني فانك غفور رحيم، فذلك دلالة على انه لا تكون الائمة والامة المسلمة التي بعث فيها محمد الا من ذرية ابراهيم واسماعيل عليهما السلام من سكان الحرم ممن لم يعبد غير الله قط لقوله :واجنبني وبني ان نعبد الاصنام، والحجة في المسكن والديار قول ابراهيم : ربنا اني اسكنت من ذريتي بواد غير ذي زرع عند بيتك المحرم ربنا ليقيموا الصلوة فاجعل افئدة من الناس تهوي اليهم وارزقهم من الثمرات لعلهم يشكرون، ولم يقل ليعبدوا الاصنام،

فهذه الآية تدل على ان الائمة والامة المسلمة التي دعا لها ابراهيم عليه الصلوة والسلام من ذريته ممن لم يعبد غير الله قط، ثم قال : فاجعل افئدة من الناس تهوي اليهم، فخص دعاء ابراهيم عليه السلام الائمة والامة من ذريته، ثم دعى لشيعتهم كما دعى لهم، فاصحاب دعوة ابراهيم واسمعيل عليهما السلام رسول الله وعلي وفاطمة والحسن والحسين والائمة صلوات الله عليهم، ومن كان متوليا لهؤلاء من ولد ابراهيم واسماعيل عليها السلام فهو من اهل دعوتهما لان جميع ولد اسمعيل قد عبدوا الاصنام غير رسول الله صلع وعلى وفاطمة والحسن والحسين وكانت دعوة ابراهيم واسمعيل لهم، والحديث المأثور عن النبي صلع انه قال : انا دعوة ابي ابراهيم، ومن كان متبعا لهذه الامة التي وصفها الله عز وجل في كتابه بالتولي لها كان منها، ومن خالفها بان لم ير لها فضلا فهو من الامة التي بعث اليها محمد صلع فلم تقبل،

قال الله تبارك وتعالى : ولتكن منكم امة يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر واولئك هم المفلحون، وفي هذه الآية تكفير اهل القبلة بالمعاصي، لان من لم يدع الى الخير ويأمر بالمعروف وينه عن المنكر فليس من الامة التي وصفها الله عز وجل، لانهم يزعمون ان جميع المسلمين هم امة محمد صلع، وقد ترى هذه الآية وصفت امة محمد بالدعاء الى الخير والامر بالمعروف والنهي عن المنكر، فمن لم توجد فيه صفة الله عز وجل التي وصف بها الامة فكيف يكون منها وهو على خلاف ما شرط الله عز وجل على الامة ووصفها به،

وقال في موضع آخر، يعني تلك الامة : وكذلك جعلناكم امة وسطا يعني عدلا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا، فان ظننت ان الله جل ثناؤه عنى بهذه الآية جميع اهل القبلة من الموحدين، افترى ان من لم تكن شهادته تجوز في الدنيا على صاع من تمر ان الله طالب شهادته على الخلق يوم القيامة، وقابلها على الامم السالفة، كلا لن يعني الله مثل هذا من خلقه، وقال في موضع آخر يعني تلك الامة التي عنتها دعوة ابراهيم : كنتم خير امة اخرجت للناس، فلو كان الله عز وجل عنى جميع المسلمين انهم خير امة اخرجت للناس لم يعرف الناس الذين اخرج اليهم جميع المسلمين من هم ؟ كلا لن يعني الله الذين تظنون من همج هذا الخلق، ولكن الله عنى الامة التي بعث فيها محمد صلع .

قال السائل : فانه لم يكن معه الا علي وحده، فقال ابو عبد الله عليه السلام : ان مع علي فاطمة والحسن والحسين، وهم الذين اذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا، واصحاب الكساء هم الذين شهد لهم الكتاب بالتطهير، وقد كان رسول الله صلع وحده امة لان الله سبحانه يقول : ان ابراهيم كان امة قانتا لله حنيفا، فكان ابراهيم وحده امة ثم رفده بعد كبره باسمعيل واسحق، وجعل في ذريتهما النبوة والكتاب، وكذلك رسول الله صلع كان وحده امة ثم رفده بعلي وفاطمة، وكثره بالحسن والحسين كما كثر ابراهيم باسماعيل واسحاق، وجعل الامامة التي هي خلف النبوة في ذريته من ولد الحسين بن علي كما جعل النبوة في ذرية اسحاق، ثم ختمها بذرية اسماعيل، وكذلك كانت الامامة في الحسن بن علي لسبقه، قال الله عز وجل في ذلك : والسابقون السابقون اولئك المقربون، فكان الحسن اسبق من الحسين، ثم نقل الله عز وجل الامامة الى ولد الحسين كما نقل النبوة من ولد اسحاق الى ولد اسماعيل، وعليهم اجماع الامة بالشهادة لهم، وانها جارية فيهم، ولم يجمعوا بمثل هذه الشهادة لاحد سواهم

فان قال قائل وما الدليل على ان الله عز و جل نقل الامامة من ولد الحسن الى ولد الحسين ؟ قلنا : نقلها الكتاب، وان قال فكيف ذلك ؟ قيل له : ان الامامة انما تكون بالسبق والطهارة من الذنوب الموبقة التي توجب النار، ثم العلم المبرز بجميع ما تحتاج اليه الامة من حلالها وحرامها والعلم بكتاب الله خاصه وعامه ومحكمه ومتشابهه وظاهره وباطنه ودقائق علمه وغرائب تأويله وناسخه ومنسوخه

قال السائل : وما الحجة في ان الامام لا يكون الا عالما بهذه الاشياء التي ذكرت ؟

قال : قول الله عز وجل فيمن اذن لهم بالحكومة وجعلهم اهلها : انا انزلنا التوراة فيها هدى ونور يحكم بها النبيون الذين اسلموا للذين هادوا والربانيون والاحبار، فالربانيون هم الائمة دون الانبياء الذين يربون الناس بعلمهم، والاحبار دونهم وهم دعاتهم، ثم اخبر عز وجل فقال : بما استحفظوا من كتاب الله وكانوا عليه شهداء، ولم يقل بما جهلوا، ثم قال : هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون انما يتذكر اولو الالباب، وقال : بل هو آيات بينات في صدور الذين اوتوا العلم، وقال : وما يعقلها الا العالمون، ثم قال : انما يخشى الله من عباده العلماء، وقال : افمن يهدي الى الحق احق ان يتبع امن لا يهدي الا ان يهدى فما لكم كيف تحكمون، فهذه الحجة بان الائمة لا يكونون الا علماء، ليحتاج الناس اليهم ولا يحتاجون الى احد من الناس في شيء من الحلال والحرام

ثم ذكر للسائل الحجة في ذكر خروج الامامة من ولد الحسن الى ولد الحسين ع م وقد قدمنا ذلك في ذكر اخبار الامام زين العابدين ع م .

وروي عن الامام ابي عبد الله جعفر بن محمد عليه السلام ان رجلا من اصحابه شكى اليه ما يلقون من الناس، فقال : يا بن رسول الله، ما ذا نحن فيه من اذى الناس ومطالبتهم لنا وبغضهم ايانا، وطعنهم علينا، كأنا لسنا عندهم من المسلمين ؟ فقال له ابو عبد الله : اوما تحمدون الله على ذلك وتشكرونه، ان الشيطان لما يئس منكم ان تطيعوه في خلع ولايتنا التي يعلم ان الله عز وجل لا يقبل عمل عامل خلعها اغرى الناس بكم حسدا لكم عليها، فاحمدوا الله على ما وهب لكم من العصمة، واذا تعاظمكم ما تلقون من الناس ففكروا في هذا وانظروا الى ما لقينا نحن من المحن، ونلقى منهم، وما لقي اولياء الله ورسله من قبلنا، فقد سئل رسول الله صلع عن اعظم الناس امتحانا وبلاء في الدنيا، فقال : الانبياء ثم الاوصياء ثم الائمة ثم المؤمنون، الاول فالاول، والافضل فالافضل، وانما اعطانا الله واياكم ورضي لنا ولكم صفو عيش الآخرة، ثم قال صلع : الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر، وما اعطى الله عبدا مؤمنا حظا من الدنيا الا مشوبا بتكدير لئلا يكون ذلك حظه من ثواب الله عز وجل وليكمل الله له صفو عيش الآخرة،

وعنه عليه السلام ان نفرا اتوه من الكوفة من شيعته يسمعون منه، ويأخذون عنه، فاقاموا بالمدينة ما امكنهم المقام، وهم يختلفون اليه ويترددون عليه ويسمعون منه ويأخذون عنه، فلما حضرهم الانصراف وودعوه قال له بعضهم : اوصنا يا بن رسول الله، فقال : اوصيكم بتقوى الله والعمل بطاعته واجتناب معاصيه، واداء الامانة لمن ائتمنكم، وحسن الصحابة لمن صحبتموه، وان تكونوا لنا دعاة صامتين، فقالوا : يا بن رسول الله وكيف ندعو اليكم ونحن صموت، قال : تعملون ما امرناكم به من العمل بطاعة الله، وتتناهون عما نهيناكم عنه من ارتكاب محارم الله، وتعاملون الناس بالصدق والعدل، وتؤدون الامانة، وتأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر، ولا يطلع الناس منكم الا على خير، فاذا رأوا ما انتم عليه قالوا : هؤلاء الفلانية، رحم الله فلانا، ما كان احسن ما يؤدب اصحابه، وعلموا فضل ما كان عندنا، فسارعوا اليه، اشهد على ابي محمد بن علي رضوان الله عليه، اشهد على ابي محمد بن علي رضوان الله عليه ورحمته وبركاته، لقد سمعته يقول : كان اولياؤنا وشيعتنا فيما مضى خير من كانوا فيه، ان كان امام مسجد في الحي كان منهم، وان كان مؤذن في القبيلة كان منهم، وان كان صاحب وديعة كان منهم، وان كان صاحب امانة كان منهم، وان كان عالم من الناس يقصدون لدينهم ومصالح امورهم كان منهم، فكونوا انتم كذلك، حببونا الى الناس ولا تبغضونا اليهم،

وعن الامام جعفر بن محمد عليه السلام انه بلغه عن بعض شيعته تقصير في العمل فوعظهم وغلظ عليهم فقال في بعض ما قال : ان من قصر في شيء مما افترض الله عليه، لم تنله رحمة الله، ولم ينل من شفاعة محمد صلع يوم القيامة، فاسمعوا عنا ما افترض الله عليكم واعملوا به، ولا تعصوا الله ورسوله وتعصونا بمخالفة ما نقول، فوالله ما هو الا الله عز وجل، اومى بيده الى السماء، ونحن، واومى بيده الى نفسه، وشيعتنا منا، وسائر الناس في النار، بنا يعبد الله، وبنا يطاع الله، وبنا يعصى الله، فمن اطاعنا فقد اطاع الله، ومن عصانا فقد عصى الله، سبقت طاعتنا عزيمة من الله الى خلقه، انه لا يقبل عملا من احد الا بنا، ولا يرحم احدا الا بنا، ولا يعذب احدا الا بنا، فنحن باب الله وحجته، وامناؤه على خلقه وحفظة سره، ومستودع علمه، ليس لمن منعنا حقنا في ماله من نصيب،

وعن ابي عبد الله جعفر بن محمد ع م انه قال للمفضل : اي مفضل قل لشيعتنا كونوا دعاة الينا بالكف عن محارم الله واجتناب معاصي الله، واتباع رضوان الله، فانهم اذا كانوا كذلك كان الناس الينا مسارعين.

ودخل المفضل بن عمرو على الامام الصادق عليه السلام وكان المفضل من خلصاء شيعته، ومع ا المفضل شيء فوضعه بين يديه فقال له : ما هذا ؟ فقال : صلة مواليك وعبيدك جعلني الله فداك، فقال له: اي مفضل لاقبلن ذلك، والله ما اقبله من حاجة اليه، وما اقبله الا لازكيهم به، ثم نادى : يا جارية، فاجابته جارية، فقال لها : هلمي السفط الذي دفعته اليك البارحة، فجاءته بسفط من خوص فوضعته بين يديه، فاذا فيه جوهر لم ار مثله، يتقد اتقادا، له شعل كشعل النار، فقال : اي مفضل، اما في هذا ما يكفي آل محمد ؟ فقلت له : جعلني الله فداك، بلى والله، وفي اقل من هذا، ثم اطبق عليه ودفعه الى الجارية، ثم قال : سمعت ابي يقول : من مضت له سنة فلم يصلنا من ماله بم قل او كثر، لم ينظر الله عز وجل اليه يوم القيامة، الا ان يعفو، ثم قال : اي مفضل، انها فريضة فرضها الله لنا على شيعتنا في كتابه اذ يقول : لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون، فنحن اهل البر والتقوى وسبل الهدى، ثم قال : من اذاع لنا سرا فقد نصب لنا العداوة، ثم قال : سمعت ابي رضوان الله عليه يقول : من اذاع لنا سرنا ثم وصلنا بجبال من ذهب لم يزدد منا الا بعدا،

وسأل الامام ابو عبد الله الصادق عليه السلام المفضل عن اصحابه بالكوفة، فقال : هم قليل، فبلغهم ذلك، فلما قدم عليهم نالوا منه وامتهنوه هموا به، وتوعدوه، فبلغ ذلك ابا عبد الله، فلما انصرف قال له : ما هذا الذي بلغني ؟ قال : وما علي من قوهلهم جعلت فداك، قال : اجل، بل ذلك عليهم، والله ما هم لنا بشيعة، ولو كانوا لنا شيعة ما غضبوا من قولك، ولا اشمأزوا منه، ولقد وصف الله شيعتنا بغير ما هم عليه، وما شيعة جعفر الا من كف لسانه وعمل لخالقه، ورجى سيده وخاف الله خق خيفته، حتى يصير كالحنية من كثرة الصلوة، وكالناقة من شدة الخوف، وكالضرير من الخشوع، وكالضاني من كثرة الصيام، وكالاخرس من طول السكوت، ام هل فيهم من قد ادأب ليله من طول القيام، وادأب نهاره من الصيام، او منع نفسه من لذات الدنيا ونعيمها، خوفا من الله وشوقا الينا اهل البيت، انى يكونون لنا شيعة وهم يخاصمون عدونا فينا حتى يزيدوه عداوة، ويهرون هرير الكلاب، ويطمعون طمع الغراب ؟ اما والله انه لولا اني اتخوف ان اغريهم بك، لامرتك ان تدخل بيتك وتغلق بابك، ثم لا تنظر لهم في وجه ما بقيت ابدا، ولكن اذا جاءوك تائبين فاقبل، فان الله جعلنا بقية نقبل التوبة عن عباده .

وقال جعفر بن محمد ع م لبعض شيعته : اكتم سرنا ولا تذعه فانه من كتم سرنا فلم يذعه اعزه الله به في الدنيا والآخرة، ومن اذاع سرنا ولم يكتمه اذله الله به في الدنيا والآخرة، ونزع النور بين عينيه، ان ابي رضوان الله عليه وصلواته كان يقول : ان التقية من ديني ودين آبائي، ولا دين لمن لا تقية له، وان الله يحب ان يعبد في السر كما يحب ان يعبد في العلانية، والمذيع لامرنا كالجاحد له .

واجتمع اليه قوم من شيعته فتكلموا فيما هم فيه وذكروا الفرج وقالوا : متى نراه يكون يابن رسول الله ؟ فقال ابو عبد الله : ايسركم هذا الذي تمنون ؟ قالوا : اي والله، قال : افتخلّفون الاهل والمال وتركبون الخيل وتلبسون السلاح؟ قالوا : نعم . قال : وتقاتلون اعداءكم ؟ قالوا : نعم، قال : قد سألناكم ما هو ايسر رمن هذا فلم تفعلوا، فسكت القوم فقال رجل منهم : اي شيء هو جعلت فداك ؟ قال : قلنا لكم اسكتوا فانكم ان كففتم رضينا فلم تفعلوا.

وعنه عليه السلام : انه قال لاصحابه اجتمعوا اليه ما يتكلمون به عنده، فقال لهم : حدثوا الناس بما يعرفون ودعوا ما ينكرون، اتحبون ان يسب الله ورسوله ؟ قالوا : وكيف يسب الله ورسوله ؟ قال : يقولون اذا حدثتموهم بما ينكرون لعن الله قائل هذا وقد قاله الله عز وجل ورسوله صلع .

وعنه ص انه قال لبعض شيعته : ان حديثكم هذا وامركم هذا تشمئز منه قلوب الجاهلين، فمن عرفه فزيدوه ومن انكره فذروه، ان الله اخذ ميثاقنا وميثاق شيعتنا يوم اخذ ميثاق النبيين، فليس يزيد فيهم احد ولا ينقص منهم احد، وان الله اراد بعبد خيرا اخد بناصيته حتى يدخله هذا الامر احب ذلك ام كره.

وعنه ص انه قال : ان الله عز وجل خلق قوما لحبنا وقوما لبغضنا، فلو ان الذين خلقهم لحبنا خرجوا من هذا الامر الى غيره لاعادهم الله اليه، وان رغمت انوفهم، وخلق قوما لبغضنا فلا يحبوننا ابدا

وقدم على ابي عبد الله رجل من الكوفة فسأله عن شيعته فاخبره بحالهم فقال ابو عبد الله : ليس احتمال امرنا بالتصديق والقبول فقط، ان احتمال امرنا ستره وصيانته من غير اهله، فاقرأهم منا السلام وقل : رحم الله عبدا اجترّ مودة الناس الينا، والى نفسه، فحدّثهم بما يعرفون، وستر عنهم ما ينكرون، ثم قال : والله ما الناصب لنا حربا باشد علينا مؤونة من الناطق عنا بما نكره، ولو كانوا يقولون عني ما اقول ما عبأت بقولهم، ولكانوا اصحابي حقا .

وقال عليه السلام لبعض اصحابه يوما يوصيهم : اتقوا الله واحسنوا صحبة من تصاحبونه، وجوار من تجاورونه، وادوا الامانات الى اهلها، ولا تسموا الناس خنازير ان كنتم شيعتنا، تقولون ما نقول، واعملوا بما نأمركم به تكونوا لنا شيعة، ولا تقولوا فينا ما لا نقول في انفسنا، فلا تكونوا لنا شيعة. ان ابي خبرني ان الرجل من شيعنا كان يكون في الحي فتكون ودائعهم عنده، ووصاياهم اليه، فكذلك انتم فكونوا

وقال عليه السلام لبعض شيعته يوصيهم: اخذ قوم كذا وقوم كذا حتى وصف خمسة اصناف واخذتم بامر اهل بيت نبيكم، فعليكم بتقوى الله وصدق الحديث واداء الامانة فانه لا ينال ما عند الله الا بطاعته

وعنه ص انه قال لبعض شيعته : عليكم بالورع والاجتهاد، وصدق الحديث واداء الامانة والتمسك بما انتم عليه، وانما يغتبط احدكم اذا انتهت نفسه الى ههنا، واومى بيده الى حلقه، ثم قال : ان تعيشوا تروا ما تقر به اعينكم، وان متم تقدموا والله على سلف نعم السلف لكم، اما والله انكم على دين الله ودين آبائي، اما والله، ما اعني محمد بن علي ولا علي بن الحسين وحديهما ولكني اعنيهما واعني ابراهيم واسمعيل واسحق ويعقوب، وانه لدين واحد، فاتقوا الله اعينونا بالورع، فوالله ما تقبل الصلوة ولا الزكوة ولا الحج الا منكم، ولا يغفر الا لكم، وانما شيعتنا من اتبعنا ولم يخالفنا، اذا خفنا خاف، واذا امنا امن، اولئك شيعتنا، ان ابليس اتى الناس فاطاعوه، واتى شيعتنا فعصوه، فاعرى الناس بهم، فلذلك ما يلقون منهم .

ودخل جماعة من شيعة الامام ابي عبد الله جعفر بن محمد عليه السلام عليه وفيهم رجل مكفوف البصر، فقال له بعضهم : يا بن رسول الله ان هذا الرجل يحبكم ويتوالاكم، فالتفت اليه شبيها بالمغضب، فقال : ان خير الحب ما كان لله ولرسوله، ولا خير في حب سوى ذلك، وحرك يده مرتين، وقال : ان الانصار جاؤا الى رسول الله صلع فقالوا : يا رسول الله انا كنا ضلالا فهدانا الله بك، وعيلة فاغنانا الله بك، فاسألنا من اموالنا ما شئت فهو لك، فانزل الله عز وجل : قل لا اسألكم عليه اجرا الا المودة في القربى، ثم رفع ابو عبد الله يده الى السماء وبكى حتى اخضلت لحيته، وقال : الحمد لله الذي فضلنا.

وعنه عليه السلام انه سئل عن قول الله عز وجل : قل لا اسألكم عليه اجرا الا المودة في القربى، فقال : ان الانصار اجتمعوا الى رسول الله صلع فقال : يا رسول الله انك اتيتنا ونحن ضالون فهدانا الله بك، وفقراء فاغنانا الله بك، وهذه اموالنا، فخذ منها ما شئت، فانزل الله عز وجل : قل لا اسألكم عليه اجرا الا المودة في القربى

وقال الامام الصادق عليه السلام : الا اخبركم بالحسنة التي من جاء بها امن من فزع يوم القيامة، والسيئة التي من جاء بها كبه الله لوجهه في النار ؟ قالوا : بلى يابن رسول الله، قال : الحسنة حبنا والسيئة بغضنا

وقال ع م : انا واتباعنا ليكون منا الرجل في بيته يقرأ القرآن فيزهر لاهل السماء كما يزهر الكوكب الدري لاهل الارض.

وذكر له رجل وقيل يابن رسول الله كان والله حسن الرأي فيكم محبا لكم، فقال ابو عبد الله عليه السلام : لا يحبنا عبد الا كان معنا يوم القيامة فاستظل بظلنا ورافقنا من منازلنا، والله لا يحبنا عبد الا طهر الله قلبه، ولا يطهر قلبه حتى يسلم لنا، واذا سلّم لنا سلّمه الله من سوء الحساب يوم القيامة، وامن من الفزع الاكبر، انما يغبط اهل هذا الامر اذا انتهت نفس احدهم الى ههنا، واومى بيده الى حلقه.

وقال عليه السلام لبعض شيعته : عرفتمونا وانكرنا الناس، واحببتمونا وابغضنا الناس، وواصلتمونا وقطعنا الناس، فرزقكم الله مرافقة جدنا النبي محمد صلع وسقاكم من حوضه.

وقال عليه السلام : ما يضر من كان على محبتنا وولايتنا ان لا يكون له ما يستظل به الا الشجر، ولا يأكل الا من اوراقها، اخذ الناس يمينا وشمالا ولزمتمونا، فقال بعض من حضره : جعلت فداك انا لنرجو ان لا يسوينا الله وهؤلاء، يعني العامة، فقال : لا والله ولا كرامة لهم.

وقال يوما لبعض اصحابه : انتم اولوا الالباب الذين ذكر الله عز وجل في كتابه، فقال : انما يتذكر اولوا الالباب، فابشروا فانكم على احدى الحسنيين من الله، اما ان يبقيكم الله حتى تروا ما تمدون اليه من رقابكم فيشفي الله عز وجل صدوركم ويذهب غيظ قلوبكم، وهو قوله عز وجل : ويشف صدور قوم مؤمنين، ويذهب غيظ قلوبهم، وان مضيتم قبل ان تروا ذلك مضيتم على دين الله الذي رضي لنبيه ص وبعثتم على ذلك، فوالله ما يقبل الله من العباد يوم القيامة الا ما انتم عليه، وما بين احدكم وبين ان يرى ما تقر به عينه الا ان تبلغ نفسه الى هذه، ثم اهوى بيده الى الحلق، ثم بكى

وجلس ال جماعة من شيعته فقال : اخبروني اي هذه الفرق اسوء حالا عند الناس ؟ فقال بعضهم: جعلت فداك ما اعلم احد اسوأ حالا عندهم منا، وكان متكئا فاستوى جالسا ثم قال : والله ما في النار منكم اثنان، لا والله ولا واحد، وما نزلت هذه الآية الا فيكم : وقالوا ما لنا لا نرى رجالا كنا نعدهم من الاشرار اتخذناهم سخريا ام زاغت عنهم الابصار، ثم قال : اتدرون لم ساءت حالكم عندهم ؟ قالوا : لا يابن رسول الله، قال : لانهم اطاعوا ابليس وعصيتموه فاغراهم بكم.

وقال ع م لبعض شيعته : احببتمونا وابغضنا الناس، وواليتمونا وعادانا الناس، وصدقتمونا وقطعنا الناس، فجعل الله محياكم محيانا، ومماتكم مماتنا.

اما والله ما بين الرجل منكم وبين ان ترى ما تقر به عينه الا ان تبلغ نفسه هذا المكان، واومى بيده الى حلقه، اما ترضون ان تصلوا ويصلون، فيقبل منكم ولا يقبل منهم، وتحجوا ويحجون ويقبل منكم ولا يقبل منهم، والله ما تقبل الصلوة ولا الزكوة ولا الصوم ولا الحج واعمال البر كلها الا منكم. ان الناس اخذوا ههنا وههنا، واخذتم حيث اخذ نبي الله واولياء الله، وان الله اختار من عبده محمدا وآله صلع فاخترتم ما اختار الله، فاتقوا الله وادوا الامانة الى الابيض والاسود وان كان حروريا، وان كان شاميا، وان كان امويا.

وحدث شيعته يوما فقال : انا آخذون يوم القيامة بحجز نبينا وانكم آخذون بحجزنا، فالى اين تراكم تريدون ؟ فقال بعضهم : الى الجنة ان شاء الله تعالى، فقال : نعم الى الجنة والله ان شاء الله تعالى .

وقال عليه السلام لابي بصير وقد دخل عليه وقد كبرت سنه وذهبت بصره، حفزه النفس، فقال له : ما هذا النفس يا ابا بصير، فقال : جعلت فداك، كبرت سني وذهب بصري وقرب اجلي مع اني لست ادري ما ارد عليه في آخرتي، فقال : وانك لتقول هذا يا ابا محمد ؟ اما علمت ان الله يكرم الشاب منكم ان يعذبه، ويستحي من الكهول ان يحاسبهم، ويجل الشيخ، قال : هذا لنا يا بن رسول الله ؟ قال : نعم، واكثر منه، قال : زدني يا بن رسول الله، جعلني الله فداك، قال : اما سمعت قول الله عز وجل : رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر، قال : نعم، قال ابو عبد الله ع م : والله ما عنى غيركم، انكم وفيتم لله بما اخذ عليكم من عهده ولم تستبدلوا بنا غيرنا، هل سررتك يا ابا محمد ؟ قال : نعم، جعلت فداك، فزدني، قال : رفض الناس الخير ورفضتم الشر، وتفرقوا على فرق وتشعبوا على شعب وتشيعتم مع اهل بيت نبيكم، فابشروا ثم ابشروا، فانتم والله المرحومون المتقبل من محسنكم، المتجاوز عن مسيئكم، من لم يكن على ما انتم عليه لم يقبل الله له صرفا ولا عدلا، ولم يتقبل منه حسنة ولم يتجاوز له عن سيئة يا ابا محمد، هل سررتك ؟ قال : بلى، فزدني، جعلت فداك، قال : ان الله وكل ملئكة من ملئكته يسقطون الذنوب عن شيعتنا كما يسقط الورق من الشجر اوان سقوطه، وذلك قوله : الذين يحملون العرش ومن حوله يسبحون بحمد ربهم ويؤمنون به ويستغفرون للذين آمنوا، ربنا وسعت كل شيء رحمة وعلما فاغفر للذين تابوا واتبعوا سبيلك، فاستغفار الملائكة والله لكم دون هذا الخلق كلهم، هل سررتك يا ابا محمد ؟ قال : نعم، فزدني، جعلت فداك، قال ع م ذكركم الله في كتابه فقال : رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلا، فانتم هم، وفيتم بما عاهدتمونا عليه، وذكركم في موضع آخر، فقال : وقالوا ما لنا لا نرى رجالا كنا نعدهم من الاشرار، اتخذناهم سخريا ام زاغت عنهم الابصار، فانتم والله في الجنة تحبرون، وفي النار تلتمسون وتطلبون، هل سررتك يا ابا محمد ؟ قال : نعم، جعلت فداك، فزدني . قال : ذكركم الله في كتابه فقال : يوم لا يغني مولى عن مولى شيئا ولا هم ينصرون، الا من رحم الله، والله ما استثنى احدا غير علي عليه السلام واهل بيته وشيعته، ولقد ذكركم الله في موضع آخر في كتابه فقال : فاولئك مع الذين انعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين فرسول الله صلع ي هذا الموضع من النبيين، ونحن الصديقون والشهداء، وانتم الصالحون، هل سررتك يا ابا محمد ؟ قال : نعم، فزدني، جعلت فداك، قال : ذكركم الله في كتابه فقال : قل يا عبادي الذين اسرفوا على انفسهم لا تقنطوا من رحمة الله، والله ما عنى الله غيركم، هل سررتك يا ابا محمد ؟ قال : نعم، فزدني جلعت فداك، قال : ذكركم الله في كتابه فقال : انما يتذكر اولوا الالباب، فانتم والله اولوا الالباب، هل سررتك يا ابا محمد ؟ قال : نعم فزدني، جلعت فداك،

قال : قال الله عز وجل : ان عبادي ليس لك عليهم سلطان، انتم عباده الذين عنى، هل سررتك يا ابا محمد ؟ قال : نعم، فزدني، جعلت فداك، قال : كل آية في كتاب الله تشوق الى الجنة وتذكر الخير فهي فينا وفي شيعتنا، وكل آية تحذر النار وتذكر اهلها فهي في عدونا، ومن خالفنا،

ثم سمع الناس يحجون وهو يومئذ بالابطح فقال : ما اكثر الحجيج واقل العجيج، والله ما تقبل الله الا منك ومن اصحابك، ثم قام فانصرف الى منزله

واوصى شيعته فكان فيما قال لهم : اطلبوا العلم وتزينوا معه بالحلم والوقار، وتواضعوا لمن تعلمونه العلم ولا تكونوا علماء جبابرة، فيذهب باطلكم بحقكم.

وقال عليه السلام : لو اتيت بشاب من الشيعة لم يتفقه لاحسنت ادبه

قال عليه السلام : لا يزال المؤمن يورث اهل بيته ا لعلم والادب الصالح حتى يدخلهم الجنة جميعا حتى لا يفقد منهم صغيرا ولا كبيرا، ولا خادما ولا جارا

وقال عليه السلام : لما نزلت يا ايها الذين آمنوا قوا انفسكم واهليكم نارا، قال الناس يا رسول الله كيف نقي انفسنا واهلينا نارا ؟ قال : اعملوا الخير وذكروا به اهليكم، وادبوهم على طاعة الله، ثم قال ابو عبد الله : الا ترى ان الله يقول لنبيه : وأمر اهلك بالصلوة واصطبر عليها، وقال تعالى : واذكر في الكتاب اسماعيل انه كان صادق الوعد وكان رسولا نبيا، وكان يأمر اهله بالصلوة والزكوة وكان عند ربه مرضيا، وقال الامام الصادق عليه السلام : ان لقمان الحكيم قال لابنه : يا بني لا تتعلم العلم لتباهي به العلماء او تماري به السفهاء، او تزان به في المجالس، ولا تترك العلم زهادة فيه، ورغبة في الجهل، يا بني اختر المجالس على عينيك فان رأيت قوما يذكرون الله فاجلس اليهم فانك ان تك عالما ينفعك علمك ويزيدوك علما الى علمك، وان تكن جاهلا يعلموك. ولعل الله يطلعهم برحمة فتعمك معهم، يا بني اذا رأيت قوما لا يذكرون الله فلا تجلس اليهم، فانك ان تك عالما لم ينفعك علمك، وان تك جاهلا يزدك جهلا الى جهلك، ولعل الله ان يطلعهم بعقوبة فتعمك معهم .

وروي عن حمزة بن حمران والحسن بن زياد قالا : صلينا في مسجد رسول الله صلع ثم توجهنا الى ابي عبد الله جعفر بن محمد عليه السلام فدخلنا عليه في داره، فاذن واقام الصلوة وتقدم فصلى، وتنحينا ناحية، وكلما ركع قلنا نحسب تسبيحه فعده احدنا ثلاثا وثلاثين تسبيحة، وعد الآخر اربعا وثلاثين.

وعن صالح ابن الاسود قال : سمعت الامام جعفر بن محمد عليه السلام يقول : سلوني قبل ان تفقدوني فانه لا يحدثكم احد بعدي مثلي حتى يقوم صاحبكم يعني المهدي. وكذلك كان الامر واستتر الائمة عليهم السلام حتى قام المهدي بالله امير المؤمنين فاظهر احكام الدين واوضح البراهين

ودخل يوما سفيان الثوري فسمع من كلامه ما اعجبه فقال له : هذا والله يابن رسول الله الجوهر، فقال له الامام جعفر بن محمد ع م : بل هذا خير من الجوهر وهل الجوهرالا الحجر.

وقيل ان الامام جعفر بن محمد ع م حج فاتى جمرة العقبة فوجد الناس وقوفا عندها فقال عليه السلام : انا لله استبدعوا بدعة، ودعى غلاما له يقال له سعيد، فقال له : ناد عني الناس ان ليس هذا موضع وقوف، فنادى سعيد : ايها الناس يقول لكم مولاي جعفر بن محمد انفضوا فليس هذا موضع وقوف فانفض الناس.

وابان الامام جعفر بن محمد ع م الاحكام وبين شرائع الاسلام وعرّف الحلال من الحرام في اوان تغلب الظلمة على الناس، وقوة دولة بني امية وبني العباس، لم يثنه خوف سلطانهم، ولا كثرة جنودهم واعوانهم عن اقامة الحق، وبيان الصدق، حتى عرف صدقه وسمي الصادق، يدعوه بذلك عدوه ووليه اقرارا له بفضله وشهادة له بالصدق الذي هو من اهله .

وعرفت الشيعة فضل الامام جعفر بن محمد ع م وادنت بامامته، ورجع كثير منهم ممن كان ضل عن قصده وظن الامامة في غيره، وفاء اليه كثير ممن يقول بامامة محمد بن الحنفية من جماعة الكيسانية حين اقام عليهم الحجج واوضح لهم المنهج، وكان ممن رجع اليه، وقال بامامته السيد الحميري فقال في ذلك:

تجعفرت باسم الله والله اكبر \* وايقنت ان الله يعفو ويغفر

في شعر طويل

وقال يعتذر الى الامام جعفر بن محمد ع م مما كان عليه:

ايا راكبا نحو المدينة جسرة \* همرجلة يطوي بها كل سبسب

اذا ما هداك الله عاينت جعفرا \* فقل لولي الله وابن المهذب

الا يا ولي الله وابن وليه \* اتوب الى الرحمن ثم تأوبي

اليك من الذنب الذي كنت مطنبا \* اجاهد فيه دائبا كل معتب

وما كان قولي في ابن خولة مطنبا \* معاندة مني لنسل المطيب

ولكن روينا عن وصي محمد \* ولم يك فيما قال بالمكذب

بان ولي الامر يفقد لا يرى \* سنينا كفعل الخائف المترقب

وتقسم اموال الفقيد كأنما \* بقيته بين الصفيح المنصب

فان قلت لا فالحق قولك والذي \* تقول فحتم غير ما متعصب

فان ولي الله والقائم الذي \* تطلع تفسي نحوه وتطربي

له غيبة لا بد ان سيغيبها \* فصلى عليه الله من متغيب

ودخل ابو حنيفة النعمان بن ثابت مفتي اهل العراق يوما على الامام الصادق ابي عبد الله عليه السلام ليسمع منه، وخرج ابو عبد الله يتوكأ على عصى فقال له ابو حنيفة : ما بلغ لك من السن ما تحتاج معه الى العصى، قال : هو كذلك ولكنها عصى رسول الله صلع اردت التبرك بها، فوثب ابو حنيفة اليه وقال اقبلها يا بن رسول الله ؟ فحسر ابو عبد الله عليه السلام عن ذراعه وقال له : والله لقد علمت ان هذا من بشر رسول الله وهذا من شعره فما قبلته وتقبل عصاه، فاهوى ابو حنيفة الى يده ليقبلها فاجتذبها منه واسبل عليها كمه ودخل بيته .

وقال الامام الصادق عليه السلام لابي حنيفة وقد دخل عليه :يا نعمان ما الذي تعتمد عليه فيمالم تجد فيه نصا في كتاب الله ولا خبرا عن رسول الله صلع صلع ؟ قال : اقيسه على ما وجدت من ذلك، قال له : ان اول من قاس ابليس فاخطأ اذ امره الله بالسجود لآدم فقال : انا خير منه، خلقتني من نار وخلقته من طين، فرأى ان النار اشرف عنصرا من الطين فخلده ذلك في العذاب المهين.

اي نعمان، ايهما اطهر المني ام البول ؟ قال : المني، قال فقد جعل الله تعالى في البول الوضوء وفي المني الغسل، ولو كان يحتمل القياس لكان الغسل في البول، وايهما اعظم عند الله الزنا ام قتل النفس ؟ قال : قتل النفس، قال فقد جعل الله تعالى في قتل النفس شاهدين، وفي الزنا اربعة، ولو كان على القياس لكان الاربعة الشهداء في القتل لانه اعظم، وايهما اعظم عند الله الصلوة ام الصوم ؟ قال : الصلوة، قال لقد امر رسول الله صلع الحائض ان تقضي الصوم ولا تقضي الصلوة، ولو كان على القياس لكان الواجب ان تقضي الصلوة، فاتق الله يا نعمان ولا تقس، فانا نقف غدا نحن وانت ومن خالفنا بين يدي الله، فيسألنا عن قولنا ويسألكم فنقول قلنا ما قال الله تعالى وقال رسول الله صلع، وتقول انت واصحابك رأينا وقسنا فيفعل الله بنا وبكم ما يشاء .

وروي ان الامام ابا عبد الله جعفر بن محمد عليه السلام قال يوما لابن ابي ليلى : اتقضي بين الناس يا عبد الرحمن، قال: نعم يا بن رسول الله . قال : تنزع مالا من يدي هذا فتعطيه هذا، وتنزع امرأة من يدي هذا فتعطيها هذا، وتحدّ هذا وتحبس هذا، قال نعم، قال : بما ذا تفعل ذلك كله ؟ قال : بكتاب الله وسنة نبيه، قال : كل شيء تفعله تجده في كتاب الله، قال : لا، قال فما لم تجده في كتاب الله فمن اين تأخذه ؟ قال : عن رسول الله صلع، قال : وكل شيء تفعله تجده في كتاب الله وفي سنة رسول الله صلع؟ قال : ما لم اجده في كتاب الله ولا عن رسوله اخذته من اصحاب رسول الله صلع، قال : عن ايهم تأخذ ؟ قال : عن ابي بكر وعمر وعثمان وعلي وطلحة والزبير وعد اصحاب رسول الله صلع، قال : فكل شيء تأخذه عنهم تجدهم قد اجتمعوا عليه ؟ قال: لا، قال فاذا اختلفوا فبقول من تأخذ منهم ؟ قال : بقول من رأيت ان آخذ منهم اخذت، قال : ولا تبالي ان تخالف الباقين ؟، قال لا، قال : فهل خالفت عليا فيما بلغك ان قضى به ؟ قال : ربما خالفت الى غيره، فسكت ابو عبد الله عليه السلام ساعة ينكت في الارض ثم رفع رأسه اليه فقال له : يا عبد الرحمن، فما تقول يوم القيامة ان اخذ رسول الله صلع بيدك واوقفك بين يدي الله فقال : اي رب ان هذا بلغه عني قوله فخالفه، قال : فاين خالفته يابن رسول الله ؟ قال : اما بلغك قوله لاصحابه اقضاكم علي ؟ قال : نعم، قال :فاذا خالفت قوله الم تخالف رسول الله صلع، فاصفرّ وجه ابن ابي ليلى حتى عاد كالاترجة ولم يحر جوابا .

وسأل رجل اعرابي ربيعة بن ابي عبد الرحمن عن مسألة فاجابه، فقال الاعرابي :ان فعلت هذا فهو في عنقك ؟ فسكت فردها عليه وهو ساكت، والامام الصادق ابو عبد الله عليه السلام يسمعه فقال : يا اعرابي هو في عنقه قال ذلك او لم يقله .

وقال ع م : من افتى بغير علم لعنته ملائكة السماء وملائكة الارض، وملائكة الرحمة، وملائكة العذاب، ولحقه وزر من عمل بفتياه.

وروي عن ابي اذينة وكان من اصحاب ابي عبد الله ع م انه قال : دخلت يوما على ابي ليلى عبد الرحمن وهو قاضي بالكوفة فقلت : اردت ان اسألك اصلحك الله عن مسائل، وكنت حديث السن، فقال : سل يا بن اخي عما شئت، فقلت : اخبرني عنكم معشر القضاة، ترد عليكم القضية في المال والفرج والدم فتقضي انت فيها برأيك، ثم ترد تلك القضية بعينها على قاضي مكة فيقضي فيها بخلاف قضيتك، وترد على قاضي البصرة وقاضي اليمن قاضي المدينة فيقضون بخلاف ذلك، ثم تجتمعون عند خليفتكم الذي استقضاكم فتخبروه باختلاف قضاياكم، فيصوّب رأي كل واحد منكم والهكم واحد ونيبكم واحد ودينكم واحد، افأمركم الله تعالى بالاختلاف فاطعتموه، ام نهاكم عنه فعصيتموه، ام كنتم شركاء الله في حكمه، فلكم ان تقولوا وعليه ان يرضى، ام انزل الله دينا ناقصا فاستعان بكم في اتمامه، ام انزله الله تاما فقصر رسول الله صلع عن ادائه، ام ما ذا تقولون؟

فقال من اين انت يا فتى ؟ قلت : من اهل البصرة ؟ قال : من ايها ؟ قلت : من عبد القيس، قال: من ايهم ؟ قلت : من بني اذينة، قال : ما قرابتك من عبد الرحمن بن اذينة ؟ قلت : هو جدي، فرحب بي وقرّبني، وقال : اي فتى لقد سألت فغلظت، وانهمكت فتعوصت، وسأخبرك ان شاء الله تعالى.اما قولك في اختلاف القضايا فانه ما ورد علينا في القضايا مما له في كتاب الله اصل او سنة نبيه فليس لنا ان نعدو الكتاب والسنة، واما ما ورد علينا مما ليس في كتاب الله ولا في سنة نبيه فانا نأخذ فيه برأينا، قلت : ما صنعت شيئا لان الله تعالى يقول : ما فرطنا في الكتاب من شيء، وقال : فيه تبيان لكل شيء، أرأيت لو ان رجلا عمل بما امره الله عز وجل، وانتهى عما نهى الله عنه، ابقي لله شيء يعذبه عليه ان لم يفعله او يثيبه عليه ان فعله ؟ قال : وكيف يثيبه على ما لم يأمره به او يعاقبه على ما لم ينهه عنه ؟ قلت فكيف يرد عليك من الاحكام ما ليس له في كتاب الله اثر، ولا في سنة نبيه خبر ؟ قال : اخبرك يابن اخي : حدثنا بعض اصحابنا يرفع الحديث الى عمر بن الخطاب انه قضى قضية بين رجلين فقال له ادنى القوم مجلسا : اصبت يا امير المؤمنين، فعلاه الدرة، وقال : ثكلتك امك والله ما يدري عمر اصاب ام اخطأ، انما هو رأي اجتهدت فيه فلا تزكونا في وجوهنا، قلت :افلا احدثك حديثا ؟ قال : وما هو ؟ قال :اخبرني ابي عن ابي القاسم العبدي عن ابان عن علي ابن ابي طالب عليه السلام قال : القضاة ثلاثة : هالكان وناج، فاما الهالكان فجائر جار متعمدا، ومجتهد اخطأ، والناجي من عمل بما امر الله به، فهذا نقيض حديثك يا عم.

قال اجل يابن اخي، فتقول انت كل شيء في كتاب الله ؟ قلت : الله قال ذلك، وما من حلال وما من حرام ولا امر ولا نهي الا وهو في كتاب الله، عرف ذلك من عرفه وجهله من جهله . ولقد اخبرنا الله عز وجل فيه بما لا نحتاج اليه فكيف بما نحتاج اليه ؟ قال : كيف ؟ قلت : قوله فاصبح يقلب كفيه على ما انفق منها وهي خاوية، قال : فعند من يوجد علم ذلك ؟ قلت : عند من عرفت، قال : وددت لو اني عرفته فاغسل قدميه واخدمه واتعلم منه، قلت : اناشدك الله هل تعلم رجلا كان اذا سأل رسول الله صلع اعطاه واذا سكت عنه ابتدأه ؟ قال : نعم ذلك علي ابن ابي طالب ع م، قلت : هل علمت ان عليا سأل احدا بعد رسول الله صلع عن حلال او حرام ؟ قال : لا، قلت : فهل علمت انهم كانوا يحتاجون اليه ويأخذون عنه؟ قال : نعم، قلت فذلك عنده، قال : قد مضى فاين لنا به، قلت : تسأل في ولده فان ذلك العلم عندهم، قال : وكيف لي بهم ؟ قلت : ارأيت قوما كانوا بمفازة من الارض ومعهم ادلاء فوثبوا عليهم فقتلوا بعضهم واخافوا بعضهم،فهرب واستتر من بقي لخوفهم، فلم يجدوا من يدلهم فتاهوا في تلك المفازة حتى هلكوا، ما تقول فيهم ؟ قال : الى النار، واصفر وجه ابن ابي ليلى، وكانفي يده سفرجلة فضرب بها الارض فتهشمت، وقال : انا لله وانا اليه راجعون.

وعن بعض رجال ابي عبد الله انه وقف على حلقة ابي حنيفة وهو يفتي، فقال : يا ابا حنيفة ما تقول في رجل طلق امرأته ثلاثا في مجلس واحد على غير طهر، او هي حائض ؟ قال : قد بانت منه امرأته، قال السائل : الم يأمر الله تعالى بالطلاق للعدة، ونهى ان يتعدى حدود الله فيه، وسن ذلك رسول الله صلع واكده وبالغ فيه ؟ قال : نعم، ولكنا نقول هذا عصى ربه وخالف نبيه وبانت منه امرأته. قال الرجل : فلو ان رجلا وكّل وكيلا على طلاق امرأتين له وامره ان يطلق احدهما للعدة، والاخرى للبدعة، فخالفه وطلق التي امره ان يطلقها للبدعة للعدة، والتي امره ان يطلقها للعدة للبدعة ؟ قال : لا يجوز طلاقه، قال السائل : لم ؟ قال لانه خالف ما وكله عليه، قال السائل: فيخالف من وكله فلا يجوز طلاقه ويخالف الله تعالى ورسوله صلع فيجوز طلاقه ؟ فاقبل ابو حنيفة على اصحابه فقال : مسألة رافضي، ولم يحر جوابا .

ولواتينا بمثل هذا استقصاء لطال شرحه، وانما كان الامام ابو عبد الله عليه السلام واصحابه ينكرون على ابي حنيفة واصحابه من العراق لقربهم من التشيع، ولانهم اخذوا عن اصحاب علي ع م لما كانوا في العراق فكانوا يرجون رجوعهم الى الحق.

فاما مالك واصحابه فكان لهم قرب من السلطان فلم يكونوا يعارضونهم لبعدهم من اهل البيت ع م وهواهم فيمن خالفهم وباينهم، وكان مالك قد سمع من ابي عبد الله جعفر بن محمد ع م فاسمعه ولم يكسر عليه اعراضا عنه، نعوذ بالله من اعراض اوليائه ومباينتهم والبعد عنهم .

وكان مالك بن انس وابو حنيفة النعمان بن ثابت ومحمد بن ادريس الشافعي قد عاصروا الامام جعفر بن محمد ع وهم رؤساء المخالفين للشيعة الذين يقولون بقولهم، ويرجعون اليهم في اصولهم، ويفيئون الى مذهبهم، ويستمسكون في دينهم بهم، وكانوا في آخر مدة بني امية وابتداء دولة بني العباس. وقد تركوا الاعتراض عليهم فيما هم فيه من الفجور وشرب الخمور، طلبا للدنيا وحبا لرئاستها، فلذلك قربهم المتغلبون على ما انتحلوه من الدين فمالت اليهم العامة .

وقد قيل ان محمد بن ادريس الشافعي كان يتشيع ويتوالى اهل البيت وانه يسند اليهم في فتواه، ويقول مقالتين : احداهما توافق العلم، والاخرى توافق قول العامة، تقية منه . وقيل بل كان غير موال لاهل البيت عليهم السلام ولا من ذوي مودتهم بل كان مخالفا لهم مكثرا للطعن على امير المؤمنين علي ابن ابيطالب ع م فيما كان من من حرب الناكثين والقاسطين والمارقين، والله اعلم اي ذلك كان عليه واي رأي كان يميل اليه، والمرء يحشر مع من احب، وقد نسب اليه من يقول انه من اهل التشيع الابيات التي هي :

يا راكبا بالمحصب من منى \* واهتف بقاطن خيفها والناهض

سحرا اذا فاض الحجيج الى منى \* فيضا كملتطم الفرات الفائض

اخبرهم ان ا لتشيع مذهبي \* حقا ولست بما اقول بناقض

ان كان رفضا حب آل محمد \* فليشهد الثقلان اني رافضي

وقد روي ان محمد بن ادريس الشافعي انه ينهى عن تقليد ابي حنيفة، وتقليد امثاله، وكان الشافعي احد من روى عن مالك بن انس،ثم انه اعترض عليه وقال : ما كان يحل لمالك ان يفتي .

والشافعي ومن يقول بقوله ينكرون التقليد ويقولون انا لا نقلد احدا ولكنا نأخذ من قول كل قول مما يثبت وندع من قوله ما فسد، فلم يخرجوا بذلك من التقليد ورجعوا الى تقليد انفسهم، واعتمدوا على اهوائهم فاخذوا ما وافق هواهم وتركوا غير ذلك مما يقوله سواهم، وقد كان انبياء الله صلوات الله عليهم على ما اوتوه من القرب من الله تعالى، والفضل الذي خصوا به لا يحكمون بآرائهم ولا يرجعون الى اهوائهم . وقد قال الله تعالى في رسوله محمد صلع : ومن ينطق عن الهوى ان هو الا وحي يوحى، وقال لداود ع م : ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله، وقال تعالى : ارأيت من اتخذ الهه هواه، وانما امرالله رسوله صلع باتباع ما يوحىاليه، قال الله تعالى في محكم كتابه على لسان رسوله صلع :انما اتبع ما يوحى الي، وقال رسول الله صلع : اتبعوا ولا تبتدعوا، فكل بدعة ضلالة فوقعوا في الضلالة، وتمادوا في الجهالة، واعتمدوا على البدع في دينهم واذانهم وصلواتهم وفي طلاقهم وسائر امورهم، ولم يكن احد ممن ذكرناه من رؤساء اهل الفتيا القائلين بالاهواء وهو يقول القول ثم يرجع عنه الى غيره حتى مات، وفي ذلك دليل انه لو انسي في اجله لرجع عن كثير مما افتى به، لا بل كله .

ويروى ان رجلا من اهل خراسان حج فلقي ابا حنيفة فكتب عنه مسائل، ثم عاد من العام المقبل فعرضها عليه ثانية فرجع عنه كلها، فحشا الخراساني التراب على رأسه وصاح، فاجتمع الناس اليه فقال: يا معشر الناس هذا رجل افتاني في العام الماضي بما في هذا الكتاب فانصرفت الى بلدي فحللت به الفروج، وارقت به الدماء، واخذت واعطيت به الاموال، ثم جئته الآن فرجع عنه كله . قال ابو حنيفة :انما كان ذلك رأي رأيته، ورأيت الآن خلافه، قال الخراساني : ولعلي لو اخذت عنك العام ما رجعت اليه لرجعت لي عنه من قابل، قال : لا ادري، قال الخراساني : لكني ادري ان عليك لعنة الله والملائكة والناس اجمعين.

وروي عن ابي حنيفة صاحباه ابو يوسف القاضي يعقوب بن ابراهيم والحسن ين زياد اللؤلؤي وهما من اجل من اخذ عنه، قالا : قال ابو حنيفة : علمنا هذا رأي، وهو احسن ما قدرنا عليه، فمن جاءنا باحسن منه قبلناه عنه .

وروى عن مالك بن انس صاحبه اشهب بن عبد العزيز قال : كنت عند مالك بن انس، فسأل عن البتة فقال : ثلاثا، فاخذت الواحي لاكتب عنه، فقال : ما تصنع ؟ قلت : اكتب ما قلت، قال : لا تفعل فعسى اني اقول بالعشي انها واحدة

وكثير لو تقصيناه واسبغنا الحجة فيه لطال القول، واتسع وبعد غوره وشسع، وفيما ذكرناه كفاية من اتباع اهوائهم، ورجوعهم الى آرائهم وبدعتهم التي نهى رسول الله صلع عنها، وكفى بخلافهم لاهل بيت رسول الله صلع الذين قال فيهم في حجة الوداع :اني مخلف فيكم ما ان تمسكتم به لن تضلوا كتاب الله وعترتي اهل بيتي . نعوذ بالله من الضلال، واتباع سبيل المائلين عن الكتاب والعترة من الجهال.

وكان من الغلاة اللعناء في زمان الامام الصادق ع م ابو منصور العجلي، وكان عزى نفسه الى الامام الباقر ابي جعفر محمد بن علي بن الحسين ع م، فلما ظهرت مقالته وسوء اعتقاده وتبرأ منه الامام الباقر ع م واظهر لعنه زعم انه الامام ودعى الى نفسه. ثم لما توفي الامام الباقر ع م زعم العجلي ان الامامة انتقلت اليه وتظاهر بذلك، وادعى انه عرج به الى السماء، وانه رأى الله سبحانه وتعالى عما يقول الظالمون، لا تدركه الابصار وهو يدرك الابصار، وهو اللطيف الخبير، جل ان تدركه العيون او تحيط به الظنون. زعم العجلي بكذبه وافترائه ان الباري تعالى كبرياؤه مسح بيده على رأسه وقال : يا بني انزل فبلغ عني، ثم اهبطه الى الارض، وقال : انه الكسف الساقط من السماء، وتبرأ منه الامام الباقر والصادق عليهما السلام وممن دان بدينه وقضى على اثره، واخذه يوسف بن عامر عامل الكوفة في ايام هشام بن عبد الملك فصلبه .

ثم كان الخطاب محمد بن ابي زينب الاجدع الاسدي في عصر الامام ابي عبد الله الصادق ع م من اجلّ دعاته، فاستغواه الشيطان واضله عن سبيل الايمان، واصابه ما اصاب المغيرة بن سعيد لعنهما الله فكفر وادعى النبوة، وزعم ان الصادق جعفر بن محمد ع م اله تعالى الله عن قوله وبهتانه، واستحل المحارم كلها ورخص فيها، وكان اصحابه كلما ثقل عليهم اداء فريضة اتوه فقالوا : يا ابا الخطاب خفّف علينا فيأمرهم بتركها حتى تركوا جميع الفرائض، واستحلوا جميع المحارم، واباح لهم ان يشهد بعضهم لبعض بالزور. وقال : من عرف الامام فقد حل له كل شيء حرم عليه، فبلغ امره الامام جعفر بن محمد ع م فلم يقدر عليه باكثر ان لعنه وتبرأ منه ن وجمع اصحابه فعرفهم ذلك، وكتب الى شيعته في البلدان بالبراءة منه واللعنة عليه، وكان ذلك اكثر ما امكنه فيه وعظم عليه امره واستهاله واستفظعه

قال المفضل بن عمرو رحمة الله عليه : دخلت يوما على الامام الصادق جفعر بن محمد عليه السلام فرأيته مقارنا منقبضا مستعبرا فقلت له : ما لك جعلت فداك؟ فقال : سبحان الله وتعالى عما يقول الظالمون علوا كبيرا، اي مفضل زعم هذا الكافر الكذاب اني انا الله، فسبحان الله، ولا اله الا هو ربي، ورب آبائي، هو الذي خلقنا واعطانا، وخوّلنا فنحن اعلام الهدى، والحجة العظمى، اخرج الى هؤلاء، يعني اصحاب ابي الخطاب ن فقل لهم انا مخلوقون وعباد مربوبون، ولكن لنا من ربنا منزلة لم ينزلها احد غيرنا، ولا تصلح الا لنا، ونحن نور من نور الله، وشيعتنا منا، وسائر الخلق في النار، نحن جيران الله غدا في داره، فمن قبل منا واطاعنا فهو في الجنة، ومن اطاع الكافر الكذاب فهو في النار.

وذكر رجل من اصحاب الامام ابي عبد الله له عن بعض من مرق من شيعته واستحل المحارم انهم يقولون انما الدين المعرفة، فاذا عرفت الامام فاعمل ما شئت، فقال ابو عبد الله ع م : انا لله وانا اليه راجعون، تأول الكفرة ما لا يعلمون، وانما قيل اعرف واعمل ما شئت من الطاعة فانها مقبولة منك، لانه لا يقبل الله عملا بغير معرفة . ولو ان رجلا عمل اعمال البر كلها، وصاد دهره وقام ليله وانفق ماله في سبيل الله، وعمل بجميع طاعات الله تعالى عمره كله ولم يعرف نبيه الذي جاء بتلك الفرائض فيؤمن به ويصدقه، وامام عصره الذي افترض عز وجل طاعته فيطيعه، لم ينفعه الله بشيء من عمله، قال الله عز و جل في ذلك : وقدمنا الى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا .

وكتب الى الامام الصادق جعفر بن محمد ع م : بعض اوليائه من الدعاة بحال قوم قبله ممن انتحل الدعوة انهم تعدوا الحدود واستحلوا المحارم، وطرحوا الظاهر فكتب الامام ع م بعد ان وصف حال القوم: وذكرت انه بلغك انهم يزعمون ان الصلوة والزكوة وصوم شهر رمضان والحج والعمرة والمسجد الحرام والمشاعر والشهر الحرام انما هو رجل والاغتسال من الجنابة رجل وكل فريضة فرضها الله تعالى على عباده فهي رجل، وانهم زعموا ان من عرف ذلك الرجل فقد اكتفى بعلمه ذلك من غير عمل، وقد صلى وادى الزكوة وصام وحج البيت واعتمر واغتسل من الجنابة وطهر وعلم حرمات الله والشهر الحرام والمسجد الحرام . وانهم زعموا ان من عرف ذلك الرجل وثبت في قلبه جاز له ان يتهاون وليس عليه ان يجهد نفسه، وان من عرف ذلك الرجل فقد قبلت منه هذه الحدود لوقتها وان هو لم يعملها، وانه بلغك انهم يزعمون ان الفواحش التي نهى الله تعالى عنها من الخمر والميسر والزنى والربا والميتة والدم ولحم الخنزير اشخاص، وذكروا ان الله عز وجل ان ما حرم من نكاح الامهات والبنات والاخوات والخالات وما حرم على المؤمنين من النساء انما عنى بذلك نساء النبي، وما سوى ذلك مباح، وبلغك انهم يترادفون نكاح المرأة الواحدة ويتشاهدون بعضه لبعض بالزور، ويزعمون ان لهذا ظاهرا وباطنا يعرفونه، وان الباطن هو الذي يطالبون به وبه امروا، وكتبت تسألني عن ذلك وعن حالهم وما يقولون

فاخبرك انه من كان يدين بدين الله بهذه الصفة التي كتبت تسألني عنها فهو عندي مشرك بالله بيّن الشرك، ولا يسع احدا ان يشك فيه، الم يسمع هؤلاء قول الله : انما حرم ربي الفواحش ما ظهر منها وما بطن، وقوله جل ثناؤه : وذروا ظاهر الاثم وباطنه، فظاهر الحرام وباطنه حرام كله، وظاهر الحلال وباطنه حلال كله، وانما جعل الظاهر دليلا علىالباطن، والباطن دليلا على الظاهر، يؤكد بعضه بعضا ويشده ويقويه، فما كان مذموما في الظاهر فباطنه مذموم، وما كان ممدوحا فباطنه ممدوح، ثم قال الامام الصادق ع م : واعلم ان هؤلاء سمعوا ما لم يقفوا على حقيقته ولم يعرفوا حدوده، فوضعوا حدود تلك الاشياء مقائسة برأيهم ومنتهى عقولهم، ولم يضعوها على حدود ما امروا به تكذيبا وافتراء على الله وعلى رسوله وجرأة على المعاصي

ولم يبعث الله نبيا يدعو الى معرفة ليس معها طاعة، وانما يقبل الله عز وجل العمل من العباد بالفرائض التي افترضها بعد معرفة من جاء بها من عنده ودعاهم اليه. فاول ذلك معرفة من دعى اليه، وهو الله الذي لا اله الا هو، وتوحيده والاقرار بربويته، ومعرفة الرسول الذي بلغ عنه، وقبول ما جاء به، ثم معرفة الائمة بعد الرسل الذين افترض الله تعالى طاعتهم في كل عصر وزمان على اهله، والايمان والتصديق باول الرسل والائمة وآخرهم، ثم العمل بما افترض الله عز وجل على العباد من الطاعات ظاهرا وباطنا، واجتناب ما حرم الله عز و جل عليهم ظاهرا وباطنا، وانما حرم الظاهر بالباطن، والباطن بالظاهر معا جميعا، والاصل والفرع، فباطن الحرام حرام كظاهره، ولا يسع تحليل احدهما، ولا يحل اباحة شيء منه، وكذلك الطاعات مفروض على العباد اقامتها ظاهرها وباطنها، لا يجزي اقامة ظاهر منها دون باطن، ولا باطن منها دون ظاهر، لا تجوز صلوة الظاهر مع ترك صلوة الباطن، ولا صلوة الباطن مع ترك صلوة الظاهر، وكذلك الزكوة والصوم، والحج والعمرة، وجميع فرائض الله التي فرضها على عباده، وحرماته وشعائره .

وعن الامام الصادق عليه السلام ان سدير الصيرفي سأله فقال له : جعلت فداك ان شيعتكم اختلفت فيكم فاكثرت حتى قال بعضهم :ان الامام ينكت في اذنه، وقال آخرون : يوحى اليه، وقال آخرون : يقذف في قلبه، وقال آخرون : يرى في منامه، وقال آخرون : انما يفتي بكتب آبائه، فباي قولهم آخذ جعلني الله فداك ؟ قال : لا تأخذ بشيء من قولهم يا سدير، نحن حجة الله وامناؤه على خلقه، حلالنا من كتاب الله وحرامنا منه .

ودخل عليه العيص بن المختار فقال : جعلت فداك ما هذا الاختلاف الذي بين شيعتك ؟ قال : واي اختلاف يا عيص بينهم ؟ قال : وربما اجلس في حلقتهم بالكوفة، فاكاد اشك لاختلافهم وحديثهم، فارجع الى المفضل فآخذ عنه ما اريد فاسكن اليه، فقال ابو عبد الله : اجل هو ما ذكرت يا عيص، ان الناس اغروا بالكذب علينا، حتى كأن الله عز وجل افترضه عليهم لا يريد منهم غيره، واني لاحدث احدهم بالحديث فلا يخرج من عندي حتى يتأوله على غير تأويله، ذلك بأنهم لا يطلبون دينا وانما يطلبون الدنيا، وانما يحب كل واحد منهم ان يكون رأسا، اي عيص، ليس من عبد رفع نفسه رأسه، وضعه الله، وما عبد وضع نفسه الا رفعه الله وشرفه .

فهؤلاء هم الغلاة في زمن الامام الصادق عليه السلام ولم يكن له سلطان كما كان لجده امير المؤمنين علي ابن ابي طالب صلوات الله عليه فيفعل كفعله من ضرب اعناقهم بالبتار، واحراقهم بالنار، بل لعنهم الله وتبرأ منهم وامر المطيعين من شيعته بلعنهم والبراءة منهم، وابان ما هم عليه من الضلال العظيم، والافتراء المبين. ولم يردعهم عما هم عليه برأيه منهم بل تمادوا في ضلالهم وسدروا في غوايتهم وجهالتهم، لعنهم الله، وبرأنا من سوء افعالهم وقبيح اعتقادهم وانتحالهم، ولا جعلنا من التابعين لهم، واخرجنا من الدنيا ونحن على طاعته وطاعة اوليائه، واتباعهم غير ضالين ولا مضلين ولا مفترين ولا غالين، ولا مقصرين بحق محمد وآله الطاهرين، صلوات الله عليهم اجمعين.

وقام يحي بن زيد بن علي بن الحسين في ايام الامام الصادق جعفر بن محمد ابن علي ابن الحسين عليه السلام وقد نهاه الامام الصادق عن القيام وخوفه ذلك كما نهى ابوه الباقر اخاه زيدا فلم ينته ولا يتنهنه واجتمع له جماعة من الشيعة فخرج الى خراسان فقتل وصلب.

وروي الشيخ ابو منصور محمد بن محمد بن عبد العزيز العكبري المعدل عن ابي الفضل محمد بن عبد المطلب الشيباني بالاسناد الى عمير بن متوكل الثقفي البلخي عن ابيه المتوكل بن هارون قال : لقيت يحي بن زيد بن علي ابن الحسين وهو متوجه الى خراسان فسلّمت عليه فقال لي : من ابن اقبلت ؟ فقلت : من الحج، فسألني عن اهله وبني عمه بالمدينة، واحفى السؤال عن الامام الصادق جعفر بن محمد صلوات الله عليه فاخبرته بخبرهم وخبره، وحزنهم علىابيه زيد بن علي فقال لي: قد كان عمي محمد بن علي اشار الى ابي بترك الخروج وعرّفه ان هو خرج وفارق المدينة ما يكون اليه مصيره، فهل لقيت ابن عمي جعفر بن محمد ؟ قلت : نعم، قال : اسمعته يذكر شيئا من امري؟ قلت : نعم، قال : بم ذكرني اخبرني . قلت : جعلت فداك ما احب ان استقبلك بما سمعته منه . قال : ابالموت تخوفني هات فاسمعنيه، قلت : سمعته يقول انك تقتل وتصلب كما قتل ابوك وصلب، فتغير وجهه، وقال : يمحو الله ما يشاء ويثبت وعنده ام الكتاب، يا متوكل ان الله ايّد هذا الامر بنا، وجمع لنا العلم والسيف، وخص بني عمنا بالعلم وحده، فقلت له : جعلت فداك اني رأيت الناس الى ابن عمك جعفر بن محمد اميل منهم اليك والى ابيك، فقال : نعم عمي محمد بن علي وابنه جعفر دعوا الناس الى الحيوة، ونحن دعوناهم الى الموت، فقلت : يابن رسول الله اهم اعلم ام انتم ؟ فاطرق الى الارض مليا ثم رفع رأسه وقال : كلنا لنا علم الا انهم يعلمون ما نعلم ولا نعلم كل ما يعلمون، وقال : اكتبت من ابن عمي شيئا؟ قلت : نعم، قال : ارنيه، فاخرجت اليه وجوها من العلم، واخرجت اليه دعاه ملاه علي الامام ابو عبد الله الصادق عليه السلام وحدثني ان اباه محمد بن علي املاه عليه، وكان يدعو به، ويسميه الكامل، واخبره انه من دعاء ابيه علي ابن الحسين عليه السلام من دعاء الصحيفة الكاملة، فنظر اليه يحي حتى اتى علىآخره ثم قال لي : اتأذن لي في نسخه؟ فقلت : يابن رسول الله اتستأذن فيما هو عنكم ؟ فقال : اما لاخرجن اليك صحيفة من الدعاء الكامل مما حفظه ا بي عن ابيه، وان ابي اوصاني بصونها ومنعها عن غير اهلها، وقال عمير قال ابي فقمت اليه فقبلت رأسه فقلت له : والله يا بن رسول الله اني ادين الله بحبكم وطاعتكم، واني لارجو ان يسعدني الله في حياتي ومماتي بولايتكم، فرمى بصحيفتي التي دفعتها اليه الى غلام كان معه وقال له :اكتب هذا الدعاء بخط بين حسن، واعرضه علي لعلي احفظه، فاني كنت اطلبه عن ابن عمي جعفر بن محمد عليه السلام حفظه فيمنعه، قال المتوكل : فندمت على ما فعلت ولم ادر ما اصنع، ولم يكن الامام ابو عبد الله تقدم الي ان لا ادفعه الى احد، ثم دعى بعيبة فاستخرج منها صحيفة مقفلة مختومة فنظر الى الخاتم فقبله وبكى، ثم فضّه وفتح القفل ثم نشر الصحيفة ووضعها على عينيه وامرّها على وجهه، وقال : والله يا متوكل لو لا ما ذكرت من قول ابن عمي اني اقتل ثم اصلب لما دفعتها اليك، ولكنت بها ضنينا ولكني اعلم ان قوله حق اخذه عن آبائه، وانه سيصح فخفت ان يقع مثل هذا الدعاء وهذا العلم الى بني امية فيكتمونه ويدخرونه في ذخائرهم لانفسهم، فدونك هذه الصحيفة فاكتبها واحفظها وصنها وتربص بها، فاذا الله عم وجل قضى امري، وامر هؤلاء القوم ما هو قاض، فهي امانة لي عندك حتى توصلها الى ابني عمي محمد وابراهيم ابني عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن ابي طالب، فانهما القائمان في هذا الامر بعدي.

قال المتوكل : فقبضت الصحيفة وخرج يحي بن زيد يريد خراسان في ايام الوليد بن عبد الملك فلحقه نصر بن سيّار قبل ان يعبر النهر بالخورجان فقاتل حتى قتل فصلب، وارسل نصر بن سيار برأسه الى يوسف بن عمر مع قيس بن زيد الحنظلي، وانفذ يوسف بن عمر الرأس الى الوليد بن عبد الملك واخبره انه صلبه، فكتب اليه الوليد لعنه الله ان يحرق جثته بالنار، وكان في كتابه احرق العجل ثم انسفه في اليم نسفا.

وكان الذي تولى احراقه خراش بن حوشب بن يزيد بن ورثم

وكانت ام يحي بن زيد ربطة بنت ابي هاشم عبد الله بن محمد بن الحنفية

قال المتوكل : فلما قتل يحي بن زيد صرت الى المدينة فلقيت الامام ابا عبد الله الصادق عليه السلام فحدثته الحديث عن يحي فبكى واشتد وجده به، وقال : رحم الله ابن عمي، والحقه بآبائه واجداده عليه السلام، والله يا متوكل ما منعني ان ادفع الدعاء اليه الا الذي خافه على صحيفة ابيه، فاين الصحيفة؟ فقلت : ها هي، ففتحتها وقال : هذا خط عمي زيد ودعاء جدي علي ابن الحسين عليه السلام، ثم قال لابنه اسماعيل : قم يا اسماعيل فآتني بالدعاء الذي امرتك بحفظه وصونه، فقام اسماعيل عليه السلام فاخرج صحيفة كأنها الصحيفة التي دفعها الي يحي ين زيد فقبلها الامام الصادق ع م ووضعها على عينيه وقال : وهذا خط ابي وملاء جدي بمشهد مني، فقلت : يا بن رسول الله ان رأيت ان اعرضها مع صحيفة زيد ويحي فاذن لي في ذلك وقال : قد رأيتك اهلا لذلك. فنظرت فاذا هي امر واحد، ولم احد حرفا منها يخالف حرفا مما في الصحيفة الاخرى، ثم استأذنت ابا عبد الله ع م في دفع الصحيفة الى ابني عبد الله ابن الحسن، فقال :ان الله يأمركم ان تؤدوا الامانات الى اهلها، فقم فادفعها اليهما، فلما نهضت للقائهما قال لي: مكانك ثم وجّه الى محمد وابراهيم فجاءا فقال : هذا ميراث ابن عمكما يحي من ابيه قد خصكما به دون اخوته، ونحن مشترطون عليكما فيه شرطا، فقالا : يرحمك الله قل فقولك المقبول . فقال : لا تخرجا هذه الصحيفة من المدينة، قالا : ولم ذاك ؟ قال : ابن عمكما خاف عليها امرا اخافه انا عليكما، قالا : انما خاف عليها حين علم انه يقتل، وقال ابو عبد الله عليه السلام لهما : وانتما فلا تأمنا فوالله اني اعلم انكما ستخرجان كما خرج وتقتلان كما قتل، فقاما وهما يقولان : لا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم، فلما خرجا قال لي ابو عبد الله ع م : يا متوكل كيف قال يحي ان عمي محمد بن علي وابنه جعفر دعوا الناس الى الحيوة ونحن دعوناهم الى الموت، فقلت : نعم اصلحك الله قال لي يحي ابن عمك ذاك، فقال : رحم الله يحي ان ابي حدثني عن ابيه عن جده عن امير المؤمنين علي ابن ابي طالب عليه السلام ان رسول الله صلع اخذته نفسه وهو على منبره فارى في المنام رجلا ينزون على منبره نزو القردة يردون الناس على اعقابهم القهقرى، فاستوى رسول الله صلع جالسا والحزن يعرف في وجهه، فاتاه جبرئيل بهذه الآية : وما جعلنا الرؤيا التي اريناك الا فتنة للناس والشجرة الملعونة في القرآن ونخوفهم فما يزيدهم الا طغيانا كبيرا، يعني بني امية، قال : يا جبرئيل اعلى عهدي يكونون وفي اواني ؟ قال : لا ولكن يدور رحى الاسلام من مهاجرك فيلبث لذلك عشرا، ثم يدور رحى الاسلام على خمس وثلاثين سنة من مهاجرك فيلبث بذلك خمسا، ثم لا بد من رحى ضلالة فهي قائمة على قطبها، ثم ملك الفراعنة، قال وانزل الله عز وجل في ذلك :بسم الله الرحمن الرحيم : انا انزلناه في ليلة القدر وما ادراك ما ليلة القدر ليلة القدر خير من الف شهر، يملكها بنو امية ليس فيها ليلة القدر، قال الله تعالى لنبيه صلع : ان بني امية يملكون سلطان هذه الامة، وملكها طول هذه المدة، فلو طاولتهم الجبال لطالوا عليها حتى يأذن الله تعالى بزوال ملكهم، وهم في ذلك يستشعرون عداوتنا اهل البيت وبغضاءنا، فاخبر ا لله عز وجل نبيه صلع بما يلقى اهل بيت محمد صلع واهل مودتهم وشيعتهم منهم في ايامهم وملكهم . قال وانزل الله عز وجل : الم تر الى الذين بدلوا نعمة الله كفرا واحلوا قومهم دارالبوار، جهنم يصلونها وبئس القرار . فنعمة الله محمد صلع واهل بيته، حبهم ايمان يدخل الجنة، وبغضهم كفر ونفاق يدخل النار، فاسرّ ذلك رسول الله صلع الى وصيه علي واهل بيته عليهم السلام، ثم قال الامام الصادق ع م : ما خرج ولا يخرج احد منا اهل البيت الى قيام قائمنا ليدفع ضيما او ينعش حقا الا اصطلمته البلية وكان قيامه زيادة في مكروهنا وشيعتنا.

وقام عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر الطيار في اوان الصادق عليه السلام وايام بني امية فادعى الامامة وقال: ان ابا هاشم عبد الله بن محمد ابن علي ابن ابي طالب اوصى اليه، وكان ذلك في سنة تسع وعشرين ومائة من هجرة النبي محمد صلع . فظهر عبد الله بن معاوية بالكوفة، واجابه جماعة بها.ثم قال له رجال من اهل الكوفة قد مني رجال منا بسببكم وقتل اكثرنا معكم، فاخرج الى فارس فان بها اهل مودة لكم، فخرج الى اصبهان ودعى الى نفسه فاجابه ناس كثير من العرب والعجم، فاستخرج الاموال واستولى علىارض فارس كلها، واصبهان وما والاها من البلاد، واستعمل اخاه الحسن بن معاوية على اصطخر واخاه يزيد بن معاوية على شيراز، وعلي ابن معاوية على كرمان، وصالح من معاوية على قم . وجاءه بنو هاشم فمن اراد منهم عملا استعمله، ومن اراد صلة وصله، وقدم عليه معهم ابو جعفر وابو العباس ابنا محمد بن علي بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب، فولاهما بعض الكور.

وقد روي عن الامام ابي عبد الله جعفر بن محمد صلوات الله عليه انه سئل عن الفرج متى يكون ؟ فقال : ان الله عز وجل يقول :فانتظروا اني معكم من المنتظرين، ثم قال : ترفع لآل جعفر بن ابي طالب رأية ضلالة، ثم ترفع لآل العباس رأية اضل منها واشر، ثم ترفع لآل الحسن بن علي رايات ليست بشيء ثم ترفع لولد الحسين بن علي ع م رأية فيها الامر .

ولم يزل عبد الله بن معاوية باصطخر حتى اتاه عامر بن صبارة مع داود ابن يزيد بن عمرو بن هبيرة الفزاري، ووجه ابن هبيرة معن بن زائدة فاتاهم معن فقاتلهم، فانهزم عبد الله بن معاوية، وسار ابن صبارة فلقيه ابان بن معاوية فيمن معه من اصحاب عبد الله بن معاوية فهزمهم ابن صبارة واسر منهم اربعين رجلا . وكان فيمن اسر منهم يومئذ عبد الله بن علي بن عبد الله بن العباس، فقال له ابن صبارة : ما جاء بك الى ابن معاوية وقد عرفت خلافه على امير المؤمنين، يعني مروان بن محمد، فقال : كان علي دين فاتيته لاصيب منه فضلا، فقام اليه ابن قطن فقال : ابن اختنا، فوهبه له، وخلى سبيله، وبعث به وبهم الى ابن هبيرة وحمله ابن هبيرة الى مروان بن محمد الاموي، وابن صبارة يومئذ في مفازة كرمان يطلب عبد الله بن معاوية. ومر عبد الله بن معاوية واخوته هاربين الى ان صاروا الى هراة، فقبض عليهم مالك بن الهيثم وكتب الى ابي مسلم باخبارهم وقد قام بخراسان وقوي امره فامر بقتل عبد الله بن معاوية الجفعري فقتل، وحبس ابو مسلم يزيد والحسن ابني معاوية الجعفري اخوي عبد الله بن معاوية، ثم خلى ابو مسلم سبيلهما، واما علي بن معاوية فقتله ابن صبارة.

قال ابو عبد الله محمد بن عبد الكريم الشهرستاني : وكان مذهب عبد الله ابن معاوية التناسخ وان الارواح تناسخ من شخص الى شخص وان الثواب والعقاب في هذه الاشخاص، اما اشخاص بني آدم واما اشخاص الحيوانات. وزعم التابعون له ان روح الله تناسخت حتى وصلت اليه وحلت فيه، وان فيه الالهية والنبوة معا، تعالى الله عما يقول الظالمون علوا كبيرا، وجل عما يشبهه به المشبهون الذين ضلوا واضلوا كثيرا، وادعى علم الغيب وعبدته بذلك شيعته حماقة وضلالة، وغواية وجهالة، وكفروا بالقيامة لاعتقادهم ان التناسخ يكون في الدنيا، وان الثواب والعقاب في هذه الاشخاص.تأولوا قول الله تعالى :ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا اذا ما اتقوا وآمنوا، الآية، على ان من وصل الى الامام وعرفه ارتفع عنه الحرج في جميع ما يطعم ويشرب، ووصل الى الكمال والبلاغ، نعوذ بالله من هذه العقيدة، وممن يدين بها، وممن يزعم ان مع الله الها، ونبرأ اليه من القائلين بذلك، ونسأله ان يميتنا على دين الاسلام، وان يجعلنا من المخلصين في عبادته، المتبعين لآل محمد نبيه الطاهرين المطهرين الذين اختارهم الله واصطفاهم. ونص اولهم على آخرهم، وآتاهم علمه المستفاد عن آبائه الطاهرين الذين اخذوه عن الوصي ثم عن النبي صلوات الله عليهما وعلى آلهما الطاهرين. والحجج على هذه الفرقة وامثالها من اهل الغلو والتناسخ كثيرة، وفساد اقوالهم اوضح من ان يستدل عليها بدليل، وهو بيّن لاولي الالباب والعقول .

قال محمد بن عبد الكريم الشهرستاني : وعن هؤلاء نشأت الخرمية والمزدكية بالعراق

وافترق اصحاب عبد الله بن معاوية بعده، فمنهم من قال انه حي لم يمت وانه سيرجع، ومنهم من قال بل مات وتحولت روحه الى اسحاق بن يزيد بن الحارث الانصاري، وهم الحارثية الذين يبيحون المحرمات ويعيشون في الدنيا عيش من لا تكليف عليه، وبين اصحاب عبد الله بن معاوية وبين اصحاب محمد بن علي بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب خلاف شديد في الامام، فان كل فرقة منهما تدعي الوصية اليها من عبد الله ابن محمد بن علي ابن ابي طالب، ولم تثبت لكلهم امامة ولا كانت للوصي اليهما قاعدة تعتمد . وكذلك اتباع بيان بن سمعان التميمي فانهم قالوا باتصال الامامة من ابي هاشم عبد الله بن محمد بن علي الحنفية الى بيان بن سمعان، وهم من الغلاة القائلين بالهية امير المؤمنين علي ابن ابي طالب ع م، وان من يقول بالهية بشر عرف منشأه ومولده ووفاته قد ضل ضلالا بعيدا، وافترى افتراء مبينا، وان ذلك تناه في الجهل، ونقص في الرأي والعقل، عصمنا الله من اتباع الضالين المضلين، وجعلنا مما وقعوا فيه آمنين، بحق محمد وآله الطاهرين .

وادعى هذا بيان من سمعان الالهية، قيل وكان قد كتب الى الامام محمد بن علي الباقر ع م : اسلم تسلم، ترتقي في سلم، فانك لا تدري حيث يجعل الله النبوة، فامر الباقر الرسول ان يأكل الكتاب فاكله فمات في الحال. وكان اسم الرسول عمرو بن ابي عفيف، وهذا بيان بن سمعان قتله خالد بن عبد الله القسري.

وفي اوان الصادق عليه السلام قامت العصبية النزارية والقحطانية ووقعت بينهم المكاثرة والمفاخرة، وتعصب مروان للنزارية فاختلف عليه اليمن، وظهرت الدعوة بخراسان، وانتهى الامر الى زوال الدولة الاموية، وعلو الدولة العباسية .

وقد روى المسعودي في السبب في العصبية بين النزارية واليمانية قال : قال ابو الحسن بن محمد بن سليمان النوفلي قال : حدثني ابي قال : لما قال الكميت بن زيد الاسدي المضري من مضر بن نزار الهاشميات قدم البصرة فاتى الفرزدق فقال : يا ابا الفارس انا ابن اخيك، قال ومن انت ؟ فانتسب له فقال : صدقت، فما حاجتك ؟ قال : نفثت على لساني وانت شاعر مضر وشيخها، واحببت ان اعرض عليك ما قلت، فان كان حسنا امرتي فاذعته، وان كان غير ذلك امرتني فسترته، قال : يا بن اخي اني احسب شعرك على قدر عقلك فهات راشدا ما قلت، فانشده :

طربت وما شوقا الى البيض اطرب \* ولا لعبا مني وذو الشيب يلعب

قال :بلى فالعب، فقال :

ولم يلهني دار ولا رسم منزل \* ولم يتطربني بنان مخضب

قال : فما ذا يتطربك اذا ؟ فقال :

وما انا ممن يزجرالطير همه \* اصاخ غراب ام تعرض ثعلب

قال: فما انت ويلك والى ما تسمو ؟ فقال :

ولا السانحات البارحات عشية \* امر ّ سليم القرن ام مرّ اعضب

قال : ما هذا فقد احسنت فيه، فقال :

ولكن الى اهل الفضائل والنهى \* وخير بني حواء والخير يطلب

قال : فمن هم ويحك ؟ فقال :

الى النفر الغر الذين بحبهم \* الى الله فيما نالني اتقرب

قال : ارحني ويلك من هؤلاء ؟

بني هاشم رهط النبي فانني \* بهم ولهم ارضى مرارا واغضب

خفضت لهم مني جناح مودة \* الى كنف عطفاه اهل ومرحب

وكنت لهم من هؤلاك وهؤلا \*محبا على اني اذم واقضب

وارمى وارمي بالعداوة اهلها \* واني لاؤذى فيهم واؤنب

فما جاءني قول امرء بسفاهة \* بعوراء فيهم يجتذبني فيجذب

فقل للذي في ظل عمياء جوبة \* يرى العدل جورا اين لا اين تذهب

باي كتاب ام باي سنة \* يرى حبهم عارا علي ويحسب

قال : لله درك يا بني اصبت واحسنت، اذ عدلت عن الزعانف والاوباش اذ لا يصرد سهمك ولا يكذب قولك، ثم مر فيها : فقال له : اظهر ثم اظهر، فانت والله اشعر من مضى واشعر من بقي.

ومن هذه القصيدة قوله :

فما لي الا آل احمد شيعة \* وما لي الا مشعب الحق مشعب

ومن غيرهم ارضى لنفسي شيعة \* ومن بعدهم لا من اجل وارجب

يعيرني جهال قومي بحبهم \* وبغضاؤهم ادنى لعار واعطب

اريب رجالا منهم ويريبني \* خلائق مما احدثوا هنّ اريب

اليكم ذوي آل النبي تطلعت \* نوازع من قلبي ظماء واليب

فاني عن الامر الذي تكرهونه \* بقولي وفعلي ما استطعت لاجنب

واني لمن شايعتم لمشائع \* واني فيمن سبكم لمسبّب

يشيرون بالايدي الي وقولهم \* الاخاب هذا والمشيرون اخيب

فطائفة قد اكفرتني بحبهم \* وطائفة قالت مسيء ومذنب

وهي كلمة طويلة، وله ايضا فيهم من قصيدة :

وهات الثناء لاهل الثناء \* باصوب قولك فالاصوب

بني هاشم فهم الباذخون \* بني الباذخ الافضل الاغلب

فاياهم فاتخذ واليا \* ومن دون ذي النسب الاقرب

وفي حبهم فاتهم عاذلا \* نهاك وفي حبلهم فاحطب

ارى لهم الفضل والسابقات \* ولم اتمنّ ولم احسب

وله ايضا فيهم :

نفى عن عينك الارق الهجوعا \* وهم يمترى منها الدموعا

دخيل في الفؤاد يهيج شوقا \* وحزنا كان من جذل منوعا

وتوكاف الدموع على اكتياب \* احل الدهر موضعه الضلوعا

ترقرق اسجما دررا وسكبا \* يشبه سجمها غربا هموعا

لفقدان الخضارم من قريش \* وخير الشافعين معا شفيعا

لدى الرحمن يحكم بالمثاني \* وكان له ابو حسن مطيعا

حطوطا في مسرته ومولى \* الى مرضاة خالقه سريعا

فاصفاه النبي على اختيار \* بما اعيى الرفوض له المذيعا

ويوم الدوح دوح غدير خم \* ابان له الولاية لو اطيعا

ولكن الرجال تبايعوها \* فلم ار مثلها خطرا مبيعا

ولم ابلغ بهم لعنا ولكن \* اساء بذلك اولهم صنيعا

وكان بذاك اقربهم لجور \* الى عدل واحفظهم مضيعا

اضاعوا امر قائدهم فضلّوا \* واقربهم الى الحدثان ريعا

تناسوا حقه فبغوا عليه \* بلا ترة وكان لهم قريعا

فقل لبني امية حيث كانوا \* وان خفت المهند والقطيعا

اجاع الله من اشبعتموه \* واشبع من بجوركم اجيعا

بمحمود السياسة هاشمي \* يكون حيا لامته ربيعا

وليثا في المواطن غير نكس \* لتقويم البرية مستطيعا

يقيم امورها ويذب عنها \* ويترك جدبها ابدا مريعا

وقدم الكميت رحمة الله عليه الى المدينة وانشد عند الامام الصادق جعفر ابن محمد صلوات الله عليه من اشعاره الهاشميات، فاستحسن قوله واستجاده واعجب به، ورام ان يعطيه عطاء جزلا، فقال الكميت : جعلت فداك انما مدحتك ارجو الله لا اريد على ذلك جائزة، فجزاه الصادق خيرا، وقال له: اني اقول لك ما قاله رسول الله صلع لحسان بن ثابت وعبد الله بن رواحة لا زلت مؤيدا بروح القدس ما ذببت عنا اهل البيت .

واتى الكميت عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي ابن ابي طالب فانشده مما قال في بني هاشم، فقال له عبد الله : يا ابا المستهل ان لي ضيعة قد اعطيت بها اربعة الف دينار، وهذا كتابها، وقد اشهدت لك بذلك شهودا، وناوله اياه فقال : بابي انت وامي ان كنت اقول الشعر في غيركم اريد بذلك الدنيا والمال، ولا والله ما قلت فيكم شيئا الا لله عز وجل، وما كنت لآخذ على شيء قلته لله مالا ولا ثمنا، فالح عليه عبد الله وابى من اعفائه فاخذ الكميت الكتاب ومضى فمكث اياما ثم جاء الى عبد الله فقال : بابي انت وامي يابن رسول الله، ان لي حاجة، قال : وما هي فكل حاجة لك مقضية كائنة ما كانت، قال : هذا الكتاب تقبله مني وترتجع الضيعة، ووضع الكتاب بين يديه، فقبضه عبد الله، ونهض عبد الله بن معاوية بن جعفر بن ابي طالب فاخذ ثوبا جديدا فدفعه الى اربعة من غلمانه ثم جعل يدخل دور بني هاشم ويقول : يا بني هاشم هذا الكميت قال فيكم الشعر حين صمت الناس عن فضلكموعرّض دمه لبني امية فاثيبوه بما قدرتم، فيطرح الرجل على الثوب ما قدر عليه من دنانير ودراهم، اعلم النساء بذلك فكانت المرأة تبعث ما امكنها حتى انها لتخلع الحلي عن جيدها، فاجتمع من الدنانير والدراهم قدر مائة الف درهم فجاؤوا بها الى الكميت فامتنع عن اخذها، فقال له بنو هاشم : اما اذا ابيت ان تقبل فقل شيئا من الشعر تعصّب به بين الناس لعل فتنة تحدث، فقال الكميت قصديته التي مدح فيها قومه من مضر ووصف مناقبهم واطنب في وصفهم، وانهم افضل من قحطان، فعصّب اليمانية والنزارية، وهي قصيدة في ما ذكر اولها :

الا حييت عنا يا مدينا \* وهل باس تقول مسلّمينا

الى ان انتهى الى قوله تصريحا وتعريضا باليمن، فيما كان من امر الحبشة وعيّرهم فيها وهو قوله :

لنا قمر السماء وكل نجم \* تشير الى ايدي المهتدينا

لنا جعل المكارم خالصات \* وللناس القفا ولنا الجبينا

وما ضربت هجائن من نزار \* علوج من فحول الاعجمينا

وما حملوا الحمار على عتاق \* مطهمة فبلغ مبلغينا

وما وجدت بنات بني نزار \* حلائل اسودين واحمرينا

وقد نقضها دعبل بن علي الخزاعي على الكميت، وذكر مناقب اليمن وفضائل ملوكها، وصرح وعرض بغيرهم كما فعل الكميت، وذلك في قصيدته التي اولها :

افيقي من ملامك يا ظعينا \* كفاك اللوم مر الاربعينا

الم تحزنك احداث الليالي \* يشين الذوائب والقرونا

احيي الغر من سروات قومي \* ولا حييت عنا يا مدينا

فان يك ابن اسرائيل منكم \* وكنتم بالاعاجم فاخرينا

فلا تنس الخنازير اللواتي \* مسخن مع القرود الخاسئينا

بايلة والخليج لهم رسوم \* وآثار قدمن وما محينا

وما طلب الكميت طلاب وتر \* ولكنا لنصرتنا هجينا

ولقد فهمت نزار بان قومي \* الى نصر النبوة سابقينا

وهي قصيدة طويلة معروفة، وكذلك قصيدة الكميت طويلة، وقد قال النبي صلع : ثلاث لا تزال من امتي، وهي من اعمال الجاهلية : الطعن في الانساب، والنياحة على الموتى، والاستسقاء بالنجوم، وصدق صلى الله عليه ما زالت المفاخرة بالانساب والطعن بين الناس فيها والافتخار، ولعدنان ولقحطان في ذلك اشعار كثيرة ومفاخرة بالقديم، وكل يذكر مفاخر قومه ومناقبهم ومساوئ من يفاخرهم ومثالبهم، وقد قطع الله تعالى مفاخرة الجاهلية بقوله سبحانه : ان اكرمكم عند الله اتقاكم. وقال رسول الله صلع : الكرم التقوى، وقال : لا لوم في امرء مسلم انما اللوم لوم الجاهلية، فكان الكميت من الاسباب التي ثارت بها العصبية بين نزار وقحطان وتعصب مروان بن محمد الاموي مع نزار وحرد على اسماعيل بن عبد الله القسري وعزله، وانفتق ملك بني امية وازداد الناس لهم بغضة وكراهية، ومال عنهم من كان مائلا اليهم.

وقام ابو مسلم بخراسان وانتشر امره وعلى ذكره واجابه الناس واستولى على العراقين وخراسان.

قال القاضي النعمان بن محمد بن حيون التميمي رضي الله عنه في كتاب المناقب والمثالب : وكان قيام ابي مسلم على بني امية بدعوة امام الهدى من اهل بيت رسول الله صلع جعفر بن محمد بن علي بن الحسين عليه السلام واظهرالقيام بثأر الحسين ع م وصبغ بالسواد اعلامه والبسه رجاله اظهارا للحزن على الحسين عليه السلام، والدعوة الى الامام من ولده، وهو مستور لا يظهر خبره، ومكتوم لا يعلم امره .

فلما فشت الدعوة وظهرت، وقام بها الدعاة وانتشرت، وانتقضت اطراف مروان بن محمد وهزمت جيوشه موقفا بعد موقف، وهو في ذلك على عزم قوي، وكفاح شديد، ومكابرة عظيمة، اضطر الدعاة الى امر خافوا الفتق من اجله الى ان يظهروا الامام، ورأوا انهم ان لم يفعلوا ذلك فسد الامر عليهم، وخافوا انحرافه من ايديهم، فطالعه في ذلك من يتصل به منهم، فامتنع من الظهور وسلطان بني امية قائم، وامر مروان على ما هو عليه، فاذ لم يجدوا في ذلك حيلة دبروا على ان يقيموا رجلا يظهرون انه الامام الذي دعوا اليه، حتى اذا اتوا على ما يريدونه ازالوا واظهروا الامام . وكان ابو العباس عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس حينئذ مطلوبا مستترا، علموا موضعه، فرأوا من الرأي ان يظهروا انه هو الذي دعوا اليه لانه ايضا من بني هاشم، فاذا تم لهم الامر اخروه فظهر الامام، ففعلوا ذلك، فلما قتل مروان وارادوا بذلك وجدوا عمومة ابي العباس واهل بيته قد ازروه ومنعوه، ولم يمكنهم ذلك في الوقت منه، وخافوا ان ينفتق من ذلك فتق ورجال بني امية بتوفرهم وهم قريبوا عهد بسلطانهم فجعلوا يقتلونهم ويشردونهم، وامر ابي العباس يتقوى، واستمال بعض الدعاة

قال ابو عبد الله الشهرستاني : وكان ابو مسلم يطلب المستقر من آل بيت محمد صلع فنفذ الى الصادق جعفر بن محمد ع م : اني قد اظهرت الكلمة ودعوت الناس عن موالاة بني امية الى موالاة اهل البيت، فان رغبت فيه فلا نزيد عليك، فكتب اليه الصادق : ما انت من رجالي ولا الزمان زماني، فعاد الى ابي العباس عبد الله بن محمد وقلده الخلافة .

وقال المسعودي انه لما وصل رسول ابي مسلم الى الامام عبد الله جعفر ابن محمد ع م اخذ الكتاب فاحرقه بالمصباح والرسول ينظر اليه، فقال الرسول : بم تجيبه يا مولاي، قال : ما عندي لك جواب الا ان تخبره ما رأيت.

وكان ابو الدوانيق الملقب بالمنصور العباسي فيما ذكر قد حضر مجلس الامام الصادق جعفر بن محمد عليه السلام وهو يرى يومئذ انه من اهل ولايته وذوي طاعته، وقد جرى ذكر تخلخل بني امية وما داخلهم من الوهن، فقال بعض من حضر الصادق : يابن رسول الله حتى متى هذه الغفلة عن حقك وتركـك القيام بامرك، وانصارك كثير، وشيعتك بكل بلد، فقال الصادق ع م : ليس هذا زمن ذلك، انها والله لا تصير الينا حتى يتلاعب بها هذا وابناؤه من بعده دهرا طويلا، واشار الى ابي الدوانيق فكان الامر كما ذكر الصادق ع م .

وكانت ملوك بني العباس من اولاد ابي جعفر المنصور، ولم يكن لاخيه ابي العباس السفاح نسل كان فيهم ملك، ولهذا القول الذي سمعه ابو جعفر من الامام الصادق طمع في الملك وشمخت انفه اليه، وكان ايام تغلبه اذا ذكر له جعفر بن محمد ع م يذكر هذا الحديث ويقول : انا اعلم بجعفر ليس هو ممن يقوم بهذا الامر فصرف الله عنه بذلك شره، ووقاه مكره .

وقوى امر ابي مسلم والقائمين معه على بني امية، وقد كانت غفلة من مروان بن محمد آخر الامويين، وكتب اليه نصر بن سيار عامله ينبهه ويحرضه كتابا يقول فيه، وقيل ان هذه الابيات لاسمعيل بن عبده :

ارى خلل الرماد يصير جمرا \* ويوشك ان يكون له ضرام

فان النار بالزندين تورى \* وان الحرب اوله كلام

فان لم تطفؤها تجن حربا \* مشمرة يشيب لها الغلام

اقول من التعجب ليت شعري \* اايقاظ امية ام نيام

فان يك قومنا اضحوا نياما \* فقل قوموا فقد حان القيام

ففروا على رحالكم وقولوا \* على الاسلام والعرب السلام

وقدم الكتاب على مروان وهو مشتغل بحرب الخوارج بالجزيرة وغيرها مع الضحاك بن قيس الحروري حتى قتله مروان بعد وقائع كثيرة، ولم يلتفت مروان الى قول نصر وتحريضه له لكثرة الثوار وضعف امره.

وفي ذلك يقول ابو مسلم شعرا:

ادركت بالحزم والكتمان ما عجزت \* عنه ملوك بني مروان اذ حشدوا

ما زلت اسعى عليهم في ديارهم \* والقوم في دارهم بالشام قد رقدوا

حتى ضربتهم بالسيف فانتبهوا \* من نومة لم ينمها قبلهم احد

من رعى غنما في ارض مسبعة \* ونام عنها تولى رعيها الاسد

ثم ان مروان حين استقام بنو العباس وولي السفاح توجه بنفسه لحربهم فهزموه ولم يزالوا يتبعونه وهو مول بين ايديهم حتى اتى مصر، ثم انتهى الى قرية من قرى الفيوم يقال لها بوصير، فقتل يوم الاحد لثلاث بقين من ذي الحجة آخر شهور سنة اثنتين وثلاثين ومائة، وهوابن اثنتين وسنتين سنة.

وكان آخر ملوك بني امية، ومدة ملكهم الف شهر، وذلك قول الله تعالى : ليلة القدر خير من الف شهر، وهي الاشهر التي ملك فيها بنو امية على ما اتى في شيء من التفسير، ووافق التأويل،وكان اول بني الحكم بن العاص بن امية مروان بن الحكم وآخرهم مروان بن محمد، فانقطع امرهم وزالت دولتهم بعد ان اظهروا البغي والعدوان، والكفر بالرحمان، وكفى بقول الوليد بن عبد الملك وما يروى عنه انه تفاءل في المصحف الكريم فخرج فاله قوله تعالى : القيا في جهنم كل كفار عنيد، الآية، فاقام المصحف عرضا وجعل يرميه ويقول :

اتوعد كل جبار عنيد \* فها انا ذاك جبار عنيد

اذا لاقيت ربك يوم حشر \* فقل يا رب مزقني الوليد

ومن ذلك قوله :

فلقد ايقنت اني \* غير مبعوث لنار

لا ولا جنة خلد \* ذات روض وقرار

واتركا من يطلب الجنة \* يسعى في الخسار

ساروض الناس حتى \* يركبوا دين الحمار

وكانوا علىالفجور، وشرب الخمور، وقول الزور، واحيوا الجاهلية، واماتوا السنة، وفتنوا الامة، وتغلبوا على الائمة، وقتلوا اهل بيت النبوة، وقصـصهم معروفة، واخبارهم مشهورة، وقد اورد القاضي النعمان بن محمد رضي الله عنه في كتاب المناقب والمثالب من مثالبهم ومعائبهم، وعداوتهم لرسول الله صلع ما اجمع عليه كل احد، وهو بيّن لا ينكر ولا يجحد، وهم على ذلك الى الآن يدعون امراء المؤمنين وائمة المسلمين، لا ينكر المسلمون سوء افعالهم، وما هم عليه من قبح انتحالهم، وبغيهم المشهور المعروف وضلالهم .

وولي السفاح ابو العباس عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس في ربيع الآخر سنة اثنتين وثلاثين ومائة . وكان ابو مسلم كما ذكرنا قد اقامه لما خشي الاضطراب عليه،وفساد ما صار في يديه، وظن انه يعزله حين يزول امر بني مروان، فلم يمكنه ذلك، وقوى امره، ومالت اليه عامة الناس، وسلط الله على بني امية بني العباس فسلبهم الله ملكا وعزا، وكانوا كما قال الله تعالى : ارسلنا الشياطين على الكافرين تأزهم ازا،

وقد روي انه دخل شبلي على السفاح وعنده مائة شيخ من بني امية، وقد اقعدوا على كراسي الفضة، فانشده قصيدته التي اولها :

اصبح الدين ثابت الاساس \* بالبهاليل من بني العباس

حتى انتهى اليه قوله :

اذكروا مصرع الحسين وزيد \* وقتيلا بجانب المهراس

ومنها في التحريض على بني امية :

انزلوها بحيث انزلها الله \* بدار الهوان والاتعاس

قيل فالتفت بعض بني امية الحاضرين على من عنده حين انشد هذا القول وقال : قتلنا والله العبد، فامر السفاح بقتل الامويين الذين لديه من ساعتهم جميعا، وتتبعهم بالقتل، ولم يزل بنو العباس يقتلونهم في مظانهم، ويشردونهم على اوطانهم، فنزع عبد من عبيدهم بغلام منهم يدعى عبد الرحمن بن معاوية ذكر انه انتسب الى هشام بن عبد الملك الى الاندلس، فآلت به الحال الى ان سلم اليه الاندلس العمال فكان عبد الرحمن هذا اول الامويين المتغلبين بالاندلس، ونشأوا على ما كان عليه آباؤهم من الفجور والطغيان، وكانوا شعبة من الشجرة الملعونة في القرآن.

وتمهد امر بني العباس، ومات السفاح، وقام بعده اخوه ابو الدوانيق ابو جعفر الملقب بالمنصور سنة ست وثلاثين ومائة، فقتل ابا مسلم وقال حين قتله : زعمت ان الدين لا يقتضى، فاكتمل بما كلت ابا مجرم .

ولما تغلب بنو العباس كانوا اشد من بني امية عتوا واستكبارا، وعداوة لاولياء الله ولفضلهم انكارا، واظهروا الفجور، وشرب الخمور، وطغوا على الله طغيانا كبيرا، ولم يألوا ابعادا لاولياء الله وتنفيرا، فكانوا على الائمة اشد من بني امية ظلما، واعظم احتقابا واثما.

وقد روي عن يحي بن سلام يرفعه الى عبد الله بن مسعود انه قال : قال لي رسول الله صلع يوما : انطلق معي يا بن مسعود فمضيت معه حتى اتينا بيتا قد غص ببني هاشم فقال لهم رسول الله صلع من كان معكم من غيركم فليقم، فقام من كان معهم من غيرهم حتى لم يبق الا بنو هاشم خاصة وبنو عبد المطلب وبنو العباس، فقال لهم النبي صلع ما ذا تلقون بعدي ؟ فقال علي ع م : اخبرنا يا رسول الله، فقال :اخبرني جبرائيل انك مقتول بعدي، واردت ان اراجع فيك ربي فابى علي، ثم قال : كأنه قد وليكم ولاة بني امية يقصدون بكم الضرورة ويلتمس بكم المشقة، ثم تكون دولة بني العباس يعملون فيها عمل الجبارين، فالويل لعترتي ولاهل بيتي ولبني امية مما يلقون من بني العباس، ويهرب من بني امية فيلحقون باقصى المغرب يستحلون بها المحارم زمانا، ثم يخرج رجل من عترتي فيملأ الارض عدلا كما ملئت جورا وظلما، يسقيه الله من صوب الغمام. فقال ناس من بني العباس : ايكون هذا ونحن احياء ؟ فنظر رسول الله صلع اليهم كالماقت لهم ثم قال : والذي نفسي بيده لمن في اصلاب فارس والروم ارجى عندي لاهل بيتي من بني العباس

فكان قوله صلع الحق، وكلامه الصدق، فنال عترته من بني العباس اكثر مما نالوه من بني امية، اشتد من اولياء الله الستر، عظم من آل عباس البغي والنكر، وراموا الغدر بصفوة اولياء الله والمكر، والله تعالى يدفع كيدهم ويبيره، ويأبى تعالى الا ان يتم نوره.

وقتل كثير ممن انتسب الى اهل البيت بايدي بني العباس، ونحن نذكر من ذلك ما نذكره على سبيل الايجاز، ونأتي بذكر ما كانت له الامامة بالحقيقة وشيء من ذكر من ادعاها بالمجاز،

وكان ابراهيم بن عبد الله بن الحسن بن علي بن ابي طالب قد دعى الى اخيه محمد بن عبد الله المتسمى بالنفس الزكية، وزعم انه المهدي وان النبي صلع قد قال : المهدي اسمه اسمي، واسم ابيه اسم ابي، فلما وافق الاسم زعموا انه المهدي، وانه الذي يملأ الارض عدلا كما ملئت جورا .

وقد قال في مثله القاضي النعمان بن محمد رضوان الله عليه في قصيدته المختارة حيث قال :

اذ مثلوا الجوهر بالاشباه \* منهم محمد بن عبد الله

ابن علي من بني العباس \* ذوي التعدي الزمرة الانجاس

اذ وافق الاسم تسمى مهدي \* وهذه من الدواهي عندي

لو كان هذا مثل ما يقول \* لكان كل احمد رسول

هيهات ليس الاسم كالمسمى \* والجهل قد اصمهم واعمى

فلم يتمكن لابراهيم امر فيما دعى اليه، حتى غلب ابو مسلم على مروان بن محمد، وتغلب السفاح العباسي على الامر، فاحفى السؤال عن محمد وابراهيم ابني عبد الله بن الحسن بن الحسن فاختفيا، ووفد عليه فيمن وفد من بني هاشم ابوهما عبد الله بن الحسن بن الحسن فقرّبه السفاح وادناه وسأله عن ابنيه فذكر انه لا يدري اين توجها، وجعل يكرر عليه السؤال عنهما وقتا بعد وقت، وفي كل ذلك ينكر ان يكون يعلم حيث هما، وذكر ذلك لاخيه الحسن بن الحسن فقال : يا امير المؤمنين اكلمك على هيئة الخلافة، او كما يكلم الرجل ابن عمه، فقال له ابو العباس :بل كما يكلم الرجل ابن عمه، فقال له الحسن: اناشدك الله يا امير المؤمنين ان كان الله تعالى قد قدر لمحمد وابراهيم ان يليا من هذا الامر شيئا فجهدت وجهد اهل الارض معك ان يردوا ما قدر الله لهما اتردونه ؟ قال : لا، قال : فاناشدك الله ان كان الله عز وجل لم يقدّر لهم شيئا منه فجهدوا وجهد اهل الارض معهما على ان ينالا مالم يقدر لهما اينالانه ؟ قال: لا، قال :فما تنغيصك على هذا الشيخ النعمة التي انعمت بها عليه، قال ابو العباس : لا اذكرهما بعد اليوم، فما ذكرهما حتى مات .

فلما مات السفاح وولي اخوه ابو جعفر عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن ا لعباس في جمادى الاخرى سنة ست وثلاثين ومائة، فامرابو جعفر زياد بن عبد الله بن الحرث بطلب محمد وابراهيم ابني عبد الله بن الحسن بن الحسن، قال علماء السير كان لعبد الله بن الحسن بن الحسن عدة اولاد، وكان محمد وابراهيم يدّعيان الخلافة، ويرشحان انفسهما لها، وكان ابو جعفر المسمى يخافهما لما يعلم فيهما من رجائهما لذلك، وكان قبل دولة بني العباس وقيام ابي مسلم قد اجتمع من بني هاشم جماعة في منزل منهم ابو العباس وابو جعفر ابنا محمد بن علي بن عبد الله بن العباس، وفيهم الصادق جعفر بن محمد عليه السلام وحضرهم محمد بن عبد الله بن الحسن بن الحسن فخطبهم محمد بن عبد الله بن الحسن فحمد الله واثنى عليه وصلى على النبي ثم قال : انكم اهل البيت قد فضلكم الله تعالى بالرسالة واختاركم لها، واكثركم ذرية محمد صلع وسائركم بنو عمه وعترته، واولى الناس بالمخافة من الله عز وجل ان ضيعتم امره ان ينزع عنكم ما اعطاكم كما انتزع ذلك من بني اسرائيل بعد ان كانوا احب الخلق اليه لما ضيعوا امره، وقد ترون كتاب الله معطلا، وسنة نبيه متروكة، والباطل حيا، والحق ميتا، فايكم يرى نفسه للقيام بحق الله اهلا فنحن نراه لذلك، هذه يدي مبسوطة لبيعته، ومن احسّ من نفسه عجزا او خاف وهنا فلا يحل له التولي على الامة، وليس بافقهها في الدين ولا باعلمها بالتأويل مع ما يعرف مما نحن به جاهلون. اوقول قولي هذا واستغفر الله لي ولكم، فلم يجبه احد بشيء الا ابو جعفر العباسي، فانه قال : امتع الله بك قومك فلن يزال فينا من يسمو الى خير ويرجى لدفع ضر ما دمت حيا، ثم حضرت صلوة العصر فخرجوا الى الصلوة، وفشى ذلك عن محمد وظهرت دعوته الى نفسه فاستخفى واخوه ابراهيم وكانا يسكنان البوادي خوفا، ثم ينتقلان في الامصار من الحجاز الى اليمن، ثم الى البصرة، ثم الى الهند ثم الى السند، لا يكادان يقفان في مكان واحد.

فلما حج ابو جعفر العباسي الملقب بالمنصور ايام خلافته سنة اربع واربعين ومائة، اجتمع بعبد الله بن الحسن بن الحسن فسأله عن ولديه، فقال : لا اعلم اين هما ؟ فاغلظ له ابو جعفر في القول وقال : يا ماص بظر امه، فقال له عبد الله : يا ابا جعفر باي امهاتي تعني ؟ ابفاطمة بنت رسول الله ؟ ام بفاطمة ابنة الحسين ؟ ام بام اسحاق بنت طلحة ؟ ام بخديجة بنت خويلد ؟ وقال له : والله لو كان محمد وابراهيم تحت قدمي لما رفعتهما عنهما . وقال للناس حين لاموه في كتم امر ولديه : ان بليتي لعظيمة، ان الله تعالى ابتلى ابراهيم الخليل بذبح ولده وهو طاعة لله عز وجل، قال الله : ان هذا لهو البلاء المبين، وهذا يطلبني ادله على ولدي ليقتلهما وهو يريد معصية، وامر ابو الدوانيق بحبس عبد الله بن الحسن، فاقام في المدينة محبوسا ثلاث سنين، ثم حبس معه جماعة منهم حسن وابراهيم ابنا حسن اخوا عبد الله بن الحسن، وحسن بن جعفر بن الحسن بن الحسن، وابو بكر بن الحسن بن الحسن، ومحمد واسحاق ابنا ابراهيم بن حسن بن حسن اخذوه وهو قاعد علىبابه، فنادت امه عائشة بنت طلحة : بالله دعوني اشمه فلم يفعلوا، وعلي ابن الحسن بن حسن العائد، وموسى بن عبد الله بن حسن ابن حسن وعلي بن محمد بن حسن بن حسن، وهؤلاء هم اخوة عبد الله بن الحسن وابناء اخوته وابنائه، وكان الذي حبسهم رياح ابن عثمان ولاه ابو جعفر المدينة فقيدهم وضيّق عليهم .

وحج ابو جعفر العباسي مرة اخرى فلما فصل من مكة بعث الى رياح ابن عثمان فحملهم وحمل معهم محمد بن عبد الله بن عمر بن عثمان وهو اخو عبد الله بن الحسن لامه، وامهم فاطمة ابنة الحسين بن علي عليه السلام، فاخذهم رياح فزادهم قيودا واغلالا وضيق عليهم حلق القيود، فاثرت في ارجلهم، وجاء بهم الى الربذة وابو جعفر العباسي مقيم بها لان ابا جعفر لم يدخل تلك المرة المدينة بل انتظرهم في الربذة، حتى وصلوا في المحامل عراة ليس تحتهم وطأ ولا فوقهم غطاء، وابو جعفر ينظر اليهم ومعهم اربعمائة من جهينة وغيرهم، قد وكلوا بهم يحفظونهم، ولما خرجوا من المدينة على الجمال وكل واحد منهم يعادله جندي، قال السعدي :

من لنفس كثيرة الاشفاق \* ولعين كثيرة الاطراق

جمدت للذي وقاها زمانا \* ثم جادت بدمعها المهراق

لفراق الذين راحوا الى الموت \* عيانا والموت مر المذاق

ثم ظلوا يسلمون علينا \* باكف مشدودة في وثاق

فلما وصلوا الى ابي جعفر العباس في الربذة دعى بمحمد الديباج بن عبد الله بن عمر بن عثمان بن عفان وهو اهوعبد الله بن الحسن من امه، فقال : اخبرني اين الفاسقان الكذابان ؟ يعني محمد وابراهيم ابني عبد الله بن الحسن، فقال الديباج : والله ما ادري، فضربه اربعمائة سوط ثم القى عليه قميصا غليظا ثم نزعه فخرج جلده معه، وكان من اجمل الناس ولذلك سمي الديباج، واصاب عينه سوط فذهبت عينه، وحمل مكبلا مع اخيه عبد الله ابن الحسن وهو عطشان، فلم يتجاسر احد ان يسقيه ماء فصاح عبد الله : يا معاشر المسلمين ايموت اولاد رسول الله صلع عطاشا؟ ثم ركب العباسي ابو جعفرفي محمل والربيع معادل له في الشق الآخر، وحمل بنو حسن على اقتاب الجمال مكشوفة رؤوسهم والشمس تقرعها وليس فوقها عطاء ولا تحتهم وطاء عطاشا جياعا، فمرّ بهم ابو جعفر وهو في محمله قد غطاه بالحرير والديباج فناداه عبد الله بن الحسن : يا ابا جعفر اهكذا فعلنا بكم يوم بدر، يشير الى فعل النبي صلع بالعباس لما اسر يوم بدر وبات العباس يأن في القيد، فقال النبي صلع : لقد منعني انين العباس الليلة ان انام، ثم قال النبي صلع : خلوا عنه، وقدم بهم ابو جعفر الكوفة وهم اسرى باسوء حال.

قال الواقدي : وكانوا عشرين من اولاد الحسن بن علي بن ابي طالب عليه السلام فحبسهم ابو جعفر بالكوفة، وقيل حبسهم في سرداب تحت الارض لا يعرفون ليلا ولا نهارا، وما كانوا يعرفون اوقات الصلوة، الا بالحرز والتقدير.

وقال عبد الله بن الحسن يصف حالهم وقيل هي لبعض البرامكة :

خرجنا عن الدنيا ونحن من اهلها \* فلا نحن بالاموات فيها ولا الاحيا

اذا دخل السجّان يوما لحاجة \* فرحنا وقلنا جاء هذا من الدنيا

وكانوا يتغوطون في مواضعهم، فاشتدت عليهم الرائحة، فكان الورم يبدو في اقدامهم، وكان اذا مات ميت عندهم لم يدفن بل يبلى وهم ينظرون اليه حتى هلكوا جميعا، وقيل ردم عليهم الحبس فماتوا.

وقال الطبري : انهم ماتوا عطاشا، ما كانوا يسقون الماء، واختلف في موت عبد الله بن الحسن بن الحسن في السجن، قيل كان ذلك قبل خروج ولديه محمد وابراهيم، وقيل بعد ذلك.

وخرج محمد بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بعد ان اسر ابوه في مدينة النبي صلع اول يوم من شهر رجب سنة خمس واربعين ومائة، ودخل مسجد النبي صلع قبل الفجر فخطب حتى حضرت الصلوة، ثم نزل فصلى بالناس صلوة الفجر، وبايعه الناس طوعا، وادعىانه المهدي. وركب في مائتين وخمسين فارسا، فاتى السجن فاخرج من فيه، وحبس رياح بن عثمان عامل ابي الدوانيق العباسي في دارابن هشام، وخطب فقال : ايها الناس انه قد كان من امر الطاغية عدو الله ابي جعفر ما لم يخف عنكم،وقد بنى القبة الخضراء معاندة لرسول الله صلع وتصغيرا للبيت الحرام، وانما اخذ الله فرعون حين قال انا ربكم الاعلى، وانا احق الناس بالقيام في هذا الامر ابناء المهاجرين والانصار، اللهم انهم قد احلوا حرامك وحرموا حلالك، وامنوا من اخفت، واخافوا من امنت، اللهم فاحصهم عددا، ولا تغادر منهم احدا، ثم نزل .

وكان ابو جعفر قد ابتدأ في بناء المدينة التي سماها مدينة السلام، وهي بغداد وبنى فيها القبة الخضراء، واستفتى الناس مالك بن انس في بيعة محمد بن عبد الله، وقالوا له : ان في اعناقنا بية لابي جعفر العباسي، فقال : انما بايعتم مكرهين وليس على مكره يمين، فاسرع الناس الى محمد.

واما الامام الصادق ابو عبد الله عليه السلام فلزم بيته ونهى عن القيام شيعته، وقال لهم كما قال ابوه الباقر ع م اذ قال لشيعته : كل خارج منا مقتول فلا تتبعوه، وان كان ابني هذا، ووضع يده علىابي عبد الله جعفر ابن محمد عليه السلام، فلا تتبعوه حتى ترون ما تعرفون. وكما قال جده الامام علي بن الحسين زين العابدين عليه السلام : من حبس نفسه لداعينا، وكان منتظرا لقائمنا، كان كالمتشحظ بين سيفه وترسه في سبيل الله

واجتمع الى الامام الصادق جعفر بن محمد ع م شيعته فتكلموا فيما هم فيه فنهاهم عن القيام، وذكروا الفرج، وقالوا متى نراه يكون يابن رسول الله؟ فقال ابو عبد الله : ايسركم هذا الذي تمنون ؟ قالوا : اي والله، قال : فتخلفون الاهل والاحبة، وتركبون الخيل، وتلبسون السلاح ؟ قالوا نعم، قال وتقاتلون عدوكم ؟ قالوا نعم، قال قد سألناكم ما هو ايسر من ذلك فلم تفعلوه، فسكت القوم، فقال رجل منهم : اي شيء هو جعلت فداك؟ قال : قلنا لكم اسكتوا فانكم ان كففتم رضينا فلم تفعلوا. وله صلى الله عليه قول كثير في مثل ذلك، وقد ذكرنا قوله بحضرة ابي الدوانيق العباسي : انها لا تصير الينا حتى يتلاعب بها هذا وابناؤه من بعده دهرا طويلا، واشار الى ابي جعفر.

وقد قال الامام محمد بن علي الباقر عليه السلام : ان مثل القائم منا قبل مهدينا كالطائر يطير من عشه قبل ان يستوي جناحاه، فما هو الا ان يطير فيسقط فيأخذه الصبيان فيتلاعبون به، وكذلك كان شأن من قام منهم، فلم تقم للمنتسبين الى علي ابن ابي طالب آية، ولا رفعت لهم رأية حتى ظهر المهدي بالله صلى الله عليه وعلى آله الطاهرين وآبائه الاكرمين، فاستقامت امورهم، وعلا جمهورهم، فعلى صالحهم بما شرفه الله به واعلاه، واوتي طالحهم ما امله من دنياه، وسنذكر من ذلك ما امكن ذكره في كتابنا هذا ان شاء الله تعالى، وبه نستعين، وعليه نتوكل واليه ننيب.

ونرجع الى ذكر محمد بن عبد الله، وكان ابو جعفر العباسي قد سجن عمه عبد الله بن علي بن عبد الله بن العباس، فحين قام محمد بن عبد الله قال :اسألوا عمي عن الرأي ؟ فقال عمه عبد الله : انما قتل ابا جعفر البخل فمروه ان ينفق، فان غلب عادت اليه الاموال، وان غلب لم يقدر عدوه على درهم.

وقوي امر محمد بن عبد الله بن الحسن وغلب على المدينة ومكة البصرة وجبى الاموال واستعمل العمال.

واستشار ابو جعفر العباسي بعض الشيوخ المعمرين ممن كان يوثق برأيه وعقله وهو اسحاق بن سالم العقيلي، فقال له ابو جعفر : انه ثار علينا بالحجاز ثائر في مدينة النبي صلع من آل علي بن ابي طالب فما ذا ترى ؟ فقال الشيخ : اشحن البصرة بالرجال، فاعرض عنه ابو جعفر، وقال هذا شيخ خرف، ذكرت له امرا بالحجاز فقال اشحن البصرة، واين العراق من الحجاز ؟ فلم يكن اسرع من ظهور ابراهيم بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بالبصرة داعيا الىاخيه محمد بزعمه، فلما بلغ ابا جعفر العباسي امرابراهيم قال : علي بالشيخ فجيء اليه به، فقال اني كنت قد استشرتك في امر القائم بالحجاز فاشرت علي بافتقاد البصرة، فما الذي رأيت في ذلك ؟ قال: ان هذا القائم بالحجاز يحتاج الى الجنود والعساكر، وان المدينة لا تحتمل ذلك، ونظرت الى الكوفة فعلمت انها مشحونة بالرجال والبصرة خالية منهم، فاستحسن ابو جعفر رأيه وجرت مكاتبات ومراسلات بينه وبيني محمد بن عبد الله بن الحسن

ثم ان ابا جعفر اخرج عيسى بن موسى في اربعة آلاف فارس من الجند، والفي راجل، واتبعه محمد بن قحطبة في جيش كثيف، وتوجه الى محمد ابن عبد الله وهو بالمدينة، فلما علم محمد بن عبد الله انه اقبل اليه حفر خندق النبي صلع الذي كان احتفره للاحزاب، واجتمع معه زهاء مائة الف.

ولما قرب عيسى قام محمد خطيبا فمما قال : ايها الناس ان هذا الرجل قد قرب منكم في عدد وعدة، وقد احللتكم من بيعتي، فمن احب القيام فليقم، ومن احب الانصراف فلينصرف، فلما سمعوا ذلك منه تسلل اكثرهم عنه وبقي في شرذمة قليلة، ونزل عيسى بن موسى بالحرف على اربعة اميال من المدينة، يوم السبت لاثنتي عشرة ليلة خلت من شهر رمضان سنة خمس واربعين ومائة، فاقام يوم السبت ويوم الاحد ن وبرز اليه محمد ابن عبد الله غداة يوم الاثنين في اهل المدينة، فلما تراءت الفئتان نادى عيسى ابن موسى بنفسه، يا محمد ان امير المؤمنين يعني العباس امرني ان لا اقاتلك حتى اعرض عليك الامان على نفسك واهلك ومالك وولدك، ويقضي عنك دينك، فصاح محمد اليه : دع عنك هذا، فوالله لا يثنيني عنك جزع، ولا يقربني منك طمع، واستمر القتال، وانـهزم اصحاب محمد بن عبد الله، وقاتل محمد وقتل جماعة بسيفه ن وحمل اليه ابن قحطية فطعنه في صدره فصرعه، ثم نزل فاجتز رأسه فاتى به عيسى بن موسى، وكان قتل محمد بن عبد الله وهو ابن خمس واربعين سنة .

وكان اخوه ابراهيم في البصرة قد صار اليها في اول سنة ثلاث واربعين ومائة يدعو اليه، فاجابه بشر كثير، فلما بلغ ابراهيم ما كان من قتل اخيه خرج الى الناس وقال شعرا :

ابا المنازل يا خير الفوارس من \* يفجع بمثلك في الدنيا فقد فجعا

الله يعلم اني لو خشيتهم \*او خامر القلب من تلقائهم جزعا

لم يقتلوه ولم اسلم اخي لهم \* حتى نموت جميعا او نعيش معا

ثم ان العباس ابا جعفر اخرج عيسى بن موسى الى ابراهيم بن عبد الله ابن الحسن في جند كثيف والتقيا فتناجزا، وقتل ابراهيم بن عبد الله يوم الاثنين لخمس بقين من ذي الحجة سنة خمس واربعين ومائة، وعمره يومئذ في الثماني والاربعين، وقتل معه من شيعته من الزيدية خمسمائة رجل ن واتي برأسه الى ابي جعفر وهو بالكوفة فخرّ ساجدا لما وضع رأسه بين يديه .

وكان عيسى بن زيد بن علي بن الحسين فيمن خرج مع محمد بن عبد الله بن الحسن بن الحسن ومع اخيه ابراهيم، فطلبه ابو جعفر فاختفى ومات بالكوفة عند الحسن بن صالح مخفيا هاربا من ابي جعفر .

وهرب عبد الله بن محمد بن عبد الله بن الحسن المعروف بالاشتر، فلم يزل مختفيا لا يعرف له خبر حتى ظهر بطبرستان فدعى الى نفسه وقتل هنالك .

وخرج موسى بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي ابن ابي طالب في اوان حياة اخويه ابراهيم ومحمد في الشام يدعو الى اخيه محمد وابراهيم، وقدم موسى من الشام فصار الى منزل بني العنبر بالبصرة، وعليها يومئذ محمد بن سليمان عاملا لابي جعفر فاخبر فارسل اليه، فاخذ واتي به اليه وهو خاله، فقال له محمد بن سليمان : قطع الله رحمك ما اردت الي اذ قصدت الى بلد انا فيه ان انا وجهتك الى المنصور قال الناس قطع رحمه، واساء الى اخواله، وان اطلقتك فلا اطيق على غضب المنصور، ثم وجه به ومن معه الىالمنصور، فلما وصلوا اليه امر بموسى بن عبد الله فضرب وهو ينظر اليه خمسمائة سوط، وموسى لا ينطق ولا يتحرك، فعجب المنصور لصبره وقال : هبني عذرت اهل الجرائم على صبرهم فكيف بهذا الفتى الذي لم تصبه الشمس، فقال موسى : اذا صبر اهل الباطل على باطلهم كنا على الحق اولى بالصبر، فلما رفع عنه قال له الربيع : لقد كنت عندي من رجال اهلك حتى رأيتك وكأنه يحز في جلد غيرك، فقال موسى :

اني من القوم الذين يزيدهم \* جلدا وصبرا شدة الحدثان

وبلغ ابا جعفر عن حمزة بن اسحاق بن علي بن عبد الله بن جعفر بن ابي طالب انه يريد القيام عليه فبعث به الى المدينة فاوقف بها وشتم، وحبس حتى مات .

وكان ابو جعفر قد ولى الحسن بن زيد بن الحسن بن الحسن بن علي بن ابي طالب المدينة، وكان احد من اعان على ابني عبد الله بن الحسن، ثم بلغ ابا جعفر انه يريد القيام عليه فعزله، وامر به فاوقف وشتم وقبضت امواله وسجن معه ابنه علي بن الحسن، فاما علي ابن حسن فمات في السجن في حياةابيه وكذلك ابوه الحسن ايضا لم يزل مسجونا حتى مات ابو جعفر فاطلقه ابنه المهدي فيمن اطلق من بني هاشم.

فهذه اخبار من قام ممن انتسب الى آل ابي طالب في اوان ابتداء دولة بني العباس، وكل ذلك والامام الصادق ع م لابث في كهف تقيته، مقيم في السر دون الاعلان لاهل دعوته، وهو يظهر علم شريعة جده محمد وينشره، ويبينه للناس ويظهره، ويطلع المحقين من اهل دعوته على معاني التأويل، ويبين لهم باطن علم الوصي والرسول. وكان له من المعجزات والآيات الباهرات ما يشهد بفضله، ويظهرعند العالمين عالي مقامه، وشريف محله، وقد ذكرنا ما كان من حديثه للعلماء في زمانه، وما اقروا به له من عظيم فضله حين ظهرت لهم دلائل برهانه

وامر الامام ابو عبد الله جعفر بن محمد صلوات الله عليه رجلين من خلصاء شيعته الى المغرب في سنة خمس واربعين ومائة وامرهما ان يدعوا الناس الى ولاية اهل البيت، وصلوات الله عليهم، وان يبسطا ظاهر علم الائمة من آل محمد وينشرا فضلهم، وان لا يتجاوزا افريقية الى حدود البربر، ثم يفترقان فينزل كل واحد منهما ناحية، فلما صارا الى قرطاجنة نزل احدهما وكان يعرف بابي سفيان بها بموضع يقال له مجانة، وابتنى مسجدا وتزوج امرأة واشترى امة وعبدا، فقيل لقد كان يعمل مع عبده ويأمر امرأته فتعمل مع امتها، وكان له من الفضل والعبادة في الناحية ما اشتهر وظهر . وكان اهل تلك النواحي يأتونه ويستمعون الى فضائل اهل البيت عليهم السلام منه، ويأخذونها عنه، وتشيع من قبله اهل مجانة، فصارت دار شيعة وكان الاصل في تشيعهم، وكذلك اهل الاربس، وكان سبب تشيع اهل نفطة، وذلك ان قوما كانوا يختلفون بالتمر الى تلك النواحي، ويشترون القمح منها، فكانوا ياتونه وياخذون عنه، ويستمعون منه، وقيل ان بعضهم هلك له بعير، فرآه فرق له فقال له : انا اعيرك بعيرا وان شئت بعته منك بنظرة، فقال بل تبيعه مني وتنظرني الى ان اصل بلدي فآتيك بثمنه، ولم يكن من اصحابه الذين اخذوا عنه، فقال له : تجد كفيلا، قال نعم، قال له : فانظر فيه،قال : الله لك كفيل، قال :قد قبلت، ودفع اليه البعير، فلما صار الى بلده اقتعد به وجعل يختلف الى باغاية، واقام دهرا ثم ان البعير انقطع في الليل من القطار فضرب الى ناحية مجانة، فبينا ابو سفيان في مسجده اذ اناخ البعير بفناء المسجد وعليه حمل تمر، فنظر اليه ابو سفيان فقال : لقد اوفي الكفيل بك، وكتب الى الموضع بخبره، فاتاه صاحبه بالثمن فدفعه الي بحمله، وذهب ليعتذر اليه فقطع كلامه عليه، واضافه الى ان باع تمره، وابتاع له قمحا وانصرف، وكانت له في الفضائل والعبادة اخبار كثيرة .

واما الثاني فكان يعرف بالحلواني فانه تقدم حتى وصل الى سنجار فنزل منه بموضع يقال له الناطور فابتنى مسجدا، وتزوج امرأة، واشترى عبدا وامة، وكان له في العبادة والفضل والعلم ما اشتهر به ذكره، وجل في الناس قدره، وجاءت القبائل اليه وتشيع كثير منهم علىيديه من كنانة ونعرة وسماتة وكان يقول لهم : بعثت انا وابو سفيان، وقيل لنا : اذهبا المغرب فانكما تأتيان ارضا بورا، فاحرثاها وكرماها وذللاها، الى ان يأتي صاحب البذر فيبذر فيها، وكان بين دخولهما ودخول داعي المهدي ع م صاحب البذر مائة وخمس وثلاثون سنة، وسنذكر الخبر اذا انتهينا اليه .

وحج الامام ابو عبد الله جعفر بن محمد ع م فوافى ابا جعفر العباسي الملقب بالمنصور قد حج في تلك السنة، فبينا هو يطوف اذ ناداه رجل : يا امير المؤمنين ان هذين الرجلين طرقا اخي ليلا فاخرجاه من منزله فلم يعد،ولم ادر ما صنعا به، فقال ابو جعفر :وافني بهما عند صلوة العصر، فوافاه بهما فقبض على يد الامام ابي عبد الله جعفر بن محمد ع م وقال : يا ابا عبد الله اقض بينهم، فقال له الصادق ع م : بل انت فاقض بينهم، قال : بحقي عليك الا قضيت بينهم، فخرج الامام الصادق ع م فطرح له مصلى فجلس عليه فجاء الخصمان فوقفا بين يديه، فقال للمطالب : ما تقول ؟ فقال : يابن رسول الله، ان هذين طرقا اخي ليلا فاخرجاه من منزله فوالله ما رجع الي، ووالله ما ادري ما الذي صنعا به، فقال لهما : ما تقولان ؟ قالا : يابن رسول الله كلمناه ثم رجع الى منزله، فقال الامام الصادق لغلام له : يا غلام اكتب بسم الله الرحمن الرحيم، قال رسول الله صلع : من طرق رجلا بليل فاخرجه من منزله فهو له ضامن، الا ان يقيم البينة انه رده الى منزله، وقال للطالب، يا غلام اختر ايهما شئت فاضرب عنقه، فقال احدهما : والله يابن رسول الله ما انا قتلته، ولكن امسكته، ثم جاء هذا فوجأه، فقال الصادق : انا ابن رسول الله يا غلام تخير فاضرب عنقه، يعني الآخر، فقال : يابن رسول الله ما عذبته ولكن قتلته بضربة واحدة، فامر اخا المقتول فضرب عنقه، وامر بالآخر ضرب جنباه ووقع على راسه بحبس عمره، ويضرب كل سنة خمسين جلدة، فقضى عليه السلام باقرارهما، ولم يحتج مع اقرارالخصم الى بينة .

وكان داود بن علي عاملا لبني العباس فامر بقتل المعلى بن جيش فقتل، وكان المعلى من اصحاب الامام الصادق عليه السلام ووافق ذلك قدوم الصادق الى مكة، فاخبر بخبر المعلى رحمة الله عليه، فقام مغضبا يجر رداءه فاستقبله ابنه اسماعيل بن جعفر عليه السلام فقال له : يا ابت الى اين تذهب والقوم من عتوهم على الله وعنودهم بحيث قد علمت ؟ فضرب في صدره وقال دعني عنك، فلو كانت النار لاقتحمتها، ومضى حتى دخل على داود، فقال يا داود لقد اتيت ذنبا لا يغتفره الله ابدا، قال : وما هو ؟ قال : قتلت رجلا مؤمنا من اهل الجنة، فغضب داود اطرق ساعة ثم قال : وانت ايضا قد اتيت ذنبا لا يغفره الله لك، قال وما هو ؟ قال : زوجت ابنتك رجلا من بني امية، قال الامام الصادق : اسوتي في ذلك رسول الله صلع قد زوج ابنته زينب ابا العاص بن ربيعة، وزوج عثمان بن عفان ام كلثوم فتوفيت، فزوجه رقية احدى بناته، فانت بمن تأسيت في قتلك المؤمنين بغير حق ؟ قال داود : فاني لم اقتله، قال : فمن قتله، قال السراقي،قال: فاقدنا منه، قال : قد اقدتك منه، فامر الصادق عليه السلام اصحابه فاخذوه ومضوا به ليقتلوه، فقال :يا عباد الله يأمروني ان اقتل لهم الناس ثم تقدون مني، فقال له الامام الصادق : يا عدو الله اما انت فمقر بالقتل وقد انكر صاحبك ان يكون امرك به، افلك على ذلك بينة، قال : ومن يشهد لي على داود ؟ قال : فالقصاص منك واجب، فدفعه الىاولياء المعلى فقتلوه .

وما زال داود بن علي يتبع اولياء الامام ابي عبد الله ع م بالقتل والتشريد، فتوعده الامام ان يدعو عليه، فقال داود يتهددنا بدعائه، وبات الصادق عليه السلام ليلته قائما يصلي ويدعو على داود بن علي، وكان مما سمع من دعائه عند وجه السحر وهو ساجد : يا ذا القوة والقدرة، ويا ذا المحال الشديد، ويا ذا العزة التي كل خلقك لها ذليل، عجل اخذك لداود وانتقامك منه . وبات داود حائرا قد اغمي عليه، قالت لبانة ابنة عبد الله بن العباس فيما روي عنها : فقمت اليه اقتقده في الليل فوجدته مستلقيا على قفاه وثعبان قد انطوى على صدره، فجعل فاه على فيه فادخلت يدي في كمي وتناولته، فعطف فاه الي فرميت به فانساب في ناحية البيت، وانتبه داود فوجدته حائرا قد احمرت عيناه، فكرهت ان اخبره بما رأيت وخرجت عنه، ثم انصرفت اليه ثانية فوجدت ذلك الثعبان كذلك ففعلت به مثل الذي فعلت في المرة الاولى وحركت داود فاصبته ميتا، فما رفع الامام جعفر بن محمد ع م رأسه من سجوده حتى سمع الهائعة، والناس يقولون مات داود.

وسعي بالامام الصادق ع م الى ابي الدوانيق العباسي فقال للربيع حاجبه يا ربيع ائتني بجعفر بن محمد قتلني الله ان لم اقتله، فجاء به الربيع فلما قرب منه حرّك شفتيه، فلما دخل عليه قال : يا جعفر تحاول الفتنة وتريد سفك المسلمين، وتلحد في سلطاني وتبغيني الغوائل ؟ فقال له الصادق عليه السلام : ما فعلت ذلك ولا اردته، وقد علمت قديما ما انا عليه فلا تقبل من كاذب ان كذب علي، وساع ان سعى بي عندك، فسكت ابو جعفر طويلا ثم قال : يا ابا عبد الله، واني لاعلم ما انت عليه قديما كما ذكرت، ولو كنت فعلت ما قيل عنك فقد ابتلي ايوب فصبر، وظلم يوسف فغفر، واعطي سليمان فشكر، وهؤلاء انبياء الله واليهم ترجع انسابنا، ارتفع الى ههنا يا ابا عبد الله، فرفعه اليه واجلسه الى جانبه على فراشه، ثم دعى برجل فقال : الست القائل لي عن هذا كذا وكذا ؟ قال : نعم يا امير المؤمنين، قال افسمعت ذلك عنه او بلغك عنه ؟ قال : بل سمعته باذني، قال : فتحلف على ذلك، قال : نعم، قال : قل والله الطالب الغالب، فقال الامام جعفر بن محمد ع م : ان رأيت ان تجعل استحلافه الي فأستحلفه بما ارى ان أستحلفه به فافعل، قال : ذلك اليك فاستحلفه بما شئت . قال الصادق ع م : ان العبد اذا وحد الله ومجده وحلف بعد ذلك لم ينتقم الله منه - وان كذب- في الدنيا، ثم اقبل على الرجل فقال فقال : تحلف بما استحلفك به؟ قال : نعم، قال : اتق الله في نفسك ولاتحلف كاذبا، واستقل امير المؤمنين وقل الحق، قال : ما قلت الا ما سمعته منك ولا ارجع عنه، قال الصادق عليه السلام : اللهم انت الشاهد عليه والعالم بما يقوله، ثم اقبل عليه فقال له قل ان كنت حالفا : برئت من حول الله وقوته واسلمت الى حولي وقوتي ان لم يكن جعفر بن محمد قال كذا وكذا، فقال الرجل، فما برح مكانه حتى صرع ومات، فقال ابو الدوانيق : خذوا رجله لعنه الله، فجروه حتى اخرجوه، وعطف ابو الدوانيق على ابي عبد الله جعفر بن محمد يسترضيه، فقال : انصر يا ابا عبد الله فاني اخشى ان يسوء ظن اهلك بنا فيك

فلما انصرف لحقه الربيع فقال : يابن رسول الله لقد دخلت اليه وما ظننت الا انه سيقتلك، فلما دخلت رأيتك حركت شفتيك فنظرت اليه قد حال عما كان عليه، وما اراك الا دعوت به، وقيل ان الربيع كان يتولاه، قال الامام الصادق ع م : دعوت بدعاء جدي الحسين بن علي ع م، قال : وما هو جعلت فداك ؟ قال قلت يا عدتي عند شدتي وغوثي عند كربتي، احرسني بعينك التي لا تنام، واكفني برحمتك التي لا ترام

وقول الامام الصادق جعفر ع م لابي الدوانيق : قد علمت قديما ما انا عليه، وقول ابي الدوانيق انه يعلم ذلك، فانما ذكره شيئا كان شاهده منه، وذلك قد ذكرنا عنه، وهو انه دخل يوما في ايام بني امية فوجد عنده جماعة من اوليائه، وكان هو يومئذ ممن يتولاه، فتذاكروا امر بني امية وجعلوا يستحثونه على القيام ويذكرون كثرة اوليائه، وكان اكثرهم في ذلك قولا ابو الدوانيق، فضرب الامام ابو عبد الله ع م على فخذ ابي الدوانيق ثم قال له : يا ابا جعفر اما بلغك قول ابي لاخيه زيد لما هم بالقيام : ويحك يا زيد احذر ان تكون مصلوبا بالكناسة، انا اهل بيت لا يقوم منا قائم قبل اوان قيام مهدينا الا كان كمثل فرخ طائر نهد من عشه قبل ان يستوي جناحاه، فما هو الا ان يستقل مرة او مرتين بالطيران حتى يسقط فيأخذه الصبيان يتلاعبون به. فقال له ابو الدوانيق : ومتى يكون قيام مهديكم يابن رسول الله ؟ قال : والله لا يكون ذلك حتى تتلاعب انت وذريتك من بعدك بهذا الامر دهرا طويلا، فقال ابو الدوانيق : انا يابن رسول الله ؟ قال : نعم انت، وكان ذلك مما صرف الله عز وجل به عنه شره، فاذا سعى به وقيل له فيه ذكر هذا الحديث فعلم انه لا يقوم عليه.

وارسل ابو الدوانيق الى الامام ابي عبد الله جعفر بن محمد ع م مرة اخرى وقد سعي ايضا به اليه، وعلم كثرة اتباعه، فلما دخل عليه الامام ابو عبد الله ع م حرك شفتيه فرأى ذلك ابو الدوانيق منه، فقال: ما تقول يا جعفر ؟ اتسبني وتلعنني ؟ فقال :لا والله ما سببتك ولا لعنتك، قال : فما حركت به شفتيك؟ قال دعوت الله تعالى، قال : بما دعوت ؟ قال : قلت اللهم انك تكفي من كل شيء ولا يكفي منك شيء، فاكفني شره يا كافي كل شيء، فقال له ابو الدوانيق : لا والله ما مثلك يترك، فقال له الصادق عليه السلام : اني قد بلغت من السن ما لم يبلغه احد من آبائي في الاسلام، وما اراني اصحبك الا قليلا، وما ارى هذه السنة تتم لي فلا تعجل علي ولا تبوء باثمي، فرقّ له وكفى الله شره وخلى سبيله.

فتوفي عليه السلام في تلك السنة، وذلك بعد ان كان نص على ابنه اسماعيل ابن جعفر صلوات الله عليه وكان احب ولده اليه، ولم يتزوج على امه حتى ماتت، ثم ان الامام اسماعيل بن جعفر ع م مات في حياة ابيه، وقد بلغ ابنه محمد بن اسماعيل ع م مبلغ الرجال، فنص عليه بالامامة ابوه بامر جده وحضرته، ولما اتت وفاة الامام ابي عبد الله جعفر بن محمد صلوات الله عليه نص على ابن ابنه محمد بن اسماعيل عليه السلام، واقامه لخلصاء شيعته من بعده

وكانت وفاة الامام الصادق ع م في شهر شوال سنة ثماني واربعين ومائة وهوابن ثماني وستين عاما، يقال ابن تسع وستين صلوات الله عليه ورضوانه ورحمته وبركاته

ودفن بالبقيع عند قبرابيه محمد ابن علي، وجده علي ابن الحسين، والامام الحسن بن علي صلوات الله عليهم، وعندهم قبر العباس بن عبد المطلب بن هاشم رضي الله عنه، وفاطمة ابنة رسول الله صلع قبرها عندهم، قال الامام الحسن بن علي عليه السلام فيا اوصى به : ادفنوني عند رسول الله صلع فان منعتم فادفنوني عند امي فاطمة، والمعروف منها خمسة تزار بالبقيع

وقال مالك بن اعين يرثي الامام الصادق ع م :

فيا ليتني ثم يا ليتني \* شهدت وان كنت لم تشهد

فآسيت في بثه جعفرا \* ولو كنت عدت مع العوّد

فان قيل نفسك قلت الفدا \* كف المنية بالمرصد

عشية يدفن فيك الهدى \* وغرة زهر بني احمد

يا عين بكي جعفر بن محمد \* زين المشاهد كلها والمسجد

الصادق الميمون من هو خير من \* يهدي الى الحق المبين ويهتدي

## ذكر قصة الامام اسماعيل بن جعفر بن محمد صلوات الله عليه ووفاته في حياة ابيه، ومصير الامامة الى ولده محمد بن اسماعيل عليه السلام، ومن مالت الشيعة اليه من ذرية الامام الصادق ع م وبنيه وتفرقهم بعد استتار الامام متخبطين من الحيرة في العشواء والتيه الا من عصم الله ممن عرف الامام وسنة الله فيه

وكان لابي عبد الله الصادق جعفر بن محمد ع م من الاولاد خمسة : اسماعيل وعبد الله وامهما فاطمة ابنة الحسن بن الحسن بن علي بن ابي طالب، وامها ام حبيب ابنة عمر بن علي ابن ابي طالب عليه السلام وامها اسماء بنت عقيل بن ابي طالب، ولم يكن جعفر بن محمد عليه السلام تزوج عليها، ولا اتخذ سرية حتى ماتت فاطمة بنت الحسن، فتزوج بعدها الامام الصادق ع م واتخذ امهات الاولاد، وولد له عليه السلام موسى واسحاق ومحمد لام ولد. وكان ارفعهم مكانة لديه واحبهم اليه ولده اسماعيل عليه السلام، وكان يخصه دونهم بالتقريب ويعظمه عليهم، كما كان يعظم يوسف على ابنائه يعقوب، ثم ان الامام جعفر بن محمد ع م نص على الامام اسماعيل بن جعفر بالامامة وعرّف خواص شيعته بانه الامام القائم مقامه .

وقد روى القاضي النعمان بن محمد رضى الله عنه عن الامام المعز لدين الله عليه السلام انه قال : كان من امر ابي عبد الله جعفر بن محمد عليه السلام من الضيق والامساك امر عظيم بقدر ما تهيأ في زمانه واتجه في عصره واوانه، قال فقلت : لا جرم ان ذلك اوقع الشيعة من بعده في الاختلاف العظيم، وافترقوا في ولي الامر بعده اختلافا كبيرا، فقال ع م : في ذلك سعادة للمحقين وشقوة للمبطلين، قلت :يا مولاي فلو كان قد اوضح الامر كما اوضحه ابوه فيه، وازال الشبهة عن اوليائه، واقام لهم صاحب الامر بعده، ونصّ عليه صراحا، الم يكن ذلك اذهب للشبهة واقطع للخلاف ؟ قال : هيهات لم يكن ذلك زمان ذاك، وقد فعل ذلك لمن وثق به، فاما التصريح به واشهاره فلم يكن ذلك يمكنه في وقته،ولا يتهيأ له في عصره، للخوف عليه والتقية من عدوه . وكان ذلك في ابتداء امر بني العباس وهم يعلمون كيف ابتزوا ذلك واستلبوه منه، وسأله من سأله اظهار ذلك في وقت لم يمكنه اظهاره

فقال : ارأيتم لو سألتموني اليوم عن صاحب الامر من ولدي وقد علمتم لا تشكون انه احدهم، وانها لا تكون الا في العقب، ولا تكون في اخوين بعد الحسن والحسين صلوات الله عليهما، ولم يكن الله تعالى بعد اطلعني على مكان اختياره منهم فانصبه لما يرى فيه من مخائل الخير، ما كنت صانعا ؟ وان سألتموني عن احدهم فاشرت اليه لم ادر لعل اختيار الله عز وجل يقع عليه، فالذي عليكم الامساك والسكوت والتسليم، حتى يختار الله يجعل البركة والخير فيما يختاره، وكذلك لو سكت القوم عن جعفر بن محمد صلوات الله عليه لما وقعوا في الشبهة، هذا قوله عليه السلام.

واشترى الامام جعفر بن محمد ع م جارية تسمى ام فروة ووهبها لولده اسماعيل، فاتخذها اسماعيل بن جعفر ام ولده، فولدت له الامام محمد بن اسماعيل وعلي بن اسماعيل، ويقال ان ام علي ابن اسماعيل مخزومية، وكان محمد وعلي ابنا اسماعيل اكبر سنا من اعمامهما موسى واسحاق ومحمد اولاد الصادق عليه السلام. وكان محمد بن اسماعيل اكبر من اخيه علي بثماني سنين، وحين انتهى الى ابي جعفر العباسي تسيلم الامام الصادق ع م الامر الى ولده اسماعيل وما اختصه به من التعظيم والتبجيل خاف ان يستميل الناس عنه، فبعث الى الصادق ع م وسأله ان يكون اسماعيل مقيما عنده، واظهر ان ذلك ايثارا له وتشوقا اليه، وما كان ذلك منه الا اشفاقا وخوفا منه لما رأى من كثرة اشياع الصادق ع م واهل ولايته، وان الامامة قد استقرت بعده في ولده، فلم يجبه الامام الصادق ع م الى تسيير ولده اسماعيل، ولا آتاه الى ذلك، ولا ساعده عليه .

وجعل الامام الصادق ع م يلاطف المنصور خوفا منه عليه، وسافر الامام الصادق ع م الى العراق بنفسه ثم عاد الى الحجاز وستر ولده اسماعيل، فاقام في منزله مستترا حولا كاملا واربعة اشهر، حتى توفي عليه السلام، فلما توفي الامام اسماعيل صلوات الله عليه ورضوانه ورحمته وبركاته عليه في حياة ابيه اظهر امره واعن بوفاته، وحملت جنازة الامام اسماعيل بن جعفر الى البقيع، وكان ابوه الصادق ع م يأمر به فينزل ويكشف عن وجهه وينظر اليه وهو يسار به الى البقيع، ويقول لمن حضره : اليس هذا ابني اسماعيل ؟ فيقول : نعم . وفعل ذلك مرارا .

قال القاضي النعمان بن محمد رضي الله عنه في كتاب شرح الاخبار : وكان لذلك سبب

فدفن الامام اسماعيل ع م في البقيع وقبره به معروف مشهور، ولم يفارق الدنيا وينتقل عنها قدس الله روحه وصلى عليه الى دار الثواب التي هي خير وابقى حتى نص على ولده الامام محمد بن اسماعيل عليه السلام وفوّض اليه امره، واقامه مقامه بعلم ابيه الامام الصادق ع م، وذلك عن امره وحضرته، وبذلك عرّف الامام الصادق ع م خواص شيعته سترا على ولي الله، وخيفة عليه وتقية، فلم يعرف الامر في ذلك الا القليل المخلصون المختصون من الشيعة العارفون بسر الامامة الذين قد علموا انها لا ترجع الى الوراء، ولا تعود القهقرى، ولا تكون الا في واحد بعد واحد، والى مولود بعد و الد .

وكان الامام اسماعيل بن جعفر ع م قد اختص عبد الله بن ميمون القداح واقامه حجة له ولابنه محمد بن اسماعيل ع م ودليلا عليهما، وهاديا اليهما، بامر الصادق عليه السلام، فخرج عبد الله بن ميمون الى مكة واظهر الدعوة الى اهل البيت، ولم يبن امر ولي الله بل ستره واخفاه وكتمه تقية عليه من الاضداد، وخوفا من اهل العناد، ولم يعرف بامامة اسماعيل وولده محمد الا قليل ممن عرف فيهم الدين والامانة، فامرهم بالستر لما اطلعهم من ذلك والصيانة .

ولما توفي الامام الصادق ع م وقد سبقت وفاة ولده الامام اسماعيل بن جعفر عليه السلام تاه كثير من الشيعة في اولاد الامام الصادق عليه السلام واختلفت مقالاتهم في المستحق بعده ان يكون الامام، فقالت طائفة بانتقال الامامة عن الصادق ع م الى ابنه عبد الله بن جعفر الافطح شقيق اسماعيل ع م وهؤلاء هم الافطحية، ولم يعش عبد الله الافطح بعد ابيه الامام الصادق غير سبعين يوما ولم يدع ولدا ذكرا ولا عقب له، وقد انقرض الذين يقولون بامامته فلا يقول اليوم بها احد .

والسمطية طائفة نسبوا الى يحي بن اسمط قالوا : ان الامام هو محمد بن جعفر، والموسوية قالت بامامة موسى بن جعفر، وكان اكثر اجتماع شيعة الصادق ع م على موسى، وعلى القول بامامته، وادعى موسى الامامة لنفسه، وقد قيل فيه كما قيل في زيد بن علي ابن الحسين ع م ان ذلك تقية منه على الامام وانه لو ملك الامر لرده الى اهله، واحله في محله، بالجملة من ادعى الامامة ممن ليس من اهلها فقد ظلم نفسه وتعدى طوره، وتعاطى ما ليس باهله، فهو كابن آدم الذي قتل اخاه، وكابن نوح ابعده الله منه ونفاه، وان كان ينسب الى ذرية النبوة وعقب الامامة .

ومن كان معترفا بفضل الامامة وسبقه، مسلّما له في عظيم حقه، فهو من اهل الفضل بانتسابه الى الذرية النبوية، وتسليمه لصاحب المرتبة السنية، وقد قدمنا قول بعض الائمة عليهم السلام في قول الله تعالى : فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات، فقال نزلت هذه الآية فينا، فالظالم لنفسه الجاحد لحق الامام،والمقتصد منا العارف بحق الامام، والسابق بالخيرات هو الامام، فمن ظلم نفسه فقد باء باثم عظيم، ومال عن منهج اولياء الله القويم.

ولما ظهر امر موسى بن جعفر امر الرشيد العباسي به فقبض عليه، وحبسه عند عيسى بن جعفر، ثم اشخصه الى بغداد فحبسه عند السندي بن شاهك، وقيل ان يحي بن خالد بن برمك سمّه في رطب فقتله وهو في الحبس، ثم اخرج بعد موته ودفن في مقابر قريش ببغداد.

واختلفت شيعته بعده فمنهم من توقف في موته، وقال لا ندري امات ام لم يمت، ويقال لهم الممطورية، سماهم بذلك علي بن اسماعيل فقال لهم : ما انتم الا كلاب ممطورة، ومنهم من قطع بموته ويقال لهم القطعية.

ومنهم من توقف عليه وقال : لم يمت وسيخرج بعد الفتنة، ويقال لهم الواقفة، وقد سمي موسى بن جعفر الكاظم، ثم ساقت القطعية في ولد موسى بن جعفر فقالوا : الامام بعده علي بن موسى الرضي ومشهده بطوس، ثم بعده ابنه محمد التقي، وهو في مقابر قريش، ثم بده ابنه علي بن محمد التقي مشهده بقم،ثم بعده ابنه الحسن العسكري الزكي، ثم قالوا ان ولد العسكري هو القائم المنتظر، وقد اختلف في ولد الحسن فقيل له ولد، وقيل لم يعقب، وهؤلاء هم الاثنا عشرية لانهم عدوا اثني عشر اماما ثم توقفوا الى الآن. فاول من عدوه امير المؤمنين علي ابن ابي طالب ع م وسموه المرتضى، والثاني الامام الحسن بن علي ع م وسموه المجتبى، والثالث الامام الحسين بن علي الشهيد، والرابع علي بن الحسين السجاد، والخامس الباقر، والسادس الصادق، ثم ضلوا عن الامام فقالوا موسى الكاظم السابع، وعلي بن موسى الرضىالثامن، ومحمد بن علي التقي التاسع، وعلي بن محمد التقي العاشر، والحسن العسكري الزكي الحادي عشر، والحجة المنتظرزعموا انه ابن ا لعسركي الثاني عشر وهم في انتظاره الى الآن.

ويزعمون انه حي لم يمت، ويقولون ان ابليس امهله الله لاضلال خلقه الى الوقت المعلوم فكيف بولي من اولياء الله، وزعموا انه القائم الذي يملأ الارض عدلا كما ملئت جورا، والحجج عليهم كثيرة طويلة، ولو كان يمكن احدا من البشر ان يعمر الى ا ليوم المعلوم لكان ذلك محمد صلع الذي ارسل الى جميع الآدميين، فلما لم يكن ذلك لاحد من البشر جعل الله بعد النبوة الوصاية ثم الامامة يورثها واحدا بعد واحد، ومن صفوته من خلقه وخيرته من عباده، فهذا القول السليم، والمعنى الصحيح المستقيم، لا ما ذهب اليه الجهال، وتاهوا لاجله في اودية الضلال.

وقد افترق القائلون بامامة الحسن العسكري احدى ع شرة فرقة، الاولى قالت ان العسكري لم يمت وهوالقائم، ولا يجوز ان يموت ولا ولد له ظاهر لان الارض لا تخلو من امام، وقد ثبت عندهم بزعمهم ان القائم له غيبتان، قالوا وهذه هي احدى الغيبتين، ويسظهر ويعرف ثم يغيب غيبة اخرى .

والثانية قالت ان الحسن مات ولكنه يحي وهو القائم، قالوا ومعنى القائم هو القيام بعد الموت

والثالثة قالت ان الحسن قد مات واوصى الى اخيه جعفر فرجعت الامامة الى جعفر بن محمد

والرابعة قالوا ان الحسن قد مات والامام جعفر وانما كنا مخطئين في الائتمام بالحسن اذ لم يكن اماما، فلما مات ولا عقب له تبين لنا ان جعفرا كان محقا في دعواه وان الحسن مبطل

والخامسة قالت ان الحسن مات وكنا مخطئين في القول به وان الامام كان محمد بن علي اخا الحسن وجعفر، ولما ظهر لنا فسق جعفر واعلانه به علمنا ان الحسن كانت حاله كحاله الا انه كان يستتر، عرفنا انهما لم تصح امامتهما، فرجعنا الى محمد فوجدنا له عقبا فعرفنا انه كان الامام دون اخوته وانه قد اعقب

والسادسة قالت ان للحسن ابنا واجمع ان القول ليس على ما ذكروا انه مات ولم يعقب، واما قولهم فذكروا انه قد اعقب ولدا قبل وفاته بسنتين فاستتر خوفا من جعفر وغيره من الاعداء ن واسمه محمد وهو القائم المنتظر .

والسابعة قالت : للحسن ابن ولكنه ولد بعد موته بثمانية اشهر، قالوا : وقول من ادعى انه مات وله ابن باطل لان ذلك لم يخف، ولا تجوز مكابرة العيان.

والثامنة قالت : صحت وفاة الحسن وصح ان لا ولد له وبطل ما ادعى من الحيل في سرية له، وثبت ان ا لامام الحسن، قالوا وهو جائز في العقول ان يرفع الله الحجة عن اهل الارض لمعاصيهم، وهي فترة، وزمان لا امام فيه، والارض اليوم بلا حجة كما كانت الفترة هكذا في الاصل قبل مبعث رسول الله صلع

والتاسعة قالت : ان الحسن قد مات وصح موته، وقد اختلف الناس هذا الاختلاف ولا ندري كيف هو، ولا نشك انه قد ولد له ابن، ولا ندري قبل موته او بعده، الا انا نعلم يقينا ان الارض لا تخلو من حجة، وهو الخلف الغائب، فنحن نتولاه، ونتمسك باسمه، حتى يظهر بصورته .

والعاشرة قالت نعلم ان الحسن مات ولا بد للناس من امام، ولا تخلو الارض من حجة، ولا ندري من ولده او من غيره .

والحادية عشرة فرقة توقفت في هذه الظلماء وبقيت تخبط في العشواء، فقالت لا ندري على القطع حقيقة، لكنا نقطع في الرضي ونقول بامامته، وفي كل موضع اختلفت الشيعة فيه فنحن الواقفية في ذلك الى ان يظهر الله الحجة ويظهر بصورته، فلا يشك في امامته من ابصره، ولا يحتاج الى معجزة وكرامة وبينة، بل معجزته اتباع الناس له باسرهم من غير منازعة ولا مدافعة.

فهذه جملة اقوالهم والباقون على مذهبهم اليوم يقولون : ان الامام الحسن العسكري وانه المنتظر، وانه لم يمت، وفيهم من يقول الباقي هوابنه الحجة الذي لا يموت حتى يظهر من الغيبة، ويأتي بالمعجزة فينبت الطعام بيده، وغير ذلك من المعجزات التي يظهرها، والحجج عليهم كثيرة في اقوالهم واباطيل انتحالهم، فالتي قالت ان الحسن لم يمت قد اتوا بالمحال، وافتروا افتراء لا يخفى على احد بيان ما فيه من الضلال، كيف يعيش بشر مثل هذا المقدار. ان هذا لافك مستبين لاولي الاعتبار، فان قالوا ان ذلك لهداية الخلق فقد مضى من الخلق اجيال وامم لم يهتدوا بهداه ولا عرفوا منهج حقه من بغيه، ولو امكن ذلك للامام امكن للنبي صلع الذي لم يكن الامام الا خلفا له بعد غيبته، ولو امكن بقاء النبي صلع لاستغنى عن الامام مع وجود النبي ودوام وجوده، ويوم البعث يكون فيه ظهور الانبياء الذين يستغنى ببعثهم وبعث طوائف من الامة معهم في القيامة يوم يحيي الله العظام، فهنالك لا حاجة الى هذا الامام لظهور الانبياء والائمة يوم لا ينفع نفسا ايمانها لم تكن آمنت قبل، واتبعت امر النبي صلع ورسمه.

واما قول من قال انه مات الحسن وسوف يحي ويظهر، فهذا قول لا يصح الا ان تكون حياته يوم يبعث الخلق وينشر، وبقاؤهم بغير امام ولا هاد الى يوم البعث والنشور هو الضلال الذي وقعوا فيه وغيرهم، فخرجوا من النور الى الظلمات.

وقول من قال ان الحسن قد مات وان الامامة رجعت الى اخيه جعفر خروجا من العقب واثبات الامامة في غيره فقد وافقوا بذلك قول من قال بامامة ولد الحسن، وخرج عن امامة ولد الحسين من الشيعة الذين لم يجروا من الحق على سنن. وقد ذكرنا حجة الامام الباقر ع م في كون الامامة قد خرجت عن عقب الحسن الى عقب الحسين ع م، وهي لهم الزم لكونهم من المقرين بامامة الباقر ع م، وذلك واضح بين بغير شك ولا مين،

والذين قالوا انهم كانوا مبطلين باعتقادهم امامة الحسن وان الامامة لاخيه جعفر فهم باقون على الباطل الذي كانوا فيه وغير خارجين عن غيه، ولا مفارق لذويه ن وما الفرق بين الحسن وجعفر، وما علموا انهم خرجوا من باطل الى باطل، ومن منكر الى منكر، اذ لم يكن نص على ايهما ممن يؤخذ بقوله، ولو كان ذلك لما غلطوا فيمن اعتقدوا امامته من قبله .

والفرقة التي قالت بفسق جعفر وان الحسن كان على مثل حاله، الا انه كان يستتر ورجعت الى القول بامامة محمد بن علي اخي الحسن فما يدريها انه جرى على ذلك المنوال وتستر كما تستر الحسن في سيء الافعال، ولا نص عليه من امام يوثق بعصمته، ولا هم يعلمون ما يبطنه من قبيح اعتقاده واعماله في سريرته .

والذين قالوا للحسن ابن ولد له بعد موته بثمانية اشهر لم يستدلوا على ذلك بدليل، ولا اتوا ببرهان يخرجون به من الضلال والتضليل .

والذين قالوا ان الحسن قد مات وانه جائز ان يرفع الله الحجة عن الخلق كما كان قبل مبعث النبي صلع انهم قد وقعوا من الضلال فيما لا يخفى على ذوي النهى والاحلام، فاي حجة لله على خلقه ان رفع حجته من بينهم وتركهم بلا هاد يهديهم ويدلهم على معالم الآخرة التي تخلصهم من النار وتنجيهم ؟ كأنهم لم يسمعوا قول امير المؤمنين علي ابن ابي طالب ع م لكميل بن زياد حيث يقول : الا وانها لا تخلو الارض من قائم لله بحجته،اما كان ظاهرا موجودا، والا خائفا مغمورا، فاكذبوه عليه السلام في قوله فهم الكاذبون، وهوالصادق الامين، الذي لا يحيف عن الحق ولا يمين، وهم لا يعلمون انه ما برح الفضلاء قبل مبعث النبي صلع يبشرون بظهوره، ويدلون على مشعشع نوره، وكذلك الرهبان من آخر دور المسيح، المعلنون بظهور احمد بالتقديس والتسبيح، كبحيراء الراهب، وغيره ممن دل على ماله من مناقب.

والذين قالوا انهم يعلمون ان الحسن قد مات، وانه ولد له مولود ولا يعلمون بعد موته او قبل موته الا انهم يعلمون انها لا تخلو الارض من حجة، قد عدلوا عن واضح المحجة، اذ هم في دينهم على شك، وعبادة الله بالشك جرم، ولا يدرون يصح ام لا يصح وبعض الظن اثم.

والذين قالوا انهم يعرفون ان الارض لا تخلو من حجة، لا يعلمون ولد الحسن ام من غيره، قد وقعوا في الضلال المبين.وكان الواجب عليهم الخروج من الشك الى اليقين، وان يطلبوا الامام حتى يجدوه، ويستدلوا عليه بغيرهم، ويطلبوا من عنده الرشاد فيسترشدوه، ولا يبقوا في ضلالهم حائرين، ويموتوا موت الجاهلية بغير معرفة امام الحق الذي كانوا عن سبيله حائرين .

والذين قالوا انهم لا يقطعون في شيء الا القول بامامة الرضى قد وقعوا بعد موته في الضلال بكونهم لا يعرفون اماما بعده يستدلون به علىالهدى، فالكل منهم تائهون في الضلال،اذ لم يعرفوا من جرت الامامة فيه فيسلكون النهج القويم بمعرفة الامام، وقيام البرهان، والاستدلال بالمنصوص عليه من آبائه الموجودة كلمة الامامة في عقبه بالنص عليهم من تلقائه، المستدل علىعصمته بعصمة الناس عليه المتسلسلة الامامة بالنص من الرسول صلع حتى انتهت اليه، وكان ذلك هو الامام محمد بن اسماعيل عليه السلام الذي جرت الامامة في عقبه، واتصلت في واحد بعد واحد ممن اتصل بالرسول صلع في سببه ونسبه .

وممن ادعى الامامة وقام على بني العباس الحسين بن علي بن الحسن بن الحسن المقتول بفخ، وكان مقيما ببغداد حتى توفي المسمى بالمهدي بن ابي جعفر العباسي، وبويع ابنه الملقب بالهادي، وقدم من جرجان فاستأذنه الحسين بن علي المذكور بالخروج فخرج من بغداد الى المدينة، ثم قام الحسين بن علي بالمدينة في سنة سبع وستين ومائة، وبايعه فيها كثير من الشيعة، وخرج الى مكة فسار اليه سليمان بن ابي جفعر العباسي، وكان على الموسم ومعه موسى بن عيسى بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس فصيره في مسيرته، ومحمد بن سليمان على ميمنته والعباس بن علي بن محمد بن محمد بن علي بن عبد الله في القلب، فلما لقيهم الحسين ابن علي بفخ تطارد له سليمان، وحمل عليه الحسين واصحابه وانحدروا في الوادي، وحمل عليهم محمد بن سليمان من خلفهم فطحنهم طحنة واحدة، ورمى الحسين بن علي بن الحسن رجل من الا تراك يقال له حماد بسهم فقتله فاعطاه محمد بن سليمان مائة الف درهم ومائة ثوب، وقتل خلق من الشيعة والطالبيين وذلك في يوم التروية، سنة تسع وستين ومائة،وحمل رأسه الى موسى الهادى العباسي، فادخل الى بغداد اول سنة سبعين ومائة، وقتل مع الحسين يومئذ سليمان بن عبد الله بن الحسن بن الحسن، وعبد الله بن اسحاق بن ابراهيم بن الحسن بن الحسن، قتلا في المعترك، وكان فيهم يومئذ الحسن بن محمد بن عبد الله بن الحسن بن الحسن، فطلب الامان فامنه العباس ابن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس، فصار عنده، واستسقاه ماء فامر له بماء، وبينما هو يشرب اذ اتاه محمد بن سليمان بن علي بن عبد الله بن العباس من خلفه فضربه بالسيف فرمى برأسه، فلما قتله شدّ عليه موسى بن عيسى بالسيف فقال له : يابن اللخناء اقتلت خالي بعد الامان فقد احل الله دمك، فزجرهما سليمان بن ابي جعفرحتى تكافيا، واستأمن منهم علي بن ابراهيم بن الحسن بن الحسن فامن وحمل الى الهادي فحبسه هو عبد الله بن الحسن بن علي بن الحسن بن الحسن ثم خليا بعد ذلك، وتفرق جميع من كان مع ا لحسين بعد ان قتل من قتل بفخ من الطالبيين.

ولحق يحي بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بالديلم، فظهر فيهم ودعى الى نفسه وجمع الجموع هناك واستعد للحرب، واستجاش بالديلم وغيرهم، وولي هارون الرشيد العباسي، فارسل اليه الفضل بن يحي ين برمك، وعقد له على الجبل وثغورالديلم وطبرستان وما يليها، وضم اليه خلقا كثيرا من الجند من وقواد خراسان وغيرهم، فسار اليه الفضل بن يحي فنزل بازائه، وكاتبه واعطاه الامان والعهود المؤكدة ووعده الاحسان والهبات والصلات والجواهر الكثيرة وارغبه،ومشت السفراء بينهما بذلك حتى اجابه الى قبول ما عرض عليه من الامان والدخول فيه من غير حرب ولا قتال، فقدم به الفضل بن يحي على الرشيد، وقد كان الرشيد يتخوف شوكته وشدة امره، وهاله وكبر في صدره موقع ما كان من الفضل بن يحي في ذلك عنده وسر به، وكان الفضل يلاطف يحي بن عبد الله ويبره، فبلغ ذلك الرشيد فجفا الفضل فغضب عليه حتى كلمته فيه ام محمد بنت الرشيد فرضي عنه، ثم بعث الرشيد بعد ذلك بيحي بن عبد الله الى المدينة فحبسه بها، فلم يزل محبوسا حتى مات، فقيل انه قتله، وقيل انه حبسه في بئر فوجد فيها ميتا، قد عض على حمأها .

وكان ادريس بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي ابن ابي طالب، وقد شهد ادريس هذا يوم فخ مع الحسين بن الحسن، فلما كان ما ذكرناه اخرج ادريس هذا مولى له يقال له راشد مختفيا حتى صار به الى مصر، ثم اخرجه منها حتى صار الى المغرب فاظهره، وعرف به اهل ذلك البلد من البربر فاجابوه وتولوه. فلم يزل فيهم وامره يقوى ويزيد الى ان بلغ ذلك الرشيد، فوجه اليه مولى كان لابيه المسمى بالمهدي العباسي يقال له سماع، كان شيخا مجربا محكما، وامره ان يحتال عليه ويقتله، فخرج سماع حتى صار الى المغرب، وتوسل الى ادريس بعلم الطب وليس بالموضع طبيب فقرّبه، وانس به انسا شديدا، ثم شكى اليه علة فصنع له دواء وجعل فيه سما وسقاه اياه فمات، وهرب سماع، فلم يقدر عليه.

وصار الى الرشيد واخبره الخبر فاجازه واحسن اليه، وخلّف ادريس حملا مع ام ولد له فولدت له ولدا تسمى ادريس بن ادريس، وبلغ وضبط الامر وولد له ولد فسمي محمد، وتناسلوا وكثروا بالمغرب.

وصار احمد بن عيسى بن زيد بن علي ابن الحسين بن علي ابن ابي طالب ع م الى عبادان بناحية البصرة وبلغ هارون الرشيد انه قد تحرك بها للقيام فارتحل هارون لما نمي اليه الخبر من الكوفة الى مدينة السلام وذلك في سنة خمس وثمانين ومائة، ارسل الى العمال بالقبض عليه، وكان احمد بن عيسى بن زيد وابن ادريس يترددان بين البصرة وكور الاهواز ونواحيها واطرافها، فكتب الرشيد الى ابن الساج اخي رشيد الخادم وكان على البحرين والى خالد بن الابهر وكان بالاهواز بالسمع والطاعة لعيسى الدويراني فامر عيسى بطلب احمد بن عيسى بن زيد، فقدم الاهواز واظهر انه قدم لاخذ الزنادقة والرفضة. وانصبت اليه الهدايا والالطاف، وجاءه العمال وهابه الناس، وجعل يسأل سرا عن احمد بن عيسى، فجاءه رجل من البربر كان يختلف الى احمد بن عيسى ويخدمه ويمشي في حوائجه واموره . فذكر له انه وابن ادريس يختلفان الى عبادان مرة، والى الزط اخرى، والى البصرة اخرى، فقدم عيسى البصرة واخبر ان هناك رجلا من شيعتهم لا يدين الله الا بحبهم وموالاتهم وانه رجل موسر مكثر، وان له جمعا وعدة، فدسّ اليهما رجلا عنه، وكتابا شبه فيه على خطه، حتى داخلهما الرسول وعلم مكانهما، ووثقا به واطمئنا اليه فاخبرهما عن اخبار عيسى واشعرهما الخوف منه، فسألاه عن حيلة ان كانت عنده لهما، فقال : انا اخرجكما ان شئتما الى مصر، وان شئتما الى المغرب، قالا :واي طريق تأخذ بنا؟ قال : على واسط ثم اخرجكما على الدواب، وآخذ بكما على طريق الكوفة، فوثقا به واطمئنا اليه وكان معهما الخضر كاتب ابراهيم بن عبد الله بن الحسن فحملهم من البصرة في سفينة الى واسط، وقال لهم اسبقكم لاكتري لكم الدواب حتى تقدموا وقد فرغت من جميع ما تحتاجون اليه فقالوا :امض على اسم الله، فمضى وجاء الى ابي الساج فاخبره، فارسل ابو الساج معه قوما من ثقاته، وامرهم ان يكونوا معهم في السفينة، ولا يظهروا لهم شيئا من امرهم، ولا يعلموهم انهم من اسباب السلطان في شيء حتى يوافوا بهم . ومضى الى مدينة السلام فدخل على الرشيد واخبره انه قد ظفر بهم وحملهم في سفينة، فارسل الرشيد من ينزلهم ويأتيه بهم،وجاءهم الرجل مع اعوان الى الساج فذكر لهم انهم قوم سيارة وانه قد اكترى لهم فلما صاروا الى الجسر الاكبر اتاهم اهل الصدقة ليأخذوا ما يجب، فخلا اصحاب ابي الساج بهم فاخبروهم انهم اعوان ابي الساج وعرفوهم كنه امرهم فتركوهم، وسمع ذلك احمد بن عيسى ومن معه فعرفوا ما صاروا اليه، فلما حضرت الصلوة نزلوا لييصلوا فتسللوا بين النخيل وتركوا السفينة، وكل مالهم فيها من قليل وكثير، فلما ابطأوا خرج الاعوان ليطلبوهم فلم يجدوهم، فرجعوا الى السفينة، فلما انتهوا الى واسط وجدوا رسل الرشيد الذين بعث بهم ليتسملوهم منهم، فاخبروهم بخبرهم، فمضىاعوان الرشيد اليه باصحاب ابي الساج فامربهم ان يضربوا بالسياط ضربا مبرحا، وصيرهم الى المطبق، وامر بقتل ابي الساج وصلبه . وقال صانعت وداهنت علي، فسأله فيه اخوه رشيد الخادم فتركه، وامر بطلبهم فثبت عنده ان الخضر كاتب ابراهيم مات، فامر به فنبش واحرق بالنار، وافلت الباقون، وصار احمد بن عيسى وابن ادريس الى البصرة واستترا بها، ثم خرجا الى الكوفة ثم عاد احمد الى البصرة وكان بها مختفيا الى ان مات على ذلك، وخلف ابنيه محمد بن احمد وعلي ابن احمد مستترين، فتوفي محمد بالشام واليه انتمى الناجم بالبصرة سنة خمس وخمسمائة المعروف بالعلوي .

ثم قام ابو السرايا الحسن بن منصور سنة تسع وتسعين ومائة يدعو الى محمد ابن ابراهيم طباطبا بن اسماعيل بن ابراهيم بن حسن بن الحسن بن علي بن ابي طالب عليهما السلام، ولم يسمه، وكان السبب في ذلك ابا السرايا كان من الجند مع هرثمة بن اعين فمنعوه ارزاقه، فغضب وخرج حتى اتى الانبار فقتل العامل بها، ودعى الى ابن طباطبا محمد بن ابراهيم سرا .

وكان ابن طباطبا في حبس الرشيد، فلما كانت فتنة محمد بن هارون الامين وفتحت السجون خرج محمد بن ابراهيم فيمن خرج الى ناحية الرقة مع محمد بن علي بن عبد الله بن جعفرالطيار، وكان معه في حبس الرشيد، وكان محمد بن علي قد سار اليها يدعو الى نفسه فمات قبل ان يصل اليها، ووصل محمد بن ابراهيم فاراد الدعوة بها الى نفسه فلم يمكنه ذلك، فصار الى الكوفة، واستتر بها، الى ان دخل ابو السرايا فبايعه وقام يدعو اليه، فاستجاب له بشر كثير، واقبل بهم فاخذوا شطر الكوفة، واظهروا امر محمد ابن ابراهيم طباطبا العلوي، وسار بهم حتى دخلوا الى نهر صرصر، فارسل الحسن بن سهل عبدوس بن محمد بن خالد في عسكر اليهم، فالتقوا بهم فلم يصنعوا شيئا، فبعث الحسن بن سهل الى هرثمة وهو بحلوان فوفد الى خراسان نحو المأمون فرده وبعثه اليهم الى صرصر فالتقى بهم فهزمهم واتبعهم الى قصر ابن هبيرة وقتل منهم خلقا كثيرا، وانهزموا حتى دخلوا الكوفة فمات محمد ابن ابراهيم طباطبا العلوي، واقام ابو السرايا مكانه فتى من العلويين يقال له محمد بن محمد بن زيد بن علي ابن الحسين ع م . ولم يزل هرثمة يحاربهم حتى ضعف امرهم وهرب ابو السرايا ومحمد بن محمد فادركا بقنطرة، فامر الحسن بن سهل بابي السرايا فقطع نصفين وصلب على باب الجسر، ولما وصل محمد بن محمد العلوي الى المأمون امر به فقتل .

وكان عبد الله بن الحسن بن زيد بن علي بن الحسين ع م ممن حضر وقعة فخ، واخذ الامان، ثم حبس بعد ذلك، واقدم عليه جعفر بن يحي بن خالد ايام الرشيد فضرب عنقه .

والحسن بن الحسن بن زيد بن علي ابن الحسين ع م قتل بقنطرة مع ابي السرايا .

وزيد بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي ابن ابي طالب ع م قتل ايضا بتونس، وعلي بن عبد الله بن محمد بن عبد الله بن علي بن ابي عبد الله بن جعفر بن ابي طالب قتل باليمن مع ابراهيم بن موسى .

وقام جماعة من العلويين في سنة المائتين على المامون وكان ممن قام منهم عليه محمد بن الصادق جعفر بن محمد بن علي بن الحسين، قام بمكة فبايعه اهل الحجاز واهل تهامة بالخلافة والامامة، وكان قد اصاب احدى عينيه شيء فاستبشر به وقال : اني لارجو ان اكون القائم، وقد بلغني ان القائم يكون في احدى عينيه شيء، وذلك غلط منه، وانما هو الدجال الاعور، فانفذ اليه الحسن بن سهل هارون بن موسى بن المسيب، وعيسى بن زيد الجلودي، وورقاء بن محمد الشيباني وهم من جلة قواد المأمون، فاوقعوا باصحابه بالمدينة وبمكة، وقتلوا منهم خلقا كثيرا، وتفرق عنه عامتهم، واستأمن وكذب نفسه فيما ادعاه من الامامة، فامن وحمل الى المأمون الى خراسان فمات بها .

ولم يزل من الطالبيين من يدّعي الامر او يدعى له بغير نص جلي ولا برهان مضي، وهم بين مقتول او مأسور، او مشرد مغلوب مقهور، واولياء الله عليهم السلام تحت اسجاف الستر والتقية، ودعاتهم يدعون اليهم ويوضحون لمتبعيهم انهم سلالة رسول الله والبقية،

وكان آخر من عرفه الخاصة والعامة من المسلمين واجمعوا له بالفضل وقصدوه لاخذ العلم في الخلوة والحفل، هو الامام الصادق جعفر بن محمد ع م . فلما قويت دولة بني العباس، وجهدوا في اطفاء نور الله الذي به الهدى للناس، لتصفو لهم دنياهم ولا يعارضهم معارض فيما تأتى لهم، وللتابعين لهم ممن استزلهم الشيطان واستغواهم، وكان المسمى المنصور ابو الدوانيق قبل دولتهم ممن يعتري الى شيعة الامام الصادق ع م وقد عرف انه صاحب امرالامامة، والمخصوص من الله بالكرامة، وعلم اقبال الشيعة عليه وولايتهم له، وان الامامة في ولده، وسمع في ذلك قوله : وحين اوتي الملك طغى وبغي، واختار على خيرالآخرة ما اوتي من الاولى، فلم يزل يطلب الذي اشار اليه الامام الصادق ع م بخلافته من بعده، ويبلغ فيه غاية جهده، الىان مات الامام اسماعيل بن جعفر ع م، وقد كان سمع من الامام الصادق ع م ان الامامة في ولده، وانها صائرة في اسماعيل وبنيه فكان اليهم اكثر كيده ومكره، ونحوهم يتوجه التوعد والتهدد ان يقصدهم بشره، فاخفى الصادق ع م مقام ابن ابنه محمد ابن اسماعيل، ولم يطلع على ذلك الا الخلصاء من دعاته الذين اختارهم بالتشريف والتفضيل، فلذلك تشتت شيعته وتمزقت، وقالت كل فرقة منها بامامة واحد من آله فزلت عن سفينة النجاة وفي طوفان جهلها غرفت، سوى من اعتقد امامة اسماعيل بن جعفر ومحمد بن اسماعيل وعلمت ان محمدا بعد ابيه وجده هو الامام.

وقد روت الشيعة وغيرها عن الامام الصادق ع م انه قال : ان الامامة محصورة في ولده دون ولد الحسن والحسين ع م لان الامامة صارت للحسين بعد الحسن صلوات الله عليهما وهي في ولد الحسين اصلية تمشي قدما قدما ولا تمشي الى الوراء، ولا ترجع القهقرى، وهي بالنص من امام على امام.

وهذا حديث عن الصادق ع م رواه الخاص والعام، واورده نشوان ابن سعيد الحميري في كتابه المعروف بشمس العلوم الذي الفه في علم اللغة، فوضح بقول الصادق ع م ان الامامة لا تمشي الى الوراء ولا تعود القهقرى، فلم ترجع عن اسماعيل بن جعفر ع م بعد ان صارت اليه ووقع النص عليه، بل جرت في عقبه وثبتت في الامام محمد بن اسماعيل ع م من بعده، فلما مات الامام الصادق جعفر بن محمد بعد ابنه الامام اسماعيل ابن جعفر عليهما سلام الله ورضوانه ورحمته وصلواته، صارت الامامة بنصه وتوقيفه الىابن ابنه محمد بن اسماعيل عرف ذلك من عرفه من المحققين وجهله من جهله، والشك لا ينقض اليقين، والحمد لله رب العالمين، وصلوته على رسوله سيدنا محمد وآله الطاهرين.

## ذكر قصة الامام محمد بن اسماعيل صلى الله عليه وهجرته لتغلب الظالمين من مدينة النبي صلع طاعة لله سبحانه واتباعا لامره وسترة الائمة الثلاثة من ولده، ولزومهم كهف التقية من بعده، حتى طلعت شمس الله من غربها وظهر المهدي عليه السلام مبينا لدعوته قائما بها

قال من يوثق بصدقه من الرواة : وكان الامام محمد بن اسماعيل ع م حين قبض ابوه ابن ست وعشرين سنة واخوه علي ابن اسماعيل رجل بالغ الحلم له من العمر ثماني عشرة سنة، فبقيا عند جدهما الامام الصادق ع م .

ولما علم الصادق سلام الله عليه بما كان ازمع عليه المنصور العباسي في امر ولده اسماعيل، غيب ابني ولده محمدا وعليا حذرا عليهما من المنصور، ومكثا متغيبين حتى قبض جدهما الامام الصادق عليه السلام والصلوة،ومات العباسي الملقب بالمنصور، ولم يزل الامام محمد بن اسماعيل مخفيا مستترا بنفسه ينتقل من بلد الى بلد، واكثر معوله علىالوقوف في بيت جده الصادق سلام الله عليه بالمدينة، لا يعلم احد به الا خواص شيعته فانهم يختلفون اليه، ويترددون نحوه لحوائج دينهم يقصدون، وكتب دعاته ترد اليه، ومعولهم في جميع امور دينهم عليه، ولا يطلعون على مقامه، وانه الوارث لمنزلة الامامة بعد الماضين من اسلافه الا من وثقوا بصحة عقله ودينه، وفضله ويقينه، بعد العهود والمواثيق.

فلما قام هارون الرشيد العباسي لم يزل يدس الدسائس وينقب الاخبار عن الامام محمد بن اسماعيل بن جعفر ع م حتى علم مكانه، قيل وكانت زبيدة امرأة الرشيد محبة لآل رسول الله صلع عارفة بمحل الصادق ع م من رسول الله صلع، وكانت تجد من بعلها الرشيد عداوة اهل البيت عليهم السلام وبغضائهم وهي تسر ايمانها، وتجعل ولاية اهل بيت الرسول صلع في سرها دون اعلانها، فذكر لها الرشيد ذات ليلة موت موسى بن جعفر وانه اخذ من آل الصادق رهينة يجعله مكان موسى في حبسه، وانه اخبر بمكان محمد بن اسماعيل ع م واسر اليها انه آخذه .

فلما القى اليها وسمعته منه، ارسلت بعض من تثق به لينذر محمد بن اسماعيل ع م وحذرته كيد الرشيد واعلمته مرامه، فخرج الامام محمد ابن اسماعيل ع م ومعه اخوه علي الى الكوفة فاستتر هنالك مدة يسيرة . وكانت سارة اخت اسحق بن عباس الفارسي رهينة في قصر الرشيد، واخوها اسحاق بن عباس يومئذ صاحب جزيرة الري واعمالها، وكان يدعو الى آل محمد في السر، وقيل ان اسحاق هذا من اهل بيت تشيع وولاء، وكذلك اخته سارة كانت ذات ولاء، وكانت لسارة ابنة تسمى فاطمة هي مذ مات ابوها عند خالها اسحاق بن عباس، وهو الذي رباها، وكفلها حتى ملكت رشدها، فلم تزل زبيدة امرأة الرشيد تسأل سارة عن خبر اسماعيل ابن جعفر وولده محمد بن اسماعيل ع م وكانت تذكر لها من فضلهما حتى انست بها، وكشفت لها ما عندها من ولاء، فلما تيقنت ذلك منها خطبت منها ابنتها فاطمة للامام محمد بن اسماعيل ع م فاجابتها الى ذلك وسرت به، وما برحت زبيدة تلطف في خلاص سارة حتى تخلصت واذن لها في الرجوع الى وطنها، فلما وصلت سارة الى الري اعلمت اخاها اسحاق بما كان من خطبة زبيدة لابنتها وخطابها لها في تزويجها الامام محمد بن اسماعيل، ففرح بذلك اسحاق واجاب اليه، وارسل من يثق به وقد وكلته ابنة اخته، وولاه ذلك خالها اسحاق، وهو ابن عم ابيها، وكانت له الولاية يومئذ فاجتمع بالامام محمد بن اسماعيل ع م وعقد معه النكاح، وانفذ الامام ع م على يده المهر الى الري الى اسحاق بن عباس كفيل ابنة اخته، واخذوا في جهازها وحملت الى الامام ع م مع من يثق به خالها اسحاق من ثقات خدمه ودعاة الامام مع ما امكن حمله معها من جهازها ومتاع، وقال :اشتري به لها ربوعا كثيرة وضياعا، فرزق الامام محمد بن اسماعيل ع م منها ولدا سماه عبد الله وعاشت فاطمة هذه الى ان صار لولدها عبد الله بن محمد سنتان

ثم اتصل الخبر بالرشيد، فخرج الامام محمد بن اسماعيل ع م وسار باهله الى الري عند اسحاق بن عباس الفارسي، وكانت وفاة زوجته فاطمة هنالك رحمة الله عليها، وعبد الله ولدها لعامين، فلما توفيت فاطمة جعل اسحاق بن عباس جميع ما خلفته لولدها عبد الله بن محمد بن اسماعيل ع م وكتب بذلك وثائق لكيلا يعرض له احد من اهل بيته .

ثم شاع الخبر بكون الامام محمد بن اسماعيل عند اسحاق بن عباس الفارسي وانتهى الى الرشيد، فكتب الرشيد الى اسحاق بن عباس في امر الامام محمد بن اسماعيل وطلبه منه، ووعده الجميل ان هو ارسله اليه. فلما وصلت الكتب الى اسحاق وقرأها عرضها على الامام محمد بن اسماعيل،ثم استأذنه فيما يعمل عليه، فاشار عليه الامام ع م بان يجيب عن الكتب ويذكر له ان الرجل الذي طلبه لم يظهر وانه مجتهد في طلبه والقبض عليه، ففعل اسحاق ما امره الامام ع م وانفذ بجواب الكتب الى هرون الرشيد، وانفذ صحبة الجواب بهدية ومال كبير اسكته به.

وتواترت بعد ذلك الاخبار الى الرشيد بكون الامام محمد بن اسماعيل عند اسحاق بن عباس، وانه قد بث دعاته، فكتب اليه الرشيد ثانية يهدده بانفاذ الجيوش اليه واوعده بميسيره اليه بنفسه متى لم يقبض عليه ويحمله مع جوابه، فعرض اسحاق الكتاب على الامام محمد بن اسماعيل ع م وقال له : يا مولاي قد جد هذا الضد في طلبك، وانا مفتديك بنفسي فان انت رأيت ان تخرج الى الجبل وتعتصم بقلعة نهاوند فالامر اليك، والقلعة وما يليها من المدن والضياع يومئذ في يد منصور بن جوش، وكان ملكها، وبينه وبين اسحاق بن عباس مصادقة ومعرفة، وكان حسن التدبير والدين واليقين، فكتب اليه اسحاق بن عباس الفارسي بخبر الامام وولده عبد الله بن محمد ع م وما كان من تزويجه اياه ابنة اخته ن يعني فاطمة ابنة سارة، وان عبد الله ع م ولد الامام منها، وعرّفه بموضعه، وسأله ان يحسن اليهم، ويبالغ في مراعاتهم، ثم ان اسحاق الفارسي اشترى من منصور بن جوش ضيعة يقال لها سرحة من ناحية كارزون من رستاق شلبنة باثني عشر الف دينار ونحلها الامام محمدا ع م فصارت الى اولاد الامام محمد بن اسماعيل ع م وعرفت لهم.

فلما اراد الامام محمد بن اسماعيل ع م الهجرة الى نهاوند، بث دعاته في كل ناحية، واختار رجلا منهم يعرف بهرمز، وله ولد يسمى مهدي، وكانا في جملة من خدم الامام ع م، ثم ان اسحاق بن عباس الفارسي خطب من منصور بن جوش ابنته، وكان اسمها سريوه للامام محمد ابن اسماعيل فسره ذلك واجابه اليه وجهزها بجهاز كبير وزفها اليه بعد دخوله نهاوند. فرزق اربعة اولاد ذكور .

وجدّ الرشيد في طلب الامام ع م وخرج بنفسه الى الري وقبض لى اسحاق بن عباس استصفى ماله، وبالغ في تعذيبه يطالبه بالامام وهو ممتنع يقسم بالله العلي العظيم ان لا دله عليه، ولو كان تحت ثيابه لما سلمه اليه، فضربه بالسياط وعذب بانواع العذاب حتى مات، رضوان الله عليه ورحمته، واخذ الرشيد جميع ماله ومال عشيرته ورجع الى بغداد، والامام محمد بن اسماعيل ع م في كل ذلك في مدينة سرحة بنهاوند .

وكان الرشيد قد بث جواسيسه في سائر الآفاق ليعرف موضعه، فاخبر انه بجبل نهاوند في سرحة، فلما علم مكانه ارسل رجلا قد رباه يعرف بمحمد بن علي الخراساني ومعه مائتان وخمسون غلاما من الاتراك وقال له : اكتم مقصدك فلا يعلم احد اين تريد، واقصد قرية سرحة، واقبض على محمد ابن اسماعيل، وعرفه صفته، وكان قد عرّف بها، فخرج الخراساني بالذين معه، فاغذ السير حتى حصل ضحوة النهار بالقرية المذكورة.

وكان من عادات الامام محمد بن اسماعيل ع م اذا صلى الفجر يخرج من المسجد الى ضحوة النهار، ويجلس حوله شيعته، لم يشعر ومن معه حتى احاط بالمسجد غلمان محمد بن علي الخراساني، فنزل الخراساني عن دابته ودخل على الامام المسجد فوجده قاعدا مستندا الى المحراب وبين يديه رجلان، فلما وقعت عينه على الامام ع م ارتعدت فرائص الخراساني وامتلأ قلبه من هيبة الامام واجلاله وتعظيم حاله، فحدثه الامام ع م وآنسه ولطف به، فسلم عليه الخراساني والقى الله في قلبه الهيبة والمودة له، وكان شيعيا، فبث الامام ع م الخبر، وعرفه الامر، وقال له : ان هارون الرشيد قد جدّ في طلبك، ولا يمكنك المقام ههنا، وقد عرف بموضعك ولا آمن ان يرسل على اثري بعسكر آخر مع غيري ممن يعاديكم اهل البيت ولا يسمع ولا يجيب، فاشار الامام ع م ان يوجه الرجال الذين معه الى موضع على مسيرة ثلاثة ايام يعرف بازر، ويوهمهم ان الذي جاء في طلبه هنالك، ففعل واخذ صاحب الخبر عنده فاسكته بشيء دفعه اليه من المال .

وخرج الامام محمد بن اسماعيل ع م الى سابور ومعه محمد بن علي الخراساني المذكور، وقد استجاب له، فلما حصل بسابور نزل عند رجل من وجوه التجار، من اماثل اهلها يعرف بقماص بن نوح، وكانت له ابنة تسمى ربطة فتزوجها الامام ع م فرزق منها ابنة ماتت بعد شهرين.

وكان قد خلف اولاده وهم عبد الله من فاطمة ابنة اخت اسحاق بن عباس الفارسي، وحسين بن محمد وعلي بن محمد من سريوه بنت منصور ابن جوش بجبل نهاوند في سرحة، فلما خرج ع م من نهاوند وسرحة الى سابور اجتمع جماعة من شيعته ودعاته ومنهم هرمز وولده مهدي باولاد الامام وحملوهم باجمعهم ومن معهم الى قرية لهرمز الداعي، وهو على نحو بريد، فانزلوهم فاكتنفهم هرمز، وضم القرية اليه ووهب القرية بما فيها لاولاد الامام.

وكان كتاب الامام محمد بن اسماعيل يرد من سابور عليهم على يد عبد له يدعى فرجا، وكانت امرأته ربطة ابنة قماص تبعث من خاصة مالها لكل واحد من اولاد الامام بمال جليل ومسك وثياب سابورية الى فرغانة ونواحيها . وكان فرج يأتيهم بالاخبار، ثم انقطع عنهم بعد ذلك، ونص الامام محمد بن اسماعيل على ولده عبد الله بن محمد، واشار اليه بالامامة، وانتقل الى دار الفوز والكرامة في محل الرضوان ودار المقامة، وقبره سلام الله عليه ورحمته ورضوانه بفرغانة، وقد ذكر ان ائمة الظهور عليهم السلام حملوا توابيت الائمة المستورين الى القاهرة المعزية . والله اعلم .

## ذكر الامام الرضي عبد الله بن محمد بن اسماعيل

فصارت الامامة في الامام الرضي عبد الله بن محمد بن اسماعيل بعد ابيه عليهم الصلوة والسلام، فرجع الى نهاوند وتزوج هنالك بابنة حمدان ابن عم منصور بن جوش، وهو من اهل كارزون، فولد الامام ع م منها ابن هو علي ابن عبد الله الملقب بالليث وفاطمة، وتزوج اخوته هنالك فرزقوا اولادا، ثم لما صار الامر الى الامام عبد الله بن محمد بن اسماعيل ع م اشتد طلب بني العباس له في كل ناحية من الارض، فاستخلف على ولده وغاب حتى لم يعرفه احد من حدوده وشيعته، واستقام له دعاته وحدوده وكبراء شيعته على مذهبه ومذهب آبائه الصادقين، ولم يفرطوا في امر من امور الدين، الا ما كان من احمد بن الكيال، فانه كان من الدعاة وسمع كلمات علمية من قول الائمة، فخلط وتخبط برأيه الغائل وقوله العاطل، فابدع مقالات في العلم على غير قاعدة ولا امر يوافق فروع دين الائمة واصوله، وضل كما ضل من كان قبله وسلك سبيل ابي الخطاب والمغيرة ايام الصادق والباقر عليهما السلام.

والى ابن الكيال تنسب الكيالية، فلما وقف الامام ع م على عداوته وبهتانه وتخليطه وتفريطه تبرأ منه ولعنه، وامر شيعته بمنابذته ومباينته، وحين عرف ابن الكيال براءة الامام ع م منه وامره لاتباعه بتركه والبعد عنه صرف الدعوة الى نفسه وادعى الامامة اولا، ثم ادعى انه القائم الذي يملأ الارض عدلا، وزاد في البدعة، واعظم الفرية حتى قتله اتباعه الذين انتموا اليه حين عرفوا منه سوء الاعتقاد، وسعيه في الارض بالفساد، فحين كان ذلك من ابن الكيال وامعن في الضلال خشي الامام منه ومن اتباعه ان يدلوا عليه اضداده من العباسيين، ويعرفوهم بمكانه، فزاد في الاستتار والاختفاء، وخرج ومعه اثنان وثلاثون من الدعاة، وجاؤا بلد الديلم يدعون الناس الى طاعة الله سبحانه وولاية الامام ع م.

وجلس الامام ع م بقرية تعرف باشناش بقرب الديلم، وتزوج هنالك امرأة علوية واقام الى ان رزق ولدا سماه احمد، ورباه على الفضل والطهارة والتعلق بالامور العلية، وهيأه للخلافة بعده، وقلده امانته وعهده.

وانتشرت دعوة الامام عبد الله بن محمد ع م، وقام بها الدعاة وكثر اهل ولايته في جميع الجهات، ولم يعرف اسمه الا خواص دعاته، والمخلصين في ولايته

واتصل بعض شيعته بالمأمون العباسي، فقامت عليه حجته، وانقطع المأمون واراه القبول لما جاء به وجعل يسأله عن المستحق للامامة فخاف عليه ان ابان له اسمه، واشار الى علي بن موسى الرضى بن الصادق جعفر بن محمد ع م، سترا على امام زمانه، واخفاء لعالي مقامه، فرأى المامون انه قد ظفر ببغيته ودبر امرا واراد الحيلة فيه ان يظهره ويدعو اليه، ثم يعمل في قتله . ولم يطلع احدا من الناس على باطن امره، وغاية مراده، لئلا يفشوا ذلك عنه، غير انه دعى الفضل بن سهل فقال له : هل انت مانعي من امر اردته ؟ قال : وما ذاك يا امير المؤمنين ؟ قال : ابايع لرجل من آل علي ابن ابي طالب اختاره، واصير هذا الامر اليه، فقال له الفضل : ما اردته يا امير المؤمنين فانا معك عليه، وبلغ ذلك الحسن بن سهل فانكره على الفضل، واجتمعوا عند المأمون فقال للفضل : اعلمت يا ابا محمد ما قلت لك ؟ قال : نعم يا امير المؤمنين، قال : فما قال فيه؟ قال : نفر منه وانكره علي، فقال الحسن : اتأذن لي يا امير المؤمنين في الكلام؟ قال :تكلم، قتكلم فعظم دولة بني العباس وقدر المأمون، وذكر ما تخوفه من الانحراف ان فعل ما ذكره، فقال المأمون: قد رأيت انا نكون في هذا الامر ثلاثة ن فارى واحدا منا قد ذهب ثم اغلظ في القول، واكد قوله، وذكر انه لم ير في اهله من يصلح لذلك، وانه كان عاهد الله ان ظفر باخيه المخلوع يعني الامين، وقصتهم معروفة، ان يصير هذا الامر في ولد علي ع م، فلما سمع الحسن منه ذلك ورأى عزمه عليه قال : رأيي مع رأيك يا امير المؤمنين،فامره ان يخرج الى بغداد ويتلطف باشخاص علي بن موسى بن جعفر الصادق ع م اليه على بر واكرام، وكان علي بن موسى بالشام.

فلما صار الحسن الى بغداد وقد كان المأمون كتب معه كتابا، وكان ذلك الكتاب قبل ان يشخص اليه من كان قام عليه من الطالبيين، وامره باشخاصهم معه، وكتب الى الخلودي في حمل محمد بن جعفر وعلي بن موسى، وعلي ابن الحسين بن زيد، واسماعيل بن موسى،ن وابن الارقط، ومن كان قد خرج معهم، فحلمهم الخلودي واخذ بهم على طريق البصرة وابراهيم بن المهدي بها، وقد انتهى الخبر اليه وما يريد بعلي بن موسى، فانكر وذكر ذلك لمن يخصه من العباسيين.

وصاروا الى فارس فلقيهم رجا بن الضحاك فتسلمهم من الخلودي وقدم بهم الى مرو لعشر خلون من جمادى سنة احدى ومائتين، فصيروا في دار في ميدان الفضل يقال لها دار ياسر، انزل منها علي بن موسى في بيت وحده، والباقون في بيت آخر لجماعتهم.

وجاء الفضل بن سهل فدخل على علي بن موسى معظما له، يخبره انه يوجب حقه، ثم ذكر له ما اريد له، فرأى منه انقباضا، ثم ادخل على المأمون فاكرمه وشكره لما كان من تركه التعرض لما دخل فيه اهله، وان محله عنده محل العم لقدره وسنه، وامرله بوسادة فصيرت له بقربه، واجلسه عليها، واذن للناس حتى رأوا ذلك وانصرفوا، ثم نقلهم من تلك الدار الى غيرها، وادخل علي بن موسى الى حجرة من داره، ليس بينه وبينها ستر، وجعل الفضل يراسله ويكاتبه في ان يبايع له، وهو في كل ذلك يأبى، ثم لقيه الفضل بنفسه في ذلك، فقال له : ان امير المؤمنين اعطى الله عهدا ان يصير هذا الامر في خير من يعلم، وليس ذاك الا انت، قال :فلست كذلك، وامتنع، وادخله المأمون الى نفسه فقال: يا ابا الحسن اني اعطيت الله عهدا ولست بتاركـك حتى اصير هذا الامر اليك من بعدي، وقد علمت ان عمر ابن الخطاب ادخل عليا ع م في الشورى، وامر بضرب عنقه ان لم يصر الى امره، ولم يزل به حتى اجابه، وذلك بعد قدومه بثلاثة اشهر .

وبويع لعلي بن موسى الملقب بالرضي يوم الاثنين لست خلون من شهر رمضان سنة احدى ومائتين، وكان حديث ذلك ان المأمون قبل ذلك بايام لبس الخضرة وكساها رجاله، وامر الناس بلباسها، ولبسها الناس جميعا ولبسها القاضي، وجلس المأمون للبيعة لعلي بن موسى، وسماه الرضي، وامر بوسادتين، فاكثر حشوهما حتى لحقا بفراشه، ثم اجلس علي بن موسى عليهما وعليه عمامة وسيف . ثم امر العباسي ابنه بالبيعة له اول الناس، فرفع يده بظهرها وجه نفسه وببطنها وجوههم، فقال له المأمون :ابسط يدك يبايعك القوم، فقال ان رسول الله صلع كان اذا بايع فعل هذا، فبايعه القوم من الهاشميين وغيرهم من الصحابة والقراء، وخرج الفضل بن سهل علىالناس فحمد الله واثنى عليه وصلى على النبي وبشرهم بما منّ الله عليهم به مما رآه المأمون في البيعة للرضي، اذ كان ابن علي ابن ابي طالب ع م وابن رسول الله صلع، وامر الناس برزق سنة، ثم جلس المأمون في يوم الخميس بعد اربعة ايام فاذن للناس، فدخلوا والرضى في المجلس الذي كان فيه بويع،والفضل بينهما على كرسي، والعباس بن المأمون على يسار ابيه على وسادة واحدة، ومحمد بن جعفر في اول الصف يسرة، وعبد الله بن الحسن بن عبد الله بن العباس بن علي بن ابي طالب على اليمين دون اسحاق بن موسى بن عيسى بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس، والى جنب محمد بن جعفر عيسى بن يعقوب بن اسماعيل بن عبد الله بن العباس، الى جنب عبد الله الحسن بن الفضل ثم عبد الصمد.

ودخل بقية الطالبيين والعباسيين فاجلسوا دون هؤلاء في الايوان متصلين بهم، واقيم الناس سماطين على رسومهم، واتي بالمال بدرا في وسط الايوان، وقامت الخطباء والشعراء، فذكروا فضل امير المؤمنين علي ابن ا بي طالب عليه صلوة الله وسلامه، وما كان في مثل ذلك من الشعر، ثم قام ابو عباد في آخر الايوان فنادى بالعباس بن المأمون، فقام العباس فدنى من ابيه فقبل يده ثم امره بالجلوس، ثم نادى محمد بن جعفر فلم يقم، فاشار اليه الفضل قم فقام، فدنى من المأمون ثم مضى نحو جائزته،وهكذا كانت السنة عندهم،فلما كان في وسط الايوان نادى المأمون :يا بن جعفر ارجع الى مجلسك . ثم نودي بعلوي وعباسي حتى انقضى المجلس، واعطي محمد بن جعفر ستين الف دينار، واعطى كذلك عبد الله بن الحسن وعيسى بن يعقوب وعبد الصمد بن علي، اسحاق بن موسى، وعيسى كل واحد منهم ستون الف دينار، واعطي علي ابن الحسين ين زيد العلوي اربعين الف دينار، واعطي اسماعيل بن موسى وغيره من الطالبيين لكل واحد منهم ثلاثين الف دينار.

وجلس علي بن موسى في مجلس المأمون يوم الجمعة بعد الصلوة، ودخل الناس اليه كما يدخلون الى المأمون، وطرز الطراز وضربت السكة باسمه، وزوّج المأمون ابنته مع ام الفضل من محمد بن علي بن موسى، واقام علي بن موسى على ذلك مع المأمون باقي سنة احدى ومائتين، ثم سقي السم .

قال ابو الصلت القروري فيما روي عنه : دخلت على علي بن موسى حين بويع له فقال لي : ما ترى ما دفعت اليه، قلت خيرة ان شاء الله تعالى، قال : اي خيرة في هذا، ثم عدت اليه بعد فقال : يا ابا الصلت قد والله فعلوها، يعني انهم سقوه السم .

واعتل يوم الاحد لاربع عشرة ليلة خلت من صفر سنة ثلاث ومائتين، واظهر المأمون علة، وان ذلك انما نالهما من طعام اكلاه جميعا، فلما ان كانت ليلة السبت لثلاث بقين من صفر سنة ثلاث ومائتين ارسل الى اسماعيل وزيد ومحمد بن جعفر فجيء بهم في جوف الليل، واصبح علي بن موسى ميتا .

وخرج المأمون الى الناس فقال : اصبح الرضي صالحا، والحمد لله وانصرف الناس، وامر المأمون باحضار الناس الى داره نصف النهار، فاجتمعوا واظهر موته، فلما خرجت جنازته قام المأمون باكيا، ثم قال : لقد كنت اريد ان يجعلني الله المقدم قبلك للموت فابى الله الا ما اراد، ولولا خفت ان يقول قوم انك لم تمت ما اظهرتك للناس صيانة لك، ثم حمل لبنة لقبره، فقال له بعضهم : يا امير المؤمنين انا احملها، فقال: اتستكثر هذا لاخي، ثم مشى الى القبر واظهر من الجزع عليه شيئا عظيما .

وقد روي عن منصور بن بشير قال : سمعت عبد الله بن بشير يقول استغفر الله وما اظنه يغفر لي فقلت: سبحان الله وكيف ذلك ؟ قال : دخلت يوما على المأمون ونحن بخراسان فقال لي : متى اخذت اظفارك يا عبد الله ؟ قلت : مذ جمعة، قال : فطولها الى جمعتين، ففعلت وانا لا اعرف مراده، ثم جئته فقلت يا امير المؤمنين قد فعلت ما امرتني به من تطويل اظفاري، فامرخادما فجاء بجام مختوم ففك ختامه وكشف عنه، واذا فيه شيء شبيه بالتمر الهندي، فقال لي :امرس هذا بيديك ففعلت : ثم قال : دع يديك حتى يجفا، وامر بالاسراج وكان الرضى عليلا، فركب اليه وامرني فركبت معه، فلما دخل اليه سأله عن حاله فاقبل يخبره فقال : لم يأتك احد من هؤلاء المترفقين ؟ قال : لا فحرد وصاح على غلمانه، فقال افلم تأخذ شيئا؟ قال لا، قال فماء الرمان مما ينبغي الا تفارقه، يا غلام عشر رمانات، فجيء بها فرماها الي وقال : قشرها يا عبد الله وامرسها، ففعلت ويداي على حالهما، ثم اخذ قدحا من ماء الرمان بيده وسقاه اياه، فما قام الا يوما حتى مات .

نرجع الى ما كنا فيه من ذكر خبر الامام عبد الله بن محمد بن اسماعيل عليهم السلام، وفرق الامام دعاته في نواحي الارض، وامر الناس بطاعة اخيه الحسين بن محمد بن اسماعيل، وقال : من اطاعه فقد اطاعني، ومن خالفه فقد خالفني، واستخلفه مكانه، وخرج في اثنين وثلاثين رجلا من الدعاة الىبلاد الديلم يدعون الناس، ويعرفونهم بالامام، ووقف الامام عليه السلام كما قدمنا ذكره بشالوش .

وخرج الحسين بن محمد ع م مع الحاج الى مكة في زي التجار، ووصل الى سامرّا ومعه جماعة من الدعاة والاولياء، وفرق بها الدعاة الى الآفاق للدعوة الى اخيه الامام عبد الله بن محمد بن اسماعيل عليه السلام، ثم رجع من سامرّا الى الاهواز في زي التجار، وكان رجل من الدعاة يدعو الى الحسين ابن محمد بن اسماعيل، وقال لهم : ان الامام عبد الله بن محمد اوصى اليه، وانه الامام، فلما بلغ ذلك الحسين رضوان الله عليه قصد الموضع الذي فيه الداعي، وذلك الذي يدعو اليه، وجمع الناس والمستجيبين، وقال لهم : ما انا الامام، وانما استخلفني اخي عبد الله ع م وهو الامام، وانا من خوله وعبيده، وانكر على الداعي ما دعى اليه من امامته، فلما سمع الناس قوله ازدادوا رغبة في طاعة عبد الله ع م ولا يعلم احد موضعه الا من اختصه من الدعاة بمعرفة ذلك .

فاما علي الملقب بالليث بن محمد بن اسماعيل فاطاعه اهل نهاوند لقرابته من ملكهم منصور بن جوش، وجمع زهاء الفي رجل من فارس وراجل وكان فارسا شجاعا يحب الصيد، فبينا هو ذات يوم من الايام قد خرج للصيد، اذ احاط به عسكر قد كان خرج من الري في طلبه من قبل العباسي، فوجدوه في نفر يسير، فلم يزل يقتلهم حتى اصابه سهم في حلقه فسقط عن دابته، رحمة الله عليه، واخذوا رأسه وحملوه الى الري.

وكان الحسين بن محمد رضوان الله عليه شلبنة متشاغلا بالكتب وامر الدين فحين بلغه خبر اخيه وقتله خرج خائفا يترقب الى اخيه احمد بن محمد وكان احمد مقيما بخوارزم فلحقه قوم من العامة المناصبين قد رصدوا له فاخرجوه فقتلوه رضوان الله عليه، وقتلوا جميع من كان معه من اصحابه واهله رحمة الله عليهم، فالقوهم في قبر ردموا عليهم، واخذوا رأسه، ورؤوس من كان معه من اهله واصحابه وحازوا رحله ودوابه، ولم ينج احد ممن كان معه بجبل نهاوند غير احمد بن علي الملقب بالليث بن محمد بن اسماعيل ع م، وكانت معه ظئر يوم قتل ابوه الليث بن محمد ابن اسماعيل فخلصته واخفته، فالتجأ احمد بن الليث الى القرية المعروفة بمهدي كدكاه

فما ذا لقي اهل البيت من ظلم الظالمين، وتغلب الآثمين، الذين قتلوا اولاد الرسول،وظلموا بني الوصي والبتول، وهم منتمون الى امة جدهم، متمادون في قتلهم وحصدهم،

وكان مع احمد بن علي الليث ممن نجى من اولاد عمه الحسين بن محمد ولما شب احمد بن الليث بن محمد بن اسماعيل جمع من انضاف اليه من الشيعة، وكان فصيحا متكلما، فحدثهم وقال : ما ذا لقي آل محمد ؟ فاجتمع اليه اربعة آلاف رجل من كلاب ونواحيها، بزادهم ونفقاتهم، حتى نزل بهم على شلبنة، ونادى في الناس ان يخرجوا ليقرأ عليهم كتاب السلطان، فلما خرجوا اليه وضع فيهم السيف هو والذين معه فقتلوهم، وهم قتله الحسين بن محمد فقيل ان قتلاهم كانوا ستة آلاف قتيل، ورجع احمد بن علي الى مستقره في رستاق ابل في مهدى كدكاه .

ولما سمع الامام عبد الله بن محمد سلام الله عليه ما جرى على اخوته وولده، خرج من الاهواز ومعه ولده احمد بن عبد الله الذي اهله لخلافته الى سامرّا، واقام بها مدة وكتب الى دعاته يخبرهم بسلامته، ثم انه قصد من سامرّا الى الشام في زي التجار فنزل سلمية، وابتنى بها دارا وسكنها وهو في زي التجار، وكان فيها قوم هاشميون من بني العباس وغيرهم فانتسب اليهم، وكان فيهم وفضله بين وهو بزينة التقوى متزين، تدل عليه فضائله وتظهر براهينه ودلائله، واخفى الامام ع م اسمه واسم ولده، ولم يعلم الدعاة في اي جهة هو، فاجتمعوا وافترقوا في طلبه .

وكان من دعاته المحمودة آثارهم هرمز وولده مهدي وسرحان بن رستم، وولده عمران، وكان قد اجتمع عند مهدي بن هرمز اربعة آلاف دينار من العين من اعمال المؤمنين فجعلها معه وخرج في طلب الامام عليه السلام واشترى شيئا من العطر تستر به، وكان يبيع منه ويسأل عن صفة الامام ويقول : هل رأى احد رجلا من صفته كذا وكذا ؟ الى ان بلغ سلمية فدل على صاحب الصفة، حتى اذا انتهى الى باب قصر الامام عليه السلام فسأل بعض غلمانه في الاستئذان له عليه، وعرفه انه من دعاته، فاذن له بالدخول، فلما حضر بين يدي الامام ع م فرح به وسره قدومه، وادى مهدي الامانة الى ولي امره وامام عصره، ورجع الى وطنه يقيم الدعوة هناك .

واقام الامام عبد الله بن محمد سلام الله عليه بقية عمره في سلمية، ونصّ على ولده احمد بن عبد الله بن محمد بن اسماعيل عليهم السلام واشار اليه، وكتب الى دعاته يعرفهم ان ولده احمد بن عبد الله بن اسماعيل هو ولي عهده، والخليفة القائم بامره من بعده، ثم قبض الامام عبد الله بن محمد بن اسماعيل سلام الله عليه ورضوانه ورحمته وبركاته، ودفنه الامام احمد بن عبد الله سلام الله عليهما بسلمية.

## ذكر الامام التقي احمد بن عبد الله بن محمد بن اسماعيل

وقام الامام التقي احمد بن عبد الله بن محمد بن اسماعيل ع م بعد ابيه بامر الامامة، وبث دعاته في الآفاق من سلمية، واتصل به الدعاة ودعوا اليه، وهم مخفون لمقامه كاتمون لاسمه، وتزوج من سلمية وولد له بها ولد سماه الحسين بن احمد، وهو اول ولده، والذي صار اليه مقام الامامة من بعده

وكان المأمون حين احتال على علي بن موسى الرضي بن جعفر الصادق ع م ظن ان امر الله قد انقطع، وحجته عن الارض قد ارتفع، وانه قد اصاب غرضه وبلغ امله، وانه قد قطع ذرية الامامة، ويأبى الله الا ان يتم نوره ولو كره المشركون، وتبقى كلمته الى يوم يبعثون، فحين ظن المأمون العباسي بن هارون ذلك الظن، ووهم ذلك الوهم، سعى في تبديل شريعة محمد صلع وتغييرها، وان يرد الناس الى الفلسفة وعلم اليونانيين، وانه لا يقوم احد باحياء الشريعة واقامة الملة حين ظن انه قد قطع الامامة، واستأصل شأفة اهل الفضل والكرامة، فحين شاع ذلك منه وظهر عنه، وخشي الامام عليه السلام ان يميل الناس الى ما زخرف المأمون عن شريعة جده المختار، ويزيغوا عن سنته الى سنة الفجار، فالف رسائل اخوان الصفاء وخلان الوفاء، وجمع فيها من العلوم والحكم والمعارف الالهية والفلسفية والشرعية، وابان فيها الفضائل النبوية، ودل على فضل نبينا محمد صلى الله عليه على آله، وعالي شرفه، وما خصه الله من المنزلة الرفيعة به، وجعل ذلك مضمنا في رسائله، واوضح براهينه ودلائله، وابان المنهج، وفتح كل باب من الحكمة مرتج، وذلك ما يعجز عن الاتيان بمثله كل الخلق، الا من اصطفاه الله تعالى من رسله، وامده بوحيه، او من كان من شجر النبوة، واخذ الكتاب بقوة، فاستخرج دفائنه، واستثار كمائنه، واخذ علمه عن آبائه الطاهرين الآخذين له عن الوصي الذي تعلم من رسول الله صلع الف باب، وانفتح له من كل باب الف باب، مما انزله الروح الامين على قلبه، ليكون من المنذرين، فمن نظر في هذه الرسائل الموصوفة نظرا عقليا، وكان يتصفح ما فيها مليا، عرف ان تلك الثمرات الطيبة لا تخرج الا من شجر النبوة، واغصان الامامة، ولا يكون الا ممن خصه الله بالتائيد والكرامة.

ونحن نأتي بشيء مما هو في فهرست الرسائل مذكور، ومعنى فهرستها هو الابانة لما هو فيها معلوم مسطور،فجعل الرسائل المذكورة صلوات الله عليه سلامه لاخوان الصفا وخلان الوفا الذين صفوا من الشوائب والاكدار، ووفوا بما عاهدوا الله عليه ففازوا بعقبى الدار، من ابناء الحمد والفضل، واهل التوحيد والعدل، القادحين من بحار معانيها، ومعاني اغراضها التي تشتمل عليها، وتحقق بها، وهي اثنتان وخمسون رسالة في غرائب العلوم، وفنون الحكم، وطرائف الآداب، وحقائق المعاني، مقسومة اربعة اقسام: فمنها رياضية تعليمية، ومنها جسمانية طبيعية، ومنها نفسانية عقلية، ومنها ناموسية الهية.

فالرسائل الرياضية التعليمية 14 رسالة :

1 - الاولى منها رسالة في العدد وماهيته وكميته وكيفيته وخواصه، والغرض والمراد من هذه الرسالة في رياضة المتعلمين للفلسفة، المؤثرين للحكمة، الناظرين في حقائق الاشياء، الباحثين عن علل الموجودات باسرها، وفيها بيان ان صور العدد في النفوس مطابق لصور الموجودات في الهيولى، وهي انموذج من العالم الاعلى، وبمعرفته يتدرج المرتاض الى سائر الرياضيات والطبيعيات، وما فوق الطبيعيات،وان علم العدد هو جذر العلوم وعنصر الحكمة،ومبدأ المعارف، واسطقس المعاني.

2 – منها رسالة في الهندسة وبيان ماهيتها، وكمية انواعها، وكيفية موضوعاتها، والغرض المقصود منها التهدي للنفوس من المحسوسات الى المعقولات، ومن الجسمانيات الى الروحانيات، ومن ذوات الهيولى الى المجردات، وكيفية رؤية البسائط، ومعنى البسائط هي الروحانية التي لا تتكرر ولا تزداد، وتنفرد بالاتحاد، ولا تتقدر بمقدار، ولا انحصار في الاقطار، كالصورة المجردة المعراة من المواد، المبرأة من الهيولى والجواهر المحضة الروحانية، والذوات المجردة العلوية التي لا تدرك بالبيان وفوق الزمان، وكيفية الاتصال بها والاطلاع عليها والترقي اليها .

3 – منها رسالة في النجوم شبه المدخل في تركيب الافلاك، وصفة البروج وسيرالكواكب، ومعرفة تأثيراتها في هذا العالم، وكيفية انفعال الامهات والمواليد فيها، والنشؤ والبلى، والكون والفساد، والغرض منها هو تشويق النفس الصافية للصعود الى عالم الافلاك، واطباق السموات، ومنازل الروحانيين والملائكة المقربين، والملأ الاعلى، والجواهر العلى، والوصول الى القدس، والروح الامين.

4 – منها في الموسيقى، وهو الشعر وما شاكله من النظم والنغم، والالحان الموزونة، ولها تأثيرات في نفوس المتعلمين لها كتاثير رالادوية والاشربة والترياقات في الاجسام الحيوانية . وان للافلاك في حركاتها و دورانها واحتكاك بعضها ببعض نغمات مطربة، والحان طيبة لذيذة معجبة، كنغمة اوتار العيدان والطنابير والحان المزامير، والغرض منها هو التشويق للنفوس الناطقة الانسانية الملكية للصعود الى هناك بعد مفارقتها الاجساد التي تسمى الموت، وانه الى هناك يعرج بارواح النبيين والصديقين والشهداء والصالحين المحقين المستبصرين، كما بين تعالى بقوله : ان كتاب الابرار لفي عليين وما ادراك ما عليون.

5 – منها في صورة الارض والاقاليم، والبيان بان الارض كرية الشكل بجميع ما عليها من الجبال والبحار والبراري والانهار، والمدن والقرى، وانها حية تشبه بجملتها صورة حيوان تام عابد لله تعالى بجميع اعضائها واجزائها، وظاهرها وباطنها، وكيفية تخطيطها وتقديرها، وتشاكلها وممالكها، والغرض منها هوالتنبيه على علة ورود النفس الى هذا العالم وكيفية اتحادها وعلة ارتباطها بغيرها، واستعمالها الحواس، واستعمالها القياس، والتنبيه على خلاصها والحث على النظر والتفكر فيما نصب لها من الدلالات، وارانا من الآيات في الآفاق والانفس، حتى يتبين للناظر انه الحق فيمسك به ويزدلف اليه، ويتوكل في احواله عليه، فيستعد للرحلة والتزود الى دار الآخرة قبل الممات وفناء العمر، وتقارب الاجل وقرب الامر، والحسرة والندامة.

6 – منها في النسب العددية والهندسية والتأليفية، وكمية انواعها وكيفية ترتيبها، والغرض منها التهدي نفوس العقلاء الى اسرار العلوم وحقائقها، وبواطن الحكم ومعانيها، والوقوف على ان الموجودات المختلفة القوى المتباينة الصور، المتنافرة الطباع، اذا جمع بينها على النسبة المتعادلة، ائتلفت وصحت، وبقيت ودامت، فاذا كانت على غير النسبة المتعادلة اضطربت، وتنافرت حتى اضمحلت وفنيت، وما اعتدلت وما استقام شيء الا على قدر المناسبة، وصحة الائتلاف، وبمعرفة كنه ذلك وكيفيته يكون الحذق والمهارة بالصنائع كلها، والتبرز فيها .

7 – منها في الصنائع العلمية والنظرية وكمية اقسامها وكيفية مراتبها،وايضاح طرائقها ومذاهبها، والغرض منها تعديد اجناس العلوم وانواع الحكم، وبيان اغراضها وحقائقها، والتهدي لطلب العلوم والحكم، والتوقيف عليها، وكيفية الطريق اليها، وبيان معرفتها .

8 – منها في الصنائع العلمية والمهنية، وتعديد اجناس الصنائع العملية والحرف، والغرض منها تنبيه نفوس الغافلين على معرفة جواهرها التي هي الفاعلة على الحقيقة المستنبطة للصنائع كلها، المستعملة لاجسامهم، المستخدمة لابدانهم، اذ هي للصنائع كالآلات للنفوس، والادوات لها تستعملها لتبلغ بها غرضها على اختلاف مقاصدها، وفنون حاجاتها .

9 – منها في بيان اختلاف الاخلاق واسباب اختلافها، وانواع عللها، ونكت من آداب الانبياء وسننهم، وزبد من اخلاق الحكماء وسيرهم، والغرض في ذلك منها تهذيب النفوس، واصلاح الاخلاق اللذان بهما الوصول الى البقاء الدائم، والسرور المقيم، وكمال السعادة الباقية في الدنيا والآخرة.

10 – منها في الالفاظ الستة التي تستعملها الفلاسفة في المنطق في اقاويلهم ومخاطباتهم في كتبهم وحججهم وبراهينهم والغرض منها هو التنبيه على ما يقوّم ذات الانسان ويتممه، ويعرفه البقاء الدائم، ويعرفه الفرق بين الكلام المنطقي واللغوي والفلسفي، وما حقيقة كل احد منها، وبيان ما يحتاج من ذلك اليه لتسديد العقل، ويثقيفه نحو الحقائق، ورده عن الزلل والغلط، كما يحتاج الى النحو لتسديد اللسان وتقويمه نحو الصواب، ورده عن اللحن، لان نسبة صناعة المنطق الى العقل والمعقولات مثل نسبة صناعة النحو الى اللسان والالفاظ .

11 – منها في البيان عن المقولات الكليات وهي الالفاظ العشرة التي كل واحد منها اسم لجنس من الموجودات كلها، والغرض منها هو البيان بان معاني الموجودات كلها قد اجتمعت في هذه المقولات العشرة، التي يسمى كل واحد منها جنس من الاجناس، والاجناس داخلة فيها، وكيف تنقسم الاجناس الى الانواع، والانواع الى الاشخاص، والاشخاص الى الامهات، وانها حدائق الالباب، وبساتين العلوم، وجنان الحكم، وفواكه النفوس، ونزة الارواح.

12 – منها في الكلام في العبارة واداء المعاني على حقها والابانة عنها، والغرض منها تعريف الاقاويل الجارية البسيطة الجملية التي هي اقسام الصدق والكذب، وكيف تحصيل المقدمات القياسية، وتركيبها من الالفاظ البسيطة المفردة، وتقابل الايجاب والسلب، وتقسم اصناف الاقاويل، وانها هي الجازم الذي منه تتركب المقدمات البرهانية، وما الاسم، وما الكملة، وما القول المطلق،وما الجازم، وما الموجبة، وما السالبة، وما المحصل، وما المستقيم، وما المعدول، وما القضايا الثنائية والثلاثية والرباعية، وما العناصر الثلاثة من ضروري وممكن وممتنع، وما الضد والنقيض وغير ذلك مما يحتاج اليه في مقدمات القياس .

13 – منها في القياس والغرض منها هو بيان كمية القياس الذي يستعمله العلماء والمتكلمون في احتجاجاتهم، والدعاوي والبينات، والمناظرات في الآراء والمذاهب، وانه الميزان الذي وضعته الفلاسفة ليعرف به الصدق من الكذب في الاقاويل، والخطأ من الصواب في الآراء، والحق من الباطل في الاعتقادات، والخير من الشر في الافعال، ومن اي شيء تكون، وكيف تكون، ومتى تكون وايها الصحيح والفاسد .

14 – منها في البرهان والغرض منها هو البيان والكشف عن كيفية القياس الصحيح الذي لا خطأ فه ولا زلل وهو المسمى البرهان، وهو ميزان البصائر يقيم الوزن بالقسط، ومثاقيلها بداية العقول والمعارف الاول، يستعملها الصيارفة الالهيون من الحكماء الذين يعرفون الصواب من الخطأ، والحق من الباطل، ويوضح الحق المبين، والعلم اليقين.

والرسائل الجسمانية الطبيعية، وهي 17 رسالة :

1 – الاولى منها في الهيولى والصورة وماهيتها الزمان والمكان والحركة واختلاف اقاويل الحكماء في حقائقها وكيفياتها، والغرض منها هو تعريف ماهية الجسم وحقيقته، وما يخصه من الاعراض اللازمة والزائلة،والصور المقومة والمتممة .

2 – منها في السماء والعالم وبيان كيفية اطباق السموات وكيفية تركيب الافلاك، وما هو العرش العظيم، وما هو الكرسي الواسع، والغرض منها هو البيان عن كيفية تحريك الافلاك وتسييرات الكواكب،وان المحرك لها كلها هو روح القدس، والنفس الكلية الموكلة بها، باذن الله باريها، وروح القدس والنفس الكلية هما ملكان من اعلى ملائكة الله تعالى، وهو سبحانه الذي وكلها بحركة ما ذكر، وذلك مذكور في الرسالة المذكورة، من اراد الوقوف عليها فليقف ليعرف.

3 – منها رسالة في الكون والفساد والغرض منها هو البيان عن ماهية الصور المقومة لكل واحد من الاركان الاربعة، اعني الامهات التي هي النار والهواء والماء والارض وانها هي الامهات الكائنة منها المعادن والنبات والحيوان، وكيفية استحالة بعضها الى بعض باختلاف كيفياتها عليها، بدوران الافلاك حولها، ومطارح شعاعات الكواكب عليها، والطبيعة الفاعلة لها، المحركة لكل واحد منها، الى كمالها وغايتها هي قوة من قوى النفس الكلية، وملك من جملة الملائكة الموكلة بها، وسائقة لها الى تمام ما اعد لها من غايتها .

4 – منها في الآثار العلوية،والغرض منها هو البيان عن كيفية حوادث الجو، وتغييرات الهواء من النور والظلمة، والحر والبرد، وتصاريف الرياح من البخارات والدخانات الصاعدة في الهواء من البحار والانهار، وما يكون منها من الغيوم والضباب، والطل والانداء، والامطار والرعود والبروق والثلوج والبرد، والهالات وقوس قزح، والشهب ذوات الاذناب، وما شاكل ذلك.

5 – منها في كيفية تكوين المعادن، وكمية الجواهر المعدنية، وعلة اختلاف جواهرها، وكيفية تكوينها في باطن الارض، والغرض منها هو البيان بانها اول مفعولات في الطبيعة، التي هي دون فلك القمر، التي هي قوة من قوى النفس الكلية الفلكية باذن الله باريها، المصور للجميع والموجد للكل، لا من موجود، ابداعا واختراعا، وخلقا وتكوينا. ومنها تبتدئ الانفس الجزئية بالتهدي الباعث لها الى الترقي من اسفل سافلين من مركز الارض الى اعلى عليين، عالم الافلاك وفوق السموات موقف الابرار المتقين، ومقر الاخيار المنتجبين، ومحل الانبياء والمرسلين، وهذا اول صراطه الذي تجوز عليه الانفس الجزئية، ثم النبات بوساطة الكون والنمو، ثم الحيوان بوساطة الكون والنمو والحس، ثم الانسان بوساطة الكون والنمو، والحس والعقل، ثم التجرد والدخول في زمرة الملائكة، الذين هم سكان الافلاك، والملإ الاعلى، الذين هم اهل السموات.

6 – منها في ماهية الطبيعة، وكيفية افعالها في الاركان الاربعة التي هي الامهات، ومواليدها التي هي الحيوان والنبات والمعادن، والفرق بين الافعال الارادي من الفكر والشوقي، وبين الضروري من الطبيعي والقهري، والغرض منها تنبيه الغافلين على افعال النفس، وماهية جوهرها، والبيان عن اجناس الملائكة، وهي التي تسميها الفلاسفة روحانيات الكواكب، والموكلة بانشاء المواليد بتحريكها الى استكمالها صورها، والكمال المعد لها .

7- منها في اجناس النبات وانواعها، وكيفية سريان قوى النفس النامية فيها، والغرض منها هو تعديد اجناس النبات، وبيان كيفية تكوينها ونشوئها، واختلاف انواعها من الاشكال والالوان، والطعوم والروائح في اوراقها وازهارها، وثمارها وحبوبها وبذورها، وصموغها ولحائها وعروقها وقضبانها، واصولها وغير ذلك من المنافع، وان اول مرتبة النبات متصلة بآخر مرتبة المعادن، وآخر مرتبتها متصلة بمرتبة الحيوان .

8 – منها في اصناف الحيوانات وعجائب هياكلها، وغرائب احوالها، والغرض منها هو البيان عن اجناس الحيوانات، وعجائب هياكلها، وكمية انواعها، واختلاف صورها، وطبائعها واختلافها، وكيفية تكوينها ونتاجها وتوالدها، وتربيتها لاولادها . وان اول مرتبة الحيوانية متصلة بآخر مرتبة النبات، وآخر مرتبة الحيوانية متصلة باول مرتبة الانسانية، وآخر مرتبة الانسانية متصلة باول مرتبة الملائكة الذين هم سكان الهواء، والافلاك، واطباق السموات، وان نفوس الحيوانات ملائكة ساجدة لنفس الانسان التي هي خليفة الله في ارضه، ونفوس بعضها راكعة له، ونفوس بعض الحيوان شياطين عصاة صائرة الى جهنم، عالم الكون والفساد، وان الانسان اذا كان خيرا فاضلا فهو ملك كريم خير البرية، وان كان شريرا فهو شيطان رجيم شر البرية .

9 – منها في تركيب الجسد، والبيان بانه عالم صغير، وان بنية هيكله تشبه مدينة فاضلة، وان نفسه تشبه ملكا في تلك المدينة، والغرض منها هو معرفة الانسان جسده وبنيته المهيأة له، وان انتصاب القامة اجل اشكال الحيوانات، وان بنية جسد الانسان مختصر من العالم الذي هو في اللوح المحفوظ، وانه الصراط الممدود بين الجنة والنار . وانه الميزان القسط الذي وضعه الله بين خلقه، وانه الكتاب الذي كتبه الله بيده، وصنعته الذي صنع الله بنفسه، وكلمته التي ابدع الله تعالى بذاته. وان النفس الانسانية خليفة الله في ارضه، حاكما بين خلقه، وسائسا لبريته، مستعملا لعالمه السفلي مدة من الزمان، فاذا انتقل صار زينة لعالمه العلوي، وحافظا لذاته الوجودي على الابد، وان الانسان اذا عرف نفسه المستخلف عرف ربه الذي استخلفه وادركه الوصول اليه والزلفى لديه، فائزا بنعيم الابد، ودوام السرمد .

10 - منها في الحاس والمحسوس، والغرض منها هو البيان عن كيفية ادراك الحواس محسوساتها، واتصالها بواسطة القوة الحاسة، وايصالها الى الحاسة المشتركة الروحانية الواصلة التي منها انبعثت قوى الحواس الظاهرة . وانها ترد كالخطوط الخارجة من المركز الى المحيط بنقط كثيرة، الراجعة اليه بنقطة واحدة، وهو اول منازل الروحانية، اذ القوة الحاسة المؤدية اليه جسماني بوجه وروحاني بوجه، والحاسة المشتركة، اعني الداخلة، روحانية محضة، لان حكم الجزاء منها حكم الكل، وان كانت التجزئة لا تقع عليه بالحقيقة، لان تصورها الشيء بادراكها، وايصالها الى القوة المتخيلة، التي مجراها مقدم الدماغ لتوصلها الىالقوة المفكرة التي مجراها وسط الدماغ، لتميزها وتخلصها بجولانها، وتعرف حقائقها، ثم توصلها الى القوة الحافظة الذاكرة التي مجراها مؤخر الدماغ، لتمسكها وتحفظها منعقدا او غير منعقد، الى وقت التذكار، ثم تؤديها الى القوة الناطقة العاملة التي هي ذات الانسان المدبرة للكل، الباقية بالذات، تنتزع جميع المعاني والصور المنتزعة من مصوراتها المرتسمة فيها . وهي القوة الناطقة ايضا بوساطة الاولى، فتلك الصورة هي لها كالموضوع وكالهيولى، والقوة المعبرة ايضا للنطق الخارج هي القوة الناطقة ايضا، على وجه ثالث بواسطة الالسن، فاذا همت الاولى باظهار شيء الى الخارج وهو النطق الالهي علىالحقيقة من صور النفس تصورت النفس الثانية، اذ هما جوهر واحد، لتجردهما عن المواد وتعريهما عن الهيولى، اعني الجسمانية، فتأدت الى القوة الناطقة التي مجراها على اللسان لتعبر عنها الالفاظ الدالة للمخاطبين على المعاني التي تخرج من النفس الى القوة الصانعة التي مجراها اليدان لتخط بالاقلام على اوجه الالواح وصفحات الدفاتر، وبطون تلك الالفاظ، وهي النطق الخارج، والكلام الظاهر، لتبقى العلوم بصورها الذاتية، اعني معانيها المحفوظة من الاولين الى الآخرين، وخطابا من الحاضرين الى الغائبين، الى يوم يبعثون.

الحادية عشرة منها رسالة في مسقط النطفة وكيفية رباط النفس بها اعني الهيولانية عند تقلب حالاتها شهرا بعد شهر وتأثيرات افعال روحانيات الكواكب في احكام بنية الجسد من المزاج والتركيب اربعة اشهر قدر مسير الشمس ثلث الفلك واستيفائها طبائع البروج من النارية والترابية والهوائية والمائية ثم كيفية تأثيراتها وافعالها في احكام النفس اربعة اشهر اخر وما ينطبع فيها من التهيؤ والاستعداد التي هي صورة الاولى بالقوة لتصير صورة بالفعل عند التهيؤ لقبول الاخلاق والاعمال والعلوم والاداب والحكم والاراء في مقبل الزمان ومستقبل العمر بعد الولادة في الشهر التاسع عند دخول الشمس من بيت التاسع من موضعها يوم مسقط النطفة بيت الحركة والسفر والنقلة والتصور والعلم والفطنة والغرض منها هو الاخبار عن حال الانفس البسيطة قبل تشخصها واتصالها بالاجسام الجزئية المحصورة المحدودة المحسوسة بوساطة الالوان والاشكال والاعراض الاخر وان المكث في الرحم هذه المدة لتتميم البنية وتكميل الصورة وهو الكمال الاول لاستكمال الالة واعدادها الادوات لاستتمام رباط النفس بالهيكل واتحادها بقواه وانبساطها في البنية وتمكنها من الجملة

الرسالة الثانية عشرة منها في معنى قول الحكماء ان الانسان عالم صغير وهو معنى العالم الكبير المؤدي عن جملته والمخصوص بثمرته وان صورة هيكله مماثلة لصورة العالم الكبير الجسماني وان احوال نفسه وسريان قواها في بنية هيكله وحقيقة جوهره مماثلة لاحوال الخلائق الروحانيين من الملائكة والجن والشياطين وارواح الحيوانات اجمعين فان الانسان مختصر من العالمين الروحاني والجسماني جميعا مهيأ مجبول من سوس هو في الحقيقة خلاصة هذا العالم وثمرته وزبدته وكدر ذلك العالم وثفالته ان يكون جوهر اخر المعاني الجسمانية واول المعاني الروحانية فهوكالحد المتاخم لكل العالمين وكالاصل الصالح لمجموع الكمالين وكالجوهر الذي هو بإنيته معقول وكيفيته محسوس وكالشئ الذي بذاته حياة من وجه و ذو حياة من وجه و كالذات القائم بنفسه من جهة والقائم بغيره من جهة وكالمعنى المشير بمضمون فحواه ويفطن بمفهومه لما سواه ومن وجه اخر كالفرخ المتفقئ عنه البيضة الذي هو له كمال من وجه ومنتهى للكمال من وجه اخر فهو اللازم للوكر ما دام طائرا بالقوة فاذا استكمل طار فصار طائرا بالفعل وكالزاوية التي يوجد ذاتها متوسطة بين المتجزئ وغير المتجزئ ثم النقطة جامعة لحاليهما اعني البسيط والمركب وكالنبوة التي هي ممتدة الى الروحانيين بخط والى الجسمانيين بخط ثم الوحي جامع بين طرفيهما والالهام حاو لحديهما وكنهاية المحيط التي هي السطح لذي مكان وليس له مكان والغرض من هذه الرسالة هو الاخبار عن حال الانفس البسيطة قبل تشخيصها واتصالها بالاجسام الجزئية والاشخاص الحسية وعلة اتصالها مدة وحال مفارقتها عند بلوغ نهايتها وكيف يعرف الانسان هويته وانيته وكيفية نفسه وحقيقة ذاته وانه مجموع فيه معاني الموجودات كلها فهو كالكل ومحيط بالجميع فينتبه كذلك ويتأمل الصواب والفرصة مدة حياته فيقصده ويقتنيه ويحتويه اذ لذلك انشأه منشيه فيعيده ويبديه ويديمه ويبقيه وهو يبليه ويشفيه ويهديه لينجيه فيفوز بالبقاء والنعيم المقيم والله يهدي من يشاء الى صراط مستقيم

الرسالة الثالثة عشرة منها في كيفية نشر الانفس الجزئية في الاجساد البشرية والاجسام الطبيعية الغرض منها البيان عن كيفية بلوغ الانسان بدوام انتقاله وبغير احواله واخر معاده ومآله وكيف يصير الى رتبة الملائكة ومنازل الروحانيين دار القرار ومحل الاخيار عند خلع المادة و بلوغ الارادة ونهاية السعادة الى حلوله بعد الموت او قبله بوجوده الصوري و جوهره النوري

الرسالة الرابعة عشرة منها في بيان طاقة الانسان في المعارف الى اي حد هو ومبلغه في العلوم الى اي غاية ينتهي واي شرف منها يرتقي والغرض منها هوالتنبيه على معرفة الله جل جلاله والقصد نحوه واستنجاز لقائه والوقوف بين يديه والرجوع بالكلية اليه كما كان منه المبدأ واليه المعاد والمنتهى

الرسالة الخامسة عشرة منها في ماهية الموت والحيوة وما الحكمة في وجودها في الدنيا عالم الكون والفساد وما حقيقة المعاد والغرض منها هو البيان عن علة رباط الانفس الناطقة بالاجساد البشرية واتصالها بالاشخاص الجزئية الى وقت الموت وكيفية التأهب والاستعداد قبل الفوت والاستعجال ما دام الخلاص ممكنا والنجاة معرضة والاجسام موجودة والآلة متمكنة والاستهانة بالموت والتجافي عنه وازالة الخوف منه ببقاء النفس بعد الموت الذي هو مفارقتها الجسد وترك استعمالها اياه واستراحتها من اذاه ووصولها الى عالمها ووجودها مناها وبلوغها منتهاها وانه لا سبيل لها الى البقاء السرمدي الذي لا يتغير ولا يزول الا بمفارقة الجسد المستحيل الذي هو سبب الانتقال والزوال والتغير من حال الى حال

الرسالة السادسة عشرة منها في ماهية اللذات والالام الجسمانية والروحانية وعلة كراهية الحيوانات الموت وكيف اسباب الالام واللذة التي تنال النفوس بسبب الاجسام وكيف تنال بمجردها اذا فارقت الجسد وكيف يكون انفرادها بذاتها وتجردها بنفسها خلوا منها وانتهاؤها الى الفردانية واتحادها بالجواهر الصورانية والذوات الروحانية وكيف تكون لذات اهل الجنان وآلام اهل النيران والغرض منها هو التصور ان عذاب اهل جهنم كيف يكون مع الجن والشياطين المغللة المقيدة المنكوسة المعكوسة وان نعيم اهل البجنان كيف يكون مع الملائكة والروحانيين مسرورين فيها مخلدين لا يمسهم فيها نصب ولا عناء يتبوأون من الجنة حيث يشاؤون وان جهنم عالم الكون والفساد يصلاها من شقي بسوء المنقلب والمعاد وان الجنان في اعالي عالم الافلاك وسعة السموات سعد بها من فاز بعد الممات بذخائر الخيرات والباقيات الصالحات

الرسالة السابعة عشرة منها في علل اختلاف اللغات و رسوم الخطوط والعبارات وكيف مبادئ المذاهب والديانات والاراء والاعتقادات واول نشؤها وابتدائها ونمائها وتزايدها حالا بعد حال وقرنا بعد قرن وكيفية انتقالها من قوم الى قوم وسبب تغييراتها والزيادة فيها والنقصان منها والغرض منها هو التنبيه على ان افعال النفس انما تقع بحسب ما في طبعها وغزيرتها وان قوة البحث عن الحقيقة موجودة في جوهريته اي بضمير التذكير اعتبارا للانسان اي في جوهرية النفس كالمادة والعلم صورة لتلك المادة فهي علامة بالقوة والعلم صورة قائمة فيها وان في قوتها ان تعلم الاشياء المحسوسة والمعقولة من اصناف العلوم في الاعلى والاسفل والادق والاجل منها بقوة النطق ولذلك يسنح لذاته سوانح ويخطر بباله خواطر فيعمل فيها فكره فيستخرج بعلمه آراء ويستنبط بذهنه مذاهب ثم يعبر عن تلك الصورة المتخيلة في ضميره بالفاظ مؤدية عنها ثم يقيد تلك الالفاظ برسوم من الكتابة دالة على تلك الالفاظ دلالة الالفاظ على تلك الخواطر ودلالة الخواطر على اعيان الاشياء وحقائقها ومعانيها وانما يتعاطون ذلك على حسب مناسبات من الطباع واتفاقات تقع في الاوقات والبقاع والمنشأ والمولد والمخالطات بأقوام اصدقاء واقارب ومعارف والاصغاء اليهم والاخذ عنهم والتخلق باخلاقهم فبحسب هذه الاتفاقات يقع ايثار الانسان الشئ على غيره من الاراء والمذاهب والمطالب والاعتقادات والنحا والصناعات والمكاسب لان كل انسان وان كان في ظاهر امره متمكنا من اختيار ما يقتنيه من المذاهب والاراء فبينه وبين كل واحد منها مناسبات جبلية باطنة وعادات الفية ظاهرة تجذبها اليه وتحببها عنده وتحرضه عليها وتدعوه اليها وبحسب انجذابه في طبعه وميله والفه يكون تبرزه فيها ومهارته بها ولذلك برز احدهم في شئ وتخلف آخر واجتهادهما واحد وربما اتفق واحد منهم ان يسمع كلاما او يرى امراً فيرضاه لنفسه ويميل اليه بطبعه ويقتنيه **ويدخل في جملة اهله فيتأكد الفته وانسه به على مرور الزمان فاذا قوي الالف واستمرت العادة وسكنت نفسه اليه وتمكن من قلبه لشدة صحبته له ومعرفته به وفرط ميله اليه آثره على غيره حتى يصير في آخر الامر إلفا لما يختاره منه ومعاندا لما سواه ويرى له الفضل على غيره من المذاهب الحقيقية والآراء العقلية وان كان مفضولا ويحكم له بالشرف والعلو وان كان مشروفا فبحسب ذلك تكثر الاختلافات وتتباين المذاهب والديانات والحق فيهم مع الانزر الاقل والآخر لاحق بالاول**

**ومنها الرسائل النفسانية والعقلية تشتمل على عشر رسائل :**

**الرسالة الاولى منها في المبادئ العقلية على رأي الفيثاغوريين والغرض منها ان الباري جل جلاله لما ابدع الموجودات في المبدع الاول وهو العقل واخترع المخترعات بوساطته في النفس وخلقها مقدرة في الطباع وكونها بحسب الامهات والمواليد ورتبها ونظمها كمراتب الاعداد من الواحد الذي قبل الاثنين والاثنين قبل الثلاثة وكذلك ما بعده وجعل لكل جنس منها حدا مخصوصا ونهاية معلومة مطابقة بعضها لبعض فاعلة ومنفعلة هيولى وصورة نوعا وجنسا اذ راى ذلك احكم و اتقن واكمل واهدى اليه وابين**

**الرسالة الثانية منها في المبادئ العقلية على رأى اخوان الصفاء وخلان الوفاء والغرض منها هو البحث عن علة الاشياء والاخبار واسباب الكائنات الكليات والجزئيات عن الباري جل وعز كتركيب العدد الصحيح عن الواحد قبل الاثنين**

**الرسالة الثالثة منها في معنى قول الحكماء ان العالم انسان كبير ذو نفس وروح حي عالم طائع لباريه خلقه ربه جل ثنائه يوم خلقه تامّا كاملا وان كل الخلائق داخلون فيه وهو جملتهم وليس خارج العالم شئ آخر لاخلاء ولا ملاء وليس العالم في مكان وكل ما فيه في مكان موكل كل واحد من اهل العالم بما يتأتى منه ويقدر عليه يفعلون ما يؤمرون وكل في فلك يسبحون يسبحون الليل والنهار لا يفترون كما قال تعالى وما منا الا له مقام معلوم وانا لنحن الصافون وانا لنحن المسبحون**

**الرسالة الرابعة منها في العقل والمعقول وما العقل الهيولانى وما العقل باقوة وما العقل بالفعل وما العقل المستفاد وما العقل الفعال والغرض منها هو تعريف ذات الانسان وصورة الصور وما جوهر النفس بحقيقتها والاشارة الى الباقي فيها وكيف اجتماع صور المعلومات فيها على تباينها وتغايرها وكيف تصورها الموجودات المنتزعة من المواد وكيف تصير احد موجودات العالم بعد ان لم يكن شئ من الموجودات الا بالقوة وكيف خروجه بالصورة من العدم الى الوجود وكيف يحصل عقلا بالفعل وعاقلا بالفعل ومعقولا بالفعل والوجود الصوري مجردا من سائر المواد معراة من الهيولات فتبقى ببقاء العقل الفعال وجه الله ذي الجلال والاكرام لا اله الا هو كل سئ هالك الا وجهه له الحكم واليه ترجعون**

**الرسالة الخامسة منها في الاكوار والادوار واختلاف القرون والاعصار والزمان والدهور والغرض منها هو البيان عن كيفية انشاء العالم ومبدئه وترتيبه وظخوره وغايته وكيفية فنائه وخرابه لو انقطعت مواد بقائه عن مبقيه لينعدم في الحال ويضمحل بلا زمان وما امر الساعة الا ملنح البصر او هو اقرب**

**الرسالة السادسة منها في ماهية العشق ومحبة النفوس و نزوعها وتشوقها الى الاتحاد والمرض الالهي وما حقيقته ومن اين مبدأه والغرض منها هو البيان بأن السابق المشوق اليه المعشوق المطاع المراد المطلوب المحبوب على الحقيقة هو الباري جل ثنائه وان الخلائف وجملة العالم مشتاقة اليه مريدة متحركة نحوالكمال باستتمام الصورية وعاشقه الى مصورها الذي هو فوق الصور الكمال والتمام وهو الباري المصور له الاسماء الحسنى والامثال العلى**

**الرسالة السابعة منها في ماهية البعث الصور النشور والقيامة والحساب وكيفية المعراج وعلمها هو الغرض الاقصى من رسائلنا كلها واليه المنتهى وهو الغاية القصوى واليه اشار بقوله تعرج الملائكة والروح اليه في يوم كان مقداره خمسين الف سنة**

**الرسالة الثامنة منها في كمية اجناس الحركات وكيفية اختلافها ومباديها وغاياتها والغرض منها هو البيان عن كيفية وجود العالم عن الباري جل جلاله وكيف حركة الطبائع الى استكمالها وقبول صورها الخاصية في كل واحد منها وكيفية سكونها عند استكمال كل واحد منها لصورته الخاصية اذ بالصورو يصير الشئ هو ما هو و به يحصل في الوجود ويتميز ويصير شيئا معلوما مشارا اليه**

**الرسالة التاسعة منها في العلل والمعلولات وكيف رجوع اواخرها على اوائلها واوائلها على اواخرها والغرض المقصود منها هو معرفة اصول العلوم ومباديها واسبابها وقوانينها ورسومها وكيفياتها على الحقيقة**

**الرسالة العاشرة منها في الحدود والرسوم والغرض منها هومعرفة حقائل الاشياء وماهياتها واجناسها وانواعها المركبة والبسيطة بما هي كل واحد منها و بمعرفتها الوقوف على ذوات الاشياء وكيفياتها وفصولها**

**\*\*\***

**ومنها الرسائل الناموسية الالهية والشرعية الدينية وهي تشتمل على احدى عشرة رسالة**

**الرسالة الاولى منها في الاراء والمذاهب في الديانات الشرعية الناموسية والفلسفية وبيان اختلاف والعلماء في اقاويلهم وما ادى اليه اجتهادهم من البحث والنظر والكشف عم الحقائق والاصول وكمية تلك المقالات وما الاسباب والعلل التي من اجلها كان اختلافهم ومن المحق ومن المبطل وما يصلح للجميع وما يصلح للخاص وما يصلح للعام والغرض من هذه كلها هو البيان بأن المذاهب والديانات كلها وضعت كالعقاقير والادوية والاشربة لمرض النفوس وكسب الصحة ولطف الحيل لخلاصها من بحر الهيولى واسر الطبيعة و وصف طريق الاخرة و كيفية النجاة في المعاد من جهنم عالم الكون والفساد والوصول الى الجنان والفردوس عالم الافلاك والسبع السماوات وان اكثر هذه الديانات لاقوام قد انحرفوا عن طريق النجاة وبعدوا عن انتهاج سبيل الرشاد فاستولى عليهم الميل والعصبية والحمية الجاهلية نار الله الموقدة التي تطّلع على الافئدة فضلوا ضلالا بعيدا وما الله بظلام للعبيد**

**الرسالة الثانية منها في ماهية الطريق الى الله عز و جل وكيفية الوصول اليه والغرض منها هو الحث على تهذيب النفس واصلاح الاخلاق وتطهير السرائر وتنزيه الضمائر وتنبيه النفوس الساهية عما بعد الموت في المعاد من احوال القيامة والبعث والنشر والحساب والميزان والصراط والجواز على جهنم والورود فيها وحقائق معانيها وان منكم الا واردها كان على ربك حتما مقضيا ثم تنجي الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا**

**الرسالة الثالثة منها في بيان اعتقاد اخوان الصفا وخلان الوفا ومذاهب الربانيين الالهيين والغرض منها هو وضوح الحجة على بقاء النفوس بعد مفارقتها الجسد الذي يسمى الموت وحل الشكوك فيها وكشف الشبه بطريق اقناعي لا برهاني اذ الرسالة الجامعة مقصورة على البراهين على ما اشرنا اليه في رسائلنا التي هي كالمدخل اليه والعنوان له**

**الرسالة الرابعة منها في كيفية عشرة اخوان الصفا وخلان الوفا وتعاون بعضهم لبعض بصدق المودة وصحة المحبة ومحض الرأفة والشفقة والتحنن والرحمة وسيرهم في صلواتهم ومذاكرتهم ومجالستهم واجتماعاتهم والغرض منها تأليف القلوب والتعاضد في الدين والدنيا جميعا اذ هي سبب نجاتهم والمؤدية الى خلاصهم**

**الرسالة الخامسة منها في ماهية الايمان وخصال المؤمنين والمحقين والغرض منها هو معرفة الجلالة والروحانية و ما الالهام و ما الوسومة و ما التوفيق و ما الخذلان و ما الهداية وما والضلالة اذ كان هذا الباب علما غامضا وسرا خفيا من العلوم الروحانية والاسرار النفسانية**

**الرسالة السادسة منها في ماهية الناموس الالهي والوضع والشرعي وشرائط النبوة وكمية خصالهم ومذاهب الربانيين والالهيين والغرض منها التنبيه على اسرار الكتب النبوية ومرامي مرموزاتهم المقصودة واوضاعهم الناموسية والالهية والتهدي اليها وكيفية الكشف لها من المهدي المنتظر والبرقليط الاكبر**

**الرسالة السابعة منها في كيفية الدعوة الى الله عز و جل بصفوة الاخوة وصدق الوفاء ومحض المودة وخطات طبقات المدعوين ومنازل المستجيبين الى ذلك والغرض منها هو البيان بأن دولة اهل الخير تيتدئ اولها من قوم اخيار فضلاء ابرار يجتمعون ويتفقون على رأي واحد ومذهب واحد وسنة رضية وسيرة عادلة من غير تخاذل و تقاعد**

**الرسالة الثامنة منها في كيفية افعال الروحانيين والجن والملائكة المقربين والمردة والشياطين والغرض منها هو البيان ان في العالم فاعلين نفسانيين روحانيين غير جسمانيين لا يتمانعون ولا يتزاحمون ولا يتضايق بهم المكان ولا يحويهم الزمان ولا يتحصلون بمشاعر الحواس ومدارك العيان ذواتهم حيث افعالهم وصورهم معروفة بآثارهم**

**الرسالة التاسعة منها في كمية انواع السياسات وكيفيتها ومراتب المسوسين وصفات المدبرين لها في العالم والغرض منها هوالبيان بأن مدبر الجميع وسائس الكل الحكيم الاول الباري المصور جل جلاله وان من كان احسن سياسة واحسن تدبيرا كان عند الله اعظم منزلة ولديه اقرب زلفة ومن كان بقدرة الله ابصر وبحكمته اعرف كان بسياسة خلقه اعلم ومن كان بها اعلم فسياسته احسن واعدل ومن كان كذلك فاليه اقرب ولديه اوجه**

**الرسالة العاشرة منها في كيفية نضد العالم باسره وفي مراتب الموجودات ونظام الكائنات وان اخرها منعطف على اولها من اعلى الفلك المحيط الى منتهى مركز الارض وانها كلها عالم واحد كمدينة واحدة وكحيوان واحد وكانسان واحد والغرض منها هو الوقوف على معرفة الحقائق ومباديها وتواليها وسوابقها ولواحقها علما يقينا وبيانا شافيا مقنعا كافيا بلا شك و لا شبهة ولا ريب ولا مرية وان مبدأها كلها صادرة عن فعل الله عز وجل وحده الذي هو الابداع المحض لا من موجود هو اولها بالوجود والوحدة واقدمها فيه وهوالبديء الذي ابرز الله فيه سائر الموجودات تنبعث منه القوى متكثرة نحو غايتها المختلفة واليها تتصاعد متحدة وان الى ربك المنتهى والى الله ترجع الامور وجعله السبب الاول الذي به يتعلق ما سواه من سائر الموجودات تعلق المعلول بالعلة مرتبطا بعضها ببعض فاعلة ومنفعلة منتقلا من رتبة الدنيا الى رتبة القصوى ارتباط معلول بعلة على حسب بواديها وتواليها الى ان تتلاحق باجمعها وتتوارد باسرها اليه فيكون هو علة العلل ومبدأ المبادئ الفائضة بما افاض اليه الباري جل جلاله على ما دونها بخيرها و وجودها يقبل كل ذات من الذوات بقدر ما يحتمله منها من الوجود اللائق به في الدوام والبقاء نور الله وعنايته و رحمته وكلمته به الله يهدي من يشاء ويثيب واليه يرجع من ينيب**

**الرسالة الحادية عشرة منها في ماهية السحر والعزائم وماهية العين والزجر والفال والوهم والرقي وكيفية اعمال الطلسمات الباقية وما عمارة الارض و ما الجن وما الشياطين وما الملائكة المقربون والروحانيون وكيف تأثيرات بعضهم في بعض والغرض منها هو البيان بأن في العالم فاعلين غير مرئيين ولا محسوسين يسمّون روحانيين افعالهم ظاهرة وذواتهم باطنة منها ما تظهر افعاله بوساطة الطبيعة ومنها بوساطة الطبيعة ومنها بوساطى النفس ومنها بوساطة العقل وهو اجل منازل المخلوقين واعلى رتبة الروحانيين لأن الباري جل ثنائه جعل العقل سابقا والنفس لاحقا والطبيعة سائقا والهيولى شائقا والعدم ماحقا والعقل هو البدئ الاول والموجود بوجوده مستكمل الفضائل والخيرات تامّ الانوار والبركات معرّى من الشوائب والتغييرات مبرأ من النقص الواقع من جهة الهيوليات يرتب كل موجود مرتبة وينزله منزلة ويوفيه قسطه في لزوم النظام والبلوغ الى التمام ولذلك جعل له القوة الحافظة على سائر الموجودات ووجوداتها العاقلة لهم ذواتها الخاصة بواحد واحد منها يستحقها او يليق بها فلذلك يشار الي ذاتها باسم الفعا الصادر عنها اذ فعله ذاته وصورته تاثيراته فهذا هو السابق البادي ثم يليه اللاحق التالي وهو القوة المخترعة بوساطته المبدعة بها الذوات من سائر الموجودات افضل احوالها في الوجود الذي هو الحياة وهي النفس التي بها اعطى الاجسام افضل صورها واتم وجودها ولما تصورت الاجسام بها وانطبعت فيها حصلت لها بها قوة تتعلق بها الاجسام على قدر اختلافها فحصل صورة كل واحد منها مخالفة لصورة الآخر وهوالطبيعة الباقية في الاجسام يحصل بها التخلق والتصور والتشكل بالصورة الخاصة لواحد واحد منها وهي قوة وضعها الباري جل جلاله في الجسم وعلق قوامه بوجودها فيه وصيره بخاصتها للتحرك به الى تمام معد له وغاية قدر لبلوغه اليه و وقوفه عنده الا ان يعوقه عائق من خارج فيمتنع من حركة الى ان ينقطع ذلك فيعود الى حركته الخاصية ثم الهيولى الاولى التي هي ذات بالقوة لا موجود بالفعل يخرج الى الوجود بالفعل بقبول الصورة التي بها يصير الشيء هو ما هو ويفارقه كون العدم والعدم هو لا موجود بالفعل ولا موجود بالذات موجود بالعرض فسبحان خالق الوجود والعدم وباسط الانوار الظلم موجد وجود كل موجود فينعدم ومعيده فينصرم ومنشئه فيبلى ومبقيه ليبقى منه المبدأ واليه المنتهى**

**ثم الرسالة الجامعة لما في هذه الرسائل المتقدمة كلها المشتملة على حقائقها بأسرها والغرض منها إيضاح حقائق ما اشرنا اليه ونبهنا في هذه الرسائل عليه اشد الايضاح والبيان يأتي على ما فيها فيتبين حقائقها ومعانيها ملخصة مستوفاة مهذبة مستقصاة ببراهين هندسية يقينية ودلائل فلسفية حقيقية** **وبينات علمية وحجج عقلية وفضايا منطقية وشواهد قياسية وطرق اقناعية لا بقف على كنهها ولا يحيط بحقائقها ولا يحصلهاولا شيئا منها الا من ارتاض بما قدمنا وحذق و عرف وتدرب فيها وتمهر او بما يشاكله اذ هذه الرسائل كلها كالمقدمات لها والمداخل اليها والادلة عليها والانموذج منها لا ينفتح غلق معتاصها ولا ينكشف مستور غامضها الا لمن تهذب بهذه الرسائل الاثنتين والخمسين او بما شاكلها من الكتب والرسالة الجامعة من رسائلنا هي منتهى الغرض لما قدمناه واقصى المدى ونهاية القصد وغاية المراد ولله الحمد والمنة وله الحول والقوة**

فهذه فهرست الرسائل التي الفها الامام ع م فجمع فيها انواع العلوم الفلسفية والهندسية والشرعية، واتى فيها من العلوم بما هو غايته، وتتضح آيته، وجعل الجامعة هي منها الغاية، التي يتبين فيها المراد، ويتضح المعنى للمرتاد، وقصرها على خلصاء شيعته، وخيرة خاصته، فلم يدع عليه السلام علما من العلوم الا واورد منه في رسائله ما يقوم ببراهين دلائله، على ان العلماء اجمع لا يجرون في ذلك الميدان الا وقفوا، ولا يروموا لتبريز فيه الا تخلفوا، وفيها من ذكر الانبياء وذكر نبينا محمد صلى الله عليه وعلى آله وعليهم ما هو ادل دليل على فضله، ويعجز العلماء على ان يأتوا كمثله الا من اختصه الله بشريف ذلك المقام، فحاز مرتبة الامامة بعد النبي والوصي، عليهما وعلى آلهما الصلوة والسلام. وفيها من المواعظ المذكرة بالآخرة، المزهدة في حطام الدنيا، ما هو شفاء ادوء القلوب، وجلاء صدأ النفوس، من الشكوك والريوب، وانما الف الامام احمد بن عبد الله سلام الله عليه تلك الرسائل، وابان فيها واضحات الدلائل، ليقوم الحجة على المأمون واتباعه، ومن قفى على آثارهم وشاكلهم في ايرادهم واصدارهم، حين انحرفوا عن علم اهل النبوة، وآثروا علم الفلسفة، ولم يأخذوا هذا وهذا بقوة ليعلم انه لا يتم له المراد وان الله تعالى قد حفظ شريعة نبيه صلع وجعل لاهل ملته في كل عصر اماما هاديا

ثم ان الامام ع م امر ان تبث تلك الرسائل في المساجد لتقوم بها على المخالفين البراهين والشواهد، فحين وقع الناس عليها رفعت الى المأمون بن هارون، فعلم انه لم يصنع شيئا، وان ما رامه من قطع حبل الامامة لا يكون، وانه لم يقع في فعله بعلي بن موسى على طائل، وان رميته لم تصب حين اخطأت المقاتل، فجعل يتملق الطالبين ويسأل عن من يأتيه ببرهان مبين سؤال الراغبين، وامر بفدك فرد على من انتمى الى فاطمة ع م من الطالبين وجمع العلماء فاقام عليهم الحجج والبراهين ان ابا بكر ظلم ابنة الرسول وانه يريد ان يرد المظالم، وهو يبطن غير ما يقول .

ثم انه اتصل به احد دعاة الامام فاظهر الرغبة اليه، وسأله عن شيء من غامض العلم ليدله عليه، فانبأه من ذلك بما امكن ان يبينه، وعرفه ان لا يقوم ببيان كل ذلك غير الامام الذي استتر لظلمه وتعديه، فباء بذنبه معلنا، مظهرا للتوبة وللاصرار مبطنا، وقال ليتني اجد خلف الرسول فابوء اليه باثمي، وانفصل عن ظلمي، وادفع اليه ملكي ن وما حازت يدي، واكون من خوله فيما اخفي وابدي. فاغتر ذلك الداعي بقوله، والمؤمن غر كريم، ووعده الى موعد ليدله على الامام عليه الصلوة والسلام بعد ان اخذ عليه في ذلك اكيد المواثيق والايمان، وعاهده ان لا نكث ولا غدر ولا خان.

وهاجر ذلك الداعي رحمة الله عليه الى حضرة امامه ع م وعرفه بما دار بينه وبين العباسي من الكلام وقال : يا مولاي انه قد اعطاني المواثيق المغلظة انه ان عرفك سلم الامر اليك، ووقف وقوف العبد الخاضع بين يديك، فعرفه الامام ع م ان ذلك الجبار لا يوفي بحلفه وما به اقسم، وان ذلك تصلق منه ليستأصل شأفة خلفاء الرسول صلع فابى ذلك الداعي الا التمادي في مطالبة الامام وحسن ظنه بذلك الظالم لما حلف له به من الايمان العظام، فحين اطال ذلك الداعي التمادي في السؤال ن وكرر على امامه ذلك المقال، قال له اذهب وعرفه انك الامام الذي يطلبه، وانك انما سترت عنه ذلك تقية وامتحانا ليصفو قلبه، ويظهر اربه، فان هو اعطاك زمام امره وامنك من سطوته وقهره، رددت ما اعطاك الي وعرفته تعويلك في اشارتك علي، واعلم ان في كل ذلك يمكر بك، وسوف يبين رأسك عن جسدك، فودعه الداعي ورجع الى المأمون العباسي، فاظهر المأمون البشر لقدومه والجذل، ورفع مقامه حامدا لله تعالى اذ رجع اليه ووصل، ثم لما خلا لهما المجلس قال: حاجتي التي طلبت منك فانها مرادي، واني ما التذذت بعيش بعد بينك عني حتى رجعت الي، فما خاب سعيي واجتهادي، واني لارجو ان تكون لي خير دليل ن وان انجو بك في الآخرة من العذاب الوبيل، فهات الي عنوان الخبر، وعرّفني بالامام من ابناء اسماعيل بن جعفر، فاعاد عليه الداعي رحمة الله عليه مؤكدات الايمان واكد عليه المواثيق للاختبار والامتحان، فحين اعطاه من المواثيق ما طلب، وازدادت رغبته ان يبلغه الوطر والارب، قال له ذلك الداعي اني انا الامام الذي طلب له المعرفة، وانما اكتتمت عنك لخوف سطوتك وامتحانا لك ليتبين لي خلوص نيتك.

وقد كان سمع من علمه ما دله ان ذلك لا يوجد الا في معدن النبوة والامامة، ولا يؤخذ الا ممن خصه الله جل جلاله بالفضل والكرامة، فحين ظن المأمون ان ا لمخاطب له هو الامام، دعى سياّفه وامره ان يضرب عنقه بالحسام، فعلم الداعي ان ما قاله له امامه هو الحق المبين، فقال: صدق مولاي لقد نبأني انك من الظالمين، فعلم المأمون عند ذلك انه لم يقع على مراده، وانها قد بطلت حيلته لاظهاره ما اضمر في فؤاده، فقتل ذلك الداعي رحمة الله عليه، ونقله الله الى ما اعد له من ثوابه وصيره اليه، وكان ذلك الداعي رحمه الله يكنى الترمذي.

فلما علم المأمون انه لم يقدر على ا طفاء نور الله المبين، وانه لم يمكنه قطع البقية من ذرية الرسول صلع فانثنى عما كان رامه من هدم اركان ا لشريعة، وامسك عما كان نواه من الافعال الشنيعة .

وقد قال بعض المتأخرين من المبائنين لاولياء الله الطاهرين، المائلين عن هدايتهم الجائرين، ان الرسائل ليست لاحد الائمة المستورين، واحتج ببيت سطره في الرسائل : هو من قول احمد بن الحسين المتنبي، وهو قوله :

وفي الجسم نفس لا تشيب بشيبه \* ولو ان ما في الجسم منها خراب

وهذه الرسائل الفها الامام المذكور احمد بن عبد الله بن محمد بن اسماعيل ابن جعفرصلىالله عليه، وعلى آبائه والطاهرين من ابنائه، بغير شك ولا مري، ولا مين ولا افتراء. ولا شك ان هذا البيت اورده بعض الناسخين من المتأخرين، وهذا لا يخفى على الناظرين والمتدبرين

ومن المخالفين من حسد اهل دعوة اولياء الله ان ينسب مثل ذلك القول العظيم اليهم، واراد سلبهم ما خولهم الله من الفضل باوليائه صلوات الله عليهم فقال : ان ما في الرسائل من القول القديم لبعض اهل الملل قبل الاسلام، ولا شك ان ذلك لقلة علم ذلك القائل، وانه لم يحط من علمه بطائل، ولو وقف على رسائل اخوان الصفاء، وقرأها وتدبرها، لوجدها مشحونة بذكر نبينا محمد صلع مذكور فيها فضله وما خص الله به ذريته واهل بيته، من الفضل على الامم، وما منحهم الله عز وجل بفضل نبيهم الذي خصهم الله به وعم، ولولا خشية الاطالة لاتينا من ذلك بما يتسع به القول ويطول الكلام. ولا يعزب عن اولي الالباب والافهام، وذلك موجود في الرسائل فليبحث عنه من اراد ان يتيقن معرفته، ويعرف ما خص الله به اوليائه، الذين ابقى في عقبهم الرشيف كلمته بعد ان رام الظالمون قطع الكلمة، وان يبطلوا امرالله في الائمة، فطلبوا ذلك بكل جهدهم، وارادوا ان يطفؤا نور الله ويستأصلوا اولياءه فابى الله الا اتمام نوره وابقاء كلمته . وبقي الامام ع م مستترا بعد ان ظهرت عنه الرسائل واشتهرت وازداد في الستر والخفية . وكان الدعاة ايام الائمة المستورين منذ استتارالامام محمد بن اسماعيل ع م يسمونهم بغيراسمائهم، ويختلفون في الاسماء اخفاء لامرالله، وسترا لاوليائه لتغلب الاضداد، وقوة اهل العناد، ولذلك وقع الاختلاف في الائمة المستورين، وكثر خوض الخائضين وقول القائلين.

وقويت الدعوة ايام الامام احمد بن عبد الله عليه السلام، واشتهرت واعلن بها الدعاة فظهرت، ولم يعرف صاحبها الذي الدعوة اليه، وامام اهلها الذين يعلون عليه والجبابرة العباسية على الارض متغلبون، ويقطع العترة النبوبة مطالبون .

وكان الامام احمد بن عبد الله ع م ينتقل تحت الستر والتقية ، تارة الى الكوفة والديلم، وتارة الى سلمية، وتارة الى عسكر مكرم ، يظهر بزي التجار ، ويخفي فضله فلا يعرفه الا الاخيار.

ورزق الامام احمد بن عبد الله ع م ولدا سماه الحسين ، وامه علوية وهو اول اولاده ، ولما بلغ الحلم انكحه ابنة عم له، ولم يزل يرفعه في المراتب العلمية ، ويرقيه ويختصه ، ويجتبيه ويعلمه من علمه الذي استفاده عن آبائه الطاهرين ، عن علي ابن ابي طالب امير المؤمنين ، عن محمد سيد المرسلين ، عن جبرائيل الروح الامين، حتى اذا بلغ سعيه ، واكمل هديه ، ورآه اهلا ان يكون الخليفة بعده ، وان يوليه عهده، وسلم الامر اليه واقامه ، ونص بالامامة عليه ، واشعر بذلك جميع دعاته، وخلصاء اولياءه ، وانتقل الى دار القرار ، ولحق باولياء الله من آبائه الاطهار ، وكان قبره بسلمية صلوات الله ورحمته ورضوانه عليه ، وعلى آبائه الطاهرين، وعقبه الاكرمين المصطفين ، على علم على العالمين.

## ذكر الامام الزكي الحسين بن احمد بن عبد الله بن محمد بن اسماعيل

قام الامام الزكي الحسين بن احمد بن عبد الله بن محمد بن اسماعيل بن جعفر بن محمد صلوات الله عليه وعلى آبائه الطاهرين،وعقبه الائمة الهادين. فاقام الدعوة ونشرها ،وبث العلوم لشيعته واظهرها ، واقام الدلائل ، وابان الرسائل ، وبث دعاته في الاقطار ، واقام دين الحق لذوي الاستبصار ، فانتشرت دعوته ودعاته ، وكثر المستجيبون له ، وظهرت في الآفاق آياته ، وبشر بظهور المهدي ودنو ايامه ، ووعد بالفرج اوليائه ، القائمين بشروط الاسلام واحكامه . واشتدت طلب بني العباس له ن وامعنوا في ان يعرفوا خبره ، اذا انتشرت الدعوة بذكره ، وخافوا فساد امرهم لقوة ظهور امره ، فستر الدعاة اسمه ، ولم يدلوا على صفته ، وكانوا لا يكلمون على ذلك الا المخلصين من اهل دعوته ، ودنى قيام الامام المهدي بالله ، وآن ظهوره ، واراد الامام الحسين ان ينشر دعوته ويطلق الدعاة مقدمة لما اراد الله من اظهار نوره ، فسافر الامام الى الكوفة لزيارة جده الوصي والشهيد امير المؤمنين علي ابن ابي طالب وولده الامام الحسين بن علي عليهما صلوة العزيز المجيد.

وهناك اتصل به الداعي ابو القاسم بن الفرج بن حوشب ، وكان الامر في ذلك والسبب ما رواه الرواة ، واخبر الثقاة ، ان الداعي ابا القاسم بن فرج ابن حوشب ، كان من اهل الكوفة ، من اهل بيت علم وتشيع، وكان قد قرأ القرآن وعلم الحديث والفقه ، وكان ممن يذهب الى مذهب الامامية اصحاب محمد بن الحسن بن علي بن موسى بن جعفر الصادق ع م الذين كانوا يرون انه المهدي ، وانه سيظهر ويملأ الارض عدلا وينحلونه الاخبار المروية عن النبي صلع انه احرى واولى ، وانه سيظهر بعد غيبته وينشر امر دعوته .

وكان ابو القاسم من اهل الفطنة والدراية ، وممن لا تجوز له عليه مخرقة اولى الغواية ، من قولهم ان محمد بن الحسن حي لا يموت ، وانه سوف يظهران جاء امده الموقوت

وروي عن الداعي ابي القاسم بن فرح رضوان الله عليه انه قال : عرضت لي الفكرة فيما يقوله اتباع محمد بن الحسن العسكري من الترهات ، وانه حي حتى يقوم لا يذوق الممات ، فبعدت المدة وطال الانتظار، واكثرت في ذلك التدبر والافتكار ، فعرضت لي الفكرة يوما في ذلك وذكرت قول الفهري :

الا يا شيعة الحق \* ذوي الايمان والصبر

اتتكم نصرة الله \* علىالتخويف والزجر

فلا تدعو الى الداعين \* اهل النكث والغدر

فلو قد فقد العاشر \* او زيد على العشر

لدارت عصب السو \* ء علىالباغين بالشر

فعند الست والتسعيـ \* ن قطع القول والعذر

لامر ما يقول الناس \* بيع الدر بالبعر

وصار الجوهر المكنون \* علقا غير ذي قدر

يتيم كان خلف الباب \* فانفض على الوكر

قال القاضي النعمان بن محمد رضوان الله عليه : وقوله في اليتيم ههنا رمز على المهدي ع م ، وكذلك كان يحسب ما كان رسول الله صلع فقد قال الله عز وجل : الم يجدك يتيما فآوى ، والمهدي ع م هو الزيادة علىالعشرة الائمة لان الحسين بن احمد الناص عليه هوالعاشر، ولذلك قال الفهري قوله الذي ذكرناه :

فلو قد فقد العاشر \* او زيد على العشر

قال الداعي ابو القاسم رحمة الله عليه : فرأيت الوقت قد قرب على ما قاله الفهري ، وجالت خواطري في ذلك واشتغل به فكري ، فخرجت الى الفرات ، او قال دجلة ، فبقيت مفكرا ، فاني لامشي على النهر اذ حضر وقت الصلوة ، فتوضأت وصليت ، وجلست مفكرا فيما اخذت فيه ، ثم اخذت في قراءة القرآن فافتتحت سورة الكهف فاني لاقرأ فيها اذ اقبل شيخ يمشي ومعه رجل ، لا والله ما نظرت عيني مثل ذلك الشيخ الا احد ملأ قلبي هيبة مثله ، فجلس ناحية وجلس الرجل بين يديه بعيدا مني، فقطعت القراءة لهيبته وبقيت انظر اليه ، اذ اقبل غلام يمرح في مشيته ، فقرب مني فانكرت ذلك عليه اجلالا للشيخ ، فلم يلو علي فقلت : من انت يا فتى ؟ فقال : حسيني ، فاستعبرت وقلت :بامي الحسين صلوات الله عليه المضرج بالدماء الممنوع من هذا الماء ، فرأيت الشيخ نظر الي عند ذلك وكلم الرجل الذي بين يديه كلاما لم افهمه ، فقال لي الرجل : تقدم الينا رحمك الله ، فقمت اليه حتى جلست بين يدي الشيخ فرأيت دموعه تسيل على لحيته، اظنه عند ذكري الحسين عليه السلام ، وقال لي : من انت الذي تذكر الحسين بما ذكرته ؟ قلت : رجل من الشيعة ، قال ما اسمك ؟ قلت : الحسن بن فرج بن حوشب ، قال : اعرف اباك من الشيعة الاثنا عشرية ، قلت :نعم ، قال:وانت على ذلك ؟ فسكتّ ، فقال : تكلم فانا من اخوانك ، قلت : كنت على ذلك الىان بطل الامر في ايدينا، وما اخرجني الى هذا المكان الا ضيق صدري لذلك ، وذكرت له ما عرض لي، قال : ارى فيك نباهة ، وقد سمعتك تقرأ فلم قطعت القراءة ؟ قلت : والله ايدك الله ما اسكتني الا هيبتك ، قال : اقرأ كما كنت ، فابتدأت من حيث وقفت حتى بلغت ، فانطلقا حتى اذا لقيا غلاما فقتله ، فاومى الي بيده ان اسكت فسكت، فقال : هل انت ممن يقول بالعدل والتوحيد ؟ قلت : نعم ، هو مذهبي ، قال : من اي وجه العدل ان تقتل نفس زكية بغير نفس ؟ الا لقوله تعالى : فخشينا ان يرهقهما طغيانا وكفرا ، قال فسكت ّ، قال قل ، قلت : ما ذا اقول ؟ والله لكأني ما قرأتها قط ، واني الى علم الوجه في ذلك فقير ، فان رأيت تعريفي ذلك فعلت ، قال : دون ذلك ستر رقيق ، قلت : ترى كشفه لي جعلت فداك؟ قال : يكون ذلك اذا امكن ان شائ الله تعالى ، واخذ في غير ذلك حتى ا ذا وقف على مكان الجواب فيه اخذ في غيره ، وانا في كل ذلك اسأله الجواب فيقول مثل ما قال : ثم تحرك للقيام فقلت : يا سيدي احب ان اعرف المنزل ، قال :لما ذا ؟ قلت : لاقتضاء وعدك ، فتبسم ، وقال : لعلنا ان تجتمع ههنا من غد ان شاء الله، ومضى وتركني ، فلما غاب عني ندمت اذ لم اكن اتبعته حتى اعرف مكانه ، وعظم موضع كلامه من قلبي ، واشغل ما سمعته منه ذهني ، وعدت من غد الى المكان واقمت به الى الليل ، فلم ار احدا ، واختلفت كذلك اياما كثيرة ، وانا من الغم بما فاتني فيما لا اصفه ، حتى اذا كنت في حد اليأس منه مرّ بي الرجل الذي كان معه فنهضت اليه وسلّمت عليه ، وقلت : ما فعل الشيخ حفظه الله ، فقد كان وعدني الاجتماع من غد يوم لقيته معك ههنا ، واني لمتردد من ذلك اليوم الى وعده ، قال : لو وعدك ما اخلفك، ولكن لم يكن في مخرج قوله وعد ثابت ، قلت : فاين لي به ، فوالله لقد شغل صدري ما سمعت منه ، قال لي الرجل :لنتحدث قليلا، فجلسنا ، فاذا الرجل له علم كثير ، فتطارحت عليه واراد القيام والمسير ، فقلت : والله لا فارقتك او تكشف لي هذا الامر، فما زلنا حتى اخذ علي العهد وعرفني ان الشيخ هو امام الزمان وفتح لي من المعرفة كثيرا وعرفني الموضع ، وجمع بيني وبين الامام صلى الله عليه ، فكان يخصني ويقربني ويرمز بقرب الامر، ودنو العصر، ويقول في كثير من كلامه : البيت يماني ، والركن يماني ، والدين يماني ، ولن يقوم هذا الامر الا من قبل اليمن، ثم قال لي يوما : يا ابا القاسم هل لك في الغربة في الله ؟ قلت : يا مولاي الامراليك ، فما امرتني به امتثلته ، فقال : اصبر كأني برجل قد اقبل الينا من اليمن ، وما لليمن الا انت ، فقلت : بالله استعين على ما يرضيك.

وكان رجل من اهل جيشان مدينة باليمن شاب جميل يقال له علي بن الفضل من اهل بيت تشيع ونعمة ويسار ، وهو ممن آمن ثم كفر ، ودخل في الدعوة ثم خرج منها واصر واستكبر ، وكثير ممن ظن به الخير فخالف ما ظن فيه ، وسنذكر من خبره وكفره اذا انتهينا اليه ما نبينه ونبديه ، فقدم ابن فضل المذكور في جماعة من اهل جيشان في حجاج اهل اليمن وغيرهم ممن شهد الموسم سنة ست وستين ومائتين ، فلما قضى حجه خرج الى مشهد الحسين بن علي ع م فيمن خرج اليه من الشيعة ، فاصابوه معمورا بالشيعة ، فجعل ابن فضل يبكي عنده وينتحب ، ويعدد مناقب الحسين ع م ويذكر فضله ، ورجلا يراعيه من الدعاة كل يوم وهو على ذلك، فلما رأى نيته واجتهاده خلا به ، وحدثه وبسط القول ، وفتح له شيئا من العلم ، القى عليه بعض المسائل ، فركن اليه ولازمه ، وبحث عما عنده ، قال له الرجل يوما في حديثه : ارأيتك لو ادركت هذا القبر الذي تبكي عنده ، وتذكر فضائل صاحبه ، ما كنت صانعا في امره، قال كنت والله واضع خدي له ، واقبل الا رض الذي يطأها ، اتبرك بفضل وضوءه ، واكون لو شهدت مصرعه اول صريع بين يديه ، قال فاذ قد فاتك فما عندك ؟ قال : ما ترى من الاسف والحزن عليه ، قال : فكأنك ترى ان الله تعالى قطع امره بانقطاعه ، ورفع حجته عن خلقه بموته ؟ قال : كلا ولكن كيف لي بذلك ؟ فسكت الرجل فجعل ابن فضل يلح عليه فيقول : والله ما رميت لي بما رميت الا وعندك اثر منه فاهدني اليه ، وجعل يلازمه وهو متوقف عنه ويتطارح عليه ، وهو ينقبض منه الى ان حضر انصراف اصحابه فودعهم وكتب الى اهله وتخلف مع الرجل ، وانصرف الرجل الى موضعه فاتبعه ، فقال له : الى اين تريد ؟ قال : معك ، والله لا افارقك او تدلني على ما اشرت اليه ، وسار معه فلما دخل المدينة التي فيها الامام ع م اتى الى مسجد فقال له : اجلس ههنا حتى آتيك ، فجلس ومضى عنه واقام اربعين يوما علي بن فضل في ذلك المسجد لا يبرح الى لحاجة الانسان ، والرجل يتفقده من حيث لا يراه ، فلما رأى قوة عزمه ونيته اتاه فقام اليه ابن فضل حين رآه ، وقال له : يا سيدي ما هذا الفعل ؟ قطعت بي وتركتني ، قال وانك لههنا ، قال : واين كنت اذهب ، وانت تقول لي اجلس ههنا حتى آتيك، قال : فلو لم آتك ما كنت صانعا؟ قال : اذا كنت والله لا ابرح حتى اموت فالقى الله معذورا ، فذهب به الى موضعه واخذ عليه العهد ، واوصله الى الامام ع م ، فلما رآه واختبر حاله قال لابي القاسم : يا ابا القاسم هذا الذي كنا ن ننتظره ، فكيف رأيك في الذي عرضت عليك من امر اليمن ؟ قال : يا مولاي انا على ما قلت لك ، والامر اليك ، قال : اعزم على اسم الله فوالله ليظهرن الله امرك ولتصدرن الدعاة الى آفاق الارض عنك ، ودعى بعلي بن فضل فسأله عن اخبار اليمن واحواله وملولكه ، فاخبره بما اراد من ذلك ، فقال له : اتعرف عدن لاعة ؟ فقال : يا مولاي عسى انك اردت عدن ابين ، قال : لا الا عدن لاعة ، قال : ما اعرفها ، فقال لابي القاسم : الى عدن لاعة فاقصد ، وعليها فاعتمد ، ففيها تظهر دولتنا ومنها يكون امرنا ومنها يفترق دعاتنا ، وقال لعلي ابن فضل : اني مرسل اخاك هذا داعيا الى اليمن وانت معه ، وتقدم الى كل واحد منهما ناحية واوصاه

واعطى ابا القاسم كتابا فيه اصول ورمز ، وكان افتتاح الكتاب : بسم الله الرحمن الرحيم ، من باب المسلمين وامير المؤمنين ، ووارث الوارثين، وسماء الطارقين ، وشمس الناظرين ، وقمر المستضيئين ، وقبلة المصلين، وامان الخائفين ، وقاتل ابليس اللعين، ركن الاسلام ، وعلم الاعلام ، وقلم الاقلام ، ويوم الايام ، ونور التمام ، رسالة عبد مسكين يعمل في البحر منذ سنين لعل سفينته تنجو من ا لغرق فينجو من فيها من العطب ، ثم افتتح الكلام الذي اصله والمعنى الذي قصده.

وقال لابي القاسم فيما اليه عهده، ان لقيت من هو الحن منك بالحجة فانغمس له في الباطن ، قال : وكيف ذلك ؟ قال : تقطع الكلام وتريه ان تحت ما تريد الجواب به باطنا لا يمكنك ذكره ، فتحتجز بذلك منه الى ان يتهيأ لك الجواب فتحتج به عليه ، واوصاه بعلي ابن فضل خيرا وقال : هو شاب قريب العهد بالامر ، فانظر كيف تصحبه وتسوس امره .

وتقدم الى على ناحية واوصاه وقال : ان هذا الرجل نبعث به معك بحر علم فانظر كيف تصحبه ، وودعهما ودعى لهما ، فانصرفا متوجهين الى اليمن، ففتح الله كثيرا من اقطار اليمن للداعي ابي القاسم بن فرح بن حوشب ، وكان مبتدأ قيامه بعدن لاعة وجهات مسور

ولما تمكنت الدعوة ، وظهرامرها باليمن ارسل الامام ع م احمد بن محمد بن زكريا المكني بابي عبد الله الى ابي القاسم داعي اليمن وكتب اليه في ان يبصره ويرشده، وقال لابي عبد الله : امتثل سيرته وانظر الى مخارج اعماله ، ومجاري افعاله ، فاتخذها واعمل عليها، ثم اذهب حيث شئت فادع ، وقيل بل حد له الامام المغرب ، وارسله الى بلد كتامة ، وهذا ابين الامرين ، فوصل ابو عبد الله الى مكة ، وسار مع حاج اليمن حتى وصل الى الداعي ابي القاسم رحمه الله ، فوقف معه عاما ، ثم خرج العام المقبل مع الحاج الى مكة ، وتوجه الى المغرب للدعوة ، وسوف نذكر من خبرهما وامرهما اذا انتهينا اليه ما يعين الله عليه

وكان الامام ع م يعاشر قوما من اهل سلمية هاشميين ومن ولد العباس من عبد المطلب وكان يظهر لهم انه عباسي . وكانت الاموال والذخائر تحمل اليه من كل بلد الى سلمية من قبل الدعاة ، وكان الامام ع م قد حفر سردابا في الصحراء الى جوف داره بسلمية طوله اثنى عشر ميلا ، فكانت الاموال تجيء على الجمال فيفتح لها باب ذلك السرداب بالليل وتنزل باحمالها عليها حتى تحط داخل الدار، وتخرج بالليل ويعمى على باب السرداب بالتراب. فلا يدري به احد .

وكانت الاموال عظيمة ، وكان كل عامل يلي سلمية يلاطفه الامام فيهدي اليه فيصير له شبيها بالعبد، لجزيل ما يوليه ، وكانت له ع م مائدة يحضرها الهاشميون وغيرهم.

ولما آنت نقلة الامام الحسين بن احمد صلوات الله عليه ورضوانه اقام اخاه محمد بن احمد الملقب سعيد الخير رضي الله عنه وصيا على ابنه الامام المهدي بالله عليه السلام كما نص على ذلك الامام المستنصر بالله عليه الصلوة والسلام في مجالس البيان حيث قال : وان موسى ابن عمران ع م امر نقباؤه باقامة يوشع بن نون وصيا على ولد هارون ، لان هارون مات في حياة موسى ، وكان وصيه والامامة في ولده ، وكان ولده طفلا ، فاحتاج الى ان اقام وصيا عليه الى حين بلوغه ، فسلم الامر اليه ، وجرى مثل ذلك في ايام الامام المهدي بالله صلوات الله عليه ، وذلك ان اباه سلمه الى وصي اقامه له ، واراد الوصي ان يجعل الامامة في ولد نفسه ويزويها عن الامام المهدي صلوات الله عليه وكان كل من اشار اليه من ولد نفسه بالامامة يموت ، حتى لم يبق لهذا الوصي ولد .

وفتح الله اليمن بالحسن بن فرج بن حوشب الداعي ، وعمل ثيابا كتب عليها اسم الامام المهدي بالله صلوات الله عليه فانشده متمثلا :

الله اعطاك التي لا فوقها \* فكم ارادوا صرفها وعوقها

عنك ويأبى الله الا سوقها \* اليك حتى طوقوك طوقها

فهذا الذي قصه الامام المستنصر من امر جده المهدي بالله عليه السلام هو الحق اليقين، وكانت العاقبة للمتقين، فسلم سعيد الخير الامر اليه واعترف بفضله ، وتنصل مما كان اضمره ، من اقامة ولده.

وقد ورد عن امير المؤمنين علي ابن ابي طالب صلوات الله عليه ان رسول الله صلع قال : المهدي منا اهل البيت يصلحه الله في ليلة واحدة ، قال القاضي النعمان بن محمد رضي الله عنه : ليس ذلك على انه كان فاسدا فيصلحه ، ولكنه من قول القائل فلا يصلح لامر كذا ، اذا كان اهلا لذلك الامر ، وكذلك رآه الله تعالى اهلا لما صار اليه ، ورآه كذلك بتوفيقه من كان نص الامامة اليه في وقته قبل مصيرها اليه ، فسلم امرها اليه في ليلة رآه الله تعالى ذلك فيها ، وقد كان اهّل غيره لها ، فما امهل ، فذلك احد الآيات لما اراد الله عز وجل من مصيرها الى مستحقها

وكان فضلاء الدعاة قد عرفوا فضل الامام المهدي بالله صلوات الله عليه ، ولذلك ان داعي اليمن المنصور ابا القاسم رحمة الله عليه كتب على الطراز اسمه ، واوضح فضله ورسمه ، وكان قبر الامام الحسين بن احمد رضوان الله عليه وصلوته بعسكر مكرم ، لانه خرج من سلمية حين قربت القرامطة ، وظهر بغيهم في الارض ، واستولوا على الشام ، وكثرت طلبة آل العباس للامام ، فخرج من محله ومقام اهله مستترا ، وكانت وفاته وقبره بعسكر مكرم ، ووفاة اخيه محمد بن احمد الملقب بسعيد الخير ، رحمة الله عليه بسلمية ، ودفن فيها .

وصار الامر الى الامام المهدي بالله سلام الله ، فظهرت في الآفاق دعوته ، وعلت بامر الله سبحانه كلمته

والحمد لله على ما اراد من الستر والظهور، وجعل الليل والنهار خلفة بالظلمة والنور ، وصلى الله على رسوله محمد صاحب يوم الحشر والنشور ، وعلى وصيه علي ابن ابي طالب والطاهرين من ذريته ، الفائز وليهم يوم النفخ في الصور، الباقية كلمة الامامة فيهم حتى تصير الى ا لله الامور ، وسلم عليهم تسليما، حسبنا الله ونعم الوكيل.

تم السبع الرابع من كتاب عيون الاخبار

كتاب عيون الاخبار

للداعي الاجل سيدنا ادريس عماد الدين رضوان الله عليه

السبع الخامس

بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين في جميع الامور

الحمد لله على عميم نعمائه ، ومتوالي آلائه ، المان على خلقه بعلو اصفيائه وظهور اوليائه، وصلى الله على خير رسله وخاتم انبيائه محمد رسول الله الى كافة العالمين بوحيه وانبائه ، وعلى علي وصيه المخصوص بنصره واخائه ، وعلى الائمة الطاهرين المصطفين من ابنائه ، وعلى بقيتهم صاحب العصر والاوان المفروض اكيد ولائه .

## ذكر ما جاء من البشارات والاشارات بظهور امير المؤمنين عبد الله ابي محمد المهدي بالله ، صلوات الله عليه ن وانتشار الويته واعلامه، وبعض ما كان من الاخبار في ايامه

اما ما جاء من البشارات بظهور الامام المهدي بالله امير المؤمنين صلوات الله عليه وعلى آبائه الطاهرين وابنائه الاكرمين فمن ذلك ما جاء عن ابي سعيد الخدري قال : سمعت رسول الله صلع يقول : ابشروا بالمهدي فانه يبعث على اختلاف من الناس شديد وبلابل يملأ الارض قسطا وعدلا كما ملئت جورا وظلما ويرضى عنه ساكن السماء وساكن الارض ، ويملأ الارض به قلوب عباده سرورا ويسعهم عدله .

وعن رسول الله صلع انه قال : المهدي من نسلي من ولد فاطمة سيدة نساء هذه الامة طالت الايام ام قصرت ، يخرج فيملأ الارض قسطا وعدلا كما ملئت جورا وظلما ، قيل ومتى يخرج واين يخرج يا رسول الله ؟ قال : اذا كانت زلازل في اطراف الارض وارتشت القضاة وفجرت الامة ، فخرج من المغرب ، في ساقه شامة ، وبين كتفيه شامة ، فردا غريبا ، قيل وكيف يكون فردا غريبا يا رسول الله ؟ قال : لانه ينفرد عن اهله ويتغرب عن وطنه .

قال القاضي النعمان بن محمد بن حيون التميمي رضي الله عنه :وكذلك المهدي بالله ، تغرب في هجرته عن وطنه وانفرد عن اهله ، وقيل كانت قبل قيامه عليه السلام زلازل ، وكانت فيه الشامات التي وصفها رسول الله صلع .

وعن رسول الله صلع انه قال : لا بد من قائم من اولاد فاطمة يقوم من المغرب بين الخمسة الىالتسعة ، يكسر شوكة المبتدعين ، ويقتل الضالين . وكذلك كان ظهور المهدي بالله عليه السلام فانه ظهر من المغرب ، وكان ظهوره من سجلماسة سنة ست وتسعين ومائتين ووصل الى مملكته بالمغرب بافريقية سنة سبع وتسعين فذلك بين الخمسة والتسعة .

وروي ابن وهب باسناده ويرفعه الى رسول الله صلع انه قال : يخرج ناس بالمشرق يعطون المهدي سلطانه .

وكان ذلك للامام المعز من ذرية المهدي ع م

وقد قال بعض الائمة عليهم السلام : كلنا مهدي وكلنا قائم ، فظهرت دعوة المعز ع م بالشرق فملك مصر واظهر فيها دعوة الحق كما نذكره فيما يأتي ذكره . ودعوته هي دعوة المهدي ص ع التي اقامها وابان سننها واعلامها ، وكذلك فان داعي اليمن الذي دعى الى المهدي بالله وداعي المغرب هما من المشرق قصدا والى حيث اصدرا اوردا ، وهما اسباب ظهور المهدي ص ع ، وعنهما كان ابتداء ظهور الدعوة اليه .

وروي عن ابي منصور انه قال : سمعت الصادق جعفر بن محمد ص ع يروى قول رسول الله صلع: ان الاسلام بدأ غريبا وسيعود غريبا كما بدأ، فطوبي للغرباء ، قال ابو بصير : فقلت اشرح لي هذا ، جعلت فداك يابن رسول الله ، قال يستأنف الداعي منا دعاء جديدا كما دعى رسول الله صلع .

قال القاضي النعمان بن محمد رضي الله عنه : كذلك استأنف المهدي بالله ص ع دعاء جديدا الى الله لما غيرت السنن ، وكثرت البدع ، وتغلب ائمة الضلال ، وانطمس واندرس ذكر ائمة الحق الذين افترض الله ع ج طاعتهم على العباد ، واقامهم للدعاء اليه والدلالة بآياته عليه ، ونسي ذكرهم ، وانقطع خبرهم لغلبة ائمة الجور ، فلما انجز الله للائمة ما وعدهم من ظهور مهديهم احتاج ان يدعوهم دعاء جديدا كما ابتدأهم رسول الله صلع بالدعاء اليه اولا .

وروي عن سفيان الثوري يرفعه الى رسول الله صلع انه قال : المهدي من ولدي ، ارى وجهه كالكوكب الدري ، اللون لون عربي، والجسم جسم اسرائيلي.

قال القاضي النعمان بن محمد رضي الله عنه : وكذلك كان المهدي بالله صلوات الله عليه وسيما من اجمل الرجال وجهه كالكوكب الدري كما قال رسول الله صلع في صفته.

والكوكب الدري هو المضيء من الكواكب ، وجمعها دراري ، وكذلك كان وجه المهدي ع م مشرقا مضيئا كأنما له نور يلوح لمن نظر اليه ، وقوله : اللون لون عربي ، كذلك كان لونه ع م كلون رسول الله صلع سيد العرب والعجم، ابلج الوجه تشوبه حمرة ، وهو الذي يقول له اهل المعرفة بالحلي من العرب الرقيق السمرة ، ولا يقولون ابيض في الوان الناس ن وهذا اللون افضل الوان الناس عند العرب، وهو اكثر الوان اشرافهم ، وقوله والجسم جسم اسرائيلي ، فاجسام بني اسرائيل اجسام جسيمة وهم في الاكثر والاغلب اجسم من العرب ، قال :وكذلك كان المهدي بالله ص ع وسيما جسيما لا يكاد احد ان يماشيه الا قصر عنه وصغر الى جانبه ، وكذلك كان من صارت الامامة اليه من بعده ، قد آتاهم الله الفضل والجمال والكمال، ولقد حاول المهدي بالله ص ع في حين استتاره ان يخفي نفسه ويخملها فما قدر على ذلك ، وكان حيثما مرّ ورآه من يحصل امره يقول :والله ما هذا الا ملك من الملوك ، وما هذا سوقة ولا تاجر كما يقولون.

وكذلك حاول الامام المنصور بالله ص ع مرارا ان يخفي نفسه لبعض من اراد ان يسمع كلامه فتزي بغير زيه ، ولبس خلاف لباسه ، ودخل في جماعة تقدم اليهم في اطراح اجلاله وتبجيله ، وان يحلوه محل احدهم ففعلوا ، فما خفي عمن رآه ، وفعل ذلك في اسفاره ودخل بعض حصون المرابطين في بعض الاطراف وبها من لم يره قط ، فما خفي عليهم ، وفعل ذلك لما ظفر بمخلد اللعين ، وقد صار في اسره ، ومعبد بن محمد بن خزر لما صار في الاسر ايضا فما خفي عن واحد منهما ، يل عرفاه وما كانا قبل ذلك رأياه ، والعرب تقول في بعض امثالها : هيهات لا يخفى القمر .

هذا قول النعمان :

ونقول : ان بني اسرائيل كان منهم انبياء الله الذين اختارهم وارسلهم ، فليست امة من الامم اكثر من بني اسرائيل انبياء ، وشرف الله العرب وخصهم بان جعل محمدا صلع منهم الذي جمع الله له فضل النبيين ، وجعله ذا قوة عنده وفضل مبين ، وشرّفه على جميع الآدميين ، وعسى ان يكون النبي صلع شبه المهدي بكونه خير العرب وهو من ذريته وبانبياء بني اسرائيل تفضيلا له وتعظيما لقدره ، واشهارا لما آتاه الله من عظيم امره .

وفي حديث عن قتاده يرفعه الى النبي صلع انه قال : والمهدي اجلى الجبهة ، اقنى الانف ، يملأ الارض قسطا وعدلا كما ملئت جورا وخبطا.

وكذلك كانت صفة المهدي الله ص ع على ما قاله القاضي النعمان بن محمد رضي الله عنه : وكان اقنى اجلى ، وهاتان الصفتان من احسن صفات الجباه والانوف ، وملأ عدله ما وصل اليه سلطانه من الارض ، وملأ باقيها من اتى من الائمة من بعده من ولده ، وهو الذي ابتدأ ذلك ، وعدلهم معروف موصوف عند اهل السير لا ينسبون اليهم ما ينسب الى بني امية وبني العباس من الفجور ، وشرب الخمور. بل حرموا ذلك في الاقطار التي ملكهم الله اياها ، وآتاهم سلطانه فيها ، ونهوا عنه اشد النهي، ولذلك نفرت منهم سفهاء الامة وشنأهم اهل الشنآن فخرجوا من نور عدلهم الى الظلمة اذ كانوا قد اعتادوا شرب الخمور والفجور ، واعتاد قضاتهم الرشى وشهودهم الشهادة بالافك والزور ، فلما لم يجدوا في دعوة الائمة ص ع رخصة في شيء مما حرم الله في كتابه ، ولا هوادة في فعل المنكر وارتكابه ، نفروا عنهم وعادوهم ، وانكروا فضلهم وعاندوهم ، وقد قيل في المثل : المرء عدو ما جهل.

ومما رفع الى عبد الله بن مسعود مما آثره عن رسول الله صلع انه قال : انكم معشر هذه الامة تصيرون اربع امم : امة قائمة على الحق لا ينقضون منه شيئا ، قيل : ولا يقاتلون ؟ قال : بلى ويزلزلون زلزالا شديدا ، وامة على الباطل ليسوا من الحق على شيء مما حرم الله ، قيل : وهم يصلون؟ قال : نعم وتكون صلاتهم عليهم شهيدا . وامه يريدون الحق فيخطئونه ، يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية ، ولا يعودون فيه حتى يعود السهم على فوقه . وامة يقولون : هؤلاء اهدى بل هؤلاء ، فيلبثون في ذلك ما شاء الله ان يلبثوا ، ثم يوشك الاسلام ان يعود الى الباب الذي خرج منه ، قيل : الى اين يا ابا عبد الرحمن ؟ قال :الى بني عبد المطلب ، فالامة التي على الحق هم امير المؤمنين علي ابن ابي طالب ص ع والائمة الذين اختارهم الله من ولده ، وقد قال الباقر ع م في قوله : وكذلك جعلناكم امة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا ، قال : نحن الامة الوسط ، وايانا عنى بذلك . والتابعون لهم منهم بدليل قوله تعالى على لسان نبيه صلع : فمن تبعني فانه مني ، وقد قوتل امير المؤمنين علي ص ع واصحابه الذين اتبعوه واتبعوا الائمة من آله وزلزلوا زلزالا شديدا ، فظهرت لهم الاحقاد الاحدية البدرية ونالوا من الذرية الطاهرة ما ناله منهم وهم في شركهم محمد خير البرية . والذين مرقوا من الدين هم المارقون من الخوارج الذين خرجوا على امير المؤمنين علي ابن ابي طالب ع م وقد عرفوا بذلك الاسم ، وقامت الدلائل علىانهم المعنيون بقول رسول الله صلع انهم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية . والذين قالوا هؤلاء اهدى بل هؤلاء اهدى ، هم الذين نصبوا لهم ائمة باختيارهم لم يأمرهم الله ورسوله بنصبهم واتبعوهم على غيهم ، ونسبوا الى العلم من لم يجر في ميدان العلم قدمه ، ولا افتتح بقول الحق فمه ، فاختلفوا في القضايا والاحكام ، وقدموا واخروا بغير امر من الله ورسوله في الاسلام ، فلبثوا في ذلك ما شاء الله .ولما قام المهدي بالله عليه السلام عاد الاسلام الى الباب الذي منه خرج ، كما قال رسول الله صلع بما اظهره المهدي بالله ، والائمة من ذريته حيث اظهر الله سلطانهم ، من الامر بالمعروف والنهي عن المنكر وان جحد ذلك من فضلهم من ضل واستكبر.

وعن عبد الله بن مسعود انه قال : سمعت رسول الله صلع يقول : ولا تنقضي الدنيا حتى يليها رجل من عترتي اهل بيتي ، يحكم بما انزل الله ، فكان ذلك المهدي بالله ص ع ومن قام من ذرية رسول الله صلع

ومن رواية عبد الرزّاق يرفعه الى ابي سعيد الخدري انه قال : ذكر رسول الله صلع بلاء يصيب هذه الامة حتى لا يجد الرجل ملجأ اليه من الظلم ، ثم قال : ثم يبعث الله ع ج رجلا من عترتي فيملأ الارض قسطا وعدلا ، كما ملئت جورا وظلما، يرضى عنه ساكن السماء وساكن الارض، لا تبقي السماء من قطرها شيئا الا صبته مدرارا ، ولا الارض من نباتها شيئا الا اخرجته حتى يتمنى الاحياء للاموات .

وعن ابي الملاح يرفعه الى ابن المسيب عن ام سلمة انها قالت : سمعت رسول الله صلع يقول : المهدي من عترتي من ولد فاطمة ابنتي .

ومما يروى عن ابن نسحة يرفعه الى رسول الله صلع انه قال : اني رأيت بني امية على منابر الارض يملكونكم ، فتجدونهم ارباب سوء ، فانتظروا فيهم اختلاف سفهائهم ، فاذا اختلف سفهائهم ارتدوا على اعقابهم ، ولا يرتقون فتقا الا فتق الله عليهم اعظم منه ، ثم يكون بعدهم غلبة الجور حتى يخرج مهدينا.

ومن رواية يحي بن سلام يرفعه الى عبد الله بن مسعود انه قال : قال لي رسولا الله صلع يوما : انطلق معي يابن مسعود ، فمضيت معه حتى اتينا بيتا قد عض ببني هاشم ، فقال لهم رسول الله صلع : من كان معكم من غيركم فليقم ، فقام من كان معهم من غيرهم حتى لم يبق الا بنو هاشم خاصة ، بنو عبد المطلب وبنو العباس ، فقال لهم النبي صلع ما ذا تلقون من بعدي ؟ فقال له علي ع م : اخبرنا يا رسول الله صلع ، فقال له رسول الله : اخبرني جبرائيل انك مقتول بعدي ، فاردت ان اراجع فيك ربي فابى علي ، ثم قال: كأن قد وليتكم ولاة بني امية يقصدون بكم الضرورة ويلتمسون بكم المشقة ، ثم تكون دولة لبني العباس يعملون فيها عمل الجبارين ، فالويل لعترتي ولبني امية مما يلقون من بني العباس ، ويهرب من بني امية رجال فيلحقون باقصى المغرب فيستحلون فيها المحارم زمانا ، ثم يخرج من عترتي رجل غضبان لما لقي اهل بيتي وعترتي ، فيملأ الارض قسطا وعدلا كما ملئت جورا وظلما ، يسقيه الله من صوب الغمام فقال ناس من بني العباس : ايكون هذا ونحن احياء ؟ فنظر رسول الله صلع اليهم كالماقت لهم ثم قال : والذي نفسي بيده ، لمن في اصلاب فارس والروم ارجى عندي لاهل بيتي من بني العباس.

وقد ذكرنا رواية يحي ين سلام هذه فيما قبل ولكنا اعدناها بيانا للقول ولما فيها من ذكر المهدي ع م وظهوره بعد بني العباس وبني امية لما فيه من البيان وواضح البرهان لانه قام بعد تغلب بني العباس على بني امية ، فاظهر العدل ونفى الجور ،وعزت به ذرية الرسول ، ولم تزل قبل في الخمول ، ورفع عنهم السيف الذي لم يزل فيهم مسلولا مذ ولي بنو امية ، وكان بنو العباس انكى لهم وافتك بهم حتى اظهر الله المهدي من عترة نبيه ، فارتفع الجور ،وظهر العدل ، وعزت الذرية النبوية ، فلم ينلهم احد بالمكروه من بني العباس ولا بني امية .

وروي عن رسول الله صلع انه قال : لا يثبت العدل الا قليلا حتى ينقطع وكلما انقطع من العدل شيء ، حل من الجور مثله حتى يولد في الجور من لا يعرف غيره ، ثم يأتي الله بالعدل ، فكلما جاء من العدل شيء ذهب من الجور مثله حتى يولد في العدل من لا يعرف الجور ، فقيل له : يا رسول الله ، من اهل الجور؟ قال : بنو عمنا اذا سلمت لهم الدنيا ، قيل : فمن اهل العدل ؟ قال : نحن اهل البيت .

وكان المهدي بالله صلوات الله عليه اول من اظهر العدل بعد الجور ، وجرى ذلك ايام سلطان الائمة من ذريته دهرا طويلا بعد الجور من بني العباس وبني امية ، وظهرالجور بعد استتارالائمة عليهم السلام وسيظهرالعدل ولا يزال تعاقب الستر والظهور كتعاقب الظلمة والنور حتى يرث الله الارض ومن عليها ن ويظهر القائم بالعدل والتوحيد ، ويكون الدين كله لله، فتزول الظلمة وتفتح القيامة ، وتختم الدنيا ، وتستقبل الآخرة ، ويكون الجزاء على الاعمال : فبين مثاب يتبوأ جنات الخلود ومعاقب يرد جهنم ، وبئس الورد المورود.

وعن امير المؤمنين علي ابن ابي طالب ص ع انه قال : لا يزال الناس ينقصون حتى لا يقال الله الا خفية ، فاذا كان ذلك بعث الله يعسوب الدين فيضرب بذنبه فيجتمعون اليه كما يجتمع قزع الخريف ، اني لاعلم اسم اميرهم ومنازل رجالهم.

وعنه ص ع انه قال : بنا يبتر الله الكذب ، وبنا يدرك ثاره المؤمن ، وبنا تنخلع ربقة الذل من اعناقكم.

وروي عن سليمان بن جعفر حديث يرفعه الى امير المؤمنين علي ابن ابي طالب انه ذكر امر القائم من آل محمد ، وما يكون على يديه من الامر ، فقال : صاحب هذا الامر الطريد الشريد . والفريد الوحيد. وكذلك كان المهدي بالله ص ع ، فانه لما فشت دعوته ، وكثرت الدعاة اليه والمستجيبون له طلبه اعداء الله واعداؤه ، فلم يزل شريدا طريدا وحيدا حتى رفع الله ا مره واعلى ذكره .

وعن امير المؤمنين علي ابن ابي طالب ص ع انه خطب الناس بالكوفة فندبهم الى الجهاد وحذرهم الفشل وما يخشى من سوء عواقبه ، فلما فرغ من خطبته قام اليه رجل فقال : يا امير المؤمنين من ذا يرومنا ومن ذا يطيقنا وانت فينا اخو رسول الله صلع وابن عمه وصهره ، ومعنا لواء رسول الله صلع ورأيته ، ومعنا ابناء رسول الله صلع الحسن والحسين سيدا شباب اهل الجنة عليهما السلام . فلو اجتمتعت الانس والجن علينا ما اطاقوا ، فقال له علي ص ع : وكيف يكون ذلك ، ولم يشتد البلاء وتظهر الحمية وتسب الذرية وتطحنكم الفتنة طحن الرحى بثقالها حتى لا يبقى منكم الا نافع لهم او غير ضار. فاذا كان ذلك بعث الله ع ج ابن خير هذه الامة ، او قال البرية فيقتلهم هرجا هرجا حتى يرضى الله ع ج حتى تقول قريش والعرب : لو كان هذا من آل محمد لرحمنا ، ويتمنون انهم رأوني ساعة من نهار فاشفع لهم اليه ، فقام اليه رجل فقال : يا امير المؤمنين متى يبلغ رضى الله ؟ فقال : يقذف الله في قلبه الرحمة فيرفع السيف عنهم، فقال : متى يكون ذلك ؟ قال : اذا شاء الله . فهذا قول امير المؤمنين

وقد قام المهدي بالله بعد ان اشتد البلاء على الشيعة واستتر الائمة ، وخفي النور ، وظهرت الظلمة ، وقتل الامام الحسين بن علي ع م وسبت بنو امية ذرية رسول الله صلع . وقتل الامام العزيز بالله اهل الشام لما توجه الى دمشق وكذلك وضع الامام الحاكم بامر الله سلام الله عليه السيف في المفسدين الى ان القى الله ع ج الرحمة في قلبه . واكثر ذلك يكون في المستقبل ، فان الظلمة قد عمت ، والبلاء قد اشتد على شيعية اولياء الله سلام الله عليهم ، وسيعقب الظلمة النور، ويكون بعد الستر الظهور ، ويظهر اولياء الله بعد غيبتهم ، ويخرجون من كهف سترهم وتقيتهم ، ويكون كل ما وعد به امير المؤمنين ص ع فهو الصادق الذي وعده حق ، وقوله صدق.

وفي رواية ابن سلام باسناده عن امير المؤمنين علي ع م انه قال لبعض شيعته وقد ذكروا تغلب اهل الباطل : يا معشر شيعتنا صلوا مع الجماعات ، وادوا اليهم الامانات ، فاذا جاء التمييز ، وقامت الحرب على ساق ، فمعنا اهل البيت باب من ابواب الجنة، من اتبعه كان محسنا ، ومن تخلف عنه ممحقا، ومن لحق به لحق بالحق ، الا وان الدين بنا فتح ، وبنا يختم ، ولو لم يبق من الدنيا الا يوم واحد لولاه الله رجلا منا يملؤها عدلا كما ملئت جورا وظلما .

وبالاسناد عن عبد الله بن جبلة باسناده عن علي ص ع انه قال : ليخرجن الاسلام نادّاً من ايدي الناس كأنه البعير الشارد من الابل لا يرده الله الا برجل منا.

ومن رواية ابن غسان باسناده عن امير المؤمنين علي ابن ابي طالب سلام الله عليه انه قال : احذروا على دينكم ثلاثة : رجلا آتاه الله القرآن وكان ردءا للاسلام غير بذلك ما شاء الله ، ثم انسلخ ونبذه وراء ظهره ، وسل سيفه لى جاره ورماه بالاشراك ، قالوا يا امير المؤمنين فايهما اولى به ؟ قال : القرآن ، ورجلا استخفته الاحاديث فكلما وضع احدوثة كذب وانقطعت ابطلها بطول منها ، ان يدرك الدجال يتبعه ، ورجلا كاحدكم آتاه الله سلطانا فقال : من اطاعني فقد اطاع الله ، ومن عصاني فقد عصى الله فكذب ، ليس لمخلوق طاعة في معصية الخالق ، الا وانه لا بد من رحى سلطان يقوم على ضلالة ، فاذا قامت طحنت ، وان لطحنها روقا ، وروقها حدتها ، وعلى الله فكها ، الا وان اطائب ذريتي وابرار عترتي احلم الناس صغارا ، واعلم الناس كبارا ، بنا يبتر الله الزمان الكلب ، ومنا يبتر الكذب ، وانا اهل البيت من حكم الله حكمنا، ومن صدق قول سمعنا ، فان تتبعوا آثارنا تهتدوا ببصائرنا ، وان تحيدوا عنا تهلكوا بايدينا او بما شاء الله ، ويح للفروخ فروخ آل محمد من خليفة غير مستخلف ، يقتل خلفي وخلف الخلف ، ووالله لو لم يبق من الدنيا الا يوم واحد لطوله الله حتى يخرج منا رجل يقال له المهدي يملؤها قسطا وعدلا كما ملئت جورا وظلما .

وعن ابي غسان باسناده وعن علي ع م انه قال : يخرج منا رجلان يسبق احدهما الآخر يقال لاحدهما المهدي ، والآخر المرتضى. فالمهدي قد ظهر وظهرت الائمة من ذريته عليهم السلام والصلوة، ثم وقع الستر، ولم يسم احد من ائمة الظهور عليهم السلام المرتضى ، ولكنه الذي ينتظر ظهوره ، وهو من المهدي وذريته كما قال امير المؤمنين علي ع م ، وقوله الحق المبين.

وفي رواية اخرى عن علي ع م انه قال : كأني انظر الى دينكم موليا يخضخض بذنبه، ليس بايديكم منه شيء حتى يرده الله عليكم برجل مني .

وعنه صلوات الله عليه وعلى الطاهرين من ذريته انه قال : والذي فلق الحبة وبرئ النسمة لو لم يبق من الدنيا غير يوم واحد لطول الله ذلك اليوم حتى يملك فيه رجل مني ، فاذا رأيتم ذلك اليوم ، لم يرم رام بسهم ولا حجر ، ولا يطعن برمح ، فاحمدوا الله ، فان ابتليتم فاصبروا فان العاقبة للمتقين.

وروي عن الصادق جعفر بن محمد عن ابيه عن جده علي ابن الحسين عليه السلام انه سئل عن المهدي فقال : هو من ولدي.

وقد قيل لبعض الائمة الماضين عليهم السلام : انت المهدي ؟ قال : كيف اكون المهدي وقد بلغت من السن ما ترون ؟ واخد ساعده فمد جلده ، وقال : المهدي لا يؤخذ له بالركاب ، قيل : وكذلك كان صلى الله عليه.

وعن الصادق جعفر بن محمد انه قال : لو قد قام قائمنا ما اقام الناس على الطلاق الا بالسيف ، ولو قد كان ذلك ، لم تكن الا سيرة علي ابن ابي طالب ع م ، وكذلك كان الامر لما قام الامام المهدي بالله سلام الله عليه والائمة من ولده اقاموا الناس على طلاق العدة والسنة ، على ما نصه الله تعالى في كتابه وسنّه رسوله وقطعوا طلاق البدعة. وكل ما ابتدعه المبتدعون في الدين والاحكام ، والحلال والحرام ، واقاموا الناس بالسيف على سيرة علي ابن ابي طالب ، صلى الله عليه وعليهم ، التي سار بها في الامة على ما عهد اليه رسول الله صلع ونسب ذلك للمهدي بالله ص ع اذ كان اول من اقام ذلك ، وقام به ، واقامه الائمة من نسله عليهم السلام، وققوا اثره ، وسلكوا جدده .

وقد ذكرنا عن الصادق جعفر بن محمد صلوات الله عليه عن رسول الله صلع حيث قال : يرفع لآل جعفر بن ابي طالب رأية ضالة ، ثم يرفع لآل العباس رأية اضل منها واشر ، ثم ترفع لآل الحسن بن علي عليه السلام رأيات ليسب بشيء ، ثم يرفع لولد الحسين رأية فيها الامر . فكان كما ذكر ، فقام عبد الله بن جعفر في ايام بني امية ، ثم ارتفعت بعد ذلك رأية بني العباس ، وكلما قام من اولاد الحسن قائم لم ترفع رأيته ، ولم تثبت آيته ، وصاروا بين قتيل بالمهند، او حبيس مقيد، او طريد مشرد ، حتى قام المهدي بالله صلى الله عليه وآله من ذرية الحسين ع م فاتضحت معالمه وقامت به مناهج الحق ومراسمه ، وملك الائمة من آله الشرق والغرب، وظهرت دعاتهم في كل افق ، حتى وقع الاستتار ، ولا بد من اوبة بعد المغيب ، وظهور يظهر به كل امر عجيب.

وقد جاء عن رسول الله صلع انه قال : من حبس نفسه لداعينا وكان منتظرا لقائمنا ، كان كالمتشحط بدمه بين سيفه وترسه في سبيل الله. وروي عن الامام الباقر انه قال : اذا قام قائمنا اهل البيت نزع البخل والجبن عن قلوب شيعتنا ، ولقي الرجل المائة فلا يفل بهم ، ويشرف اهل هذا الامر ، ويحفظ نسلهم ، حتى تنقضي الدنيا ، ويتقرب الناس الى الامام بزيارة قبور المؤمنين ، ويزار قبر كل مؤمن من عهد رسول الله صلع في مشارق الارض ومغاربها ويقف المؤمن على قبر المؤمن فيقول : يا اخي قد وددت انك كنت باقيا حتى تشهد هذه الدولة ، فقد كنت توالي اهلها ، وتناصب عدوها ، فبارك الله لك فيما انت فيه ، وثبتنا على ما كنت عليه . وقد كان ذلك في ايام المهدي بالله صلع والائمة من ذريته ، وظهر المؤمنون ، وعز دين الله ولو كره المشركون، وتمنوا لو كان اخوانهم الماضون احياء ليشفوا غيظ قلوبهم بمشاهدة ظهور امر اولياء الله ، وعلو كلمتهم ، وظهورهم على عدوهم ، كما تمنى ذلك القاضي النعمان بن محمد رضوان الله عليه في قصيدته المختارة :

فلهف نفسي ثم لهف نفسي \* على الذين انقرضوا بالامس

لم يبلغوا ذلك من اخواني \* لكنّهم في حوزة الجنان

قد بلغوا من المنى آمالهم \* انالنا الله الذي انالهم

وكذلك يكون فانه وان طالت على المؤمنين المحنة ، وعمت الظلمة ، واستتر اولياء الله الائمة ، لا بد من ظهور امر اولياء الله ، وعلو كلمتهم ، وسمو دولتهم ، وكما قال داود نبي الله ع م : مثل ما كان سيكون ، ومثل ما علم سيعلم ، وما تحت الشمس شيء بجديد.

وقد روي عن رسول الله صلع انه ذكر المهدي بالله ع م فقال : من رآه فليبايعه ولو حبوا على الثلج والنار ، فانه خليفة الله في ارضه.

فالدلائل واضحة ، والبراهين لائحة ، ولكن الجاحدين لفضل اولياء الله ابوا الا تكبرا على الله وعتوا، وجحدوا بها واستيقنتها انفسهم ظلما وعلوا .

وعن عبد الله بن العباس انه قال : لو لم يبق من الدنيا الا يوم وليلة لخرج فيها المهدي.

وعن ابن سيرين : المهدي يعدل نبيا .

وعن النبي صلع انه قال : كان داود نبي الله ع م يتمنى ان يلحق المهدي ويكون من اصحابه .

وقال ابراهيم بن ميسرة قلت لطاوس : ان قوما يقولون ان عمر بن عبد العزيز هو المهدي ، قال طاوس ليس كما يقولون ، ان المهدي اذا كان زاد المحسن في احسانه ، وزاد المسيء في اساءته ، والمهدي جواد بالمال ، شديد على العمال ، رحيم بالمساكين.

وعن مجاهد باسناده يرفعه وذكر اخبارا بما يكون ثم قال : يبعث قائم آل محمد في عصابة ، لهم ادق في اعين الناس من الكحل ،يفتح الله عليه مشارق الارض ومغاربها ، الا وهم المؤمنون حقا ، الا وان خير الجهاد في آخر الزمان.

وروي عن عبد الرحمن بن بكّار انه قال : حججت فدخلت المدينة فاتيت مسجد رسول الله صلع فرأيت الناس مجتمعين على مالك بن انس يسألونه ويفتيهم ،فقصدت نحوه فاذا انا برجل وسيم حاضر في المسجد وحوله حفدته يدفعون الناس عنه ، فقلت لبعض من حوله : من هذا ؟ قالوا موسى بن جعفر فتركت مالكا وتبعته ولم ازل اتلطف حتى لصقت به فقلت : يابن رسول الله اني رجل من المغرب من شيعتكم وممن يدين الله بولايتكم ، قال لي : اليك عني يا رجل فانه قد وكل بنا حفظة اخافهم عليك ، قلت يسلم الله وانما اردت ان اسألك ، فقال سل عما تريد ، قلت انّا قد روينا عن المهدي منكم ، فمتى يكون قيامه ؟ وابن يقوم ؟ قال : ان مثل من سألت عنه كمثل عمود سقط من السماء رأسه في المغرب واصله في المشرق ، فمن اين ترى العمود يقوم اذا اقيم ؟ قلت : من قبل رأسه ، قال فحسبك، من المغرب يقوم واصله من المشرق ، وهناك يستوي قيامه ويتم امره . د

وكذلك كان اصل الامام المهدي بالله ع م بالمشرق وقيامه من المغرب .

ومن رواية ابي غسان عن عبد الله بن العباس ان رجلا سأله عن السماء مم هي ؟ وعن البرق مم هو ؟ وعن اول شيء عاذ بالبيت ، وعن المهدي ممن هو ؟

فقال له ابن عباس : لقد سألت عن عظيم ، وهو في علم الله يسير ، اما السماء فهي ماء مكفوف ، واما البرق فهو من الماء ، واما ا ول شيء عاذ بالبيت، فان الحيتان الكبار اكلن الصغار منهن في زمن الطوفان فاستعذن بالبيت فاعاذهن الله، واما المهدي فانه من اهل بيت اكرمكم الله باولهم ، ويستنقذكم بآخرهم. فاهل البيت الذين اكرم الله الخلق باولهم هم ذرية رسول الله صلع ، واولهم رسول الله صلع الذي اكرم الله به الخلق ، والمهدي منهم ، وآخرهم يكرم الله المؤمنين ويستنقذهم من الظالمين ، ويهلك الله الشياطين ، وهو قائم آل محمد المنتظر الآتي بين يدي الساعة ، فبه يظهر الله دين محمد على كل دين، ويهلك جميع الظالمين ، ويكون لله وحده الدين.

ومن حديث عبد الرزاق معمر بن سعيد بن ابي عروة عن قتادة ، قال : قلت لسعيد : المهدي حق ؟ قال حق ، قلت : ممن ؟ قال من قريش ، قلت : من اي قريش ، قال من بني هاشم ، قلت من اي بني هاشم ، قال من بني عبد المطلب ، قلت : من اي بني عبد المطلب ؟ قال : من ولد فاطمة .

قال القاضي النعمان بن محمد رضي الله عنه : ولو سأله من اي ولد فاطمة هو لاخبره انه ولد الحسين لانه قد روى ذلك ولم يقل سعيد هذا برأيه ولكنه سماع سمعه .

وقد روي زادان عن سلمان الفارسي رضى الله عنه انه قال : لا بد من قائم من ولد فاطمة يقوم من المغرب فيكسر شوكة المبتدعين ويقتل الضالين.

وكذلك قام المهدي بالله من المغرب وهو من ولد فاطمة ، ولما جاءت الرواية في ذلك في زمن بني العباس خافوا من ادريس ابن عبد الله بن الحسن لما صار في المغرب ، وقد ذكرنا من قصته في هذا الكتاب ، فدسوا عليه بالسم كما ذكرنا وكانوا كما قال الله تعالى : يريدون ان يطفئوا نور الله بافواههم ويأبى الله الا ان يتم نوره

ومن رواية يحي بن سلام يرفعه الى عبد الله بن عمر انه قال : ابشروا فتوشك ايام الجبارين ان تنقطع ، ثم يكون بعدهم الجبار الذي يجبر به الله امة محمد : المهدي ثم المنصور.

قال القاضي النعمان بن محمد رضوان الله عليه : ثم عدد ائمة مهديين ، وهذا مما لم يقله عبد الله الا من رسول الله صلع مما سمعه او بلغه عنه لان ذلك من اخبار ما يكون ، ولا يقول ذلك الا من جاءه فيه علم من عند الله ع ج .

وقد كان المهدي والمنصور ص ع وكان بعدهما ائمة مهديون الى ان وقع سترهم ، ولا بد ان يظهر بعد سترهم ائمة مهديون يوضح الله بهم برهانه ، ويقيم حجته ، وينقذ امة نبيه .

ومن رواية الدعشي يرفعه الى ابي الجارود انه قال : يكون المهدي وسبعة من بعده ، يعني ولده ، كلهم صالح لم ير مثلهم .

وهذا ايضا مما انتهى اليه من رسول الله صلع الذي لا ينطق عن الهوى ان هو الا وحي يوحى. فهذا ما اخبرت به الثقات ، واثبته الرواة عن الائمة ص ع وعن غيرهم من علماء العامة من ذكر المهدي ص ع وقيامه ، والبشارة بما كان في ايامه ، ولم يأخذوا ذلك الا عن رسول الله ومما اوحى اليه.

فظهر الائمة عليهم السلام برهة من الزمان ، ثم وقع الستر ثانيا كما كان اولا ، وكانت الفترة ، واستتر الطاهرون من العترة لعلم الله الذي اودعه اوليائه ، ليبتلي الله المؤمنين ويمحق الكافرين ، ولا بد ان يؤيد الله اوليائه فيصبحوا ظاهرين . وسوف نذكر اذا انتهينا اليه ما روي عن رسول الله صلع واتت به الرواة واثبته الثقات من الدلالة على ظهور آل محمد ، وعلو امر الطاهرين ائمة الهدى صلوات الله عليهم، مما لم يكن ، وهو لا شك كائن ، فان ما ورد عن اولياء الله هو اليقين ، وقول الله تعالى حق ، وقد قال تعالى : والعاقبة للمتقين.

وقد روى يحي بن سلاّم صاحب التفسير حديثا رفعه الى رسول الله صلع انه قال : تطلع الشمس من مغربها على رأس الثلاثمائة من هجرتي

وهذا حديث مأثور مشهور ، ولم تطلع من مغربها في هذا الوقت ، ولا قبله ولا بعده ، وانما عنى بذلك قيام المهدي من ذريته ، فوعد بظهوره من المغرب وعلو دولته ، وقد سمّى الله ع ج رسوله محمدا صلع سراجا فقال تعالى انا ارسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا وداعيا الىالله باذنه وسراجا منيرا، وسمى الله الشمس سراجا فقال وجعلنا سراجا وهاجا ، وقد سمى العرب الرجل الفاضل شمسا ، قال الشاعر :

انك شمس والملوك كواكب \* اذا طلعت لم يبد منهن كوكب

وكان المهدي بالله سلام الله هو الشمس التي ذكر رسول الله صلع انها تطلع من الغرب على رأس الثلاثمائة من هرجته ، وكذلك طلع عليه السلام في سنة سبع وتسعين ومائتين ، واستقر قراره في دار ملك المغرب على رأس الثلاثمائة .

ومن قول النبي صلع هذا قال الفهري في قصيدة له يبشر بظهور المهدي ودنو اوانه :

فعند الست والتسعين \* قطع القول والعذر

لامر ما يقول الناس\* بيع الدر بالبعر

وصار الجوهر المخزو\* ن علقا غير ذي قدر

يتيم كان خلف البا \* ب فانقض على الوكر

ففي سنة ست وتسعين غلب الحسين بن احمد بن زكريا ابو عبد الله الداعي الى المهدي بالله سلام الله عليه بالغرب بني الاغلب وشرّدهم عن ملكهم وملك افريقية ، واقام بها دعوة المهدي بالله صلوات الله عليه ،

قال القاضي النعمان بن محمد رضي الله عنه : وقول الفهري يتيم كان خلف الباب يعني المهدي عليه السلام مات ابوه وهو صغير ، وكذلك كان رسول الله صلع .

ومن ذلك قول التونسي ، وكان ممن يعنى بعلم الحدثان ، فقال يخاطب ابراهيم بن احمد من ملولك بني الاغلب صاحب افريقية وقد سأله ان يخبره ما عنده في امر دولتهم وغاية ملكهم من قصيدة اولها :

اقول واسلمت القريض لاهله \* وعشت زمانا وهو خير مكاعب

امن بعد تسعين السنين اعدها \* واربعة من بعد ذاك رواتب

ازاحم اهل الشعر بالشعرناجزا \* ابى الله هذا بعد ان جب غاربي

ولكنني ارجو من الله عفوه \* باوبة مأمون السريرة تائب

وآمل غفرانا بفضل تلاوة \* ارددها ليلا بفكرة آئب

صرفت اموري للذي انا عبده \* الهي اله العرش معطي الرغائب

فلست حياتي سائلا غير ذي العلا \* والا فجبت من يميني رواجبي

الا يا امين الله وابن امينه \* وعاشر سادات الملوك الاغالب

وجدت كتابا قد تقادم عهده \* رواية اشياخ كرام المناسب

رواية وهب عن سطيح ودنيل \* مشائخ علم صادق غير كاذب

تتابع رايات من الشرق سبعة \* الى الغرب سود خافقات الذوائب

يسير بها خزر العيون تراهم \* بهاليل شمطا من طوال الشوارب

ويقول فيها :

ولاة بني العباس عشرون واليا \* تدين لهم بالرغم ارض المغارب

وفي الست والتسعين تهبط رأية \* من الغرب في جمع كثير المواكب

يمزّق ارض البربرية جمعهم \* بخيل كأمثال القطا المتسارب

وتطلع شمس الله من غرب ارضه \* فلا توبة ترجى هناك لتائب

ويظهر من ابناء فاطمة امرؤ \* تقي نقي العرض جم المواهب

سمي نبي الله وابن وصيه \* واكرم مولود واشرف طالب

فيملأ ارض الله عدلا ورحمة \* بايّام صدق طيبات المكاسب

وبالاعور الدجال ينهدّ جمعه \* سوى عصبة في باذخ الطود راتب

ويقتله من بعد ذاك ابن مريم \* بقدرة رب ما له من مغالب

ومن بعدها موت ابن مريم مفضيا \* الى الله في حكم من الله واجب

وقوله في قصيدته سمي نبي الله فذلك القائم عليه السلام محمد ابن عبد الله لانه ظهر مع ابيه عليهما السلام يوم ظهوره في المغرب، وهو الذي اشار اليه النبي صلع بقوله : اسمه كاسمي واسم ابيه كاسم ابي ، والى القائم بعد الستر من ولده صلع ، الماضين منهم والمنتظرين ، وفي ايام القائم عليه السلام كان ظهور الدجال مخلد بن كيداد ، وابن مريم الذي قتله هو اسماعيل بن محمد المنصور ، سلام الله عليه ، وسنذكر القصة اذا انتهينا اليها في هذا الكتاب ، والله الموفق للصواب ، والهادي لخير الاسباب

ومن هذا المعنى قول ابن عقبة:

قد قلت لما طار عني الكرى \* حتى متى يا ليل لا تصبح

عذبني الوجد وفقد الكرى \* كلاهما اقسم لا يبرح

وكيف لا يحزن من لا يرى \* بأنه يبلغ يا مسطح

دهرا يرى فيه امام الهدى \* بالله للمغرب يستفتح

ويبتني البيضاء في لجة \* خضراء فيها نونها يسبح

ينجو من الاهوال سكاّنها \* والارض منها كلها تفتح

لو مدّ من عمري الى وقته \* لكنت في القرن الذي يفلح

هيهات ما ذا العمر مما ارى \* فيما ارى الموت به يسمح

فعنى بالبيضاء المهدية التي ابتناها المهدي بالله ص ع على شاطئ البحر ، وقوله : وينجو من الاهوال سكانها فكذلك نجوا من اهوال فتنة الدجال .

ومن ذلك قول محمد بن رمضان وكان من الشيعة يرثي اهله ، وكان ابراهيم بن الاغلب اوقع بهم وقتل الفا منهم غدرا ، وذكر دنو الفرج بقيام المهدي بالله سلام الله عليه حيث يقول :

جل المصاب لئن كان الذي ذكروا \* مما اتتنا به الانباء والخبر

عن الف اروع كالآساد قد قتلوا \* بساعة في سواد الليل اذ غدروا

لو كان من بيت الآساد ايقظهم \* حلت به منهم الاحداث والغير

قل لابن احمد ابراهيم مالكة \* عن الخبير بما يأتي وما يذر

اعلم بان شرار الناس اطولهم \* يدا بمكروه غدر ان هم غدروا

لا سيما الجار والضيف القريب ومن \* اعطوه ذمتهم من قبل ما خفروا

فما اعتذارك عن عار ومنقصة \* اتيتها عامدا ان قمت تعتذر

جرعت ضيفك كأسا انت شاربها \* عما قليل وامر الله ينتظر

فدولة القائم المهدي قد ازفت \* ايامها في الذي انبأ به الاثر

عن النبي وفيه قطع دولتهم \* يا آل اغلب فارجوا ذاك وانتظروا

وقطع امر بني العباس بعدكم \* وقطع امر بني مروان اذ بطروا

وقال ايضا محمد بن رمضان من قصيدة :

كأني بشمس الارض طلعت لنا \* من الغرب مقرونا اليها هلالها

فيملأ ارض الله قسطا بعدله \* بما ضم منها سهلها وجبالها

وآمن فيها ما اخاف واتقي \* واظفر بالزلفى به وانالها

فشمس الارض عنى بها المهدي ، والهلال ولي عهده القائم من بعده .

ولو تقصينا ما ورد من ذكر فضائل الائمة وظهور عدلهم ن واشتهار فضلهم ، لطال ذلك واتسع ، وبعد امده وشسع ، وانما اتينا في هذا الكتاب بفنون من الاخبار ، ونبذ من الآثار ، وملنا فيه الى الاختصار ، عن الاسهاب والاكثار ، وكل ما قلناه ونقوله بعون الاحد القهار، ونعمة اوليائه الائمة الاطهار ، عليهم صلوات الله العزيز الغفار.

## ظهور دعوة الامام المهدي بالله صلوات الله عليه باليمن والمغرب

واما الخبر فيما كان من ظهور دعوة المهدي بالله صلوات الله عليه باليمن والمغرب وما اظفر الله اوليائه واظهر لهم من الظفر والغلب فنقول :

انا قد ذكرنا في كتابنا هذا من امر ابي القاسم – وهو الحسن ابن فرح بن حوشب بن زادان الكوفي المعروف بمنصور اليمن بن الفرح صاحب دعوة اليمن، وهو من ذرية مسلم بن عقيل ابن ابي طالب بن عبد المطلب بن هاشم رحمه الله – ووصوله الى امامه صلوات الله عليه وما هداه الله من الاتصال به والوصول اليه ، وما كان من امره حتى بعثه الى اليمن داعيا مبشرا بظهور المهدي بالله من ولد رسول الله صلع قائما في اشادة دعوته وساعيا ، فقال له : انت لليمن وانت المنصور فيه ، وكان الداعي ابو القاسم رضي الله عنه اذا قيل له انت المنصور المبشر به يقول ان المنصور من آل محمد ، اما سمعتم قول القائل :

اذا ظهر المنصور من آل احمد \* فقل لبني العباس قوموا على رجل

قيل وكان الامر كذلك ، لما قام الامام المنصور بالله اسماعيل بن محمد بن عبد الله اختلت دولة بني العباس ، ووهن من امر ملكهم الاساس ، فصاروا بين مقتول ومخلوع ، ومصفد في السجن قد عاد بعد التكبر الى الخضوع .

وقد روي عن رسول الله صلع انه قال : يقوم رجل من ولدي على مقدّمته رجل يقال له المنصور يوطئ له او قال يمكّن له واجب على كل مؤمن نصرته او قال اجابته ، وهذا الحديث مما رواه عبد الرزّاق باسناده عن النبي صلع .

وفيما اتى عن الداعي ابي القاسم ابن فرح بن حوشب بن زادان رضي الله عنه قال : ولما سرت من عند الامام عليه السلام مودعا للاهل والاحبة ، ومتشوقا الى انقطاع الغربة ، توجهت ، فلما خرجت من القادسية اوجست خيفة ، فاصغيت الى قول اسمعه لاتفاءل به ، فسمعت حاديا يقول :

يا حادي العيس مليح الزجر \* بشّر مطاياك بضوء الفجر

قال فسررت به واستحسنت ذلك المقال لما سمعته ، ووافيت مكة مع الحجاج ، فحججت وقضيت مناسكي ، وسمعت من حجيج اليمن ان محمد بن يعفر ملك صنعاء قد اظهر التوبة والنسك ، وتخلى عن الملك وردّ ما اقتطع من الناس اليهم ، وانصف من الظلامات ، وذلك لامر تقدمت فيه الروايات ان ملكه سيزول من يديه ، وان داعي المهدي يغلب عليه ، فخلع نفسه ونزع من ملكه واهله وفرّق الاموال ، فيقال انه ردّ في يوم الف الف حتى قام من شعرائه في اهل بيته ، وقد اجتمعوا ، قائل فقال :

بني حوال يا مصابيح الافق \* ويا مباذيل العطايا تندفق

من خالص العقيان سحا والورق \* تداركوا ملكـكم لا ينفتق

فتطلبون رتق ما لا يرتتق \* الا باطراف الشماريخ الشهق

والناس فوضى والنفوس تزدهق \* كغنم الذئب تجرعن العلق

فالرأس لا يصلح الا بعنق \* ولن تقوم قدم على زلق

ليس عتيق البر كالبر الشفق \* وليس املاك الرعايا كالسوق

هذا ابو يعفر فيكم قد لحق \* كالجبل الشامخ والليث النزق

فايكم قام بها فقد سبق \*

في ارجوزة طويلة ، فقام ابن اخيه فتدارك الامر وقد وهى وتفرّق اكثره وتمزقت المملكة وكان ذلك من صنع الله ع ج لاوليائه

وقضى الناس حجهم وانصرفوا الى اليمن وتوجه ابو القاسم ومعه علي بن فضل ، فدخلا اليمن في اول سنة ثماني وستين ومائتين فجاء طريق الحسن بن فرح على مخلاف بني طريف من ناحية صعدة ثم الظاهر ، ووصل رأس نقيل عجيب ، فانقطعت هناك نعله فمال الى صخرة وجلس عليها ليصلح نعله ، فاقبل اليه شيخ فقال: ممن الشيخ ؟ فقال : رجل غريب ، فقال اعندك علم من المهدي ، فقال له المنصور ومن المهدي ايها الشيخ ، فقال الشيخ : انه مأثور عندنا ان داعي المهدي تنقطع نعله فيقف على هذه الصخرة ليصلحها ، فقال له المنصور كلام الناس كثير ، قال:ولم اجد فيه انتباها

وسار المنصور حتى دخل صنعاء يوم الجمعة ، فدخل المسجد الجامع والخطيب قد فرغ من خطبته ، وعمد الىاسطوانة خضراء ، فاتكأ عليها بظهره ، ورفع احدى رجليه على الاخرى بعد ان صلى ركعتين عند الاسطوانة .

قال المنصور فيما روي عنه : فاتاني شيخ فرفسني برجله وقال لي : قم وانتهرني ، فقلت له : ما لي ايها الشيخ اقصد دون سائر الناس ، وهذا كثير منهم منضجع في المسجد ، فقال لم انكر انضجاعك ولكن هذه اسطوانة يروى ان داعي المهدي اذا دخل صنعاء اتى اليها فصلى ركعتين واستلقى على ظهره عندها فرفع احدى رجليه على الاخرى ، فانما انكرت عليك التشبه به ، قلت وما انا وهذا ؟ فقام اليه بعض من سمعه فقال : ما اعجب امرك ، وكأن هذا هو داعي المهدي ، قال : ما هو هو ولكن انفت ان يتشبه به غيره، وكأنه انما رأى المهدي يدخل ويعمل ذلك بعد ظهوره ، قال ومضى عني فقمت فتسللت .

فخرج الداعي المنصور من صنعاء وهو يريد عدن ابين لان الامام عليه السلام اوصاه ان يقصد عدن لاعة ، فسأل عنه فلم يسمع الا بعد ابين ، فلذلك قصده ، فلما صار بالمخلاف ووصل نقيل البردان نظر الى عسكر ابن يعفر الكرندي ، وقد اقبل يريد حرب المذيخرة ، فعمد المنصور الى كهف في الجبل مخافة لمعرة العسكر ، فلما دخل ذلك الكهف اذا هو بشيخ كبير قد دخل عليه من باب ذلك الكهف ، فسلّم عليه وجلس بين يديه ، وجرى بينهما كلام بعد ان سأله الشيخ عن حاله وبلده ومراده .

ثم ان الشيخ سأل الداعي عن شيء من الحلال والحرام ، والقضايا والاحكام ، فاجابه في ذلك بما شفاه وكفاه ، قال الداعي : فلما اجبته بما اجبته ، نظرت اليه وقد ملأ عينيه مني وهملتا دموعا ، ثم قام الي فجعل يقبل رأسي ورجلي ويقول لي ان رسول الله صلع ارسلني اليك لتستنقذني وتأخذ بيدي وتخلصني ، قلت وكيف هذا ايها الرجل ؟ قال نعم كنت رجلا ارى في منامي رسول الله صلع في ليلة معروفة في كل عام فكنت اتأهب لتلك الليلة فلا تحرم رؤياي ، فلما كان في هذا العام لم اره ، ومضت مدة فكنت في اكثر الغم من ذلك ، فلما نمت البارحة رأيته ، فجعلت اقول : يا رسول الله طال شوقي اليك والى رؤيتك ، وقطعت عني ما عوّدتني من ذلك ، فقال لي : ابشرك واخبرك ان داعي المهدي في بلدك وبين ظهراني قومك ، فبادر اليه وخذ بحظك منه . قلت وكيف لي به يا رسول الله ؟ قال انت واجده غدا في كهف كذا وكذا وذكر لي هذا الكهف ، قلت اني اخاف ان اجد غيره ، فوصف لي صفتك وقال : ومع هذا فاسأله عن كذا وكذا ، وذكر لي هذه المسائل ، فان اجابك بكذا وكذا وذكر لي جوابك ، فهو صاحبك.

قال ابو القاسم : فادركتني خشية وعبرة ، فقلت : ما عسى ان اقول لمن ارسله الي رسول الله صلع ؟ وبسطت يدي ثم اخذت عليه ،

قال القاضي النعمان بن محمد رضوان الله عليه : وكان هذا الرجل في اليمن يذكر ذلك ويحدّث به

قال الداعي السلطان الاجل حاتم بن ابراهيم بن الحسين الحامدي رضوان الله عليه : وكان ذلك الرجل من كبار الدعاة واهل الخير فيهم .

قال الداعي المنصور ابو القاسم قدّس الله روحه : ولما انتهيت الى الجند دخلتها وانا متستّر ، فقصدت المسجد الجامع فصليت به الظهر والعصر والمغرب والعشاء ، ثم قلت لبعض من فيه : ايبيت ههنا احد؟ فاني رجل غريب اردت المبيت في المسجد ، فقال نعم ، كل من ترى من الغرباء فيه يبيتون ، فلما صلينا العشاء تحلقوا حلقتين ، احداهما شيعة والاخرى حشوية ، فتناظروا ساعة من الليل ، ثم انصرف الشيعة، وقام الآخرون لينصرفوا ، فقال رجل منهم : اجلسوا قليلا فجلسوا ، وجعل ينظر الى اولئك الشيعة حتى انصرف آخرهم ، فعطف على اصحابه فقال لهم اتعرفون خبر هذه الليلة ؟ قالوا وما خبرها ؟ قال : اليست ليلة كذا من شهر كذا في سنة كذا؟ قالوا نعم ، فاستخرج كتابا من كمه فقال :اوليس هذا كتابا رواه فلان من هؤلاء الفعلة – يعني الشيعة - فنظروا الكتاب فقالوا نعم ، هو معروف لهم، فاستخرج منه حديثا فقرأه عليهم ، ان بعض الائمة عليهم السلام قال لصاحب ذلك الكتاب : من ادرك سنة كذا من اهل بلدك فليلتمس داعي المهدي في ليلة كذا – يعني في تلك الليلة – فانه يبيت في مسجدها، قالوا سمعنا هذا الحديث ، فقال ترون هؤلاء انصرفوا فما منهم من ذكر هذا ولا عرفه ، فهلموا بنا نبطل قولهم ونكذبهم ، فنخرج جميع من في المسجد الليلة فلا يبيت فيه احد لنبطل روايتهم ، قالوا نعم . فقام قائم منهم فقال : يا معشر الغرباء انصرفوا ، فليس يبيت احد منكم الليلة في المسجد على كل حال ، فان لهذا قصة لا يمكن معها مبيت احدكم فيه .

قال الداعي المنصور : فرأيت كل واحد منهم يضم ما كان معه ويخرج ، فلم ادر الى اي موضع اخرج ، وقصدت زاوية من زوايا المسجد فجلست فيه وقلت : لعل رجلا يجيء يمضي بي الى بيته ، وافترقوا يخرجون الناس ويطفئون القناديل ، فاتى الي رجل منهم وقد اطفئ اكثرها ، فقال لي : قم يا رجل! فقمت وقلت : اني رجل غريب ولا اعرف موضعا اقصد اليه، فلعلك ان تمضي بي الليلة فتأوي بي الى محلك ، قال : والله ما عندي موضع ، فقلت : سبحان الله تخرجني من بيت الله وتمنعني بيتك ؟ وكأنه استحي ونظر الى الناس قد خرجوا ، فانصرف وتركني ، واغلقوا ابواب المسجد، فبتّ بليلة طويلة، وخفت ان يختبر المسجد من غد فلم يكن ذلك ، واصبحوا ففتحوا الابواب ، ودخل الناس وصلوا وما نظروا في شيء من ذلك.

قال الداعي ابو القاسم المنصور رضوان الله عليه : وسألت كل من لقيت من اهل اليمن عن عدن لاعة، وكل يقول : اما لاعة فموضع معروف ، ولكن لا نعرف عدن لاعة ، وانما نعرف عدن ابين ، فقصدت عدن ابين اذ لم اجد احدا يخبرني عن عدن لاعة الموضع الذي وجّهت اليه ، فاصبت بعدن ابين قوما من الشيعة يعرفون ببني موسى ، وكنت اخبرت ان عدن ابين هي فرضة الهند وام البلدان ، وسألت ما الذي يحمل اليها قبل ان ادخلها ، فقيل القطن، فاشتريت منه شيئا يسيرا جعلته معي ليرى اني تاجر، ودخلت مع صاحبي فسألنا عن مكان بيعه ، فدللنا عليه واكترينا حاتونا في سوقه وجلسنا فيه نبيعه، فاني لجالس يوما اذا استهلت السماء بمطر وابل فاني لكذلك اذ نظرت الى رجال قبالتي في الصف ينظرون اليّ ويتحدّثون ، ثم قام احدهم الي فوقف وقال : اترى ان تدخل بنا الى داخل الحانوت ؟ فقمت معه ، فقال ما اظن هذا وجه بياع عطب ، يعني القطن، قلت وكيف ذلك ؟ قال امعك علم من علم آل بيت محمد؟ قلت : انا رجل تاجر دعني من هذا ، قال لعلك تسمع ببني موسى ؟ قلت نعم ، قال نحن منهم ، ونحن شيعة ، وهذا اوان ننتظر فيه دخول داعي المهدي الينا ، وانا لنجد صفته فيك، فهات ما عندك فنحن اخوانك .

ولم يزل بي الى ان كشفت الامر له ، وما برح حتى اخذت عليه العهد ، فقام واتاني باصحابه فاخذت عليهم ، ونقلوني الى محلهم ، فكنت عندهم، فقالوا : ان لنا اخوانا من الشيعة بعدن لاعة ، قلت وثم عدن لاعة؟ قالوا نعم ، قلت واليها ارسلت ولم اجد مخبرا عنها .

فارسلوا اليها فاتاني رجل منهم واخذت عليهم العهد وسرت معهم فاصبت دارا للشيعة ، واخبروني عن رجل منهم يقال له احمد ابن خليع وكان له علم فيهم ، وانه كان ينتظر قدومي ويقول : في هذا العام يقدم ويدخل بلدنا، فاعدّ سلاحا لذلك واتوني به .

وكان ابن خليع المذكور هوالداعي في اليمن واتصل بابن ابي يعفر امره فارسل من اتاه به وحبسه ، فمات في الحبس منذ قريب رحمة الله عليه.

قال الداعي المنصور : فانزلوني في دار من دوره .وتزوج ابو القاسم بعد ذلك ابنة احمد بن خليع رحمة الله عليه ، و بعث بابن اخيه الهيثم بعد ذلك داعيا الى السند واستجاب له كثير من اهلها .

وارسل الداعي ابو القاسم ابا محمد عبد الله بن العباس وكان من اجل الدعاة من اهل اليمن، وهو الذي استخلفه علىالدعوة بعده الى مصر.

وفيما اتى من الاخبار عن عبد الله بن العباس المذكور قال : ارسلني الداعي ابو القاسم الى ناحية مصر ادعو ، فاتيت حيا من احياء العرب ، فاصبتهم في جماعة يهنئون ابلهم ، فلما رأوني مقبلا تركوا ما هم عليه واقبلوا علي ، وقالوا ممن الرجل ؟ قلت رجل غريب ، قالوا وما اردت الينا ؟ قلت التعليم، قالوا انزل على الرحب والسعة ، واخذ بيدي شيخ منهم فمضى بي الى منزلهم وانزلني عنده واخلى لي خيمة وفرش لي فرشا واتاني بطعام فاكلت ، فلما كان من الليل تحدّث معي طويلا ، فلما مضى هوي من الليل قال لي : اناشدك الله لما كشفت لي ما انت عليه ، قلت : اولم اخبرك اني معلم؟ قال : ما يقع هذا بقلبي .

فلم اكشف له شيئا ، واقام اياما وليالي يسألني سؤال من عنده علم ، فما زدت له على ما ابتدأت به من اني معلم ، فجمع صبيانا من الذين في الموضع وجلست اعلمهم ، وهو في ذلك اذ جاءني فقال لي مثل قوله الاول وما زال بي حتى كشفت له الامر واخذت عليه البيعة ، وكان من خير من دعوته ودعوت هناك دعوة عظيمة . فكان يقول بعد ذلك : لكأنما والله انزل الله لك الهيبة والجلالة في قلبي ، وكأنك لم تأت الا لهذا وكأن عندي منه علم سبق .

ورجع هذا الداعي ابو محمد الى اليمن بعد مدة ، وكان اجل الدعاة مع المنصور ابي القاسم ، وهو الذي استخلفه بعده في الدعوة .

وكان اكثر الدعاة في الجزائر ايام المهدي بالله عليه السلام من تحت يدي الداعي ابي القاسم اشهارا من ولي الله لفضله ، وتنويها بعالي محله ، ومنهم من ارسله ولي الله اليه وامره ان يمتثل امره فاصدر الى حيث توجّه عن امره ومن تحت يده وكان احد الحجج العظماء للائمة ص ع وعنه نشأت الدعوة ، وكان للداعين الى اولياء الله القدوة.

ومن اليمن كان ظهور دعوة الايمان لقول النبي صلع : الكعبة يمانية والدين يماني.

واقام الداعي ابو القاسم المنصور رضوان الله عليه عامين في التقية ، ثم ظهرت الدعوة باليمن سنة سبعين ومائتين، فاستجاب له بشر كثير ، وقوي امره وعلا ذكره، وكان مقيما بقرية من قرى مسور يقال له الحيف ، فلم يشعر الا وقد هجم عليه اسحاق بن طريف بعسكر عظيم من ناحية جبل مسور ، فقتل من اهل الحيف اثنا عشر رجلا كانوا في محرسها فوق الحيف ، فلما اقبل بعسكره خرج الداعي المنصور من الحيف بمن معه ، والعدو محيط بهم ، وقد داخل من كان معه الاضطراب والفشل ، وهو بينهم رابط الجأش غير مكترث.

ونهب ابن ظريف اهل تلك الناحية واحرق القرى

وسكن الداعي في التهام وعطوة بين اهل الدعوة ، فاقاموا بها وقتا حتى ضاق عليهم الامر كثر فيهم الخوف ، فاجتمع اليه مشائخ من اهل الدعوة ، وسألوه حسن النظر والتدبير لهم في امر يفرون به من عدوهم ، فعرّفهم ان ذلك لا يكون الا بحصن يلجؤون اليه ويمتنعون فيه ، فعرضوا عليه حصون البلد فاختار منها موضعا يقال له عبر محرم ، فامرهم ان يوازروه لذلك بالف دينار.

فاعانه بها خمسة رجال منهم واحضروها اليه في اقل من سبعة ايام ، فامر منـها بشراء الحديد وامر بعمل آلة الحجارة البناء ، واشترى سلاحا وعددا.

ثم صعد الى حصن عبر محرم وامر ببناء دار له ، واسكن معه من وجوه اهل دعوته خمسين رجلا ، وامر شيوخ اهل دعوته ببناء دروب الجبل ، واقام واصحابه فيه اياما ثم جمع جمعا وصعد الى جبل الجميمة فاستولى عليه وعمره ، وغزا بيت ريب ، وهو رأس مسور ، ثلاث مرات، فاستولى عليه في المرة الثالثة ، واستقر حاله حين استولى على بيت ريب و ملك جبل مسور .

ثم حارب اهل المغرب قاطبة ، واستولى على بلاد عيان وبني شاور وحملان ، ثم عاد لحرب بلاد حمير ، واستولى على ذخار وملك شبام حمير وجبلها الذي هو كوكبان

ونكث خراج بن محجن بيعته وغدر في جبل كوكبان فملك الجبل ، وحاربه الداعي منصور حتى نصره الله عليه.

وغزا دورم وهي مدينة كانت بوادي صهر متصلة بالقلعة بينها وبين افئدة فملكها عنوة وهي حصينة منيعة واخزنها.

وما زال يحوز المعاقل ويملك مدن اليمن الجلائل ، واقبل الناس اليه طوعا وكرها ، ودخل كثير من بني يعفر وملوك حمير في الدعوة طائعين وكارهين، وقويت في ارض اليمن دعوته وعلت كلمته ،

ووصل اليه الحسين بن احمد بن زكريا صاحب الدعوة بالمغرب المكني ابا عبد الله فانزله عنده وقرّب مكانه ، واقام معه من وقت انصراف الحاج من مكة الى اليمن الى وقت خروجهم في العام المقبل ، وقد امره امامه ان يمتثل مثاله ، ويحذو حذوه ، ويتبع سيرته ، ويقفوه في اعماله وافعاله ، ويأتمر بامره في جميع احواله . فارسله الداعي المنصور بامر الامام عليه السلام الى بلد كتامة ، وكان من امره ما نحن نأتي في هذا الكتاب بشيء من قصته ، ونشرح بعض جملته.

قال الداعي ابو القاسم رضوان الله عليه : وكتبت الى الامام ص ع بما صار امري اليه ، وكانت كتبه ترد علي ، فلم ازل في ضيق من الامر الى ان ورد علي الكتاب بالعهد للمهدي بالله ص ع فاستقام الامر لنا واتانا الله بالنصر

فما زالت الاحوال عند الداعي ابي القاسم مستقرة ، والدعوة منه الى اولياء الله مستمرة ، والاولياء فرحين جذلين واعداؤهم خائفين مخذولين ، وهو مقيم للعدل ، شاهر لفضل اهل الفضل ، آمر بالاعمال الشرعية غير مقصر فيها ، عامر للملة الحنيفية في اداني الجزيرة اليمنية واقاصيها ، ومقيم لفروضها وسننها ، جار على واضح منهاجها وسننها ، فعمرت به الدعوة وظهرت ، وعلت اخبارها واشتهرت ، واشرقت ايامه وزهرت

ثم ان علي بن الفضل الجيشاني لعنه الله الذي دخل مع المنصور الى اليمن نكث عهده ، واراد الله بينه عن ا لحق وبعده ، فاستزله الشيطان واستهواه ، واضله واغواه ، ففارق الدعوة ، وخرج عن الملة ، وباين المتوجهين الى القبلة ، وادعى النبوة ، وافترى على الله وعلى اوليائه مقتديا بالمضلين من قبله فكانوا له شر اسوة، واستمال الجهال والرعاع وكانوا له من الانصار والاتباع ، فارتكب المحارم ، واتى العظائم ، ومال الى الاباحات وترك الاعمال الصالحات ، وكفر بعد ايمانه ، باء بلعنة الله لكفره وعدوانه ، مقتديا بالمغيرة وابي الخطاب الذين قدمنا ذكرهما في قصة الصادق والباقر صلوات الله عليهما ، فاعلا كفعلهما في الضلال ، مستزلا للاغمار والجهال ، مائلا عن ذات اليمين الى ذات الشمال ، وليست افعاله الخبيثة بمنسوبة الى اهل دعوة الحق المبين ، واتباع اولياء الله المهتدين ، وانما عليه عار ذلك وذنبه العظيم الذي اجترحه وجرمه، وعجبا لمن ينسب الى اهل الدعوة الهادية من اتباع الائمة صلوات الله عليهم وافعاله ، ويوهم لديهم ضلاله، وهم الى ا لله والى اوليائه منه براء ، ولا يفعلون ما يفعل ، ولا يرون ما يرى، قائمون بالاعمال الشرعية من الطهارات والصلوة والصيام مؤتون الزكوة حاجون الى بيت الله الحرام ، متولون لمحمد رسول الله صلع وعلي وصيه والائمة من ذريته عليهم السلام ، مجاهدون في سبيل الله مجتهدون ، موفون في اعمالهم واقوالهم مسدّدون مجانبون لما حرمت الشريعة الغراء ، ملازمون لما فرض نبي الله محمد خير الورى ، فما الذي يلزمهم من افعال علي بن الفضل اللعين ، وهم الى الله يبرأون منه في دائم الاحقاب والسنين، يلعنونه مع اللاعنين ويتعبون من دين نبيهم محمد وآله خير دين.

وان ابليس قد كان مع الصافين المسبحين العابدين لله تعالى من الملائكة المقربين ، فحين كفر اخرجه الله من جنته وباء بغضب الله ولعنته ، لم يلزم الملائكة شيء من افعاله ، ولم يكن منه الا من اتبعه فضلّ باضلاله ، وقد كفر من كفر من ابناء النبيين، كقابيل بن آدم ، وابن نوح، اللذين ذكرهما الله في كتابه المبين، فلم يلحق نوحا وآدم شيء من اعمالهما ، وبرأهما الله من بغيهما ومحالهما .

والدين الذي ندين به هو العمل بما اتى به رسول الله صلع وفرضه على المسلمين ،لا نترك فريضةمن الفرائض ولا نستحل شيئا مما حرمه الله في ظاهر جلي ولا سر غامض.

ونحن بحمد الله اكثر الناس قياما بفرائض الاسلام لاتباعنا من خصهم الله تعالى بالفضل من امام بعد امام، حلالنا من كتاب الله وحرامنا ، لا نأتي ببدعة ولا نرى في الدين باهوائنا ، وذلك معروف مشهور موصوف لا ينكره الا من اراد البغي علينا والتحامل ، ليستميل بذلك كل وغد جاهل ، وينسب الى الافاضل افعال الاراذل ، يريد بذلك ان يصد عن السبيل ، ويغوي من اراد باتباع اهل الحق فيميل به الى الضلال والتضليل.

ونقول في ذلك ما قاله الداعي الاجل المؤيد في الدين عصمة المؤمنين قدس الله روحه :

اللهم وكل من دعى الا الامامة الاسماعيلية ، وانتمى الى ا لدعوة الفاطمية فنقص واحدا من الرسل ، وقدح في شيء من الشرائع والسبل ، واجاز في شيء من مناسك شريعة محمد صلاتها وصومها وحجها وزكاتها وجهادها اقل شيء من الرخصة ، او جوّز في ركن من اركانها ادنى نكتة من الفرصة ، من ماض غابر ، وغائب وحاضر ، اللهم فاجعله موقع النقمات، وموضع اللعنات، من اهل الارض والسموات ، اللهم انا نشهدك ونشهد ملائكتك اننا براء ممن هذه سبيله ، وانه من المشركين، وان الله بريء من المشركين ورسوله ، اللهم ومن نسب الينا من ذلك ما لسنا باهله ، وافترى الكذب علينا بعناده وجهله ، تدنيسا للاعراض المطهرة، وتدليسا على الدعوة المنوّرة ، فانه يا رب من المكذبين بآياتك ، المتقلبين في لعناتك ، من اهل ارضك وسماواتك ، اللهم فبحق كرام اوليائك ، في ارضك وسمائك ، الا اخذته بالسمع والبصر ، وجعلته في دنياه قبل اخراه محلا للعبر ، كما قلت وقولك الحق المبين : ولنذيقنهم من العذاب الادنى دون العذاب الاكبر لعلهم يرجعون

وتابع الرسل المنصور الى ابن الفضل اللعين الزنديق يعظه ويذكره وينهاه عما اتاه وبالتوبة يأمره، ولسوء المصير في السعير يخوّفه ، فحين تمادى في انكاره ، وتناهى في بغيه واصراره ، ونابذه الداعي الحرب ، واخرجه من مدينة شبام حمير، ثم سار ابن الفضل اللعين بنفسه حتى طلع اكمة تسمى اكمة الظَلِمة ما بين جبل مسور والمصانع ، فلقيه هناك عسكر المنصور وكان بينهم القتال الشديد ، واراد ابن الفضل ان يكون مركزه في عقبان فمروا الى هنالك قاصدين ، وحال بينه وبين ذلك من لقيه من عسكر المنصور ، فصدقهم اصحاب المنصور القتال فكبر ذلك من نفوس اصحاب ابن الفضل لقوتهم وقد ظنوا ان احدا لا يلقاهم ولا يقاتلهم بذلك، فصبروا لاصحاب المنصور رضوان الله عليه ، وما زال بينهم القتال من اول النهار الى آخره حتى ردّ اصحاب ابن الفضل على الاعقاب ، وقتل منهم رجال صاروا الى اشدّ العذاب ، واستشهد من اصحاب المنصور رجال قضى لهم بحميد الرجعى وكريم المآب .

ونزل اللعناء اصحاب اللعين ابن الفضل في الظلمة ولم يطيقوا جوازها الى غيرها ، فحطوا اثقالهم فيها ، واقاموا فيها اربعين يوما ، وانتقص امرهم ، وقطع اصحاب المنصور الميرة عنهم حتى اصابهم الجوع الشديد ، واكلوا لحم الحمير والجلود، وبلغ بهم الجهد كل مبلغ ، وكان اصحاب المنصور يقتلونهم من حول مركزهم بين الشجر وعلى المياه ، ويأخذون ما يظفرهم الله من امتعتهم، فلما رأى ذلك ابن الفضل اللعين وطال عليه انصرف من الظلمة الى المصانع ، ثم الى الضلع فالى الاعذار ثم الى العضد فاقام فيها اياما ، ثم انحدر الى لاعة، فاقام في موضع يسمى اعجاز ثم جهز عسكرا الى مغربة لاعة ، فانتهى الى المنصور رضوان الله عليه خبره ، فكمن بعسكره في ثلاثة مواضع ، فخرج اصحاب ابن الفضل، فحين صاروا الى تلك المواضع الضيقة بين المكمن غفل عنهم اصحاب المنصور حتى خرجوا من المضيق وثاروا بهم فالتجأوا الى جبل كان فوقهم فامتنعوا فيه ، وانصرفت الكمن عنهم.

واصبح ابن ا لفضل غاديا في اثرهم فصار الى المغربة، ثم خرج منها بعد مدة حتى صار الى الجميمة فاقام بها مدة اخرى ، ثم الى القبل ، واجتمع اصحاب المنصور عليهم في قرية تسمى حجبة فهزموهم ، وولى اصحاب ابن الفضل منهزمين ، وكان ذلك بعد صلوة العصر ولم يزل اصحاب المنصور يتبعونهم بالقتل الى نصف الليل ، فقتلوا منهم بشرا كثيرا ، وانصرف هؤلاء وهؤلاء ، وكانت بينهم بعد ذلك وقائع كثيرة، تركنا ذكر ذلك اختصارا ، اذ لم يكن قصدنا اليه.

وحمى المنصور المغرب واكثرالجهات من اللعين ابن الفضل ، وقوى بعد ذلك امر ابن الفضل وملك صنعاء ، وكان ذلك وقد صار امير المؤمنين المهدي بالله في دار ملكه بافريقية ، وظهر امره واشتهر فضله في البرية ، فلما بلغه صلى الله عليه حال هذا اللعين، وانه قد استفحل امره واجتع اليه اتباعه اللعناء الكافرون، امر رجلين من اهل دعوته وممن في حضرته حتى وصلا مدينة صنعاء ، وتسميا انهما طبيبان حتى دخل احدهما على ابن الفضل لعنه الله ففصده وجعل في مفصده سما قاتلا ، وخرج من عنده وبادر الهرب هو وصاحبه، ومات ابن الفضل لعنه الله وعجل الله بروحه الى النار، ولحق بامثاله من الكفار والفجار ، واخذ اصحاب ابن الفضل في طلب الرجلين اللذين فصداه ، وما زالوا يتبعونهما ويسألون عنهما حتى انتهيا الى موضع تحت نقيل صيد فادركا هنالك وقتلا رحمة الله عليهما وهناك قبراهما.

قال الداعي حاتم بن ابراهيم رضوان الله عليه في بعض تآليفه :وقبراهما معروفان الى هذا الاوان.

وانقطع امر اللعين علي بن الفضل بعد موته وتفرّقت اتباعه من الغوغاء اللعناء ، ولم يبق احد على دينه، فلعنة الله عليه وعلى من ينسبنا اليه ، فنحن نبرأ الى الله تعالى من فعله ، ونعوذ منه ومن اتباعه ، ونتابع اللعنات عليه وعلى من سلك سبيله ممن تهاون بالاعمال الشرعية ، واخلّ بالاوامر النبوية ، في قديم الزمان وهلمّ جرّا الى هذا الاوان .

واستقر امر الداعي ابي القاسم رضوان الله عليه في اليمن بعد قتل هذا اللعين، وملك اكثر مدة من السنين، واستخلف عبد الله بن العباس في الدعوة بعد موته ونقلته ، وجعله خليفته في اهل دعوته .

وهاجر ولده الداعي جعفر بن الحسن قدس الله روحه الى الحضرة الشريفة النبوية ، وسكن في ظل الدوحة العلوية ، وانتهى الى ان بلغ مبلغا عظيما عند الائمة ع م ، وفضل الدعاة ، وبلغ الى مراتب الابواب، الفائزين بعلو الدرجات ، وسنذكر من قصته اذا انتهينا الى ذلك، وبالله نستعين وبمادة اوليائه الطاهرين.

## ظهور الدعوة بالمغرب

واما ظهور الدعوة بالمغرب الى ان ظهر المهدي بالله صلع فان ابا عبد الله الحسين بن احمد بن زكريا ارسل الى ا ليمن ، وعلى ما قدمنا ذكره، وقدم على الداعي ابي القاسم منصور اليمن ، فادنى مكانه ، ورفع منزلته ، واقام عنده من انصراف الحج من مكة الى اليمن، الى وقت خروجهم الى الحج من العام المقبل ، يشهد مجالسه ويخرج معه في غزواته فلا يفارقه ، فلما حضر وقت خروج الحاج من اهل اليمن الى الحج ، خرج ابو عبد الله الى مكة معهم ، واخرج الداعي ابو القاسم معه من قبله رجلا استصحبه اياه وآزره به ، بسحب ما جرت به سيرة الدعاة ان يكون مع الواحد منهم من يختصه ويختاره ليخلفه ان حدث به حدث من امر الله الذي لا محيص عنه ولا مفر منه.

وكان المنصور رضوان الله عليه اذا بعث احدا لامر لم يشعر به احد من اهل ولا ولد ، ولا يدرى اين توجّه، وكان الذي سار مع ابي عبد الله عبد الله بن ابي الملاحف ، وكانت له والدة فقدت عقلها لما فقدته وخولطت ، فرقّ لها الداعي ابو القاسم فارسل له فرجع الى اليمن ، وبعث الى ابي عبد الله رجلا يقال له ابراهيم بن اسحاق الزبيدي من اهل اليمن ، ليكون معه عوضا من ابن ابي الملاحف .

وقيل ان الداعي ابا عبد الله لما ودّع المنصور وخرج من عنده ، نظر اليه وهو مول عنه وقال : ان بين كتفيه لنجاة خلق عظيم.

ولما وصل ابو عبد الله مكة مع الحجيج قضى حجه في جملتهم ، وجعل ابو عبد الله يمشي بمنى ، فمر على جماعة رجال من كتامة ممن حج تلك السنة ، وهم في رحالهم ، وفيهم من الشيعة الذين كانوا تشيعوا باسباب الحلواني ، وقد قدمنا ذكره ، فجلس ابو عبد الله اليهم ، فسمع منهم رجلين وهما حريث الجيملي وموسى يذكران لاصحابهما فضائل امير المؤمنين علي ابن ابي طالب ع م ، فذكر شيئا من ذلك معهما ، فاقبل عليه جميعهم ، وحدّثهم طويلا ثم نهض ليقوم ، فقاموا معه ومشوا بمشيه ن وجاء بهم الى رحله ، ولما كان من غدهم اتوه فحدّثهم واوسع في الحديث فازدادوا فيه رغبة وعليه اقبالا ، وكانوا يسمعون منه في كل يوم حديثا لم يسمعوه فيما قبل ذلك ، فازدادت اليه رغبتهم ومالت نحوه قلوبهم ، وسار معهم حتى انتهى الى مصر ، فاظهر لهم الرغبة في المقام ، فقالوا لهم : ما يقيمك ههنا وليست ببلدك ولا نرى شيئا من التجارة معك ؟ فقال اطلب التعليم ، فابتهجوا لذلك وقالوا : ما نرى بلدا واحدا اجدى عليك في التعليم من بلدنا ، وجعلوا يخبرونه بتعظيم اهل بلدهم للمعلمين ، وقالوا انظر ما تأمل ان تجمعه في كل سنة من اجرة التعليم فنحن نزيد فيه على مالك ، وندفع اليك منه الآن ما شئت من اجرة سنة وسنتين ، فاظهر لهم في ذلك امرا بين الامرين ،وهم في ذلك يتطارحون عليه ويزدادون رغبة اليه حتى اجابهم الى المسير معهم ، فسروا بذلك سرورا عظيما وقالوا : انا لنأتي الى بلدنا بما يكون به الفخر لنا، مما لم يجيء به احد سوانا ، وقالوا : ما نراه يصلح الا لتعليم الشيوخ دون الصبيان ، وجمعوا له دنانيرحين ازمع معهم على المسير ، فامتنع عليهم من اخذها ، وحاولوه على ذلك بكل وجه فابى عليهم وقال : لم يكن مني اليكم ما يوجب ذلك ، فاذا كان قبلنا منكم ، قالو : فامنن علينا بقبول هذا، فامتنع من ذلك في تطلف وشكر لهم ، فعظم في اعينهم ، وزادت هيبته في صدورهم ، فخرجوا من مصر وارادوا حمل مؤنته فابى عليهم وسايرهم على ما كان عليه ، وكل يوم يعظم امره لديهم ويزداد جلالة في اعينهم .

وكان طريقهم من طرابلس الى قسطيلية لانها الجادة ، ولم يدخلوا افريقية حتى اذا ساروا الى سوجمار من ارض سماتة وتلقاهم اهل الموضع فانزلوهم عندهم ولقيهم حريث وموسى واصحابهما فاخبروهم بخبر ابي عبد الله ، ونظر السماتيون الى تعظيم الكتاميين له فرغب كل واحد منهم في مبيته معه حتى رموا عليه بالسهام ، فخرج في سهم ابي عبد الله الاندلسي فنزل عنده ، واتاه ابو المفتّش وابو القاسم الورفجومي مع حريث وموسى من الليل ، فتحدثوا مليا عنده ووجد لديهم من المعرفة والفهم اكثر مما رآه لمن صحبهم ، واصاب عندهم من علم الشيعة وفضل اهل البيت عليهم السلام اصلا قويا ، فلما كان آخر مجلسهم وارادوا القيام ، نظر اليه ابو المفتش فقال: والله اني لاظنك صاحب البذر الذي كان يذكره الحلواني، واخبره بخبره وقام ، فقال ابو عبد الله لابي عبد الله الاندلسي : شيخ كويس ، يعني ابا المفتّش ، وقال ابو المفتش لاصحابه بعد ان خرج : لو لا واحدة كان الحلواني يقولها ما تخالجني الشك ان هذا الرجل هو الذي كان الحلواني يذكره ويبشّر به .

قالوا وما هو

قال اذا وصفه قال في فيه اصبع

فبلغ ذلك ابا عبد الله فتبسّم وقال : هذا ما لا يكون ، ولما اخذ العهد على من سمع ذلك القول من ابي المفتش واشترط الكتمان وضع اصبعه على فيه وقال : هذا هو الاصبع الذي كان الحلواني يقول ، آمركم بالصمت والكتمان، اما رجل يكون في فمه اصبعه فلا .

قالو كذلك والله هو وبان لهم الامر

ولما انصرف القوم بقي ابو عبد الله الاندلسي ، وكان ذا فهم وحدة ومعرفة ، فما زال ابو عبد الله يحدّثه ويجد عند ما يريد حتى كشف له الامر واخذ عليه العهد ، فيقال انه ما زال الحديث بينهما طول ليلتهما حتى صليا الفجر بطهر العشاء الآخرة ، وقال ابو عبد الله الاندلسي لابي المفتش : اظن الذي قلت في هذا انه صاحب البذر الذي ذكر الحلواني ، وكان ابو المفتش ممن ادرك الحلواني وسمع حديثه واخذ بعهده من رجاله ، وقال ابو عبد الله الاندلسي : قد رأيت ان اصحب هذا الرجل يعني ابا عبد الله واتعرف ما عنده ، قال ابو القاسم الورفجومي : وانا معك ،وكان ابو المفتش قد كبر سنه وضعف جسمه فقال لهما : انني لا استطيع السفر معكما لكن متى وقفتما فيه على امر كتبتما الي فتحملت اليه ، ونظر حريث وموسى من رغبتهم فيه ما زادهما غبطة به وساروا جميعا حتى دخلوا بلد كتامة .

فلما وصل بلد كتامة رغب كل في مقامه عنده ، وآل امرهم الى ان يخيروه فقال لهم : في اي موضع منكم فج يسمى فج الاخيار ؟ فنظر بعضهم الى بعض كأنهم يرونه قد عرف ذلك وقالوا له : عند بني سكتان ، فقال : اليه نقصد ثم نأتي كل قوم منكم ان شاء الله في مواضعهم ونزورهم في بيوتهم.

فسار ابو عبد الله ومعه ابو عبد الله الاندلسي وابو القاسم الورفجومي وحريث وموسى حتى انتهوا الى فج الاخيار ، فقال هذا فج الاخيار ؟ قالوا : نعم ، وقال له موسى وحريث : من اين عرفت ذلك ؟ فما علمنا انا ذكرناه لك . فقال لهم : البلدان توصف للناس ولم يروها . وكان بعد ذلك يقول لهم : والله ما تسمى هذا الفج الا بكم ، ولقد جاء في الاخبار ان المهدي بالله عليه السلام تكون له هجرة ينبو فيها عن الاوطان في زمان محنة وافتتان ينصره فيها الاخيار من اهل ذلك الزمان،قوم مشتقة اسماؤهم من الكتمان ، فانتم هم كتامة ، وبخروجكم من هذا الفج سمي فج الاخيار.

وكان وصول الداعي ابي عبد الله الى بلد كتامة يوم الخميس للنصف من شهر ربيع الاول سنة ثمانين ومائتين ، ونزل ابو عبد الله في ايكجان موضع بني سكتان ، فاقبل الناس اليه من كل مكان ، وجلس لهم وحدّثهم بظاهر علم الائمة عليهم السلام في فضائل امير المؤمنين علي ابن ابي طالب ، والائمة من ذريته صلوات الله عليهم ، فاذا رأى الواحد منهم بعد الواحد قد لقن عنه ، واحسّ فيه ما يريده ، اخذ عليه العهد ، فاخذ على ابي القاسم الورفجومي وعلى حريث وموسى ، وقال له حريث : ما كان اغفلنا عنك في طول سفرنا معك

واتاه هارون بن يونس وهو ابو موسى المسالتي الذي كان يقال له شيخ المشائخ من مسالتة فدعاه

وجاء الحسن بن هارون الغشمي من غشمان تازروت فاخد عليه العهد واستجاب له ، وكان شابا عاقلا وسيما كريم الاخلاق ، من اهل الجدة واليسار ، وكانت له افعال جميلة وفضائل مذكورة .

وجاءه من اجانة ابو يوسف ماكنون بن ضبارة وابن اخيه تمام ابن معارك ابو زاكي ، ورأى من تمام بن معارك فطنة ونباهة ورغبة في العلم وحرصا عليه ، فوقف بين يديه يخدمه لا يفارقه ، واشتهر امره ،

ثم عرضت له علة حصاة كانت تعتريه فسار معه رجل من سكتان الى ميلة يريد بها الحمام ، فقصد فندقا فيها كان لفرجون مولى موسى بن عباس صاحب ميلة ، فنزل فيه ، وبلغ موسى بن عباس خبره وانه قد نزل ميلة وانه في فندق فرجون ، وفرجون قائم بين يديه ، وهو من جملة عبيده ، وكان فرجون ذا همة وانفة ، وله من يحميه من اولاده، قيل انه ركب في عشرين فارسا من اولاده فقال له موسى مولاه : اذهب فجئني بهذا الرجل من فندقك ، فجاشت لذلك نفس فرجون مولى موسى بن عباس اذ كان ضيفه وقد نزل في جواره ، فامر من اعلم ابا عبد الله الداعي وامره بالخروج عجلا ، فخرج خائفا مترقبا ، ورجع فرجون الى مولاه فقال : اني وجدته قد خرج فرجع الى ايكجان

واقبل اليه الناس من كل ناحية ومكان ، وتسامع الناس انه يدعو الى دين باطن لايعلمونه ، وان من دخل في امره لم يظهر ما عنده من باطنه ، فاذا سأله اخص الناس به عن ذلك قال : ابلغ تؤقن ، وكانت تلك هجيراهم ، الا انها ظهرت فيمن اتبعه افعال حميدة من المحافظة على الشريعة والعفة والامانة وصلة الرحم وترك الظلم ومجانبة الحرام واقامة شرائع الاسلام . فازداد الناس اليه رغبة وبه مقة ، واقبلوا اليه من كل وجه ، وكل من جاء دعاه وانصرف الى بلده واختلف اليه ، وسمع منه ، ورأى منه اهل بلده الافعال الحميدة من الاقبال على الصلوة والصيام واعمال الخير وتجنب المعاصي وصلاح الاحوال ، وكان قدوة لكثير من اهل بلده ، فدخل الناس في الدين ومالت اليه قلوبهم اجمعين.

وانتشرت الدعوة في بني سكتان واخلوا مجلسا للسماع وكانوا يقومون بضيافة من يأتيه ويرد عليه وينفقون في ذلك، رغبة في الثواب وتقربا الى الله العزيز الوهاب ، وكان المؤمنون يحملون اليهم ما يستعينون في النفقة يرجون بذلك الله سبحانه. وصار من وصل الى الدعوة في قومهم كالنجوم في افعال الخير يشار اليهم بالاصابع، وتعجب الناس من حسن احوالهم وسوء حال كثير منهم قبل اتصالهم بالدعوة ، وكيف صار بهم الحال بعد ذلك دينا وعبادة وفضلا وزهادة.

وعظم الامر على موسى بن عباس صاحب ميلة ، وخاف من ابي عبد الله وحسده على اقبال كتامة عليه واخذته العزة بالاثم ، فارسل الى بني سكتان وطلب منهم وصول ابي عبد الله اليه ، وزعم انه يريد ان يجمع العلماء اليه للمناظرة ، وهو يضمر له المكر ، ويروم به الغدر ، فنفروا من ذلك وقالوا : ما كنا لنمكنه من ضيفنا ولا لنسلمه اليه ، فتلطف بهم وخوفهم عواقب الامور ، وان ينتهي امره الى ابراهيم بن احمد صاحب افريقية فينهض اليه العساكر وينالهم ا لمكروه ، فاغلظوا في الجواب.

فلما يئس منهم حاول ان يضربهم بغيرهم من كتامة ، فانفوا ان يكون لصاحب ميلة يد على اهل بيوتاتهم ، فلم يحصل له مرامه منهم ، وبلغ امر ابي عبد الله الى ابراهيم بن احمد صاحب افريقية فكتب الى موسى بن عباس يسأله عن ذلك فضعّف موسى امره ، وخاف ان قدم ابراهيم بن احمد ان يوقع به او يعزله ففطن ابراهيم ابن احمد لامر موسى وعرف انه يتقيه لذلك وامره ان يتلطف ليوصله الى ابي عبد الله الداعي وامره ان يختبر احواله ويأتيه بصحة من خبره واوصاه بما اراد ، فبعث موسى بابن المعتصم سرا الى عبد الله على يد احد بني سكتان كما امره ابراهيم ، فقرّبه ابو عبد الله الداعي واقبل عليه، فقال له ابن ا لمعتصم :ان الامير ابراهيم بن احمد وجّهني اليك، وامرني ان ابلغك عنه ، وانا رسول، فان اذنت لي في تأدية ما ارسلني به اليك ادّيت ،

قال له ابو عبد الله هات ما عندك ، وما على الرسول الا البلاغ المبين .

قال وانا آمن ؟

قال وانت آمن

قال : يقول لك الامير ما حملك على التعرّض لسخطي والتوثب في ملكي وافساد رعيتي والخروج علي؟ ان كنت تبتغي عرضا من اعراض الدنيا فان ذلك مما تجده عندي ، ان تلافيت نفسك ورجعت عن غيك ، فاقدم الي وانت آمن ، فان اردت المقام ببلدي اقمت ، وان احببت الانصراف الى الموقع الذي جئت منه انصرفت ، وان كان قصدك قصد من سوّلت له نفسه الخلاف على الائمة ، واستفساد جهلة الامة ، فقد لعلك عرفت ما كانت عواقب من منته نفسه امنيتك ، وسولت له ما سولت لك نفسك ، من الهلاك العاجل قبل سوء المصير في الآجل ، فلا يغرنك اقبال هؤلاء الاوباش عليك واتباعهم اياك ، فلو قد صرفت وجهي اليك لاسلموك وتبرؤا منك ، واعلم اني انما اردت الاعذار اليك لاستظهار الحجة عليك ، وهذا اول كلامي لك وآخره ، لن اقبل بعده لك توبة ولا اقبل لك عثرة ، ولا اجعل جواب ما يكون منك الا النهوض اليك بنفسي بجميع ابطال رجالي وانصار دولتي وجملة اهل مملكتي، فعند ذلك تندم ، وان جمحت الآن في الغي حين لا تنفعك الندامة ، ولا تقتل منك التوبة ، فانظر في يومك لغدك ، وقد اعذر من انذر.

قال ابو عبد الله : قد قلت فاسمع ، وبلغت فابلغ ، قل له اما ما ذكرته من التهديد والوعيد فما انا ممن يروع بالوعيد والايعاد ، ولا ممن يهوله الابراق والارعاد ، واما تخويفك بانصار دولتك ورجال مملكتك ابناء حطام الدنيا ، وذئاب طمعها ، الذين يرتاعون لكل بارق ويجيبون كل داع وناعق ، فاني في انصار الدين وحماة المؤمنين ، الذين لا تردعهم كثرة انصار الظالمين مع قول الله وهو اصدق القائلين : كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله ، والله مع الصابرين . فاما ما اطمع به من دنياه وعرضه من حطامها فلست من اهل الطمع فاميل اليه ، ولا ممن يرغب فيما عنده فآتيه ،وانما بعثت لامر حم وقرب ، وانتجاز وعد من الله سبق ، والله لا يخلف الميعاد ، ولا يظلم الا من ظلم نفسه من العباد ، فان سولت له نفسه ما توعد به ودعته اليه ، فسوف يعلم ان الله من ورائه ولن تغني عنه فئة وان كثرت ، والله مع المتقين.

فهذا جواب ما جئت به فبلغه ، ثم تحمل رسالتي اليه ، وابلغه عني ما حملتك اياه ، وقل له : اني ادعو الى الله ، والى كتابه ، والى امام الهدى دعوة محتج عليه وراغب فيما ينجيه ، فان قبل عني رشد ، وان عند فقد قدمت العذر اليه، ولو كان صاحبي لعجلت السير نحوه ولكن له ولمن بعده متاع الى حين ، حتى اذا بلغ الاجل وحان الحين فسيعلم الذين ظلموا اي منقلب ينقلبون.

ثم صرف ابو عبد الله الرسول احسن انصراف على افضل حال، فبلّغ ابراهيم قوله واخبره عن صفته ، فاضرب ابراهيم ذلك وعلم انه صاحب قطع دولتهم ، وكان ابراهيم يعني بعلم الحدثان ، وما يأتي من الزمان ، وانما بعث اليه ليختبر امره ، فلما بلغ وصفه اسقط في يده ، وعلم ان ملكه صائر اليه ، وكان اذا ذكر له في الملإ اظهر التهاون به ، واذا ذكر له في الخلإ مع خاصته قال : انه والله لو دخل على هذه المدينة من باب لخرجت بين يديه من باب آخر ، والله لكأني انظر الى اكيسة اصحابه منشورة على شرفات قصري هذا.

واشتهر امر ابي عبد الله بايكجان وسمي المشرقي لقدومه من المشرق ، ونسب اليه من اتبعه فسموا المشارقة ، وكان اذا دخل الواحد منهم في دعوته قبل قد تشرّق

ورأى الناس من صلاح من دخل في دعوته واقبالهم على الصلوة والصيام واعمال البر ونزوعهم عما كانوا عليه من الفساد ما زادهم رغبة في امره وحسن ظن به ، فسارع الناس اليه ، واطلق الدعوة لمن ارتضاه منهم في قبائلهم .

فلما نظر الرؤساء من القبائل وولاة البلدان ذلك ولم يروا نهضة من ابراهيم بن احمد في امره خافوا زوال رئاستهم من ايديهم وان يغلب امره عليهم ، فكتب بعضهم الى بعض وتراسلوا فاجتمعوا وتعاقدوا ، وكان ممن تعاقد على ذلك موسى بن عباس صاحب ميلة، وعلي بن عسلوجة صاحب سطيف ، وحي بن تميم صاحب بلزمة ، وهؤلاء امراء هذه المدن ، عندهم العدة وفيهم العدد والنجدة ووالاهم على ذلك فتح بن يحي المسالتي ، وكان يقال له الامير ، ومهدي بن ابي كناوة رأس لهيصة ، وفرح بن جيران رأس اجانة ، وفحل بن نوح رئيس لطاية ، وزياد المتوسي رئيس متوسة ،

وهؤلاء مع رئاستهم ابطال يعدل كل واحد منهم كتيبة ، فاجتمعوا فاداروا الآراء في الفتك بابي عبد الله اذ رأوا انهم لا يتمكنون ان يأخذوه عنوة من بني سكتان ، وقالوا ان اغضبناهم قامت جيملة معهم ، فكان ذلك امنع له واشد لقوته ، وجعلنا له انصارا من قبائل كتامة مع الذين معه ، فاجتمع رأيهم ان يقصدوا في امره بيان بن صقلان ، وهو يومئذ وجه بني سكتان ولم يدخل في امر ابي عبد الله وان يبذلوا له ليستميلوه ، فاتوه بكل وجه وحيلة ، فقال لهم بيان : ان هذا الرجل قد نزل بين اظهرنا فصار ضيفا عندنا ، فلا ينبغي لنا ان نسلمه وقال لهم بيان : ان من الرأي ان نجمع العلماء ليناظروه فان كان على حق فما اولانا واياكم جميعا بنصره ، وان كان على باطل عرف ذلك من اتبعه فرجع عنه ، ووسعنا وامكننا واياكم ما اردتم من اخراجه او اخذه ، فانصرفوا على ذلك لما لم يجدوا عنده غيره.

ثم انهم قالوا :انا نخشى ان تقوم حجته فيكون ذلك اقوى لامره وتزول رئاستنا بسببه ، فدبّروا امرهم على ان يمضوا في جماعة ويظهروا انهم اتوا بالعلماء ، فاذا خرج اليهم قبضوا عليه وانصرفوا ، فاجتمعوا وساروا في جماعة عظيمة وعدة قوية ، فلما رآهم بنو سكتان ثارت فيهم الصيحة ، وركبوا خيلهم ، واخرجوا رجلهم وعدتهم ، وتلقوهم وتواقف الفريقان ، فقالوا لبيان : انا اتيناك لما كان بيننا وبينك . قال ما كان هذا بيني وبينكمن ، وانما قلنا تأتون بالعلماء فيناظرون الرجل ، فنراكم جئتمونا تريدون ان تنتزعوه منا بالغلبة والقهر.

وعلا الكلام بينهم ،وكان فيهم جماعة من الاولياء فهجموا فيهم والتحم القتال بينهم ، وكان للاولياء في ذلك اليوم مقام لم يشاهد مثله، فانهزم الجمع وولوا على اعقابهم مدبرين ، وعادوا منهزمين ، وخاف الاولياء على ابي عبد الله فاستتر ، وعادت الجماعة فاداروا رأيهم فلم يروا الا معاودة بيان ، فارسلوا اليه وقالوا : انا اخطأنا حين اتينا بالجمع ، ولم يكن ذلك من قصدنا ، وانما تسامع بنا الناس فاتبعونا ، وقد رجوناك في اصلاح جماعتنا وحقن دمائنا ، فقد عادى من اجل هذا الرجل الاخ اخاه والابن اباه والقريب قريبه ، وهذه فتنة قد بدت ، وبلية قد عرت ، فاكتسب الاجر واحسن النظر ، فهذا رجل من اهل المشرق ، وهم كما علمت شياطين وعلماؤنا بربر لا يجدون حجة ، افترانا نحن وآباؤنا واهل المشرق والمغرب على ضلال ، وهذا وحده من بين الناس على هدى ؟ ومع هذا فانه يدعو الى سر مكتوم ، وامر غير معلوم ، ولو كان حقا لابداه واظهره وما اخفاه ، وجعلوا يكررون القول على بيان، ويعدونه ان يكون المقدّم عليهم والرئيس فيهم ، فاصغى اليهم ووعدهم ان يتلطف في اخراجه ، وجعل يكلم اصحابه واهل بيته ، ويخوفهم العواقب ، وقال: قد كانت واحدة لكم فيها الظفر ، والحرب سجال ، ولا تأمنون ان تكون الاخرى عليكم ، فاخرجوا هذا الرجل عنكم من غير ان يصل اليه ضيم ولا اليكم

واتصل قول بيان بن صقلان بابي عبد الله وبجماعة من المؤمنين ، وعلم ذلك الحسن بن هارون الغشمي ، وكان قد دخل في الدين ، وفيه عقل وله حسن خلق وادب ، وهو ذو كرم نفس وهمة وطاعة في قومه ، ومسكنه بتازروت ، فاتى ابا عبد الله فذكر ما اتصل به ، وسأله الكون بتازروت عنده ورغب اليه في النقلة الى مكانه، ووعده الذب عنه والمدافعة دونه باهله وماله ، فشاور الاولياء في ذلك فاشاروا به عليه ، خلا بني سكتان ، فانه عظم الامر عليهم فقالوا: نحن ندفع عنك بانفسنـا حتى نقتل جميعا من دونك ، فشكر لهم قولهم ، ورأى لهم جماعة المؤمنين ان كونه عند الحسن بن هارون اعز للدين وللمؤمنين .

فخرج ابو عبد الله الداعي الى تازروت ، وخرج معه المؤمنين من استطاع النقلة من بني سكتان ، وهاجر اليه جماعة من المؤمنين ، واستخلف على الضعفاء منهم ، ومن لم يستطع السير معه ، الحكم بن تماست ، وصار ابو عبد الله الى تازروت فتلقاه من بها من المؤمنين وغيرهم ، وانزلوا من كان معه عندهم ، وقام الغشمانيون بمن اجتمع اليه ومن معه، ورأى لديهم من الغبطة والسرور ما سره ، واقبل المؤمنون من كل ناحية اليهم ، وجعل كل واحد منهم يأتي بما يستطيعه ويمكنه ، تقوية للمؤمنين ، ووزرا لهم ، وبذل الحسن بن هارون اموالا ووسّع على المؤمنين .

وقرب ابو عبد الله حين صار بتازروت من اجانة وملوسة ولهيصة ولطاية وجيملة ، فتسارب اليه الناس ، وظهر امره وعز جانبه ، واجتمعت غشمان على نصره ومنعه ، وعظيم شان الحسن بن هارون بما فعل من ذلك ، وعلى ذكره.

وكان للحسن بن هارون اخ يقال له محمود اسن منه فوجد في نفسه لعلو اخيه عليه وانصراف الرئاسة نحوه ، وكان قبل ذلك المقدّم لسنه المطاع في قومه ، فشقّ ذلك عليه وتكلم فيه ، وكان اخوه الحسن يداريه ويتلطف به خوفا ان يفرّق جماعة عشمان ويدخل بينهم الشتات.

فلما صار عبد الله بتازروت وقوى امره ، اجتمع الجماعة الذين اجتمعوا اولا للحيلة في امره واتوا مهدي بن ابي كناوة اللهيصي وكان اشدهم فيما عقدوا عليه ، فذكروا له ما بلغهم عن محمود بن هارون وقالوا : هو جارك وصديقك ، فلعلك ان تستميله فيمكننا مما نريده ، فركب مهدي الى محمود وقال له : لقد اعجبت اخاك نفسه وترأس عليك مع ما لك من الرئاسة والسن والتقدمة في قومك ، وما نراه الا وقد اغتصبك امرك و مالت اليه العيون واعانه هذا الرجل المشرقي ، وقد استراح منه بنو سكتان ، فلو فعلتم كفعلهم لاسترحتم كانت لك رئاستك دون اخيك .

فقال محمود :لا نجد السبيل اليه الا ان نجمع العلماء ليناظروه ، فعسانا ان نجد منه المخرج ان قامت حجتهم عليه.

فانصرف مهدي الى القوم فاخبرهم بذلك فقالوا : ومن ذا يناظره من علمائنا؟ انت ترى الواحد من جهالنا اذا دخل في امره ناظرهم فقطعهم ، فكيف به في ذات نفسه ؟

فقال لهم مهدي : لم اجد من محمود غير ذلك ، وقد رأيت منه رغبة في قتله ، وميلا الى ما وعدناه من التقدمة، مع م قد تداخله من حسد اخيه ، وما علينا ان نأتي بالعلماء ؟ فاذا اخرجوه قتلناه ، فمتى فعلنا ذلك كان بعده ما عسى ان يكون ، وقد قطعنا اصل الداء

فاجتمع على ذلك رأيهم وارسلوا في طلب العلماء في جميع النواحي ، واختاروا من ابطال الرجال وحماتهم من يكون مع العلماء ، وقالوا :لا نجيء في احتفال كما جئنا الى بني سكتان فيكون من ذلك مثل ما كان .

واتصلت اخبارهم بالحسن بن هارون وبابي عبد الله ، فقال له ابو عبد الله :يجتمع جماعة بني غشمان على محمود فيذكرون له ما اتصل بهم ويحذرونه في ذلك العار والنقص وسوء العواقب ، ويقدمونه عليهم ، ويرفعون من شأنه ما قدروا ، ففعلوا ذلك واتوه واثاروا حميته وخوّفوه العار ، وقدّموه عليهم وارضوه بما ركن اليه منهم .

واقبلت الجماعة على ما ابرموه في عدة وعدد وقد اجمعوا بينهم ان يمكروا بالداعي ابي عبد الله ، فلما رآهم محمود امر غشمان فاستعدوا وركبوا خيلهم ، وقال ابو عبد الله للمؤمنين : اركبوا معهم ، وان قدرتم ان تلحقوا الحرب فافعلوا ، فلما التقوا قالت الجماعة لمحمود : هؤلاء العلماء قد جئنا بهم ، وعزلوهم ناحية ، فقال محمود : نجمع بينهم وبين الرجل مع عشرة من وجوهكم وخياركم لننظر ما يكون من امورهم . فانحل ما عقدوه وانتكثت ما ابرموه وقالوا : وما عليك ان تخرجه الينا حتى يشاهد الجماعة منا امره وامر العلماء ، فيكون ذلك اشهر في الناس واظهر ويطلع الجميع على الخبر ؟

قال لهم محمود : انا نخشى غدركم ، هذا لا يكون منا اليكم ولا نفعله لكم . فارتفع اللغط بينهم ، وظهر لمحمود مكرهم ، فحمل فيهم وحمل الاولياء التحم القتال ، وغضب محمود وقاتل الاولياء قتالا لم ير مثله، وجرح محمود فمات، وسر ذلك الاولياء واظهروا الطلب بثأره وصفت الرئاسة لاخيه الحسن بن هارون واجتمعت غشمان عليه فصاروا البا واحدا ، ودخل في الدعوة عامتهم ، واشتعلت الحرب ما بين غشمان ولهيصة بسبب قتل محمود بن هارون، واظهر ابو عبد الله نفسه ، وكان يشهد الحرب ويباشرها ، وكان جميع المؤمنين من كتامة انصارا لغشمان ، وقام الجميع من القبائل مع لهيصة .

وكان مهدي بن ابي كناوة من الابطال المشهورين في الحرب اولي النكاية ، وكانت الجماعة تقدمه على كافة قبائلها لما يعرفون من شجاعته ونكايته ، وكان اخوه ابو مديني قد دخل الدعوة وهاجر الى ابي عبد الله وكانت له بصيرة ونية صالحة ، وكان مهدي اشد فارس في عصره واهوله منظرا،

روى القاضي النعمان بن محمد قال : يقال انه كان اشعر البدن كله، هائل المنظر ، شديد الضربة ، فيقال ان الاولياء احتالوا عليه في بعض تلك الحروب وقد زحف اليهم واشتد القتال ، وفي موضع القتال مقبرة فيها قبور محجور عليها فادخلوا فيها له رجّالة من اشد ما قدروا عليه ، وقدّموا اليه فارسا ليجره اليهم ، فشتمه واغضبه فحمل عليه فانهزم له الفارس الى موضع الرجّالة ، فرماه مهدي برمح فاصابه وانفذه وسقط الرمح بين يدي الفارس فظنوا انه اخطأه وما علموا انه اصابه حتى رأوه سقط عن دابته ، وخرج الرجّالة على مهدي فاخذوا عنانه واحاطوا به وحملت الخيل فضرب في الرجالة ففرّقهم ومنع نفسه من الخيل وخلص منهن ، وكان امره ذلك اليوم اعجوبة لم ير الناس مثلها ، وانما يكون مثل هذا ويعجب منه في الرمي بالنبل ، فانما تنفذ الرمية ويخرج النبل منها لا يصيبه الدم لشدة الضربة وسرعة خروج السهم عن القوس.

وفي الحديث عن النبي صلع في الخوارج قال : يمرقون كما يمرق السهم من الرمية ، اي لا يتعلقون منه بشيء كما لا يعلق السهم بشيء من الدم ، فاما رمح يخرج من كف رجل فينتهي الى مثل ما ذكر فهذا شيء ما سمع به في الغابرين من الاولين والآخرين.

وطالت الحرب بين القوم ولقي المؤمنون من مهدي بن ابي كناوة الاذى واكثر منهم القتل ، ولم يستطع فارس ان يلقاه ويرد بأسه ، فلما رأى ابو مديني الى تمادي اخيه في البغي وسدوره في ثوب الغي ، اغتم لذلك وساءه ، وكان ربما يواقفه فيعظه ويذكره ، ويدعوه الى الله ويحذره ، فلم يزده ذلك الا غيا وبعدا وتماديا ، فلما رآه لا ينصرف عن ذلك دبر في قتله وان يحتال في ذلك حتى يخلص الاولياء من شره ، ويدفع عنهم عظيم بأسه ومكره ، فاجتمع معه فتى من لهيصة كان قد دخل في الدعوة وهاجر الى تازروت فيمن هاجر من المؤمنين ، فاجمعا على ان يمكرا به ويخدعاه – والحرب خدعة – وتعاقدا على ذلك ، وقال نرجو ان يصرعه الله شر صرعة.

فلما التقوا في الحرب خرجا ناحية ودعوا به فاقبل اليهما وكلّمه اخوه كما كان يكلمه حتى اذا انس به ودنى منه ضربه كل واحد ضربة رجل واحد فاختلفت فيه رماحهما وسقط الى الارض ، فحمل عليه الاولياء وحملت عليهم لهيصة ومن معها فاشتد بينهم القتال ، واستنقذته لهيصة وحملته ، فمات من جراحاته تلك بعد ان وصل موضعه.

واصطلحت غشمان لهيصة بعده ، وتلاقوا على الدين ، فقوى امر المؤمنين واشتد ، وحاربوا من يليهم من القبائل وشنوا الغارات على من بعد عنهم ، وجاء اليهم الناس من كل حدب ينسلون ، وفي سرهم يدخلون.

فاجتمعت الجماعة مرة اخرى حين رأوا ظهور امر ابي عبد الله وانقطاع امر لهيصة عنهم ، وقتل مهدي ، فلم يروا لهم رأيا غير المناجزة ، فمشى بعضهم الى بعض ومشوا الى القبائل واستنفروا العامة استعدوا للحرب واجمعوا على ان تنتقل القبائل بعيالاتهم ويحاصروا ابا عبد الله ومن معه حتى تسلّمه غشمان اليهم .

واتصل الخبر بابي عبد الله فامر جميع الاولياء ان ينتقلوا الى تازروت ، فانتقلوا من كل ناحية ، وجاءت كتامة من اطرافها لحرب ابي عبد الله ومحاصرته ، ومن معها من القبائل في جمع عظيم ، فارسل اليهم الداعي ابو عبد الله جماعة من غشمان يسألونهم الموادعة على ان يكونوا كغيرهم من المسلمين مع ابي عبد الله ، فمن احب ان يدخل في دينه من القبائل فليدخل ، ومن احب ان يرجع الى ما عليه العامة فليفعل ، فابت عليهم القبائل ذلك وقالوا : لا نقبل منكم الا ان تسلموا الينا هذا الرجل فنحكم فيه بحكمنا، فاتى الاولياء الى ابي عبد الله وسألوه ان يكون مستترا وقالوا له :ان ظهرنا على ا لقوم اظهرت امرك ، وان غلبنا كان لك عوضا من غيرنا ، فجزاهم خيرا واسمعهم جميلا وحضهم على الجهاد والصبر ، وتلى عليهم قول الله تعالى : كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله والله مع الصابرين. ووعظهم في مجلس عظمت بركته واطلعهم على كثير من الحكمة وبيان من التأويل ، فقويت بصائرهم وثبت قلوبهم ، وقام ابو عبد الله الاندلسي قائما على قدميه ابتهاجا بما سع من ذلك ورأى من المؤمنين فقال : والله لقد ثبت امر الله فيكم كما ثبتت هذه في هذا واومأ الى اذنه ورأسه ، والله لو قابلتم هذه الجبال واشار اليها بهذه النيات لانزلتموها ، وعرّفهم ابو عبد الله انه على ثقة من ظهور دين الله وعز اوليائه، فسرّهم ذلك ، ورأى فيهم نية صادقة فقال: والله لو قاتلتم الجبال بهذه النيات لازلتموها .

وانصرفوا عنه فاعدوا عدتهم ، واخرج كل واحد منهم ما عنده من سلاح وكراع فاتوا به وحملوا من الرجالة منهم على الخيل من كان يحسن الركوب ، واشتروا العدة لمن لا عدة له واعترضوا فبلغوا سبعمائة فارس وزهاء الفي راجل . وقاتلوا الجماعة في اول يوم فقتلوا منهم فارسا من حماتهم واولي النكاية منهم ، وانصرف الاولياء سالمين ، فقويت قلوبهم واشتدت عزائمهم ، ثم عاودوهم من غدهم فقتل من الجماعة عدد كثير وافترقوا ، والاولياء لم يصب منهم احد ، فزادهم ذلك ثقة بالله وبنصره ، وعاودوهم في اليوم الثالث في اول النهار ، فاقام القتال بينهم الى وقت صلوة الظهر ، واشتدوا وكلب بعضهم على بعض ، وابلى غزوية بن يوسف يومئذ بلاء جسيما ، وكان في الرجالة وجرح جرحا انقطع له صوته ، ولما مال الفيء وزالت الشمس ضرب غزوية بن يوسف راجلا كان ابلى في القتال من رجالة الجماعة فقتله ، وحمل الاولياء واجهد الجماعة ان يستنقذوا صاحبهم فحيل بينهم وبينه ، وشد عليهم الاولياء فاستوت الهزيمة فيهم ، وتتبعهم الاولياء يقتلون منهم ويحرقون ديارهم ويغنمون اموالهم الى ان حال الظلام بينهم ، ولم يكشفوا عورة ولا تعرّضوا لامرأة مسلمة ، وانصرفوا الى مكانهم وقد امتلأت ايديهم من الغنائم بعد ان انهزم المع وولوا الدبر وتفرقوا فرقا وتمزقوا مزقا ، ولحق كل قوم منهم باماكنهم ، وملك الاولياء اموالهم وما في ايديهم بعد ان قتلوا منهم قتلا ذريعا

فيقال فيما رواه القاضي النعمان بن محمد قدس الله روحه انه بيع في ذلك اليوم عشرون جملا بدينار ، فاما الغنم والامتعة العبيد والاموال فما لم يطيقوا حمله ، ولا عرفوا كيف يسوقون ما غنموا من الانعام ، وغنموا الخيل ما لا يحصى عدده ،و انصرفوا الى تازروت.

وحارب ابو عبد الله فبح بن يحيى ومن اطاعه من مسالته وغيرهم ، وكانوا يذهبون مذهب الاباضية ، وليس في كتامة من يذهب الى ذلك غيرهم ، وهرب فتح بن يحيى في جماعة معه الى سطيف ، ثم انه استأمن من ابي عبد الله فامّنه ، ثم هرب فتح الى عجيسة وجمع جموعا منهم ومن غيرهم ، وبلغ ذلك ابا عبد الله فقصد بالعساكر نحوه ومر على سطيف ولم يعرض لمن فيها ، وانحصر فتح في قلعة منيعة يقال لها وشنوك فاحاطت العساكر بها وقاتلوهم عليها فكانوا يطرحون الصخرة العظيمة فتقتل من اصحاب ابي عبد الله رجالا كثيرة ويسمع لها دوي كدوي الرعد ، فاذا رآها ابو عبد الله غطى على وجهه بكمه لكي لا يرى ما يصاب به الاولياء.

وما زالوا بها حتى فتحوها وقتلوا اكثر من كان فيها ، وقتل نصولا اخو فتح ، وهرب فتح ، وغنم الاولياء منهم مغانم كثيرة ، وانقادت عجيسة وزواوة للداعي ابي عبد الله ، وجميع كتامة وانصرف الى تازروت ، ولحق فتح بن يحي بافريقية اذ لم يجد ملجأ دونها

فقدم على ابي العباس ابن ابراهيم بن احمد من بني الاغلب صاحب افريقية يحرّضه على ابي عبد الله ، فقال له ابو العباس ، اولم تجتمعوا في عساكر عظيمة فلم تصنعوا شيئا ، فقال ليس امرنا من امرك في شيء ، نحن نقاتل بلا رأس ، ونقاتل من يعرفنا من اهل بلدنا ، ولو جاء عسكر السلطان لكان فيه هيبة وعدة ولانصرف اليه الاكثر ممن مع ابي عبد الله . فاضرب عنه ابو العباس

واستولى ابو عبد الله على عامة كتامة ، وانتشرت الدعاة فيها من قبله ، ولم يبق الا من دخل في دعوته راغبا او راهبا ، وذلك بعد ان كانت لابي عبد الله وقائع كثيرة واخبار مشهورة قمع بها المعتدين وادخل الناس طوعا وكرها في الدين ، وامر الداعي ابو عبد الله بالعدل ، واجرى من اتبعه على الحق وامرهم باقامة الشريعة ونهى عن الظلم ، فلم يكن عنده في شيء من ذلك هوادة ولا رخصة ، وكان اذا وجب على احد حق او لزمه قتل جعل ذلك الى اقرب الناس اليه فكان هو الذي يقتله ويقيم من الحق عليه ما حكم به الشرع الشريف واوجبه ، فاستقامت الاحوال وظهر العدل وامن الناس امانا لم يسمع مثله .

ولقد روى جعفر الحاجب رحمة الله عليه في سيرته التي ذكر فيها خروج الامام المهدي امير المؤمنين سلام الله عليه من مستقره ، وانتهاءه الى دار هجرته وظهور دعوته – مما نحن ذاكروه – قال : ولما صار مولاي المهدي بالله عليه السلام الى قسطيلية تقدم الي ان اطلب له حجاما وقال لي : اجهد ان تجده غريبا ، قال فخرجت فلقيت حجّاما عليه اثر السفر ، فقلت له : اغريب انت ؟ قال نعم ، فقلت : متى وصلت هذا البلد ؟ قال : في يومي هذا ، فجئت الى المهدي عليه السلام وعرفته انه غريب ، فلما رآه سأله عن اسمه وعن بلده وهل هو حر او مملوك وكذلك كانت عادته عليه السلام اذا رأى شخصا لا يعرفه لم يكلّمه ولم يؤانسه حتى يسأله عن اسمه ونسبه وبلده ، فلما سأله عن جميع ذلك عرّفه الرجل انه من اهل افريقية من القيروان ، وانه غاب عنها مدة طويلة في بلد كتامة ، ومنها وافى الى تازروت ، قال له كيف استطعت دخول بلد كتامة والمقام فيه على ما قيل فيه من الفتن وتغير السنن؟

قال له : والله يا مولاي ما لله ولرسوله سنة صحيحة الا ببلد كتامة

قال له المهدي عليه السلام : هذا خلاف ما وردت به الاخبار من كل الجهات عن الرجل الخارج بها، فقد قيل فيه غير ذلك.

قال له الحجام : والله الذي لا اله غيره ، ما لله دين الا الذي عليه الرجل الذي ببلد كتامة

فقال له المهدي : ما الذي استحسنت من افعاله ، حيث اراك تمدحه هذا المدح الذي لا يجامعك عليه احد

فقال له : والله لا مولاي لقد شاركت شريكا وقلت له: تعالى بنا حتى ندخل تازروت ونعمل بها مدة شهر ، فما قسم الله ع ج لنا من رزق قسمناه بيننا ، فسرنا اليها ، فلما اردنا الدخول من باب المدينة منعنا من الدخول بسلاحنا اليها ، فقلنا لهم : فكيف نعمل به ليس نعرف ههنا احدا نودعه اياه

فقالوا لنا : اطرحوه خلف سور المدينة

فقلنا : كيف نضيع سلاحنا

فقيل لنا : اطرحوه ولا تخافوا عليه

فطرحناه ودخلنا المدينة واحتسبناه لان الرجوع شق علينا بعد ان وصلنا الى المدينة ، فاقمنا فيها شهرا ، ثم خرجنا فاذا سلاحنابحاله ما ضاع منه شيء . فهذه يا مولاي سيرة رجل يرمى بالبهتان

قال جعفر : فرأيت وجه المهدي صلع يتهلل ، قال : ثم قضى شغله وامر له بدراهم وانصرف.

ولما استقام لابي عبد الله الداعي امر كتامة ، ودخل عامّتها في الدعوة زحف الى مدينة ميلة واحاطت بها عساكره من كل جهاتها ، وفيها بنو ابي خنزير – قوم من ديار ربيعة ويعرفون بالسناجرة لان اولهم من سنجار – وكان زعيم اهل ميلة ورئيسهم موسى بن عباس فخرج لقتال ابي عبد الله بمن معه ومن لجأ من كتامة اليه ممن لزمه الكبر والحمية ، وامتنع عن الدخول في الدعوة ، واخذته عزة الرئاسة مثل فحل بن نوح وفرح بن جيران ويوسف بن محمود وغيرهم، فقاتلهم الاولياء قتالا شديدا ، فقتل فحل بن نوح ، وغلب ابو عبد الله وعساكره على ارباض ميلة ، ودخل جميع من بها الى الحصن فامتنعوا فيه ، فلما رأوا ان لا قوام لهم به دعى موسى بن عباس الحسن بن احمد بن ابي خنزير - وهو من رؤساء قومه ، وكان مع ابي عبد الله قد دخل في دعوته و صار ممن اتبعه ، فارسله الى ابي عبد الله يسأله الامان ، فامنه ابو عبد الله ، ومن معه ، ما لم يحدثوا حدثا ، وفتحوا ابواب المدينة ودخلها الاولياء . وتسلل ابو ابراهيم ابن موسى بن عباس في جماعة ممن معه وهربوا بالليل ولحق بافريقية .

واستعمل ابو عبد الله على مدينة ميلة يوسف ماكنون الاجّاني وهم عم ابي زاكي وانصرف بعسكره الى تازروت

ولما انتهى ابن موسى بن عباس الى ابي العباس عبد الله ابن ابراهيم بن احمد الاغلبي ملك افريقية – وهو يومئذ بمدينة تونس – اخبره بافتتاح ابي عبد الله لمدينة ميلة وظهور دعوته ،وان عاقبة ذلك اذا غفل الدخول عليه الى مدائنة ومستقر ملكه . وضعّف عنده امر ابي عبد الله ، وسأله اخراج عسكره اليه ، وضمن له ملك امره ، واجتمع معه في ذلك فتح بن يحيى المسالتي الذي كان قدم قبل ذلك اليه ، وقد ذكرنا خبره ، وقالوا :لو اتى عسكرك لقام اكثر الناس معهم وصاروا ردءا لهم ، فجهّز ابو العباس ابنه المعروف بابي حوال ، و كان فارسا شديدا وبطلا كميا ، فاجتمعت له عسارك كثيرة احصيت عدتهم اثني عشر الفا بين فارس وراجل انتقاهم واختارهم ، واخرج اليهم ابوه الاموال والخلع والعدة والسلاح فاسبغ عليهم العطاء ، و كسى وجوههم وحملهم، وحمل فتح ابن يحيى المسالتي على فرس ، وكذلك ابن موسى بن عباس ومن معه من اصحابه ، وامر لهم بالسروج واللجم المحلاة ، وكان خروج ابي حوال من تونس في ذي القعدة من سنة تسع وثمانين ومائتين وكل من مر عليه في القبائل بذل لهم العطاء والخلع والاموال ، والحملان لوجوههم فسارعوا اليه .

وقصد سطيف فلم يصل اليها حتى زاد الى عسكره مثله ، وتلقاه بنو عسلوجة اهل سطيف واهل بلزمة ومن حولهم ممن لم يدخل مع ابي عبد الله ، فساروا في عساكر عظيمة ، ومال بهم على من دخل في حزب ابي عبد الله واستجاب لدعوته من اطراف كتامة فقتلهم قتلا ذريعا وسبى نساءهم وذراريهم ، ثم قصدوا ابا عبد الله الى تازروت فاتصل الخبر بابي عبد الله فبرز اليه فيمن معه.

وكان او حوال مذ خرج يعبئ عسكره ويسير بهم زحفا كما تعبا العساكر للقتال ، فاذا نزل لم يبت الا في خندق يحتفر حوله من وقت نزوله فلا تغرب الشمس الا وقد تم ، وقد رتب على ذلك رجالا اوقفهم له وقياسا معلوما واذرعا معدودة، ورتب نزولهم على ترتيب معلوم ، وكل قوم قد عرفوا مكانهم ، فاذا اظلم عليهم الليل وقف الحرس على ابواب الخندق ، ودارت به الرجال من داخله بالدرق ، والخيل تعسّ دونه الرجالة ، ويخرج الف فارس يدورون حول الخندق الى ان يصبح ، وما زال ترتيبه على ذلك .

وخرج ابو عبد الله اليه فالتقوا ببلد ملوسة فافتتلوا قتالا شديدا ، وكثر اصحاب ابي حوال على اصحاب ابي عبد الله فازالوهم من مصافهم ولم يثبتوا لهم وانهزم اصحاب ابي عبد الله آخر النهار ، واتبعهم ابو حوال الى الليل ثم نزل وخندق.

فلما اصبح زحف اليهم وقد كانوا نزلوا بقربه فاقتتلوا وانهزم اصحاب ابي عبد الله ايضا . وجاء ثلج عظيم فحال بينهم ، وانصرف ابو عبد الله الى تازروت ، فلم يروا انها تحصنهم فاخذوا ما قدروا عليه من اموالهم وانضموا الى ايكجان وارتفع الثلج واتى ابو حوال الى تازروت فاصابها خالية فاحرقها وهدم قصر ابي عبد الله الذي ابتنى بها ، ومضى حتى اتى ميلة فاصاب اهلها ايضا قد ارتحلوا عنها وانضموا الى ايكجان، فنزل منها بناحية ، على انه يزحف الى ابي عبد الله الى ايكجان، واستأذنه ابن موسى بن عباس ان يمضي الى كجارمة ، فمضى في خيل كثيرة حتى اتى كجارمة ، وهي من بلد لطاية بالقرب من ميلة ، فاصابها خالية قد ارتحل اهلها مع ابي عبد الله ، فاقبلت خيل من اهل كجارمة يريدون ان يحملوا طعاما لهم ، فواقفوا ابن موسى بن عباس ومن معه فقاتلوهم فقتل ابو عقال ابن موسى بن عباس ، وكان فارسا شديدا، واتصلت الصيحة بالفريقين ، وامد كل قوم اصحابه والتحم القتال بينهم وتكاثروا ، فلما قرب الليل وقعت الهزيمة على اصحاب ابي حوال وطلبهم الاولياء ، حتى قربوا من العسكر ، ودخل الليل عليهم فانصرفوا عنهم ، وبات العسكر مع ابي حوال وقد خافوا ، فلما اعتكر الليل وقعت فيهم نفرة واقتحموا الخندق ، وضربوا على وجوههم كل قوم الى مواضعهم . وحاول ابو حوال ان يصلح ذلك فلم يستطع ، فامر برفع الثقل واشعل المشاعل وسار من ليلته فاخذ ناحية جيملة يريد افريقية ، فلم يصبح حتى خرج من بلد كتامة انتكث عليه امره وافترق الناس عليه.

واتصل بابي عبد الله خبره فخرج اصحابه فغنموا ما في عسكر ابي حوال ، وانقطعت منهم خيل في طلبه فلم يلحقوا به، وسار ابو حوال حتى وصل الى ابيه بتونس ، وتراجعت كتامة الى مواضعهم واهل ميلة الى مدينتهم.

وكان الحسن بن هارون اعتل فمات رحمة الله عليه بايكجان ،وكان بيان بن صقلان واحمد بن سليمان السكتانيان قد بلغا عند ابي عبد الله مبلغا صالحا ، وحسن اثرهما ، فرغبا اليه مع جماعة من بني سكتان ان يقيم بايكجان فاجابهم الى ذلك ، وابتنى به قصرا ، وارتحل الناس اليه وجعله دار هجرته وقرار اهل دعوته.

وفرّق ابو عبد الله الدعاة الى القبائل ، وكان يجلس الى المؤمنين فيحدّثهم ويعلمهم احكام الدين فحسنت احوالهم وقويت نياتهم وبصائرهم.

ولما انصرف ابو حوال الاغلبي الى ابيه ، وصف له ما كان من ظهوره اولا وغلبته على البلدان ، وان انصرافه لم يكن الا لامر عرض له من غير علة ، وصغّر امر ابي عبد الله ، فاطمعه ذلك وجهّز جيشا ثانيا زاد في عدده على الجيش الاول ، واكثر من عدته وقوته ، وخرج ابو حوال مرة اخرى بالعسكر ، وانضمت اليه القبائل ، وسار حتى نزل سطيف على مثل ما كان عليه في المرة الاولى من التعبئة والتحفظ .

وزحف من سطيف وانتهى الى ابي عبد الله خبره ، فخرج ابو عبد الله بمن كان معه من ايكجان فنزل قريبا من بلد لهيصة ، ونزل ابو حوال ببلد ملوسة . وجرّد ابو عبد الله عامة الخيل الذين معه الى ابي حوال . فلما اشرفت الخيل على ابي حوال خرج من خندقه بجميع عسكره ، فاقتتل القوم قتالا شديدا وكانت الغلبة لاصحاب ابي عبد الله على ابي حوال واصحابه حتى ادخلهم اصحاب ابي عبد الله الى خندقهم ، وحال الليل بينهم وانصرف اصحاب ابي عبد الله ، ثم عاودوهم من غدهم فاحتصر ابو حوال في الخندق ولم يخرج اليهم ورأى ان اصحابه قد غلبوا ، فلما جنّ الليل خرج ابو حوال من خندقه بجميع الذين كانوا معه وقدّم ثقله بين يديه ، واوقد المشاعل وكرّ راجعا الى سطيف ،وتبعه خيل من خيل ابي عبد الله بعد الصباح فاصابوا جماعة من اصحابه وغنموا مما معه بعد ان انتهبوا ما ترك في المناخ ، ورجع ابو عبد الله الى ايكجان.

ثم ان زيادة الله الاغلبي احتال في قتل ابيه ابي العباس عبد الله بن ابراهيم بن احمد صاحب افريقية فقتل ، وولي الامر بعده زيادة الله ، واخوه ابو حوال في سفره ذلك الى بلد كتامة ، فحين عاد ابو حوال ارسل اخوه زيادة الله صالح بن ا لروحاني فقتض على ابي حوال وتولى صالح امر العسكر بامر زيادة الله بعد ان اقرأهم كتابه، وانصرف الى تونس ، وقتل زيادة الله اخاه ابا حوال وعمومته في شهر رمضان سنة تسعين ومائتين، وكان قتل ابيه واستيلاؤه على الملك ليوم بقي من شعبان سنة تسعين ومائتين.

ولما ولي زيادة الله اقبل على الفجور وشرب الخمور ، فالهاه ذلك عن كل شيء ، وكان شرب الخمر لا يعرف بافريقية حتى اظهره زيادة الله ، ووصفت عنه خلاعات كثيرة اقبل عليها واشتغل عن تدبير الملك، ومال اليها وشغله الله بها لما اراد الله تعالى من ظهور دينه وعلو اوليائه واذلال اعدائه كما قال في كتابه : واذا اردنا ان نهلك قرية امرنا مترفيها ففسقوا فيها فحق عليها القول فدمرناها تدميرا.

وخاف زيادة الله من ابي عبد الله على رقّادة فارتحل من تونس اليها وحصنها وابتنى سورها واقام بها .

ولما ملك ابو عبد الله مدينة ميلة ودانت له نواحيها واستقام له امر من فيها خرج الى سطيف ، وكان صاحبها علي ين حفص ، ويعرف بابن عسلوجة – نسب الى امه – وكان من الابطال المعدودين ، وكان ممن قام وقعد في امر ابي عبد الله ورجا ازالته ، وكان قد صار اليه جماعة من وجوه كتامة لما غلبهم ابو عبد الله . وكان يخرج الى ابي عبد الله ومن معه من العساكر علي بن عسلوجة واخوه حبيب فيقاتلان ويبليان . ويقال ان علي بن عسلوجة قتل من اصحاب ابي عبد الله ثلاثة عشر فارسا في يوم واحد ، لا يزيد الواحد منهم على ضربة واحدة . فقال ابو عبد الله حين رأى ذلك : هذا اللعين ممن قال الله تعالى فيهم : واذا بطشتم بطشتم جبارين ، فاقام ابو عبد الله على سطيف اربعين يوما ثم انصرف الى ايكجان فاقام بها شهرا ، ثم جمع الاولياء واوعب في جمعهم وزحف مرة ثانية الى سطيف في عساكر لا يحصى عددها فاحاط بالمدينة ، وخرج اليه علي بن عسلوجة بجمعه فقاتلوه كما كانوا يقاتلونه خارج المدينة ، ثم طال عليهم الامر وانحصروا في الحصن فمات علي ا بن عسلوجة واخوه حبيب وهما في الحصار ، فحين ماتا انحل امر سطيف ز

وكان ممن اوى الى سطيف من كتامة وكان مع اهلها داود بن حباسة اللهيصي فاستأمن من ابي عبد الله ، وكان اخوته مع ابي عبد الله ، وقال داود : لا استأمن الا لاهل البلد ، فامنهم ابو عبد الله فخرج اليه داود اللهيصي ووجوه اهل سطيف ، وكان داود اللهيصي فارسا عاقلا من وجوه قومه ، فدخل في دعوته وحسنت حاله ، وانتهى امره الى ان كان داعيا من الدعاة . وانصرف ابو عبد الله الى ايكجان ، واستعمل عاملا على سطيف .

وانتهى الى زيادة الله بن الاغلب امر سطيف واستيلاء ابي عبد الله عليها ، ووصل اليه جماعة من الكتاميين ممن ابى الدخول في الدين فحركوه على القيام ، وخوّفوه امر ابي عبد الله ان تمادت عنه الغفلة فاخذ زيادة الله في جمع الحشود واوسع في العطاء فاجتمعت له عساكر كثيرة ، فاخرج ابراهيم بن حبشي لحرب ابي عبد الله ، وكان ابراهيم بن حبشي من بني الاغلب ، وخرج معه اربعون الفا بين فارس وراجل ، مما قيل انه لم يخرج لبني الاغلب مذ ملكوا افريقية عسكر مثله عددا ولا عدة . واخرج معه احمالا كثيرة من الاموال والخلع والسلاح ، ولم يدع احدا من حماة رجاله، ولا ممن نزع اليه من كتامة الا اخرجه مع ابن حبشي ، وامره ان يبذل العطاء لمن يمر به من القبائل ، وان يستميل وجوههم بالحملان والكسى وانفاق المال ، ودبر له ان يأتي ابا عبد الله من غير الجهة التي قصده فيها ابو حوال.

فقصد الى القسنطينة – وهي مدينة عظيمة اولية في جبل وعر تتصل ببلد كتامة فنزل بها ، فاتاه من كتامة من يليها ، وحارب من قرب منها ، وقتل منهم من عند عنه ، فاستهالت كتامة امره وكثرة جيوشه وداخلهم الخوف منه ، وكان بينه وبين ايكجان حيث نزل ابو عبد الله مرحلتان او اقل الا انه في طرف بلد كتامة . فتركه ابو عبد الله ولم يخرج اليه ، فاقام حبشي بالقسنطينة ستة اشهر ، واردفه زيادة الله بابن ابي شداد صاحب طبنة في جيش عظيم ، فاجتمعت جيوش بني الاغلب في القسنطينة مائة الف كما قيل بين فارس وراجل.

فلما رأى ابن حبشي توقف ابي عبد الله زحف بالعساكر الذين معه الى بلد اجّانة فاخرج ابو عبد الله خيلا اختارها ليختبره اين يقصد فوافوه بكبونة ، فلما تراءت الخيل لابن حبشي قصد اليها بنفسه ، فعل جاهل بالحرب، لم ينزل ولا نزل احد من اصحابه ولا هيأ لهم محطا يرجعون اليه ، فوقع القتال وقام الحرب بين الفريقين فاقتتلوا قتالا شديدا ، واصحاب ابن حبشي لم ينزلوا ولا لهم معسكر .

واتصل امر القتال بابي عبد الله فركب بالعساكر فوقعت الهزيمة على اصحاب ابن حبشي فعقر به برذونه وجرح ، فلم ينج الا بجهد وشدة ، وسلّموا جميع الاثقال والاموال واخذوا طريق باغاية ، وطلبهم الاولياء الى الليل ومن غدهم ، يقتلون ويغنمون ، فقتل منهم وغنم ما لا يحصى عده ، واخذ من السلاح والكراع مالا عد له ، وانصرف ابن حبشي الى افريقية ، وتفرّق من سلم ممن كان معه الى مواضعهم وانصرف ابن ابي شداد الى طبنة ، واضطربت افريقية ، واستهال اهلها امر ابي عبد الله ، واخبرهم من وصل من المنهزمين بما عاينوه ونالهم .

وكتب الداعي ابو عبد الله الى الامام المهدي بالله عليه الصلوة والسلام ، الى سجلماسة – وكان قد صار بها – واخبره بما فتح الله له ، وارسل اليه بعض تلك الغنائم مع رجال من كتامة ساروا بزي الغرباء لا يعرفون ، فكان ذلك اول فتح قدم على المهدي بالله ص ع ، وكان ذلك ببركته وبركة ايام هجرته ، فسرّ بذلك وحمد الله عليه.

ثم توجّه ابو عبد الله الى مدينة طبنة في جمع عظيم فاحاطت بها عساكره من كل جهة فاحتصر من بها، وكان العامل عليها يومئذحسن بن احمد بن نافذ المعروف بابي المقارع ، وبها شبيب ابن ا بي شداد على اعنة العسكر الذين بها،وفتح بن يحيى على عسكر جمعه من اهل بيته وجماعة البربر ، فلما احتصروا في المدينة زحف اليهم الاولياء من كل جانب فنقبوا برجا من بروج السور فسقط ، ودخل جميع الاولياء منه، ففرّ عسكر طبنة ودخلوا حصنا قديما مبنيا بالحجارة منيعا في داخل المدينة ، واحتوى الاولياء على المدينة وما فيها ، وعامتهم تجار فامنهم ابو عبد الله ، وامر ابو المقارع بنصب منجنيق كان في الحصن فانكسر فاصلحوه مرة اخرى فانكسر ايضا ، فقال ابو المقارع : دعوه فهذا امر مقدّر ، وطلب الامان فامنه ابو عبد الله ، وخرج اليه فخيره ابو عبد الله المقام عنده او الانصراف الى بني الاغلب ، فقال : كيف ا سير الى قوم قد ادبرت ايامهم واتركك مع اقبال ايامك ؟ فاعجب ابا عبد الله حديثه واسكنه معه بايكجان الى ان فتح ابو عبد الله القيروان فعاد اليها .

واستعمل ابو عبد الله على طبنة يحيى بن سليمان الملوسي ، وانصرف بالعسكر الى ايكجان.

قال ابن حوقل البغدادي : طبنة مدينة عظيمة ذات سور ومياه وزرع وقمح وقطن وبقر وغنم وكتان

ثم خرج ابو عبد الله الى بلزمة ، وكان قد اخذ زرعها ثلاث سنين متوالية حتى انقطع من ايديهم الطعام ، ثم زحف اليهم وحاصرهم فامتنعوا وقاتلوا قتالا شديدا ودافعوا مدافعة عظيمة ، وعمل ابو عبد الله عليهم المنجنيقات والدبابات والابرجة ، فصنعوا منجنيقات واجتمعوا ودافعوا ، وطال عليهم الحصار وغلبهم الجوع ونفد ما كان معهم فاكلوا ما كان عندهم من الحيوان ثم عادوا لاكل جلودهم ثم رجعوا الى درقهم فكانوا يقطعونها قطعا ويبلّونها ويطبخونها ويأكلونها ، الى ان غلبهم الجوع ، فافتتحها ابو عبد الله وقتل المقاتلة ولم يعرض للحريم والذرية ، وغنم العسكر ما وجدوا فيها ، وامر ابو عبد الله بهدم سورها فهدم ، ورجع الى ايكجان.

واخرج زيادة الله عسكرا زهاء اثني عشر الفا حين بلغه امر طبنة وبلزمة ، مع هارون بن الطبني ، وكان اخوه عامل زيادة الله على باغاية ، واخرج معه الاموال الجمة وامره ان يستميل من مرّ به من القبائل ويعطيهم . فاعطى هارون الناس فاجتمعت له عساكر عظيمة اكثر مما خرج به فانتهى الى دار ملول فقتل اهلها ، وكانوا قد دخلوا في طاعة ابي عبد الله ، واخرب حصنهم .

وكان ابو عبد الله قد بعث غزوية بن يوسف في الف فارس الى بلزمة ، ولم يكن عند ابن يوسف علم بخروج هارون الى دار ملول ، فلما رأى غزوية ومن معه عسكر هارون اصطفوا على الخيل ينظرون العسكر ، ورآهم هارون واصحابه فوقعت فيهم الصيحة فتصايحوا : الجبل الجبل ليتحصنوا به ، فما هو الا ان عطفوا يريدون الجبل اذ صاح صائح :البلد البلد ، فقد كل قوم الى بلدهم ، ونظر غزوية الى الغبرة قد قامت ، والعساكر قد افترقت فشدوا عليهم ، وهم خيل مجرّدة ، فقيل : انه لم يحص عدة من قتل لكثرتهم ، و قتل هارون صاحب العسكر ، وغنموا جميع ما كان معهم ، وانصرفوا الى ابي عبد الله ظافرين ظاهرين ، بفتح لم ير مثله ومن الاموال والغنائم بما لا يحصى عدده ، ووقع مع زيادة الله لذلك امر عظيم وكرب شديد.

وكان قد صار الى ابي عبد الله اهل تيجس من هوارة ، ورأس الفحصين من بني مغار ، وكان فيهم قديم تشيع ، ومنهم اسماعيل ابن نضر المغازي ، لحق الحلواني واخذ عن اصحابه واتصل بابي عبد الله مع جماعة من اصحابه ودخلوا في الدعوة ، وكانوا يغيرون على اهل تيجس ، وكان مع اهل تيجس رابطة خمسمائة فارس من قبل زيادة الله مع عبد له يقال له يحفور ، وكان صاحب تيجس ابن ركاب لما رأى ظهور ابي عبد الله كاتبه في اخراج عسكر فاخرج ابو عبد الله عسكرا مع مكنداس الجيملي الى تيجس فنزل على تيجس فلم يمكن خروج الرابطة واحتصروا في الحصن وهو منيع . فرجع مكنداس بعد ان اقام عليهم اياما.

ثم ارسل ابو عبد الله جيشا ايضا الى تيجس مع يوسف بن شكلة الغشمي ، فنزل على تيجس ، فصالح اهلها ودخلها على الصلح ، وامن الرابطة الذين كانوا من قبل زيادة الله فانصرفوا الى افريقية ولم يعارضوا بقليل ولا كثير ، ولم يتعرض احد منهم بما يكره ، ومضى الى ابي عبد الله مع ابن ركاب جماعة فدخلوا في الدعوة وانصرفوا الى بلدهم.

ووصلت الرابطة الى زيادة الله وظهر منهم الثناء على اصحاب ابي عبد الله وذكروا وفاءهم فشاع ذلك في اهل افريقية ، وكان يشنع عندهم عن ابي عبد الله بما يظهر زيادة الله من خلاف ذلك من القتل والنهب وقلة الوفاء والغدر بمن امنوه ، فوضح عند اهل افريقية كذب ما ينسب الى ابي عبد الله الداعي واصحابه ، وشاع فضلهم وعدلهم ، وتطلعت العيون اليهم ، فساء ذلك زيادة الله وكثر خوفه لنمو الدائرة عليه ، وكثر الارجاف به واظهر زيادة الله ملك افريقية والغرب الخروج بنفسه لحرب الداعي ابي عبد الله لما نظر الى كثرة الاشانيع عليه ، وتوجه اللوم عليه ، ورأى اضطراب مملكته واختلال دولته ، فتقدم الى استعداد الآلة للحروب ونادى في البلدان بالعطاء الواسع، للداني والشاسع ، وفرض للفرسان والرجال فروضا كثيرة من العطاء والانفاق ، واخرج الحشاد الى الامصار لجمع العساكر ممن دنا وقصى وتقدم لاهل بيته ورجاله للخروج معه فاجتمعت اليه عساكر عظيمة ، وسارع الناس اليه لبذل العطاء ، ونصبت له قبة يقال لها قبة العرض، وكانت تصب الدنانير بين يديه ،ويعترض اهل البلدان عليه فاذا مر به من يرتضيه غرف غرفة بمكيال اعده يسع خمسين دينارا او نحوها فاعطاه بها ، فاتصلت الاخبار عنه انه يكيل الدنانير ، واقبل الناس اليه من كل ناحية ووافته الجيوش وكثرت عنده الجنود ، وقطع ذلك خوض الناس فيه وارجافهم به ، وقال الناس: هذه ضربة الفيصل تكون لمن تكون ، وتهيأ كل واحد من اهل بيته وتفاخروا بالعطاء والبذل والانفاق ، واخرج زيادة الله ما كان في خزائنه من ذخائر آبائه وذخائره ، واعطى قواده ووجوه جنوده وخلع عليهم فظهر لذلك زي لم ير مثله وهيئة لم يظهرها اهله ، وعمل بنودا ومضارب لم يعمل قبلها مثلها .

وخرج الى الاربس في اول سنة خمس وتسعين ومائتين ، واخرج معه جماعة من شيوخ اهل القيروان ، فلما وصل الى الاربس ولى ابا العباس محمد بن عبد الله بن جيمال للقضاء ، وكان ممن يذهب مذهب العراقيين ، فسرّ ذلك اهل بيته ووجوه رجاله ، واقام بمدينة الاربس فتوافدت له بها العساكر فشاور خاصة رجاله وهو مزمع ان يسير الى ابي عبد الله بنفسه ، فقالوا له :هذا تغرير ، ان لقيته بنفسك وجميع عدتك لا ندري ما يكون من الامر ، وقد وقع قبل هذا انهزام العساكر فلم تتضعضع المملكة اذ كنت ردءهم . ولا ندري ما يحدث في دار الملك ان فارقتها ، والرأي ان تقيم في موضع الملك ، وتقيم بالاربس عسكرا قويا مع من ترضاه من اهل دولتك ، فان قصد الشيعي موضعا قصد اليه وتكون انت ردءا له – يعنون بالشيعي ابا عبد الله ، وبذلك كان يدعى فاستحسن ذلك من رأيهم ، وقدم ابراهيم بن ابي الاغلب على العساكر ، وكانت له شجاعة ، وهو من وجوه اهل بيته وخاصته ، ثم رجع الى رقادة واقام بها ، وابن ابي الاغلب بالاربس ، وعاد الى لهوه ولعبه واقباله على السكر وفعل المنكر ، فشغله ذلك عن كل شغل والهاه عن كل امر، مع ا نه لم يخل نظره عن ابن ابي الاغلب ، بل كان يقويه بالعساكر والاموال ، ويبعث اليه من يتخلف عنه من الابطال .

وقصد الداعي الى باغاية من بعد ان اتصلت به اخبار زيادةالله ، وكان قد صار اليه جماعة من اهل باغاية ، منهم ابراهيم المعروف بابن المديني وعبد الله بن الردم وغيرهما ، وكاتبوا اهلها وحركوا ابا عبد الله للمسير اليها ، فخرج ابو عبد الله في عساكر عظيمة ، فلما قرب من باغاية اتصل بالعامل عليها ان كثيرا من اهل باغاية قد كاتبوا ابا عبد الله وخاف ان يقبض عليه فهرب الى الاربس ، وخرج جماعة اهل باغاية الى ابي عبد الله فسألوه الامان فامنهم ، ودخل عسكره باغاية واقاموا بها اياما ، ثم استعمل عليها ابا يوسف ماكنون بن ضبارة الاجاني ، عم ابي زاكي ، وترك معه رابطة خمسمائة فارس، وانصرف الى ايكجان.

وحين بلغ زيادة الله امر باغاية ساءه ذلك واغتم ، وخاض اهل افريقية وكثرت الاشانيع ، وجمع من يشاوره وسألهم الرأى فاشاروا عليه ان يبعث الى ابراهيم بن ابي الاغلب بمحاصرة باغاية ، وان ينفر اليها من الاربس بالعساكر الذين معه ، فقال عبد الله بن الصائغ وكان صاحب امره وامثل رجاله واهل رأيه : ليس هذا رأيا ، ان نزل ابن ابي الاغلب على باغاية نفر اليه الشيعي في جماعة كتامة ، فان قاومه لم يؤمن عليه ، وان تنحى بين يديه كانت الهزيمة ، ولم يؤمن ان يتبعه . ولكن الرأي مقام ابن ابي الاغلب مكانه ، فان زحف الشيعي الى غير باغاية عاجله وكان السابق له الى حيث يقصد ، ولو سبقه الى باغاية لكان ذلك الرأي. فعند ذلك قام مغنّي زيادة الله – وكان يكنى ابن الشنيم فجمع المغنين وغنوا فطرب وقال : اشرب واسقينا ، فملأ الغرب يكفينا ، فضحك زيادة الله وقال: نعم ، واقل منه يكفينا.

فقال له : ما الذي يعجلك الى الغم؟ او ليس من القيروان هزم عسكر مدلج وقتل ؟

قال : نعم

قال : واين باغاية من القيروان ؟

فاعجب زيادة الله قوله ، وامر باحضار الشراب فشرب ومن معه حتى ثملوا وافترقوا عما له اجتمعوا ، ولهوا عما كانوا دبروا ، انهمك زيادة الله في الشراب والعزف والملاهي ، وامر ابن ا بي الاغلب باسباغ العطاء على عسكره ، وان لا يتحرك من مكانه الا لامر مهم لا بد له منه . واقبل على لذاته ، وجعل شغله في مطرباته .

واخرج ابو عبد الله الف فارس مع ابي مديني قد انتقاها واختارها الى مجانة ، وهي مما يلي الاربس لما بلغه ما عقده زيادة الله من اقامة العسكر بالاربس ، وكان عامل مجّانة من قبل زيادة الله خفاجة العبشي ، وهو من الفرسان المعدودين، الا انه كان قد تجذم ، وكانت معه رابطة ، فاخذ ابو مديني بخيله على باغاية وخرج منها يريد مجانة فحين دنى منها خرج اليه خفاجة في الذين معه من الرابطة ، ومعه اهل مجانة فقاتلوهم بقرب المدينة الى ان حجز بينهم الليل فدخل خفاجة ومن معه المدينة ، ونزلت خيل ابي مديني على وادي مجانة فانتهبوا تلك المنازل وانصرفوا الى ابي عبد الله وهو بايكجان.

وجرّد ايضا ابو عبد الله ابا مديني في خيل وامره ان يقصدها ، فلما انتهوا الى باغاية اتصل بهم ان اهل مجّانة تقلعوا الى قلعة بسر. فاخذ ابو مديني على تبسة ثم مال الى ناحية مجّانة فاخذوا على جبل المطاحن وقصدوا ملزوزة وهي بقرب مجانة ، وكان خفاجة في مجانة وخيله واهل مجانة قد رفعوا الاموال والضعفاء والعيالات الى القلعة ، فخرج في الذين معه الى خيل ابي مديني ، ووقع بينهم القتال فقتل خفاجة واجتز رأسه ورؤوس قوم معه وانصرف العسكر الى ابي عبد الله الى ايكجان ، وما زال ابو عبد الله يرسل الخيل ويشن الغارات الى نواحي تونس ، فيقتل منهم ويغنم وهو مقيم بايكجان.

ثم خرج ابو عبد الله بنفسه في احتفال من العساكر فوصل الى باغاية وسار حتى مسكيانة ثم اتى تبسة ثم ميدرة ، وهي حصن حصين فاصاب فيها بقايا اهل قصر الافريقي ، وكان قد اوقع بهم عسكره قبل ذلك مع احمد بن سليمان السكتاني ، ومعهم في ميدرة قوم من اهل مجانة ومرماجنة واخلاطها من الناس ، قد تحصّنوا بها ، فنزل ابو عبد الله عليها فاصابته علة شديدة من الحصاة وكانت تعتاده ، وامن اهل الحصن بعض اصحاب ابي عبد الله ففتحوا ابوابهم بغير استئمار ابي عبد الله فدخل عليهم العسكر فانتهبوهم، فلما بلغ ذلك ابا عبد الله ازعجه واجزعه ، فخرج وهو لما به من العلة الى الناس وجمع المشائخ والدعاة وطلب من فعل ذلك فلم يقدر عليه ولم يعرف ، فاسترجع كثيرا مما انتهب عليهم من حيث وجده ولم يبق من ذلك الا ما اعياه طلبه ولم يعلم مكانه ، فكان لذلك من زيادة الله شناعات ، ونسب الغدر الى ابي عبد الله واصحابه ، وانهم يؤمنون الناس ثم يغدرون بهم واشباه ذلك .

وارتحل ابو عبد الله من الميدرة ونزل على القصرين من قمودةواحتصر اهلها فامنهم وامرهم ان لا يفتحوا ابواب مدينتهم لما كان من امر ميدرة ، فكانوا يبايعون العسكر ويشاورنهم من خلف الاسوار ن واتصلت الاخبار بابن ابي الاغلب ان ابا عبد الله يريد ان يضرب على زيادة الله برقادة وانه قد انتهى الى القصرين ولم يكن مع زيادة الله كثير عسكر ، فخرج ابن ابي الاغلب من الاربس وجمع عسكره ونزل دار مدين، واتصل بابي عبد الله ذلك ، وهو بالقصرين فامر باخراج الفي فارس الى ناحية دار مدين لاختيار عسكر ابن ابي الاغلب ، فانتهوا اليها فوافوه بها واشتد بينهم القتال فقتل جماعة من الاولياء ، واستبطأ ابو عبد الله خبرهم فركب في جميع عساكره وسار نحوهم ، فاذا هم قد انهزموا واقبلوا عليه مفترقين في الوعر والسهل وقد دنى الليل . فلما رأوه عطفوا ومعهم الطوالع فانهزم ابن ابي الاغلب بين ايديهم ، وقتلوا جماعة من اصحابه ، وحجز بينهم الليل ، وانصرف ابن ابي الاغلب الى دار مدين ، وكتب الى زيادة الله بالخبر وانه قد هزم ابا عبد الله وقتل عسكره، وزاد في القول ثم زاد فيه زيادة الله فقرئ على المنابر ، واشعر به الغائب من اهل مملكته والحاضر ، فقطع ذلك الكثير من خوض الناس في امر بني الاغلب ، واظهروا ان لهم القوة والغلب .

وعاد ابو عبد الله الى ايكجان وابن ابي الاغلب الى الاربس . فصار الى ابن ابي الاغلب بنو وشنو وبنو ضدغايان من بني هراش ، وكانوا قد دخلوا في طاعة ابي عبد الله ، واخرج ابو عبد الله لهم عسكرا قدّم عليهم غزوية بن يوسف وابا مكدول فصبحوهم مع الصباح فقتلوهم قتلا ذريعا وانتهبوا اموالهم وعادوا الى قصر الافريقي وهو خال فنزلوا به .

وكان ابن ابي الاغلب قد خرج يريد قتل بني ورديم لدخولهم في طاعة ابي عبد الله فاتصل خبره بابي عبد الله فارسل الى غزوية وابي مكدول . فحين اتاهم خبر ذلك مشوا يومهم وليلهم حتى نزلوا قالمة، وارسل ابو عبد الله ايضا خمسمائة فارس الى ناحية ورديم فوافوا غزوية وابا مكدول بقالمة ، وانصرف غزوية وابو مكدول الى ايكجان ، وصارت الخمسمائة فارس الى حيث ارسلهم ابو عبد الله فقويت لذلك قلوب بني ورديم وناصبوا ابن ابي الاغلب فهزموه وقتلوا جماعة من رجاله . واعانتهم خيل ابي عبد الله ، ثم انصرف ابن ابي الاغلب الى الاربس وعادت خيل ابي عبد الله اليه الى ايكجان.

ونافق الى ابن ابي الاغلب بنو ماجن من هوارة وبلغ خبرهم ابا عبد الله فاخرج اليهم عسكرا من جيملة واجانة عليهم ابو مكدول وابو يوسف ماكنون بن ضبارة فوافوهم وقتلوا كثيرا منهم .

ثم ان ابا عبد الله جمع عساكر عظيمة وخرج يريد قسطيلية فلما انتهى الى باغاية وافاه الخبر من يحيى بن سليمان عامل طبنة ان جماعة من الاولياء كان ارسلهم ابو عبد الله الى المهدي بالله ص ع باموال وكتب فادوا ما عندهم ورجعوا بجواب الامام وكتبه ، فلما رجعوا قطعت عليهم زناتة فقتلوهم ، وقد دفنوا كتب الامام التي معهم ، وكانوا اربعة عشر رجلا رحمة الله عليهم ، ثم اصابهم مطر فاستفاق رجل منهم كان بقي فيه رمق فاتى الى عامل طبنة فاخبره الخبر واعلمه حيث تركوا كتب الامام ، فارسل عامل طبنة من اتاه بالكتب واصدرها الى ابي عبد الله ، فغم ابا عبد الله ما اصاب الرسل غما شديدا ، وسر سرورا عظيما بسلامة كتب الامام ع م من ان يطلع الفجار عليها، واراد ان يرسل عسكرا الى زناتة فاجابه الاولياء موطنين انفسهم على الصبر ، راجين الشهادة وعظيم الاجر ، واستبعد المكان واخّر ذلك الى اجل.

وسار ابو عبد الله الى قسطيلية فخرجوا اليه فقاتلوه قتالا غير كثير ، ثم استسلموا اليه وسألوه الامان فامنهم ، واخذ ما كان لزيادة الله ورجاله من الاموال بقسطيلية ،وسار فنزل قفصة فسألوه الامان فامنهم واخذ ما كان لزيادة الله عندهم، ورجع الى ايكجان بعد ان خلف في باغاية ابا مكدول في خمسمائة فارس وغزوية في مثلها .

وكان ابراهيم بن ابي الاغلب قد استعد للخروج الى ابي عبد الله وظن انه يريد القيروان ، فحين رجع الى ايكجان خرج ابراهيم بن ابي الاغلب يريد باغاية ، فارسل ابو مكدول رسلا الى ابي عبد الله ، فحين وصلت الرسل الى عبد الله امر بضرب الطبول فتبادرت كتامة راكبين الصعب والذلول ، عالين للوعر والسهول ، مبادرين الى باغاية ، فامر ابو عبد الله من حبس الناس واختار منهم اثني عشر الف فارس وقدّم عليهم ابا مديني ، وقال له : ان لحقت القوم الى باغاية فقاتلوك فاحمل نفسك عليهم ، ولو حملتها على الاسنة ، ولا يردك راد عن الوصول الى باغاية ، وان اصبتهم قد انصرفوا فلا تجاوز فج العرعار ، وانصرف ابو عبد الله بالجمع الى ايكجان، ومضى ابو مديني فوجد ابن ابي الاغلب قد قاتل اهل باغاية وخرجوا اليه فقاتلوه قتالا شديدا ، وكان لغزوية في ذلك اليوم مقام مشهور ، وجلاد مذكور، ولحارث المدغري – وكان بباغاية في ثلاثمائة من قومه. وكان زيادة الله قد احسن اليه فقال له ابراهيم بن ابي الاغلب : يا حارث خذلك الله باحساننا اليك ، فقال الحارث :احسان ابي عبد الله الي اكثر من احسانكم ، وفضله علي اكثر من فضلكم ، بصرني من العمى وانقذني من الجهل .

وقاتل في ذلك اليوم رجاء بن ابي قتة قتالا شديدا، وكان ممن كان من الاولياء بباغاية وابلى بلاء عظيما، فلما نظر اصحاب ابن ابي الاغلب الى صبرهم في القتال ، وجدهم في مبارزة الابطال ، رأوا منهم ما هالهم ، وخافوا ورود الغارات عليهم ، فاشاروا على ابراهيم فارتحل من الليل . وخرج اهل باغاية الى مناخه فانتهبوا ما ترك وانصرف ابو مديني من فخ العرعار راجعا وقال : هذا المكان الذي امرنا الشيخ ان لا نجاوزه ولحق ابن ابي الاغلب الاربس .

وخرج الداعي ابو عبد الله احمد بن زكريا من ايكجان في جمادى الاخرى من سنة ست وتسعين ومائتين لما طاب الزمان واعتدل ودخل فصل الربيع ، في جمع عظيم وعدة قوية فنزل بمدينة باغاية وعرض عسكره فبلغوا مائتي الف بين فارس وراجل ، وكان زيادة الله قد حشد وبذل وزاد فيه وبعث الى ابن الاغلب بالاربس من العساكر ما لا يحصي عده الا الله وحده ، وسار ابو عبد الله من باغاية حتى انتهى الى مسكيانة فاخذ مع الوادي وانتهى الى وادي مجانة ، ثم خرج على مرماجنة الى وادي الرمل ، ونزل عليه ، واخرج خيلا الى منيولة يوم الخميس لثمان بقين من جمادى الاخرى فانتهبوها ، وجرّد ابو عبد الله خيلا فضربت جريدة منها الى بني جودان فوافوا بها خيلا كثيرة لابن ابي ا لاغلب فقاتلوهم واسر رجل من كتامة فاتي به الى ابن ابي الاغلب فقتله رحمة الله عليه.

ولما اصبح ابو عبد الله يوم السبت لست بقين من جمادى الاخرى زحف الى الاربس وقد ميّز عساكره وعبّأها فجعل في الميمنة بني بنطاس وفي الميسرة بني منوا ، وفي القلب ملوسة ومسالتة ، وانتقى واختار عشرة آلاف فارس من الدعاة ووجوه القبائل فوقف بالعشرة آلاف على كدية مطلة على المدينة . والتحم القتال واخذ الناس بعضهم بعضا ووقعت بينهم معركة عظيمة ومواقعة شديدة ، وصبر الجمعان، وكثر بينهم الضرب والطعان، واشتد القتل وابوا الفرار، واقام بينهم القتال من اول النهار الى وقت العصر ، وكلح اصحاب ابن ابي الاغلب ولم يكن بافريقية ونواحيها واطرافها من عربها وبربرها ومن رجال زيادة الله احد من كماتها وحماتها الاوقد كان مع ابن ابي الاغلب.

ونظر ابو عبد الله اليهم وقد شقوا على اصحابه واحسّ من اصحابه بعض الفشل وخاف عليهم الهزيمة ، فقال لمن حوله من المشائخ : انتقوا من الرجالة من قدرتم عليه وابعثوهم في هذه المسيلة – مسيلة تعرف بالمضمارة – يستترون فيها حتى يضربوا في الخيل فلعلهم ان يحركوهم ، فانتقوا من الرجالة خمسمائة وخمسة وسبعين رجلا من اشد من قدروا عليه فاخذ كل واحد رمحين ودرقة وساروا في تلك المسيلة ، ووافق ان كان ابن ابي الاغلب دبر ذلك التدبير واخرج رجالة من قبله في تلك المسيلة فوافى بعضهم بعضا في موضع يعرف بالعرة البيضاء على طريق الاربس ، فوافق اول رجل طلع من الكتاميين اول رجل طلع من اصحاب ابن ابي الاغلب فحمل كل واحد منهماعلى صاحبه فقتل الكتامي الخارج اليه من جند ابن ابي الاغلب ، وحمل اصحابه على رجال ابن ابي الاغلب فانهزموا وقامت الصيحة فيهم فانهدت عساكر ابن ابي الاغلب وانتقضت مصافها وادخلت خيلها رجالة ابي عبد الله وحملوا عليهم حملة واحدة فولوا مدبرين وعلى اعقابهم ناكصين ، وقصد كل قوم من جهة بلادهم ، وقصد ابن ابي الاغلب فيمن معه جبل الحراقين ، واتبعهم الاولياء من كل ناحية يقتلون ويأسرون ويغنمون ، وقصد قوم منهم المدينة فانتهبوا منها وقتلوا ، ودخل الليل فانصرفوا الى مناخهم.

وامر ابو عبد الله بقصد مدينة الاربس حين اصبح ، وذلك ان اهلها اصروا مع ابن ابي الاغلب فدخلها الاولياء قهرا بالسيف فقتلوا بها ما لايحصى وانتهبوها واقاموا بها يوم الاحد ، وانصرف ابو عبد الله بجميع العساكر يوم الاثنين واخذ على دقة يريد قمودية والناس يظنون انه يريد قسطيلية

وهرب زيادة الله من رقادة حين اتته الهزيمة يوم الاحد بعد صلوة الظهر، وايقن انه لا يقوم له امر بعد انهزام عسكر الاربس لانه لم يترك شيئا من القوة والمال والرأي والحيلة والبذل والانفاق الا وجّه ذلك الى الاربس. وكان قد تقدم في شري الامتعة واستعد للحرب ، فلما اتاه خبر الهزيمة اظهر انه جاء الفتح وارسل الى السجن فاتي برجال منه فضرب اعناقهم واجتز رؤوسهم وامر ان يطاف بها في القيروان والقصر القديم. واخذ في ضم حوائجه ورفع ثقله وامواله ، وارسل الى خاصة اهل بيته ورجاله وعرّفهم ما جاءه من الخبر فاشار ابن الصائغ بالمقام فاتهمه وقال له : هذا تصديق ما قيل فيك انك تكاتب الشيعي ، وانما تريد ان توقعني في يده ، فسكت عنه ابن الصائغ.

واخذ زيادة الله في شد الاموال ونفيس الخلع والسلاح والجواهر وانتجب من عبيده الصقالبة الف خادم وجعل على وسط كل واحد منهم منطفة فيها الف دينار من العين ، فلما نادى المؤذن لصلوة العشاء الآخرة ، خرج من رقادة واتبعه الناس يهتدون بعده بالمشاعل ، ووقف بعده ابن الصائغ ساعة ثم ركب يريد قصر سوسة ، وكان قد اعد مركبا لنفسه ليركب الى صقلية .

ووصل زيادة الله اطرابلس يريد مصر ، وصرفت الريح مركب الصائغ الى اطرابلس ، فحين علم ان زيادة الله قصدها وانه قد صار فيها اتاه واعتذر اليه انه كان معه من الاحمال ما اثقله ان يكون طريقه مع البر ، واتى زيادة الله بعض من كان مع ابن الصائغ فاعلمه ان قصده كان الى صقلية فصرفته الريح الى اطرابلس فعلم براءته مما نسب اليه من مكاتبته ابي عبد الله : فلو كان ذلك لاقام برقادة ، ثم ان زيادة الله حمله رجاله على ابن الصائغ فقتله.

واما ابراهيم بن ابي الاغلب فانه وصل الى القيروان فيمن انضم اليه بعد الهزيمة يوم الثلثاء . فلما علم من معه بهروب زيادة الله تفرّقوا عنه فلم يبق معه الا قليل ، فدخل الى قصر القيروان ونادى مناديه لمن فيها بالامان ، واراد ان يقيم ما انحل من الملك ويقوّم امره ويجعل ذلك له . وجمع فقهاء القيروان وذكر ما كان لزيادة الله من سوء الاحوال ، والاقبال على اللهو والانهماك فيه والاشتغال ، وانه يقيم العدل والانصاف ، ويحتال في دفع اهل الخلاف ، وقال انما اتيت اليكم لاجاهد دونكم ، وطالب اهل القيروان ان يسلفوه شيئا من اموالهم وما في ايديهم من الودائع لغيرهم ، فقالوا نحن رعية لمن غلب ، وليس عندنا ما يقيم السلطان ، ولا نستطيع ان ندفع ما الم من معظم الحدثان ، فانحل امره وبطل كيده ، فركب وخرج من القيروان ولحق زيادة الله فوافاه باطرابلس وعنّفه على ما كان منه من الخروج عن دار ملكه وموضع امره ، وانه لو اقام لرجى ان يقوم له الحال وينضم اليه الرجال .

ووجد زيادة الله ابا العباس محمد ابن زكريا اخا ابي عبد الله باطرابلس وكان قد وافاه بالقيروان فحبسه لما رفع اليه انه اخو ابي عبد الله واليه مقصده ، ثم انه خرج من السجن لما هرب زيادة الله ولم يستطع ان يلحق باخيه ابي عبد الله فوافى اطرابلس ووافق فيها الجزري وهو من دعاة المهدي ع م ، وكان المهدي ارسل الجزري بحرمه فاجتمعا في اطرابلس هو وابو العباس . وكانا اذا اجتمعا وحدهما فامرهما واحد واذا كانا في الناس اظهر كل منهما الطعن على صاحبه وارى انه على غير مذهبه وجعلا ينتظران وكان ذلك الذي يظهر منهما مدة اقامتهما باطرابلس.

فلما وجد زيادة الله ابا العباس قال له : انت اخو الشيعي ؟

قال : لو كنت اخاه لقصدت مقصده ويمّمت بلده

فقبل بذلك عذره واطلقه بعد ان تواعده ، ووافى الجزري زيادة الله فسلمه عليه وكان لا يزال عنده وهو وكيل الامام ع م على حرمه ، وكان من افضل من عنده ، وزيادة الله لا يعرفه ، ولما خرج زيادة الله من اطرابلس شيّعه الجزري ودموعه تسيل على لحيته وهو يقول : لمن تتركنا يا سيد العرب؟ وزيادة الله يثني عليه ويذكره بالخير ، وقيل للجزري بعد ذلك : ان الكلام قد يتصنع فكيف بالدموع ؟ وانى يتهيأ لك ذلك ؟

فقال : والله ما بكائي الا حزنا على عدو الله لما خلص سالما.

وقصد زيادة الله الى مصر ، وعاملها يومئذ النوشري، وقد كان زيادة الله طرد ابراهيم بن ابي الاغلب واقصاه، واتهمه وعاداه ، ففرّ منه لما خافه ، ودخل الى صاحب مصر ، فلام زيادة الله عنده ، وخوّفه شره وقال له : انه كان من سوء حاله ان ترك ملك الغرب واقبل الى الشرق يريد ان يملكه ، فخافه النوشري.

ثم انه دخل زيادة الله الى مصر فاقبل على اللذات والانهماك فيها ، وكوتب الخليفة العباسي بسوء حاله وسقط امره عند الناس ، وكان يريد يستنصر بالعباسي فتهاون كل به وآل امره ان مات في بيت المقدس ، وقد ساءت حاله ونفد ماله.

وكان هروب زيادة الله يوم الاثنين فاصبح اهل القيروان والناس من كل مكان الى قصور زيادة الله ينتهبون امواله ويحملونها ويلقى القوي الضعيف فيسلب ما في يديه حتى افنوا ما فيها ، وصاروا الى انتزاع الحديد عن ابوابها ، واجتمع اليها الذعار من الطرقات فلم يبق سلب ولا نهب الا برقادة .

وحين بلغ ابا عبد الله خيرهرب زيادة الله اخذ على سليانة ونزل وادي الرمل فبات به ، فلما اصبح قدم غزوية وحسن بن ابي خنزير في الف فارس الى رقادة وامرهم ان لا يعترضوا احدا بمكروه ، فوصلت خيل الداعي ابي عبد الله الى رقادة واصابوا الناس ينتهبون الطعام وما بقي ، فلما رأوهم هربوا وخافوا منهم فامنوهم ولم يعارضوهم في شيء ، وتركوا كل واحد منهم وما حمل ، ومنعوهم ما بقي، فحين بلغ اهل القيروان ماكان من اصحاب ابي عبد الله للناس برقادة من الامان ، سرهم ذلك. وخرج اهل القيروان وفقهائهم للقاء ابي عبد الله فسلّموا عليه وهنؤوه بالفتح ، فرد عليهم احسن الرد واقبل عليهم بوجهه ، وامرهم فركبوا دوابهم ، ودعى وجوههم فاستصحبهم وحدّثهم وامّنهم في انفسهم وما ملكته ايديهم فسرهم اقباله عليهم وما رأوه من تواضعه لهم ، ووصفوا ما في قلوبهم من الرغبة اليه ، فقال لهم قد اخذتم بحظكم ونظرتم لانفسكم وعملتم بما فيه نجاتكم وما يعود بالنفع عليكم في عاجلكم وآجلكم ، ثم ذكروا له اخبار زيادة الله ووصفوا سوء حاله وذميم افعاله ، فاعرض ابو عبد الله عن ذلك ، فحين اطنبوا فيه واكثروا القول في مساويه قال لهم: ائمته الذين ولوه وآباؤه وآباؤهم اسوأ حالا واقبح افعالا ، ولو علمتم ورأيتم احوال بني العباس وما هم فيه من الفسق وسوء الحال والاقبال على الشراب لما تعاظمكم ما رأيتم من هذا الذي تصفون ولسوء حاله تذكرون.

ودخل ابو عبد الله داعي الامام المهدي بالله سلام الله عليه وعلى آبائه رقادة يوم السبت غرة شهر رجب سنة ست وتسعين ومائتين ، فنزل ببعض قصورها ، وفرّق دورها على كتامة ، ولم يكن بقي بها احد من اهلها ، بل خرجوا بخروج زيادة الله فتفرقوا في البلاد. ونزل قوم من كتامة ايضا بالقصر القديم في دور الهاربين مع زيادة الله وفيماحول رقادة فكانوا كالجراد المنتشر ، واورثهم ارضهم وديارهم واموالهم ببركة الامام المهدي ع م وما اراد الله من اظهار امره وعلو كلمته.

وامر الداعي ابو عبد الله المؤذنين بالاذان بحي على خير العمل ، ونادى مناديه للناس بالامان ، وشملهم بالعدل والاحسان ، ونهى عن شرب المسكر وفعل المنكر ، واخاف الذعار والمفسدين ، فصار الناس بالعدل مشمولين ، ومن الجور آمنين، فحقنت الدماء ، وسكنت الدهماء.

وقدّم ابو عبد الله خطيبا بجامع القيروان ، وامر بعد حمد الله تعالى بالصلوة على النبي محمد المصطفى ، وعلى امير المؤمنين علي ابن ابي طالب وعلى الحسن والحسين وفاطمة الزهراء صلوات الله عليهم اجمعين.

وامر بضرب السكة ونقشت فيه من وجه : بلغت حجة الله ، وفي الوجه الآخر : تفرّق اعداء الله.

ونقش في سكة اخرى : الحمد لله رب العالمين ، والعاقبة للمتقين

ونقش في السلاح : عدة في سبيل الله

ورسم في افخاذ الخيل : الملك لله

ونقش في فص خاتمه: فتوكل على الله انك على الحق المبين.

وفي الخاتم الذي يطبع به كتبه : وتمت كلمة ربك صدقا وعدلا لا مبدل لكلماته وهو السميع العليم.

وظهر للناس منه ومن اصحابه من العدل والتقشف والورع والاعمال الصالحة ما اشتهر في جميع الآفاق ، وعرفه اهل الخلاف والوفاق.

وولى ابو عبد الله على القضاء في مدينة القيروان محمد بن عمر المروزي ،وكان له نظر في الفقه من قول اهل البيت ص ع وتشيعٌ قديم ، وكانت ولايته للقضاء في اول شهر رمضان احد شهور سنة ست وتسعين ومائتين.

ووصل ابو العباس محمد بن احمد اخو ابي عبد الله اليه الى رقّادة فسُرّ بقدومه وكان ابو عبد الله بعظّمه ، واذا دخل قام على وجهه على قدميه ، ومكث قائما حتى يأذن له بالجلوس ، واذا دخل ابو عبد الله قبّل يده ووقف حتى يأمره فيجلس. وكان ابو العباس اسن من ابي عبد الله واقدم سابقة واقرب بالامام عهدا واحدّ ذهنا ، وكان ابو عبد الله ارجح حلما واحسن ورعا وزهدا من ابي العباس.

واجتمع شيوخ القيروان وفقهاؤها الى ابي العباس وناظر الفقهاء في الامامة وفيما خالفوا فيه اهل البيت من قبل الفتيا فقطعهم في ذلك وعجبوا من قوة حجاجه ونفاذ قوله .

وظهر العدل وقامت الدعوة الى الامام المهدي بالله ص ع وانقطعت دولة الجبارين في الغرب ، وكان ظهور ابي عبد الله رحمة الله كطلوع الفجر حتى ظهرت الشمس وعلت ، وظهر المهدي بالله ع م من كهف ستره ، وعلت دعوته واشتهرت . فخفيت النجوم، وظهر نور الله الحي القيوم .وسنذكرمن ذلك ما يعين الله على ايراده واصداره ، بتوفيقه ومعونته وارشاده .

والحمد لله رب العالمين ، واياه نعبد وبه نستعين ، وصلى الله على سيد الآدميين ، محمد خير النبيين ، وعلى وصيهي علي امير المؤمنين ، وعلى الائمة من ذريته الطاهرين.

## ذكر نبذ مما كان من امر مولانا الامام المهدي بالله صلوات الله عليه وعلى الائمة الطاهرين من آبائه وابنائه

وسيرته وما ناله من الامتحان والتنقل من مكان حتى قضى الله بظهوره وعلو دعوته واخبار مما كان في ايامه الى انتهاء عمره صلوات الله عليه وتمامه

كان مولد امير المؤمنين المهدي بالله ابو محمد عبد الله ابن الحسين بن احمد بن عبد الله بن محمد بن اسماعيل بن جعفر الصادق سلام الله عليهم في سنة ستين ومائتين في الليلة المصبحة عن يوم الاثنين الثاني عشر من شهر شوال ، وقيل بل كان مولده في سنة تسع وخمسين ومائتين. وولد عليه السلام بمدينة عسكر مكرم من خوزستان ، ثم ان والدع عليه السلام انتقل به الى سلمية ، وفيها كان منشؤه ، واستكفل ابو عمه ابا علي الحكيم ، وهو محمد بن احمد المكني سعيد الخير على ما قدمنا ذكره ، وكان عم الامام عليه السلام هو الذي انفذ الداعي المنصور ابا القاسم الى اليمن بعد وفاة والد المهدي بالله صلوات الله عليه على ما ذكره صاحب سيرة الامام المهدي

قال صاحب السيرة : وكانت وفاة الامام المهدي عليهما اسنى السلام وكفالة عمه له وعمر المهدي ثماني سنين.

وتزوج المهدي ع م ابنة عمه ابي علي الحكيم رضي الله عنه ومنها كان ولده الامام القائم بامر الله فولد الامام القائم بامر الله محمد بن عبد الله ص ع سنة ثمانين ومائتين.

قال جعفر الحاجب رحمة الله عليه : وتوفي الامام قدّس الله روحه بعد تزويجه المهدي بالله صلوات الله عليه بايام يسيرة ، وولي سلمية غلام تركي من بغداد فاحسن اليه المهدي بالله كما كان الائمة يحسنون الى من يلي للتقية منهم وما يخافون من شرهم ، وتابع الاحسان الى التركي حتى استراب به لجزيل ما يوليه ، فسأل قوما من اهل البلد عن سبب افراطه في الجميل ، وهو لا يسأله شيئا ، فقال له بعض من كان يحسد الامام ع م : هذا فعلهم مع كل من يلي البلد حتى يردوهم خولا وعبيدا ، وانه يرمى بامر عظيم ويقال انه يملك الشرق والغرب ، وله في كل بلد داع واموال اكثر من اموال الخلفاء ، فلما سمع التركي هذا القول اخذه الطمع وتابع السؤال للمهدي في الحوائج الكبار التي تجاوز المقدار، فاذا قضيت حاجته فيها سأل غيرها حتى ربما سأل في اليوم الواحد عشر حوائج واكثر، فعل مغتنم ، فعلم المهدي ع م مراده وكتب الى الدعاة ببغداد ان يبذلوا في عزله عن البلد ، ففعل الدعاة ما امروا به وعزل التركي ، وقد علم من حيث اتى ، فرفع الى الخليفة العباسي المعتضد ما انتهى اليه وقيل له في المهدي بالله ص ع ، وسأل ان يرد للقبض عليه ، ووافق ذلك خروج القرمطي ابي مهزول لعنه الله ، وكان ابوه احد دعاة الامام عليه السلام ، وكان ابو مهزول واخوه راجيين ان يكونا في مقام ابيهما ، فلما علم الامام سوء سريرتهما وخبث سيرتهما ، اعرض عنهما وامر الناس برفضهما ، فحملهما ذلك على ان فارقا دعوة الامام ودخلا في مذهب القرامطة الرافضيين لشرائع الاسلام، فاجتمع اليهم ناس كثير، واشاع الناس انهم من قبل المهدي عليه السلام قاموا ، وهم قد فارقوا دعوته وفي ضلال الاباطيل هاموا ، وهو وآباؤه والائمة من ابنائه والتابعون لهم بريئون منهم وممن غير في دين الله وبدّل ، ولشريعة محمد صلع او لركن من اركانهم رفض وعطل.

فخرج الامام ص ع من سلمية لسنة ست وثمانين ومائتين وقد اشتهرت دعوته وانتشرت ، وقامت دعاته وظهرت في اليمن والغرب الا انه لم يعرف اسمه ، وفي اي موضع محله ، وكانت الدلائل فيه ظاهرة وعلامات الامامة مشهورة ، وترك اهله وذخائره في سلمية وخرج معه ولده محمد بن عبد الله القائم بامر الله صلوات الله عليه وخرج ابو جعفر الجزري وكان احد دعاة الامام بحرمه ومعه مملوك للامام المهدي يقال له جعفر ، قبل دخول القرمطي الى سلمية ، ولما قوي امر اللعين ابي مهزول القرمطي قتل ابا الحسين داعي الدعاة من قبل المهدي بالله الذي جعل الدعاة تحت يده يرجعون اليه فيستمدون من علمه ،وقتل معه كثيرا من شيعة الامام، وخرج اللعين بعد ذلك الى سلمية فاقام اياما خارج المدينة حتى بلغه ان عساكر بني العباس قد اتته قاصدة له تروم اخذه واستئصال شافته، فدخل مدينة سلمية واظهر انه يريد الحمام ، ثم قصد دار المهدي وكان قد وضع السيف في العباسيين ولم يعرض لدار المهدي ومن فيها ، فظن الناس انه لا يعرض لمن في قصره ولا يخالف ما يرد عليه من امره فجاؤوا بذخائرهم وما يعز عليهم من امتعتهم فتركوه في قصر الامام ، فلما دخل دار الامام سأل عن لعب ، وهي ام ولد للامام عليه السلام فدل عليها وكانت عالمة بذخائر الامام وكانت حين بلغ دخول القرمطي اللعين الى قد هربت واختفت، فامر القرمطي من اتاه بها ، ومعها ولد للامام المهدي بالله طفل ، فقال لها القرمطي : اين مولاك ؟ ولم خرج من قصره ونعمته ؟ فقالت :انه خرج فيما لا بد منه ، و هو مزمع على القدوم . فقال لها : اين ذخائره وماله ؟ قالت :لا اعلم ، فسألها عن ذلك ولاطفها فحين ابت ان تعلمه، وعرف انها بسر مولاها لا تكلمه ، امر بها وبولد الامام الذي في حجرها فقتلا وقتل جماعة من قرابات الامام عليه السلام وحرمه وخدمه وحشمه رحمة الله عليهم وامر بهم فالقوا في صهريج من الدار، وانتهب ما وجد في دار الامام ، وخرج لعنه الله.

ووافته عساكر البغدادي وفيهم التركي الذي كان ولي سلمية فقاتلهم القرمطي فتفرّق عسكره واخذ اسيرا ، ثم قالوا لاهل سلمية انتم الذين افسدتم على الخليفة واستدعيتم القرمطي اليكم ، فاروهم الصهريج ومن فيه من القتلى ، قالوا هذا فعل القرمطي معنا ودليل على براءتنا مما قلتم فينا ، فصدقوا قولهم وانطلقوا بالقرمطي الى بغداد فكان يضرب ويقال له : لاي شيء خرجت ؟ وما سبب خروجك ؟ فاظهر لهم انه انما خرج بامر المهدي بالله ، وانه الذي امره بذلك ، ووصف لهم صفته وعلامته ، وكان اللعين يعرفه . وعرفهم ان داعي اليمن وداعي المغرب يدعوان اليه ويدلان عليه، فكان ذلك مما زادهم تصديقا لقول القرمطي اللعين ، وتلك منه مكيدة يريد ليطفئ نور الله نور الله ، والله متم نوره ولو كره المشركون ، فامر الخليفة البغدادي الى البلدان وبث رسله الى كل مكان يسأل عن صاحب تلك الصفة والعلامة ، ويأمر عماله بالقبض عليه ، فلم يبلغ بذلك مرامه، وحمى الله وليه وليه من كيد الكائدين ، و دفع عنه شر اضداده المعاندين .

وسار الامام عليه السلام مهاجرا ومعه ولده محمد ابو القاسم ، وقد اشتهر ذكره وفشا خبره ، ودلت عليه آياته ، وتبينت للناس علاماته ، وما برح العباسي يمعن في طلبه ، ويكتب الى كل عامل بسببه ، والله تعالى يحفظه ويكلؤه وبعين رعايته يتولاه حيث نزل ، وانى اقام ورحل ، والمهدي عليه السلام اوان هجرته حين استوى شبابه، والامام ابو القاسم حدث ، ومعهم غلامهم جعفر الحاجب وفيروز وكان فيروز من اكبر الدعاة فغيّر وبدّل وضل واضل ، وسنذكر من امره في موضع ذكره .

وممن صحب الامام عليه السلام طيب الحاضن وابو يعقوب القهرمان ومحمد بن عزيزة ، وكان الامام قد اظهر لاصحابه انه يريد اليمن . وخرج من دمشق وقال لاصحابه : جدوا في السير فاليوم يرد الرسول في طلبنا الى دمشق فساروا ذلك اليوم واليوم الثاني وانتهوا الى طبرية ، ووجدوا الداعي الذي كان للمهدي بها على ظهر الطريق قائما ينتظرهم ، فلما رأى الامام سلم عليه وعرفه ان كتاب داعيه الذي بدمشق ورد على جناح الطير يذكر ان الرسول ورد الى عامل دمشق في طلب الامام . فسار الامام من ساعته ولم ينزل بطبرية ، حتى اذا انتهى الى الرملة نزل بها عند عاملها وكان مأخوذا عليه عهد الامام عليه السلام.

قال جعفر الحاجب رحمة الله عليه في سيرته فلم يدر العامل من السرور بالامام كيف يخدمه ، وقبّل يديه ورجليه ، فاذكر انا قائم على رأس المهدي وهو وفيروز والعامل يتغدون اذ ورد عليه النجاب الذي ورد من بغداد الى دمشق بكتاب العباسي بالقبض على الامام عليه السلام ، وذكر صفته فقرأه العامل ودفعه الى المهدي ، فلما وقف عليه انكب على رجلي المهدي يقبلهما ويبكي ، فقال له الامام : طب نفسا وقرّ عينا فوالذي نفسي بيده لاملكن وليملك ولدي كثيرا من ممالك بني العباس ،فلا تخش ، فما ترى شيئا تكرهه ، فكتب العامل الى صاحب دمشق جواب الكتاب بانه ما رأى هذا الرجل ولا عرف صاحب هذه الصفة ولا علم بجوازه ان كان جاز ، وان لم يكن جاز فنحن نرصده على جميع الطرق ان شاء الله . فجدّد الامام ذلك اليوم البيعة على عامل الرملة واقام عنده يومه وليلته ، قال : وسقطت في تلك الليلة النجوم ، والمهدي والقائم عليهما السلام على سطح دار العامل ، والعامل معهما واصحابهما ينظرون اليها ، وقد انقلبت المدينة من الناس بالدعاء والابتهال الى الله عز وجل ، قال جعفر : فرأينا المهدي ع م وقد شد على يد العامل وقال له : هذه احدى دلائلي وبعض علاماتي ، ودعى الامام في تلك الليلة محمد بن عزيزة فقال له : نحن نسير بالغداة على بركة الله وعونه وارجع انت الى سلميّة فاجمع ما قدرت عليه من الغوغاء وسبّنا بما قدرت عليه ، واحمل العامة على هدم دورنا ، فاذا صح ذلك فاعمل على ان تقلب العلو على البركة التي تحته حتى لا يرى لها اثر ، فاذا فرغت من ذلك فاخرج الى النخلة التي على باب المدينة فاقطعها واظهر ان تحتها كانت تعقد العقود ليتم لك قطعها واقم بسلمية حتى يرد عليك امري بالقدوم في الاوان الذي يصلح فيه قدومك ان شاء الله .

وارتحل الامام ع م من الرملة الى مصر فاستقبله ابو علي باب الابواب ، وكان من افضل الدعاة واجلهم ، وبلغ مع الائمة مبلغا عظيما ، وحاز مقاما كريما، وكان ذلك اليوم مقامه بمصر يدعو الى الامام ، ويدلّ على فضل من اتبعه من الانام ، فتقدم اليه الامام ان لا ينزله عنده لكي لا يظهر امره ويشتهر خبره ، وان ينزله عند من يثق به ممن لا يتهم بامرهم ولا يشار اليه بولايتهم . فانزله عند رجل يدعى ابن عيّاش، فما اقاموا الا يسيرا حتى ورد الكتاب الى عامل مصر في طلب الامام والقبض عليه. فارسل العامل الى ابن عياش واوقفه على الكتاب . فقال له ابن عياش اما الرجل النازل علينا فلا يصل اليه الا ما يصل الي ،وهو رجل شريف من وجوه التجار ، معروف بالفضل والعلم واليسار، وليس هو الذي انتم تطلبون ، والرجل الذي انتم مجدّون في طلبه قد بلغني خبره انه توجه الى اليمن قبل ورود هذا الرسول بمدة طويلة . فقال العامل لابن عياش : نحن نقضي حاجتك ونسعف طلبتك في هذا الرجل وحقه وشرفه ، ولكن لا بدّ ان نبدي عذرا في القبض لى بعض غلمانه ونقرّره خوفا من نقلة الاخبار ، والامر يجري له ولك فيه على ما تحب ويحب ان شاء الله . قال جعفر الحاجب : فكنت انا ذلك الرجل المقبوض عليه وضربت اسواطا يسيرة وقررت ، وكان الامام المهدي قد قال لي : لا توجعك نفسك اذا دفعتك للعامل فاني اريد ان تأتي سلمية وتستخرج القمقمين الذين امرتك بدفنها فانه لا يشعر غيرك بهما . فاذا وقفت للتقرير فقل :انا رجل خدمت هذا الرجل باجرة وصحبته لمدة قريبة ، وانا ارد عليه الاجرة وانصرف عنه الى بلدي . قال : ففعلت ما امرني به الامام وخلى العامل سبيلي ، فدخلت على المهدي بالله ليلا فقال : بكّر غدا حيث امرتك ولا تلو على شيء ، واحذر ان يعلم بك احد من الناس الا محمد بن عزيزة وولده ، وابن اختك حسن ، وانا انتظرك باطرابلس.

واظهر الامام مسيره الى المغرب وكان اصحابه يظنون ان قصده اليمن ، وسأل الداعي ابو علي الامام المسير معه ، ورغب اليه ان لا يفارقه ، فقال له الامام : بل تقيم بمصر الى الوقت الذي يتهيأ فيه قدومك ان شاء الله ، فسمع واطاع قوله ووقف بمصر على شدة الرغبة منه في صحبته والكون معه .

واما فيروز فاحزنه مسير الامام الى الغرب واستبعد المسافة فتخلّف بمصر وسار الى اليمن ، وكان الامام المهدي بالله ع م يقول :عجبت لرجلين من شيعتنا احدهما تغمه مفارقتنا والآخر تغمه صحبتنا، ووصل فيروز الى داعي اليمن ابي القاسم المنصور قدس الله روحه ، فاحسن لقاءه ، واكرم مثواه ، لما كان يعرف له من القرب من ا لائمة ص ع ، ثم ان فيروز اراد ان يضله ويغويه ، فوجد نيته في ولاء الائمة ع م قوية ، ونفسه بتشعشع انوارهم مضيئة ، فلما لم يجد فيه حيلة توجّه الى علي ابن الفضل فوجد فيه مراده ، واستفزهما الشيطان ، وصارا من اهل الضلال والطغيان ، وخرجا من جملة اهل الايمان، فظفر منصور اليمن بفيروز فقتله وحارب علي بن الفضل وكان من امرهما ما قدمنا خبره ، حتى اهلك الله علي بن الفضل وصير روحه الى النار ، والحقه بامثاله من الكفار ، كما قدّمنا ذكره وشرحنا امره .

ولما انتهى الامام الى اطرابلس وقف فيها حتى قدم عليه عبده وخادم دولته جعفربن علي المكني جعفر الحاجب ، من سلمية بما وجّهه في طلبه ، فارتحل الامام ع م الى قسطيلية وهي يومئذ لزيادة الله بن الاغلب ثم خرج منها الى توزر . وخرج على طريق سجلماسة فوافاه في طريقها رجل يسمى المطلب ، من آل المطلب ابن عبد مناف ومعه ولده ، فوجد فيهما الامام خلقا وسيما وعقلا كاملا ، فكان من امرهما ان اخذ عليهما عهده وقرّبهما منه وسارا في صحبته الى سجلماسة ، ثم توجها عن امره الى القيروان وقال لهما المهدي بالله عليه السلام : لولا انها تجري علىمن معي محن شديدة وامور متبعة لما رضيت فراقكما لي ، ولكن اذا توجه داعينا الى سجلماسة فارسل ابنك معه ، وودعاه وانصرفا الى القيروان.

ونزل المهدي بالله عليه السلام سجلماسة ورئيسها وصاحب امرها اليسع بن المنتصر بن مدرار، وانتشر ذكر المهدي بالله في المدينة كلها ، وتحدّث الناس ان هذا الرجل له شأن من الشأن ووقع له في قلب كل من رآه الهيبة والجلالة ، وقيل لليسع ابن المنتصر بن مدرار: انه قد دخل بلدك رجل جليل من كبار تجار الشرق، ووصف له ولهج الناس بذكره، ثم انه ص ع دخل على اليسع بن مدرار فاكرمه واقبل عليه ، ثم خرج ع م من عند اليسع فقال اليسع لاصحابه بعد خروجه : زعمتم ان هذا تاجر ؟ والله ما هذا تاجر ، لقد رأيت تجار المشرق والمغرب ، ولكن هذا رجل عظيم الشأن اغضبه اهل بيته فخرج عنهم وفي نفسه اشياء الله اعلم بها .

وكان المهدي بالله عليه السلام يواصل صاحب سجلماسة ويهدي اليه ، وكان اليسع يوجب حقه ويعظّمه الى ان اتاه كتاب زيادة الله لما اتصل به مسيره اليه يخبره ان هذا الذي يدعو ابو عبد الله اليه ، وتواترت الاخبار والكتب بذلك الى اليسع بن مدرار ، وكان اليسع يسأل الامام عن ذلك فلا يبوح له بشيء من امره للتقية ، الا انه اخبره بنسبه ، وقال : انا من اولاد الحسين بن علي عليه السلام ، وكتم له امره ، وكون الدعوة اليه باليمن والمغرب .

وتقدم الامام الى جعفر الحاجب وامره فاشترى له غلاما سمّاه صندلا ، وكانت له شجاعة رزقه الله بها الشهادة مع القائم عليه السلام ، واشترى لمولانا القائم عليه السلام عبدا يسمى مسلما ، واستعد لما يجري عليه من الامتحان له ولولده عليهما السلام ، حتى كأنه يعلم ذلك ، وذلك مما علمه الله رسوله صلع ، وانتهى علمه الى آله عليهم السلام .

واقام المهدي في سجلماسة وكتب دعاته تصل اليه ، وابو عبد الله يعلمه بما يهيء الله من النصر على الاعداء وعلو الامر للاولياء ، وان ذلك ببركة ايامه واقبال دولته وظهور مملكته ، وكان لليسع اخ لعين سيء الاخلاق، فما زال باليسع وخوفه امر المهدي حتى حمله على ان ضيق عليه وتركه بداره التي كان بها لم يبرح منها ، وفرّق بينه وبين ولده الامام القائم بامر الله ، ونقله الى دار اخرى ، واخذ جعفر الحاجب وطيب وابا يعقوب القهرمان، فرمى بهم في السجن ونالهم بالاذى والضرب ، وحمى الله منه المهدي عليه السلام وولده ، فلم يكن منه اليهما غير ان تواعدهما وفرّق بيهما ، واما جعفر الحاجب واصحابه فانهم لقوا الشدة والاذى حتى قال جعفر الحاجب : لقد استدعيت السجان وطلبت ماء لاشربه فكان جوابه ان رمى فمي بفهر كسر به اسناني وسقاني دمي وضرب القصب تحت اظفاري.

وحين استقر امر ابي عبد الله برقّادة، وهيأ فيها ما اراده لم يكن له هم ولا شغل الا الخروج الى سجلماسة لاستنقاذ الامام من اضداده وتخليصه من اهل عناده ، فاستخلف على افريقية ابا زاكي تمام بن معارك وترك معه اخاه ابا العباس محمد بن زكريا . وخرج ابو عبد الله من افريقية يريد الى سجلماسة في شهر رمضان من سنة ست وتسعين ومائتين ، ومعه كتامة واهل الحرب من رجال افريقية وابطالها ، وابقى مع ابي زاكي روابط في سائر البلدان ، واخذ ابو عبد الله الجادة ولم يعدل الى بلد كتامة ، واهتز اهل المغرب لخروجه ومالت القبائل عن طريقه، وخافت زناتة ان يوقع بها ، وكان قد توعّدهم لقتلهم الرسل الذين قدمنا ذكرهم حين رجعوا اليه من المهدي عليه السلام ، ولقيه محمد بن خزر وهو يومئذ زعيم زناتة والبربر وسأل الامان فامنه وقومه بعد ان استخلفه

قال ابو عبد الله بن الاسود بن الهيثم رحمة الله عليه : ولما سار ابو عبد الله بلغنا شوانع كثيرة على العسكر الذين معه وكثر خوض الخائضين من اجله ، فلما كانت ليلة الفطر دخل ابو زاكي وسهل بن بركاس وابن القديم الى ابي العباس اخي ابي عبد الله فسألوه ان يقعد للناس يوم العيد ويدخلون اليه ، فكره ذلك وامتنع منه ، فقالوا قعودك مما يجدد الدولة وينفي الشناعات فانه قد شنع على العسكر باخبار سمجة كرهنا ان نخبرك بها ، وقعودك للناس يبطلها ، فاجابهم الى ذلك وامر باصلاح الاطعمة وشراء الغنم ، فلما صلى الناس انصرفوا اليه ودخلوا مسلّمين عليه ،فامر لهم بالطعام فاطعموا ووعظهم واسمعهم ووعدهم بكل فائدة من عاجل الدنيا وآجل الآخرة ، فانصرف الناس عنه حامدين شاكرين على ما وهب لهم وجدده فيهم من المواعظ والخيرات والبركات.

ثم انتصب للدعوة وسارع الناس اليه وشد شكيمة المروزي الذي اقامه ابو عبد الله للقضاء ، وامره باظهار قول آل محمد صلع وان لا يظهر احد من كتب مالك وابي حنيفة شيئا ، وقال : اجمعوا امركم واصلحوا ذات بينكم تسعدوا وتفلحوا ويعل امركم على غيركم فسارع الناس اليه واجابوا دعوته.

ولما قرب ابو عبد الله من سجلماسة وانتهى خبره الى اليسع ابن مدرار صاحب امرها انه اليه قصد ، ارسل الى المهدي بالله عليه السلام يسأله عن نسبه وحاله وهل قصد ابو عبد الله اليه ، فاظهر له نسبه اذ لم يسعه ان يكتمه وقال في عبد الله : ما والله اعرفه – وكذلك كان امره ، لم يكن الامام رآه – انا رجل تاجر ، وما انا من هذا في شيء ، وذلك انه اتقاه وخافه على نفسه فحماه الله ورفع عنه ايده، ووقاه كيده، وارسل ابو عبد الله الى اليسع بن مدرار يعرّفه خبر قدومه ويسكّن ذعره ويعلمه ان قصد مولانا الامام الى بلده نعمة من نعم الله تعالى ان عرف قدرها وادى الى الله شكرها نجى وسعد وسلم في نفسه وماله واهله وحاله وجميع من في بلده ، وان جهل ذلك فحظه اخطأ ، وازداد من الله بعدا واستحق منه سخطا ، ووجه ايضا ابو عبد الله الى اليسع خادما له يسمى شفيعا يعرّفه انه ان اخرج اليه امير المؤمنين صرف عنه الجيوش وعن مدينته ، واعطاه مما يرجوه غاية امنيته ، فامتنع ابن مدرار وقتل شفيعا الخادم واصحابه ، وبلغ ذلك ابا عبد الله فارسل اليه رسلا اخر ، منهم محمد بن حي اليشكري ويعلي بن باطيط الرماني وخوّفه وعرّفه انه ان عصى وتمادى في بغيه وامعن في غيه اوقع به . فامتنع ابن مدرار وعمد الى الرسل فحبسهم وكبلهم . وزاد في الحرس الموكّلين بدار المهدي ، وعذّب المأسورين معه من اصحاب الامام ، فاستعان ابو عبد الله بالله سبحانه وعبأ عساكره ودنى من المدينة فخرج اليه اليسع بن مدرار فوقع بينهم القتال ساعة وقتل من اصحاب ابن مدرار جماعة ، واقتحم عليهم العسكر ودخلوا معهم الى مدينتهم ، وكان ذلك قرب المساء فخالط الظلام ، ورجع عسكر ابي عبد الله حيث كان ، فلما جنّ الليل هرب اليسع بن مدرار في بني عمه واهل بيته ، وبات ابو عبد الله ومن معه طول تلك الليلة في غم عظيم وهم اليم لا يعلمون ما صنع بولي الله عليه السلام ولم يمكنهم دخول المدينة في الليل ،ولم يعلموا بهرب اليسع حتى اصبحوا ، فخرج اليهم وجوه اهل البلد فاعلموهم بذلك ودلوهم على مكان المهدي بالله صلوات الله عليه فاستخرجوه .

وظهر امير المؤمنين المهدي بالله وولده القائم محمد بن عبد الله الى اوليائهما وشيعتهما فسروا سرورا عظيما استفزهم وكادت له ان يطيش عقولهم ، وقرّب لهما فرسان فركباهما ، وحف المؤمنون بهما ، والدعاة يمشون حولهما ، وابو عبد الله يمشي بين ايديهما ويقول مشيرا الى المهدي عليه السلام : هذا مولاي ومولاكم ايها المؤمنون ، ويحمد الله ويشكره ويبكي لشدة الفرح ، وضرب ابو عبد الله للمهدي بالله ع م مضربا فجلس فيه ، ولما اجتمع بولده القائم بامر الله لم يكن له هم غير غلمانه الذين كانوا في حبس اليسع فقتدّم الى عبد الله ان لا ينزل عن فرسه حتى يصلوا اليه فامر ابو عبد الله بطلبهم . وكانوا قد خرجوا من السجن حين هرب اليسع بن مدرار ، واشتغل الناس بالسلام على الامام المهدي بالله ع م ، وطلبوهم حتى وجدوهم في الدار التي كان فيها الامام . قال جعفر الحاجب : فلما رأنا ابو عبد الله نزل عن فرسه ونزلنا اليه فعانقنا واحدا واحدا . فاما انا فاقسم علي برأس مولانا ان امكّنه مما يريد مني ، ففعلت فكشف عن ظهري وقبل الجراح التي فيه اثر الضرب، واخذ يدي جميعا وقبّل اظفاري وعيني جميعا ، وقبّل ظهر طيب الحاضن ، ولم يقتل من ابي يعقوب شيئا ، ومشى معنا الى مضرب الامام ونحن معه ، فاذا القائم ع م على باب المضرب قادما ينتظرنا وكأنه القمر الطالع ، فلما رآنا استبشر بنا وضحك الينا ، ودخل معنا الى امير المؤمنين المهدي بالله عليه السلام فوجدناه جالسا على سريره في وسط المضرب كأنه الشمس المنيرة، فقبل الارض ونحن نبكي وهو يضحك ويسجد لله سبحانه ويحمده ويشكره ويمجده ، ثم قال لصندل : هات الحلتين اللتين عزلتهما في التخت الفلاني ، فاتاه بهما ، فلبس واحدة وكسا القائم ع م الاخرى ، ثم قال: هات السيوف والثياب التي عزلتها في التخت الفلاني لهؤلاء ، قال جعفر : فبدأ بداعيه عبد الله فكساه بيده وعمّمه وقلّده سيفا ، ثم دعاني فخلع عليّ ثوبا تحته ثوب ديبقي ، وعمامة وسراويل وخفا وقلّدني سيفا ، وفعل بطيب وابي يعقوب كذلك وقلدهم بالسيوف

قال جعفر : وكان قد اعدّ ذلك من اول ما خرجنا من سلمية ، ثم تقدّم الى ابي عبد الله فضرب له مضربا واسعا وفرش فيه فرشا نفيسا ، وتقدّم اليه بان يقدّم الناس اليه بالغداة يسلّمون عليه على مراتبهم ، فقال ابو عبد الله : القوم يا مولانا فيهم جفاء ، وهم متشوقون الى النظر الى مولانا ع م فيأمر من يراه من عبيده هؤلاء يقف على باب المضرب ، واقف انا للناس واقدّمهم عشرة عشرة ، فاذا فرغت من الدعاة منهم والقواد قدّمت من دونهم خمسين خمسين ثم مائة مائة ، ثم خمسمائة خمسمائة ، ثم اجزت باقي العسكر بين يدي مولانا مواكب حتى اعمهم بالنظر الى وجه مولانا عليه السلام واستكمل سلامهم عليه ، فقال الامام ع م : هذا صاحبك الذي طلبت واشار الي ،

قال جعفر : فلما اصبحنا جلس امير المؤمنين على سرير قد جعل له في المضرب وكأن الشمس قد طلعت من بين عينيه ، ووقف القائم بالله عند يمينه متقلّدا سيفا ملتصقا بالسرير كالبدر عند تمامه ، ووقف اصحاب الامام عليه السلام دونه ، وبشرى وصندل عن يمين السرير بيديهما مذبّتان وهما يذبّان على رأس المهدي بالله وانا على باب المضرب قائم على سيفي وابو عبد الله بينه وبين المضرب قدر مائتي خطوة ، وهو يدعو باسماء الدعاة والقوّاد ويقدّمهم ، اذا اجتمعت له منهم عشرة قدّمهم اليّ عشرة عشرة ويقول لهم : امشوا برفق حتى تصلوا الى ذلك الحاجب القائم بباب المضرب ،

قال جعفر رحمة الله عليه : ومن ذلك اليوم كنت الحاجب ، فكنت اقدّمهم عشرة عشرة يسلّمون ويدعون فيبارك عليهم ، ويشكر لهم سعيهم ويعرّفهم ما اعد الله لهم من جزيل الثواب في عاجل الدنيا وآجل الآخرة

قال جعفر : فما زلنا على هذا يومنا اجمع ، ثم اقام بعد ذلك يجلس لهم والعساكر تمرّ بين يديه قبائل وافخاذا الى ان فرغت العساكر ثلاثة ايام .

وقد كان الامام عليه السلام امرابا عبد الله ان يأمرعسكرا فيتبع اليسع فامرهم فمضوا في اثره حتى اخذوه ، ووجدوه في بلاد السودان فاتوا به وباصحابه اسرى الى امير المؤمنين ص ع وسأل القائم بامر الله المهدي الله عليهما السلام ان يهب له اليسع ففعل ، وعفا عنه وحمل مع العساكر المنصورة ، فلم يأكل ولم يشرب ولم يكلّم احدا حتى مات ، واقام المهدي ع م بسجلماسة اربعين يوما.

ثم نهض الامام عليه السلام بالعساكر يريد افريقية ، وكانت اخبار ابي عبد الله قد انقطعت عن افريقية وارجفوا به وكثرت الاشانيع ، فلم يكن اوشك من قدوم البريد بفتح سجلماسة وما كان من امر امير المؤمنين المهدي بالله وظهوره وكتاب من ابي عبد الله. وفص الكتاب :

باسم الله الرحمن الرحيم ، اما بعد ، فالحمد لله الهادي الىتوحيده بآثار صنعته ، والداعي الى معرفته ببراهين حجته ، الذي سبقت مشيئته وجرت حكمته باعزاز اوليائه الذين نصروا دينه وقاموا بحقه ، واذلالا لاعدائه الذين عندوا عليه وكفروا نعمته ، ولم ينتصب لاوليائه ناصب الا كان طاعنا في الدين الذي نصروه ، وعدوّا للحق الذي اقاموه ، لانهم يقدّمون الحجة امام سيوفهم ، والدعاء قبل مناجزتهم ، الاناة دون مقاتلتهم ، ثقة منهم بان المحجوج من فارق سبيلهم ، والمضلول من خرج من جماعتهم ، فالاناة تظهر حقهم وتكشف باطل اعدائهم ، فمن عاد الى الحق تلقّوا بالقبول انابته ، ومن اصرّ على باطله ناجزوه بعد اقامة الحجة عليه ، ولم يجعل الله لمصرّ اقالة ، ولا لمعاند مقيم على الذنب توبة ، بل يحل بأسه ونقمته به ، والله اشد بأسا واشدّ تنكيلا .

وقد كنت قصدت سجلماسة على بعد شقتها وانتزاح مزارها لاقضي حق الله جل ذكره ، واؤدي فريضة من فرائضه ، واظهر حجة من حججه في ارضه ، واستنقذ ابن رسول الله صلع من بين اوباش وطغام ، طلبا لرضوانه والزلفى لديه ، فلما دنوت منها قدّمت الامان الى اليسع بن مدرار كعادتي في البلدان ، ونويت اخذ حاجتي منه ، والانصراف عنها من غير ان اهيج فتنة واثير غبارا ، فكتبت اليه كتاب الاخ الى اخيه استعطفه واؤمنه وادعوه الى عقد الاخاء بيني وبينه في اخراج ابن رسول الله صلع رغبة في الابقاء عليه وعلى مؤازرته ، وحفظا لما ضيّعه ، فمنع جانبه وقطب حاجبه ، فاظهر الانفة من دخول رسلي اليه وامر بقتلهم خلافا لسنة رسول الله صلع وما جرت به العادات في جميع الملل من ترك التعرض بالمكر للرسل. ثم استظهرت الحجة عليه واعدت رسلا اليه طمعا في اجابته ورجوعه الى ما هو اسلم اليه واعود له . فاعتقل الرسل في المطابق وثقلهم بالحديد وحبس ابن رسول الله صلع في اضيق المحابس ، ووكل به الحرس ومنع من ادخال الطعام عليه ، فبقي بابي وامي هو في المحابس اياما يواصل الصيام لعدم الطعام ، ثم استصغر فعل نفسه في حبسه اياه في ذلك الحبس فنقله الى اضيق منه وتواعده بالقتل ، طلبا منه لذحول رسول الله صلع فبعثت اليه اعده بالاحسان والامساك عن الحرب ، والانصراف عنه من غير ان اشرب من ماء مدينته ، فكلما ازددت الحاحا في طلبه زاد لجاجا في الامتناع ،عتوا على الله واصرارا على الكبائر واستكبارا ، وجهلا وخسارا ، فخسر الدنيا والآخرة ذلك هو الخسران المبين.

فلما رأيت ما عزم عليه الخائب من محاربته الله في ولد رسول الله صلع وامل فيه املا كاذبا ، ولله فيه وعد صادق ، وظن ظنا كاذبا ولله فيه قضاء نافذ ، وابى الا التسكع في جهالته والتوسع في ضلالته ، وآثر اطلاق الحرب من عقالها ، واثارة غبارها ، هززت اليه انصار الحق وحملتهم على مناجزته ، فوجدت نياتهم بالله مستحكمة وبصائرهم نافذة في محاربته ، فدلفت بهم اليه مستنجزا ما وعد الله اولياءه في اعدائه ، وجالت الخيل جولة ، وعادت كرة بعد كرة عليهم طعنا بالرماح وضربا بالسيوف ورشقا بالسهام ، فلما مس الفسقة اليم القتل والجراح ادارت الحرب عليهم رحاها ، وعلموا ان ليس لهم من الله عاصم ، ولا من اوليائه موئل ن ولّوا منهزمين على اعقابهم ، واخرج الفاسق الخائن راغما ما كنت طلبت منه راغبا ، وحجز الظلام بيننا وبينهم ، ثم عاودهم انصار الحق من غدهم واخرجوهم ، وتحكم الاولياء في مدينتهم، واضرموا نار الحرب فيها وجاسوا ديارها ، واتخذ الخائن الليل سجفا فهرب تحت ظلمائه على وجهه الى بلد السودان لا يلوي على اهل ولا مال ، فمنعت حرمته وصنتها واسدلت ستر العافية عليها احتسابا بالثواب لله . ثم قفوت اثر الخائب في طلبه عشرة ايام حتى امكن الله منه بلا عقد ولا عهد ، فاتيت به في وثاق الى ولي الله صلع ليكون عظة لاهل الشقاق وعبرة للعالمين.

والحمد لله المعز لدينه ، المكرم لاهل حقه ، الذي وصل اسباب السعادة بطاعته ، وجعل عاجل الفتح والظفر ، وآجل الثواب والفوز لاوليائه ، ان جادلوا كانت الحجة لهم ، وان حاربوا كان النصر معهم ، حمدا قاضيا لحقه ، موجبا لمزيده.

وامير المؤمنين ولي الله وابن رسوله على افضل ما جرت عادة الله الجميلة عنده في نفسه وولده وانصار دولته، وهو قادم على بركة الله وسعادته ونصره وتائييده ، والسلام.

فلما وصل كتاب ابي عبد الله هذا الى ابي زاكي وقرأه امر به ان يقرأ على المنبر ، فقرئ وسر الاولياء سرورا عظيما وابطل الله شناعات المشنعين، وكذب قول المرجفين ، وسارت بذلك الاخبار في البلدان بظهور المهدي بالله عليه السلام فسرّ به الولي وكبت العدو واستبشرت له عامة الناس ، وانتظروا قدومه وتطلعت اليه اعينهم وتشوقت اليه قلوبهم.

وقد كان وصل الى امير المؤمنين المهدي بالله عليه السلام اهل درعة والسوس الاقصى ومن الاطراف ، وهو بسجلماسة ايام مقامه فيها يهنئونه بالفتح ويسلمون عليه ، واقام رجلا يقال له ابراهيم بن الغالب عاملا في سجلماسة .

ورحل عليه السلام يريد افريقية يوم الاثنين لثمان بقين من المحرم سنة سبع وتسعين ومائتين ، ونظر بعض المنجمين اوان مسير امير المؤمنين والطالع القوس والشمس في الميزان والمشتري راجع في الحمل والمريخ في السنبلة والزهرة في العقرب وعطارد في العقرب ، والرأس في الجدي تسع وعشرون درجة ، فقال المنجم للامام ع م وقد ركب في هذا الطالع :يا مولانا لو اخرت المسير لرجوع صاحب الطالع وقوة المريخ ؟

فقال ص ع : المسير على اسم الله ع ج ونصره ، والمريخ والدولة لنا، وسار ولم يعج على قول المنجم .

وكان احمد بن خزر الزناتي قد وصل الى تاهرت واختطف منها ما قدر عليه وولّى هاربا ، وعلم ذلك امير المؤمنين حين وصوله الى تاهرت ، فانفذ اليه بعض الاولياء فولى منهزما ، وادركوا من ادركوا من اهل بيته وغنموا اموالهم .

ورحل ص ع من تاهرت بجنوده وانصاره واوليائه حتى نزل بتامقلت فامر باخراج الجيوش الى سديده فخرجوا اليهم وهم في اوعار منيعة وجبال رفيعة ، فدخل الاولياء عليهم ووضعوا السيف فيهم فقتلوا اقبح قتل .

ورحل الامام ع م من تامقلت فنزل بمكاتيت ، وحين صار بازاء بلد كتامة مال اليها ووصل الى ايكجان ، وامر باحضار الاموال التي كانت بايدي الدعاة والمشائخ ، وكانوا قد دفنوها هنالك فاحضروها ، فامر بقبضها منهم وشدها احمالا ، وكان ذلك اول ما خامر القلوب لما قد الفوه وعوّدوه من كون الامر والنهي والتقديم والتأخير في ايديهم ، وقد جاء الحق وبطل ما كانوا يعملون.

ولما وصل ولي الله الى ايكجان امر ابا عبد الله ان يكتب كتابا الى ابي زاكي يعرّفه فيه بوصوله ، فكتب ابو عبد الله كتابا وانفذ به ، فلما وصل قرئ على المنبر برقّادة ، وكانت نسخته :

بسم الله الرحمن الرحيم ، اما بعد ، فالحمد لله ناصر دينه ومعزّ وليه ، الذي اظهر دينه على سائر الاديان ، ووليه على من ناصبه من اهل الظلم والعدوان ، وكتابي هذا اليك من ايكجان، دار الهجرة ومستقر الايمان، وقد وصل مولانا و سيدنا المهدي بالله صلوات الله عليه وآله وولده ، بلغ الله به افضل آماله اليه في جميع اوليائه الذين كانوا معه من المؤمنين ، احسن وصول واهنأه ، واسره وارضاه ، فاضاءت لقدومه دارالهجرة ، وسر المؤمنون والمؤمنات الذين خلفهم العذر عن الجهاد ، ومن كنا اقمناه لضبط المكان به ، واقبلوا من كل حدب ينسلون اليه ، ومن كل افق يسعون نحوه ، يتباركون بالنظر اليه ويستشفون برؤيته ، ويحمدون الله تعالى على ان بلغهم انجاز وعده ، وظهور امره ، وبادروا بامانات الله التي كانت في ايديهم وخرجوا من حقوق الله عليهم ، ووضعت الحرب بحمد الله اوزارها ، واطفأ الله نارها ، واهلك الله من اثارها ، وفرّق الله انصارها ، وامير المؤمنين على النهوض الى افريقية ، ويقدّر بتقدير الله وتوفيقه ، وعونه تيسيره ، ان يكون وصوله يوم الخميس لعشر بقين من شهر ربيع الآخر سنة سبع وتسعين ومائتين ،فاعلم ذلك وكن على اهبة منه ومن قبلك واحمدو الله على ما اولاكم من ذلك ، وان فسح لكم في آجالكم الى ان بلغتموه ، وارغبوا اليه في تمام ذلك بالنظر الى مولاكم ورضاه عنكم . والسلام.

فلما وصل الكتاب بذلك وقرئ وانتشر الخبر به فتضاعف سرور الاولياء ، وانقطعت الشناعات ، وذهبت الاراجف ، واستعد الناس وتأهبوا للقائه وتاقت نفوسهم واستشرفت اليه ، وكان مقام الامام عليه السلام في ايكجان عشرين يوما حتى اصلح من امور البلد ما اراده واستعمل يحيي بن سليمان الملوسي على الزاب ، وامر كثيرا من المؤمنين برفع عيالاتهم الى رقّادة .

وسار ص ع فتلقّاه الناس وخرج للقائه ابو زاكي تمام بن معارك وابو العباس وجميع الاولياء واهل القيروان في جموع لا تحصى عددا يسلّمون عليه ويهنّئونه .

قال ابو عبد الله بن الاسود بن الهيثم – وكان مقيما مع ابي العباس بعد خروج ابي عبد الله ، وهو ممن دعاه ابو عبد الله فاستجاب له ، وكان من اهل بيت تشيع وفيه فضل وله عقل وبحث وبيان ، ونظر في الفقه ، وكان قد اخذ كثيرا من ظاهر علم الائمة وباطنه عن ابي عبد الله ، واقام مع ابي العباس بعد مسير ابي عبد الله فاستفاد من علمه ، وكان من اهل الفضل وبلغ مع الائمة عليهم السلام مبلغ الدعاة ، قال فيما اتى عنه :

وورد كتاب ابي عبد الله الى اخيه ابي العباس والى ابي زاكي بوصول مولانا ع م الى ايكجان ، موضع الدين ومعدن الايمانا ، فجهزوا للخروج اليه فانفلق الاصباح وظهر الفجر وجاء النهار وذهب الليل، وابتهجت النفوس وانارت القلوب لوورد خبره ، فيا لها فرحة لا تنسى ، وضياء لا يطفأ ، ونورا لا يخفى ، ذلك الذي لم يخف فضله ، وجاء الحق وزهق الباطل ، وغارت النجوم وظهر امر الحي القيوم.

فخرج ابو العباس وخرجنا معه فلقي الامام ع م بفج سبية ، فلا انسى طلعته السعيدة وبهجة نوره وضياء وجهه ، وعلو قدره ، وكمال خلقه ، وبهاءه في فخره ، فلو قلت ان الانوار المضيئة خلقت من فضل نوره لقلت حقا ويقينا ، وصدقا مبينا ، فنزل ابو العباس اليه وقبل الارض وتمعك بين يديه ، ونزل اليه اخوه ابو عبد الله وجميع الاولياء من كتامة وغيرهم من اتباعهم ، ولم يبق راكبا الا امير المؤمنين صلوات الله عليه ، الشمس المنيرة، ومولانا ابو القاسم ، القمر الزاهر ،والنور الباهر ، فهما نور الدنيا ، ومولانا ابو القاسم خلف امير المؤمنين، فسلم ابو عبد الله على اخيه ، وقرّبني ابو عبد الله الى مولانا عليه السلام وقال : يا مولانا هذا الذي عرّفتك بخبره بسجلماسة ، وتكلم ابو العباس وشكرواثنى ، قال : فلا انسى قول مولانا صلوات الله عليه : احسن الله اليك ، وبارك لنا فيك ، وشكر سعيك، انتم شيعتنا حقا ، واهل ولايتنا ، ومن احبنا قديما

ثم ركب الناس و حرّك امير المؤمنين دابّته للمسير ، وقرّب ابا العباس الى نفسه وامرني بمسايرته ، فاشرقت الارض بنوره ن وشرفت الدنيا بحلوله ، وفضل المغرب بكونه فيه وملكه اياه.

وكان دخول مولانا امير المؤمنين المهدي بالله صلوات الله عليه مدينة رقادة من الباب القبلي لاحدى عشرة ليلة بقيت من شهر ربيع الآخر سنة سبع وتسعين ومائتين، فنزل القصر المعروف بابي الفتح ، فاستقر الملك على ساق ، وظهر نور الله في الآفاق ، وقر الامر في قراره، وقضى الله لدينه نصر انصاره ، وزال ظلم اهل العدوان، وارتفعت راية الاسلام والايمان، وطلعت الشمس من مغربها وظهرت على رأس الثلاثمائة كما وعد النبي صلع بها ، وزالت الظلمة التي شملت الامة بغيب النبي والوصي ، وخفت كل مارد وعصي ، واقبل الدين بوجهه الرضي ، واشرقت الارض بنوره الوضي، وعاد زمن الاسلام جديدا ، وارغم الله من كان لاوليائه عنيدا.

ولما كان يوم الجمعة من غد يوم وصول امير المؤمنين الى دار مملكته وما افاء الله به عليه من عز دولته ، اخرج الامام توقيعا امر بقراءته على المنابر في الامصار وانفذ به الى خطباء رقادة والقيروان، وامرهم بالدعاء به بعد الصلوة على النبي محمد المختار ، وذكر وصيه امير المؤمنين علي ا بن ابي طالب ، وفاطمة والحسن والحسين والائمة من ذريته الاطهار كما كان في الخطبة اوان ابي عبد الله رحمة الله عليه ، ويقال بعد ذلك : اللهم صل على عبدك وخليفتك القائم بامر عبادك في بلادك ، عبد الله محمد الامام المهدي بالله امير المؤمنين ، كما صليت على آبائه الراشدين المهديين الذين كانوا يقضون بالحق وبه يعدلون ، اللهم وكما اصطفيته لولايتك واخترته لخلافتك وجعلته لدينك عصمة وعمادا ، ولخلقك موئلا وملاذا ، فانصره على اعدائك واشف به صدور المؤمنين ، وافتح له مشارق الارض ومغاربها كما وعدته ، على العصاة الظالمين ، اله الخلق رب العالمين.

وكتب امير المؤمنين المهدي بالله ص ع كتابا امر بقراءته على منبر القيروان ووجّه نسخته الى البلدان ، وهذه نسخته :

باسم الله الرحمن الرحيم ، والحمد لله رب العالمين ، من عبد الله ووليه ابي محمد الامام المهدي بالله امير المؤمنين الى اشياعه من المؤمنين ، وجميع المسلمين ، سلام عليكم ، فان امير المؤمنين يحمد اليكم الله الذي لا اله الا هو ، ويسأله ان يصلي على محمد نبيه وعبده ورسوله .

اما بعد ، فالحمد لله الذي رفع عمد الحق واعزّ اهله ، ونكّس الباطل واذلّ حزبه ، القادر فلا يعارض في قدرته ، العزيز فلا يغالب في امره ، الناصر لدينه الذي رضيه لنفسه ، وشرّفه باكرم انبيائه عليه واعلاهم درجة عنده واشرفهم منزلة واقربهم وسيلة لديه ، محمد صلع حامل حكمته ، ومستودع غيبه وما يكون من بعده من كيد الكائدين وخيانة الخائنين وظلم الظالمين ، الى اهل بيته الذين سبق لهم وعده فيهم بالنصر والتائيد ، والعز والتمكين ، كما قال تعالى في كتابه المبين الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد : ونريد ان نمن على الذين استضعفوا في الارض ونجعلهم ائمة ونجعلهم الوارثين ، ونمكن لهم في الارض ونري فرعون وهامان وجنودهما منهم ما كانوا يحذرون ، وقال جل اسمه : ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر ان الارض يرثها عبادي الصالحون ، ان في هذا لبلاغا لقوم عابدين. وانجز جل جلاله وتقدست اسماؤه ، وعده لرسوله صلع فرد ارث النبوة ومقاليد الامامة الى عترة نبيه ، واعز الدين والمؤمنين ايدهم وانقذهم من الهلكة، في كل سكون وحركة ، بعبد الله ووليه ابي محمد الامام المهدي بالله امير المؤمنين ، واظهر بهجة الاسلام وجماله بقيام واخذه ترات جده النبي صلع وابيه الوصي رضي الله عنه ، وجعل اولياءه وانصار حقه اولي البصائر النافذة والنيات الصادقة من سادات العرب وانجاد كتامة ، فالقت عصاها الامامة في دارها ، وقرت عينها ، وانست وحشتها ، واستقر قرارها ، وصار امير المؤمنين طودا منيفا وجبلا راسيا على الارض وظلا ظليلا لاهلها ، فثبتت به وطأة الهدى ، وسكن اليه نفار التقوى وتقوم به ما كان منها متأودا من عمودها ، وانبرم ما كان منحلا من حبلها ، واجتمع ما كان مفترقا من شملها، وتلاءم ما كان متشعثا منها ، ببركة امير المؤمنين ويمن نقيبته ، وسعد نجمه ، وهبوب ريحه ، فداوى الاسلام من الداء العضال ، ورتق من فتوقه ما كان منخرقا ، وجبر من كسره ما كان لا يجبر ، ولاءم من صدعه ما لا يلا يلأم ، فهو مفتاح الرحمة ودليل الخير ، ذبا عن الحق ، وحياطة للدين ، وعناية بامور المسلمين ، والحمد لله رب العالمين.

فما يحاول امير المؤمنين عسيرا والحمد لله الا يسره الله ، ولا صعبا الا ذلّلَه، ولا وعرا الا سهله ، فاصبحت الكلمة به مجتمعة ، والالفة متصلة ، والدهماء ساكنة ،وقواصي الارض آمنة ، ووليه ممنوعا ، وعدوه ذليلا مقموعا ، وكل من قدح بزنده واحطب في حبله ، فمحكوم له بالنصر ومقضي له بالظفر ، وكل من نكب عنه وخان امانته ونقض عهده ، وخفر ذمته ، فقد باء بغضب من الله في الخلاف عليه ، واطلاق الفتنة من عقالها ، فكل من اوقد عليه الحرب احرقته بنارها وكلمته باظفارها ، وكل من تمسك بطاعته فقد تمسّك بالعروة الوثقى وفاز في الآخرة والاولى ، وكل من التمس وليجة غيرها فقد خسر الدنيا والآخرة ذلك هو الخسران المبين.

فاحمدوا الله الذي بلّغكم زمان امير المؤمنين واختصكم ببركة ايامه وسعادة دولته ، ولتنبسط آمالكم ، وليكثر بالثقة بعدله استبشاركم ، ولتنفسح بالمعرفة بحسن نظره صدوركم ، وليشتد تمسكـكم بحبل طاعته واسباب ولايته ، فانه لا يتصل بين الله وبين عباده سبب الا بمحبة آل رسول الله صلع ، قال الله جل ذكره : قل لا اسألكم عليه اجرا الا المودة في القربى ، وقال رسول الله صلع : ان مثل اهل بيتي فيكم كسفينة نوح من ركبها نجى ، ومن تخلف عنها غرق .

وجددوا الشكر لله على ما منحكم من رأفة امير المؤمنين ورحمته وتعاهده لاموركم وتغمده لكم ، فان الشكر احرس حفيظة لملابس نعمه ، واحفظ امنة لفواضل مننه ، وابعث مستمد لمؤتنف صنعه ومواد مزيده.

وامير المؤمنين يسأل الله ولي الاحسان والنعم والافضال ان يصلي على محمد النبي مفتاح الرحمة ، والمبلغ لرسالته ، الذي حباه بجوامع فضائله ومزيد كرائمه ، وان يشعره خشيته ومراقبته، وان ينفّذ بالتوفيق عزائمه ، وان يلهمه فيما استرعاه وناط به من امور عباده ، افضل ما الهم راشدا من خلفائه، وان يعينه على صالح نيته ، وان يبتليه باحسن بلائه ، ويوفّفه للعمل بطاعته والقيام بحقه حتى يقمع الكفر والالحاد ، ويدوّخ اطراف البلاد، وان يجعله خير امام احسن الى رعيته ، ورعيته خير رعية ادت حق امامها ، فان التوفيق به والمزيد من عنده ، والسلام.

فقرئ هذا السجل

ودعي لامير المؤمنين المهدي بالله صلوات الله عليه بالخلافة يوم الجمعة لتسع ليال بقين من شهر ربيع الآخر سنة سبع وتسعين ومائتين برقادة والقيروان ، والقصر القديم وجميع البلدان ، فاستبشر الناس بذلك وسرهم، واكثروا من الدعاء له ، ونقشت السكة باسمه ، وكتب الطرز برسمه ، وجاءت وفود البلدان من كل جهة ومكان، وواصل الجلوس للناس ، ورفعت شكاواهم اليه وازال المظالم ، واقام من الشريعة الغراء المعالم ، وامر باقامة الحدود ، واظهر تحريم الخمر ، وسائر جميع المحرّمات ، واقام الناس على سنة جده محمد عليه افضل الصلوات.

ووصل الجزري رحمة الله عليه بحرم امير المؤمنين ع م ، واذن لاوليائه فدخلوا اليه وهنؤوه بوصولهم ، وما هيأ الله من السلامة لهم ، وانشد الشعراء ،وكان ممن انشده سعدون الورجيني انشده شعرا اوله :

قف بالمطي على مرابع دور \* لبست معالمهن ثوب دثور

لعبت بها حتى محت آثارها \* ريحان ريح صبا وريح دبور

حتى انتهى الى قوله :

وسفيهة هبّت تصد عن النوى \* ويد النوى ملكت عنان مسيري

خافت علي من الخطوب لانني \* من قبل غبت وابت بعد دهور

ثم اجتمعنا بعد ذاك فيا لها \* مأسورة جمعت على مأسور

وكان الورجيني الشاعر المذكور قد اسر ببلاد الروم وفدي ، فاستعبر المهدي بالله ص ع حين انتهى الى هذا المكان من الشعر ، وتلقى عبرته بكمه فسكت سعدون فاومأ اليه المهدي بالله ص ع ، ان مرّ ، فمرفيها حتى قال :

اعن ابن فاطمة تصدّين امرأ \* بنت النبي وعترة التطهير

كفّي عن التثبيط اني زائر \* من اهل بيت الوحي خير مزور

فقال له ابو عبد الله وكان قائما بين يدي الامام المهدي بالله : صدقت هم افضل العالمين ، فقبّل سعدون الارض بين يديه ، ومرّ فيها حتى انتهى الى قوله :

هذا امير المؤمنين تضعضعت \* لقدومه اركان كل امير

هذا الامام الفاطمي ومن به \* امنت مغاربنا من المحذور

والشرق ليس لشامه وعراقه \* من مهرب من جنده المنصور

حتى يفوز من الخلافة بالمنى \* ويفاز منه بعدله المنشور

فقال امير المؤمنين : ما شاء الله ، ومر فيها الى ان ذكر ابا عبد الله فقال :

يا من تخير من خيار دعاته \* ارجاهم في العسر والميسور

حتى استمال اليه كل قبيلة \* ورمى اليه قياد كل عثور

اشبهت موسى وهو حيتك التي \* تلقى فتدمغ افك كل سحور

فنظر امير المؤمنين ع م الى ابي عبد الله وتبسّم ، فقال ابو عبد الله للورجيني : انا دون ذلك ببعد ما بين السحاب والتراب ، فامر له امير المؤمنين بصلة جيدة جزيلة ، وبأن يجري عليه لكل عام ، ووصله ايضا ابو عبد الله ، وكان من شعراء بني الاغلب الذين يمدحونهم

ومدح امير المؤمنين الشعراء بما يطول ذكره

واستعمل امير المؤمنين ع م وجوه كتامة على مدن افريقية الى حيث بلغت طاعته ، وقسم على كتامة الاعمال لكل عسكر منهم ناحية ، وامرهم بالتزين والتجمل باللباس ، فلبسوا خير الثياب وحلوا سروجهم ولجمهم بالحلي الثقيل ،واظهروا زيا حسنا ، واتسعت اموالهم وكثرت نعمهم ، واسبغ عليهم ولي الله العطاء ، واجرى عليهم الصلات ، ودوّن الدواوين ، واقام ديوان الخراج ، وكان قد احرق ايام هروب زيادة الله ، واصطفى اموال الهاربين مع زيادة الله ، وترك ما كان لنسائهم لهن ، وامر بسترهن وحفظهن ، واتخذ العبيد من السودان والروم، ونصب ديوان العطاء ، وامربطلب نهب رقادة فاسترجع من ايدي الناس وطولبوا به فاجتمعت منه اموال كثيرة ، وخلط وجوه بني الاغلب باوليائه ، وكانوا خافوا جانبه فامّنهم ، وكان وجوههم وكبراؤهم يدخلون اليه فمن يدخل، فيقرّبهم ويؤنسهم ويحسن اليهم ، واستعمل جماعة منهم في النفوذ بالعساكر ممن كان يصلح لذلك، فامنوا واطمأنوا ، وكان ص ع كثير العطاء والاحسان موصوفا بالكرم ، وقيل ان صاحب بيت المال رفع اليه تحصيل ما خرج من الصلات في شهر رمضان وقد بلغ مائة الف دينار من العين واستكثر ذلك صاحب بيت المال ، فقال امير المؤمنين المهدي بالله : لئن بلّغني الله الى حقي وبلغت املي ما رضيت بهذا العطاء باسره لواحد من اوليائي ، والجود بالمال مما كان يوصف به قديما المهدي ومع ذلك كان لا يضيع اقل شيء من المال ولا يستهين به ولا يترك منه واجبا ولا يصرفه في غير حقه ، وكان قد قطع الرقاق عن وصائف الحرم ، فكشف بعض الناس عن ذلك وعن العلة فيه ، فقيل انه دخل غير مرة حجرة من حجرهم فرأى منه شيئا قد يبس وطرح في الارض فنهاهم غير مرة فلم ينتهوا فامر بقطعه عنهم ، فلم يكن عليه السلام مع جوده العظيم وفضله العميم يترك شيئا يوضع في غير موضعه ، ولا يستخف بما آتاه الله من فضله ، وتلك سيرته وسيرة آبائه ا لطاهرين ، وابنائه الائمة الاكرمين ، ومما ورثوه عن جدهم سيد المرسلين، ونظر الناس من حسن سياسة امير المؤمنين وضبطه الاور وعدله وكرمه ما لم يظنوا انهم يرون مثله .

وانصف من المظالم، وكان يباشر سماعها بنفسه ويأخذ رقاع اهلها اذا ركب ، واذا جلس يسمع منهم شكواهم وينصفهم ممن خاصمهم بوجه الحق وسبيل العدل ، فمالت اليه قلوب الخاصة والعامة ، وعظم امره في قلوبهم واعينهم ، ورأى الناس من فضله وعدله ما انساهم ابا عبد الله ، ومالت القلوب الى الامام المهدي ع م ، واين تقع النجوم من الشمس اذا ظهرت انوارها وتعالى نهارها ؟

وكان ابو عبد الله في جميع ذلك يدين المهدي بالله بطاعته ويتواضع له ويخضع ويعلن بفضله في كل مشهد ومجمع ، مما يدل على صفاء نيته ، وخلوص طويته ، واعتقاد الواجب عليه في ذلك ، وعلى غيره من اتباع اولياء الله وطاعتهم والاقتداء في جميع الامور بهم ، ومعرفة فضلهم وعلو محلهم ، الى ان كان ما كان ، مما نذكره اذا انتهينا اليه ، ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم ، نسأل الله العصمة والثبات على طاعة اوليائه الائمة ، وان يجعل على ذلك محيانا ومماتنا بحق محمد وآله الطاهرين الطيبين ، صلوات الله عليهم اجمعين.

واخرج امير المؤمنين ع م ابا عبد الله الى الغرب وقد بلغه فيه فساده ، فخرج ابو عبد الله يوم السبت لثلاث خلون من ذي القعدة سنة سبع وتسعين ومائتين فانتهى الى طبنة ووافى بها ابن خزر الزناتي وقد انضم اليه قوم من اهل الخلاف من قبائل كثيرة فقتل ابو عبد الله ممن معه ابرح قتل ، وولى ابن خزر هاربا في شرذمة قليلة ، وتفرّق من كان معه ، وذلك في يوم الاثنين لاربع بقين من ذي القعدة من السنة المذكورة ، وكتب ابو عبد الله الىالامام المهدي ص ع بخبر الفتح ووجه برؤوس من قتل في تلك المعركة من وجوه زناتة وغيرهم ، واوقع ابو عبد الله بعد ذلك بوسفانة ومليلة ومدهنة وصبارة وغيرهم في موضع يقال له ناوليت وورد كتابه بذلك الى امير المؤمنين .

ونافق اهل تاهرت فخرج اليهم ابو عبد الله بجيوش امير المؤمنين المهدي وقاتلهم فقتلهم وكتب الى المهدي ع م بذلك .

وولى امير المؤمنين في تلك السنة صقلية وقلورية والارض الكبيرة الحسن بن احمد بن ابي خنزير الميلي فوصل اليها واقام فيها، ثم نافق عليه اهل صقلية فخرج عنهم

وزحف ابو عبد الله الى بلد جوار تارهت فتتبع عشائرها وقتل منهم قتلا كثيرا ، وكانوا قد باينوا بالخلاف ، وكتب الى امير المؤمنين بخبر ذلك في آخر ذي الحجة

ثم قصد مدينة تنس وقد اجتمع اليها قبائل كثيرة وازمعوا على اخذ مدينة تنس ، فزحف اليها ابو عبد الله في جيوش كثيرة فقتلهم اجمعين وغنم اموالهم ونعمهم ، ووصل الى امير المؤمنين كتابه بذلك ، وقصد وادي مدغر والخضراء فاوقع بمن فيها وقتلهم فسكنت الامور ، وانصلح الجمهور ، وصلحت احوال تلك البلاد وجرت على السداد ، وراح ابو عبد الله بمن معه من الجيوش الى حضرة الامامة سالمين غانمين ، وامدّ الله امير المؤمنين ، وارغم المخالفين والمنافقين واعز به الدين.

ثم انه بدأ الفساد، ورجع كثير الا من عصم الله عن سبيل الرشاد، وذلك ان ابا العباس محمد بن زكريا كان قد تطاعم الرياسة ، لانه حين قدم على اخيه ابي عبد الله اكرمه وعظّمه لما كان له من التقدّم في السنّ ولرياضته في العلم ، وكان ابو عبد الله يجله وذلك لما كان ا بو عبد الله رحمة الله عليه جرى عليه من حسن الآداب والتواضع وصفاء النية وصلاح العقيدة ، ولما خرج ابو عبد الله الى سجلماسة ، انصرف الامر باجمعه الى ابي العباس ، واقبل عليه الناس، فكان المقدم والمؤخر، والمورد والمصدر ، وحين قدم المهدي عليه السلام مالت اليه العيون ، وانقلبت الى تحقيق فضله الظنون، وظهر فضله على ابي عبد الله وابي العباس ، بحيث لا يتدانى بظن ولا قياس ، واين السحاب من التراب، وانّى يتقارب ذلك باي الاسباب ، فتداخل ابا العباس الحسد ، ولزمه ما لزمه من ضل وعند ، فاستزله الشيطان، واخرجه من الايمان، فنكث عهده وخان الله ربه ، وفارق حزب الله واختار الشيطان وحزبه ، فكان يطعن على ولي الله ويزري عليه ويوجّه اللوم عند اخيه ابي عبد الله اليه ، واخوه ابو عبد الله يتعاظم ذلك وينكره، وينهاه عن ذلك ويزجره ، وهو يتمادى في طغيانه ، ويتزايد في اثمه وعدوانه ، حتى جاهر ابا عبد الله فقال له : ملكت امرا وانطاع لك جميع الناس، فجئت بمن غيّر سياستك ونقصك رياستك ، وقبض عن البسط يدك ، وارى الناس باستقامة احواله اودك، واسقطك عما كنت فيه من رفيع المكان واضطهدك ، ولقد كنت حريا ان يملّك ازمة امره، ويخصك من كل فضل اديته بشطره .

فلم يزل يبكته بمثل هذا الكلام ويقرعه ، ويوصل معه ما استحكم في قبله ويترعه ، حتى اصغى اليه بعض الاصغاء ، وكاد سحره ان ينفذ فيه فيتبعه حين طغى وبغى ، فجاهر ابو عبد الله ولي الله فقال له على سبيل الناصحين : اني قد قوّمت هؤلاء الكتاميين واجريتهم على ما اردت من التقويم ، واخذتهم على ترتيب وتعليم، فاستقام لي امرهم وجلب نفعهم ، ودفع ضرهم ، فلو تركت الي امرهم وكنت في قصرك وادعا ، لكان ذلك اهيب لك واشد لامرك واعظم لسلطانك .

فما سمع ذلك المهدي بالله عليه السلام علم امره وما اضمره في ذلك واسره ، وتحقّق من حيث اتى ، وان ذلك من قبل اخيه ، وانه قد عمل سحره فيه ، واجابه عليه السلام بجواب لطف فيه القول ، ولم يعلمه انه قد علم ما يخفيه.

وحين تحقّق ذلك ابو العباس زاد في مكره واصراره ، وامعن في افساد اتباع ولي الله وانصاره ، واظهر من النفاق ما كان في اضماره ، فداخل المشائخ والدعاة ، وكانوا يعظمونه لما رأوا من تعظيم اخيه له ، وكان يرمز لهم في الطعن على الامام عليه السلام والعناد له فيما يبديه ويخفيه من الكلام، ثم لما علم قبول قوله خرج من الرمز الى التصريح ، وباح بسره مخرجا له الى الاعلان عن التلويح ، وداخلهم بانه لم يعطهم الامام ما استوجبوه من حقهم لجهادهم ، وان فعله لهم دون مرادهم ، وذكرهم اموال الله التي اخذها الامام من ايديهم ، وانه كان يجب ان يتركها ويصرف امرها اليهم ، فاجابه بذلك من اجاب وفشى فيه النفاق ، ودخل في ذلك جماعة من اهل افريقية في المساعدة على ذلك والاتفاق ، وكل ذلك يتصل بامير المؤمنين المهدي بالله عليه السلام ، وهو معرض عنه وغير مكترث بما يبلغه منه .

ثم ان ابا العباس دخل مع ابي عبد الله وغيره على وجه التحذير ، وقال لهم ان المهدي بالله قد علم ما انتم عليه وانا لكم منه النذير ، فانه لن يدعكم بهذه الحالة ، وانه مهلكـكم جميعا لا محالة ، فكثر النفاق واجتمعت كتامة عليه الا من عصم الله وقليل ما هم. وجمع امير المؤمنين ع م الى غزوية بن يوسف من بقي من المؤمنين ممن جانب سبيل المنافقين ، ومن معه من عبيده واهل طاعته ، وكذلك ابو خليفة في جماعة من المشائخ ممن ثبت على اليقين، ولم يمل عن سبيل المؤمنين ،

وباين هارون بن يونس الذي كان يدعى شيخ المشائخ بالنفاق ، واظهر لولي الله العناد والشقاق ، وحمله جهله الى ان ابدى لولي الله صفحته ، وقال له ان كنت المهدي فارنا المعجزات ، فقد شكـكنا فيك ، فاوقفه المهدي بالله ع م على ما في كتاب الله من ذم الامم حين سؤالهم لانبيائهم ان يروهم الآيات ، وما في ذلك من الدلالات ، وقال له في قوله شكـكنا في امرك : الم تكن قبل شكّك على اليقين ؟ قال بلى ، قال فان الشك لا يزيل اليقين . فتمادى هارون في ضلالته وتزايد في غوايته الى ان اهلكه الله بايدي عبيد وليه كما اهلك غيره من الاشرار، وكان لهم سوء الدار ،

فعند ذلك ازداد ابو العباس في طغيانه ، واستحكم لمن اضله ما زخرفه من بهتانه، وقال لابي عبد الله وغيره من مشائخ كتامة انه لم يبق الا ان تؤخذوا بنواصيكم ، ويحكم حد السيف فيكم. واجتمعوا في دار ابي زاكي تمام بن معارك فاجمعوا الآراء وعقدوا العقود، ونقضوا ما قلدوه من المواثيق والعهود ، واجمعوا علىان يفتكوا بولي الله وينتزعوا حق الله من يديه ، ويصلوا بما راموا من الطغيان والعدوان اليه ، والله بالغ امره ومتمم نوره .

وكان يأتي من يأتي باخبارهم الى امير المؤمنين ، ويذكر له ما استفزّهم به ابليس اللعين ، ثم انهم جمعوا الجموع واحاطوا بقصر الامام عليه السلام ليوقعوا به ، فلم يكترث بجمعهم ، ولا هاله ما هم فيه من امرهم ، بل استعصم بربه موقنا انه قد خلصه من اضداده ، وفل عنه شوكة اهل عناده ، ووثق بوعد الله الذي وعده ان يظهره والائمة من اولاده ، وفرّق الله جمعهم ، وقذف الرعب في قلوبهم ، وكان ذلك من مادة الله التي امدّ بها وليه ، وهيأ له نصره ، وابان له معجزته .

ثم انهم كانوا يدخلون الى المهدي بالله عليه السلام وهم يضمرون الفتك به ، فيلقي الله الرعب في قلوبهم ويصدهم عما راموه من امرهم ، وتغلبهم هيبته ويغل الله عنه ايديهم ، وهو في كل ذلك غير مستعد لهم ولا محتفل بامرهم ، ثقةً بالله ربه وتوكلا عليه ، ورجوعا فيما ابداه واخفاه اليه ، راجيا لصادق وعده ، مستمطرا للنصر والتائيد من عنده ، وكلما انصرفوا من عنده اخذتهم لتركهم اياه الندامة ، وعادوا الى ما كانوا فيه من اضمار المكر لابطال امر الله الذي اراد تمامه .

وكان اجتماعهم ليلهم الى ابي زاكي لعقد ما اضمروه واجالة الرأي والحيلة في ان ينالوا ولي الله بالمكروه ،

ونظر المهدي بالله عليه السلام الى ابي عبد الله ودخل اليه غير مرة وقميصه مقلوب ، وذلك لما هو فيه من الشغل الذي الهاه ان يشعر بذلك وطول السعي فيه والدؤوب ، فقال له الامام ص ع : يا ابا عبد الله ، ما هذا الامر الذي اذهلك وشغلك في امر نفسك ؟ قال وما هو يا مولاي ؟ قال ارى قميصك مقلوبا عليك وانت تدخل كذلك مرارا ما اهتديت اليه ولا احسبك نزعته عن نفسك . فنظر اليه وقال والله يا مولاي ما علمت به. قال ان هذا لشغل عظيم ، فاين تبيت منذ كذا وكذا من الليالي؟ فسكت ابو عبد الله ، قال اليس في بيت ابي زاكي ؟ قال نعم يا مولاي ، قال وما اخرجك عن دارك الذي انزلناك بها الى دار ابي زاكي ؟ قال يا مولاي خفت على نفسي، قال ممن ؟ فسكت ، قال : امنّي تخاف ؟ قال خوّفت يا مولاي فخفت، قال فهل يخاف المرء الا من عدوه؟ قال اعوذ بالله ، فقال له امير المؤمنين ان المؤمن لا يخاف وليه ، فسكت ابو عبد الله وايقن انه قد بدت عورته، ووجبت لله عليه حجته، وانصرف ، وعلم القوم بما قال امير المؤمنين فامسكوا عن ا لدخول عليه وخافوا منه .

وكان ابن القديم الذي كان عاملا لزيادة الله قد افسد كثيرا من الناس، وغيّر قلوبهم ، ووسوس اليهم ، واستمالهم باموال كثيرة بذل لهم ، وكان امير المؤمنين قد ولاّه ديوان البربر وامّنه واحسن اليه ، فكافاه بالخلاف عليه ،

وامر الامام عليه السلام بجماعة من الشيوخ الذين قد نافقوا ، فاظهروا البراءة مما قيل فيهم ، واعتذروا فيما تأدى اليه عنهم ، فردّ عليهم في ذلك ردا جميلا ، واخرج جماعة من وجوههم الى نواح من البلدان وفرّق جمعهم. وكان ممن اخرج ابو زاكي الى طرابلس ، وكان عمه ابو يوسف ماكنون بن ضبارة عاملا عليها ، فلما وصل اليه كتاب الامام ع م وعرّفه بفعل ابن اخيه ابي زاكي قتله صبرا وبعث برأسه الى الامام ع م ، وقتل كذلك جماعة من المنافقين في البلدان، والقاتلون لهم اخوانهم الباقون علىالايمان، وهرب ابن القديم فاستخفى ، ثم ظهر فامر الامام بقتله ، وباء بذميم فعله.

وتقدّم امير المؤمنين الى غزوية بن يوسف الملوسي وجبر بن تماشت الجيملي بقتل ابي العباس محمد بن زكريا ، فقال له جبر لغزوية ما الذي امرك به مولانا عليه السلام ؟ قال امرني بقتل ابي العباس ، فقال انا اكبر منك سنا ، فخذ من رأيي، اتقتل ابا العباس ويدخل ابو عبد الله الى امير المؤمنين فيبكي بين يديه فنقتل رضى له ؟ ما هذا برأي، لكن افعل ما امرك به امير المؤمنين ، ودعني وابا عبد الله .

وخرج ابو عبد الله وابو العباس من قصر المهدي بالله الى قصر القائم بامرالله عليه السلام، فرمى جبر بن تماشت ابا عبد الله احمد بن زكريا فلم يخطئ مقتله ، وكأنما كان سراجا فانطفأ ، ورمى غزوية ابا العباس فبقي ساعة من نهار ثم مات ، فترحم امير المؤمنين علىابي عبد الله وامر بدفنه بعد ان صلى عليه ، واما ابو العباس فلعنه الامام، وباء بما اقترف مخرجا من رحمة الله محتقبا للآثام ، فرحمة الله على ابي عبد الله وعلى المؤمنين المجاهدين الصابرين، ولعنة الله على الظالمين الذين صدوا عن السبيل، ومالوا عن اتباع الدليل ، نسأل الله تعالى ان يثبّتنا على الايمان ، ويعصمنا من اتباع اهل الطغيان، وان يميتنا على طاعة اوليائه الاطهار ، ويتجاوز عن ذنوبنا انه هو الغفار.

وقد قيل ان الامام امر بقتل ابي عبد الله ثم ترحّم عليه ، فان كان ذلك فهو تطهير له ليموت على الطاعة قبل ان يصير في الذنب المحبط للعمل ، وترحم الامام عليه تكفير لذنبه ، وبه يدرك الرحمة والعفو من ربه ، لان اساءته كانت للامام عليه السلام فحين عفى عنه لم يلحقه ذنب التباعة، وذلك لا خلاف فيه ان ما كان بين الله وبين العبد من الذنوب ، واخلص النية في التوبة الى الله والاستغفار ، ولم يتماد على الذنب والاصرار ، فان الله يغفر الذنوب جميعا انه هو الغفور الرحيم، كما قال في كتابه الكريم ، فاما التبعات التي بين المرء والعباد فلا تغفر حتى يخرج اليهم عنها ، ويبرأ اليهم منها ، واما اولياء الله الائمة فانهم آل الرسول والشفعاء الى الله ، وبهم وبجدهم نبي الله تعتق الرقاب من النار ، وبهم النجاة من العذاب والفوز في دار القرار، فلم يضع لابي عبد الله سعيه واجتهاده ، ولا بطل عند ولي الله فضله وجهاده ، بل استغفر له وترحّم عليه ورضي عنه، ووهب له ما كان من اجترامه اليه، جعلنا الله ممن ادركته الرحمة بشفاعة محمد النبي وآله الطاهرين، ولا جعلنا من المائلين عن سننهم السوي والجائرين.

ولما كان من قتل ابي عبد الله واخيه ما كان ، اضطرب اهل القيروان وثارت بنو الاغلب وقد كان امّنهم المهدي بالله عليه السلام ، واسبل عليهم عفوه فذهبت طائفة منهم الى القصر القديم ، وفيه جماعة من الكتاميين، فاخرجوا منه الكتاميين وقتلوا منهم ، واجتمعت لبني الاغلب جموع عظيمة من سوقة القيروان وغيرهم، واخرجوا العدة والسلاح والخيل ، وخرجوا على الكتاميين فواقفوهم ساعة ، وخرج يومئذ ابو خليفة الكتامي واصيب جماعة من الاولياء من كتامة، فارسل الامام ع م الى كتامة فردّهم واظهر الانكار عليهم فانصرفوا. واخرج بنو الاغلب فازاتهم واخبيتهم فضربوا بها خارج القصر القديم مما يلي رقّادة بموضع يقال له الهدف ، وبرزوا مجاهرين بالمعصية مبتغين للحرب ، فاعرض عنهم امير المؤمنين ع م ووقفوا كذلك اياما ، ثم انحل امرهم وتفرّق جمعهم فرجعوا الى دورهم . فتركهم الامام مدة ثم امر بقتل طائفة منهم وادخال آخرين السجن، فمكثوا فيه حتى اخرجهم الامام المنصور مع اهل السجون بعد الفتح.

وشجر ايضا من اهل القيروان وبين بعض الكتاميين شر ، فاجتمع اهل القيروان على الكتاميين الذين في القيروان وقتل منهم سبعمائة رجل ، فانتهى ذلك الى المهدي بالله عليه السلام فقال : الهم رئيس يغزون اليه او احد في هذا الامر يجتمعون عليه؟ فقالوا لا يعرف ولا يوجد ، فتمثل عليه السلام بقول الشاعر :

اخشى على ديسم من برد الثرى \* ابى قضاء الله الا ما ارى

ثم اتى شيوخ القيروان مع القاضي المروزي الى الامام عليه السلام فاعتذروا من فعلهم ، فاعرض عنهم ولم يعجّل عقوبتهم ، ثم عاقبهم بعد ذلك في اموالهم عقوبة امثالهم اذ لم يعلم الذين قتلوا فيقتص منهم وينفذ امر الله فيهم .

ولما فرّق الله الظالمين ، وقطع شأفة المنافقين ، واذل المفسدين ، ومكن عبده ووليه المهدي بالله امير المؤمنين عهد امير المؤمنين الى ابنه القائم بامر الله محمد بن عبد الله ابي القاسم صلوات الله عليه عهده ، واقامه للخلافة بعده، وكتب بذلك الى شيعته في جميع الآفاق ، وعرّفه انه القائم بعده باستيجاب واستحقاق ، وسماه ولي عهد المسلمين وخليفة امير المؤمنين ، وكان يسر اذا رآه ويتمثل كثيرا حين يلقاه :

مبارك الطلعة ميمونها \* يصلح للدنيا وللدين

وبقيت من المنافقين بقية قد اجمتمعوا الى بلد كتامة فاقاموا غلاما حدثا من اخس اهل بيت فيهم يقال لهم ينو ماوطي من اورسة ، فزعموا انه المهدي ونحلوه النبوة ، وزعموا ان الوحي يأتيه ، وان الكتب من الله تنزل عليه، ونصبوا له دعاة كدعاة ابي عبد الله ، وقاسوا على ما كانوا يرونه من تربيته ، وادّعوا ان ابا عبد الله حي لم يمت ، وجاؤوا بكثير من الترهات ، والاقاويل المزيفات ، فاجتمع اليهم طوائف كثيرة من اوباش الناس وسخفائهم وزحفوا الى ميلة فاخذوها، فاخرج اليهم امير المؤمنين بنطاس بن حسن الملوسي في عساكر عظيمة ، وجماعة من رؤساء كتامة الى الماوطي المدّعي النبوة ، فاوقع بهم الماوطي وهزمهم وقتل منهم مقتلة عظيمة ، فانهض امير المؤمنين ولده وولي عهده والخليفة من بعده القائم بامر الله وهو يومئذ لاثنتين وعشرين سنة ، وخرج معه جميع الناس وقدم بين يديه عسكرين ، على احدهما ابو ذخار الملوسي ، وعلى الآخر محمد بن يعلي ، وسار بعدهما القائم ففتح قسنطينة لسبع بقين من شوال والتقى بالماوطي في واد الزيت من ميلة يوم الاحد لثلاث خلون من ذي القعدة فهزمه ولي عهد المسلمين بعد قتال شديد عرفت فيه للقائم ع م النجدة .

ولما انهزم اللعين الماوطي انفذ ولي عهد المسلمين خلفه غزوية ين يوسف الملوسي فاخذه بوادي سهر، ومعه اهل بيته فوصل بهم الى القائم وهو في ايكجان فقتله ومن معه .

وكتب القائم بامر الله الى امير المؤمنين المهدي بالله عليه السلام بخبر الفتح ، وبما امكنه الله واظفره من الكافرين والمنافقين، وقمع به اعداء الله المفسدين ، واتصل بالامام المهدي ما لاقاه القائم من الحروب والشدة فاجابه وكتب اليه هذه الابيات في آخر كتابه :

اتصبح في كتامة ذا انفراد \* تقابلها قياما في قيام

اذا ما وقعة دارت رحاها \* بجزم مفاصل وفلاق هام

اتت اخرى تطم وتعتليها \* يشيب لهولها رأس الغلام

وألتذ الحيوة بخفض عيش \* معاذ الله والشهر الحرام

ولكنّ التجلد لي خدين \* فسني ضاحك والقلب دام

عسى الرحمن يجمنا وشيكا \* وقد تمت لنا رتب الكرام

فانقع غلتي بك واشتياقي \* اليك بحمد ذي المنن الجسام

وبلغ القائم بامر الله عليه السلام ان اهل طرابلس نابذوا بالخلاف والعصيان ، وجاهروا بالعدوان ، واخرجوا ماكنون بن ضبارة ، وافلح ابن هارون القاضي الذي اقامه الامام فيهم ، وولوا عليهم رجلا من اهل باغاية اسمه احمد بن نصر فسار القائم اليهم ، فلما وصل الى طرابلس طاف بالحصن فعلم انهم لا ينالونه بالحصار ، والغلات ترد اليهم من البحر على ايدي هوارة ، فسار فاوقع بهم وقتلهم وغنم اموالهم وعاد الى طرابلس فحاصرها واقام في محاصرتها ستة اشهر ، ثم افتتحها واستخلف عليها ابا مديني بن كناوة اللهيصي وترك معه حباسة بن يوسف الملوسي، وعاد الى الامام المهدي بالله عليه السلام الىرقّادة ظافرا منصورا ، مؤيدا محبورا .

ووافق موت الداعي ابي جعفر الخزري رحمة الله عليه الذي سيّره امير المؤمنين ع م مع الحرم من سلمية ، فصلى عليه القائم بامر الله ووقف على قبره حتى واروه فيه وترحم عليه.

واخرج امير المؤمنين حباسة بن يوسف الملوسي وموسى بن عبد الرحمن الوادي يوم الاثنين لخمس بقين من جمادى الآخر سنة احدى وثلاثمائة فملكا سرت وسارا الى اجدابية فملكاها وسارا الى برقة وبها قائد يقال له ابو النمر احمد بن صالح من قبل امير مصر ، فحين دنى حباسة بن يوسف وموسى بن عبد الرحمن فيمن معهما من برقة هرب احمد بن صالح منها ولم يقاتل ، فدخلا برقة وافتتحاها لسبع خلون من شهر رجب ، وكتبا الى امير المؤمنين المهدي بالله يبشرانه بالفتح ، ووقفا فيها .

ولما وصل احمد بن صالح الى مصر ارجعه امير مصر الى برقة بعساكر عظيمة ، وكتب حباسة وموسىالى امير المؤمنين يخبرانه برجوع احمد بن صالح يستمدانه ، فاخرج اليهما سليمان ابن كافي الجيملي وعفيقان بن كردوس في جيش فسارا من رقّادة يوم الخميس لخمس خلون من شعبان وحثّا السير الى برقة فضلاّ عن الطريق فاصبحا وقد وقع ضباب لا يشعر احد بصاحبه ، فما شعرا حتى هجما على عساكر اهل مصر ، وكان سيرهما على تعبئة الحرب لمن معهما ، فوقع بينهم القتال وكانت الهزيمة في المصريين فلم يثبتوا وولوا على ادبارهم ، وذلك في يوم الخميس لخمس بقين من شهر الله واقام العسكر ببرقة.

وانهض امير المؤمنين ولده وولي عهده القائم ص ع الى مصر في عساكر كتامة واهل افريقية فسار من حضرة الامامة من رقادة يوم الخميس لاربع عشرة ليلة مضت من ذي الحجة وكانت طريقه الى قابس ، ووصل الى طرابلس لست خلون من المحرم سنة اثنتين وثلاثمائة ، ونهض من طرابلس لاثتني عشرة خلت منه فنزل سرت ، وكتب الى حباسة بن يوسف ان لا يبرح من برقة حتى يأتيه ، فلم يصبر حباسة بل رأى ان يتقدم ورجا ان يكون فتح مصر له وباسمه فسار يريد مصر.

وسار القائم ع م من سرت ثالث صفر فنزل اجدابية لاثنتي عشرة من صفر ، ووافت الى القائم كتب من حباسة وسليمان بن كافي وعفيقان بن كردوس ، و عامر بن يوسف يخبرونه بدخولهم الحنية وانهزام ابي الدلفاء القائد الذي كان في الحنية من قبل امير مصر ، وخير المنصوري وابي النمر الذي كان ببرقة .

ورحل حباسة واصحابه ومن معهم من العساكر فدخلوا الاسكندرية بجيوش امير المؤمنين المهدي ع م لليلتين خلتا من صفر وبلغت خيلهم ذات الساحل

ورحل القائم ع م من اجدابية يوم الجمعة النصف من شهر صفر ودخل برقة لست خلون من شهر ربيع الاول واستخلف على برقة ابا داود الملوسي ودخل القائم الاسكندرية يوم الجمعة لاربع عشرة من شهر ربيع الآخر ، وكان مسيره من رقادة الى ا لاسكندرية اثنتين وسبعين مرحلة ن فاجتمع ع م بحباسة بن يوسف واصحابه وجميع عسكرهم بالاسكندرية ، واقام على القضاء بالاسكندرية احمد بن تعبيرة ، واستعمل عليها مطنب بن ربيع الملوسي، وامر المؤذنين فاذنوا بحي على خير العمل يوم دخوله اليها .

ثم قدم القائم ع م بين يديه حباسة بن يوسف وعفيقان بن كردوس وسليمان بن كافي وعامر بن يوسف وخرج من الاسكندرية بعدهم للنصف من جمادى الاولى فنزل حسا ، ونزلت مقدمته جوف البلور ،وانتهى القائم الىالبربرية في جميع عساكره، وصح عنده كون تكين امير مصر بذات الساحل يوم الاربعاء الثاني عشر من جمادى الاولى فنزل في ضفة النيل ، وبينه وبين عساكر مصر ستة اميال.

ولما كان يوم الخميس الثالث عشر من جمادى الاولى عبأ القائم عساكره فجعل الميمنة ملوسلة الفحص ، والميسرة جيملة ، وجرى بينه وبين اهل مصر قتال فاصيب رجاء بن ابي قتة في ابطه بسهم مات منه ، فصلى عليه القائم ع م ودفنه ليلا رحمة الله عليه ، واقام الامام والقتال غير منقطع بينه وبين اهل مصر الى يوم الابعاء لليلة بقيت من الشهر ، فاستأمن اليه جماعة من عسكر اهل مصر فاحسن اليهم ، ورحل فنزل على ثلاثة اميال من عسكرهم ، فارتاع لذلك اهل مصر . واقام القائم ع م هنالك ثم انقطعت الميرة عن عسكرالقائم فارتحل الى الفيوم لليلتين بقيتا من جمادى الاخرى ، فسبقه قوم من عسكره الى الفيوم فانتهبوها فامر بقتلهم وسكن الناس فامنهم ، ورحل القائم الخميس لثلاث عشرة خلت من جمادى الاخرى الى الارنس ، ورحل السبت فنزل لصفة ورحل الاحد فنزل الهرمين والتقى باهل مصر ، فقتل واسر ، وغرق خلقا كثيرا في النيل ، ثم رحل الثلاثاء لثماني عشرة ليلة خلت من جمادى الاخرى فنزل بارض الخمسين والتقى باهل مصر فكان في القلب جيملة وفي الميسرة اجانة واهل افريقية ، وفي الميمنة ملوسة وبقية المغاربة ، وفي الساقة لهيصة ، فانهزم حباسة بعد مواقعة ومنازلة كانت بينه وبين اهل مصر ، فارسل اليه القائم ع م يأمره بالتوقف وان الحرب لم تبلغ الى الهزيمة ، فلم يمكنه الرجوع وهو مجد في هزيمته ، وقد اتبعه الناس وخرج من اهل مصر خلق عظيم لا يحصى والقائم ع م واقف في بقية العسكر ممن صبر معه من الكتاميين والعبيد والجند والبربر ، ولم يزل يمسك القتال ورجى ان يأتي الليل وجاء العصر والح عليه الناس وعظم البأس، فهزّ ع م اللواء ثلاث مرّات وحمل ، فحمل الناس معه ولم يتخلف عنه احد فوقعت الهزيمة في اهل مصر فقتل منهم وعرق خلق عظيم ، فذكر اهل السير ان الذين قتلوا او غرقوا في ذلك اليوم من اهل مصر خمسون الفا ، وقيل انه لم يبق دار بمصر الا كانت فيها مناحة على غريق او قتيل .

ورحل القائم بامر الله ع م لثلاث بقين من جمادى الاخرى فانتهى الى الاسكندرية لاربع خلت من شهر رجب فاقام بها ، وكتب الى امير المؤمنين المهدي بالله ص ع ، وضمن كتابه هذا الشعر :

انا سيف الاله وابن رسول الــ \* ـله قطب الهدى وللناس قبلة

واذا ما الغمام اسجم جدوا \* ه يكون الامام للناس مثله

يقصر القتل دون بغداد حتى \* يظهر الله بالعراقين عدله

يا امام الهدى ومن طيب الــ \* ـله له فرعه وطيّب اصله

تفخر الارض حين تعلو ثراها \* ثم تغدو حزونها وهي سهلة

يا ابن من اسدلت عليه ستور الـ \* ـوحي اثوابها ولم تكس مثله

بك ظل الفخار يفخر والحـ \* ـق والبستني من الفخر حلة

ثم انهضتني لمصر وشام \* وخراسان والعراقين جملة

فانا سيفك الذي يفلق الها \* م فلا نبوة له ان تسله

يفرق الغرب والمشارق منه \* وتكل الجموع من ان تفله

كم مطيع قد كان في طود عز \* ثم لما عصاك بدّدت شمله

وكفور مناصب ذي عناد \* بك ارديته وافنيت غله

وانا سهمك السريع اليهم \* مدرك للعدو من غير مهلة

لا ارى هائبا لسهل ووعر \* ولجيش في حين القاه كله

فبحسن اليقين والحزم والعز \* م كثير العدو عندي قلة

فانتظر يا خليفة الله ما قد \* وعد الله فيك من قبل رسله

من فتوح تلقاك بالعز والنصــ \* ــر لدى النيل والفرات ودجلة

وكتابي اليك من غاية البعــ \* ــد ووقت الرحيل ايمن رحلة

ولما كان عيد الفطر والقائم بامر الله ع م مقيم بالاسكندرية خرج ص ع فصلى بالناس صلوة العيد في السنة المذكورة ، وخطب خطبة العيد بالاسكندرية فقال :

باسم الله الرحمن الرحيم ، وبه نستعين ، الله اكبر الله اكبر لا اله الا الله ، والله اكبرالله اكبر ، لا حكم الا لله ولا طاعة لمن عصى الله ، الا لعنة الله على الظالمين الذين يصدون عن سبيل الله ويبغونها عوجا ، ويقتلون الذين يأمرون بالقسط من الناس.

الحمد الله الخلاق العليم ، المدبر الحكيم ، الذي له مقاليد السموات والارض وهو على كل شيء قدير ، ما يكون من نجوى ثلاثة الا هو رابعهم ، ولا خمسة الا هو سادسهم ولا ادنى من ذلك ولا اكثر الا هو معهم اينما كانوا ، احاطت بهم قدرته وعلمه ، ولا يحيطون بشيء من علمه الا بما شاء وعنت الوجوه للحي القيوم وقد خاب من حمل ظلما ، هو الاول قبل كل اوان وزمان ومكان وغاية ونهاية ، وهو اللطيف الخبير الذي خلق السموات بغير عمد ترونها ، ففلق مصابيحها واضاء شمسها وانار قمرها وفجّر ينابيعها والارض بعد ذلك دحاها اخرج منها ماءها ومرعاها ، فسبحان الذي لا يدل عليه الا بآياته ، وما فطر من ارضه وسمواته ، وبان لخليقته من تدبيره وتكامل رسله الى الامم كافة من عباده اذ قال لهم : ان الله فاطر السموات والارض يدعوكم ليغفر لكم من ذنوبكم ويؤخركم الى اجل مسمى.

معاشر الناس ، اني اصبت امتكم هذه كما اصاب رسول الله اليهود والنصارى معهم التوراة والانجيل ، ومعهم كنائس وبيع، فدعاهم الى كمال العلم بما في التوراة والانجيل فما آمنوا به ، فحكم عليهم ص ع بالسيف والجزية والسبي والنهب والجلاء ، وكذا اصبت امتكم هذه قد اتخذت قرآنكم عضين ونبذتموه وراء ظهوركم واشتريتم به ثمنا قليلا. فقلت لكم :يا اهل الكتاب لستم على شيء حتى تقيموا التوراة والانجيل وما انزل اليكم من ربكم ، يا اهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم الا نعبد الا الله ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا بعضا اربابا من دون الله ، فرميتموني باني خارجي مبتدع ورأيتم جهادي وقتالي ، والله ناصري ومعيني ، ورأيت اهل الامصار وقد دعوا علي في مساجدهم والله سائلهم عن كلامهم ، يحسبون انهم على شيء الا انهم هم الكاذبون ، فظنت الامة الكاذبة المرتدة الناكصة على عقبها المغيرة لامر ربها انها قد اصابت فيما ادعته لخلفائها الذين يزعمون انهم خلفاء رب العالمين ، مثل صبي لم يبلغ ومثل غلام لم يعقل ومثل طفل يدبر الاسلام بزعمهم ومعهم امرأة تحمل اليهم الخمور من كل واد وكل قطر على ظهور الخيل وبطون السفن ، كما قال الله تعالى : اتخذوا احبارهم ورهبانهم اربابا من دون الله ، فانفقوا اموال اليتامى والمساكين ظلما منهم وعدوانا لمغنّ عواّد ، وطنبراني حاذق ، ومعزفاني وطباّل مجيد ، ورأت ولاتها في الامصار يصعد احدهم اعواد منبر رسول الله صلع فيعظ الانام وهو غير واعظ لنفسه ، وينزل عن ذلك الموضع فيسألكم في البلد عن مغن ومغنية وطنبراني وعواّد وسارق وباخس مكيال وناقص ميزان فيجيء ذلك اليه، لعن الله الظالمين واعد لهم سعيرا ، فلا آمرٌّ بالمعروف ولا ناه عن المنكر ، حتى اذا قام عبد الله الضعيف المسكين يدعوهم الى الله كادوا يكونون عليه لبدا ، من كل حدب ينسلون، ومن كل حزن يهطلون ، فهلموا عباد الله الى ما دعى الله في كتابه ، كلا فالله الذي لا اله الا هو بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فاذا هو زاهق ، ولكم الويل مما تصفون،

يا ايها الناس انكم اصبحتم في عمياء مظلمة ، وسوداء مدلهمة ، غامرة بفتنة تنقلكم الى فتنة ، قد اضلتكم باضاليلها المبتدعة وشملتكم باكنافها المهلكة ، فانتم عائمون في غواشيها مغرقون في مباديها ، قد غلقت عليكم ابوابها ، وعميت عليكم اسبابها ، فاعلام دينكم طامسة ، وآثار نبيكم دارسة ، والمنكر فيكم ظاهر ، والمعروف فيكم دائر ، فاين تذهبون ؟ الى الجحيم لا محالة تسحبون ، افمثابون انتم ام معذّبون ، اشكرتم لله نعمته ، لانها حجته عليكم ، ما استحفظكم من امر دينه والذب عن حرم نبيه صلى الله عليه وعلى آله ، الذي استنقذكم من الهلكة ، قال الله عز وجل: يا ايها الذين آمنوا اطيعوا الله واطيعوا الرسول واولي الامر منكم ، فجعل الطاعة فريضة وصل بها طاعة ولاة امره ، فهم القائمون لله بحقه والداعون اليه من رغب الى طاعته ، واستحضهم بالامامة التي هي اعظم الدرجات بعد النبوة ، وفرض على العباد حقوقها ، وامرهم بادائها ، وجعلها موصولة بطاعته ، وضاعف لهم الثواب بقدر ما والوا من امروا بولايته ، وليس للامام ان ينقص الرعية حقها ، ولا للرعية ان نتقص حق امامها ، فمن حق الرعية على امامها اقامة كتاب الله جل ثناؤه، وسنة نبيه صلع ، والاخذ لمظلومها من ظالمها ، ولضعيفها من قويها ، ولوضيعها من شريفها ، والتفقد لمعاشها واختلاف حالاتها ، نظر الشفيق على عياله بجهده ، الكالئ لهم بعينه فانه ع ج فيما حمد من اخلاق نبيه ورسوله قال : لقد جاءكم رسول من انفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم . فاذا فعل ذلك كانا على الرعية اجلاله واكرامه ومكانفته والاستعداد والاستقامة ما استقام على كتاب الله وسنة نبيه صلع .

اللهم فاطر السموات والارض عالم الغيب والشهادة انت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون ، اللهم وصل على المهدي بالله ابي محمد امير المؤمنين كما صليت وباركت على الخلفاء الراشدين المهديين الذين قاموا بالحق وبه يعدلون ، اللهم كما جعلتهم للدين غياثا ، وللعباد ملجأ وملاذا ، فاقرّ به اعين المؤمنين ، وانصره على اعدائك العصاة الفاسقين الكفرة المارقين الظالمين ، اله الخلق رب العالمين .

اللهم انصرجيوشنا وسرايانا في مشارق الارض ومغاربها وبرها وبحرها ، وسهلها وجبلها ، اللهم العن اعداءك واهل معاصيك من الاولين والآخرين ، وقوم نوح في العالمين ، انهم كانوا قوما فاسقين ، وعادا وثمود واصحاب الرسّ وجبابرة بني امية وبني مروان ومعاوية بن ابي سفيان الذي اتخذ من عبادك نصيبا مفروضا الدنانير والدراهم ، وقاتل بهم المهاجرين والانصار ، والعن عمرو بن العاص وعتبة بن ابي سفيان والوليد بن عتبة والوليد بن ابي معيط والوزع بن الوزع يعني مروان بن الحكم والمغيرة بن شعبة وزياد بن سمية ، وعبيد الله بن زياد ، والسلمي ، وذا الكلاع ، وحوشبا ، والاشعث بن قيس وعبد الملك بن مروان، والحجاج بن يوسف وعبد الرحمن بن ملجم ، والناكثين والقاسطين والمارقين والمخالفين والمبتدعين والمرجئين والقاعدين عن الجهاد مع امير المؤمنين ، اللهم انصر الحق وطلابه ن واذل الباطل واحزابه ، انك انت العزيز الحكيم .

ووصل اهل مصر الى القائم ع م يسألونه امانا يكتبه لهم على نفوسهم ، حين هلك منهم من هلك ممن قتل او غرق، فلما كتب لهم بذلك، استثنوا عليه وقالوا : انت من قبل ابيك ، وانا نريد ان يكتب لنا الامان كما كتبت، ونحن نسلم مصر اليه واليك ، فكتب القائم بامر الله الى المهدي بالله يعلمه بما سأل اهل مصر من الامان ، فورد عليه الجواب من امير المؤمنين ع م وقال له : انما يرد اهل مصر ان يحادعوك حتى تأتيهم المواد من بغداد.

ثم انه وصل الى مصر مؤنس المظفري من قبل المقتدر العباسي في يوم الخميس لثلاث بقين من المحرم سنة ثلاث وثلاثمائة ، فدخل في عدة وعدد ، والتقاه امير مصر الى خارج في من معه من العساكر والقواد ، وعبر الى الجيزة ونزل بارض الخمسين فضرب بها مضاربه ، وعبأ كتائبه ، وكان محمد بن طغج مقيما بالمخايض اميرا بها من قبل صاحب مصر ، فلما كان يوم الثلاثاء لثلاث عشرة بقيت من المحرم سار اليه فتح بن ثعلبة من قبل القائم بامر الله ع م في جمع معه ، فصبح محمد بن طغج ، فثار ابن طغج ، وكان حازما مجرّبا ، فركب في غلمانه وخواصه ، وقد وقعت الصيحة في عسكره ، فحين رأى محمد بن طغج صدق القتال استقبل القوم فاحاطوا به فرمى عنه غلمانه فاصابوا اثنين من فرسان المغاربة فقتلا ، وتوقّفت المغاربة عن القتال ، ورجع من كان انكشف من الناس وانهزمت المغاربة وقتل جماعة منهم ، ورجع فتح الى عسكر القائم .

فلما انتهى خبر ذلك الى مؤنس اظهر الفرح والبشرى بذلك ، وكتب الى المقتدر العبّاسي ، وكثروا غاية التكثير واظهروا به الجذل والسرور .

وتشغب المصريون على مؤنس فقتل منهم نفرا .

ولعشر خلون من ربيع الاول من السنة المقدّم ذكرها، رحل القائم عن الاسكندرية لما قلّ فيها الطعام ، واستخلف في الاسكندرية فتح بن ثعلبة وامره ان يستعد منجنيقات وعرّادات وينصبها ليمنع المراكب من العبور الى الاسكندرية ، وانتهى القائم عليه السلام الى الفيّوم ، ووافق ذلك موت ابراهيم بن كيغلغ ، وكان من قادات اهل مصر وكبرائهم واهل النكاية فيهم، فلما انتهى علم موته الى القائم وثب بعساكره الى الاشمونين حيث ابن كيغلغ فملكها .

وحين بلغ مؤنس خروج القائم من الاسكندرية ارسل اليها ثمال الخادم فاستولى عليها ، وقتل كثيرا من اهلها واخربها .

وكتب مؤنس الى القائم بامر الله يتهدده ويتوعده ويقول انه ان اطاع بني العباس كان له الامان واقطاع الناحية التي هو فيها ويحلف له مغلظات الايمان ، فكان جواب القائم :

باسم الله الرحمن الرحيم ، من ابي القاسم محمد ولي عهد المسلمين ابن الامام ابي محمد عبد الله المهدي بالله امير المؤمنين صلوات الله عليه الى مؤنس ، سلام على من اتبع الهدى ، فاني احمد اليك الله الذي لا اله الا هو واسأله ان يصلي على محمد رسوله صلع . اما بعد ، فانه وصلني كتابك ، وترجمته من مؤنس مولى امير المؤمنين ، وتذكر ما اختص الله ع ج من ولد العباس رحمة الله عليه من خلافته في ارضه وامانة عباده ، وتمكينه لهم ، وانه يلزمني الائتمام به ، والدخول في طاعتهم ، وتسكين الدماء ، ولم ّ الشعث ، وترك ايقاع الفرقة واثارة الفتنة، وما بذلته ورغبتني فيه من الاموال والاقطاعات من الناحية التي انا فيها ان دخلت في جملتهم ، ووصفته من وفور جيشك وكثرة جموعك ، وتوعدني باللقاء والمقارعة ان ابيت ذلك ، وفمهمتـه .

فاما الخلافة فما جعل الله ع ج للعباس بن عبد المطلب فيها حظا، وما هو منها في شيء لانه ليس من المهاجرين ولا من العشرة الذين توفى رسول الله وهو عنهم راض، ولا ادخل في الشورى ، ولا التمسها لنفسه في وقت من الاوقات . وانما حض الله بها امير المؤمنين علي ابن ابي طالب وامتحن بها من بعد رسول الله صلع ، رفعا لدرجته في جنات النعيم . فصبر ص ع على مضـض الامور ابتغاء لما يبقى في الدار التي لا تبيد ولا تفنى ، وصارت لولده من بعده فكانوا احق بها واهلها فغصبهم بنو امية الكفرة الفجرة ، الشجرة الخبيثة الملعونة في القرآن ، ثم بنو العباس ، رضوان الله على العباس ، من بعدهم ، فاطفأوا نور الله وبدّلوا الحق بالباطل ، وكانوا مثل الملوك الذين عتوا في الارض من قديم الدهر ، وجعلوا الملك بينهم ميراثا ، فاملى لهم الله ع ج المدة ليستدرجهم ثم انه ينتقم منهم ويأخذهم، وهو فاعل ذلك ومهلك آخرهم كما اهلك اولهم ، ورادّ الحق الى اهله ان الذين يحادون الله ورسوله اولئك في الاذلين ، كتب الله لاغلبن انا ورسلي ان الله قوي عزيز .

واما ما بذلته من المال والامان والاقطاع فما آتاني الله خير مما آتاكم بل انتم بهديتكم تفرحون ،

ولما وصل جواب القائم بامر الله ع م الى مؤنس انقطع فلم يكتب بعد ذلك كتابا الىالقائم ، واقام القائم في الفيوم الى ان ورد عليه كتاب امير المؤمنين المهدي بالله يستنهضه الىرقّادة.

فرحل القائم بامر الله ع ج الى رقّادة من الفيوم ، وواصل السير حتى وصل الى امير المؤمنين ص ع وجلس له الامام ع م في الايوان واعتنقه وسلّم عليه ، وقد روى القاضي النعمان بن محمد رضي الله عنه عن الامام المعز لدين الله ص ع انه قال :

ولقد انهض المهدي بالله ع ج قرة عينه ومهجة نفسه القائم الى مصر كرتين وهو عالم بانها لا تفتح على يديه، ولكنه اراد تأكيد حجة الله عليهم بدعوته ، والا يدع شيئا من المجهود الا بلغ منه ما في نفسه ، وان كان ذلك قد ادخل الشك على بعض المستضعفين في امره ، ولذلك ما كرهنا ان ندخل عليهم مثله بالحركة في غير اوان الوقت.

ولقد اخبرني المنصور بالله صلوات الله عليه انه تلقّى القائم ع م عندما انصرف من الكرة الثانية من مصر ، وقد كان المهدي بالله ارتحل بعد خروجه الى المهدية ، قال : فلما انتهى القائم ص ع الى باب المهدية نظر اليه ثم قال : الا حاجة في نفس يعقوب قضاها، ودخل ودخلت معه الى المهدي بالله ص ع في وقته ذلك ، فسلّم عليه وضمّه اليه ثم قال : الا حاجة في نفس يعقوب قضاها ، فكأنما نطقا بذلك معا بلسان واحد ورؤية واحدة .

هذا قول المعز لدين الله ص ع واخّر الله الاجل الى اوان المعز لدين الله ع م ففتح الله مصر على يديه ، وسوف نذكر ذلك اذا انتهينا اليه .

وحديث المهدي للقائم عليهما السلام كان بعد رجوعه عن مصر بعد ان عمرت المهدية لانه قيل انه خرج الى مصر المرة الاولى في سنة تسع وثلاثمائة ، وملك في المرة الاولى الاسكندرية والفيوم ، وجبى خراجها وخراج بعض اعمال الصعيد.

واقام المهدي بالله صلوات الله عليه في رقّادة اياما ثم امر بعمارة المدينة البيضاء المسمّاة المهدية ، نسبة اليه صلوات الله عليه فبنيت بالحجارة وبوّبت بالحديد المحض، وانتقل المهدي بالله ص ع كما ذكرنا في شهر شوال من سنة ثماني وثلاثمائة فسكنها ، ورأى الناس منه معجزات مما هيأ الله ع ج له في بنائها، ويسّر له الصعب فيها ، وزاد اليها في البحر وجعل لها الى البحرمخرجا وجعل عليه قفلا، وكانت من اعجب المدن وامنعها ، واحسنها بناء واعجبها هيئة ،وجعل فيها اهراء كثيرة للطعام ، واجرى اليها انهارا ، واحتفر فيها للمطر حفائر عظيمة ، وكان ع م اذا نظر الى حصنها وابوابها ورأى اعجاب الناس بها وبامتناعها قال : انما هذا كله عدّة لساعة من نهار ، فكانت تلك الساعة هي التي انتهى فيها مخلد بن كيداد الدّجّال ، ولم يقف الا ساعة واحدة ، ولم يزل بعد ذلك مهزوما مغلوبا ، حتى رفع علىسور المهدية مصلوبا ، وسنذكر قصته اذا انتهينا اليه ، وبالله نستعين.

وامر المهدي ببناء مصلّى خارج المهدية جعله علما وقال : الى هنا ينتهي مخلد الدجال ، فكان الامر في ذلك كما قال وهذا الحديث معروف مشهور ، مأثور مذكور ، وقد ذكره الشريف الزيدي ادريس بن علي بن عبد الله في تاريخه الذي سماه كنز الاخبار ، واجمع عليه اهل السير والاخبار ، وهذه من معجزات الائمة ص ع التي آتاهم الله علمها ، وورثوا عن رسول الله صلع معرفتها ، فانبئوا بها قبل كونها ، مما يشهد بفضلهم وعلو قدرهم وسمو محلهم ، وكثير مما يشبه ذلك قد رواه المخالفون عن الائمة ، وهم مع روايتهم لها لفضلهم من الجاحدين ، كما قال الله تعالى وجحدوا بها واستيقنتها انفسهم ظلما وعلوا فانظر كيف كان عاقبة المفسدين.

واستقر الامر للمهدي ص ع وتوطدت وعلت الكلمة ، واتسقت الامور معتدلة منظمة فنشر علم آبائه الطاهرين ، واقام الدعاة والمعلّمين ، وفتح ابواب منحه للطالبين ، واباحها للراغبين، نشر العدل واظهره ، وابعد الباطل وادحضه ، واقام السنة واحياها ، وامات البدعة ومحاها .

واقام امير المؤمنين المهدي بالله ع م للنظر في القضاء بالمهدية ورقّادة وغيرها من الاعمال افلح بن هارون الملوسي، وهو احد دعاة المهدي بالله ، وقد ذكره ابو عبد الله جعفر بن محمد بن احمد بن الاسود بن الهيثم رحمة الله عليه ، في بعض ما الّفه فقال :

وما نسيت فلا انسى داعي ملوسة وشيخ الجماعة وفقيهها افلح بن هارون الملوسي ، فقد كان جمع مع الدعوة علوم الفقه وادرك ابا معشر والحلواني ،وكان يحدّث عنهما عن الحلبي وانتسخ كثيرا من كتب الفقه والآثار والفضائل وخطب امير المؤمنين علي ابن ابي طالب صلوات الله عليه وعلى الائمة من ولده ، وسمعت عنده دعوة النساء وما يخاطبهن به من الدلائل التي تقبلها عقولهن ويحفظنها ، وكان يقول فلله الحجة البالغة ، وهي الحجة التي يخاطب بها العالم من علمه ويخاطب بها الجاهل من حيث يعقل ، ولقد كان يخاطب المرأة ويقيم لها الدليل من حليها وخاتمها وقرطها وتاجها وخناقها وخلخالها وسوارها وثوبها وعجارها ومن المغزل والمنسج والشعر واللباس وغيره مما هو من حلية النساء ، وكان يخاطب الصانع من صناعته ويخاطب الخيّاط من ابرته وخيطه وحلقته ومقصّه، ويخاطب الراعي من عصاه وكسائه ، وفرقه وكرزه ، قال : فما اعرف اليوم من يفي بهذا ولا من يقوم به قيامي ولا من يحفظ حفظي ، كل ذلك بتوفيق ربي وخالقي ، المنعم علي ورازقي ، فرحمة الله عليه فلقد كان في كلامه اذا تكلّم خاشعا لله مريدا ما عند الله، رقيق القلب ،غزير الدمعة ، رطب اللسان بذكر الله خشوعا ، متذللا عطوفا ، واني لاحفظ من امثاله وقضاياه كثيرا ، وكان يقول :احذر ان تثق باحد حتى يتمكن ، فاذا تمكّن ظهر منه السر في العلن ، ولقد بلغني ان امير المؤمنين المهدي بالله ع م بلغه عن افلح بن هارون المذكور حسن صوت وجودة قراءة وصدق نية ، وكان قد كلّفه النظر في القضاء بالمهدية ورقادة وفي غيرهما من جميع عمله ، وكان تقيا نقيا ، ورعا عفيفا زكيا ، فوجّه في طلبه اشتياقا اليه ، وامر البوّابين بدخوله راكبا اليه ، وكان امير المؤمنين ع م متخلفا في بعض عمله فدخل حتى نزل على باب الحرمة في القصر الكبير ، فادخل عليه ورحّب به وقرّبه واستدعاه للكلام فاجلّه ، وعظم ذلك عليه ، فاذن له في الكلام فتكلّم ، ثم قال له امير المؤمنين: اسكت فسكت ، وتكلّم امير المؤمنين ع م وافلح يشهق بالبكاء حتى علاه النحيب ، وسمع من المهدي بالله ع م م جلّ موقعه وكبر في مسامعه فمعك خدّيه بين يديه ورغب اليه ان يدعو له بالموت

فقال له : ولم ؟

قال : يا مولاي احللتني منك محلا جليلا ، وهذا مقام كريم ، وكلام مكنون، لا يمسه الا المطهرون، واخاف الزلل على نفسي ، فموتي بهذه الطهارة ازكى موضعا واجل مقاما ، فسألتك يا مولاي بالعظمة الا دعوت لي .

فقال المهدي بالله :يا افلح لا تفجعني بنفسك

فقال : يا مولاي عند الله الملتقى

فبكى امير المؤمنين ع م وقال : خار الله لك ،

وخرج افلح ذلك اليوم ، وقعد وهنأناه بما بلغنا من هذا ، وذكر لنا بعض ذلك، وتوفّي في ذلك الشهر رحمة الله عليه.

ونقول : وما اشبه هذه القصة بقصة همام حين وصف له امير المؤمنين علي ابن ابي طالب ص ع المتّقين فصعق همّام فمات رحمة الله عليه ، وقصّته معروفة ، وكذا يفعل قول اولياء الله سلام الله عليهم ، ومواعظهم وحكمهم الشريفة في القلوب الزكية والحلوم الذكية والنفوس الطاهرة.

ولما كان في سنة احدى عشرة وثلاثمائة وصل الى امير المؤمنين المهدي بالله ع م طغيان نفوسة الجبل بناحية طرابلس . فانفذ اليهم سليمان بن كافي الاجاني في جيش كثيف فحاربهم وغنم كثيرا من اموالهم ، وكتب الى المهدي ع م بخبر الفتح فوافى كتابه لاثنتي عشرة ليلة بقيت من شهر شعبان .

واخرج امير المؤمنين لغزو الروم جعفر بن محمد بن عبيد في جيش عظيم ، فسار الى صقلية وخرج منها في اسطول كبير فنفذ في اول يوم من سنة اثنتي عشرة وثلاثمائة فغزا النصرانية وجاوز العدوة الاخرى الى بلد الروم فافتتح مدنا كثيرة ، اكثرها بالسيف عنوة ، وسبى سبيا كثيرا قيل انه بلغ عددهم احد عشر الفا ، ووافى بهم الى المهدي بالله ع م وكان وصوله بهم الى المهدية لاحدى عشرة ليلة خلت من جمادى الاخرى سنة ثلاث عشرة وثلاثمائة.

وفي سنة ثلاث عشرة وثلاثمائة زحف ابن خزر الى تاهرت بعدة عظيمة وقوة ، واجتمعت اليه جموع كثيرة من قبائل زناتة وغيرهم من البربر اهل الاطراف ، وطمعوا فيها لقلة من كان مع يصل بن حبّوس عامل امير المؤمنين بتاهرت ، فخرج العامل في ثلاثمائة فارس من الاولياء فهزم ابن خزر اقبح هزيمة وقتل وجوه اصحابه وغنم جميع ما معهم ، وولى ابن خزر هاربا على وجهه . واتى كتاب عامل تاهرت بخبر ذلك في شهر شعبان من سنة ثلاث عشرة

واخرج امير المؤمنين ع م يحي بن سليمان بن كافي والمعلّى بن محمد ، ومولى ابن قريش ، ومحمد بن ثعلبة ووجوه كتامة في جيوش عظيمة الى الغرب لاصلاح الاطراف وحرب زناتة وغيرهم من البغاة في سنة اربع عشرة وثلاثمائة ، واتصلت الاخبار بامير المؤمنين بقوة الفساد في الغرب وظهور النفاق والطغيان ، واجتماع قبائل البربر جميعا مع زناتة حول تاهرت وغيرها من الاعمال ، فامر امير المؤمنين بالاستعداد وحشد كتامة وجنود افريقية والعبيد وغيرهم ، وخرج القائم بامر الله في جيوش عظيمة واحتفال ، ووافاه الناس من كل وجهة ، وكان خروج القائم ع م من حضرة الامامة من المهدية يوم الخميس لسبع ليال مضين من صفر سنة خمس عشرة وثلاثمائة بعد صلوة الاولى ، فنزل ذلك اليوم بسبخة بني معروف فبات بها ، واقام فيها الجمعة والسبت والاحد والاثنين الى الظهر ، ووفد اليه اهل القيروان يوم الاثنين فجلس لهم ، وامر بفتح ابواب الفازة التي جلس فيها ، وامر ان لا يمنع احد من السلام عليه ، فدخل الناس جميعا اليه فدعوا له بالنصر والظفر ، وسألوا الله سبحانه ان يمده بمساعدة القدر .

وسار صلع يوم الثلاثاء حتى انتهى الى الاربس ، فوافاه خليل بن اسحاق التميمي بعساكر افريقية وكان قد جمعهم الى الاربس فبلغت عدتهم اربعين الفا ، واتاه كتاب عامل تاهرت يذكر انهزام ابن خزر حين سمع بخروجه وانه ولّى على وجهه ، فشكر الله كثيرا ، وسأله ان يكون له نصيرا ، وارتحل الى باغاية سادس عشر من شهر ربيع الاول فاقام بها بقية ذلك الشهر وشهر ربيع الآخر ، ووافته هناك مزاتة وقبائل هوارة وصدينة وعجيسة واهل تيجس ، وقصر الافريقي وزناتة وغيرهم بحشودهم وامرهم بمصير وجوه رجالهم بعيالهم الى المهدي بالله ع م وان يسكنوا المهدية، وانفذ الكتب الى القبائل بالترغيب والترهيب، والتحذير لمن عصاه من بعيد وقريب .

ثم رحل من باغاية يوم الخميس لليلتين خلتا من جمادى الاولى فنزل في اشراف مسيلة بني عيسى وانتهى الى سطيف لعشرة ايام بقيت من جمادى الاولى ، فتلقاه وجوه كتامة واقبلوا اليه من كل فج عميق، فانفذ رجالا منهم الى نواحيهم لاصلاح امورهم ، وانفذ كتبه الى القبائل كافة ن واعذر الى مزاتة وكيانة وبني كملان ، فتمادوا في بغيهم واصروا على غيهم . فاحكم في سطيف ما اراد احكامه وانفذ الجيوش مع وجوه كتامة وامّر عليهم جعفر بن عبيد ، وذلك لاربع عشرة بقيت من جمادى الاخرى ، وقد اجتمعت جماعة عظيمة من كيانة وبني كملان وقبائل زناتة فتحصّنوا في قلعة منيعة وعرة المسالك صعبة المرام تعرف بعقار ، فقصدتهم العساكر في قلعتهم ، فاحاطوا بها واقتحموا الوعر عليهم ، وتسنّموا الجبل فاحاطوا بهم في كل ناحية ، وقتلوهم ابرح قتل ، ولم ينج منهم الا قليل ممن رمى بنفسه في وعر او بطن واد، واحرقوا ديارهم ونهبوا ما كان في القلعة لهم من النعم والخيول والاثاث ، وانصرف جعفر ومن معه من الاولياء الى القائم بامر الله ع م فهنؤه بالفتح ، فحمد الله على ذلك واثنى عليه وامر بالنساء والاولاد الى اهليهم ، واجرى الوظائف عليهم ، وامر بالنداء بامان كل من دخل عليه بالطاعة ، فاتته قبائل كثيرة من كتامة فامّنهم وعفى عنهم ، وكتب اليه بنو كملان يطلبون الامان فامّنهم وعفى عنهم ، وامرهم ان يلحقوا بالعسكر الى تاهرت.

وامر عليه السلام ببناء مدينة المسيلة واقام علي بن حمدون ---- وامره ان يتخذها دارا وينزلها مع عجيسة وجماعة من العبيد ، وهي ارض فيها مياه جارية وفحوص كثيرة واسعة الزرع .

ورحل ص ع لثلاث بقين من جمادى الآخرة فنزل بباسل واقام بها وقوّم امر الزاب كله ، واصلح امر هوارة، واقام بها حتى انقضى شهر رجب ، وامر بقطع الميرة عن زناتة لما تمادوا في الغي والطغيان واصروا على العصيان .

ورحل يوم الخميس لاربع ليال خلون من شعبان فشقّ بلد صنهاجة وواصل السير حتى نزل بموضع يقال له حائط حمزة لاحدى عشرة لية خلت من شعبان ، وهنالك وافاه مصعب بن ماتا الزناتي وجماعة كثيرة من زناته فعى عنهم ، واوسع عليهم العطاء وكساهم ، وامر بانزالهم واجرى الوظائف عليهم وامرهم ان ينزلوا حيث احبوا من البلاد واعمال الطاعة وانصرفوا ، واقبل الناس من كل جهة يطلبون الامان فامّنهم .

ورحل فمشى راجلا قدر ميل لصعوبة المسالك ، والاخبار تتصل به ان ابن خزر عبد الله بن تباذلت قد تحرّز في قلعة جمة مع اهلها ، ووعدوه بنصره والدفع عنه وحياطة امره ، وواصل السير ع م حتى انتهى الى القرب من جمة في آخر يوم من شهر رمضان، وامر الناس بالخروج الى الصلوة خارج العسكر واقام الخطبة ثم امر بالرحيل، فلما انتهى الى اغزر اتاه اهل تاهرت فذكروا له ان عبد الله بن تباذلت مقيم بقلعة جمة واستاذنوه في حربه فاذن لهم ، فلما عرف ابن تباذلت ، وهو ابن خزر ، دنو القائم ع م لم يكن له ولا لمن معه حيلة غير الهرب ، ومعه اهل القلعة ، فاصبحت خاوية وفيها جميع النعم والاموال ، ومضى القائم ع م بنفسه في خيل مجرّدة فالفى القلعة فيها المواشي والمطاعم والشحن ، فامر الناس فانتهبوا ذلك ، وارسل خيلا مجرّدة في طلب ابن خزر ومن معه ، وانصرف الى مناخه فاقام فيه والناس يغنمون ما في القلعة .

ورحل يوم السبت لسبع خلون من شوال فنزل بوادي السواني واقام به ذلك اليوم وما بعده الى آخر يوم من ذي القعدة ، وتوالت الغيوث والانواء والامطار وكثر الوحل ، فسمى الناس ذلك المناخ مناخ الوحل ، وفي كل ذلك والقائم ع م يعذر الى اهل مطماطة وزبرقة وينفذ الكتب اليهم ، فلما تمادوا على الاصرار ولم يفيئوا للاعذار والانذار رحل القائم ع م بجميع الجيوش يوم الاحد غرة ذي الحجة فنزل بالقرب من مطماطة ، وامر العسكر بالنزول وحط الاثقال ونصب الفازات ، وسار بنفسه في خيل مجرّدة حتى وقف على مطماطة ونظر اليها وارتاد مواضع القتال ، وارسل اليهم بعرض الامان عليهم فتمادوا في العصيان ولجّوا في الطغيان ، فرجع الى العسكر فبات به ، ولما كانت صلوة المغرب جعلت خيل مطماطة ورجالها يتراؤون للناس ويوهمون انهم يريدون ليبيّتوا العسكر ليلا، فاجتمع الى القائم جميع الاولياء يسألونه الرحيل من ذلك المناخ الى موضع آخر امكن للقتال ، فزجرهم زجرا عنيفا وامر الناس جميعا باسراج خيولهم والجامها ، ولبس لامتهم والاستعداد للقتال ، وامر بايقاد السرج والمشاعل في كل جهة فاضاء الليل حتى صار كالنهار ، وبات الناس جميع ليلتهم تلك مستعدين للقتال وقد اقاموا صفوفهم وركبوا خيولهم ، فلما اصبح الصباح زحف القائم في جميع الجيوش والعساكر الى مطماطة، وذلك يوم الثلاثاء لثلاث خلون من ذي الحجة ، وكان قد اجتمع الى قلاع مطماطة قبائل كثيرة قد تعلّقوا بابن تباذلت ووعدوه النصرة والمؤازرة ، فحين اقبل القائم بجنوده وعساكره خرج ابن تباذلت الى قلعة القربوس في قوة من حماتهم وعدة من كماتهم ، وقد اجمع رأي من معه ان يكمن هناك حتى يقع القتال ، ثم يخرجون على الاولياء متى اشتغلوا بالقتال .

ووقع ذلك بقلب القائم ع م وكان اول ما ابتدأ به ان حفظ موضع عسكره واقام من يحميه من الفرسان والرجال والشجعان والابطال، وامرخليل بن اسحاق ان يقف بعساكر الجند من افريقية بخيلهم ورجالهم ازاء قلعة القربوس ، وتقدّم اليه ان يأمر من معه من العساكر بالتعبئة واقامة الصفوف وركوب الخيل والاستعداد للحرب وان يكونوا على غاية الحذر ، فان وافاهم العدو فلا يقاتلوه الا بعد مطالعته وانتظار امره ، فاعتمد خليل ما اوصاه به واقام بدته وعدده،

قال الرواة : وزحف ابن الامام بجيوش كتامة وغيرهم في هيئة تملأ القلوب والعيون ، وقد ركبوا خيولهم ولبسوا لامتهم واشرعوا رماحهم وصفوا درقهم ، وبين يديه الرجالة يتلو بعضهم بعضا بالقسي والرماح والسيوف والدرق حتى اشرف على مطماطة ، فوقف القائم ع م على شرف ينظرالقتال ، وارسل الى اهل مطماطة يعرض عليهم الامان ، فلم يقبلوه ، وخاب سعيهم وما املوه ، فاذن في قتالهم فاقتحمت اليهم الجيوش من كل ناحية وملكوهم بالسيف عنوة ، وتسنموا اليهم الحصون والقلاع ودخلوا عليهم ، فحين ايقنوا بالهلكة ضرعوا وخضعوا ونادوا بالامان فرقّ القائم ع م لهم ورحمهم ، وامر الناس ان يكفوا عنهم ، واقال عثرتهم بعد ان اقتحمت جنوده قلاعهم ،

واما خليل بن اسحاق فانه رأى خيول العدو بالقربوس فتعرف خبرهم فاذا هي خيل ابن تباذلت قد اقبلت من ميسرة الخليل ، فلم يأذن خليل في قتالهم حتى ارسل الى القائم ع م فان له بقتالهم ، فلم يرجع الرسول الى خليل الا وقد حمل علىابن تباذلت ومن معه فولوا هاربين وانهزموا مدبرين ن واتبعتهم الخيول يقتلون ويأسرون ، وركض ابن تباذلت فرسه حتى اجهده ووقف به ، فنزل له بعض اصحابه عن دابته فركبها وامعن في الركض ، وخيل خليل قد اشرفت في طلبه وكادت ان تلحق به ، فلم ينج الا بعد جهد وشدة ، لما ارجأ الله له في المدة ، وقتل الرجل الذي نزل له عن دابّته ، وقتل معه جماعة من وجوه بني ورزمان اهل بيت ابن تباذلت ، وولىّ ابن تباذلت هاربا على وجهه لا يلوي على شيء فلم يناد المنادي بالاذان وقت العصر حتى فتحت قلاع مطماطة ، وكان فتحا لم ير الناظر فيما ذكر الرواة كمثله ، ونصرا اتاحه الله لوليه ، وبيّن فيه عظيم فضله ، والقائم ع م على فرسه يرفع يديه بالتكبير ويحمد الله سبحانه على ما اتاح له ، بالصوت الجهير ، فلما رأى اولياءه اليه من كل جهة برؤوس القتلى وبالاسرى مقبلين ، وقلاع مطماطة قد ملكها الاولياء عنوة ، وهم غير متهيبين ولا فشلين ، حوّل نحو القبلة وجهه وسجد لله تعالى على عرف فرسه ، وكان ركوبه ذلك اليوم على فرس اشهب وانصرف الى المناخ وقد اعز الله نصره ، واظهر امره واطلق الاسارى وامر من معه ان لا يتعرضوا للاولاد والنساء ، ومن ّ على اهل مطماطة باموالهم ، وامرهم ان يدخلوا في جملة اوليائه ، وقرّرهم في كل احوالهم .

ورحل ع م بكرة يوم الجمعة لست ليال خلون من ذي الحجة فنزل بموضع يعرف بالهوى من ميداس واقام به باقي شهر ذي الحجة .

ورحل يوم الاربعاء لسبع ليال خلون من المحرم يريد زبرقة فنزل بموضع يعرف بالعرقوب فبات به، ورحل منه فاشرف على زبرقة، وهي مدينة حصينة حولها خندق عظيم ، وقد تحصنوا في جوف مدينتهم وتوافروا فيها ولزموا سورها وحموه بالرجال والسلاح، وقد اجتمع اليهم من كل اوب كل فارس مشهور ، وذي نجدة مذكور، ورجع ابن الامام الى معسكره بالعرقوب فاقام فيه يوم الجمعة ثم رحل بكرة يوم السبت فنزل بموضع يعرف بتاغشمت فاقام فيه الى يوم الثلاثاء النصف من محرم الحرام ، وزحف الى زبرقة وتعرف باغيت وهو اسمها بالبربرية فسار اليها بنفسه ، وابتعته الجموع من الاولياء بالتعبئة والاستعداد ، وقد عبأ صفوفهم وهيأهم للقتال ، وامر ع م كل من معه من صغير وكبير ان يحمل الحطب والعشب ليلقى في الخندق ويمكن الجواز الى القلعة ، فحمل الناس جميعا واحاطوا بالمدينة من كل جهة ، وسدوا على من فيها من كل وجهة ، ونصبت عليهم منجنيقات عظيمة وعرادات.

وامر القائم ع م خليل بن اسحاق التميمي ان يقف في جموع افريقية على جبل هناك مشرف على المدينة مما يلي الجبل، وامره بالحزم ان يغتاله العدو ، وقد كانت جموع البربر ارادوا ان يعتلوا هذا الجبل ، فحين غشيهم خليل ومن معه ولوا على اعقابهم واحاطت الجيوش والعساكر بزبرقة من كل ناحية ، ورموا بما معهم من الحطب في الخندق ، فلم يمتلئ الخندق لسعته ، واشتغل الناس بالقتال ، ووقف القائم ع م على فرس ورد بهيم ، يدور بالقلعة من مكان الى مكان ويحرض الناس ، ودنى حتى وقف في اول الصفوف ومعه درعه وسيفه ، ومعه رمحه ودرقته ، والبيضة على رأسه ، وليس بالمدينة غير بابين قد اكتنفهما العدو برجالهم وانجاد حماتهم .

وامر القائم ع م بالرمي بالمنجنيق فرمى عنها باحجار كثيرة ، واخذت العدو الحجارة والسهام من كل ناحية، وتوالت عليهم الجيوش من كل جهة بالجد والاجتهاد ، مع صعوبة المدينة وضيق مجازها ، فاقتتل الناس قتالا شديدا حينا من النهار ، وامرهم القائم ان لا يرتدعوا عن الخندق وثقب السور ، ووقف ينظر اليهم فتقدموا بين يديه ، واقتحموا الخندق ووصلوا الى السور فوضعوا فيه الفؤوس ، ومال العدو الى تلك الناحية ، ووقع بينهم القتال الشديد ، وتمالأ الناس الى تلك الجهة بين يدي القائم ، وتضعضع السور وتداعى وانهار منه وجه كثير على من كان تحته فنجاهم الله سبحانه ببركة القائم بامر الله ع م ولم يمت احد منهم ، وتكالب اهل زبرقة وايقنوا بالهلاك ، واشتد القتال واستماتوا ، وجالت الجيوش عليهم الى ما تضعضع من السور ، فحموه بالخيل والرجال وجعل نساء زبرقة يضربن فيما بينهم الدفوف ويحرضنهم على القتال ويرفعن اصواتهن بالبربرية ليذمرن الرجال واصاب الناس مطر وهم في الحرب ، ووقف القائم ع م وحرّض الناس . ولم يثنه وقوع الغيث عن قتال العدى، وكف المطر والقتال قائم ونار الحرب تضطرم ، حتى اذن المؤذن لصلوة العصر، واهل القلعة على طغيانهم مصرون، والى القتال مسارعون متذمرون، وقد اكتنفهم القتال في كل وجهة ، وطمعوا ان يصابروا بالقتال حتى يأتي الليل فينصرف القائم بجيوشه عنهم ويمكنهم الهرب عن قلعتهم ، فلما ان مالت الشمس للمغيب، سأل بعض الاولياء القائم ع م ان يستريح ويريح عسكره الى الصباح فزجرهم عن ذلك ، وارسل الى خليل بن اسحاق ان ينصرف بجميع من معه من جنود افريقية الى المناخ لحياطته . وعرّفه انه مقيم على العدو ليلته ، وتقدّم القائم فانتقى من الجيوش وجوههم وذوي بأسهم ، ومن يعرف بالشجاعة منهم ، وامرهم فمشوا بين يديه وقصد السور، فلما انتهوا اليه كبروا تكبيرة واحدة وتسنموا السور فاقتحموا المدينة ، وركب بعضهم ظهور بعض ووضعوا السلاح في العدو ، واضرموا بيوتهم بالنيران ، واقتحم الناس عليهم من كل مكان ، وعملت السيوف فيهم من كل ناحية ، ورأوا الهلاك عيانا ، فمالوا على نسائهم واولادهم فقتلوهم بايديهم واستماتوا واستبسلوا .

واشرف بعض اهل زبرقة من السور فرأى القائم ع م وقد دنى من السور ، فرماه بحجر ، وقد التفت يحرّض الناس فاتقاه بالدرقة ، وقال ابعدك الله ، فما برح الرامي من مكانه حتى اتاه سهم غرب فوقع في لبته وخرّ ميتا ، ورمى الرماة بالسهام حتى صارت خصوص اهل القلعة وبيوتهم كأنها قنافذ لكثرة السهام ، واضرمت نيرانا واستحر القتل فيهم والنهب ، وغابت الشمس ونزل القائم ع م عن دابّته وصلى المغرب والعشاء الاخرى ، وركب فرسا فوقف عليها طول ليلته وهو لابس لامة حربه ، وقد اضاء الليل من كثرة الحريق والنيران حتى عاد كالنهار ، ولم يزل القتل في المدينة والنهب حتى طلعت الشمس، ولم يفلت احد من المدينة الا من خرج من الجهة التي كان القائم ع م فيها : فكل من قصده منع من قتله ومنّ عليه ، وحين طلعت الشمس مشى القائم بامر الله ع م حول القلعة ونظر الى القتلى وقد تراكموا فيها حتى واروا السور ، واحتوت جيوشه على ما في المدينة من الخيل والسلاح والاثاث ، واكثر من حمد الله وشكره ، وكتب الى امير المؤمنين بما منّ الله به من الفتح الذي ملأ جميع الارض صيته وذكره ، وحل بعدوهم فيه هلاكه وخسره ، وانصرف القائم ع م الى مناخه بتاغشمت حامدا لله تعالى على ما اولاه ، وايّده من نصره وحباه ، واطلق الاسارى وامربحياطة الحرم والاطفال وردهم الى اوليائهم من الرجال وامّنهم .

واقام في مناخه ذلك ، واتته القبائل مذعنة بطاعته ، خائفة لسطوته ، فامر لهم بحسن النزل ، وانعم على اكابرهم وكساهم ، ومنّ عليهم واعطاهم ، وهم اهل لماتة ومطماطة وزواغة ومكناسة وقصيرة وهوارة واهل العيون.

وارتحل في يوم الاثنين لثلاث خلون من صفر حتى انتهى الى وادي تامرت فبات به ، وقصد منه الحميز وهو مدينة لبني مسرة ، اهل بيت ابن تباذلت الذي هو ابن خزر ، فاصابها خاوية ومن اهلها خالية ، وهي في موضع انيق كثير الاشجار والانهار ، فامر بهدم سور المدينة وقطع اشجارها ، واقام بها حتى فرغ الناس من هدمها ، ورحل قاصدا دار خلف فبات بها ، ورحل الى بهيروج ، وفيه حصن منيع قديم ، فطلع اليه وتأمله فرأى حصانته وامر بهدمه ، ورحل منه لاثنتي عشرة ليلة من شهر ربيع الاول حتى انتهى الى وادي صلاف ، وهو واد مشرف على تاهرت ، فاقام فيه سبع ليال من شهر ربيع الآخر ، وانشأ هنالك قصيدته التي يقول فيها :

سلام على آل النبي ورهطه \* وشيعته اهل النهى والفضائل

تحية من امسى بتاهرت قائما \* بحقهم بين الملا والقبائل

قبائل من تيم وقيس وخندف \* ومن يمن في عزها المتطاول

ومن كل حي قد اتانا زعيمهم \* وفارسهم عند اختلاف الذوابل

وفتيان صدق من ذؤابة هشم \* اتوني ببيض مرهفات قواصل

يقدون هامات العدى دون حقهم \* ويحمون دين الله فعل الاوائل

انا ابن رسول الله جدي جدهم \* اذا ذكر الاقوام عند التفاضل

ومفخرنا العالي على كل مفخر \* عليه سلام بالضحى بالاصائل

وجبريل منا حين قمنا وعصبة \* الى الله ندعو عند ذكر التباهل

وما كان من مجد وفخر فاننا \* حويناه قسرا بالقنا والمناصل

انا ابن رسول الله والبيت والصفا \* انا ابن علي ذي التقى والفضائل

وفاطمة الزهراء امي ومن بها \* سموت الى العلياء اعلى المنازل

وقد قمت ادعو الناس حقا الى الذي \* ينجيهم من كل افك وباطل

الى منهل فيه الهدى وشرائع \* اقيم بها من دينهم كل مائل

فان يستقيموا استقم لصلاحهم \* وان يعدلوا عني فلست بعادل

عمرت بلاد الغرب بعد فساده \* وطهّرته من كل غاو وجاهل

فلم يبق في سهل من الغرب فاسق \* وفي الوعر الا في اسى وبلابل

ففرّ لكي ينجو وهيهات خلفه \* قبائل تهوى كالليوث البواسل

كما فرّ ذاك الاغلبي وقد رأى \* موارد موت عاجل غير آجل

فمر يحث الركض في كل مهمه \* وخلى لنا داره والحلاحل

وعن كل خود ذات حسن وبهجة \* وكل جواد في السوابق صاهل

فيا شيعة الحق الذين نحبهم \* وحبهم فينا كثير التواصل

اما حان ان تزجوا اليّ مطيكم \* وتأسوا سراعا بين حاف وناعل

فتحظون عندي بالذي تأملونه \* لاحميكم من كل خوف وهائل

اذا ما سمعتم داعي الحق فانفروا \* اليّ سراعا كانفضاض الاجادل

فقد ازمعت خيلي اليكم سريعة \* تجوب بلاد الله ذات المراحل

الى ارض مصر والعراق وبعدها \* فبغداد همي من جميع المنازل

فان بها جورا شديدا وفتنة \* وفيها اناس كالسوام الهوامل

يعادوننا ظلما ويهوون قتلنا \* وكم جرّعونا من مرارة ثاكل

فسيرى على اسم الله خيلي وشمّري الى بابل حتى تحلي ببابل

اذا ما حللناها وبالله عصمتي \* فان بها قوما شديد الزلازل

ويوم لنا في الرقتين وبالس \* يكون لهم فيها امتياج التلاتل

فنشفي نفوسا من لذيذ دمائهم \* ونلحقهم فيها بكل الطوائل

اذا اجمعوا من كل غاب واقبلوا \* على الفور من شاطي الفرات المقابل

ذكرت حسينا فاستهلت مدامعي \* وقلت واني لست انسى اوائلي

سأقتل منهم كل رأس وتابع \* واتركهم صرعى بملقى الجنادل

وتسري خيولهم من ورا النيل تبتغي \* عدى الدين حتى تستقر بكابل

ولو انني صنّفت كل وقائعي \* لطال بها شرحي وطالت رسائلي

وكم بدمشق من صريع مجندل \* ومن ثاكل باك وجمع ارامل

وحمص وسلم والثغور ومن بها \* الى نجد ارمين واهل المعاقل

كيوم بمصر لا ينادي وليده \* اذا ازمعت خيلي وجاءت جحافلي

وثارت الينا عصبة خزرية \* وقوم من الاخلاط اهل تخاذل

فمن كان في سلمي ففي الامن سادر \* ومرمى المعادي في جميع المقاتل

فكان مما وعد في قصيدته في ايامه وايام الائمة من ذريته ، فاتم الله لهم ميعاده ، واورثهم ارضه وبلاده، وانفذ القائم عليه السلام البرد خلف ابن خزر ليعرف احواله ، فاخبر انه ولى هاربا على وجهه في الرمال، حيث لا يعرف له مسلك ، وتواترت بذلك الاخبار ، فترك من الخيل والرجال ما يحتاج اليه لضبط تاهرت ، ورحل حتى وصل اومنت غرة جمادى الاولى .

وارتحل قاصدا لابن خزر رابع عشر شهر رجب فنزل شرف الراعب واقام بذلك الموضع الى آخر الشهر ، ورسله تخرج لارتياد الطريق ومعرفة المسالك ، فيأتونه فيعلمونه انها قفار ، وسباخ كالبحار لا سكن فيها ولا انس بها، ولا علم يهتدى به اليها .

فرحل يوم السبت لليلتين خلتين من شهر شعبان فنزل دون سوق ابن جلالة واقام به عشرة ايام ، وسار حتى نزل بعيون ابي فرات على ماء قليل ، وقد فني ما بين ايديهم من الطعام والعلف لكثرة الجموع والعساكر والخيول والكراع والرقيق والاسارى .

ورجع عليه السلام قافلا حتى انتهى الى طبنة فاقام بها بقية شهر شعبان، ورحل من طبنة لثلاث خلون من شهر رمضان ، فنزل بموضع بابي مفرط فبات به ، ووافاه فيها كتاب امير المؤمنين المهدي بالله ع م يعرّفه بفتح بلدان من بلاد الروم على يد سالم ابن ابي راشد وصابر الخادم ، وان كتامة الذين ببرقة مع فحل بن نوح اللهيصي العامل عليها زحفوا الى ذات الحمّام وبها ابو النمر احمد بن صالح من قبل صاحب مصر ، فهزموه وقتلوا من معه قتلا ذريعا واخذوا لهم بنوادا واعلاما ، وغنموا لهم غنائم كثيرة ، ووجّهوا بالاعلام الى باب امير المؤمنين فامر بانفاذها الى القائم .

وكتب اليه ايضا باخبار سارّة وردت من بغداد وفتح الانبار فامر القائم ع م باعلام المصريين ليطاف بها في العساكر وهي منكوسة ، فاستبشر بالناس وحمدوا الله سبحانه .

وارتحل ع م حتى دخل المهدية لاحدى عشرة ليلة من شهر رمضان سنة ست عشرة وثلاثمائة بعزّ شامل ، وزي كامل ، ونصرظاهر،ومجد باهر ، وعدة بهية ، وجموع كثيرة قوية ، ودخل على امير المؤمنين المهدي بالله ص ع وهو جالس في الايوان الكبير ، ودخل جميع الاولياء وكافة الناس وسائر العبيد فسلّموا عليهما وهنؤهما بخيرات الله المتوالية عليهما

وفي سنة سبع عشرة صار ابن خزر ال نواحي بسكرة ، واتصل ذلك بامير المؤمنين فانفذ اليه مسعود بن غالب الرسولي في خمسمائة فارس وذلك لاحدى عشرة بقيت من صفر ، فهزمه مسعود بن غالب ، واوقع باصحابه وكتب الى امير المؤمنين ص ع بخبر ذلك

وفي هذه السنة قدم فلفل بن خزر في وجود زناته واشرافهم على يد علي بن حمدون ابى باب امير المؤمنين ع م فاذن لهم في السلام عليه وامر لهم بالكسى والصلات والحملان فكسوا في القصر

وفي سنة ثماني عشرة وثلاثمائة قدم صابر الخادم احد بن سامة الى باب امير المؤمنين ع م على اسطول صقلية وقد رجعوا من بلد الروم بغنائم جليلة واموال عظيمة واثاث وصنوف من المغانم كثيرة ، وذكر ان عدد ما سبوا من الروم يزيدون على نيّف وثمانية عشر الف نفس.

وكان خروجهم من المهدية حين غزوا بلاد الروم في ربيع الآخر من سنة ست عشرة وثلاثمائة وكان انصرافهم الى المهدية لثمان خلون من شهر شعبان من السنة المذكورة

وفي سنة تسع عشرة وثلاثمائة امر امير المؤمنين بعمارة الاساطيل وان تشحن بالازواد والسلاح لغزو بلاد الروم ، فلما ايقن الروم بذلك بعثوا رسلهم بالهدايا وسألوا الهدنة وكف الحرب فاقامت والاساطيل ولم تغز

وفي سنة عشرين وثلاثمائة امر امير المؤمنين ع م حميد بن يصل بالزحف الى موسى بن ابي العافية فزحف اليه من تاهرت في عساكر كثيرة ، وكانت بينهم وقائع مهولة ، والتجأ موسى الى قلعة منيعة فحاصره حميد بن يصل ، واقام عليها بالجيوش ، ثم انه وقعت غفلة من بعض السبل فخرج منها ابن ابي العافية يقصد الصحارى ويهيم في البراري

وفي هذه السنة سنة عشرين جرت الوحشة بين المقتدر العباسي ومؤنس الخادم الذي كان المقتدر اخرجه الى مصر لحرب القائم ع م ، وقدم مؤنس على المقتدر بجيوشه ، فاشار على المقتدر وزراؤه واهل رأيه ان يخرج الى مؤنس وقالوا : ان عسكره عبيد دولتك ، ومن عليهم جزيل نعمتك ، فاذا رأوك لم يكن لهم وقوف على التفرّق ، او يقبضوا على مؤنس ويصيروه اليك ، فركب المقتدر وخرج الى مؤنس يوم الاربعاء لليلتين بقيتا من شهر شوّال من السنة المذكورة ، والتقى عسكره وعسكر مؤنس بباب الشماسة خارج بغداد ، فوقع الحرب بينهم ، وكان اول النهار لعسكر المقتدر ، ثم غلبهم آخر النهار عسكر مؤنس ، واسروا ابا الوليد بن حمدان واحمد بن كيغلغ من اصحاب المقتدر ، وانهزم عسكر المقتدر واخذ بعض عسكر مؤنس السيف من يد المقتدر ونزعوا البردة منه ، واخذوا خاتمه وكان من ياقوت احمر مربع ، وقتلوه بعد ذلك ، واتوا برأسه الى خادمه مؤنس ، وتركوا جثته ولا ستر على عورته فطرح عليه القصب والحشيش ، ثم امرمؤنس بالجمع بين جثته ورأسه وسلّمه الى ابي الشوارب قاضي بغداد فدفنه.

وفيما اتى عن القاضي النعمان بن محمد رضوان الله عليه قال :

كان بنو العباس قد غلبوا على ذي الفقار سيف رسول الله صلع فرده الله الينا ، وذلك انه لما قتل جعفر المتسمّى بالمقتدر وانتهب قصره كان فيمن شهد بعض اوليائنا فنظر الى امرأة من حرم جعفر وقد كشفت وهي تقول : الا رجل حر يسترني حتى يوصلني الى مكان كذا وكذا ؟ فرقّ لها ذلك الرجل وسترها ، وقال لها : سيري بين يديّ ابلغك ، فقالت : والله ما عندي ما اجزيك به ، ولكن ادخل هذا البيت ففيه صندوق وارته مكانه فيه ذو الفقار سيف رسول الله صلع ، فاخذه ومضى بها الى حيث سألته واصاره الله الينا بمنّه ونعمته.

وتولى القاهر ابن المعتضد العباس فامر بقتل مؤنس الخادم ، ومن اثار الفتنة والقى الله كيدهم بينهم ، وعجّل على ايديهم حينهم ، واعزّ دولة الائمة من آل رسوله ، وما زالت دولة بني العبّاس تضعضع ، ودولة اهل بيت الرسول يعلو بنيانها ويرفع ، وسنذكر من ذلك اذا انتهينا اليه ما يعين الله عليه.

وكان يعقوب بن اسحاق التميمي اخو خليل بن اسحاق في حبس بغداد ، فخرج منه حين قتل المقتدر ، وكان لما خرج القائم الى مصر كما ذكرنا خرج معه يعقوب فولاه القائم عليه السلام خراج الفيوم ، فابتنى به مسجدا وترك له وقفا ، وعاد الى المغرب بما جمع من المال ، وامره امير المؤمنين المهدي بالله بالعودة الى مصر في اسطول كبير ، وذلك بعد رجوع القائم بامر الله الىالمهدية ، وكان مع يعقوب صقلبي يعرف بسليمان من عبيد الامام ، فوصلا الى الاسكندرية وفني ما عندهما من الزاد ، وتفرق عسكرهما ، فاخذ يعقوب بن اسحاق التميمي وسلمان الصقلبي وطيف بهما في شوارع مصر ، وحملا الى بغداد مكبّلين، وذلك في حيوة المقتدر. فامر المقتدر بضرب عنق الصقلبي فضربت رحمة الله عليه ، وامر بسجن يعقوب فاقام في بغداد اربع عشرة سنة ، منها سبع سنين مضيقا عليه في سرادب تحت الارض ، وسبع فوق الارض ، وما من شهر الا يصل اليه المال من امير المؤمنين على ايدي دعاته بالمشرق المستترين ، فكان يدفع اكثر ذلك الى السجان والمسجونين حتى اثري السجّان وكان قد اطمأن اليه فمتى توجّه في امر استخلفه على اهل السجن.

فحين هلك المقتدر بادر السجّان الى كسر باب السجن فاخرج بعقوب بن اسحاق وجماعة من المسجونين فسار يعقوب لوقته بعد ان اخذ شعر لحيته ورأسه ولبس جبّة صوف ، ولم يزل يقصد بلدا بعد بلد فيجد النداء حيث وصل: من جاء بيعقوب وزير الفاطمي فله جملة من الدنانير كثيرة وعطيات جزيلة ، ولم يكن للقاهر العباسي لما استخلف شغل غير طلب يعقوب بن اسحاق ، ويعقوب يجتمع في كل بلد بمن فيه من دعاة الامام ع م وهم في التقية ويسترونه من بلد الى بلد حتى وصل الى مصر بعد خوف عظيم وتعب مهون، فقصد موضعا يسمّى درب العصافير ، واذا بواحد قد عرفه والنداء عليه بمصر ، فضرب بيده اليه وقال :نصيحة للسلطان ، وكان يعقوب فيما يقال قويا شديد البأس فضبطه يعقوب وجعل ثيابه على وجهه وصاح يعقوب:هذا رافضي وتكاثر الناس عليه فانسل يعقوب الى مسجد بدرب العصافير وقد يئس من السلامة ، ولم يزل به الى العتمة ، فعرفه بعض المصلين في المسجد فلم يكلّمه حتى اذا اطفئت القناديل عمد الى يعقوب فتطارح عليه وجعل يقبّل رجليه ودعاه الى منزله واخرج اليه ولده فقال لهم : هذا مولاكم ، وبقي مع ذلك الرجل ، والنداء عليه بمصر غير منقطع ، وجعلت الحرس على الجسر الذي يعبر به من الجزيرة الى النيل رصدا ليعقوب ، وكذلك جعلت الخيل والرجل في موضع يعرف بذات الحمّام على محجّة من يسير الى المغرب ، فلم يكن احد يجوز حتى تصحّ عندهم معرفته .

وحين بلغ ذلك يعقوب بقي منقطعا ووقف متحيرا ، واشتغل بذلك قلبه وضاق صدره ، حتى ان زوجة الرجل الذي هو معه ضمنت ان تسير به على الجسر في نسوة معها ، فقدّم يعقوب غلاما له قد اشتراه بزاده وحوائجه واخذت تلك المرأة نسوة فتزيّى يعقوب بزيّهن وقد اخذن آلة الحمّام معهن ، فحين صاروا في وسط الجسر وثب احد الحرس فضرب بيده على يعقوب ، فاكثرت المرأة الصياح ومن معها من النساء وقلن : نحن بنات عواتق ، والتأمت العامة فلم يمكّنوه من كشف وجه واحدة منهن ، وتخلص وصار الى الجزيرة واستأجر منها دليلا واثقا بمعرفة الطريق فضل الدليل عن الطريق فما شعروا حتى وقعوا وسط الحرس ، وكان ذلك ليلا ، فقالوا من انتم ؟ وما حاجتكم ؟ فقال يعقوب التميمي انا رجل تاجر ولي ولد كان موسرا وبلغني انه مات ، وقد خرجت مسرعا وخشيت ان يقبض السلطان ما كان لولدي ، وارادوا منعه فسأل بعضهم ان يجيزه ، واراد ان يعطيه خمسين دينارا فابى قبولها واجتهد في خلاصه فسار من ساعته .

فلما انتهى الى برقة كتب الى ا مير المؤمنين المهدي بالله ص ع يعرّفه خبره وما منّ الله عليه بفضله وبركته ، فسيّر الامام ع م العساكر لتلقيه وفرح بخلاصه .

وكانت له ولاخيه خليل منزلة جليلة عند المهدي بالله وعند القائم بامر الله ، فلما وصل الى المهدية جلس امير المؤمنين المهدي له بالقصر المعروف بالمنارة ، وخلع عليه وعلى غلامه ، وعاد الى ما له من الخدمة الجليلة ، والتشريف بالخصال الجميلة ، وكان وصوله الى المهدية في سنة احدى وعشرين.

وفيها مات صاحب مصر المسمى تكين

وتوفي الشيخ ابو علي الحسن بن احمد بن داود بن محمد ابن ميمون بن عمرو بن عبد الله بن مسلم بن عقيل بن ابي طالب ابن عبد المطلب بن هاشم الداعي المعروف بباب الابواب قدس الله روحه ، يوم الخميس لاربع عشرة ليلة خلت من ربيع الاول سنة احدى وعشرين وثلاثمائة ، وصلى عليه القائم بامر الله وتولّى دفنه ، وكان الداعي الحسن بن احمد من العلماء الاعلام اهل الفضل والسابقة مع الائمة عليهم السلام ، وله تأليفات جمة ، منها الكتاب المعروف بامهات الاسلام ردّ فيه على الفلاسفة المعطلين، وعلى الامم المخالفين للاسلام ، واحتج فيه على اثبات التأويل ، واوضح في وجوه الدليل ، وكان له عند الائمة عليه السلام المكانة الجليلة والمنزلة الرفيعة وكان ايّام سار المهدي من المشرق في مصر يدعو الى الائمة عليهم السلام ثم وفد على المهدي ع م بعد ظهوره ، وامره الى بلاد الروم ليدعو الى الاسلام ، ويدل المسلمين على مذهب الائمة عليهم السلام ، فانتهى امره الى ملك الروم فحبسه فاقام في حبسه خمسة اعوام ، ثم اذن الله تعالى باطلاقه فاطلق ، وقد ذكر فيما اتى عنه ما كان من الشك وما عرى من الفتنة ايام المهدي بالله ع م وقصة ابي عبد الله وخبر ابي العباس ، فقال:

اني كنت اسيرا في بلاد الروم في تلك المدة ، ولو كنت في الحضرة لجليت الحيرة ، وازلت الشبهة ، فان مولانا امير المؤمنين كالشمس الظاهر الباهر نورها التي لولا انها يخلفها القمر للتعديل والتبريد لما كان نبات لما في الخلقة من النشوء ، ولزادت عليه الحرارة ، فكذلك المهدي بالله ع م اعشى نوره الابصار ، وظهر من فضله ما بهر الافكار ، فكان الناس فيه كما كانوا في جده امير المؤمنين علي ع م : ما بين غال مفرط ومقصّر متخبط

فلقوّة الداعي ابي علي الحسن بن احمد وثقته به تكفل ان لو كان حاضرا لاعتدل الامر وقل الشر .

وبقي بعد رجوعه من بلد الروم على خدمة الائمة عليه السلام واقامة الدعوة وانشاء الكتب وتصنيفها حتى اتته الوفاة سعيدا ، بعد ان عاش في طاعة الله واوليائه حميدا.

واقام الامام ع م بعد وفاة الداعي ابي علي ولده ابا الحسن محمد بن الحسن بن احمد فجعله مكانه في الدعوة، وحفظ بيت المال ، واجراه على ما كان والده عليه من الاحوال.

وابتدأت العلة مع الامام المهدي ع م في سنة اثنتين وعشرين وثلاثمائة ، وكان دعاته واوليائه يزورونه ويختلفون الى عنده ويدعون له ، ودخل في بعض الايام جماعة من شيوخ الدولة كالبغدادي وابي سعيد الضيف وغيرهما لزيارة امير المؤمنين ع م ، ومنع خليل بن اسحاق عن الدخول معهم وكان شاعرا بليغا فكتب الى امير المؤمنين ع م بهذه الابيات :

خلفت وان قلت الذي ليس في قلبي \* فلا غفر الله المهيمن لي ذنبي

لانت امير المؤمنين على الظما \* احب الى قلبي من البارد العذب

ووالله ما ادري اذا غبت ساعة \* ودادا وشوقا اين عقلي ولا لبي

لانك يا خير البرية كلها \* امامي الذي ارجو به الفوز من ربي

اتيت ببرهان من الله واضح \* وفسّرت ما استعمى علينا من الكتب

فاصبح دين الله بعد دروسه \* جديدا كما انبأ به جدك المنبي

وقد سعد الاشياخ منك بنظرة \* وفازوا بها دوني فاوجعني قلبي

فدمت على الايام في كل نعمة \* مليكا علىاهل المشارق والغرب

فلما انتهت الابيات الى المهدي بالله ع م امر بدخوله من ساعته فدخل اليه وانشد الابيات بين يديه

وتزايدت العلة بامير المؤمنين المهدي بالله صلوات الله عليه حتى كانت وفاته بالمهدية في ليلة الثلاثاء للنصف من شهر ربيع الاول سنة اثنتين وعشرين وثلاثمائة وعمره يوم وفاته صلوات الله عليه ورضوانه ورحمته وبركاته وسلامه ثلاث وستون سنة ، لان مولده كان في سنة ستين ومائتين .

وكتم امير المؤمنين القائم بامرالله سلام الله عليه خبر وفاته مائة يوم ، ثم اظهر نعيه يوم الثلثاء لخمس بقين من جمادى الآخر من السنة المذكورة ، واظهر عليه من الحزن ما لم يعرف من احد من قبله ، فنيح عليه في جميع امصار الغرب ومدنها وبواديها ورثي بميراث كثيرة ، وممن رثاه ص ع عثمان بن سعيد الصيقل من اهل القيروان ، فقال :

وهت مرر الصبر فانحلت \* ورثّت عرى الحزم فاجتثت

واي سبيل الى سلوة \* واوعية الدمع قد فضّت

وكيف العزاء وقد خدّدت \* خدود الخرائد واربدت

جنود التجلد قد ولت \* وألوية الوجد قد صفت

وداهية قد اتت فجأة \* فمنها المسامع قد سكت

فأومأت ارمق نحو السما \* وارنو اليها هل انشقت

الا ليت شعري هل ميّزت \* اكف المنيّة من بزّت

وهل علمت من رمته الخطوت \* وهل درت الارض من ضمّت

امامي الذي اخترمته المنو\* ن لو قد ترى انه استحيت

فليت الحوادث لم تخترمه \* وليت يد الدهر قد شلت

وقائلة اذ رأت عبرتي \* سجاما على الخد قد سحت

جزعت وقد كنت جلدا على \* صروف الخطوب اذا كرّت

وكيف العزاء ولم تدر ما \* تضمّن قلبي وما قضت

لاية احدوثة اسعدت \* شؤون جفونك فانهلت

اكوّرت الشمس ام زلزلت \* جبال البسيطة ام دكّت

فقلت لها الخطب فوق الذي \* ظننت واضعافه فاصمتي

فلا غرو ان سفحت عبرتي \* ولا عذر ان لم تفض مهجتي

ثوى علم الارض فارتجت \* ومالت من الوجد فانهدت

وكادت تزلزل بالراسيات \* لاحدى الكبائر اذ حلت

فلما تجلّى امام الهدى \* عليه السلام لها قرّت

ولو لم يسـسها بتدبيره \* ابو القاسم المصطفى خرّت

والبست الارض جلبابها \*لفقد الخليفة فاسودّت

ولما بدى القائم المرتضى \* وقابلها نوره ابيضت

واقسمت الريح اذ بان من \* تباريه بالجود لا هبّت

فلما سرت نفحات الاما \* م واستنشقت عرفه حنّت

فازمعت المزن ان غاب من \* له ينزل الغيث لا درّت

فلما رأت سيب كفّ الاما \* م لم تتمالك بان اروت

فاولع بالجوّ اظلامه \* واخفقت الارض فاغبرّت

وذابت نفوس الورى رقّة \* لفرط الرزية فاعتلّت

فلولا الامام وانعاشه\* قلوب الرعية لانفتّت

فيا حجة الله في ارضه \* عزاؤك عنها وان جلّت

ليهنا الخلافة ما احرزت \* من المجد والشرف المصلت

وخسف القمر في الساعة التي توفي امير المؤمنين المهدي بالله ع م خسوفا كليا ، وفي اليوم التاسع والعشرين من الشهر الذي توفّي فيه ص ع كسفت الشمس.

ولم ينتقل ص ع ولم يفارق هذه الدار حتى اقام امير المؤمنين القائم بامر الله ع م لولاية عهده ، ونص عليه بالخلافة من بعده .

والحمد لله جاعل الامامة في اهلها ، القائل ما ننسخ من آية او ننسها نأت بخير منها او مثلها ، وصلى الله على سيدنا محمد وآله امراء الامامة في عقد وحلها ، وسلم ، وحسبنا الله ونعم الوكيل.

## ذكر نبذ مما كان في اوان خلافة امير المؤمنين القائم بامر الله ، ابي القاسم محمد بن عبد الله، صلى الله عليه وعلى الطاهرين من آبائه، والاكرمين من ابنائه ،

وبويع امير المؤمنين القائم بامر الله ابو القاسم محمد بن عبد الله صلوات الله عليه وعلىآبائه الطاهرين وابنائه المنتجبين بعد وفاة المهدي بالله امير المؤمنين ع م وعمره سبع واربعون سنة ، فقام مقامه ، واقتفى سيرته وآثاره واحكامه ، ونصب لدين الله اعلامه ، وهم آل الرسول صلع حقا ، والائمة من عترته الذين بشّر بهم ووعد بظهورهم ، فملأو الارض عدلا وقسطا، بعد ان ملئت جورا وخبطا ، وكانت سيرتهم سيرة محمد جدهم صلع ، وهديهم هديه ، وهم المصطفون من ذريته ، والطاهرون من عترته ، الذين جرى النص فيهم من واحد الى واحد ، وفي مولود عن والد ، حتى انتهى اليهم من علي امير المؤمنين ، عن محمد خاتم النبيين المرسلين ، عن جبرائيل الروح الامين ، عن رب العالمين ، ليسوا كمن ولت العامّة على انفسها ، ونصبته لدينها ، بغير وحي من الله ولا نص من رسوله ، ولا تنزل من كتابه .

فلما كان العدل سيرتهم ، والتقوى ظاهرهم وسريرتهم ، وشريعة محمد صلع شريعتهم ، يحرّمون ما حرّم ويحلون ما احل ، ولا يرخّصون في تضييع فرض من فرائض الله ع ج ، ولا في اتيان شيء من المحرمات وينهون عن المعاصي الموبقات ويشددون فيها اعظم التشديد ، ويقيمون على ما خالف حكم الله الحدود ، فهم ليسوا كمن ادعى الامامة من بني امية وآل العباس ، الذين فتنوا الناس ، وترأسوا عليهم بغير برهان صادق ، ولا نص من النبي الناطق ، فاباحوا ما حرّم الله في القرآن، وشربوا المسكر غير منتهين عنه وجاؤوا بالافك والعدوان ، وجمعوا للعزف والقيان ، وشروها لذلك بغالي الاثمان ، واباحوا جميع الملاهي ، واقبلوا على دنياهم اقبال الساهي اللاهي ، فحين لم يجدوا في الائمة الطاهرين من آل رسول الله صلع تلك السيرة ، ووجدوهم يدعون الى الله تعالى على بصيرة، يأمرون بالحق بعد ان يأتمروا ، ويزجرون عن المعاصي بعد ان ينتهوا عنها وينزجروا ، لم يجدوا فيهم مطعنا ، ولا استطاعوا ان يطفئوا ما آتاهم الله من النور الباهر والسناء ، ووجدوهم علماء لا يعلَّمون ، فقهاء لا يؤدَّبون ، طعنوا في انسابهم عدوانا وظلما، وبغيا واثما ، فقالوا هم اولاد ميمون القدّاح ، لكي يطفئوا نور الله الواهج الوضّاح ،

وميمون القدّاح رحمه الله هو من شيعتهم واوليائهم ، وقد ذكرنا انه كان حجة الامام اسماعيل بن جعفر ع م وولده عبد الله بن ميمون كان حجة محمد بن اسماعيل وبنيه ، وداعيا اليهم يوضّح فضلهم لمتّبعيه ، وهو عبد من عبيدهم ، وحد من حدودهم.

والائمة ص ع فمن ذرية جعفر الصادق الامين ، الذي هو من افضل ذرية علي امير المؤمنين ، وانتسابهم الى فاطمة الزهراء نجلة سيد المرسلين ، فمن زعم غير ذلك فهو مفتر آفك، وكانوا من بعد محمد بن ا سماعيل قد دخلوا في كهف التقية ، واخفوا اسمائهم وانسابهم لعظم المحنة والبلية ، خيفة وخفية من عدوهم ، كما خرج موسى الكليم ع م خائفا يترقب ، واستتارا من احزاب الشياطين حين غلب ضدهم وتغلب ، وكان الدعاة وقت التقية يخفون اسم الامام ، وربما تسمّىواحد من الدعاة باسمائهم ، تقيّة عليهم وسترا ، وقد قدّمنا من ذكر ذلك فيما سلف من الكلام ، حتى طلعت شمس الحق من مغربها ، وبدت من حجبها ، فاظهر الله امره وهم كارهون ، وجاء الحق وبطل ما كانوا يعملون ،

وانما فعل ذلك الغزالي واشباهه تقربا الى الخليفة البغدادي العباسي ، ولا شك ان الغزالي كان مناصبا لاهل بيت محمد مبغضا لهم ، وهو الذي ذكر ان الامام الحسبن بن علي بن ابي طالب ص ع خرج على يزيد بن معاوية، ولعن الغزالي من يلعن يزيد بن معاوية ، لعنهما الله واوردهما النار الحامية ، ذكر ذلك القاضي ابن خلكان في تاريخه المشهور ، وذلك فيه مذكور ، فلعداوته اعني الغزالي ونصبه طعن على الائمة المهديين وجاء في نسبهم بالبهتان المبين ، فاتّبعه على ذلك اكثر العامة المبغضين لآل الرسول، الحاسدين لهم علىما آتاهم الله من الفضل الجليل .

وقد ذكر ذلك الشريف الزيدي الحسيني ، وهو ادريس بن علي بن عبد الله في كتامه المسمى كنز الاخبار في السير والاخبار ، وقال : وما يدريهم بذلك وعلي ابن ابي طالب قد سمي آدم الاصغر لكثرة ذريته وتشعبهم في الآفاق ، وهذه من الشريف المذكور سلوكا لطريق الانصاف ، وميلا عن المين الذي سلك فيه اهل الخلاف ، الا لعنة الله على الكاذبين ، الذين يضلون الناس بغير علم عن سبيل الله ويبغونها عوجا ، ولله القائل :

لي حيلة فيمن ينـ \* ـم وليس لي في الكذب حيلة

من كان يخلق ما يشا \* ء فحيلتي فيه قليلة

ولو تقصيّنا القول في هذا لطال ، واتّسع فيه المجال ، وفي اقل قليل مما ذكرناه ما يهدي الى السبيل ، والصدق لا يبطله الافك ، واليقين لا يمحوه الشك ، ولا شك والحمد لله ان مولانا امير المؤمنين القائم بامر الله ابن المهدي بالله ابو القاسم محمد بن عبد الله بن الحسين بن احمد بن عبد الله بن محمد بن اسماعيل بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن علي بن الحسين بن علي بن ابي طالب وابن فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وعليهم اجمعين ، وعلى آلهم الطاهرين :

نسب كمطرد الكعوب مقوّم \* ما فيه من اودٍ ولا عرجون

بل كما قال ابو الطيب احمد بن الحسين حيث قال :

نسب كأن عليه من شمس الضحى \* نورا ومن فلق الصباح عمودا

وان الامامة كما قال الصادق جعفر بن محمد في العقب تجري في واحد عن واحد ، ولا ترجع القهقرى ، ولا تعود الى الوراء ، والحمد لله على ما آتانا ، ودلّنا عليه من ولاية اوليائه وهدانا .

وقد ذكر ذلك الامام المعز لدين الله ع م في سجلّه الى داعيه بالسند حليم بن شيبان ، فقال في السجل : قال الصادق عليه السلام : الايمان والعبادة التصديق بامرنا واعتقاد امامتنا وانتظار قائمنا والصبر على ذلك حتى يأتي امر الله ، وما ذكرته من تهويس القوم وتخاليطهم مما ذكرته في مسائلك من ذكر الخلفاء السبعة ، وان النهاية في السابع منهم فهذا من التوقيت مثلما قدّمنا ذكره ، وذلك انهم لما وقّتوا في محمد بن اسماعيل ما وقّتوه ومات ، وقالوا عنه ما قالوا ، زعموا انه استخلف خليفة من غير ولده ، واستخلف الخليفة بعده الى ان بلغوا سبعة ، زعموا اولهم عبد الله بن ميمون القدّاح، وكل ذلك ليثبتوا قولهم الذي يقول به ان الامام بعده وان الذي استخلفه هو من عرض الناس ، فقطعوا ما امر الله به ان يوصل وخالفوا قوله تعالى : وجعلها كلمة باقية في عقبه ، وكان لذلك سبب اوجب ذكره ، وذلك انه لما فشت دعوة محمد بن اسماعيل ع م طلب المتغلبون من بني العباس من يشار اليه بالامر ، فاستترت الائمة وكنّى الدعاة عن اسمائهم تقّية عليهم بما هو لهم ويليق فيهم فقالوا : الامام من ولد محمد بن اسماعيل عبد الله - وهو عبد الله كما قالوا – ابن ميمون القدّاح ، وهو كما قالوا ابن الميمون النقية القادح زناد الهداية ، الموري نور الحكمة ، وجرت الكناية على من بعده من الائمة بامرهم وعلى ما رسموه لدعاتهم ، ثم سقط ذلك الى من لم يفهمه بعد الماضين ، فاحتمله على ظاهره كما ذكرناه اوّلا ، فضل واضلّ عن سواء السبيل ، ولو انهم فعلوا ما امرهم الله به من الردّ الى اوليائه لعلمه الذين يستنبطونه منهم كما علمت الآن ، لكن الاعمى اذا لم يكن له قائد ولا عصى تردّى في هوّة لا مخلص له منها ، ومن استكبر ضلّ وغوى .

فاياك ان تقول او تعتقد ان الله قد اهمل الخلق ، ولا يهملهم طرفة عين من قيام امام من اعقاب الرسل والائمة، يقوم بامرالامة ، فان قال قائل بخلاف ذلك فقد اشرك ، وهو قول قد شاع في دعوتنا وذاع على السنة الجماعة ممن ينسب الينا ، فينبغي لمن انتهى اليه قولنا هذا ان يلطف في تقريره وبيانه عند من سبق ذلك الشك اليه، ويقرره حتى يزول الشك من صدورهم، ويثبت الحق من ذلك عند اهله ومن يرجى صلاحه وقيامه الى ما هو اعود نفعا عليه في دينه ودنياه ، وآخرته واولاه ، بحول الله وقوته .

هذا قول المعز لدين الله امير المؤمنين في سجله ، وهو سجلّ طويل معروف ، فيه فنون من العلم والآداب ، وحض على صالح الاعمال ، وهذا هو الحق اليقين ، والصدق المبين ، والحمد لله رب العالمين

ونرجع الى ما نحن فيه ، قال منصور الكاتب العزيزي الجوذري رحمة الله عليه فيما رواه عن جوذر الاستاذ عبد الائمة ص ع رضي الله عنه:

ولما نقل ع ج امير المؤمنين المهدي بالله صلوات الله عليه الى دار كرامته ومحل رحمته ، وافضى بالامر بعده الى حجته امير المؤمنين القائم بامر الله عليه السلام صرف الي النظر في بيت المال وخزائن البز والكسى ، وجعلني سفيرا بينه وبين اوليائه وسائر عبيده ، واذا اراد امرا ليكشفه في حضرته انفذني فيه .

قال : ثم خصّني بفضيلةآثرني بها على جميع العالمين ، وافردني بها من بين جميع الدعاة والمؤمنين ، وذلك انه لما اراد دفن المهدي بالله قدّس الله روحه وصلّى عليه احضرني دون جميع العالم ، وقال لي وليس الا انا وهو على حافّة القبر الذي يريد انزال المهدي بالله قس فيه : يا جوذر انه لا يحل للحجة بعد الامام ان يدفن الامام حتى يقيم لنفسه حجة ، ولن يحل لي ذلك حتى اقيم حجّتي ، وقد ارتضيتك لهذه الامانة دون سائر الخلق، وتلى علي هذه الآية من قول الله : انا عرضنا الامانة على السموات والارض والجبال ، الى آخر الآية ، ثم قال : ادن مني فدنوت منه فقال :هات يدك ، فبسطت يدي وانا خائف وجل من الهيبة التي ركّبها الله ع ج لي في قلبي حتى كأنه ليس هو المولى الذي كنت ادل عليه في الخطاب وغيره ايام حيوة المهدي بالله قدس الله روحه ، فقال لي : انا آخذ عليك عهد الله وغليظ ميثاقه ان تكتم عني ما اظهره لك واكشفه فقلت : نعم يا مولانا ، صلى الله عليك ، فقال ولدي اسماعيل هو حجّتي وولي عهدي ، فاعرف له حقه واكتم امره اشد كتمان حتى اظهره بنفسي في الوقت الذي يشاء الله ع ج ويختاره.

ثم دفن المهدي بالله قدّس الله روحه ، وواراه في قبره بعد ان صلّى عليه ، وقال جوذر رضي الله عنه فكتمت امر المنصور بالله ص ع في نفسي ، لم يطّلع على ذلك مني احد سبع سنين .

وروى منصور الكاتب قال : وحدّثني ابو الحسن جوهر الكاتب ، وهو المعروف بالقائد ، انه سمع هذا الحديث شفاها من المنصور بالله ص ع بلا زيادة ولا نقصان.

وكان المنصور بالله ص ع يميل في حيوة امير المؤمنين القائم الى جوذر كثيرا دون غيره ، ويكثر الوقوف عنده في بيته ، وكان الناس في ذلك الوقت في غمرات يعمهون، قد تعلّق كل واحد بغيرسبب يثبت ، بواحد من اولاد امير المؤمنين القائم عليه السلام، وجوذر رضي الله عنه قد وثقت نفسه بما عوهد عليه

قال جوذر : فلما كان ذات يوم ادّبت بعض الصقالبة الذين تحت يدي على جناية كانت منهم استحقوا بها الادب ، وهم قيصر ومظفر وطارق وغيرهم ، فادبتهم واعتقلتهم وكل ذلك في ايام القائم بامر الله ص ع والمنصور بالله عليه السلام مستتر بفضله لا يقف احد على امره ، فلما اجتاز المنصور بالله ع م بالجهة التي هم معتقلون بها توسّطوا به ، ورغبوا اليه في التشفّع لهم فما شعرت حتى اتتني منه رقعة بخطه وهي :

يعلم الله ، عافاك الله واحسن اليك واتم نعمته عليك ، تجنّبي الاشياء وكراهتي ان اتكلّم في شيء من الامور الا اني اذا ذكرت ديانتك ومودّتك وانسي بك رأيت ان الدالّة تسقط الحشمة وتوجب الا اشح عليك بنصيحة ، فالذي كان من امور هؤلاء الصبيان الخدم - وان كنت انما اردت بذلك ادبهم وتقويمهم فقد جاوزت الحد قليلا ، والمؤمن فرض عليه واجب مثل فرض الصلوة والصيام ، ان يكون رحيما للدنيء والشريف، شفيقا على المؤمن والكافر ، لطيفا بمن قرب منه او بعد ، وللغيظ سلطان شديد ، قلّ من يملكه اذا هاج ، ويكسره اذا فار ، وقد ذكر لجالينوس رجل من اخوانه وقيل انه كان رجلا شريفا عاقلا اديبا ، لم يكن فيه عيب الا شدة غضبه ، وانه كان لا يملك غضبه اذا هاج ، وذكر عن الرجل انه سافر معه في طريق بعيدة ، قال فرأيته وقد غضب على بعض عبيده فضرب العبد بالسيف ضربة كان ان يفنيه فيها ، قال : ثم ندم بعد ذلك وقال : يا جالينوس تفضّل علي وعالج هذا الطبع الذي انا عليه ، لعلّ ان تنقص به غضبي، قال فقال له : ان هذا لا يداوى بالعقاقير والادوية ، وانما يداوى باللسان والموعظة ، قال : فوعظه وعرّفه ان ليس اضرّ على العقل ولا اعدى الى النفس من الغضب . قال فقبل ذلك وانتفع به

وانا احبّ ايضا ان تقبل انت موعظتي كما قبلها ذلك الرجل من جالينوس ، وتنقص من غضبك شيئا بعد شيء لئلا يكون فيك خلق مذموم ، ويكون ما اعرف من قبولك اطلاقك سبيل هؤلاء الغلمان الذين حبستهم من قبل نفسك دون ان يعلموا اني سألتك فيهم ، فانهم قد سألوني ذلك ، وتظلّموا الي فيه ، ولكني والله ما وعدتهم باني اكلّمك فيهم ، ولا احب ان يعلموه ، وبالله لو لا ما اعرفه من الانس بيني وبينك ما ذكرت لك شيئا منه ، مع ما احبه ايضا من الخير لك ، والاّ توصف الا بالشفقة والرفق، لا بالشدّة والغلظة ان شاء الله.

وقد ورى القاضي النعمان بن محمد رضوان الله عليه عن الامام المعز لدين الله ص ع مما رواه الامام المنصور بالله عليه السلام قال المنصور بالله ص ع : انه لما كان من امر الله في المهدي ص ع ما كان ، لم يتقدّم القائم للصلوة عليه حتى اخذ بيدي وخلا بي فقلّدني عهده واسرّ اليّ في ذلك واستكتمني اياه ، فوالله ما علم بذلك منه الي بعد الله غيري واقمت مدة حياته ثلاث عشرة سنة انظر الى من قرب منه ومن بعد عنه يسعون بالفساد في دولة هي لي قد قلّدني الله امرها ، وانا كأقلّ الابعدين ، لا آمر ولا انهى ، ولا اتعرّض لشيء انكره ولا اومئ اليه ، ولا الى شيءيتوهم من اجله علي شيء مما انا فيه ، واهل خاصّتي يؤذون ويستطال عليهم وينال منهم، فلا يجد احد منهم عندي نصرة ولا قياما اكثر من ان اقصيهم عن نفسي وابعدهم عن قربي ، وينال مني واسمع ، وتهتضم اموالي وتؤكل ، وانا عن ذلك كله بمعزل اتجرّع غصـص الغموم واتحمّل فادح النوازل صبرا على ما حمّلت ، وقياما بما قلّدت ، وحفاظا لما استرعيت، من ان تشخص فيه ابهة القدرة ، او ان يظهر علي منه عز المملكة ، ولو بقيت على ذلك ايام حيوتي ما عدوت ما كان مني ، ولو شئت لبسطت يدي ولساني وانفذت امري لان الله ع ج قد جعل اليّ ذلك ، ولكني لم ازل على ذلك من حالي الى ان كان من امر الله في القائم ع م ما كان .

هذا قوله عليه السلام ، فكان ذلك منه تواضعا لله ع ج وحفظا لما استرعاه وليه وقلة اكتراث بالدنيا ، اذ كثيرها في اعين الاولياء حقير ، وجليلها هيّن يسير ، وانما قاموا بما قاموا منها حفظا لدين والله واقامة لحقّه ، ورعاية لمن استرعاهم الله من خلقه .

وقد روي عن القاضي النعمان بن محمد رضي الله عنه انه قال : ذكر المعز لدين الله ص ع الحديث الذي كنا نسمعه قال : كان المنصور بالله ع م حملا في ايام المهدي بالله ص ع وكان عند المهدي حمل ، فولد المنصور وولد ابو الحسين ابن المهدي بالله ، وكانت امه قد قالت وهي حامل به للمهدي ع م : اني رأيت كأن القمر في حجري ، وانا ارضعه ، فلما ولد المنصور واتي به الى المهدي بالله ص ع ليبارك عليه دعى بام ولده ابي الحسين وقد ولدته فدفع اسماعيل المنصور اليها وقال لها : ارضعيه مع ابنك ، ففعلت مسرورة بذلك فرحة به ، فلما ارضعته قال لها المهدي : اتذكرين الرؤيا التي رأيت ؟ قالت نعم يا امير المؤمنين ، قال لها : فهذا تأويل رؤياك .

ثم لم يلبث ابنها ابو الحسين ان جدر فذهب بصره ، فايقنت امه ان رؤياها كانت للمنصور ع م مع تأويل المهدي ع م لها ذلك، قال المعز ع م : وكانت بعد ذلك من اليقين والولاية لنا في غاية ما يكون عليه اهل الاخلاص ، وكبرت واسنّت وهي على ذلك ، وكانت تقول لولد المهدي ع م ونسائه بعد وفاته : والله لقد خرج هذا الامر من هذا القصر تعني قصر المهدي فلا يعود اليه ابدا ، وصار في ذلك القصر ، تومئ الى قصر القائم ، فلا يزال في ذرية صاحبه ما بقيت الدنيا ، واذا رأت الواحدة من نسائنا قالت : هذه السيدة لمن كانت منهن قد ولدت اماما ، فيقول لها بناتها : لقد كبرت وخلطت فتقول : اما الكبر فنعم ، واما التخليط فلا ، والله ما انا بمخلطة ، ولكني سمعت ذلك من علم الائمة عليهم السلام ، قال ولم تزل على ذلك حتى ماتت .

قال القاضي النعمان رض قلت رحمها الله

قال المعز ع م : نعم ونفعها باعتقادها .

وكان القائم بامر الله ع م حريصا على العلم مؤثرا لحفظه وان لا يقع الى غير اهله، مؤدبا للمتصلين به ان لا يضعوه في غير موضعه ، وان لا يزرعوه الا في مزارعه ، وعلى ذلك جرت عادة اولياء الله ع م وبذلك قامت سننهم ، وعليه جرت حكمتهم كما روى القاضي النعمان بن محمد رضي الله عنه عن الامام المعز لدين الله ص ع قال : وسمعته عليه السلام وقد ذكر من يظهر ما ليس له ولم يؤمر به من الحكمة التي يسمعها وانهم اذا سمعوا منه ع م شيئا مما يمنّ به عليهم من ذلك او وقع في ايديهم شيء من هذه الكتب فاوضوا بعض القرابة ومن لا يجوز لهم ولا لغيرهم ان يظهروا لهم شيئا منها ، حتى لقد هممت ان احرّم على نفسي ان افيد احدا كلمة واحدة في امر الدين ، وذكر ع م ما سبق من الائمة ع م في ذلك ورسموه واوصوا به وحرّموه على كل احد ان يسترق السمع او ينظر في ما لم يؤذن له في النظر فيه من ذلك ، او يبديه لاحد ، اذا منّ عليه بشيء منه من غير اربابه الذين قد اودعهم الله ذلك وجعلهم اهله ومعدنه

ثم قال عليه السلام : لما الّف داعينا كتاب الزينة وهو كتاب ظاهر في فضل اللغة العربية ومنافع والشعر وما فيه ومعنى اشتقاق اسماء الله ع ج وغير ذلك مما يدل على فضل هذه اللغة الشريفة ، وقد ذكر فيه الاصل الذي اراده ونحى اليه ودفنه في فصوله لئلا يقف عليه الا صاحب المال الذي كانت بضاعته في يد داعيه هذا ، حمل هذا الكتاب الى القائم بامر الله ص ع في اجزاء كثيرة وكراريس غير مجلّدة ، قال : فدفع منه الى المنصور ص ع اجزاء وامره ان ينظر فيه ويتدبره ، فاطلع المنصور بالله ع م بعض المختصين به من الدعاة على الكتاب واراه اياه ، وكان القائم ع م احسّ في نفسه شيئا من ذلك ، فقال للمنصور ع م : هل اطلع احد على ذلك او نظر فيه ؟ قال : لا يا مولاي، فاستقصى في ذلك فقال : والله يا مولاي ما رآه احد ولا وقف عليه الا فلان يعني ذلك الرجل ، قال : فانه قد نسخه ، قال : معاذ الله ، كيف ينسخه وانا لم امكّنه منه ؟ فقال : والله لقد نسخه ، فاهمّ ذلك المنصور ، وسأل الرجل هل نسخ من ذلك شيئا ؟ فانكر ان يكون قد فعل ، فلما الحّ عليه الاستقصاء في ذلك اقرّ انه قد نسخه ، قال ويحك ؟ كيف قدرت عليه ولم امكنك منه ، وانما كنت ادفع الكراّسة في بعض الليل وآخذها منك في صباحه ؟ فقال : عندي جماعة من عبيدي ممن يكتبون،فكنت احلّ الكرّاسة وافرّقها عليهم ورقة ورقة فيكتبون ، ثم اشد الكراسة واجمع الاوراق التي كتبوها فاؤلفها ، فاخبر المنصور بالله القائم بامر الله عليهما السلام فقال ك قد اخبرتك واراك تضنّ بهذا الرجل ، ووالله لا انتفعت به ولا وجدت عنده ما تريده ابدا ، وهو اكبر من داعينا الذي الّف هذا الكتاب ، فليظهر فضل ما عنده ويجار هذا في علمه ويسابقه فيه

ثم استرجع تلك الاجزاء من المنصور ع م ولم يطمعه في باقيه ، والحّ المنصور ص ع المسألة والتضرّع اليه ، فلم يجبه الى شيء منه ولا اطمعه فيه ، قال المنصور بالله ص ع : فذكر لي ان الكتاب عند بعض خدم القائم ع م ، فانفذت اليه فيه فابى علي وقال لا اعطيك الا بامر القائم ع م واذنه ، ولم يطمعني فيه .

فذكرلي ان نسخته عند آخر فانفذت فيه فقال : اهلا ومرحبا هو اهله ومعدنه وبعث اليّ بالكتاب .

وهذا من الائمة ع م تأديب لمن اتّبع امرهم ليقتدي بهم في آدابهم ويجهد نفسه فيما جعلوه من دأبهم ، وقد قال النبي صلع : من نظر في كتاب اخيه بغير اذنه فكأنما ينظر في النار ، وكثير عن اولياء الله قد اتى في صيانة العلم وحفظه ، وان لا يدفع الا لاهله، ولو تقصينا القول فيه لطال الكلام واتّسع المجال ، والواجب الاقتداء باولياء الله في الاقوال والافعال.

ومؤلف كتاب الزينة هو الداعي ابو حاتم احمد بن حمدان الرازي قس ، وهو من الدعاة الفضلاء الذين غزر علمهم وعظم فضلهم وجلّ محلهم ، وله تأليفات وتصنيفات عدة في باطن العلم والتأويل المأخوذ عن الائمة ، وقد تجارى هو والداعي ابو يعقوب السجستاني في التأليف ، واتيا بكثير من التصنيف مما يدلّ على علوّ قدرهما وغزر بحرهما.

فمن ذلك كتاب الاصلاح لابي حاتم في اصلاح اشياء مما اورده الشيح الحميد في كتابه المحصول ، واتى ابو يعقوب بكتاب النصرة نصرة لصاحب المحصول ، وجاء بعدهما الداعي حميد الدين احمد بن عبد الله الكرماني ، حجة الامام الحاكم بامر الله في كتاب الرياض بما ابان غامض الكلام ، ونظم قول هؤلاء الدعاة احسن نظام ، وكان له فيه الفضل المبين والتبريز في العلم الذي جال به في حلبة السابقين ، رضي الله عنهم وارضاهم ، ورفع درجاتهم واحمد عقباهم ، وجعلنا من المهتدين بهديهم ، المقتفين لآثارهم في طاعة الله تعالى وامتثال اوامره ، وطاعة اولي الا مر الذين قرن الله طاعتهم بطاعته وطاعة رسوله ، الفائز من نجى بشفاعته ، صلوات الله وسلامه عليهم اجمعين.

نرجع الى سيرة القائم بامر الله سلام الله عليه :

ولما كان بعد وفاة الامام المهدي بالله ص ع اخرج امير المؤمنين القائم بامر الله عليه السلام يعقوب بن اسحاق التميمي لغزو الروم ، فخرج يعقوب من المهدية يوم الاحد ظهرا لست ليال خلون من شهر رجب من سنة اثنتين وعشرين وثلاثمائة في عشرين مركبا ، فغزا الروم من جهة الاندلس ، ووافى في طريقه مراكب الروم وفيها تجاراتهم فاخذها واسر من فيها وتمادى في السير الى بلد الروم ، فنزل على مدينة منيعة هنالك تعرف بجنوة ، فقاتل من بها قتالا شديدا فامتنعوا منه بسور المدينة ، فما زال يقاتلهم حتى ملك عليهم سور المدينة ، فقاتلوه في ازفّة المدينة فرزقه الله النصر عليهم ببركة الامام ع م ويمن دولته ، فملك المدينة وجميع ما فيها ، وقتل المقاتلة من النصارى والمشركين وسبى ذراريهم وغنم جميع ما في المدينة من البزّ والحرير والكتاّن وغير ذلك، ثم اضرمها بالنيران وجميع كنائسها وقصورها وبقية امتعتها مما ثقل حمله ، وتسامع به الروم فجاؤوه من كل ناحية وقاتلوه ، فمنحه الله النصر عليهم ، فقتلهم قتلا ذريعا مبرّحا ، وعاد يعقوب ظافرا منصورا ، غانما محبورا ، فوافى ساحل المهدية بجميع من كان معه ووقف في مرساها يوم الاربعاء لاربع ليال بقين من شهر رمضان سنة ثلاث وعشرين وثلاثمائة واخرج السبي وزين الاسطول ، ودخل المدينة باحسن زي واجمل هيئة ، وكان السبي الذين جاء بهم ثمانية آلاف نفس ، وقعد امير المؤمنين القائم في مجلس البحر ، ودخل يعقوب فسلّم عليه ، فادناه وشكر سعيه ، وحمد الله سبحانه على ما اتاح له ، وامر باخراج ما يجب للغزاة واحسن اليهم .

واخرج امير المؤمنين القائم بامر الله ع م ميسورا الخادم الصقلبي في عسكر عظيم الى المغرب ، فانتهى الى فاس ولقي موسى بن ابي العافية ، وكان قد نافق وخالف ، وهو في جمع عظيم ، فهزمه ميسور الخادم ، وغنم ما كان معه واستولى على فاس واتى بابن موسى بن ابي العافية اسيرا ، فوقف في السجن حتى اخرجه المنصور بالله ع م مع جماعة من المسجونين بعد الفتح ، وعفى عنهم .

وثار رجل يعرف بابن طالوت ينتمي الى قريش وكان محمد ابن طالوت هذا من بعض كتّاب العراق ، فصار الى ناحية طرابلس ، وزعم للبربر انه ابن المهدي فقاموا معه واتبعوه واجتمع له منهم جماعة كثيرة، فزحف الى مدينة طرابلس ليأخذها في عدد عظيم، فقاتله اهل طرابلس وهزموه وقتلوا جماعة من اصحابه ، ثم تبيّن للبربر بعد ذلك افكه وبهتانه الذي افتراه ، وتحقّق بطلان ما ادعاه ، فقتلوه واتوا برأسه الى امير المؤمنين القائم بامر الله .

## وخرج ابو يزيد الاعور الدجال النكاري مخلد بن كيداد اللعين

وخرج ابو يزيد الاعورالدجال النكاري مخلد بن كيداد اللعين بجبل اوراس في سنة ثلاث وعشرين وثلاثمائة وجبل اوراس هذا على ما حكاه الرواة من اهل السير والتواريخ جبل عظيم الى داخل المغرب فيه جماعة من جميع قبائل المغرب.

وكان ابو يزيد اباضيّ المذهب يرى رأي الخوارج المارقين ، ويتولى ابا بكر وعمر، ويبرأ من امير المؤمنين علي ابن ابي طالب ص ع ومن عثمان ، ويستحل سبي ذراري المسلمين ممن خالف رأيه واعتقاده ويكفّرهم.

وكان في ابتداء امره يتردّد في البلدان ، ويحض من انس به على القيام على السلطان ، وكان بربريا من زناتة من مدينة توزر من مدينة قسطيلية ، وكان ابوه تاجرا. ط

ثم اتصل بابي عمار الاعمى كنار بن عبد الحميد فعاضده على امره وادّعيا الصلاح وكانا يسيران في البربر ويسعيان في الفساد والتأليب على الدولة العلوية ، وتكفير المسلمين غير من يدين بدين الخوارج ، واستحلال قتالهم وجهادهم ، ورميهم بالكفر، وعظّمهما البربر .

ورفع امرهما الى امير المؤمنين القائم ع م فامر بامساك ابي يزيد فاخذ بتوزر ، وبلغ ذلك صاحبه ابا عمّار، فجمع اربعين رجلا ممن يرى رأي الخوارج ، وكانوا يتّصلون بابي يزيد ويتكلّمون عنده ، فقصدوا السجن ليلا وكسروا بابه واستخرجوا ابا يزيد وتوجّهوا الى ناحية سماطة فاقام بها سنة .

ثم عاد الى اوراس ، ونزل هو وصاحبه ابو عمّار بموضع يقال له المتوالان باوراس ، وما برحا يجمعان من يرى رأي الخوارج المارقة اليهما ، ويحضان على القيام على الدولة العلوية ، ويقولان : انه قد خفي ذكر ابي بكروعمر ، وظهر فضل علي ابن ابي طالب واشتهر ، حتى اجتمعت لابي يزيد جماعة ، فعاقدهم وحالفهم على انهم ما اخذوه من مال المسلمين حكموا فيه كما يحكم في غنائم المشركين ، وان ما سبوه من النساء والذرية فهو مباح لهم غير محرم عليهم ، فمتى اجتمعت جماعتهم وملكوا المهدية ، وازالوا الدولة العلوية ، رجعوا الى الخيار فاختاروا من ترضاه جماعتهم . فولّوه عليهم .

وكان ابو يزيد اذا لقي احدا يذكر له الشيخين ابا بكر وعمر ويشنّع على الشيعة ببغضهما وانهم لا يرون بهما ويأتي اهل الرياسة من حيث يحبّون في تزيين الرياسة لهم ، وان السلطان قد ساوى بينهم وبين غيرهم ممن هو دونهم ، واذا لقي من همّه الغارة والفتنة من الغوغاء والعوامّ ، اتاهم من باب تحليل الاموال والفروج ، يحضهم على القيام والخروج ، حتى اجتمع مع ابي يزيد مائتا فارس ، فقصد باغاية بهم .

وكان كبون بن تصولا قد خرج من قبل امير المؤمنين ص ع الى جهات باغاية واوقع بقوم من اهل اوراس من البربر المخالفين على امير المؤمنين ، فزحف مخلد بن كيداد في سلخ جمادى الاولى سنة اثنتين وثلاثين وثلاثمائة فيمن معه ممن اجابه واتّبعه ، الى قصر لصولات بن مملول فيه عبيد له ودواب وطعام ونعمة ، وكان صولات احد رجال دولة امير المؤمنين القائم ص ع ، وهو عامله على باغاية ، فانتهب مخلد ما في قصره ، وقتل رجلا من اهله ورجع بمن معه الى جبل اوراس .

فلما تسامعت البربر بتلك الغنيمة اجتمع له لفيف من الناس فصار معه اربعمائة فارس ورجّالة كثيرة ، وزحف بهم الى قصر يعرف بابي معلوم من فحص باغاية على اثني عشر ميلا منها ، وفيه نعم كثيرة ، فاتاه نهارا ، فاجتمع في القصر مائة رجل وصعدوا اعلاه وقاتلوا عن نفوسهم ، فبذل مخلد لهم الامان ، حتى اذا وقعوا في يده غنم جميع ما كان معهم وجزّ رؤوسهم وترك الغنائم لمن كان معه وكانت كثيرة فامتلأت منها ايديهم .

وتسامع بذلك من البربر من يليهم فاقبلوا اليه بالخيل والرجال ، وعظم به عند ذلك الحال ، فزحف الى باغاية في الف فارس، وخرج اليه صولات عامل باغاية بمن معه ، فقاتلهم البربر فهزموهم حتى ادخلوهم مدينتهم ، واقبل الليل فضرب ابو يزيد اخبيته ، وقد طمع في مدينة باغاية فزحف اليها ثاني يومه ، وفرّق جنوده للقتال على نواحيها ، فتعاقد من بها على الصبر ، وخرجوا على البربر ، وتراموا من السور اليهم ، فولّى ابو يزيد ومن معه ناكصين على الاعقاب ، وقتل منهم ثلاثمائة رجل ، وتفرّقوا الى كل جهة وجانب ، ولم يبق مع مخلد غير عشرة فرسان فمضى بهم حيران لا يعلم كيف يصنع ، ولا باي حيلة عن نفسه يدفع .

ثم تراجع الناس اليه واجتمع اليه من البربر خمسمائة فارس والف راجل ، فضرب بهم على محيجة فغلب على اهلها بعد قتال شديد ، وحاز مواشيهم واخذ ما في ايديهم واستمال البربر واجتمع اليه منهم عسكر بعد عسكر

وكتب اهل باغاية الى امير المؤمنين القائم بامر الله ع م فكتب الى كبون بن تصولا يأمره بالمسير الى باغاية لقتال ابي يزيد ، وكان كبون بطبنة ، ومعه جماعة من وجوه اهل اوراس فقال لهم : اما ان تأتوا بابي يزيد والا فلا امان لكم ، فقالوا له : قد تفاقم امره وعظم شانه ، ولا حيلة لنا فيه ، فلم يعذرهم عن ذلك، فعمل القوم على مكيدة كبون بعد ان شاوروا ابا يزيد ، فاتواه وقالوا ان ابن كيداد لم نقو عليه بالحيلة ، ولا ساعدنا شبابنا على ما نريد منه ، والرأي ان تخرج ونحن ننصرك على القوم ، فاجابهم كبون وساعدهم على ما يطلبون ، وظن صدقا ما له يظهرون ، فزحف كبون الى الجبل يريد ابا يزيد ، فلما بلغ كبون الى موضع يعرف بفج العافية وجد ابا يزيد قد كمن له كمينا على ما عاقد عليه القوم ، فحين توسّط كبون الفجّ علت رجّالة الكمين على جوانب الجبل وعلم كبون المكيدة فرجع ومن معه ، وتبعته خيل البربر حتى وصل الى باغاية ، وزحف ابو يزيد الخارجي الى باغاية وعمل كبون على لقائه ومن معه وامر عامل باغاية بالخروج بمن معه ، فتزاحف القوم ووقع بينهم قتال عظيم انهزم فيه اصحاب كبون ، وخلّص بنوده بعد ان كان ابو يزيد تغلّب عليها . ورجع الى باغاية في خمسمائة فارس والفي راجل واخذ في اصلاح سور باغاية ومرمّة ابوابها واعدّ عدة الحصار ، وذلك للنصف من شهر رمضان سنة اثنتين وثلاثين وثلاثمائة ، ولما اتصل ذلك بابي يزيد قوي قلبه فزحف الى باغاية وخرج اليه كبون ومن معه فاقتتلوا قتالا شديدا ، وهزم الخارجي وقتل عدة من رجاله وعقرب لهم خيول .

وعاد ابو يزيد الى موضعه بفج العافية فاقام اياما ، ثم زحف مرة اخرى الى باغاية ، فخرج اليه كبون بمن معه فامتنع ابو يزيد من قتاله ، فحين رأى ذلك كبون رجع بمن معه الى المدينة ، وبقي ابو يزيد واصحابه وقوفا على دوابّهم الى الليل ثم رجع الى معسكره.

وجاء ابو يزيد الى بساتين باغاية فقطعوا شجرها ، ونزل جماعة من اهل باغاية فقتلوا من اصحاب الخارجي رجلا وعقروا خيلا ، ثم خرج اليهم كبون بمن معه فانتشب القتال بينهم الى الليل وانتصف بعضهم من بعض وعاد كل فريق الى موضعه .

ثم انتقل الخارجي من موضعه ونزل من باغاية على ميلين وافسد ما حولها من الشجر ، واغار على القبائل الذين حول باغاية، ثم وافت عساكر كتامة الى باغاية ، وذلك ان امير المؤمنين القائم بامر الله ع م لما بلغه محاربة الخارجي لاهل باغاية اخرجهم اليهم ردءا وقوة ، فحين علم ابو يزيد بقدومهم رجع مبادرا الى موضعه من الجبل على مسافة اربعة وعشرين ميلا من باغاية .

ثم ان سعيد بن خلف الهواري هرب من باغاية وحمل معه اهله ووافى الخارجي ، وذلك لامر كان بينه وبين الحسين بن ناكسينالاجّاني ، فلما صار سعيد الهواري الى ابي يزيد قوي به امره .

واجتمع مع كبون عساكر كثيرة من خيل كتامة وهوارة ورفجومة واهل تيجس وميلة وسطيف وبلزمة وغيرهم ، فارتحلوا ونزلوا بقرب جبل اوراس ، فاراد الخارجي ان يعاجلهم قبل ان يأنسوا بالحرب ويعرفوا الجبل ، فسار اليهم حتى انتهى الى بعض الطريق ، فرجع عنه البربر بقي في مائتين وخمسين بين فارس وراجل، فلما رأى استعداد كبون مال الى عسكر ابي دقل الملوسي ، وكان على بعض عسكر كتامة ، فوقع بينهم القتال ، ودفعوا ابا يزيد عن انفسهم ، واتاهم كبون ليعضدهم فوجدهم قد ردوا ابا يزيد ، فعاد الى معسكره ، فوجد عسكره من كتامة قد شدوا رحالهم يريدون بلادهم ، فمنعهم ذلك وصاح عليهم ، فاختلقوا عليه بين راحل ومقيم وعلت بينهم الصيحة ، فمال ابو يزيد اليه وترك قتال ابي دقل ، فحين احسّوا به هربوا بين يديه فقاتله كبون والحسين بن ناكسين قتالا شديدا حتى جرحا وتفرّق الناس عنهما فغلب ابو يزيد الخارجي على ما كان في عسكرهما ثم كرّ كبون على ابي يزيد في قوم التفّوا اليه بعد الهزيمة فانهزم ابو يزيد الخارجي بين يديه ولحق بموضعه ، وهرب ابو دقل الملوسي بمن معه حين رأى افتراق عسكر كبون والحسين بن ناكسين الاجاني ، فبات كبون والحسين في معسكرهما الى الصبح، ثم ارتحلا فيمن بقي معهما الى باغاية ، وذلك في شهر شوّال سنة اثنتين وثلاثين وثلاثمائة ، ووافى جحفل كثير من كتامة عليهم رجل يسمّى بدين بن محمد الجيملي ، فنزلوا قبليّ باغاية ثم خافوا البيات فانتقلوا الى ربض باغاية ، وكان يهرب منهم كل ليلة طائفة الى بلد كتامة .

وعمل مخلد بن كيداد على ان يبيّتهم في الربض ، فزحف اليهم فقاتلهم قتالا شديدا ، وخشي عليهم كبون ا لهلاك فنادى الناس بالخروج وامر بضرب الطبول وايقاد المشاعل وفتح الابواب واخراج البنود ، وخرج فيمن معه فقاتلوا البربر حتى اخرجوهم من الربض ، وبات القتال الى الصباح فانهزم ابو يزيد ، وسابقه بدين الى الجبل ليحول بينه وبين الدخول ، فمال اليهم ابو يزيد بعسكره ، فانهزم بدين فيمن معه من كتامة ، وقتل من الكتاميين ثلاثون رجلا او يزيدون ، ومضى ابو يزيد الى موضعه ، ورجع الكتاميون الى باغاية فدخلها جماعة من وجوههم وانصرف باقيهم الى بلدانهم.

ولما اجتمع لمخلد الدجّال خلق عظيم من لفيف الناس وطغامهم ، طمعوا في باغاية حين انصرفت جموع كتامة عنها، وكاتب ابو يزيد من حول قسطيلية من البربر كبني واسين وغيرهم يأمرهم بحصار قسطيلية فحاصروها ، ثم زحف مخلد الدجّال الى باغاية ، وخرج اليهم كبون والحسين بن ناكسين في اهل باغاية ، وبدين ومن بقي معه من الكتاميين فوقع بينهم قتال شديد ، وانصرف الدجّال الى مكانه ، ورحل من الغد فنزل بقرب باغاية ، وزحف اليه كبون فيمن معه فقاتلوا قتالا عظيما وقتل جماعة من اصحاب الدجّال وعقرت عليهم خيول كثيرة ، فعلم ابو يزيد ان لا طاقة له بباغاية وانها عنه ممتنعة ، فقال لاصحابه :ان بني كيداس الذين حول تبسة قد كاتبوا كبون ليصيروا اليه ، فاذهبوا بنا لنأكل اموالهم ونسبي ذراريهم ونقتل رجالهم .

وسار الدجّال في جموعه الى بني كيداس ، فحين صار بالقرب منهم ، علموا انهم لا يطيقون لقائه ، فبعثوا اليه يسألونه الامان فاعطاهم الامان على ان يتقدموا امام عسكره الى تبسّه وان يكونوا اهل القتال، فزحف بنو كيداس الى تبسه وكان عاملها غلاما لكبون ، فلما اتصل خبرهم به خرج اليهم فقاتلهم فقُتل نفر من اهل تبسّة الذين مع غلام كبون ، واقبل الدجال في جموعه ، والقوم في قتالهم فاغلق اهل تبسّه ابواب حصنهم حين رأوا جموع البربر قد اقبلت ، وقتل غلام كبون رحمة الله عليه ، وجماعة من اصحابه وخرج جماعة من اهل تبسّة الى ابي يزيد يسألونه الامان ، فامنهم على ان يخرجوا اليه ما كان لكبون وكتامة ويسملوا اليه اولاد كتامة الذين معهم ، فاخرجوا اليه كل ما كان معهم فغنم لعنه الله الاموال وسبى النساء والذرية ، و اغنم ذلك البربر ، واخذ بزعمه الخمس .

ورحل الدجال الى مرماجنة فلقيه رجل من اهلها يقال له ابن خلاف فاستأمنه واهدى اليه حمارا اشهب وكان الدجال يركب ذلك الحمار وبه سمي صاحب الحمار ، وبات ابو يزيد بقرية بني سعيد من نواحي مرماجنة ، واشرف على افريقية فهاب اصحابه الهجوم الى افريقية .

وكان بالاربس جماعة من كتامة ، فحين علموا ما صنع ابو يزيد مع اهل تبسّة ، وما فعل في طريقه من القتل والنهب ، خافوه خوفا شديدا ، واجتمعوا وعقدوا عسكرا بموضع يقال له دقّة ، واجتمع البربر الى الدجّال صاحب الحمار وقالوا : انا لا نقدّم على افريقية ، وانا نخاف ان يصل الى اهلها جنود السلطان فلا يقوم لنا حال معهم ، فهم يموجون في ذلك اذ قدم عليهم ابراهيم بن ثوبان بن ابي سلاس من الاربس ، وكان من وجوه الجند فسلّم على ابي يزيد ، وعرفه ان اسحاق بن خليفة عامل الاربس قد هرب عنها باهله وولده خوفا من قدومه ، فسرّ ذلك ابا يزيد وقوى قلوب البربر ، وامر ابو يزيد بالاعلان بالخبر ، وسأله ابن ابي سلاس ان يعطي اهل الاربس الامان في انفسهم واموالهم ، فاعطاه العهود والايمان على الحياطة لهم والامان ، ثم امر ابو يزيد ابا سليمان ايوب بن خيران الزويلي ، وهو رجل كثير الشر من مزاتة ، وامره ان يقتل من وافاه على الطريق ، ويسبي ويحرق كل منزل يمرّ به ، ليرهب بذلك كتامة الذين بدقّة .

وركب ابو يزيد حماره الاشهب ولبس جبّة صوف قصيرة الاكمام مفتوحة العواتق ، وكان يخرج يديه من تلك الفتوح ، و على رأسه قلنسوة بيضاء كدرة ، وسار الى دقّة ، ووافى عسكر كتامة فاقتتلوا قتالا شديدا وانهزمت كتامة وتمادوا الى القيروان ، وغلب صاحب الحمار على دقّة ، وذلك لاربع عشرة خلت من ذي الحجة سنة 332 ووجّه جماعة من اصحابه الى مدينة سبيبة فغلبوا عليها واخذوا عاملها عبد الله التيفاشي فقتلواه وصلبوه رحمة الله عليه.

وسار الدجّال الى الاربس فوصلها يوم الاربعاء للنصف من ذي الحجة ، فغذر باهل الاربس وقال : لا امان لكم حتى تخرجوا الينا المشارقة وخدم السلطان اتباعهم وتعطونا اموالهم ، واخرج اليه خطيب الجامع ومتولي الصلوة به فقتلهما ، رحمة الله عليهما ، صبرا ، ودخل البربر الاربس وتغلّبوا عليها وقتلوا المشارقة ، واتباع السلطان ، وكثيرا من اهل الاربس ونهبوها واحرقوا كثيرا منها بالنار ، ونجى كثير من اهلها الى المسجد الجامع فقتلوا فيه وافتضّت الابكار من النساء في المسجد ، واظهروا الكفر والطغيان، وزادوا على كفر فرعون وهامان.

ولما اتّصل خبر الاربس باهل المهدية استعظموا ذلك وهالهم ، وبلغ الخبر الى امير المؤمنين القائم بامر الله ع م ، فاستعظم ذلك كل من حضر مجلسه الشريف وقالوا له : يا امير المؤمنين هذه مدينة عظيمة وهي باب افريقية ، ولما اخذت في ايام بني الاغلب وهنت دولتهم ، وكان فيمن خاطب امير المؤمنين بذلك محمد بن علي بن سليمان ، فقال له امير المؤمنين عليه السلام :يا محمد اقلبك قوي ؟

قال : يا امير المؤمنين وان زدته قوة قوي .

فقال عليه السلام : لا بدّ ان يبلغ مخلد المصلّى ، وهو غايته .

وذلك مصلى المهدية حيث علّم امير المؤمنين المهدي بالله ص ع ، واتصل خبر الاربس بكبون فعمل على الخروج من باغاية ومعه الحسين بن ناكسين ، وابو دقل وبدين بن محمد الجيملي في مائة وخمسين فارسا وجماعة من وجوه اهل باغاية ، فخرج بهم ولقيه خيل عظيمة من لواتة ، فساروا جميعا الى قلعة مجّانة فعسكروا بها ووجدوها خالية من الرجال ، وقد ترك بها ابو يزيد ثقله وكثيرا مما كان معه ، فانتهبوها وساروا الى المهدية فدخلوا يوم الاثنين لخمس خلون من المحرّم اول سنة ثلاث وثلاثين وثلاثمائة.

اخرج امير المؤمنين القائم بامر الله ص ع محمد بن علي بن سليمان وتميما الوسفاني في خيول كتامة الى رقّادة ليكونوا بها ويضبطوها لاحدى عشرة ليلة من ذي الحجة سنة اثنتين وثلاثين وثلاثمائة.

ثم اخرج خليل بن اسحاق التميمي الى مدينة القيروان في وجوه العبيد والجند ، ولما ودّع خليل امير المؤمنين ع م قال :

وما ودّعت خيرالناس طرا \* ولا فارقته عن طيب نفس

وكيف تطيب نفسي عن حياتي \* افارقها وعن قمري وشمسي

ولكنّي طلبت رضاه عني \* وعفو الله يوم حلول رمسي

فعاش مملّكا ما لاح نجم \* على الثقلين من جن وانس

فوصل خليل فيمن معه الى القيروان يوم الاربعاء لثمان بقين من ذي الحجة في الف فارس من العبيد والجند ، ونادى في الناس فاجتمع اليه خلق عظيم ، واتصل خبره بالدجال ابي يزيد فهابه وخافه وغمه ذلك .

واخرج امير المؤمنين القائم بامر الله ع م بشرى الخادم الى باجة ليضبطها ويعسكر بها ، وكان خروجه من المهدية يوم الجمعة غرة شهر المحرم اول شهور سنة ثلاث وثلاثين وثلاثمائة في كتامة ووجوه العبيد ، فوصل الى باجة وعسكر بها .

واخرج امير المؤمنين القائم بامر الله ص ع ميسور الخادم صاحب الجيش الاعظم من المهدية فعسكر بالكدية الحمراء ، وكان خروجه لثلاث عشرة ليلة خلت من المحرم اول سنة ثلاث وثلاثين وثلاثمائة

ولما اتصل بابي يزيد الدجال وهو بالاربس خروج بشرى الى باجة ، خلّف اثقاله وما اخذ من الحرائم المسلمات في قصر ابراهيم بن ابي سلاس بالاربس ، وتوجّه الى باجة ، وقد اجتمع له خلق عظيم من الاجناد والبربر واهل افريقية ، فلم يمرّ اللعين بمنزل الا قتل اهله وسبى اهليهم واخذ ما حازته ايديهم ، وقدّم ابراهيم بن ابي سلاس ابى باجة وقال له : ان كنت لي ناصحا فاقتل من لقيت واسب حريمهم وخذ اموالهم . وغارت البربر لتقديم ابراهيم بن ابي سلاس وجاؤوا الى ابي يزيد فوجّه الىابن ابي سلاس ان يقيم مكانه حتى يأتيه ، فلما وصل ابو يزيد عزله عن الجيش .

واجتمع لابي يزيد خلق عظيم من كل ناحية من كل ذاعر ومفسد وقاطع طريق وسارق ومارق ، وتوجّه الى باجة ابو يزيد بنفسه لقتال بشرى ، فتزاحف القوم واقتتلوا قتالا شديدا ، فانهزم اصحاب ابي يزيد هزيمة فاحشة ، وابو يزيد قائم في ناحية ، ومعه من عزاته نحو اربعمائة فارس، ومثلهم من الرجّالة بالسيوف المصلتة، فلما رأى هزيمة اصحابه نزل عن دابّته وركب حماره واخذ عصاه وقال :هذا عمل من يريد الهرب ، وبشرى قد مضى في الطرد خلف القوم ، فخالفه ابو يزيد الدجّال فيمن معه الى اخبيته فحازها ،فحين علم بشرى بحيازة اخبيته ولّى الى تونس فيمن بقي من اصحابه بعد افتراق اكثرهم ، وانقطع في طلبه الف فارس من البربر ، ففاتهم ولم يلحقوه وقتل معه جماعة من وجوه كتامة وذوي بأسهم ونجدتهم .

ودخل ابو يزيد باجة بالسيف ، وذلك في اليوم الذي خرج فيه ميسور من المهدية فاحرق ابو يزيد الدجّال دور باجة واقام القتل في اهلها ثلاثة ايام بلياليها ، والتجأ النساء والاطفال الى مسجدها الاعظم وظنّوه يمنعهم من البربر ، فدخلت عليهم البربر فافتضّوا في المسجد الابكار من البنات ، وفعلوا الافعال المنكرات ، وكانوا يأخذون بارجل الاطفال الصغار ويضربون بهم عمد الجامع وحيطانه فتفلق ادمغتهم ، وكانوا للجرأة على الله يرمون الاطفال في الهواء ثم يلتقونهم بالسيوف . وقيل انه احصي من النساء من حبلت يوم باجة الف امرأة ، تولم يحص السبي والقتل لكثرته ، واقام مخلد اللعين بباجة اياما كثيرة يغير على من حولها ويقتل ويسبي ، وكتب الى قبائل البربر فاتته عساكرهم من كل ناحية .

ولما وصل بشرى الى تونس لقيه عاملها حسن بن علي فاكرمه ومن كان معه ، واجرى الوظائف عليهم وواصل الاحسان اليهم ، واخرج الدجّال جيشا عظيما من البربر مع منصور بن منصور الهواري الى تونس ، فاخرج اليهم حسن بن علي اخاه عمّار بن علي في ثلاثمائة فارس ، فالتقوا بالبربر وقاتلوهم ، فانهزم البربر وقتل منهم جماعة ، ورجع عمّار الى تونس سالما غانما، ثم افترق الناس بتونس على حسن بن علي ووقعت فيهم فتنة فانتهبت دار حسن بن علي ، وعمل على خلاص اهله وولده وسار هو وبشرى من تونس الى سوسة يوم الاثنين لخمس بقين من المحرم سنة ثلاث وثلاثين وثلاثمائة .

واقام حسن بن علي بسوسة بامر امير المؤمنين القائم بامرالله عليه السلام ، وابو يزيد في ذلك الوقت ما بين باجة والقيروان يريد ملاقاة خليل ، وكان خليل بالقيروان مع الف فارس من الجند والعسكر والعبيد، وقد نزل دارالامارة بالمعروفة بابن ابي خنزير وفرض العطاء فاجتمعت اليه الجنود ، واتته الوفود، وفرّق عساكره في مدينة القيروان في الفنادق والدور ، ولم يعسكر بهم خارج المدينة ، وظهر منه سوء التدبير ، لما جرت به احكام المقادير ، واراد الله التمحيص للمؤمنين ليزداد عتوا كل كفور.

ونزل ميسور بعساكره في الموضع المعروف بالاخوين متوسطا بين المهدية والقيروان لئلا يخالفه ابو يزيد الى المهدية او القيروان ، وكان متوسطا بين الطريقين ، وكان خليل قد كاتب جماعة ممن مع ابي يزيد ووعدوه بقتل ابي يزيد ، فرجى ذلك واستخفّ بامره ، وكان جماعة من الزويليين قد اساء اليهم ابو يزيد، فهم الذين كاتبوا خليلا يعدونه بالحيلة في امره ، وكان ذلك مما الهاه عن ابي يزيد ، ولم يكترث به وقوي لذلك قلبه ، وكان اذا ذكر له الناس امر ابي يزيد يشتمهم وبعتبهم ، وقطع ارزاق الجند .

ووصل ابو يزيد الى فحص ابي صالح فهابه الناس ، وقتل اهل الاطراف ، وجاء الناس الى القيروان من كل ناحية فامتلأت فنادقها ورحابها وشوارعها ، فارتجّت القيروان وكثر خوف اهلها ، ولما نزل ابو يزيد بفحص ابي صالح طمع الجند في اخذ ارزاقهم ن واتى خليلا كبراؤهم ، فهزأ بهم ولامهم وعنّفهم وامتنع عن عطائهم ، وقال لرجل من خاصّته اكثر تعظيم ابي يزيد: ان كنت قد جنبت فادخل في كمي، فاني لا اخرج الى ابي يزيد ولا اقاتله ، وانه لاحقر من ذلك واقل ، ولم يكن في خليل تخلّف ولا سوء تدبير فيما قبل ذلك ، وهو من اهل التجربة بالحروب ، وممن غزى في وقت المهدي بالله ص ع ، وكان مع القائم بامر الله ص ع في مصر والمغرب وشهد حروبه ، وكان له حسن التدبير والقتال المعروف الشهير ولكنها اذا جاءت بامر الله المقادير، عمي لها الناظر البصير ، وجهل عواقبها العروف الخبير .

وامر خليل باصلاح ابواب مدينة قيروان وافتقاد سورها ، وعميت اخبار ابي يزيد عن خليل ، وكثرت الاخبار والاراجيف عنه ، وكان الناس يمرّون اليه ولا يجي احد من قبله ، وكان خليل يكتب الى امير المؤمنين القائم بامر الله ع م باخبار مختلفة ، واقوال غير مؤتلفة.

فامر امير المؤمنين القائم بامر الله ع م حسن بن علي وبشرى الخادم ، وهما بمدينة سوسة، ان يخرجا ويعلما اخبار الناس ، فتوجّها بمن معهما من العساكر حتى صارا بمرصد شريك من طرف الجزيرة ، فنزلوا بها وقتلوا من وجدوا من اصحاب ابي يزيد وبلغه خبرهما فاخرج اليهما ايوّب بن خيران الزويلي في عسكر عظيم وقال له : اقتل من مررت عليه على طريقك ، واسب الذرية وانهب الاموال واحرق المنازل ومثّل في القتال ، فان الناس بذلك يخافون ويرهبون ويعرفون قوة امرنا وشدة بأسنا ، فتوجّه ايوب الى مرصد شريك ، واتصل بحسن وبشرى خبره فمالا عن طريقه وانتهيا الى ناحية هرقلية بالقرب من مدينة سوسة ، فتمادى ايوب وعسكر على موضع بينه وبينه سوسة مسافة نصف نهار ، واتصل بحسن بن علي وبشرى خبره ومعسكره ، فرجعا من مكانهما وقاتلاه قتالا شديدا ، فانهزم ايوب والعسكر الذين معه ، وقُتل منهم اربعة آلاف رجل ، واسر خمسمائة رجل ، ووجّه حسن وبشرى بالرؤوس والاسرى الىالمهدية، فلما صار الاسرى في المهدية ، وثبت العامة عليهم فقتلوا اكثرهم بالعصي والحجارة ، وكانت تلك من اعظم النكبات على ابي يزيد ، وقال : انما ينهزم عسكرنا اذا لم نكن معهم ولكن نعاجل القوم من قبل ان تقوى قلوبهم بذلك، فجعل طريقه موضع المعركة ، ونظر الى القتلى وغمه ما رأى من كثرتهم، ثم رفع فبات بقرب المكان ، ورفع فبات على ساقية طنباس ، ثم سار فبات بقرية البرحماس على مسافة عشرة اميال من القيروان

وكان خليل بن اسحاق اذا جاءه احد بخبر صحيح عن ابي يزيد دفعه ولم يصدّقه ، فجاءه رجل فاخبره بمبيت ابي يزيد وقال له : انه مصاحبنا غدا بالقتال فاستعد له ، فما اجابه خليل الا قال له : سمعت البارحة صوتا لو سمعته لطربت اليه ، وهو :

قد حصت البيضة رأسي فما \* اطعم نومي غير تهجاع

اسعى على جلّ بني مالك \* كل امرئ في شأنه ساع

والبيتان لابي قيس بن الاسلت ، يريد الخليل انك لست من اهل الحرب ، وانا من اهلها ، فلا يخفى هذا القول علي وانت منه في غفلة ، وجاءه قاضي القيروان احمد بن بحر فاجابه بمثل ذلك .

وارتحل ابو يزيد من البرحماس يوم الاحد لثلاث بقين من صفر سنة ثلاث وثلاثين وثلاثمائة فاخذ على نخيل بهلول ، يريد رقّادة لقتال الكتاميين، واخرج الكتاميون طلائع فوافت طلائع ابي يزيد في خلق عظيم ، فانهزمت طلائع الكتاميين وتمادى الطرد عليهم الى رقّادة وتسابقت اليهم البربر ، فلما رأوا انهم لا طاقة لهم بكثرة من اتاهم هربوا الى المهدية ، وطلبوا الى قصر المغيرة ، وقتل منهم جماعة ، وترامى رجال منهم في الآبار فقتلوا بالحجارة ، وامتنع ثلاثة في قصر البحر برقّادة فاتى اليهم فضل بن مخلد الدجّال وامرهم بالنزول فامتنعوا وتحصّنوا بالحجارة ، فاطلق البربر النار في القصر ، واحرقت خشبه وتكلّس الرخام وانهدم القصر ، ونزل الخارجي ابو يزيد بعسكره بالقرب من قصر خلف على اربعة اميال من القيروان فبات به ، وانتقل من غده فنزل شرقي رقّادة في خلق عظيم يزيدون على مائة الف فارس وراجل.

وخليل في كل ذلك لا يعبأ به ولا يلتفت اليه ، ودخل اليه القاضي احمد بن بحر وغيره ، فذكروا له امر العدو وقربه فلم يلتفت الى قولهم ، فخرجوا وقد يئسوا من الحيوة لسوء تدبيره ، ثم رجعوا اليه لوقتهم واجتمع جماعة من الجند فقالوا : دعنا نخرج الى العدو.

فقال : لا يخرج منكم احد حتى تضرب الطبول ، فمن خرج قبل ان يأتي اليه امري ضربته بالسياط.

فارسل الجند الى اوليائهم الذين مع الدجّال وعرّفوهم سوء تدبير خليل وفساد امره ، وكان ابو يزيد قد تهيّب القيروان ، وخاف من ميسور ابن يعاجله ، فحين جاءه الخبر بما وجّه به اصحاب خليل الى اوليائهم قوي قلبه وقلوب البربر ، وسألوه المسير الى القيروان، فرام ان يسكّنهم فما ساعدوه ورجعوا اليها، فلما رأى ذلك خاف ان ينزل بهم ما نزل بابي سليمان ايوب بن خيران ، وسألهم عن موضع خليل فقيل بباب تونس فقصد الى ناحيته ، وتوجّه قوم من البربر الى باب ابي الربيع ، وخرج اليهم جعفر الباغائي في زهاء مائة رجل ، فقاتلهم قتالا يسيرا، وقتلوا اكثر اصحابه ، فانهزم بين ايديهم فدخل القيروان.

وقصد البربر الى مصلى العيد فخرج اليهم الجند فقاتلوهم قتالا يسيرا ، ثم سلّموا على اوليائهم الذين في عسكر ابي يزيد وصاروا معهم ، وخليل في داره لم يخرج ولم يتحرك، وارسل خليل الى اصحابه ان يتركوا القتال ، وظن ان البربر ينصرفون حتى يأتيه ميسور ، ودخل القاضي احمد بن بحر الى خليل فوجده متغير اللون حين بلغه مصير الجند الى ابي يزيد ، وجاء منصور بن عمار فقال له : ان العدو قد لصق بالمدينة .

فقال خليل : ارجع فاعمل برأيك في قتالهم

فقال منصور : واي رأي يكون لي في هذا الوقت وقد هرب اكثر الجند وتفرّق الناس ؟

ثم خرج منصور وكان قد استعمله خليل على القيروان وعزل الجليقي ، وعاد الى خليل وقال له : ان ا لجند الذين كانوا في عسكرك صاروا مع ابي يزيد ، فاخرج ليراك الناس ، وقال القاضي اركب وأمر باخراج النبود وضرب الطبول ، وركب ومن بقي معه حتى صاروا الى باب تونس عند القنطرة ، فاذا بابي يزيد قد اقبل بخيله ، فلما رآهم خليل دعى بدرعه ليلبسها فوجدها مقلوبة فنزعها ، وامسكوا له دابته ليلبس لامته ، فاذا حزام الدابّة مرخي ، فمال به السرج الى بطن فرسه وكاد ان يسقط .

وقرب منهم ابو يزيد الدجّال وجنوده ، افترق الناس من حول خليل ، فلما رأى خليل فساد الاحوال قال : هذا امر فاسد ، وحوّل وجه دابّته ودخل القيروان، فقال له منصور بن عمّار : لا تتحصن بالقيروان ، واخرج بنا في حمية لنمضي الى ميسور ، فليس بيننا وبينه غير مسافة يسيرة ، والبربر مشتغلون بالنهب في القيروان، والليل قد اقبل ، وكان ذلك وقت العصر ، فقال خليل : يا احمق انا ادخل الدار واغلق الباب حتى يأتيني ميسور ، ودخل الدار معه القاضي احمد بن بحر وعبد الله بن زياد كاتب خليل ، وسهيل بن نفس صاحب النفقات ، ومنصور بن عمار وجماعة نحو اربعمائة رجل فاغلقوا باب الدار على انفسهم ، ودخلت البربر القيروان يقتلون ويأسرون ، وكتب خليل حين انحصر بالدار الى امير المؤمنين القائم بامرالله ع م وعلّق الكتاب على حمام و اطلقه الى المهدية ، فطار الحمام قليلا ثم صار الى نخلة الدار فنزل عليها ، ثم كتب رقعة اخرى وارسل بها حماما آخر ، فطار قليلا ورجع فوقع في الدار ، فجاء ابو سليمان ايوب بن خيران الزويلي فحاصر خليلا ، ورجع ابو يزيد الى موضعه الى رقّادة ، ورفع خليل من معه الى اعلى الدار ليقاتلوا بالنبل والحجارة ، وكان يطمع ان يأتيه ميسور ، وتمادى القتال الى الليل، وخاف البربر ان يأتيهم ميسور في تلك الليلة فخرجوا خائفين ، الا ايوب بن خيران ومن معه من البربر ، فانهم باتوا على محاصرة خليل في الدار ، والقىالبربر النار في الاصطبل المتصل بدار خليل ، فخاف اصحاب خليل ان تتصل النار بهم وفشلوا في اخمادها وصاح لهم البربر بالامان وقالوا : انما نطلب خليلا وحده ، فتراموا من اعلى الدار بالحبال ، ولم يبق مع خليل الا من لم يمكنه النزول ، وكان خليل قد دبّر ان يعطي من معه الارزاق ويفتحوا الابواب ويهربوا بالليل ، فحين ارتمى اصحابه الى البربر لم يمكنه ما دبّر، واعطاه ابو سليمان الامان ، وحلف له الايمان ، فنزل خليل بعد ان اشترط ان الدار تكون له ، وقال : هي لي من مولانا امير المؤمنين ، وجعل يكرّر ذكر الدار وانها له من امير المؤمنين ، فاعطاه ايوب ما طلب وكتب الى القاضي بذلك كتابا واشهد من حضر من البربر ، وقال ايوب لخليل : اركب على ا فره دوابّك وتزي باحسن ثيابك ، فانه لا يكون اليك شيء تكرهه.

وخرج خليل والقاضي معه وجماعة من اصحابه ، وانزل خليل عن دابّته واركب برذونا اشقر، وركب ابو سليمان وتوجّهوا الى ابي يزيد ، وهو في مناخه برقّادة ، فامر ابو يزيد اللعبن ابا سليمان ان يحسبهم في فازته ، وان يجعل ارجلهم في سلاسل الحديد ، وباتوا على ذلك الى ان اصبحوا

وروي عن رجل يقال له سهل قال : كنت مع خليل عند ابي سليمان وباب بربري واحد يحفظنا ، ونحن ثلاثون رجلا ، والخيل المسوّمة عندنا ، فما منعنا ان نقتل الرجل ونركب الخيل وننجو والليل يسترنا الا ما اراد الله من تمام امره .

واقام خليل واصحابه معتلقين عند ايوب بن خيران باقي ليلة الثلاثاء ويوم الثلاثاء، وقتلوا جميعا يوم الاربعاء ، وكان ابو يزيد شاور صاحبه ابا عمار الاعمى في ابقاء خليل وقال :ليس في قتله فائدة ، وهو يعرف احوال افريقية ، ونحن نحتاج اليه . فقال له الا عمى : لا بد من تعجيل قتله لان من في عسكرنا من الجند والعبيد ملكناه باسيافنا ويكره ما سرنا ، وخليل قائد مشهور ورئيس معروف ، وعيون الناس ناظرة اليه ، ولا نأمن ان يكون ادنى حركة في العسكر واختلاف بين القبائل ، او عمل من السلطان او من ميسور ، يستخلصونه به ومن معه ، وقد قيل في كتاب كليلة ودمنة : ليس للعدو المخوف اولى من قتله ، واراحة النفس منه ،وان كان في غاية الضعف والقلة . فاجابه ابو يزيد الى قوله .

وروى محمد بن عمرو بن القصري ، وكان فيمن اسر مع خليل ، ولم يتخلص من القوم غيره ، وغير سهل الذي تقدّم ذكره ، قال : كنّا في الاغلال ، وقد جاع خليل ولم نجد ما نأكل لان القوم كانوا يأتوننا بطعام جشب وكان عند ابي سليمان خادم كان يشفق علينا ، وكان اهله لمحمد بن منّ الله فقال له خليل: ويحك اطلب لنا فرّوجا وقرعا واحتل في اصلاحه، فبينا نحن كذلك اذ دخل بربري من اصحاب ابي سليمان الزويلي فجرّد عمامة خليل ونزع ثيابه ، واتى قوم آخرون ففعلوا بنا مثل ذلك ، وجعل غلام محمد بن منّ الله الذي عند ابي سليمان يناولنا خرقا نستر بها عورتنا من خلف الباب، وهي من كساء سمل قد شقّه ، وقال : استتروا بهذا فانكم تخرجون الى القتل ، وظهر من القاضي احمد بن بحر من الجزع امر عظيم ، وجعل يقول : ايرضى ابو يزيد بقتل القضاة ؟ من سبقه الى هذا ؟

فقال له خليل : كم عمرك يا قاضي؟

قال : قد بلغت الستين

فقال خليل : هذا معترك المنايا ، وانا اسنّ منك ، وتمثّل خليل :

ما بعد ستين قد اخلقت جدتها \* من حالة يترجّاها ذوو الكبر

الا التي تسلب الاجسام انفسها \* وتنقل الناس من دار الى حفر

فعلا صوت القاضي بالبكاء ، والاستغاثة الى الله تعالى والدعاء ، فقال خليل : ما في المقام بعد هذا الحال خير، قبّح الله الدنيا ومن يغتر بها ، واركبوا خليل بن اسحاق واصحابه على حمير ، واهل افريقية حولهم وجنود البربر .

وفيما اتى عن محمد بن عمرون القصري قال : لما توسطنا العسكر جاء قوم من البربر من قبل ابي يزيد فقالوا : لا تقتلوا محمد بن عمرون القصري ، قال وفيهم من جاورني بالقصرين في بلدي فاحسنت اليهم فسألوا ابا يزيد في ابقائي فاجابهم الى ذلك ، قال : ووضع البربر السيوف والرماح في خليل ، وقد عارضه ابن زربية الفاسق القيرواني فبصق لعنه الله في وجه خليل ولطمه ونتف من لحيته وانشد اول شعر خليل الذي عارض فيه مروان بن ابي حفصة رافعا صوته :

قف بالمنازل واسألن اطلالها \* ما ذا يضرّك ان اردت سؤالها

هل انت اول من بكى في دمنة \* درست وغيّرت الحوادث حالها

قال فانحدرت الدموع من عين خليل ، وقال : احسنت وظهرت منه اريحية وشجاعة لم تظن

وضرب خليل بالسيوف فيما قيل ثماني عشرة ضربة وهو قائم على قدميه لم يتأوه ولا انجدل حتى ضربه احد البربر بالسيف على الاوراك فسقط ، وضرب حتى مات رحمة الله عليه. وظهر من القاضي احمد بن بحر ومن سائر الجماعة غير قليل من الجزع وقتلوا صبرا رحمة الله عليهم في طاعة الائمة الطاهرين وعلى ولاية القائم بامرالله امير المؤمنين ، فهنيئا لهم ما آتاهم الله من الجزاء الطويل ، والنعيم في الآخرة الذي لا يفنى ولا يزول ، كما وعد تعالى وهو الصادق في وعده اذ يقول : ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله امواتا بل احياء عند ربهم يرزقون ، فرحين بما آتاهم الله من فضله ، ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم الا خوف عليهم ولا هم يحزنون ، الحقنا الله سبحانه بالشهداء ، وجعلنا في محيانا ومماتنا من السعداء.

وكان خليل رحمة الله عليه شاعرا بليغا ، وقد ذكرنا من شعره ، ومن ذلك قوله :

ذهبت اكاليل الوسامة \* وابيضّ مسودّ الغمامة

وجفاك من عذّبته\* واطلت من شوق غرامه

والغانيات اذا رأيـ \* ن الرأس اصبح كالثغامة

اعرضن اعراض الجمو \* ح اذا ابحت له لجامه

من ودّني فمودتي \* وقف عليه الى القيامة

ومن انثنى عنّي دعو \* ت له المهيمن بالسلامة

لا احمل الحقد المقيـ \* ـم على الصديق ولا الملامة

واذا تعرّض جاهل \* او ظالم منّي ظلامة

طوّقتها عن قدرة \* في جيده طوق الحمامة

ولقد ركبت الخيل تحـ \* ـمل شكّتي مثل النعامة

ونصرت آل محمد \* واذقت شانئهم حمامه

والخيل تعلم انني \* في الحرب اصدقها شهامة

واعزّها نفسا واكـ \* ـر مها واكثرها صرامة

ولقد ابيت مع الفتا \* ة كأنها شمس الغمامة

في ريقها ولحاظها \* طرف الفواكه والمدامة

لا والذي خصّ الخليـ \* ـفة بالخلافة والامامة

وحباه بالنبإ العظيـ \* ـم وبالفضيلة والكرامة

ما خنت عهدا للصديـ \* ـق ولا رجعت له ندامة

ولقد وفيت لمن هويـ \* ـت كما وفي كعب بن مامة

لا خير في الدنيا لمن \* لا يرتجي دار المقامة

وله يخاطب الامام ع م ويذكر له الكتاّب واقتطاعهم الاموال :

الله يعلم يا خليفة ربنا \* وابن الخلائف انني لك ناصح

فاذا نصحتك يابن بنت محمد \* فالحظ لي وانا السعيد الرابح

اضحت دواوين الامام ونقصها \* بعد الزيادة مستبين واضح

ما ذا ارى بعد ان لعبوا بها \* و تعاقدوا في اخذها وتصالحوا

وله ايضا :

بان الشباب فبن عن اللذات \* وتولّ منصرفا عن الشهوات

واهجر صواحبك الحسان اللائي في \* هجر المشائخ غير مختلفات

ان التصابي بالخرائد كالدمى \* لاولي النهى والشيب غير مؤات

لله درّ فتى يروح ويغتدي \* حذرا من الآثام والشبهات

وفي اليوم الذي استولى فيه مخلد على القيروان وقتل خليل رحمة الله عليه وافق اخذ العبّاسي ابراهيم المتقي بن جعفر المقتدر صاحب بغداد فسُلمت عيناه ، وذلك يوم السبت لسبع بقين من صفر ، وتولى منه ذلك غلامه توزون التركي ، وكان المتقي قد قدم من الرقة وصار بين الانبار وبغداد بقرية يقال لها السندية على ظهر عيسى ، وقد تلقاه توزون بها واقام معسكرا فيها ينتظر قدومه ويظهر انه اتاه مستقبلا له، فتغلب عليه وانتهب عسكره ومال به الى مضربه فكحل عينيه واعماه . واجلس مكانه المستكفي وتوجّه الى بغداد فادخله اياه ، وكان ببغداد النهب وظهور اللصوص وغلاء الاسعار ، وكان القمر قد انخسف لاربع عشرة ليلة من صفر خسوفا كليا ، وقد ذكر اصحاب النجوم ان القمر اذا انخسف في برج الحمل وقابله نحسا الفلك فان ملك بابل يهلك ، فذكرانه كان كذلك وهلك بعد الخسوف بسبعة ايام .

ونرجع الى ما كنّا فيه :

ولما قتل خليل رحمة الله عليه وافى البربر القيروان ينتهبون الاموال ويستبون النساء ويقتلون الرجال ، فنادى الناس في السحر ليذهبوا الى مخلد الدجّال ابن كيداد فخرج اهل القيروان الى مخلد يصطرخون، ووافاهم البربر فجرّدوهم عن ثيابهم وقتلوا جماعة منهم . ووافى اهل القيروان ابا يزيد وقد ركب من مناخه وهو يريد القيروان ، فقرّب ابراهيم العمشاء القيرواني - وكان يقول بخلق القرآن - وعانقه وشكى اليه اهل القيروان ما نالهم ، وقال له رجل منهم : يا شيخ : انك تطلب امرا عظيما لا تناله بهذه الافعال ، وانما تناله بالعدل والاحسان.

فقال لهم : ذلك بما كسبت ايديكم ، ولامهم في تخلّفهم عنه وقرأ آيات من القرآن.

فقالوا : انه حيل بيننا وبينك

فقال :وما منعكم ان تهاجروا اليّ

واشار عليه صاحبه ابو عمار الاعمى بامانهم وتقريرهم وقال له : انك تحتاج الى القيروان ، ولاغناء بك عنها ، فامنهم بعد ان عاهدهم على ان يبذلوا له اموالهم ويخرجوا للجهاد معه بزعمه . ووجّه معهم رجلا من وجوه البربر ليدفع البربر عنهم . فسار في رجال معه ، ونادى مناديه ، فكفّ البعض ، وبقي الاكثر ينهبون ويسبون النبات والنساء ، ولم يرفع البربر ايديهم عن اهل القيروان ، وما زالوا يسبون وبنتهبون ويفتضون الابكار ، واهل القيروان يترددون الى ابي يزيد ، وجاءه رجل فشكى اليه ان جارية له اخذت وان داره انتهبت فتمثّل ولم يكترث وانشد :

اذا ابقت الدنيا على المرء دينه \* فما فاته منها فليس بضائر

وكان اللعين فيما قيل من ابرع الناس واسرعهم تمثّلا بابيات الشعر وآيات القرآن ، وقال : يا اهل القيروان ان خرّبت مدينتكم فقد خربت مكة والبيت المقدّس.

واقام مخلد الدجال الى شهر ربيع الاول ، ونادى مناديه بتحريك اهل القيروان للخروج معه وان يوافوا مصلى العيد ، فاستعمل يدرس المزاتي على القيروان وكان من اغلظ اصحابه .

وكان ميسور مقيما في الموضع الذي عسكربه وقد اجتمع اليه خلق عظيم من كتامة والعبيد والمغاربة وبني كملان بالكراع والسلاح والاموال والقوة التي لم يكن مثلها في عسكر قبله .

واتصل بامير المؤمنين القائم بامر الله ع م ان جماعة من بني كملان الذين في عسكر ميسور قد كاتبوا ابا يزيد وراسلوه ووعدوه ان يعملوا الحيلة في قتل ميسور ، فكتب عليه السلام الى ميسور كتابا يحذّره منهم ويأمره بازالتهم عن معسكره وطردهم عن نفسه ، فساروا الى ابي يزيد وحرّضوه على ميسور وقالوا : ان عاجلته بالحرب ظفرت به ، فسار يريد ميسورا ، ثم عطف على قصر المغيرة فبات بالماجل الذي على طريق المهدية على ستة عشر ميلا من القيروان ، وكانت ليلة باردة ، ولم يكن مع اهل القيروان لها عدة، فمات تلك الليلة كثير منهم ، ورفع ابو يزيد صبيحة الاربعاء لاثنتي عشرة ليلة خلت من ربيع الاول فوافت طلائعه طلائع ميسور بموضع يعرف ببقلوط ، فناشبوهم القتال ، وسبق الخبر الى ميسور فاخذته دهشة وحيرة ، واتاه جماعة من وجوه رجاله يسألونه تفريق السلاح على العسكر فابى عليهم ، وهجم عليهم عسكرابي يزيد وهم في الكلام في امرالسلاح ، وركب ميسور ووقف على جسر كان بالقرب من موضع القتال ، وفي ذلك المكان جسور اولية لا يستطيع الراجل ان يعلوها فضلا عن الفارس ، وانما نزل ميسور هنالك ليحصن بها من البيات ، وانهزمت ميسرة ابي يزيد حتى بلغوا في هزيمتهم القيروان ، ولما رأى ابو يزيد هزيمة ميسرته قصد فيمن معه من غزاته ووجوه رجاله الى موضع ميسور ، وقد حفت بابي يزيد رجاله وفرسانه ، فانقطع اصحاب ميسور من بين يديه واستوت الهزيمة فيهم ، وقصدوا الى المهدية، فلما رأى ميسور فساد الامر حوّل دابّته ليزول عن الجسر ، ووافاه سهم فغلغل في دماغه ، ووقع في الجسر فكسر فخذه ، وكان السهم الذي وقع فيه قد احال عقله فجعل يضحك كالمعجب ، وعادت دابة ميسور فلم تدرك الا في المهدية ، وترجّل عليه وجوه رجاله من كتامة والمغاربة والعبيد وقصده بنو كملان فقتلوه ، وقصد ابو يزيد الى مضربه فنزل فيه ، وسبق البربرالى الفازات والاخبية فغلبوا عليها وانتهبوا ما فيها ، وامر ابو يزيد لعنه الله بميسور رحمة الله عليه فشرح جسده وعلّق على شجرة زيتون ، وامر برأسه الى القيروان ، فلم يشك الناس بعد قتل ميسور ان يزيد يظفر بالمهدية وانه قد غلب.

وكان فضل بن ابي يزيد مقيما برقّادة في معسكر ابيه مع ابي عمار الاعمى ، فاتاهم كتاب الدجّال ان يوجّهوا برأس ميسور الى المغرب واوراس ونواحي الزاب ، وكتب اليهم الدجّال يعرّفهم بقتل ميسور وانها استقامت له الاحوال.

ولما اتصل قتل ميسور رحمة الله عليه باهل المهدية ووصلت الهزيمة اليهم ، كثر الخوف لديهم وزلزلوا زلزالا شديدا ، وظنوا ان ابا يزيد الدجال يعاجلهم ، فارتحل عامة الناس من كتامة سراعا الى حول المهدية بعيالاتهم ، يريدون دخول المهدية للتحصّن بها وليكونوا حول امير المؤمنين القائم بامر الله ع م ، فامر عليه السلام حيان البواب بمنع الناس من الدخول وان يرجعوا بعيالاتهم الى مواضعهم ومساكنهم ، وامره ان يقول للقوم الواردين من كتامة الا خوف عليكم فارجعوا الى مواضعكم آمنين ، فان هذا زبد سوف يذهب ، ويديل الله تعالى لكم على القوم الظالمين، ولكل اجل كتاب ولكل امر مدة ، ولا بد ان تغلبوا ان شاء الله ، فخرج اليهم حيان فبلّغهم رسالة امير المؤمنين ع م ، فما سكن الى قوله الا قليل من الناس وماج الناس بعضهم في بعض متردّدين على باب المهدية ، واقاموا ثلاثة ايام بالفضاء باهاليهم واموالهم ، واخذهم نوء عظيم ، فلما يئسوا من الدخول رجع بعضهم الى مساكنهم وسكن بعضهم في زويلة ،واكثروا التردد ، يتوقّعون مجيء ابي يزيد ، واستعد من في المهدية للحصار.

واقام النكاري الدجال في معسكر ميسور يشنّ الغارات علىاهل السواحل وغيرها من الكور ، وسائر اقاليم افريقية ، ويبعث البعوث ، ويخرج العساكر الى الحصون ، فاستفتح كل الحصون التي على البحر واخذ ما فيها ، ودخل البربر مدينة سوسة بالسيف وانتهبوها وقتلوا رجالها ، وسبوا نسائها واخربوا منازلها ، وقتلوا من بقي من الرجال في سائر الكور والمنازل ، وعذبوهم بانواع العذاب التي لم يسمع بمثلها في الامم ، مثل قطع الاعضاء ، وتشويه الخلق ، وبقر البطون ، وشق الفروج ، وغير ذلك من الافعال المنكرة ، وسبوا النساء واجلوا الاقاليم بافريقية ، فلم يبق سقف مرفوع ، ولا مهاد موضوع ، وانحفل من بقي في المدن الى القيروان والى الحصون التي على البحر ، وخرجوا من منازلهم عراة حفاة ، ومات كثير منهم جوعا وهزلا وبردا وعطشا ، ثم كانت البربر يدخلون القيروان بما غنموه من الاموال والدواب والجمال بالامتعة والسبايا من النساء والولدان ركبانا ورجالة ، مخضبات بالدماء باكيات حاسرات مستغيثات الى الله جل وعلا ، وجمع البربر من السبايا المسلمات واموال الناس التي اغتصبوها وانتهبوها الى معسكر الدجال والى القيروان ثم الى نواحيهم ما لا يحصى عدده ، ولا يدرك امده ، وكانت ظلمة عمت المغرب ، ومحنة شملت على كل مسلم من كل مبعد ومقترب ، وكان الناس يأتون يطلبون امّهاتهم وذوات ارحامهم ، فمن عرف منهن احدا بادرت اليه البربر فقتلته، وقيل ان رجلا جاء يستغيث الى ابي يزيد اللعين فقال له : انا بالله وبك يا شيخ المسلمين

فقال له : اشرح قصتك

فقال : انا رجل ذو نعمة ويسار ، ولكتامة مذ اخذوا هذه البلاد اربعين سنة وانا اؤدي ويجور عليّ من العمال من يجور ، فما اخذوا مني الف دينار في طول تلك المدة ، واصحابك اخذوا مني ما يزيد على اربعة آلاف دينار في ساعة واحدة ، وسبوا لي جماعة من النساء الحرائر ، منها ابتنان لي صالحتان ، وقد بلغني ان عندك احداهما واسمها عزيزة

فقال ابو يزيد لعنه الله : اذهبوا فادفعوا اليه ابنته ان عرفها عندنا

فما زال الرجل يطلب الاخبية ويستخبر ومعه رسول ابي يزيد حتى انتهى الى فازة ، فاذا بنته قد عرفها وعرفته ، فخرجت اليه وهي تشهق بالبكاء والنحيب ، وهو كذلك ، وعلت اصوات النساء عند ذلك بالنحيب ، وقلّ من يرى الا صبية مفتضة ، وقالت الصبية لابيها : يا ابتاه اقتلني واستر علي وعلى نفسك، فلا خير في الحيوة ، وما لي وجه يحملني ان اراك به ، وهذا ابو يزيد قد افتضني واختي على فراش واحد ، فهي معي تصيح وتبكي ، ولم تستطع ان تنظر اليك حياء منك.

فعاد الرجل الى خباء ابي يزيد وهو يصيح ويبكي ويسفي التراب على وجهه ورأسه ،ثم اقتحم على ابي يزيد كالاسد غير مكترث وقال له : ان بنتي عندك جميعا وانك افتضـضتهما معا ، وكيف استجزت ذلك وانت تزعم انك من المسلمين، ومن اين حل لك ما حرّم الله ؟ وكيف تجمع بين الاختين؟

فقال ابو يزيد : ان في مذهبي ان اجمع الاخوات المملوكات ، وهاتان مملوكتان من سبايا وذراري المشركين

فولّى الشيخ وهو يصيح : يا الله قد ترى ما يفعل بعبادك ويفسد في بلادك

فاشار ابو يزيد الى اصحابه ان افتلوه فقتلوه.

وكان ابو يزيد اذا جاءه احد يطلب ذات رحمه واكثر القول عليه يقول البربر : وانما ابحنا لكم نساءهم بعد ان تقتلوهم ، فاما وهم احياء يشنّعون علينا فلا ، فيثبون على من جاء لذات رحمه فيقتلونه ، وذلك ما لم يعلم منذ الاسلام وقيام النبي صلع الى الآن ولو كان الدجّالون كثيرين ، ومنهم من احتذى حذو هذا اللعين ، فانهم لا يكادون يتجرؤون على اظهار فعل ذلك لخيفة المسلمين، وانما يفعلون القليل من ذلك ابطانا للكفر واظهارا للاسلام ، وهذا اللعين صرّح بكفره ، واتى بجميع خبثه ونكره .

ولبس الدجال ابو يزيد الديباج والحرير ، وترك ما كان يلبس من الصوف ، وركب مسوّمات الخيل، وعاذله من اصحابه في ذلك من عادته فلم يلتفت الى قولهم ، وذلك اصل مذهب الخوارج ، وقد انكروا على عبد الله بن العباس رضى الله عنه لمّا ركب افره دوابّه وتزيّى باحسن زيه ، وقالوا له : بينا انت خير الناس اذ جئتنا في زي الجبارين ، فتلى عليهم عبد الله بن العباس قول الله سبحانه : قل من حرّم زينة الله التي اخرج لعباده والطيبات من الرزق ، الآية. وقد ذكرنا ذلك .

وفي خلال مقام ابي يزيد بالاخوين بعد قتل ميسور رحمة الله عليه امر امير المؤمنين القائم بامر الله ص ع بحفر خندق حول ارباض المهدية ، وابتدئ في حفره لسبع بقين من شهر ربيع الاول سنة ثلاث وثلاثين وثلاثمائة.

وامر امير المؤمنين ع م بانفاذ الكتب الى الكتاميين والى من يليهم ، وامرهم بالحركة الى المهدية ، وحضّهم على الجهاد للخوارج النكارية اللعناء ، ونبذهم ان يأتوه خفافا وثقالا كما امر الله عباده الذين قصدهم بذلك وعنى ، وبعث بالكتب في السر والخفاء ، لئلا يطلع عليها ابو يزيد ومن تبعه من الاشرار الخبثاء ، فاخذ اصحاب ابي يزيد بعض الرسل ، ومعه كتاب من تلك الكتب ، وقد كان الرجل جعله مجلّدا بين تمائمه ، وجاؤوا الى ابي يزيد لعنه الله بالكتاب ففتحه وقرأه وهذا فصّه :

باسم الله الرحمن الرحيم ، الحمد لله رب العالمين ، والعاقبة للمتقين ،

من عبد الله محمد ابي القاسم القائم بامر الله امير المؤمنين الى جماعة لهيصة ، سلام عليكم ، فان امير المؤمنين يحمد اليكم الله الذي لا اله الا هو ، ويسأله ان يصلي على محمد عبده ورسوله ، صلى الله عليه وعلى عترته الطيبين الاخيار.

اما بعد ، فقد تقدّمت كتب امير المؤمنين اليكم يتلو بعضها بعضا يأمركم بالاسراع في الخروج الاحتفال بالخيل والرجال لجهاد الفاسقين الكفرة المارقين من اهل اوراس ، اذ جهادهم افضل من جهاد المشركين ، وكانوا بالاربس بعد قتلهم من قدروا عليه من اخوانكم ، وسبي ذراريهم وانتهاكهم حرمهم واكل اموالهم ، وتقووا على ذلك بنفاق اهل افريقية كافة معهم ومعاضدتهم اياهم على فسقهم ، وقد آلت امورهم الى ما تقدم به الكتاب من غدرهم بخليل داخل مدينة القيروان مع معونة الفجرة اهلها ، وهم على ذلك سيما ان الله انزل بهم من الخزي والنكال وسبي الذراري وانتهاب الاموال ما في اقله شفاء لما في الصدور ، وعبرة لاولي العقول ، جزاء لهم بمكرهم .

فتثاقلتم عن القدوم وتربصتم عما لكم فيه الحظ الجسيم لدينكم ودنياكم ، حتى استقدر الكفرة مع دجّالهم الذي نصبوه علما لنفاقهم ، ونزلوا على اثنين وعشرين ميلا من المهدية وانحفل جميع اخوانكم بمن تخلص من اهاليهم وابنائهم اليها ، وهم متثبتون على المصاف لقتال الكفرة الاخسرين وهم منتظرون لقدومكم.

فاعلموا ذلك وبادروا بالقدوم ساعة ورود هذا الكتاب اليكم ، فان كان سبب تخلفكم لخروج الرجالة فانهضوا بالخيل وحدها مسرعين ، وجدوا وخذوا في ذلك بالجد وقوة العزم ، واحذروا ان يكون لكم تثبط وتثاقل ، مبتغين لما يرضي الله، ويحمد امير المؤمنين اليكم ، وستزيدون من النعمة عندكم لاولاكم واخراكم ، ان شاء الله ، والسلام عليكم ورحمة الله.

فلما قرأ ابو يزيد صاحب الحمار الكتاب ، امر بقتل الرجل الذي حمله ، وعلم انها وصلت كتب كثيرة الى كتامة بمثل ما في ذلك الكتاب ، وخاف ان يحدث عليه امرلا يطيق دفاعه، وتأتي كتامة ومن والاها من جهات اقطارها واعمالها ، ومن الذين منهم في عسكره ، فارتحل نحو المهدية بجميع عساكره، وكان ارتحاله من معسكر ميسور رحمة الله عليه نصف الليل من ليلة الثلاثاء لعشر بقين من جمادى الاولى، احد شهور سنة ثلاث وثلاثين وثلاثمائة ، وحط رحاله بموضع يقال له خربة جيملة ، على خمسة عشر ميلا من المهدية، وافترق العسكرعلى ابي يزيد ينتهبون ما وجدوا ويقتلون الرجال ويستبون النساء وانحجز الناس بالمهدية وانحصروا بها .

واجمع الاولياء علىان يقصدوا ابا يزيد حين افترق عسكره الى مناخه ، فخرجوا من المهدية يوم الخميس لثمان بقين من جمادى الاولى ، في احتفال من الخيل والرجال . واتصل خبرهم بابي يزيد، وقد وافق قدوم ابنه فضل بن مخلد في جيوش عظيمة من البربر ، فوجّه بهم لملاقاة الاولياء بموضع يقال له اشراف مسافة ثمانية اميال من المهدية ، فوقع بينهم القتال ، وارسل ابنه اليه يخبره ذلك ، فركب مخلد فيمن كان معه ، ولم يترك احدا من الرجال في الاخبية ، وتوجّه يريد القوم ، فوافى اصحابه وهم في الهزيمة ، وقد قتل منهم ثلاثة عشر رجلا ، فترك اصحابه عن يمينه ، وقصد الى وسط عساكر الاولياء ، فلما رأوه ما تمالكوا ان انهزموا من غير قتال ، وولوا الى المهدية ، وتبعهم البربر حتى انتهوا الى باب الفتح. وبلغ ابو يزيد خندق المهدية المحدث الذي امر امير المؤمنين القائم بامر الله ع م بحفره ، واشرف على المهدية ، وذلك عند صلوة المغرب ، واراد المبيت فاشار عليه اصحابه بالرجوع فرجع الى معسكره بخربة جميلة بعد زوال الليل ، وكتب مخلد بن كيداد الدجّال الى ابي عمار الاعمى ، وهو بالقيروان يخبر ذلك ، فقرئ كتابه على المنبر ، وكتبوا به الى البلدان ، وكثر جمع ابي يزيد واتى الناس اليه من كل جهة وقصدوه من كل وجهة ، طمعا في الحطام ، وطلبا للنهب والسبي واكل الحرام ، وخيفة من ابي يزيد ان يعاجلهم بالاصطلام .

ورحل ابو يزيد يريد المهدية لثلاث خلون من جمادى الآخر سنة ثلاث وثلاثين وثلاثمائة ووجّه كثيرا من البربر الى باب الفتح ، وكان هناك عسكر امير المؤمنين ع م من كتامة ، ووجّه الى الباب المعروف بباب اكّة ايو الزويلي ، وكان هناك من قوّاد امير المؤمنين صندل الخادم الاسود في العبيد المسترقين لامير المؤمنين ع م ، وتوجّه ابو يزيد الدجّال بنفسه ، ومعه ابطال الرجال من حماته وغزاته ، و من اهل القيروان ، ومن انضم اليه من جبل اوراس واعمال افريقية وسائر البلدان ، وقد انتقاهم واختارهم ، فقصد الخندق المحدث وكان عليه من رجال امير المؤمنين رشيق الريحاني الكاتب في عدة من العبيد فوقع القتال بينهم وبين ابي يزيد على السور والخندق المحدثين ، فارتمزا بالسهام وتطاعنوا بالرماح ، واقتحم ابو يزيد ومن معه في شاطئ البحر ، فبلغ الماء صدور دوابهم ، حتى جاوز الخندق المحدث فانهزم رشيق ومن معه حتى بلغوا الى باب المهدية فاصابوه مغلقا ، فتحصنوا بقصر الرباط وتقحّم كثير منهم في البحر وتعلّقوا بسور المهدية وبالحجارة التي حوله في وسط الماء فتحصّنوا بها من البربر ، ووصل ابو يزيد الى قرب الباب عند مصلىالعيد الذي ابتناه امير المؤمنين المهدي بالله ع م حيث وقع السهم من المهدية ، وقال ان الدجّال ينتهي اليه اذ ليس بينه وبين المهدية الا قدر مرمى القوس ، وذلك اقصى مبلغه من المهدية ، ثم تفرّق اصحاب ابي يزيد ينهبون ويقتلون ، والناس فوق سطوح بيوتهم يكبّرون ويهلّلون ويطلبون الامان من ابي يزيد ، والحرب عند باب الفتح بين كتامة والبربر ، وهم لا يعلمون ما صنع ابو يزيد ولا حيث بلغ . وكانت للاولياء كرة على البربر هزموهم فيها وقتلوا جماعة منهم ، فاتى مخلدا رجل فاخبره بهزيمة اصحابه فخاف من المقام على باب المهدية وتوجّه يريد باب الفتح ليأتي كتامة من ورائهم ، فزحف ومعه الطبول والبنود ، فلما رأى من في الارباض البنود وسمعوا الطبول والجلبة ، ظنوا ان امير المؤمنين القائم ع م خرج بنفسه من المهدية لقتال ابن كيداد ، فقويت نفوسهم ورفعوا بالتكبير اصواتهم ، واشتد قتالهم ، ووافى يزيد من الازقة والشوارع ، فلما رآه اهل تلك النواحي من الاولياء تيقّنوا انه ابو يزيد ، فمالوا عليه بالحرب والطرد والقتل ، وقتل جماعة من اصحابه ، ولم يجد مسلكا حتى هدم له اصحابه حائطا فخرج منه ، ووصل الى ناحية القتال بعد صلوة المغرب ، فقويت نفوس اصحابه وانهزم الاولياء ، وقتل من الفريقين خلق عظيم ، وقتل من اصحاب ابي يزيد جماعة كثيرة حتى افترقوا للنهب.

وكان حين وصل مخلد اللعين باب المهدية ، وامير المؤمنين القائم بامر الله ع م جالس في مجلس له على البرح ، عرّف بوصول ابي يزيد الى المصلى ، وانه بالقرب من الباب ، وقال جماعة من في الحضرة لامير المؤمنين ع م من رجاله وعبيده : لو خرج امير المؤمنين بنفسه ورآه الناس رجونا ان يكشف الله هذا الامر بيمن طلعته ، وعظّموا الامر ولم يشكّوا الا ان ابا يزيد قد ملك الارباض ، وهو صلوات الله عليه مستبشر اليهم غير مكترث ولا ملتفت الى ما يقولون ، فحين اكثروا القول قال عليه السلام : لو جاءني ابو يزيد حيث يأخذ بحلقتي هذا الباب ما خرجت اليه ، ليقضي الله امرا كان مفعولا ، وليبتلي الله المؤمنين ويمحق الكافرين. والذي نفسي بيده لينجز لنا وعده ولو كره المشركون ، ثم قال لبعض الخدم الصقالبة الذين كانوا بين يديه : امض الى سور المهدية واطلع عليه، فاذا رأيت الفاسق انصرف من مكانه فلوّح الينا بسيفك لنعرف وقت انصرافه ، فمضى الخادم كما امره ، فلما انصرف ابو يزيد لوّح بسيفه، فقال امير المؤمنين ع م لمن حوله :ابشروا فقد بلغ الفاسق الى اقصى مدى غايته ، وقد انصرف عنكم، وليس ترونه بعد هذا بالغا الى هذا المكان ابدا ، فاستبشر القوم وايقنوا بقول امير المؤمنين وابتهلوا الى الله سبحانه ان يفرّج تلك المحنة ، ويزيل تلك الفتنة ، ويمكن لاوليائه كما وعدهم ، ويبلغهم من صلاح عباده املهم .

وقد كان الناس ظنوا حين انتهى ابو يزيد الى المصلى ان ينصب هنالك فازته فعاد ابو يزيد الى محطته وموضع فازته بترنوط يوم الاربعاء لاثنتي عشرة ليلة خلت من جمادى الاخرى سنة ثلاث وثلاثين وثلاثمائة، وامر بحفر خندق على معسكره ، وتحصّن به ، واجتمع اليه خلق عظيم من الاجناد والبربر، ومن بلاد افريقية واقصى المغرب وادناه ، وحاصر المهدية حصارا شديدا ، ومنع الناس من الدخول اليها ، وخرج اليه ابراهيم الاشل من المهدية مستأمنا فقال له : يا ابراهيم كيف حالكم في المهدية؟ الم افزعكم؟

قال له : والله ما افزعتنا ولا اشتغلنا بك

قال : فلما ذا اغلق ابو القاسم باب المهدية؟

قال : قلة اكتراث والله اخبرني ابو القاسم ، يعني امير المؤمنين عليه السلام ، منذ سبعين يوما بانك تبلغ الى مصلى المهدية ثم لا تعود ابدا .

فقال ابو يزيد كالمستهزئ : اخبرك بهذا ابو القاسم ؟

قال :نعم اي والله لقد اخبرني بهذا .

وزحف ابو يزيد بجموعه يوم الجمعة لسبع بقين من جمادى الاخرى وقصد الى باب الفتح ، وكان بينهم وبين اهل المهدية حرب شديد قتل فيه جماعة من وجوه الاولياء وجماعة من البربر ، واقتحم ابو يزيد بنفسه حتى صار الى قرب الباب ، فعرفه بعض عبيد الاولياء وقبض على لجام جواده وصاح : هذا مخلد الفاسق ، فلا يفوتنكم ، فاتاه رجل من اصحاب ابي يزيد فضرب يده فقطعها ونجى الفاسق مخلد ، ولما رأى الدجّال اقدام كتامة والعبيد وجنود امير المؤمنين الذين في المهدية ، وشجاعتهم وشدة شوكتهم وبأسهم كتب الى اهل القيروان يأمرهم بالخروج اليه بالفازات والسلاح والعدة ، ووجّه اليهم جماعة من اصحابه فاخذوا الناس بالخروج ، واخرجوا جميع ما معهم من القوة والعدة الى عسكر ابي يزيد ، فلمّا وصلوا زحف الى المهدية بهم وبجميع عساكره يوم الاثنين لسبع بقين من شهر رجب ،

وانشأ الامام القائم بامر الله امر المؤمنين خطبة يحرّض فيها المؤمنين وامر المروزي قاضيه بالمهدية ان يقرأها عليهم ، يقول فيها بعد حمد الله تعالى والثناء عليه والصلوة على النبي محمد صلع :

ايها الناس ، ان هذا اللعين النكاري قد استشرى شره ، واستوبأ مرتعه ، وحملته الاماني ، والنفس التي هي بالسوء امّارة ، على ان غمط نعمة الله تعالى عليه وسوّل له الشيطان الذي هو قرينه ان لا غالب له، وانما ارخى له امير المؤمنين في زمامه ، ليعثر في فضل خطامه فلعنه الله لعنا وبيلا ، واخزاه خزيا طويلا ، وصيره الى نار تلظى لا يصلاها الا الاشقى ،

وقد علمتم يا معشر كتامة ما مضى عليه آباؤكم وقدماء اسلافكم من لزوم الطاعة والاعتصام بحبلها والتفيء بظلها ، والمجاهدة في الله حق جهاده ، وانكم خبيئة الله لهذا الحق المحمدي الفاطمي المهديّ حتى اظهره واعلاه ، وجعل لكم فخره وسناه، فانتم كحواري عيسى وانصار محمد صلى الله عليهما

يا ابناء المهاجرين والانصار، والسابقين الاوّلين المقرّبين ، اليس بكم ازال الله دول الظالمين ، التي مضت لها احقاب السنين حتى جعلها حصيدا خامدين ؟ واورثكم ارضهم وديارهم ، فصرتم تغزون بعد ان كنتم تغزون .

نزل بازائكم دجّال لعين في شرذمة ضالة مضلة لم يستضيئوا بنور هداية ، فهم كالانعام المجفّلة ، والصور الممثّلة، والخشب المسندة ، والحمر المستنفرة ، ان اقاموا هلكوا ، وان طولبوا ادركوا ، فلا تنكصوا بعد الاقدام ، وانتم حزب الله وهم حزب الشيطان ، وقتيلكم في الجنة ، وقتيلهم في النار، فاي حق بعد هذا الحق تطلبون ، ومع اي امام بعد امامكم تقاتلون؟

فقاتلوا رحمكم الله احزاب الضلال ، وذئاب الطمع ، وفراش النار ، واطلبوهم في نواحي الارض واقاصي البلدان ، وجميع الآفاق ، حتى يحق الله الحق ويبطل الباطل ولو كره المشركون

فلما سمع الاولياء هذه الخطبة قالوا سمعا وطاعة ، و ارتفعت الاصوات بالبكاء والضجيج ، وانصرفوا للقتال ، وقد اقبل في جموعه الدجّال ، وقصد بجنوده الى ناحية تعرفة بدار قوام، فوقع بينهم قتال عظيم وحرب شديد ، وتواصى الاولياء وصبروا ، واستبسلوا وتذمروا ، فهُزم مخلد الدجّال هزيمة منكرة، وقتل كثير ممن معهم من اهل القيروان ، وفيهم سعيد الحبروني ، وكان له مكان جليل عند ابي يزيد ، وكان على الشيعة مشنّعا ، ولاهل البيت مبغضا ، وقتل جماعة من اكابر البربر ، وانصرف الى موضعه مغلوبا مهزوما ، وجزّ الاولياء رؤوس من قتل ، فطافوا بها في المهدية ، وسرّوا وايقنوا بالظفر ، وقويت نفوسهم

وقال الداعي الاجل سيدنا جعفر بن منصور اليمن ابي القاسم الحسن بن فرح بن حوشب قصيدته التي اولها :

الحمد لله هذا الفتح والظفر \* هذا الذي كان للايمان ينتظر

فاستبشروا يا رجال الدين وانتدبوا \* لحرب قوم هم ضلوا وهم كفروا

وايقنوا ان جند الله غالبهم \* وانه جل للايمان ينتصر

سيهزم الجمع اذ جاؤوا لحربكم \* والمارقون فقد خابوا وقد خسروا

فان وعد امير المؤمنين لكم \* حق به جاءت الآيات والسور

عن جده المصطفى الهادى وحيدره \* وآله الغر جاء العلم والخبر

فلا تملوا ولا عن حربهم تهنوا \* وان بغوا وطغوا في الكفر وائتشروا

واستنصروا الله واحموا عن حريمكم \* ودينكم وانهضوا للقوم وابتدروا

وحين بلغ اهل وزداجة هزيمة الدجّال قويت قلوبهم وارسلوا الى امير المؤمنين ثلاثة فرسان منهم يسألونه ان يوجّه اليهم عاملا ليتقوّوا به على ابي يزيد ، فبلغ ذلك مخلدا فارصد لهم رصدا ، واخذ احد الثلاثة الفرسان ، وخلص منهم الى المهدية اثنان ، واخرج اللعين الى وزداجة ابنه ايوب بن مخلد ، وامره بالمقام بها وحفظ نواحيها .

وكان في عسكر ابي يزيد ولي من اولياء امير المؤمنين يقال له ورع بن علي ، وكانت كتب امير المؤمنين تتصل به سرّا فيرسلها الى بلاد كتامة وحيث اراد امير المؤمنين ، ويرفع اليه اخبار ابي يزيد . فشاع ذلك عنه ودسّ اليه ابو يزيد رجلا اراه النصح حتى استحصل ما عنده واخذ الى البلدان كتبه ، فاوقف عليها ابا يزيد ، فطلب ابو يزيد ورع بن علي واوقفه على كتبه وقبض عليه ، ثم ارسل لابنه ابراهيم بن ورع وقتلهما جميعا رحمة الله عليهما ورضوانه.

واشتد الحصار على المهدية ، وقدمت مراكب كثيرة من صقلية وطرابلس بالطعام وغيره تريد المهدية، فدفعتها الريح الى الشطوط وانتهبها اصحاب ابي يزيد ، وبلغ سعر القمح والشعير بالمهدية مبلغا عظيما من الغلاء

وزحف ابو يزيد المرة الرابعة بجنود لقتال اهل المهدية ، فبلغ الماء المالح ، ووقع قتال شديد بين الفريقين ، وعاد مخلد الدجّال منهزما ، وذلك يوم الجمعة لسبع بقين من شوّال سنة ثلاث وثلاثين وثلاثمائمة ، وكثر خروج الناس من المهدية لشدة الجوع والجهد ، وفتح امير المؤمنين القائم بامر الله عليه السلام الاهراء التي كان المهدي بالله ص ع شحن فيها الطعام حين عمّر المهدية ، والقائم بعده ، فانفقها في الناس وفرّقها على رجاله وعبيده وقال : لهذا الوقت اعدّت ، وعظم البلاء على الناس ، واشتد بهم الجهد حتى احتاجوا الى اكل الميتة والدوابّ وغيرها ، وصبر الكتاميون صبرا عظيما لم يصبر احد مثله جهادا واحتسابا ، يرجون به من الله ثوابا ، ويدفعون عقابا ، في طاعة ولي الله وصفيه وخيرته من خلقه وابن نبيه ، فطوبى لهم وحسن مآب ، انما يوفى الصابرون اجرهم بغير حساب ، وكان الرجل منهم اذا فرغ من الطعام ما عنده ولم يجد ما يطعم اهله اخذ بايدي نسائه واخرجهن من المهدية ، وكان اصحاب ابي يزيد اللعناء يسبون من خرج من نساء اهل المهدية واطفالهم ، وخرج السوقة واهل البيع من الرجال والنساء . وكانوا يشقّون بطون الرجال وارحام النساء يطلبون الخبايا هنالك من دنانير ودراهم ، ووجدوا ا شياء من ذلك فتجرؤوا على ما هم فيه وتمادوا عليه ، ثم كانوا يخافون ان يقتتلوا عليهم ، ولا يأمنون اصحابهم ، وان وجدوا شيئا ان يأخذوه منهم ، فكانوا يحملون امصار بني آدم الى القيروان، ويتبايعونها بينهم بالاثمان، وكانوا اذا وجدوا المرأة اخذوها سبية ، يروى عن بعض اهل القيروان قال : لقد لقيت امرأتين وهما تبكيان وتقولان لو كان في السماء اله لغيّر هذا الفعل ، وكان ذلك في شهر رمضان ، فقلت ويلكما اتكفران في شهر رمضان ؟ فقالتا : قبّحك الله ، اتكفّرنا وهؤلاء يدّعون انهم مسلمون ، وقد ارتكبوا منا الحرام في شهر رمضان ؟

ونقول نعوذ بالله من هذه العقيدة ، ومن المحن المؤدية اليها ، وان الله سبحانه هو خالق العدل والرحمة ، المنزه عن الجور ، لا كما يقول الجاهلون من العامة ، وانما هي شدائد تكون املاء للظالمين وتمحيصا للمؤمنين ليزداد الممتحنون من اهل الايمان من الله ثوابا ، والظالمون المتمادون في الاثم والعدوان اثما وعقابا ، ولا تحسبن الله غافلا عما يعمل الظالمون ، انما يؤخرهم ليوم تشخص فيه الابصار. كما قال تعالى في كتابه وله العزة والاقتدار.

واتى رجل الى ابي يزيد فقال له : لقد مررت بقوم من البربر في شهر الله المعظم ارتكبوا الفاحشة من نساء ثم شقوا بعد ذلك بطونهن وفروجهن يطلبون بزعمهم دراهم ودنانير ، فلم يجدوا شيئا .

فقال ابو يزيد اللعين : انهم مشركون ، وذلك حلال في شوّال ، وهو اعظم اجرا في رمضان.

واتى بانواع الكفر والنكر ، وبلغ مبلغا عظيما من استحلال ما حرّم الله لم يبلغه احد من الدهر.

واجتمعت كتامة وتآلفوا في موضع من بلادهم يقال له الشرف الاحمر بقرب قسنطينة من ارض المغرب ، على انهم يأتون بجمعهم وعساكرهم لنصرة امير المؤمنين ع م ، فاخرج ابو يزيد رجلا يقال له ركو المزاتي في جموع عظيمة من اهل ورفجومة وغيرهم ، فاوقع بالكتاميين وبدّد شملهم ، وورد كتابه الى ابي يزيد فسر سرورا عظيما ، وقد كان عظم خوفه لهم .

وكانت البربر تنتهب ما بافريقية وترجع الى عسكر ابي يزيد فحين افنوا ما بافريقية كلها ، توقّفوا عن الوصول الى ابي يزيد ، ولم يبق معه غير اهل جبل اوراس وبني كملان ، فحين اتصل امر تفرّقهم بامير المؤمنين القائم بامر الله ع م امر الاولياء بالخروج اليه لسبع مضت من ذي القعدة فكان بينهم قتال شديد وعاد كلّ الى موضعه .

وزحف الاولياء اليه ايضا يوم السبت فلم يخرج اليهم احد وابو يزيد يبعث كل يوم في طلب الناس الى البربر والى جبل اوراس والى اعمال افريقية فكان اذا اتاه قوم ذهب عنه آخرون ، ثم لمّا كان يوم الثلاثاء لاحدى عشرة ليلة خلت من ذي القعدة ، زحف الاولياء الى ابي يزيد وقد اتته عساكر من البربر، فاجتمع الفريقان بالماء المالح ، وكان بينهم قتال شديد قتل فيه جماعة من اصحاب ابي يزيد ، منهم رجل يسمّى خليفة كان من اخص من لديه واقربهم اليه ، فعظم ذلك على اصحاب ابي يزيد.

وخرج الاولياء اليهم ايضا يوم الخميس لثلاث عشرة ليلة خلت من ذي القعدة ، فغنموا دواب من حول عسكر ابي يزيد ورجعوا الى المهدية .

ولما كان يوم الاثنين لسبع عشرة ليلة خلت من ذي القعدة خرج الاولياء حتى اشرفوا على محط ابي يزيد فخرج ابو يزيد في غزاته وخواص اصحابه فاخذ على ميمنة القتال ، وقد كان التقى عسكره والاولياء ، فقويت قلوب البربر ، وكانت على الاولياء هزيمة قتل منهم فيها خلق كثير ، وهبّت ريح عاصف اظلم لها الجو ، وعرف ذلك اليوم بيوم الريح.

وتمادى الحصار على من بالمهدية ، وهرب منهم كثير في المراكب الى الروم ومصر وطرابلس وصقلية، ووافت ابا يزيد اللعين جيوش عظيمة كثيرة يوم الخميس لليلتين بقيتا من ذي القعدة فخرج بعض جيوشه وسارع قوم من عسكره الى جانب المهدية ، فخرج اليهم الاولياء ،وانهزم الاولياء، وتصل خبر القتال بابي يزيد فسار اليهم فوافى اصحابه منصرفين وعرّفوه بظفرهم فقال لهم : فارجعوا لقتال القوم ، قالوا : انا قد رجعنا على ظفر ، فابى الا التمادي ورجع القوم معه حتى صاروا بقرب الاولياء، فلما عرف الاولياء ان ابا يزيد قد زحف بنفسه وعلموا مكانه اختاروا منهم مائتي فارس من حماتهم وكماتهم فقصدوا ابا يزيد وحملوا عليه لا يلوون على غيره ، والناس في القتال ، فقتلوا في تلك الحملة كثيرا من غزاة ابي يزيد اللعين حوله ، وقوما كانوا في الزويليين معه ، وخلص ابو يزيد بنفسه بعد ان استمات اصحابه عليه وترجّلوا عن دوابهم ، واسر الاولياء خلقا كثيرا منهم فربطوهم بالحبال وادخلوهم المهدية ، وقوي الاولياء بعض القوة .

وارسل ابو يزيد في طلب الجنود والحشود فوافته بنو كملان وبنو ايليان ولواتة في الف فارس ، واتاه مثلها من نحو باجة من ابنه ايوب

ودخلت سنة اربع وثلاثين وثلاثمائة

فخرجت في شهر المحرم مراكب من المهدية تريد صقلية مشحونة بالعيالات والاموال فهبّت عليها ريح عاصف وارسوها فخرجت عليهم مراكب من سوسة واروهم انهم من المهدية ليستأنسوا بهم ثم قصدوهم فغلبوا على مركبين صغيرين من تلك المراكب فقتلوا من بهما وانتهبوا ما فيهما من الاموال وجاؤوا ببعضها الى الدجّال.

وفي هذا الشهر ظهر ثائر ادّعى انه من بني العباس في ناحية باجة ، واجابه كثير من الناس ، فاحتال فيه ايوب بن مخلد الدجّال حتى اخذه اسيرا وارسل به الى القيروان الى ابي عمّار الاعمى ، ووجدت معه اعلام سود مكتوب في كل علم منها : لا اله الا الله محمد رسول الله ، المهدي بالله ، واتاه ابو عمار بقوم من بغداد فسألوه عن صفة بغداد وفي اي ناحية منها كان سكونه فلم يحر جوابا ، فامر به ابو عمّار الاعمى وبمن معه من اصحابه فصلبوا في القيروان في باب ابي الربيع .

وفي هذا الشهر قدم بنو وشير الى ابي يزيد ، وهم من البربر ، وكانوا يتوالون امير المؤمنين ، وكانوا ممن قاتل ابا يزيد بباغاية ، فرغّبهم ابو يزيد فوصلوا اليه وكانوا ستين رجلا ، فامر امير المؤمنين ص ع حسن بن علي بمكاتبتهم لما يعلم من موالاتهم فاجابوه وفرّوا عن الدجّال الى معسكر امير المؤمنين فاجزل صلاتهم ، وصابحوا عسكر الدجال بالقتال مع الاولياء ن فكانت لهم جرأة ونكاية في العدو.

وزحف الاولياء يوم الخميس غرة شهر صفر فبلغوا الى خندق ابي يزيد وطافوا به فلم يخرج اليهم احد

ثم زحف الاولياء اليهم يوم الجمعة ، وكان فيه قتال شديد نصر فيه الاولياء على اصحاب ابي يزيد وعادوا ظافرين.

واتفقت بين البربر وابراهيم بن ابي سلاس امور واسباب ، وكانوا قد حسدوه على قربه من ابي يزيد وهو الذي خرج من الاربس حين قرب ابو يزيد من نواحي افريقية ، وقد ذكرنا امره ، فافسد البربر بينه و بين ابي يزيد وسعوا به اليه حتى خافهم على نفسه . فمالأ كثيرا من الجند على الرجوع الى طاعة امير المؤمنين عليه السلام والكون في جملته فاجابوه الى ذلك . وكاتب امير المؤمنين ع م وسأله ان يخرج عسكرا لقتال البربر ليصير اليهم ومن اطاعه من الجند ، فاخرج امير المؤمنين ع م الاولياء يوم الاحد لاربع خلون من صفر ، فركبوا الى معسكر ابي يزيد وناشبوا القتال ، وخرج اصحاب الدجّال على ما جرت عليه عاداتهم ، وابراهيم ابن ابي سلاس قد امتاز ناحية عنهم بالذين معه ، وكانوا ثلاثمائة فارس ، فحين نصبوا لهم العلم الاحمر ، حملوا كأنهم يريدون القتال ، فوصلوا الى العلم وصاروا في جملة الاولياء، وسلم بعضهم علىبعض وكروا مع الاولياء على اصحاب ابي يزيد فقتل خلق عظيم من البربر ، وكان لجنود الامام القائم بامر الله ع م الظفر ، ووصل ابراهيم بن ابي سلاس ومن معه الى المهدية ، فدخل ابراهيم واكابر الجند الى حضرة امير المؤمنين فقبّلوا الارض بين يديه وتضرّعوا في العفو اليه ، وتابوا ن ذنوبهم وتنصّلوا من عظيم حوبهم ، واكثروا البكاء واظهروا الندم ، فرحمهم الامام القائم ع م وعفى عنهم، وخلع عليهم واحسن اليهم .

ثم امر امير المؤمنين الاولياء بالخروج الى ابي يزيد فخرجوا اليه ، وركب ابو يزيد بجنوده وجميع حشوده ، وخرج الى قتالهم بنفسه ، وكان قتال عظيم استمات الفريقان فيه ، وقتل جماعة من الاولياء وقتل من اصحاب ابي يزيد اكثر من مائتي رجل ، وانصرف الفريقان عند الرواح. وقد اثخنوا بالجراح.

ولما هرب الجند مع ابن ابي سلاس ، وكانت هاتان المعركتان في يومين متوالين ، طال الاولياء فيهما لى المارقين النكارية ، ضاقت بهم الاحوال ، وخافوا ان يعاودهم الاولياء القتال ، فتفرّق اصحاب ابي يزيد عنه وفروا منه ، و لم يبق معه غير بني كملان وهوارة واوراس ، وبهم كان يثق ، وعليهم يعوّل ، فاجتمع بعضهم الى بغضهم بغير علم ابي يزيد ولا مشورته وقالوا قد افترق عسكرنا ولا نأمن ان يصاحبنا الكتاميون فنهلك ، والرأي ان نتوجّه الى القيروان ونحشد اهلها مع سائر البلدان ، ثم نعود الى موضعنا في عدة وعدد ، ثم ركبوا وهربوا من محطّ ابي يزيد ، فلم يشعر حتى قد مضوا ، فخرج في ثلاثين فارسا يريد ان يردهم فامتنعوا ولم يرجعوا ، ولا امكنه الرجوع الى مناخه ، فسار ابو يزيد الى القيروان، وفرّج الله عنهم ما كانوا فيه من الحصار ببركة وليه امير المؤمنين القائم بامر الله امام ذلك الاوان ، صلوات الله عليه وعلى آبائه وابنائه الطاهرين الكرام ، وعليهم من الله استى التحية وافضل الصلوة والسلام.

وحين انتهى الى امير المؤمنين ع م رحيل الدجّال ، امر الاولياء بالخروج الى معسكره ، وان يعلموا حقيقة امره ، فوجدوا الفازات خالية ، والرجال عنها نائية ، ومنحهم الله جميع ما في معسكر الدجّال ومناخه من الامتعة والانفال والاخبية والفازات والطعام والزيت والعسل وصنوف المآكل فامتلأت منها ايديهم ، ورجعوا بها الى اهاليهم بعد شدة الجهد والحصار ، وما نالهم من اعداء الله الاشرار.

قال القاضي النعمان بن محمد رضوان الله عليه : قال الامام المعز ص ع : الا اخبركم عن جملة ما انفق امير المؤمنين القائم بامر الله في تلك الفتنة ؟

قلت : بلى يا امير المؤمنين ، فانا لنحبّ ذلك .

فقال : امر عليه السلام هذا – واومأ الى خازن بيت مال القائم ع م وهو بين يديه – ان لا يخرج من النفقة في ذلك الا من ماله ، وعزل له مائة الف دينار واثني عشر الف درهم ، وقال له : احذر ان تنفق في شيء من امر هذه الفتنة من غير هذا المال ، فانك ان انفقت شيئا من غيره ذهب ضياعا ، ولا بد ان ينفد هذا المال في هذه النفقة كله.

قال المعز ص ع : فوالله ما زاد ولا نقص منه ، ولا كان الا كفاف النفقة في ذلك حتى انقضت الفتنة بفراغه .

ثم نظر الى الخازن فقال : اليس كذلك كان الامر ؟

قال : نعم كذلك امرني امير المؤمنين القائم بامر الله ص ع وما انفقت غيره ، وما بقي منه درهم فما فوقه ، ولا احتيج الى غيره.

ووصل مخلد الى القيروان في قليل من العدد ويسير من العدد بذل ّ الهزيمة ، وضعف العزيمة ، فبات بمصلى القيروان ، وخرج اليه صاحبه ابو عمار الاعمى فعنّفه ووبّخه وقال له : تشاغلت عن الجهاد ، واكلت لذيذ الطعام ، ولبست ليّن الثياب ، وافتضـضت الابكار حتى احبلت ثماني عشرة امرأة هنّ الآن مقيمات في عسكرك ، وكثر ما اتيت به من منكرك، ما هكذا يفعل من قام لله واظهر نصر دينه.

فقال له ابو يزيد :صدقت ، وانما كان ما كان لذنوبي ، وانا متنصّل مما فعلت .

واظهر التوبة بزعمه على يد ابي عمار ، واشهد صاحبه على نفسه ، ورجع الى لبس الصوف وركوب الحمار ، وكان فيما يقال من اذلّ خلق الله اذا خاف ، واكثرهم بطرا واشرا اذا امن.

ولما رأى اهل القيروان ما هو عليه من الذل والقل ، وما بلغ به من الهزيمة والفل ، خافوا من عساكر امير المؤمنين ان تأتيهم ، وعرفوا ما قدّموه من بغيهم وتعدّيهم ، فاجتمع وجوههم عند محمد ابن ميمون البلوقي وابن عم له يقال له موسى ، فكاتبوا امير المؤمنين ان يوجّه بعساكره اليهم ، وضمنوا له القبض على ابي يزيد متى اتصلت جنود امير المؤمنين ع م اليهم ، فلم يجبهم امير المؤمنين ع م الا انه قال لرسولهم: ان كان الامر كما يقولون فما يمنعهم ان يأخذوه ؟ وقد بقيت للفاسق مدّة لا بد ان يبلغها ، فانصرف الرسول الى اهل القيروان بغير جواب، وبلغ ذلك ابا يزيد فطلبهم ووعدهم وارضاهم بالقول وخوّفهم من امير المؤمنين ع م ، وقال لهم : انكم قد ظاهرتمونا عليه واسأتم اليه ، وانكم بعد ذلك لا تامنونه وان اظهر لكم الامان ولا ينسى ما صنعتم معنا باوليائه ، يا اهل القيروان، فاعتذروا اليه وانصرفوا عنه .

وتسامع من كان تفرّق من عسكره بوقوفه بالقيروان ، فجاؤوا من كل جهة اليه، ووفدوا من كل وجهة عليه ، وكان اهل مدن افريقية لما اتّصل بهم هزيمة الدجّال من حصار المهديّة ، كاتبوا امير المؤمنين ع م ان يبعث عمّاله اليهم ، وقبض اهل سوسة على احمد الهواري عامل مخلد الدجّال ، وعلى جماعة معه ووجّهوا بهم الى امير المؤمنين ، فحمد ذلك من فعلهم ، ووجّه اليهم امير المؤمنين سبعة مراكب مشحونة بعبيده ، وقوّد عليهم رجلا منهم يقال له عبّاس بن منذورة لضبط مدينة سوسة ، وضبطها احسن ضبط حتى قدم عاملها الحسين بن ناكسين من قبل امير المؤمنين.

وكتب الدجّال ابو يزيد الى البربر يستنهضهم ويلومهم ويوبّخهم على افتراقهم عنه وتركهم اياه ، فتوافدوا اليه، وخرج اصحابه الى المدن والبلدان ليدفعوا اولياء امير المؤمنين ع م عنها ، وامرهم بالمسابقة اليها ، واوصاهم بالقتل والنهب والسلب ، على ما جرت عاداته ، وشاع به ظلمه ، واستمرت عليه احواله .

ووجّه ابو يزيد مسنويه بن بكر الكملاني وعياض بن احمد الهواري الى تونس، وكان امير المؤمنين ع م وجّه الىتونس عمار ابن علي في جماعة من الكتاميين، ووجّه ع م الى باجة عقبان بن الحسن الجيملي، ووجّه اليها الدجّال ايوب بن خيران الزويلي المعروف بابي سليمان، واخرج الدجّال فليح بن محمد الهواري وكان قاضيه في هوارة اوراس الى الاربس

فلما خرج اصحاب ابي يزيد عنه ، فعلوا بوصيته ، ومضوا على شاكلته ، فلم يمروا ببلد الا قتلوا اهله واستبوا نساءه وولدانه . فاخربوا البلاد ، واهلكوا العباد ، وفعلوا افعالا لم يسمع بمثلها من بعدها وقبلها ، ولا جرت الفراعنة الاولى على شكلها.

وسبق مسنويه وعياض فيمن معهما من جنود البربر عمّار ابن علي والكتاميين الخارجيين من المهدية، الى تونس ، فاستولت البربر عليها وملكوها بالسيف يوم السبت لعشر خلون من صفر، فانتهبوا ما فيها وقتلوا اهليها واستبوا ذراريها ، واحرقوا المسجد الجامع فيها، ولجأ كثيرمن اهلها الى ان ارتموا الى البحر فماتوا غرقا ، ونجى منهم من نجى فماتوا جوعا وهزالا.

واقبل عمار بن علي والكتاميون فخرج عياض ومنسويه ومن معهما من البربر لحربهم فاجتمع الفريقان بموضع يقال له بنو صلتان ، فاقتتلوا قتالا شديدا ، وكثرت جموع البربر علىالاولياء فهزموهم، وحال بينهم الليل ، فالتجأ الاولياء الى جبل الرصاص من اعمال تونس ، ثم توجّهوا الى باجة فدخلوها ، ثم خرجوا منها الى صطفورة

ورجع مسنوية وعياض والبربر الى تونس فاصطفوا اموالها وسباياها ووجّهوا بجميع ذلك الى القيروان، ثم عاد عمّار بن علي والكتاميون الى تونس ، وقد اجتمع معهم خلق عظيم من اهل تلك النواحي، وخرج البربر مع مسنويه وعياض من تونس للقاء الاولياء ، فاجتمعوا بوادي بجردة ووقع القتال بين الفريقين، فانهزم البربر وقتل منهم ناس كثير ، وحال الليل بينهم ، واثخن مسنويه بن بكر الكملاني جراحا، وبلغت هزيمة البربر الى مدينة تونس ، فركب الاولياء الى مدينة تونس خلفهم يوم الاربعاء لخمس خلون من شهر ربيع الاول ، فاخرجوا البربر من تونس بعد ان قتلوا منهم مقتلة عظيمة ، وبلغ البربر بهزيمتهم الى القيروان ، واصاب الاولياء بكورة تونس ثلاثة آلاف جمل محمّلة طعاما وغير ذلك ، فتوجّه بها عمّار بن علي راجعا الى المهدية اذ كانت تونس خرابا لا مقام فيها ولا اهل لها. فلما وصل عمّار الى مدينة سوسة وافاه كتاب امير المؤمنين ع م ان يقيم في مدينة سوسة .

ولما وصل عقبان الجيملي ومن معه من الاولياء الى باجة اصابوا بها بقية من اهلها كانوا يقيمون بها الليل ويخرجون النهار الى الصحارى والقفار حذرا من البربر ، واجتمع لعقبان جماعة ممن حول باجة من القبائل.

ووجّه ابو يزيد مسنويه الكملاني وعياض الهواري وابنه ايوب ، وعلي بن بدر المصري في عسكر عظيم ، فدخلوا تونس مرة اخرى وقتلوا من بقي فيها واخربوا باقيها ، ثم توجّهوا الى باجة فخرج اليهم عقبان بن الحسن الجيملي ومن معه ، فقتل ومن معه جميعا رحمة الله عليهم ، ودخل البربر مدينة باجة بالسيف فقتلوا من اصابوا بها واحرقوها بالنيران واستبوا نساءها. وكان السبي والنهب بنواحي افريقية في اقبال البربر وادبارها ، وغدوها ورواحها ، وكانت البربر تدخل بالسبي والنهب الى القيروان ما لا يحصى كثرة ، وكلّما اتصل ذلك بمخلد ، وما يلقى المسلمون ونساؤهم واولادهم من البربر، سرّه ذلك وابهجه واقرّ قلبه واثلجه ، وذكر له ذاكر ما يلقى الناس من بغيهم ، وما هم فيه من ضلالهم وغيهم، فقال : والله لاقتلن جميع من في المغرب بمن قتل من اوليائي ، فقال له بعض جلسائه : العفو اقرب الى التقوى ، فاغضبه ذلك واقبل يهيج كالبعير ، ويكثر من القول النكير.

وعمل محمد بن مؤمن البلوقي وموسى ابن عمه في قتل مخلد ، وخالفا على ذلك جماعة من البربر يسمّون بني بياضة واستمالا رجلا يقال له علي بن بدر المصري من كبراء من مع ابي يزيد ، وكتبا الى امير المؤمنين بذلك ، وتعاقدوا على ان يغدروابابي يزيد في حين ركوبه ، فمضى رجل من بني بياضة الى ابي يزيد فاخبره ما هم فيه وما تمالؤوا عليه ، فامر ابو يزيد بقتل بني بياضة في دورهم، وما زال اللعين بمحمد بن مؤمن البلوقي وابن عمه حتى قتلهما رحمة الله عليهما .

وهجم البربر في يوم قتلهما على رجل من وجوه اهل القيروان ، فاخذوا نعمته وحرمته وثلاث بنات ابكار كنّ له، ونجى الرجل بنفسه في الليل ، فحين صلى الناس صلوة الصبح في جامع القيروان قام الرجل مستغيثا وصاح وبكى وعج واشتكى ، فقام كثير من اهل القيروان معه وصاحوا : النفير! النفير! حتى اجتمع خلق عظيم ، وخرجوا في الشارع الاعظم يستغيثون الى الله جل ذكره ، ووصلوا الى ابي يزيد فاسمعوه قبح الكلام واغلظوا له في القول ، فلطف بهم واعتذر اليهم ، وحبس الذين فعلوا ذلك من البربر، واخرج حرمة الرجل وبناته من دورهم ، وانصرفت جماعة اهل القيروان عن ابي يزيد فوافوا رجلا مذبوحا واهله يحملونه ، فسألوا عن امره ، فذكروا له ان فضل بن مخلد الدجّال ذبحه واخذ ابنته وكانت ذات جمال ، فحمل الناس الرجل المذبوح الى الجامع وصاح الناس : لا طاعة الا طاعة ابي القاسم امير المؤمنين ، وكادوا ان يثبوا على البربر في دورهم، وخرج فضل بن مخلد ليسكّن الناس في جماعة معه فسبّوه وسبوا اباه اقبح سبّ ، وقالوا : لا ذمة لكم ولا امان لمن امنتم ، ورجّلوا قوما من البربر عن دوابهم وبلغ ابا يزيد فعلهم فخرج في جماعة كثيرة معه الى باب تونس ، وخاف ان يوقع اهل القيروان به ، واجتمع اليه جماعة من اصحابه فلاموه وقالوا : هجت العامة على نفسك ، والسلطان من ورائك، ولا تأمن ان يكاتبوه ويمنعونا مدينتهم حتى يأتي عسكره ، فاعتذر اليهم وعاهدهم الا ينهب احدا من اهل القيروان ، ولا يغيّر امرا ولا يروا منه منكرا.

وكثر دخول السبي مع البربر الى القيروان ، فرغبوا الى ابي يزيد وسألوه ان يكفّ عن السبي ، فاجابهم الى ذلك وامر بالنداء في عسكره : من سبى حرّة او ام ولد فقد حل دمه ، وكان هذا النداء في اول النهار ، ودخل عسكره في آخره ، فخرج اهل القيروان فانتزعوا السبي عنهم في ذلك اليوم واليوم الذي يليه ، فيقال انهم انتزعوا في ذينك اليومين الف محصنة من امرأة وطفلة ، واتصل ذلك بابي يزيد فغضب له وقال : يمنعون اصحابي من حقهم ويحولون بينهم وبين ما احل الله لهم ، قال له بعض البربر : الم تناد بالامس ان لا تسبى حرة ولا ام ولد ، وعاقدت اليوم وعاهدتهم عليه ؟ ولقد شاع في الناس انه لا ذمة لك، ومال الناس عليك ونفروا منك.

وكان ابو يزيد وجّه سليمان الاعجمي الاسود الى الجزيرة في عساكر كثيرة فحاصر بني زلان ، وقد التجأوا الى بعض حصونها، فبذلوا له مالا كثيرا ليترك حصارهم فتركه وانصرف الى القيروان ورجع ابو سليمان ايوب بن خيران من تونس الى القيروان ، فاخذ على الجزيرة ولم يمرّ بمنزل الا سبى نساءه وقتل واحرق بالنار ، ثم تألّب اهل الجزيرة بالخلاف على ابي يزيد ، فطردوا من كانا عندهم من قديم الايام من البربر ، فانتقلوا من تونس الى القصر القديم فنزلوا مستندين الى ابي يزيد. وكان الرفاق تخرج من الجزيرة بالطعام وجميع المرافق الى المهدية ، وخيول ابي يزيد تخرج من القيروان فتقطع عليهم وتذهب بما تذهب ويسلم ما يسلم.

وكان ثوبان بن ابي سلاس مقيما بالاربس ، فحين اتّصل به هروب ابي يزيد عن محاصرة المهدية ورجوعه الى القيروان جمع حوله بني عمه ومن كان بالبلد ودعى لامير المؤمنين القائم بامر الله عليه السلام فاخرج مخلد الدجّال فليح بن محمد الهواري الىالاربس كما قدّمنا ذكره ، فحين اتصل بفليح فعل ثوبان عدل الى مرماجنّة فجمع من بها من هوارة وبني كملان، وزحف الى الاربس. فقاتل من بها اياما ، وكانت الحرب مرة لهم ومرة عليهم ، ثم ان البربر تكاثروا واتوا الاربس من جميع جهاتها فغلبوا عليها ، وخرج ثوبان فيمن معه ليلا الى قلعة شقبنارية فقعدوا بها مع من بقي من الجند ، ودخل البربر مدينة الاربس فانتهبوا وقتلوا من اصابوا فهيا وسبوا نسائها ، فيقال انهم اخذوا لبني ابي سلاس ستين حرة من بنات واخوات وزوجات، سوى الموالي والمماليك . وهدّمت الاربس واحرق كثير منها بالنار ، وبقي ابن ابي سلاس ومن معه بقلعة سقبنارية ، وانضمّ فليحي الهواري ومن معه من جموع البربر الى ايّوب بن ابي يزيد فصاروا في جماعته ومعهما جماعة عظيمة .

وكتب اهل افريقية الى امير المؤمنين القائم بامر الله ع م يشكون اليه ما حلّ بهم من القتل والنهب والسلب ويضرعون اليه ان يخرج واحدا من رجاله الى جبل شعب، فاخرج اليه امير المؤمنين الحسن بن علي على العسكر الذين مع اخيه عمار بن علي بسوسة . فانضمّوا اليه ، واعطى الناس الارزاق وخرجوا الى تونس ، فلقي جماعة من اصحاب ابي يزيد بوادي الرمل فقتلهم واخذ ما كان معهم من الاموال والمواشي، وسار في اليوم الثاني ، فحين انتهى الى القرب من فندق شكل لقي خيلا لابي يزيد مع جمال وبغال ، فاسلموها الى الاولياء ونجوا بانفسهم ، وبات الاولياء ليلتهم تلك بمنزل داود ، و اتصل بهم موت عقبان عامل باجة رحمة الله عليه، وقد قدّمنا ذكر ذلك ، واتصل بهم ايضا ان ايوب بن ابي يزيد قد ملك البلد باسره ، فاغتم الاولياء وكرهوا الانصراف الى المهدية وصاروا الى تونس. فحين قربوا منها وافوا الف جمل ودواب وبغالا كثيرة تحمل الطعام والامتعة الى مدينة القيروان ، ومعها خمسون فارسا من البربر واربعمائة راجل. فقاتلهم الاولياء حتى غلبوهم على تلك الاحمال جميعها وعادوا الى تونس . فوقع بين الفريقين فتال عظيم وظفر الاولياء وانهزم البربر واحتوى الاولياء على اخبيتهم.

ودخل الحسن بن علي تونس من يومه واتاه اهل البلد ، ولا متاع معهم ، وقد لبسوا الجلود والانطاع فامّنهم وصرفهم الى اوطانهم ، واقام فيمن معه خارج المدينة ، وكانت القبائل الذين حولهم بين طائع ومتوقف ، واتصل دخول تونس بابي يزيد فارسل اليهم جنودا يتبع بعضها بعضا ، عليهم يدرس المزاتي، وموسى الصنهاجي ، وابو سليمان ايوب الزويلي وغيرهم ، فقعدوا بوادي الرمل ، وكتب مخلد ايضا الى سليمان الاسود وهو بالجزيرة قد انصرف عن محاصرة بني زلال كما قدّمنا ذكره ، فاقبل بمن معه واجتمع مع جند ابي يزيد فصاروا عساكر عظيمة ، ورجعوا الى تونس ، فبرز اليهم الحسن بن علي ومعه ثلاثمائة فارس والف راجل فالتقوا بموضع يعرف بخندق ميمون ، فوقع بينهم القتال الشديد فهزمهم الاولياء وقتلوا منهم مقتلة عظيمة ، واخذ الاولياء خيولهم وما كان معهم واحتووا على اخبيتهم ، ووصل اليهم من الخيل مسرّجة ملجمة ما يزيد على ثلاثمائة برذون ، وستة بنود ، وثلاثة طبول ، وتناهت الهزيمة على البربر فاسر منهم الفا رجل قتلوا صبرا في خندق ميمون.

وقد كان علي بن حمدون حين اتصل به هرب ابي يزيد من ترنوط وانصرافه عن محاصرة المهدية جمع جموعا وهيأ عساكر، وخرج يريد المهدية معاضدة للاولياء فاخذ على بلد وزداجة الى سطيف الى القسنطينة ثم الى لواتة ، وصار معه منهم الى بني هراش ، ووافاه حسن بن منصور مقدّم بني هراش ، وثوبان بن ابي سلاس في جماعة من الجند الذين كانوا معه بقلعة شقبنارية ثم رحل الى بلطة وضرب مضاربه هنالك . واتصل به هنالك ان حسن بن علي قد عقد له بتونس وانه قد هزم البربر . فكتب الى الحسن بن علي يعلمه وصوله حيث وصل اليه ويسأله القدوم عليه.

وكان ايوب بن ابي يزيد في باجة ، فحين اتصل به وصول علي بن حمدون الى حيث وصل ، زحف بعساكره اليه ، وبات بالقرب منه علي بن حمدون لا يشعر به ولا يعلم خبره . ثم صبّحه ايوب ، وعلي بن حمدون قد ركب في جماعة من اصحابه الى بعض القبائل يريد ان يستنجدهم ، وكان ذلك اليوم كثير الغمام مظلم الجو ، فوصل الى عسكر ابن حمدون فاستباح اخبيته، ومضاربه وامواله . ونجى ابن حمدون على فرسه وقد اثخن جراحا الى ناحية بني ديارة فتردّى به فرسه في بعض الاوعار فسقط وانكسر وركه وتهرّست عظامه ومات هنالك بعد ايام رحمة الله عليه.

وكان الحسن بن علي حين وصل كتاب ابن حمدون اليه قد خرج اليه يؤمّه ولم يعلم ما كان منه قصّة ايوب ، ولا اتاه خبر فعله مع ابن حمدون. وقد انضمّت القبائل الى ايوب رغبة ورهبة ، وتوجّه قاصدا لتونس لقتال الحسن بن علي ، وهو في جيوش عظيمة وعدة قوية ، فبات وبينه وبين الحسن بن علي ستة اميال ، والحسن يريد علي بن حمدون ولا يعلم بشيء من امره ، وكان بينه وبين عسكر ايوب جبل حائل وكان ايوب قد وجّه الفي فارس فجعلها في طريق المهدية لتحول بينها وبين الحسن بن علي ان رجع اليها. واتصل بكل واحد من الفريقين مبيت الآخر بقربه ، فزحف بعضهم الى بعض بعد ان طلعت الشمس ، والبربر واثقة بكثرتها وقوّتها ، وقد نظرت الى قلة من مع الحسن بن علي . فوقع بينهم الحرب، وكثر الطعن والضرب ، وغلب البربر على عسكر الحسن بن علي ، ثم تراجع اصحاب الحسن بن علي اليه وكر علىالبربر صابرا محتسبا، فقتل من البربر مقتلة عظيمة ، وكانت فيهم الهزيمة ، واغنم ا لله الحسن بن علي اثقالهم وما حواه عسكرهم ، وكانت اثقال الحسن ابن علي قد سارت تؤم المهدية فوافتها خيل ابي يزيد فانتهبوها وقتلوا جماعة من اصحاب الحسن معها ، وبلغ ذلك اليه وهو في طرد العدو فارسل اخاه عمّار بن علي في خيل معه ، فوجد عمار البربر قد امتلأت اكفّهم من تلك الاثقال وقد حازوها وهم يريدون عسكرهم ، فاخرجهم منها واسترد ما اخذوه وعاد ذلك الى يده بعد ان حازوه . وسار عمأر يريد اخبية البربر ولحقه اخوه الحسن بن علي ، واصابوا ايوب بن مخلد فيها ومعه الفا فارس ، فبادرهم الحسن بن علي واخوه ومن معهما ، فولى ايوب ومن معه من البربر هاربين ، وعلى اعقابهم ناكصين ، وحاز الاولياء ما في عسكرهم ، وانتهى ايوب الى ابيه الدجّال وهو في القيروان ، وذلك في شهر ربيع الآخر سنة اربع وثلاثين وثلاثمائة . وعظم امر هذه الوقعة على ابي يزيد، واراد ان يرحل من القيروان هاربا فشجّعه اصحابه ، واشاروا عليه بالثبات وبايعوه على الموت.

واجتمع اليه عسكر عظيم من البربر فاخرج ابنه ايوب بن مخلد واعاده الى محاربة الحسن بن علي ، فنزل ايوب بموضع من كورة باجة يقال له قافلة في عساكر لا يحصى عددها، والحسن بن علي مع اهل وزداجة ومن انضم اليهم ، ومن بقي معه من اصحابه ، وكان نزوله في موضع وعر ليحوط عسكره ، وكانت فيه اربع سبل ، وجعل على بعضها احمد المعروف بالكمين الوزداجي ، فكان القتال بين الفريقين لا يزال ، فمرة يغلب هؤلاء ومرة هؤلاء .

ثم ان ايوب بن مخلد راسل احمد الكمين ووعده وبذل له ، واجتمعت البربر عساكر عظيمة وزحفوا لقتال الحسن بن علي فغلبوا بالكثرة بعد قتال عظيم . وادخلهم احمد الكمين الوزداجي من السبيل التي لديه فقتلوا من الاولياء مقتلة عظيمة وحازوا اخبيتهم وغنموا ما فيها . وخلص الحسن بن علي ومن بقي معه الى جبل من ناحية وزداجة ، وقد حيزت اخبيته وطعامه وعلفه ، ووقعت معه علة عظيمة اشرف فيها على الهلاك ، ومات جماعة لوباء المكان الذي كان فيه وقوفهم . واساء اهل وزداجة اليهم ومالوا عليهم . وخاف الحسن بن علي غدرهم ، ولم يجد سبيلا للرجوع الى المهدية فخرج الى بلد كتامة ، وكان يقاتلهم من مروا به من القبائل ، وخلصوا الى بلد كتامة فعاودت الحسن بن علي العلة حتى اشفى على الهلاك وفارقه اصحابه اياسا منه . ثم رفع الله علته . فحين نقه منها كاتب كتامة ومزاتة وغيرهم. ووجّه اصحابه في الغزاة فما زالوا يغنمون . ووافاه جماعة من الكتاميين وقوم من البربر يقال لهم بنو واسين . واجتمع الى الحسن بن علي خلق عظيم كثير من كتامة وغيرهم. وصار الى قسنطينة وعسكر بها . ونصبت فيها اخبيته ، ووجه عسكرا الى هوارة سرمانة فقتلوهم واخذوا مواشيهم وعليهم كان اعتماد ابي يزيد.

وحين اتصل ذلك بابي يزيد اخرج عساكر جمة لمحاربة الحسن بن علي ، وجعل عليهم ابنه فضلا وابنه يزيد ، فجرت بينهم حروب شديدة كان الغلب فيها للحسن بن علي ، وملك مدينة تيجس ومدينة باغاية، وبقي على ذلك حتى وصل المنصور بالله ع م الى القيروان ، فوصل اليه . وسنذكر ذلك فيما نأتي بذكره.

ووجّه ابو يزيد حشّاده ورجاله الى قبائل البربر فاتوه من كل جهة ، ورجع من القوة الى ما كان عليه، وقد غلب على مدن افريقية ، وقتل اكثر الجند والكتاميين الذين فيها . وصار الحسن بن علي الى بلد كتامة ومات علي بن حمدون صاحب المسيلة رحمة الله عليه.

وخرج مخلد الدجّال لستّ خلون من جمادى الاخرى من سنة اربع واربعين وثلاثمائة الى مدينة سوسةة ليحاصرها ، وقد اجتمع اليه من البربر ومن اهل افريقية والزويليين خلائق عظيمة . وكان في سوسة من قبل امير المؤمنين القائم بامر الله عليه السلام الحسين بن ناكسين عاملها ، وعباس بن مندورة في عسكر كثير . فحاصر ابو يزيد سوسة حصارا شديدا، وكان يقاتل اهلها كل يوم ، فمرة له ومرة عليه وامر بجميع النجّارين الذين بمدينة القيروان فعملوا له ثلاث دبّابات ، ورجى ان يدخل سوسة بها ، فاحرق اهل سوسة بعضها، ووجّه امير المؤمنين القائم بامرالله عليه السلام سلاسل كان قد اعدّها قبل القتنة طول كل سلسلة ثمانون ذراعا وفيها كلاليب وكانت تربط في حوائط السور وفي دور تقرب من السور ثم ترمى الكلاليب في الدبابات حتى يتمكن الرجال منها وهم على السور ، فلم يصنع في الدبابات شيئا وهي كالمنازل قد اعدّت من الخشب ويدخل الرجال فيها ، وهي على عجل تسير بهم ، ثم نصب مخلد المنجنيقات والعرادات عليها وقتل خلق كثير من اهلها، واشتد بهم الامر ، وطال عليهم الحصار ،وعظم الصر، وكثر الجهد والضر.

وكان الاولياء يسألون امير المؤمنين القائم بامرالله ع م ايام فتنة الدجّال ومحاربتهم له في المهدية وغيرها، ان يخرج اليهم احد ولده في حروبهم ، يستندون اليه ويأخذون ببركة رأيه ويكونون تحت رأيته . فلم يجبهم الى شيء من ذلك لما اقتضته الحكمة ورآه ولي الله مما آتاه الله من علمه وورثه عن آبائه واجداده عليهم صلوات الله عليه وسلامه . حتى اذا آن الوقت المعلوم ، وبلغ امر الحي القيوم ، اظهر امير المؤمنين ابو القاسم محمد القائم بامر الله امر ولده ابي الطاهر اسماعيل المنصور بالله صلوات الله عليهما لسبع خلون من شهر رمضان المعظم من سنة اربع وثلاثين وثلاثمائة وفوّض عهده اليه ، واوعز اليه بوصيته واعلم بذلك اهل دعوته ، وابان لجميعهم انه ولي عهده والخليفة من بعده ، وكتب بذلك الى الامصار والبلدان والجزائر ، وعرّف به كل باد وحاضر ، وكان المنصور بالله ع م يومئذ قد بلغ من العمر ثلاثا وثلاثين سنة.

قال القاضي النعمان بن محمّد رض : دخلت الى المنصور بالله ع م اهنئه بما افضى الله ع ج اليه من الكرامة ، فقال يا نعمان وما عسى ان يكون الدرك من هذه الدنيا القليلة الوزن ؟ والله لتاجر تكون بضاعته الف دينار ينال من الدنيا ما عسى انّنا لا نناله منها، والله لولا اقامة حق لله نقيمه ، وامر بمعروف ونهي عن منكر نرجو ثوابه ، وان ذلك مما افترضه الله ع ج علينا والزمناه ونصبنا له وكلّفنا اياه ، لكنت الى ايثار الخمول والاعراض عن الدنيا اسرع ، وبذلك الذّ عيشا وامتع.

ولمّا كان يوم الفطر خرج المنصور بالله ابو الطاهر اسماعيل ابن ابي القاسم القائم بامر الله عليه السلام من قصره وقد حفّ به بنوه واخوته وشيعته واوليائه واهل دولته وعبيده ، والناس يرفعون اصواتهم بالدعاء له ويسألون الله تعالى ان يركس عدوه ويخذله ، والاعلام تنشر والطبول تضرب ، والمسرة قد ملأت القلوب واثلجت الصدور، ونجوم السعد قد طلعت قاضية لاولياء الله بالظهور . فحين انتهى الى المصلّى ، صلى صلوة العيد ، وقام عليه السلام خطيبا فقال :

باسم الله الرحمن الرحيم ، الحمد لله الذي احسن الينا في قضائه واصفى الجزيل من عطائه ، احمده حمد من شكر حسناه ، وآثر في الامور كلها رضاه ، واستعينه استعانة من لا يرجو غيره ، ولا يثق بسواه، ولا يتوكّل الا عليه في اولاه واخراه ، واشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له ، واشهد ان محمدا عبده ورسوله ، اصطفاه لوحيه، واختاره لتبليغ رسالاته ، فابتعثه داعيا الى الحق وشاهدا على الخلق ، فبلّغ رسالة ربه، ونصح لعباده، وجاهد في سبيله ، صلوة الله عليه نبيا مصطى ، ورسولا مرتضى ، وعلى آله وسلامه ورحمته وبركاته.

عباد الله ، ان يومكم هذا يوم عيد شرفه الله وعظّمه وفضّله وكرّمه ، وختم به شهر رمضان، وافتتح به حج بيته الحرام ، فاخلصوا فيه نياتكم ، وارفعوا الى الله توفية طلباتكم ، واستغفروا الله لسيئاتكم ، فانه يقول جل ثناؤه ، وتقدّست اسماؤه ، استغفروا ربكم انه كان غفارا ، اتقوا الله عباد الله ، فبتقواه انجح الطالبون، وفاز الفائزون ، وهي وصية الله عز وجل في الاولين والآخرين، وتمسكوا بطاعته ، وحافظوا على ما استحفظكم الله تبارك وتعالى من دينه وكتابه ، واسترعاكم من حقوقه وحدوده ، فلمثل ما رغبكم الله فيه من جزيل ثوابه ، وكريم مآبه ، وخوّفكم من عقابه ، واليم عذابه، فليعمل العاملون ، الهمنا الله واياكم رشدنا ، وعزم لنا ولكم على تقواه ، واتباع هداه، وبلوغ رضاه.

وجلس عليه السلام ، جلسة خفيفة ، ثم قال :

بسم الله الرحمن الرحيم ، الحمد لله منبع النعماء ، وكابت الاعداء ، ومستحق الشكر والثناء ، وصلى الله افضل صلواته على افضل انبيائه ، محمد خاتم النبيين، وسيد المرسلين، وعلى آله الطيبين الطاهرين، اللهم صل على محمد ، وعلى آل محمد ، وارحم محمدا وآل محمد ، وبارك على محمد وعلى آل محمد ، كافضل صلواتك وبركاتك ، ورحمتك على ابراهيم وعلى آل ابراهيم ، انك حميد مجيد. اللهم صل على شمس الهدى الذي بضيائه اشرق الاسلام. وانجاب الظلام. وعزّ الدين، وتمت النعمة على المؤمنين ، عبد الله ابي محمد الامام امير المؤمنين المهدي بالله ابن المهديين، الكريم ابن الاكرمين ، صلى الله وملائكته عليه ، واكرم الله مثواه لديه، في المقام الكريم ، والنعيم المقيم، اللهم وصل على ولي الامر ، وارث المجد والفخر ، الذي اعظمت عليه منتك ، واسبغت عليه نعمتك ، والبسته حلل الكرامة ، وتوّجته تاج البهاء والخلافة ، وجمعت له خلافة الانبياء والمرسلين، وارث آبائه الائمة المستخلفين ، الهداة المهديين، الاوصياء المنتجبين، محمد الامام القائم بامر الله امير المؤمنين، اللهم عرفه في ما وليته واسترعيته ، واستحفظته عليه وأتمنته ، افضل ما عرفت احدا قبله ، من خلفائك الائمة الطاهرين الراشدين، آبائه المهديين، من النصر والاعزاز ، والتائيد والاظهار، واوقع باعدائه شرقا وغربا وبرا وبحرا ، اشد ما اوقعت واحللت باحد من اعدائك من السطوات والنقمات والقوارع والمبيدات والمثلات المخزيات ، ودمرهم تدميرا ، واصلهم سعيرا، اللهم انصر به الدين وايده بالظهور والتمكين والعلو والقهر والنصر والظفر، واجعل كلمته العليا ، ويده الطولى وجنده الغالبين ، وحزبه المنصورين، وافتح له فتحا مبينا تعز به الدين وتشفي به صدور المؤمنين ، اله الخلق رب العالمين ، انك سميع الدعاء ، وفعّال لما تشاء ، انك لا تخلف الميعاد.

ثم نزل صلى الله عليه وعاد الى قصر ابيه امير المؤمنين القائم عليه السلام، والناس مستبشرون ، فرحون بيمن طلعته ، واقبال دولته.

وقال محمد بن ابي القاسم التونسي في ذلك شعرا :

توسم صباح المجد من اين يشرق \* وعرف الرضى والحلم من اين يعبق

ومثل على ان النجوم كثيرة \* باي سراج تهتدي فتوفق

لقد صح للمرتاد ما كان يبتغي \* وصاب له الغيث الذي كان يبرق

وقد كانت الايام خرسا فاصبحت \* لها السن بالشكر لله تنطق

فما بعد هذا للوسائل ملجأ \* ولا للمنى في غيره متعلّق

تليق باسماعيل نائرة العلى \* ويغدو بها من غيره وهو اليق

امير تمنّته الرياسة مذ نشأ \* تتوق الى اخلاقه وتشوق

وكانت عيون الامر من شغف به \* على رقبة ترنو اليه وتطبق

ترى عزة الميعاد وهي جلية \* تخب الى الميقات فيه وتعنق

وطلعة وجه اكمل الله نورها \* يكاد لها ضوء النواظر يزهق

واخلاق مخلوق من البر والتقى \* اظن الرضى والحلم منهن يخلق

فقد وضعت تلك المواعد حملها \* تماما وكانت قبل ذلك تطلق

شهدت بان الله بالغيب عالم \* وان امير المؤمنين موفق

رأى نجله من نعمة الله عنده \* يحاكيه في احكامه فيصدق

عليه دليل من تقاه وشاهد \* يلوح ونور من علاه ورونق

فابرزه فينا لكل ملمة \* تناط به الآمال منا فتعلق

ولما استهلت بالفواضل كفه \* تيقن باغي الرزق من اين يرزق

ومالت اماني النفوس باسرها \* اليه فباتت في ذراه تحقق

فيا صفوة الله المقدّسة التي \* تصبح منا بالصلوة وتغبق

اليك شكونا من اذى بربرية \* يكاد لها لولا ولاءك تغرق

وهذا بصنع الله فيك يصوننا \* ونحن به في نيل رفدك ارفق

وقال محمد بن احمد الطرزي من قصيدة له :

يحق لنا ان ننصف الفخرا والمجدا \* ويكثر فيك الشكر لله والحمدا

طلعت بنور يملأ الارض بهجة \* ونورا وكف يبسط الامل الجعدا

واخرج المنصور بالله عليه السلام صدقات ففرّقها في المساكين ، ووجه مراكب كثيرة مشحونة بالطعام الى فقراء سوسة، والمحتاجين منهم ، ففرقت فيهم لما هم فيه من الحصار والجوع، فاتسع من فضله البادي والداني والشاسع ، وشحن المراكب بالعدة والسلاح ، ووجه بعضها الى مدينة سوسة، وقود عليها رشيق الكاتب ، فوصل الى سوسة ، لاحدى عشر ليلة خلت من شوال.

ولما حضرت امير المؤمنين القائم بامر الله الوفاة ، احضر ولده الامام المنصور بالله عليه السلام ، واوصاه بما اراد من امر الدين والدنيا ، ثم كان فيما قال له : يا بني اني مسلم ما امرني الله بتسليمه اليك وفقك الله لما يرضيه ، ويزلف لديه ، ومهد لك البلاد ، وجمع على طاعتك ومحبتك قلوب العباد ، ولكنني يا بني استودعك وديعة احب الي ان لا تضيعها بعدي ، قال له : قل يا مولاي صلى الله عليك ، وارجو ان ينسى الله في اجلك ، وديعتي عندك جوذر المسكين فاحفظه ، ولا يذل بعدي

فقال له المنصور بالله صلوات الله عليه : يا مولاي هل جوذر الا واحد منا

قال : نعم ، هو كذلك ، لان نفسي طابت عليه

وكان امير المؤمنين القائم بامر الله عليه السلام يختص ابن ابنه معد ابن اسماعيل بن ابي القاسم امير المؤمنين المعز لدين الله صلوات الله عليهم ، وعلى آبائهم ، والطاهرين من ابنائهم ، ويؤثره ويحبه ويتوخاه.

قال القاضي النعمان بن محمد رضوان الله عليه فيما اتى عنه : وذلك مما كنا نعرفه ويبلغنا عنه وروي عن الامام المعز لدين الله عليه السلام قال : لقد قال لي القائم بامر الله : لو لا صغر سنك لجعلت هذا الامر اليك ، ولكن انت ابو تميم حقا، كما كنيت . قال الامام المعز لدين الله صلوات الله عليه وسلامه : وكان كثيرا ما يقول ذلك ويكرره ، انت ابو تميم حقا ، انت ابو تميم حقا ، وما اعرف يومئذ ما يريد بذلك ، قال : وكنت يوم قبض صلى الله عليه متخلفا لامر عرض لي فسأل عني ، وكرهوا ان يخبروه بعلتي ، ثم اغمي عليه ثم افاق فسأل عني ، وقال : اتوني به ، ثم اغمي عليه كذلك مرارا ، كلما افاق سأل عني ، فاتي به اليه وقد منع الكلام ، فلما رآني ضمني اليه ، ثم اغمي عليه ، فنحيت عنه ، وافاق فردني كذلك ، ثم قبض صلى الله عليه ، وذلك كفعل رسول الله صلع بالحسن والحسين حين قبض ، وقد ذكرنا ذلك.

وكانت وفاة امير المؤمنين محمد بن عبد الله ابي القاسم ، القائم بامر الله صلوات الله عليه ورضوانه ورحمته وبركاته عليه يوم الاحد لثلاث عشرة ليلة خلت من شهر شوال سنة اربع وثلاثين، بعد ان استقل الامام المنصور صلى الله عليه بالامر ، وظهر فضله من السر الى الجهر ، وعلم بقيامه اهل البدو والحضر .

والحمد لله على ما منّ به من بقاء نعمته في الآخرين ، كما كانت في الاولين، وصلى الله على محمد نبيه ، وعلى علي وصيه، وعترتهما المكرمين المفضلين، ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم ، وعليه نتوكل وبه نستعين.

## ذكر اخبار ما كان في ايام الامام المنصور بالله صلوات الله عليه

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله حمد الشاكرين ، وصلوته على رسوله سيدنا محمد خير الاولين والآخرين، وعلى علي وصيه وآله الطاهرين .

ذكر اخبار ماكان في ايام المنصور بالله صلوات الله عليه

هوامير المؤمنين ابي الطاهر اسماعيل بن ابي القاسم صلى الله عليه وعلى آبائه الطاهرين ، وابنائه الاكرمين ، وولي امير المؤمنين ابو الطاهر اسماعيل الامام المنصور بالله من محمد ابي القاسم القائم بامر الله بعد وفاة ابيه صلوات الله عليهما وكان في ايام تغلب اللعين الدجّال على القيروان واعمال افريقية وكثير من الغرب، وهو محاصر لسوسة ، وقد اظهر في البلاد الفساد ، واهلك ببغيه كثيرا من العباد ، فكتم امير المنصور بالله صلوات الله عليه وفاة ابيه القائم بامر الله عليه السلام عن القريب والبعيد ، والعدو والمباين والودود ، ودفنه سرا ، واظهر عليه جلدا وصبرا ، لئلا يعلم العدو بذلك فتقوى عزيمته ، ويطلع الولي فيكثر فشله ، وتهي قوته ، وغطى ذلك بكثرة الصلوة ، واعطاء عميم بالنعم والايادي المتواصلات ، ولم يتسم بامير المؤمنين ، وكانت كتبه تنفد من الامير اسماعيل ، ولي عهد المسلمين ابن امير المؤمنين، واخرج جميع من كان في السجون ، واكثر من الصدقات للفقراء والمساكين ، وولي المهدية جوذر الاستاذ رحمة الله عليه عبده ، وعبد جده وابيه المهدي بالله والقائم بامر الله سلام الله عليهم ، وهو من اهل السابقة الحسنى ، والمكان عند الائمة الاسنى ، وجعل المنصور عليه السلام الى جوذر الحل والربط في جميع الامور ، وتهيأ الامام عليه السلام للخروج للجهاد في سبيل الله ، فجمع السلاح وآلة الحرب، وافقتد ما يحتاج اليه ، وهو بما وعده الله به من النصر والغلبة قوي القلب ،

وقد اتى عن القاضي النعمان بن محمد رضي الله عنه قال : كنت جالسا عند المعز لدين الله صلوات الله عليه ، فذكر امر الفتنة وما كان فيها من عظيم المحنة ، وما حل بالناس من ذلك، وما كشفه الله عنهم بالمنصور بالله صلوات الله عليه ، واستنقذهم على يديه ، فقال عليه السلام : لقد اخبرنا المنصور بالله صلوات الله عليه قبل الفتنة عن رؤيا رآها ما غادرت شيئا كان في ذلك، قال : رأيت آتيا اتاني وفي يده ورق كبير فنشره بين يدي ، وقال لي انظر الى هذا ، فنظرت فاذا فيه دوائر كثيرة فقلت : قد رأيت هذه الدوائر فما هي ؟ قال هذه مملكتكم فجعلت انظر اليها فاني لكذلك اذ نظرت الى سواد غشني بعضها وجعل يمتد فيها ذلك ويغشى منها شيئا بعد شيء حتى سترها كلها غير واحدة كانت اقربهن الي ، فارتعت لذلك وقلت : اذا كانت هذه مملكتنا قد غشيها هذا السواد فما ذلك لخير ، فقال ذلك الرجل : ضع اصبعك على ما غشاه هذا السواد منها اولا فاولا ، ففعلت ، فما وضعت اصبعي على شيء منها الا انجلى عنه ذلك السواد، وعادت على حسب ما كانت ، حتى اتيت عليها كلها ، وذهب ذلك السواد عن جميعها ، ثم انتبهت ، قال : وكذلك كان الامر ، لم يطأ المنصور بالله عليه السلام ارضا في طلب اللعين مخلد واصحابه الا اخرجهم منها ، فلم يعودوا بعد ذلك اليها ، ثم امكن الله عز وجل من الفاسق وطهّر الارض من رجسه.

قال القاضي النعمان بن محمد رضوان الله عليه : وكان المهدي بالله صلوات الله عليه والمنصور عليه السلام في يقول والمنصور عليه السلام يومئذ حملا، وكانت فتنة الدجال بعد ذلك : ان كاشف المحنة ومطفي نار الفتنة في هذا الوقت حمل في بطن امه ، عن قريب يولد، فاطفأ الله سبحانه على يديها نارها ، وعفى به آثارها.

وركب المنصور بالله عليه السلام الى موضع يعرف بدار الصناعة يوم الاحد لعشر بقين من شوال ، وامر يعقوب بن اسحاق ان يشحن ست مراكب بالرجال ، وان يسير بهم سرا الى سوسة ، وقال له : اذا كان بغد غد يوم الثلاثاء فانزل بمن معك من الرجال على شاطئ البحر بالقرب من باب سوسة الشمالي، واجتمع مع رشيق الكاتب ولا تقاتلوا احدا حتى يأتيكم من ارسله لكم من رجالي ، وان طلب مخلد والبربر قتالكم قبل ذلك فلا تقاتلوهم، فعظم ذلك على يعقوب واستأذنه ان يمضي الى داره لقضاء بعض حوائجه ، ووداع اهله ، فامتنع عليه الامام عليه السلام ، وتوجّه يعقوب من يومه ، ولم يعلم احد اين يقصد ، ولا ما اوعز اليه الامام عليه السلام.

ثم قال الامام عليه السلام لكتامة الذين بالمهدية وما حولها : وافوني غدا بقرية بكة بالسلاح والعدة، فاني اريد ان اتنزه وانظر الى آثار العدو ، ومسافة قرية بكة على ميلين من المهدية ، فبكر عليه السلام من قصره في شرذمة من عبيده وخدمه قبل الصبح ، لتسع بقين من شوال ، ووافاه من كتامة الاولياء حيث وعدهم ، فتوجّه بهم مع ساحل البحر يريد سوسة ، وهم لا يعلمون اين يقصد ، والقلوب قد امتلأت من خوف العدو لقربه وكثرة عدده ، فانتهى صلوات الله عليه الى قرية لمطه ، هي نصف الطريق من المهدية الى سوسة ، فاجتمع اليه الاولياء ، وسألوه الى اين يقصد ؟ وقد اجتمعوا قد ستمائة فارس ، فقال لهم : قد عزمت على التمادي الى هذا العدو ، وان القاه بنفسي ، فان الله سينصرني عليه فتضرعوا اليه في الرجوع ، وسألوه ان لا يخاطر بنفسه ، فعند ذلك دعى بكبون بن فصولا وامره بالنفوذ الى مدينة سوسة بجملة من الخيل التي معه ، وان يبيت بهم في الطريق ويصبح العدو بالقتال ، وعرفه انه قد ارسل يعقوب ومن معه من الرجال الذين في البحر الى مدينة سوسة، وامرهم بتقوى الله تعالى وطاعته ، ووعظهم وذكر لهم فضل الجهاد ، وان لا يولوا الدبر ، وقال لهم : اني في اثركم انظر كيف تفعلون ، فتوجّه كبون بالقوم الذين معه طاعة للامام عليه السلام ، وقد حارت قلوبهم لما يعلمون العدو عليه من الشدة والقوة والنجدة وان عسكرهم يزيد على مائة الف فارس وراجل ، وكان المتوجهون مع كبون اربعمائة فارس.

ورجع الامام عليه السلام بمن معه من خدمه وعبيده الى المهدية ، فوافاها صلوة المغرب ، وبات كبون بن نصولا بموضع يعرف ببني سليم وبينهم وبين العدو عشرة اميال ،وبات يعقوب بن اسحاق بمراكبه في تلك الليلة في البحر عند مدينة سوسة بازاء العدو عند باب سوسة الشمالي ، فلما كان يوم الثلثاء الصق مراكبه بالبر وانزل رجاله بالقرب من الباب الشمالي في هدؤ وسكون، فجلسوا تحت ردقهم ، وركب يعقوب دابته وقام في وسطهم وخرج اليه رشيق الكاتب فيمن معه من الرجالة والرماة يحمونهم من اعلى السور ، فحين رآهم مخلد وما هم عليه من السكون ، وامتناعهم من القتال قال :هؤلاء ينتظرون غيرهم ، وتحول كبون فيمن معه من المكان الذي كانوا يبيتون فيه فاصبحوا بقرب معسكر ابي يزيد ، وكان ذلك اليوم كثير الغمام مظلم الجو ، فلما ظهرت الشمس من الغمام تراءت خيول الاولياء مع شاطئ البحر ، وصاح البربر هذه الخيل اتت من المهدية ، فركب ابو يزيد بنفسه، ونصبت اعلامه وضربت طبوله وخرج اهل سوسة ببنودهم وطبولهم مع الحسين بن ناكسين فقصد اليهم الاولياء الذين مع كبون وصاروا عسكرا واحدا قبالة ابي يزيد ، وصار بازاء يعقوب بن اسحاق التميمي ورشيق الكاتب ابو سليمان الزويلي ، فاقتحم القتال ، واشتد الصراع فانهزم الاولياء حتى دخل اوائلهم باب سوسة الجنوبي، ثم عطف الاولياء واطلق رشيق ويعقوب النار في الدبابات التي كان مخلد صنعها بقرب باب سوسة الشمالي ، واشعلا حطبا كان اعده ليحرق به سوسة ، فاشتعلت النيران، واظلم الجو بالدخان، فلما رأى ابو يزيد ذلك ومن معه ضعفت قلوبهم ، وظنوا ان ابا سليمان ومن معه من اصحابهم قد انهزموا وكانوا لا يرون بعضهم بعضا، لكون مدينة سوسة حائلة بينهم ، ثم هزم يعقوب ورشيق من كان بازائهما والقوا النار في الخصوص اولا فاولا الى ان صارت النار بقرب الموضع الذي كان فيه ابو يزيد في قتال الاولياء ، فانكسر ابو يزيد ونكص على عقبيه وحف به غزاته ، وتوجّه هاربا منهزما الى مدينة القيروان لا يلوي على احد ، وهرب البربر على وجوههم ، وافترقوا في كل وجهة ، وقتل منهم خلق كثير ، وقتل علي بن بدر المصري عدة مخلد للمهم من امره وصاحب جيشه ومقدم عسكره ، وغنم الاولياء ما كان في معسكرهم مما سلم من الحريق بالنار بعد ان احترق اكثره.

ووصل ابو يزيد الى القيروان اوان صلوة المغرب مهزوما مغلوبا ، فلما وصل باب الربيع شتمه اهل القيروان باقبح الشتائم ومنعوه من الدخول ومن معه ، وقتلوا منهم جماعة ممن دخل القيروان، وكان في اليوم الذي انهزم فيه ابو يزيد من سوسة حادث دعى اهل القيروان الى الخلاف على ابي يزيد ، وذلك ان بربريا يقال له فليح بن محمد من اهل اوراس ومن وجوه اصحاب ابي يزيد ، وكان قاضيه في عسكره، قتل رجلا كان يخدمه من اهل القيروان ، ورمى به في بئر فاخرجه اهل القيروان من البئر ، وتتبعوا الدم الى دار فليح، وقام اهل الرجل وتناثر معهم اهل القيروان، ومضوا الى ابي عمار الاعمى فقصوا عليه الخبر ، فاحضر البربري فليحا وسأله عن الامر ، فاقر فليح بقتل الرجل ، وقال : انه مشرقي مشرك.

وكان فليح مقبول القول عند البربر ، فحين سمع ابو عمار قول فليح طرد اهل القيروان عن نفسه، ودحرهم ولم يرضهم بالقول ولا بالفعل ، وانصرف الناس وقلوبهم مملوءة غيظا، وذلك قبل هزيمة ابي يزيد بيومين، فلما كان يوم هزيمة ابي يزيد عن سوسة ، وجد اهل القيروان بالغداة قتيلا طريحا في باب اصرم ، فاتبعوا آثار الدم الى درا فيها قوم من البربر، فعرفتهم امرأة من البربر قتلوه في تلك ا لدار ، وانهم يقتلون كل يوم رجلا او اثنين ويمطرونهم في مطمورة في الدار ، فاصاب الناس في تلك المطمورة ستة رجال مقتولين ، وقتلى غيرهم في مستراح ، فتألبوا وضجوا ، ومضوا الى ابي عمار فظنهم ابو عمار جاؤوه في القتيل الاول ، فارسل اليهم بعض اصحابه فاسمعهم المكروه وانتهرهم ، فعادوا عنه راجعين فوجدوا البربري الذي القتلى في بيته فقصدوه ففرّ عنهم ، ودخل دارا فيها امرأة مخلد بن كيداد ، فاجتمعوا واحاطوا بالدار ، فامرت امرأة مخلد بربط يدي الرجل البربري الى رجليه ورمت به الى اهل القيروان من سطح الدار ، فتلقوه بالسيوف والرماح ، ومات قبل وصوله الارض ، وجروه برجله وطافوا به في اسواق القيروان ، وهم ينادون لا طاعة الا طاعة اسماعيل ، وذلك لما اشتهر وبلغهم من فضل المنصور بالله صلى الله عليه وكرمه ، وحسن اخلاقه وشيمه ، فهم على ذلك الحال، اذ وصلهم اوائل المهزومين عن مدينة سوسة من اصحاب ابي يزيد ، فقويت قلوب اهل القيروان ، وصاحوا يا مهدي يا قائم يا منصور لا طاعة الا طاعة اسماعيل ، ومنعوا ا لبربر من دخول القيروان، واحاطوا بدار ابي عمار الاعمى ومعه ثلاثون رجلا وحاصروه . ووصل ابو يزيد اوان صلوة المغرب الى باب القيروان والحصار على ابي عمار ، فحين ارجعه الناس عن الباب بات خارج المدينة الى الصبح ، وبلغه خبر اهل القيروان مع ابي عمار وانهم محاصروه ، فامر باحضار جماعة من رؤساء اهل ا لقيروان وعاتبهم ، فاعتذروا وقالوا ان ذلك فعل السفهاء منهم، وخاف على ابي عمار ان يقتل ، فامر بركوب من معه واظهر العطاء، ونادى باعطاء الارزاق ، فتفرّق الناس عن ابي عمّار ، وخرج مع الذين كانوا معه حتى وصل الى ابي يزيد فتحدثا حول اهل القيروان وانهم قد اختلفوا عليهم ، وانهم لا يركنون اليهم، وخافوا وصول مادة المهدية، وقد افترق الناس وعسكرهم ، واجمع رأيهم ان ينصرفوا من القيروان حتى يجتمع عسكرهم ، ويأتيهم مدد البربر ويرجعون اليه، وتوجّهوا الى ناحية سبيبة فوقف في الموضع المعروف بكدية السعير وبينه وبين القيروان مسافة يومين.

ولما انتهت البشرى الى الامام المنصور بالله عليه السلام بهزيمة الدجّال عن مدينة سوسة عشية الفتح، خرج الامام المنصور بالله صلوات الله عليه من المهدية الى مدينة سوسة صباح الاربعاء لست بقين من شهر شوال سنة اربع وثلاثين وثلاثمائة ، ثاني اليوم الذي انهزم فيه الدجّال ، فنزل عليه السلام خارج مدينة سوسة وانتهى اليه خبر اهل القيروان، ووصل اليه زيادة الله ابن عبد الله وجماعة من الاولياء الذين كانوا بالقيروان ، فاخبروه خبر ابي يزيد ، واشاروا عليه بالمصير الى القيروان، وان يؤمن اهله لانه قد عظم اجترامهم وكثر خوفهم ، فقال المنصور بالله عليه السلام لزيادة الله :انت شيعي حقا ، ولا اشك في نصحك، وكتب الامام المنصور بالله صلوات الله عليه الى اهل القيروان بالامان .

ولما كان الصباح امر بضرب الطبول ، ونادى مناديه بالرحيل ، وقال لزيادة الله بن عبد الله : اركب مع كبون الى القيروان، فامنوا الناس ، وعرفوهم جميل رأيي فيهم ، وصفحي عن زلاتهم ، فسار كبون ومعه خمسون فارسا ، فوقف خارج القيروان ، ودخل زيادة الله مع جماعة ينادون للناس من قبل المنصور بالله سلام الله عليه بالامان ، ففرح الناس واستبشروا واطمأنت قلوبهم، وخرجوا للقاء المنصور بالله عليه السلام ، فوافوه وقد نصب مضاربه في الموضع الذي بنى فيه المنصورية ، وكان نزول امير المؤمنين المنصور بالله عليه السلام ظاهر القيروان يوم الخميس لخمس بقين من شهر شوال سنة اربع وثلاثين وثلاثمائة ، فلما لقيه اهل القيروان قربهم وانسهم ، وامنهم في اموالهم وانفسهم ، ووعدهم الخير ، وبشّرهم بالظفر ، ففرحوا بذلك مع فشل داخلهم ، لما رأوا من القلة في عسكر الامام عليه السلام وضعف دوابهم الا انهم قد كرهوا ابا يزيد لما رأوه من جوره وظلمه ونكره وكفره.

واحسن اليهم الامام المنصور بالله عليه السلام ، وتبين لهم من فضله وعدله ما انصلحت به نياتهم ، وقويت قلوبهم ، ووجد الامام عليه السلام جماعة من نساء ابي يزيد واولاده ، وحرم اولاده ، واولادا لهم وحرما لهم ، ولوجوه رجاله ، فامر صلوات الله عليه بصيانتهم وحفظهم والاحسان اليهم وامر بحملهم الى المهدية، واجرى لهم فيها ما يسعهم عطاء ونوالا ، وجزاهم بسيء افعالهم احسانا وافضالا.

وكتب المنصور بالله صلوات الله عليه الى القبائل بجبال افريقية يأمرهم بالقدوم عليه ، فوصل قليل منهم ، وتثاقلوا وتربصوا ، ووجّه ابو يزيد خيلا مع ابنه فصل الى فحص القيروان ، ليستخبروا الاخبار، فبلغوا الى قرية الجزيرة ، وهي اذ ذاك خالية ، واتفق ان الامام المنصور بالله سلام الله عليه ركب ذلك اليوم الى قرية الجزيرة ، وسبق اليها خمس من فرسان الاولياء، وخادم يدعى فتوحا، فوافتهم خيل البربر، فقتل رجلان من الاولياء ، واسر الخادم قبل وصول الامام عليه السلام ، ومضت خيل العدو على ريح.

واصبح البربر ثاني يومهم وهو يوم الاثنين لليلة بقيت من شوال ، وقد خرج كبون بن نصولا ذلك اليوم في ثلاثمائة فارس، وثلاثمائة راجل ليستخبروا خبر العدو ، فتوافى الفريقان ، وكان بينهم قتال عظيم، توغل الاولياء في الدخول عليهم ، وقد جعل البربر كمينا خلفهم ، فخرج الكمين على الاولياء، وعطف البربر عليهم، فقتل كبون ابن نصولا ، وكثير من اصحابه رحمة الله عليهم ، ولم ينج منهم الا قليل ، فدخل على الناس اعظم غم ، وايسوا من الظفر، وارجف اهل جبال افريقية ، وتوقفوا عن نصرة الامام عليه السلام ، ووجه ابو يزيد الى القبائل فاجتمع له خلق عظيم ، وعاد الى ما كان عليه من القوة .

وامر المنصور بالله صلوات الله عليه بخندق فعمله على عسكره وكره ذلك وجوه رجاله وقالوا انه ينسب الينا بذلك الجنب، فقال لهم : قد حفر جدي رسول الله صلى الله عليه وعلى آله خندقا ، وتحصن فيه ، ونحن اولى من نحتذي فعله ، ونقتفي اثره ، فعمل صلوات الله عليه في الخندق بيده ، وكان ذلك في غرة شهر ذي القعدة ، واخذ الناس في حفر الخندق بالجد والاجتهاد ، وواصلوا العمل في الليل والنهار.

ورحل مخلد بن كيداد الدجال من اكمة الشعير زاحفا الى ناحية القيروان بعد قتل كبون ، وطمع في الاولياء، فنزل بقرية خمس، ثم ارتحل ليلة الجمعة لثلاث خلون من ذي القعدة غازيا بالعسكر الامام عليه السلام بجميع من معه وخلف اثقاله بخمس ، وكانت ليلة مظلمة ، فاخطأ في الطريق ، وتاه في الفحص، فما وافى القيروان الا عند الفجر ، وقد اراد الله نصر وليه ، وخليفة نبيه صلع ، فجعل مخلد عسكره فرقة معه من وجوه رجاله وحماتهم وكماتهم، فقصد بهم الى فسطاط الامام المنصور بالله عليه السلام، وفرقة امرها ان تأخذ على يمين المعسكر، وفرقة على شماله ، ومنته نفسه انه ان فعل ذلك لم ينج احد من عسكر الامام عليه السلام ، وكانت وقت غفلة ، وقد نام الحرس ، واشتغل كثير من عسكر الاولياء بالصلوة والتهجد ، فوضع البربر سيوفهم في الناس حول فسطاط الامام ، وتصايح العسكر : العدو العدو، ووثب بعضهم الى بعض وقتل بعضهم بعضا ، وقامت الحرب على ساق ، وبان الصباح ، وركب الامام عليه السلام ومنحه الله على الفساق الظفر، فاخرج عسكر الامام عليه السلام البربر، وقتل منهم ثلاثون، واخذ الاولياء عليهم علمين، وصار ابو يزيد ومن معه الى خارج الخندق ن واجتمع اصحابه اليه ونظروا الى قلة الاخبية والمضارب، فعادوا القتال .

وخرج الامام المنصور بالله صلوات الله عليه، فاصطفت الصفوف ، وتدانت الزحوف، وجعل الامام يكر عليهم يمينا وشمالا ، ويصدهم بحملات عليهم تتوالى ، وهو يصول بسيف جده ذي الفقار، ويحمل حملات الاسد الكرار، والظلمة كالعلم على رأسه عليه السلام ، فموضعه معروف ، والخيل تكر عليه الوفا بعد الوف ، وهو يفرق جماعتهم ويردي ذوي البأس من كماتهم ، والاولياء خمسمائة فارس يعدون ، والبربر كما ذكر ثلاثون الفا او يزيدون ، ثم حمل البربر حملة رجل واحد علىالاولياء فادخلوهم معسكرهم ، وهرب جماعة منهم الى ناحية القيروان ، ونهبت فازات كثيرة من معسكر الامام عليه السلام، وبقي وحده في عشرين فارسا من خدمه ، واقبل الدجّال اليه ومن معه من حماة رجاله، وكماة ابطاله ، فلما رأى الامام المنصور بالله عليه السلام اقبالهم اليه ، قصد ابا يزيد ومعه سيف رسول الله صلع ذو الفقار ، وكان الذي يمسك المظلة على رأس الامام صقلي من عبيده ، فلما رأى جموع البربر قد اقبلت الى الامام عليه السلام وفرسانهم قد حملت نكس المظلة يريد ان يخفى مكان الامام عليه السلام فانتهره سلام الله عليه ، وقال له :ارفع المظلة يا هذا ، ولا تفزع ولا تخف ، فان الله عز وجل وعدنا وعدا لا يخلف ، واقبل عليه السلام على ابي يزيد لا يلوي على شيء دونه ، وحمل كحملة جده علي ابن ابي طالب على الكفار بذي الفقار ، فالقى الله الرعب في قلب ابي يزيد ، وقد كاد الامام عليه السلام ان يضع السيف على رأسه ، وولى ناكصا على عقبيه ، مدبرا عن حومة مراسه ، وولت جنود الخوارج من البربر ، واتاح لوليه النصر عليهم والظفر ، فقتل عليه السلام من ادرك منهم ، وثبت في مكانه يمسح العرق عن وجهه .

وكانت نساء القيروان فوق سطوحهن فعلت اصواتهن بالضجيج والبكاء ورمين المنهزمين من اصحاب الامام عليه السلام بالحجارة ، وجعلن يقلن اين تتركون مولاكم يا كلاب ، اخرجتموه وتركتموه واسلمتموه ، يا غربتاه يا وحدتاه ، وصاح اهل البلد، وخشوا الهلاك من البربر ، وان يحلوا بهم المنكر ، فحين رأى الناس ثبات الامام ، وثبات المظلة على رأسه ، رجعوا اليه من كل جهة ، واقبلوا من كل وجهة ، فعيرهم صلى الله عليه بجبنهم ، وهو يبتسم في وجوههم ، وقال ادخلوا في كمي ن فاحتشموا منه ، ولم يظنوا فيه الثبات ، لانهم لا يعرفون انه ما لاقى الحرب ولا شهده قبل ذلك المشهد، وابتهجوا حين رأوا حملاته على العدو ، وهو كالاسد ، لا يلاقي كتيبة الا هدّها ، ولا تكر عليه الا ردّها، وعاد القوم الى القتال ، وتمادى الحرب الى وقت صلوة العصر، ورأى الناس من الامام عليه السلام ما لم يكن الا من جده علي ابن ابي طالب صلوات الله عليه ، وهالهم ما رأوا من الكر والاقدام، وقال ابو يزيد لاصحابه : اهذا اسماعيل ؟ قالوا : نعم ، هو اسماعيل ، فحرك رأسه وقال : هذا يصلح ان يكون ملكا حقا .

واصاب الفريقين حر العطش ، وكان اهل القيروان يسقون عسكر الامام عليه السلام ، والبربر لا يجدون ما يستقون ، فمال بعد زوال القتال الى ماء آجن بباب تونس ليشربوا منه ، ويسقوا دوابهم ، فمنعهم اهل القيروان ، ورموهم بالحجارة ، والسهام من كل مكان ، فانصرفوا الى معسكرهم من قرية خمس، وقد ايقن الناس للامام المنصور صلوات الله عليه بالظفر ، ورأوا منه من النجدة ما لم يظنوه لاحد من البشر، وعظم في اعين الناس، وفرح به اوليائه وشيعته، وهابه رجاله ورعيته، وقال عبد الله بن اصبع من قصيدة يذكر قتال الامام المنصور بالله صلوات الله وما كان له في ذلك اليوم حيث يقول شعرا :

ويوم بارض القيروان شهدته \* وقد ظل فيه الجو اغبر اقتما

وكاشت به الابطال خوفا واخرست\* لموضع خطب يملأالسمع والفما

لدى معرك ضنك تضايق للردى \* فلا تسمع الاصوات الا تغمغما

ازال رجالا هوله عن صفوفهم \* ونكب ذو الاقدام فيها واحجما

وقامت باهواء اللعين مطامع \* فاقبل حثا كالظليم مصمما

فلما دنى من حومة الليث في الوغى \* بدر الدجى جاب الدجون متمما

تراءت له تلك الجلالة فانثنى \* وهابك ان يدنو وان يتقدما

فسرت اليه مقدما متدرعا \* دروع يقين ان تصاب فتفصما

فولاك ظهرا وقرته ذنوبه \* واعجله مرآك ان يتلوما

فمر وكاد الخوف يضرم قلبه \* وانى لكلب ان يعارض ضيغما

فيا جمعة ماكان اعظم فضلها \* لك الله جل الله حيي وانعما

وعدت اليه عودة هاشمية \* فبان عن الانفال رغما واسلما

وقال محمد بن هارون بن سعيد الامروطي شعرا :

ولم ار كالمنصور بالله ناصرا \* لدين ولا احمى لملك وامنعا

هو الملك المخصوص بالنصر ملكه \* وحافظ ما قد كان ضاع وضيعا

الم تر يوم القيروان وقوفه \* وقد همّت الاكباد ان تتصدعا

وابرز عن وجه من الصبر ابيض \* يقابل وجها للكريهة اسعفا

وعاد مخلد بن كيداد الى موضعه بخمس ، فاقام يوم السبت به ورحل منه بالاثقال لخمس خلت من ذي القعدة ، فنزل على الشرف الاحمر بين الجزيرة والقيروان ، وزحف يوم الاثنين الى خندق الامام عليه السلام ، فمنع الامام من معه عن الخروج، ووقف مخلد ساعة ، ثم انصرف الى باب اصرم ، وكان الامام عليه السلام ، قد جعل فيه الركوشيين، وعليهم قدام الصقلي وجماعة من الاولياء فوقع بينهم قتال يسير جرح فيه برذون قدام الصقلي، ودفع الله عن نفسه ، وانصرف الدجّال الى حيث كان معسكرا في الشرق الاحمر.

وزحف تلو ذلك اليوم يوم الثلاثاء لسبع خلون من ذي القعدة ، و جاء خبره الى الامام ، ففرّق علىاوليائه السلاح والعدة ، وامرهم فلبسوا اللامة ، واصطفوا صفوفا ن ووقفوا على خيلهم داخل الخندق ، ونهاهم الامام عليه السلام ان يخرج احد من الخندق ، وان يتعرضوا للقتال ، والامام عليه السلام واقف بينهم على فرسه ، والمظلة على رأسه ، واقبلت طائفة من بني كملان كانوا في عسكر الدجّال، فدعوا يعلي بن حيدرة الكتامي ، وخلوا به سرا ، وسألوه ان يأخذ لهم من الامام المنصور بالله عليه السلام امانا ويطلب منه بذلك كتابا ، فرجع الى الامام عليه السلام ، فقال صلوات الله عليه : لا امان لهم او يأتوني برأس مخلد بن كيداد ، ونادى مناديه من جاء برأس مخلد بن كيداد فله عشرة آلاف دينار، ووقف رجل من البربر على دابّته فسب الامام عليه السلام ، واراد الاولياء من كل جهة ان يحملوا عليه فزجرهم الامام ونهاهم، حتى استوى اللعين قوله ، ثم رفع الامام عليه السلام الى السماء يديه فقال : اللهم خذ بحقي منه ، فما اتم كلامه حتى رد الرجل السباب فرسه فانقلبت عليه ، وصار سرج الفرس في بطنه فقتله ، وحمل عليه الاولياء فجزوا رأسه ، وسجد الامام عليه السلام شكرا لله تعالى واكثر حمده على ما منّ به عليه من اجابة دعائه ، وسماع ندائه . وكانت تلك آية للامام المنصور بالله عليه ا لسلام واضح برهانها ، ظاهر بيانها ، عاينها الفريقان ، وشهد به الجمعان،

واذن الامام عليه السلام لاوليائه بالقتال ، فوقع قتال عظيم بين الفريقين ، واطلق البربر النار في بيادر الزرع بباب سلم ، وبباب اصرم ، وبباب تونس ، وكان بها سنبل عظيم وطعام فعلى الدخّان وامتلأ الجو من القتام ، وكان يوم شديد الحر ، عظيم الامر ، فهزم البربر الاولياء حتى ادخلوهم الخندق ، فحمل الامام عليه السلام ورجع الاولياء على البربر فهزموهم وما زال القتال الى صلوة المغرب ، فانصرف القوم عند الليل ، وقد تناصف البعض من البعض وغطت القتلى وجه الارض، وعاد كل الى معسكره، وقال بعض الشعراء في ذلك :

دلائل آيات الامام كثيرة \* تلوح لمن كانت لديه بصائر

تروى التقى والصبر في كل موطن\* وصحت له عند الاله سرائر

الم تره حين انبرى ليسبّه \* شقي من الاغنام جاف مكابر

فجدّ له ذو العرش ساعة سبه \* وعاجله والله للحق ناصر

وما برحت رجلاه حتى تحكمت \* به وباحزاب الضلال البواتر

ووجه الامام صلى الله عليه للحشود فتوقف اكثر الناس وتربصوا ، وكان اول القادمين عليه عبد الله بن زلال الجزيري في جند الجزيرة ، فانزلهم الامام عليه السلام بباب تونس ، وامرهم الامام عليه السلام فخندقوا على مواضع معسكرهم ، وكانت البربر تأتي خيلها كل يوم فتقاتل الذين بباب اصرم ، وبباب تونس ، وقد جعل الامام عليه السلام ابا الفضل ابن ابي سلاسي في عسكر معه من الجند بباب اصرم ، وامرهم فخندقوا خندقا يحيطهم فامتنع القيروان من دخول البربر اليه، وفرّق ابو يزيد خيله على الطرقات تنهب وتسلب ، وكانت تضرب حول الخندق ، فتأخذ ما وجدت من الماشية ، واقبل ابو يزيد يوم الاربعاء للنصف من ذي القعدة بحشوده وجنوده ، فكان قتال عظيم فيما يلي باب تونس ، فدعى الامام عليه السلام الحسين بن ناكسين الكتامي ، وامره ان يأخذ مائة فارس ، ويشق القيروان، ويخرج منها على البربر من باب تونس على غفلة ، ففعل الحسين ما امره به الامام عليه السلام ، فانهزم القوم مدبرين ، وولوا على اعقابهم ناكصين، وفي يوم الخميس لاربع عشرة بقين من ذي القعدة قدم الى الامام المنصور بالله صلوات الله عليه ، مفرح الكتامي في عسكر من اهل طرابلس عدتهم الفان ومائتان واربعون فارسا، فانزلهم في الخندق ، واسبغ عليهم العطاء ووالى عليهم الآلاء ، وقوي عسكر الامام عليه السلام ، وجرت له الاحوال على احسن نظام.

وارسل الامام عليه السلام خادمه مطيعا في مائتي فارس ليأتيه بسلاح وعدة من سوسة ، وبلغ ذلك مخلد الدجّال فسيّر للقائهم عسكرا كثيفا ، فخالفه مطيع ووصل الى عسكر الامام عليه السلام سالما، ووافق عسكر الدجّال الذي خرج اليه رفقة عظيمة من القيروان تريد المهدية بالاموال والنساء والعيال ليتحصنوا بها لانهم كانوا خائفين ان تكون للعدو كرة فيغلب على القيروان، فاخذ البربر جميع ما في تلك الرفقة ، وخرج ابن بازمي من البربر في جيش من قبل الدجّال ، فوصل الى باب تونس ، وقاتل من فيه فهزم خيل البربر ، وقتل ابن بازمي وجيء برأسه وبزدونه الى الامام المنصور بالله صلوات الله عليه ، وقتل في ذلك اليوم من البربر شقر المكناسي ، وطعن ركو على الخاصرة ، وهما من عيونهم ، ووجوه رجاله.

ولما كان يوم الاثنين لعشر بقين من ذي القعدة ، وقد اجتمع لابي يزيد عساكر عظيمة من البربر وغيرهم ، فوعدهم ان يفتح القيروان واباح لهم انتهاب ما فيه من الاموال ، وسبي الحريم ، فطمعوا في ذلك ، ووعدوه الصبر والقتال ، وعاهده على ذلك منهم الابطال ، وخرج ابو يزيد من يومه في جيوش كثيرة، وعدة قوية ، وقصد بنفسه الى ناحية باب تونس ، فوقف على كدية والقى ا لبربر النار فيما بقي من بيادر الطعام ، ووقع القتال بين الفريقين ، فامر الامام عليه السلام بشرى الخادم في جيش معه فسلكوا وسط القيروان ، وخرجوا من باب تونس ، واستتروا حتى لا يراهم جنود الدجال، وراموا ان يجدوا فيهم فرصة ، فوجدوهم حذرين ، وجاء الى ابي يزيد من اخبره خبرهم فاخذ حذره ، وبقي موضعه ، ووقف الامام عليه السلام على باب الخندق ، يمد العسكر الذين بباب تونس بالخيل والرماة، فلما رأى ثبات ابي يزيد وجه خيلا من الذين معه ، ورجالة كثيرة، وامرهم ان يقصدوا اخبية ابي يزيد ففعلوا ، فحين رآهم ابو يزيد قد امعنوا في السير ترك القتال وتوجه نحو اخبيته ، وخرج الامام المنصور بالله عليه السلام خلفهم ، فكانت الهزيمة على ابي يزيد واصحابه ، وقتل منهم عدة كثيرة. وماتت لهم خيل اصيبت بالنبل، ووصلوا الى معسكرهم مهزومين مكلومين ، ورجع الامام عليه السلام الى معسكره غانما ظافرا ، وكان الله له وليا ناصرا.

ولما اصبح ابو يزيد قال للذين معه من عساكر البربر: ان هؤلاء قد كثروا ولا مصلحة لنا في قتالهم بعد تحصنهم في خندقهم ، وقوتهم ومظاهرتهم الى القيروان ، ولكن الرأي ان نخرج خيولنا الى ناحية المهدية ، ونقطع عنهم الميرة ، ومتى توجهنا الى جهات المهدية ، فان عيالات الكتاميين هنالك ، ولعلهم ان يختلف امرهم وينفض جمعهم .

واخرج ابنه الفضل ابن مخلد الى ناحية سوسة ، ووجه خيولا كثيرة الى ناحية المهدية ، والى ناحية الساحل ، فكانت خيله تسبي وتغنم ، وبلغت خيله الى باب جمة وارباض المهدية ، واستاقوا غنما وبقرا، وكان اكثر رجال المهدية وذوو البأس فيها مع الامام عليه السلام فوقع القلق والخوف مع نساء الاولياء المخلفات بجمة وحول المهدية في ارباضها ، وخافوا ان تهجم عليهم خير البربر ، وارادت النساء دخول المهدية فمنعهن جوذر الاستاذ عن ذلك، وبلغ الخبر الكتاميين فوقع فيهم الاضطراب وارادوا المسير عن عسكر الامام الى المهدية ، وشكوا ذلك الى الامام فبعث جيشا كثيفا الى المهدية فضبطوا نواحيها وحموها وبطل ما كان مخلد دبر ، واحتمت جوانب المهدية عن البربر ، وتوسّط البربر في الطرقات وامعنوا بالفساد في كل الجهات ، وكانوا يختطفون الاموال ، ويشوّهون من يقع في ايديهم من الرجال ، بقطع يده او رجله ، او جدع انفه او اصطلام اذنه ، او ما اشبه ذلك ، وخافت السبل وعظم الفساد.

ولما كان نصف ذي الحجة جاءت خيل البربر فانتهت الى حول الخندق الذي فيه معسكر الامام عليه السلام حتى همت ان تقتحمه ، فعج الناس وضجوا الى الامام ، فخرج ص ع فقاتل القوم بنفسه وهزمهم الى مكان يعرف بقصر علي ، واشتد القتال فنزل الامام في موضع القتال عن دابته ، ونصب له كرسي فجلس عليه والحرب بين يديه ، فجاء وجوه الاولياء وقالوا لا نأمن ان تكون للعدو كرة وينهزم الناس وانت واقف والصواب ان تركب جوادك.

فضحك عليه السلام اليهم وقال لهم : لا تخافوا فان النصر قد آن اوانه وحان حينه.

فاشفق القوم وكثر رهبهم والحّوا في سؤال الامام ليركب وقالوا : الا ترى قوة العدو وتكاثر غاراته، واقبال كتائبه وراياته؟

فامر الامام ع م ان ينزع لجام دابّته وان تسقى من ماء هنالك ، ليريهم انه غير مكترث لما به يكترثون، وان الله قد آتاه علم ما لا يعلمون، ثقةً بما هيأ الله له من عدوه ، وعلما ورثه عن آبائه عن رسول الله جده صلع ، فما زال الناس يقاتلون والامام عليه السلام واقف ينظر اليهم حتى كل الفريقان، ومل الجمعان، فرجع كل منهم الى معسكره، وعاد الامام ع م واثقا بوعد الله في بلوغ وطره.

وكتب مخلد الدجّال الى الامام عليه السلام يسأله رد نسائه وبناته واولاده ، ونساء رجاله واولادهم الذين كانوا في القيروان وصاروا الى المهدية ، كما قدّمنا ذكر ذلك وحلف الايمان المغلظة ان الامام ردهم انه يرجع الى طاعته بصدق نية، وانه يطلب الامان ويسكن في قسطيلية ، فاجابه الامام الى ما الحّ في الطلب والسؤال ، ووجّه الى المهدية في وصول النساء والعيال، فلمّا علم ابو يزيد ان الامام قد ارسل لاولاده ، اراد ان يرسل خيلا لتوصلهم اليه وتحول بينهم وبين الوصول الى عسكر الامام ليأخذهم بالقهر والغلبة ، ولا يحمل منّا للامام فيما رامه وطلبه، وانتهى ذلك الى الامام عليه السلام فبادره ذلك اليوم بالزحف وخرج من معسكره وخندقه ، وذلك يوم السبت لثمان بقين من ذي الحجة ، فبلغ عليه السلام الى قصر علي ، وخرج اليه ابو يزيد بنفسه وجميع جموعه ، وقد كمن البربر كمينين ، وارادوا غرة جيش الامام عليه السلام ، فلم يجدوا غرة ولا فرصة . وما زال الامام عليه السلام يحرّض عسكره ويعدهم بالفتح والنصر ، وكان يترك المظلة مع ممسكها ويمضي بغير مظلة في عسكره ليعاين القتال ، ويحمل على الاعداء حملات الرئبال ، فتارة يحمل عليهم من القلب ، وتارة من الميمنة ، وتارة من الميسرة، ويصدقهم بالطعن والضرب ، فقتل من البربر جماعة كثيرة ، ولم يقتل احد من اصحاب الامام عليه السلام ، وايقن الدجّال ذلك اليوم بالفر والانهزام ،

وارسل الى الامام يقول له : الم يكن بيننا وعد الى وصول العيالات والحرم ؟ وكان ينبغي الصبر حتى يصلوا وينصرم ما عقدناه ويتم؟

فرد الامام عليه السلام اليه : انه قد بلغنا انكم قد اخرجتم خيلا لتقطع الطريق واخلفتم القول ، وانتم لا يؤخذ منكم بامر وثيق .

فقال ابو يزيد : نعم قد هممنا بذلك وما فعلنا ،ولم يتم لنا مع خروجكم الينا بالامس ما عليه عوّلنا.

وركب الامام عليه السلام يوم الاحد ثاني اليوم المذكور يريد معاودة القتال ، فهو عليه السلام يقوّم الصفوف ويعبّئ العساكر ، ويأمرهم بالصبر على طعن القنا وضرب السيوف ، ثم وصلت ذلك اليوم عيالات ابي يزيد واصحابه من المهدية ، فرجع الامام الى معسكره وامر بانزال العيال في موضع ستر ، وارسل الى الدجّال من ينبئه بوصولهم ويقول له : بعثنا اليك الامير اسماعيل الكريم ، ايها الكلب اللئيم : اما بعد فقد وصلت حرمكم واولادكم ، فوجّه من تثق به ليصل اليك بهم . فبلّغوا الرسالة ورجعوا بالجواب. وامر الامام عليه السلام ان تنصب له فازة خارج الخندق ، فنصبت الفازة وفرش ، و قدم من ناحية ابي يزيد رجلا يقال لاحدهما مكدول زوج ابنة الدجّال ، وكانت في العيال الذين قدموا ، ويقال للآخر كمين بن عمرو ، بربري من باغاية ، فامر الامام عليه السلام بكسوتهما وكسوة النساء والعيال ، وان يدفع لكل واحد من النساء وواحد من العيال عشرة دنانير من العين، واعطى مكدولا وكمينا البربريين مائة دينار ، ووجّه بالعيال وزوّدهم اصناف الحلوى، وامر بالمشاعل فاوقدت امامهم ، واصحبهم من عبيده سعدا العامل في جماعة معه حتى وافى ابا يزيد الى معسكره ، فحين وصل النساء والعيال الى ا بي يزيد وجّه بهم جبل اوراس، ثم رجع الى اصحابه فاظهر ما اضمر من غدره ، وباح بما في مكنون سرّه، وقال : ان اسماعيل ما ارسل اليكم بعيالكم ، و صنع الهيم الصنائع التي علمتم ، الا حين داخله الخوف منّا وعلم بأسنا، ففعل ذلك مداراة لنا ، فجدّوا في امركم واذيقوا القوم ما عودوه من عظيم شركم ، فانكر عليه كثير من عقلاء البربر غدره وقالوا : كان الواجب ان تجزي بالصنيع مثله، وتفرّقوا عنه ، وعلموا ان ا لامام ع م قد قويت عساكره وظهرت علامات نصره ، وتمادى مع الدجّال اهل اوراس وبنو كملان على العصيان والمروق ، والامتناع عن الدخول في الطاعة والرجوع.

وكان قد وجّه ابو يزيد ابنه الى الاموي الذي كان بالاندلس يستنصره ويعده القيام معه ، فاخرج معه الاموي عسكرا واموالا ، وتوجّهوا الى ناحية تاهرت ، فظفر بهم عامل الامام ع م عبد الله بن بكار ، وارسل برأس ايوب الى الامام عليه السلام وذلك بعد انقضاء امر ابي يزيد.

وحين اتصل بالامام عليه السلام ما تمادى عليه المارقون من العصيان وامتناعهم عن الطاعة وتناهيهم في الاصرار والعدوان، امر قبل طلوع الفجر بضرب الطبول ، وامر عساكره ان يتهيئوا للخروج، وخرج عليه السلام بنفسه الزكية اوان طلوع الصبح، وذلك يوم الاربعاء لليلتين بقيتا من ذي الحجة آخر سنة اربع وثلاثين وثلاثمائة وقد لبس لامته ، وتقلّد سيف رسول الله ووصيه صلى الله عليهما ذا الفقار ، واخذ الرمح بيمينه واعتقل درقة على يساره، وتمادى الى قصد العدو، واتّبعه الناس فعبأهم على مصافّهم ، وامتنع البربر عن الخروج من معسكرهم ، فحضّ الامام ع م اصحابه وامرهم بالهجوم على فازاتهم والدخول عليهم في مستقرّهم، فاستهال الناس ذلك واستعظموه وجنبوا عنه ، وما زالوا بالامام عليه السلام يسألونه الرجوع حتى اغضبوه ، فرمى الرمح عن يده ورجع مغضبا غاضبا الى معسكره، فاقام اياما بالخندق لا يخرج من مضربه ، وحجب الناس عن الدخول اليه ، حتى بلغ البربر احتجابه، فارجفوا وقويت قلوبهم، وظنوا ان امتناعه عن الخروج لعلة وتوعك ، فاغاروا الى كل ناحية وافسدوا ، واقام لا يواجه احدا ولا يخرج الى جيوشه عن مضربه ، ولا يمدّ اليهم للسلام عليه يدا.

ودخلت سنة خمس وثلاثين وثلاثمائة

واغارت خيل ابي يزيد فانتهبت السيارة من اهل القيروان الى المهدية ، واخذوا كثيرا من الابل والاحمال ، وقتلوا جماعة عظيمة من الرفاق ، واغتم الاولياء غما شديدا لذلك، وكان ذلك يوم الاثنين لثلاث خلون من المحرم ، وما زال الامام محتجبا عن الناس الى يوم الاربعاء لخمس خلون من المحرم، فجاء ابو يزيد بجموعه قاصدا القيروان ، وقد انضمت اليه جماعة كثيرة من البربر ، فوقع القتال عند باب تونس، وقامت الصيحة ، وضجّ الناس الى الامام عليه السلام ، فامر بضرب الطبول نصف النهار، ونشرت الاعلام ، وركب الامام عليه السلام ، وخرج على القوم ، وقد وقع بين الناس قتال عظيم، وقتل رجال من الاولياء ، واقتحم الخندق حتى صاروا بقرب الامام عليه السلام ، وحمل على الامام عند خروجه فارس من البربر حتى دنى منه وهمّ ان يطعنه برمحه ، فحمل عليه الامام فما هو الا ان حرّك دابّته اليهم فانقلبوا على ادبارهم منهزمين بعد قتال شديد وامر عظيم، وقتل جماعة من البربر وعقرب خيول لهم ورجعوا الى معسكرهم وكفّوا عن الطريق ، وكان معظم همهم انفسهم.

فلما كان يوم الجمعة لسبع خلون من المحرم ركب الامام الى العدو على تعبئة الحرب ، فبلغ الى قربهم ولم يخرج اليه احد ، فرجع الى الخندق ،وطلع قبة قد امر ببنائها، وامر جنوده ان يجوزوا بين يديه فرأى منهم ما سرّه ، وزحف البربر ذلك اليوم بعد الظهر الى باب تونس، وانتشب القتال ، واتصل امر ذلك بالامام عليه السلام وهو في قليل من الناس لكونهم مفترقين في الاسواق لحوائجهم فركب عليه السلام تلك الساعة ، وتمادى القتال ، وقتل من الفريقين خلق كثير ، ودخل الظلام فاوقدت المشاعل وبقي القتال الى الصبح ، وتسمّى تلك الوقعة وقعة المشاعل ، ورزق الامام الظفر، وعاد الدجّال الى معسكره ، ثمّ ركب الامام ذلك اليوم حين انصرف من صلوة الفجر على تعبئة الحرب ، وبلغ قرب العدو فامتنعوا عن الخروج، وعاد الامام الى معسكره.

وركب يوم الثلاثاء لاحدى عشرة ليلة خلت من المحرّم وسار صلوات الله عليه يؤم العدو فوقع القتال غير كثير ، وانكفأ البربر الى معسكرهم فرجع الامام الى معسكره.

وخرج الامام بعد صلوة الصبح وقد ركب جواده واستلأم بعدة حربه وعبأ جنوده فجعل في الميمنة اهل افريقية ، وفي الميسرة لهيصة وجيملة، وفي القلب بني بنطاس ، وهو ص ع معهم وعبيده بين يديه ورجاله الاولياء ، وخاصة جنده الذين لا يفرقون من القتال ، ولا يهابون مبارزة الابطال ، وكانوا في احسن زي وابهى عدة ، وذلك يوم الخميس لثلاث عشرة خلت من المحرم فحين صاروا بازاء العدو لم يخرج اليهم احد ، ووقف مخلد الدجّال ومن معه في معسكرهم ، فاخذ الامام معارضا لهم شرقي عسكرهم ، فانتشب القتال وبرز ابطال الرجال، وخرج الدجّال مخلد ابن كيداد بنفسه في ابطاله ووجوه رجاله، وقد احاطوا به ، وكان قتال عظيم تلاحم فيه الفريقان اختلط الفئتان، واقدموا اقدام من كره الحيوة ، وبرز مستعجلا يريد الممات، وباشر الامام ع م الحرب بنفسه ، وكرّ في اعدائه يطعن تارة برمحه ويضرب تارة بذي الفقار سيف جده ، وحمل الدجّال في معظم جيشه على ميمنة الامام فهزمها ، ثم صمد القلب الى الامام قاصدا ، وله بكماته وحماته عامدا ، فقصده الامام ع م وبارزه ، وصار كل واحد منهما يريد صاحبه، فهابت كتامة على الامام ع م لما يرون مع الدجّال من البربر المعتادين للقتال الذين قد حفوا به خلف وامام ، ويمين وشمال ، فامسك مشائخ كتامة الامام وقالوا : نحن نكفيك وبانفسنا نقيك، وحاولوا ان يؤخروه عن الاقدام ، وان يكون خلفهم ينظر الهيم وهم يقاتلون بين يديه ، فنهاهم عن ذلك وزجرهم ، وبالرجوع الى مراكزهم امرهم ، وقال كم هذ التخلف عن هذا الكلب؟ والله لا اهملته ولا تركته ، وقال لعبيده ورجاله الذين بين يديه : تحركوا نحو هذا الفاسق وامشوا بنا اليه ، فهذا يوم الفتح ان شاء الله.

وحمل على الدجّال المارق لا يريد سواه ، ولا يقصد الا اياه، فكل من حال بينه وبينه من البربر حمل عليه فارداه ، وكرّ عليه بذي الفقار وقد انتضاه ، فحين دنى من الدجّال وكاد ان يصل مفرق رأسه بذي الفقار، ادبر ناكصا على عقبيه ، لا يعوج على شي ولا يلوي اليه ، فانهزمت جيوشه شر انهزام ، وفلقت السيوف المشرفية منهم الهام ، واخذوا بالنواصي والاقدام ، وتركوا موضع معسكرهم وجميع مضاربهم واخبيتهم ، وانفردت بنو كملان ، وكانوا حماة البربر ، واكثر من اجتهد مع ابن كيداد وصبر، فوقفوا على شمال معسكرهم على رابية من الارض ، وخاف الاولياء ان تكون تلك مكيدة من العدو، وان يكون لهم كمين في المضارب والفازات ، فاجتمعوا الى الامام ع م وقالوا :لا نأمن ان تكون مكيدة وان يخبؤوا لنا في معسكرهم كمينا، فمتى توسطنا ظهروا علينا ، وافضل الرأي ما اقتبس من عندك ، فما الذي تامر به عبيدك واوليائك وجميع جندك؟

فقال عليه السلام : انا اقف بمن معي ناحية ، وتدخل طائفة منكم الى الاخبية ، فاني ما دمت قائما فان القوم لا يرجعون الى اخبيتهم ولا يعوجون عن ادبارهم وهزيمتهم ، فان عادوا شددت عليهم ، واعدت ما الفوه من الحملات عليهم، وان خبؤوا لكم كمينا ، كنت لكم ردءا ترجعون اليه وفيئة تحيّزون اليها وتفيئون نحوها.

فاستصوبوا رأيه وقالوا : وفّق الله مولانا وسدّده ، فلقد هداه الى الصواب وارشده.

ودخلوا الاخبية فقتلوا من وجدوا بها من الرجال ، وحازوا ما فيها من الغنائم العظيمة والاموال ، وولّت بنو كملان عند ذلك منهزمين ، والسيوف تأخذهم ضربا للاعناق ، وجزّا منهم لكل وتين، وسجد الامام عليه السلام وهو راكب على فرسه ، ورجع الى خندقه وهو يكثر من حمد الله وشكره، على ما اولاه من فتحه ونصره ، ونادى مناديه : من اتى برأس فله ربع دينار ، يحرّض الصبيان لعى جز رؤوسهم ، وامر بعدّ ما حصل من الرؤوس ، فزادت على عشرة آلاف رأس ، وامكن الله من المارقين الارجاس، واراح من بغيهم وعتوّهم الناس، وانصرف الدجّال فيمن بقي معه هاربين من جهات افريقية، متوغلين في الفرار لخيفة الجنود المنصورية .

ولما اصبح الامام ع م من ليلة الفتح يوم الجمعة ، اخرج احمالا من الدنانير والدراهم كثيرة ، فتصدّق بها وفرّقها في الفقراء والمساكين وذوي الحاجات من المسلمين، وتولّى تفريقها في القيروان قاضي الامام وهو محمد بن ابي المنظور رحمة الله عليه وغيره من صلحاء البلد.

وامر الامام ع م جعفر بن علي مولى جده المهدي بالله عليه السلام الى جامع القيروان ، فصلى الجمعة واقام الخطبة، فحمد الله واثنى عليه، وصلى على النبي وعلى آله وعلى وصيه والائمة الطاهرين من ذريته، واكثر من حمد الله وشكره على ما فتح لاوليائه من النصر، واحل باعدائه من الذلة والقهر، وما كشف الله به اهل الاسلام الخاص منهم والعام من البلاء والمحنة ، وما صاروا اليه من السلامة والامنة. ثم قال :

معاشر الناس ، مولانا وسيدنا الامير اسماعيل المنصور بالله اطال الله بقائه يقرأ عليكم السلام ويقول لكم :قد علم الله سبحانه حسن نيتي فيكم ، وما اضمره من الخير لكم ، وما احبه من صلاح اموركم، وما اجد في نفسي من الغم لما حلّ بكم من البلاء ، وما نزل بكم من الفقر وذهاب الانفس والاموال، وان لي آمالا كثيرة حسنة اؤملها فيكم ما منعني عن اظهارها الا كون هذا العدو بحذائي، ومحاربتي له وما كان من هذه الوقائع بيني وبينه، فلو كنا اظهرنا ما كنا نؤمله من الاحسان اليكم قبل الظفر، لقال الجهّال : انما فعل ذلك استمالةً لقلوب الرعية وخوفا من العدو، فلما كان من منّ الله علينا ما علمتموه ومن نصره لنا ما رأتيموه وفتح لنا على عدوه بمنه وطوله ، اردنا ان نقابل منة الله جل وعلا علينا بالشكر له والاحسان الى عباده ، والرفق بخلقه ، وان نظهر بعض ما نويناه فيكم، اذ كان اظهاره في وقت الفتح اولى واشبه منه قبل ذلك، للوجه الذي ذكرناه.

فقد ترك الامير اعزّه الله ما يجب عليكم في هذه السنة الآتية ، وهي سنة خمس وثلاثين وثلاثمائة ، من العشر والصدقات وجميع اللوازم ، وفعل ذلك بجميع الناس مسلمهم وذميهم رفقا بهم وعونا بهم على عمارة ارضهم وبواديهم ، فليبلّغ الشاهد الغائب، وليرجع كل بدوي منكم الى باديته بلا مرزئة عليه ولا كلفة ، ثم ا نه لا يؤخذ منهم في اقبال السنين، الا العشر و الصدقة ، والطعام من الطعام ، والشاة من الغنم، والثور من البقر ، والبعير من الابل ، على فرائض الله سبحانه ، وسنة جدي رسول الله صلع ثم بعد ذلك يساق اليكم من الاحسان واظهار العدل واحياء الحق واماتة الباطل ما تعظم به منّة الله عليكم، وتعرفون بركة ايامي ويمن دولتي ان شاء الله.

فكبّر الناس عند ذلك وفرحوا بما سمعوا ، وارتفعت اصواتهم بالبكاء والتضرع الى الله ع ج في بقاء الامام المنصور ، وان يجعل عدوه وعدو الائمة المذلول المقهور، واستبشروا بما اظهر لهم الامام ص ع من عدله ، وما انعم به الله عليهم من فضله.

وكتب الامام المنصور بالله ص ع كتابا الى المهدية وامر عبده وعبد آبائه الطاهرين جوذر الاستاذ ان يقرأه على المنبر في المهدية، وجعل عنوانه ولفظه الى امير المؤمنين القائم بامر الله صلى الله عليه وقدّس روحه ورضي عنه ، وعلى ذلك كان يكاتب عبده جوذرا، وكان جوذر يكتب اليه باسم امير المؤمنين القائم بامرالله ع م على ما نشرحه اذا انتهينا اليه بعون الله سبحان ومنّه، وهذه نسخة الكتاب بعد البسملة والصلوة على النبي وعلى آله:

الله اكبر الله اكبر الله اكبر ، لا اله الا الله ، والله اكبر الله اكبر ولله الحمد ، الحمد لله على نعمه التي لا تحصى ، ومننه التي لا تجازى ،

والله اكبر كبير ولي عهد المسلمين ، سيف امير المؤمنين ، ناصر الدين ، شكرا لرب العالمين.

يا وارث النبيين ، يا سيد المسلمين ، يا خليفة رب العالمين ، يا خير الخلق اجمعين ، يا ولي رب العالمين

اليوم اعز الله دين جدك محمد رسوله المصطفى صلى الله عليه وعلى آله ، وسنته وامته ، وادعم به اركان الدين ، واظهر برهان امير المؤمنين وافلج حجته ، واعلى كلمته ، ونصر حزبه.

اليوم فتحت مشارق الارض ومغاربها ، اليوم ازداد الحق ضياء ، وعلاء وسناء.

الحمد لله رب العالمين ، الذي نصر عبده ، واعز جنده ، وهزم الاحزاب وحده .

والله يا سيدنا ومولانا امير المؤمنين ، ما سمع من عهد جدك المصطفى رسول الله ، صلى الله عليه وعلى آله ، بيوم كان اعز نصرا ، وتأييدا وظفرا وقهرا منه ، بعد ان عاند الفسقة الكفرة الفجرة عناد من ايقن بالموت واستبسل ، وناصب وعاند ، فابى الله ع ج الا اتمام نوره ، واعلاء كلمته ، على كره الكافرين، ورغم الراغمين.

وجملة ما ابشّر به سيدنا ومولانا امير المؤمنين ان قتلاهم غطت الارض ، وامتلأ العسكر المنصور من غنائمهم ،وكذلك القيروان ، وما عجز الاولياء عن حمله واستثقلوه ، اطلقت عليه النار فاحرقته، واستولينا على مناخ اللعين بما فيه من قليل وكثير ، فقُتل فيه ما لا يحصى، سوى ما قتل في المعركة ، وليس الى احصاء من قتل سبيل لكثرتهم.

وكان اللعين قد صابر وحامى ، فقصدته بنفسي فاخذته السيوف والرماح بين يديّ، وان كان قد هرب بحشاشة نفسه ، فهو اسير يومه او غده ، انا راحل في اثره لاشق البلاد طولا وعرضا اطأ ديار الفاسقين وامحو بسيفك آثارهم بحول الله وقوّته ، وعزّه ونصره.

وقد بعثت بكتابي هذا الى امير المؤمنين مولانا وسيدنا

وكان الاولياء قد اجتمعوا الى الامام المنصور بالله ص ع وهو في الخندق ايام قلة عسكره وقوة عدوه الدجّال وعظيم منكره ، وسألوه ان يكتب الى الكتاميين الذين بقسنطينة مع الحسن بن علي وغيرهم من سائر كتامة يأمرهم بالقدوم عليه، فكتب الامام ع م في شهر ذي القعدة من سنة اربع وثلاثين وثلاثمائة ما هذا فصه:

من الامير اسماعيل ولي عهد المسلمين ، ابن امير المؤمنين ، الى كافّة كتامة

سلام على من اتّبع الهدى ، وآثر الآخرة على الاولى ، فانّا نحمد الله الذي لا اله الا هو، ونسأله ان يصلّي على محمد عبده ورسوله وعلى عترته الابرار ، الطيبين الاخيار.

اما بعد فانا كتابنا هذا اليكم ، بعد نزولنا بالقيروان بجيوشنا المنصورة من اوليائنا وعبيدنا ، وقد اعز الله نصرنا واتم وعده لنا ، واعز اولياءنا ، واذل اعدائنا ، واظفرنا ، ومكّن لنا البلاد ، وقمع بنا جميع العباد، طوعا وكرها ، والمنة والشكر لله رب العالمين .

وقد تتابعت اليكم ، معاشر كتامة ، كتبنا ورسلنا ، تحضكم على ما فيه رضى سيّدكم ومولاكم ، مولانا امير المؤمنين ، المقرون رضاه برضا رب العالمين ، فتربّصتم وتثاقلتم الى الارض، ورضيتم بالحيوة الدنيا من الآخرة ، وبالعاجلة من الآجلة ، فعل الذين اصمّتهم الدنيا واعمتهم ، ولايعرفون معروفا فيبصرونه ، ولا منكرا فيرفعونه ، تبذلون انفسكم واموالكم على حمية الجاهلية التي معها خسران الدنيا والآخرة ، وقد اعرضتم عن الجهاد الذي امركم الله به صفحا ، وزهدتم في الثواب ، وامنتم من العقاب، كأنكم لم تسمعوا وعد الله ووعيده، ولا تليت عليكم آياته، ولا قامت عليكم حجته، كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون، يا اشباه الرجال ولا رجال ، رضيتم بالعار ، فهل لكم صبر على النار.

واعلموا اني لا اكتب اليكم كتابا بعد هذا ، واني لم اكتب اليكم هذا الكتاب الا بسؤال من قبلنا من اوليائنا الذين جاهدوا وصبروا ، والحاحهم وضرعهم ، وطلبهم منّا الاعذار اليكم ، وتأكيد الحجة عليكم، رجاء منهم ان تنيبوا الى ربكم ، وتراجعوا التوبة التي هي اولى بكم ، وتسارعوا الى قضاء ما افترضه الله عليكم من الجهاد الذي فيه تمحيص الذنوب ، ومحو العيوب ، وتفريج الكروب.

وانفذنا مع كتابنا هذا رجالا تأكيدا للحجة عليكم ، وقطعا لمعاذيركم ، فان تتوبوا وتنيبوا تجدوا الله توابا رحيما ، وان تتولوا يغن الله عنكم ، ويستبدل قوما غيركم، ثم لا يكونوا امثالكم.

والسلام على من اتبع الهدى ، وآثر الآخرة على الاولى ، وكتب يوم الاربعاء لليلة بقيت من ذي الحجة سنة اربع وثلاثين وثلاثمائة ، وصلى الله على النبي محمد وعلى آله الطيبين الطاهرين وسلّم.

وانفذ الامام عليه السلام هذا الكتاب مع نذير بن محمد الكتامي ومع جماعة من الكتاميين، وسيّر معهم جماعة من العبيد ، وقدّم على العبيد عبد الله بن جبر ، فلما وصل الكتاب الى كتامة تحرّكوا مع الحسن بن علي ، وتواردوا اليه الى قسنطينة من بلاد كتامة. وسار الحسن بن علي في جيوش عظيمة ، فاخذ على قصر الافريقي ثم على مدينة باجة فملكها وقتل عامل ابي يزيد فيها ، ثم اتى الى تونس ووافى الامام المنصور بالله ص ع بعد هرب الدجّال عن الجزيرة ، وكان قدوم الحسن بن علي في اول المحرم سنة خمس وثلاثين وثلاثمائة في جيوشه وعساكره . والامام ع م والاولياء وجميع الناس مسرورون بما هيأ الله لوليه من النصر ، واتاح له من الغلبة على اعدائه والقهر ، فهنؤوا الامام بالفتح ، وحمدوا الله تعالى بعد تلك الظلمة ، على طلوع الفجر وانارة الصبح.

وفي يوم وصول الحسن بن علي خرج الامام عليه السلام الى مدينة جلولاء فوافاها قد اجلى اهلها واخربها الدجّال والبربر اللعناء، فدفع الى اهلها عشرة آلاف درهم وامرهم ببنائها.

وكان عبد الرحمن بن محمد الاموي صاحب الاندلس قد جرت بينه وبين الدجّال مخلد من كيداد مكاتبة ومراسلة، واراد عبد الرحمن ان يمد مخلد بن كيداد ، لما جبل عليه وآباؤه من عداوة اهل بيت رسول الله صلع فاخرج اسطولا فيه عسكر كثيف وسلاح وعدة واموال جمة ، وولى عليهم رجلا من عمّاله يقال له محمد بن رماحس وكان عاملا بمدينة بجّانة وقبل ذلك كانت له تجارة وكان يختلف في الاندلس فاطال محمد بن رماحس الاعتذار ، فزجره الاموي ، ولم يعذره عن الخروج ، فركب من المرّية ، وهي في عمل بني امية، وكان كاتب عبد الرحمن قد سبق اليها باصلاح ما فيها من المراكب، فلمّا وصل اليها ابن رماحس ودخل عليه الشتاء شتا بها في سنة اربع وثلاثين وثلاثمائة ، ثم وصل منها ودخل الى حائط بونة فاتّصل به هزيمة ابي يزيد وغلبة المنصور بالله عليه السلام له ، فكرّ راجعا الى ناحية تنس ثم الى الاندلس، واخذته في البحر اهوال عظيمة وغرقت اكثر مراكبه ، وغرق ما بها من الرجال والعدة ، وخلص بنفسه .

وانه لما كان ما كان من هزيمة الدجّال مخلد بن كيداد من اعمال افريقية وتولّيه يروم نجاة نفسه لا يلوي على الرجوع بقلب ولا نية ، قد القى الله الرعب في قلبه ، ونصر وليه ومن كان من حزبه ، وخلت من ظلمته تلك الاعمال ، وزال الخوف عن اهلها وانالهم الله بوليه الاوطار والآمال ، فامن سربهم، وصفى شربهم ، ونجّاهم الله مولاهم وربّهم ، مما كانوا فيه ، اخذ الامام المنصور بالله عليه السلام اهبة السفر واستعدّ للخروج في طلب عدو الله مخلد بن كيداد ، عدة من استسلم لله ربّه ، وصبر وايقن بما وعده الله سبحانه من النصر والظفر، فاقام في خندقه باقي المحرم وشهر صفر ، وامر بعمارة مدينة في ذلك المكان ، وسمّاها المنصورية ، وامر باحكام سورها ورفع بنيانها ، واستخلف على المنصورية والقيروان غلامه قدّام الصقلبي ، وامره ان يأخذ في عمارة المنصورية وان لا يني .

ونهض عليه السلام بعد عشرين يوما مضت من ربيع الاول، طالبا رضى الله في اتّباع مخلد اللعين حيث قصد ونزل ، وقد اجتمع للمنصور بالله عليه السلام من الجيوش ما لا يحصى عددها، وكملت للقاء العدو اسلحتها وعددها، وحين فصل الامام عليه السلام عن المنصورية بعساكره امر مناديه فنادى من عزم على صحبتنا والخروج للجهاد معنا وكان ذا جبن عند اللقاء، وفشل عن مصادمة الاعداء، فليرجع الى وطنه ولا يعد موضعه ، وهو منّا في حلّ وسعة. وحرام على من صحبنا وفي نفسه شيء مما ذكرنا المسير معنا ، فرجع كثير من الناس حين سمعوا ذلك النداء ، ولم يخرج الا من وطّن نفسه على الصبر عند اللقاء.

ووصله رسول ملك الروم مستخبرا عن امر المملكة ، حيث بلغه انها قد ذهبت ، واستولت البربر عليها وتغلبت ، فامر الامام عليه السلام بالرسول ان يدخل اليه ، وصرفه عليه السلام بعد ان اضفى انعامه عليه.

وانتهى الامام عليه السلام الى مدينة سيبة فاقام يومين بها حتى اتته القبائل ممن حولها مذعنين، ووفدوا اليه داخلين في طاعته وعليه مسلّمين، ورحل من مدينة سيبية لخمس خلون من ربيع الآخر ، فنزل حدّ مرماجنّة في موضع يعرف ببني سعيد ، وكان بها رجل من عمّال الدجّال ابي يزيد يقال له مسنويه بن بكر في جمع كثيف ، فلمّا اتصل به قرب الامام عليه السلام هرب على وجهه مولّيا ، ونجى بنفسه خائفا وجلا، فلمّا وصل الى ابي يزيد ، عمل ابو يزيد على ان يقصد باغاية قبل وصول الامام اليها ، وان يبادرها ورجى ان يتحصّن بها ان غلب عليها فيأمن من عساكر الامام وطلبها ان لجأ اليها وتعزّز بها ، وبلغ الامام عليه السلام مصيره الى محاصرة باغاية وهو في قلعة مجانة ، فاسرع مبادرة الدجّال متوكّلا على الله تعالى في نصره مخلصا في الابتهال ، فحين سمع الدجّال بدنوه منه ، نجا هاربا بمن معه لا يلوي على شيء ، وبطل ما كان اضمره من الغلبة على باغاية .

وخرج اهل باغاية الى لقاء الامام ع م فسلّموا عليه ودعوا له واستبشروا به ، وحمدوا الله على ما منّ به عليهم من النظر الى شريف طلعته ، وعرّفوه ان اللعين كان محاصرا لهم ، وانه نجى بنفسه حين دنت منه عساكر الامام ، واسلم اخبيته وجميع ما فيها من رقيق وكراع ومتاع ، وغير ذلك من الطعام والانعام فهنأهم ما غنموه واكثر من حمد الله وشكره وسجد على عرف جواده ، وخرج اليه من اهل باغاية الصغير والكبير فرحا به وابتهاجا برؤيته ، فلاذوا به وازدحموا حول جواده ، واكثروا من التهليل والتكبير والدعاء والابتهال الى الله تعالى بطول بقاء الامام وعزه ودوام سعده ونصره ، ودفعهم الحجّاب عنه فنهاهم عن ذلك وآنسهم وقرّبهم ، وجعلوا يشكون اليه احوالهم وما اصابهم من اعداء الله المارقين ونالهم ، وعيناه تجريان بالدموع اشفاقا عليهم ورحمة لهم ، ونزل ص ع في غربي المدينة واقام بها ثلاثة ايام ، وامر لاهل باغاية باموال جمّة ففرّقت على ضعفائهم وذوي الحاجة منهم.

واتى الامام كتاب محمد بن خزر امير البربر يصف ما هو عليه من الولاء والطاعة ويسأله الامان وارسل الى الامام ع م صهره بياضة بن خالون ومحمد بن فضل وهو بعض اقربائه ، فاجابه الامام يعده الجميل ، ويأمره بالحيلة في امر الدجّال ، والظفربه بقتل او اسر ، قال له : انك ان فعلت ذلك وظفرت به حتى تأتينا به اسيرا او برأسه محمولا ، كان لك عندنا عشرون حملا دنانير تقبضها منّا ساعة ايصاله الينا، فقد جعلنا بذلك على انفسنا يمينا مؤكدة ، ولا يسعنا الا الوفاء بها لمن اتى به اسيرا او برأسه ، كائنا من كان من الناس، فاجهد نفسك في ذلك واغتنم مجدا اتاحه الله لك وفخرا ساقه اليك ، بالبدار اليه والمسابقة نحوه ، تكن الحظيّ السعيد ، والمغبوط الرشيد ، فاعلم ذلك واعمل بحسبه ان شاء الله.

ثم اتّصل بالامام المنصور بالله عليه السلام ان ابا يزيد الدجّال اخذ ناحية طبنة ولا يدري اين يتوجّه. فرحل ص ع من باغاية يوم الاربعاء لعشر بقين من ربيع الآخر حتى انتهى الى مدينة نقاوس ، فخرج منها يوم الثلثاء لثلاث بقين من ربيع الآخر ، وقد لبس درعا سابريا ومغفرا ، واخذ بيده درقة ، وامر الناس ان يسيروا على تعبئة الحرب ، وقد اتاه ان ابا يزيد محاصر لطبنة ،فحين سمع مخلد طبول الامام رحل بمن معه الى ناحية الرمال.

ووصل الامام الى مدينة طبنة فتلقّاه اهلها جذلين مسرورين حامدين الله تعالى على ما صرف عنهم من شر المارقين مستبشرين ، فاقام بمدينة طبنة ثلاثة ايام ، ووافاه بها جماعة من وجوه كتامة ، فامرهم باحضار سبعين الف فارس وثلاثين الف راجل ، على ما ذكره ابو نصر صاحب السيرة ووجّه وجوه كتامة ورؤسائهم في الحشد لهم ولحوقهم بالامام حيثما كان من البلاد.

وسار عليه السلام من مدينة طبنة يوم السبت لليلتين خلتا من جمادى الاولى يريد الى بسكرة في اثر الدجّال فنزل بمدينة قسطيلية واقام بها يوم الاحد ، ووافاه بها جعفر بن علي بن حمدون عامل المسيلة بهدايا من الخيل والابل وغيرها ، واتى معه بثائر ثار في جبل اوراس وتسمى بالناصر لدين الله ادعى النبوة واتى بمخرفة كثيرة والوان عجيبة استمال بها العامّة فعمل جعفر الحيلة حتى اخذه اسيرا ، واتى به الامام بعد ان كان عنده محبوسا، فامرالامام ع م ان يشهّر ويطاف به على جمل ، ثم امره بضرب عنقه وصلبه.

ورحل عليه السلام يوم الاثنين لاربع خلون من جمادى الاولى ، فنزل بقرية بسكرة ، واتى الامام عليه السلام ان الدجّال سلك الفيافي والقفار والرمال ، وانتهى الى جبل سالات ، وهو جبل منيع رفيع، وفيه قبائل من البربر على مذهبه خوارج اباضية . فاراد الامام عليه السلام حين بلغه خبر المارق ان يسلك اثره ويمعن حيث توجّه في طلبه ، فاجتمع اليه الادلاء واهل البلد وذوو المعرفة بالطرق ، وعرّفوه ان هذه الطريق لم يسلكها احد قطّ من العسكر، وانه لا يسلكها الفارس الواحد الا مخاطرا ، لعدم الماء والكلإ ، وانه ما حمل مخلدا على سلوكها الا شدة الخوف وبغض الحيوة ، واقام الامام عليه السلام ببسكرة اربعة ايام ، ورحل منها يوم السبت لتسع خلون من جمادى الاولى راجعا الى طبنة ، وقتل في طريقه قبيلا من البربر يقال لهم سدراته كانوا معاضدين للخارجي مخلد بن كيداد المارق، ووصل الى مدينة طبنة فاقام بها يومين ، وسار منها يوم الثلاثاء لاثنتي عشرة ليلة خلت من جمادى الاولى قاصدا للدجّال حيث كان من الاوعار والجبال.

كان الدجّال المارق حين انتهى الى جبل سالات بمن بقي من اصحابه ، اجتمع اليه بنو برزال وغيرهم من البربر الخوارج ، وصاروا على طريق الامام عليه السلام فعملوا على ان يبيتوا عسكر الامام ، وقد بات بموضع يقال له مقرة ، فلم يتهيأ لهم ذلك ، فكمن الدجّال مع اصحابه بين تلك الجبال والاوعار ، في موضع يعرف بعين السودان، معتصما بالوعور متحصنا بها ، وقد سوّلت له نفسه ان يهتبل في عسكر الامام الغرة فتكون له عليهم الكرة ، فلما طلعت الشمس تراءت خيل العدو وتصايح الناس بهم واتصل الصياح بالامام فامر من ساعته بحط الرحال وضرب المضارب والاخبية في ذلك المكان ، في قطعة من الارض قد حفرت حولها السيول ومرّت ، عليها الحؤول فصار عليها بصنع الله جل جلاله خندق محفور لم يكن له الا مسلك واحد، ولبس الامام درعا ، وشدّ وسطه بمنطقة وارخى لعمامته ذؤابة تزيد على الذراع تقع على منكبه الايمن ، واخذ بيده درقة ، وتناول رمحا فهزه ثم رمى به ، واخذ ذا الفقار سيف جدّه ، وقال : ليس هذا يوم رمح ولكنه يوم ضرب وجلاد ، وعبأ عساكره فجعل في الميمنة جيملة ولهيصة من قبائل كتامة وجعفر بن علي صاحب المسيلة ، والحق بهم بشرى الخادم بعد ذلك ، وجعل في الميسرة ملوسة واجّانة من قبائل كتامة ايضا ، وجعل معه في القلب خاصة الاولياء من كتامة والعبيد ، وعسكر البرقيين ، وجعل طائفة من رجال الجزيرة وجندها في ظهر الميمنة واعطاهم بندا وطبلا ، وامرهم بالقيام بمركزهم حتى يرد امره عليهم، وجعل طائفة منهم ايضا حتى يرد امره عليهم ، واقبل يسير من الميمنة الى الميسرة يعدّل الصفوف ويوصيهم بالصبر على الجلاد، ويعدهم بما اعدّ الله للباذلين انفسهم في الجهاد، وهو كالاسد الباسل والهزبر المنازل ، وقد عرف كلّ شجاعته وصبره ، ورجى من الله امداده ونصره ، وافرق السلاح في الناس والتحم القتال .

واقبل ابو يزيد الدجّال في خيول مجرّدة مختارة وقد ازداد في الطغيان ، ومنّته نفسه الغلبة ، ونفث في روعه بذلك الشيطان، وذلك لكثرة من معه ، واعتصامه بتلك الاوعار والجبال ، وكل من بها انصاره على دينه ومذهبه . ووقف اللعين على تل مشرف على الفريقين جميعا ، ينظر القتال ويسد ما يرى به الخلل من عسكره بالخيل والرجال ، ثم ارسل طائفة ممن معه قد انتقاها واختارها ، فحملوا على ميمنة اصحاب الامام ع م الى ان جاوزوا الى مركز الذين ظاهر الامام بهم ، فوقفوا بمركزهم ، وقتل من الاولياء في تلك الحملة حبيب بن محمّد الجيملي رحمة الله عليه ، ووجّه الامام ص ع كتيبة من قبله فالتقت الميمنة حين هزيمتها وقوّت امرها ، فحين رأى ابن كيداد ثبات الميمنة وجّه الى اصحاب الميسرة بالقتال فهزموهم، واستشهد فيها ابو الغارات ابن تنوط الملوسي ، وحسن بن واصل الملوسي، ومصالة بن عطاء الله الاجّاني رحمة الله عليهم. فغضب الامام عند ذلك ، ونظر الى موضع ابي يزيد فقصد اليه في الكتيبة التي معه لا يلوي على ميمنة ولا ميسرة ، وقد كساه الله ع ج الهيبة والجلالة والقى الرعب في قلوب اعدائه ، وجعل النصر والظفر امام لوائه، فلمّا رأى الدجّال المارق واصحابه الامام عليه السلام قد قصد نحوهم واقبل عليهم ولّوا بين يديه منهزمين وعلى الاعقاب ناكصين، وتمادى الامام في طلبهم وعملت السيوف فيهم ، فقتلوا قتلا ذريعا ، وكان الامام ع م يحمل عليها منتضيا ذا الفقار ، فيهدّ كتائبهم ولا تنجيهم منه المسالك الضيقة والاوعار.

وقد اتى عن القاضي النعمان بن محمد رضوان الله عليه قال : قال المعز لدين الله ص ع : سمعت المنصور بالله قدّس الله روحه يقول : ما انتضيت ذا الفقار الا انهزم العدو بين يدي اذا انتضيته ، فقال جماعة ممن حضر المجلس ، وكان شهد مع المنصور بالله ص ع :والله لقد رأيناه يوم الخصوص ، وكان يوما شديدا ، وقد اخذ العدو علينا مضائق الجبال ، واحدقوا بنا واحاطوا من كل جانب ، وهو بيننا ص ع يقدمنا ، وهذا السيف في يده قد انتضاه ، فاذا رفع يده به وحمل على ناحية من نواحي العدو، انهزموا بين يديه كأنما غشيتهم الصاعقة من السماء.

وقاتل الناس بين يدي الامام ع م قتالا شديدا ، وتحصّن الدجّال اللعين بقلعة عقار واعتصم بها ، وحين دخل الليل هرب على وجهه الى جبل سالات ، ونهب الاولياء اخبيته ومضاربه ورجع الامام عليه السلام الى مضاربه عند صلوة العتمة بالمشاعل ، مؤيدا منصورا ، مظفرا محبورا.

ورحل عليه السلام في غد ذلك اليوم وهو يوم الخميس لاربع عشرة ليلة خلت من جمادى الاولى فنزل بالمسيلة واستقبله اهلها فدعوا له واثنوا عليه ، واخبروه ان ابا يزيد جاز بهم تلك الليلة هاربا ، يريد الى بني برزال بجبل سالات .

وقدم على الامام ع م يعقوب بن محمد بن خزر ، وهو بالمسيلة يوم الاربعاء لعشر بقين من جمادى الاولى فخلع عليه وحمله على جواد وزاده جوادا آخر، واحسن اليه والى من معه ، وامر بفازة فنصبت له.

وكتب الامام ع م بخبر ذلك الفتح ، فمن كتابه الى قدّام الخادم عامله على المنصورية والقيروان قوله عليه السلام :

ثم انّا نهضنا من طبنة يوم الثلاثاء لاحدى عشرة ليلة خلت من جمادى الاولى فنزلنا بموضع يعرف بمقرّة ، ورحلنا منها ليلا حتى اذا اصبحنا وطلعت الشمس ، تراءت لطلائعنا خيل على طريقنا، واتصل الصريخ بنا ، وان الفاسق نزل بموضع يعرف بعين السودان يهتبل غرة في ساقة عسكرنا ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلا، فلما ابصرهم اولياء الدولة وانصار الدعوة ، تتابعوا اليهم وصاروا نحوهم كالليوث الضارية، والسيوف الماضية ، متهافتين اليهم مستنفرين عليهم بالله ع ج ، واثقين بجميل عاداته فيهم ، فامرنا بنصب الفازات بصددهم ، وتعبئة الجيوش المؤيدة اليهم ، وقصدنا قصدهم، وصمدنا نحوهم، وقد اجتمعوا وتألبوا، وتحاشدوا وتظافروا ، واصرّوا واستكبروا ، وانضمّ اليهم من كان بازائهم في تلك البقاع من هوّارة ومن بني برزال ، الفسقة الارذال ، مظاهرين لهم على كفرهم مصرّين مستبسلين ، لا يرجون من الله ثوابا ، ولا يخشون عقابا ، فلزموا مصافّهم وركنوا الى تلك البقاع ، ولاذوا بوعورها ، وتحرّزوا بقربها ، ولا عاصم لهم من الله ، وظهرت علامات النصر وتباشير الظفر، فرجعنا اليهم ودلفنا نحوهم واقتحم الاولياء عليهم ببصائر نافذة ، وعزائم مستحكمة، والتحم القتال، وتعلّق الرجال بالرجال ، وقامت الحرب على ساق ، وسطع قتامها ، وتوقّد ضرامها ، ودارت الحرب على قطبها ، فلا يسمع الا طنين الظبى ، ولفح الطلى ، ووخز القنا ، فجالدهم الاولياء اشد جلاد ، وقاتلوهم اصعب قتال ، من وقت الضحى الى وقت صلوة العصر، ومنح الله ع ج الاولياء الصبر ورزقهم النصر، واسلم حزب الشيطان واولياء الطاغوت الى ذنوبهم ، والقى الرعب في قلوبهم ، وضرب في وجوههم ، فحملنا عليهم حملة واحدة ، فما كان الا كحسوة الطائر حتى ولّوا منهزمين، واخذتهم سيوف الحق ، وركبهم الاولياء يعملون سيوفهم في هامهم، ويروونها من دمائهم ، حتى اقحموهم في تلك القلاع ، وتوغلوا بين تلك الشعاب ، وحجز الليل بيننا وبينهم، وقتل الله تبارك وتعالى حماتهم ، وسقط اكثر خيولهم ، واجتز الاولياء من رؤوس اكابرهم ووجوه ضلاّلهم عددا كثيرا امرنا بصلبها على مدينة المسيلة ، ولم ينج منهم ناج الا مثخنا جراحا ، وولج الاولياء اخبيتهم واحتووا على ما فيها واضرموها نارا.

وكانت وقعة جعلهم الله بها نكالا لما بين ايديهم وما خلفهم وموعظة للمتقين، وابنا الى مناخنا بجميع عساكرنا المنصورة وجيوشنا المظفرةاجمل اياب ، سالمين غانمين، مؤيدين مظفّرين. واستشهد من الاولياء في حال المعركة من اراد الله سعادته وتصييره الى رحمته وقرار جنته ، حبيب من محمد الجيملي والمعروف بابي الغارات ابن تنوط وحسن بن واصل الملوسيان، ومصالة بن عطاء الله الاجاني ، يغفرالله لهم ، فقد بذلوا في ذات الله تعالى مهجتهم ، وجاهدوا في سبيله ، وما نعلم انه سقط احد من عساكرنا غير هؤلاء الذين عرّفناك اسماءهم ، ولولا ان يرجف المرجفون لما اعلمناك بهم لان ثقيل المحنة يقلّ في جنب عظيم المنّة.

وكان تاريخه لاربع عشرة ليلة خلت من جمادى الاولى سنة خمس وثلاثين وثلاثمائة

وكثر الارجاف بالقيروان بعد هذه الوقعة ، فكتب قدّام الصقلبي الى الامام ع م يعرّفه بخوض الناس وقولهم ، فاجابه بجواب يقول فيه : قد عرّفتك اني لم اركب الغرر ، ولم اتجشّم الخطر ، وانما خرجت لوعد قديم، من ربّ كريم ، لا تبديل لكلماته ، ولا خلف لوعده، فثق بذلك ترشد وتسعد ان شاء الله. فقرئ هذا الفصل على المنبر بالقيروان فسكن الناس عن خوضهم ، واعرضوا عن ارجافهم وقولهم.

واجتمع لمخلد الدجّال جماعة كثيرة من بني كملان جميعا وبني برزال ، وهوارة الغدير وغيرهم من جموع البربر ومن الاباضية المارقين في جميع المغرب ، واستندوا الى كيانة وعقار ، وهما جبلان منيعان ، واستعدوا لبذل الانفس، وتذاكروا صبر اسلافهم ، واقبلوا على عسكر الامام ع م في جموع عظيمة، فاسبل الامام عليه درعه ، واشتبك القتال ، وقام الحرب وتدانى الابطال ، ووقع الطعن والضرب، واختلطت الصفوف، وتضاربت الابطال بالسيوف ، وانهزمت ميمنة عسكر الامام وميسرته ، فكشف عن ساعده ، وانتضى ذا الفقار سيف جده، وتحرّك فيمن معه من خلصاء المؤمنين ، وفرسان جنوده المستخدمين ، واثقا من الله بالنصر ، مستسلما له في كل امر، ونشرت الالوية بين يديه ، وعمد مخلد بن كيداد قاصدا اليه، فحين عاينه الدجّال قاصدا نحوه ، وحمل عليه وامّه ، ورأى حملاته المهولة ، وصولاته المعروفة المشهورة ، نكص على عقبيه مولّيا، ولجموعه وعساكره مخليا، وادبر اصحابه بعده على الاعقاب ، وعمل فيهم كل صارم قرضاب ، فقتل وجوه الرجال وفرسانهم الابطال ، من بني كملان وبني برزال ، وغيرهم من المارقين ، وولّوا سراعا منهزمين ، وطلبهم الاولياء يقتلونهم بالسيوف ويسوقونهم مصارع الحتوف، حتى حالت بينهم ظلمة الليل، وصار ما كان في عسكر مخلد بن كيداد نهبا للاولياء وفيئا لهم ، واغنمهم الله جميع ما كان معهم من الفازات والاخبية ، والطعام والامتعة ، وعاد الامام ع م ثاني ذلك اليوم الى الجبل ليتبع من بقي فيه فوجده خاليا ، والقوم قد هربوا من ليلتهم ، وغاب عن الامام خبر الدجّال اين سلك واي موضع قصد.

وفي صبر الامام في ذلك اليوم وشجاعته يقول بعض الشعراء :

يا ايها الملك الذي عاداته \* وطباعه الانعام والاحسان

لك كلّ يوم آية لهم يأتها \* احد ولم يفخر بها انسان

ولأنت ذاك الفارس الاسد الذي \* شهدت له واقرت الفرسان

وفي ذلك اليوم يقول الامام المنصور بالله صلوات الله عليه :

تبدّلت بعد الزعفران وطيبه \* صدى الدرع من مستحكمات المسامر

الم ترني بعت المقامة بالسرى \* ولين الحشايا بالخيول الضوامر

وفتيان صدق لا ضغائن بينهم \* يثورون ثورات الاسود الخوادر

اروني فتى يعني عنائي ومشهدي \* اذا رهج الوادي بوقع الحوافر

انا الطاهر المنصور من نسل احمد \* بسيفي اقدّ الهام تحت المغافر

وكتب الامام المنصور بالله صلوات الله عليه الى ولده وولي عهده معدّ ابي تميم المعز لدين الله ع م :

كتابي اليك من اقصى الغروب \* وشوقي اليك شديد طويل

اجوب الفيافي واطوي الرمال\* واحمل نفسي لهول مهول

اريد بذاك رضى خالقي \* واعزاز دولة آل الرسول

الى ان برى السير اجسامنا \* وكل الركاب وتاه الدليل

فواغربتاه وواحشتاه \* وفي الله هذا قليل قليل

وما ضقت ذرعا ولكنّني \* نهضت بقلب صبور حمول

وقد منّ ذو العرش من فضله \* بفتح مبين وعزّ جليل

وفي كل يوم من الله لي \* عطاء جديد وصنع جميل

فلله حمدا على ما قضى \* وحسبي بربي ونعم الوكيل.

وولّى ابو يزيد بعد تلك الهزيمة لا يدري اين يحلّ واي مكان ينزل ، وقد عراه الخوف وارهبه السيف، وضاقت عليه الارض برحبها وسعتها ، ورأى ان التلال العالية لا تمنعه بمنعتها.

واقام الامام المنصور بالله عليه السلام بالمسيلة ، فلم تبق قبيلة من قبائل تلك الجهة الا ذلت له وانقادت واتته خاضعة طائعة ، وجاءته القصّاد ، ووافته الوفّاد.

وارتحل الامام عليه السلام يوم الخميس لليلة بقيت من جمادى الاولى في طلب مخلد الدجّال ، وسار بعسكره من الخيل والرجال ، فبات بوادي اوبة وهو وادي مرّ مالح ، وارتحل من وادى اوبة لليلة خلت من جمادى الاخرى فسار بالناس وقد عبأهم تعبئة الحرب ، وقد لبس جوشنا وفوقه خفتان احمر مثقل بالوشي ، واعتم عمامة صفراء، فنزل شرقي جبال سالات على وادي مرّ مالح ، وسار يوم الاثنين فنزل على عين عذبة في وسط جبال سالات ، فلما علم به مخلد الدجّال توغّل هاربا على وجهه في الرمال ، واتصل ذلك بالامام ع م فعمل على طلبه حيث كان ، وقصده حيث قصد من الاوطان، فسلك عليه السلام بجيوشه مواضع لم يسلكها جيش قط، واجتمع اليه الاولياء فعرّفوه ان الموضع صعب سلوكه ، وان مخلدا قد ارتحل من الجبل حين رأى عسكر الامام ، وولى هاربا كما يولي الهجرس عن الضرغام، وبات الامام وقد بلغ الضر من العسكر مبلغا عظيما، وبلغ بهم الجهد ، وايسوا من خلاص الخيول ، فلم يكن هم كل امرئ منهم غير نفسه ، وعدم العلف في ذلك المكان ، فقيل انه بلغ ما تحتاج اليه الدابّة من الشعير دينارا ونصف دينار من الذهب ، وقفيز الزيت دينارا ، وماتت اكثر الخيل والجمال ، ولم يكن لها ما تقتاته سوى الحلفاء.

واجتمع الناس الى الامام فقالوا : ليس وراء هذا الجبل مسلك لخف ولا حافر، وانها قفار ورمال متصلة ببلد السودان الى المشرق والى اقصى نهاية المغرب ليس بها انيس ولا عمران، ولا انس ولا حيوان، وان ابا يزيد لخوف السيف سلكها وسمح بنفسه لا يضن عن الهلاك بها ، ولا يعلم اين قصد ولا حيث استقرّ. فثنى الامام ع م اعنة خيله وقصد اقرب المواضع التي فيها العمارة ، وهي بلد صنهاجة ، واجتاز في طريقه على المياة المالحة والجبال الوعرة ، وانتهى الى كدى صنهاجة ، واصاب الناس في ذلك اليوم ثلج واشتد عليهم بالليل وتراكم على الاخبية والفازات حتى تكسرت اعمدتها على ما ذكر اهل السير والروايات وانفتحت السماء بالسفح الهاطل ، وبات الامام على غير طريق بين جبلين في وعر هائل .

ورحل عليه السلام وتخلّف كثير من الناس بين تلك الجبال في خروقها وصدوعها ، وودّع بعضهم بعضا ، وهلك منهم عالم كثير في تلك الاخراق رحمة الله عليهم ، كل ذلك مع ولي العهد جهادا لله وفي سبيله وفي احياء دين الله وطاعة ابن رسوله. ووقف الامام عليه السلام ستة ايام بموضع يقال له حائط حمزة ، وفيه وافاه زيري ابن مناد الصنهاجي بعساكر صنهاجة داخلا في طاعته، متقرّبا الى الله تعالى بالجهاد بين يديه ونصرته ، فخلع عليه الامام واجزل له العطية والصلة ، وحمله على فرس بسرج محلى واكرم نزله ، وعقد له على اهل بيته وعشيرته ومن يتّصل بهم من قبائل البربر ممّن دخل في طاعته ، وانصرف زيري عن الامام محبوّا مكرّما ، شاكرا لما طوّقه مفضّلا منعّما، وكان صفح الامام عنه غاية مطلبه ومنتهى اربه فبلغ مرامه ، ورجع من عطاء الامام وتشريفه بالذي فاز به.

وورد على الامام ع م كتاب محمد بن خزر يذكر له حيث استقر مخلد بن كيداد ويسأل الامان لبني كملان ،فاجابه الامام بما اقرّ عينه ، واكثر صلته وعطاءه ، واعلمه ان بني كملان يأتون فيما يطلبون بالبهتان، وانه لا امان لهم الا ان يأتوا بابي يزيد مكبّلا وانهم حيث فرّوا لن يجدوا عن جنود الله موئلا.

وسار الامام من حائط حمزة للنصف من جمادى الاخرى فنزل موضعامن بلاد صنهاجة يقال له ولغلغ على واد فيه ماء حار. وفي هذا المكان رخص الطعام.

واعتل جسد الامام ع م لما قاساه في تلك الطريق من الثلج والماء الاجاج ، واقام ثلاثة عشر يوما مغمى عليه في اشد الالم حتى اتاه طبيب ففصد له فوجد في جسده الخفة واحسّ العافية.

ولما عرف الدجّال ان محمد بن خزر قد صار في طاعة الامام ولم يجد فيه مطمعا ، ولا اصابه له متّبعا اغتم لذلك غمّا شديدا ، ومال الى سوق لابن خزر يعرف بتامرست فانتهبه، فبادر اليه ابن خزر وكانت بينهم وقعة قتل فيها محمد بن عبّاس صهر ابن خزر وتسعة عشر من قومه من زناتة ، ثم كانت لابن خزر عليهم الكرة فقتل من بني كملان اصحاب ابي يزيد عدة فيها كثيرة .

وعاد الدجّال الى بني برزال بسالاّت ، واظهر ان الامام قد صار بتاهرت وانه يريد سجلماسة وخرج الدجّال الى جبال اكة وهي بقرب المسيلة ، وارسل الى هوارة الغدير يذكر لهم ان افريقية قد خلت ، وان الفرصة فيها قد امكنت ، ووعدهم ان يبتدئ بنهب المسيلة ، فاطمعهم ما الفوه من النهب والسبي ، فنفذت فيهم تلك الحيلة ، وسار وقد انضمت اليه جموع كثيرة يريد المسيلة وقد طمع فيها لقلة ما بها من الرجال.

وبلغ ذلك الامام فارتحل بعساكره من ولغلغ وقد نقه من العلة ، وسار يوم الاربعاء لليلتين خلتا من شهر رجب ، فوافى مدينة المسيلة لخمس خلون من رجب يوم السبت،والدجّال محاصرلها، وهو في اغفل ما يكون فلم يرعه الا طلائع مقدّمة عسكر الامام ع م قد اقبلت ، فلمّا رآها ومن معه ، ايقنوا بالخزي والعار ، وركنوا الى الهرب والفرار ، واراد ابو يزيد ان يرتحل الى بلد السودان، فلم ير بنو كملان وهوارة الغدير ذلك الرأي واشاروا عليه بدخول جبال عقار وذكروا انه لا يجد احصن منها ، فدخل الدجّال تلك الجبال وانتهى اليها فيمن معه من الرجال، وانحصر بها ومعه خلق عظيم لا يحصى عددهم من النكارية المارقين الذين على مذهبه ، وغيرهم من البربر الذين اتصلوا به ، فكانوا ينزلون من تلك الجبال الى ادنة مدينة اولية قد خربت ، وبينها وبين المسيلة اثنا عشر ميلا ، فيتكمنون بها وينتهبون من العساكر المنصورة رعاتها ومن يخرج لحطبها.

واقام الامام عليه السلام بالمسيلة بقيّة رجب وشعبان ، ولما كان يوم السبت لعشر خلت من شهر شعبان ركب الامام الى مدينة ادنة ، وركب معه من الاولياء والعبيد اربعة آلاف فارس، وركب زيري الصنهاجي معهم في خمسمائة فارس. فوصل المنصور بالله عليه السلام الى مدينة ادنة ولم يجد للعدوّ اثرا وهم قد كمنوا بالبعد من ادنة في خمسمائة فارس . فحين رأوا كثرة الخيول وقفوا في المكمن مختفين ، فلما رجع المنصور عليه السلام منصرفا ، حملوا على المتأخرين ووقعت الصيحة حتى اتصلت بالامام، فرجع في وجوههم وامر مقدّمة خيله ان يحملوا عليهم ، وتزايدت خيل العدو وغاراتهم ومددهم ، ونزل الدجّال بنفسه مددا لهم ، ومعه ثلاثة بنود وخلق عظيم من الرجّالة والفرسان، وهو لا يعلم ان الامام ع م مع خيله ، فانتهزها فرصة كاذب ظنّه واقبل بمن معه من الخيل والرجّالة على الميسرة ، وكانت بالموضع تلال وآكام ، وبصر به الامام فدعى بجوشن فلبسه، وارسل الى عسكره بالمبادرة اليه وان تخرج الطبول والبنود. وضاق الوقت فلم يمكن الامام تعبئة الجيوش ، وامر من معه ان يكون قتالهم جلادا بالسيوف وطعنا بالرماح ، وان يلازموا القوم القتال ويدنوا منهم. واخذ درقة بيضاء وجرّد سيفه ذا الفقار ومشى في تلك الوهاد والتلال ، ففاجا الدجّال اللعين مفاجأة الليث للحمار، ووثب عليه وثبة الاسد الكراّر ، فحين رأى المظلّة ولىّ هاربا على وجهه واسلم اصحابه واولاده ، وركبتهم خيل الاولياء تطؤهم بسناكبها، وتعلوهم السيوف جزّا للرؤوس عن غلاصمها ، ومالت ميمنة الاولياء على ميسرتهم واستحرّ القتل فيهم، فقتلوا ابرح قتل في رؤوس الجبال، وبطون الاودية والتلال، وفرّ الدجّال المارق معتصما بالوعر ومعه احد عشر فارسا ، فادركه وقد توسّط في الوعر ، خمسة فرسان من الاولياء، فيهم زيري من مناد الصنهاجي ، فعقر الصنهاجي جواد ابي يزيد ، واركبه اصحابه على برذون آخر ، وقتل ابن للدجّال اسمه يونس ، وطعن اللعين طعنتين ، احداهما بين كتفيه والاخرى في وركه ومال في سرجه فاحتضنه بعض رجاله ونجّاه الوعر، وخلّصه اهل البلد فخلص الى يوم المقدّر، وطردهم الاولياء اكثر من اربعين ميلا حتى كلّت الخيول وملّ الرجال وتقصّدت الرماح ، ونزل باكثر الاعداء الحين المتاح، وجزّ في ذلك اليوم الف وسبعون رأسا وجّه بها الى المهدية ، وغنم الاولياء من الخيل والسلاح ما ثكثر عده ويبعد حده .

وفي هذا اليوم يقول الداعي جعفر بن منصور اليمن ابي القاسم بن الحسن بن فرح بن حوشب نضّر الله وجهه ، وكان حاضرا تلك الوقعة :

يهنأ لك النصر فيما رمت من سبب \* يا سيد الخلق من عجم ومن عرب

في كل يوم يرينا الله معجزة \* من نصره لك تجلو غمة الكرب

وانت في كل حال تبتني رتبا \* في المجد فازدد علا في المجد والرتب

يوم المسيلة يوم لا كفاء له \* ولم يكن قبله في سالف الحقب

لمّا غدى المارق الدجّال مختبلا \* كالكلب في سخف معداه في الكلب

يروم غرة جيش كان ابرزه \* نجل النبوة مثل العارض اللجب

فعند منصرف القوم استغار على \* اواخر الجيش بالتهويل والصخب

وسيّد الخلق اسماعيل حينئذ \* في موكب الخيل مثل البدر في الشهب

فكرّ همّته كالليث معتزما \* على متابعة الدّجّال بالطلب

واستنهض الجيش عزما عن معسكره \* وساور الحرب فيمن كان لم يغب

فارتاع بعض نواحي الخيل واضطربت \* وسيّد الخلق لم يفشل ولم يهب

بل صارم كحسام الجدّ منصلت \* يمضي فيثبت فيه كل مضطرب

وسيف جدّيه اعني ذا الفقار به \* الى الرشاد استقادت جمرة العرب

في كفّه وله النصر الذي لهما \* من ذي المعارج فرض جاء في الكتب

مشمّر بلباس الحرب مدّرع \* بجوشن من حديد شيب بالذهب

يحيي القلوب سرورا والعيون به \* كالشمس والليث عند البشر والغضب

ثم استلاذت به انصاره زمرا \* معا كما لاذت الافلاك بالقطب

ولم يزل مذ بدا للناس عادته \* اذا غدى ناهضا بالجيش لم يخب

وعادة المارق الدجّال في بلد \* الا ثنى رأسه قسرا على الذنب

فاشتدّ حر وطيس الحرب واستعرت \* ترمي بنيها معا بالجمر واللهب

فادبرت عصب الدجّال وانقلبت \* تحت السيوف الصوادي شرّ منقلب

يحاذرون فلا يغنيهم الحذر \* ويهربون فلا ينجون بالهرب

وكيف لا كيف ينجو يكون له \* مولى البرية اسماعيل في الطلب

فعندها صرع الدجّال وابتدرت \* له الحراب كصوب العارض الخضب

حتى اتّقاها برجس من عصابته \* فمزّقته حداد السمر والقضب

وراغ من وقعها الدجّال ناحية \* ومرّ يهوي بوجه تاعس ترب

ولّى وافلت من حد الظبى هربا \* اذ كان في قتله الميقات لم يجب

ولىّ الى مدّة فيها منيّته \* بعاجل من عقاب الله مقترب

وظلّ اصحابه صرعى كأنهم \* اعجاز نخل قديم العهد منقلب

ومقتّلين الوفا في الفلا جزرا \* مطرّحين على الاذقان والركب

واصبحت هامهم مجموعة فلقا \* كأنها الحنظل المنقوف في السهب

راحوا بخزي وهون غير منصرم \* وفاء جند الهدى بالعز والسلب

يا ابن الائمة يا تاج النبوة يا \* من لا نظير له في المجد والحسب

لا زلت في نعم تترى سوابغها \* وفي سرور طوال الدهر والحقب

الله اعطاك ملكا وارتضاك له \* لمّا اصطفاك بلا شكّ ولا كذب

فالحمد لله حمدا دائما ابدا \* حمد امرئ في مزيد الله مرتقب

واقام الامام المنصور بالله ع م بالمسيلة الى سلخ شهر شعبان ، والعساكر توافيه من كل جهة وتأتيه من كل وجهة ، هو يسأل عن خبر ابي يزيد حيث صار ، ويتطلّع الى ما يأتي من قبله من الاخبار ، حتى عرف انه تحصّن بموضع من جبل عقار تحت قلعة شاكر وهي متّصلة بقلعة كيانة ، وقد اجتمع اليه جماعات كثيرة من الاباضية ، ممّن بذل نفسه واعتقد جهاد المسلمين فرضا عليه لا ينبغي له تركه ، وقد اعتصموا بجبال كيانة ، وهي جبال شامخة ومسالكها وعرة ضيقة، وظنوا انهم مانعتهم حصونهم من الله، فاتاهم الله من حيث لم يحتسبوا ،وسبّب وليه لطلبهم حيث ذهبوا.

وسار الامام ع م من المسيلة يوم الجمعة غرة شهر رمضان في جموع عظيمة وجنود كثيرة فنزل بموضع يقال له قلعة الحجارة بينه وبين محطّ ابي يزيد مسافة ستة اميال ، واصبح من غد يوم السبت فركب في زي الحرب ، عليه جوشن وهو متقلد بذي الفقار ، وامر الناس ان يركبوا في عدة الحرب وسارت القبائل حوله طوائف طوائف وقبائل قبائل ، وترك المضارب مواضعها ، وقصد ابا يزيد ، فسلك سبلا صعبة وطرقا متضايقة بين جبال عالية في مواضع وعرة لا يسلكها الا واحد بعد واحد . ولا تسلكها الخيل ، فنزل عليه السلام من دابّته في بعض تلك الاوعار وسار راجلا في اكثرها حتى اشرف على اخبية الدجّال ومضاربه ،ورتّب الناس للقتال في ذلك الوعر بما وجد السبيل اليه ، ووعظهم وامرهم بالتقوى ونهي النفس عن الهوى ، واخلاص النيات في طاعة الله وجهاد اعدائه الذين استحلوا سبي ذراري المسلمين، واتوا بالمنكرات في الدين. ونهاهم عن النهب كي لا يشغلهم عن عدوّهم فيميلوا عليهم.

وانتشب القتال في ميمنة الدجّال مع بني كملان ، فاستعملوا الهزيمة ، والمواضع الضيقة، ثم عطفوا على الاولياء فوقى الله شرّهم ، وعظم القتال ، وتكافحت الابطال ، وصارت نيار الحرب مضطرمة فلا تسمع الآذان الا همهمة . ونظر المنصور بالله عليه السلام الى موضع الدجّال فقصده لا يعرّج عنه ولا يلوي على شيء دونه ، وقد سلّ ذا الفقار ، فترك الدجّال اخبيته وطلع به غزاته وباولادهم ونسائهم الى جبل منيع بازائهم ، فامر الامام بالقاء النيران في اخبية ابي يزيد واشعالها لكي لا يشغل الناس بها واشتد الحرب مع بني كملان ، وقد انهزموا وهم يراجعون القتال ، ويمسكون هزيمتهم حالا بعد حال. ويتعطف منهم الكماة والابطال ، والامام ع م في اثرهم.

ووجد الناس في اخبية ابي يزيد ومضاربه من الابل والكراع والرقيق ، ومن امتعة افريقية وخزّها وديباجها ما لا يوصف ، واشتغل الناس بالنهب ، وكانوا يبادرون ما لم تصل اليه النار، وكل من اثقل ظهره بالغنيمة انصرف عن موضع القتال ،والامام ع م ومن خلص معه في طلب بني كملان حتى وصلوا الى اخبيتهم ، وكانت في مكان بين الجبال لم يشعر الاولياء به ، فاخرجوا معهم اولادهم ونسائهم ، وساقوهم بين ايديهم وهم يكافحون عنهم حتى انتهوا الى قلعة شاكر ، وهي بالقرب منهم ، وهي متمنّعة شامخة ، واسلموا اخبيتهم وما فيها ، وامر الامام باحراقها فاشتعلت النيران وثار الدخان، واظلم الجوّ واشتد الحرّ ، ووجد الناس فيها من الانعام والرقيق ويباج افريقية اكثر مما وجدوا في اخبية ابي يزيد ، واشتغل الناس بنهبها ، فامر الامام بردهم ، وعقر الدواب والجمال ، وقتل من اصيب معه شيء من النهب من الرجال ، فما منعهم ذلك عن الانتهاب ، ولم يبق مع الامام عليه السلام الا القليل ، طمعوا فيه عليه السلام وفيمن معه واخترطوا سيوفهم وكسروا اجفانها ، ووصى بعضهم بعضا بالصبر ، ووعدهم بالغنيمة وكروا على من صار مع الامام عليه السلام فلا تسمع الا وقع السيوف ، ووخز الرماح ، واشتد الكفاح، وعلا بعضهم على الجبال ، وكانوا يرسلون الصخور ، واحاط القتال بالامام عليه السلام ومن معه ، وكانت جنوده عليه السلام كلما ارادوا الجولة وهموا بالهزيمة لم يجدوا امامهم الا تلك النار المشتعلة في الاخبية ، فيرجعون الى الامام ويلوذون به ، وكان خوفهم من النار اعظم من خوفهم من العدو، وكلما اقبل العدو من ناحية قالوا للامام هذا العدو ، فيميل عليهم بوجهه ، ويكر عليهم بسيفه ، فيقتل ويجرح فينهزمون ، ولا يحتملون رؤيته ، وكلما رأوه القى الله الرعب في قلوبهم ، فتجالدوا بالسيوف حتى تفللت ، وتشاجروا بالرماح حتى انكسرت ، وفترت الايدي ، واهلك الفريقين العطش، مع كثرة الانهار في ذلك المكان، وكان ان يتفانى الفريقان، وكان ذلك يوم شديد الحر، عظيم الامر ، فنزل الامام عليه السلام عن ظهر جواده، وشرب من الماء بيده ، واخذ قوسا فرمى وهو جالس ، فقتل وجرح، وتباعدت عنه البربر قليلا ، فركب عليه السلام فرسه ، ودامت الحرب ، وما زال الطعن والضرب ، حتى اصفرت الشمس ، فمل الفريقان ، ووقفت الخيل ،وكل السلاح ، وعجب البربر من صبر الامام عليه السلام.

ورجع ا لامام سلام الله عليه على طريقه التي اقبل منها والقتال قائم ، والكفاح دائم ، وفرق البربر رجالهم على الجبال الشامخة ، ليرسلوا الصخور من اعاليها على من يمر من الطريق التي تحتها ، ويسلك فيها، فحين صار الامام عليه السلام بالقرب من المكان الوعر الضيق الذي لا ينجو من يمر تحتها من الصخور التي ترسل فيها نادى مناد من ناحية العدو وقال : ان علي نعمة الامير اسماعيل ، ونعمة آبائه ، وهذه طريق صعبة ضيقة ، وقد ترصد العدو بالحجار ، فلا تسلكوها وجوزوا عن هذه الطريق ، واشار الى طريق آخر ، وقيل انه كان من اصحاب خليل بن اسحاق ، ويعرف بمحمود ، فتنكب الامام عليه السلام عن تلك الطريق ، وسلك الطريق التي اشار اليها ذلك الرجل ، وتخلص الجيش باسره، ووصل الامام عليه السلام الى محطته سالما غانما ، واوقدت المشاعل بين يديه، وجعل سفهاء العسكر يشتمون من ركن الى النهب، ويسلقونهم بالسنتهم ، فناهم الامام عليه السلام عن ذلك ، وقال لا يعير احد ولا يسب ، فان الامر عظيم هائل ، وان الخلل دخل على القوم ، اذ خالفوا امرنا، وسمى اهل المغرب هذا اليوم لشدة بأسه وعظم هوله اليوم العظيم، وامر الامام عليه السلام يجمع النهب فاتى الناس به ولم يبق منه شيء ، فاصطفى الخيل والانعام، وامر بما كانت النار تحرقه فاحرق ، جزاء للذين نهبوه وعقابا لهم لما خالفوا من امره وضيعوا.

واوى الدجّال المارق الى قلعة كيانة ، وهي من احصن تلك الجبال وامنعها ، ليس لها الا مسلك واحد ، ولها طريق وعر على ظهر جبل منيع لا يرام، ميسرة يومين ، ثم ينتهي الى رمال منها كانت تأتيهم الميرة . وسأل الامام عليه السلام الادلاء عن كيفية السلوك الى القلعة ، فكلهم ذكروا ما هي عليه من المنعة ،والمسالك الوعرة ، فاقام عليه السلام في مناخة بقلعة الحجارة شهر رمضان يستخير الله سبحانه.

ووفد حفته الخادم بحشد كتامة يوم الخميس لسبع خلون من شهر رمضان ، ومعه ثائر كان ثار ببلد كتامة من ارض مسالتة من كتامة ، وادعى النبوة ، واحل المحرمات ، فامر الامام عليه السلام بعض قرابة ذلك الرجل فقتله بعد ان اشتهر ، وطيف به ، وعرف الناس كفره ونكره.

ولما كان يوم السبت لسبع خلون من شهر رمضان امر الامام عليه السلام بعمل قفص من الخشب محمول على بكرتين ، وقال اني سوف ادخل مخلد المارق في هذا القفص ، واجعل معه قردين ، فعجب الناس من ذلك ، وكثر قولهم فيه ، فمن منكر ومستبشر، حتى كان كما ذكر صلى الله عليه ، وجاءت البشرى الى الامام يوم الخميس لاربع عشرة ليلة خلت من شهر رمضان ان قيصر الخادم وزيري بن مناد ملكا على غدير وان قهرا بالسيف ، وكان الامام عليه السلام ارسلهما في جحفل كثير الخيل والرجال، واقبلت القبائل يطلبون الامان، وكان الامام عليه السلام يخلع عليهم، ويحسن اليهم، وامر ببناء مصلى بقلعة الحجارة ليصلي فيه العيد ، لاثنتي عشرة ليلة بقيت من شهر رمضان، وركب بقية ليلتين من الشهر في عشرة آلاف فارس ، وسار في طريق وعرة واودية منخفضة وكان يتسنم جبلا بعد جبل ، وينزل في كثير من الاحيان عن فرسه حتى وقف تحت قلعة كيانة التي صار اليها الدجّال المارق ، فوجد فيها موضعا ضيقا ، فابصره ورجع الى معسكره.

وكان يوم الاحد غرة شهر شوال من سنة خمس وثلاثين وثلاثمائة ، ركب الامام عليه السلام الى المصلى الذي بناه ، فصلى بالناس صلوة العيد ، ورقي صلى الله عليه الى المنبر وخطب الناس فقال :

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد الله الذي خلق السموات والارض وجعل الظلمات والنور ثم الذين كفروا بربهم يعدلون ، الها معبودا ، وربا محمودا، لا تتخذ من دونه آلهة ، ولا نشرك به شيئا ، الحمد لله الذي يمسك السماء ان تقع علىالارض الا باذنه ، ان الله بالناس رحيم ، الله اكبر الله اكبر لا اله الا الله والله اكبر الله اكبر ولله الحمد سبحان الله ربنا ان كان وعد ربنا لمفعولا ، سبحان الله حين تمسون ، وحين تصبحون، وله الحمد في السموات والارض وعشيا وحين تظهرون، سبحن ربك رب العزة عما يصفون ، وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين.

الحمد لله اولا قديما لم يزل ، وآخر باقيا لم يحل ، وعالما حكيما لم يجهل ، وجوادا كريما لا يبخل، وسعت رحمته كل شيء ، فلا يقنط منها الا الضالون ،وفطر بريته لعبادته ، لا يستنكف عنها الا الخاسرون ، وثبتت حجته بحسن دلالته ، فلا ينكرها الا الجاحدون، خشعت له النفوس بتعظيمها، واذعنت له القلوب بحشوعها ، وانحسرت الابصار دونه عن مرامها ، وسلمت لعزته ، والقوي بعجزها، وشهدت له العقول بفطرتها، انه كما وصف نفسه حي قيوم، لا تأخذه سنة ولا نوم، ليس كمثله شيء ، لا تدركه الابصار ، وهو يدرك الابصار ، وهو اللطيف الخبير ، جل ثناؤه ، وتقدست اسماؤه ، وعز بهاؤه، وعلى علاؤه ،

واشهد ان لا اله الا هو وحده لا شريك له ، واشهد ان محمدا عبده المصطفى ، وامينه المرتضى، ارسله بالنور الساطع ، والبرهان القاطع ، الى جميع بريته ، شاهدا لمن كان قبله من الرسل ، ومصدقا لما بين يديه من الكتب ، ودليلا على الله ، وداعيا اليه على حين فترة من الرسل ، وانقطاع من الوحي، وطموس من الحق ، وضلال من الخلق ، فبلغ عن الله رسالته ، وصدع بامره ، ودعى الى سبيل ربه بالحكمة والموعظة الحسنة ، وجاهد في سبيل الله حق جهاده ، وادى الامانة الى عباده ، وعبد ربه حتى اتاه اليقين ، صلى الله عليه في الاولين والآخرين، وعلى آله الطيبين ، الاوصياء المنتجبين، الكرام المهتدين.

اوصيكم عباد الله بتقوى الله الذي لا غناء لكم عنه ، ولا موئل لكم دونه في موت او حياة ، ولا آخرة ولا دنيا ، وابتذال انفسكم فيما يحب ويرضى ، ويقربكم اليه زلفى ، الا ان هذا يوم جعله الله لكم عيدا منسكا ، انقضى فيه الصوم ودخلت به اشهر الحج ، فحاسبوا انفسكم رحمكم الله ، فمن ذكر خيرا فليحمد الله ، وليزدد ، ومن ذكر تقصيرا فليستعف او سوء فليتب ، فان الله تعالى يقبل التوبة من عباده ، ويعفو عن السيئات ويعلم ما تفعلون.

وقد فرض الله عليكم زكوة فطرتكم، وجرت به سنة نبيكم سيد الانبياء صلع ، فليؤد كل امرئ منكم من عياله ذكورهم واناثهم وصغارهم وكبارهم صاعا من بر او صاعا من شعير ، او صاعا من تمر من طعامه ، لا يأكل من شيء ويؤدي من آخر ، فان ذلك محرم عليه ، وغير مجزي عنه ، عصمنا الله واياكم بالتقوى ، واستعملنا واياكم فيما يحب ويرضى ، وجعل الآخر خيرا لنا ولكم من الاولى.

الخطبة الثانية

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله المتوحد بربوبيته ، المتفرد بوحدانيته ، الاول القديم الحي القيوم ، احمده بمحامده كلها، على اصغر نعمه واجلها ، حمدا يوجب حمدا على حمد، للتوفيق منه والرشد ، و اشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له ، اخلاصا لتوحيده، واعترافا لربوبيته ، واشهد ان محمدا عبده انتجبه ، ورسول ابتعثه ، وتمت بالوحي نبوته ، ونطق البرهان بحقيقة رسالته ، صلى الله عليه واعلى ذكره وسلم وكرم،

ايها الناس ، ا ن الله امركم بامر بدأ فيه بنفسه ثم ثنى بملائكته فقال : ان الله وملائكته يصلون على النبي ، يا ايها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما ، اللهم صل على محمد عبدك ورسولك صلوة تامة باقية ، تزيده كرامة على كرامته ، وشرفا على شرفه ، وصل على جميع اصحاب اهل الكساء ، الطاهرين الازكياء ، وعلى امير المؤمنين وفاطمة الزهراء سيدة نساء العالمين ، والحسن والحسين الاكرمين الابرين، وعلى الائمة المهديين من ذرية الحسين اعلام الهدى وبدور الدجى ، وسادات الورى اولياء الرحمان ن وحجج الازمان ، ودعائم الايمان ، اللهم وصل على وارث كل مجد وسناء ، وفخر وثناء ، وفضل ، وعلى عبدك المرتضى ، و وليك المصطفى ، وخليفتك العدل الرضي ، عبد الله المهدي ، ابي محمد الامام المهدي بالله امير المؤمنين ، الذي استضاءت بنوره الآفاق ، وعم به الاشراق، شمس الورى ، وبدر الدجى ، وكاشف العمى، والمحيي لما درس من معالم الهدى، بافضل صلواتك التامات ، وبركاتك الناميات ، وكراماتك الباقيات ،

اللهم وصل على ولي عهده في حيوته ، وخليفته بعد وفاته ، المنتجب المجتبى ، المكرم المرتضى ، محمد ابي القاسم ، الامام القائم بامر الله ، بن المهدي بالله امير المؤمنين ، حامل حجة الجبار، وولي الابرار، وسيف الله البتار ، ووارث سيف جده ذي الفقار، صلوة تفضل صلوة المصلين ، رافعة في عليين ، خالدة في الغابرين، باقية الى يوم الدين، اللهم اني عبدك ووليك ، انعمت علي فاعظمت ، وافضلت فاجزلت ، ورفعتني وكرّمت ، بما افضيت الي من خلافة الآباء الاكرمين، الائمة المهديين، ونصبتني علما للدين ، واقمتني اماما للمؤمنين ، اللهم فاتمم علي نعمتك ، كما اتممتها من قبل على الآباء والاجداد ، والاكارم الامجاد، حملة علمك ، وخزان وحيك ، وامنائك على خلقك ، وصفوتك من عبادك ، وخيرتك من آل نبيك ، الذين جمعت لهم شرف الدارين، وفضل المقامين، اللهم واعني على رعاية عهدهم ، وانجاز وعدهم ، وقضاء دينهم ، وتمام امرهم ، واحياء ذكرهم ، واعزاز اوليائهم ، واذلال اعدائهم ، واجمع بيني وبينهم ، اللهم في مستقر رحمتك ، وقرار جنتك ، ومجاورة نبيك ، مع النبيين والصدّيقين والشهداء والصالحين، آمين يا رب العالمين .

اللهم ان تعز بي في البلاد ، وهجري للمهاد ، لقضاء ما فرضته علي من الجهاد في سبيلك ونصرة دينك وتحصين امة رسولك ، اللهم وافتح لي فتحا مبينا يسيرا ، واجعل لي من لدنك على عدوي الذي هو عدوك سلطانا نصيرا ، انك على كل شيء قدير، اللهم اغفر للمؤمنين والمؤمنات ، والمسلمين والمسلمات ، الاحياء منهم والاموات ، ولمن هو لاحق بهم من بعدهم غير ملحد في اسماءك ، ولا معاد لاوليائك ، ولا موال لاعدائك ، واكمل اجرهم ، وسلم لهم اديانهم ، حتى يلقوك موفين بعهدهم ، مستوحين لثوابك ، انك انت الغفور الرحيم ، ان الله يأمر بالعدل والاحسان وايتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر، والبغي بعظكم لعلكم تذكرون. والحمد لله رب العالمين.

ونزل عليه السلام فركب فرسه ، ورجع الى مضربه .

ونقول انه قد ابان في خطبته هذه وفاة ابيه الامام القائم بامر الله قدس الله روحه وصلى عليه بقوله: اللهم اني عبدك ووليك ، حتى قال : بما افضيت الي من خلافة الآباء الاكرمين ، الائمة المهديين، ونصبتني علما للدين ، واماما للمؤمنين ، اذ لا يكون اماما ولا خليفة الا بعد انقضاء عمر والده ، ومصيره الى جوار الله ربه ،

وفي مثل ذلك ذكر منصور الكاتب العزيزي الجوذري ، قال : وصل كتاب من الامام المنصور بالله صلوات الله عليه الى جوذر الاستاذ باوامر واحكام وحوائج ، فقرأت في هذا الكتاب فصلا فيه تصريح المنصور بالله صلوات الله عليه بموت القائم بامر الله صلى الله عليه وقدس الله روحه ، وذلك انه اوصى في الكتاب بصيانة مخلفي القائم بامر الله سلام الله عليه ، واجراء رسومهم على حسب ما كانت عليه ، وهذه نسخة الفصل :

واقول بعد الصبر والاحتساب : الحمد لله على جميع الاحوال، قد تعلم اللهم اني طال ما ناجيتك في ظلم الليالي مبتهلا متضرعا اليك اسألك ان لا تشهدني فقده، ولا تحييني بعده ، فابى قضائك الماضي وحكمك النافذ ، فصبرني على ما ابتليت ، وارضني بما قضيت، وصلوات الله وبركاته ورحمته ورضوانه على جسمه المطهر وروحه المقدّس في الدنيا والآخرة .

قال منصور : فعند ذلك علم الناس ان القائم بامر الله قدس الله روحه وصلى عليه وعلى آبائه وابنائه الطاهرين توفي.

رجع الحديث ، واصبح الامام المنصور بالله عليه السلام اليوم الثاني من الفطر لليلتين خلتا من شوال فامر بالنداء في العسكر بالرحيل الى الموضع الذي نظره تحت قلعة كيانة ، فعظم ذلك على من في عسكره لصعوبة المسالك ، وضيق الامكنة ، ورحل عليه السلام من يومه فنزل تحت قلعة كيانة في قبليها ، على مقدار علو سهم ، والدجّال واصحابه ينظرون اليه من قلة القلعة ، فحين رأوا نصب الفازات ايقنوا بالهلاك ، وعلموا انه لات حين مناص ، وصاح بعضهم في بعض ، واسقط كثير من نسائهم الاجنة، وهطلت تلك العشية السماء بالامطار ، وكانت البروق اللوامع الرعود الهائلة.

ولما كانت العشية وغابت الشمس امر الامام عليه السلام عسكره ان يبرزوا بخيلهم ورجلهم الى ناحية العدو ، لينقطع من المعسكر اطماعهم ، وفعل ذلك عليه السلام ثلاث ليال، ثم رتب العسـس بالليل والنهار على مجامع الطريق لئلا يدخل احد الى القلعة بميرة . ويصلهم بحاجة ، ولما كان في اليوم الرابع يوم الخميس لخمس خلون من شوال ، امر الامام عليه السلام بحفر خندق على معسكره في سفح القلعة ،في السهل والوعر ، وقسّمه على قبائل كتامة، وعلى الزويليين، وجماعات الجند والعبيد ، واخذ معولا بيده فحفر به مبتدئا ، فحين رأى الناس سارعوا واخذوا في الحفر ، وركب عليه السلام آخر النهار لينظر الى ما حفر في الخندق ،وسار لقطع الاشجار التي بسفح الجبل من الزيتون والثمار ، ورأى المارقين قد اقبلوا للقتال فامر بقتالهم ، وانتشب القتال، وقتل جماعة منهم بالنبل ، ثم صرف الناس عند المساء ، وصلى بهم المغرب تحت القلعة ، وانصرف عليه السلام الى مضاربه.

ولما رأى المارقون ما عليه الناس من حفر الخندق علموا على ان يبيتوا العسكر من ليلتهم ، وعلم ذلك الامام عليه السلام ، فامر الناس كافّة ان يخرجوا من معسكرهم ، وان يباتوا في مصافهم بخيلهم ورجلهم ، وان يلزموا الصمت والوقار ، فاذا دنى العدو منهم عرفوه بذلك واقبل العدو في اول الليل ، فصاحوا ووجدوا العسكر في مصافهم صموتا لم يكلموهم كلمة ، ولا وجدوا فيهم فرصة ولا غفلة ، فرجعوا الى قلعتهم.

وفي يوم الاربعاء لاحدى عشرة ليلة خلت من شوال، نزلت جماعة من المارقين يتعرضون للقتال ، فخرجت اليهم طائفة من جند الامام عليه السلام ، واشتد القتال بينهم ، وركب الامام عليه السلام المنصور بالله صلوات الله عليه بعد العصر ، فوقف تحت القلعة وما زال القتال ، وقتلت جماعة من المارقة وكثر فيهم الجرحى ، وصعد الامام عليه السلام الى بعض القلعة ، فوقف قليلا، وامر الناس بالانصراف وانصرفوا الى معسكرهم ،

ولثلاث عشرة بقيت من شوال يوم الاربعاء امر الامام عليه السلام عسكره بالزحف نصف النهار الى القلعة ، فترجل الناس، وصعد الامام عليه السلام الى بعض القلعة ، وصلى العصر هناك ، وبسط له بساط فجلس عليه طويلا، والناس في القتال ، واخذ قوسا فرمى عنها باسهم ، وحرض الناس ، فلما كان المغرب امرهم بالانصراف ، فانصرفوا الى معسكرهم وقد قتلوا من العدو واثخنوهم جراحا، وعاد الامام عليه السلام الى مضربه جذلا مسرورا ، وبعث الامام عليه السلام في تلك الايام قيصر وشفيعا خادميه وزيري بن مناد في عساكر ليحاصروا قلعة كيانة من جانب آخر ، فنزلوا بين غربيها وشمالها ، وكانت تلك الجهة فسحة للمارقة في رعي انعامهم ، فصارت القلعة بين العسكرين ، وبين العسكرين اربعة اميال ، فصارت المارقة في ضيق وحصر ، ووجه الامام عليه السلام طارقا ووصيفا خادميه الصقلابيين في عسكر كثيف لحصار قلعة شاكر وقتال اهلها ، وكانت مأهولة معمورة ، وفيها جماعات كثيرة من هوارة وغيرهم على مذهب ابي يزيد نكارية.

وامر الامام عليه السلام يوم الجمعة لعشر بقين من شوال بالزحف الى قلعة كيانة وخرج صلى الله عليه وعلى آله معهم ، وسار الى سفح القلعة ، وامر بقطع اشجارها ، وكان بها شجر زيتون وثمار فعظم ذلك على المارقين، ودام القتال الى المساء ، وحرك الامام عليه السلام عساكره للزحف يوم السبت ثاني ذلك اليوم ، فخرج الناس وارسلت السماء سجالها ، فانصرف الناس وسكن الغيث بعد صلوة الظهر ، فخرج عليه السلام وامر الناس بالزحف ، فكان بينهم قتال عظيم ، مات فيه جماعة من المارقة رميا بالسهام ، وطعنا بالرماح ، وبسط للامام عليه السلام بساط ، فقصد عليه ، ودخل الليل ، واوقدت المشاعل ، وامسى القتال الى ثلث الليل، ثم انصرف الناس ، وما زال القتال مستمرا كل يوم الى يوم الخميس لاحدى عشرة ليلة خلت من ذي القعدة ، وجاء قوم من اهل قلعة شاكر سرا الى الامام عليه السلام ، فاحسن اليهم ووعدوه بفتح القلعة ، وادخال اصحاب الاما عليه السلام اليهم ، وتركوا رهائن منهم ، وامر عليه السلام ان يدفع اليهم طبل ، وامر وصيفا وطارقا بالمصير اليهم فادخلوا طارقا ووصيفا اليهم في جماعة من عسكر الامام عليه السلام فملكوا القلعة ، وضربوا الطبل واوقدوا النيران ، فامر الامام عليه السلام عسكره بالتكبير وعرفهم ان قلعة شاكر قد فتحت ، فعظم فتحها على ابي يزيد واصحابه ، وكادت قلوبهم ان تطير جبنا وجزعا ، وركب الامام عليه السلام صبيحة الخميس الى سفح قلعة شاكر ، ونزل القوم الذين كانوا سبب فتحها فقبلوا الارض بين يدي الامام عليه السلام ، وهنؤه بالفتح ، وهو يحمد الله تعالى ويشكره ويعدد فضله ويذكره ، وعفى عن سائر اهل قلعة شاكر واحسن اليهم ، واجرى الوظائف عليهم ، وامر طارقا فانصرف بالعسكر المنصور ، وامر وصيفا بالمقام في القلعة مع القوم الذين كانوا سبب فتحها .

وزحف مخلد بن كيداد المارق في ليلة الجمعة بعد فتح قلعة شاكر في اصحابه الى خندق الامام عليه السلام ، وافترقوا على ثلاث فرق ، وكان في الميمنة ابن فضل ، فقصد ناحية ملوسة وصنهاجة ، فوجد فيهم غرة ، فكبسهم وقتل الحسن بن نصر الصنهاجي ، واخذ عليهم بندا ، وكان ابو سليمان الزويلي في ميسرة المارقة فقصد جيلة ولهيصة فوجدهم حذرين، وقاموا في وجهه فهزموه ، وقصد ابي يزيد الى باب الخندق ، وفيه الاولياء والعبيد ، فثاروا في وجوههم وقتلوا جماعة من المارقين.

وامر الامام عليه السلام ان لا ييرز احد من الخندق وان يثبت الناس في مراكزهم ففعلوا، وانصرف الدجّال ومن معه خاسئين، ووصل صبيحة يوم الجمعة نرافة اهل قلعة عقار يسألون العفو والامان على يد وصيف الخادم فامنهم الامام عليه السلام ، ووصلهم وكتب السجلات بالامان لهم ، وامرهم ان يسلموا ما كان بايديهم من كراع وسلاح مما انتهبوه الى وصيف فاجابوا وفعلوا .

وركب الامام عليه السلام الى سفح قلعة كيانة يوم الثلاثاء لاربعة عشر ليلة بقيت من ذي القعدة ، ورمى عليه السلام من قوسه اصاب سهم منها رجلا من المارقين فقتله ، ونزل جماعة من قلعة كيانة ، ليرعوا دوابهم في اوعار مما يلي معسكر زيري بن مناد الصنهاجي ، فكبسهم زيري ، واخذ عليهم اثنى عشر برذونا بسرجها ، وامر بها الى معسكر الامام عليه السلام ، فطيف بها في العسكر ، ونظر اليها المارقون فساءهم ذلك ، وامر الامام عليه السلام بقوس اللولب فاحضرت اليه ، وزحف نحو قلعة كيانة ورمى عن قوس اللولب بين يديه فاصاب رجلا من المارقين بسهم فقتله . ونادى مناديه بالزحف من عند ذلك اليوم ، فكان بين الناس قتال شديد ، ومات خلق عظيم في ذلك اليوم ، واكثرهم من المارقين اصحاب الدجّال ، وارسل الامام عليه السلام الى عسكره بعد العصر ان ينصرفوا فعادوا جميعا الى خندقه، وفي يوم عرفة وردت رفقة عظيمة تحمل سمنا وعسلا ، ليكون عيدا للمارقين ، وارادوا ان يصلوا به ليلا الى القلعة ، ويدخلوه من بعض نواحيها ، فاضاء الصباح عليهم ولم يصلوا وتسرع الاولياء عليهم فانتهبوا جميع ذلك ، ولما كان يوم النحر وهو يوم الجمعة لعشر خلون من ذي الحجة ركب الامام عليه السلام فرسا ولبس رداء احمر بثجاف مذهب ، وقد ارتدى عليه قباء اصفر ، وتعمم عمامة صفراء، وارخى ذؤابته، وحف به انصاره بجنوده واوليائه وعبيده ، وانتهى الى مصلى كان عمله قبل ذلك ، فنزل وصلى صلوة العيد ، وارتقى منبرا كان بني له من الحجارة ، وخطب عليه السلام ، فقال :

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله المتوحد بالربوبية ، المتفرد بالوحدانية ، المتعزّز بالقدرة والبقاء ، المتجبر بالعظمة والكبرياء، الاول بلا غاية ، والآخر بلا نهاية ، المتعالي عن تشبيه الجاهلين ، وتحديد الواصفين ، وتكييف الناعتين ، ودرك ابصار الناظرين ، واشهد ان لا اله الا الله وحده ، لا شريك له ، واشهد ان محمدا عبده ورسوله ، اكرمه النبوة ، واصطفاه بالرسالة ، وحباه بالفضيلة ، وابتعثه بالنور ساطعا ، وبالحق صادعا ، وبالهدى آمرا ، وعن الكفر زاجرا ، وعلى الانبياء مهيمنا ، ولما جاؤوا به مصدقا ، فبلغ الرسالة ، وهدى من الضلالة ، انقذ من الهلك ، وافهم معالم الدين وفرائضه ، وبيّن حدود الدين وشرائعه ، وجاهد في سبيل الله حق جهاده، حتى اتاه اليقين ، صلى الله عليه في الاولين، وعلى آله الطيبين الطاهرين الاكرمين، الائمة المهديين، الكرام الابرين.

اوصيكم عباد الله بما اوصيت به نفسي قبلكم من تقوى الله ومراقبته ، والعمل بما يرضيه ، ويقربنا واياكم اليه ، ففي تقواه رضاه ، وبرضاه الفوز بالجنة ، والنجاة من النار، ومن زحزح عن النار وادخل الجنة فقد فاز ، وما الحيوة الدنيا الا متاع الغرور ، الا وان يومكم هذا يوم حرام ، من شهر حرام ، يعظم على الايام ، يوم الحج الاكبر ، امتحن الله تبارك وتعالى فيه ابراهيم خليله ، وفدى فيه من الذبح ولده صلوات الله عليهما ، وافترض على كافة اهل الاسلام الحج ، الى بيته الحرام ، الذي جعله مثابة للناس وامنا ، فتقربوا الى الله تعالى فيه، بما امركم به ، وافضل ما انتم مقربوه ، اناث الابل ، واناث البقر، وفحول الضان ، واجتنبوا المريض من الحيوان ، ومصائب العيون والآذان، والمشوّه منها بالزيادة في خلقه والنقصان، فانها غير مقبولة منكم ، بذلك جرت سنة نبيكم، صلى الله عليه وعلى آله الائمة من ولده ، الاطهار الابرار عليهم افضل السلام ، لن ينال الله لحومها ولا دمائها ، ولكن يناله التقوى منكم، تقبل الله منا ومنكم ، وكتب لنا ولكم حج بيته الحرام ، والوصول الى مشاهده العظام ، ومرافقة الكرام ، باعزاز نصرنا ، وتمام امرنا ، وانجاز متقدم وعده لنا انه لا يخلف الميعاد ولا يعجزه ما اراد.

الخطبة الثانية

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله المبدء والمعيد ، الكريم المجيد ، الفعال لما يريد ، خالق الخلق وباسط الرزق ، ومنزل القطر ، ومدبر الامر ، وارث السموات والارض ، وما عليها واليه ترجعون ، الله اكبر الله اكبر لا اله الا الله والله اكبر، الله اكبر ، ولله الحمد ، اشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له واشهد ان محمدا عبده المصطفى، ورسوله المرتضى ، وامينه على ما اوحى ، والمنقذ من الضلالة والردى ، صلى الله عليه وعلى آله الكرام ، المهديين الائمة الطاهرين ، علي امير المؤمنين ، وسيد الوصيين، وخيرة المسلمين، وفاطمة الزهراء سيدة نساء العالمين ، والحسن والحسين ، والائمة من ولد الحسين الطاهرين، بقية رسول الله وثماره ، ووارثه وحججه علىالعباد من جبال الدين ، وسادات العالمين ن واولياء المؤمنين ، وعلى الامام المرتضى، والولي المصطفى ، عبد الله ابي محمد الامام المهدي بالله امير المؤمنين وارث فضل الائمة المهديين ، من آبائه الخلفاء الراشدين، وصفوة الصفو من الاولين منهم والآخرين، الذي قامت به دولة المؤمنين ، وبسيفه ذلت رقاب المنافقين، واعاد الاسلام غصنا ناضرا ، والدين مضيئا والحق مشرقا زاهرا باهرا ، واحي به الله من الدين ما اندرس، ومن الحق ما التبس ، وجمع الله له شرف الدنيا وفخرها ، وآتاه فضل الآخرة وذخرها ، صلوات الله عليه ورضوانه ورحمته وحنانه ، اللهم وصل على ولي عهده ، وباب مجده ، وخليفته من بعده ، المتقلد الامامة ، المتوج بالكرامة ، عبد الله ابي القاسم القائم بامر الله ابن المهدي بالله امير المؤمنين سليل خير النبيين ، وبقية الماضين ، ونجيب الائمة المهديين، صلوة تزيد بها كرامة وعلا ، وشرفا سامية القدر ، عالية الفخر ، نامية الذكر ، باقية على الدهر، اللهم وكما قلدتني خلافتك التي كرّمتها وشرّفتها وحظرتها وحرمتها ، لعنت من غير اهلها مدعيها، و اخربت مناوئيها ، وقصرت ايدي المتطاولين اليها ، واخترت لها الواحد بعد الواحد من آبائي المهديين الكرام المصطفين ، الخلفاء الراشدين.

ثم اورثتني مقامهم ، واحييت بي ذكرهم ، واتممت بي امرهم، وقفيت بي آثارهم ، ونصبتني لما نصبتهم، من الاحتجاج بنا على خلقك ، والقيام بامرك ، ونصرة دينك ، واعزاز ملة رسولك ، ونصرتني واظهرتني وظفرتني بامرك، واعززت بي الامة ، وكثرتهم بعد القلة ، وجمعتهم بعد الفرقة ، وكشفت عنهم مذلة الفتنة ، ودياجير الظلمة ، بدولتي التي اعززتها ونصرتها ، وايامي التي آثرتها فاخترتها، وسيوفي التي امضيتها على الدجّال وحزبه ، والنفاق واهله ، فجعلتم بها حصيدا خامدين ، فاصبح الحق مشرقا ، والباطل زاهقا ، فضلا منك علي ، ونعمة جددتها الى نعم قبلها اسبغتها علي واجزلتها ، اللهم فالهمني شكر نعمتك، ووفقتني للعمل بما يرضيك عني ، ويزلفني لديك ، ويقربني اليك، فانه لا حول ولا قوة الا بك ، عليك توكلت ، واليك انيب ، وامري اليك فوضت ، وبك اعتصمت ، صلوتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين ، اللهم اغفر لي وللمؤمنين والمؤمنات ، والمسلمين والمسلمات ، الاحياء منهم والاموات ، وتقبل اعمالهم ، وتزك سعيهم ، واهدهم وارأف بهم ، وانك انت الرؤوف الرحيم .

ثم نزل عليه السلام فنحر ناقة بيده ، فانصرف الى مضربه ،

ولما ضاق بمخلد المارق الامر ، وانقلب عليه الدهر ، وايقن بالهلاك ، وانهمك في العجز والذلة شر انهماك ، وعرف ان لا خلاص له مما وقع فيه ولا فكاك ، اصدر ابنه فضل بن مخلد الى معبد بن محمد بن خزر، وكاتبه في نصرته ، ولاطفه في معاضدته ، وان يفك خناقه ، ويطلق من العجز والوهن وثاقه .

وكان معبد يرى رأى الخوارج المارقين ، ويتبرأ برء الله منه من علي ابن ابي طالب امير المؤمنين صلوات الله عليه وعلى آله الطاهرين ، وخليفة خاتم النبيين ، فاجابه ابن خزر بحشد الحشود ، وجمع الجنود ، وانكر عليه ذلك ابوه محمد بن خزر وعرفه انه لا نصير له عن الامام ولا مفر ، وكذلك نهاه اخوه فابى قولهما ، وخرج لنصرة مخلد بن كيداد وقد خذله خالق الارض والسماء ، فكتب ابوه محمد بن خزر واخوه الخير بن محمد بن خزر الى الامام المنصور بالله سلام الله عليه بالبراءة من فعل معبد ، وعرفاه ما ازمع عليه من نصرة مخلد ، وزحف معبد مع فضل بن ابي يزيد الى يشكر ، والى طبنة في ايام حصار الدجّال، واحاطة امير المؤمنين عليه السلام على قلعة كيانة بالخيل والرجال. فرجع فضل ومعبد بالهزيمة والخسارة ، وغلبهما من كان هنالك من جنود الامام عليه السلام، وروابطه الذين ايّدهم الله بالانتصار، ووصل الخبر بهزيمتهم الى الامام المنصور بالله عليه السلام يوم الخميس لاربع عشرة ليلة بقيت من ذي الحجة ، فحمد الله تعالى على ما اولاه ، وسجد له شاكرا على ما رفع من منار الحق واعلاه.

ثم ان مخلد بن كيداد حرّض اصحابه المارقين وذمرهم ، وقال لهم ان عسكر الامام عليه السلام قد تفرّقوا ، واشاع كذبا وبهتانا ان الامام عليه السلام ليس هو في معسكره ، وانه ذهب لجمع العساكر بنفسه، وان المعسكر خال منه ، ونزل المارق الدجّال فيمن معه لثلاثة عشرة بقيت من ذي الحجة يوم الجمعة الى معسكر الامام عليه السلام ، وضرب طبوله ونشر بنوده، فوثب عليهم الاولياء ، وقتلوا منهم ما لم يحص عدده من الرجالة ، وقتلوا من الفرسان ثمانية عشر فارسا، والامام عليه السلام في مضربه لم يبرز للقتال، وعاد الدجّال خائبا خاسرا ، ومن بقي من اصحابه قد اثخنوا جراحا.

ودخلت سنة 336 فكان اول شهر المحرم يوم الخميس ، وفي هذا اليوم عاد فضل بن مخلد بن خزر المارقان الى مدينة طبنة وكان القتال بينهم وبين روابط الامام عليه السلام فيها الى الزوال ، ثم انهزمت المارقة ، فقتل من فرسان ابن خزر خمسة عشر فارسا ، ومن رجالته عدد كثير، وانقلبوا خائبين ، وعادوا مغلوبين لا غالبين ، وما زال القتال بين عسكر الامام عليه السلام والمارقين اصحاب الدجّال والامام يبشر اصحابه بقرب الفرج والظفر ، ويقول لهم : ان لم آخذ ابا يزيد واظفر به فلست ابن فاطمة ا لزهراء ، ولست بامامكم ، وكان ايضا عليه السلام يقول لاوليائه اني البس اليوم الذي آخذ فيه ابا يزيد ثياب مصفرة ، فاذا رأيتموني لبستها فثقوا بالنصر والفتح ان شاء الله.

وزحف المنصور بالله سلام الله عليه بعساكره الى المارقة في قلعة كيانة ، يوم الخميس لثمان بقين من المحرم ، وحين طلعت الشمس ، بعد ان ارسل الى زيري ومن معه ان يزحفوا مما يليهم ، واقتتل الفريقان ، واشتد القتال ، وكان الامام عليه السلام يرتب الناس في القتال ، ويحرضهم ويجلس احيانا على موضع مشرف ينظر القتال ، وعطش الناس فامر عليه السلام بالروايا والقرب فملئت ماء ، وحملت على البغال الى المقاتلين في عسكره ، وبقي القتال الى بعد العصر ، وصبر الناس ، وعظم البأس ، وقتل من الفريقين مقتلة عظيمة ، وعاد الامام عليه السلام الى موضعه في معسكره بمن كان معه ، فلما كان من الغد صبحة الجمعة ، خرج الامام عليه السلام الى القتال ، وخرجت جميع عساكره ، واشتد القتال وتفانى الابطال ، وزحف قيصر وشفيع وزيري فمن معهم من جهتهم ، وطلع قدر ثلاية مائة رجل من العبيد والزويليين من اصحاب حسن بن رشيق الى القلعة ، فهدموا فيها بيوتا ، ثم نزلوا ، فامر الامام لكل رجل منهم بمائتي درهم ، فجعلوها في صرر وطافوا بها في العسكر ، فكان ذلك مما حرّض الناس على القتال.

ولما كان يوم السبت لست بقين من المحرم ، خرج الامام المنصور صلوات الله عليه وقد لبس ثوبا احمر موشى مذهب الاكمام والاذيال ، وعمامة حمراء معلمة الطرفين مذهبة ، وقد ارخى لها ذوابة ، وبيده درقة مغشاة بديباج احمر مسبغ بصفرة ، وامر الناس ان يخرجوا للقتال فاستبشروا بالفتح ، وايقنوا بالنصر ، وعرفوا ان ما وعدهم به الامام قد آن ، وظهر ما اعلنه لهم وبان ، فخرجوا للقتال فرحين متشوقين، وزحفوا باجمعهم على المارقين ، وقد ارسل الامام عليه السلام الى زيري وشفيع وقيصر ان يزحفوا في عساكرهم ، وان يصدقوا العدو في حملتهم ، فتدانى الفريقان، وتقارب الجمعان، واشتد القتال ، وتلازمت الابطال ، وطلعت عساكر الامام في تلك الاوعار، وقد صار المارقون على اعلى التلال يلقون الصخور العظيمة من رؤوسها ، فلا تمرّ برجل ولا دابة الا طحنت ما تمر عليه وصيرته رميما، وغادرته هشيما، واستمر القتال الى نصف النهار، وكل الناس وملوا، وعطشوا ، واثخن الاولياء جراحا ، واخذتهم الحجارة ، وكاعوا عن النزال ، واتبعهم شديد القتال ، فزجرهم الامام عليه السلام واغضبه كلامهم وملالهم ، وكر بنفسه على الاعداء ومعه ثلاث آلاف فارس ، واكثر من عشرة آلاف راجل ، حتى توسط في الوعر الذي لا مسلك فيه للخيل والرجال، فطمع عند ذلك المارقون ، وسولت لهم بالغلبة كاذبات الظنون، وحملوا حملة واحدة منحدرين مجتهدين في قصد الامام غير مقصرين، فارتدع من كان مع الامام عليه السلام ، وانفضوا عنه واسلموه ، وبقي وحده عليه السلام حين قصدوه وتعاوروه بالسيوف والرماح والحجارة ، وثار عجاج مظلم ، ولم يظن اصحاب الامام عليه السلام الا انه قد قتل ، ووصل الفسقة الى الامام عليه السلام ، فتجاذبوا رداءه حتى مزقوه مزقا ، وقبضوا ركابه ، ورمى في رمح فاخذه في درقته ، واصاب صدره ، وضرب فرسه باحجار فمار به حتى كاد الجواد ان يقع ، فثبته الامام عليه السلام ، وحماه الله من المارقين الطغام ، وانجلى الغبار وهو قائم على ظهر فرسه ثم كرّ عليهم في تلك الوعور فولوا الادبار ، وركنوا الى الفرار ، ورآه الاولياء سالما ، ففرحوا بسلامته عليه السلام واستبشروا ، وحملوا على الاعداء وتذمروا ، فحرّضهم الامام عليه السلام وصاح بهم فطلعوا تلك الوعور لم يثنهم فيها ضيق المسالك ووعورتها وحجارها وصخورها ، وافترق المارقون يمينا وشمالا ، وهربوا على وجوههم لا يرومون اقبالا ، وملكت قلعة كيانة قهرا ، وحيزت بالسيوف قسرا ، وتسنمها جنود الامام عليه السلام من كل جانب ودنت من الدجّال واصحابه المارقين النوائب ، وانحاز ابو يزيد الدجّال في اولاده وغزاته وثقات اصحابه في قصر اولي في اعلى ا لقلعة ، وطلعوا يقاتلون في اعلاه ، فامر الامام عليه السلام ان تضرب له فازة في رأس الجبل بقرب قصر الدجّال وجلس عليه السلام عندها يحرض العسكرعلى القتال، واحاطب العساكر في ذورة القلعة بقصر الدجّال رميا بالحجارة الى اعلاه ، ورشقا بالسهام ، وطعنا بالرماح، واطلقوا النار في باب القصر ، والمارقون يقاتلون من اعلاه مصرون على البغي لا يرتدعون عما هم عليه من البغي .

وكتب الامام لمن في القصر بالامان ان اسلموا الدجال ، ورفع اليهم كتاب الامام على رمح فرموا به وتمادوا في الضلال ، فحين اظلم الليل ، وقد كل المؤمنون وملوا لشدة القتال ، حرّضهم الامام عليه السلام وامرهم بالصبر ، وايقاد المشاعل من حول القصر ، وامر بالاحداق به والحفظ كي لا يخرج من فيه والاحاطة به وخرج عليه السلام من فازته ، وبسط له بساط بقرب القصر فبات عليه واوقدت المشاعل بين يديه ، وامر بايقاد ما في تلك الاوعار من الاشجار فصارت القلعة كالنهار المضيء ، وبات الناس على محارسهم والبنود بين يدي الامام منشورة ، والطبول تضرب بين يديه واصواتها عالية مشهورة .

فلما كان آخر الليل حمل المارقون حملة رجل واحد من ذلك القصر ، وقد حملوا ابا يزيد وصاحبه عمار الاعمى بين ايديهم ، فاختلط الناس وقتل من المارقة في تلك الحملة من قتل ، ونجى من نجى ، وسقط من سقط في تلك الاوعار، فكان ممن قتل من المارقة ابو عمار الاعمى ، ويدرس المزاتي ، وجعفر المعروف بالناظر ، وجماعة من وجوه المارقين ، واخذ الاولياء رجلا منهم اسيرا واتوا به الامام فسأله عن مخلد الدجّال فعرّفه انه خرج من القلعة محمولا.

وطلبه الاولياء فلم يجدوه فشقّ ذلك عليهم وغمّهم حتى كأنهم المغلوبون ، وبات الناس على مصافهم حتى اذّن للفجر المؤذّنون ، فقام الامام فصلّى بطهوره من امسه ، لم يغمض ولا اضطجع ، ولا نام ولا هجع ، فلمّا سلّم من صلوته قال : يا اخواننا لو علم الفاسق موضعا اوعر من هذه القلعة لصار اليه، مع ا ن وعد الله حق ، ولو كان مخلد في السحاب لسقط في كفّي ، واوقعه الله في يدي. فهو في الكلام اذ اتوا بابي يزيد اسيرا ، وكان قد خرج في تلك الحملة يحمله اصحابه حتى خلّصوه من المعركة ، ثم ولّوا واسلموه ، فذهب لينزل في الوعر ، وكان اعرج لا يحسن المشي، فسقط في وهدة ثم قام فسقط في اخرى فوهى جسده وشجّ رأسه ، وبقي لا يطيق حراكا ولا براحا ، فلما اضاء الضياء، وقرب طلوع ذكاء، عرفوه فاتوا به مأسورا.

وجاءت البشرى الى الامام ع م فسجد على الارض شكرا لله ، وحمده على ما انعم عليه واولاه، وامر للذي بشّره بالف دينار من العين ، وامر المارق فجعل الى مضرب وحوله ناس يمسكونه، وهو من الضعف والجراح لما به ، وقد احاط به الناس يهلّلون ويكبّرون ، ويحمدون الله سبحانه ويشكرون، كيف صيّر ذلك اللعين الى الذلّة بعد ان اخذته العزّة بالاثم وكان على ما كان عليه من التجبر، فاوقعه الله في يد الامام اسيرا ، واصاره لديه ذليلا حقيرا.

وركب الامام على دابّته ، والسرور يظهر على اسرّة وجهه ، وقد بلّغه الله من مرامه الى كنهه، ونصره على المارقين الكافرين، وايّد الله الذين آمنوا على عدوّهم فاصبحوا ظاهرين، وهو عليه السلام يكثر الحمد لله والشكر ن ويخضع له سبحانه تواضعا في السرّ والجهر، غير طائش لفرح ، ولا تائه ذي مرح، فلما انتهى الى فسطاطه ، التفت الى الناس وهم به محدقون ، واليه من كل وجهة يرمقون، فقال:يا اخواننا ، اذهبوا الى مضاربكم ، واستريحوا من تعبكم ، واكثروا من الحمد والشكر لله ربكم، فان الله قد فرّج عنكم واراحكم من عدوكم ، وانتقم لكم منه جزاء بما ارتكب منكم، وله في الآخرة عذاب النار بما قدّمت يداه ، والله سبحانه المحمود المشكور على ما انعم به واولاه، ودخل الامام عليه السلام الى الفسطاط فنظر الى الدجّال ملقى في الارض فصرف عنه وجهه وامر بدوائه وعلاجه .

وكتب الامام عليه السلام بخبر الفتح الى الاعمال ، ويبشّرهم بما اعطاه الله من الظفر وامكنه من عدوه الدجّال، ومن ذلك ما املاه بنفسه فكتب الى قدّام الصقلبي عامله على المنصورية والقيروان:

باسم الله الرحمن الرحيم ، وبه نستعين،

من الامير اسماعيل ولي عهد المسلمين ، وابن امير المؤمنين، الى قدّام.

سلام عليك ، فانا نحمد اليك الله الذي لا اله الا هو ، ونسأله ان يصلي على محمّد عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى عترته الاطهار الطيبين ، الاخيار الطاهرين.

والله اكبر الله اكبر لا اله الا الله

والله اكبر الله اكبر ولله الحمد والشكر رب العالمين ، الذي نصر عبده ، وانجز وعده .

وتفرّد بالمنن على عبده السابغات الكاملات ، فاظهرني تبارك وتعالى متوّجا بعزه ، رافلا في حلل كرامته ، مبوءا من الفخر ذراه، ومن المجد اعلاه ، واذ زاغت الابصار وبلغت القلوب الحناجر ، وظن العباد بالله الظنون، فجلا بي الظلام ، وانقذ بي الانام ، وثبّت بي الاسلام ، وجمع بي الامة بعد الفرقة، وامّنهم بعد الخوف ، واعزّهم بعد الذلّ، وحقن بي الدماء ، وسكّن بي الدهماء ، وعمّر الخلاء ، وايّدني من نصره واعزازه بما اعترف لي به المؤمن المساعد ، والكافر المعاند، لقصر طول المخلوقين وقوّتهم عن بلوغ شيء مما املوه ، ودرك قليل حاولوه ، فضلا عن هذه النعم الجليلة ، والمنن الجميلة ، التي قصرت عنها الآمال ، وغضت الابصار ، وانقطعت الاطماع عن درك بعضها ، فاصارها ع ج الي كلّها ، ورآني اهلها ، وتوحّد بالنعمة علي ، ولم يجعل لمخلوق عليّ منّة، تشريفا لقدر عبده ، ابن محمد رسوله ، على ملوك الدنيا وعبيد الهوى الذين لها يسعون ، وعليها يتناجزون ، وبعارها ينقلبون.

فلم ازل منذ انتصبت للجهاد في سبيله ، وابرزت نحري دون دينه ، باذلا نفسي ، متعبا جسمي، مستصغرا كل عظيم ، ركّابا لكل هول متعرّفا من الله اجل الصنع واكمل التوفيق في كل وجه امّمته ، ورأى رأيته ، وموقف حرب وقفته ، الى ان اتمّ الله عليّ النعمة واكمل المنّة بالامكان من عدو الله الخاسر ابي يزيد ذليلا اسيرا ، بعد حرب كانت بيننا وبين ثلاثة ايام متواليات لم يكن قبلها مثلها ابدا .

بدأناه بالزحف يوم الخميس لثمان بقين من المحرم عند طلوع الشمس ققاتلناه قتالا شديدا الى بعد العصر ، ثم عاودناه القتال يوم الجمعة باهول من القتال الاول واصعب الى بعد العصر ايضا ، وصابحناه يوم السبت فايقنوا بالهلاك واستماتوا ، واشتد القتال في وعر شديد ، فجعلوا يلقون علينا الصخور العظيمة ، لا تمرّ بفارس ولا راجل الا طحنته واصارته رميما ، فلم يزل القتال من اول النهار الى ضاحيته ، وكل الناس وملوا ، ولهثت الخيول من حر يسقط اطيار الجو ، وتقطّع الاولياء جراحا، واثخنوا بالحجارة ، وهابوا الاقدام وكاعوا ، فاغضبني ذلك وزجرتهم واوعدتهم ، وتقدّمت اليهم بمطحّية فيها اكثر من ثلاثة آلاف فارس و نيف على عشرة آلاف راجل ،

ورأى العدو اقدامي عليهم فايقنوا بالموت وانهزموا بين يدي ، حتى اذا توسطت الوعر الشديد الهائل البهيم ، ظنوا انهم قد ظفروا بما دبروه وحملوا علي حملة رجل واحد وارتدع لها كل من معي واسلموني . فقصدني الفسقة وتعاوروني بالسيوف والرماح والحجارة ، وثار عجاج مظلم طبّق الارض، فوصلوا اليّ حتى تجاذبوا ردائي فمزّقوه وقبضت ركابي ، ورميت في تلك الحملة برمح اخذته في درقة عند صدري ، واثخنوا فرسي بضرب صدره وناصيته بالحجارة ، ومار بي يمينا وشمالا ، فوثقت بالله ربا، وطبت بالشهادة في سبيله نفسا ، وقلت :يا نفس حبّذا والله موقف عشت بعده عزيزا حميدا ، او رحت منه شهيدا سعيدا ، الى لقائي جدّي رسول الله ، فوالله ما ثنيت عنهم عنانا ، واني لمنفصل في غلالة ورداء ودرقة ، وما هو الا ان تجلّى الغبار فرأوني في وجوههم فانهزموا وولّوا الادبار ، واتّبعتهم وحدي في وعر لا مسلك للخيول فيه ، ورآني الاولياء فاستيقنوا بسلامتي فعطفوا عطفة واحدة وصحت بهم وحرّضتهم فاستأسدوا عليهم ، واجتززنا منهم في تلك المعركة زهاء اربعين رأسا ، وافترقوا في هزيمتهم يمينا وشمالا ، وملكت القلعة بالسيف قهرا ، وعنوة وقسرا.

وانحجر اللعين ابو يزيد وولده وغزاته واصحابه وثقاته في قصر اولي في ذروة القلعة اشبه شيء بعرف الديك ، فاحاطت به الجيوش من كل ناحية ، رميا بالحجارة ، وطعنا بالرماح ، ورشقا بالسهام، واشعالا بالنار في ابواب القصر، والفسقة مصرّون على كفرهم وبغيهم وغيّهم ، فكتبت لهم في ذلك المقام كتابا منشورا بامانهم ان هم خرجوا الي واسلموا اللعين، وعرفت ان جهلهم وعماهم يحملهم على كفر النعمة ، وان بكفر النعمة اجتلاب النقم ، واردت بذلك الاستظهار بالحجة عليهم عند الله تعالى ذكره ، فاخذوا الكتاب فمزّقوه ، فاول من مدّ يده الى تمزيقه اصابه سهم في نحره فخرّ ميتا.

وتمادوا على الاصرار واستماتوا ، والحّ الاولياء في قتالهم ، وهم من ذلك القصر في حصن منيع لا يرام الى الظلام ، فامرت بايقاد المشاعل وبتّ ليلتي كلها ساهرا ، وبنودنا خافقة ، وطبولنا هادرة ، ورجالنا على الركب، وسيوفهم على عواتقهم ، فلمّا كان آخر الليل ، حمل اللعين واصحابه من ذلك القصر حملة واحدة كالخنازير، فاختلط الناس فقتل في تلك الحملة من الفسقة من قتل ونجى من نجى ، فكان ممّن قتل ابو عمّار الاعمى ، ويدرس المزاتي ، وجعفر المعروف بالناظر ، ونجى من نجى منهم متراميا بنفسه من اعلى القلعة الى وعر شديد هائل ، واخذنا منهم اسيرا فعرّفني ان اللعين خرج من القلعة هاربا ، فلم اصدّقه وامرت الاولياء بالثبات على مصافّهم وتعبئتهم حول ذلك القصر.

ولم ازل قائما حتى لاح ضياء الفجر ، واذا اللعين قد جرح في تلك الحملة فحلمه ثلاثة من اصحابه حتى خلّصوه من المعركة ، ثم ولّوا واسلموه ، فذهب لينزل من القلعة فسقط ثم قام ليلحق باصحابه فسقط سقطة اخرى اوهت جسده كله ورأسه فلم يستطع حراكا ولا براحا ، فبقي ملقى على ضفة الوادي ، فاُتينا به اسيرا بحمد الله ومنّه ، وصنعه وعونه ، عند صلوة الفجر من يوم الاحد لخمس بقين من المحرّم ، ورأيت من سوء حاله وما اصاره الله اليه من الذلّ واحلّه من النقمة ، ما في بعضه شفاء للغيظ وابراد للغليل. فحمدت الله وشكرته ، وتوثّقت من اللعين ، وامرت بمداواة جراحه ، والرفق به الى ان اصل به الى المهدية ان شاء الله .

فاحمد الله انت ومن قبلك من رعايانا، واكثروا معاشر العباد من الشكر لله ، وتصدّقوا الى الله بعتق الرقاب ، والصدقات من اطيب اموالكم وازكاها واحلها مكسبا ، واذكروا ما كنتم فيه امس ، وما اصبحتم فيه اليوم من العزّ بعد الذلّ ، والامن بعد الخوف ، والطمأنينة بعد الروع ، والاجتماع بعد الفرقة ، والدعة بعد شدة المحنة بعدوّ الله وعدوّ رسوله ودينه ، يسمّيكم مشركين ويحكم في المسلمين بحكم فرعون ، فاحمدوا الله على ما صرف عنكم ووهب لكم مما جمّل رأينا فيكم ونوايانا اليكم من الاحسان ا ليكم والى قربكم ، والدفاع عنكم ، وتحصين حرماتكم وحقن دمائكم ، متحملا في ذلك ما لم يتحمّله قط ملك غيري ، واهوالا لم يقاسها احد غيري ، لم ارد بذلك من المخلوقين جزاء ولا شكورا ، الا القربة الى الله تعالى ذكره ، والزلفى لديه والرغبة عنده .

فلله الحمد على انجاح سعيي وتبليغي املي ، واياه اسأل ، واليه ارغب في العزم على اداء شكره، وتوفيقي لما يرضيه ، حسبي الله ونعم الوكيل، والسلام عليك ورحمة الله ، وكتب يوم الاحد لخمس بقين من المحرم سنة ست وثلاثين وثلاثمائة ، والحمد لله رب العالمين.

واكثر الامام من الصدقات على من في عسكره من اولي المسكنة والحاجات ، وكتب الى عمّاله في الآفاق يعرّفهم ما اعطاه الله من النصر ، واولاه من الامر ، ويأمرهم باظهار الصدقات من ماله وانفاقها على ذوي الحاجات والمسكنة في كل صقع ومكان، حتى استغنى اولو الفقر ، وكثر ما في ايديهم بفضل ولي الامر.

وكان مما كتب الى جوذر الاستاذ عبده وغذي نعمته ونعم آبائه الذي اختاروه واصطفوه ، وكان عندهم في المكان المكين ، والمنزلة الجليلة ، يعرّفه الامام ع م ومن قبله بما منّ الله عليه واسدى اليه من الفتح الجليل واسر الدجّال، وما انعم عليه به ربّه الكبير المتعال ، ويأمره ببثّ الصدقات والاموال، على من كان في المهدية واعمالها ، وان يعم بذلك غنيهم وفقيرهم ، وداخل السجل رقعة بخطّ الامام فيها:

يا جوذر ، اسعدك الله بطاعته وتولاّك بكفايته ، انّا قد اوجبنا على انفسنا من الصدقات وفعل الخيرات شكرا لله على ما انعم به علينا من هذا الفتح العظيم قدره ، الجليل قدره ، ما قد نفذ به امرنا الى كل عامل بما يعمل به من جهته حسب ما رسمناه له ولك ، صانك الله بما يمتثله في اخراج ما رسمناه من الصدقة على الفقراء بالمهدية ومن حولها.

لكنا لم نجد في باب العتق ازكى عملا ، ولا اقرب قربانا عند الله ع ج من عتق رقبة مؤمنة طاهرة زكية مثلك ، فانت حرّ لوجه الله العظيم ، ورجاء ثوابه الجسيم ، قد اعتقت جسمك وروحك في الدنيا والآخرة ، وسميناك تشريفا لك بمولى امير المؤمنين ، فاجعل مكاتبتك لمن كبر قدره وصغر من جميع الناس من جوذر مولى امير المؤمنين الى فلان بن فلان ، ولا تكنِّ احدا ولا تقدّم على اسمك اسما الا اسم مولاك ابي تميم ، استودعه الله وبارك في عمره

فكان ذلك من تشريف جوذر ، وما خصّه الله ووليه به ،فبان فضله وعلى عند اولياء الله محلّه، وكان الى انتهاء عمره يكاتب من على ودنى بما خاطبه به الامام ، ولا يتواضع الا لامامه الذي فرض الله ولايته ، واوجب بعد طاعته وطاعة رسوله طاعته ، او لولي العهد الذي هو حجة الامام ،والمستحق بعد وفاته لعظيم المقام.

ولمّا كان بعد يومين من اخذ ابي يزيد امر الامام المنصور بالله ع م باحضاره اليه لاقامة الحجة عليه. فحين دخل على الامام قال : السلام عليك

فقال له الامام : السلام على من اتّبع الهدى ، ولا سلام على من كفر وعصى

فسكت مخلد ، فقال له الامام : اي عدو الله كيف رأيت صنع الله ؟ الم ينصر الحق على قلة انصاره ، وخذل الباطل على كثرة اعوانه ؟

فطأطأ رأسه ، فقال له الامام ع م : واذ زيّن لهم الشيطان اعمالهم وقال لا غالب لكم اليوم من الناس واني جار لكم ، فلما تراءت الفئتان نكص على عقبيه وقال اني بريء منكم

فرفع مخلد رأسه وقال : اقدرك الله والعفو اولى لك

قال الامام ع م : اي عدو الله تشتم امير المؤمنين علي ابن ابي طالب عليه السلام ؟

قال : معاذ الله وكيف اشتم عليا ،ونحن حزبه الذي نصرناه على اهل الشام ؟

قال له الامام ع م : او كان علي محتاجا الى نصرك ؟ كلا والذي فضّله وكرّمه سيف علي ناصره،والله مؤيده لا انت ولا غيرك.

فافحم عن الجواب. فقال له الامام : او لم تشتم من هو خير من خيرات علي

قال المارق :ومن هو خير من خيرات علي عندك ؟

قال الامام : امير المؤمنين ابو القاسم ، الذي جمع الله له شرف النبوة والامامة بمحمد وفاطمة صلوات الله عليهم .

قال : معاذ الله لا والله ما شتمته

قال له الامام : كذبت

قال : باي شيء كذّبتني وانت لم تسمع ذلك مني؟

قال الامام : ان لم اسمعه فقد سمعه كافّة اولياءنا من اصحابنا.

قال مخلد : بلى قد كانت معي عامة لا خلاق لهم .

فقال الامام ع م : تكلّم آمنا بملء فيك ما الذي نقمت فيه على امير المؤمنين ؟

فسكت ، فقال له الامام ع م :تكلم

فسكت ايضا ، فقال له الامام :والله لتقولن

فرفع المارق رأسه ثم قال : نعم كان ابو القاسم كريما حوله قوم سوء هجّنوه .

قال الامام ع م : بما ذا ؟

فسكت ، فقال له الامام ع م :لتقولنّ.

قال المارق : هذه القبالات التي فيها الجور على المسلمين. فقمت منكرا لذلك اريد اصلاح امور الناس.

قال : فهل علمت ان ذلك عن رأي امير المؤمنين وامره ؟

قال المارق : لا اعلم الا انهم قد فعلوا .

قال : فهلا كنت تشكو ذلك الى امير المؤمنين وتطلعه عليه ، فان غيّر المنكر كان الذي اردت ، وان هو لم يفعل اتخذت بذلك عليه الحجة ؟

فسكت ، قال الامام ع م : وانما قمت كما زعمت للاسلام محتسبا؟

قال : نعم

قال : فهل غيّر الاسلام ونقض شريعة محمد صلع وبدّل واهلك امتته غيرك؟

قال : وكيف ؟

قال الامام : وكيف ايضا ؟

قال :نعم وكيف ؟

قال الامام ع م: بما ارتكبت من المحارم ، وصغّرت من العظائم ، وسفكت من الدماء ، وهتكت من الحرمات.

قال المارق : ذلك من اقوام سوء اتبعوني

قال الامام ع م : عن معرفة منك ام عن جهل؟

قال : بل عن جهل منّي بهم .

قال الامام ع م : اولا يوجب عليك فعلهم حجّة عند الله ولا عند عباده ؟

قال المارق : لا

قال الامام : اذا كنت لا ترى الحجة عليك واجبة بفعل اصحابك فمن اين رأيت الحجة واجبة على امير المؤمنين بفعل عبيده في اقصى البلدان؟ وملكه بحمد الله اوسع من البحر الذي فيه الجواهر والغثاء ؟

فسكت المارق . فقال الامام : ما تقول في بني كملان هؤلاء الخاصّة؟

قال : قوم سوء ملاعين.

قال الامام ع م : قد نقضت قولك ، واكذبك لسانك اذ زعمت انّك جاهل باهل الشرّ من اصحابك ، ثم هذا قولك في بني كملان ، وهم عمدتك وعقدتك ، وآخر من حصل معك من اصحابك اصحاب الشيطان ، ويل لك من الله .

قال المارق : فاني اتوب على يديك

قال الامام عليه السلام : برئت الى الله منك ، لم نقضت اعتقادك وخالف قولك فعلك ؟

قال : بما ذا ؟

قال الامام : بالفرار من الزحف . فهو من الكبائر عند اولياء الله ، وعندكم ايضا اعداء الله ، وانت القائل ان الموت اشهى عندك من الحيوة ، والضامن لاصحابك انك لا تنهزم ابدا .

قال : ومتى انهزمت ؟

قال له الامام عليه السلام : الم تنهزم من سوسة ، ثم من القيروان ، ثم من تامديت ، ثم من دامران ، ثم الى قدورة والى ارض السودان، ثم الى الجبال ثم الى تامروت؟

قال : لم اهرب ، ولكنّي دخلت الغرب

قال الامام ع م : دخلت الغرب بشدودك رواحلك من القيروان ورحلت مشتهيا لدخول الغرب؟ بل اخرجك والله ابن رسول الله صلع بذي الفقار سيف جده ، صاغرا قميئا مهزوما ذليلا خازيا خائفا طريدا . فدخلت الغرب بزعمك والله وصغارك بعار الامد وخزي الابد في الدنيا ، ولعذاب الآخرة اكبر.

فسكت المارق واطرق . ثم قال الامام ع م : لم استعملت الكذب الذي هو عار ونار؟

قال : ومتى كذبت؟

قال الامام ع م : ومتى صدقت ؟ اوليس من كذبك وزورك كتابك بالامس الى الاموي الشقي فيه انك حصرتني وقتلت رجالي واخذت فازتي ، واني محصور بمدينة مسيلة ؟

قال : ما كتبت بهذا .

قال الامام : يا غلام احضر كتبه التي اخذناها مع رسوله منذ ايام بطوابعها .

فانقمع المارق وتلجلج لعلمه بما في كتبه وقال : العفو العفو

قال الامام : دعها يا غلام ، ثم قال له : وايضا تصف نفسك بالعقل والدهاء ، وترى نفسك لتدبير الحروب وقود الجيوش وسياسة الامور، وامرأة من جهلة الناس اعقل منك ؟

قال : من هي ؟

قال الامام : امرأتك التي حذّرتك سوء العواقب ، وامرتك بما لو اطعتها فيه لكان في طاعتها رشدك، من النزول اليّ والاعتراف بذنبك والتوبة الى الله تعالى ربك ، واعلمتك انك ان لم تفعل كنت مأسورا ،وان الله لا يدعك حتى يأخذك بكبير جرمك وعظيم ذنبك .

قال المارق : لقد قالت ذلك .

قال الامام ع م : اتدري بم بلغت ما بلغت على خساستك ونذالتك وسقوطك وخمولك وجهلك؟

قال : للقيام لله .

قال : معاذ الله من قام لله نصره الله ، ولن يقوم لله الا اولياء الله

قال : فبما ذا تقول ؟

قال : بهوانك والله على امير المؤمنين ،وانك تعلم انه لو برز اليك لدقّ عنقك ووقص ظهرك ، وانقضى مذ حين امرك ، ولكنه ابى ذلك ، احتقارا لك واستصغارا لشأنك ، ولقد سمعته يقول : لو اخذ عدو الله بحلقتي هذا الباب ما خرجت اليه ، ليقضي الله امرا كان مفعولا ، وليبتلي الله المؤمنين فيمحق الكافرين . والذي نفسي بيده لينجز الله وعده لنا ، ولو كره المشركون.

فسكت ، قال الامام عليه السلام : قد اخذتك بالسيف قهرا وصرت في يدي قسرا ، اسيرا بلا عقد ولا عهد . فلاقتلنك قتلة هي اضر عليك من كل قتلة .

قال : كيف ؟

قال الامام ع م : بالاحسان اليك والافضال عليك والرفق بك ، ثم لا ينالك من عقوبتي شيء اكثر من سجنك في دار واسعة ورزق جار لتعلم اني ولي الله وابن رسوله ، وان الله فضّل اخلاقنا كما طهّر اعراقنا ، ليكون ذلك قاتلا لك غمّا وهمّا ، وحسرة وكمدا على ما فاتك من الفوز بطاعتنا ، وعلى ما اعد الله لك من العذاب بمعاندتنا ، ومن انت ايها الكلب ؟ فوالله ما في قتلك درك من فوت ، ولا شفاء من غيظ ، اخزى الله دولة لا يحييها الا موتك ، خذوه.

فاخذه الخدم وهو ثقيل دنف وهو يلتفت ويقول : جزاك الله خيرا ، جزاك الله خيرا ، فعلت ما يشبهك ، سلام الله عليك .

واشتدت بالدجّال العلة لما ناله من السقوط ، فمات قبل الفجر سحرا لليلة بقيت من المحرم سنة ست وثلاثين وثلاثمائة ، والامام في معسكره ، فامر الامام عليه السلام به فسلخ جلده وحشي بالتبن بعد ان اخرجت احشاؤه وملّح وعولج حتى ظهرت صورته كأنها ناطفة ، وجعل في صندوقين طويلين وامر الامام بحمل الصندوقين فكان اذا ورد مدينة امر باخراج ذلك الجلد ويحمل على جمل ، ويلبس شيئا على رأسه ورجل يمسكه من خلفه كي لا يميل وينادى عليه وعلى كتفه وصلبه قردان يصفعانه ويلعبان عليه.

وفي ذلك يقول محمد بن ناسك التونسي من قصيدة له طويلة :

ففاضت على غير مأملة \* وقد كثّر الله اوزارها

فاركبت تمثاله بازلا \* يعر المطي واكوارها

وزامل قردين فوق البعير \* كاسرى تفاوض اسرارها

فما يرعيان له حرمة \* اذا ما القرود رعت جارها

وقد علّما قبل ان يلقياه \* وحدّا الاكف واظفارها

فيا هامة غادرا صحنها \* وقد هتك الصك استارها

ويا لحية ذاك يلهو بها \* وهذا ينتفّ اوبارها

اتيت به خاسئا حاسرا \* يزور القرى لا كما زارها

وقال علي بن محمد الايادي الشاعر يذكر ارتقاء مخلد بن كيداد الدجّال المارق الى قلعة كيانة وما كان من المنصور بالله عليه السلام امكن الله منه واسره ، ويصف كيف فعل بعد ذلك به ، حيث يقول من قصيدة :

فارتقى الملعون من خيفته \* في ذرى اعيط عال مصطعد

في ذرى خلقاء ملساء على \* ذلك المعقل ليست بصدد

معقل من فوقه الله له \* يوم طعن كشآبيب البرد

واثقا بالله في غير غربته \* عن بني احمد ناء منفرد

فاذا مخلد في كفّ الردى \* موثق الجيد بحبل من مسد

قد رمته الحرب عن غاربها \* واهي الركن ذليل المستند

كنفيض اخرجته امّه \* ليس الا نبض روح وجسد

فاوى من كرم المنصور في \* كنف رحب وخفض ورغد

طلبا منه لبقيا روحه \* وبقاء الروح اشفى للكمد

فابى الله سوى اعجاله \* وعذاب الله للوغد اهدّ

فنضى عنه اديما دنسا \* كان قد اسرف فيه ومرد

كاديم التيس لمّا لم تطب \* ريحه جرّد منه فانجرد

وحشاه سالخوه سعفا \* مالئا ما بين كعب وكتد

ثم رقّاه على مستحصد \* باسق اجرد ما فيه اود

وكان الشاعر الفرازي ايام غلبة مخلد الدجّال المارق قد مدحه وهجى الائمة عليهم السلام فقال ابو محمد عبد الرحمن العتقي يحرّض المنصور عليه السلام على الفرازي:

امنصور هاشم من لا يحبّ \* حياتك لا صحبته الحياة

وعاجله قبل ان ينتهي \* الى امد يبتغيه الممات

ايمشي الفزاري فوق التراب \* واظفاره فيكم داميات

وسبّكم زلل لايقال \* فهل تغفر الزلل الموبقات

فاين بوادرك المهلكات \* واين عزائمك المنجزات

ارح منه ملكـك لا تبقه \* فافعاله كلها منكرات

وجاز اللعين بافعاله \* فآثاره فيكم باقيات

وقال ايضا يحرّضه عليه :

ايظنّ وغد فزارة ظنّ امرئ \* جهل العواقب وهو لا يتفكر

ان الذي ارتكب اللعين وناله \* من اهل بيت الوحي ذنب يغفر

هيهات تلك حنية مطويّة \* فاذا اتى الاجل الموقّت تنشر

والله ما المنصور عنك بغافل \* لكن تبيّنت الذي يتدبّر

فوافى الفزاري الامام المنصور بالله عليه السلام تائبا مستغفرا متنصّلا من ذنبه معتذرا وانشده القصيدة الفزارية المعروفة التي اولها :

لعمرك ما اوس بن سعدي بقومه \* ولا سيّد الاوبار قيس بن عاصم

ولا كان ذو الجدّين بين كتائب \* لهاميم من بكر وحيّ اللهازم

ثم ذكر كبراء العرب وملوكها وذوي البأس منها الى ان قال :

ولا كان قعقاع بن شور اذا اجتبى \* جليس له لم يشق بين الاقاوم

بامنع منّي في جوار خليفة \* عطوف على اهل البيوتات راحم

كريم الايادي والمساعي نمت له \* ابوّة صدق من ذؤابة هاشم

شريف الاداني والاقاصي مقدّم \* اذا ما عددنا فضل اهل المكارم

له من امام المرسلين وصنوه \* علي معال ثابتات الدعائم

معال هي الفخر الصحيح وغيرها \* معاني مجاز بين واه وسالم

ومن ذا يقيس الشمس في رونق الضحى \* الى كوكب في غيهب الليل عاتم

وما عذر مشحوذ اللسان مثقّف \* يرى الشكر في الانعام ضربة لازم

ابيت امير المؤمنين سوى التي \* يزيد سناء ذكرها في المواسم

تقى وندى ما بين حلم ونجدة \* وعفو وامضاء على كل ظالم

وكذّبت اطماع البغاة فادبروا \* لاعقابهم ما بين خاز ونادم

رجوا من فساد الملك ما اطمعتهم \* امانيهم والله ليس بنائم

فصبّ عليهم محصدات كأنها \* شآبيب قطر واكف الغيم ساجم

ولولا حذار من عقابك ارجفوا \* فعافوا وعاف الناس طير الاشائم

واني لادري ان ابغض من نمى \* اليك وان اولاك نصح مداوم

ظلوم وكذّاب المقال وفاجر \* وباغ وعات مستحل المحارم

وللكذب المشنوء في القلب سورة \* اضر من الداء العياء الملازم

امنت بك النكد اللئام وبغيهم \* وتسوية من جاهل غير عالم

بقافية لو حصلت لتطايرت \* شعاعا ولم تثبت على فكر ناظم

ايحسبها المغرور تنشد بعده \* وتنقل من قرطاسها المتقادم

وما هي الا كالقسي متى انحنت \* اعاليه يطرح من جياد الدراهم

وان التي انشدتها بثنائكم \* محبّرة ما دام نسل لآدم

رأيت عدوا باسما غير عابس \* وكان زمانا عابسا غير باسم

يكاسرني والعين اعدل شاهد \* على غيب ودّ او دفين سخائم

وكان غراب البين قد طار قلبه \* يهزّ ذناباه كسير القوادم

واني لارجو منك اجرا يقرّني \* على رغم مجدوع المعاطس راغم

ولا شيء الا في يد الله ان قضى \* بها بسرت في كف اروع صارم

ومدّ بها الوهّاب نفسا كريمة \* معوّدة بذل اللهى والكرائم

فمثلي يبقى شكره وثناؤه \* ومثلك يرجى للامور الجسائم

يغنّي بها الركبان في كل بلدة \* وتحدى بها خوص الركاب الرواسم

فعفى عنه المنصور بالله عليه السلام ووصله وحمله على جواد واجرى عليه واحسن اليه .

وامر امير المؤمنين المنصور بالله اسماعيل بن ابي القاسم القائم بامر الله ص ع بالسلام عليه بامرة المؤمنين بعد ان اظفره الله بمخلد المارق الدجّال اللعين ، يوم الخميس ليلية بقيت من المحرم سنة ست وثلاثين وثلاثمائة ، فنادى المؤذنون قبل الاذان لصلوة الظهر : السلام عليك امير المؤمنين ورحمة الله وبركاته ، وانذروا بالصلوة والناس في غفلة ، فسرّ الناس وجاؤوا يهنئونه بالخلافة ، فحدّثهم حديثا طويلا، ووعظهم ووعدهم جميلا ، وخرج الناس من عنده واثقين بعدله مستبشرين بما ظهر لهم من فضله ، وامر عليه السلام بانشاء الكتب الى الامصار والاعمال بانه امير المؤمنين ، فكان مما انتسخ من ذلك بعد البسملة والحمد لله والصلوة والسلام على محمد النبي وآله الطاهرين قوله الى عامل افريقية :

ولم يزل امير المؤمنين يأخذ نفسه بطي ما آتاه الله من شرف الخلافة التي اصطفاه بها ورآه اهلا لها، وفخر الامامة التي جلّله الله سرابيلها منذ اصار ذلك اليه ، للذي قدّره امير المؤمنين من ايثاق عرى الايمان ، وتحصين بيضة الاسلام ، ولما كان شاغلا به قلبه ، معملا فيه نفسه ، ناصبا بدنه ، مستفرغا وسعه ، من الجهاد في سبيل الله ، والتوغّل في طلب الفاسق اللعين مخلد بن كيداد من المفاوز والرمال، والشعاب والجبال ، لا يأخذه ونى ولا تلحقه سآمة حتى يأخذ لحق الله من باطله ، ولدينه من افكه ، ويطهر الارض من رجسه ونحسه ، وكره امير المؤمنين اظهار ما اختاره الله تبارك اسماؤه لوليه الامام القائم بامر الله ص ع من النعيم المقيم ، والثواب الكريم ، وما اصاره الله من سعة رحمته وبحبوحة جنته مع انبيائه المصطفين ، وآبائه الخلفاء المهديين ، صلوات الله عليهم اجمعين، فيجد الكافر عند وقوفه على ذلك راحة ، ويظهر لوفاته ص ع شماتة ، فرأى امير المؤمنين اخفاء ذلك الى وقتته ليهلك الله الكافر بغيظه ، ويميته بحسرته .

فلما انجز الله لامير المؤمنين وعده ، واعزّ جنده ، وافلج حجّته ، وامكنه من عدو الله وعدو نبيه ، وبسط فيه يديه وامضى امره ، شفى غليل اوليائه المؤمنين بما اراهم فيه من القلّة والذلة ، وسوء الحال وكسوف البال ، واقرّ عيونهم واذهب غيظ قلوبهم، وازدادوا بصيرة الى صافي بصائرهم ، واهلك الله تعالى الفاسق، وقطع مدّته ، واراح الارض من كفره ، واصاره الى اليم سعيره وجحيم ناره ، وتمّت كلمة ربك الحسنى لوليه ، احبّ امير المؤمنين ابداء ما اختصّه الله من كرامته ، وآثره من مرتبته من بهاء الخلافة وسناء قدرها وجلالتها ، ونافذ سلطانها ، وساطع برهانها ، والتسمي بها ، والاشهار بما حباه الله من فخرها ، وامر بانشاء الكتب الى جميع الآفاق على الرسم النافذ اليك من صدر كتاب امير المؤمنين ، فاستمرءت به الالسن ، وحسن الاثر وطاب الخبر وانتظم امر الدين وقامت شرائعه ، وخابت نائرة اهل الالحاد فيه والصدود عنه ، وازال الله من قلوب الديّانين ما كان خامرهم ، ورجع الى الحق نافرهم ، وانقمع الباطل واهله ، وارتج الكفر وسبله ، واصبح الحق بامير المؤمنين ظاهرة اعلامه، وسراج الدين ساطعا برهانه ، ووقعت الامور بالرفق والتعديل ، وجرت المجرى الحسن الجميل

ورأى امير المؤمنين اعلامك ما منحه الله من تطوّله، واختصه به من فضله، لتحمد الله تعالى عليه وتتقدم في اذاعته واشادته فيمن قبلك من الاولياء والعبيد والرعية ، ليتصل سرورهم ويتجدّد لله تعالى شكرهم ، ويحمدوا الله على ما منحهم ببركة ايام امير المؤمنين من الاعتناء بامورهم وصلاح شؤونهم، وبثّ العدل في كافّتهم ونفي الجور والظلم عن حاضرهم وباديهم ، وعلى ما جمع الله لهم في هذه الدعوة الميمون طائرها ، السعيد شكورها ، من السلامة والالفة والاستقامة استئثار الرفاهية والدعة والسعة وسكون الدهماء ، وحقن الدماء وصلاح الخاص والعام.

فاقم الدعاء على جميع المنابر بكور افريقية واعمالها وجميع البلدان والآفاق ، افضل واكمل ما دعي به للائمة المهديين، صلوات الله عليهم اجمعين ، ومر باثبات ذلك في الطراز وفي دار الضرب فيما قبلك.

واكتب الى امير المؤمنين بخبرك وخبر من قبلك واتصال مسرّتهم واعترافهم بفضل الله تعالى عليهم ببركة دولة امير المؤمنين واظهار دعوته وسعد طلعته ويمن طائره، ان شاء الله ، والسلام عليك ورحمة الله.

فاستبشر الناس في الآفاق والاعمال باخبار الدولة الشريفة المنصورية ، وبما مكّن فيه لولي الله ، عليه والصلوة والتحية.

وجاء معبد بن محمد بن خزر وقد اجتمع اليه البربر ومن كان انضمّ الى مخلد الدجّال فاجتمعت اليه جنود كثيرة فوافى بها الى الجبال والتلال التي حول معسكر امير المؤمنين المنصور بالله عليه السلام ، فوافى الدجّال قد قضي امره ، وحاق به مكره، وذاق الوبال ، وحاق به من الله النكال ، وحين اجتمع مع معبد من اجتمع امر امير المؤمنين المنصور بالله عليه السلام الى زيري بن مناد وقيصر وشفيع الخادم وقد كانوا صاروا الى المسيلة ، فوصلوا الى امير المؤمنين فوافوه يوم الجمعة ، وقد برز عسكر الامام الى عسكر معبد ، ومنح الله اولياءه الظفر عليهم فهزموهم هزيمة فاحشة وقتلوا منهم مقتلة عظيمة .

ورحل الامام ع م ثاني وصولهم يوم السبت ثاني صفر من معسكره مؤيدا منصورا مظفرا محبورا ، وقد اذلّ الله له الظالمين، ومكّنه من المارقين ، وايّد الله الذين آمنوا على عدوهم فاصبحوا ظاهرين. فلما اخذ الناس في الرحيل ، زحف معبد بن محمد بن خزر في من معه ، وسار في ساقة عسكر امير المؤمنين عليه السلام وماج الناس ووقع القتال ، فامر امير المؤمنين بشرى الخادم ومن معه من العسكر بحفظ ساقة العسكر ، وكمن زيري بن مناد للمارقين، فحين وصلوا اليه خرج عليهم الكمين وثار في وجوههم ن فقتل منهم جماعة وكفوا عن القتال ، ووصل امير المؤمنين الى المسيلة فاقام بها سبعة عشر يوما ، ووافته من كتامة هناك عساكر عظيمة ، وامر باخراج جلد الدجّال وطيف به على جمل في مدينة المسيلة .

ووافى امير المؤمنين ع م بنو كملان يتضرّعون ويسألون العفو والامان، فامنهم وعفى عنهم ووسعهم بعظيم حلمه ، بعد ان اغلظ لهم في القول على معاضدتهم مخلد بن كيداد واعانتهم له في جرمه وظلمه ، فاكثروا الضرع اليه فكتب لهم سجلا بالامان واوسعهم بالعفو والاحسان.

ووصل الى امير المؤمنين ع م وهو بالمسيلة كتاب اهل تاهرت يعلمونه ان حميد بن يصل المكناسي تغلّب على ما يلي تاهرت، وطمع في تاهرت فوافاها وحاصرها ، وكان امير المؤمنين على مسير الى افريقية فرقّ لاهل تاهرت ونهض من المسيلة في الساعة التاسعة من الليلة المصبحة عن الثلاثاء لاثنتي عشرة ليلة بقيت من شهر صفر ، فوصل الى تاهرت يوم الاثنين غرة شهر ربيع الاول بعد العصر ، فنزل خارج المدينة وتلقّاه اهلها الصغيرمنهم والكبير ، فرحين مستبشرين بما ايّد الله به الامام من النصر، وقضى له من الامر ، وذكروا ان حميد بن يصل قد رحل لا يعلمون حيث قصد ولا اين يمّم. ولم يعلموا بوصول امير المؤمنين اليهم لشدة الحصار عليهم حتى سمعوا طبوله واقبلت عليهم طلائع خيله ، فامنهم عليه السلام واسمعهم خيرا ، وامر بجلد ابي يزيد فطيف به ، ووصل الخبر الى امير المؤمنين عليه السلام ان حميد بن يصل قد ركب البحر وقصد الاندلس الى بني امية. واتصل باهل تنس وصول امير المؤمنين عليه السلام الى تاهرت فاقبلوا اليه مسرعين ، وعرفوه انهم على طاعته ، فاحسن اليهم وبرهم ، وكتب لهم سجلا شريفا قررهم فيه وامنهم ، وقلد امير المؤمنين عليه السلام مسرور الخادم عمل تاهرت يوم الثلاثاء لليلتين خلتا من شهر ربيع الاول ، وحمله على فرس بسرج محلى.

اعتل امير المؤمنين عليه السلام بتاهرت علة شديدة ، فاقام عشرين يوما لا يطيق قعودا ولا قياما ، ويئس الناس منه ، وارجفوا بموته ، واهمتهم انفسهم وخافوا ان تخطفهم الايدي ، ويتغلب عليهم كل معاند معتدي ، ثم من الله تعالى ببرئه وسلامته .

ولقد روى القاضي النعمان بن محمد رضوان الله عليه من المعز لدين الله معد ابي تميم المنصور بالله ولي عهده ، والخليفة من بعده ، عليهما السلام انه قال لقد اخبرني امير المؤمنين المنصور بالله صلوات الله عليه انه لما اعتل بتاهرت العلة التي اشرف فيها علىالموت اشتد يوما به الوجع ، ويئس من نفسه قال فذكرت ما يجب لله عز وجل علي من تسليم الامر اليك والوصية بذلك ، فارسلت في طلب فلان وفلان، وذكر جماعة من وجوه اوليائه ، لأذكر لهم ذلك من عهد اليهم ،

قال : فبعد ان مضى الرسول نمت ، وما كنت انام قبل ذل ايام العلة، فرأيت رجلا وقف علي فقال لي : ما الذي اردت ان تقول لهؤلاء القوم الذين امرت باحضارهم اليك ؟ قلت اردت ان اشهدهم على عهدي ووصيتي ، قال : ولم ذلك ؟ فقلت : لما انا فيه من العلة ،وقد يئست من نفسي، قال : افظننت ان الله عز و جل يقطع بك عن املك ؟ وقد قمت له وبذلت له من نفسك في طاعته ما بذلته ، كلا ، والله ما انابك شيء مما تخوفته جمع الله لك شملك ، ويبلغك ما تحب ،

ثم انتبهت والرسول قائم ، فقال : قد حضر القوم ، قلت ادخلهم ، فادخلهم الي فعرفتهم ما بعثت فيه اليهم ، وانا من العلة والضعف فيما لا يطمع لي في الحيوة من رآني به . فوالله ما امسيت يومئذ الا معفيا ، وعادت القوة في ايام قلائل باتصال الصحة، فانصرفت بعد بلوغ الامل ، ونيل البغية.

وركب الامام عليه السلام يوم الخميس لليلة بقيت من ربيع الاول الى صخرة تعرف بناوة ، وهي صخرة عالية ، يجري عليها الماء ، وتنحدر منها فنظر اليها ورجع الى المناخ ، وآثار العلة ظاهرة في وجهه ، وشريف جسده ، والناس يدعون له وهم مستبشرون بعافيته ،

واقام امير المؤمنين بتاهرت ، ثم سار صلى الله عليه يريد قبائل لواته ، وكانوا قد خرجوا عن الطاعة ، وكان خروجه عليه السلام من تاهرت يوم الاحد لثمان خلون من ربيع الآخر ، فانتهى الى ارض لواته آخر نهار الاربعاء لاحدى عشرة ليلة مضت من ربيع الآخر ، فوجدهم قد هربوا من بين يديه الى الرمال والبراري ، المتصلة بارض السودان، حيث لا ماء ولا رعي، ولا انيس يدعى ، فاقام بارضهم الى يوم الجمعة ، لاحدى عشرة ليلة بقيت من ربيع الآخر ، ووجد بها آثار عجيبة للروم ، وبقية قصور مبنية بحجارة عظيمة على ثلاثة جبال ، وفيها حجر قد كتب فيها بالرومية، فامر الامام من قرأ ذلك الزبر فاذا تفسيره : انا سليمان الرهوس ، هذا بلد يعرف بموريطانية ، خالف اهل البلد على الملك حستابش ،وعلى والدته موذرة ، فاخرجني اليهم فبنيت هذا البناء لأذكر به ، وفتح الله لي.

ورحل امير المؤمنين عليه السلام من لواته راجعا الى افريقية يوم السبت لعشر بقين من شهر ربيع الآخر ، فانتهى عليه السلام الى مدينة المسيلة ، لليلة بقيت من ربيع الآخر ، واقام بها يوم الاربعاء ، وارتحل يوم ا لخميس سحرا غرة جمادى الاولى فانتهى رابع ذلك اليوم يوم الاحد الى مدينة سطيف ، فاقام بها ثلاثين يوما ، وفرض على كتامة اربعة عشر الف بيت يوافون المنصورية فيسكنون فيها ، واقام هذه المدة بانتظارهم ، وكان كثيرا ما يركب فيتنزه، وينظر الى قصر سطيف ، ومشاهدة عجائب ما فيه ، وهو مبني بالحجر الكبير والآجر، طوله ثلاثمائة ذراع ، وعرضه ستون ذراعا وفيه آثار عجيبة ، وفيه قطعة رخام مكتوب عليها بالرومية ففسرت ، فاذا مكتوب عليها : ملك هذا الملك وهذه السيدة هذا البلد وعاشا في هذا القصر سبعين سنة ، ثم ماتا فاف للدنيا.

وقدم الى الامام عليه السلام رجل من اولاد مخلد بن كيداد مستأمنا يسمى احمد فامنه ، وخلع عليه واعطاه الف درهم ، ورحل امير المؤمنين عليه السلام من مدينة سطيف يوم الاربعاء لست خلون من جمادى الاخرى ، فانتهى الى مدينة ميلة عشية الجمعة ، واقام بها تسعة ايام ، وفيها وافته حشود كتامة وعيالاتهم ، فانفذهم الى افريقية مع عبيده واوليائه ،

وارتحل من ميلة ليلة الاثنين لاثنتي عشرة لية بقيت من جمادى الاخرى، وانتهى يوم الثلاثاء لاربع بقيت منه الى مدينة سيبة ، وخلع على جماعة من اوليائه خلعا نفيسة ليلبسوها حين دخولهم المنصورية ، واستقبله اهل المنصورية واهل القيروان في مدينة سيبة ،

ورحل منها ثاني ذلك اليوم يوم الاربعاء ، وما زال الناس يتلقوته حتى اطل على المنصورية فاستقبله اهل القيروان من الرجال والنساء والولدان بالتهليل والتكبير ، حامدين لله تعالى على ما منّ على المؤمنين والمسلمين من النظر الى غرته ، سائلين الله تعالى ان يتم عليهم النعمة بدوام مملكته ، شاكرين لله سبحانه على ما منّ به عليهم من الامن بعد الخوف العظيم ، واتلاف الانفس والاموال ، وهتك الحريم ، فسجد لله جل ذكره على عرف فرسه ، وحمده خاضعا متواضعا، لعلو جلالته وعظيم كبريائه ، ووصل قصره بالمنصورية الذي ابتناه مدام خادمه في غيبته ، وكان وصوله صلى الله عليه وعلى آله الى قصره بالمنصورية صلوة العصر من يوم الخميس ليلة بقيت من جمادى الاخرى ، سنة ست وثلاثين وثلاثمائة بالنصر والتمكين ، والفتح المبين.

وعن ابي بكر جمهور بن علي بن جمهور بن زيد الهمداني الوادعي رحمة الله عليه انه قال : قال ابن حوقل البغدادي :

المنصورية مدينة بالغرب بناها المنصور قدس الله روحه ، حسنة عجيبة الابنية ، واسعة الافنية ، معدومة النظير.

وفي ثاني يوم وصوله عليه السلام الى المنصورية ، امر باخراج جلد الدجال المارق ابي يزيد فطيف به ثلاثة ايام متوالية ، وعليه الطرطور والقردان وهو على جمل كالراكب ، ورجل يمسكه من خلف لكي لا يميل ، ثم امر به الى المهدية فصنع به كذلك ، ونصب على سورها حتى حرقته الريح ،

ووصل الى امير المؤمنين عليه السلام وهو المنصورية ولده وولي عهده ، والخليفة من بعده ، معد ابي تميم المعز لدين الله ولي عهد المسلمين، يومئذ صلوات الله عليه وعلى آبائه الطاهرين وابنائه الاكرمين، وامر امير المؤمنين المنصور بالله بان تطبع الدنانير والدراهم باسمه بالمنصورية ، وارتفع اول الضريبة اليه فبعث به منها الى عبده الرفيع مكانه عنده جوذر الاستاذ بالف دينار من العين الى المهدية ، وكتب معها رقعة بخطه عليه السلام وهي : يا جوذر صانك الله وسلّمك بعثنا اليك بالف دينار رباعية منصورية مما ضرب على اسمنا فاقبضها لنفسك مباركا لك فيها ، واحذر ان تردها الى بيت المال ، فاني اعرفك وشحك على اموالنا ، وما من اموالنا شيء ازكى من مال وضعناه بايدينا حيث تشاء ابتداء منا، ولا اعظم بركة على من وصل اليه بطيب انفسنا ، وانك عندنا لاهل كل خير ، وما نرضى ان تستكثر هذا لبعض من تحت يديك فاعلم ذلك.

واقام امير المؤمنين المنصور بالله سلام الله عليه في مدينة المنصورية التي ابتناها في عز ظاهر ، وملك قاهر، قد خضعت له الاعناق ، ودانت له في جميع الآفاق ، وخمل اهل الشقاق والنفاق ،

ثم ان فضل بن مخلد بن كيداد سليل الدجال المارق ، انصرف من معبد بن محمد بن خزر الى جبل اوراس ، وموه على الناس ان ا باه حي لم يمت ، فاجتمع اليه اوباش الناس وطغامهم من البربر وغيرهم، ممن يريد الفساد والشغب على المسلمين ، ومن تعود النهب والفتنة ، واختلاس اموال الناس، وسبي الحريم ظلما واثما، فنزل بهم فضل المارق من جبل اوراس الى ناحية قسطيلية ثم الى ناحية قفصة ، واجتمع اهل الفساد من كل ناحية اليه، وبلغ الى موضع يعرف بفج الجمار، فارجف الناس باخذه قفصه وقسطيلية ، واتصل ذلك بامير المؤمنين عليه السلام ، فنهض امير المؤمنين عليه السلام ومعه ولده معد ابو تميم ولي عهد المسلمين ابن امير المؤمنين ، وكان مسيره من المنصورية يوم الاثنين مستهل شهر شعبان الكريم سنة 675 ست وثلاثين وثلاثمائة ، ومعه عسكر كثيف فانتهى يوم الاربعاء لعشر بقين من شعبان الى قرية حموس الصابون ، وكان فيها قوم من اهل الفساد قد تحصنوا بقصر فيها ، فلما دنت منهم جنود الامام عليه السلام ، فروا على وجوههم يطأون الرمال ، وتركوا النساء والاولاد والاموال ، فامر امير المؤمنين عليه السلام بصيانة النساء والولدان ، وانتهاب ما في القصر من الاموال ، وحرقه بالناس ، واقام هناك ثلاثة ايام ، ثم ارتحل فترك طريق قفصة يسارا وجاز في طريقه بقرية يقال لها برغامة ، وكان قد اوى اليها قوم من المفسدين ، فامر بحرقها ونهبها ،

واقام بمدينة سبطيلة يوما وطاف في بنيانها ، ومشى في آثارها ، وهي المدينة التي كان فيها من حمير صاحب افريقية ، وهي التي افتتحها عبد الله بن سرح ايام عثمان ابن عفان في سنة سبع وعشرين من الهجرة ، وهي مدينة اولية مبنية بالحجر والآجر ، يخرج من تحت سورها نهر ، و انتهى الى مدينة قفصة يوم السبت لعشر بقين من شعبان ، فنزل بظاهرها بين مشرقها وشمالها ، وكان ذلك المحط كثير العقارب والغبار ، فانتقل منه الى جنوب المدينة مسافة ميلين، فنزل بين الاشجار والبساتين، واستراح الناس من الريح ، ووقف بها الى يوم السبت ،

واتصل به الخبر ان فضل بن مخلد لما علم بخروج الامام المنصور بالله عليه السلام ، رجع هاربا الى اوراس، وانه قصد الى مدينة جنوب جبل اوراس ، يقال لها مديلة ، وعاملها من قبل امير المؤمنين باطيط بن معلا بن ناطيط ،

فارتحل امير المؤمنين من قفصة يوم الاحد لثلاث بقيت من شعبان، فانتهى عشية الاثنين ثاني ذلك اليوم فنزل بحصن يقال له ماواس ، به نخيل وعيون جارية ، وهو حصن منيع قد احاط به واد عميق ، وكان اهل ماواس من شيعة فضل بن مخلد المارق ، وقد اوى اليهم كل مفسد وذاعر وسارق ، فاعطاهم امير المؤمنين عليه السلام الامان علىانفسهم واموالهم واولادهم على ان يخرجوا الطعام الى الاسواق لتشتري منه العساكر ما يقتاتون به ، واعطاهم علمين فخرقوا العلمين ، وباينوا بالخلاف ، ونادوا لا طاعة الا طاعة فضل بن مخلد ابي يزيد ، فكرر اليهم امير المؤمنين الامان عليه السلام الاعذار والانذار ، وحذرهم عواقب الاصرار ، فتمادوا في العصيان ، والطغيان، فامر امير المؤمنين عليه السلام ولي عهده المعز لدين الله صلوات الله عيلهما لقتالهم، وهو يومئذ حدث السن ابن سبعة عشرة سنة ، لم يشهد حربا ولا حضر قتالا ، فنهض اليهم وامر الناس بقتالهم، ووقف موضعا يرى منه القتال ويدبره ، وكان اذا رأى خللا في موضع سده، او فرصة اهتبلها، وكان يمشي تارة في اليمين، وتارة في الشمال ، يحرض الناس على القتال ، وبدير امرهم وبدبر لهم ما يصنعون به ، وهو مع ذلك على سكينة ووقار من غير ترك للحذر والمكيدة .

ورأى فيه عليه السلام من قوة الجاش وحسن التدبير مع حداثة سنه ، وقلة ممارسته بالامور ما لا يوجد في بشر الا فيه وفي الطاهرين من آبائه حتى ان بعض من حضر ذلك القتال سأل بعض خاصّته اشاهد مولانا امير المؤمنين عليه السلام حروب المهدية ؟ فقال : والله ما رآها ولا شهد شيئا منها ، فكثرتعجبه ، وليس يعجب ان يجعل الهل ذلك في سلالة النبوة ، وفرع الوصاية ،ومستقر الامامة .

ولما كان غروب الشمس غلب الاولياء على الحصن وفتحوه عنوة ، وقتلوا اهله ، وانتهبوا ما فيه ، ولم ينتهكوا حرمة ، ولا استباحوا حرة ، وانصرف المعز لدين الله الى ابيه امير المؤمنين سلام الله عليهما، مؤيدا مسددا ، تحفّه ألوية النصر ، ويبتهج به وجه الدهر، واستقبله امير المؤمنين عليه السلام قائما على رجليه ، وقبل ما بين عينيه ، وضمه الى صدره ، وقال له : انت ابني حقا، وامر بجز الرؤوس ، فزادت على ثلاثمائة وبعث بها الى المنصورية ، والى المهدية وامر امير المؤمنين عليه بقطع نخيلهم واشجارهم ، يوم الثلاثاء مستهل شهر رمضان ويوم الاربعاء .

وقال الداعي جعفر بن الحسن منصور اليمن فيما كان للمعز صلوات الله عليه وعلى آله من فتح ماواس شعرا :

انعم بعزك يابن خير الناس \* وبما حباك الله في ماواس

من نصره لك اذ هممت مطالبا \* لعصابة الارذال والارجاس

لما طغوا متمردين وغرهم \* شيطانهم بالمكر والوسواس

فتمنعوا في حصنهم واستقبلوا \* جيش الامام بجندل وتراس

فعفى ومن عليهم فتعرضوا \* للبأس من ملك شديد البأس

وتحزبوا طاغين قد عطفتهم \* للحين شقوتهم على الابلاس

فهناك انهضك الامام عليهم \* فنهضت مثل النور في الاغلاس

في عسكر للمؤمنين اعزّة \* بالله لا عزل ولا انكاس

فسررته يابن الخليفة بالذي \* مارست اول مشهد ومراس

وشفيت منهم صدره واخذتهم \* بالقسر والارغام والاتعاس

ساورتهم في حصنهم متوقلا \* لهم بسورة باسل فنعاس

وعزيمة منصورة قد حفّها \* جند الملائك من اله الناس

سقت المنايا والحتوف اليهم \* فاخذتهم بمسالك الانفاس

بالمشرفية والرماح شوارعا \* والناس في شعل من الاقباس

وسحائب النشاب تمطر فوقهم \* مطرا كصوب العارض الرجاس

فابحت حصنهم ببأسك عنوة \* فاسلم عقيد ندى وليث مراس

وقتلتهم في رأس حصن لم يكن \* ليرام في فطن ولا بقياس

في مثل رجع الطرف صاروا عبرة \* في الغابرين وعبرة للناس

اضحوا حصيدا خامدين كأنهم \* ما كان منهم طاعم او كاسي

ما زلت حين وردت تعرك جمعهم \* وتدوسهم بالبيض كل مداس

حتى صدرت بهامهم مقطوعة \* فوق الاسنة في الظلام الغاس

وكأن ما قد كان من اجسادهم \* جسد يسير على البلاد برأس

فبقيت للمنصور بالله الذي \* اصفاه بالملك الجليل الراسي

ثم ارتضاك له وليا في الهدى \* والحق ينصر اهله ويواسي

زهت العلى بابي تميم واعتلت \* دار الهدى ووهت قوى الانجاس

صلى عليك الله ما هبت صبا \* اعطاف خوط الباقة المياس

وكتب امير المؤمنين عليه السلام الى الآفاق يخبر فتح ماواس وبفرار ابن الدجال، ومن ذلك كتابه الى عامل المنصورية ، وهو :

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدم كتاب امير المؤمنين لتعريفك حال اللعين بن اللعين وانه لما اتصل به خروج امير المؤمنين من المنصورية استولى عليه من شدة الرعب والرهب، ما ولى به هاربا من قصور قنصة على وجهه الى قفار الارض ومغاورها متعمقا فيها متروعا من موضع الى موضع ، لا يستقر به قرار في ليل ولا نهار ، معولا على النجار بالجد في الفرار ، وتوليته الادبار ، فقد باء بغضب من الله وخزيه ، وضبت عليه الذلة والمسكنة ، يحسب كل صيحة عليه لفرط الخيفة ، وان الارض تخطفه ، والسماء تدمغه ،مقدرا لجهله ، وذهاب عقله ، ان العساكر المنصورة ، لا تقصده بها لقلة الماء ، فنهض امير المؤمنين مستغيثا بالله واثقا بنصره ، معتمدا على معونته في اهلاك اللعين ابن اللعين وجميع حزبه الاخسرين، فنزل بموضع يعرف بوربغين من عمل قفصة ، فوجد اهله من بني يغرف وكلالة ويراوية وبني شداد وبني وريمت قد هربوا منه وآووا الى امثالهم من ذوي الفسوق والمروق، فقدم اليهم امير المؤمنين الجيوش المؤيدة ، وصمدهم في طريقهم ، والانتقام لدين الله منهم ، فتسنموا في غد يومهم اليهم والى بني يغرف ، اهل بيت اللعين ، وابن واسين في الجبل المعروف بجبل تارشوان من قسطيلية ، والجبل المعروف باياس من عمل الزاب ، واوقعوا بهم فيها ، وانزلوا ماكان لهم بها من الاموال والاثاث والمتاع والاغنام والاضرام ، واضرموا خصومهم نارا ، وهدموا الحصن المعروف بتامقرا ، وقصر الفاسق بشر بن منصور المكياسي بعمل الزاب واحتووا على ما كان بهما من مذخور اطعمة قبائل الفسقة مكياس بني مولاب ، ومزرح اهل بيت قبلاح ، من اجناد المخذول بشر بن منصور ، وبني مساوي من بني مقرأوه ، فجاسوا خلال ديارهم ودوخوهم ، والتجى الفسقة الى اهل بيوتاتهم بالمدينة المعروفة بماواس من اعمال الزاب ، واجتمعوا اليها من كل اوب متظافرين على الغواية ، مستعدين شاكي الاسلحة اصناف العدة ، واثقين بكثرة اعدادهم وعتادهم ، وقوة شوكتهم وبأسهم ووعورة مدينتهم وحصانتها وشموخ سورها وانفار بنيانها ، وعظم خندقها الهائل المعجب منظره ، الموئس من رامه ، مقدرين انها مانعتهم وعاصمتهم ، ودافعة بأس الله عنهم، ولم يعلموا ان ذلك من استدراج الله لهم لما يريد من الانتقام منهم ، فالفاهم امير المؤمنين مصرين على ضلالتهم ، منهمكين في غيهم وعمايتهم ، متهورين في غوايتهم ، غامطين نعمة ربهم ، مرتكبين مساخطه متعرضين لحلول قوارع سطواته ، قد استحكم غضب الله عليهم ، واذن الله بهلاكهم ، وتعجيل ارواحهم الى اليم عذابه ، وشديد عقابه ، بما احتقبوا من الآثام ، وارتكبوا من الاجرام ، وما الله للعبيد بظلام .

فقدم اليهم امير المؤمنين الاعذار والانذار ، والتخويف والتحذير، تأكيدا لحجة الله عز وجل ، ومظاهرة لمنّه عندهم، لينيبوا الى ارشادهم ، ويبصروا حظهم ، فلم يزدهم ذلك الا عنادا واصرارا ، وعتوا واستكبارا ، فانهض الامير ابا تميم مد الله في عمره ، وادام عزه ، لحربهم فصمد اليهم جلدا مشمرا في ذات ربه، وما يزلف لديه ويحظيه عنده ، فاستبشر الاولياء والعبيد به ، وبادروا الى حسن السمع والطاعة له ، والقبول عنه ، والمسارعة الى مناجزة الكفرة الفجرة ، بانفس حمية، وقلوب حنقة، ونيات خالصة ، وعزائم نافذة ، وبصائر ثاقبة ، واثقين من الله الكريم بالعون والتائيد والتمكين، في اعزاز الدين والمسلمين ، واذلال المنافقين والمشاققين ، واستقدموا الى الفسقة فوجدوهم حادين في باطلهم ، مبلسين على كفرهم ، مستبسلين بحلول النقمة بهم ، غير مستبقين على انفسهم ، راكنين الى الموت مستريحين اليه ، متهافتين عليه تهافت الفراش في النار، فناجزوهم القتال ، ودعوهم النزال ، وشمرت الحرب عن ساقها ، واذاقتهم مرارة مذاقها ، وولج الامير ابو تميم اعز الله نصره ، وادام عزه ، اليهم من اضيق المسالك ، راجلا مصطبرا ، ومتوكلا على الله محتسبا متأملا لاحوال الاولياء ، راعيا لعوراتهم ، وضم الى نفسه اهل البأس والمراس ، بالحروب والبصر بموارد الاقحام ، ومصادر الاحجام ، وسأل اهل المعرفة منها ، وحرض الاولياء على مكافحة عدو الله وعدوهم ، ووقفهم على مالهم بالاجتهاد وفي الجهاد من جزيل الثواب ، وكريم المآب ، فصدقوهم المقارعة طعنا بالرماح ، وضربا بالسيوف ، ورشقا بالسهام ، ورميا بالحجارة ، حتى ساوروهم بمعقلهم وانزلوهم منه عنوة وقهرا ، وغلبة وقسرا، وادركوهم في كل مهرب ، واخذوهم بكل نفق ومرقب ، وقتلوهم شر قتلة وانكأهم ، واضرموا اعراش المدينة نارا ، ولحقوا اعالي جدرانها بحضيضها ، واحل الله تعالى بهم من الغبر والعبر ما جعله الله لخليفته في بلاده ، وحجته على عباده ، آية واضحة ، ودلالة لائحة ، على اختصاصه بالفضيلة التي لم يؤتها سواه ، وعرف به ذوي الحجى والنهى مواقع النعمة والنقمة ، ودواعي اسباب السعادة والشقوة ، واهتدى له ذوو البصيرة فسعدوا ، واتعظ به اولوا الشك فرشدوا ، واحتوى الاولياء من ديار الكفار الفجار من اصناف الاموال النفيسة ، والامتعة الجمة ، وكثرة الكراع والابل والبقر والغنم والطعام ما يطول ذكره ، ويعظم قدره عن وصف حده ، وآب الامير ابو تميم تمم الله امره ،واعز نصره ، بالجيوش المظفرة الى مركزهم افضل اوبة وارضاها ، لم يمسـسهم سوء ولا كلم ، ولله الحمد على ذلك خالصا دائما ، والشكر خالدا زائدا سرمدا .

وامر امير المؤمنين بعد ذلك بما افضل الله به واسبغ ، وتطول فاوسع ، فبعث رؤوس مقدمي الفسقة ومذكورهم وذوي التقدم منهم ، وكتب اسماؤهم في رقاع عليهم لتطوف بها في المحافل من قبلك ، وتوجهها الى جوذر لينشرها من قبله ، ويعاين خواص الاولياء وعوام الرعية من جميل صنع الله ومنائح احسانه، وفواضل امتنانه ، ما يسرون به ، ويعرفون بقدر نعمة الله فيه ، ويقابلون بحقها ، ويسعون بشكرها، واستدرار موادها، فاعمل به.

وكتاب امير المؤمنين من ماواس وهو راحل الى قسطيلية للانصراف منها الى دار ملكه ، اذ قد زال اللعين ابن المخذول من مهامة الرمال ، وغوامض التلال ، الى حيث غاب شخصه ، واستتر اثره ، ولم يعرف خبره، والله طالبه ، حيث كان مهربه ، ومنتقم منه بعظيم ذنوبه ، عاجلا بحوله وقوته ، وكتب يوم الاربعاء لليلتين خلتا من شهر رمضان في سنة ست وثلاثين وثلاثمائة ، والصلوة والسلام على محمد النبي وآله .

ورحل امير المؤمنين صلى الله عليه من ماواس لخمس ليال خلون من شهر رمضان فوافى قصره بالمنصورية يوم الثلاثاء للنصف من شهر رمضان واقام الى يوم الثلاثاء لخمس بقين منه . وسار يوم الجمعة الىالمهدية فنزل قصره بالمهدية عشية السبت ، وكان يوم الفطر يوم الخميس مستهل شوال من سنة ست وثلاثين ، وخرج امير المؤمنين المنصور بالله صلوات الله عليه لصلوة العيد الى المصلى الذي ابتناه الامام المهدي عليه السلام ، خارج المهدية ، وولي عهده معد ابي تميم المعز لدين الله خلفه ، وسائر اعمامه اولاد المهدي بالله عليه السلام واخوته اولاد القائم بامر الله واولاده خلف المعز لدين الله ، وسار في عساكره بالوقار والاستغفار والتسبيح ، حتى انتهى امير المؤمنين صلى الله عليه الى المصلى فقضى صلوة العيد ، وارتقى المنبر وخطب صلوات الله عليه :

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله شاكر لنعمه التي لا يحصى لها عدد ، متعرض للمزيد من فضله الذي لا ينفد ، ولا اله الا الله اخلاصا بالتوحيد ، ولا اله الا الله اجلالا لذكره العلي المجيد ، سبحان المستشهد بآياته على قدرته ، الممتنعة من الصفات ذاته ، ومن الابصار رؤيته ، ومن العقول تحديده ، ذي الكبرياء والعزة والجلال ، والقدرة والثناء والعظمة ، له السموات العلى والارضون السفلى ، وما فوقها وما تحت الثرى ، كل خاضع لعظمته ، متذلل لعزته ، متصرف بمشيئته ، واقع تحت قدرته ، واشهد ان محمدا عبده ورسوله ، اختاره وارتضاه، وانتجبه واصطفاه ، واكرمه واصطفاه ، وبعثه بالهدى ودين الحق الذي تعبد به من في السموات من الملائكة المقربين ، ومن في ارضه من الثقلين ، فاضطلع عليه السلام بما حمل ، وبلغ ما به ارسل ، صادعا بامر ربه صابرا على البأساء والضراء في جنبه ، الى ان اظهر الله دينه على الاديان ، وازهق بحقه اباطيل الاوثان ، صلى الله عليه وعلى آله وسلم وشرّف وكرم.

عباد الله ، اوصيكم بتقوى الله وطاعته وخشيته ومراقبته ، التقرب الى الله بما يرضيه فانه بما قلوبكم عليم ، وباعمالكم بصير، لا تخفى عليه خافية ، ولا يعزب عنه في السموات والارض مثقال ذرة ، ولا ينجي من سخطه ، ولا يوصل الى رحمته الا طاعته ، من يطع الله ورسوله فقد فاز فوزا عظيما ، الا وان الله عز وجل جعل يومكم هذا عيدا معظما على الايام ، ختم به شهرا مفضلا على الشهور ، وافتتح به ايام شهور الحج الى البيت العتيق الذي كرمه وعظمه وجعله قبلة الصلوة ومحل البركات ، ومنزل الرحمات ، ومثابة للناس وامنا ، ومنارا للدين وعلما ، فتقربوا الى الله في يومكم هذا باداء فطرتكم التي هي زكوة صومكم وسنة نبيكم سيد الانبياء صلى الله عليه وآله وسلم ، كل امرئ منكم عن نفسه وكل واحد من اهله ذكورهم واناثهم صغيرهم وكبيرهم صاعا من بر او صاعا من شعير او صاعا من تمر من طعام اهلكم لا من غيره ، فليس يقبل منكم الا ذاك ، واكثروا من الدعاء واستشعروا الحذر والرجاء ، يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله لتنظر نفس ما قدمت لغد، فقريب والله وكأن قد، انه عز وجل لم يهملكم اهمال الهمج ، ولم يجعل عليكم في الدين من حرج ، ولا عذر بعد ايضاح ا لمنهج ، وتأكيد الحجج ، برسوله وائمة الهدى من ذريته عليه وعليهم افضل سلام الله ورحمته ، وفقنا واياكم لما يرضيه ، ويزلف لديه ، ويقربنا اليه ، فانا له وبه ، وصلوات الله اولا وآخرا على محمد خاتم النبيين ، وسيد المرسلين ، وعلى آله الطيبين الائمة المهديين الذين بالحق قضوا ويقضون ، وبه عدلوا ويعدلون.

وجلس عليه السلام جلسة خفيفة ثم قام فقال :

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، والعاقبة للمتقين ، والصلوات الغاديات الرائحات الناميات الزاكيات الباقيات على محمد وآله الطاهرين الطيبين ، الائمة المهديين الاكرمين ، الطاهرين الابرين ، حمدا حمدا شكرا شكرا ، انجزت وعدك ونصرت عبدك على كره الكافرين، وصغار المارقين الاخسرين الافجرين، احزاب الدجال اللعين، المغضوب عليه وعليهم الضالين، الانجاس الارجاس ، اولي الذل والاتعاس ، الاشقياء الاخزياء ، الملعونين في الارض والسماء ، حمدا حمدا ، شكرا شكرا ، عودا وبدءا ، لا مكافيا نعماءك ولا مجازيا آلاءك، معترفا بالعجز عن الشكر ولو بكل لسان طول الدهر، سلام الله وصلواته ورحمته وبركاته وتحياته وزكاته عليكما يا اميري المؤمنين ، خليفتي رب العالمين، يا ابني الهداة المهديين، يا ابتاه يا جداه يا ابني محمد رسول الله سلام مسلم لله فيما قضاه علي من فقدكما ، صابر على ما امتحنني به بعدكما اوان الحسرة وشرق العبرة عليك يا ابتاه ، يا محمداه يا ابا القاسماه ، يا سيداه ، يا جيلاه ، واشوقاه ، وا الماه ، وخالق الارض والسماء ، باعث الموتى ومميت الاحياء ، ما انا في ريب من اختيار الله تبارك وتعالى لك ، ونقلك الى دار كرامته ، ومستقر رحمته التي بدأها محمدا رسوله عليه السلام جدك ، وامير المؤمنين علي ابن ابي طالب اباك ، وفاطمة الزهراء البتول امك ، وآبائك الطاهرين المهديين الابرار ، لكن لوعة المحزون باعثة للشجون، مبكية للعيون ، فانا لله وانا اليه راجعون ، وله مسلمون ، على كل حال تصرفت بنا حامدون ، ولنعمائه شاكرون ، فقد اعظم الله عز وجل النعمة ، وضاعف المنة ، بما ربط على قلبي من الصبر ، وما اكرمني به من العز والنصر الذي ارسى به قواعد الاسلام ، ونور به قلوب المؤمنين بعد الظلام ، وبعد انقطاع الرجاء لتطاول مدة البلاء بالفتنة العظمى واهوالها وبلبالها ، وزلزالها ظلماء بهماء عمياء صماء ، جاهلية الجهلاء بدجال النفاق، واحزابه المراق ، اعداء الدين ، و انصار ابليس اللعين ،امهلهم الله استدراجا ، واملى لهم فازدادوا في الغي لجاجا ، ليميز الله الخبيث من الطيب ، وليرى اولوا الالباب مصداق وعد الله في الكتاب : الم احسب الناس ان يتركوا ان يقولوا آمنا وهم لا يفتنون ، ولقد فتنا الذين من قبلهم ، فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين ، وعدا من الله لا يخلفه ، وحكما لا يبدله في الاولين من عباده والآخرين الى يوم الدين ، فكانت بحمد الله ونعمته على اعدائنا فتنة اصمتهم واضلتهم واردتهم واتعستهم واركستهم واذلتهم واخزتهم ، ولنا ولاوليائنا محنة اكتسبنا اجرا وذخرا ، واعقبتنا عزا وفخرا ، كان وجهها شتيما وعقباها كريما ، لما اراد الله عز وجل من تجديد دولتنا واعزازنا ، واظهار نعمته علينا وتكفله بنصرنا ، وتمحيص ذنوب اوليائنا ، وتمحيق اعدائنا ، حتى اذا انتهت منتهاها وبلغت اقصى مداها ، ورجع الشيطان خاسرا ، ونطف هادرا ، واذكى ناره ، وادام اصراره ، وآسف الله جباره ، اذن بالنقمة فيه بتسليط عبده ووليه عليه ، فجلى الله ظلمتها ، ونور بهمتها ، وكشف عماها وصرف لاواها بي وعلى يدي ، كرامة من الله خصني بها ، وفضيلة حباني بشرفها ، ونعمة لي ذخرها ، وعلي قصرها ، وصل بحديثها علي قديم انعمه على آبائي الطاهرين، وسالف منته على اجدادي الائمة الطاهرين المهديين، شهدت دون ذلك السيوف فكسرها ، ودلفت الى الزحوف فهزمها ، وتظاهرت علي جنود الكفرة فخذلها ، وطمحت العيون نحوي فطمسها ، ورفعت الرؤوس فنكسها ، وشمخت الانوف فارغمها ، وصعرت الخدود فاصرعها ، وابى جل جلاله الا اتمام وعدي وامري ، واعزاز نصري واظهاري واظفاري ، وتأييدي واعلائي، انجازا لوعده محمدا عليه السلام باعزاز ملته ، واعلاء حجته ، ونصر ائمة الهدى من ذريته ، فامضى قضائه قادرا ، وكبت اعداءه قاهرا ، لا معقب لحكمه ، ولا راد لامره ، ولا شريك في ا لحمد له .

يا اهل دعوتنا ، يا انصار دولتنا ، يا كتامة ، احمدوا الله واشكروه على ما خصكم به من نعمته وجسيم منته ، وفضلكم به على كافة الخلق في غرب وشرق ، بدأكم عز وجل بالنعمة العظمى ، ثم شفعكم بالمنة الكبرى ، ووالى بينهما عليكم من سوابغ نعمه بما لا يحصى بصركم والناس عميان، وعلمكم والخلق جهال، وهداكم والعباد ضلال ، الى دينه ونصرة حقه وطاعة وليه ، علم الهدى وسراج الدجى ، وقطب الدين ، وحبله المتين، فافازكم بالسبق الى نصرته ، والسعي في طاعته ، والتفيء بظل دولته ، والاستنارة بضياء حكمته ، حتى اذا قضى الله زلزال البلاد ، واختبار العباد ، جلل الارض الظلام ، وزلزل الاقدام ، وعظمت الخطوب ، واشتدت الكروب، ويئست القلوب ، عصمكم الله ، وهدى قلوبكم ، وثبت اقدامكم الى ان جلاها الله عنكم خاصة ، وعن العباد كافة بنا وعلى ايدينا، فكانت عليكم نعمة ، وعلى العباد حجة ، فانجلت عنكم والله بيض الوجوه موفيين بعهد الله معتصمين بحبله.

اللهم اني اصبحت راضيا عن كتامة لاعتصامهم بحبلك ، وصبرهم على البأساء والضراء في جنبك، تعبدا لنا و اعترافا بفضلنا ، واداء ما افترضه الله على العباد لنا ، وتوسلا اليك بطاعتنا ، اللهم فارض عنهم وضاعف حسناتهم ، وامح سيئاتهم ، واحشرهم في زمرة نبيك الذي دانوا به ، ووليك الذي والوه ، وابق نعمتك عندهم ، واتمها عليهم ، واكمل حسناتك اليهم، وخلد العز في اعقابهم ، واجزل ثوابهم ، واهدهم وطهر قلوبهم ، انك سميع الدعاء قريب مجيب.

ونزل صلوات الله عليه فانصرف الى قصره ، وامر باطعام الناس ، وفرق صدقات على الفقراء والمساكين، ولاثنتي عشرة ليلة خلت من ذي القعدة جيء الى الامام المنصور بالله عليه السلام بابي بردعة اسيرا، وكان قد ثار ايام شغل المنصور بالله عليه السلام بعدوه ، وقطع السبيل واخافها

وفي تاريخ الحسين بن جعفر الانصاري : وفي سنة اربعين وثلاثمائة اخرج الامام المنصور بالله اسطولا عظيما الى صقلية للغزو منها مع فودج الخادم ، واجتمع بابي الحسين ، وصارالى قلورية من بلاد الروم ، فكان فتحا عظيما، والتقيا نسلحان صاحب اسطول الروم آخر ليلة من ذي الحجة فغنماه ، وقتلا كثيرا من رجاله، وغنما جميع ما معه من اموال ، ورجعا الى عند الامام عليه السلام .

وفي سنة احدى واربعين جمع معبد بن خزر الزناتي جموعا كثيرة وسار اليه زيري بن مناد امير صنهاجة فهزم عسكره من البربر واسر معبد وحمله الى الامام عليه السلام فقتل وسلخ وصلب، فامر به امير المؤمنين فسلخ على باب المهدية ، وضرب على المنازل وانتهبها ، ووصل ناطيط ابن يعلا بن ناطيط برأس فضل بن مخلد المارق لعشربقين من ذي القعدة ، وكان فضل المارق قد زحف من جبل اوراس الى مدينة باغاية وحاصرها، فاتاه ناطيط مظهرا للدخول في طاعته ، فوثق به واطمأن اليه فاحتال ناطيط حتى خلى به وفاوضه ، فلما تمكن منه ناطيط وامكنته الفرصة منه سل سيفه وضربه حتى امضاه واجتز رأسه فسار به ، ولم يشعر عسكره بذلك الا بعد ساعة طويلة ، وقد نجى ناطيط فافترق العسكر وانحل امرهم ، فامر امير المؤمنين صلى الله عليه بالطواف برأس فضل والنداء عليه، واحسن الى ناطيط وخلع عليه ، واخمد الله نار الفتنة وقضى لرأيات وليه بالعز والرفعة ، وللناس في ظل دولته وسعادة ايامه بالامن والدعة، وابطل الله سعي المارقين، وكيد الباغين، واستأصل شافة المفسدين، وامنت السبل والاطراف ، وفرّ كل من كان قد وجل قلبه وخاف.

وقال في ذلك الداعي جعفر بن الحسن منصور اليمن ابن ابي الفرج بن حوشب رضوان الله عليه شعرا:

الا يا امين الله يا عالي اليد \* ويا مصطفى آل النبي محمد

ويا خير من القت اليه قيادها \* امور الورى من ذي مغيب ومشهد

هنيئا لك التوفيق في كل حالة \* من الله والتائيد في كل مقصد

ولا زلت مسرورا بفتح مبين \* مدى الدهر محبوا بنصرمجدد

اراد النجا اذ فرّ فضل بن مخلد \* لينجو فما انجاه طول التبعد

والفى المنايا شرعا يقتنصنه \* رصدن له الحتف في كل مرصد

وحتمت على كل القبائل اخذه \* ومطلبه في كل خبت وفدفد

وطاشت به للحين شقوة جده \* الى اجل وافاه من غير موعد

تعرض في اقصى النواحي ببغيه \* يريد من الايام ما لم تعود

فعدت عيون المارقين غضيضة \* الى مبرق بالترهات ومرعد

فثارت له بالمشرفية عصبة \* مخافة ليث في المهالك مورد

وقامت لسلطان الامام وسعده \* ونصرلمن والاه بالعز مسعد

فدارت رحى الموت المبيد سريعة \* على الناكث ابن المارق المتمرد

فاضحى ابن دجال النفاق ورأسه \* على صعدة تهوي به كل فدفد

يسير بها من قام في نصرة الهدى \* بدار الى باب النجاح المصمد

الى باب خير الخلق للحمد عنده \* ومن يكتسب فعلا من الخير يحمد

ففاض عليه من عطاياه زاخر \* كذي لجب يطفو على الشط مزبد

ولم يزل المنصور بالله قادرا \* يبيد عداه بالقنا المتقصد

اذا قيل للطاغين في كل بلدة \* سينهض اسماعيل في اليوم او غد

اطارهم من قال في كل موضع \* واقلقهم بالذعر من كل مقعد

فامسوا معا اما طريدا مزائلا \* حذارا والا طائعا لم يشرد

فها تلك اقطار الهدى وقراره \* مسددة فيها لهيبة اصيد

فيا خالق الدنيا وليك قائم \* بحقك فانصره على كل معند

ابو الطاهر الميمون انت اصطفيته \* اماما متما عن رسولك احمد

فمهّد له الدنيا بان قد جعلته \* اماما شهيدا في العباد لمشهد

الا يا امير المؤمنين لقد قضى \* لك الله حتما بالعلى فاعل وازدد

ودم للهدى والمكرمات ممتعا \* بعزّ على طول الزمان مخلد

فدونك يابن ا لنبي محمد \* نتيجة ود خالص متجدّد

فمنّ وافضل منعما بقبولها \* فمن يعط حظا من قبولك يسعد

وصلى عليك الله ما قال قائل \* وما خطت الاقلام في الطرس باليد

واقام امير المؤمنين بالمهدية الى سلخ 3 صفر واستعمل على المهدية عبده وعبد آبائه عليهم السلام جوذر وانتقل فسكن قصره بالمنصورية وذلك في شهر ربيع الاول من سنة سبع وثلاثين وثلاثمائة ، فوصل الى قصره بالمنصورية ، ومعه ولي عهده والخليفة من بعده ، معد ابو تميم المعز لدين الله سلام الله عليهما ، وخواص دعاته واوليائه ، وسائر اهله وولده ، فجعل المنصورية مسكنا ، واقام بها مستوطنا ، وقد انصلح له الجمهور ، وقامت بسيفه الامور ، ودخل الناس في طاعته مهطعين ، وشملهم ظل مملكته مكرهين وطائعين، فاستقر الملك في قراره ، وقام المجد على ساقه ، واخمد الله نيران اعدائه ، واهل شقاقه ، وشمل الناس عدله ، وعمهم فضله ، ونصب عمد الشريعة واقامها ، واظهر سننها واحكامها ، واقام باطن الدعوة وظاهرها ، وحكم قواعدها ومشاعرها ، وابان نواهيها واوامرها ،

ونصب امير المؤمنين المنصور بالله عليه السلام القاضي الاجل النعمان بن محمد بن حيون التميمي رضوان الله عليه للقضاء بالمنصورية والقيروان، واعمال افريقية ، وامضى حكمه في جميع ما استوت عليه المملكة العلوية ، والدعوة الشريفة الفاطمية ، وجعل قضاته في الآفاق عن امر القاضي النعمان يصدرون ويوردون ، وفي تيار ما استفاده من علم الائمة يردون، وقد كان قبل ذلك استقضاه بطرابلس ، ثم امره بالكون بحضرته في المنصورية ، وقلده امر قضائه ودعوته .

قال القاضي النعمان بن محمد رضوان الله عليه : وكان المنصور بالله استقضاني عليها ثم نفذ الي امره بالقدوم فقدمت فلما اشرفت على المنصورية واجهت المعز لدين الله صلوات الله عليه خارجا لبعض ما كان يخرج اليه في موكب ضخم فنزلت وبادرت اليه للسلام عليه وهيأت كلاما فما هو الا ان قربت منه وملأت عيني منه وملأت صدري هيبته ورأيت جلال الامامة في وجهه فوالله ما دريت ما اقول ولا عولت الا على تقبيل الارض ثم اومأ الي بيده فقبلتها وافحمت هيبة له واجلالا فابتدأ الي بالكلام فقال قدمت خير مقدم وبارك الله فيك وجزاك خيرا عن نفسك ، فقد انتهى الينا خبرك سر راشدا الى باب امير المؤمنين وحرك دابته

ولما مثلت بين يدي المنصور صلوات الله عليه قال لي فيما قال يا نعمان اذا جزى الله المحسنين خيرا فجزاك الله عنا افضل الجزاء

فما كنت بشيء اسر مني بما سمعت يومئذ من المنصور والمعز لدين الله صلوات الله عليهما

وقال القاضي النعمان بن محمد رضوان الله عليه : بالجلوس للنظر بين الناس في سقيفة قصره وقال لي لو اتسع لي ان اجلسك بين يدي في مجلس داخل قصري لكان ذلك اعجب الي فاذا كان ذلك لا يمكن فاجلس في سقيفة قصري فانه احق موضع اقيمت فيه الحقوق ونفذت فيه الاحكام

فجلست حيث امرني فيه بالجلوس فضاقت الحال لذلك باكثر الخصوم سيما بالنساء والضعفاء ومن يتهيب الدخول من باب قصر امير المؤمنين ص فتبينت ذلك ورفع الي ايضا فتهيبت معارضة امير المؤمنين ص فيما رآه وامر به الى ان خرج المعز لدين الله ص يوما فيما يخرج له فسايرته فقال لي يا نعمان كيف الحال في جلوسك في السقيفة فهيبت ان اقول في ذلك بخلاف ما قاله امير المؤمنين فذكرت قوله وامسكت

فقال كيف بالمرأة والضعيف ومن تقتحمه العيون ومزاحمة رجالنا وعبيدنا وكيف بك ان وجب عندك حد او ادب على احد فاين يتهيأ لك ان تقيمه هنالك لا والله ما هو بموضع يصلح لذلك ولأن تكون بارزا للناس ظاهرا يصل اليك الضعيف ويبلغ حاجته لديك وتقف المرأة وتبلغ اليك في استتار ويمكنك اقامة ما يجب من الحدود والآداب أهيأ واجمل وافضل

فقلت الرأي ما رآه الامير وفقه الله وسدده

قال القاضي النعمان رضوان الله عليه : وكان ذلك مما رأيت ان الله عز وجل فهمه اياه من وجه الصواب وهداه اليه من فصل الخطاب، ثم لما انصرف خرج الي توقيع من المنصور بالله صلوات الله عليه مع مال امر به لابتناء موضع فسيح اجلس فيه حيث يصل فيه الي الناس ويمكنهم ما يريدونه من امورهم على ما ينبغي عندي

وفيما اتى عن القاضي النعمان بن محمد رضي الله عنه قال : لما ا رحلني امير المؤمنين عن مدينة طرابلس الى الحضرة المرضية وافق وصولي اليها غداة يوم جمعة ، فخلع علي يوم وصولي وقلدني وامرني بالسير من يومي الى المسجد الجامع بالقيروان واقامة صلاة الجمعة فيه والخطبة اذ لم يكن يومئذ بالمنصورية جامع وامر بجماعة من خاصة بوابي القصر الاعظم بالمشي بين يدي بالسلاح الى ان صليت فانصرفت

ثم خرج توقيعه من غد الى ديوان الرسائل بان يكتب لي عهد بالقضاء بمدن المنصورية والمهدية والقيروان وسائر مدن افريقية واعمالها فذكر ذلك وانتشر في الناس وعلموا امتثالي ايام كنت باطرابلس امره فيما عهده الي في عهد القضاء عليها من اقامة الحق على الشريف والمشروف والعدل بين القوي والضعيف

فانتهى الي عن جماعة ممن تعود الاثرة ومن عودهم اياها للذمام والطعمة وعن المخالفين لي في المذهب ممن تطاعم الرئاسة ان ذلك ساءهم وخفضهم واشمأزت منه قلوبهم فقام فيه من اعتاد الاثرة انفة وحمية ومن عودها الناس خيفة على نفسه وتقية ومن خالف المذهب ديانة وعصبية فاسروا بي النجوى واجتمعوا علي لاجتماع الاهواء من خاص وعام وقريب وبعيد فخلصوا نجيا في الحيلة بالبغي علي وسددوا بالمكر سهامهم الي لغير ذنب مني اليهم ولا جناية مني اوجبت ذلك منهم فشنعوا علي من الاشانيع وبسبوا الي من المكر ما الله يسألهم عنه ويثيبني ان شاء الله بفضله عليه وتهيأ لهم بذلك بعض ما املوه بحسب ما اوجبه الزمان وتهيأ في الامكان مما لم يكن علي منه بحمد الله وفضل وليه ضير ولا نقص

ولما صرت الى ما اصارني اليه المنصور وقمت بما وجب علي القيام به منه وسمعوا ثناء الناس مما تطاعموه من العدل ورأوه من الانصاف جعلوا يشيعون فيهم الاشانيع ويدسون من بينها فيهم اني انسب المكروه اليهم واسعى بهم واحرك ما فيه حتفهم وما علموا انهم يكرهونه ونسبوه الي ليوغروا صدورهم علي ويذهبوا بشكرهم لي مع اصناف من الحيل والاذى والمكر لا يفترون عنها ولا يملون منها يطول ذكرها ووجوه من الاذى كثيرة ثبتت عندي وصحت لي

فضاق صدري بها وحملني ذلك بعد صبر طويل على رفعها الى المعز لدين الله صلوات الله عليه فضمنت جملا منها رقعة دفعتها اليه

فوقع الي بخطه في ظهرها يا نعمان والله لو لا معرفتي بك لنسبتك عند وقوفي على رقعتك هذه الى الجهل اذ كنت قد علمت ما مر على مواليك من اذى من نصب لهم وعاداهم ورد امر الله عز وجل وكذب رسوله فيهم من المحن العظيمة لكن انفسنا قد تمرنت على حمل المكروه وظهورنا قد قويت على النهوض باثقاله وانت بحمد الله فلم ينلك ما يدخل عليك من نقص في دينك ولا ذل في دنياك وقد ضقت من هذا الذي وصفته وبلغ منك افما علمت انك الجاني على نفسك ما منه ضجرت اذ قد تبين لك مخالفة السفل الرعاع لاولياء الله ورفضهم لاحكام الله ونصبهم وطعنهم على اتباع الحق واهله واردت ان لا يكون منهم ما قد كان اليك فكنت تدعنا وتتبعهم وتتعافى مما قد بلينا وبلي اتباعنا به منهم

واذا كنت اتبعنا على بصيرة ومعرفة فاصبر على ما لا بد منه فقد قال مولاك علي صلوات الله عليه رضى الناس غاية لا تدرك وحسبك عملك بطاعة الله وعملهم بمعاصيه وانت اعلم بنفسك منهم بك فان كان بينك وبين الله شيء تخافه فمنه فاحذر وان لم يكن فهذا لك زيادة في الاجر ولقد كان الواجب عليك ان تسأل الله الزيادة لك من هذا الحسد فانك لا تزداد بقربنا رفعة الا زدت من كثرة الحاسد وكيد الكائد فان كنت سألت الله رفع ذلك عنك في حين ضيق صدرك فاستقل الآن فقد كان بعض الحكماء اذا دعا الله لنفسه قال رب اجعلني محسودا ولا تجعلني مرحوما ثق بالله ربك وبنا فوالله لا ينالك مع الثقة بالله وعز الدولة مكروه تحذره في دين ولا دنيا هذه الالسنة الحداد هي متاجر النساء والسفل والاوغاد تذهب بالاعراض عنها وتزول بالاطراح لها وتزيد وتعظم ما علم السفل نفاقها فلا تضع الى سماعها ولا تلق بالا بها فوالله ما سبيلهم عندي الا كسبيلهم عند المنصور صلوات الله عليه فلقد سمعته يقول ويؤكد ذلك ويحلف عليه وذكر كلاما ولاهم الله ما تولوه وجزاهم بما اعتقدوه ومع هذا فللملك سياسة يساس بها ولنا حدود لن نتعداها والله يظهر امره على رغم الراغمين ولو كره المشركون والله يؤتي فضله من يشاء والله سميع عليم

فلما قرأت توقيعه هذا سلوت مما كان ضاق به صدري وكأنما كنت في غفلة عما ذكره

ونقول : ما ابلغ هذه الموعظة من ولي الله صلوات الله عليه واثبتها واسماها في الفضل وابلغها ، فانه لا يحسد الا اهل الفضل على ما آتاهم الله من فضله ، واولاهم من جزيل خيره وبره ، وما احسن الاعراض عن كلام الاراذل والاوغاد ، واسلى ذلك للقلب ، وابرده في الفؤاد ، ومن اصغى سمعه لما يقولون وينقلون ويفصلون من المحال ويحملون وقع من ذلك في العويص ، ولم يكن عن شغل قلبه من محيص ، اذ هو اذا جاراهم في ميدانهم اهان نفسه وساواهم في النقص ، ولا يستريح الا باعراضه عن الخوض في مداحض جهلهم ، وترك البحث عن امورهم والفحص ، وقد قال الله تعالى في كتابه الكريم المنزل على خير المرسلين حيث قال تعالى : واعرض عن الجاهلين ، ولو اوردنا ما اتى عن اولياء الله سلام الله عليهم ، لطال القول به ، واحتجنا الى ابواب كثيرة تتسع في امر ذلك وسببه ، ولا يزال اهل الفضل محسودين على قدر فضلهم ، ممتحنين ممن ينتقص من قدرهم ، وليس كمثلهم.

وفيما اتى عن القاضي النعمان بن محمد رضوان الله عليه في فضل المنصور بالله صلوات الله عليه قال :

قال وسمعت المعز لدين الله صلوات الله عليه يقول : كنت مع المنصور عليه السلام في بعض اسفاره وقد نزل منزلا اقام فيه في قصر له بذلك المنزل وبستان قد احاط به فيه ماء جار فخرجت يوما امشي في نواحي ذلك المنزل فلما انصرفت اتيته بحسب العادة فوجدته تحت بعض تلك الاشجار في يوم صائف وحار حاسر الرأس وقد حلقه وان العرق ليرشح منه وهو يؤلف كتابا يكتب نسخته فقلت يا مولاي في مثل هذا الحر لا تقوم الى مجلسك

فقال دعني فقد قطع علي كلامك شيئا كان اتصل عندي ولمثل هذا جلست وتحملت هذا الحر لانه قد تهيأ لي من القول ما حشيت ان قمت عن مكاني ان ينقطع عني

فجلست حتى قضى حاجته ودخل فاقام مليا لم يخرج فحشيت عليه انه عرض له عارض من ذلك الحر فارسلت اليه اسأله عن ذلك فقال ما علي من بأس بحمد الله ثم تمادى قعوده واذن لي فدخلت اليه فاصبته على حال ما احسبه من السلامة والعافية فقلت يا مولاي الى كم تقيم في هذا البيت وانت بموضع نزهة وتفرج ونظر الى هذه المياه والاشجار

فقال اخبرك والله اني رأيت ان بعض هذا الحيوان العظيم الخلق يعلو ظهري فخشيت ان يكون ذلك بعض اسود هذه الغياض واعوذ بالله

فقلت كلا لا يفعل الله ذلك

قال نعم كلا لا يفعله ان شاء الله تعالى ولكني عرفتك ما عرض لي

ثم ركب من ذلك المنزل في غلس الصبح يريد غيره ودعاني وسايرته وتحتي فرس فقال حركه لانظر اليه فحركته وحرك هو فرسه فدار به دورة خاف لها ان يسقط به فترامى عنه ووثب الفرس فعلى ظهره ولم يضره فبادرت اليه ونزلت عن فرسي فاصبته قد ركب ولم ينله مكروه وقال هذا ما ذكرته لك وحمد الله واثنى عليه

وقال المعز لدين الله صلوات الله عليه وقد ذكر التنجيم : كان المنصور بالله امير المؤمنين عليه السلام فيه ماهرا، وقال لي ما طلبت علمه لشيء مما يراه الناس من القضاء به ، ولقد وقفت في مواقف الحروب التي وليتها ايام الفتنة الى حين انقضائها فما وقفت قط موقفا منها باختيار بعلم من علم النجوم ولكثيرا ما كان الامر يقع بقلبي ويتحبب لي وقضايا النجوم تخالفه وتمنع منه فلا القي لتلك القضايا بالا ولا التفت اليها واعمل ما يقع بقلبي ويتحبب الي فيكون في ذلك التوفيق والنصر وضد ما يوجبه القول بالنجوم، والله ما طلبت هذا العلم الا لما يدل عليه من توحيد الله جل ذكره وتأثير حكمته في منفعلاته فاياك ان تشغل نفسك بغير هذا ولا تلتفت اليه

وخرج امير المؤمنين المنصور بالله عليه السلام من المنصورية الى ناحية تونس ، فاخرج الاساطيل لغزو الروم مع حسن بن علي وشحن الاساطيل بالرجال والعدة والاموال ، فخرج بها الحسن بن علي فانتهى الى بلد الروم ، ومعه بعض قواد امير المؤمنين فغزوا وسبوا وملكوا قلورية ، ثم رجعوا منها الى جزيرة صقلية بالعساكر ليشتو بها ، وقد كان امير المؤمنين امرهم بالمقام ، فلما انصرفوا كتب اليهم امير المؤمنين كتابا غليظا وشد عليهم فيه وامرهم بالرجوع الى حيث امرهم بالمقام به ساعة وصول كتابه ، وكان في كتابه عليه السلام اليهم : كأني بكم وقد قلتم لما رأيتم الانصراف ان الحاضر يرى ما لا يرى الغائب ، وقدرتم في انفسكم انكم الحاضرون لما قبلكم وانا الغائب عنه ، وليس كما ظننتم ، بل انا الحاضر لذلك ، وانتم الغائبون عنه

قال القاضي النعمان رضي الله عنه : ففعلوا ما امرهم اميرهم امير المؤمنين عليه السلام فكان لذلك الفتح العظيم وسبقوا طاغية الروم الى موضع لو سبقهم اليه لما تهيأ ذلك الفتح فهزموه واحتوات عساكر المسلمين عليها واثخنوا بالقتل فيهم ، فكان ذلك بسبب رأيه مقرون بالتوفيق ، وعادوا بمن معهم سالمين ، وحصلت الهيبة في قلوب المشركين

وجاءت الهدايا الى امير المؤمنين المنصور بالله عليه السلام من ملك الروم وسأله الهدنة فاراد امير المؤمنين عليه السلام ان يري ملك الروم نعمة الله وقوة الاسلام وان ما آتاه الله خير مما آتاهم ، واراد عليه السلام ان يصرف رسل طاغية الروم بافضل مما جاؤا به واحسن ، فكتب الى الاستاذ جوذر عامله على المهدية بان يحمل اليه من الخزائن التي تحت يديه اشياء وصفها له مما يصلح ان يبعث به للملوك ، وكان فيما كتبه الى جوذر قوله في الكتاب : وانا اعرف من حرصك على ان لا يكون في الدنيا شيء حسن الا وهو عندنا وفي خزائننا مما اظنه يحملك على الشح على النصارى بمثل هذا الذي امرناك بانفاذه الينا فلا تفعل ، فان ذخائر الدنيا في الدنيا تبقى ، وانما ادخرناها لمباهاة الاعداء ، والدلالة علىشرف انفسنا ، وعلو همتنا ، وسخاء قلوبنا ، بما تغن به النفوس ، ويشح به كل احد .

قال منصور الجوذري العزيزي : وكان المنصور بالله من النظر الى الدنيا بمثل هذه العين وسماحة نفسه بها على حال مشهور وظاهر معروف ، قدس الله روحه ، وصلى عليه ، فبعث صلوات الله عليه بذلك الى ملك الروم ، اظهارا لعز الاسلام ، وما آتى الله اوليائه من خزائن الارض وسماحة انفسهم بالحطام .

قال القاضي النعمان بن محمد رضي الله عنه : وسمعت المعز بالله صلوات الله عليه وسلامه ، يقول في فضل المنصور بالله صلوات الله عليه: لما خرج المنصور بالله الى ناحية تونس في حين اخراجه الاساطيل لغزو الروم ، فنزل خربة قرطاجنة من احدى عجائب الاولين في البناء قاقام بها اياما

قال فدخلت عليه في صبيحة يوم من تلك الايام فقال لي اخبرك عن عجائب هذا البناء لقد اشتغل قلبي به فقلت في نفسي ليت شعري من بناه وهل واحد ام تعاقبه جماعة وكيف كان اقتدر من بناه عليه مع عظمه واتساعه وقلت ان كان الذي بنى هذا ملكا واحدا فكيف اتسع بذلك والعمر لا يبلغه وان تداوله ملك بعد ملك فكيف اتفقت آراؤهم على هذا المكان وقلما تتفق الاهواء على سكنى البلدان سيما الملوك

فنمت وانا افكر في ذلك فرأيت في المنام كأن رجلا دخل علي آدم شديد الادمة تعلوه صفرة خفيف العارضين محدورا معتدل القامة عليه ثوب ابيض قد توشح به فسلم علي فرددت عليه السلام وقلت من انت

قال عبد من عباد الله بعثب اليك

قلت مرحبا بك ودفعت يدي اليه فاكب علي وقبل عضدي وقلت له اجلس فجلس وسكت انظر ما يقول فسكت وتبسم في وجهي تبسما خفيفا فقلت يا هذا من انت وما له جئت

فقال انا صاحب هذه المدينة

قلت وكيف انت صاحبها

قال انا الملك الذي ابتنيتها وملكت اهلها

قلت وحدك ام شاركـك فيها غيرك

قال بل وحدي ابتنيتها حتى اكملتها وسكنتها واقمت عمري بها الى ان مت فيها

فقلت له لقد اعطيت ملكا عظيما وبسطة افما كان لك عدو فحاربته فشغلك عن هذا البناء

فحرك يده وجمع اصابع يديه جميعا وقربهما كان لي عدو كثير ومن ذا يخلو من الاعداء

قلت فما كان دينك ومذهبك

قال التوحيد

فما صرت اليه

قال الى خير والحمد لله

قلت قد جمع الله لك امر الدنيا والآخرة

قال وما تنكر من ذلك اذ كانت هذا البقاع من هذه الارض قد منحت ما تراه من المنحة فكيف بالارواح الشريفة وما يخصها الباري اذا ارتضاها

قلت اجل فما اسمك فتسمى لي باسم لم اسمع بمثله في لغة من اللغات ولا عرفت معناه الا انه كثير عدد الحروف

وقال المعز عليه السلام اظنه قال فيه مثل عشرة احرف وذكر بعضها وقال كتبها المنصور عليه السلام قال ثم حرك للقيام فقلت الا تجلس انست بك فقال ما بعثت اليك الا وانا على شغل فان احببت ان تسأل عن شيء فاسأل عما بدا لك

قال فسكت مفكرا فيما اريد ان اسأله عنه فقام ومضى فاتبهت

واقام امير المؤمنين المنصور بالله صلوات الله عليه بالمنصورية التي ابتناها في عظيم ملك ، ورفيع عز ، قد فتح ابواب رحمته للمؤمنين، وافاض عليهم علوم آبائه الطاهرين ، و سقاهم من صافي تيارها المعين ، وافاد الرغبين ، وهدى الطالبين ، وولده ولي عهده والخليفة من بعده المعز لدين الله قد انتصب معه واستقام امره، وعلى ذكره ، ولاذ الدعاة به ، وجعلوه السبب بينهم وبين امير المؤمنين ، وهو عليه السلام مع فضله وسامي محله اقرب قريب اليهم ، يدنو منهم ويؤنسهم ، ويحضهم بقربه وبره ، ويدنيهم الى والده ، وولي امره ، وقد اعتدلت الامور ، وخفت اهل النفاق والشقاق ، لهيبة سيف ولي الامام المنصور ، ولم تطل الايام حتى اعتل امير المؤمنين المنصور بالله علته التي كانت سبب وفاته .

قال منصورالعزيزي الجوذري فيما اتى عنه : وآخر كتاب قرأته من كتب امير المؤمنين المنصور بالله عليه السلام الى جوذر الاستاذ عامله على المهدية ، جوابا عن كتب كثيرة كتب بها الاستاذ فالفيت الامام عليه السلام عليلا ثقيلا ، فتأخرت الجوابات مدة ، ثم انتبه من علته ، فكتب الى الاستاذ بخط يده بعد البسملة ، صانك الله يا جوذر ، وردت كتبك ، فوقفت على ما فيها ، وفهمت ما ذكرته من جميعها ، وتأخر الجواب لشغل مرة وعلل مرة وضعف شامل للجسم كله ، والحمد لله على كل الاحوال ، وكل ما يكتب به اليك ابو تميم فمما اشافهه به ، استودعه الله .

فاما ما نعي به امير المؤمنين المنصور بالله نفسه واخبر باقتراب اجله فمن ذلك ما رواه القاضي النعمان بن محمد رضي الله عنه ،قال : وقلب المعز لدين الله يوما كتبا وانا بين يديه وتصفح كتابا منها فادام النظر فيه ، ثم استعبر وقد نظر الى شيء في عرض الكتاب ، ثم قال عليه السلام : نظرت في هذا الكتاب وهو بخط المنصور بالله صلوات الله عليه ، فرأيته قصر فيه وحال عن جوده خطه المعروف ، فلم ادر لما كان ذلك ، حتى رأيت هذا البيت في عرضه ، وهو بيت تمثل به صلوات الله عليه ، وهو قول لبيد :

بلينا وما تبلى النجوم الطوالع \* وبتقى الجبال بعدنا والمصانع

ثم قال المعز صلوات الله عليه : هذا نعي نعى به نفسه ، فحال خطه واظن ذلك كان من علته ، ثم قال عليه السلام : والى هذا والله المصير.

وعن القاضي النعمان بن محمد رضوان الله عليه قال قال وجلست يوما بين يدي الامام المعز لدين الله عليه السلام فجرى كلام قيل انه في بعض الكتب فدعى بالكتاب الذي قيل ان ذلك فيه ينظر اليه فاتى برزمة من الكتب فوضعت بين يديه فجعل يتصفحها كتابا كتابا الى ان مر منه على كتاب فيه تعليقات بخط المنصور عليه السلام يؤلفه فلما رآه استعبر وجعل يديم النظر فيه ثم تنفس الصعداء وقال والله لولم يكن له غير هذا لكفى به معجزة من امره وما رأيته قبل وقتي هذا

ثم ارانا ذلك وقال هذه الخطبة التي الفها وخطب بها في عيد الفطر الذي قبض بعقبه فيها كلام كأنه اراد ان يقوله ثم بدا له من ذلك فتركه

فنظرنا الى ذلك بخطه نعرفه وقد ضرب عليه بعد ان كتبه وفيه وقد مضت ليالي الشهر وايامه وحان انقضاء العمر وانصرامه

ثم قال المعز عليه السلام اراد والله ان ينعى الينا نفسه

فابكاني ذلك وقلت واي نعي يكون اكثر من وقوله يومئذ وقد انصرف عن المصلى ووقف بصحن القصر ويده على كتف امير المؤمنين يوصيه باوليائه واهل مملكته وقد احاط الناس به وهو يستعبر وصية من قد ايقن بقرب الاجل والله لقد كاد يومئذ كلامه ان يصدع الاكباد فكان من اعجب ما ظهر منه يومئذ للناس فرأوه عيانا وسمعوه وان كان قليلا من فهم ذلك الا بعد ان قبض عليه السلام

وفيما رواه القاضي النعمان بن محمد رضي الله عنه قال : وذكر المعز لدين الله صلوات الله عليه يوما وانا جالس بين يديه ما لاقاه امير المؤمنين المنصور بالله قدس الله روحه وصلى عليه وعلى آبائه ، والطاهرين من ابنائه، منحرب اهل الفتنة ، الى ان جلاها الله على يديه سلام الله عليه ، وما مر ّ به من التعب والنصب ، ومقاساة السفر ، ومباشرة الحر والقر ، وما خرج اليه من ذلك دفعة بعد الخفض والدعة من غير دربة في ذلك ولا ممارسة ، وما عرض له في ذلك من العلل ،

فقلت له يا مولاي لئن كان قاسى لذلك جسيما فقد كشف الله تعالى بذلك على يديه عن الامة بلاء عظيما وحصن به عز وجل دينه من ان يبدل وسنة نبيه محمد صلع من ان تغير

فقال اجل وما زال ص في محنة عظيمة ومزاولة شديدة الى ان نقله الله الى دار كرامته ومحل راحته وقرار جنته

ثم قال عليه السلام لقد دخلت اليه في آخر ايامه صلوات الله عليه وقد اشتدت علته فرأيت منه ما عرفت له الموت في وجهه فما تمالكت ان استعبرت فنظر الي وقال ما لك

قلت افكرت فيك وفي المهدي بالله قدس الله روحه وانه مذ افضى الله تعالى اليه بما افضى به من كرامته وان كانت المحن قد عارضته فقد آل امره الى راحة طويلة ودعة ونعمة وانت صلوات الله عليك فمذ افضى الله بهذا الامر اليك لم نتفك عن الحروب والمقارعة والاسفار والمزاولة الا الى العلل والاسقام والامراض والآلام فاسأل الله لامير المؤمنين تعجيل الراحة ودوام العافية

فقال لئن قلت ما قلت فيما عرفته فظهر اليك للذي استتر وغاب عنك اكثر اتدري مذ كم انا ازاول المحن

قلت منذ كم يا امير المؤمنين

قال مذ والله قبض الله المهدي بالله عليه السلام صرت الى المحن العظام وان كنت لممتحنا قبل ذلك بمحن كثيرة انه لما كان من امر الله في المهدي ص ما كان لم يتقدم القائم عليه السلام للصلوة عليه حتى اخذ بيدي وخلا بي فقلدني عهده واسر الي ذلك واستكمني اياه فوالله ما علم بذلك منه الي بعد الله غيري واقمت مدة ايام حيوته ثلاث عشرة سنة انظر الى من قرب منه ومن بعد عنه ص يسعون بالفساد في دولة هي لي قد قلدني الله امرها وانا كاقل الابعدين لا آمر ولا انهى ولا اتعرض لشيء انكره ولا اومئ اليه ولا الى شيء يتوهم من اجله علي شيء مما انا فيه واهل خاصتي يؤذون ويستطال عليهم فلا يجد عندي احد منهم نصرة ولا قياما اكثر من ان اقصيهم عن نفسي وابعدهم عن قربي وينال مني واسمع وتهضم اموالي وتؤكل وانا في ذلك كله بمعزل اتجرع عصص الغموم واتحمل فادح النوازل صبرا على ما حملت وقياما بما قلدت وحفظا لما استرعيت وصيانة لما استودعت من ان تستحثني فيه ابهة القدرة او ان يظهر علي منه عز المملكة ولو بقيت على ذلك ايام حيوتي ما عدوت ما كان مني ولو شئت لبسطت يدي ولساني وانفذت امري لان الله تعالى قد جعل الي ذلك ولكني لم ازل على ذلك من حال الى ان كان من امر الله تعالى في القائم عليه السلام ما كان وكان من الامر ما قد انتهى اليك وشاهدت وذلك هو الذي علمت وانه في جانب ما قد مضى علي ولقيته من قبله لاقل من ان التفت اليه او اذكره

قال القاضي النعمان بن محمد رضي الله عنه :

فاستعبرت لما سمعته من ذلك واكثرت من الصلاة على المنصور عليه السلام وقلت با مولاي هذا والله الصبر الذي وعد الله تعالى ان يوفي اهله اجرهم بغير حساب

ولقد روينا عن علي ص ما ذكره مما امتحنه الله به في حياة رسول الله صلع وبعد وفاته من المحن التي يمتحن بمثلها اوليائه فما بلغت كلها ما ذكره المنصور ص في هذه الواحدة وما قد عرفنا من حاله يومئذ وما جرى عليه مما اجرى جملة خبره في حديثه هذا ولقد كنا نتعجب من خموله وتواضعه وتوقيه ايام القائم صلع ومحله منه محله ونحن لا ندري ما افضى الله به اليه يومئذ ونستعظم ذلك منه فكيف لو علمنا بما اصاره الله اليه

فقال المعز لدين الله ص ان عليا وان كان امتحن بما امتحن به لم يكن يدع ص شيئا في نفسه يحمل المه عليه حتى يضرب به وجوه المخالفين له والمعاندين عليه والمتخلفين عنه اما تصريحا واما تعريضا وفي ذلك بعض ما يسلي الغمة ويذهب العلة والمنصور ص كالمغضي على شوك القتاد والقابض على جمر الغضا ثم لا يرى انه في شيء من ذلك اخص الناس به واقربهم اليه صلوات الله عليه ورحمته وبركاته عليه من صابر على امر الله محتسب فيه فضاعف الله اجر ذلك واحسن عليه جزاءه

وفيما رواه عن المعز لدين الله عليه السلام قال : سمعت المنصور بالله صلوات الله عليه يقول : انما يستحب الفاضل البقاء في الدنيا ليظهر الله عز وجل منه ما هو كامن من الخير ، فيعظم ثوابه ، ويجل في الدنيا والآخرة قدره ، والا فان الذي له عند الله عز وجل في الآخرة افضل مما في الدنيا

قال القاضي النعمان رضي الله عنه : وسمعت المعز لدين الله صلوات الله عليه يقول : لما احتضر المنصور بالله صلوات الله عليه ، وقرب منه من امر الله عز وجل ما قرب اغمي عليه ، فرأيت منه منظرا لم اتمالك له ان بكيت ، فافاق وانا ابكي ، فقال آها ما لك الم انهك عن البكاء

قلت وكيف يحسن الصبر بمن يراك على هذه الحال يا مولاي

فقال لي ما جازيتني جزائي انا اسر لك وافرح بما يصير لك بعدي من عاجل الدنيا ويسوءك انت وتحزن بما اصير اليه من نعيم الآخرة لا تعد الى هذا ولا تستقبل ما خولك الله من دولتك بالحزن والبكاء بل فافرح بما آتاك الله من دنياك وما اصارني اليه واعطانيه في آخرتي

وقال القاضي النعمان رضي الله عنه : سمعت الامام المعز لدين الله صلوات الله عليه يقول : دخلت على المنصور بالله صلوات الله عليه في مرضه و كان فيما اوصاني فيه المنصور بالله عليه السلام عند وفاته ان قال لي دع عنك ملازمة قبري والاختلاف اليه فان ذلك يبعث الحزن ولا يؤدي الىغاية من الحزم وانما يفعله الجهال من الرجال فان لم يكن لك من ذلك بد فالوقفة بعد المدة للترحم ثم تنصرف بسرعة ومن عرف مصير الارواح لم يلتفت الى محل الابدان

وقال القاضي النعمان رضي الله عنه : سمعت الامام المعز لدين الله يقول : دخلت على المنصور بالله صلوات الله عليه في مرضه الذي توفي فيه وقد اشتد به وبين يديه الدواة وقد اخذ صحيفة ليكتب فيها وتناول القلم فلم تثبته يده فسقط على ثوبه فغيره مداده فلما رآني قال اتدري ما هذا

قلت ما هو يا مولاي

قال ظهر والله في قلبي اطلعت نفسي الآن من علم الله وحقيقة توحيده وغيب ملكوته مالم اكن اظن اني اطلع على مثله ولا استطيع لما انا فيه اللفظ به فدعوت بالدواة لاكتب ذلك وافيدك فيه اياه فلم املك القلم واخذ مكان المداد في ثوبه باطراف اصابعه وقال هذه معذرتي اليك

ثم قال وهذا بشرى من الله في مثل هذا المقام وما يطلع اولياءه عليه في حين قبضهم اليه

قال المعز عليه السلام فما ادري كيف فجعت به من ذلك وما داخلني له ولكني تجلدت وقلت يبقي الله امير المؤمنين ويمد في عمره وينسئ في اجله

فقال هيهات قد والله قرب الاجل وازف الوقت

فما كان باوشك من ان قبض صلوات الله عليه ورحمته وبركاته

وقال القاضي النعمان بن محمد رضي الله عنه : خدمت الامام المهدي بالله صلوات الله عليه من آخر عمره تسع سنين وشهورا واياما والامام القائم بامر الله من بعده ص ايام حياته في انهاء اخبار الحضرة اليهما في كل يوم طول تلك المدة الا اقل الايام وكان لهما صلوات الله عليهم من النعم والفضل علي في ذلك ما لا احصيه عددا ولا اقوم ببعض شكره ابدا اقل ذلك تغمد الزلل مني والصفح عما يأتيهما عني وانا اعلم وان اجتهدت وتحفظت واحترست اني لا اسلم من ذلك فما اتاني عن احد منهما طول هذه المدة انكار علمته ولا انتقاد شيء جهلته وارجو ان يكون ذلك موصولا بعفو الله ورحمته وما ذكرت ذلك الا ذكرت حديث انس بن مالك الذي يعتد به وقوله فيه خدمت النبي صلى الله عليه وآله تسع سنين فما قال لي قط لشيء صنعته اخطأت ولا بئس ما صنعت وافكر في ذلك وما صحبني من رضى المنصور بالله والمعز لدين الله صلوات الله عليهما وتغمدهما وصفحهما فاذكر قول انس هذا فاقول هم صلوات الله عليهم كما قال الله تعالى فيهم ذرية بعضها من بعض والله سميع عليم

فان كان ذكر انس ذلك يريد به تجاوز رسول الله صلى الله عليه وآله وصفحه وعفوه ورحمته كما ذكرت انا ذلك عن امير المؤمنين صلع في نفسي فقد اصاب واحسن وان ذهب بذلك الى ان سلم طول هذه المدة من الزلل فبئس ما ظن ولو لم يكن له الا ما يؤثر عنه من رجه عليا صلوات الله عليه من باب رسول الله صلى الله عليه وآله ثلاث مرات لما سمعه من رسول الله صلع وقد قرب اليه طائر مشوي وهو يدعو ويقول في دعائه اللهم سق الي احب خلقك اليك ليأكل معي من هذا الطائر فجاء علي ص فيما ذكر انس فقرع الباب فخرج اليه فقال له رسول الله صلع نائم ثم جاء الثانية فقال له رسول الله على حاجة ثم جاء الثالثة فاراد رده بمثل ذلك فدفع صدره ودخل وهو يقول يا ابن مالك ابتلاك الله ببيضاء لا تواريها العمامة فقال انس فلدعوة علي اصابني ما اصابني من البرص قال فلما دخل قال له رسول الله صلع ما ابطأ بك عني يا علي فاخبره قال انس فتغير وجه رسول الله صلع وقال لي يا انس ما حملك على ذلك قلت يا رسول الله الحب لقومي وسمعت دعوتك فاحببت ان يكون الرجل الذي يأتيك يأكل معك رجلا من الانصار قال وسكت عني وفي هذا كلام يطول ولم اقصد اليه فاستقصيه

وكنت اخدم المنصور بالله صلوات الله عليه بعض ايام المهدي بالله صلوات الله عليه وايام القائم كلها وكانت له علي من النعم والآلاء ما لا احصي عددها وكانت خدمتي اياه في جمع الكتب له وانتساخها فلما قبض القائم صلوات الله عليه استقضاني قبل ان يظهر امره وكنت اول من استقضاني من قضاته واعلى ذكري ورفع قدري وانعم علي من النعم بما لو اخذت في وصفه لقطع بطوله ما اردت ذكره فلم تكن قبله علي نعمة اعظم من نعمته مع الذي افترض الله عز وجل علي من معرفة حقه ومودته فلم يكن في ايامه احد اعز علي منه ولا اعظم قدرا ولا اجل في قلبي خطرا وكنت اذا تمنيت كان افضل ما اتمناه ان اموت في ايامه وعلى رضاه

فلما اعتل صلوا ت الله عليه العلة التي قبض فيها تداخلني لذلك ذعر شديد وخوف عظيم وكان المعز لدين الله صلوات الله عليه في ايامه سببي اليه ومعولي في جميع اموري عنده عليه وكنت القاه والمنصور على علته فأسأله عنه فيذكر من صلاح حاله ما اسكن اليه ثم استأذن لي يوما في جماعة من الاولياء فادخلني عليه فرأيته شديد العلة ضعيفا فما خرجت من بين يديه حتى كاد قلبي يذوب وجعلت القى المعز صلع فأسأله عن حاله فيذكر انه صالح الحال وانا ارى في وجهه صلوات الله عليه من اثر الغم ما غيره واحاله عما كان عليه من الاشراق والنضارة وارى كل يوم ذلك يزيد به والغم بذلك يتضاعف علي حتى رأيت من حال المعز لدين الله صلوات الله عليه ما اربى غمي به على غمي بما كنت اتوقعه في المنصور صلى الله عليه وآله

ثم خرج في اليوم الذي قبض فيه ولا علم لي بذلك فلقيته بحسب ما كنت القاه ورأيت ظاهر حاله اصلح مما كنت اراه فسررت بذلك ثم سألته سؤال مستبشر عن المنصور قدس الله روحه فقال لي يا نعمان اذا كانت هذه الشمس والقمر والنجوم والسماء والارض والجبال زائلة ذاهبة فانية فما ظنك بما دونها من هذا البشر كل نفس ذائقة الموت كما قال الله جل ذكره كل شيء هالك الا وجهه فعلمت ان المنصور قد قبض ص وهجم علي من ذلك ما كدت ان اسقط له الى الارض ثم تداركت نفسي ورأيت الناس حولي فاستثتب وقلت كلاما نحو ما قاله المعز صلوات الله عليه لا افهمه وانسانيه ما كنت فيه وانصرفت عنه والعبرة تخنقني والدموع تبتدر من عيني حتى صرت الى خلاء من الفحص فارسلت عبرتي ورفعت عقيرتي وبكيت لذلك مليا حتى خف ذلك عني واقمت اياما على ذلك اذا امتلأ صدري وعيل صبري خرجت الى ذلك المكان فاسفرغت ما عندي

وكانت وفاة امير المؤمنين المنصور بالله صلوات الله عليه وسلامه ورحمته وبركاته ورضوانه عليه وعلى آبائه الطاهرين ، وابنائه الاكرمين، في آخر شهر شوال من سنة احدى واربعين وثلاثمائة ، فاظهر امير المؤمنين المعز لدين الله من الصبر والتأسي لفقده ما اظهر المنصور بالله اوان وفاة القائم بامر الله صلوات الله عليهما ولم يشق عليه جيب ولم يضرب عليه وجه ، وذلك لما اوصى به

وكتب امير المؤمنين المعز لدين الله الى عبده الاستاذ جوذر عامله على المهدية ، فكان كتابه ك

بسم الله الرحمن الرحيم ، الحمد لله رب العالمين على ما ابلى واولى حمدا كثيرا، سلمك الله يا جوذر ، وقد تعلم اتصالك بنا وتمسكـك بولايتنا ، ومحلك من صدورنا وتقربك عندنا من ذلك ما يكفي ويغني عن الاطالة والتعداد ، وما اظنه يخفى على الموسوسين والقردة المخرسين فضلا عن ذوي الولاية والطاعة فكيف بمن اجتمعت له الولاية مع القديم والجديد من جميع الائمة المهديين الفاضلين ، صلوات الله عليهم اجمعين ، في الاولين والآخرين، وان الله وله الحق خلق الخلق لاظهار جوده وفضله ، ورزقهم بمنه واحسانه ، وقهرهم بالموت ليعلم المخلوقين انه جل جلاله هو المتفرد بالبقاء والوحدانية ، فلم يبق في هذه الدنيا الخسيسة الدنية نبي مرسل ولا ملك مقرّب ، ولا امام فاضل ، ولا خسيس اذل ، الا صاروا الى الحكم والعدل ، فتعالى الله ذو الجلال والاكرام ، ومن كانت حاله عندنا كحالك ، وجب ان نشركه في سرورنا وحزننا ، وفي جميع ما تصرفت به احوالنا ، وكان من قضاء الله السابق ، وامره النافذ ان اجرى على مولانا وسيدنا امير المؤمنين من حكمه وقضائه ما اجراه على آبائه المهديين وجده محمد خاتم النبيين صلوات الله عليهم اجمعين، فامتحنني بفقده، واوحدني من بعده ، في الديار الموحشة ، والقصور الخالية ، والبلد المشاقق ، بين كل عدو وفاسق ، قد اجتمعوا من اقطار الارض من شرق وغرب ، وبر وبحر ، فانا فيهم الفريد الغريب الوحيد، المتوكل على ذي القوة المجيد ، فانا لله وانا اليه راجعون، ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم ، ما اعظم محنتي ، واشد بليتي ، واكبر رزيتي ، فعلى الله اتوكل ، واليه افوض ، وعليك فيما قبلك بالاحتراز ما امكنك ، والضبط ما استطعت ، ومنع هؤلاء القردة من الوصول الينا والخروج من ابواب بيوتهم ، فضلا عما سوى ذلك ، والكتمان ثم الكتمان عن الاهل والخاص والعام ، وان اتصل بهم شيء من ذلك فكذبه ما استطعت ، وخوفهم ما قدرت ، ولا تحمل نفسك من الهم والغم ما لا تحمله ، واعلم انه لو كان ذلك نافعا لتقدمتك انا فيه والخلق اجمعين، واصطلحت نفسي من قبل هذا اليوم ، ولكن لا راد لامر الله ، ولا دافع لقضائه، ولا متوفى دون اجله ، يقول الله عز وجل : فاذا جاء اجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون، فواغوثاه بالله من شدة فجيعتنا، وواغوثاه من عظيم مصيبتنا ، عجل الله لنا الاجتماع معه ، والحشر في زمرته ، والورود معه على حوض جده ، فيا سرورا اتصل بالمهدي بالله والقائم بامر الله وبآياته البررة من كريم هذه الجوهرة ، ويا عظيم داهية ولد فاطمة بعده ، استغفر الله لنفسي من الزلل ، واتوكل عليه في التوفيق للعمل بما يرضيه ويزلف لديه، والسلام عليك ، وصلى الله على محمد خاتم النبيين ، وعلى الامام المنصور صفوة الوصيين، والحمد لله رب العالمين .

قال القاضي النعمان بن محمد رضي الله عنه : واستفاض امر المنصور صلوات الله عليه وارى امير المؤمنين المعز لدين الله صلوات الله عليه كل يوم يتسلى ويزيد صبره ، ويحسن ظاهره وانا اعلم من مكانه عنده ومحله لديه وموقعه من قلبه ما قد كنت اخاف عليه ان خدث به حدث من اجله فرأيت من العزاء والصبر والتجلد وجميل الامر ما قد ايقنت معه ان ذلك لانتقال الامامة اليه ورأيت تأثيرها ومخايلها فيه وانا على ذلك ما اتمالك جزعا وهلعا غير انه سهل علي بعض ذلك ما رأيته من صبر المعز لدين الله صلوات الله عليه وحسن عزائه وما منحه الله جل ذكره من الضبط والكفاية واولاه من لطيف الصنع والرعاية

واظنه رأى في ظاهر حالتي ما بين من شدة جزعي وقلة صبري فوقع الي يوما بخط يده اعلاها الله يا نعمان ليحسن عزاؤك ويجمل صبرك فمولاك مضى ومولاك بقي وانت واجد عندنا ما كنت واجدا عنده ونحن كنا سببك عنده ولن ينقطع ذلك السبب لدينا لك ان شاء الله تعالى فطب نفسا وقر عينا وليحسن بنا ظنك وتسكن الى ما تحبه لدينا نفسك

فبينا انا كنت اخشى من الوجد عليه اذ صار يعزيني عنه صلوات الله عليه لتأييد الله له وتوفيقه اياه وما وهب له من جميل المادة واجراه عليه من حسن العادة

والحمد لله الذي اليه مرجع الامور كلها ، المنزل على نبيه ما ننسخ من آية او ننسها نأت بخير منها او مثلها ، وصلى الله على محمد الفائز من اعتصم من عترته بمتين حبلها ، وعلى وصيه وعترته التي ابان الله عظيم فضلها ، وحسبنا الله تعالى ونعم الوكيل.

تم السبع الخامس من عيون الاخبار لسيدنا ومولانا الداعي الامجد ، والحبر الاوحد ، المولى الاكمل ، والسيد الافضل ، ادريس بن حسن اعلى الله قدسه ، ورزقنا شفاعته وانسه.

كتاب عيون الاخبار

للداعي الاجل سيدنا ادريس عماد الدين رضوان الله عليه

السبع السادس

بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين في جميع الامور

الحمد لله الجاعل اوليائه لخلقه اسباب النجاة ، القائل في كريم كتابه تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض منهم من كلّم الله ورفع بعضهم درجات ، وصلى الله على رسوله محمد الوسيلة الى الله الذي بفضله استجاب الدعوات، وعلى وصيه علي ابن ابي طالب وآلهما افضل السلام واسنى التحيات.

## ذكر نبذ من الاخبار مما كان في ايام المعز لدين الله امير المؤمنين معد ابي تميم بن اسماعيل المنصور بالله عليه السلام وعلى آبائه اجمعين

قد ذكرنا في اخبار الامام المنصور بالله سلام الله عليه ما يأتي ذكره من اخبار ولده المعز لدين الله ع م ونذكرالآن من بعض ما آتاه الله من فضله ، وخصه ذو الجلال به ، وما كان من الفتوح في ايامه ، ونأتي بنبذ من القول نختصرها ، ونأتي منها بجملها ، وبالله نستعين، وعليه نتوكل .

وهو سابع اسبوعين من ائمة دور النبي محمد صلع القائمين بعد الوصي امير المؤمنين علي ع م ، ورابع اربعة من ائمة الظهور الذين اولهم جده امير المؤمنين ابو محمد الامام المهدي ع م .

وكان القاضي النعمان بن محمد ممن تقدمت له القدم في خدمة الامام المهدي بالله في آخر خلافته ، وكان قد ظهر فضل القائم بالله له ولغيره ، ثم اطلعه الامام المهدي بالله على فضل ولد ولده الامام المنصور بالله ، وانه ثالث الائمة في الظهور ، وقال :يا امير المؤمنين ثلاثة ائمة في عصر واحد يستكبر ذلك ، فاراه الامام المهدي بالله المعز لدين الله وهو صبي في مهده وقال : هذا رابعنا يا نعمان، وقد اجتمع في وقت ابراهيم الخليل النبي اربعة وهم: ابراهيم الخليل النبي المرسل في دوره الذي اوصى الله اليه فقال : اني جاعلك للناس اماما قال ومن ذريتي فكان معه اسماعيل واسحاق ويعقوب ، ثم كان في وقت موسى بن عمران وكان معه اخوه هارون ويوشع بن نون وفيحاس بن هارون، ثم في وقت نبينا محمد خير الانبياء وخاتمهم الذي ختم به الله بنبوته النبيين، وبرسالته المرسلين ، وفضله على خلقه اجمعين، وجعل شرعه باقيا الى يوم الدين ، وكان في عصره اخوه وناصره ومعاضده على اقامة دين الله ومظاهره ، وابو الائمة من ذريته ومطاهره ، علي وصيه امير المؤمنين ، وخاتم الوصيين ، وابناهما الحسن والحسين عليهم السلام .

وكان اجتمع مع جعفر الصادق واسماعيل بن جعفر ومحمد بن اسماعيل عليهم السلام ثلاثة ائمة في عصر واحد ، وكان كذلك المهدي بالله ، والقائم بامر الله والمنصور بالله والمعز لدين الله ، ولا تكون الامامة الا في واحد بعد واحد هو ا لمختص بفضلها ، والحائز لشرف محلها ، يشير الى الخليفة من بعده وينص عليه لاهل دعوته ، القائم مقامه ، ويسلم اليه، لكنه يبين له من كان في عصره يترشح لها ويجعله الله اهلها ، فكانت تظهر في المعز لدين الله معد بن اسماعيل الفضائل وتقدمه باستحقاقه لخلافة آبائه الطاهرين الدلائل ، وقد آثر القاضي النعمان بن محمد فيما رواه عن الامام المعز لدين الله قال : اني لاذكر من امير المؤمنين المهدي بالله يوما حملت فيه اليه وانا يومئذ فطيم اعقل الكلام ، واحفظ ما يكون فتناولني وقبلني وادخلني تحت ثوبه وكشف عن بطني والصقها ببطنه ، ثم اخرجني وبارك علي ، وسألني عن حالي ، واجلسني في حجره ، ودعى لي بما آكل فاتيت بطبق من فضة مذهب فيه موز وتفاح خريفي وعنب ، فوضع بين يدي فلم اتناول منه شيئا ، فاخذه بيده وناولنيه فاخذته بيدي فقال : امض به فكل انت ما فيه ، واعط الطبق فلانة ، وذكر بعض البنات ، وهي يومئذ في مثل سني ، فقلت : بل آخذ انا الطبق واعطيها ما فيه ، فضحك وتعجب من انتباهي لذلك ، ودعى لي بخير، وقال للخادم احمله فحملت وحمل الطبق بين يدي ، وقال : سيكون له نبأ ومثل هذا الكلام. وقال القاضي النعمان : لم اضبطه انا عن المعز ع م ،

ثم قال المعز ع م : كان المهدي واحد الزمان ، وخبيئة آل محمد عليه وعليهم السلام ، وعالم علمهم ، وكاشف جلباب المحنة عنهم .

قال القاضي النعمان بن محمد رض : وكان المعز لدين الله يحل من جده القائم قدس الله روحه وصلى عليه وعلى الائمة من آبائه وذريته الطاهرين محلا خصيصا منذ نشأته ، وكان يقربه ويدنيه ، ويسر اليه دون ابيه ، وكان رسوله وسفيره الى الناس فيما يأمربه ، وينهى عنه ، ويحتاج اليه ، فاذا خلا كان بين يديه ، ومتى غاب عنه ارسل اليه .

وكان المنصور من جده المهدي بهذه المنزلة ، لا يكاد يفارقه اذا خلا به ، ويحدثه سرا ، ولا يعلم احد ما يجري بينهما ، فاخبرني بعض من كان يدخل الى المهدي بالله في اكثر الاوقات لما لا بد له منه ، انه لم يكن قط دخل اليه في خلوة الا وجد المنصور بالله بين يديه يناجيه ، فاذا رآه تنحى من بين يديه حتى يقضي ذلك الرجل حاجته ، فاذا خرج عاد اليه ، قال : وما سمعت قط ما يجري بينهما ، وما علمت احدا ممن يقرب من المهدي بالله كان يحل محل المنصور ، ولا رأينا احدا يخلو معه فادخل عليه على ذلك الا كلّمه كلمة بحضرتي ، وسمعت ما يجري بينهما ، الا المنصور بالله ع م ، وقال : فذكر المعز لدين الله مثل هذا من حاله ، وان المهدي بالله كان يغذيه بالحكمة ، ويرشحه للامامة ، بحسب ما كان القائم بالله يفعل به هو .

وعنه رضوان الله عليه : وسايرت الامام المعز لدين الله في بعض اسفاره فذكر القائم ع م واختصاصه اياه ومحبته له وقربه منه وما كان امتحن به المنصور بالله من طول ستر امره ، وترك اظهاره الى ان قرب وقت انتقاله، فقال المعز : دخلت اليه بعد ان اظهر المنصور ونصبه للناس بعد مدة اثنتي عشرة سنة من يوم افضى اليه بذلك الامر ، وذلك قبل وفاته بثلاثة ايام ، وعنده بعض حرمه فامرها فتنحت عنه ، ثم ادناني من نفسه ، وضمّني الى صدره ، وقبل بين عيني، وبكى فبكيت لبكائه ، ولا ادري ما ابكاه ثم قال لي : يا بني ان مولاك ومحبك مفارقك بعد ثلاية ايام ، وعقدها بيده، قلت : بل يبقى الله امير المؤمنين ويمد في عمره ، ويقدمنا قبله ، قال : اسمع ما اقول لك : ان اخوف ما اتخوفه عليك من ابيك ما اعلمه من ايثاري اياك ، وايثارك امري على امره، وميلك الي دونه ، وما اعلمه من ميله الى امهات اخوتك فاخشى خشية المشفق عليك ان يعدل بهذا الامر عنك الى غيرك منهم، كلا لا يفعل ذلك ان شاء الله .

لكن متى رأيت منه اثرة عليك ، او ميلا عنك فاصبر صبر من احله الله محلك ، واقامه مقامك ، فانت والله صاحبها ، ولو صغر سنك اليوم ما عدتك وعن قريب تصير اليك ، فاوصيك بتقوى الله واحتمال ما حملت، والصبر على مضـض ما يؤتى اليك ، واخوتك اخوتك ، فاحكم امر معاملتهم في يومك وغدك ، ثم ادركه ضعف وبهر فقطع الكلام ساعة ، ثم تنفس الصعداء ، وقال :الاخوة وما الاخوة يهول عليه السلام امرهم لما كان ناله من المشقة في سياسة امرهم ، ثم خفق ورأيت ان الكلام اجهده ، فقمت عنه وخرجت ، فاذا بالمرأة من وراء الباب تسمع ما جرى من الكلام ، وهي بعض امهات الاولاد ، فهنأتني بما سمعت ، وقبض ثالث ذلك اليوم .

فحين افضيت خلافة الله الى المنصور بالله ورأى الخير كله في ولده الامام المعز لدين الله عهد اليه بعهده ، واطلع على ذلك خلصاء اهل ولايته ووده ، واقام جوذر خادما له في قصره بالمهدية ، وفوض اليه جميع اموره بالكلية ، وخرج لحرب الدجال حتى فتح الله عليه ، فاظهر النص فيه على المعز لدين الله ، واشاع ذكره ، واعلى امره، وكان قرينه في سفره وحضره ، وخليله في كل امره ، وموضع امانته وسره، ولم يكن احد يصل اليه من الابواب والدعاة واهل المملكة ، الا على يد المعز لدين الله وتسببه اليه، وكان يظهر له فيه من مخائل الفضل ، ويشاهد فيه من علو القدر ما يزيده منه قربا وعلوا ، ورفعة لديه وسموا .

وقد جاء عن القاضي النعمان بن محمد رض قال : خرج امير المؤمنين المنصور بالله يوما لبعض ما كان يخرج اليه من اطلاع احال فانتهى الى طنباس وخرح المعز عليه السلام معه وكنت فيمن خرج معهما فانتهى الى واد يجري فيه ماء المطر فيسقي اراضي كثيرة لمنازل شتى فاذا فيه سد عظيم فلما انتهى اليه ووقف عليه وقف اليه رجلان من وكلاء الضياع فذكر احدهما ان الآخر سد بذلك السد عن الضياع التي يتولاها ما كانت تشرب به من سيل المطر وذكر الآخر ان ذلك من حقه ومما يجب له ان يفعله واحتح كل واحد منهما بحجج كثيرة وعلت اصواتهما واعتكر الكلام بينهما وكان تنازعهما والمنصور صلوات الله عليه يسمع كل ذلك ولم يفصل بينهما والمعز صلوات الله عليه قائم على فرسه ناحية والناس بالبعد ركوب على دوابهم وقيام ينظرون الى ذلك ويسمع اكثرهم كلام الرجلين وكنت فيمن يسمع ذلك ولا ارى وجها لفصل ما بينهما وكلما قلت في نفسي قامت الحجة لاحدهما ادخل الآخر عليه حجة

فقال لي بعض من كان في الموكب ممن قرب مني اما تسمع ما دار بين هذين

قلت نعم

قال ما ترى فيه

فقلت والله ما وقفت من ذلك على حقيقة امر يقطع القول به ولقد اشتبه علي امرهما وحسبك ما ترى من توقف امير المؤمنين ص عن الفصل بينهما ولكني اقول انهما لو وقفا بين يدي الامير اعني المعز لدين الله صلوات الله عليه لفصل بينهما

قال ومن اين قلت ذلك

قلت لعلمي به والله ما ضاق علي امر مذ رأيته واشتبه عندي وجه الحق فرفعته اليه الا اجابني عنه قبل استيفائه آخره او عندما يستوفيه بجواب ما خطر ببالي بعد الروية له والفكر فيه الايام الكثيرة والليالي العديدة وبما لا اشك فيه انه الحق الذي لا وجه له غيره وذكرت له وجوها من ذلك سنذكرها وغيرها مما يجري مجراها في كتابي هذا ان شاء الله

فاني لعلى ذلك احدثه وهو يتعجب مما يهيئه الله له ويهديه اليه من الصواب في ذلك اذ نظرنا الى الرجلين قد انصرفا من بين يدي المنصور بالله عليه السلام اليه فوقفا بين يديه وكان اقرب الينا من المنصور ص فما هو الا ان وقفا بين يديه حتى انصرفا الينا وما سمعنا لهما كلمة وجاء احدهما حتى وقف بيني وبين الرجل الذي كنت اخاطبه ورأيت وجهه يتهلل فقلت له ما كان من امركما

قال انقطع كلامنا وفصل الامير بيننا في كلمة واحدة بعد ما سمعت ما كان بين يدي مولانا عليه السلام

فقلت وكيف ذلك ونظرت الى الرجل الذي كنت قلت له من ذلك ما قلت وقلت له الم اقل لك

قال له الرجل وكيف كان ذلك

قال انه لما طال مقامنا وكثر كلامنا بين يدي مولانا قال لنا اذهبا الى مولاكما ينظر فيما بينكما

فانصرفنا اليه فلما مثلنا بين يديه واردنا ان نتكلم قال اسكتا اكفيكما ونفسي ثم نظر الى صاحبي فقال اليس هذا الوادي وما يجري فيه من الماء وما يسقي من الاراضي لنا

قال نعم

قال وانما تنازعتما في هذا السقي ليطلب كل واحد منكما به توفير ما يجري لنا على يديه

قال نعم

قال فاخبرني لو كنت وكيلا على الموضعين اكنت تسقي موضعا وتدع موضعا بلا شرب فسكت

فقال قل ان كنت تؤثر قول الحق

قال يا مولاي ما كنت افعل ذلك

قال صدقت فما لم يكن تفعله لنفسك فلا تلزمه لغيرك اذهب فازل السد واسق ما عندك وهذا ما عنده بحسب ما يعطيك الماء ويعطيه فحكم لي بما كنت طلبت فانصرفت

فنظر الي الرجل الذي كنت خاطبته وقال لي كأنما والله كشف لك عن غيب هذا الامر

قلت ما ذاك الا بما جربته وعرفته بما قدمت عندك ذكر بعضه

ثم نظرت في هذه القضية العجيبة التي الهمه الله عز وجل اياها وسترها عن الامام فذكرت قول الله عز وجل وداؤد وسليمان اذ يحكمان في الحرث اذ نفشت فيه غنم القوم وكنا لحكمهم شاهدين ففهمناها سليمان وكلا آتينا حكما وعلما الآية وما روي لنا الرواة عن ائمتنا صلوات الله عليه من ان رجلين اختصما الى داؤد النبي عليه السلام في غنم لاحدهما وقعت في زرع الآخر فافسدته فقال داؤد عليه السلام في ذلك قولا ثم صرفهما الى سليمان عليه السلام لينظر بينهما فقال سليمان ان كان صاحب الغنم تعمد ارسالها في الزرع فهو ضامن لما افسدت فان لم يتعمد ذلك وافلتت من غير ارادة منه ولا قصد لذلك فلا شيء عليه والعجماء جبار فالعجماء البهائم والجبار الهدر يعني ان ما اصابت البهائم من ذات انفسهما فهو هدر

قال وهذا فانما يكون في النهار وعلى اصحاب الحوائط حياطة حوائطهم بالنهار فاما ان افلتت في الليل فصاحبها ضامن لما اصابت تعمد ذلك او لم يتعمد لان على اهل المواشي ان يحفظوا مواشيهم ليلا ويمنعوها من الخروج عن منازلهم وليس على اهل الحوائط ان يحفظوا حوائطهم ليلا ففهم سليمان هذه القضية في حياة ابيه وحجبها عنه ليريه فضله في حياته ويسره بما اودعه من حكمته وكذلك فهم المعز لدين الله صلوات الله عليه هذه القضية في حياة المنصور ص ليسره به وليبين ايضا فضله وما الهمه من الحكمة وليقر به عينه

وكما روي لنا الرواة ايضا عن ائمتنا صلوات الله عليهم ان اعرابيا اتى الى مسجد رسول الله صلع في ايام عمر فقال له اني رجل محرم مررت على بيض نعام فجنيت وشويت واكلت فقال ما عندي في هذا علم ولكن اجلس الساعة يجيء من عنده علم ذلك فجلس حتى اقبل امير المؤمنين علي ابن ابي طالب صلوات الله عليه فقال عمر للاعرابي سل هذا وكان الحسن يومئذ غلاما مع علي فاتى الاعرابي الى علي ص فقال اني رجل محرم مررت على بيض نعام فجنيت وشويت واكلت

فقال له علي سل هذا واومأ الى الحسن ص

فقال الاعرابي يا ويلتاه ما لي ولكن يا اصحاب محمد اعجزتم عن الجواب كلما سألت واحدا منكم احالني على آخر

فقال له عبد الله بن محمد سله يا اعرابي فانه من اهل بيت النبوة

فسأله الاعرابي فقال له الحسن ص يا اعرابي الك ابل

قال نعم

قال فخذ بعدة البيض نوقا فاضربهم بالفحل فما حمل منهن وفصل من اولادهن فاجعله هديا

فقال الاعرابي فرجت عني فرج الله عنك وقام فاستقبله عمر فقال ما الذي قال لك فاخبره فقال ارجع اليه فقل له اما علمت ان النوق يزلقن

فقال الحسن ص قل للذي قال لك هذا اوما علمت ان البيض يمزقن

فقام اليه ابوه فقبل بين عينيه وقال ذرية بعضها من بعض والله سميع عليم

هذا قول القاضي النعمان بن محمد رضوان الله عليه الى ان قال حدثني بعض اخواننا عن المنصور بالله انه قال : اردت ان استعمل علىبعض الثغور عاملا فجولت فكري في اختيار من اراه يصلح لذلك فلم يقع اختياري كلما اجلته وفكري كلما صرفته الا على رجل من اصحابنا فلما كان اختياري لا يقع الا عليه علمت ان ذلك من توفيق الله فاردت امتحان ما عند الله عز وجل لمن رجوته لمقامي وآثرته بامري فكتبت اسم الرجل الذي خطر ببالي في ورقة وختمت عليها ووضعتها بين يدي ودعوت به يعني المعز لدين الله صلوات الله عليه فسلم ثم وقف فقلت يا بني اردت اخراج عامل الى بلد كذا وكذا وذكرت البلد فمن تراه يصلح لذلك

فقبل الارض وقال يا مولاي واي رأي لي مع رأيك والله يمدك بالتوفيق

فقلت قل على ذلك فامتنع من القول وجعل يعتذر ويستعفي

فقلت له لا بد من ان تقول في ذلك فاني ذكرت رجلا واسمه في هذه الرقعة فخذ انت فاكتب من تراه

قال فلما لم يجد من ذلك بدا تناول قلما ورقعة وكتب ودفع الي الرقعة فاذا فيها اسم الرجل الذي وقع اختياري عليه فحمدت الله على ما انعم به علي فيه ورميت اليه بالرقعة التي ختمت عليها وفيها ذلك الاسم وقلت له فكها وانظر ما فيها ففعل فلما رأى ما وافق من ذلك من رأيي حمد الله تعالى واستبشر وتهلل وجهه لذلك

وهذا ما قدمت ذكره وكررته من ادخال السرور على اولياءه بما يريهم فيمن اقاموه مقامهم وفوضوا اليه امرهم ثم اخبرني المعز عليه السلام بهذا الخبر بعد ذلك

وفيما رواه ايضا عن المعز لدين الله قال : وسمعته يقول عليه السلام : انتهت الى الامام القائم بامر الله في آخرايامه وفاة داع من دعاته ببعض جزائر المشرق ، وتنازع وصيته رجلان من اهل دعوته ، كلاهما زعم انه اوصى اليه ، فلم يمض القائم عليه السلام من امرهما شيئا حتى قبض قدس الله روحه ، واشتغل المنصور عليه السلام بما كان فيه من امر الحروب الى ان اخمد الله نار تلك الفتنة ، وازال به المحنة ، وكاتب الدعاة فاحتاج الى اثبات داع بتلك الجزيرة ، وكان لكلا الرجلين اللذين ادعيا وصية الداعي المتوفى رسول بالحضرة اتى من عنده بكتاب يذكر انه وصي ويسأل اطلاقه ، فقال لي يوما : من تراه يصلح من هذين الرجلين لهذه الجزيرة ؟ فقلت الله ووليه اعلم ، قال قل على ذلك ، فتوقفت واستعفيته ، فقال لا بد من ان تقول وقد قلت انا في ذلك ولكني اردت ان اعلم ما عندك فيه هل يوافق ما قلته او يخالفه ، فقلت ينظرني امير المؤمنين ، فقال انظرتك ، فانصرفت فجولت فكري وادرت نظري ، فوقع اختياري على احدهما فكتبت اسمه في رقعة وجئت بها اليه فوضعتها بين يديه ، فقال ما هذه ؟ فقلت اسم الرجل الذي وقع اختياري عليه ، فتركها مكانها واخرج رقعة مدرجة فقال : وفي هذه اسم من وقع اختياري انا عليه منهما ، وفتحتها فاذا اختياره واختياري قد وقع على رجل واحد ، فسررت بذلك وحمدت الله تعالى عليه ، ثم جئته بعد ذلك ، فقال :اسرّك موافقتك اياي من امر الرجل ؟ قلت وكيف لا يسرني موافقة مولاي ؟ قال : افازيدك سرورا ؟ قلت ان تفضل امير المؤمنين ، فاخرج الي رقعة فيها توقيع القائم بخطه باختيار ذلك الرجل ، وقال : وقلبت كتبه فمرت بي على غير تعمد ، ورأيت الرقاع الثلاث التي كتب القائم والتي كتب المنصور والتي كتبت انا فكأنها كتبت من نسخة واحدة تقابل بعضها بعضا ، وكان فيها ادعى وصية فلان وفلان فنظرت الى كتاب كل واحد منهما فرأيت ان فلانا احق بذلك لوجه كذا ولوجه كذا ، لم يزد ما في رقعته منها على اخرى ، قال فادناني المنصور بالله الى نفسه واعتنقني وضمني الى صدره وقبل صفحة عنقي والصق خده اليها مدة طويلة ، وهو يبكي حتى بل دموعه اطواقي ، وبكيت لبكائه ولا والله ما علمت ما كان معنى ذلك البكاء حتى قبض ، فعلمت حينئذ ان ذلك كان وداعا منه لي ، وانه رأى ما رآه ان في ذلك اجله قد قرب لما رآه انتقل الي من التائيد .

قال القاضي النعمان بن محمد رض : و ليس هذا الذي قاله المعز عليه السلام بخلاف ما قاله من انتقال ما عند الماضي ، وانما ينتقل الى الباقي في آخر دقيقة تبقى من نفس الماضي ، انما ذلك في اكمال الامر واستحقاق الامامة ، ووجوب الطاعة لان ذلك لا يكون في اثنين باقيين، فاما الدلائل والبراهين والقوة والتائيد فانها توجد في الحجج في حيوة الائمة كما ذكر ص ع وتزيد حالا بعد حال الى وقت الكمال ، كلما قرب اجل الامام تقوى به اسباب حجته ، وظهرت علامته ، ولذلك ما كان من بكاء المنصور لما نظر الى المعز ع م قد وافقه ووافق القائم علم ان ذلك من قوة الدلائل، وان اجله قد قرب ، وعلى مثل هذا تجري امور اكثر العالم ، لا ينتقل الشيء الى الشيء دفعة واحدة ، ولا يكون ذلك الا على التدريج والنمو شيئا بعد شيء كنموه الخلق ، ودخول الفصل من الزمان في الفصل حتى يتقصى الشيء من الشيء ويخلص بنفسه ، ويتبين بحالته ، وينسخ ما قبله

ومن ذلك ما روي عن جعفر بن محمدع م انه قال : علي علم هذه الامة ، ونحن نتوارث علمه ، وليس يهلك منا هالك حتى يرى من اهله من يعلم مثل علمه

وفي مثل بكاء المنصور ع م لما رأى من اتصال المادة بالمعز ع م قال بعض الحكماء : من سره بنوه ساءته نفسه ، يعنون ان بكمال الولد وزيادته يكون نقص الوالد وانحطاطه ، وفي ذلك يقول بعض الشعراء :

اذا الرجال ولدت اولادها \* واضطربت من كبر اعضادها

وجعلت علاتها تعتادها \* فهي زروع قد دنى حصادها

فاذا كان هذا في ظاهر خلق الابدان ، وما يداخلها من الزيادة والنقصان فكيف به في باطن علم الاديان

وفيما رواه عن المعز عليه السلام القاضي النعمان عليه من الله الرحمة والرضوان ، قال : وسمعته يقول: لما احتضر المنصور بالله عليه السلام جعل يوصيني بما اعمل عليه بعده ، وهذا قائم ، واومى الى رجل من عبيده كان قائما بين يديه ، قال ثم نظر اليه وقد دمع فقال : والله لتعاين من مولاك هذا ومن جميل افعاله وسيرته وما يجريه الله عز وجل من الخير على يديه ويصنعه من الجميل اليه ويؤيده به ويمكنه له ويفتحه عليه ما لم تر ولا سمعت قط مثله ،

فقال له الرجل :يا مولاي واي شيء بقي له من ذلك لم تفعله انت ؟

قال كثير والله جدا هو في القوة لم يظهر بعد الى الفعل ، يظهره الله له ويجري على يديه .

وقال القاضي النعمان بن محمد رضي الله عنه : قال الامام المعز ع م : شهدت مشهدين لو حملت الجبال ما حملته لما اطاقته ، وهي وفاة القائم بامر الله ، والمنصور بالله عليهما السلام .

وحين افضت خلافة الله الى امير المؤمنين الامام المعز لدين الله معد بن اسماعيل ابي تميم عليه السلام قام بالامر والتزم الصبر على جليل المصيبة وعظم الرزية كما قال القاضي النعمان بن محمد ، هذه بعض ما اتى عنه وقد ذكرناه ، وهو قول المعز عليه السلام ، فبينما كنت اخشى من الوجد عليه اذ صار يعزيني عنه وانا اعلم من مكانه عنده ومحله لديه وموقعه من قلبه ما قد كنت اخاف عليه ان حدث به حدث من اجله ، فرأيت من العزاء والصبر والتجلد وجميل الامر ما قد ايقنت ان ذلك لانتقال الامامة اليه. ورأيت تأثيرها ومخائلها فيه لتائيد الله له وتوفيقه اياه وما وهبه له من جميل المادة واجراه عليه من حسن العادة .

وكتم امير المؤمنين المعز لدين الله ع م وفاة والده المنصور صلوات الله عليهما من آخر شهر شوال يوم وفاته الى عاشر ذي الحجة يوم النحر ، وقد خرج لصلوة العيد ، وعليه شعار السكينة ، وهيبة الامامة ، فصلى صلوة العيد ، ثم ارتقى المنبر وخطب خطبته التي اظهر فيها وفاة امير المؤمنين المنصور بالله عليه صلوات الله عليه وسلامه ورحمته وبركاته ، فقال :

بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين

الله اكبر الله اكبر لا اله الا الله ، والله اكبر الاعز الاقدر ، الخالق المدبر، ذو الكبرياء والجبروت ، والعزة والملكوت ، الاحد الصمد ، الفرد المتفرد ، الاعلى القاهر ، الباطن الظاهر ، الاول الآخر ، مبدع السموات والارض بالقدرة ، ومالكها بالعزة ، ومدبرها بالحكمة ، وخالقها بما فيها من عجائب الفطرة ، وبدائع التركيب والصنعة، الذي كل شيء من موات وهي ناطق بالدعاء اليه ، والدلالة عليه ، والشهادة له بالتوحيد والتعظيم والتمجيد فتكوينه الاشياء كلها من عدم شاهد بان لا شيء قبله ، وانتهاؤها الى الغايات دليل على الا غاية له ، واحاطته بحدودها منبئ بان لا حدّ له ، فالضعف والعجز والفقر والنقص الذي لم يخل منه مخلوق افصح ناطق ، واصدق شاهد للخالق ، وحده جل ثناؤه بالالهية والفردانية والقدرة والربوبية والتمام، والكمال والازل والدوام ، تبارك الله رب العالمين ، احسن كل شيء خلقه ، وتكفل لكل حي رزقه ، ثم هدى العقل الذي قامت به حجته ووجبت طاعته والكتب والرسل الذين تمت بهم حكمته ، فصلى الله عليهم اجمعين ، وعلى محمد سيد المرسلين الذي رفع ذكره ، واعلى قدره ، فاكرمه بالوسيلة ، واختصه بكل فضيلة ، وابتعثه هاديا للعباد ، ونورا في البلاد ، علم به من الجهل ، وهدى به من الضل ، وكثر به القل ، واعز به من الذل، فالف به بعد الثبات ، ونوّر به دياجير الظلمات ، صلوات الله عليه وعلى آله المهديين ، الاخيار الطيبين.

يا ايها الناس ان الله لم يخلقكم عبثا ، ولم يهملكم سدى ، ولم يجعل عليكم في الدين حرجا ، ولم يضرب الذكر عنكم صفحا ، للعبادة خلقكم وبطاعته وطاعة رسوله امركم ، وجعل للطاعة اعلاما منصوبة ، وفروضا مكتوبة ، ومن افضل اعلامها ، واكرم ايامها ، يوم الحج الاكبر الى البيت العتيق مبوأ ابراهيم خليل الله، وقبلة محمد رسول الله صلع ، فتقربوا الى الله بما امركم به ، ورزقكم اياه ، من بهيمة الانعام ، مقتدين بسنة محمد نبي الرحمة والهدى ، مستشعرين لله التقوى ، فان الله ع ج يقول : لن ينال الله لحومها ولا دماؤها ولكن يناله التقوى منكم ، فبالتقوى تقبل الاعمال ويدرك الآمال ، وكبروا الله على ما هداكم واشكروه على ما اولاكم ، الا وان خير الهدي الابل ، وخير الابل اناثها ، وكذلك من البقر ثم الفحول من الضأن ، وسلامة الضحايا سلامة العين والاذن ، وان تكون من حلال الاموال ، نسأل الله لنا ولكم قبول العمل بامتنانه وبلوغ الامل من رضوانه ورحمته واحسانه ،

ثم جلس جلسة خفيفة . وقام للخطبة الثانية فقال :

بسم الله الرحمن الرحيم

الله اكبر الله اكبر ، لا اله الا الله ، والله اكبر الله اكبر شأنا واعظم سلطانا ، واوضح آيات وبرهانا ، عن ان تنكر العقول توحيده، او تروم تحديده ، خالق السموات والارض ، ومالكهما ومدبرهما ، الفرد الصمد ، الواحد الاحد ، الذي لا شريك له ولا ند ، الخالق القدير ، الرحمن الغفور ، النافذ قضاؤه ، الكائن ما يشاؤه، المتقن كل شيء صنعا ، الواسع كل شيء رزقا ، والمحيط بكل شيء علما ، احمده واستعينه واستغفره واستهديه ، وافوض اليه واتوكل في كل الامور عليه ، واشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له ، وان محمدا خيرته من عباده ، ونجيبه من بريته ، وصفوته من المتطهرين ، ورسوله الى كافة العالمين ، وبعيثه بالامامة الى الثقلين ليبلغ حجة الرب ، ويوضح محجة الحق ، فادى رسالة الله ورحم ورأف بعباد الله ، وصبر على الكبار من مكر الكفار الى ان ادال الله للحق على الباطل ، والهدى على الاضائل ، محمد وآله افضل الصلوة وازكاها واكملها وانماها ، واخلدها وابقاها ، وعلى الائمة من عترته المهديين الكرام الابرار الذين اختارهم الله للخلافة ، وارتضاهم للامامة ، واكد بوصية الرسل حجتهم واوجب في التنزيل طاعتهم ، بعد تفضيله اياهم على العالمين بابوة محمد سيد المرسلين ، وعلي افضل الوصيين، وعلى امه سيدة النساء ، وخامسة اصحاب الكساء ن صلى الله عليهم اجمعين ، وعلى امير المؤمنين المهدي بالله والقائم بامر الله سيدي الورى ، وامامي الهدى ، اللذين اعلى الله بهما دعوة الحق ، وانطق بهما الايمان والمؤمنين ، واقام بهما معالم الدين ، وازهق بحقهما باطل المدعين ، واكاذيب المتخرصين ، وقطع بسيوفهما دابر الظالمين ، صلوات الله ورحمته وبركاته ورضوانه وتحياته عليهما .

اللهم اخصـص الامام الفاضل ، والوصي العادل ، والبر الفاضل ، والغيث الوابل ، ذا الآيات الباهرات ، والمعجزات النافذات ، الباذل نفسه الكريمة في حين الازل والكربات ، الصابر في البأساء والضراء حتى طهر الارض من جبابرة الاعداء ، عبدك ووليك ونجيبك وصفيك ابا الطاهر المنصور بك ، والمتوكل عليك ، والمفوض اليك ، العامل بما يرضيك ويقرب اليك ويزلف لديك ، الذي فجعتنا بفقده ، واوحدتنا من بعده ، وافردتنا منه واوحشتنا فقبلت دعاءه ، واجبت نداءه ، وجمعت بينه وبين احبته في مستقر جنتك وسعة رحمتك ، وان القلق وشدة الحرق عليك يا ابتاه ، يا سيداه يا اسماعيلاه يا ابا الطاهراه ، يا بحر علوم الائمة الطاهرين الهداة المهديين، يا بقية ابناء الرسول ، واولاد الوصي والطاهرة البتول ، يا امام الائمة ، ومفتاح باب الرحمة ، يا سراج الهدى وشمس الورى ، ومجلي الطخياء ، يا مخصوصا من الله بتعجيل الكرامة، عظم والله علينا المصاب بك ، وحل البلاء ، وعدم العزاء لفقدك وقصرت الالسن عن ادراك احصاء فضائلك ، وتعداد مناقبك ، فوالذي اختصك بكرامته ، وحباك بجزيل عطاياه ، وشرفك بابوة رسوله، لو لا ما اوعزت الي به واكدته علي من القيام بحق الله والذب عن امة جدك رسول الله صلع ، واستنقاذهم من غمرة الجهالة ، وبحار الضلالة ، ومهادي الفتن، ومعاطب المحن ، وما تقرر عندي، ورسخ في صدري من الجزاء بمقدار الوفاء لله ولرسوله ، ولائمة الهدى لضربت على وجهي سائحا في البلاد ، قاليا للمهاد ، راضيا ببلغة من الزاد ، الى ان يحلقني الموت سريعا بك ، فافوز بقربك ، ورحمة ربك ، لكني فكرت ونظرت وتدبرت فلم ار لي وجها استوجب به درجتك واللحاق بشرفك سوى الصبر والاحتساب ، فتجلدت وصبرني ربي فصبرت ، وغلب علي اليقين فامسكت ، فاقول انا لله وانا اليه راجعون ، ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم ، الرحمن الرحيم ، له الحمد على ما ابلى ، والشكر على ما اولى .

معاشر اولياءنا ، والقائلين بطاعتنا ، والمتمسكين بولايتنا ، هذه والله المحن الشداد ، المنضجة للاكباد، هذه الزلازل العظام التي لا تثبت لها الاقدام ، هذه المشاهد التي لم يألكم ائمتكم لها تثبيتا ، ولم تزل راغبة الى الله في تثبيت اقدامكم وعصمة قلوبكم عند حلولها بكم ، ووقوع المحنة فيها عليكم ، فتثبتوا تسلموا ، ولا تضلوا لتندموا فلن يخلي الله ارضه وعصره في كل زمان من قائم لله بالحق شاهد على الخلق ، يقرّ به المؤمنون ، ويجحده الكافرون الضالون الاخسرون، ان الله بحمده خالق الخلق من غير حاجة كانت منه اليهم ، لكن لعبادته واظهار فضله وجوده عليهم ، وجعل الحيوة فيهم قوة عاملة ، والموت كأسا دائرة ، وما بعد الموت جزاء للعمل وبيّن لهم بين هذين نهج السبيل برسله المنتجبين ، وبائمة الهدى المختارين، وجعل ثوابهم وحظهم على مقدار بلاغهم وقيامهم ، واضطلاعهم بامره وارشاد خلقه، وجعل بينهم درجات في الفضل فقال جل ثناؤه : ثم اورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا ، فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات باذن الله ذلك هو الفضل الكبير ، تبارك الله رب العالمين، الذي لم يرض بالدنيا ثوابا للمؤمنين ، ولا عقابا للكافرين.

يا ايها الناس ، ما من حي الا وهو رهين بالموت ، ولا موت الا وبعده نشور ، ولا نشور الا بحساب، فثواب او عقاب ، وطوبى لمن لقي الله متمسكا بحجزة اوليائه ، معتصما بعصمتهم ، قائما بلوازم الطاعة المفترضة علهيم بحججه واصفيائه ، متفيئا بظلال ألوية عترة رسوله محمد سيد المرسلين، يوم لا ينجي الا الدين، ولا ينفع الا صحة اليقين، يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا ، وما عملت من سوء تود لو ان بينها وبينه امدا بعيدا ، ويحذركم الله نفسه ، والله رؤوف بالعباد.

يا ايها الناس : انما الاعمال بخواتمها ، والجزاء من الله بحسب الوفاء لله ، ولرسوله ، ولائمة الهدى من ذرية الرسول ، وقد شاهدتم سيد الائمة وراعي الامة وسراج الدجنة في مواطن ومشاهد قضى فيها فرض ربه عليه، واي وديعة جده محمد لديه ، وبين لكم من سنته ما ان اقتديتم بن لن تضلوا ، ولن تبت ايديكم من رحمة الله ، ولن تعشو ابصاركم عن قصد السبيل الاقوم ، والتمسك بالدليل الاعظم ، وما من ولي سالف الا وبعده وصي خالف قائم لله بحقه ، عامل بما يرضيه حسب طاقته ، ومنتهى استطاعته ، ولا يكلف الله نفسا الا وسعها ، ولا يرتضي للقيام بدينه وهداية خلقه ورعاية امة نبيه الا الافاضل الامجاد ، الآحاد الافراد ، ذوي الهمم العالية ، والاخلاق الرضية والنفوس الابية من خالص الذرية ، وقد جرت سنة الله في خلقه ، ونفذ في حكمه ما لا يستطاع له جحد ، ولا للقول به رد، من مواصلة الرسل لتبيين السبل في الزمان بعد الزمان ، ولاعلان دينه حسب الامكان، واوجب للعباد الثواب بطاعتهم واجابة دعوتهم وقبول هدايتهم ، والعقاب باسخاطهم وجحدهم وانكارهم ، وليس المؤمن باولهم جاحدا آخرهم ، ولا ينفع جاحد اولهم تصديق آخرهم للثواب والرحمة من العذاب الاليم والخزي المقيم ، وقد قرن الله طاعة ائمة الهدى بطاعة الرسل ، وطاعة الرسل بطاعته ، قال الله تعالى : اطيعوا الله واطيعوا الرسول واولي الامر منكم ، كذلك جرت عادته في الانبياء والاوصياء ، لن تجد لسنة الله تبديلا ، ولن تجد لسنة الله تحويلا ، وهل لمقرّ بنبوة موسى ورسالة عيسى عليهما السلام حاجة بتفضيل محمد سيد النبيين وخاتم المرسلين اذا انكر بنبوته ، وهل له انتفاع باعماله او ثواب لعبادته،

النور ايها الناس فينا مصون ، وعطاء ربكم لنا غير ممنون، فاين تذهبون ، وفي اي ارض تتيهون، هيهات هيهات لما توعدون فاطيعونا تهتدوا ، وتمسكوا بحبلنا ترشدوا ، واعملوا بما تفوزون في اخراكم تسعدوا ، ولا تجعلوا اكثر همكم دنياكم ، فان امير المؤمنين علي ابن ابي طالب ابا الائمة المهديين صلوات الله عليه وعليهم اجمعين قال : ان الله احل حلالا واعان عليه ، وحرّم حراما واغنى عنه ، فدعوا ما قل لما كثر ، وما ضاق لما اتسع ، فقد امركم بالعمل ، وتكفل لكم بالرزق ، فلا يكون طلب المضمون لكم اولى بكم من طلب المفروض عليكم ، اللهم اوزعني شكر نعمتك ووفقني لما يرضيك ويقرب اليك ، ويوجب المزيد من فضلك ، والذخر عندك باتمام نعمتك علي في الدنيا والآخرة ، اله الخلق رب العالمين، اللهم ايدني بنصرك ، وافتح لي على اعدائك ، فتحا مبينا تحيي به الدين ، وتعز به ملة محمد سيد المرسلين، وارزقنا زيارة قبره والارتقاء على منبره ، وحلول داره صلع وقضاء الحج الى بيتك الحرام ، والوقوف بتلك المشاهد العظام براياتنا ، وقد جددت لنا العز ولاولياءنا ، وقد ايدتنا واياهم بالنصر، واكرمتنا بالظفر واظهرتنا على القوم الظالمين ، واخضعت لنا رقاب العاصين ، وقد تقدم منك الميعاد للآباء والاجداد ، ولا خلف لوعدك ، ولا رادّ لامرك ، والرضا والتسليم بما قضيت ، وعجلت او اجلت ، اللهم اجعل ما مننت به من احسانك ، وما تجدد لي من فضلك ونعمتك عليّ وعلى العباد رحمة منك ، اللهم واقرن بكل عز تجدده لي ذلا تسكنه قلبي لعظمتك وجلالك وهيبتك ، فلا عزّ الا في الخضوع والعبودية لك ، ولا غنى الا في الفقر اليك ، ولا امن الا في خوفك ، ولا سعادة في الدنيا والآخرة الا برضاك، يا رب العالمين ،

اللهم اغفر للمؤمنين والمؤمنات ، والمسلمين والمسلمات ، الاحياء منهم والاموات ، واخصـص اولياء دولتنا وانصار دعوتنا المجاهدين الصابرين الشاكرين من رحمتك بما استوجبوه من طاعتك ، وقضاء فرضك ، وموالاة اوليائك ، ومعاداة اعدائك ، وصلى الله على محمد سيد المرسلين في الاولين والآخرين ، اذكروا الله العظيم يذكركم ، وأستغفر الله لي ولكم ، وصلوته وسلامه على سيدنا محمد وآله .

وخرج امير المؤمنين المعز لدين الله بعد انقضاء عيد الاضحى بشريف نفسه ، وقد اوعز الى كتامة فجاءته منهم جنود عظيمة ، وجمع جنوده وعبيده فاجتمع الكل يوم الاضحى ، وسمعوا خطبته ، وذلك في سنة اثنين واربعين وثلاثمائة ، وقصد جبل اوراس على حصانته ومنعته ، وكثرة اهله ، والناس بعد فتنته واطراف المملكة على سبيل المعصية ، والسبل خائفة ، ولهب نار الفتنة لم يخمد ، وحرها لم يبرد ، ورؤساء القبائل الذين هاجوا الحرب وعتوا واستكبروا ، وتمادوا في آثار الفتنة والشغب ممتنعون في معاقلهم في الجبال والاطراف ، فنهض اليهم امير المؤمنين بجنوده المنصورة ، واعلامه المشهورة ، فانزلهم من معاقلهم ، ودان له دانيهم وقاصيهم ، وقذف الله الرعب في قلوبهم ، وملك عليهم جبل اوراس عنوة ، فاخذهم بالعفو على عظيم الذنب والقوة ،وسار فيهم بالصفح والعدل ، واجرى فيهم من حسن السياسة ما اعترفوا جميعهم له بالفضل، فدانوا له خاضعين ، واهطعوا لامره متواضعين ، وكان له في ذلك الفتح العظيم ، والفضل العميم ، وحقن الدماء ، وسكنت الدهماء ، وامنت الروعات ، واطمأن الناس ، والف الله له قلوب العباد ، وقطع به اسباب الفساد ، فلم يعرض له عارض ، ولم يبق له معارض ، واتاه محمد بن خزر اخو معبد امير البربر ، وابن اميرها ، ومن له رياستها وسياستها ، فالقى بيده اليه ، وتطارح بنفسه عليه ، واراه الله طريق رشده ، واطلعت له طوالع سعده ، فدخل في دعوة الامام عليه السلام ، واخذت عليه البيعة ، وعاد بعد النصب الى رأي الشيعة، مواليا لعلي ابن ابي طالب امير المؤمنين ، والائمة من ذريته الطاهرين ، فشمله من تطول الامام المعز لدين الله ع م وانعامه وجوده واكرامه ما صار به له كأخد العبيد المملوكين ، وهو في ذلك عند الامام عليه السلام وفي المكان المكين لم تتضع رياسته ولا تدنو مكانته وآباؤه المملوكون على البربر من قبل الاسلام ولهم الانقياد اليهم وهم فيها جاروا الاحكام ونقل عياله واولاده واهل بيته الى باب امير المؤمنين ع م وحضرته وحل عنده ومعه في قراره ودار مملكته راضيا في ذلك اشد الرغبة جاعلا طاعة امامه الى الله وسيلة وقربة ، وسار معه قواد البربر ووجوههم ، والمشهورون بالرياسة منهم كأيوب بن سماك والي المعز ومستويه ، وغيرهم طائعين غير مكرهين مستسلمين ، عازمين الكون في جملة الامام عليه السلام والحلول في دارمملكته لما شملهم من الافضال والانعام .

وانصرف امير المؤمنين ع م من سفره ظافرا قاهرا ، قد دانت له الجبابرة ، وذلت له العظماء صاغرة ، ووصل الى دار مملكته بالمنصورية سالما غانما ، ثم وصل عليه السلام الى المهدية مدينة جده عليه السلام فاقام بها اياما واقبل على الاستاذ جوذر اقبالا حسنا ، وافضل عليه افضالا واسعا ، وراجعه الاستاذ في حاجة طلبها منه من حوائج الدين ، وفيما ينتفع به في الآخرة من العلم فكان جواب امير المؤمنين عليه السلام : يا جوذر صانك الله ، والله ما وعدتك بشيء وانا ارجع لك فيه ، وانك لمحقوق عندنا لكل خير ، وبالله ما ادخرنا عنك شيئا يجب اعطاؤه لغيرك ، وما في نيتك وولايتك كدر يحتاج الى التصفية ، ولم يبق لك علينا الا اسعافك بما سألت، ونحن فلم نجيء الى المهدية بالا بالمستخف من القش ، ولا يتهيأ وصول هذا اليك الا من يدي الى يدك ، ونحن نصل الى المنصورية على خير وعافية ان شاء الله ، والذي تطلبه بها ، ولا يتهيأ ان يخرجه غيرنا ، فبعد وصولنا بيومين او ثلاثة ان امكنك ان تظهر انك عليل وتختفي عن الناس ، بعد ان تسكن وحشتهم منا ، ثم تنسل الينا في الليل من حيث لا يعلم بك الا من تثق به الى ان يكون نزولك عندنا ، فتنال ما املت ، وتزور وتشاهد زيارة قبر المنصور ع م ، وتنصرف من وقتك ، فان وصولنا من المهدية يبعد من الساعة الى حين الربيع ، والموت بيد الله، وقد قال الله تعالى : وما تدري نفس ما ذا تكسب غدا ، وما تدري نفس باي ارض تموت ، وانا اوجه اليك بكتاب مليح هو بخط المنصور بالله فيه كلام الائمة عليهم اجمعين افضل التحية والسلام ، ومواعظ ، تتدبره هذين اليومين ، ونحن لك على اتمام ما املت ، فكن من ذلك على ثقة ان شاء الله .

ورجع امير المؤمنين المعز عليه السلام الى المنصورية فبعد اقامة ايام قلائل نفد الاستاذ على حسب ما كان نفذ به الامر اليه .

قال صاحب سيرة الاستاذ : وبلغ ما امله من حاجته وانصرف مسرورا لم يشعر به احد ، ولم يقم جوذر الاستاذ بعد ذلك بالمهدية الا قليلا ، ثم نقله امير المؤمنين المعز لدين الله عليه السلام الى المنصورية واسكنه عنده في دار البحر داخل قصره المبارك حسب ما جرت به عادته من السكن مع مواليه عليهم السلام حيث كانوا عليهم افضل الصلوة ، وهو الذي عناه القاضي النعمان رضي الله عنه حين قال :

وسمعت المعز لدين الله يقول لبعض خاصة عبيده وقد قدم عليه من المهدية وكان مقيما بها وامره بالمقام بحضرته ، وخصه بالقرب منه لقديم ولايته وصحبته وعفافه ، انك لن تعدم بقربك منا خيرا تفيده ، ومسرة تغتبط بها ، وتطيب نفسا بورودها، ونعمة تحوزها وتستفيدها ، كما لا يعدم من قرب من عدونا وحل من خاصته محلك منا من غضب الله ولعنته وخزيه ومقته في عاجل دنياه حسب ما يستحقه ، ولما اعد لهم في الآخرة انكى واشقى ، ولعذاب الآخرة اشد وابقى ، كما ان ما لاوليائنا ولمن سعد بقربنا ورضانا من ثوابه في الدار الآخرة عنده اجل واعظم مما يظنه او يسمو اليه امله ، قال فقبل الارض الاستاذ بين يديه ومن حضر ممن خصه بقربه وحمدوا الله على ما اولاهم من فضله ، وشكروا ذلك له بما قدروا عليه .

وكان العمال بالمهدية على يد جوذر ومن تحت امره ، وهو المورد فيهم والمصدر عن امر امير المؤمنين مولاه ، عليه اسنى السلام والصلوة ، فكان نصير خليفته في المهدية ، ونظيف صاحب بيت المال ، وحسين بن يعقوب صاحب البحر ، وكلهم من مماليك الائمة عليهم السلام ، وعبيدهم الذين نشأوا على يد جوذر في الطهارة والامانة والاخلاق المحمودة ، والافعال الصالحة ، اقتداء بائمتهم ، وسيرا على منهجهم ، واستنارة بانوار سرجهم .

قال القاضي النعمان بن محمد رضي الله عنه وارضاه : وكان اعتمادي ايام المنصور بالله فيما احاوله عنده وارفعه اليه واطالعه فيه على المعز لدين الله صلوات الله عليه فما اردته من ذلك بدأته به ورفعته اليه وسألته حسن رأيه فيه فما امرني ان افعله من ذلك فعلته وما كرهه لي تركته فكان لي في ذلك رفد عظيم وفرح كبير ولم اكن اعمل على رأيه الا ظهرت لي بركته والسعادة فيه ولم ينهني عن شيء فتركته الا تبين لي بعد ذلك عيبه

فلما قبض المنصور بالله صلوات الله عليه وبركاته ورحمته احتجت الى مطالعة المعز صلوات الله عليه ومعاملته بما كنت اعامل المنصور واطالعه به فعدمت من دونه ما كنت وجدته فيه دون المنصور فبقيت وقتا طويلا اتهيب ذلك واخاف التقحم فيه فلما طال ذلك علي كتبت اليه رقعة رأيت ان اقدم فيها عذرا عنده فيما عسى ان ارفعه اليه واخاطبه فيه كان فيها

قد علم امير المؤمنين اعتماد عبده فيما كان يرفعه الى المنصور قدس الله روحه على فضل رأيه ومطالعته به قبل رفعه وعمله فيه بعد ذلك على امره ونهيه وان ذلك مما وجد غب عاقبته ودامت السلامة وحسنت الحال له به ولم يجد عند امير المؤمنين الآن دون مولاه مولى يعتمد في مثل ذلك عليه فيما يخاطبه به ويرفعه اليه وقد روي فيما روي عن مولاه علي امير المؤمنين صلوات الله عليه في فصل من فصول كلام ذكر فيه الواجب على الامة والائمة فقال فيه واذا كان العلماء في زمان امام حق واهله فاسقون وجب على العلماء عرض انفسهم على امامهم وتعريفه من الكفاية والاحوال الصالحة ما لديهم وتسليم انفسهم اليه ليسلمهم الى الاشكال والحدود التي يجدها ابلغ وانفع لما يريده

فالذي يجب على عبد امير المؤمنين من هذا كشفه لمولاه من حال نفسه اعتقاد ولايته والاخلاص له فيها وذلك اصل ما لا يزكو عمل الا به والصدق فيما يقوله له وعليه لا يسأله الله عن كذب ان شاء الله لا يتعمده ولا يقصده والتسليم لمولاه واستفراغ المجهود فيما يتحرى به رضاه

وامير المؤمنين اعلم بعبده وما يراه اهلا له فان وقع من قوله او فعله شيء بخلاف موافقة مولاه فمن حيث رأى ان يقع ذلك بموافقته وهواه وقد جال جده رسول الله صلى الله عليه وآله قد تجاوز الله لامتي عن خطئها ونسيانها وما اكرهت عليه وامير المؤمنين ص محيي سنة جده ومقتفي اثره ومنجز وعده لاهل عصره ومتبع امره فان امر عبده بايراد اموره عليه على جميل الظن في الصفح به وبلوغ الامل من التجاوز منه فعل من ذلك ما هو اهله

فوقع الي في ظهر الرقعة بخطه صانك الله يا نعمان وقفت على كل الذي وصفته في رقعتك هذه واستدللت من لفظك على شيء قد تبين لي منك ولم اتحققه الا عند وقوفي على رقعتك هذه والذي تبين لي منك فنفارك عما كنت عليه من الانبساط والاستراحة الينا فيما عساه يعرض لك ويقع اليك فرأيت منك انقباضا اوحشني اذ لم يكن له سبب ولا علة توجبه بل الامل فيك خلاف ما يسمو اليه املك من التشريف والتنويه باسمك ورفع منزلتك اذ لم اكن اطلع الا على خير واحوال يجب ان يكون عليها كل ولي لنا مثلك وكان الاولى بك التزيد في السعي المحمود ليكون حالك حالا يغبطك بها الولي ويكيدك عليها الولي وفقك الله وسددك

والذي وصفته من حالك مع من صلى الله عليه والحقنا به فحالك لم تخف علينا بل كنا اصلها وفرعها وان كان الشخص الجسماني المقدس قد غيب عن ابصارنا ونقل الى سعة رحمة الله فان المادة الروحانية متصلة غير منقطعة والحمد لله رب العالمين فمولاك مضى وامامك خلف فاحمد الله واشكره وسلم لامره واكتب الي بما عساك تحب ذكره ليأتيك من امرنا ما تعمل عليه ان شاء الله تعالى والسلام عليك

قال القاضي النعمان بن محمد رضي الله عنه : فما اعلم اني سررت منذ كنت سروري يومئذ لما قرأت هذا التوقيع واسقطت عن نفسي وحشة التعقب وازحت عنها مؤنة التحفظ واعتمدت فيما اعامله به وارفعه اليه واخاطبه فيه على حسن النية وسلامة الطوية وترك التصنع في كل الامور فما زلت اتعرف على ذلك منه صلوات الله عليه فضلا عندي يتجدد ونعمة تتصل واسباب خير تتأكد اتحمل شكرها عند الاقرار بالعجز عنه وابلغ وصفها لدى الاعتراف بالتقصير فيه

وكان للقاضي النعمان بن محمد قدس الله روحه مع الائمة الذين عاصرهم المكان المكين ، والمنزلة التي يقل فيها المماثل والقرين ، وقد ذكرنا خدمته للامام المهدي وللقائم والمنصور ، عليهم السلام ، وهو يزداد في وقت كل امام رفعة ، وازداد في اوان المعز لدين الله ع م سموا وعلوا ، وقربا منه عليه السلام ودنوا ، وجعله قاضي القضاة ، واضاف اليه الدعوة ، واسماه في مراتب الدعاة الى اسمى ذروة ، وجعل اليه ازالة المظالم ، وامضى حكمه على قول كل حاكم ، وامره بقراءة كتب الائمة من آبائه ، ونشر علومهم على اتباعه واوليائه، وان يرتبهم على مراتبهم ، ويوليهم من منن ولي الله بحسب علومهم وما هو من واجبهم ،

قال القاضي النعمان بن محمد قس : ولما فتح المعز لدين الله ع ج للمؤمنين باب رحمته ، واقبل عليهم بوجه فضله ونعمته ، اخرج الي كتبا من علم الباطن والتأويل ، وامرني ان اقرأها عليهم في كل يوم جمعة في مجلس في قصره المعمور بطول بقائه ، فكثر ازدحام الناس ، وغص بهم المكان، وخرج احتفالهم عن حد السماع ، وملأوا المجلس الذي امر بإسماعهم فيه وطائفة من رحبة القصر وصاروا الى حيث لا ينتهي الصوت من آخرهم ، وقيل له في ذلك صلوات الله عليه ، ووصف له ان فيهم ممن قد شملته الدعوة اهل تخلف ، وممن لا يكاد ان يفهم القول ، وان مثل هؤلاء لو ميزوا وجعل لهم مجلسا يقرأ عليهم فيه ما يحتملون ويفهمون، لكان انفع لهم ، فهمّ بذلك عليه السلام فعظم الامر على اهل هذه الطبقة ، ورأوا انه انما قصر بهم من اجل تخلفهم في حالهم ،

قال : وجرى ذكر ذلك بين يديه وانا حاضر ، وقد دعى بالحجام ليأخذه من شعره ، فدخل وقمت وتنحى من كان بين يديه ، فدعاني وقد وقف الحجام على رأسه ، فقال : لقد مرّ بي البارحة في امر هؤلاء ما منع من ابعادهم من كتاب الله تعالى ، وذلك ما ذكره في سورة هود فانظر هناك ، فلم يتهيأ لما كان عليه ان استفهمه عن ذلك، ولا كيف مرّ به ذلك ، ام من قراءة قرأها ، او في رؤيا رآها ، غير اني قلت : انظره يا مولاي ، فانصرفت ونظرت في سورة هود فوجدت في قصة نوح عليه السلام قوله تعالى : ولقد ارسلنا نوحا الى قومه اني لكم نذير مبين ، ان لا تعبدوا الا الله اني اخاف عليكم عذاب يوم اليم ، فقال الملأ الذين كفروا من قومه ما نراك الا بشرا مثلنا وما نراك اتبعك الا الذين هم اراذلنا بادي الرأي وما نرى لكم علينا من فضل بل نظنكم كاذبين، قال يا قوم أرأيتم ان كنت على بينة من ربي وآتاني رحمة من عنده فعميت عليكم انلزمكموها وانتم لها كارهون ، ويا قوم لا اسألكم عليه مالا ان اجري الا على الله وما انا بطارد الذين آمنوا اهم ملاقوا ربهم ولكني اقول لكم عندي خزائن الله، ولا اعلم الغيب ولا اقول اني ملك، ولا اقول للذين تزدري اعينكم لن يؤتيهم الله خيرا ، الله اعلم بما في انفسهم ، اني اذا لمن الظالمين.

فعلمت ان هذه الآيات اراد عليه السلام ، و امر ادام علو امره باسباغ رحمته على كافة المؤمنين ، واوسعهم منهاجا من عطائه ، وجزيلا من نعمائه ، وان كان ذلك لا يستقر الا في قراره ، ولا يعيه الا اهله ، ولا يأخذ كل امرئ الا قسطه ، بحسب ما فيه من القوة ، وما يتصل به من المادة ، كما ان ضوء النهار قد يتصل بالابصار ، وانما يقبل منه كل بصر بقدر صحته وقوته، والذي لا صحة له ولا قوة فيه منها لا يتصل به شيء من ذلك الضوء ، كما ان الآنية لو وضعت تحت سماء ممطرة لم يستقر الماء الا في ما كان منها اجوف ، وما كان مسطحا ومكبوبا على رأسه او ملقى على جانبه لم يدخل فيه شيء من ذلك الماء ، وما استوى على اعتداله منها وكان ذا جوف اخذ من الماء بقدر سعته واحتماله ، وصغره وكبره ، وكذلك هذا الامر ، وقد قيل ان بعض الائمة اطلق لبعض المؤمنين قولا في الباطن وبحضرته بعض غلمانه فظن بعض من حضره انه لم يره فنبه عليه واشار اليه فقال : قد رأيته ، وليتكم انتم تفهمون ما اقول ، وقد اخبر الله ع ج بمثل ذلك عن قوم سمعوا من رسول الله صلع ما لم يفهموه ولا وعوه فقال ومنهم من يستمع اليك حتى اذا خرجوا من عندك قالوا للذين اوتوا العلم ما ذا قال آنفا فاخبر الله عز وجل انهم شهدوا وسمعوا ما سمع اولو العلم فلم يعرفوه ولم يعرفوا ما قاله رسول الله صلع فاخبر عن رسول الله صلع انه قد جمع مثل هؤلاء فيما اسمعهم مع ذوي العلم وقد شاهدنا مثل ورأينا كثير من قوم يسمعون ولا يعلمون ما سمعوه ولا تعلق شيء منه بقلوبهم وقوم سمعوا ذلك معهم ووعوه وعلموه وانتفعوا به واولياء الله اعلم بما يفعلون وبمن يخصون ومن يجمعون وعلى اي شيء يجمعون ويفرقون كل شيء عندهم من ذلك بمقدار ووزن وعلى منهاج وسنن

هذا ما رواه القاضي النعمان بن محمد رضوان الله عليه ، وكان القاضي النعمان بن محمد من اهل العلم والفضل ، وله تأليفات كثيرة ، وعلوم مأثورة ، وقد اقرّ المخالفون بفضله ، واتساع علمه ، وانما الّف ما الّف وجمع ما جمع وصنف مما اخذه عن ائمته الذين عاصرهم مما القاه اليهم آباؤهم الطاهرون، صلوات الله عليهم اجمعين، ولم يؤلف تأليفا ولا جمع كتابا حتى عرضه عليهم شيئا فشيئا ، فاثبتوا الثابت منه والصحيح ، وقوّموا الاود بالتصحيح ، ومن بحرهم اغترف ، وبهم عرف ما عرف ، وبفضلهم فيما الف وصنف اعترف ، فمن تأليفه في الفقه كتاب الايضاح ، ايضاح ما اجتمعت الرواة عليه في الفقه ، والثابت منها بالاسانيد الصحيحة ، والروايات المتفقة ، وهو مائتان وعشرون جزءا ، كما ذكر في قصيدته المنتخبة بقوله :

فكملت في مائتي كتاب \* الفت منها مائتي كتاب

تزيد عشرون على الحساب \*

وكتاب مختصر الايضاح في الثابت منه فيما رواه عن الائمة الطاهرين صلوات الله عليهم اجمعين، وكان ا بتداؤه تأليف كتاب الايضاح على عهد امير المؤمنين المهدي بالله عليه السلام بامره وعلى ما اراه واصله وبيّنه وفصّله ، وكتاب الاخبار في الفقه ثلاثة عشر جزءا ، وله كتاب الينبوع في الفقه ايضا وكتاب الاقتصار في الفقه ، وكتاب الاتفاق والافتراق فيما اختلفت فيه الفقهاء ووافق قول اهل البيت عليهم السلام ، اربعون جزءا ، وكتاب مختصر الآثار اختصره من كتاب الاتفاق والافتراق ،

والف كتاب دعائم الاسلام في الحلال والحرام والقضايا والاحكام عن المعز لدين الله امير المؤمنين عن اهل البيت ، وذلك انه حضر النعمان قس وجماعة من الدعاة عند امير المؤمنين المعز لدين الله عليه السلام فذكروا الاقاويل التي اخترعت، والمذاهب والآراء التي افترقت بها فرق الاسلام وما اجتمعت ، وما ادعت اكثرها وابتدعت ، فذكر امير المؤمنين ع م قول جده رسول الله صلع مما اثبت روايته آباؤه الطاهرون ، اذ قال صلع : لتسلكن سبل الامم قبلكم حذو النعل بالنعل والقذة بالقذة حتى لو دخلوا جحر ضب لدخلتموه ، وفي حديث آخر : لتركبن سنن من كان قبلكم ذراعا بذراع وباعا بباع حتى لو سلكوا خشرم دبر لسلكتموه ، ثم ذكر لهم قول رسول الله صلع :اذا ظهرت البدع في امتي فليظهر العالم علمه ، والا فعليه لعنة الله .

ونظر المعز عليه السلام الى القاضي النعمان بن محمد رض فقال له : انت المعني بذلك في هذا الاوان يا نعمان ، ثم امر بتأليف كتاب الدعائم واصّل له اصوله وفرّع له فروعه ، واخبره بصحيح الروايات عن الطاهرين من آبائه عن رسول الله صلع من غير ما اختلف فيه الرواة وابتدعه ولفقته من الاختراعات وجمعته، وقال له : انا قد روي عن الصادق عليه السلام انه قال : بني الاسلام على سبع دعائم : الولاية ، وهي افضلها وبها بالولي يوصل الى معرفتها، والطهارة ، والصلوة ، والزكوة ، وصوم شهر رمضان ، والحج الى بيت الله الحرام ، والجهاد، وامره فابتدأ بذكر ولاية امير المؤمنين علي ابن ابي طالب وتبيين ما خصه به النبي صلع من فضله، وانه اولى الامة بخلافته ، بعد ذكر الايمان الذي لا يقبل الله عملا الا به ، ولا يزكو الا من كان من اهله، وذكر ولاية الائمة من ذرية الرسول صلع ، والامامة لا تكون الا بالنص والتوقيف ، ومنازل الائمة عند الله ع ج وبراؤهم ممن غلا فيهم ، وشيئا من وصاياهم لشيعتهم واوليائهم ، وذكر ما اوجبه الله تعالى من مودتهم والحض على العلم ومن الذين اوجب الله الاخذ عنهم ،

ثم ذكر فرائض الاسلام من طهارة وصوة وزكوة وصوم وحج وجهاد ، وما يلي ذلك من ذكر الحلال والحرام والقضايا والاحكام والاشرية والبياعات والمأكولات والمشروبات والطلاق والمناكحات والمواريث والشهادات وسائر ابواب الفقه الواجبات، فاتم القاضي النعمان قس تأليف هذا الكتاب الموسوم بدعائم الاسلام على ما وضعه له امير المؤمنين المعز لدين الله عليه السلام واصله ، وكان يعرضه عليه فصلا فصلا وبابا بابا فيثبت الثابت منه ويقيم الاود ، ويسد الخلل ، حتى اتمه فجاء كتابا جامعا مختصرا على غاية الاحكام ، وتلك معجزة امير المؤمنين المعز لدين الله عليه السلام اظهرها على يد داعيه ووليه النعمان بن محمد رض ، وايضاح لشريعة جده محمد رسول الله صلع ورفع معالم الاسلام وامر بالسنة وترك للبدعة التي قال النبي صلع : كل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار ،

ثم امر امير المؤمنين ع م القاضي النعمان فاختصر دعائم الاسلام اختصار الآثار في ما روي عن الائمة الاطهار وقرّبه للراغبين واباحه للطالبين ، قال القاضي النعمان بن محمد رض : وسألني بعض القضاة والحكام والطلبة بسط كتاب مختصر من قول اهل البيت عليهم السلام لهم يقرب معناه، ويسهل حفظه ، وتخف مؤونته ، فابتدأت شيئا منه ، وقدرت ان الكتاب اذا اكمل قام ع لى من يريد انتساخه بدينار فما دونه ، وسميته كتاب الدينار ، وذكرت في بسط افتتاحه ورفعت ما ابتدئته منه الى المعز لدين الله امير المؤمنين عليه السلام ، وطالعته فيه وسألته قراءته عليه وسماعه منه ، ليكون مأثورا عنه ، وكتبت مع ما رفعته منه اليه رقعة ذكرت فيها ذلك له ، فوقّع عليه السلام بخطه في ظهرها :

بسم الله الرحمن الرحيم ، صانك الله يا نعمان ، وقفت على الكتاب وتصفحته ، فرأيت ما اعجبني فيه من صحة الرواية ، وجوده الاختصار ، ولكن فيه كلمات تعتاص على كثير من اوليائنا معرفتها، فاشرحها بما يقرب من افهامهم ، فيستوي في معرفته والاحاطة بعلم الفاظه الشريف والمشروف ، فانه يجيء طريفا قريب المأخذ وسمه كتاب الاختصار لصحيح الآثار ، عن الائمة الاطهار ، فان ذلك اشبه به من كتاب الدينار ، لان فيه من علم اولياء الله ما يحق على كافة الخلق طلبه بارواحهم فضلا عن اموالهم ، وهذا الاسم يضع من قدره عند ذوي النعم ، ويرون انهم يصلون اليه والى ما هو اجل منه ببذل اليسير من حطام دنياهم ، ويرون انهم الذي جمعوا وقمشوا من وسخهم هو الغنيمة التي عليها المدار ، اذ كان الفساد على عقولهم اغلب طباع اللوم عليهم ، الا من عصم الله منهم ، وقليل ما هم

ثم وقّع بعد ذلك اصلاح اشياء تصلح فيما رفعته منه وحذف اشياء مما كتبته واثبته فيه ذكرها ، وعلم عليها ، قال :وقرأته بعد ذلك قراءة عليه واثبت فيه كل ما صحـحه وارتضاه لي واسقطته مما كنت كتبت فيه ما امر باسقاطه منه ، واخذته لفظا منه ، واذن لي ان ارويه لمن اخذه عني عنه عمن ذكره فيه من آبائه الطاهرين عليهم السلام، بعد ان اثبت ذلك عنهم ، فعظمت فائدتي فيه ، وجلت نعمته عليّ به ، ولم اكن تعرضت برفعي ذلك اليه غير ذلك ليصح لي ما كنت قد آثرته عن آبائه ، وجمعته من كتب الرواة عنهم وسمعته قبل ذلك منهم، وفتق لي عليه السلام فيه وامدني من بحر علمه بما صار به هذا الكتاب مشتملا على جميع الحلال والحرام والقضايا والاحكام ، وصح لي ذلك عنه في ما اعمل به من الفرائض المفروضة علي ، وافتي به من سألني واقضي به في احكامي بحمد الله ونعمته ، وفضل وليه ، وانا اؤمل ان مد في عمري عرض كل شيء اتدين به كذلك وآخذه صحيحا عنه ، والله يبلغني ذلك ويمنّ علي به ، بحوله وقوته ، فقد رويت عن بعض من لحق حعفر بن محمد الصادق عليه السلام انه قال : يا مولاي احب ان اعرض عليك ديني ، قال ذلك من الفرض الواجب ، فشهد الشهادتين واقر بالائمة واحدا بعد واحد يسميهم حتى بلغ اليه ، فقال له : اعلم ان من دان الله ع ج بهذا فقد دان بالدين الذي لا يقبل غيره ، ولا يرض من احد سواه ، واستحسن ذلك منه وصوبه من قوله ، فمن فتح الله له في عرض اصول دينه وفروعه على وليه ، فقد اتم نعمته اذ وفقه الى اخذها عن امامه وتصحيحها عن وليه ، والحمد لله على ما فتح لي فيه من ذلك . ونسأله البلوغ الى ما نأمله مما بقي منه ، وقبولا لذلك ، وتوفيقا لما يرضيه منه .

وللقاضي النعمان بن محمد رض من التأليف في الفقه كتاب يوم وليلة لطيف في الصلوة المفروضة ، وله كتاب الطهارة والصلوات بفروضها وسننها ، وله الرسالة الارجوزة المختارة المنتخبة قصيدة نظمها في ابواب الفقه ، وله كتاب كيفية الصلوة على النبي صلع كتبه ردا على من خالفه ، وله كتاب التعريف والتعنيف لمن لم يعلم العلم فتعاطى التصنيف ، جزآن كبيران ، وله ا لرسالة المصرية في الرد على الشافعي جزآن كبيران، وكتاب فيه الرد على احمد بن شريح البغدادي جزآن، وله رسالة ذات البيان في الرد على ابن قتيبة ، وله كتاب اصول المذاهب جزآن، وله كتاب نهج السبيل الى معرفة التأويل ، وله القصيدة المختارة ارجوزة في الامامة والحجة فيمن يستحقها، ومن ادعاها ، واما الذي له في الاخبار فله كتاب شرح الاخبار في فضائل الائمة الاطهار ستة عشر جزءا ، وله كتاب مناقب بني هاشم ومثالب بني امية جزآن، وله كتاب افتتاح الدعوة ابتداء الدولة جزآن.

قال القاضي النعمان بن محمد قس : وامرني امير المؤمنين المعز لدين الله ع م لجمع اخبار الدولة في كتاب ومناقب بني هاشم ، ومثالب بني امية كتاب ففعلت ، وجمعت من كل فن من هذين الفنين كتابا جامعا ضخما يجتمع على اجزاء كثيرة على ما رتبه وافادنيه عليه السلام ، ورفعتهما اليه فاستحسنهما وارتضاهما ، واستجاد معناهما ،

وقال عليه السلام : اما اخبار الدولة ومن قام فيها وسعى في اقامتها من الدعاة والمؤمنين فانا نحب ان نخلد اخبارهم هكذا في الباقين، ويبقى ذكرهم بالخير في الغابرين، ويلحقهم فيه دعاء السامعين، ويعرف ذلك لاعقابهم من بعدهم مع ما اعد الله ع ج لهم من الكرامة في دار المقامة ، وهذا مما يجب علينا لهم من الحفظ والحق اذ لم يلحقونا فنؤدي ذلك اليهم ،

واما فضل الآباء ومناقبهم وصفة الاعداء ومثالبهم فان ذلك مما ينبغي ان يعرفه الابناء والذرية والاولياء ، ويبكت به المخالفون والاعداء ، وينشر في الانام ، ويبقى على الايام ، وان كان فضل اهل الفضل وضعة اهل الضعة معروفين وغير مجهولين ، وظاهرين غير مستورين، فقد القوا كثيرا من الشبهات ، واحتالوا بصنوف من الاحتيالات ، وهم في ذلك كما قال الله ع ج : يريدون ان يطفئوا نور الله بافواههم والله متم نوره ولو كره الكافرون .

وله كتاب معالم الهدى جزءا واحدا ، وله كتاب حدود المعرفة في تفسير القرآن والتنبيه على التأويل سبعون جزءا ، وله كتاب اساس التأويل فيه تأويل الولاية وقصـص الانبياء ، والصلوة الموجودة منه ستة عشر جزءا ، وله كتاب تأويل الدعائم والموجود منه اثنا عشر جزءا ، الى آخر كتاب الجهاد ، وله كتاب دامغ الموجز في الرد على العتكي اربعة اجزاء ، وله كتاب التعقب والانقياد جزء واحد ، وله رسالة الى مرشد الداعي بمصر في تربية المؤمنين جزء واحد ، وله منامات الائمة ع م جزء واحد ، وله كتاب التوحيد والامامة من خطب امير المؤمنين علي ابن ابي طالب ع م ، وكتاب الدعاء جزآن، وكتاب اثبات الحقائق في معرفة توحيد الخالق جزء واحد ، وكتاب في الامامة اربعة اجزاء ، وكتاب الهمة في آداب اتباع الائمة جزآن، والارجوزة الموسومة بذات المنن جزآن، في سيرة المعز لدين الله عليه السلام ، والاجوزة الموسومة بذات المحن في سيرة مخلد الدجال المارق جزآن، وكتاب المجالس والمسائرات مع المعز لدين الله ع م اربعة اجزاء، وكتاب الحلي والثياب جزء واحد ، وكتاب الشروط ، وله رسائل كثيرة الى القضاة وغير ذلك.

فهذا ما ذكره صاحب سيرة كتامة ، ومن هذه الكتب ما هو موجود في جزيرة اليمن معروف مشهور، وهو الاكثر منها ، وقليل منها مفقود، ولا شك في وجود ما فقد منها حسب مقامات الامامة العظيم وحجة الله على خلقه اجمعين ، الذي لا يخلو منه زمن ، يل يقوم واحد بعد واحد بحجة الله ما هل غيث وهتن، صلى الله عليه ، وعلى آبائه الاكرمين ، عقبه الباقية فيهم كلمة الامامة الى يوم الدين.

ومما ورد عن القاضي النعمان بن محمد رضي الله عنه قوله : خرج الي من الامام المنصور بالله عليه السلام توقيع يقول فيه : يا نعمان استخرج من كتاب الله ع ج ما رفضته الامامة وانكرته ، فقلت في نفسي : واي شيء من كتاب الله يتهيأ لاحد يدين بدين الاسلام ان ينكره ويرفضه، وتعاظمت ذلك ، ورأيت في الوقت اني لا اجد منه حرفا ، ولم استحسن مراجعته عليه السلام ثم استعنت بالله ع ج وعلمت ان ذلك لم يقله ولي الله الا وهو موجود ، ففتحت المصحف الكريم لاقرأه فاول ما وقفت عليه بسم الله الرحمن الرحيم ، فذكرت قول من قال انها ليست من القرآن ، فاثبت ذلك فانفتح لي القول حتى جمعت من ذلك جزءا فيه عشرون ورقة ، فرفعته الى المنصور عليه السلام فاستحسنه واعجب به ، ثم قال : تماد فانتهيت الى سورة المائدة من اول فاتحة الكتاب والبقرة ، وقد جمعت من ذلك ستمائة ورقة ، وكان المنصور بالله صلوات الله عليه ورحمته وبركاته اذا لقيه اعجبه ما رفعت اليه منه وقال : ما تقدم لاحد مثله ، ثم قبض عليه السلام ولم اتممه.

وفضائل القاضي النعمان بن محمد قس مشهورة ، ومناقبه مأثورة مذكورة ، وهو الذي قال فيه امير المؤمنين المعز لدين الله عليه السلام : من اتى بعشر عشير ما اتى به النعمان ضمنت له على الله الجنة.

واما جعفر قلنا فيه قول اخيه يعني جعفر بن منصور اليمن قس وكان ابوه من اكبر الدعاة وافضلهم ، وهو الداعي جعفر بن منصور قدس الله روحه هجر مملكة ابيه وترك حطام ا لدنيا ، ولم يطمع فيه ، وهاجر الى حضرة الائمة عليهم السلام فكان عندهم الفضل العظيم ، والمكان الكريم، وبلغ جعفر بن منصور مع امير المؤمنين المعز لدين الله عليه السلام مبلغا يقصر عنه المدى ، وصار في الفضل والزهد علما مفردا .

ويروى ان القاضي النعمان بن محمد قس اعتل بعلة فزاره جميع الدعاة واولياء الدولة وقوادها لدين الله ، ثم نقه من علته، وزال عنه ما كان يجده ، فاتى الى حضرة المؤمنين المعز لدين الله ع م بعد زوال ألمه فسأله عن حاله وألمه ، وحمد الله تعالى على ما منّ به عليه من عافيته ، ثم قال له : من زارك من اوليائنا ؟ قال : كلهم زارني الا جعفر بن منصور اليمن، فاخذ امير المؤمنين في حديثه ، ثم امر بكتب فاحضرت اليه ففتح كتابا منها وقال للنعمان بن محمد : انظر في هذا الكتاب ، فلما نظر فيه وتصفحه ، قال امير المؤمنين عليه السلام : ما تقول في هذا ؟ فقال : وما عسى ان اقول في اقولكم صلى الله عليكم ، فقال له الامام عليه السلام : هذا تأليف مولاك جعفر ، اعلاما له بعالي فضله ، وبيانا لسامي محله ، فلما خرج القاضي النعمان رضوان الله عليه من حضرة امامه صلوات الله عليه لم يكن له قصد غير دار جعفر ، فلما استأذن له خرج مبادرا اليه اجلالا له ، ومعرفة بعالي محله ، فلم يتمالك القاضي النعمان ان وقع على رجليه يقبلهما اعترافا له بالفضل، وتواضعا غير مستكن ولا مستكبرولا حاسد له على عالي مقامه ولا منكر ، فلله من اولياء عظم الله محلهم ، ورفع قدرهم عند اوليائه واحلهم ، اولئك اخوان الصفاء وخلان الوفاء ، الذين لا يتعارضون ولا يتباغضون ولا يترافضون ، جعلنا الله ممن اتبعهم ، واقتدى بهديهم ، وتمثل بمثالهم ، ولا قطع بنا عنهم بحق صفوته من خلقه ، وخيرته من عباده.

وللداعي جعفر بن منصور اليمن قس تأليفات كثيرة في علم اهل البيت من توحيد الله جل جلاله ومعرفة ملائكته ودار ثوابه ، وابتداء خلقه وقصـص الانبياء وعلم الملائكة وذكر فرائض الشريعة ما هو الحق المبين الذي تتجلى به قلوب العارفين، وله سيرة في ذكر ابيه المنصور وافتتاحه اليمن ، وقد ذكرنا من ذلك .

وكان لامير المؤمنين المعز لدين الله ع م من العدل والصفح ما ادنى له العبد والبعيد، وجعلهم له كالخول والعبيد ، وقد ذكرنا ما كان له من دنو اهل جبل اوراس وخضوعهم بعد العتو والشناس ،

قال القاضي النعمان بن محمد قس : وما احصي ما رأيت المعز عليه السلام في مجلسه وتصرفه في خروجه يعترض بما يوجب العقوبة والغضب وربما اعترض عليه بعض عبيده في رأيه وقطع عليه كلامه واحتج عليه من يأمره ويخاطبه وراجعه فيما لا ينبغي المراجعة فيه مما يضيق لذلك صدر من حضره وسمعه فما رأيته قط عضب لشيء من ذلك ولا عاقب فيه

واكثر ما رأيت منه انه قد خرج يوما الى خارج المنصورية في بعض ما يخرج له فازدحم الناس على ركابه واحاطوا به من كل جهة يسألونه حوائجهم ويرفعون اليه قصصهم وقد اقام لذلك من يتولاه فابوا الا مواجهته به وهو في ذلك يقبل عليهم ويسمع منهم ويأمر بقضاء حوائجهم الى ان جاء من ذلك ما لم يمكنه معه المشي ونفر به الفرس تحته ودار به فامرهم بالانصراف وامر من بين يديه من المشاة بصرفهم فالحوا عليه ولم ينصرفوا عنه وقصر المشاة عنهم في دفعهم فتناول رمحا من يد بعضهم وقال ما جزاء احدكم الا ضربه بهذا ثم نظر ص الينا وتبسم في الوقت بعقب ذلك وقال اما ترون ما نحن فيه وتحدث كأنه يم يعارض بشيء

ولقد نالني ومن رأيته حولي ممن كان سايره لما رأيناه من ذلك غم وغضب شديد فلا والله ما كان منه في ذلك الا ما ذكرته مما استعمله طبعه الكريم يظهر استعماله اياه كما نستعمل الغضب على الطفل اذا جهل ليروع ويفزع من اجله

ولقد تأسيت به في الحلم عمن يجهل ويخالف الواجب من دخلني وعبيدي والاعراض عن زلاتهم والصفح عن هفواتهم فلقد بطروا لذلك وخال علي كثير من امرهم ثم قرنت ما كنت اجده من الم الغيظ والعقوبة بما صرت اليه من راحة الحلم ولذة العفو والاغضاء فرأيت ان الذي صرت اليه من ذلك افضل وقد كنت كثيرا ما اعاقب فاندم على العقوبة اذا سكن غضبي واعاتب في ذلك نفسي ثم صلح لي بحمد الله مع الدوام على ذلك كثير من الامور مما لم يكن يصلح بالعنف

وكذلك رأيت امور المعز عليه السلام على ما منحه الله من الحلم والاناة والصبر يأتي مع ذلك بحسن العواقب وجميل الامور وكثيرا ما فكرت في ذلك فذكرت له قول بعض اهل الادب وقد رأى بعض الناس عبيدا له يفعلون في امور غير الواجب فقال له الا تؤدب عبيدك هولاء وتصلحهم فقال قد رمت ذلك فرأيت اني لا اصلح شيئا من احوالهم الا بفساد شيء من حالي فرأيت ان اصلاح حالي اعود علي من صلاح احوالهم فتركتهم لذلك يصفو منهم ما صفى ويتكدر منهم ما تكدر

قال قس : وركب المعز ص يوما من ايام الربيع الى مكان وصف له ان فيه زهرا حسنا ونبتا عميما وفي الطريق الحامل اليه مثل ذلك فلما خرج ص من باب المنصورية اكتنفه الناس يسألونه حوائجهم ويرفعون امورهم فما زال يقبل بوجهه على الواحد بعد الواحد والجماعة بعد الجماعة منهم ويكلمهم ويجيبهم حتى انتهى الى المكان الذي وصف له وانصرف وهو على مثل ذلك ما تملى مما اراد النظر اليه ولا اعاره الطرف الا اختلاسا ولا اضجره ما كان من امر الناس وانا حوله لنضجر له لذلك وان المشاة بين يديه يدفعون الناس فيأمرهم بتخلية من يدفعونه وان كثيرا منهم ليطيل مسايرته ويكرر حاجته فيأمره من حوله بالانصراف ويغمزه بعضهم ارادة التخفيف عليه وان ينظر الى ما خرج اليه فينهاهم عن ذلك ويأمر ان يدعوا من كلمه الى ان يقضي حاجته وينصرف عن رأي نفسه

وهذا دأبه في اكثر خروجه صلوات الله عليه ولا اعلم ولا سمعت احدا وصف بمثل ذلك من الصبر وسعة الصدر

قال قس : وحضرت يوما مجلس امير المؤمنين المعز لدين الله عليه السلام ، فتحدث مليا ثم قال لبعض الخدم بين يديه اصلح الحمام

قال نعم

فجلس بعد ذلك طويلا ولا اشك الا انه قد كان امر قبل ذلك باصلاحه ثم دعى بالفرس فركبه ومشينا بين يديه الى الحجرة التي فيها الحمام من قصره فدخل فنزل ليدخل الحمام فاصاب بابه مقفلا لم يصلح بعد فسأل عن المفتاح فلم يوجد فوقف طويلا ما تنكر حاله ولا بدى منه غضب ولا قال في ذلك قولا ثم دعى بالكرسي فجلس وجعل يتحدث حتى اتي بالمفتاح واصلح الحمام وقام فدخل وما حرك ذلك منه ساكنا ولا اهاج كامنا وان الذي زعم له انه اصلح من العبيد لقائم بين يديه ولقد تداخلني من ذلك غيظ شديد عليه وعلى من يلي اصلاح الحمام

ومما رواه القاضي النعمان قس من حلم امير المؤمنين المعز لدين الله عليه السلام وتغمده وصبره ، قال : ذكر المعز لدين الله عليه السلام رجلا ورد عليه من جهة المغرب كان يعنى بعلم النجوم ، فاحسن امير المؤمنين صلوات الله عليه نزله وكساه وحمله ووصله واجرى عليه جراية لقصده اياه من بعيد ورحلته اليه ولم يلبث الا قليلا حتى سأل الاذن له في الانصراف فاذن له وكنا نتعجب لذلك منه فقال المعز لدين الله صلوات الله عليه يوما وانا بين يديه الا اخبرك بسبب انصرافه

قلت يفعل من ذلك امير المؤمنين ما رآه

فقال ان هذا الرجل لما وفد علينا وصار اليه من فضلنا ما صار حسده بعض اهل صنعته ممن اولع بالشناعة علينا فذكر له مولدا من المواليد فقال ما ترى لمن ولد هذا المولد

قال ارى النحوس قد اظلته ولا اشك ان ايامه قد انقضت

قال له فكذلك الذي انت في نزله وقصدك اليه يعنينا وهذا مولده فرأى الضعيف العقل ان انصرافه بما نال منا غنيمة فسألنا الاذن وقد انتهى النيا ما قيل له فاذنا له فانصرف ولقد رفع الينا في حين انصرافه رقعة يعرض فيها بالمسألة وقد كنت قبل ذلك امرت له بمائتي دينار فصرت في صرة وكنت على البعث بها اليه ثم نظرت الى وقت رفعه فرأيته وقت سعد فقلت لا اظنه الا وقد تحرى لرقعته هذا السعد ولكني والله لا ابطلت ذلك عنده فتركتها على ان نجعلها له في وقت آخر على غير سؤاله فانسيتها وخرج محروما

فقلت له لقد اعطى الله وليه من الصبر والحلم والتغمد ما لا اظنه اعطاه احدا

فقال عليه السلام اولم اخبرك عن فلان مذ مدة بانه يتكلم فينا وكنيت لك عن كلامه فرأيت ذلك اغضبك واهاجك عليه وقلت لي وددت اني ظفرت به فيما يوجب بسط اليد بالمكروه اليه فانيله من ذلك ما اشفى به صدري منه

قلت نعم يا امير المؤمنين قد كان ذلك واني عليه

قال افكنت فاعلا به ومنتقما منه بمثل انتقام الله عز وجل لنا

قلت وكيف ذلك

قال اوما بلغك خبره

قلت لا والله

قال قد هلك مذ ثلاثة باكلة اصابته في فمه فاكلت داخله وخارجه

قلت الى غضب الله

قال نعم والى سعيره وناره اتدري ما كنيت عندك فيما بلغنا عنه

قلت لا الا ان يخبرني امير المؤمنين

قال حكم علينا فيما دلته بزعمه عليه النجوم بان امرنا ينقطع ويزول في الوقت الذي قطع الله فيه مدته بالآفة التي اصاب بها ما لفظ بذلك به افكنا نقدر على ان نفعل به اكثر من هذا ان كثيرا ممن يتصل بنا اذاه وقوله فينا لربما قيل لهم اما تخافون ان يعلم بمثل هذا منكم فيقولون هو ممنوع منا ثم تبسم و قال نعم والله اني لممنوع من الظلم والتعدي وان الله عز وجل لينتصر لي وينتقم ممن تناول مني ما ليس له اما والله لو شئت لبطشت بهم ولانتصفت منهم ولكني لو فعلت ذلك وعلم الناس اني انتصر لنفسي من مثل هذا لاكثروا من البغي من بعضهم على بعض وشغلوا صدري بذلك كما شغلوا به من قبلي ولكني تغافلت عنهم وما الله بغافل عما يعمل الظالمون وهو اعلم بما يسرون وما يعلنون

قلت الحمد لله الذي منح امير المؤمنين هذا الفضل العظيم وابانه بهذا البرهان المبين ووسمه بالاناة والصبر والحلم وولي الانتقام له من اهل البغي والظلم وامير المؤمنين وسلفه كما قال اصدق القائلين ذرية بعضهم من بعض والله سميع عليم

ثم ذكرت في مثل ما ذكر منعه المنجم المحروم وما منعه لئلا يرى ان علمه بالنجوم وتوخيه ساعة السعد به نال ذلك ما رويناه عن جعفر بن محمد صلوات الله عليه ان دارا صار له نصفها عن بعض مواليه ونصفها لرجل كان يعنى بعلم النجوم وانه دعاه صلوات الله عليه الى قسمتها فسوف ذلك الى ان اختار لنفسه ساعة سعد فاتاه فيها بعد مدة يسأله القسمة فارسل معه من يقاسمه فانصرف اليه يذم علم النجوم وقال يا ابن رسول الله كنت احب ناحية من هذه الدار فمطلت بقسمتها الى ان تخيرت لنفسي ساعة سعد ووثقت فيها باني انال بغيتي فلما قسمت الدار ورمي السهم وقع لك ما كنت احب ولي ما كنت اكره

فقال له ابو عبد الله صلوات الله عليه لولا ان نرى ان اختيارك اصارك الى ما تحب لاعطيناك ما احببت نعم ولتركنا الكل لك ولكن لا والله ما تأخذ الا ما صار لك ولكني افيدك ما ان قبلته كان خيرا لك مما اردته

قال وما هو جعلني فداك

قال اذا اصبحت فتصدق بصدقة فانها تذهب عنك نحس يومك واذا امسيت فتصدق بصدقة فانها تذهب نحس ليلتك

فتبسم المعز لدين الله صلوات الله عليه وقال هو كما قال عليه السلام

وقام امير المؤمنين المعز لدين الله بامور اهل دعوته ، وفتح ابواب علمه وحكمته ، وكان يجلس بنفسه ويعظ اولياءه وشيعته بالمواعظ الجليلة ، ويشوقهم للعمل والعلم ، ويعلمهم بنفسه ، ويدنو صغيرهم وكبيرهم، وظهرمنه من العلم والحكمة والبيان ما لم يشاهد مثله ، وكان مبرزا في فنون العلم ، بالغا منه مبلغا يقصر عنه اولوا الفهم .

وقد ذكر القاضي النعمان بن محمد قس من فضائله ومناقبه وعلمه ما لا يكون الا منه من امثاله من حجج الله واوليائه الذين اقامهم لهداية عباده ، واختارهم في بلاد جعلهم خلفاء النبيين ، وائمة المؤمنين ، وظهر عن المعز لدين الله ع م من البلاغة والعلم ما دل على تائيد الله ع ج له اذ كان ذلك على قرب عهده وممارسته ، ولا يعلم احد ان معلما علّمه ، ولا ملقنا لقّنه ، غير ولي الله الذي افضى اليه بسره، والقى اليه زمام امره ، واودعه علم ما عنده من علم آبائه واجداده ، الذين اخذوه عن رسول الله صلع مما نزل به الروح الامين على قلبه ، وهو مع ذلك مجد في العلم ، حريص في طلبه ، مستكثر منه ، راغب فيه .

ولقد روي عن القاضي النعمان بن محمد رض قال : سمعته يقول فيما يجده في نفسه : والله اني لاجد من اللذة والراحة والشهوة في النظر في الحكمة ما لو وجده اهل الدنيا لاطرحوها لها ، ولولا ما اوجب الله سبحانه علي من امور الدنيا لاهلها واقامة ظاهرها ومصالحهم فيها لرفضتها للتلذذ بالحكمة والنظر فيها ، وان كان الذي قلدته من امور الدنيا فيها حكمة بالغة لمن ابصر ، وحجة لمن تدبر ونظر.

ومما آثره القاضي النعمان بن محمد قس من مثل ذلك عن الامام المعز لدين الله عليه السلام قال : سايرت الامام المعز لدين الله ع م يوما في بعض ما خرج اليه فذكر شيئا من العلم في فن جرى الذكر فيه منه فقال ذكرت مثل هذا مذ ليال وانا اعرف كتابا فيه كلام منه مستقصى فامرت باحضاره فلم يعلم من يقوم على الكتب مكانه فقمت بنفسي الى خزانة الكتب وفتحت بعض الصناديق وانا قائم اطلب ذلك الكتاب من المكان الذي قدرت انه فيه وذلك في اول الليل وقلبت الكتب فجعلت اذا مر بي كتاب اتصفحه فيعرض لي فيه ما احب ان استقصيه ثم يمر على يدي غيره فيجري مني كذلك مجراه فلم ازل قائما كذلك اتصفح كتابا بعد كتاب وقد شغلني ذلك عن ان اذكر ما انا فيه فاجلس حتى حان نصف الليل ونبهني على ما انا عليه وجع شديد بقدمي من طول القيام فانصرفت واصبحت وقد عرض لي من ذلك وجع مؤلم برجلي كان من سبب ذلك

فقلت هذه والله يا مولاي الشهوة في العلم والرغبة فيه التي لم يتحدث بمثلها عن احد قبل امير المؤمنين ص فهنأه الله ما وهبه الله من ذلك وبارك له فيه

فاطرق ص ع كالمستحي من ذكر ذلك وتكلم بكلام خفي لم افهمه عنه

فهذا رواية القاضي النعمان، وسيرة الائمة من آل الرسول صلع معروفة ، وفضائلهم موصوفة ، فلا يوجد في اخبارهم وآثارهم الا ما يشهد بفضلهم ، وعلو محلهم ، من امر بمعروف ونهي عن منكر ، وموعظة وذكر للمؤمنين ، وقول حسن وعبادة لله جل وعلى ، وزهد في الدنيا ، وتذكير بالآخرة ، ونشر العلم عن الرسول ووصيه امير المؤمنين علي عليهما السلام ، ليست كسيرة بني امية وبني العباس واخبارهم التي هي لهو بطنبور وذكر قذع واحياء باطل او اماتة سنة ، او اظهار بدعة ، او ملاعبة فنية ، فما ذا يطعن فيهم الطاعنون ، ويقول فيهم القائلون الذين على اولياء الله يفترون، الا بغيا عليهم وحسدا لهم ، وانكارا لفضلهم ، وما آتاهم الله من المحل الاسنى ، والمقام الاشرف الاعلى ، ولانهم مالوا بالناس عن عاداتهم الدنية ، واقبالهم على المحرمات في الشريفعة الحنيفة ، ولذلك مالوا عنهم وعادوهم ، وافتروا عليهم افتراء عظيما ، وقالوا فيهم قولا منكرا ، ومن انصف في قوله وحكم عقله ، وجد فضلهم عظيما ، ومقامهم عند الله كريما ، فآمن بالله وبهم ، وسلم الله فيما اوجب من طاعتهم تسليما.

وقد روى القاضي النعمان قس عن امير المؤمنين المعز لدين الله صلوات الله عليه قال : وسمعته يوما يقول في مجلس : اما اني لو شئت رضى الناس لبلغت رضاهم بايسر الامور عندهم ولكن ذلك لو يدرون فيه اقتحام النار

فقيل له وما هو يا امير المؤمنين

قال التخلية بينهم وبين شهواتهم نبيح لهم واعوذ بالله والمظاهرة بشرب الخمور والزنى واللواط واظهار الملاهي والمعازف كما يفعله اليوم المتغلبون من ملوك الارض لانفسهم ويبيحونه لمن تغلبوا عليه فما كنا نسمع منهم الا الثناء والشكر ولكن الله عز وجل قلدنا امورهم وافترض علينا تقويمهم واستنقاذ من اناب الينا منهم والامر بالمعروف والنهي عن المنكر فيهم فنحن نريد نجاتهم من النار وهم يسخطون علينا ونحب ادخالهم الجنة وهم يكرهون ذلك منا

فذكر له بعض من حضر المجلس امر المتغلبين من بني امية بالاندليس وانهم ورعاياهم يشربون الخمر ويبتاعونها في اسواقهم جهارا ويتفكهون بالغلمان صراحا ويزنون علانية وان سجن النساء عندهم ليأتي اليه من يؤثر الزنى فيدخل الى السجان فيختار من النساء على عينه من اراد ولكل واحدة منهن رسم معروف فأيتهن اختار رفع رسمها وفجر بها في وجوه كثيرة من المنكر ظاهرة بينة ذكرها

فقال عليه السلام هذا الذي قدمنا ذكره ونحن نعلم ان استصلاح ظاهر العامة واستمالة قلوبها ايسر واقرب من استصلاحها واستمالتها بالدين والحمل على الحق ان الحق مر الا عند القليل فما كره الناس منا في القديم والحديث غيره ولولا حمل علي عليه السلام الناس عليه جميعا وتركه الاغضاء عن شيء منه والرخصة فيه والمداراة عنه لما عدل الى معاوية من عدل وما مال اليه عنه فالرخصة في الباطل والمداهنة في الحق والحيف والاثرة بالدنيا وترك الامر بالمعروف والنهي عن المنكر واقامة حقوق الله وحدوده التي امر باقامتها كان سبب تغلب بني امية اولا وبه تمسكوا الى اليوم وتمسكنا بالحق هو الذي قصر بنا عند عامة الناس لا والله لا ندعه حتى يظهر الله امره فقد قال جل ثناؤه بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فاذا زاهق وارجو ان قد قرب اوانه وحان حينه ان شاء الله

وفيما اتى عن القاضي النعمان بن محمد رض قال : وانتهى الى امير المؤمنين المعز لدين الله ع م ان مركبا لبني امية قدم من المشرق فلما صار بين صقلية وافريقية مر بجزيرة فصادف فيها قاربا فيه فيه نفر قدموا من صقلية يريدون افريقية وفيه كتاب من عامل صقلية الى امير المؤمنين فخاف الاندلسيون ان ينذروا بهم فاخذوا رجل قاربهم واختطفوا بعض امتعتهم واخذوا فيما اخذوا الخريطة التي فيها كتاب عامل صقلية وتركوا القارب بمن فيه بالجزيرة لا يجدون من يحملهم الى ان مر بهم مركب فركبوا فيه واتوا بالخبر

فغضب امير المؤمنين صلوات الله عليه لذلك وامر باخراج مراكب حربية وادخل فيها رجالا من رجال البر والبحر وامّر عليهم حسن بن علي عامل صقلية وامره بطلب المركب حيث اخذ وان وصل الى الاندلس فلا ينصرف عنه حتى يحرقه فلم يلحق المركب الا وقد ارسى بالمرية مرسى الاندلس ومجتمع مراكبها واساطيل الاموي المتغلب عليها ودار صناعة مراكبه وبها عدته واتصل الخبر به ان الاسطول قد نفذ اليه وسبقت مراكبه راءة في البحر بخبره فاعد عساكره وعمر مراكبه بالعدة والسلاح والرجال وجاء حسن بن علي في مراكبه وكانت قليلة العدد وانما اخرجت في طلب مركب واحد فوهب الله لوليه الظفر فاستولى اسطوله على اساطيل الاموي فاضرمها نارا وغادرها باسرها رمادا ونزل من بالاسطول من رجال البر واستولوا على المرية وانهزم عنها جمع الاموي فاحرقوا ما بها من المراكب والخزائن والعود والعدد وانتبهوا جميع ذخائرها وهرب من استطاع الهرب من اهلها ولم يعرضوا لمن بقي ممن استسلم بها بمكروه وقتلوا من ناصبهم اولا واحرقوا المركب الذي صنع اهله ما صنعوه فيما احرقوا ولم يكن امير المؤمنين امرهم بغير ذلك فانصرفوا سالمين غانمين لم يزر منهم احد بسوء

وحل بالاموي الداهية واضطربت عليه البلاد وخاف خوفا شديدا فالف المراكب وجمع جميع رجاله ومن يوصف بالنكاية ببلده واخرج اسطولا في العام المقبل بعد ان كتب الى طاغية الروم يسأله النصرة واهدى اليه هدايا وارسل اليه رسلا من قبله فاجابه الى ذلك وجاءت اساطيل الروم من القسطنطينية ومراكب بني امية بالاندلس

فجمع امير المؤمنين المعز لدين الله عليه السلام اولياءه وعرفهم ذلك وان الروم سألوه عقد هدنة الى مدة طويلة على ان ينصرفوا عنه وقال لهم ما ترون في ذلك

فقالوا امير المؤمنين اعلى عينا والذي نراه نحن مهادنة الروم فما علينا من ذلك وان نصرف وجوهنا الى هؤلاء بجملتنا

فقال معاذ الله ما كنت بادئا الا بمن بدأ الله عز وجل به قال تبارك اسمه يا ايها النبي جاهد الكفار والمنافقين وقال يا ايها الذين آمنوا قاتلوا الذين يلونكم من الكفار فهم اقرب الينا وحسبنا استنصارا بالله على هؤلاء الفسقة بني امية استنصارهم بالمشركين اخوانهم في الدين علينا ودخولهم في جملتهم وكونهم في حزبهم وكفاهم بذلك خزية وعارا في دنياهم واخراهمقدم من المشرق فلما صار بين صقلية وافريقية مر بجزيرة فصادف فيها قاربا فيه فيه نفر قدموا من صقلية يريدون افريقية وفيه كتاب من عامل صقلية الى امير المؤمنين فخاف الاندلسيون ان ينذروا بهم فاخذوا رجل قاربهم واختطفوا بعض امتعتهم واخذوا فيما اخذوا الخريطة التي فيها كتاب عامل صقلية وتركوا القارب بمن فيه بالجزيرة لا يجدون من يحملهم الى ان مر بهم مركب فركبوا فيه واتوا بالخبر

فغضب امير المؤمنين صلوات الله عليه لذلك وامر باخراج مراكب حربية وادخل فيها رجالا من رجال البر والبحر وامّر عليهم حسن بن علي عامل صقلية وامره بطلب المركب حيث اخذ وان وصل الى الاندلس فلا ينصرف عنه حتى يحرقه فلم يلحق المركب الا وقد ارسى بالمرية مرسى الاندلس ومجتمع مراكبها واساطيل الاموي المتغلب عليها ودار صناعة مراكبه وبها عدته واتصل الخبر به ان الاسطول قد نفذ اليه وسبقت مراكبه راءة في البحر بخبره فاعد عساكره وعمر مراكبه بالعدة والسلاح والرجال وجاء حسن بن علي في مراكبه وكانت قليلة العدد وانما اخرجت في طلب مركب واحد فوهب الله لوليه الظفر فاستولى اسطوله على اساطيل الاموي فاضرمها نارا وغادرها باسرها رمادا ونزل من بالاسطول من رجال البر واستولوا على المرية وانهزم عنها جمع الاموي فاحرقوا ما بها من المراكب والخزائن والعود والعدد وانتبهوا جميع ذخائرها وهرب من استطاع الهرب من اهلها ولم يعرضوا لمن بقي ممن استسلم بها بمكروه وقتلوا من ناصبهم اولا واحرقوا المركب الذي صنع اهله ما صنعوه فيما احرقوا ولم يكن امير المؤمنين امرهم بغير ذلك فانصرفوا سالمين غانمين لم يزر منهم احد بسوء

وحل بالاموي الداهية واضطربت عليه البلاد وخاف خوفا شديدا فالف المراكب وجمع جميع رجاله ومن يوصف بالنكاية ببلده واخرج اسطولا في العام المقبل بعد ان كتب الى طاغية الروم يسأله النصرة واهدى اليه هدايا وارسل اليه رسلا من قبله فاجابه الى ذلك وجاءت اساطيل الروم من القسطنطينية ومراكب بني امية بالاندلس

فجمع امير المؤمنين المعز لدين الله عليه السلام اولياءه وعرفهم ذلك وان الروم سألوه عقد هدنة الى مدة طويلة على ان ينصرفوا عنه وقال لهم ما ترون في ذلك

فقالوا امير المؤمنين اعلى عينا والذي نراه نحن مهادنة الروم فما علينا من ذلك وان نصرف وجوهنا الى هؤلاء بجملتنا

فقال معاذ الله ما كنت بادئا الا بمن بدأ الله عز وجل به قال تبارك اسمه يا ايها النبي جاهد الكفار والمنافقين وقال يا ايها الذين آمنوا قاتلوا الذين يلونكم من الكفار فهم اقرب الينا وحسبنا استنصارا بالله على هؤلاء الفسقة بني امية استنصارهم بالمشركين اخوانهم في الدين علينا ودخولهم في جملتهم وكونهم في حزبهم وكفاهم بذلك خزية وعارا في دنياهم واخراهم

واخرج عمار بن الحسن بن ابي الحسين في عساكر عظيمة فانتهى الى صقلية ، وظفر بالروم وغرّق كثيرا من اساطيلهم وذلك سنة خمس واربعين وثلاثمائة.

وخرج امير المؤمنين لدين الله عليه السلام من المنصورية متوجها الى المهدية بعد ان جمع كتامة واهل افريقية في جيوش تملأ الفضاء ، ورايات تخفق في جو السماء ، وقوة تبهر ، وعدة تزهر ، فحين صار في المهدية امر بعمل الاساطيل ، وانتقى فيها الحماة والكماة، واختار فيها اولي النجدة والمراس ، ممن لا يهولهم بأس ، وقدّم عليهم جوهرا عبده الكاتب وحسن بن علي عامل صقلية ، وانفذ الاساطيل وامر بكون العساكر في كل مرسى بطريق الاندلس.

واقبل اسطول الروم فلقي اساطيل امير المؤمنين في صقلية ، واقبل اسطول بني امية لميعاد المشركين ، وفتح الله لوليه على الروم فانهزموا في البحر بعد ان وقعت بينهم وبين عسكر امير المؤمنين وقعة عظيمة ومعركة شديدة قبل فيها وغرق خلق عظيم من الروم ، وولّوا هاربين بين يدي اساطيل امير المؤمنين عليه السلام الى مجازرية ليحموا بلدهم ، واتبعتهم فيما هنالك ، فلقوهم في البحر ايضا فهزموهم وفلّ الله شوكتهم ، ونزلت عساكر امير المؤمنين بارضهم واكثرت القتل فيهم ، واحرقت مدائنهم ، واخربت كنائسهم، ونالت فيهم غاية الامل في النكاية .

قال الحسن بن جعفر الانصاري في تاريخه : فقتل الروم قتلا ذريعا ما سمع بمثله الا في وقعة اليرموك مع الروم بالشام عند طبرية .

وانتهى اسطول بني امية الى بعض مراسي المغرب الخالية القليلة العدد فنزلوا بها يريدون ان يؤثروا اثرا يرجعون به الى بلدهم ليسكنوا به من خلفهم ، فخرج اليهم اهل تلك الناحية فقتلوا منهم بشرا كثيرا فهزموهم فمات في البحر اكثر ممن قتل ، وغنموا ما كان معهم من السلاح ، ووجّهوا برؤوس من قتلوه وبما غنموا ، واتصل باهل الاندلس خبر الروم فانصرفوا منكوبين خاسرين.

ووصل البريد الى امير المؤمنين المعز لدين الله صلوات الله عليه وقد خرج للتنزه ، وهو جحفل عظيم، فنزل عن فرسه وخرّ ساجدا لله تعالى شكرا وتواضعا ، وعفّر وجهه الشريف في التراب ، فقال محمد بن هانئ الاندلسي الازدي يصف الفتح وانهزام الدمستق ومن قتل معه من الروم النصارى ، ووصول البريد، ويمدح امير المؤمنين المعز لدين الله :

يوم عريض في الفخار طويل \* ما تنقضي غرر له وحجول

ينجاب منه الافق وهو دجنة \* ويصح منه الدهر وهو عليل

مسحت ثغور الشام ادمعها به \* ولقد تبل الترب وهي همول

وجلا ظلام الدين والدنيا به \* ملك لما قال الكرام فعول

متكشف عن عزمة علوية \* للكفر منها رنة وعويل

فلو ان سفنا لم تحمل جيشه \* حملت عزائمه صبا وقبول

ولو ان سيفا ليس يبتك حده \* جذ الرقاب بكفه التنزيل

ملك تلقى عن اقاصي ثغره \* انباء ذي دول اليه تدول

بشرى تحملها الليالي شرّدا \* خير المساعي الشارد المحمول

تأتي الوفود بها فلا تكرارها \* نصب ولا مقرونها مملول

ويكاد يلقاهم على افواههم \* قبل السماع الرشف والتقبيل

يجلو البشير ضياء بشر خليفة \* ماء الهدى في صفحتيه يجول

لله عينا من رأى اخباته \* لما اتاه بريدها الاجفيل

وسجوده حتى التقى عفر الثرى \* وجبينه والنظم والاكليل

ثم يثنه عز الخلافة والعلى \* والمجد والتعظيم والتبجيل

بين المواكب خاشعا متواضعا \* والارض تخشع بالعلى وتميل

فتيمموا ذاك الصعيد فانه \* بالمسك من نفحاته معلول

سيصير بعدك للائمة سنة \* في الشكر ليس لمثلها تحويل

من كان ذا اخلاصه لم يعيه \* في مشكل ريث ولا تعجيل

لو ابصرتك الروم يومئذ درت \* ان الاله بما تشاء كفيل

يا ليت شعري عن مقاولهم اذا \* سمعت بذلك عنك كيف تقول

ودوا ودادا ان ذلك لم يكن \* صدقا وكل ثاكل مثكول

هذا يدلهم على ذي عزمة \* لا فيه تسليم ولا تخذيل

انت الذي ترث البلاد لديهم \* فالارض فأل والسجود دليل

قل للدمستق مورد الجمع الذي \* ما اصدرته له قنا ونصول

سل رهط منويل وانت غررته \* في اي معركة ثوى منويل

منع الجنود من القفول رواجعا \* تبا له بالمنديات قفول

لا تكذبن فكل ما حدثت من \* خبر يسرّ فانه منحول

واذا رأيت المر خالف قصده \* فالرأي عن جهة النهى معدول

قد فال رأيك في الجلاد ولم تزل \* آراء اغمار الرجال تفيل

وبعثت بالاسطول يحمل عدة \* فاثابنا بالعدة والاسطول

ورميت في لهوات اسد الغاب ما \* قد بات وهي فريسة مأكول

ادّى الينا ما جمعت موفّرا \* ثم انثنى في اليم وهو جفول

حتى قال في قصيدته فيما يقول :

ان التي رام الدمستق حربها \* لله فيها صارم مسلول

لا ارضها حلب ولا ساحاتها \* مصر ولا عرض الخليج النيل

ليت الهرقل بدى بها حتى انثنى \* على الدمستق ذلة وخمول

فلتعلم الاعلاج علما ثاقبا \* ان الصليب وقد عززت ذليل

وليعبدوا غير المسيح فليس في \* دين الترهب بعدها تأميل

ما ذاك ما شهدت له الاسرى به \* اذ يهزأ الطاغي به الضليل

ورئت من الاسلام تحت سيوفه \* الا اعتداد الصبر وهو جميل

سلكت سبيل الملحدين ولم يكن \* من بعد ذاك الى الحياة سبيل

حتى يقول في مدح امير المؤمنين ع م :

من يهتدي دون المعز خليفة \* ان الهداية دونه تضليل

من يشهد القرآن فيه بفضله \* وتصدّق التوراة والانجيل

والوصف يمكن فيه الا انه \* لا يطلق التشبيه والتمثيل

والناس ان قيسوا اليه فانهم \* عرض له في جوهر محمول

ترد العيون عليه وهي نواظر \* فاذا صدرن فانهن عقول

غامرته فعجزت عن ادراكه \* لكنّه بضمائري معقول

كل الائمة من جدودك فاضل \* فاذا خصـصت فكلهم مفضول

فافخر فمن انسابك الفرودس ان \* عدّت ومن احسابك التنزيل

وارى الورى لغوا وانت حقيقة \* ما يستوي المعلوم والمجهول

شهد البرية كلها لك بالعلى \* ان البرية شاهد مقبول

والله مدلول عليه بصنعه \* فينا وانت على الدليل دليل

وقال ايضا يمدح الامام المعز لدين الله صلوات الله عليه ويذكر خيبة بني امية وقصورهم فيما تطاولوا اليه.

الؤلؤ دمع هذا الغيث ام نقط \* ما كان احسنه لو كان يلتقط

بين السحاب وبين الريح ملحمة \* قعاقع وظبى في الجوّ تخترط

كأنه ساخط يرضى على عجل \* فما يدوم رضى منه ولا سخط

اهدى الربيع الينا روضة انفا \* كما تنفّس عن كافوره السفط

غمائم في نواحي الجوّ عاكفة \* جعد تحدّر منها وابل سبط

كأن تهتانها في كل ناحية \* مد من البحر يعلو ثم ينهبط

والبرق يظهر في لألاء غرّته \* قاض من المزن في احكامه شطـط

وللجديدين من طول ومن قصر \* حبلان منقبض عنا ومنبسط

والارض تبسط في خدّ الثرى ورقا \* كما تنشّر في حافاتها البسط

والريح تبعث انفاسا معطّرة \* مثل العبير بماء الورد يختلط

كأنما هي انفاس المعزّ سرت \* لا شبهة للندى فيها ولا غلط

تالله لو كانت الانواء تشبهه \* ما مرّ بؤس على الدنيا ولا قنط

شقّ الزمان لنا عن نور غرّته \* من دولة ما بها وهن ولا سقط

حتى تسلّط منه في الورى ملك \* زينت بدولته الاملاك والسلط

يختط فوق النجوم الزهر منزلة \* لم يدن منها ولم يقرن بها الخطـط

امام عدل وفي كل ناحية \* كما قضوا في الامام العدل واشترطوا

قد بان بالفضل عن ماض ومؤتنف \* كالعقد عن طرفيه يفصل الوسط

لا يغتدي فرحا بالمال يجمعه \* ولا يبيت بدنيا وهو مغتبط

لكنه ضد ما ظنّ الحسود به \* وفوق ما ينتهي غال ومنبسط

يزري بفيض بحار الارض لو جمعت \* بنان راحته المغلولب الخمط

وجه بجوهر ماء العرش متّصل \* عرق بمحض صريح المجد مرتبط

شمس من الحق مملوء مطالعها \* لا يهتدي نحوها جور ولا شطـط

يروّع الاسد منه في مكامنها \* سيف له بيمين النصر مخترط

خابت امية منه بالذي طلبت \* كما يخيب برأس الاقرع المشط

وحاولوا من حضيض الارض اذ غضبوا \* كواكبا عن مرامي شاوها شحطوا

هذا وقد فرّق الفرقان بينكما \* بحيث يفترق الرضوان والسخط

الناس غيركم العرقوب في شرف \* وانتم حيث حلّ التاج والقرط

ولست اشكو لنفسي في مودتكم \* لانكم في فؤادي جيرة خلط

يا افضل الناس من عرب ومن عجم \* وآل احمد ان شبّوا وان شمطوا

ليهنك الفتح لا اني سمعت به \* ولا على الله فيما شاء اشترط

لكن تفاءلت والاقدار غالبة \* والله يبسط آمالا فتنبسط

ولست اسأل الا حاجة بلغت \* سؤل الامام بها الركاضة النشط

من فوق ادهم لا يجتاز غايته \* نجم من الافق الشمسي منخرط

يحتثه راكب ضاقت مذاهبه \* بادي التشحب في عثنونه شمط

ان الملوك اذا قيسوا اليك معا \* فانت من كثرة بحر وهم نقط

وارسل ملك الروم الى امير المؤمنين المعز لدين الله صلوات الله عليه باموال جليلة وهدايا عظيمة ، ورغب في التوقف عمن بقي من الروم بارض قلورية ، على مال قطعه على نفسه يؤديه ، وجزية يحملها الى امير المؤمنين ، واسرى من اسرى الشرق المسلمين يطلقهم .

ورأى ذلك امير المؤمنين صلاحا للدين وللمسلمين بعد ان اقدره الله وامكنه وشفى صدره وصدور المؤمنين به .

قال القاضي النعمان بن محمد رضوان الله عليه : والذي قدم الى المعز بطريق من بطارقة الروم واشرافهم رسولا من طاغيتهم صاحب القسطنطينية بما اوجبه على نفسه من مغرم الجزية عن اهل ارض قلورية وجاء منه بهدايا كثيرة من آنية الذهب والفضة مرصعة بالجواهر ، وديباج وحرير ، وغير ذلك من نفيس ما عندهم، وبكتاب من مرسلهم يخضع فيه الى امير المؤمنين عليه السلام ويرغب ويسأل ، ويطلب الكف عن حرمه ويسأل الموادعة ، وبعث بعدد كثير من اسرى اهل الشرق ، مما لم يكن قط قبل ذلك طاغية الروم بعث بمثلهم الى ملك من ملوك المغرب ، ولا الى احد ممن مضى من الائمة قبل المعز ص ع ، ولا كان طاغية الروم يؤدي خراجا ولا جزية عن اهل مملكته الى غيره ، فقبّل ذلك الرسول الارض مرارا بين يدي المعز لدين الله صلوات الله عليه ومثل بين يديه ، وادى اليه رسالة مرسله ودفع اليه كتابه واستأذنه في ادخال هديته ، وذلك بعد ان اوصل مال الجزية الى عامل صقلية على الرسم الجاري في ذلك.

فاذن له امير المؤمنين ص ع في ادخاله واسعفه بقبولها وكان اكثر ما ادى اليه الرسول عن طاغية الروم وما جاء في كتابه اليه سؤاله الهدنة مؤبدة على ما اجراه من الخراج والجزية على اهل قلورية ، وبأنّ يرسل رسولا من قبله ليسرّ بذلك ويفعل فيه ما يجب على مثله لمحبته بزعمه .

فأجاب المعز ص ع رسوله عن ذلك بان الدين والشريعة يمنعان من الذي سأله من الهدنة المؤبدة لان الله عز وجل انما ابتعث محمدا رسوله صلع واقام الائمة من ولده من بعده يدعون الى دينه ويجاهدون من خالفه حتى يدخلوشا فيه او يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون داخلون في حكم امام اهل الاسلام وذمته ، وان الموادعة انما تجوز لمدة معلومة على ما يراه امام المسلمين صلاحا لهم وللدين، ولو كانت مؤبدة لبطل الجهاد المفروض على العباد، وانقطعت دعوة الاسلام وخولف حكم الكتاب.

وعرّفه انه مما ينبغي لمثل من كان في محلّ ملكه الذي ارسله الاّ يغيب عنه مثل هذا من شريعة من يخاطبه ويكاتبه والاّ يسأل ما لا توجبه الشريعة لمن يسأله.

فاعترف العلج بذلك على مرسله وسأل الزيادة في مدة الهدنة عنه له .

فقال المعز ص ع : جواب هذا ما ذكرنا له في كتابنا انه ما دام على ما شرطناه عليه واوجبه لنا على نفسه لم نبدأه بحرب حتى ننبذ اليه عهده ، او بعد ان تنقضي مدة الموادعة بيننا وبينه ، لا نخفر ولا نغدر كما تخفرون انتم وتغدرون .

وعدّد عليه اشياء من ذلك فعلوها فاعتذر منها عن ملكه بان ذلك لم يكن عن علمه وانه انكره وطالب من فعله فاعجزه .

فقال له امير المؤمنين المعز عليه السلام : فاذا كان الامر على ما تصفه من ملكـك انه يغلب على امره ويعجز عمن خالفه وغلب عليه من اهل ملته ، فاي فائدة في موادعته اذا كان عاجزا مغلوبا ؟ ولكن هل لك و له في ان اعقد له ما يتفق معي على عقده على من يرى انه في غير مملكتي ممن يقاتله من اهل المشرق كابن حمدان وغيره ؟ فان خرجوا عما اعقده عليهم فلا عقد بيني وبينه . فاما ما حوته مملكتي وحدود طاعتي فقد علم وعلمت انهم اقدر على اهل دينه ومملكته وبلده – لو قد ارادوا الخفر والغدر – منهم. فهل بلغه او بلغك ان احدا منهم تعدىّ لي فيما جعلته له امرا وخالف شيئا منه ؟

فجعل العلج يعترف بذلك وبالفضل لولي الله ص ع ويسأله ويرغب اليه فاعرض المعز عن جوابه عن ذلك وجعل يسأله عن كيف الحال بينهم وبين اهل طرسوس وان حمدان في حروبهم ومعاملتهم اياهم ، في حديث اطاله ، وكان ذلك العلج يجيبه عما يسأله من ذلك عنه ، فنظر بعض من في المجلس الى بعض كمن لا يدري ما معنى السؤال عن ذلك والمفاوضة فيه ، ثم عاود العلج في سؤال رسول يرسله الى ملكه وذكر له تواتر رسله عليه وعلى آبائه مذ افضى الله ع ج بالامر اليهم وانه لم يمض رسول منه ولا منهم اليه.

فقال المعز صلوات الله عليه : ان احدا من الناس لا يرسل رسولا الى احد الا لحاجة تعرض له اليه او لامر يجب له عليه ، ونحن بحمد الله فلا نعلم ان لنا الى صاحبك من حاجة ولا له علينا واجب ، فلما ذا نرسل اليه ؟ اللهم الا ان يكون امرا من امور الدين ينبغي لنا مراسلته ومفاوضته فيه وهو من المباح في دينه ، ولكنّا نظن انه يكبر عليه، فان نحن ارسلنا فيه اليه فعلمت انه يجيبنا فيه سهل علينا ان نرسله اليه رسولا كما سأل وسألت عنه ، فلولا ان ذلك لله عز وجل ولدينه لم نفعل ذلك ولا ينبغي لنا ان نفعله ، الا بعد ان يتحقق عندنا ان يجيب اليه ، لانا لا نرى ان نسأل امرا، وان كان لله ع ج فنجبه فيه . ولان ذلك لو كان لكان سوء عاقبته عليه ، ونحن لا نلزمك الجواب في ذلك عنه. والقطع فيه عليه ، اذ ذلك مما لا يلزمك ولا ينبغي لك ، ولكنا سنأمر بذكر ما نريد ذكره لك وتنصرف وتقف على ذلك منه لانه امر كبير ، فاذا علمت منه بالحقيقة انه يجيب عنه عرّفتنا ذلك عنه فيسهل علينا ان نرسل فيه اليه ، ولو كان ذلك فيما تحويه الدنيا بحذافيرها واشتملت عليه باقطارها ، لما سهل علينا ان نرسل فيه رسولا من قبلنا ، ولكنّه لما كان لوجه الله ع ج وابتغاء ثوابه سهل علينا ووجب لدينا.

فاستعظم العلج القول في ذلك واقبل على امير المؤمنين بالمدح والشكر حتى خرج في قوله ذلك الى الكفر والتشبيه الذي يعتقده ، فردّ ذلك المعز صلوات الله عليه عليه وتواضع لله ع ج كما يجب ان يتواضع له ، وعرّفه ذلك ليعلم انه لم يرضه من قوله وان كان عند نفسه انما قصد به تعظيمه ورأى ان ذلك مما يجوز عنده، ثم امره صلوات الله عليه بالانصراف الى المكان الذي انزله فيه فانصرف.

ثم عطف على من كان في المجلس كأنه اطلع على ما كان في قلوبهم فقال : لعل بعضكم انكر ما اطلنا سؤاله عنه عن امرهم مع اهل المشرق ؟ ولم نرد بذلك منه الحديث والمذاكرة، ولكني علمت انه رسول قد لقّن ما يقول واوقف عليه ، وعلى ما يجيب فيه مما قد لعل مرسله علم انه سيسأل عنه ، فاتيناه من مكان نعلم انه لم يتقدم اليه فيه ، ولم يعلم مرسله انه يسأل عنه ، حتى اخذنا منه من قبله ما تقوم به حجتنا عليه من وجه كذا ووجه كذا . وعدّد وجوها كثيرة مما سمعناه جرى بينهما لم ندر ان في ذلك حجة حتى ذكره صلوات الله عليه، فاذا فيه حجج وكيدة لم تظهر لاحد ممن حضر الا عند ذكره اياها وبيانه لها

فقبّلوا الارض بين يديه واظهروا السرور بما وهب الله من التائيد له وامده من الحكمة والعلم به ، وكان ذلك منه صلع بعد ان سألهم ما رأوه في مخاطبته اياه فيما خاطبه ، وما توهموه في مراده بذلك ، فلم يكن عند احد منهم علم من ذلك ، ثم سألهم هل فيما سمعوه منه حجة يرون انها تقوم عليه او على مرسله ؟ فما علم احد منهم ذلك ، فبعد ذلك قال ما قاله لهم مما ذكرته عنه ص ع .

هذا قول القاضي النعمان بن محمد فيما ثبت وروده عنه .

وقال محمد بن هانئ المغربي يمدح امير المؤمنين المعز لدين الله ص ع ويذكر ورود رسل الروم يضرعون في الصلح :

الا طرقتنا والنجوم ركود \* وفي الحي ايقاظ ونحن هجود

وقد اعجل الفجر الملمع خطوها \* وفي اخريات الليل منه عمود

سرت عاطلا غضبى على الدر وحده \* فلم يدر نحر ما دهاه وجيد

فما برحت الا ومن وسلك ادمعي \* قلائد في لبّاتها وعقود

وما مغزل ادماء دان بريرها \* تربّع ايكا ناعما وترود

باحسن منها حين نصّت سوالفا \* تروغ الى اترابها وتحيد

الم يأتها انا كبرنا عن الصبا \* وانا بلينا والزمان جديد

فليت مشيبا لا يزال ولم اقل \* بكاظمة ليت الشباب يعود

ولم ار مثلي ما له من تجلد \* ولا كجفوني ما لهنّ جمود

ولا كالليالي ما لهن مواثق \* ولا كالغواني ما لهن عهود

ولا كالمعز ابن النبي خليفة \* له الله بالفضل المبين شهيد

وما لسماء ان تعدّ نجومها \* اذا عدّ آباء له وجدود

فاسيافه تلك العواري نصولها \* الى اليوم لم تعرف لهن غمود

ومن خيله تلك الجوافل انها \* الى الآن لم تحطـط لهن لبود

الى ان قال فيها :

الا في سبيل الله تبذل كل ما \* تضنّ به الانواء وهي جمود

فلا غرو ان اعززت دين محمد \* فانت له دون الانام عقيد

وباسمك تدعوه الاعادي فانهم \* يقرون حتما والمراد جحود

غضبت له ان ثلّ بالشام عرشه \* وعادك من ذكر العواصم عيد

فبت له دون الانام مسهّدا \* ونام طليق خائن وطريد

برغمهم ان ايّد الحق اهله \* وان باء بالفعل الحميد حميد

فللوحي منهم جاحد ومكذّب \* وللدين منهم كاشح وعنود

وما سرّهم ما ساء ابناء قيصر \* وتلك ترات لم تزل وحقود

هم بعدوا عنهم على قرب دارهم \* وجحفلك الداني انت بعيد

وقلت : اناس ذا الدمستق شكره \* اذا جاءه بالعفو منك بريد

وتقبيله الترب الذي فوق خده \* الى ذفرييه من ثراه صعيد

تناجيك عنه الكتب وهي ضراعة \* ويأتيك عنه القول وهي سجود

اذا انكرت فيها التراجم لفظه \* فادمعه بين السطور شهود

ليالي تقفو الرسل رسل خواضع \* وتأتيك من بعد الوفود وفود

ويقول فيها :

فليت ابا السبطين والترب دونه \* يرى كيف تبدي حكمه وتعيد

وملكـك ما ضمّت عليه تهائم \* وملكـك ما ضمت عليه نجود

واخذد قسرا من بني الاصفر الذي \* تذبذب كسرى عنه وهو عنيد

اذا لرأى يمنايك تخضب سيفه \* وانت عن الدين الحنيف تذود

شهدت لقد اوتيت جامع فضله \* وانت على علمي بذاك شهيد

ولو طلبت في الغيث منك سجية \* لقد عزّ موجود وعزّ وجود

اليك يفر المسلمون باسرهم \* وقد وتروا وترا وانت مقيد

وان امير المؤمنين كعهدهم \* وعند امير المؤمنين مزيد

ولم يزل ملك الروم يردّد رسله وبطارقته الى امير المؤمنين ويتضرّع بالطافه وهداياه في طلب الهدنة ، وهو نقفور ، ولامير المؤمنين المعز لدين الله عليه السلام كتاب الّفه وارسل به اليه في الحجة على النصارى في اثبات ما جحدوه من نبوة محمد صلع وما يشهد بذلك مما في التوراة والانجيل وفي صحف الانبياء مما لم يعرفه الا اولياء الله صلع ولا يوجد علمه الا عندهم ، وهو كما قال امير المؤمنين علي ابن ابي طالب صلوات الله عليه : لو ثنيت لي وسادة لحكمت بين اهل التوراة بتوراتهم،واهل الانجيل بانجيلهم ، ولا شك ان ذلك السيل من ذلك الجبل ، وهل ينبت الخطي الا الاسل ؟ ولا تؤخذ الجواهر الا من معادنها ، ولا يوجد اللجين والعقيان الا في خزائنها ، ولو ردت الامة الكتاب الى الله والى الرسول لعلموا ، ولو سلّموا في الطاعة لولاة الامر من آل محمد لسلموا ، ولكنهم رضوا بالحيوة الدنيا عن الآخرة ، فآبوا بالصفقة الخاسرة ، وتولوا غير العترة الطاهرة ، وقدّموا برأيهم الطغاة الجبابرة، بغير نص من رسول الله عليه يعوّلون، ولا يرد الى اهل الذكر الذين هم عن المشكلات يسألون ، فتعسا لهم ولا يخسر الا المبطلون.

وهذا الكتاب الذي امر به امير المؤمنين المعز لدين الله عليه السلام الى صاحب الروم معروف موجود، مباح لمن اراد الاطلاع عليه والورود.

ولما انتهى الى الاموي صاحب الاندلس امر الروم ومطالبة ملكهم في الصلح ساءه ذلك وكثر وجله، وخاف الوقعة به ، قال القاضي النعمان :

فدس رسولا من قبله وكتب كتابا على بعض رجاله الى بعض رجال امير المؤمنين في الموادعة والصلح وكف الحرب ،ويذكر ما يتوقع في ذلك من سفك دماء المسلمين واشتغال بعضهم ببعض عن غزو المشركين، وجاء الرسول بالكتاب وادى بلسانه عن صاحبه ما لم يرد الكتاب به من طلب الصلح والالفة وكفّ الحرب والفتنة ، وذكرالرسول ذلك لامير المؤمنين ص ع شفاها ، فقال له :

اما تخوّفه من الحرب والفتنة وسفك الدماء فما ظهر منا ما يتخوّف منه ذلك ، وما نحن بمن يؤمنه منه ، ولكن بغى علينا من بغى من اهل عمله فانتصرنا بالله فنصرنا الله وبلّغنا فوق آمالنا ، فقام وقعد وابرق وارعد ، ووالى علينا المشركين الذين رأى الآن اشتغالنا به واشتغاله بنا داعيا الى ترك قتالهم وجهادهم ، وان ذلك نقص ووكف على الاسلام ، فهلا رأى ذلك اذ بعث امواله وهداياه ورسله اليهم واستنصر علينا بهم ؟ فكف رأى الله عز وجل فعل بهم وبجمعهم ؟ الم يصرف الجمعين مغلوبين خائبين خاسرين ؟ ونحن بعد فما رأى منا اليه حركة فما هذا القلق ؟ وما هذه العجلة ؟

واما ما دعى اليه من السلم والكف والموادعة والصلح ، وهو يزعم انه امير المؤمنين كما تسمّى دون من سلف من آبائه وامام الامة بدعواه وانتحاله، ونحن نقول : انا اهل ذلك دونه ودون من سواه ، ونرى ان الله عز وجل فرض علينا محاربة من انتحل ذلك دوننا وادعاه ، مع ما بين اسلافنا واسلافه ومن مضى في القديم والحديث من آبائنا وآبائه من العداوة القديمة الاصلية والبغضة في الاسلام والجاهلية ، وما اعتقدوه لنا في ذلك في الاسلام وطالبونا به في قديم الايام من لعن رسول الله صلع اباهم وقتل من قتله على الشرك والكفر منهم ، وطلبهم بثأرهم ودمائهم ، وطلبنا نحن اياهم بمن قتلوه منا كذلك في سلطانهم وايام تغلبهم ، فكيف بالصلح الذي ذكره بعد هذا النبأ الجليل خطره؟ يأبى لنا ذلك قول الله عز وجل : لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حادّ الله ورسوله ولو كانوا آبائهم او ابنائهم او اخوانهم او عشيرتهم ، ما انا بالمداهن في دين الله ولا بالراكن في المودة الى اعداء الله ولا بالمخادع في امر من امور الله.

ارجع بجوابي هذا اليه فما له عندي سواه ، وما لي من الامر من شيء ان الامر كله لله ، عليه توكلت واليه انيب، وان حركني الله اليه وقذف في قلبي حربه وغزوه فلا اشك ان الله عز وجل اراد قطع دابره واصطلام شأفته وتطهير الارض من رجسه وحسم ايام ومدته ، وان لا يقذف ذلك في قلبي ويصرف الى من سواه وجهي فلامر هو بالغه فيه واملاء هو محتج به عليه ومدة سبقت في علم الله له ، قال الله عز وجل : ولا تحسبن الذين كفروا ان نملي لهم خير لانفسهم انما نملي لهم ليزدادوا اثما، فلينظر احد الامرين وليتوقع وجها من الوجهين : اما هلاك يعجل اصطلامه ، واما املاء من الله يوفّر آثامه ، ونحن ننتظر من الله عز وجل احدى الحسنيين، ونرجو من الله خير الامرين : اما نصر من الله يعجله لنا عليه فيشفي قلوبنا وقلوب المؤمنين ، واما ان يملي له على ما هو عليه من معاصيه ومساوئه ومخازيه ، ففي ذلك سرور من رأى عدوه عليه ، فقد كان يقال : حسبك درك امل من عدوك ان تراه عاملا بمعاصي الله ، وذلك ان المعاصي تعجّل الدمار ، وتولج عما قليل عذاب النار.

وصرف امير المؤمنين الرسول وامر الذي ورد عليه الكتاب ان يجيب عن كتابه اليه جوابا غليظا يتوعده فيه ففعل ، وانصرف الرسول بالجواب والكتاب.

قال القاضي النعمان بن محمد رضوان الله عليه : وجاء الرسول الثاني بكتاب آخر من الاموي ، فرفع الكتابان الى امير المؤمنين ع م وقرئا جميعا علينا بين يديه ، وفيهما من التغاير والفساد وسوء التوجيه ما قد ذكره القاضي النعمان في كتاب المجالس والمسائرات ، وذكر احتجاج امير المؤمنين المعز لدين الله ع م على كل فصل منه وتبيين فساده وعواره.

وصرف الرسول بلا جواب منه سوى ان قال له : قد قيل ان الصدق ينبئ عنك لا الوعيد ، وكتب المنصور عليه السلام الى ملك الروم : اذا نطق السيف سكت القلم. وامر الذي ورد عليه الكتاب ان لا يجيب عنه بحرف ، وانصرف الرسول خائبا .

وامر بتجهيز الجيوش الى ارض المغرب لتتبع كل من مال الى بني امية بالقتل واجتياحهم عن جديد الارض.فاخرج امير المؤمنين ع م عبده قائد القواد جوهر الكاتب في جيوش عظيمة ، فخرج الى المغرب واستفتح البلاد ، ونفى اتباع بني امية والقائلين بامامتهم عنها ، وكانت في ذلك فتوح عظيمة .

وكان امير المؤمنين على العزم في ان يرسل اساطيل في البحر الى الاندلس لقطع دابر بني امية واستئصال شأفتهم الى ان حصل من الروم النصارى ما حصل من الغلبة على حلب والشام، واستذلالهم اهل الاسلام، فانصرف عزم امير المؤمنين من المغرب الى الشرق والشام، وافتتح مصر والشام ، وسنذكر اخبار ذلك اذا انتهينا اليه بعون الله سبحانه وببركات اوليائه عليهم السلام ، واملى الله لبني امية الظالمين ، ومتّعهم الى حين حتى استوفوا مدة ما املى لهم ، ونالوا من الدنيا ما هو في الآخرة اشد وبالا عليهم، وسوف يلقون عملهم بما ظلموا به العباد ، وسعوا في الارض بالفساد ، وذلك كما قال امير المؤمنين ع م فيما ذكرناه لرسول الاموي حيث قال : وان حرّكني الله اليه وقذف في قلبي حربه ، الى قوله : وان لا يقذف ذلك في قلبي ويصرف الى من سواه وجهي فلامرهو بالغه فيه واملاء هو محتج به عليه، ومدة سبقت في علم الله له ، قال الله ع ج : ولا يحسبن الذين كفروا ان ما نملي لهم خير لانفسهم ، انما نملي لهم ليزدادوا اثما، فلينتظر احد الامرين وليتوقع احد الوجهين.

وانتهى جوهر القائد الى البحر المحيط بالمغرب وجاء بهدايا الى امير المؤمنين المعز لدي الله عليه السلام يجل قدرها ويبعد حصرها . وفي ذلك يقول محمد بن هانئ المغربي يمدح امير المؤمنين المعز لدين الله ص ع ويذكر هدية القائد جوهر :

الا هكذا فليهد من قاد عسكرا \* واورد عن رأي الامام واصدرا

هدية من اعطى النصيحة حقه \* وكان بما لم يبصر الناس ابصرا

الا هكذا فلتجلب العيس بدّنا \* الا هكذا فلتجنب الخيل ضمّرا

مرفّلة يسحبن اذيال يمنة \* ويركضن ديباجا ووشيا محبّرا

تراهن امثال الظباء عواطيا \* لبسن بيبرين الربيع المنوّرا

يمشّين مشي الغانيات تهاديا \* عليهن زي الغانيات مشهّرا

وجرّرن اذيال الحسان سوابغا \* فعلّمن فيهن الحسان تبخترا

فلا يسترن الوشي حسن شياتها \* فيستر احلى منه في العين منظرا

الى قوله :

الا انما تهدى الى خير هاشم \* وافضل من يعلو جوادا ومنبرا

من استنّ تفضيل الجياد لاهلها \* فاوطأها هام العدى والسنوّرا

وجلّلها اسلاب كل منافق \* وكل عنيد قد طغى وتجبّرا

وقلّدها الياقوت كالجمر احمرا \* يضيء سناه والزمرّد اخضرا

وقرّطهاالدرّ الذي خلقت له \* وفاقا وكانت منه اسنى واخطرا

فكم نظم قرط كالثريّا معلّق \* يزيد بها حسنا اذا ما تمرمرا

وكم اذن من سابح قد غدت به \* يناط عليها ملك كسرى وقيصرا

تحلّى بما يستغرق الدهر قيمة \* فتختال فيه نخوة وتكبّرا

وانتهى فيها الى قوله :

الا انّما كانت طلائع جوهر \* ببعض الهدايا كالعجالة للقرى

ولو لم يعجّل بعضها دون بعضها \* لضاق الثرى والماء طرقا ومعبرا

اقول لصحبي اذ تلقّيت رسله \* وقد غصّت البيداء خفّا ومنسرا

وقد مارت البزل القناعيس اجبلا \* وقد ماجت الجرد العناجيج ابحرا

فطابت لي الانباء عنه كأنه \* لطائم ابل تحمل المسك اذفرا

لعمري لئن زان الخلافة ناطقا \* لقد زان ايام الحروب مدبّرا

تضجّ القنا منه لما جشّم القنا \* وتضرع منه الخيل والليل والسرى

هو الرمح فاطعن كيف شئت بصدره \* فلن يسأم الهيجا ولن يتكسرا

لقد انجبت منه الكتائب مدرها \* سريع الخطى للصالحات ميسّرا

وصرّف منه الملك ما شاء صارما \* وسهما وخطّيا ودرعا ومغفرا

ولم اجد الانسان الا ابن سعيه \* فمن كان اسعى كان بالمجد اجدرا

وبالهمة العلياء يرقى الى العلى \* فمن كان ارقى همّة كان اظهرا

ولم يتأخر من يريد تقدّما \* ولم يتقدّم من يريد تأخّرا

وقد كانت القوّاد من قبل جوهر \* لتصلح ان تسعى لتخدم جوهرا

على انهم كانوا كواكب عصرهم \* ولكن رأينا الشمس ابهى وانورا

فلا يعدمنّ الله عبدك نصره \* فما زال منصور اليدين مظفرا

اذا حاربت عنه الملائكة العدى \* ملأن سماء الله باسمك مشعرا

وما اخترته حتى صفى ونفى القذى \* بل الله في ام الكتاب تخيّرا

ووكّلته بالجيش والامر كله \* فوكّلت بالغيل الهزبر الغضنفرا

قال القاضي القضاعي رحمة الله عليه :

واصل جوهر رومي . جاء به خادم يعرف بصابر ، وانتقل من صابر الى خيران ، ومنه الى خفيف ، وحمله خفيف الى الامام المنصور بالله فعلى ذكره معه وسايره في غزواته ، وكان كاتبه وكاتب امير المؤمنين المعز لدين الله عليه السلام ، ثم انتهى به الحال الىان بلغ مع الامام المعز المنزلة السنية والمكانة الجليلة ، وآخى بينه وبين جوذر ، وقربن بينهما لفضلهما ودينهما وامانتهما ومودّتهما للائمة ونصيحتهما ، وجعل جوهرا قائد القوّاد وسيّره في عساكره وامّره على جنوده فاستفتح البلاد ، وجرى في خدمة الائمة بالصلاح والسداد.

وثار ابن واسول فتغلّب على سجلماسة وخلع طاعة الائمة وتسمّى بالشاكرلله امير المؤمنين ، وكذلك احمد بن بكر تغلّب بمدينة فاس ، وكان امير المؤمنين القائم بامر الله عليه السلام قد امكنه الله منه بعد ان كان تغلّب ، واتي به اليه اسيرا فامر باعتقاله فاعتقل بالمهدية مدة القائم ، ثم منّ عليه المنصور بالله واطلق سبيله ، فعاد الى تغلّبه وفسقه ، وخلع طاعة الائمة من عنقه، ودعى الى بني امية واظهر لعنه الله لعن الائمة على منبره ، فكان من رأي امير المؤمنين اخراج عسكر الى سجلماسة ثم الى فاس . والطريق فيه المشقات والبعد ، والانقطاع والمخافات ، على ما يعظم في صدور الناس امره ويتهيبون سلوكه لذلك واقتحامه.

فامر امير المؤمنين ص ع ان يندب الى ذلك من سار اليه من شبّان كتامة طائعا ، فلم تمض ايام حتى اتاه منهم من العدد فوق ما اراد، مسارعين الى ذلك فرحين به ، واسبغ عليهم العطاء واجزل لهم الحباء ، وقدّم عليهم ابا الحسن جوهرا غلامه وغلام ابيه المنصور ، وجعلهم تحت رأيته وفي جماعته.

قال القاضي النعمان بن محمد رضوان الله عليه :

فلما ارادوا الخروج حضر الشيوخ من كتامة وحضرت وحضرت معهم مجلس امير المؤمنين فذكر مسارعة من سارع منهم الى الخروج في ذلك الجيش وانه كان فيما تقدم يتهول ذكر سلوك ما ندبهم اليه دون تعاطي الخروج اليه وذكر تثاقلهم قبل ذلك عما هو دون ذلك

ثم قال ص وهذا الذي كنت ذكرته لكم في غير مجلس ومقام اني لو ندبت من عسيت ان اندبه منكم لوجدت فيه ما اريده

ثم اذن لمن سارع منهم الى الخروج فدخلوا عليه فوجا فوجا وغص القصر بهم فاثنى علهيم خيرا وقال لهم قولا جميلا طويلا كان فيما حفظت منه ان قال لهم

بارك الله فيكم واحسن صحابتكم والخلافة عليكم فقد صدقتم ظني فيكم واملي عندكم وانتم من معدن البركة وعنصر الخير بكم بدأ الله اظهار امرنا وبكم يتمه ويصلحه بحوله وقوته وقد علمت مسارعتكم الى ما ندبتم اليه واجابتكم لما اردتم له وارجو ان تبلغوا من ذلك بحسب الامل فيكم ويرفع الله عز وجل بذلك درجاتكم ويعلي به ذكركم انتم البنون والاخوة والاقربون ما يعد لكم عندي احد ولا يبلغ مبلغكم من قلبي بشر وما ذلك الا لما لي في قلوبكم

ما نصر الله وليا من اوليائه قبلنا بمثل نصرتكم لنا على ذلك مضى اولكم وعليه انتم على محبتنا ونصرتنا وموالاتنا تتناسلون وتنشأون وبها غذيتم وعليها فطرتم فابشروا بما قسم الله عز وجل من الفضل لكم فانتم حزب الله وانصاره وجنده واحباؤه والله ما اردت بهذا البعث الذي بعثتكم فيه شرا اشتدفعه ولا دفع مكروه اخافه ولا استكثارا من دنيا اصيبها

اما المكروه فقد علم الخاص والعام والقريب والبعيد ان غاية اماني من حولنا من اهل الارض من المتغلبين ممن دان بملة الاسلام والمشركين ان يسلموا منا ويعافوا امر بأسنا وما احد منهم امسى واصبح اليوم بحمد الله يطمع في شيء مما عندنا

واما اكتساب خطام الدنيا فها نحن ننفق من اموالنا على هذا البعث ما لا نرى انا نرتجع مثله وان مكننا الله وايدنا ونصرنا ولكنا اردنا بذلك وجوها منها ما افترضه الله علينا من جهاد من خالف امرنا وتسمى باسمائنا وادعى ما جعل الله عز وجل لنا ومنها ان الله عز وجل قد امتحن عباده بالجهاد في سبيله معنا فنحن نندبهم اليه لنعلم المجاهدين منهم والصابرين وليرفع الله عز وجل به درجاتهم ويجزل مثوباتهم وينقل حالاتهم فكم منكم اليوم ممن ينفذ في هذا الجيش تابعا يعود متبوعا ومرؤوسا يصير رئيسا انما نرفعكم عندنا وعند ربكم نياتكم واعمالكم وبها تتوسلون الينا والى بارئكم لولا السنة التي امر الله عز وجل باتباعها التي لا يصلح العباد الا بها ما قدمت عليكم احدا منكم ولا من غيركم اذ كل واحد منكم عندي يستحق ان يكون المقدم ولكن لا يصلح الناس الا برئيس وقد قدمت عليكم من قد علمتموه واقمته فيكم مقام نفسي وجعلته معكم كاذني وعيني ولك امرئ منكم على نفسه بصيرة وقد امرت لكم باجزل عطاء اعطيته من قبلكم الى ابعد من مسافتكم وقد علمتم انه لم يعط من قبلكم احد قبلي مثل ما اعطيتكم ولا استكثرت لكم ذلك بل استقله لاقلكم والذي لكم عند الله وعندي في الذي تستقبلونه اجل واكبر فسيروا على بركات الله ويمنه وسعادته ونصره وتأييده كونوا عند ما رجوتكم له من الغناء والكفاية وصلاح الحال بينكم احسنوا عشرة بعضكم لبعض وعشرة من تصحبونه من غيركم وانزلوا من ينفذ معكم من عبيدي منازل اخوانكم واجمعوا معهم كلمتكم فهم لكم عضد ولحمة وموالاتي تجمعكم واياهم فلا تجعلوا بينكم قرقا احسن الله لكم الصحابة وعليكم الخلافة

فقبلوا الارض مرارا بين يديه وشكروا ما كان منه ووعدوا من انفسهم الوفاء بما امرهم به وغلب عليهم من السرور بما سمعوا منه ما ظهر فيهم وتبين على وجوههم

ثم امر بادخال من نفذ في ذلك الجيش من الحضرة من قبائل البربر ممن كانوا قد دخلوا في الفتنة وانابوا بعد المقدرة عليهم اليه فقبلهم وعفا عنهم كبني كملان وغيرهم وقد سارعوا ايضا الى الخروج فلما صاروا بين يديه ص قبلوا الارض ووقفوا فقال بعض من حضر من شيوخ كتامة هؤلاء يا مولانا ممن قال الله عز وجل فيهم عسى الله ان يجعل بينكم وبين الذين عاديتم منهم مودة

قال نعم قد فعل الله ذلك بهم لما سبق لهم عنده من السعادة ففازوا بالولاية بعد العداوة وبالهدى بعد الضلالة والنصرة بعد القطيعة والمنابذة لنا والمحاربة فتوبتهم مقبولة وذنوبهم ان شاء الله مغفورة

فقبلوا الارض بين يديه واعترفوا بنعمته وشكروا فضله وعفوه

فقال كم سارع منكم الى الخروج في هذا العسكر المنصور

قالوا كلنا يا مولانا مسارع اليه فمن قبلته فهو السعيد

قال بارك الله فيكم ووفقكم وانا انظر ان شاء الله فيما يصلحكم

وادخل العبيد فاوصاهم بمثل ما اوصى به الاولياء وامرهم بان يكونوا لهم اخوة ومعهم الفة وودعوا وخرجوا

ولما سار القائد ابو الحسن جوهر الكاتب بمن معه من عساكر امير المؤمنين وجنوده في سنة سبع واربعين وثلاثمائة تقدّم الى اهل سجلماسة من قبل ان يحل بهم بمدة ، بكتب منه بالتحذير لهم ، واوعز اليهم في القبض على ابن واسول ، وانهم ان فعلوا ذلك امّنهم واحسن اليهم وعفى عن ذنوبهم التي اقترفوها بطاعته على ما ارتكبه من عظيم جرمه والقائهم بايديهم اليه.

ولما قرب العسكر منهم خرج ابن واسول من مدينة سجلماسة هاربا بنفسه فلقيه نفر من اهل المدينة فاخذوه واتوا به القائد ، فعاتب القائد اهل سجلماسة في تركه ، ثم رأى الصفح عنهم وولّى عليهم واليا منهم ، وانصرف بجميع عساكر امير المؤمنين الى مدينة فاس ، فقتل جوهر في طريقه يعلي بن محمد الزناتي في افكان ، وكان صاحب فاس تسمّى بالامام وجعل على قصره مظلة ينصبها علامة لجلوسه ، وترفع اذا قام.

فلما صار القائد بذلك الصقع الذي فيه احمد بن بكر المتغلّب بمدينة فاس الخالع لطاعة الائمة عليهم السلام من عنقه ، الداعي الى بني امية ، اجاب واناب كل من في ذلك الصقع ، وفاؤوا الى الطاعة ، سوى احمد بن بكر فانه اصرّ وتمادى على غيّه .

واحاطت العساكر بمدينة فاس وطال عليها الحصار واشتدّ الامر، وكاد الناس ان يغلبهم اليأس لطول اقامة الجيوش عليها ، وهرب من هرب من العسكر عنها ، قال القاضي النعمان رض :

قال المعز ص ع يوما وقد ذكر احمد بن بكر وهو في هذه الحال يعني من الحصار : لقد رأيت البارحة عدو الله وكأني اتيت به فامرت بقتله فجعل يسترحمني فقلت والله لو وجدتك تحت استار الكعبة لما افلتك ولقتلتك فجعل يراجعني كالمحتج علي في قولي هذا ويقول وما يوجب قتلي تحت استار الكعبة، فقلت اقل ما يوجب مراجعتك اياي هذه فاسمع قائلا يقول من خلفي ولم اره احسنت والله اصبت اصاب الله بك المراشد والله مراجعته اياك توجب قتله لعنه الله فالتفت فاذا الذيي يقول ذلك المنصور بالله

فلم يكن بين هذا اليوم الذي حدثنا بهذا الحديث فيه وبين اليوم الذي فتح الله فيه فاس عليه واقدره على اللعين ابن بكر واخذه اسيرا الا اقل من عشرة ايام

قال رض : وسمعت امير المؤمنين المعز لدين الله ص ع وقد اتاه فتح مدينة فاس بعد ان كان اكثر الناس يئسوا من ذلك لطول اقامة الجيوش عليها وهرب من هرب منهم عنها لقوة اهلها وكثرة الاطعمة فيها ووعر خنادقها وحصنها ، قال حسن بن جعفر الانصار في تاريخه : وكانت في فاس حروب وملاحم وحصار احد عشر شهرا من ظاهر السور ، ومات في الحصار احمد بن ابي بكر ، وبقي ولده محمد بن احمد بن بكر وحمد بن واسول فاسر جيمعا ، فقال صلوات الله عليه : هذا من قول الله ع ج : حتى اذا استيأس الرسل وظنوا انهم قد كذبوا جاءهم نصرنا ، والله ما استيأس رسل الله من فضله ع ج ونصره اياهم ولكنهم استيأسوا ممن خذلهم ولم يقم بواجب حق الله تعالى الذي افترضه في جهاد عدوّهم فقطعوا من الخلق رجاءهم ، ووصلوه بالله ربهم ، فآتاهم نصره الذي به وعدهم.

وقد كان المعز لدين الله ص ع كلما ورد عليه من امر فاس هذه امر يئس معه من سمعه من فتحها ، يقول ونحن نسمعه من غير موطن اذا اتى مثل هذا : ما اتوكّل في امرها وكل اموري الا على الله ع ج ، ولا ارجو غيره واني لواثق بفضله ونصره .

ثم قال ص ع لما اتاه الفتح : والله اني لربما اريد ان اسأل الله تعالى في الزيادة من فضله فيما يكون من مثل هذا فاستحي ان اسأله ذلك لكثرة ما اولاني منه له الحمد لا شريك له واني لربما سألت الله تعالى طول البقاء لعدوي ليخزيه الله بذنوبه ويرى ويسمع من صنع الله عندي ما ينكيه ويؤلمه

ثم قال عليه السلام ا تدرون ما اردته بالكتاب الذي كتبته منذ قريب لاهل فاس هؤلاء الاشقياء وقد كان كتب لهم كتابا بالامان ان انابوا وعرفنا فلما انتهى اليهم ردوه فلم يقبلوه

قلنا الله ووليه اعلم

قال والله ان اردت بذلك الا هلاكهم باقامة حجة الله تعالى عليهم والا قد علمت انهم متى جاءهم وهم يرون انهم في قوة وان عساكرنا قد سئمت من المقام عليهم وانحل بعضها عنهم وجاءهم مثل هذا من عندي انهم يدفعونه فاردت ان اجعله ككتاب رسول الله صلع الى صاحب فارس اذا اتاه فمزقه فمزق الله ملكه وككتاب المنصور بالله صلوات الله عليه الى مخلد اللعين واصحابه وقد حاصرهم بقلعة كيانة اذ كتب اليهم الامان فردوا كتابه فامكنه الله تعالى منهم في اقرب وقت وكذلك اردت بكتابي الذي رأيتموه وكان كما اردت ذلك بحمد الله ونعمته

ثم حمد الله تعالى بما هو اهله وشكر فضله بما قدر عليه وامكنه

قال : ولما قرب وصول الجيش من المغرب الى الحضرة امر الامام المعز لدين الله عليه السلام لابن واسول وابن بكر بعمل عجلتين ليكون كل واحد منهما على واحدة تجر به في حين النداء عليه وذلك مما لم يعلم انه سبق به ولا رآه احد وجعل يصفهما للنجارين فقال يجعل سطح من الواح على خشبة مصلبة وترفع على اربع فلك ويبنى عليه برج من الواح واسع الاسفل ضيق الاعلى يكون طوله عشرة اذرع ويكون في اسفله قفص من خشب وثيق له من خلفه باب يدخل فيه اسير ويغلق عليه وله سقف فوقه تابوت من البرج له باب يفتح ويغلق وفيه شباكة يسيرة مقدار ما يدخله من الضوء وفي وسط القفص خشبة عظيمة كصاري المركب في اسفلها مرود على سطح السرير يخرج من وسط سقف القفص وسقف التابوت الذي فوقه ويظهر على سقفه منها مثل قامة وعلى رأسها سرير مقدار ما يجلس في الجالس حوله حاجز من شباك مخروط يمنع من السقوط عليه وليكن في التابوت رجلان لا يريان وفي الخشبة معهما وتدان فيها يديرانها فيدور السرير الاعلى بمن يكون عليه ليرى كل من حوله وجهه ولا يعلمون بم يديره

فتعجبنا لذلك لما عمل ورأيناه كيف اخترع ذلك واهتدى اليه صلوات الله عليه

فقال عليه السلام رأيته فيما يرى النائم قبل اخذ هذين الفاسقين بمدة فجعلت انظر اليه كما هو الآن بين يدي واقلبه اقول ما هذا فيقال هذا يكون ينادى على اعدائك عليه ففهمت صورته وعملته على ذلك

قال : ولما قفل الجيش المنصور من ارض المغرب بعد ان اظفر الله تعالى وليه بابن واسول المدّعي الامامة وابن بكر الناكث المتغلب بفأس وفتحها الله على وليه وما والاها من ارض المغرب في سنة ثمان واربعين وثلاثمائة، وكانت غيبة القائد جوهر الى ان رجع اثنين وثلاثين شهرا اخذ القائد جوهر ابناء جميع وجوه اهل المغرب ورؤسائه رهائن عنده ، وقدم بهم وبكل وجه كان بذلك الصقع ممن يطاع له ويخاف جانبه ، وجاء فيهم بجماعة من الحسنيين الذين تناسلوا من ولد ادريس بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي ابن ابي طالب، وقد قدمنا خبره ، وكانوا قد تأمروا في القبائل وادعوا الملك ، فلما وصلوا الى الحضرة امر امير المؤمنين ص ع بانزالهم وكساهم ووصلهم وحملهم ، واجرى عليهم النزل الواسع فاقاموا على ذلك مدة ثم منّ عليهم بتسريحهم واطلاقهم الى بلدانهم ، وامر لهم بصلات وخلع وحملان ، وبعث معهم الى آبائهم واكابر اهلهم بكسى وصلات وسرج مغرقة .

وامر بادخالهم في حين خروجهم ليودعوه ، فصفوا بين يديه وادنى الحسنيين منهم ، وامرهم بالجلوس، ثم قال للجميع : قد علمتم ماكان من احساننا اليكم وفضلكم عليكم ، وعفونا وصفحنا عما سلف من اموركم ، وقد سرّحناكم لما اتصل بنا من شهوتكم ومن خلّفتموه وراءكم في سراحكم ، وشوق بعضلكم لبعض، فآثرنا اسعافكم بذلك والمن ّ به عليكم ، فاعرفوا ذلك وتلقّوه بالشكر وحميد السعي وحسن الطاعة تعرفوا منا المزيد عندكم، ويتصل فضلنا لديكم ومعروفنا عندكم ، وليعلم من ادلى الينا بالنسب منكم ان ذلك انما يتوسل به من اعتصم بالطاعة وتمسك بها ، فاما من عصى اولياء الله وخالفهم فقد انقطع نسبه منهم ، كما قطع الله تعالى نسب ابن نوح منه لما عصاه ، ولولا ان الله افترض الطاعة لنا على كافة خلقه وقرنها بطاعته وطاعة رسوله وجعلها دينا تعبّد العباد به ، واقامنا لاقامة دينه ، لما عبأنا بمن اطاع منكم ولا من عصى ، ولكنّا انما نريد بذلك اقامة ما امرنا الله تعالى به من اقامة دينه ، ولو ان هذا الفاسق ابن بكر اطاعنا ما بخلنا عليه بفاس وما هو اعظم منها، وما لذلك عندنا ولا للدنيا باسرها من خطر نبتغيه ممن تغلّب، ولا نقيم انفسنا لمحاربته لولا ما افترض الله تعالى علينا من ذلك واستخدمنا له ، ولو سلّم ذلك الينا الفاسق ومن تمسّك به واطاعه على معصيتنا لما عرّضوا انفسهم للتلف وحرمهم للانتهاك. وان كان ما جبلنا الله عليه من الصفح والرحمة منعنا من انتهاكها، وقد عرضوها للانتهاك ، ومن سفك دمائهم وهلاكهم عن آخرهم ، وقد استهدفوا بها للسفك وبانفسهم للهلاك، ولكنّا عفونا عند المقدرة ، وصفحنا بما جبلنا الله تعالى عليه من الصفح والرحمة ، وابقينا على من بقي منهم ومن اقدرنا الله تعالى عليه من جميعهم ، وصُنّا حرمهم ، وعففنا عن دمائهم ، وما لهذا الفاسق الذي اقدرنا الله تعالى عليه بعد الذي كان منه من الحرب والمناصبة بعد عفونا قديما عنه واحساننا اليه من المقدار ما يوجب عقلته وابقائه الا لما اردنا ان يديم الله تعالى به حسرته من كونه في الاسر ، ونظره الى فضل الله علينا وعلى من ننيله اياه ممن رأينا المن عليه والاحسان اليه منكم ومن امثالكم ممن آثر طاعتنا والتسليم لامرنا واناب الينا ولم يصرّ على معصيتنا، فيعلم ان الله تعالى لو اراد به خيرا لوفّقه الى ذلك وقدّره له ، فنال من فضلنا واحساننا ما قد نال غيره ، ففي ذلك ما ينكي الله تعالى به صدره ، ويديم له حسرته واسفه ، فينال من الم عذابه جل ثناؤه في دنياه صدرا مما اعدّه له قبل مصيره الى عذابه الدائم والخلود في حزبه اللازم.

انا والله ما نبتغي من طاعتكم لنا والتسليم لامرنا وانابتكم وانابة غيركم الينا عزا الى عزنا نستفيده ولا عرضا من اعراض الدنيا نستزيده ولقد خولنا الله تعالى من ذلك وملكنا واعطانا بفضله علينا واحسانه الينا ما لا نتعاطى ان نقوم بشكره ولا تمتد اعيننا الى غيره استقلالا لما خولنا الله تعالى واعطانا من جزيل كرائمه وافضل علائقه واعزنا به من عز سلطان حقه وامجدنا من مجد شرف دينه وما وصل من اسبابنا باسباب جدنا محمد نبيه صلع وان جعلنا ائمة خلقه الذي لا يقبل منهم الا من اقبل عليهم ولا يرتضي الا من ارتضاهم فما بعد ما عندنا من فضله ونعمته فضل نعمة ينبغي ان ننالها من احد من عباده ولا فوق ما اعطانا من الشرف والمنزلة ما يؤمل ان نرتقي اليه بشيء نستزيده من قبل احد من خلقه بل قد احوج الله تعالى جميع العباد الينا دنيا ودينا وله الحمد على ما خولنا واعطانا ومن به علينا ولكنا ندئب انفسنا وابداننا ونستعمل اولياءنا وننفق اموالنا فيما استعملنا الله فيه واستخدمنا له وامرنا باقامته من معالم دينه والذب عنه واقامة شرائعه واحياء ما اماته المبطلون من سنته واحكامه فنحن ندعو من اناب الى ذلك ونحضهم عليه ونجاهد من عند ذلك وصدف عنا فيه

فاعلموا ذلك منا وعرفوه من تصيرون اليه وانكم لن تعدموا فضلا من الله ومنا واعتصمتم بحبلنا وتوليتمونا ولن تفوتوا الله وتفوتونا ان صدفتم عن امرنا واصغيتم الى عدونا ويد الله العليا عليكم وعليهم وايدينا وعلى كل من عصانا وصدف عن امرنا وعدا وعدنا اياه تعالى في كتابه وواجبا اوجبه تبارك وتعالى في ايجابه الى من عسى ان يميلوا عنا من يستبدلون بنا ودعوة من يؤثرون على دعوتنا وهي دعوة جدنا محمد صلع

وطواغيت بني امية الذين مال نحوهم ودعى اليهم واصغى الى باطلهم هذا النذل ابن بكر واستبدلهم بنا هم عدو جدنا محمد صلع وحربه ولعناؤه وطرداؤه وحزب الشيطان وجنوده ونحن حزب الله وحزبه كما وعد الغالبون وحزب رسول الله وذريته المطهرون والله ما تثبت انفسهم الخسيسة ولا تتعاطى مقاومة فضلنا ولا ينكرون وان ابدوا ما ابدوه من محاربتنا وعداوتنا حقنا وان قلوبهم لتخافنا وجلودهم لتقشعر منا ولو قرب جلد ميت منهم الى جلد ميت منا لاقشعر منه كما قد قيل ان ذلك يعتري جلود بعض الحيوان اذا قرب من جلود بعض السباع وللذي جعله الله لنا من الهيبة في صدور عدونا والخوف لهو اشد مما جعله الله تعالى في قلوب الحيوان للسباع لا محالة

فمن ذا يعدلنا بالارجاس من بني امية ومن هو في مثل حالهم الا من اعمى الله قلبه وغلبت عليه شقوته وحينه فاعرفوا فضل ما وفقكم الله اليه وحباكم به وقوموا بفرضه واشكروه على ما وهبكم منه ومن عليكم من رضانا به تستديموا نعمته بذلك وتستزيدوا فضله اما اني لم اقل ما قلته في نفسي تكبرا ولا وصفت ما وصفته من فضل الله تعالى عندي فخرا بل قلت اعترافا بفضله علي وشكرا لنعمته وانا اقل عباده عند نفسي تواضعا لعظمته واذلهم لديها تذللا وخضوعا لقدرته واستعبر صلوات الله عليه وظهرت خشية الله على وجهه

فقبلوا الارض بين يديه واعترفوا بفضله وشكروا له بما قدروا عليه وذكروا ما يعتقدونه وما يعلمونه ممن خلفوه وراءهم من اوليائهم واعتقادهم طاعته وولايته وودعوا وانصرفوا

وكان ادخل قبلهم وجوه اولياءه من كتامة وغيرهم وخاصة عبيده فحضروا المجلس فلما انصرف القوم نهض من كان جالسا منهم للقيام فامرهم بالجلوس فجلسوا ووقف كذلك من كان منهم واقفا فاقبل عليهم وسألهم عن احوالهم وذكر من مضى من اسلافهم وترحم عليهم وحضهم على ما كان عليه اسلافهم من الرغبة في الحكمة وطلبها وسماعها والمواظبة عليها

فذكرت له مواظبتهم على ذلك واجتماعهم في كل يوم جمعة واحتفالهم وغيرهم من اوليائهم الى الجامع لشهود الجمعة والتهجير اليها ثم مقامهم بعد انقضاء الجمعة لسماع الفقه والمناظرة فيه قبل انقضاء صلاة العصر ثم احتفالهم باجمعهم ومن عسى ان فاتته صلاة الجمعة منهم الى القصر المعمور بطول بقائه لسماع الحكمة وما يظهر من اقبالهم عليها ورغبتهم فيها

فقال هذا الذي نريده منهم ومن غيرهم مما فيه حظهم وصلاح احوالهم وتمام نعمة الله عليهم وانهم ومن مضى من اسلافهم كانوا مع من مضى من آبائنا قدس الله ارواحهم قليلا ما ينعم عليهم مثل ما ننعم نحن على هؤلاء بحسب ما اوجبه الزمان وجرت به الحكمة في اعصارهم صلوات الله عليهم وعصرنا هذا المبارك من بعدهم انهم كانوا يأخذون ما قد سمحوا به من العلم والحكمة لهم فلما اخذوا ذلك عنه تركوهم ولم ينقموا عليهم تركهم لسؤالهم المزيد من فضل الله تعالى لهم ونحن نبذل لاهل عصرنا ما يجب بدء الامور بذله لهم ونزيدهم ما رأينا الرغبة والاقبال منهم وننعم عليهم اذا سكتوا عن طلب الزيادة منا لهم ونحب ان نجعل جميعهم اعلاما يهتدى بهم وسرجا يستضاء بنورهم وعلماء تقتبس الخلائق منهم

فقبلوا الارض بين يديه وشكروا فضله وجزيل ما اولاهم منه نعمه

فقال عليه السلام احب لكم ولغيركم خاصة ولجميع من تمسك بولايتنا عامة ان يكون ما تكنه صدوركم لنا موافقا لما تنطق به السنتكم عندنا فان الله تعالى انما يجزي العباد بنياتهم والا فمثل من سمع الخائب اللعين قيصر وقد سأله بعض رجالنا رفع حاجة الينا فاعرض عنه وقال انما تقضى حوائج الرجال اذا احتيج اليهم واليوم فليس لمولانا عدو يجتاج معه الى الرجال فيطوي هذا عنا ويرضاه من قوله ويصحبه ويتولاه بعده يكون قد حفظ لما اخذ لنا عليه وصحت لنا نيته

فقالوا لعن الله من فعل ذلك

قال عليه السلام نعم ورحم الله من بلغه الينا نصيحة لنا كما اخذناه عليه وانكره بقلبله لما سمعه منه فمثل هذا فارعوه من انفسكم ولا تتخذوا ولائج من دوننا فوالله ما احوجناكم الى ذلك والا فاخبروني اي كبير منكم او صغير كتب الي رقعة في ليل او نهار يقول انه يريد الدخول الي فحجبته او الاجتماع معي لحاجة يريدها او لامر ينهيه الي فمنعته او دفعته اذا والله لا يقول قائل منكم ولا يتعلق به علي فاي حجة لكم في وضع انفسكم لمن هو دوني وانا اريد رفعتكم وتشريفكم

فقبلوا الارض بين يديه وشكروا له واعترفوا بفضله واحسانه

وقال محمد بن هانئ المغربي الاندلسي يمدح القائد جوهرا يذكر ابن واسول واسره ويشير الى ابن بكر من قصيدة يقول فيها :

كثير وجوه الحزم اردى به العدى \* وانحى به ليث العرينة فانتحى

ولما اجتباه والملائك جنده \* لمهلكهم دارت على قطبها الرحى

فقلّدها جم السياسة مدرها \* اذا شاء رام القصد او قال افصحا

نحاهم به امضى من السيف وقعه \* واجزل من اركان رضوى وارجحا

وقد نصحت قوّاده غير انني \* رأيت ربيب الملك للملك انصحا

رآه امير المؤمنين كعهده \* لديه ولم تنزح به الدار منزحا

ولما تغشت جانب الارض فتنة \* تشب لظى الهيجاء الفح الفحا

رمى بك قارون المغارب عاتيا \* وفرعونها مستحييا ومذبحا

ورام جماحا والكتائب حوله \* فوافاك في ظل السرادق اجمحا

ويقول فيها :

وادركت سولا في ابن واسول عنوة \* وزحزحت منه يذبلا فتزحزحا

والا ابنه في العصاة فانني \* ارى شاربا منهم يميل مرنّحا

يموت ويحي بين راج وآيس \* فكان له الهلك المواشك اروحا

تضمّنه حجل كلبّة ارقم \* اذا خرس الحادي ترنّم مفصحا

اريك بمرآة الامامة كاسمها \* على كور عنس والامام المرشحا

وقد سلبته الزاعبية ما ادّعى \* فاصبح تنّينا وامسى ذرحرحا

فما خطبه شاهت وجوه دعاته \* وجدّع من مأفون رأي وقبّحا

وكان الجذامي الطويل نجاده \* بهيما مدى اعصاره فتوضّحا

اقول له في موثق الاسر عاتبا \* تجاذبه الاغلال والقيد مقمحا

لئن حملت اشياع بغيك فادحا \* يغول لقد حمّلت ما كان افدحا

وكان لابن واسول ولد شجاع هو الذي اذكى نار الفتنة وحمل اباه على المنابذة للائمة ، فقتله بعض عساكر القائد في توجّهه الى سجلماسة ، ففيه يقول محمد بن هانئ من هذه القصيدة :

ولا كابنه اذكى شهابا بمعرك \* واجمح في ثني العنان واطمحا

مرت لك في الهيجاء ماء شبابه \* يد فجّرت منه جداول سيّحا

واثكلته منه القضيب تهصّرت \* اعاليه والروض المفوّف صوّحا

لعمري لئن الحقته اهل ودّه \* لقد كان اوحاهم الى مأزق الرحى

وكم هاجع ليل البيات اهتبلته \* فصبّحته كأس المنية مصبحا

وهدّمت ما شاد العناد وقد رست \* اواخيه في تلك الهزاهز رجّحا

قال القاضي النعمان بن محمد :

وادخل المعز لدين الله ص ع ابن واسول الى نفسه بعد عدة ايام من وصوله وهو في وثاقه فلما مثل بين يديه امره بالجلوس فجلس فامسك عنه حتى رأى انه سكن روعه ثم اقبل عليه من غير تجهم فقال ما الذي حملك على ما ادعيت وتسميت به

قال الحين والجهل يا امير المؤمنين

قال او تحتج في ذلك بحجة

قال معاذ الله ما عندي في ذلك من حجة الا الاعتراف بالجهل والخطإ على نفسي ونظر الي كالمستشهد بي وذلك انه قال لبعض من فاوضه بلغني ان القاضي له تأليف وكنت احب ان ارى منه شيئا فلما عرفني ذلك الذي قال له بسطت له كتابا في الحجة عليه فيما ادعاه من الامارة بغير عقد امام وما تعدى اليه بعد ذلك من ادعائه الامامة وتسميه بامير المؤمنين وتلقبه بالشاكر لله والرد فيما بلغنا انه احتج لنفسه بذلك فتعاظم ذلك لما انتهى اليه واعترف بالخطإ والجهل على نفسه وعلم بذلك امير المؤمنين ص فقلت له يا امير المؤمنين بمثل هذا من قوله اعتصم وعليه عول فقال له ص فتحلف بالله وتشهده على قولك انه اعتقادك ونيتك فحلف على ذلك واشهد الله عز وجل على نفسه ان اعتقاده ونيته كالذي اظهر وقال به

ثم جعل امير المؤمنين ص يبسطه ويسأله عن اخباره واخبار البلد الذي كان به ثم اذا مضى في ذلك عاوده في ذكر حجة ان كانت عنده في دعواه فيرجع الى الاعتراف بالخطإ والجهل على نفسه

فكان فيما سأله عنه ص ان قال له ما يقول الناس عندك فينا وينسبوننا اليه في الذي ننتحله ونقول به فسكت فقال له قل ما عندك من ذلك وما قيل لك فيه فانا لا نأنف من سماعه ولا ننكر عليك ان تقوله وان كان من افحش ما قاله المبطلون الظالمون انما يأنف من سماع المكروه فيه عمن نسبه اليه من كان من اهله وكان يعلم ان الذي قيل هو عليه فيغتم لذلك اذا ابداه الله عز وجل عليه واشهره به وعلمه الناس منه فيستحي لذلك فاما من علم ما بينه وبين الله وانه نسب اليه من المكروه ما ليس فيه وما لم يفعله ممن له تميز وعقل فان سماع ذلك مما يحبه لما يرجوه من ثواب الله عز وجل عليه وانتقامه ممن قاله فيه ونسبه اليه ونحن نحب سماع مثل ذلك ونشتهيه فقل ما بلغك عنا ولا ترجع عن شيء منه

فقال ان رأى امير المؤمنين ص ان يعفيني من ذلك فليفعل فان لساني لا ينطاع للقول بذلك

فقال له اليس فيما بلغنا انه انتهى اليك عنا انا ندفع نبوة محمد ص وندعي النبوة بعده وندفع سنته وشريعته وندعو الى غيرهما فسكت فقال له امير المؤمنين ويحك قل اليس قد بلغنا ان ذلك مما قيل لك عنا ونسب الينا

قال نعم

فقال عليه السلام فلعن الله من قال بهذا وانتحله وادعاه ومن تقوله علينا ورمانا به ونسبه الينا فكيف نفول ذلك او ندعيه وشرفنا الذي جلبنا الله جلبابه وفخرنا الذي البسنا اثوابه بجدنا محمد صلع فبه علونا على الامم وبه فخرنا على العرب والعجم فكيف ندفع نبوته او ننكر فضله او ندعي ان ذلك لنا دونه والله لو بعث الله نبيا بعده وكلا لا يكون ذلك لكنا لتسكنا به ابعد الناس وارغبهم عنه ان بني عبد شمس عادونا فيه وابغضونا من اجله لما قال قائلهم اطعمنا واطعمتم وفعلنا من الجميل مثل ما فعلتم حتى اذا كنا كفرسي رهان قلتم منا نبي والله لا سلمنا ذلك ولا اقررنا به اليكم

فاذا كنا نحن ندعو الى البراءة من شريعة جدنا محمد صلع فمن ذا يدعو الى الاعتصام والتمسك بها بل والله فان قلنا ان الله عز وجل اورثنا شرفه ومجده وفخره واقامنا ائمة للامة بعده واوجب لنا على الناس من الطاعة بعده مثل الذي كان يجب له لقد صدقنا لقول الله عز وجل اطيعوا الله واطيعوا الرسول واولي الامر منكم فنحن والله اولو الامر الذين تعبد الخلائق بطاعتنا واهل الذكر الذين امرهم بسؤالنا على رغم من جحد ذلك واباه لنا فهذا هو فضل الله عز وجل علينا نعمته لدينا التي لا ننهض باعباء شكرها الا بعونه لنا وهي الخطة التي لا ينافسنا فيها الا دعي مكابر ولا يدفعها عنا الا ضال كافر وما بعدها من خطة فندعيها ولا فوقها من رتبة فنسمو اليها وحسبنا ان بلغنا شكر نعمة الله عليها فكيف ندعها وندعي ما يصلي الله من ادعاه النار ونقول بقول من ابطل نبوة جدنا محمد صلع من الكفار والله سائل من قولنا من ذلك ما لم نقله ومؤاخذه بقوله

ثم قال له عليه السلام هات غير هذا مما قيل لك فينا

قال ما اعرفه يا امير المؤمنين وفيما قلته محض الايمان واليقين

قال بلى لقد بلغنا انه قيل لك انا نعبد رأسا عندنا يكلمنا ونسجد له من دون الله وينثر لنا من فيه الدنانير

قال سمعنا من يقول ذلك

قال له امير المؤمنين فاي رأس قالوا هذا الرأس رأس انسان ام رأس بهيمة ام حية اما ما هو

قال لا ادري ما يقولون لعنهم الله

فقال عليه السلام بلى والله انا لنعبد رأس كل شيء والهه وخالقه الله رب العالمين وهو الذي اعطانا وفضلنا واصطفانا وكرمنا

قال كذلك هو والله يا امير المؤمنين

قال اميرالمؤمنين فالعجب من هذه العقول الناقصة والاوهام الفاسدة التي تقبل مثل هذا المحال من المقال وينطبع فيها ويثبت عند اهلها حتى ينسبوه الى احد او يقبلوه من قول قائل او ان يصدقوا به لو قد رأوه باعينهم او سمعوا من يدعيه بآذانهم

وقال القاضي النعمان بن محمد رض : وامر امير المؤمنين بابن واسول المدّعي الامامة والمتسمى بامير المؤمنين لما اتي به فانزل في سقيفة في القصر في وثاق ودخل شهر رمضان فسأل ابن واسول ان يصلي الجمعة خلف امير المؤمنين المعز لدين الله صلوات الله عليه واخبر بذلك فقال للذي ادى اليه ذلك عنه قل ان الصلاة وجميع الاعمال لا تقبل الا بنية واعتقاد ولو كنت تعتقد امامتنا لم تحل هذا المحل ولم نكن لنبخل عليك بسجلماسة ولا لها عندنا من الوزن ولا للدنيا بما فيهاوما كنا نتكلف في ذلك ما كنا تكلفناه من بعثة اوليائنا في العساكر نحوك واتعاب انفسنا في تدبير ذلك واقامته لك فلو كنت رغبت عن نية منك في ان تأتم بنا لنلت فضل ذلك وثوابه وانت وادع في مكانك آمن في سلطانك باقامتنا ذلك لك واذ قد انكرت امامتنا وادعيت الامامة دوننا الى من اظفرنا الله بك واقدرنا عليك فماذا يغنيك ان تأتم بنا في صلاتنا وانت اسير في ايدينا على ادعائك مقامنا

وان كان الذي اردته من صلاتك بصلاتنا ما تبتغي به الفضل وكان ذلك عقد نيتك وانت معترف بامامتنا منكر لما كنت عليه نادم راجع عنه فوالله لينفعك ذلك صليت بصلاتنا ام لم تصل

وان كنت انما اردت ان ترينا من نفسك الميل الينا وتتوسل بذلك الى ما يرضينا فوالله لا يرضينا منك الا ما ارضى الله عز وجل عنك وان قلوبنا لبيده وما يصرفها الا لمن رضي عنه وارتضى عمله واحب سعادته فان اردت منا ذلك فاخلص لله عز وجل بينك وبينه واعتقد ذلك تجد ذلك عنده جل ذكره في الآجل وعندنا بما يجعله لك في قلوبنا في العاجل ودع عنك التزين بالباطل

قال الرسول فلما بلغته ذلك تحير ولم يدر ما يقول غير انه قال والله ما هذا الا من كلام النبوة وهو ابن رسول الله صلع حقا وهذا من ميراث حكمته

قال : واخبره عنه بعض من كان يجتمع معه ممن اذن له في ذلك ، وفي ان يبسطه ويسأله حوائجه انه سأل هل عنده من كلام ارسطاطاليس شيء ؟ والذي سأله ذلك ممن يعنى بمثل هذه الكتب ، قال فقلت له : ما تريد من كلام ارسطاطاليس واصحابك ينكرونه ؟

قال : ينكر ذلك من لا يحسن

فادى هذا القائل قوله الى المعز لدين الله ص ع فقال له المعز ص ع : قل له لعلك اردت من كتب ارسطاطاليس رسالته الى الاسكندر في الابقاء على من ظفر به من الملوك، لتأخذ منها ما لعلك تتوسل به الينا في الابقاء عليك ؟

قال الرجل : فبلّغته ذلك من قول امير المؤمنين فبهت اليّ وقال لي بعد حين : ما اظن من نحلهم النبوة نحلهم اياه الا من مثل هذا . والله ما عدا ما في نفسي ، وما اردت الا هذه الرسالة لمثل ما ذكر اني اردتها له ، ثم ذكر الحديث الذي يؤثر عن رسول الله صلع : بعثت وفي هاتين القريتين يعني مكة والطائف اربعون رجلا ظن احدهم كيقين غيره ، قال : فاذا كان مثل هذا يوجد في سائر الناس فكيف في ذرية النبيين؟

قال القاضي النعمان بن محمد : وحضر عيد الفطر وتقدمه نوء عظيم وكثر الوحل والطين وذكر ذلك للامام المعز لدين الله صلوات الله عليه وما بالمصلى منه وما في الطريق اليه من الماء والوحل والطين وظنوا انه يصلي صلاة العيد في المسجد فقال صلوات الله عليه يكون من ذلك ما كان لا بد من قضاء فرض الله تعالى في البراح على ما امر به جل ذكره وسنه رسوله صلوات الله عليه وذكر حديث النبي صلى الله عليه وآله انه ذكر ليلة القدر من شهر رمضان فقال رأيت اني اسجد فيها في ماء وطين وان الناس امطروا بعد ذلك فوكف المسجد وصلى رسول الله صلى الله عليه وآله فانصرف من الصلاة وقد اثر الطين والماء في جبهته وانفه لسجوده فيه

وقال المعز صلوات الله عليه وهذا من اقل ما ينبغي ان يفعل في ذات الله واكثر منه والله لو حبونا في هذا الطين حبوا على الركب وكان ذلك مما يرضي الله عنا ويقبله منا لفعلناه ان رسول الله صلى الله عليه وآله يقول اذا سمعتم داعي آل بيتي فسارعوا اليه ولو حبوا على الثلج والنار فاذا كان الله تعالى قد اوجب لنا هذا على عباده ونحن خلق من خلقه ابتدأنا بفضله وانعم علينا باحسانه فكيف بما يجب له علينا وعلى الخلق جل ذكره ان نرخص فيه او نتعاظم مشقة تدخل علينا من اجله معاذ الله ان نستكبر عن عبادته او نستحسر في طاعته

وخرج عليه السلام وخرج الناس في غد يخوضون الماء والطين فما انصرفوا الا وقد تخضبوا فيه وامتلأت ثيابهم منه وكان مشهدا يرضي الله من وليه وممن ذهب فيه مذهبه ان شاء الله

قال رض : وكان هذا العيد وابن واسول وابن بكر معتقلان في سقيفة القصر وكان وصولهما في آخر شعبان وظن الناس ان سيقتلا اذا وصلا فلما ابقيا قيل انهما يوم الفطر يقتلان فلما انصرف ودخل الى داخل قصره احضرهما اليه فمثلا بين يديه وهو قائم على فرسه والرمح بيده فقبلا الارض ووقفا فقال لهما ايهما كان احسن لكما ان تكونا اليوم في مثل حالكما هذه بمعصيتكما وعداوتكما او تكونا اليوم في جملة اوليائنا ومن ائتم بنا فتقضيان فرض ربكما معنا او حيث كنتما على طاعتنا التي افترضها الله تعالى عليكما وعلى سائر خلقه وانتما وادعان سالمان آمنان

فلم يفهم عنه ابن واسول ما قاله واظن الخوف والذعر غلب عليه فقال بل الذي نحن فيه يا مولانا افضل فتبسم امير المؤمنين لما علم بانه لم يفهم عنه واظن البائس انما ظن انه خاطبه بمثل ما خاطبه به قبل ذلك فانه ص قال له قبل ذلك في يوم احضره اليه والله انك في حالك هذه التي انت فيها وان كنت في الاسر والوثاق لافضل مما كنت فيه من معصية الله بتخطيك الى ما تخطيت اليه وتسميك بم تسميت به وان كرهت ما انت اليوم فيه فقال هو كما قال امير المؤمنين ص فاحسبه ظن ان الخطاب الذي خاطبه به امير المؤمنين في هذا المقام كذلك كان

فاعرض عنه ص لما رآه لم يفهم قوله وعطف على ابن بكر فقال انت يا ابن بكر امكننا الله منك وانت في غيك فمننا عليك واطلقناك من اسرك وصرفناك الى بلدك فما رعيت الاحسان بل غمطت النعم وتغلبت على البلاد دوننا ودعوت الى غيرنا وتقول فيما انتهى منك الينا هؤلاء الفواطم تعني الذين بناحيتك تسترضي احدهم بقلة من نبيذ واترجتين تهدي ذلك اليه وتعني انا نحن لا نرضى منك الا بالكثير فلو عقلت لعلمت ان الراضي منك بما وصفت مثلك في الحال او دونك وليتك اقمت لنا ظاهرا او كنت واصلتنا باترجة لعلك كنت تستميلنا بها كما زعمت انك استملت من استملته ولكنك نابذتنا وصارمتنا ثم صارت عساكرنا اليك فاظهرت انك على الطاعة وغلقت دونهم ابواب مدينتك ولم تخرج الى عبدنا قائد عسكرنا وسألك ان تبعث بابنك ليكون عندنا فاومأت الى اسود بين يديك وقلت لرسولي اليك لو سألني شعرة من رأس هذا الاسود ما اعطيته اياها وتقاتل عساكرنا وتقتل اوليائنا ثم تكتب الينا انه كانت بينك وبين القائد هينمة وتسائل ان نحلك محل الاولياء عندنا افترى لو انك اسخطت بعض نسائك بعض السخط فقابلتها بمثل هذا الذي قابلتنا به اكانت راضية منك به فايانا يا شقي تقابل بمثل هذه المقابلة وعلينا تجترئ بمثل هذه الجرأة

يقول له صلوات الله عليه مثل هذا قول مغضب والرمح بيده يديره فيها وسنانه من قبل الفاسق ابن بكر فظن كثير ممن حضر انه سيرسله اليه حتى لقد تنحى من كان واقفا الى جانبه فاسكت الخائب ودهش واكثر ما قدر ان يقول يا مولاي انا عبدك وقد اخطأت

ثم عطف عليهما فقال ما كنتما فاعلين بمن حل عندكما محلكما عندي لو ان الله اقدر كل واحد منكما عليه كما اقدرني عليكما فسكتا فنظر الى ابن واسول فقال قل والله الشاهد على ما في قلبك ما كنت صانعا في ذلك

فقال ومن انا حتى اشبه بعبد من عبيد امير المؤمنين ص فكيف به في شيء من فعله

ثم تفحج فرس امير المؤمنين فبال فتباعد كثير ممن كان حوله وتنحى ابن واسول قليلا وكان قبالته وقد جرى من بول الفرس نحوه فقال له امير المؤمنين لم تأنفت من بول الفرس

فسكت فقال قل لي في ذلك ولا عليك فقد ترى كثيرا من عبيدنا فعل مثل ما فعلت

فقال يا امير المؤمنين قيل لنا انه نجس

فقال ولم قلتم انه نجس

قال لانه لا يؤكل لحمه وما لم يؤكل لحمه فبوله نجس

فقال وكيف لا يؤكل لحمه او لم يبلغك انه يباع في مجازر المسلمين في كثير من امصارهم

ثم نظر الي فقال ما تقول انت يا نعمان في ذلك

قلت اقول فيه كما قال موالي وما رويناه عنهم عن رسول الله صلع ان عليا قال مر رسول الله صلع برجل من الانصار وبين يديه فرس له يكيد فقال له رسول الله صلع اذبحه يضاعف لك اجره بذبحه و احتسابك اليه

فقال يا رسول الله ا لي شيء منه

فقال نعم كل واهد الينا ان شئت فذبحه واهدى منه فخذا الى رسول الله صلع

قال عليه السلام فاكل منه رسول الله صلع واطعمنا

قلت وعلى هذا اكثر العامة يجيزون ذبح الخيل واكل لحومها فاما اهل البيت صلوات الله عليهم فانهم يرون ذبح ما عطب منها ويئس من حياته كان وهكذا الذي وصف ان رسول الله صلع امر بذبحه لما كان يكيد بنفسه ولا يرون ذبح الصحيح السالم منها لقول الله تعالى والخيل والبغال والحمير لتركبوها وزينة وقوله واعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل فاباحوا ذبح ما عطب منها ويئس من حياته واكل لحمه بالخبر وتوقفوا عن ذبح السالم الصحيح منها بالنص لما فيها من عز الاسلام وقوة اهلها وزينتهم اذا كانت سليمة فاذا عطبت ويئس منها زال عنها هذا المعنى وحل ذبحها واكل لحمها بالحديث وبقول الله تعالى وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم فانتهوا وقد روي عن رسول الله صلع في ذلك اخبار كثيرة

فتبسم صلوات الله عليه وصرف عنان فرسه فدخل من باب الخاصة الى داخل قصره وقد نصبت الموائد للناس وصرف القيم على الطعام ابن واسول وابن بكر الى حجرة وقرب اليهما مائدة فاكلا وصرفا الى مكانهما

وتحدث الناس بما كان من امير المؤمنين اليهما وقال لي بعضهم ما ظننا الا ان ابن بكر سيقتل

قلت فلو قتل الآن اليس قد مضى بما فيه واستراح مما هو بسبيله وان كان صائرا الى غضب الله ولكن في متعتنا بالنظر اليه واشهاده مثل هذه المشاهد وتعريعه بمثل هذا التقريع الى ان يرى ولي الله فيه رأيه افضل البغية والمأمول

وكان القائد لما اخذ ابن واسول وامكنه الله منه قد عاتب اهل سجلماسة ، ثم رأى الصفح عنهم وولّى عليهم واليا منهم وانصرف ، فوثبوا على ذلك الوالي فقتلوه واقاموا مقامه منتصر ابن محمد بن المعتز وكان ابوه وجده قد وليا البلد باستعمال امير المؤمنين وكانا من اهل الولاية.

وكان ابن واسول لما تغلّب على البلد اعتقل منتصرا هذا وهو غلام حدث فاقام معتقلا عنده مدة ، فقدّمه اهل البلد لما قتلوا العامل الذي استعمله عليهم القائد ، ونسبوا اليه من القبيح ما زعموا انه اوجب قتله ، وذكروا ان الغوغاء والعامة قتلوه، وذهبوا في تقديمهم هذا الذي قدّموه الى ما هو عليه من الولاية والمحبة ، وقيل انه سعى في ذلك وارسل رسولا من فوره ، وارسل اهل البلد وكتبوا الى امير المؤمنين المعز لدين الله ص ع يذكرون ذلك ويعتذرون منه ويصفون حالهم ، فصرف رسولهم بانه غير قابل ذلك من عذرهم وانهم لا امان لهم عنده الى ان يأتي وجوههم ، وسماهم ، ويأتي منتصر هذا اليه محكمين في انفسهم ، فحينئذ يرى رأيه فيهم.

وانصر الرسول بذلك اليهم فما كان الا مقدار مسافة وصوله اليهم وانصرافه حتى اتى منتصر هذا الذي قدّموه ومائتا رجل من وجوههم ، وهم الذين سماهم امير المؤمنين ، قد ركبوا طرق الرمال والفلوات خوفا من ان يصل اليهم احد دون الباب ، حتى حلوا به ، فادخلهم امير المؤمنين ص ع : فلما مثلوا بين يديه وقبلوا الارض ووقفوا نظر اليهم نظرة مغضب واطرق ساعة فامتعقت الوانهم وارتعدت فرائصهم ولم يستطع احد منهم ان ينطق بحرف لما داخلهم من الخوف ، فرفع رأسه فقال :

يا اهل سجلماسة فعلتم ما فعلتم في ايام المهدي ص واقتدر عليكم مرة بعد اخرى فعفى عنكم واحسن اليكم لحلوله الذي كان فيكم ومجاورته اياكم مدة اقامته فيكم كما يرعاه من احله الله محله من كرم الطباع وحسن الصنيع من غير يد كانت لكم عنده ولا فعل من الجميل تقدم لكم لديه فصفح واحسن وعفى واجمل فما رعيتم ذلك حق رعايته ولا فهتم بشكره ثم نعق فيكم ناعق من الشيطان فلبيتموه ودعاكم اليه داع فاجبتموه قام فيكم دعي فيما ادعاه متوثب على ما تولاه قد عرفتم نسبه ودريتم سببه فتغلب على ولاة امركم وتحلى بالرئاسة والتصنع لكم وتسمى بامير المؤمنين وامام المسلمين لكم وانتم على علم لا تشكون ويقين لا تمترون ان ذلك لا يجوز له ولا يحل تسليمه لمثله فسلمتموه له واطعتموه وتوليتموه واتبعتموه ففارقتم جماعة المسلمين وخرجتم من حزب المؤمنين واحدثتم حدثا عظيما في الدين وانتهى الينا من امركم وامره ما لم يسعنا تركه والغفلة عنه لما افترضه الله علينا عز اسمه من القيام بحقه في ارضه وجهاد من صدف عن دينه وغير سنة رسوله وحل محلكم ومحل هذا الفاسق فيكم فانهضنا اليكم جيشا من اوليائنا وانصار دولتنا وعبيدنا مع عبد امرناه عليهم وتقدمنا اليه في الاعذار والانذار اليكم في الانابة والتوبة قبل الوقوع بكم فلم يزل مع طي المراحل نحوكم يتابع الكتب اليكم مع رسله تأكيدا في الحجة عليكم مرة بالوعد ومرة بالوعيد وتارة باللين وتارة بالتشديد يدعوكم الى الطاعة والنزوع عما انتم عليه من المعصية والضلال والقبض على عدو الله فيكم ان تمادى على ما هو عليه من الغي والضلال ان استطعتموه او البراءة منه وتركه بجانب ان لم تقدروا عليه ووصلت كتبه اليكم وادى اليكم من اجتاز به منكم كل ذلك وانتم على باطلكم مصرون وبالفاسق المضل لكم متمسكون الى ان حلت جيوشنا بقربكم وانتشرت عساكرنا ببلدكم وعاين من عاينها من عيون عدو الله من جمعها وعتادها وقوتها ما انهاه اليه وقد علم انه لا طاقة لكم ولا له بعسكر من عساكرها

فلما حلت بعقوتكم ونزلت بداركم وانتم مع الفاسق على ما انتم عليه نهض موليا عنكم وهاربا متسللا من بين اظهركم وقد كنتم تقدرون على اخذه لو اردتموه ويمكنكم من ذلك ومن حصاره في داره متى احببتموه لو اخذتم بحظكم في ذلك ففعلتموه لكنكم اقمتم مصرين على طاعته وتوليه الى ان نزع عنكم واقدرنا الله عز وجل بفضله واحسانه عليه كعادته الجميلة بلا صنع لكم ولا لغيركم في ذلك واقدرنا عليكم وامكننا منكم وانتم على ما انتم عليه من غيكم وضلالكم وما تستوجبون به اجتياحكم ودماركم فسار عبدنا فيكم بما امرناه به من العفو والصفح والمرحمة وانصرف عنكم فاحدثتم بعده ما احدثتم فما ذا تستحقون ان يفعل بكم

يكلمهم بهذا الكلام صلوات الله عليه كلام مغضب فاصفرت الوانهم وتغيرت وجوههم وارعدت فرائصهم وافحم اكثرهم عن الكلام وقال من قال منهم قول مذعور دهش ان يعاقب امير المؤمنين ص فنحن اهل العقوبة وان يعف فهو اهل العفو والفضل والرحمة

فاطرق ص مليا ثم دعى منتصرا بن محمد بن المعتز فقربه اليه وامره بالجلوس فقبل الارض مرارا وشكر لامير المؤمنين ثم عطف ص على الوفد فقال قد كنتم تستحقون اليم العذاب والنكال ولكنا للذي جبلنا الله عليه من الصفح والعفو والمرحمة قد عفونا ما سلف من ذنوبكم ما استقمتم واصلحتم وقد استعملنا عليكم عبدنا هذا واومأ الى منتصر فقبل وقبلوا الارض مرارا وشكروا بما قدروا عليه وزال ما ظهر عليهم من الهلع والجزع وامر ص بصرفهم الى موضع انزلهم فيه وخلع على منتصر وحمله وفعل ذلك بجماعة من وجوههم وامر باجراء النزل لهم اجمعين واقاموا بذلك مدة في ارفه عيش واحسن حال ثم لما رأى صرفهم عقد لمنتصر على سجلماسة وعملها وخلع عليه خلعا سنية وحمله على عدة من الخيل بسروج مفوفة ووصلة بصلات جزيلة وحمل جميع من قدم معه وكساهم ووصلهم وصرفهم الى بلدهم بما لم يوصلوه ويتوهموه وكان غاية آمالهم ان يسلموا من القتل فانصرفوا وقد طالت بالشكر السنتهم وملئت فرحا قلوبهم

قال الحسن الانصاري في تاريخه : وفي احدى وخمسين وثلاثمائة قتل ابراهيم بن ابي يزيد ، وانفذ برأسه الى الامام المعز لدين الله عليه السلام ، قتل باوراس من اعمال باغاية ، وكان قد جمع جموعا ليخرج فعمل ابو الحسن الموصلي العامل بباغاية عليه حتى قتله .

قال : وفيها فتحت طبرمين من بلاد الروم ، فتحها ابو القاسم علي ابن الحسن بن علي ابن ابي الحسين في حياة ابيه .

ومما اتى عن القاضي النعمان بن محمد رضوان الله عليه قال :

ولما اراد الله الامام المعز لدين الله صلع ان يطهّر عبد الله ونزارا وعقيلا بنيه تقدم الى خاصته واوليائه وسائر جنده وعبيده وجميع رجاله وكافة من بالحضرة من سائر التجار والصناع وعامة الرعية بالمنصورية والقيروان وجميع اهل مدن افريقية وكورها من حاضر وباد وامر بالكتب الى العمال من لدن برقة واعمالها الى سجلماسة وحدودها وما بين ذلك وما حوته مملكته والى جزيرة صقلية ومن بها من طبقات الناس في حضر وبدو ان يتقدموا في طهور ابنائهم يوم الثلاثاء اول يوم من شهر ربيع الاول من سنة احدى وخمسين وثلاثمائة الى انقضاء هذا الشهر وامر ان يحمل الى كل بلد من هذه البلدان من الحضرة اموال وخلع تفرق على كل من طهر من ابناء المسلمين من خاص وعام

فكان الذي رأيناه حمل صقلية من المال خمسين حملا سوى الخلع ومثل ذلك ونحوه الى كل عامل ليفرقه على اهل عمله وتقدم صلوات الله عليه في طهور ولده يوم الثلاثاء هذا المذكور وجلس بنفسه الزكية لطهور سائر اهل الحضرة ومن يليها من البوادي وامر بضرب سراداقات بساحة قصر البحر حول الماء وبادخال الصبيان مع من اراد الدخول معهم من آبائهم وامهاتهم وعبيدهم وخدمهم ومن ارادوا ان يطهروه من عبيدهم واعتزم على ان يصل الطهور ايام هذا الشهر كله وذاع في الناس انه امر صلوات الله عليه ان من لم يطهر ولدا يكون عنده في هذا الطهور ثم يطهره بعد ذلك لمدة سبع سنين فقد انف عن فضله وخالف امره فسارع الناس بابنائهم وعبيدهم عن كافتهم واتصل به ما اشيع من ذلك فقال لقد احسن من شيع هذا وما يتخلف عنا في ذلك من يحب ايامنا

وكان يجلس صلوات الله عليه من وقت الغداة فلا يزال جالسا وهم يطهرون ويمرون بين يديه فيكسون ويوصلون لا يخيب من ذلك منهم شريف ولا مشروف ولا حر ولا عبد قريب ولا بعيد حاضر ولا باد والختاتون في السرادقات على الكراسي وبين ايديهم المنابر لجلوس الصبيان والقوم يمسكونهم في حجورهم ويذرون الذرارات الممسكة للدم على ختاناتهم ويقفون في البخور وما الورد على رؤوسهم ويرشونهم على وجوههم لما يعتريهم من الروع والسند باصناف الملاعب قيام عليهم يلهونهم ويصحبون من طهر منهم يزفون به الى منزله

وكان الذي اعطاه الخاصة من الخلع والصلات على اقدارهم ما يتفاوت ويطول ذكره وكان الذي اعطاه العامة من الصلة غير الكسوة لكل صبي منهم مائتا درهم الى مائة وخمسين واقل ما اعطي المجهولون من اهل البوادي ونظرائهم وعبيدهم كل صبي منهم عشرة دراهم وكان يطهر في كل يوم من ايام هذا الشهر منهم من عشرة آلاف صبي الى خمسة آلاف اقل ذلك واكثر الناس الخوض والحديث في ذلك وتعاظموه واجمعوا في ابتداء الامر ان ذلك لا يتم وان الاموال لا تنهض به وذكروا لكثرة ما رأوه من الخلائق ان ذلك لو وصل حولا لما انقطع الناس ولا اتى على آخرهم فيه

وكنت ممن تعاظم ذلك وتداخله الاشفاق منه وعرضت يوما بذكر ذلك فقال لي يا نعمان طب نفسا فقد عزلنا لهذا ما لا نرى انا نأتي على نفقته فيه باسره والله ما هو من شيء كنا نلقي له بالا ولا وجدنا لاخراجه نقصا ولا خللا وما كنا نلتفت اليه من ذخائرنا ولا من ذخائر الآباء صلوات الله عليهم وما هو الا شيء كان لا يلتفت اليه وكثير ممن تقدمنا من ملوك الدنيا انفق مثل هذا واضعافه في معاصي الله عز وجل وفيما تنقي شناعته عليه وهذا شيء اردنا به وجه الله واقامة فرضه واحياء سنة جدنا رسوله صلى الله عليه وآله وملة خليله ابراهيم صلى الله عليه وآله ما اردنا بذلك الا الله عز وجل القربة بذلك اليه وما من هؤلاء من يريد بذلك التحبب اليه ولا التزين بذلك عنده وقد عزلنا لذلك مالا لا بد لنا من انفاذه فيه ووقتنا له وقتا لا بد لنا ان عشنا ان نبلغ به اليه يريد مدة هذا الشهر الذي وقته لذلك صلوات الله عليه

وكان من صنع الله عز وجل انه لما كان يوم الاربعاء سلخ ربيع الاول هذا انقضى جميع من كان بالحضرة ومن حضر اليه من البوادي واجتمع ذلك اليوم من الصبيان زهاء اثني عشر الفا فطهروا عن آخرهم وتلاحق من غد بقايا من بقي من نحو ثلاثمائة فرآهم المعز لدين الله صلوات الله عليه من منظر كان له وقد اجمعوا بباب القصر فامر بتطهيرهم فانقضى جميع الناس عن آخرهم في الوقت الذي وقته والحد الذي حده حتى انهم لو حسبوا وقسموا على تلك الايام لما اتفق ان يكون ما هيأه الله عز وجل من فراغهم عن آخرهم في الوقت الذي وقته لهم

وجرى على ذلك جميع اهل الكور والبلدان بكل وجه واخرج في ذلك من الاموال والخلع النفقات ما لا يحصيه الا من وقف عليه وكانت ايام هذا الشهر ايام اعياد ومسرات وافراح وهبات بكل وجه وجهة من مملكة امير المؤمنين صلوات الله عليه من بدو وحضر وعمهم فضله وتبين عليهم اثره وارتفق به اغنيائهم وانتعش له فقراؤهم ودخلت المسرة على اهل كل بيت منهم وكان اثر جميل لم يسبقه اليه صلوات الله عليه احد قبله ولا اظن ان احدا يتسع له مثله والحمد لله على ما اولى وليه وانعم به عليه

اخبار الدعوة بالسند

وكان فتح بالسند لامير المؤمنين المعز لدين الله عليه السلام وكان بتلك الجزيرة احد الدعاة ممن خلط وغيّر ، واستجاب على يديه قوم كثير من المجوس ، فتركهم على كثير مما هو محرّم في الاسلام مما يستحلونه في دينهم ، وكان قد بلغ امير المؤمنين المعز امره فاستهاله واستفظعه ، تواضعا لله واحياء لملة جده محمد رسول الله صلع ، وكتب الى اهل دعوته بالسند برفض ذلك الداعي المغير لدين الله واعتزاله ، لتضييعه الواجب عليه من دين الله من النهي عن المنكر والامر بالمعروف في اقواله وافعاله

واقام الداعي حليم بن شيبان في تلك الجزيرة لما هو عليه من العبادة والاستقامة ، وحسن النية وصفاء السريرة ، فلم يصل كتاب امير المؤمنين ع م الا وقد هلك الداعي الذي توانى في ما يجب عليه، واقام المؤمنون حلم بن شيبان حتى يؤذنوا الامام وينهوا امرهم اليه ، وقد قصّ ذلك القاضي النعمان بن محمد رضوان الله عليه في بعض ما الّفه حيث قال :

وكان بعض الدعاة بجزيرة نائية في صقع بعيد يدعو الى امير اولياء الله بعد دعاة تقدموا قبله في المكان الذي هو فيه واستجاب لهم قبله واليه خلق عظيم من اهل تلك الناحية وعامة اهلها مجوس ولكن قد كان الاسلام فشى فيهم قديما فاتصل بامير المؤمنين المعز لدين الله ص ان هذا الداعي الآخر احدث فيهم حدثا وذلك انه دعى عالما كثيرا من المجوس وهم على دينهم لم يسلموا وتركهم على ما هم عليه يستحلون من محارم الله ما كانوا يستحلونه ويعملون ما نهى الله عنه ما كانوا يعملونه من نكاح ذوات المحارم وتناول ما لا يحل من المشارب والمطاعم تعديا منه لحدود الله تعالى ووضع امانته عز اسمه عند من لا يحل وضعها عنده لعاجل دنيا اراد نيله بذلك منهم واستكثارا فيما حسنه سوء رأيه له بهم ثم تعدى ذلك بهم ثم تعدى ذلك به الى ان اباح ذلك من محارم الله تعالى لبعض اهل دعوته من المسلمين وغيرهم

فعظم على امير المؤمنين من ذلك ما تناهى اليه اكبره وتبرأ الى الله منه ولعنه واهمل امره واشتغل صدره وكان قد انفذ اليه رسلا من قبله وطوى عنه ما هو عليه وسأل الامام الرسل عن ذلك فاعلموه به وكان فيهم خير فعرفهم صلوات الله عليه عطيم ما ارتكبه من ذلك فتبرأوا منه وتابوا الى ولي الله من اتباعه على امره ودعاهم وطهرهم

ثم سألهم ومن بالحضرة من اهل الناحية غيرهم عن افضل من فيهم فسموا له رجلا فكتب اليه بالعمل على اهل تلك الجزيرة واطلاع من يثق به من المؤمنين المخلصين قبله على ذلك استعمال الحيلة في قتل عدو الله المرتد عن دينه المبتدع ما ابتدعه ونسخ بدعته واظهار دين الله على ما امر الله واولياؤه به وانفذ اولئك الرسل بذلك وبكتاب اليه جوابا عن كتابه وبما رأى ص ان يكتب به اليه وعرفنا ذلك في الوقت اهل خاصة مجلسه تفرج بما اغتم به من ذلك تفضلا وتطولا وقد ذكرت طرفا من ذلك فيما مضى من هذا الكتاب

وكنا نترقب مما نخشى انه يحدث عن ذلك في الناحية ترقب المشفقين وقلنا قوم تطاعموا المحارم فما الذي يردهم عنها وقد فشت وصارت دينا عندهم وكان تخوفنا على المكتوب اليه اغلب من الرجاء في هلاك الفاسق المبدل غير انا نرجع في ذلك الى الثقة بالله لوليه وانه كما عوده يبلغه ما يرجوه ويؤمله فما كان الا بقدر وصول الرسل الى المكان وانصرافهم اذ جاء رسل آخرون من تلك الجهة بكتب وامانات حملوها فادخلهم صلوات الله عليه فقبلوا الارض بين يديه ومرغوا خدودهم تقربا اليه وحمدوا الله وشكروه على ان بلغهم اليه وادناهم وقربهم منه وبعد من حضر في مجلسه عنه بحسب ما يجب لمكان سر ان اخذ معهم فيه فسألهم عن الحال فتكلموا بلام طويل نسمعه ولم نصرف الاسماع اليه تقية من ان يكون مما لا ينبغي لنا سماعه وننظر الى وجهه يتهلل لما سمعه ويكثر من حمد الله حتى انقضى كلامهم وانصرفوا

والتفت الينا متهللا مستبشرا مسرورا فقال قد سمعتم كلام القوم

قلنا سمعناه ولم نفهم

فقال نعم فاسمعوه ذكروا ان الله تعالى قد كثر اهل دعوتنا واولياءنا قبلهم وان كان هذا الفاسق قد بث ما بثه فيهم فانه يشتهر عنه كل الاشتهار ولم يكن اطلع عليه الا اهل ثقته ومن قرب منه وان الله تعالى اقبل بملك من ملوك اهل الناحية له قوة ومنعة وعدة ورجال فاستجاب الى الدعوة بمن معه وصار في حزب المؤمنين وقوي به امرهم واظهروه واعلنوا باسمي وشهروه وكتبوه على الاعلام وخطبوا به على المنابر وان ملوك الناحية انكروا ذلك عليهم فاقبلوا بجموع عظيمة اليهم لا يحصى عددها ولا يبلغ عدد المؤمنين عشير معشارها فلما رأوا ذلك اجتمعوا في موضع واحتفروا عليهم خندقا فما هو الا ان وصل عدوهم اليه ورموه لكثرتهم ساعة وصولهم اليه واقتحموه عليهم فامر ذلك الملك المستجيب اصحابه بالحملة وجماعة المؤمنين وقد حسنت بصيرته وخلصت نيته فقالوا له على من نحمل وبين ايدينا عدد الثرى

فقال لا تنظروا الى ما بين ايديكم من الملإ ولكن انظروا الى السماء فان من عليها معكم وهو ناصركم ومؤيدكم فحملوا حملة صدق بنيات خالصة وحمل جماعتهم وحمل معهم فانهزم الملأ بين ايديهم من عدوهم ومنحهم الله اكتافهم فقتلوا منهم ما لا يحصى عددا وغنموا من اموالهم وسلاحهم وكراعهم ما امتلأت منه ايديهم وفرق الله جمع عدوهم واقبل من حولهم بالطاعة لهم والتسليم لامرهم فدانت لهم مدن كثيرة واستعملوا عليها عمالا واظهروا فيها دعوتنا وحازوا لانفسهم معقلا حصينا بقلعة شاهقة منيعة قطنوا بها واتخذوها دار هجرة

والداعي اللعين المبدل فهم يعتقدون طاعته لولايته ويعظمون امره اذ كان يدعو الينا فما هو الا ان انتهى الرسل الذين حملناهم في امره الى ادنى عمل الجزيرة ولم يبق بينهم وبين الموضع الا مسيرة شهر حتى اذن الله تعالى في الفاسق بما اردناه بلا عنت ولا تكلف فطرقته بغلته واعجله الموت فيها عن ان يوصي لاحد بمقامه ولا ان يقدم احدا لمكانه فيكون قد سد موضعه وقام مقامه وكفى الله مؤنته وبلغنا في عفاف ما اردناه منه بفضله ونعمته وما عودناه من جميل عادته

ولما هلك عدو الله اجتمع الدعاة فيمن يقيمونه مقامه الى وقت مطالعتنا فوقع اختيارهم واتفاقهم على الرجل الذي اخترناه واقمناه وكتبنا اليه لما اراد الله تعالى من تأليف امرهم واجتماع كلمتهم وظهور امرهم على عدوهم ليقيموه عليهم ويرسلوا رسلا من قبلهم لمطالعتنا بامرهم فاكبر ذلك الرجل من امرهم وقال لهم اذ قد اتفق رأيكم علي فاسمعوا مني قالوا نعم نسمع ونطيع لك فاختار اربعة منهم وقال لهم تكونون على الجميع ويكون كل داع الى اهل دعوته واكون انا النافذ برسالة الجماعة الى الحضرة فما امر به ولي الله امتثلناه ومن اقامه لنا سمعنا منه واطعناه

واختار رجالا للقدوم معه علينا وقدم فلم يسر الا بعض ايام حتى لقيته رسلنا ففرح واستبشر بلقائهم وسألهم عن الحال فدفعوا اليه كتابنا اليه وكتابنا الى جماعة الدعاة بما امرناه به في الخائن فانصرف الى مكانه وبعث بالقوم الذين كانوا معه بما حمله الينا وكتاب المؤمنين الذين وافاه الكتاب عندهم من اهل الناحية

وتناول الكتابين صلوات الله عليه فقرأهما علينا بنفسه الى آخرهما فسمعنا من كلام الرجل في كتابه ما لم نجد فيه لفظة ساقطة ولا معنى فاسدا ووفقنا فيه من جزالة لفظه ومعانيه على ما وثقنا لولي الله بقيامه له وذكر مسرته وابتهاجه وما انتهى اليه امر ولي الله بما امر به واحياه من دين الله تعالى وما كانوا انكروه مما فشى عن الخائن من تغيير الدين وارتكاب محارم الله تعالى وذكروا ذلك في كتابهم

وطالع الرجل بما يعمل عليه من دعوة من صار الى المجوس الى دين الاسلام كما يجب ثم الاخذ عليهم بعد ان يسلموا كما ينبغي وشاور في كثير من اعماله وما يجريه من اموره

وذكر صنما معبودا قبله يحج المجوس اليه كحج المسلمين الى بيت الله الحرام في كل عام فطالع في كسره وتعفية اثره وفي اشياء كثيرة يطول بها الكتاب من امره واستمد ولي الله من علمه فاقتبس من نوره ما يعمل به ويذيعه فيمن قبله

فما ندري كيف نصف ما كان من ابتهاجنا بذلك وموقعه من قلوبنا بما اجراه الله منه على يد وليه ويسره له ومنحه من صنعه فيه وعولنا على تقبيل الارض بين يديه وحمدنا الله وشكرناه بما قدرنا عليه واستطعناه وسألنا انجاز وعد وليه وبلوغنا اليه

واشتهر امر ولي الله امير المؤمنين في الآفاق ، وخضع له اهل العناد والشقاق ، وارغم اولوا العدوان والنفاق ، وانتشرت له الدعاة في جميع الجزائر ، وظهر علمه للبادي والحاضر ، ولم يزل امره في سموّ وصعود ، وعلو يقارنه السعود.

وضعف امر بني العباس ، وتغلّب عليهم وزرائهم ، وملك امرهم امراؤهم ، فصاروا بين مجدّل مقتول ، او مخلوع مسمول ، او مضروب على يده مشوّه بخلقه ، وقد ذكرنا امر المقتدر العباسي ومؤنس الخادم ، وما كان من قتل المقتدر على يد مؤنس ، وقيام المتسمّى بالقاهر وقتله مؤنسا ، وخلع القاهر في اليوم الذي استولى فيه مخلد الدجّال على القيروان.

وبويع بعد القاهر الراضي محمد بن المقتدر ، فاقام مستخلفا في بغداد ست سنين وعشرة اشهر وعشرة ايام ، ثم مات في شهر ربيع الاول من سنة تسع وعشرين وثلاثمائة ، واقيم بعده اخوه المتسمى بالمتقي لله ابراهيم بن المقتدر ، ثم خلع بعد ثلاث سنين من ولايته وسملت عيناه لعشر بقين من شهر صفر سنة ثلاث وثلاثين وثلاثمائة ، وبويع بعده المتسمّى المستكفي بالله ، ابن عبد الله المكتفي ، فاقام مستخلفا سنة وخمسة شهور ، ومات في ربيع الآخر سنة اربع وثلاثين وثلاثمائة.

وبويع بعده المتسمى بالمطيع لله الفضل بن المقتدر فاقام تسعا وعشرين سنة ، والحل والعقد في الملك لبني بويه ، وليس له الا اسم ذلك في السكة والخطبة ، وهو مغلوب على امره مضروب على يده ، ومات لثماني ليال بقين من المحرّم سنة اربع وستين وثلاثمائة ، بعد ان خلع نفسه مكرها، وذلك ان علي ابن احمد بن بويه الديلمي عضد الدولة امررجلا من الديلم فرمى به عن سريره وقبض عليه وبايع بعده لابنه المتسمى بالطائع ابن المطيع ابن المقتدر ، وقبض بهاء الدولة ابن عضد الدولة من بني بويه على الطائع يوم السبت لاثنتي عشرة ليلة بقيت من شعبان سنة احدى وثمانين وثلاثمائة واكره فخلع نفسه وبايع ابا العباس احمد بن اسحاق بن المقتدر مكرها.

فما زال ذلك دأبهم بين مخلوع ومقتول ومسمول ، وتحكّم عليهم الاعاجم ، وابتلى الله كل ظالم منهم بظالم، لا يملكون في الملك عقدا ولا حلا ، ولا قطعا في الامر ولا وصلا ، ولم نقصد ذكرهم فنستقصي اوائلهم واواخرهم ونأتي على ما كان في دولتهم ، وانما قصدنا ما ابتلاهم الله تعالى به ، مما يسّر وقضى ، واتاح لاوليائه وبني نبيه ائمة الهدى ، وشموس الحق الطالعة من المغارب ، الذين اخبت الله بهم ذكر كل مناصب، فتضعضعت دولة بني العباس ، ولم يقم لهم فيها اساس.

وقوي ملك الروم على الشام، وغزا من هنالك من ملوك الاسلام، واخرج ملك الروم نقفور فقاس الى اقريطش سبعمائة مركب لحربهم ، فاستغاثوا ببني حمدان وبكافور الاخشيدي وبالمملّكين على بني العباس من بني بويه ، فلم يجدوا منهم وليّا ولا نصيرا، وابتلوا بالنصارى بلاء كبيرا ، واشرفوا على الهلاك، فاستغاثوا بالمعز لدين الله امير المؤمنين عليه السلام .

قال القاضي النعمان بن محمد : وقد كان طاغية الروم رغب الى امير المؤمنين المعز لدين الله ع م في الموادعة والصلح وبذل له على ذلك اموالا ، وكانت رغبته في الموادعة مدة طويلة او ابدية ان وجد ذلك . فرأى الامام لمّا تبيّن له ان ذلك خير للاسلام وللمسلمين ، وليستجموا فيقووا على حرب المشركين ، ان اجابه الى موادعة خمس سنين .

ثم اتصل به بعد ذلك ، وقبل ان تنقضي مدة الموادعة ، انه ارسل الدمستق الذي هو اقرب رجاله درجة اليه واخصّهم به في عدة من السفن كثيرة وجيوش ثقيلة حتى اناخ بها على جزيرة اقريطش ، وهم في دعوة بني العباس .

فلما حل بهم من ذلك ما لا قوام لهم به وعلموا انه ليس عند بني العباس نهضة ولا لهم لديهم نصرة ارسلوا مركبا فيه رجال من قبلهم مع وجه من وجوههم الى امير المؤمنين المعز لدين الله يستغيثون به ويسألونه استنقاذهم واغاثتهم ، فلم ير صلوات الله عليه وان كانوا تنكّبوا عنه ان يخيّب رجاءهم عنده ، ولا ان يسلّمهم للمشركين، فامر عندما اتصل به خبرهم وقبل ان يصل اليه رسولهم بالاخذ في الاهبة والعدة ليكون نفوذ الاساطيل اليهم في اول زمان الامكان، ثم قدم الرسول عليه وادّى عنهم ما ارسلوه به اليه.

فرأى ان ينبذ الى المشرك عهده كما امر الله تعالى بذلك في كتابه ان هو اصرّ على حربهم، وامر بكتاب في ذلك واملأه على الكاتب بحضرة من بين يديه بكلام ما سمعت اجزل ولا ابلغ منه.

فقال بعد ان خيّره بين ان يقلع عن حرب اهل اقريطش وبين ان ينبذ اليه عهده كما نبذ رسول الله صلع الى مشركي العرب عهدهم وارسل عليا ببراءة فقرأها في الموسم عليهم ، ولقول الله اصدق القائلين : واما تخافن من قوم خيانة فانبذ اليهم على سواء ، وقوله : وان الله لا يهدي كيد الخائنين.

ثم قال له في كتابه عليه السلام :

ولا ترى ان دعوة اهل اقريطش قبل اليوم الى غيرنا وقد انابوا اليوم الينا واستغاثوا بنا مما يوجب لك عندما تمام الموادعة بتركهم اليك وترك اعتراضك فيهم ان امتناع اهل الباطل من اهل الحق ليس بمزيل حقهم وان تغلبوا عليه دونهم بل هو لهم بتصيير الله تعالى اياه اليهم فاقريطش وغيرها من جميع الارض لنا بما خولنا الله منها واقامنا له فيها اطاعنا منها من اطاع وعصانا من عصى وليس بطاعتهم يجب لنا ان نملك ولا بعصيانهم يحق علينا ان نترك ولو كان ذلك لكان الامر اليهم لا لله الذي خولنا ولا لنا ان شاؤوا اعطونا وان احبوا منعونا كلا ان ذلك لله الذي له ما في السموات وما في الارض وهو الذي اصطفانا وملكنا واعطانا ولو كان للخلق لما وسعنا قتال من امتنع منهم علينا ولا رد ما انتزعوه بالغصب من ايدينا اذا اقدرنا الله على ذلك وبه قوانا

فان قلت انت غير ذلك وانت ترى ان ما في يديك لك فقد كان رومانس تغلب عليك وعلى ابيك من قبلك ثم دارت لكما عليه الدائرة فان رأيت ان من احتجز شيئا وتغلب عليه فهو له دون صاحب الحق الذي ملكه فلم يكن لك ولا لابيك القيام على رومانس ولا انتزاع ما صار اليه من بين يديه فهذه سبيل اهل الحق عندنا فان اعترفت لها فقد انصفت وان جهلتها لم يكن جهلك اياها حجة على من عرفها وعهدك ان تماديت على حرب من اناب الينا منبوذ اليك فانظر لنفسك ولاهل ملتك فانا مناجزوك واياهم الحرب بعون الله لنا وتأييده ولا حول ولا قوة الا به

قال واستمد اهل اقريطش هؤلاء صاحب مصر وهم من اهل دعوة واحدة تجمعهم دعوة آل عباس ، ومراكبهم بخيرات بلدهم واطعمتها تمير اهل مصر ، وهداياهم تصل الى عمّالها ، فعجز عن نصرتهم ، وسأل من ينظر لامير المؤمنين فيما قبله في ان يكتب اليه في اغاثتهم واستنقاذهم ، وارسل قوما كانوا منهم قبله ليسألوا امير المؤمنين ص ع ويرغبوا اليه في ذلك . ثم اظهر انه ينصرهم ورمى بعض مراكب في البحر لمّا اتصل به انكار العامّة عليه للتخلّف عن نصرتهم.

فكتب امير المؤمنين المعز لدين الله ص ع الى من يكاتبه بمصر جوابا عن كتابه اليه بذلك يخبره انه قد امر باخراج الاساطيل واخذ في عدّتها.

وكان فيما كتب به اليه ان قل لصاحبك : ان الله سبحانه قد خوّلنا من فضله وامدنا من معونته وتأييده بما نرى ان بحوله وقوته ونصره لنا واظهارنا على عدونا نكف ايدي الكفرة عما تطاولت اليه من حرب هذا الصقع والايقاع باهله وقد انتهى الينا انك اظهرت الحركة الى الجهاد وامداد هؤلاء المقوم بمراكب من قبلك وانت لعمري بذلك اجدر لقربهم منك واتصالهم بك وميرهم بلدك وكونهم واياك في دعوة واحدة ولو اسلمناهم اليك وقعدنا عنهم لما كان لك ولا لهم علينا حجة في ذلك ولكنا آثرنا نصرة امة جدنا محمد صلع ولم نر التخلف عن ذلك وقد رجونا له والقوا بانفسهم الينا فيه ونحن لا نحول بينك وبين الجهاد في سبيل الله ولا نمنعك من تمام ما املت منه فلا يكن ما يتصل بك من انفاذ اساطيلنا يريثك عن الذي هممت من ذلك وان تخشى على من تبعث به وعلى مراكبك منا فلك علينا عهد الله وميثاقه انا لا نكون معهم الا بسبيل خير وانا نحلهم محل رجالنا ونجعل ايديهم مع ايدينا ونشركهم فيما افاء الله علينا ونقيمهم في ذلك وغيره مقام رجالنا ومراكبك مقام اساطيلنا حتى يفتح لنا ان شاء الله ثم ينصرفوا اليك على ذلك او يكون من امر الله وقضائه ما هو فاعله فاعلم ذلك وثق به منا ففي تظافر المسلمين على عدوهم واجتماع كلمتهم اعزاز لدين الله وكبت لاعدائه فقد سهلنا لك السبيل والله على ما نقول وكيل

فان وثقت بذلك ورأيت ايثار الجهاد فاعمل على ان تنفذ مراكبك الى مرسى طنبة من ارض برقة لقرب هذا المرسى من جزيرة اقريطش ويكون اجتماعهم مع اساطيلنا بهذا المرسى مستهل ربيع الآخر بتوفيق الله وقوته وتأييده ونصره وعونه

والا ترى ذلك فقد ابلغنا في المعذرة اليك والنصيحة لك وخرجنا مما علينا اليك ونحن بحول الله وقوته وتأييده ونصره وعونه مستغنون عنك وعن غيرك وعلى عزم وبصيرة في انفاذ اساطيلنا ورجالنا وعدتنا وما خولنا الله اياه واقدرنا عليه مما نرى بحوله وقوته انا نبلغ به ما نؤم اليه بذلك ونصمد نحوه فبالله نستعين وعليه نتوكل وعلى تأييده نعول وهو حسبنا ونعم الوكيل

فسارع امير المؤمنين المعز لدين الله ع م في اخراج الاساطيل وشحنها بالرجال ، وصنوف العدة والاموال، وهو في ذلك ذو جد وجهد اذ اتاه الخبر بان الروم قد ملكت اقريطش ، ودخلوا البلد ليلا عن موافقة من خرج منهم مسلّمة فقتلوا ونهبوا ودخلوا الجامع بخيلهم فاحرقوه وحملوا منبره الى بلد الروم ، فاشتد على امير المؤمنين ما حل بالمسلمين وما ظهر من تضييع اهل مصر لهم، وهم اقرب اليهم ، وما فاته من نصرتهم . وكان ذلك في سنة خمسين وثلاثمائة.

وفيها خرج الدمستق وهو اعظم من يكون عند ملك الروم من الدرب المعروف بحصن الجبل فنزل على تل موزة فقاتل اهله وظفر بهم ، ودخل البلد فقتل الرجال والنساء والصبيان ورحل عنهم الى عين زربة فقطع الماء عليهم ، واشتد بهم الامر واختلفت عليهم الكلمة ، وليس لهم مدبّر فقطعوا دعوة ابن حمدان حين يئسوا من مادّته لهم وتناهت عليهم الشدة ، فارسل الدمستق اليهم بامير اقريطش فحذّرهم ما حل باهل اقريطش ، واخذ لهم الامان على انفسهم واموالهم ما خلا السلاح وملكها.

وكانت قد وقعت حروب كثيرة بين سيف الدولة علي ابن عبد الله بن حمدان صاحب حلب وبين النصارى من الروم ووقعات جليلة . وكانت لسيف الدولة شجاعة مشهورة ونجدة مذكورة ، وقتال شهر به ، وجهاد رفع قدره بسببه ، وكان كثير الاعطاء والانفاق ، جميل المحيا حسن الاخلاق ، وكان قد جعل دنانير العطاء كل دنيار وزن عشرة دنانير ، وقصدته الشعراء ومدحته البلغاء ، واجتمع ببابه ما لم يجتمع بابواب الخلفاء من الشعراء المجيدين والفصحاء المفلقين ، وكفاه فخرا يبقى على الاحقاب ، ما طوّق ابو الطيب احمد بن الحسن المتنبي في حيد مفاخره ، وعلّق من اطواق المدح الذي استخرج درره من بحر خاطره.

وابو الطيب من الفصاحة بحيث لا يجارى ولا يمارى ، وديوان شعره اجل من ان يوصف واكثر اشتهارا، وقد ذكر ابو الطيب حروبه ووقعاته وجهاده للنصارى من الروم واغاراته ، وما زال الحرب مدة من السنين حتى كسرته الروم ، ولم يجد من خلفاء الدولة العباسية ناصرا ، ولا معينا ولا مؤازرا ، واسرت الروم ابن عمه ابا فراس ابن حمدان فارس الحرب الصنديد ، وناظم الشعر المجيد ، وكان ابو فراس شيعيا محبا لآل النبي من فاطمة الزهراء وامير المؤمنين علي ع م ، وهو منشيء القصيدة التي اولها :

الدين مخترم والحق مهتضم \* وفيء آل رسول الله مقتسم

ومنها :

لا يطغين بني العباس ملكهم \* بنو علي مواليهم وان زعموا

وهي قصيدة معروفة مشهورة ، وله في الاسر قصائد تشهد له بالبلاغة منظّمة على احسن النظم والصياغة ، فيها الجزالة والرقة ، والشهادة بما في قلبه من الم الغربة والحرقة ، ولو قصدنا ان نصف الاشعار لاتينا منها بالغريب القريب ، والبديع العجيب ، مما يروّق ويروق ، ويعلو ويفوق ، ولكنا الى ذلك ما قصدنا، وله ما اردنا ، وانما اردنا ان نذكر فضل آل الرسول ، وما خصهم الله تعالى به من المكان الخطير الجليل، جريا على قدر الطاقة ، وان كان شأو مجدهم وفخرهم لا نستطيع ان ندرك من وصفه لحاقه ، فاقام ابو فراس مدة من السنين في الاسر ، ثم فدى نفسه واخرجه جند الروم بعد ان ناله عظيم الضر، فلم تحسن له بعد ذلك الايام، ولم تطل حتى وافاه ريب الحمام.

وقويت الروم على سيف الدولة وعجزت ملوك بني العباس عن القيام معه والنصرة ، فجاشت جيوش النصارى عليه ، وانساق منهم الشر اليه ، فلما كان سنة احدى وخمسين وثلاثمائة ، فتحت الروم حلب وانهزم سيف الدولة عنها.

وفي سنة اربع وخمسين وثلاثمائة اخذت الروم المصيصة في النصف من رجب ، وبعدها فتحت طرسوس ، ولأسيد بن همام المكحول القرشي قصيدة يمدح بها كافور الاخشيدي صاحب مصر ويستنهضه لنصرة الحصون، ويصف ما لحقها من الروم ، يقول :

جلل فادح وخطب كبير \* بلد الشام ضائغ والثغور

اي صبر على الذي حل بالشـ \* ـام ولم يبق بالشآم مجير

ابن اهل التوحيد ان عدم الغز \* و ولم يبق للجهاد مثير

اين اهل القرآن والعلم بالوحـ \* ـي فانا بنوره نستنير

اين اهل الايمان يا حجّة اللــ \* ـه الى الشام فالنفير النفير

قد دعاكم الى الجهاد خفافا \* وثقالا عليكم مسطور

امره فالذي يخالف منكم \* ما له بالخلاف الا السعير

فثغور الاسلام من بلد الشا \* م وما فيه للامام نكير

والامام الذي تؤمله الامّـ \* ـة في قبضة المجوس اسير

وابن حمدان للثغور فما فيــ \* ـه لاهل الثغور الا الغرور

ويقول فيها :

حل عقد الهدى الضلال وان لم \* يبرم العقد حبله مبتور

بمعز ّ وناصر وبسيف \* هلك الدين واعتدى نقفور

ثائرا بالثغور يسبي الذراري \* آمنا لا يروعه تحذير

يعني بمعزّ وناصر معز الدولة وناصر الدولة ابني بويه وبسيف سيف الدولة ابن حمدان ، وقصيدته طويلة.

فلم يوجد عند كافور نهضة ولا حياطة للثغور ، وخلفاؤهم العباسيون مأسورون في ايدي العجم بين مسمول العينين او مقطوع غضاريف الاذنين . وحين اشتد على كافور الامر ، وعظم الضر ، وخاف ان يستولي النصارى على مصر ، واصل داعي امير المؤمنين المعز لدين الله ص ع الذي بمصر وسلّم لولي الله فيما يملكه الامر ، ودخل في عهد الامام ، واجرى على امره ونهيه النظام، وكتب بذلك الى امير المؤمنين المعز صلوات الله عليه وطلبه النصر على النصارى ، واستغاثه ان يستنقذ من المسلمين طوائف لخوف غشم الكافرين حيارى.

فانهض امير المؤمنين الاساطيل وشحنها بالرجال والعدة والاموال ، فوافوا النصارى من الروم ، وهم في جموعهم وعساكرهم قد اتوا للزحف على تلك الثغور ، فاوقعوا بهم وباساطيلهم وقعة لم يكن مثلها فيما سلف من الايام والدهور، ومنحهم الله نصر الدين وعز الاسلام ، وافتتحوا قلاعا كثيرة للروم ، واحرقوا ديارهم مستنصرين بنصر الله الحي القيوم. وافلت امير النصارى فصار شاردا ومرّ على وجهه اذ لم يجد من جنود الله ناصرا ولا عاضدا ، وذلك في سنة اربع وخمسين وثلاثمائة.

وقد ذكر ذلك الامام المعز لدين الله في جوابه لداعي السند حليم بن شيبان ، وقد ورد منه كتاب يذكر فيه ما هيأ الله له في جزيرة السند من النصر ، واظهر لوليه هنالك من الامر ، وانه كسر الاصنام التي كان استأذن الامام في كسرها، ويسأل الامام عن مسائل فيما يقيم به الدين ويقطع ما غيّره داعي السوء السالك سبيل المعتدين ، ويسأل عن اشياء من الفقه والحلال والحرام ، وعن مسائل في التأويل الذي جعل الله علمه عند اهل الذكر من امام بعد امام . فاجابه الامام عليه السلام بسجل هو معروف مشهور ، وفي صفحات الكواغذ مسطور ، اوله :

باسم الله الرحمن الرحيم

من عبد الله ووليه معد ابي تميم المعز لدين الله امير المؤمنين الى حليم بن شيبان سلام عليك .

فانا نحمد اليك الله الذي لا اله الا هو ، ونسأله ان يصلي على محمد عبده ورسوله وعلى الطاهرين الاخيار.

اما بعد ، فان كتابك الينا كتاب من ترادفت اليه نعم الله جل ثناؤه فاسنى منها قسمه ، وعظم عنده فضله، فأدأب الشكر عليه ، وترادف لديه عطاؤه ، فواصل الحمد عليه ، واختصه بلطيف صنعه وجميل كفايته ، فبرئ من الحول والقوة اليه ، وتكفّل بنصره، فاداخ له ملوك الارض وجبابرتها ، منتصرا لدينه القويم الذي به اعزّه ، واخذ بحقه من الظالمين الملحدين في آياته ، الصادّين عن سبيل هداه ، وتوحّده بما لم يتوحّد به احدا من كلّ ما يرومه وينتحيه ويصرف اسباب همّته اليه من بلوغ الامل ، والتوفيق في العمل ، حتى انقاد العدو مواليا ، والمخالف مؤالفا ، لما بهرهم من دلائل انجاز وعد الله لنا ، ولوائح نصره ، وبراهين معجزاته ، ومبصرات آياته التي وعد العالمين باظهارها فقال جل من قائل : وقل الحمد لله سيريكم آياته فتعرفونها ، وقال : سنريهم آياتنا في الآفاق وفي انفسهم حتى يتبين لهم انه الحق ، ولم يبق ملك من ملوك المغارب وجبابرتها ، والمشارق الى اقصى حدود المملكة فيها ، ومن وراء الصحاري والبراري من ملوك الحبشة الا دان بالطاعة وانقاد للمملكة ، وافدين الى باب امير المؤمنين، وباعثين رسلهم بالطاف وهدايا ، متوخّين انفس ما يجدونه منها ، راغبين في رضانا ، آخذين بحظهم من الطاعة التي حض الله ع ج عباده عليها.

وكان الكفرة من الروم على حال من الانقياد لاداء الجزية والوفاء بالعهد حتى نالوا بارض الشام ما نالوه مما سماع اقله يفت اكباد ذوي النهى ، ويمتعض من مثله اولو البصائر والحجى، ويألم الاقصى والادنى ، من افتتاح المدن وسبي الذراري ، وانتهاك المحارم وسفك الدماء ن مما لا دافع يدفعهم ، ولا مانع يمنعهم غاضبا لله جل ثناؤه ، خائفا من عقابه في تضييع امة رسوله ، فاخفرت الكفرة عهدهم ونكثوا ايمانهم ونقضوا عقدهم ، وقادهم حينهم للزحف الى بعض ثغور مملكة من جزيرة من جزائر البحر ، اهلها محروسون بحراسة الله ع ج وجميل نظرنا لهم ، وقلة غفلتنا عن مثلهم ، وان كانوا في بعد ونأي وراء بحر ، فتلقاهم من اقمنا لحراستها من الاولياء برا وبحرا فاوقعوا بهم وباساطيلهم وقعات كثيرة لم يكن فيما سلف من الازمنة مثلها ، ظلوا بها احاديث ومزّقوا كل ممزّق ، واخربوا ديارهم وعفوا آثارهم وافتتحوا قلاعهم المنيعة من اول الزمان، وافلت ذلك المشرك المتغلب المتأمر عليهم فظل شاردا مخذولا لا يدري على اي رجل يعتمد ولاي وجه يقصد، قد البسه الله الذلة ، كما نبذ العصمة ، واشعره الخيفة وراء الندامة ، يصبح خائفا ويمسي نادما، وذلك بما قدّمت يداه، وما الله بظلام للعبيد .

وافاء الله على الاولياء من ذخائر المشركين وكراعهم واسلحتهم بعد اسر وجوههم ما زادهم به قوة وعزة، وزاد به المشركين ذلة ووهنا ، ثم لا يصدّق بما نال المشركين من ذريع القتل وعظيم الاسر الا من شاهد ذلك وعاينه ، اذ الصفة تقصر عنه . والله نحمد كثيرا واياه نشكر ، واليه نصرف الرغبة في ان يصل لنا ما منّ به علينا من ذلك ببلوغ الامل في صلاح بلاده ، وهداية عباده ، وان يصلي على محمد سيد رسله وخاتم انبيائه،وعلى عترته المهديين الاخيارالطيبين.

ويقول في هذا السجل الشريف :

والذي وصفته مما هيأه الله لكم على من بغى عليكم وزحف اليكم ليزعجكم عن مستقركم وما دار بينكم وبينهم من القتال المهول ، الىان وهبكم الله النصر وامدكم بالمعونة والتأييد ، فقتلتموهم ابرح قتل ، واقتلعهم صنم القوم ، وجعلتم موضعه مسجدا جامعا ، فيا لها نعمة ما اعظمها ، وفضلا ما اوضحه وابينه ، واعظم اجره وابقى فخره ، ملأ قلوبنا فحرا وسرورا ، وارضى الله ربّنا ومولانا ، وخررنا له ساجدين حامدين شاكرين، وسألناه ان يجريكم على امثال ذلك في كل اعدائه وان يقرّ اعيننا بسلامة جميعكم ، ويذهب غيظ قلوبكم ، ويجمع كلمتكم ويؤلف قلوبكم، فلمثل هذه المقامات يجب ان ينصرف فكركم ، وعليها يتواصل نظركم حتى يجعل الله لكم في اظهار الملة الحنيفية اجل اثر، ويكتب لكم فيها السعي المحمود الموصل الى نعيم الخلد في روح وريحان وجنة نعيم.

ولقد كنا نحب ان تلطفت في حمل رأس هذا الصنم او فيما تعمدته من بعد هذا ويقدركم الله ع ج عليه فتعمل على حمل رؤوسها الينا فان لكم في ذلك فخرا باقيا ، وتحريكا لاخوانكم المؤمنين قبلنا ، وزيادة في نشاطهم ، ورغبة في الاجتماع معكم ، للتعاون على اقامة حق الله ، فقد قرب من انجاز وعد الله لنا ما بعد ، والحمد لله كما هو اهله ووليه.

وقال عليه السلام فيما ختم به السجل الشريف المذكور:

انفذنا اليك من اعلامنا المنصورة سبعة اعلام تنشرها عند الاحتياج اليها، فما نشرت على المؤمنين بموقف الا زادهم الله به عزا وحباهم بنصره ، ولا على مشرك الا اذلّته بعزها وقهرته بقدرة المنعم علينا بما هو اهله، عرّفك الله ومن قبلك من المؤمنين بركتها وادالكم على عدوكم ، وشفى غيظ صدورنا بكم وباخوانكم حتى لا يبقى على الارض الا من يدين بطاعة الله الاحد ، فيكون الدين كله لله كما وعد، انه لا يخلف الميعاد.

ونحن نخصّك ومن قبلك من المؤمنين بالسلام الطيب ورحمة الله وبركاته.

وكتب يوم الاحد لاحدى عشرة ليلة بقيت من شهر رمضان سنة اربع وخمسين وثلاثمائة ، وصلى الله على محمّد نبيه وصفوته من بريته وعلى ابرار عترته ، وسلّم كثيرا .

فهذا من خبر ما كان في السند من ظهور رايات امير المؤمنين المعز لدين الله ص ع وظهور دعوته وعلو سلطانه ومملكته ، وذلك مصداق ما روي بالاسناد عن الحنوي عن سلمان وحذيفة اليمان يرفعون في الرواية الى امير المؤمنين علي عليه السلام : ان تمام امر آل محمد عند ظهور رايات تخرج من السند . قال القاضي النعمان بن محمد رضوان الله عنه فيما اتى عنه بعد ذكر هذا الحديث :

ودعوة ولي الزمان قد ظهرت بالسند وغزى اولياؤه بها وغلب داعيه هناك على صاحب مملكة السند فقتله ، وكان على المجوسية ، وقتل رجاله ، وهدم الصنم الذي كانوا يعبدونه ، وجعل الهيكل الذي كان فيه مسجدا جامعا ، وعزّ سلطانه ، وذلك بحول الله وقوته، يشهد بانجاز وعده لاوليائه ، على ما جاء في الخبر من ظهور رايات السند اذ قد ظهرت رايات السند في دعوة اولياء الله هناك ، وعز اهلها وظهر سلطان ولي الزمان.

خروج القائد جوهر الى مصر[[10]](#footnote-10)

واما امر مصر وخروج القائد جوهر المعزّي اليها وما هيأه الله لوليه وابن نبيه من فتحها والاستيلاء عليها فانها كانت مصر قد صار ملكها للاخشيدية والخطبة فيها والدعوة للخلفاء العباسية ، فلما مات الاخشيد وله ولدان صغيران صار ملك مصر وامرها الى عبده الاستاذ كافور ، وكان خصّيا ، فملك امرها وهو خادم لسيديه انوجور وعلي ابني الاخشيد ، وكان الحل والربط والتقديم والتأخير اليه دونهما ، ثم نزل بهما الموت فخلص الامر لكافور ، وعقد له المطيع العباسي على مصر دون الاخشيدية ، فهدى الله كافورا الى ولاية الائمة من اهل بيت الرسول وطاعة امير المؤمنين المعز لدين الله عليه السلام فاخذ عليه العهد على يد الداعي لامير المؤمنين عليه السلام بمصر ودخل في الدعوة وكاتب امير المؤمنين بالطاعة له والعمل بامره .

فامره امير المؤمنين بالابتداء في العمارة بالقاهرة ، فخرج الى حيث رسم له الامام ، فوجد فيه اساس بناء قديم فشرع في عمارته واخذ في البناء ، ثم اتته الوفاة وهو في اول العمارة ، وبلغت وفاته امير المؤمنين فترحّم عليه وتوسّل الى الله عز وجل في المغفرة له.

واجتمعت الاخشيدية والكافورية اعوان مصر حين وفاة كافور الاستاذ فعقدوا الولاية في مصر واعمالها لاحمد بن علي بن الاخشيد، وعمره يومئذ احدى عشرة سنة ، على ان يخلفه ابن عم ابيه الحسن بن عبد الله بن طغج ، وعلى ان تدبير الرجال والعساكر الى شموأل الاخشيدي ، وتدبير الاموال الى جعفر بن الفرات الوزير، وكافور لم يدفن ، ثم اخرجوه الى قبره يوم الثلثاء لعشر بقين من جمادى الاخرى سنة سبع وخمسين وثلاثمائة ، ومدة ملك الاستاذ كافور مصر احدى وعشرون سنة وشهران وعشرون يوما، وكان الامر له من هذه السنين بعد وفاة ابني سيده سنتين واربعة اشهر وتسعة ايام .

ودعى بعد موت كافور لاحمد بن علي بن الاخشيد على المنابر بمصر والشام والحرمين، ومن بعده للحسن بن عبيد الله ابن طغج .

وثارت القرامطة بالشام واضطربت امر مصر وقبض الحسن بن عبيد الله على الوزير جعفر بن الفضل واجتمع الاولياء وجماعة من وجوه اهل مصر معهم فكتبوا الى امير المؤمنين المعز لدين الله عليه السلام يستدعونه لانفاذ العساكر اليهم ، ويذكرون له قوة الروم والافرنج من النصارى والمشركين، وقبام القرامطة بالشام وضعف اهل الاسلام ويستغيثون به ويستصرخونه .

وكان القائد جوهر قد اعتلّ علة عظيمة اشفى فيها على الهلاك ويئس من برءه ، فقال امير المؤمنين المعز لدين الله عليه السلام : لا تغتموا لاجله ولا تخشوا عليه ، فانه سيبرأ من علته ويفتح الله مصر على يديه ، فعوفي القائد عن علته تلك ، وكان برءه اول امارات الفتح وبشارات النصر. وقد ذكر القاضي ابن الخلكان في تاريخه قال :كان المعز يقول لعلي بن النعمان : انت قاضي مصر ، قال ابن خلكان : فوافق ذلك المقدور ، وكان ذلك من المعز استشرافا للامر ورجاء له ، ولم يعلم ابن خلكان ان ذلك من علم النبوة ومما ورث عن امير المؤمنين علي عليه السلام عن رسول الله صلع مما نبأه به الروح الامين عن رب العالمين ، فقد قال امير المؤمنين علي ابن ا بي طالب عليه السلام : ما من فئة تهدي مائة وتضل مائة الا وانا اعرف قائدها وسائقها وناعقها، وذلك العلم متوارث بين ذريته وباق في عترته ، ولن يخلي الله ارضه ممن يقوم بحجته[[11]](#footnote-11).

وحين وردت وفاة كافور الى الامام المعز وكتب الاولياء ووجوه اهل مصر، اخذ في تجهيز العساكر وجمعها ، وقدّم القائد جوهرا عبده على جميعها ، فبرز جوهر الى رقّادة ، قال الحسن بن زولاق في سيرة جوهر فخرج جوهر القائد في اكثر من مائة الف ، وبين يديه اكثر من الف ومائتي صندوق من المال في سنة ثمان وخمسين وثلاثمائة[[12]](#footnote-12) . (قال) وكان امير المؤمنين المعز لدين الله عليه السلام يخرج الى جوهر في كل يوم ويخلو به، وامر ان يأخذ من فنون الاموال ما يريد ، زيادة على ما اعطاه.

وقال صاحب سيرة الاستاذ جوذر مولى الائمة ص ع : وحين تصرّف مولانا في اخراج العساكر الى المشرق واحتاج الى الانفاق في ذلك اقتضت امانة الاستاذجوذر ذكر ما توفّر عنده من حسن نظره في شيء باعه من الخزائن ، واستخراج بقايا الاموال مع ما اضاف الى ذلك من مال نفسه عملا وتقرّبا ، وكان مبلغ ذلك مائة الف دينارٍ من الذهب ، واثنين وعشرين الف درهم بعث بذلك الى مولانا المعز لدين الله صلوات الله عليه ، فاجابه مولانا عن جواب كتاب كتبه اليه في شرح ذلك بما هذه نسخته:

يا جوذر سلّمك الله ، وقفنا على ما ذكرته ، فنسأل الله ان يهبك من رضاه وحنانه ومغفرته ما يستغرق املك ، وان يحسن اليك ، وان يحسن منّا جزاءك ويكشف ضرّك حتى تشاهد معنا حج بيت الله الحرام ظاهرا كما حججته باطنا ، وترى في مخازننا من الاموال الحلال ما يكون لنا في جمعه الاجر عند الله ، والخزي لاعدائنا في الدنيا ، فما يعبد الناس غير الجماد ، والذي يلزمنا من الاخراج فهو والله شيء لو كان من ماء البحر لما كان عجبا ، ولا يتوفّر علينا ، بل الكل اعوان على التمزيق والاخراج ، وقد توصّلنا فيما لا يمكننا التقصير عن بلوغ الغاية فيه، فاسأل الله ان يتقبّله منا ويجعله لوجهه خالصا ، وبقاء هذا الذي ذكرته من الاموال عندك مع ما تقرّبت به قبل الله سعيك واجزل من رضاه حظك ، فكن اوفر واحوط عليه من غيرك فابقه عندك ان شاء الله.

وركب امير المؤمنين عليه السلام يوما الى المعسكر وجلس في فازة جوهر ، وجوهر قائم بين يديه ، وقال عليه السلام للمشائخ الذين اخرجهم مع القائد جوهر : والله لو خرج جوهر بسوطه وحده لفتح مصر ، ولتدخلن الى مصر آمنين بالاردية تسلّمون على اهل مصر ، ولينزلن جوهر في خرابات ابن طولون ويبتني مدينة القاهرة تقهر الدنيا

ثم تقدّم المعز لدين الله الى جوهر بالمسير فرفع من غده وخرج اليه امير المؤمنين الى رقّادة ، ووقف على فرسه ، وقد رفعت فازة جوهر والخيم ، فوقف جوهر بين يديه وهو على فرسه مكبا عليه يسارّه ،ثم التفت المعز الى اولاده فقال : ودعوا جوهرا ، فنزلوا ونزل اهل الدولة لنزولهم فودّعوه ، فلما فرغ الوداع قبّل جوهر يد امير المؤمنين ورجله وحافر فرسه ، ثم قال له امير المؤمنين : اركب فركب فرسا ووقف راكبا ، وامير المؤمنين يوصيه ويحدّثه وهو على فرسه وجوهر راكب طويلا ، ثم وقف امير المؤمنين وقال له: سر ، فحوّل القائد وجهه يريد العسكر .

ورجع امير المؤمنين الى قصره ، ونزع الخلعة التي كانت عليه وانفذها الى جوهر الا السراويل والخاتم ، وكان خروج القائد من افريقية يوم السبت رابع عشر من شهر ربيع الآخر سنة ثمان وخمسين وثلاثمائة.

وقال محمد بن هانئ الاندلسي يمدح القائد جوهرا ويذكر توديعه وتشييعه ويصف الجيش من قصيدة طويلة :

رأيت بعيني فوق ما كنت اسمع \* وقد راعني يوم من الحشر اروع

غداة كأن الافق سدّ بمثله \* فعاد غروب الشمس من حيث تطلع

فلم ادر اذ سلّمت كيف اشيّع \* ولم ادر اذ شيّعت كيف اودّع

وكيف اخوض الجيش والجيش لجة \* واني بمن قد قاده الدهر مولع

واين ومالي بين ذا الجمع مسلك \* ولا لجوادي في البسيطة موضع

الا ان هذا حشد من لم يذق له \* غرار الكرى جفن ولا بات يهجع

ومنها :

فلا عسكر من قبل عسكر جوهر\* تخبّ المطايا فيه عشرا وتوضع

تسير الجبال الجامدات بسيره \* وتسجد من ادنى الحفيف وتركع

اذا حلّ في ارض بناها مدائنا \* وان سار عن ارض ثوت وهي بلقع

ويقول فيها :

الى ان تبدّى سيف دولة هاشم \* على وجهه نور من الله يسطع

كأن ظلال الخافقات امامه \* غمائم نصر الله لا تتقشع

كأن السيوف المصلتات اذا طمت \* على البر بحر زاخر الموج مترع

كأن انابيب الصعاد اراقم \* تلمّظ في انيابها السم منقع

كأن العتاق الجرد مجنونة له \* ظباء ثنت اجيادها وهي تتلع

كأن الكماة الصيد لمّا تغشمرت \* حواليه اسد الغيل لا تتكعكع

كأن حماة الرجل تحت ركابه \* سيول نداه اقبلت تتدفّع

كأن سراع النجب تنشر يمنة \* على البيد آل في الضحى يترفع

كأن صعاب البخت اذ ذلّلت له \* اسارى ملوك عضّها القدّ ضرّع

كأن خلاخيل المطايا اذا غدت \* تجاوب اصداء الفلا تترجّع

يهيّج وسواس البرين صبابة \* عليها فتغرى بالحنين وتولع

لقد جلّ من يقتاد ذا الخلق كلّه \* وكل له من قائم السيف اطوع

تحفّ به القوّاد والامر امره \* ويقدمه زيّ الخلافة اجمع

ويسحب اذيال الخلافة رادعا \* به المسك من نشر الهدى يتضوّع

له حلل الاكرام خصّ بفضلها \* نسائج بالتبر الملمّع تلمع

برود امير المؤمنين بروده \* كساه الرضى منهنّ ما ليس يخلع

وبين يديه خيله بسروجه \* تقاد عليهن النضار المرصّع

واعلامه منشورة وقبابه \* وحجّابه تدعى لامر فتسرع

مليك ترى الاملاك دون بساطة \* واعناقهم ميل الى الارض خضّع

قياما على اقدامها قد تنكّبت \* صوارمها كلّ يطيع ويخضع

تحل بيوت المال حيث يحلّه \* وجم العطايا والرواق المرفّع

اذا ماج اطناب السرادق بالضحى \* وقامت حواليه القنا تتزعزع

وسلّ سيوف الهند حول سريره \* ثمانون الفاً دارع ومقنّع

رأيت من الدنيا اليه منوطة \* فيمضي بما شاء القضاء ويصدع

وقال ايضا من قصيدة وقد رجع من تشييع العسكر وانشدها بحضرة امير المؤمنين عليه السلام ويعتذر لتخلّفه عن المسير

فشيّعت جيش النصر تشييع مزمع \* وودّعته توديع غير مصارم

وقد كدت لا ألوي على من تركته \* ولكن عداني ما ثنى من عزائمي

ولو انني استأثرت بالاذن وحده \* لسرت ولم احفل بلومة لائم

طربت الى يوم اوفّيه حقّه \* ليعلم اهل الشعر كيف مقاومي

اصبّ الى مصر لساعة مشهد \* يعضّ لها غيّابها بالاباهم

فان لم اشاهد يومها ملأ ناظري \* اشاهده ملأ السمع ملأ الحيازم

وقد صوّرت نفسي لي الفتح صورة \* وشامته لي من غير نظرة شائم

كذاك اذا قام الدليل لذي النهى \* على كون شيء كان ضربة لازم

على انّني قضّيت بعض مآربي \* وأقررت عيني بالجيوش الخضارم

وآنست من انصار دولة هاشم \* جحاجحة تسعى لدولة هاشم

ويمّمت في طرق الجهاد سبيلهم \* لاصلى كما يصلون لفح السمائم

فللّه ما ضم السرادق والتقت \* عليه ظلال الخافقات الحوائم

فثمّ مصابيح الظلام وشيعة الـ \* إمام واسد المأزق المتلاحم

وفي الجيش ملآن به الجيش باسط \* يديه بقسطاس من العدل قائم

مدبّر حرب لا بخيل بنفسه \* عليها ولا مستأثر بالغنائم

ولا صارف راياته عن محارب \* ولا ممسك معروفه عن مسالم

وللصارخ الملهوف اوّل ناصر \* وللمترف الجبّار اول قاصم

رضاك ابن وحي الله عنه فانه \* رعى اولياء الله رعي السوائم

اذا اختلفوا في الامر الّف بينهم \* طبيب بادواء النفوس السقائم

فلا رأيه في حالة يتبع الهوى \* ولا سمعه مستوقف للنمائم

جزته جوازي الخير عنهم فانه \* سقاهم بشؤبوب من العدل ساجم

فقد سار فيهم سيرة لم يسر بها \* من الناس الا مثل كعب وحاتم

افاء عليهم ظل ايّامك التي \* زهين بايام العلى والمكارم

وما غال جيش الشرق قبل غائل \* ولا سيّما بعد العطايا الجسائم

وبعد صلات ما رأى الناس مثلها \* ولا حدّثوا في السالف المتقادم

فلا يسألني من تخلّف عنهم \* فيقرع في آرائه سنّ نادم

لعمري هم انصار حق وكلهم \* من المجد في بيت رفيع الدعائم

لقد اظهروا من شكر نعمة ربّهم \* وقائدهم ما لست عنه بنائم

واني قد حمّلت منهم نصائحا \* كرائم تهدى عن نفوس كرائم

اليك امير المؤمنين حملتها \* ودائع كالاموال تحت الخواتم

شهدت بما ابصرته وعلمته \* شهادة برّ لا شهادة آثم

فقمت بها عن ألسن القوم خطبة \* اذا ذكرت لم تخزهم في المواسم

وسار جوهر بعساكر امير المؤمنين وجيوشه حتى انتهى الى برقة ، فلقيه عاملها من قبل امير المؤمنين افلح الناشب مترجّلا ماشيا ، وكان امير المؤمنين قد تقدّم اليه بذلك[[13]](#footnote-13) .

قال ابن حوقل البغدادي : برقة بالفتح مدينة وسيطة بين مصر والقيروان برية بحرية جليلة ذات مال جم وضروب تجارة ، وشراب اهلها من برك يستنقع فيها ماء المطر ، ذات كور عامرة في بقعة فسيحة ، مسيرة يوم في مثله ، ويحيط بالبقعة جبل من سائر جهاتها ، وارضها حمراء التربة ، وثياب اهلها حمراء ابدا ، يعرفون بذلك، وحولها بربر كثير.

وكان افلح من برقة قد وطأ البلاد واستعمل الجهاد لمن خالف امير المؤمنين عليه السلام من البربر وغيرهم ، ومن يلي مصر من القبائل كبني قرّة وسواهم من الاعراب ، وفي ذلك يقول محمد بن هانئ من قصيدة مدحه بها :

بك دان ملك المشرقين واهله \* واناب بعد النكث والخلعان

فبعزمك انهدّت قوى اركانها \* وبقربك امتدّت الى الاذعان

وطأت بالغارات مركب عزّها \* والجيش حتى ذلّ للركبان

فاليك ينسب حيث كنت وانما \* فخر الصلي لقادح النيران

عصفت على الاعراب منك زعازع \* سفكت دم الاقران بالاقران

ما قرّ اعين آل قرّة مذ سقوا \* بك ما سقوه من الحميم الآني

وقبيلة قتّلتها وقبيلة \* اثكلتها بالبرك في الاعطان

اخلى البحيرة منهم والبيد ما \* خسف الصعيد بشدّة الرجفان

فشغلت اهل الخيم عن تطنيبها \* واسمتهم شردا مع الظلمان

وسمت الى الواحات خيلك ضمّرا \* حتى انتهت قدما الى أسوان

ووردت الاخبار الى مصر بمسير جوهرفي الجيوش المعزّية والجنود والعساكر المغربية فبهتوا وهلعوا ، واتّفق وجوههم وامراؤهم ، فحضر جعفر بن الفضل الوزير وكان الحسن بن عبيد الله بن طغج قد اطلقه وقلّده امر مصر وعاد الى الشام ، فشاور جعفر بن الفضل الجماعة ، فكلّهم رأى المراسلة الى جوهر بالصلح والامان ، ولم يختلف في ذلك منهم اثنان، فعندها طلبوا الشريف ابا جعفر مسلم بن عبيد الله الحسيني ان يكون رسولهم الى القائد ، ومتوسطا بنيهم وبينه في الصلح ، فاجابهم الى ذلك وشرط ان يكون معه الشريف ابراهيم بن احمد الحسني الرّسي وابو الطيب عباس ابن محمد العبّاسي والقاضي بمصر ابو طاهر محمّد بن احمد ، فطلبهم جعفر بن الفضل وامرهم بالمسير الى جوهر مع الشريف مسلم بن عبيد الله الحسيني ، وكتب ابن الفضل الوزير كتابا الى جوهر القائد بما يريد ، وكتب الجماعة كذلك ، وسار مسلم فيمن معه الى القائد في يوم الاثنين لاحدى عشرة ليلة بقيت من رجب سنة ثمان وخمسين وثلاثمائة ، فوصلوا الى القائد وهو بترّوجة ، فادوا اليه ما به ارسلوا فاجابهم بما طلبوا واسعفهم بجميع ما سألوا ، وكتب لهم كتابا هذا فصّه :

باسم الله الرحمن الرحيم

هذا كتاب من الجوهر القائد الكاتب عبد امير المؤمنين المعزّ لدين الله صلوات الله عليه لجماعة اهل مصر والساكنين بها من غيرها

انه ورد من سألتموه الترسّل اليّ والاجتماع معي وهم : الشريف ابو جعفر اطال الله بقائه ، وابو اسماعيل الرّسّي ايّده الله ، وابو الطيب الهاشمي ايّده الله، والقاضي اعزّه الله ، فذكروا عنكم انّكم التمستم كتابا يشتمل على امانكم في انفسكم واموالكم وبلادكم ونعمكم وجميع احوالكم ، فعرّفتهم ما نفذ به امر مولانا عليه السلام وحسن نظره لكم ، لتحمدوا الله على ما اولاكم وتشكروه على ما حباكم ، وتدأبوا فيما يلزمكم ، وتسارعوا للطاعة المفضية بالسلامة لكم ، وهو انّه ص ع لم يكن اخراجه لهذه العساكر المنصورة والجيوش المظفّرة الا لما فيه اعزازكم وحمايتكم والجهاد عنكم ، اذ قد تخطّفتكم الايدي ، واستطال عليكم المشرك، واطمعته نفسه بالاقتدار على بلادكم في هذه السنة والتغلّب عليكم والاحتواء على نعمكم واموالكم حسب ما فعله في غيركم من اهل بلدان المشرق ، وتأكّد عزمه واشتد كلبه ، فعاجله مولانا وسيدنا المعز لدين الله عليه السلام باخراج العساكر المنصورة وبادره بانفاذ الجيوش المظفرة ليقاتله دونكم ويجاهد عنكم وعن كافة المسلمين ببلدان المشرق ، الذين عمّهم الخزي وغلبتهم الذلة واكتنفتهم المصائب وتتابعت لديهم الرزايا واتصل عندهم الخوف ، وكثرت استغاثتهم وعظم ضجيجهم وعلى صياحهم فلم يغثهم الا من ارمضه امرهم وامضّه حالهم وابكى عينه ما نالهم واسهره ما حلّ بهم : وهو سيدنا ومولانا امير المؤمنين صلوات الله عليه ، ورجى بفضل الله واحسانه لديه وما عوّده واجراه عليه ، ان يؤمن من استولى عليه الوهل ، ويفرخ روع من لم يزل في خوف ووجل ، وآثر اقامة الحج الذي تعطّل واهمل العباد فروضه وحقوقه ، للخوف المستولى عليهم ، اذ لا يأمنون على انفسهم ولا على اموالهم وقد اوقع بهم مرّة بعد اخرى فسفكت دماؤهم وابتزّت اموالهم ، مع اعتماد ما عاد به صلاح الطرقات ونفي الفساد عنها وقطع عيث العائثين فيها ، ليتطرّق الناس وينبسطوا وليختلفوا بالاطعمة والاقوات ، اذ كان قد انتهى اليه انقطاع طرقاتها ومادّتها بالخوف ، واذ لا زاجر للمعتدين ، ولا دافع للظالمين، ثم تجويد السكّة وصرفها الى العيار الذي عليه السكّة الميمونة المنصورية المباركة، وقطع الغش منها ، اذ كانت من الثلاث الخصال التي لا ينبغي لمن ينظر في امور المسلمين الا اصلاحها واستفراغ الوسع فيما يلزمه منها .

وعرّفتهم ما اوعز به سيدنا ومولانا امير المؤمنين عليه السلام الى عبده من بسط العدل واظهار الحق وحسم الظلم وقطع العدوان ونفي الاذى ورفع المؤن ، والمساواة في الحق واغاثة المظلوم ودفع الظلوم وايثار الحق والتقريب والاشفاق وجميل النظر وكريم الصحبة ولطيف العشرة، وافقتاد الاحوال ، وحياطة اهل البلد في ليلهم ونهارهم ، وحين تصرّفهم في اوان ابتغاء المعاش حتى لا تجري امورهم الا على ما لمّ شعثهم واقام اودهم واصلح بالهم وجمع قلوبهم والّف كلمتهم على طاعة ولي الله مولانا وسيدنا امير المؤمنين صلوات الله عليه، وما امر به مولانا من اسقاط الرسوم الجائرة التي لا يرتضي اثباتها عليكم ، وان اجريكم في المواريث على كتاب الله ع ج وسنة نبيه صلع واضع ما يؤخذ من تركة موتاكم لبيت المال من غير وصية به من المتوفى ولا استحقاق يصيّره الى بيت المال ، وان اتقدّم في رمّ مساجدكم وتزيينها بالفرش والايقاد ، واعطاء مؤذنيها وقومتها ومن يؤم الناس فيها ارزاقهم وادرّها علهيم ولا اقطعها عنهم ، ولا ادفعها الا من بيت المال ، لا باحالة على ما يعطى منهم.

وعندما ذكر عبد امير المؤمنين ما ضمّنه كتابه هذا لمن ترسّل عنكم ايدهم الله وصانهم اجمعين على طاعة مولانا وسيدنا امير المؤمنين ، ذكروا انكم ذكرتم وجوها التمستم ذكرها في كتاب امانكم ، وذكرتها اجابة لكم وتطييبا لانفسكم . بل لم يكن لذكرها معنى ، ولا في نشرها فائدة ، اذ كان الاسلام سنة واحدة وشريعة متّبعة : وهي اقامتكم على مذهبكم ومذاهب المسلمين ، وان تتركوا على ما كنتم عليه من اداء الفروض في العلم والاجتماع عليه في مساجدكم وجوامعكم ، وثباتكم على ما كان عليه سلف الامة من الصحابة رضي الله عنهم والتابعين بعدها وفقهاء الامصار الذين جرت الاحكام بمذاهبهم وفتواهم ، وان يجري فرض الاذان والصلوة وصيام شهر رمضان وفطره وقنوت لياليه والزكوة والحج والجهاد على ما امر الله تعالى في كتابه وفرضه محمد صلع في سنته ، واجراء اهل الذمة على ما كانوا عليه.

ولكم امان الله التام الدائم المتصل الشامل الكامل المتجدّد المتأكد على مرور الايّام وكرور الاعوام ، قليلكم وكثيركم ، وعلى ان لا يعترض عليكم معترض ولا يتجنى عليكم متجنّ ولا يتعقّب لديكم متعقّب ، وعلىانكم تصانون وتحفظون وتحرسون، ونذبّ عنكم ونمنع منكم ، ولا ننزل على اذاكم ولا نساعد احدا من الاعداء عليكم ، ولا في الاستطالة على قويكم فضلا عن ضعيفكم ، وعلى ان لا ازال مجتهدا فيما يعمّكم صلاحه ويشملكم نفعه ويتّصل بكم خيره وتتعرفون بركته وتغبطون منه بطاعة مولانا وسيدنا امير المؤمنين صلوات الله عليه.

ولكم الوفاء بما ألزمت به نفسي واعطيتكم اياه من عهد الله وغليظ ميثاقه وذمّته وذمّة انبيائه ورسله وذمة الائمة موالينا آباء مولانا امير المؤمنين، وذمّة مولانا وسيدنا امير المؤمنين المعزّ لدين الله ص ع وذمة عبده ومملوكه .

وعلى انكم تظهرون طاعة مولانا وسيدنا امير المؤمنين ص ع وتصرّحون بها وتعلنون بالانصراف اليها ، وتخرجون اليّ وتسلّمون علي وتكونون بين يديّ ، الى ان اعبر الجسر وانزل في المناخ المبارك ، وتحفظون وتحافظون من بعد على الطاعة ، وتثابرون عليها ، وتسارعون الى فروضها ، ولا تخذلون وليا لمولانا وسيدنا امير المؤمنين ص ع ولا تنصرون له عدوا وتقيمون على ما عوهدتم عليه وتلزمون ما امرتم به .

وفقكم الله وارشدكم اجمعين.

وبخطّ جوهر كان هذا الامان في شعبان سنة ثمان وخمسين وثلاثمائة ، وصلى الله على محمد وآله اجمعين.

وكتب القائد جوهر ايضا بخطه :

قال جوهر الكاتب عبد امير المؤمنين صلوات الله عليه وعلى آبائه الطاهرين وابنائه الاكرمين المنتظرين الى يوم الدين، كتبت هذا الامان على ما نفذ به امر مولانا وسيدنا امير المؤمنين ص ع ، وعليّ الوفاء بجميعه لمن اجاب من اهل البلد وغيرهم على ما شرط فيه .

والحمد لله رب العالمين ، وحسبي الله ونعم الوكيل ،وصلى الله على محمد النبي وآله الطيبين.

وكتب جوهر بخطّه بالتاريخ المذكور وكتب الشهود خطوطهم وهم : الشريف ابو جعفر مسلم بن عبد الله بن طاهر الحسيني ، والشريف ابو اسماعيل ابراهيم بن احمد الحسني الرّسي ، وابو الطيب العباس بن احمد الهاشمي ، والقاضي ابو طاهر محمد بن احمد ، وابنه ابو يعلي محمد بن محمد ، وابو بكر محمد بن مهلّب ، وابو محمد عمرو بن الحارث المالكي.

واكرم جوهر نزل الجماعة وكانوا في ضيافته ، وكان يتلقى الشريف ابا جعفر اذا جاء اليه ويخرج معه اذا انصرف من عنده الى ان يركب ،

وكانت الاخشيدية والكافورية بعد مسير الرسل الى القائد جوهر قد ندموا على الصلح وعزموا على القتال واخذوا في تعبئة العساكر واخرجوا مضاربهم ، واتصل بالشريف مسلم والجماعة الذين معه ، وهم عند القائد جوهر ، انتقاض الصلح وما عزم عليه اهل مصر من القتال ، فكتموا عن القائد خوفا من ان يعتقلهم وبادروا الى توديعه ، فاجازهم وخلع عليهم وحملهم واعطى كل واحد منهم عشرة آلاف درهم.

وبلغ القائد جوهرا بعد انصرافهم انتقاض الصلح ، فسار فلحق بالجماعة بمحلة حفص فقال لهم : بلغني ان القوم قد رجعوا عما سألوكم ، فردّوا علي خطي

فرفقوا به وداروه وقالوا : اذا يظفرك ا لله وينصرك.

فقال للقاضي ابي طاهر : مسألة

قال ابو طاهر : ما تقول ؟

فقال له القائد : ما تقول فيمن اراد ان يشق مدينة مصر ويجعلها طريقا لجهاد المشركين فمنعوه؟ ايجوز ان يقاتلهم ؟

قال القاضي : نعم .

فقال القائد : هات خطك وضحك

فقال القاضي :اذن يكفيك الله

وكانوا قد خافوه فودعهم وانصرفوا عنه آمنين .

ووصل الشريف ابو مسلم ومن معه الى مصر لسبع خلون من شعبان سنة ثمان وخمسين وثلاثمائة . فركب اليه الوزير بن الفضل ، واجتمعت عنده الاخشيدية والكافورية وغيرهم ، فقرأ عليهم السجلّ الذي كتبه القائد ، واوصل الى كل واحد جواب كتابه بما اراد من الامان والاقطاع والولاية ، واوصل الى ابي الفضل الوزير كتابه بألطف كتاب يخاطب به الوزراء .

ولما قرأ عليهم الشريف السجلّ امتنعوا من الصلح ، فقال نحرير : ما بيننا وبينه الا هذا السيف ، وتكاثرت الاخشيدية والكافورية ودخل اتباعهم وضاقت الدار بهم ، وتحاوروا مليا ثم قالوا : انّا لا نقاتل الا بامير، فامّروا نحرير شويزان عليهم ، وهو الاصغر ، ونحرير الكبير ممن سلّم بالامارة عليه، واستخانوا ابا الفضل الوزير فخرج عنهم وخرج عنهم الشريف مسلم ، ثم ان الشريف مسلما ردّ خط جوهر على ما شرط عليه.

واخذ القوم في تعبئة العساكر ثم ساروا عسكرا بعد عسكر الى الجيزة والجزيرة ، وتتابعت العساكر بالدروع والجواشن والسلاح ، ونزل نحرير بالجزيرة وحفظوا الجسور ، وابتدأ القتال بالجزيرة في اليوم الحادي عشر من شهر شعبان، واسر رجال واخذت خيل من عسكر القائد جوهر ، ولمّا ضبطوا الجسر مضى القائد جوهر الى منية الصيّادين ، فلما ضاقت الاخشيدية والكافورية ان يعبروا من المخاضة نصبوا مزاحم بن رائق لحفظ المخاضة ، فانصرف ابن رائق وترك المخاضة . فثارت الكافورية والاخشيدية الى المخاضة يوم الاحد وتركوا مفلحا الوهباني وكانوا في قوة من العدد والعدة ، وكان مسيرهم الى المخاضة يوم الاحد للنصف من شعبان فحصلوا بمينة شلقان. فلمّا رآهم القائد جوهر قال لابي الفضل جعفر بن فلاح : يا جعفر لهذا اليوم ارادك امير المؤمنين المعز لدين الله ، فعبر جعفر بن فلاح وهو في مركب ومعه الرجال خوضا حتى خرجوا اليهم ، فوقع بينهم القتال وتلاقى الرجال وتفانى الابطال ، فقتل خلق من الاخشيدية واتباعهم ، وانهزمت الجماعة في الليل ودخلوا الى مصر الى دورهم فاخذوا ما قدروا عليه ، وانهب نحرير شويزان المؤمّر عليهم من حضره داره وما فيها ثمّ سار غداة الاثنين سادس عشر من شعبان فارّا الى الشام ، واما نحرير المسمّى الكبير فانه قتل بتلك المعركة في المخاضة .

واصبح الناس على خوف شديد ، وخرجت حرم الاخشيدية والكافورية من دورها حافية ماشية ، وجاء ابو محمد الروذباري عامل الخراج وابو محمد الفرغاني وسائر الناس فزعين جزعين ،يهرعون الى الشريف مسلم الحسيني فآنسهم وقال : وانا قد لقينا هذا الرجل يعني جوهر القائد ،وانا قد وثقنا بعقله وحلمه، فسألوه ان يكتب الى القائد في اعادة الامان كما طلبوا ، ثم سألوه ان يزيد كتابا غير ذلك ففعل، وارسل رسولا آخر على نجيب ،وجلس الناس عند الشريف مسلم ينتظرون الجواب ، ثم جاءت جماعة من اهل مصر كانوا خرجوا الى القائد جوهر فامرهم بامان الناس ، وارسل معهم رجلا من عيون رجاله ومعه بند ابيض مكتوب عليه اسم امير المؤمنين المعزّ عليه السلام ، وبين يديه الاجراس ، يؤمنون الناس ويمنعون من النهب ، فلم ينهب ولم يغصب على احد شيء ، وهدأ الناس وفتحوا دورهم وحوانيتهم وقامت الاسواق كأنها لم تكن فتنة .

ولمّا كان آخر النهار ورد الجواب من القائد جوهر المعزّي الى الشريف مسلم مع رسوله فقرأه مسلم لنفسه ثمّ جهر بقراءته على الناس وهو ما هذا فصّه :

باسم الله الرحمن الرحيم ، وصل كتاب الشريف اطال الله بقائه وادام عزّه وتأييده وتمكينه يهنّئ بما هيّأه الله من الفتح المبارك ، وهو ايده الله المهنّأ بذلك لأنها دولته ودولة اهله ، وهو المخصوص بذلك.

وامّا ما سأل من الامان واعادة الامان الاول فقد اعدت اليه ما طلب ، وجعلت اليه عن مولانا وسيّدنا امير المؤمنين صلوات الله عليه ان يؤمّن الناس بما شاء كيف شاء . وقد كتبت الى الوزير بالاحتياط على دور الهاربين الى ان يدخلوا في الطاعة ، وفيما دخلت فيه الجماعة.

ويعمل الشريف ايّده الله على لقائي يوم الثلثاء لسبع عشرة تخلو من شعبان بجماعة الاشراف والعلماء واهل البلدان ان شاء الله .

فلما قرأ الشريف كتاب القائد على الناس فرحوا واطمأنوا وانصرفوا متأهبين للقائه ، وزال عنهم من الخوف ما عراهم ، وقال رسول الشريف الذي ارسله الى القائد للشريف : اني وجدت عند القائد رأس نحرير الكبير ومبشّر وبلال الطنبائي ، ويمن الطويل في طشت فضة ، وؤوسا كثيرة مطروحة في ناحية الفازة ، ولم يكن صحّ للشريف من قتل ومن نجى.

ثم خرج يوم الثلثاء لسبع عشرة خلت من شعبان الشريف مسلم الحسيني وابو الفضل جعفر بن الفضل الوزير وجماعة اهل مصر الى الجيزة ، فلما اجتمعوا مع القائد جوهر نادى مناديه : ينزل الناس كلهم الا الشريف والوزير ، فنزل الناس كلهم وسلّموا على القائد واحدا واحدا ، وابو جعفر احمد بن نصر يعرّفه بالناس ، ومسلم الحسيني عن يمينه، وابو الفضل الوزير عن يساره ، وهم على دوابهم حتى سلّموا عن آخرهم.

ودخل القائد جوهر المعزّي مدينة مصر يوم الثلثاء لسبع عشرة خلت من شهر شعبان، احد شهور سنة ثمان وخمسين وثلاثمائة ، وابتدأ الناس بالدخول منذ زوال الشمس فعبروا الجسور بالدروع والجواشن، ودخلت القباب والمحامل والرأيات ، ودخل وجوه العسكر بالاردية يسلّمون على الناس كما وعدهم امير المؤمنين المعز لدين الله صلوات الله عليه يوم وداعهم له ، ودخل بين يدي القائد جوهر الف ومائتا صندوق من المال.

ثم دخل القائد جوهر بعد العصر ، وبنوده بين يديه وطبوله وعليه قميص ديباج مثقّل وشقّ المدينة ونزل في مناخه ثم اختار موضع القاهرة المعزّية واخذ في بناء سورها وتحصينها، واقام العسكر يدخل سبعة ايام من اول يوم الثلثاء الى آخر يوم الاثنين، وكان فتحا عظيما اتاحه الله لوليه المعزّ لدينه ، وقضى سبحانه ببسط يده وتمكينه ، وجعله على خزائن الارض كما جعل يوسف بن يعقوب عليها ، والله يمكّن لمن يشاء من اوليائه في الارض ويزويها عمّن يشاء منهم ، اختبارا لعباده ، ليميّز بعضهم من بعض عدلا منه وفضلا وايثارا ، وابتلاء سبحانه واختيارا ، والحمد لله على ما اولى وعافى وابتلى ، وله الآخرة والاولى ، وهو الفاعل لما يشاء.

وازال القائد جوهر امر بني العبّاس عن مصر واعمالها عن المنابر والسكّة والبنود والرسوم ، بعد ان قام امرهم فيها مائتي سنة وخمسا وعشرين سنة وثمانية اشهر ، لان صالح بن علي بن عبد الله ابن العبّاس دخل الى مصر للنصف من ذي الحجّة سنة اثنتين وثلاثين ومائة ، وكان قتل مروان بن محمّد الاموي آخر ملوك بني امية ببوصير لسبع ليال بقين من ذي الحجة من تلك السنة . ولم يزل في مصر امر بني العباس حتى قطعه جوهر القائد ، وازال لبس السواد في الخطبة ، وتلك سنة بني العباس .

ولمّا كان من غد يوم دخول القائد جوهر ، امر علي بن الوليد قاضي عسكره ومعه الشرط ، وبين ايديهم احمال الاموال على البغال ، فطافوا بها والمنادي ينادي : من اراد الصدقة فليأت ففرّقوا تلك الاموال في الصدقات وجاؤوا الى المسجد الجامع العتيق ففرّقوا الصدقات فيه ايضا.

واقرّ القائد جوهر الوزير ابا الفضل جعفر بن الفضل على وزارته ، وكان يركب الى القائد جوهر كل يوم في مناخه.

وفي الجمعة لعشر بقين من شعبان سنة ثمان خمسين ركب جوهر الى المسجد الجامع العتيق لصلوة الجمعة ، وقام الخطيب على المنبر وعليه ثياب بيض فخطب ودعى لامير المؤمنين المعز لدين الله ص ع فقال في الخطبة الثانية :

اللهم صلّ على عبدك ووليك ، ثمرة النبوة وسليل العترة الهادية المهدية ، عبد الله الامام معدّ ابي تميم المعزّ لدين الله امير المؤمنين ، كما صلّيت على آبائه الطاهرين واسلافه المنتجبين ، الائمة الراشدين، اللهم ارفع درجته ، واعل كلمته ، واوضح حجته ، واجمع الامّة على طاعته ، والقلوب على موالاته ، واجعل الرشاد في موافقته ، وورّثه مشارق الارض ومغاربها، وأحمده مبادئ الامور وعواقبها ، فانك تقول وقولك الحق : ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر ان الارض يرثها عبادي الصالحون، فقد امتعض لدينك ولما انهتك من حريمك ، ولما درس من الجهاد في سبيلك ، وانقطع من الحج وزيارة قبر رسولك ، فاعدّ للجهاد عدّته ، واخذ لكل خطب اهبته ، فسيّر الجيوش لنصرك وانفق الاموال في طاعتك وبذل المجهود في رضاك فارتدع الجاهل وقصر المتطاول .

وانصر اللهم جيوشه التي سيّرها وسراياه التي انتدبها لقتال المشركين وجهاد الملحدين والذب عن المسلمين وعمارة الثغور والحرمين ، وازالة الظلم والنهم وبسط العدل في الارض. اللهم اجعل رأياته عالية مشهورة ، وعساكرة مؤيدة منصورة ، واصلح به وعلى يديه ، واجعل لنا منك جنّة واقية عليه ، انك الفعّال لما تريد .

وامر القائد بنقش سكّة الدينار المعزّي ،

وكان في الوجه الواحد: لا اله الا الله محمد رسول الله، ارسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون، علي خير الوصيين ووزير خير المرسلين.

وفي الوجه الآخر : دعىالامام معدّ لتوحيد الاله الصمد ، المعز لدين الله امير المؤمنين ، ضرب هذا الدينار سنة ثمان وخمسين وثلاثمائة

وامر القائد جوهر بالنظر في الخراج ، وجلس بنفسه للمظالم يوم السبت، وكان يحضر مجلسه ابو الفضل جعفر بن الفضل الوزير ، والقاضي ابو طاهر محمد بن احمد ، وجماعة الشهود والفقهاء ، واقرّ جوهر القاضي ابا طاهر على ما كان عليه من القضاء ، وجعل مع كلّ مصري من الشهود مغربيّا.

وبادر القائد جوهر حين استولى على مصر بالكتابة الى امير المؤمنين المعزّ لدين الله عليه السلام يبشّره بالفتح ، وانفذ اليه الرؤوس ، وكتب ابو جعفر مسلم الشريف الحسيني ، وابو الفضل جعفر بن الفضل الوزير ، وكبت جعفر بن فلاح الى امير المؤمنين يبشّره ايضا بالفتح ، فوصل كتاب جعفر بن فلاح قبل كتاب القائد جوهر فسرّ امير المؤمنين وقال للرسول : اكتمه ، ثم وافى كتاب القائد جوهر وانتشر الخبر ، وجلس امير المؤمنين عليه السلام للناس ومجلسا عامّا بالمنصورية فهنّأه الناس وانشد الشعراء بين يديه ، فمن ذلك قول محمد بن هانئ :

تقول بنو العبّاس هل فتحت مصر \* فقل لبني العبّاس قد قضي الامر

وقد جاوز الاسكندرية جوهر \* تطالعه البشرى ويقدمه النصر

وقد اوفدت مصر اليه وفودها \* وزيد الى المعقود من جسرها جسر

فما جاء هذا اليوم الا وقد غدت \* وايديكم منها و من غيرها صفر

فما تكثروا ذكر الزمان الذي خلى \* فذلك عصر قد تقضى وذا عصر

افي الجيش كنتم تمترون رويدكم \* فهذا القنا العراّص والجحفل المجر

وقد اشرفت خيل الاله طوالعا \* على الدين والدنيا كما طلع الفجر

وذا ابن الله يطلب وتره \* وكان حر ان لا يضيع له وتر

ذروا الورد من ماء الفرات لخيله \* فلا الضحل منه تمنعون ولا الغمر

افي الشمس شك انها الشمس بعدما \* تجلّت عيانا ليس من دونها ستر

وما هي الا آية بعد آية \* ونذر لكم ان يغنيكم النذر

فكونوا حصيدا خامدين او ارعووا \* الى ملك في كفّه الموت والنشر

اطيعوا اماما للائمة فاضلا \* كما كانت الاعمال يفضلها البر

ردوا ساقيا لا تنزفون حياضه \* جموعا كما لا تنزف الابحر الذر

فان تتبعوه فهو مولاكم الذي \* له برسول الله دونكم الفخر

والا فبعدا للبعيد فبينه \* وبينكم ما لا يقرّبه الدهر

افي ابن ابي السبطين ام في طليقكم \* تنزلّت الآيات والسور الغرّ

فقد دالت الدنيا لآل محمد \* وقد جرّرت اذيالها الدولة البكر

وردّ حقوق الطالبيين من زكت \* صنائعه في آله وزكى الذخر

معزّ الهدى والدين والرحم التي \* به اتّصلت اسبابها وله الشكر

من انتاشهم في كل شرق ومغرب \* فبدل امنا ذلك الخوف والذعر

فكل اماميّ يجيء كأنما \* علىيده الشعرى وفي وجهه البدر

فبشّر به البيت المحرّم عاجلا \* اذا اوجف التطواف بالناس والنفر

وها فكأن قد زاره وتجانفت \* به عن قصور الملك طيبة والسر

هل البيت بيت الله الا حريمه \* وهل لغريب الدار عن اهله صبر

منازله الاولى اللواتي يشقنه \* فليس له عنهنّ معدى ولا قصر

وحيث تلقّى جدّه القدس وانتحت \* له كلمات الله والسرّ والجهر

فان يتمنّ البيت تلك فقد دنت \* مواقيتها والعسر من بعده اليسر

وان حنّ من شوق اليك فانّه \* ليوجد من ريّاك في جوّه نشر

الست ابن بانيه فلو جئته انجلت \* غواشيه وابيضّت مناسكه الغبر

حبيت الى بطحاء مكّة موسم \* تحيي معدّا فيه مكّة والحجر

هناك تضيء الارض نورا وتلتقي \* دنوّا فلا يستبعد السفر السفر

وتدرى فروض الحج من نافلاته \* ويمتازعند الامّة الخير والشر

شهدت لقد اعززت ذا الدين عزّة \* خشيت لها ان يستبد به الكبر

فامضيت عزما ليس يعصيك بعده \* من الناس الا جاهل بك مغترّ

اهنيك بالفتح الذي انا ناظر \* اليه بعين ليس يغمضها الكفر

رضينا لكم يا اهل مصر بدولة \* اطاع لنا في ظلّها الامن والوفر

فذاك بيان واضح عن خليفة \* كثير سواه عند معروفه نزر

لكم اسوة فينا قديما فلم يكن \* باحوالنا عنكم خفاء ولا ستر

وهل نحن الا معشر من عفاته \* لنا الصافنات الجرد والعسكر الدثر

فيا مالكا هدي الملائك هديه \* ولكنّ نجر الانبياء له نجر

ويا رازقا من كفّه نشأ الحيا \* والاّ فمن اسرارها نبع البحر

الا انما الايّام ايامك التي \* لك الشطر من نعمائها ولنا الشطر

لك المجد منها يا لك الخير والعلى \* وتبقى لنا منها الحلوبة والدّرّ

لقد جدت حتى ليس للمال طالب \* واعطيت حتى ما لمنفسة قدر

وددت لجيل قد تقدّم عصرهم \* لو اسـتأخروا في حلبة العمر او كروا

ولو شهدوا الايام والعيش بعدهم \* حدائق والآمال مونقة خضر

وقال علي بن عبد الله التونسي يخاطب امير المؤمنين عليه السلام ويذكر القائد جوهرا من قصيدة :

وان اعتلى حسن الثناء بجوهر \* فلقد كرمتم قائدا مقودا

بدر يسير بانجم وغضنفر \* يجتزّ من اجم الرماح اسودا

صان الخلافة باذلا من دونها \* رأيا على جلّ الخطوب سديدا

ومكائدا جاشت امام جيوشه \* فتركن ركن عداته مهدودا

فاذا مضى الخطي في آثارها \* لم يلق الا مشرعا مورودا

واذا الائمة عدّدت اسيافها \* لم يلق الا الاوّل المعدودا

واذا كريم الطبع قرّبه من النـ \* ـائين كان المستعاب بعيدا

ذو النية الخلصاء يصفو مذهبا \* ويطيب اعراقا ويكرم عودا

والله قدّم وعده لوليه \* فتنجزا بعداكم الموعودا

والخيل حافية اذا لم تنتعل \* في وسط مرتكم النجيع حديدا

وقال عبد الله بن الحسن الجعفري السمرقندي من قصيدة طويلة يمدح فيها :

الا فليقر الله عين الهدى فكم \* جلبت بها من نعمة لشكورها

لئن خبرت عن ارض مصر فانها \* الى الارض تؤمي سهلها ووعورها

فبورك للاسلام في نيل ثاره \* وهنئت الدنيا بعدل اميرها

فشدّت عرى الاسلام بعد انفصامها \* وردّت عواري الملك من مستعيرها

وقام بحق الله في الخلق قائم \* انار سبيل الحق بعد دثورها

ولما فشى طغيان مصر واكثرت \* نوادبها من ويلها وثبورها

فجاء منيما قدحها غير فائز \* ومرّت عليها بارحات طيورها

وقابلت النعمى بكفر فاصبحت \* وقد زادت البؤس باكناف دورها

غداة ابت الا نفاق عصابة \* اصاخت الى ضلّيلها وغرورها

رأت ان قطع الجسر وصل حياتها \* فقصّر ذاك الرأي باقي قصيرها

وصادمها من جوهر صلد صخرة \* وففض من الاعداء صلد صخورها

واجرى بحار الجيش فوق بحارها \* ونابت له آراؤه عن جسورها

وما شعروا الا به وسط دارهم \* فاكرم بها من روضة وغديرها

ففرّقهم ايدي سبا كأنهم \* حصيد رمته جذوة بسعيرها

كأن رقاب القوم والهام وسطها \* حروف بدت للشكل بين سطورها

فقل لبني العباس شيموا سيوفكم \* فقدما عصيتم ربّكم بصدورها

وليتم امور الناس شرّ ولاية \* فبدّلتم معروفها بنكيرها

فان قلتم انّا قتلنا اميّة \* بتبديل غاويها وكفر كفورها

فانّا وجدناكم تسيرون بعدها \* باقبح من منهاجها ومسيرها

سفكتم دما قلتم طلبنا بثأره \* وهل يدرك الاوتار كف وتورها

دم من كرام لا تطلّ دماؤها \* ولا تعدل الدنيا بوال صغيرها

ولا بد ان تسقوا بكأس سقيتم \* بها من يدي مجتثّها ومييرها

الا سلّموا تلك العواري فانها \* وان رغمت آنافكم لمعيرها

ولما كان آخر يوم من شهر شعبان من سنة ثمان وخمسين وثلاثمائة ركب القاضي ابو طاهر لطلب الهلال على ما جرت به عاداتهم فلم يره ، واصبح القائد جوهراول يوم من شهر رمضان صائما ، وجماعة اهل عسكره على عادته ، ثم ركب القاضي لرؤية الهلال لشوال فلم يره ، وكان ركوبه في جمع عظيم على عادته واصبح القائد جوهر مفطرا، فاقام صلوة العيد في عسكره ، وخطب علي ابن الوليد قاضي عسكر جوهر، فصلى في خطبته بعد حمد الله تعالى ، والصلوة على النبي صلع وعلى امير المؤمنين علي ابن ابي طالب وعلى فاطمة والحسن والحسين والائمة ،ولعن ظالمهم وخاذلهم ودعى لامير المؤمنين المعزّ لدين الله ، وذكر جوهر فقرظه ، واصبح اهل مصر الى المصلى الذين يصلون فيه صلوة العيد فصلوا لانفسهم، وصلى بهم رجل هاشمي يعرف بابن زبرج ، وخطب وكان معهم في الصلوة القاضي ابو طاهر ، وخلق كثير ، فانكر جوهر على القاضي ذلك، فاعتذر اليه فقبل عذره ، وامسك عن القول ، واستأمن نحرير شويران الذي كان امير بمصر،فامنه القائد ، وفي يوم الجمعة لثمان ليال خلون من ذي القعدة الحرام ، امر القائد بالزيادة في الخطبة : اللهم صل على محمد المصطفى وعلى علي المرتضى وعلى فاطمة الزهراء البتول ، وعلى الحسن والحسين سبطي الرسول ، الذين اذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا ، اللهم صل على الائمة الطاهرين ، آباء مولانا امير المؤمنين عليه السلام.

وعيّد القائد جوهر عيد النحر واقيمت الخطبة باسم امير المؤمنين المعزّ لدين الله عليه السلام ، والصلوة عليه وعلى آبائه وآله ، ونحر القائد وفرّق الضحايا على سائر الناس ، واطعم الناس في مضربه ، واكل معهم ، ومدحته الشعراء واجزل لهم العطاء ، وتكاملت الاخشيدية والكافورية المستأمنة بمصر فصاروا اربعة عشر رئيسا ومعهم من العسكر خمسة آلاف .

ورووا عن مسلم بن عبد الله الحسيني انه ما سمع بمستأمنة قط في العدة مثلهم ، ولكن صمهم التحمس والخذلان ، فما اخذوا الامر وهو مقبل ، ثم عادوا له بعد ان ادبر عنهم ، وذلك انه بلغ القائد جوهر عنهم كلام ساءه منهم ، ثم توفي ولد لجعفر بن فلاح فحضر القائد جوهر الجنازة وحضر معه اكثر الناس وحضرت الاخشيدية والكافورية وانصرفوا عن الجنازة مع القائد جوهر فقال لهم القائد : قد جاء كتاب مولانا ومولاكم بما يسركم فسيروا لتنظروا اليه وتقفوا عليه ، فساروا معه فاعتقلهم في ساعة واحدة ، وهم نحرير سويران، وفتك الخادم الاسود ، ودوني الصقلبي ، وحل الاخشيدي ، ولؤلؤ الطويل، وابو منحل ، ومفلح الوهياني ، ومبلغ التركي ، وفرج التحكمي وغيرهم ، وكان ذلك لخمس بقين من ذي الحجة آخر سنة ثمان وخمسين وثلاثمائة ، فاقاموا عند القائد معتقلين ستة اشهر في مضربه حتى سيرهم الى امير المؤمنين عليه السلام كما سنذكره وكان القائد يرسل اليهم في كل غداة بالطعام ومع الظهر وبالعشاء ، ويدخل اليهم في كل ليلة ويتحدث معهم ، ويعدهم عن امير المؤمنين المعز لدين الله ع م بكل جميل.

ووردت هدية من امير المؤمنين المعز لدين الله عليه السلام الى القائد جوهر سنة تسع وخمسين وثلاثمائة لاثنتي عشرة ليلة بقيت من شهر المحرم وهي خمسة وستون بغلا تحمل مالا وسبعون حمارا باحمال مخزومة ، وفي شهرصفر في هذه السنة وافى عسكر من المغرب الى القائد جوهر ، ومعهم خيل من انعام امير المؤمنين لعبده القائد جوهر ، ووافى ايضا بعد ذلك عسكر من المغرب ومعهم اموال محمولة على الجمال.

وانفذ القائد جوهر جعفرا بن فلاح الى الشام في عسكر عظيم ، وعدة قوية ، وذلك في شهر صفر من سنة تسع وخمسين وثلاثمائة ، وقد غلبت القرامطة على الشام ، واستولوا على الرملة ، وقد انضاف اليهم الحسن بن عبيد الله ابن طغج ابن عم الاخشيد.

وفي يوم الجمعة لثمان خلون من شهر ربيع الاول من هذه السنة صلى جوهر القائد صلوة الجمعة في جامع احمد بن طولون في عسكر كثير ، وخطب عبد السميع ابن عمر ، وذكر اهل بيت رسول الله وذكر فضائلهم ومدح جوهرا ، ودعى له وجهر في القراءة ببسم الله الرحمن الرحيم ، وقد امر جوهر بالجهر بها والاعلان بها ما يجهر به من الصلوة ، وقرأ الخطيب سورة الجمعة ، وسورة المنافقين في صلوة الجمعة ، اذّن المؤذّنون في جامع ابن طولون بحي على خير العمل ، وامر جوهر بالنداء به في جميع الامصار والبلدان وجهر محمد بن الحسن بن حنيف ببسم الله الرحمن الرحيم في الجامع العتيق على كره ومضـض ، وكان مالكيا ولما مدح عبد السميع القائد جوهرا في خطبته ودعى له لامه جوهر على ذلك وقال: ما هذا رسم موالينا ،

وامر القائد جوهر في المواريث بالرد على ذوي الارحام، وان لا يرث مع البنت اخ ولا اخت ولا عم ولا ابن اخ ولا ابن عم ، ولا يرث مع الولد كان ذكرا ام انثى الا الزوج والزوجة والابوان والجدة ، ولا يرث مع الام الا من يرث مع الاب والولد ، فعمل ذلك بمصر واعمالها ، وذلك مذهب اهل البيت عليهم السلام ، والحجج فيه طويلة كثيرة ، وقد اتى القاضي النعمان بن محمد رضوان الله عليه في ذلك بما هو شفاء للصدور ، وجلاء للقلوب ، وليست الحجة الا على من انصف ، واقرّ بالحق حيث وجد واعترف ، لا على من جاحد وكابر وعاند.

ووافى جعفر بن فلاح القرامطة والحسن بن عبد الله بن طغج بالرملة وقد تعبوا ، واعدوا واستعدوا ، فوقع بينهم قتال شديد كانت الدائرة فيها على القرامطة والحسن بن عبد الله ومن والاهم ، فولوا منهزمين وامكن الله منهم ، فقتل منهم خلق عظيم ، واسر ابو عزوان القرمطي، والحسن بن عبد الله طغج جميعا ، واستولى جعفر بن فلاح على الرملة ، ورد بذلك الخبر الى القائد جوهر في شهر ربيع الآخر سنة تسع خمسين وثلاثمائة فسرّه ذلك ووصلت الاسارى الى القائد جوهر لسبع خلون من جمادى الاولى ، والقرمطي اللعين او عزوان والحسن بن عبيد الله بن طغج في قبة مكشوفة ، ومعهما جماعة من الاسرى ، فوقفوا عند منية الاصبغ نحو من خمس ساعات ، واجتمع الناس للنظر اليهم ، وجعلوا يسبونهم ، ثم انزلوا الىمضرب القائد جوهر ، وادخلوا الى المعتقلين اصحاب نحرير شويزان.

وفي دخول القائد جوهر الى مصر وما كان من امر جعفر بن فلاح بالشام يقول مقداد بن الحسن الكتامي:

ونحن جلبنا الخيل شعثا ضوامرا \* من الغرب تجتاز المفاوز اشهرا

عليها الكتاميين من الاحمير \* ومن لف لف الجيش من البربرا

نهزّ الرماح السمر ما كان اذبلا \* طويلا ومربوع الانابيب جحدرا

اذا ما نزلنا منزلا حشد الدجى \* الينا نجوم الليل فيه فعسكرا

كتائب لا نالوا لنبي حفيظة \* لها وعليّا والمعز وجوهرا

ثمانون الفا يلبسون الى الوغى \* ملابس حزم خلعة وسورا

يحفون طوع الامر اروع يعتلي \* الى النصر ميمون النقيبة ازهرا

تلاد الملوك الصيد من آل هاشم \* صغيرا ومولاها كبيرا مؤسرا

تلبّب للحرب المغيرة وارتدى \* الى الحرب بردي نثره ونازرا

اخو العزم ما استقبل النجح موردا \* عليه ولا استأنف النجح مصدرا

اذا زينة الحرب رد بعاعه \* عليها والقى هضبة وتوعّرا

تورّع ان يدعوه في خلواتها \* بنو دينه الا الحكيم المدبرا

نفت قلبه الاملاك كل غنيمة \* خلت وانتقوه الجوهر المتخيرا

اذا اعتكر الخطب انتفى في سواده \* عقيقة رأي كالشهاب فنورا

سمى وحشى ما بين مصر وبرقة \* رعالا وآسادا ضراغم مصرا

كما اعتصم الطود المعظم ليلة \* تؤم الى الجند الذي قد تمصرا

فما برحوا فيها حصيدا فانهم \* هم جلبوها كره الوجه مطبرا

وهم تركوا ان يأخذوا الامر مقبلا \* فنكب عنهم ازور الجبت مدبرا

فما ابتكروا الا نعاما شردا \* الى الشام اوهاما بمصر مكسرا

ولما نفى عنها القذى وادلها \* من الجدب فاستهدى لها العيش اخضرا

رمى كل ثغر من فظاها بصخرة \* وسوّم تسويما الى الشام جعفرا

فسل اي رأس من كتامة جحدر \* تدحرج من في الشام هاما مطيرا

اقام بمصر فآمن الضرب في الطلا \* فناجزها بين الفرات ودمّرا

فلا تكذبن لست الغداة بواجد \* بانصر من قومي رجالا واصبرا

وانفذ القائد جوهر بهدية الى امير المؤمنين عليه السلام لسبع عشر مضت من جمادى الاولى ، وخرج الناس للنظر اليها ، وفيها تسع وتسعون بختية واحدى وعشرون قبة ، عليها الديباج المنسوج بالذهب ولها مناطق من ذهب مكللة بالجوهر ، ومنها خمسة مذهبة ، وواحدة مرصعة بالجوهر ، القبة وجهاز الناقة الذي عليها والباقي ديباج وديبقي وخمسون فرسا مسرجة ملجمة ، وخمسون ناقة مزينة ، ونيف وخمسون جملا ، وعلى النوق والجمال احمال محزومة ، واقفاص مشدودة ، وطرائف وطيور ، وسار جعفر بن جوهر مع تلك الهدية الى المنصورية ، وسيّر ابوه معه الحسن بن عبد الله بن طغج ونحرير وسائر الاسرى من الاخشيدية والكافورية، فلما خرجوا من البحر وانتهوا الى البر حلت عنهم القيود واركبوا الخيول المحامل ، فحين انتهوا الى امير المؤمنين المعز لدين الله عليه السلام برهم واكرمهم ، واعطاهم بالقيروان ما يحملهم واسكنهم دورا بالقيروان حسنة ، واباح لهم فرشا وزينة .

وفي شهر رجب من سنة تسع وخمسين وثلاثمائة اخرج جوهر القائد مائة الف وخمسين الف درهم ، وامر بتفريقها على الضعفاء المساكين ، وقال : هذه صدقة من مولانا امير المؤمنين من عين ماله ، وثار زبير الاخشيدي في شهر شعبان من هذه السنة بناحية من نواحي مصر ، وحشد وكبس القرماء فاخذ واليها من قبل جوهر ، ودعى للمطيع العباسي ، وكتب اسمه على بنوده ، فارسل له القائد جوهر الشريف ابا القاسم يحي الحسيني ونهاه وعوذه ، فلم يقبل ، وابى الا تماديا واصرارا على الفساد والبغي والعناد والغي، وكان مع زبير الشريف ابي القاسم العلوي الافطسي ، فانفذ القائد بالعساكر برا وبحرا ، وكان زبير قد كبس صهرجت وانتهبها، فامر القائد جوهر بنهب دوره بمصر ، وقبض على صهره علي بن نصر السراج ، واخذ منه له ودائعا، وشفع به مسلم بن عبد الله الحسيني فاطلقه القائد اكراما له ، ثم ان زبيرا عاد وانتهب ضياعا من اسفل الارض، وواقعته عساكر القائد جوهر بصهرجت فانهزم ، وتبعته العساكر وقتلوا كثيرا من اتباعه ، ومضى على وجهه الى تينس ، وركب البحر المالح يريد الشام ، ومنها الى بلد الروم ، واخذ الزبير بنودا فادخلت الى مدينة مصر منكسة ، وانفذ القائد جوهر اسطولا بالرجال والسلاح في طلب زبير ، وكان قد اخذ من دمياط جماعة من المغاربة ليقتلهم فمنعه منهم اهل دمياط ، وحاربوه فتوجه في البحر يريد الحمام ، فاخذ في الحمام هو وجماعة من اتباعه وغلمانه وقيدوا وورد الخبر الى القائد بذلك فولّى جوهر القائد اعمال زبير رجلا يسمى ابراهيم ابن احمد .

ولما كان في ابتداء شهر رمضان ترك الناس رؤية الهلال اذ لم يتبين لهم، فصاموا بصوم القائد جوهر ، وفاطروا بفطره ، بعد ان حضر دعاة امير المؤمنين الذين بمصر واحضروا القضاة والفقهاء وناظروهم وتلوا عليهم قول الله تعالى : شهر رمضان الذي انزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان ،فمن شهد منكم الشهر فليصمه ، ومن كان مريضا او على سفر فعدة من ايام اخر ، الى قوله : ولتكملوا العدة ولتكبروا الله على ما هداكم. وقامت الحجة عليهم ان وفاء العدة في ثلاثين يوما ، واقروا بذلك ، وعيد القائد جوهر عيد الفطر وخطب الخطباء بذكر الائمة من آل محمد واشهار فضلهم ، وانصرف الناس مع القائد جوهر الى قصر القاهرة المعزية المعمور فيها ، فاكلوا معه واجاز الناس واحسن اليهم ، وفي اربع عشرة خلت من شهر شوال وافى زبيرا اسيرا مع الموكّلين به ، واجتمع الناس لاشهارة والنظر اليه، وهو على جمل ومعه جماعة من اتباعه ، واحضر الى مقام القائد وعنده القاضي ابو طاهر والوزير ابو الفضل فقال القائد لزبير اي شيء حملك على الخلاف على امير المؤمنين ، قال هذا عمل هذا واشار الى غلام يدعى نجيب ، فقال نجيب : لا والله ما لي في هذا شيء ، فامر بهم القائد جوهر الى الاعتقال، فما زالوا فيه الى سنة ستين في شهر ربيع الآخر وهلك زبير .

وفي سنة تسع وخمسين وثلاثمائة افتتح جعفر بن فلاح مدينة دمشق بعد ان قاتل قتالا شديدا حتى غلب المتغلبين وهزمهم فولوا منهزمين ومدبرين وانصرفوا في الارض تائهين وهرب القرامطة، ومنهم من ركب البحر الى الروم، واقام جعفر بن فلاح الخطبة باسم امير المؤمنين المعز لدين الله ع م في دمشق واعمالها، وامر بالنداء في الاذان بحي على خير العمل ، ووردت الاخبار بذلك الى القائد جوهر في ذي الحجة آخر شهور سنة تسع وخمسين وثلاثمائة ،

قال ابن حوقل البغدادي : دمشق اجل مدينة بالشام في ارض وسطة بين جبال تحدق بها ومياه كثيرة واشجار متصلة وزروع ممتدة تعرف الغوطة عرضها مرحلة في طول مرحلتين نزهة فرجة ومخرج مائها من نبعة تعرف بالفيحة اول خروجه ذراع في ذراع ، ثم يجري في شعب يتفجر عيون وانهار جارية في عامة دورها وسكـكها وحماماتها ، وليس في الاسلام مثل جامعها حسنا وبناء ورخاما وذهبا بوجه من الوجوه . هذا قول ابن حوقل.

واخرج جعفر بن فلاح تازرف في عدد وعدة فبلغ الى حمص وافتتحها ، ودان الناس فيها لامير المؤمنين المعز لدين الله ع م ، ودخل تازرق سلمية فاتاه اهلها بخط الامام المهدي عليه السلام برفع الخراج عنهم متى ملكت بلادهم ، فكتب تازرف الى جعفر بن فلاح فكتب اليه جعفر ارفع الخراج عنهم ولا يلزموا به ، ففعل وكتب لهم ورق على ما خطه المهدي بالله عليه السلام لهم .

وفي ذي الحجة من هذه السنة وافى عشرون جملا موفرة من متاع وكسوة ومال ، للمحرومين من امير المؤمنين المعز لدين الله عليه السلام الى القائد جوهر ، وكتب جعفر بن فلاح الى جوهر القائد يستأذنه في تسيير عساكر للغزو الى انطاكية وهي في ايدي النصارى من الروم ، فاذن له القائد بذلك ، فندب عبد الله بن عبيد الله الحسيني اخا مسلم وانفذ معه غلامه فتحا ، واعطاهم مالا كثيرا، وسير معهم من دمشق عساكر عظيمة، فساروا في نحو من عشرين الفا ، وطوقوا انطاكية ، وحاصروا من فيها وضيقوا عليهم الحصار حتى اشرفوا على فتحها ، ثم جاءت عساكر الروم بما لا قبل لهم بها فخافوا على من معهم من جيوش المسلمين ، فانصرفوا الى دمشق ، وكثرت مؤونة جعفر بن فلاح وانبسطت عطاياه وصلاته الى مصر ، والى المغرب ، وعظم سلطانه، وخافته الروم وخافه صاحب بغداد ، ودانت البلاد لامير المؤمنين المعز لدين الله عليه السلام، وخطب له بالحرمين وفي السند مع انتشار ملكه في جميع الغرب الى اقصى نواحيه ، وفي مصر والشام ، ودعاته في جميع الجزائر ظاهرين ومستترين، ودان الناس بمعرفته وصلته ، ووضخ للخلق عظيم محله .

واراد امير المؤمنين المعز لدين الله ع م ان يقيم حجة من اولاده يستودعه امر الدنيا والدين ، ويجعله ولي عهد المسلمين ، وكان ولده الامام العزيز بالله لم يبلغ اشده ، ليفوّض اليه عهده ، لكون ولده الامام العزيز بالله نزار بن معد عليه السلام كان في حال الطفولية ، فاقام ولده الامير عبد الله بن المعز لدين الله واستودعه الامر ، حتى بلغ ولده نزاز العزيز بالله اشده ، ففوض اليه عهده ، وكان الامير عبد الله بن المعز لدين الله ذا فضل عظيم ، ومقام كريم ، الاّ ان الامامة لم تكن فيه ، بل صارت بعد المعز لدين الله الى ابنه نزار العزيز بالله عليه السلام.

قال منصور الكاتب الجوذري في ما ذكر من تشريف الائمة صلوات الله عليهم لعبدهم جوذر الذي كان على ايديهم خلاصه وعتقه ، واخلاصه وسبقه ، قد تقدّم ذكرنا ما كان من القائم بامر الله ع م وتشريفه للاستاذ بافراده واختصاصه ، باخذ العهد عليه للمنصور بالله ، بان اخذ عليه للامير عبد الله مفردا بالمهدية في السفرة التي حمل المال فيها، فكتم الاستاذ ذلك عنه سبعة اشهر حسب ما امر به ، ثم ان مولانا عليه السلام اخذ بعد سبعة اشهر على غيره مثل محمد بن علي ومحمد بن حسن وعسلوج بن عسكر وغيرهم، واستكتمهم في ذلك.

وكان الاستاذ اذا تقرّر عنده علم ولي العهد لم يلتفت بعد الامام عليه السلام الا اليه ، حتى انه كان يقول في كثير من الاوقات من حيث يسمعه الامام في عصره : انما هو الله عز وجل ومولانا المفترض الطاعة بعد الله عز وجل ، ومن اشار اليه من ولده ، وجعله ولي عهده ، والباقي كلهم لهم المودة في القربى لا غيرها.

فلما خرج مولانا عليه السلام الى المهدية لشد ما بالخزائن من الامتعة ثم رجع الى دار ملكه ، واحتاج الاستاذ ان يتحرك من المهدية، امر مولانا اخوته واولاده بالخروج للقائه ، وجميع رجال الدولة ،ولم يحدّ مولانا للاستاذ كيف يسلّم على الامراء اولاده ، ومن يقدم منهم ولا من يؤخر ، وكان مولانا مشغول الضمير في كيف يكون سلامه عليهم ، وكانت اعين العوام ذلك الوقت تنظر الى ولد مولانا عليه السلام الاكبر وهو تميم ، فلما قرب منهم الاستاذ عمل في نفسه على اقامة الحق وافراد من خصه الله به ، فقصد الامير نزار وسلّم عليه فقبّل الارض بين يديه ثم قبّل ركابه ، وكان من حق الامير عليه ما كان ان يسقطه عن سرجه من التواضع ، ثم ركب الاستاذ ولم يلتفت الى غيره ، ولا سلّم على احد سواه، فوقعت في قلوب اولئك خجلة ، ونظر الناس من هذا الى امر عظيم ، فمنهم من يصوب رأيه فيما فعله ، ومنهم من يخطئه ، فلما اتصل بمولانا فعله ، وما كان منه من ذلك سرّه سرورا عظيما ، وقال :لم يزل جوذر موفّقا مذ كان.

ثم لما وصلوا وانصرف الاستاذ بعد السلام علىمولانا ع م ولم يخاطبه على ذلك، اشتد ذلك على اهل القصر من الحرم وأومأوا الى جوذر بلوائم عظيمة تنو بها جدوده ، ولما وقف الاستاذ على ذلك من فعلهم ادركته نفسه اذ لم يخاطبه مولانا على ذلك بشيء ، فكتب رقعة الى مولانا يصف ما كان وانه قصد بذلك افراد صاحب الحق دون غيره ، اذ لا يسعه في دينه غير ما فعله ويصف ما حل عليه من اهل القصر وغيرهم من اصحاب الآراء الفاسدة ، فلما وقف امير المؤمنين على رقعته صرف اليه الجواب ، وهو :

يا جوذر ، سلمك الله ، والله ما محلك عندنا الا المحل الذي احللت نفسك لاتباعك رضى مواليك ولانك لم تخلط بهم غيرهم ، وبذلك اسعدك الله في دنياك واخراك ، وقد كان لك من تقبيل ايديهم كفاية عن تقبيل الارض ، فما نميزك علم الله منهم الا بما يخص الله به من اختصه منهم ، وقد اجبت من ذكرت عليه واعتذرت انا عنك بانك قد سلمت على الجميع اولا بما ذركت من تقبيلك الارض ، وقد وفقك الله فما تبالي من ساءه او سرّه ، اتم الله عليك النعم ، ووهب لك السلامة والعافية ان شاء الله تعالى.

ثم ان امير المؤمنين المعز لدين الله ع م نوّه باسم ابنه عبد الله بن المعز ورفع قدره ، واعلى ذكره ، وجعله صاحب حضرته ، والقيّم بامور دعوته ، والسائس لجميع اهل مملكته ، وقد كان المعز لدين الله نوى الهجرة الى الديار المصرية ، ووافق ذلك خلاف مخرمة بن محمد بن خزر في جهات البربر وجبل اوراس ، واستمال رعاع الناس ، وبغى في اطراف المملكة وثار الذعار واهل الفساد، والمريدون للبغي في البلاد، واراد ان يحيي ما مات بموت الدجال مخلد ، فاراد المعز لدين الله ان يقطع من الفساد دابره ، ويتبع باوله آخره ويدير على الذين بغوا في الارض سوء الدائرة ، سيما مع ما ازمع عليه من الهجرة ، لئلا يعم ذلك المغرب ، ويختل امر المملكة ويضطرب.

فخرج امير المؤمنين المعز لدين الله عليه السلام بنفسه ومعه ابنه عبد الله ابن المعز في عساكر عظيمة ، وجنودة كثيفة ، وعدة قوية ، لطلب الثائر المعروف بابي خزر وصلاح امرالمغرب ، وكان خروجه عليه السلام لسبع بقين من شهر شوال في سنة ثمان وخمسين وثلاثمائة ، قال محمود الكاتب الجوذري : ولما اعتزم مولانا عليه السلام على الخروج في طلب الثائر ابي خزر امر الاستاذ جوذر بالخروج الى المهدية لاحكام ما بالخزائن التي بها ، وشد الامتعة الى المشرق ، وخاض الناس واكثروا من القول ، بان الاستاذ هو المستخلف على افريقية ، وكتب الى مولانا صلوات الله يعرف ما اتصل به من ذلك ، ويرغب اليه في ان لا يفارقه ، اذ السعادة مقرونة بنظره الى وجه امير المؤمنين ، فوقع اليه على ظهرها :

يا جوذر وقفنا على رقعتك هذه ، وهذا شيء يقوله الجهال من الناس ، ومن لا يعلم ما نحن فيه ، ولا والله ما هذا رأينا فيك لوجوه ، اولها انا نحب ان لا ندخر عنك نعم الله عندنا، وان تكون مشاهدنا ، والثانية انك لست ممن نستثقله فنحب الراحة منه ، والثالثة كبر سنك في طاعة الله تعالى وطاعتنا ، والرابعة انك لا تجد من يصفو لك على ما تريد من فساد اطماع الناس وطباعهم الآن ، فانت لا تجد معينا ولا عضدا ، ولا من يقوم بين يديك فضلا عن غير ذلك ، فلا تحدث نفسك بما يضعف قواك ، فوالله ما تركناك ههنا الا شفقة عليك ورحمة لك ، ونحن نعلم ان لو كنت غائبا عنا لمثل هذه الغاية لم تكن حيا الى اليوم ، فطب نفسا فلن تزايلنا حتى تقضي حجك وتزور قبر جدنا محمد صل بفضل الله علينا وعليك ، فوحقه ما املنا فيك في سرنا الا كالذي ذكرناه فيك وازيد من الخير والجميل ، ونحن نتوخى لاهل الزمان من نرجوه لهم ويصلحوه له الى ان يبلغنا الله المراد ، ويرينا الله وجه الصواب ، وليتنا نجد فيمن نتركه ههنا مثل نيتك وحدبك على دولتنا ، والله يخير لنا ويختار بحوله وقوته ان شاء الله .

ولما ان خرج مولانا صلوات الله عليه في سفره الى بسكرة وتوجه الاستاذ الى المهدية ، اجتاز امير المؤمنين بعين تعرف بعين كسرى فوقف عليها وذكر الاستاذ وقال عليه السلام :

ذكر الله جوذرا بخير ، فان كان يسره الوقوف على هذا الماء والشرب منه ، هلموا جرارا خضرا فاتي بها ، ، وملئت بين يديه وختمت ، وانفذها وكتب معها رقعة الى محمد الكاتب نسختها : يا محمد ابعث الى جوذر سلمه الله تعالى بتوقيعنا هذا تعرّفه انا ذكرناه بعين كسرى ، ذكره الله بالرحمة العافية ، وانا امرنا ان يملأ له بين ايدينا من رأس العين حملين ماء وانفذناهما اليه ، وبعثنا اليه ايضا بخمسة دنانير من السكة المباركة المضروبة بمصر على اسمنا بفضل الله وعظيم امتنانه ليراها ويتبرك بها ، وارجو ان يمد الله في عمره حتى يحج معنا ونعطيه مما يضرب لنا ببغداد ، وقد اكمل الله لنا الآمال ، وعرفه ما نحن عليه من السلامة وتتابع النعم وما معنا من الجموع التي يستعملها الله فيما يرضيه على ارغام اعدائنا حيثما كانوا فليطب نفسا ، فما قبلنا الا كل خير سيره الله به ، والحمد لله كثيرا كما هو اهله .

ثم سار امير المؤمنين عليه السلام من فوره ذلك بعساكره تلك حتى استأصل المفسدين، وقطع انجاز الملحدين ، وامكنه الله من الفاسق مخرمة بن محمد بن خزر فقتله في وقعة عظم بأسها ، واشتد مراسها ، وقتل معه من اتباعه خلق عظيم فخمدت الفتنة ، وقرت وهابت الاعداء وقرت واطمأنت القلوب واستقرت ، ورجع الامام الى المنصورية موفقا منصورا مؤيدا محبورا ، وطيف بالرؤوس في جيمع البلدان ، وانفذ منها الى مصر ليرغم اولي الشنان ، ويطمئن قلوب اهل الايمان.

قال الحسن بن ابراهيم بن زولاق : وفي شعبان من سنة ستين وثلاثمائة وردت رسل امير المؤمنين المعز لدين الله ع م برأس مخرمة بن خزر ومعه ثلاثةآلاف رأس من اصحابه ، وطيف بهم في مدينة مصر والقاهرة ومعهم شيخ على نجيب يتكلم عليه وعليهم ويسبهم ، وفي الجمعة لاثنتي عشرة ليلة خلت من شعبان قرئ على منبر الجامع العتيق كتاب المعز لدين الله الى القائد جوهر بخبر مخرمة بن خزر واصحابه ، وفي الكتاب الوصية باهل مصر ، وقال محمد بن هانئ الاندلسي يمدح امير المؤمنين عليه السلام ويصف الوقعة، ويذكر الامير عبد الله بن المعز فيها :

كدأبك ابن نبي الله لم يزل \* قتل الملوك ونقل الملك والدول

اين الفرار لباغ انت مدركه \* لامة ملء كفيها من الهبل

هيهات يضحي منيع منك ممتنعا \* ولو تسنّم روق الاعصم الوعل

ولو غدا بخلوب الليث مدّرعا \* او بات بين نيوب الحية العصل

اما العدو فلا تحفل بمهلكه \* فانما هو كالمحصور في الطول

واي مستكبر يعيا عليك اذا \* قدت الصعاب فلا تسأل عن الذلل

خافوك حتى تفادوا من جوانحهم \* فما يناجونها من كثرة الوهل

ما يستقر لهم رأس على جسد \* كأن اجسامهم يلعبن بالقلل

هذا المعز وسيف الله في يده \* فهل لاعدائه بالله من قبل

وهذه خيله غرا مسوّمة \* يخرجن من هبوات النقع كالشعل

اذا سطى بادرت هام مصارعها \* كأنما تتلقّى الارض للقبل

اردت سيوفك جيلا من فراعنة \* لم يفتأوا لقديم الدهر كالجبل

هم استبدوا بأسلات الليوث وهم \* جزّوا نواصي اهل الخيم والحلل

من عهد طالوت او من قتل اضطرمت \* تغلي مراجلهم غيظا على الملل

لقد قصمت من ابن الخزر طاغية \* صعب المقادة ابّاء على الجدل

اذ لا يزال مطاعا في عشيرته \* تلقى اليه امور الزيغ والنحل

يكاد يعصي مقادير السماء اذا \* رمى بعينيه بين الخيل والابل

حسمت منه قديم الداء متّصلا \* بالجاهلية لاه بالعدى هزل

من جاحدي الدين والحق المنير ومن \* عادى الائمة والكفّار بالرسل

ومن جبابرة الدنيا الذين خلوا \* وانزل الله فيهم وحيه فتلي

قد قرّ كرسي عدنان ومنبرها \* بفاتح المدن قسرا مؤمن السبل

من لايرى العزم عزما يستقاد له \* اذا جبال شروري منه لم تزل

من صغّر المشرقين الاعظمين الى \* من فيهما من مليك الامر او بطل

وطبّق الارض من مصر الى حلب \* خيلا ورجلا ولفّ السهل بالجبل

واوردت خيله ماء الفرات فما \* صدرن حتى وصلن الصل بالنهل

فقد توطد امر الملك فيه وقد \* ندبت ندبا اليه غير متّكل

لما شددت بعبد الله عروته \* اعززت منه مصون العرض لم يزل

عرفت في كل صنع الله عارفة \* فما تهمّ بفعل غير منفعل

ولاختيارك فضل الوحي انك لا \* تأتي المآتي الامن عل فعل

مستهديا بدليل الله تتبعه \* وقادحا لزناد الحكمة الاول

وان ملكا اقرّ الله قبّته \* بابن الامام لملك غير منتقل

لو نازع النجم ما اعياه منزله \* او نازل القدر المقدور لم يهل

قد فئت من بركات الابطحي الى \* ما يفيء اليه الظل في الاصل

توالت الباقيات الصالحات له \* توالى الديم الوكّافة الهطل

اليس اوّل ما ساس الامور اتت \* عفوا بما كان لم يحسب ولم يخل

فالفتح من اوّل النعمى به وله \* عواقب في بني مروان عن عجل

بريحه اردت الهيجا بني خزر \* وباسمه استظهرت في الغزو والقفل

فان تكله الى ماضي عزائمه \* تكله منها الى الخطية الذبل

الآن لذت لنا مصر وساكنها \* وللسوابح والمهرية الذمل

ما مكثنا معشر العافين انّ لنا \* في البين شغلا عن اللذات والغزل

فليتنا قد ارحناهم وانفسنا \* او استراحت مطايانا من العقل

ليعقد التاج هذا اليوم مفتخرا \* ان كان توّج يوم سائر المثل

الا تخر له الايّام ساجدة \* اذ نال مكرمة اعيت فلم تنل

تكنّفته المساعي وهو يرفل في \* وشي الربيع ووشي المجد في حلل

فيه الربيعان من فصل الربيع ومن \* وقائع النصر تشفي من جوى الغلل

وسار القرمطي ابو طاهر الحسن بن احمد الاغمشي الى الشام في جيوش عظيمة من العرب والعجم ، ومنه اتباعه القرامطة ، وهذا اللعين الاغشم هو من قوم سليمان بن الحسين الذي دخل مكة في سنة سبعة عشر وثلاثمائة وخطب له فيها ووثب الى الحجر الاسود فضربه بعمود من حديد حتى ثلمه ، وقال انك حجر لا تضر ولا تنفع كفرا وعنادا وبغيا في الارض وفسادا، فتوجه اللعين ابو طاهر الى دمشق وفيها جعفر بن فلاح ، فخرج اليهم جعفر بن فلاح وكان عليلا مجاهدا محتسبا نفسه في الله ، يرجو الظفر او الشهادة ، وقد صار اهل الشام عليه مع القرامطة ، فقتل في تلك الحرب جعفر بن فلاح شهيدا رحمة الله عليه ، ودخلت القرامطة دمشق فغلبوا عليها وحازوها .

وبلغ قتل جعفر الى القائد جوهر في ذي القعدة من سنة ستين وثلاثمائة ، وكان قتله لثلاث بقين من شوال وسار القرامطة الى الرملة وفيها سعادة بن حيان عاملا للقائد جوهر فحازوا الرملة ، وانحاز عنهم سعادة الى موضع يسمى نايا فتحصن فيه ، وساروا اليه فحاربوه ، وخاطبوه من وراء الحصن ان يسلم اليهم الموضع ويخرج اليهم ، وبذل الامان له ، فقال لهم سعادة بن حيان: انما انا عبد مأمور ، فلما اعياهم امره توجهوا الى مصر بعساكر جمة قد اجتمعت لهم من الشام وما والاها من القرامطة والاغشام الذين لا يعرفون فضل الاسلام ولا يميزون بين الحلال والحرام ، وانتهى امرهم الى جوهر القائد فحفر حول القاهرة خندقا وبنى القائد جوهر القنطرة على الخليج المعروف بخليج امير المؤمنين ، وفرّق السلاح على الرجال من المغاربة والمصريين، وركب القائد يوم النحر من سنة ستين وثلاثمائة في جيوش عظيمة وصلى صلوة العيد وعاد الى قصره ، ونحر وفرق الضحايا ، ووهب للناس واحسن اليهم ، وفي آخر ذي الحجة من هذه السنة كبست القرامطة الفرما ، وقاطعوا اهلها على مال ، واخذوا عاملها عبد العزيز بن يوسف ، وفي شهر المحرم اول سنة احدى وستين وثلاثمائة انفذ القائد من عنده مراكب فيها الميرة لسعادة بن حيان، وهو بيافا ، واقبلت عساكر القرامطة في شهر صفر من هذه السنة سنة احدى وستين حتى بلغت عين شمس ، واستعد القائد جوهر لقتالهم لعشر بقين من صفر، واغلق ابواب القاهرة ، وضبط الداخلين ، ثم اسرع القائد جوهر لحرب القرامطة ، واخرج مضاربه وخرج معه الشريف مسلم الحسني ، وسائر الاشراف العلويين، وخرجت الرعية لمعاضدة القائد جوهر ، وجاءت القرامطة يوم الجمعة مستهل ربيع الاول فزحف القائد جوهر لقتالهم ، واشتد القتال ولم يتخلف عن القائد جوهر احد من وجوه المصريين، وذوي بأسهم ، وبرز المغاربة الى القرامطة وعظم القتل فقتل جبل من الفريقين ، وعادوا الى القتال يوم السبت ، وامسى الناس متكافين وباتوا على المصاف وما زالوا في القتال ، ثم اصبح الناس غداة يوم الاربعاء فوقع بينهم قتال شديد ، واشتد البأس وصبر الناس وانهزم الاغشم اللعين ، ورجع مدبرا الى الشام ، وانتصرت عليه عساكر الامام ، واعز الله الاسلام ، وعاد جوهر ظافرا منصورا مؤيدا محبورا،

وجاءته الاخبار من الصعيد ، ان عبد العزيز بن اهيج ، قد نافق ودعى الى امامة بني العباس ، وكتب اسم المطيع على بنوده، فانفذ اليه القائد جوهر اربعين مركبا بالرجال والسلاح، وجعل عليها رجلا من وجوه من معه يسمى بشارة ، وانفذ في البر تازرف لقتال ابن اهيج ايضا في عساكر عظيمة ، فاستولوا على الصعيد ، وفرّ ابن اهيج الى بغداد مختفيا ، وترك جميع ما حازت يده فغنم وجيء الى جوهر القائد به وبرؤوس كثيرة من اصحاب ابن اهيج فطيف به في اعمال مصر ،

ثم اخرج القائد جوهر ابن اخيه ابراهيم ومن معه ابو محمد في عساكر عظيمة وعدد وعدة الى الشام لحرب القرامطة.

تحرّك امير المؤمنين المعز لدين الله سلام الله عليه وعلى آبائه الطاهرين وعقبه الاكرمين للهجرة الى مصر

وكان خروجه من المنصورية يوم الاثنين لثمان بقين من شهر شعبان من سنة احدى وستين وثلاثمائة بعد ان جمع من الاموال ما لم يسمع بملك جمع مثلها ، ورحلها بصحبته ، وسار في هيبة عظيمة ، وعدة وجنود جمة ، وجيوش مستعدة ، وقد امر بالدنانير من الذهب فسكت بسبائك ، وطبع اسمه عليها ، وجعل حمل كل جمل سبكتين ، واستعمل على المهدية والمنصورية والقيروان ومدن افريقية وما يضاف اليها من المغرب ، ابا الفتوح بلكين ين زيري بن مناد الصنهاجي ، بلكين يعني يوسف لكن قد شهر اسمه بلكين ، وقد ذكرنا لابيه زيري بن مناد مع الامام المنصور بالله عليه السلام من الجهاد ايام مخلد بن كيداد ، واوصى امير المؤمنين المعز لدين الله عليه السلام يوسف بن زيري عامله على المغرب وبلاد افريقية بما اراد وجعل جميع الولاة في المغرب من تحت يده ، والزمهم جميعا طاعته ، وكان من خلصاء اوليائه وصفوة اهل ولائه .

وهاجر مع المعز لدين الله عليه السلام من اولاد المهدي بالله عليه السلام ابو علي احمد وابو طالب موسى ابنا عبد الله المهدي بالله ، واربع نسوة من بنات الامام المهدي بالله ، وكانت وفاتهم جميعا في مصر ، ومن اولاد الامام القائم بامر الله ع م جعفر وعبد الجبار ابنا محمد القائم بامر الله ع م ، واربع نسوة من بنات القائم بامر الله ، وكانت وفاتهم جميعا بمصر ، واخوة المعز لدين الله ع م حيدرة وهاشم ابنا اسماعيل المنصور بالله ، وخمس اخوات لهم ، وبمصر كانت وفاتهم جميعا ، ومن اولاد امير المؤمنين المعز لدين الله ع م عبد الله رضي الله عنه وتميم الشاعر والامام نزار العزيز بالله ، وعقيل ابناء الامام معد المعز لدين الله ، وهاجر معه كثير من امرائه ودعاته واعيان دولته ، وكان في الهجرة معه القاضي النعمان بن محمد رضوان الله عليه وجميع اولاده ، واستخلف بامر المعز لدين الله ع م في اعمال افريقية والمهدية وجميع المغرب القاضي احمد بن القسم بن ابي المنهال رحمة الله عليه، وكان القضاة في جميع المغرب من تحت يد القاضي احمد بن القسم ، وهاجر جوذر الاستاذ مع المعز لدين الله ، وجاءته الوفاة بمدينة برقة على ما نذكره.

قال منصور الجوذري : فلما اعتزم مولانا على الحركة الى المشرق جرت بين الاستاذ جوذر وبين الامير عبد الله قدس الله روحه مكاتبات ومراسلات كان يؤثر فيها حقه كفعل آبائه الطاهرين ، وكان اول كتاب كتب اليه الاستاذ بكتاب يذكر فيه رسمه من البغال التي كان يحمل عليها اثقاله في الاسفار مع مولانا عليه السلام فصرف اليه الجواب بدعاء وهو :

سلمك الله واتم نعمته عليك ، وزاد في امتنانه عندك ، وبلغك من رضاه ورضى وليه مولانا وسيدنا املك ، واملنا لك عنده وفضله ورزقك الحج معه الى بيت الله الحرام وزيارة قبر جدنا محمد انه كريم منان ، عظيم الفضل والاحسان، اما بعد ، فانه انتهى الينا كتابك بعد تطلع وشوق شديد يعلم الله منا اليك، ووقفنا منه على ما حمدنا الله ع ج وشكرناه على امتنانه علينا بسلامتك وصحة بدنك وسألناه ضارعين اليه راغبين في الزيادة لك من فضله واحسانه ، وقد عرضنا كتابك على مولانا ع م فلما وقف عليه وقّع اليك بخط يده المباركة الكريمة باسفله بما انت تقف عليه وقد انفذناه اليك ، و حسبنا الله ونعم الوكيل ، وفي اسفل الكتاب توقيع من امير المؤمنين ع م هذه نسخته :

يا جوذر سلمك الله اقرأنا عبد الله سلمه الله كتابك وسؤالك اياه التذكرة في امر البغال التي تقدّم لك الرسم باخذها من الاصطبل ، وتخوفت ان لا يكون لكثرة اشغالنا وما بنا من الحاجة اليها ننساك ونسلمك ، فلا اوقف الله اليك يوما ما نسلمك فيه الى نفسك في احوال دينك ودنياك ، فوالله لو لم يكن الا ما نؤثرك به على انفسنا لفعلنا ذلك ولم نتأخر عنه ، فطب نفسا بما خولك الله ووهبك من رضانا ادامه الله لك .

وخرج مولانا عليه السلام متوجها الى المشرق فاطلع له البغال التي للاحمال وبغال العماريات ايضا منها واحدة كان يركبها هو بنفسه آثره صلى الله عليه بها ، وفعل فيه وفي اصحابه من الجميل وسعة العطايا ما لا يوصف

قال ولما وصل الاستاذ الى موضع يعرف باجدابية وقد حكمت العلة عليه فقال : لقد اشتقت الى النظر الى وجه مولانا ، واراني ضعيفا ولا ا قدر اثبت على قدمي لترهل عرض لي فيهما ، فكيف الحيلة عندك في ذلك ؟ فسألته التقدم قبله والاجتماع بالامير عبد الله ولي عهد المسلمين في ذلك ، فاذن لي ومضيت واجتمعت به عليه السلام ووصفت له حاله ، وعظيم شوقه الى مولانا فعرّف مولانا ، ورجع اليّ بالجواب، وقال لي :يأمرك مولانا ان تقدم به الى هذا الموضع ، واشار الى القبة التي كان يتغدى فيها بالمفازة المباركة، ثم قال : وقف به وهو في العمارية لا تنزله منها . وحذّرني من انزاله ، وخوّفني عقوبة مولانا في ذلك ، فرجعت الى الاستاذ وعرفته بما كان، ففرح بذلك وقويت نفسه ، ثم وصلت به الى الموضع الذي رسم له، فلما حل به قال : انزلني فاعتذرت اليه ان الموضع الذي يريده ذو غلق وسبيلنا ان نقف في العمارية حتى يفتح الموضع ، فقبل ذلك مني. ووقفت في العمارية على بغلة وهو جالس فيها ، فما شعرنا بشيء حتى خرج مولانا المعز لدين الله امير المؤمنين عليه السلام ، وضمه الى نفسه ضم الاخ للاخ ، والصديق للصديق ، فنظر الي الاستاذ عند ذلك نظر من انكر عليّ تركه في العمارية ، فقال عليه السلام : لا سبيل عليه فبأمرنا عمل ، ثم اقبل الامام عليه السلام على الاستاذ وسأله عن حاله ، وقال له : لا تضعف نفسك فان الله يمد في عمرك وينسي اجلك حتى تشاهد معنا فضل الله الذي خولناه من ديار الظالمين ، فقال الاستاذ : يا مولاي والله ما لعبدك حال يستوجب بها ما فعلته فيه لاني عبد صقلبي اعجمي لا خصلة لي امتن بها الا اني عبدكم المستضيء بنور هدايتكم ، فقال له :لا تفعل يا جوذر ان الله قد فرض طاعتنا فجعلها رهبة ورغبة ، فانت ممن اطاع الله فينا رغبة لا رهبة ، ونسيت كل انسان وتمتعه في داره من الصقالبة الذين كانوا معك في اعصار مواليك الائمة الطاهرين ورضاك انت بكونك في ذلك البيت الذي يقرب من الخلاء بقصر مولاك القائم بامر الله ع م لم تختر ما اختاره غيرك من نعم الدنيا ، لكن اراد الله لك السعادة اولا وآخرا.

ثم نظر الى محمد بن عثمان الكاتب وكان واقفا معنا ، واشار بقود الدابة والانصراف تخفيفا عن مولانا مما كلّف نفسه الكريمة من الوقوف على قدميه ، فرآه مولانا وقال : قف يا محمد ودعه فان في نظره الينا راحة قلبه، ثم قبل الاستاذ الارض وقبلنا وانصرفنا ، فمن ذلك اليوم ما رأى مولانا عليه السلام وكأنها كانت وقفة الوداع.

ثم لما صرنا بالموضع الذي يعرف بمثلية بالقرب من برقة زاد به الضعف وصعوبة الامر من العلة ، ومع ذلك فكان ذهنه صحيحا لم يتغير عليه من عقله شيء دعاني فقال لي : نحن ندخل برقة وهو موضع كبير وبه بعض اهل المشرق ، سيما وصول ابن نصير الى مولانا فيما يقال واسمنا من الدولة الطاهرة كبير باعزاز مولانا لنا ، والواجب ان نحمل عسكرنا بالعدة والسلاح الشاك والزي الحسن حتى يكون دخولنا تاما بهيا ، فاكتب الى الاميرعبد الله وعرّفه ذلك ، واسأله سوال مولانا بانفاذ شيء من السلاح والعدة زيادة على الذي عندنا، وتعرفه اني احب الوصول الى القصر المبارك بهذا الزي لكني لا استطيع النزول على قدميّ ، ويصعب عليّ الامر في ما كان من فعل مولانا باجدابية ، واخشى اني متى وصلت يقول من يحسدنا على فضل مولانا عليه السلام اني انما تعرضت بوصولي هذا ما كان من فعله ونحو هذا القول من الكلام ، وختم الكتاب وانفذناه مع نجاب كان معنا فعاد الجواب من الامير عبد الله يقول :

سلّمك الله واتم نعته عليك ، وتابع آلائه لديك ، ومنع فقدك ، وقضى لك بالحج الى بيته الحرام مع مولانا ، انتهى الينا كتابك سلمك الله ووقفنا على جميعه من بعد ان وقف عليه مولانا ، وقبلنا له الارض عنك، وهو يرد عليك افضل سلام الله واطيبه ، وامر لا زال امره عاليا معظما مكرما بالكتاب اليك بتعريفك نفسك سلمك الله ، ان امره نفذ الى نصر الخازن ببعثه الجمال وصدرا كثيرا من السلاح لا حد له وهو يصل اليك ان شاء الله ، فاعمل قال لك على الوصول فيه ، ويكون الى الحضرة المباركة اي يوم يتهيأ لك واردت الوصول فيه ، ويكون وصولك الى باب القصر المبارك في عماريتك على رسم ما فعلته في اجدابية باحسن زي واهيأه ، ولا تأخذ على نفسك في هذا الباب في امر العمارية شيئا ، فليس فيه شيء تأخذه ولا يؤخذ عليك كما قلت ، فخروجك قال لنا في اجدابية ليس انت كلفتناه فتأخذ فيه على نفسك امرا ، ولا يؤخد عليك بل نحن فعلناه من ذات انفسنا رغبة في افتقادك ومشافهة حالك، وهب الله لك اتم العافية واكمل الصحة والسلامة بفضله . فاعمل على ما حدوناه لك ، قال وابشر بما رزقك الله من رضاه عنك، برضى وليه الذي لم يجد هذا احد غيرك في العصر الذي انت فيه ، ومحقوق انت بذلك فاحمد الله واشكره تستوجب المزيد من جزيل عطائه ، وعظيم فضله وامتنانه ، والله اسأل حراسة نعمه عندك وتتابعها لديك ومرادفة آلائه عليك باجمل سلامة نرجوها لك وافضل صحة نؤملها ، بمنّه وفضله ، والسلام عليك ورحمة الله وبركاته.

وكان هذا التوقيع آخر توقيع وصل اليه من الامام ووليه عهده عليهما السلام ، ووصل نصير اليه بالعدة الى الموضع المذكور ، وفرّق السلاح على الرجال ، وزاد به امر الضعف والعلة ولم يقدر ان يوصل به الى ا لقصر ، فدخل مدينة برقة الى الدار التي اخليت له فنزل بها، ومضيت الى مولانا فعرفته بوصوله ، فقال كيف حاله ، قلت يا امير المؤمنين هو ضعيف جدا ، ومع هذا فهو يشتهي الموت حتى كأنه يعاين الموضع الذي يسير اليه فاشتاق نحوه ، فقال عليه السلام : الى موضعه في رحمة الله وقرب مواليه ، ثم التفت الى من كان واقفا بين يديه ، وكان الامير عبد الله من الوقوف واسحاق بن موسى وغيره من السودان الخدم ، وكان ذلك بعد الفراغ من المائدة ، وقال في ما قال : هذا جوذر المسكين والله انا لنحصي ما وصل منه الى آبائنا الطاهرين من قبل والينا من بعدهم تقرّبا وعملا لوجه الله فيكون ذلك فوق المائة الف دينار بلا اقطاع ولا ضياع كثيرة ، قال : ثم دفع الي تفاحات كانت بين يديه ، وقال لي اوصلها اليه وقل له هذه وصلت الينا من مصر وارجو الله ان يحييك ويصح بدنك حتى تشاهدها معنا ، فقبلت الارض وانصرفت وبلغت الحكاية التي كانت منه ، فقبل الاستاذ الارض وحمد الله واكثر من شكره ، ثم اخذ معي في الحديث فما زال على ذلك وهو في صحة عقله الى آخر الليل ، فحاله على امره ، ثم اصبح به الامر وهو لما به من النزع ، ثم قضى عند الظهر ، وحمل في الليل من مدينة برقة الى القصر الذي كان به مولانا بموضع يعرف بمياسر وامر عليه السلام بغسله وحضر لذلك القاضي النعمان بن محمد ومحمد بن عثمان الكاتب وانا ، وصلى عليه امير المؤمنين بالغدو ودفن بالموضع في مسجد بهذا القصر المذكور

وسار امير المؤمنين المعز لدين الله عليه السلام حتى دخل الاسكندرية لست بقين من شعبان من سنة اثنين وستين وثلاثمائة.

قال القاضي ابن خلكان في تاريخه : وركب المعز في الاسكندرية ودخل الحمام وقدم عليه بها قاضي مصر وهو ابو طاهر محمد بن احمد واعيان اهل البلاد ، وسلموا عليه ، وجلس لهم عند المنارة ، قال وخاطبهم بخطاب طويل يخبرهم فيه انه لم يرد دخول مصر لزيادة في ملكه ولا لزيادة ماله ، وانما اراد اقامة الحق والحج والجهاد ، وان يختم عمره بالاعمال الصالحة ، ويعمل بما امر به جده ، ووعظهم واطال حتى ابكى الحاضرين ، وخلع علىالقاضي وبعض الجماعة وحملهم ، وودعوه وانصرفوا

ثم رحل عنها آخر شعبان ونزل يوم السبت ثاني شهر رمضان على مينا ساحل مصر بالجيزة ، واجتمع به الوزير ابو الفضل جعفر بن الفرات المذكور اولا ، واقام المعز لدين الله هناك ثلاثة ايام ، واخذ العسكر في المسير باثقالهم الى ساحل مصر ، ولما كان يوم الثلاثاء لخمس مضت من شهر رمضان من السنة المذكورة عبر المعز ع م النيل

قال حيدرة بن محمد بن ابراهيم صاحب السيرة الكتامية الحميرية : ولما دخل الامام المعز لدين الله وسار من الجيزة الى مصر على الجسر فلم يمش معه احد راكبا غير القاضي النعمان وعسلوج بن الحسن من وراء ظهره وسائر الناس ماشين بين يديه ، وقال ابن خلكان : ودخل المعز القاهرة ولم يدخل مصر ، وكانت قد زينت له وظنوا انه يدخلها ، واهل القاهرة لم يستعدوا للقائه لانهم بنوا الامر على دخوله مصر ن ولما دخل القاهرة ودخل القصر وكلما دخل مجلسا منه خر ساجدا ، ثم صلى فيه ركعتين وانصرف الناس عنه ، فاستقر امير المؤمنين عليه السلام في قصره بالقاهرة المعزية يوم الثلثاء لخمس مضت من شهر رمضان سنة اثنين وستين وثلاثمائة .

قال ابن خلكان :وهو الذي تنسب اليه القاهرة المعزية لانه الذي بناها القائد جوهر له يوم الجمعة لثلاث عشرة بقين من المحرم سنة ستين وثلاثمائة ،

وفي ذكره ابو بكر جمهور بن علي بن جمهوي الهمداني : قال ابن حوقل البغدادي : القاهرة استحدثها جوهر الكاتب لامير المؤمنين المعز لدين الله عليه السلام وقد ضمت من المحال والاسواق والحمامات والدور الحسان ، والقصور المشيدة على اقتصارها ما لا تكون في غيرها ، وبها ديوان مصر ، وجامع حسن ، وبها من الرجال والفرسان والخيل ما يعجز عنه كثير من البلدان.

وقد قال ابن خلكان : ان الشريف ابن طباطبا لقي المعز لدين الله وقال له : النسب يا مولانا فوعده الى يوم اجتمع فيه الناس ، قال ابن خلكان : فاخترط السيف وقال هذا نسبي ، وبذل الدنانير وقال : هذا حسبي ، فقالوا سمعنا واطعنا ، ونقول : ان هذا من القول الفاسد والكلام الغث البارد ، وانى يكون ذلك ونسبه معروف مشهور من شجرة النبوة ، ودوحة الوصاية ، وفرع الامامة ، وانما ذلك للعناد والشقاق ، اذ لم يجدوا فيهم مطعنا ، ولا مغنما فجاؤا بهذه الاقوال ، ومخرقوا هذه المخرقة التي لا يتفق على ذوي العقول ، ولا يقبلها الا كل جهول ، وكيف والشريف الرضي على جلالته عندهم يخاطب بني العباس ويقول :

ما مقامي على الهوان وعندي \* مقول صارم وانف حمي

احمل الضيم في بلاد الاعادي \* وبمصر الخليفة العلوي

من ابوه ابي ومولاه مولى \* ي اذا ضامني البعيد القصي

لفّ عرقي بعرقه سيد النا \* س جميعا محمد وعلي

وذلك لاكرام الائمة عليهم السلام للحسينيين والحسنيين حتى ارتفع شانهم ، وعظم عند العباسيين مكانهم ، بعد ان كانوا في الدولة الاموية والعباسية يقتلون ويطردون ويحبسون ، وبانواع القتل والعذاب يتوعدون ، فانقذوا بعد ظهور المهدي بالله ع م من الذلة ، ورفعوا حيث كانوا حتى صاروا في الناس كالنجوم والاهلة

ومن اراد ان يعرف نسب الائمة وفضلهم ، وفرعهم الشريف واصلهم ، فليقرأ كتاب المصابيح في الامامة للداعي حميد الدين فان فيه شفاء للصدور ، وجلاء القلوب ، والحجة الواضحة التي لا يدفعها الا من دفع الحق بعد بيانه ، وانكر ضياء الشمس عند عيانه ، يريدون ان يطفئوا نور الله بافواههم ، ويصدوا عن سبيله رعاع الامة من اشكالهم واشباههم ، والله تعالى قد وعد بتمام النور ، وقال سبحانه في كريم كتابه ، فانها لا تعمى الابصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور ، نسأل الله العصمة ، وان يثبتنا على ولاية الائمة الذين اتم الله بهم الدين واكمل النعمة.

وصار امير المؤمنين المعز لدين الله ع م في دار ملكه وقرار عزه في القاهرة المعزية فسكنها واستوطنها وجعلها له دارا ، وتبوأها قرارا، وامور المملكة موطدة ، واسبابها مؤكدة ، والاسلام خافقة بنوده ، قائمة دعاته ، والايمان ثابت عموده ، طاهرة مراسمه ، وله عليه السلام ملك مصر والشام والحرمين واقامة الخطبة في جميع ما يضاف الى هذه من الكور والامصار ، وتحت رأياته الحج الى بيت الله الحرام ، للوافدين من الاقطار ، وله ملك افريقية والمغرب وطرابلس وسجلماسة وبرقة وصقلية ، وقد ظهرت دعوته وانتشرت دعاته في الجزيرتين السندية والهندية ، ولم تكن دعوته معدومة في جميع الاقاليم منها ظاهرة ومنها في السر والتقية ، وترك القاضي ابا طاهر محمد بن احمد بن عبد الله على القضاء بمصر على ما ابقاه عليه القائد جوهر ، وهو يرجع في جميع احكامه الى القاضي النعمان بن محمد ، ويعرض عليه قضاياه ، وينفذها على ما ينظر فيه ويراه.

واقام عبد الله بن ثوبان ينظر بين المغاربة في القضايا والاحكام ، ويوردها عن امر القاضي النعمان بن محمد في الاتساق والانتظام ، فلما توفي القاضي عبد الله بن ثوبان رحمة الله عليه صرف القضاء بعده الى القاضي الاجل علي بن النعمان ، فجرت الامور على احسن العوائد ، وانتشرت بيمن معز دين الله في الدين والدنيا الفوائد

قال الحسن بن جعفر الانصاري رحمه الله في تاريخه : وكان ابن الاندلسي محمد بن الخير قبل خروج المعز الى مصر قد خالف في سنة ستين وهرب في اربعة آلاف غلام اكثرهم يركب الخيل من المسيلة الى فاس وبلاد زناته ، وركب الى البحر الى الاندلس ، فكتب المعز لدين الله الى زيري بن مناد الحميري ، وكان يجاور ولايته ان يطلبه حيث يعلم مستقره ، فسار زيري خلفه الى بلد زناته على نحو شهرين من عملها ، وتردى زيري عن فرسه فقتل ، رحمته ورضوانه عليه ، وطائفة ممن معه ، والمعز لدين الله يومئذ بالمنصورية، ولما صار عليه السلام الى مصر كتب المعز لدين الله عليه السلام من مصر الى ابنه يوسف بن زيري بعد ان ولاه مملكته بالغرب ان اطلب ثأرك من زناته واجتهد ان تلقاه يوم كذا وكذا ، وكان محمد بن الخير لما قتل زيري ظن ان ليس في ولده مثله ، فجمع زناته وسبقه يوسف بن زيري في سبعة آلاف فارس واربعين الف راجل ، وصحبه يوسف ، وكان امرأة محمد بن الخير حسنة الصورة فلبست ثيابها وتطيبت واخذت خيلها ووقفت في نحو الف امرأة من حواريها ، وبنات عمها ونساء زناته ، وجعلت تحرّض بعلها ، وفعل من معها من النساء في تحريض قومهن فعلها ، وقصد محمد بن الخير البنود وقتل من تحتها ، وكان عامل المعز عليه السلام يوسف بن زيري قد كمن له فخرج يوسف في كمينه فهزم اصحاب ابن الخير ، فحين رأى الهزيمة في اصحابه جعل سيفه في حلقه ، فاذا به صريعا ، وقال : بيدي لا بيدك يا يوسف ، فقيل ان يوسف بن زيري ادركه وبه رمق ، فقال له : انا يوسف واخذ سلبه وكان السيف عظيما.

واصبح يوسف فجمع رؤساء زناته فادارهم على السيف ، وبسط على رؤوسهم بساطا ، وجلس عليه ومن معه ، واكل خبزا ، وقال : ما فعل احد كذلك ، فطيف برأس محمد بن الخير ورؤوس زناتة في الاعمال ، وبعث يوسف بها الى القاهرة ، فطيف بتلك الرؤوس في اعمال مصر ونواحيها

ثم انها قويت امر ايدي القرامطة في الشام وجاء اللعين ابو طاهر الحسن بن احمد بن بهرام المكني بالاغشم القرمطي وقد اجابه كثير من العرب والعجم من الساعين في فساد شريعة محمد صلع وهو يطوي البلاد طيا ، ويأتي من المنكرات شيئا فريا ، حتى دنى من القاهرة المعزية ، ووصل الى مسيول الطواحين في جماد الاول سنة ثلاث وستين وثلاثمائة، فخرج امير المؤمنين المعز لدين الله ومعه ولده الامير عبد الله وجميع انصاره وجنوده من المغرب واهل مصر في سنة ثلاث وستين وثلاثمائة ، فجرت بينه وبين القرمطي اللعين وقائع كثيرة ، وحروب عظيمة مشهورة ، وكان ولي عهد المسلمين عبد الله بن المعز في بعض تلك الحروب يقاتلهم عن امر الله ، فهزم القرامطة وقطع عسكره منهم الف فارس فقتلوا ، واسر منهم الف انسان ، ووصل الامير بهم مخيم ابيه عليه السلام ، وولى القرمطي منهم منهزما ، وانزل الله على وليه المعز لدينه نصره من السماء ، وكانت هزيمته في شعبان من سنة ثلاث وستين.

وقد اتى عن القاضي النعمان بن محمد رض في كتاب مؤازرة التأويل حيث قال : ومنها ما رأى المعز لدين الله ، قال : رأيت فيما يرى النائم ليلة الثلاثاء لليتلتين خلتا من شهر ربيع الآخر سنة ثلاث وستين وثلاثمائة كأني جالس على مكان من الارض عال اشرف على قتال يكون امامي ، وانظر الى حملاته ورداته ، وبين يدي سيوف اصحاب رسول الله صلع اذ بجماعة من الناس تفوق الناس مناظرهم حسنا وكمالا وزينة وبهاء ، فسلّموا عليّ وجلسوا حولي ، وجلس احسنهم منظرا ، وافضلهم حظوة ورأيا ، وانا لا اعرف في الوقت الا الامام المنصور عليه السلام ، فانه يبتسم اليّ ويشير كالمنبه على حال القوم ، واقرب من كان عن يميني رجل ربع اسمر، فقال : ما بال هذه السيوف بين يديك ؟ فقلت : هذه سيوف اصحاب رسول الله صلع اخرجتها وجمعتها اضرب بها وجوه الكفرة آخرا كما ضرب بها بين يدي رسول الله صلع اولا ،

ثم قام فقلت : من انت ؟ فقال : انا جدك علي ابن ابي طالب ، فقلت : مولاي ، فقال المنصور عليه السلام مولاك ومولاي ، ثم قلت : هذه الصيحة التي قال الله : ان كانت الا صيحة واحدة فاذا هم خامدون، قال : هو كذلك ، قلت : فيوم كاليوم الذي نودى فيه من اعنان السماء : لا سيف الا ذو الفقار، ولا فتى الا علي ، فتبسم عليه السلام ثم مد يده الى السيف ذي الفقار القديم حينئذ قلت : قد زالت الشبهة في السيف ، فتناوله وتقدّم فضرب رأس اللعين الاغشم ، فحمدت الله وشكرته بما هو اهله ، ثم قام من الجماعة رجل تام ، فقلت : من انت ؟ فقال : انا عمك حمزة ، فقلت : سيدي اسد الله واسد رسوله ، فتبسم ثم مد يده وفيها سيفه فهممت اخذه، فقلت : يا عم اهذا سيفك الذي لا يضرب به الا انت ؟ قال : نعم ، وتقدم فقطع بضربة واحدة ثلاثة رؤوس ، واخذ الثلاثة اخوان الاغشم ، ثم قام منهم جعفر الطيار ، وتقدم وبعد وضرب فقتل كثيرا ، ثم لم يزل يقوم واحد بعد واحد ويتسمى ويتقدم الى ان قام آخرهم رجل ، فقلت له : من تكون ؟ قال : انا ابو موسى الاشعري ، قلت : ما لك في السيوف بسيف ، ولا اريد ان ادخلك في شيء من هذا الامر ، قال ولم ؟ فتبسم القوم ، وضحك رجل كان ورائي جالسا فالتفت انظر اليه وقلت : من انت يا مولاي ؟ فقال : انا جدك رسول الله صلع فالتفت لاقبل الارض بين يديه ، فرفع وجهي على حجره فعانقني ، فقلت : يا رسول الله الحمد لله الذي جعل لي حظا في نصرتك ، فقال : نعم الحمد لله رب العالمين ، الحمد لله رب العالمين، الحمد لله رب العالمين ثلاثا ، فانتبهت بعد ان اتى على قتل الفسقة اجمعين، وانا معانق رسول الله صلع .

ثم كان الامر كما رأى المعز لدين الله عليه السلام فلم تزل جنود الله تتبع الفاسقين الطاغين حتى اجلوهم عن الشام، واخرجوهم من اعماله بعد ان قتلوا منهم ما لا يحصيه الا الله ع ج ، وقتل الاغشم اللعين بعد ان كاتبه امير المؤمنين المعز لدين الله ع م ، واحتج عليه ، واره آيات جل وعلى ، فابى الا عتوا في الارض، واستكبارا وبغيا على عباد الله واصرارا ، فاراح الله منه العالمين ، ونصر امير المؤمنين ، وعاد امير المؤمنين الى دارعزه ، وقرارملكه ، وقد تمهدت له البلاد ، ودان له العباد ، واصلح الله به الفساد، فشمل عدله ، وعم فضله ، واظهر الله على يديه برهان الحق الذي هو اهله

وفاة القاضي النعمان بن محمد بن حيون التميمي

وكانت وفاة القاضي النعمان بن محمد بن حيون التميمي رضوان الله ورحمته وبركاته عليه بمصر سلخ جمادى الاخرى في سنة ثلاث وستين وثلاثمائة ، والحمد لله ذي الطول والانعام ، القائل كل من عليها فان ، ويبقى وجه ربك ذي الجلال والاكرام، وقد ذكرنا من فضائل القاضي النعمان وتأليفاته وذكر مصنفاته ما يشهد بفضله ، وعلو مقامه عند اولياء الله وسني محله .

وفاة الامير عبد الله بن المعز لدين الله

وتوفي الامير عبد الله بن المعز لدين الله رضوان الله عليه وقدس الله روحه في ايام ابيه امير المؤمنين المعز لدين الله ، وكان ذلك في اقبال عيد ، ففي ذلك يقول امير المؤمنين المعز عليه السلام :

نحن بنو المصطفى ذوو محن \* اولنا مبتلى وآخرنا

عجيبة في الانام محنتنا \* صادقنا نالها وباقرنا

يفرح هذا الورى بعيدهم \* ونحن اعيادنا مآتمنا

وقال اخوه الامير تميم بن المعز لدين الله ع م :

كل حي الى الفناء يصير \* والليالي تعلة وغرور

والى الله يرجع الملك والمـ \* ـك ويفضي الامير والمأمور

واذا لم يكن من الموت بدّ \* فطويل الحيوة نزر يسير

اي خطب جرى واي مصاب \* دهم الناس صرفها المحذور

كيف لا تأثر المصائب في النفـ \* ـس على من هو الخطير الاثير

وكذا الرزء بالعظيم عظيم \* وكذا الرزء بالحقير حقير

كيف لم تسقط السماء على الار \* ض ولم تهو شمسها والبدور

يوم مات الامير بل يوم مات الصبـ \* ـر فيه بل يوم مات السرور

يوم بلّ الثرى عليه من الدمــ \* ـع وقدّت على القلوب الصدور

يوم حطّت عمائم واذاعت \* سرّها فيه ادؤر وخدور

يوم ابكى العيون حتى بكاه الـ \* اسد الورد والغزال الغرير

وسمعت الزفير وهو صراخ \* ورأيت الدموع وهي بحور

وفي اوان هو الشتاء فامسى \* بلهيب الانفاس وهو هجير

شيّعت نفسه ملائكة الـ \* ـلّه وروّته رحمة وطهور

بمقام غابت وجوه التعزّي \* عنه والحزن والانام حضور

قبروا شخصه وواروا سناه \* وتولّوا والفائز المقبور

كم نصير له هناك ولكن \* ليس من سورة الحمام نصير

لو تركنا الى الفداء فداه \* من يد الموت عالمون كثير

وسيوف ومثلهن عبيد \* ورماح ومثلهن عثير

قدّس الله روحه وضريحا \* حلّه ذلك السنا والنور

وكان الامام نزار بن معد العزيز بالله بن المعز لدين الله ع م قد استكمل جلال الفضل والكمال ، وارتقى الى اعلى الدجات حائزا من المناقب جميع الخلال ، فنصبه ابوه المعز لدين الله اماما بعده ، وولاه امره وعهده ، وفوّض اليه حله وعقده ، ونصّ عليه في محضر من كبراء دعاته ، واهل دعوته ، وعيون امرائه واهل مملكته، وكتب بذلك الى دعاته في جميع الاقطار ، واعن بالتوفيق على علو مقامه والاشهار.

وكان مقام المعز لدين الله ع م في القاهرة المعزية حتى احكم عقد الخلافة ، واطردت امور الدعوة ، وثبتت قواعدة المملكة في الشرق والغرب ، وقضى الله على كل معاند بالظفر والغلب، ثم لحق صلوات الله عليه بآبائه الطاهرين ، ووافاه كما وافاهم ريب المنون، كما قال الله تعالى في كتابه الكريم المكنون، لرسوله محمد الطاهر الميمون ، انك ميت وانهم ميتون ، وكانت وفاته عليه سلام الله ورضوانه ، ورحمته وبركاته ، يوم الجمعة الحادي عشر من شهر ربيع الآخر ، وقيل الثالث عشر منه سنة خمس وستين وثلاثمائة. وكانت اقامته في الخلافة منذ توفي المنصور بالله عليه السلام وصارت الامامة اليه ثلاث وعشرين عاما ، وخمسة اشهر ، وعشرة ايام ، منها مقامه بمصر سنتان، وسبعة اشهر ، واربعة ايام ، وكان مقام جوهر في مصر الىان وصل عليه السلام اربع سنين ، وتسعة عشر يوما.

ومما قيل في مراثيه عليه السلام قول الامير تميم بن المعز :

كيف لا تعدم الجسوم القلوبا \* وترى نضرة الوجوه شحوبا

من يعزّي الجياد ام من يسلّي \* مجلس الملك والسرير الكئيبا

فقدوا بعدك القلوب اللواتي \* شقّها واجب فشقوا الجيوبا

وا معزاه وا معزاه حتى \* يغتدي الدمع بالدماء خضيبا

فليذق غيري الحيوة فاني \* لا ارى للحيوة بعدك طيبا

وقيل ان وفاة المعز لدين الله ع م كانت بهيتس ، قال ابن ماكولا بهيتس قرية من قرى مصر ، وكان معه ولي عهده والخليفة من بعده العزيز بالله عليه السلام ، فاخبر العزيز بالله انه يموت في ليلته تلك ، واوصاه بما اوصاه، ودخل الى محراب المسجد بهيتس فقضى نحبه بعد ان قضى صلوة المغرب ، وكان فيما اوصى الى ولده الخليفة من بعده ان يحمله الى القاهرة المعزية ، وان يدفنه بها ، فكتم العزيز بالله عليه السلام وفاته وحمله معه الى القاهرة فدفنه بها ، وقد قيل انه حمل تابوت المهدي بالله والقائم بامر الله والمنصور بالله عليهم السلام الى القاهرة، وفيها اجسادهم الشريفة قد دفنت هنالك، وكذلك قيل ان توابيب الثلاثة الائمة المستورين حملت الى هناك ودفنت.

وقد اوردنا ما ذكر الواقدي من ان ائمة الظهور عليهم السلام حملوا تابوت رأس الامام الحسين بن علي الى القاهرة ، وواروه بها ، اذ قال في خصائص الائمة : ان خلفاء مصر نقلوه من باب الفراديس الى عسقلان، ثم نقلوه الى القاهرة ، وله مشهد عظيم يزار ، فصلوات الله عليهم وبركاته ورضوانه وتحياته ، والحمد لله على ما اولانا من ولايتهم ، وعرفنا من فريضة طاعتهم ، ونسأل الله ان يجعلنا ممن دخل سفينتهم فنجاه من طوفان الضلالة ، وصلى الله على محمد رسوله الذي اختاره الله وآله وسلم عليهم اجمعين، وحسبنا الله ونعم الوكيل.

بسم الله الرحمن الرحيم ، وبه نستعين

الحم لله معز دينه باوليائه ، وجاعلهم خلفائه في الارض بعد انبيائه ، وصلى الله على محمد رسوله المصطفى صفوة اوليائه ، وعلى وصيه علي ابن ابي طالب والائمة الطاهرين من ابنائه الذين فرض الله لكل واحد منهم في عصره اكيد ولائه.

ذكر جمل واخبار مما كان في ايام الامام العزيز بالله نزار امير المؤمنين صلوات الله عليه

ذكر ما كان في ايام الامام العزيز بالله نزار امير المؤمنين بن المعز لدين الله معد ابن اسماعيل سلام الله عليه وعلى آبائهما وابنائهما الطاهرين الاكرمين

ولما افضت الامامة والخلافة الى امير المؤمنين الامام نزار ابي منصور العزيز بالله بن معد المعز لدين الله قام باعبائها ، ونهض باقامة شريعة جده محمد صلع واعلائها ، وحفظ نواحي المملكة وابانة معالمها ، ونشر الدعوة واحياء مراسمها محتذيا لفعل الماضين من آبائه ، واضعا لكل جبار عن نخوته وابائه ، وكتم وفاة والده الامام المعز لدين الله عليه السلام وكان يكتب اسمه ويتكن بولي عهد المسلمين ، وابن امير المؤمنين حتى كتب الى القوم بامره وامر ابيه في نواحي مملكته ، والقائمين بخدمته في اعلان دعوته ، وكتب الى بلكين بن زيري عامل ابيه في نواحي افريقية ، وجميع الجهات المغربية يعلمه بقيامه في مقام آبائه ، ويأمره بحفظ ما لديه من النواحي والاقطار والتحفظ من اعدائه ، وكناه بسيف العزيز بالله وكنى ابنه المنصور بن بلكين عدة العزيز بالله ، وابنه باديس بن بلكين نصير الدولة ، فقام بلكين بطاعته واستماع كلمته ، وحفظ ما ناط اليه ولي الله من امور مملكته

وكان مولد العزيز بالله بالمهدية يوم الخميس الرابع عشر من المحرم اول سنة اربع واربعين وثلاثمائة ،

ونشأ على مكارم الاخلاق، والطهارة الشاهدة له بطيب الاعراق ، وكان مقبلا على العمل الصالح ، مجدا في ذلك لا يلتفت الى شيء من امور المملكة ، وما ينضاف اليها من الامورالدنياوية ايام حيوة والده ، ووقت اخيه عبد الله ، والامام المعز ع م يشير اليه بالخلافة ، ويعرف خواص اوليائه واصفيائه ما له من الفضل على بني ابيه كافّة ، فلما تناهت من المعز لدين الله مدته ، وآنت عن الدنيا نقلته ، شهر لامير المؤمنين العزيز بالله امره ، واعلى ذكره ، واسنى قدره ، وناط اليه امور مملكته ، وصرف نحوه جميع امر دعاته ودعوته ، واعلن انه الخليفة بعده ، وولاه امره وعهده ، وجعل اليه حل الامر وعقده ، فكتم امر ابيه حين وفاته ، واخفاه كما ذكرنا الا عن خواصه ودعاته ، فلما كان يوم النحر من السنة التي توفي فيها امير المؤمنين المعز لدين الله عليه السلام من سنة خمس وستين برز امير المؤمنين العزيز بالله بحاشيته وكتائبه الى المصلى ، وخطب الناس بعد ان صلى ، فذكر بعد ان بدأ بتكبير الله وتهليله وحمده ، وصلى على آبائه الطاهرين ، عقب الصلوة على محمد رسول الله جده ، ووعظ الناس وذكرهم بتقوى الله ، امرهم ما خص الله به وليه المعز لدين الله عليه السلام من النقلة ، واعلن بما احل الله له من شرف الامامة والخلافة لديه ، وعزى نفسه عن وفاة ابيه ، وذكر اسوته بمن مضوا من آبائه الاطهار الكرام ، وما اعد الله لهم من الكرامة في دار المقام ، وسلم عليه بامر المؤمنين ، وبويع بيعة العامة في محضر اهل المصلى اجمعين، وكان قد بويع له بيعة الخاصة اوان وفاة ابيه ، وعرف ذلك كل من كان من خواصه واقربه .

وقال الامير تميم في ذلك العيد يذكر خطبة الامام من قصيدة :

نحن من العيد اذ سلمت لنا \* ومنك في تهنئات عيدين

برزت كالشمس يوم اسعدها \* بل زدت نورا على المنيرين

كأن في السرج منك منتصبا \* بدر سماء وليث شيلين

في جحفل جر من فوارسه \* كتائبا تملأ الفضائين

فمن مشير براحة صرفت \* اليك او ناظر بلحظين

تأملوا من نبيهم خلقا \* فيك وخلقا محمديين

حتى اذا ما علوت منبرهم \* وقمت للحمد في اللوائين

خوّفت بالله من جئت به \* مبشرا مسهب الطريقين

تضم تحميدة الى عظة \* لهم ووعدا الى وعيدين

انت الامام المبين وحكمته \* والعالم الفرد ذو اللسانين

صلى عليك الاله من ملك \* عدّ يديه الندى يمينين

وقال فيه ايضا من قصيدة يمدحه فيها ، ويذكر فضله وما هيأه الله من مقام الخلافة :

ففرّغت نفسي من الغانيات \* وصيّرت في المجد اعمالها

بابيض كالبدر طلق اليدين \* تسابق جدواه سؤّالها

هو البحر تغرق امواجه \* بحار النوال ونوّالها

هو الليث تنسيك اهواله \* زئير الليوث واهوالها

امام اذا طاولته الملوك \* الى فضل منقبة طالها

وان نال في اليوم اكرومة \* تناول في الغد امثالها

رأيت الامام نزارا به \* تتم الخلافة احوالها

امام اذا امر الحادثا \* ت ارسل حالين ارسالها

فيحي الولي ويردي العدو \* بكفّ تفرّق اموالها

من النفر الغر ممن ترون \* خيار البرايا وابدالها

وممن يكون غياث العباد \* فيبدل بالروض امحالها

وممن تراهم غداة الهياج \* مغاوير حرب وازوالها

رقى بالنبي وآل النبي \* هضاب المعالي واجبالها

سما بالوصي الى حالة \* لو النجم يجهد ما نالها

تراه الملوك بعين الجلال \* فقد صغّرت حاله حالها

هو الحية الصل من سمها \* تميت وتقتل اصلالها

هو المسك من نسبة غضّة \* اذا اصبح الناس صلصالها

له شجرات علا لم يكن \* ترى نبع نجد ولا ضالها

ولو واجه الشمس وجه له \* لابدت له الشمس اجلالها

اذا اشكلت مظلمات الامو \* ر اوضح بالرشد اشكالها

يفوق البحار ندى كفه \* وصوب الغمام وتهمالها

نهوضا باعباء حمل العهود \* ركوب العظائم حمّالها

برأي هو الدهر في قدره \* يحط من الهضب اوعالها

تزلزلت الارض شوقا اليه \* فسكّن ذو العرش زلزالها

وطوقه الله تدبيرها \* ومذ كان المسمّى لها

ليهن الامامة ما نلته \* فقد تمّم الله آمالها

لكانت تراسله قبل ذا \* يقينا ليحمل احمالها

واوحت اليه بامر الاله \* قبيل الفطام واوحى لها

فجاءته عن عجل وادعا \* تسابق في الغيب اعجالها

وزفّت اليه بامر الاله \* فالبسه الله سربالها

وتوّجه الله تيجانها \* واطلع في وجهه خالها

والبس اثواب اعزازها \* ليسحب في العز اذيالها

تصدّت لاصيد يرعى السوا \* م منها ويحفظ اهمالها

ولو ساسها احد غيره \* لاخرجت الارض اثقالها

فعاش العزيز لها سالما \* يشدّ عراها واقفالها

يعزّ على الدهر انصارها \* ويضرب بالسيف خذّالها

ترى نعما مثمرات الغصون \* اذا قولة في الندى قالها

وترجف منه قلوب العدا \* اذا صولة فيهم صالها

يغذّي الانام بمعروفه \* كما غذّت الاسد اشبالها

يفوق الشموس واشراقها \* ويعلو البدور واكمالها

ترى البدر والبحر في سرجه \* وليث الحروب ورئبالها

به يقبل الله فرض الصيام \* وحج الحجيج واهلالها

ابوك المعزّ هدى نوره \* لدى حيرة الناس ضلالها

وبصّرهم بعد طول العمى \* وقوّم بالعدل منهالها

له آية في العلا لم يكن \* عدو ليدرك ابطالها

وانتم شموس اذا ما بدت \* كفتنا النجوم وافّالها

وكم نعم ناعمات الغصون \* لبسنا بظلك اظلالها

تفائلت النفس نيل العلا \* فصدّقت بالفعل لي فالها

فمليت عمرك ما تابعت \* لنا بكر الدهر آصالها

وصفات الامام العزيز بالله عليه السلام اسمر طويل اشهب الشعر عريض المنكبين حليم وقور كثير العفو لا يؤثر سفك الدماء ، وكان نقش خاتمه بنصر العزيز الجبار ينتصر الامام نزار ، وكانت ايام امير المؤمنين العزيز بالله عليه السلام ايام دعة ونعمة ، وقد جلى ابوه الامام المعز لدين الله كل غمة ، وكشف كل ظلمة ، ودانت له كل مناصب ، وذل كل معاند وناصب ، واطراف الملك محمية ، والنواحي البعيدة بتوجيه العساكرالعزيزية مرمية ، فكلما رام باغ ان يثور اخفت رأسه ، واذل شماسه ، وانقطعت من الجبن والذعر انفاسه ، وانهار ولم يقم من بنائه اساسه ، وجف قبل ان يبسق غراسه ، مثل ما كان من ابي تغلب بن حمدان فانه تطاول للخلاف وجمع اليه الزعار من الاعراب الاجلاف ، استولى على مدينة حلب ، واغار على الاطراف ، فاخرج الامام عليه السلام اليه الجيوش ، وعبأ له الكتائب ، وبذل في اخذه او قتله الرغائب ، ففر قبل ان تصل الجيوش اليه، وجاءت برأسه الى امير الجيش ، وجعلت ذلك قربة لها ، ووسيلة الى العفو عما اجرمته في اتباعها له ، وسهل الله من امره ببركة وليه ما كان عسيرا ، واخفت الله ناره ، فصارت بردا قبل كونها سعيرا ، ورد الله سبحانه عليهم كيدهم ، واوهن قوتهم وايدهم ، وفي ذلك يقول الامير تميم بن المعز لدين الله من قصيدة في مدح الامام العزيز بالله ويذكر فيها ابا تغلب بن حمدان وما صار اليه اوردناها بكمالها وتمامها ، لجودة لفظها وحسن نظامها ، وهو قوله :

لوم لئيم اشتد وخاب \* والشوق يصغي لبعض العتاب

من لام في الحب كئيب الحشى \* فانما اغراه بالاكتئاب

واكبدا لم يبق منها الجوى \* بين ضلوعي للجوى ما يذاب

صبابة تقدح في مهجتي \* بلاعج البث شجى والتهاب

يا من تشفى بعذابي به \* اني لاستعذب منك العذاب

لا زال سقمي وعدابي على \* سقم المآقي والثنايا العذاب

لو فتّشوا جسمي ما ابصروا \* غير الاسى يسرح بين الثياب

لا خير في الحب اذ لم يكن \* في انفس العشّاق ماضي الجراب

في خد من يتمنّى من دمي \* رشح في كفيه منه خضاب

كأنما الاصباح من وجهه \* لاح ومن خدّيه ذاب الشراب

فما رمى عن قوس اجفانه \* قلبي بالالحاظ الا اصاب

لما تشكيت اليه الهوى \* بالسن الدمع رثى واستجاب

وزارني تحت رواق الدجى \* والليل في صيغ جناح الغراب

يلوح في الظلماء لألاؤه \* كالبدر في مدرعة في سحاب

مكتتما يغرق من ظلمة \* مستحسرا من قلق واكتئاب

والبدر في اول اقباله \* كخطّ نون مذهب في كتاب

فبات يعطيني من وصله \* اضعاف ما اعطى من الاجتناب

اذا سقاني الراح من كفّه \* مزجتها لثما براح الرضاب

كأنها في الكاس ما جال في \* خديه من رقة ماء الشباب

حتى تولى الليل في جيشه \* وحل ضوء الصبح عقد النقاب

كأنما الليل باصباحه \* كان عذارا حالكا ثم شاب

او كان مثل الجور في لونه \* فحلّه عدل نزار فغاب

قل لابي المنصور يا خير من \* اقام او حث لمجد ركاب

ويا اماما قابلت ملكه \* لوائح الاقبال من كل باب

خوّلك القدرة والنصر من \* حباك بالحكم وفصل الخطاب

ان ابن حمدان عدا رشده \* ورام ان يظفر جهلا فخاب

ظن الذي اخلفه ظنه \* فيها وخال الماء لمع السراب

فيا ابا تغلب سؤت المنى \* ومت بالتهديد قبل الضراب

كيف يلاقي الاسد منك امرؤ \* قد فرّ من ادنى نباح الكلاب

حاربت بالبغي امام الهدى \* ولم تهب منه عزيزا يهاب

وكان قد طاب لكم عفوه \* فعاد مرّا منه ما كان طاب

وجّه بالبيض كتابا له \* اليك منشورا فكنت الجواب

وعجلت رأسك سمر القنا \* وخلّفت جسمك رهن التراب

كذاك من خيّر عن سعده \* مثلك لا يزداد الا اغتراب

يا ابن معز الدين ابشر فقد \* مدّت لك الاملاك طوع الرقاب

وانحل عن ملكـك عقد الاذى \* قسرا وذلّت لك فيه الصعاب

لانك الغرة من هاشم \* والصفو من ساداتها واللباب

وابن الصفا والحجر وابن الهدى \* وابن نبي الله وابن الكتاب

كفّاك كف تنهمي بالثواب \* عفوا وكف تنهمي بالعقاب

كم من يد اوليتني جمّة \* ابت بنعماها لخير المآب

ما زلت تدنيني وتعلي يدي \* فعل كريم الاصل حر النصاب

فرحت من نعماك بادي الغنى \* متمّم الآمال رحب الجناب

والله ما في جسدي شعرة \* الا وشكري لك فيها سخاب

ونشر العزيز بالله عليه السلام علمه، واظهر حكمه ، وكان يدخل الى مجلسه العزيز والذليل ، والقوي والضعيف ، فهذا يسمع وعظه ، ويأخذ من علمه ، وهذا يسأل نواله ، فيعطي فوق امله ، وهذا يشكو من ظلم فيعاقب ظالمه بظلمه .

وامر بالمجالس فقرأت على المؤمنين ، وعلموا الظاهر والباطن من علم الدين ، واحتذى حذو ابيه المعز لدين الله جاريا على رسمه، حاكما كحكمه ، فانتفى به الجور ، وظهر العدل ، وتميز اهل العلو والفضل ، واقيمت الحجة ، واتضحت المحجة ، ووافته دعاته من اطراف الجزائر ، وتوارد الى شريف حضرته فمن وارد وصادر ، فاجتمع الى حضرته فيما يقال اثنا عشر داعيا من جميع جزائر الارض الاثنتي عشرة ، وكان فيهم داع من السند اظهر فضل مولاه ، وبث شكره على ما اولى ، وقد شملت دعوته الى الهند، والسند وانتشرت في الغور منه والنجد ، فكلهم لاحظ الامام عليه السلام وعاين لألاء انواره ، واخذوا من علمه ، واعترفوا من تياره ، وعاد كل منهم لنشرالدعوة الى داره ، بائحا باعلان فضل ولي الله واظهاره ، داعيا اليه في جهره واسراره ، عاملا بشريعة محمد آناء ليله واطراف نهاره ، حسب ما امره ولي الله ورتب لهم على ما اخذه عن آبائه عن علي ابن ابي طالب امير المؤمنين عن رسول الله صلع الذين نصبهم الله باختياره.

وكان القاضي ابو طاهر محمد ابن احمد قائما بالقضاء في مصر واعمالها ، ايام المعز لدين الله عليه السلام على ما يرتبه له القاضي النعمان بن محمد ويجري امره به ، حتى توفي القاضي النعمان قدس الله روحه ، فكان ذلك الى القاضي ابي طاهر ، والى القاضي علي بن النعمان اذ كان القاضي علي بن النعمان قد اخذ عن ابيه فيما نقله من الفقه ن الائمة الاطهار عن رسول الله صلع النبي المختار ، وكان القاضي ابو طاهر يرجع الى القاضي علي بن النعمان حسب ما كان على عهد ابيه ، وجريا على شاكلته فيما يحكم به ويقضيه ، وكذلك كان امره بقية ايام المعز لدين الله عليه السلام ، وجرى على ذلك صدار من ايام امير المؤمنين العزيز بالله عليه السلام فحين ثقل القاضي محمد ابو احمد عن القضاء وضعف جسمه ، وكبر سنه ، ركب الى امير المؤمنين العزيز بالله ع م يسأله اعفائه عن القضاء ، ورجى ان يكون ما كان اليه الى بعض اولاده ، فاعفاه ولي الله ورد امر القضاء والدعوة ونشر مجالس العلوم والحكمة الى القاضي علي بن النعمان حسب ما كان الامر الى ابيه اوان المعز لدين الله ع م وآبائه ، والى القاضي علي بن النعمان بعد تمام عمر ابيه وانقضائه ، فجرى ذلك الامر وانتظم واتسق ورسخ وسنخ الامصار التي استولت عليها الدعوة العزيزية ، وزال الجور والاعتساف بالكلية، وارجع الناس عن الرأي والقياس الى ما ورد في القرآن الكريم ، وبنية العترة النبوية بصحة الاسانيد على اساس ، وقوم الناس في الطلاق والصيام على اثبت منهاج ، واقام الاود في الدين ، وثبت الاعوجاج ، وقويت الدولة العلوية، وعزت وطربت اعواد المنابر بنشر فضائل الوصي ، والعترة الطاهرة واهتزت.

وكانت الامراء تأتي للحج الى بيت الله الحرام ايام امير المؤمنين المعز لدين الله ع م من قبله ، ويأتي لذلك امراء من قبل بني العباس فتكون الخطبة للمعز لدين الله ع م واولئك لهم ظهور امر وعلو ذكر ، فلما كان اوان امير المؤمنين العزيز بالله ع م دعوة الاسلام فلم يكن لاحده غيره علم ، ولا كان للامراء البغداديين في التقدم قدم ، بل ظهرت الجيوش العزيزية وكثرت ، ونفذ بترك الاعلام العباسية ما امرت ، ووفد كل حاج من جميع الاقطار الى البيت الحرام، ولم يمنع احد عن حضور مناسك الحج ممن اعتزى الى الاسلام ، لا من دولة بني العباس ولا من سواهم من سائر الناس ، بل منعوا عن تطريز الاعلام بذكرهم ، وامروا ان يطووها بعد نشرهم، وان لا يعارضوا امر الدولة العزيزية بامرهم ، فجرت على ذلك المراسم ، وقام به الحج ايام المواسم .

وفي ذلك يقول الامير تميم بن المعز مخاطبا العزيز بالله عليه السلام ذاكرا ما انتشر من فضله في البيت والمقام حيث يقول :

دعى باسمك الداعي بمكة معلنا \* فطاب لاهل الموسم الحج والنفر

وحنت اليك المروتان وزمزم \* وثوّب تصريحا بك الركن والحجر

مسارح آيات القرآن واربع \* بها ظهر الايمان واندمغ الكفر

وارض غدى للوحي بين عراصها \* مجال وللاسلام في اهلها نصر

وانت بها يا ابن النبي محمد \* احق اذا ما بانت الحجج والزهر

فحسب العلا والمحد انك ربها \* وانك في ظلماء كل دجى فجر

وانك منهل الندى بيّن الهدى \* كريم الثناء ما فيك بخل ولا كبر

وانك للاسلام حرز وللهدى \* عماد وللعافين يوم الندى بحر

فداؤك منّي مقلة انت نورها \* ونفس بك استعلت وطاب لها العمر

وصلّى عليك الله يا خير خلقه \* وابقاك ما لاح الضحى وهمى القطر

وثار افتكين التركي وكنيته ابو منصور وكان متوليا لدمشق من جهة امير المؤمنين العزيز بالله ، فطغى وبغى على مولانا وباع آخرته باولاه ، وخالف في الشام واظهر البغي على الامام ع م ، وكتب الى عضد الدولة بن بويه الديلمي ، وعضد الدولة يومئذ المملك في بغداد من جهات العباسيين ، والخليفة العباسي في ملكه ليس له غير اسم الخلافة ، والملك والمملكة في يد عضد الدولة كافة ، وكان مضمون كتاب افتكين التركي اليه ان الشام قد صفى وصار في يدي ، وزال عنه حكم العزيز بالله ، وانك ان قويتني بالاموال ، وسيرت الي الرجال ، حاربت القوم في مستقرهم ، فاجابه عضد الدولة الديلمي : غرك غرك، فصار قصار ذلك ذلّك ، فاخش فاحش فعلك ، فعلك بهذا تهدا ، وهي كلمات متشابهة في الخط لا تقرب الا بالنقط والضبط ، فاستولى افتكين على نواحي الشام ، ونشر الالوية العباسية والاعلام ، وقوي ظلمه واستطال ، وعظم بغيه وما زخرفه من الافك والمحال ، فاخرج اليه امير المؤمنين عليه السلام من العساكر من الخيل والرجال واعطاهم على حربه ما ينفقون من الاموال فكان كلما خرج عسكر الى افتكين آب مغلوبا مهزوما ، وقتل في الناس قتلا ذريعا ، وعظم الخوف واضطربت النواحي في البلاد ، وقام لذلك اهل البغي والفساد .

فخرج امير المؤمنين العزيز بالله بنفسه ، بعد ان جمع عساكره وقواده ، واعد عدته واعداده ، مستعدا للقاء افتكين متوكلا على الله ، وهو حسب المتوكلين ، وقد اشار عليه قواده واهل مملكته ان لا يخرج الى العدو بشريف نفسه ، وان وقوفه اولى ، وان ان خرج فلا يأمنون هزيمة ، وان كل من انهزم من اهل مملكته وقواد جيوشه فهو لهم ردء وقوة ان اقام بالقاهرة ، ولم يخرج منها للقاء الجموع الباغية الخاسرة ، فترك قولهم ظهريا ، ومضى للحرب رأيا سديدا ، وعزما قويا ، ولم يلتفت في ذلك الى اللوم والتفنيد ، ولا يسمع قول قريب ولا بعيد ، فحين انتهى عليه السلام بجنوده وحشوده الى الطواحين، وظهرت منه العطايا للصادرين والواردين ، وواقعت سوابق جيوشه للمعاندين ، وقعت له الهيبة في قلوب المفسدين ، وامتلأت من الرعب افئدة المخالفين ، وجاءت اليه طوائف من اتباع افتكين ، ملقين بايديهم تائبين ، وولى بقيتهم عن الشام منهزمين ، ولاحت لوائح النصر والتمكين.

قال الامير تميم بن المعز وانشد في الطواحين من ذلك قوله :

اذا حان من شمس النهار غروب \* تذكر مشتاق وحن غريب

الا ابلغا القصرين فالمقس انّني \* اليهن مذ فارقتهن كئيب

الى ساحتي دير القصير الى الربا \* فمصرهما حيث الحياة تطيب

منازل لم يلبس بها العيش شاحبا \* ولم تلف فيهن الخطوب تنوب

هو الوطن النائي الذي لم تزل لنا \* نفوس اليه نزّع وقلوب

واني لاهوى الريح من كل ما بدا \* برياه من ريح الشمال هبوب

وما بلد الانسان الا الذي له \* به سكن يشتاقه وحبيب

الى الله اشكو وشك بين وفرقة \* لها بين اثناء القلوب ندوب

ترى عندهم علم وان شطت النوى \* بان لهم قلبي عليّ رقيب

لهم كبدي دوني وقلبي ومهجتي \* ونفسي التي ادعو بها واجيب

فآية حزني لوعة وصبابة \* وعنوان شوقي زفرة ونحيب

وما فارقونا يرتضون فراقنا \* ولكن ملمّات الزمان ضروب

لهم انفس مرضى يقطّعها الاسى \* علينا واكباد تكاد تذوب

فللشوق في الاكباد منهن رنّة \* وللدمع في روض الخدود سكوب

سيشفين داء البعد بالقرب عاجلا \* ويعلمن انا بالنجاح نئوب

وان ظنون الناس افك وباطل \* وظن امير المؤمنين مصيب

تدارك نصر الدين من بعد ما وهت \* دعائمه فارتدّ وهو قشيب

رحيل رأى فيه السعادة وحده \* واكثر فيه طاعن و كذوب

فامضاه لما ان اشاروا بتركه \* وكلهم مما اتاه هيوب

يسير به قلب على الخطب قلّب \* وصدر بما تعيى الصدور رحيب

فخابوا وما ان خيّب الله ظنه \* ولله في ما انكروه غيوب

وحل ديار المارقين فاصبحوا \* وكلّهم خوفا اليه منيب

كأنهم اذ عاينوه مصمّما \* هشيم اطارته صبا وجنوب

بدى لهم منه امام مؤيد \* عزيز لاشباح الخطوب ركوب

فلم يجدوا غير الانابة حيلة \* ولو قدروا ما اذعنوا ليتوبوا

وما كان فيها جيشه غير نفسه \* وعزم اكول للخطوب شروب

يؤيده رأي يلوح نجاحه \* كما لاح عضب الشفرتين قضيب

حويت ابا المنصور وحدك فضلها \* وما لامرئ فيها سواك نصيب

كذا فليقم بالمجد من كان قائما \* وبين العلا من راح وهو نجيب

نهضت بها اذا اعجزت كل ناهض \* ومزن رداها ينهمي ويصوب

وقد ملأت ارض الشآم وقائعا \* قبائل من مرّاقها وشعوب

جليد الحشى القلب حين تمزّقت \* من الخوف شبّان هناك وشيب

عقدت بها عزّ الخلافة بعد ما \* بدى في نواحيها ضنى وشحوب

وجدّدتها من بعد ما لعبت بها \* صروف الليالي والتوين خطوب

فيا لهف نفسي اذ نهضت بثأرها \* لو ا ن معزّ الدين منك قريب

يراك ويدري كيف ضبطك بعده \* وانك للامر السقيم طبيب

سحابك منهلّ وبأسك متّقى \* وحلمك لم تكثر عليه ذنوب

وداعيك مقبول مجاب دعاؤه \* وراجيك بالمعروف ليس يخيب

وما حاربتك الترك الا وبينها \* وبين الهدى والمكرمات حروب

وما جحدوا الحق الذي لك فضله \* ولكن بهم عنه عمى وهروب

فان يصبحوا تركا وزنجا وديلما \* فانت امام للنبي نسيب

رعاك الذي استرعاك امر عباده \* فما لك في هذا الانام ضريب

وقصد امير المؤمنين عليه السلام بجموعه الى الشام ، وهو في عدة موفورة ، وعساكر كثيرة ، وقد ضم اليه القبائل ، وجمع العساكر والجحافل ورايات النصر عليه خافقة والقلوب بنصره وتأييده من الله واثقة ، وبرز افتكين التركي في جموع الشام ، وقد اجتمع له كثير من الطغام ، وقد اعجبته كثرة جنوده ، وما يخفق عليه من الويته وبنوده ، فالتقى الجمعان ، واجتمع الفئتان، وتحامل الفرسان ، وتلاقى الشجعان ، وتكافح الابطال ، واشتد القتال ، وعظم الهياج ، وارتفع العجاج ، فنمر امير المؤمنين اصحابه ، وهزّ الى العدو قرضابه ، وحمل عليهم بذي الفقار ، وحملت العساكر العزيزية ، وتنادت بالشفار ، وكثر القتل في الفجار ، فولوا الادبار ، وفروا اشر الفرار ، وتفرّقوا بددا ، وساقتهم السيوف الى موارد الردى ، ومنح الله الجنود العزيزية اكتافهم يقتلون ويأسرون ، وبنصر الله تعالى وفضل وليه عليهم ينتصرون ، فاردوا منهم اسنة وسيوفا ، وجندلوا منهم الوفا . وكانت وقعة سارت بها الركبان ، وامتلأت من ذكرها في الاقطار والامصار والبلدان، وولى افتكين على وجهه لا يدري اين يذهب ، واي وجهة يأوي اليها لينجو من العطب ، فقطع عليه الطريق، وغفل ابن الجراح البدري واخذه اسيرا ، وجاء به الى امير المؤمنين العزيز بالله مقهورا ، وقد ربط في عنقه حبلا وجمعت يداه الى عنقه بعد ان غلتا ، واشار كل من حضر على امير المؤمنين بقتل افتكين التركي ن فابى ذلك وقال : اني عاهدت الله ع ج عند الخروج اليه ان ظفرت به ان اجعل المن عليه شكرا لله تعالى عند الظفر ، وان اعفو عنه عفو من قدر ، فمنّ امير المؤمنين على افتكين بعفوه ومنته ، ووسعه بفضل كرمه ورأفته، وخلط بالخاصة من اهل مملكته ، بعد ان تاب وتنصل الى مولانا من عظيم خطئيته .

وقد ذكر ذلك ابن خلكان في تاريخه حيث ذكر العزيز بالله فقال : ومما يدل على عفوه وحلمه ، فعله بافتكين التركي حين ظفر به بالشام ، واقام افتكين على الاكرام من الامام ، يسيرا من الايام ، الى ان مات في سنة اثنين وسبعين وثلاثمائة لسبع خلون من شهر رجب .

ودخل امير المؤمنين مدينة دمشق ومعه وزيره يعقوب بن يوسف بن كلس ، وكان في تلك الحروب بالشام حسن الرأي والتدبير ، والجهاد الذي حاز به مع امير المؤمنين الحظ الخطير ، بعد ان اعز الله وليه ونصره، واعطاء واظفره ، وايده بتمكينه واظهره ، وقد دانت له البلاد ، وانقطعت حرثومة الفساد ، والتوفيق يرافقه، والسعد يخدمه ، والنظر والتائيد يصحبه ويقدمه ، وقد حفت به العساكر المنصورة ، والبنود المنشورة، وجنوده قد ملأت الاقطار ، وصارت في البراري كامواج البحار ، وكان ذلك في شهر المحرم اول سنة ثماني وستين وثلاثمائة ، وانشدت الشعراء الامام ، وممن انشد ابو حامد احمد حيث يقول من قصيدة مدح فيها الوزير يعقوب بن يوسف رحمة الله ورضوانه عليه وهو ابن محمد الانطاكي المعروف بالرقعمق اولها :

قد سمعنا مقاله واعتذاره \* واقلنا ذنوبه وعشاره

والمعاني لمن عنيت ولكن \* بك عرّضت فاسمعي يا جاره

من غدا دأبه الى ابد الدهـ \* ـر تراه محلّلا ازراره

عالم انه عذاب من الله \* تعالى لانفس النظارة

هتك الله ستره فلكم هتّك \* من ذي تستّر استاره

سحرتني الحاظه وكذا كل \* مليح الحاظه سحّاره

ما على مؤثر التباعد والاّ \* عراض لو آثر الرضى والزيارة

وعلى انّني وان كان قد عذّب \* بالهجر مؤثّر ايثاره

لم ازل لا عدمته من حبيب \* اشتهي قربه وآبى نفاره

ومنها في المدح :

لم يدع للعزيز في سائر الار \* ض عدوا الا واخمد ناره

فلهذا اجتباه دون سواه \* واصطفاه لنفسه واختاره

لم تشيّد له الوزارة مجدا \* لا ولا قيل رفّعت مقداره

بل كساها وقد تخرّمها الدهـ \* ـر جلالا وبهجة ونضارة

كل يوم له على نوَب الدهـ \* ـر وكرّ الخطوب بالبذل غاره

ذويد شأنها الفرار من البخـ \* ـل وفي حومة الندى كرّاره

هي فلّت عن العزيز عداه \* بالعطايا وكثّرت انصاره

هكذا كل فاضل يده تمـ \* ـسي وتضحي نفّاعة ضرّاره

فاستجره فليس يأمن الاّ \* من تفيّا ظلاله واستجاره

واذا ما رأيته مطرقا يعـ \* ـمل في ما يريده افكاره

لم يدع بالذكاء والذهن شيئا \* في ضمير الغيوب الا اثاره

الا ولا موضعا من الارض الا \* كان بالرأي مدركا اقطاره

دوخ الارض بالشآم واذكى \* لمعاد العزيز حين انتظاره

زاده الله بسطة وكفاه \* خوفه من زمانه وحذاره

ومن قوله فيه ايضا :

ان ربعا لفته مألوفا \* كان للبيض مربعا ومصيفا

غيرت آيدا صروف الليالي \* وغدا عنه خوفه مصروفا

ما مررنا عليه الا اقمنا \* واطلنا شوقا اليه الوقوفا

الفا للبكاء فيه كأني \* لم اكن فيه للغواني اليفا

حاسدا للجفون لما ازالت \* في معانيه دمعها المذروفا

الى قوله :

ان يعقوب قد اقاد وافنى \* واعاد الندى واغنى الضعيفا

سلّ سيفا من البصيرة والرأي \* فاغناه ان يسلّ السيوفا

باذلا للعزيز دون حماه \* مهجة حرة ورأيا حصيفا

لم يزل دونه يخوض المنايا \* ويرد الردى ويلقى الصفوفا

ناصحا مشفقا محبا ودودا \* قائما في رضاه صعبا عسوفا

ليس يخشى فساد امر تولاه \* واضحى برأيه مكتوفا

ما رأيناه قط الا رأينا \* خلقا طاهرا وفعلا شريفا

ورأينا قرما كريما هماما \* منعما مفضلا رحيما رؤوفا

لذّ طعم الوفاء فهو اذا جاد \* واعطى يرى الكثير طفيفا

خلف من كان فيه شهما كريما \* يستلذ الندى ويقري الضيوفا

ويريش الفقير بالبذل والجو \* د ويعطي ويسعف الملهوفا

فاراني الاله طرق الليالي \* ابدا عن فنائه مطروفا

واقام الامام العزيز بالله مدينة دمشق الىان تمهد له الشام ، واعتدل امره واستقام ، وارتفع عنه الجور والظلم وظهر العدل ودان بطاعته الكل ، وامتلأت القلوب من هيبته ، وخافت اغلب الملوك من سطوته ، ثم اقام الولاة ، ونصب القضاة والدعاة ودعى عليه السلام الى دار عزه ، وقرار ملكه بالقاهرة ، وقد دوخ المعاندين ، واذل المفسدين ، وقضى الله له بالنصر والتمكين ، واعز به الدين ، وقمع المناصبين والمعتدين ، واستقرت له الامور ، ودان له الجمهور ، فقال الامير تميم يمدحه بعد عودته من الشام :

اسهم اصاب القلب ام لحظك الشزر \* وسقم بدى ما بين جفنيك ام سحر

وماذا الذي في ضحن خدك لائح \* اماء جمال جائل فيه ام خمر

سفرت فحولت الدجى قبل فجره \* اشمس اضاءت من نقابك ام بدر

لقد اسكرت عيناك قدّك فانثنى \* كما ينثني بالشارب الثمل السكر

وحمّلتني ما لا اطيق من الهوى \* كما لم يطق حملا لاردافك الخصر

اجورا على العشّاق والعدل ظاهر \* وظلما لهم والحق انجمه زهر

الست تخافين العزيز وقد بدت \* خلافته لم يبق ظلم ولا غدر

صليني لتشفى غلّتي بك مثل ما \* شفت بابي المنصور غلتها مصر

تباشرت الدنيا به وبملكه \* وردّ على الايّام بهجتها الدهر

هناك قدوم حفه السعد والعلا \* ومدّ عليه عز سلطانه النصر

ورجعت وقد قضّيت ما لم يقضّه \* امام وما لم يحو امثاله عصر

بفتح بشرق الارض والغرب ذكره \* تغنّى به الدنيا وبحدو به السفر

فان يك بدر لم يقس بشبيهه \* فذي الوقعة الكبرى التي شبيهتها بدر

نصرت بها التوحيد والحق نصرة \* عزيزية صلى لها المجد والفخر

وارهبت اهل الشام حتى تركتهم \* وليس لهم سر سواك ولا جهر

وسـستهم حزما بما لم يسـسهم \* بمعشاره يوم زياد ولا عمرو

فلو تسمع الموتى لناديت مسمعا \* يزيد بخزي قم فقد ادرك الوتر

نهضت بثارات الحسين وزيده \* نهوضا به من زينب شفي الصدر

ففاطمة الزهراء تفديك بابنها \* وتسأل ان تبقى ويبقى لك العمر

وانك السيف الذي الله ضارب \* به والهدى المدروس من نوره الذكر

فيا ايها البحر الذي موجه لهى \* ويا ايها الغيث الذي ملؤه تبر

فداؤك قوم طلتهم وعلوتهم \* ابوهم اذا عدوا امية او صخر

اراني اذا هذّبت فيك قصيدة \* يساعدني في مدحك النظم والنثر

ويجذبني قلبي اليك وهمتي \* ويعذب لي في حوك شكري لك الفكر

وهل انا الا ساعة انت يومها \* ويوم من الايام انت له شهر

واني لممزوج بحبك خلقة \* كما امتزجت بالماء في كأسها الخمر

كلانا لاصل واحد ولمنبت \* تفرع غصنانا وما اختلف النجر

فيا من علاه لي وان كنت عبده \* ومن انا عند الانتساب له شطر

ضميرك يلقاني بخالص وده \* ووجهك ما ان ينقضي منه لي بشر

فان كنت في ذكري لفضلك مسهبا \* ففضلك فضل لا يحيط به ذكر

اهنئك لا اعني سواك باوبة \* كأنك عقد وهي من تحته نحر

ولو ان ارضا هزّها الشوق اقبلت \* اليك اشتياقا ارض مصرك والقصر

ورفع امير المؤمنين عليه السلام يعقوب بن يوسف بن كلس في مقام الوزارة ، واباح في امر المملكة ايارده واصداره ، وانفذ في امرها فعله وقوله ، وذلك في اليوم الثامن عشر من شهر رمضان المعظم سنة ثمان وستين وثلاثمائة .

وكان هذا الوزير يعقوب في ابتداء امره على ما ذكره الرواة من اهل ملة موسى ودين اليهودية ، وهو من اولاد هارون بن عمران ، ثم اسلم ايام كافور الاخشيدي فحسن اسلامه، وكان ذا فطنة وذكاء ، وكان له تفنّن في علم التوراة وغيرها من العلوم ، ولما وصل القائد جوهر الى الديار المصرية تعلّق بخدمته ، وارتفع عنده في درجته ، لما رأى فيه من الفطنة وعلو الهمة ، وحسن الادب ،والنظر في العلم في كل باب، ثم هاجر الى امير المؤمنين المعز لدين الله عليه السلام الى ارض المغرب ، ولم يزل يسمو صعدا ، ويزدلف علوا مع اولياء الله اهل الهدى ، وعاد مع المعز لدين الله عليه السلام حين قدومه الى مصر فارتفع عنده في الفضل والقدر ، حتى جعل المعز لدين الله عليه السلام له النظر في الوزارة مع عسلوج بن الحسن في بقية ايام المعز لدين الله ع م بعد وفاة الوزير ابي الفضل جعفر بن الفضل بن الفرات ، وجعل المعز لدين الله عليه السلام ايضا الى هذا الوزير يعقوب بن يوسف النظر في الاموال ، والافتقاد لها والانتقاد ، ثم ان امير المؤمنين العزيز بالله عليه السلام رفعه وادناه ، واختصه واسناه، وصرف امر المملكة اليه، وجعل تدبيرها ينفذ على يديه ، ولما كان في عيد الفطر من السنة المذكورة عقب اقامة الوزير يعقوب المذكور ، خرج امير المؤمنين العزيز بالله في جحفل جرار، وعساكر تضيق لها الاقطار ، وقد شهر الوزير يعقوب بالفضل ، وقدمه على اولي العقد في الامور والحل ، فقال الامير تميم ابن المعز يهنئ العزيز بالله ع م بالعيد ، ويذكر خروجه لقضاء الصلوة واقامة الخطبة ، وما رفعه من قدر وزيره يعقوب بن يوسف وزاده لديه من القربة ، في قصيدة انشدت بين يدي العزيز بالله عليه السلام يقول فيها :

طوى البين عهد الوصل فهو قصير \* ففاض له دمع وطال زفير

هنيئا لك العيد الذي انت للرضى \* من الله لمرضيك فيه بشير

برزت كبدر التم تقدم جحفلا \* تكاد به الارض الفضاء تمور

فللبيض برق في اعاليه خاطف \* وللاسد ركض تحته وزئير

كأن الدروع السابغات عليهم \* لما الفوها سندس وحرير

وقد منحوك اللحظ من كل جانب \* وكلهم صافي الضمير شكور

فمن مقلة منهم عليك حبيسة \* ومن اصبع فيهم اليك تشير

ولو نطقت احجار ارض لسلّمت \* عليك المصلي او اتتك تسير

فلمّا بلغت المنبر الطاهر الذي \* له بك فضل لا ينال كبير

تخشعت للرحمن ثم علوته \* خطيبا وكل اللحظ عنك حسير

فابديت ما ابدى النبي من الهدى \* كذا الفرع للاصل الزكي نظير

واسهبت في حمد الاله بخطبة \* تفجّر منها للصواب بحور

وبشّرت ترغيبا وانذرت خشية \* بايجاز قول ما حواه نذير

فدم لابي المنصور يا ملك سالما \* فليست عليك الدائرات تدور

لانك بالملك العزيز ممنّع \* وان له يعقوب فيك وزير

اغرّ اذا ما قابل الخطب رأيه \* تيسّر صعب الخطب وهو عسير

تطلبت مرضاة الامام فنلتها \* وقصّر عنها طالبون كثير

فانت له في الحرب سهم ومنصل \* وفي السلم لالاء يلوح ونور

وكان يعقوب الوزير عند الامام مقرّبا معزّزا مقدما ، وله اخلاق سنية ، وسيرة صالحة ، واعمال رضية ، وحسن سياسة وعدل ، ومكارم زاهرة ، وفضل وعلو همة ، مقتفيا في فعله لآثار الائمة ، متأدبا بآدابهم ، مجهدا نفسه في سلوك منهجهم ، واقتفاء آثارهم ، محبا للعلم ، مؤثرا لاهله ، مقدما لهم في قوله وفعله .

قال علي ابن عبد الرحمن بن يونس المصري المنجم مصنف الزيج المشهور الحاكمي : لما كان في ايام امير المؤمنين العزيز بالله ابي المنصور نزار عليه السلام وعلى آبائه الطاهرين ، وابنائه المنتجبين ، وافضت الوزارة الى الوزير ابي الفرج يعقوب ابن يوسف سيد الوزراء ، ورأس العلماء ، وحكيم الحكماء ، رغب في تقديم اهل العلم والفضل ، فقربهم منه ، وادنى محلهم على حسب ما في العلم والعقل ، واغنى فقيرهم ، ووصل غنيهم ، حتى عم اهل الزمان فضله ، وغمرهم نائله ، ووسعهم حلمه ، وقام لهم تدبيره ، فجدد من العلوم ما دثر ، وانار منها ما استبهم، وفتح منها ما انغلق ، وفتق ما ارتتق ، على حين غفلة من اهل الزمان ، وفتور منهم وتوان ، فكثر الراغب في العلم والطالب له ، فاعلامه منصوبة ، وسبله مسلوكة ، هذا على ما وطد من قواعد الملك ، واعلى من مناره ، وشرف من بنيانه ، فامن كل خائف ، واهتدى كل من ضل، وعاد الى الحق كل من زل ، فالحمد لله الذي احيانا في ايامه ، فهي احسن الايام ، وافضل الاعوام ، اذ بها فرغنا لدراسة العلم، ونظم قلائده ، وتأليف كتبه ، هذا قوله .

وللوزير يعقوب مصنف في الفقه يسمى مصنف الوزير ابتدأ فيه بذكر الطهارة ثم الصلوة والزكوة والصوم والحج وسائر ابواب الفقه الواجبات على مذهب الائمة من آل رسول الله عليهم افضل السلام ، واسنى الصلوة، اقتنى فيه فعل القاضي النعمان بن محمد اعلى الله قدره ، في ما الفه وصنفه ، وسلك نهجه ، وجاء فيه ببينات مسائل من الشرعيات و الفقهيات ، فهو يعتمد منه ما وافق كتاب دعائم الاسلام ، الكتاب المعروف الذي صنفه القاضي النعمان، ويؤخذ بما كان فيه من البينات ، مما لم يذكره القاضي النعمان، وما كان فيه من شيء يسير يناقض ما اورده القاضي النعمان ، فالرجوع فيه الى قول القاضي النعمان في كتبه ، ولا سيما كتاب الدعائم ، ومختصر الآثار ، فبذلك بنى الائمة تابعيهم ، وعلى ذلك المنهج من اتبع آثارهم يقتفيهم.

وقد ذكر ابن خلكان في تاريخه ان الوزير يعقوب بن يوسف عرض مصنفه المذكور على العزيز بالله ، وقال : وهو مما اخذه عنه وعن آبائه ، فذلك مما انطق الله ابن خلكان به مع تعصبه على الائمة ، وذلك اقرارا بفضلهم، وعلو محلهم ، لكون العلم يؤخذ منهم ، ويرجع فيه اليهم ، و على ذلك ما الفه القاضي النعمان بن محمد وغيره من دعاة الائمة ، والتابعين لهم فانهم ينسبون ما يوردونه عنهم ، اذ هم ورثة الرسول ، وقرناء الكتاب ، الذي يرجع اليهم ، ويتعلم منهم ، وقد قال النبي صلع تعلموا من عالم اهل بيتي ، وممن تعلّم من عالم اهل بيتي ، تنجوا من النار، وقال الله ع ج : ولو ردوه الى الرسول والى اولي الامر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم ، وليس ذلك كما اورد ابن خلكان وغيره من المصنفين للكتب ، والموردين للاخبار عن الخلفاء العباسيين والامويين في ردهم القول الى من يأتم بهم ، كما روي عن هارون الرشيد العباسي فيما اتى عن القاضي ابن يوسف خليفة ابي حنيفة النعمان بن ثابت ، وذلك قول ابن خلكان : حكى بشر بن الوليد الكندي قال : قال لي القاضي ابو يوسف : بينا انا البارحة قد اويت الى فراشي فاذا داقّ يدقّ الباب دقّا شديدا ، فاخذت ازاري وخرجت فاذا هرثمة بن اعين ، فسلمت عليه قال : اجب امير المؤمنين ، فقلت : يا ابا حاتم لي بك حرمة ، وهذا وقت كما ترى ، ولست آمن ان يكون امير المؤمنين قد دعاني لامر من الامور ، فان امكنك ان تدفع ذلك الى غد فلعله ان يحدث له رأي ، فقال : ما لي الى ذلك سبيل ، قلت : كيف كان السبب ؟ قال : خرج اليّ مسرور الخادم وطلب احضارك ، فصحبته حتى دخلنا القصر فرأينا مسرور الخادم واقفا ، فقال له هرثمة : قد جئت به ، فقلت لمسرور : يا ابا هاشم خدمتي وحرمتي ، وهذا وقت ضيق صدري ، اتدري لم طلبني امير المؤمنين ؟ قال : لا ادري ، قلت : من عنده ؟ قال : عيسى بن جعفر ، قلت : ومن ؟ قال : ما عندهما ثالث ، ثم قال : مرّ ، فاذا صرتَ في الرواق فهو ذاك جالس ، فحرك رجلك في الارض فانه سيسألك فقل انا ، قال ابو يوسف فدخلت وفعلت ذلك ، فقال لي من هذا ؟ فقلت يعقوب ، فقال : ادخل ، فدخلت فاذا هو جالس وعيسى بن جعفر عن يمينه ، فسلّمت فرد السلام علي ّ ، وقال اظننا روعناك ، فقلت : اي والله وكذلك من خلفي ، فقال : اجلس ، فجلست حتى سكن روعي ، ثم التفت اليّ وقال : يا يعقوب اتدري لما دعوتك ؟ قلت لا ، قال دعوتك لاشهدك على هذا ، ان عنده جارية سألته ان يهبها لي فامتنع ، وسألته ان يبيعها مني فابى ، والله لئن لم يفعل لاقتلنه ، قال ابو يوسف فالتفتُّ الى عيسى وقلت له : ما بلغ الله بجارية تمنعها امير المؤمنين وتنزل نفسك هذه المنزلة ؟ فقال لي : عجلت عليّ في القول قبل ان تعرف ما عندي ، قلت : وما في هذا من الجواب ، قال : علي يمينا بالطلاق والعتاق وصدقة ما املك ان لا ابيع هذه الجارية ولا اهبها ، فالتفت اليّ الرشيد وقال هل له في ذلك من مخرج ؟ قلت : نعم ، قال وما هو ؟ قلت : يهب لك نصفها ويبيعك نصفها ، فيكون لم يبع ولم يهب ، قال عيسى ايجوز ذلك ؟ قلت نعم ، قال فاشهدك اني قد وهبت نصفها وبعته النصف الآخر بمائة الف دينار ، ثم قال الجارية فاتي بها ، واخذ المال ، فقال : خذها يا امير المؤمين بارك الله فيها ، فقال الرشيد : يا يعقوب بقيتٍّ واحدة ، قلت وما هي ؟ قال : هي مملوكة ولا بد ان تستبرأ ، ووالله لئن لم ابت معها ليلتي هذه اني لاظن بان نفسي ستخرج ، فقلت : يا امير المؤمنين تعتقها وتتزوجها فان الحرة لا تستبرأ ، قال فاني قد اعتقتها فمن يزوجنيها ؟ قلت : انا ، فدعى بمسرور وحسن فخطبت وحمدت الله تعالى وزوجته اياها على عشرين الف دينار، ثم ذكر اموالا جليلة صارت الى ابي يوسف من الرشيد وعيسى بن جعفر والجارية اختصرنا ذكرها ، اذ لم يكن قصدنا ايراد ذكر ذلك ، وانما ذكرنا ما ذكرناه ليتبين فضل اولياء الله ، ورثة رسوله صلع ، انهم علماء يعلمون وفقهاء يؤدبون ، يؤخد العلم عنهم ، ولا يأخذونه ممن هو دونهم ، فهذه مسألة قريبة ما استغنى مدعي الخلافة عن سؤال القاضي فيها ، والرجوع اليه فيما اشكل منها ، وكيف يقعد مقعد رسول الله ويدّعي خلافته من يحتاج الى غيره في اقل مسألة من الحلال والحرام والقضايا ؟ وكيف اراد هذا الجبار ان يقتل رجلا مسلما هو ابن عمه ويقطع رحمه ان لم يبع ما ملكت يمينه او يهبها له اتباعا للهوى، وميلا الى شهوات النفس الامّارة بالسوء لمن ضل وغوى ، وكيف يؤمن على اموال اهل الاسلام ودمائهم، وحرائرهم وامائهم ، وهذه الحجة الواضحة على ان مستحق الامامة هو المعصوم في قوله وعمله ، الآمن من اتباعه من خطئه وزللـه، اذ ليس من عدل الله وحكمته وفضله ورحمته ان يولي عباده من لا يؤمن ان يضل ، فيضل كثيرا من العباد ، ويزل فيزلون معه عن منهج الهداية والرشاد ، نعوذ بالله من اتباع المضلين ، والميل عن ذات اليمين.

واما قول ابي يوسف فيما افتى به انه يبيع نصف الجارية ويهب نصفها فيكون لا وهب ولا باع ، فهذا خلاف العيان، وقول كالهذيان ، اذ قد وهب وباع ، بل القول في ذلك ان كان اقسم بالله فعليه الكفارة ان خالف ما به اقسم ، لقول رسول الله صلع : من حلف على يمين فرأى خيرا منها فيكفر عن يمينه ، ثم يفعل الذي هو خير ، وان كان حلف بغير الله فلا شيء عليه مما ذكر، اذ لا يمين بغير الله ، من طلاق او عتاق او غير ذلك، وهذا وجه بين المسالك ،

واما قوله ان اعتقها فلا يستبرئها فهذا قول خطأه بين ، والجهل فيه متعين، فما ذا يقال ان حملت بولد هل ينسب الى الاول او الآخر ؟ ولا ينكر قولنا الا جاحد مكابر ، وانما جعل الله الاستبراء للامة والعدة للحرة لان يتبين حمل المرأة ان حملت ، ولا يكون الآخر في ولده ذا شك وبذلك عرفت الانساب وما جهلت، وانما اراد ابو يوسف قبض الدنانير ، وهو فيما افتى به عين خبير.

وايضا فحكى ابن خلكان في تاريخه ان القاضي ابا محمد يحيى بن يحي بن كثير بن سلاس بن شمال بن منغايا الليثي مولى بني ليث وانتسب اليهم افتى عبد الرحمن بن الحكم الاموي المدعى للامامة بالاندلس الملقب المرتضى، قال : وذلك انه كتب الى الفقهاء يستدعيهم اليه ، فاتوه الى القصر وكان عبد الرحمن المذكور قد نظر في شهر رمضان الى جارية له يحبها حبا شديدا فعبث بها ولم يملك نفسه ان وقع عليها نهارا ، ثم ندم ندما شديدا ، فسأل الفقهاء عن ذلك ، فقال يحي بن يحي الليثي : يكفر ذلك ان تصوم شهرين متتابعين، فلما بدر يحيى الى هذه الفتيا اسكتوا بقية الفقهاء ختى خرجوا من عنده ، فقال ليحي : كيف اوجبت الصوم ولم تفته بمذهب مالك فعنده انه يخيره بين العتق والصوم والاطعام ؟ فقال يحي : لو فتحنا عليه هذا الباب سهل عليه ان يطأ كل يوم ويعتق رقبة ، لكن حملته على اصعب الامور عليه لئلا يعود .

ونقول : وبالله وبالاسلام والمسلمين كيف يكون من يدّعي انه امير المؤمنين وخليفة رب العالمين من زل هذه الزلة ، وفعل هذه الفعلة ، وان هذا المنكر العظيم الذي ليستشبع ويتبع ان فعله احد من غوغاء الناس ، فكيف من يدّعي الخلافة والامامة ، وهو من هذا الجهل وبسوء الفعل بهذه المزية ، والجهالة الكلية ،

وقولهم في مذهب مالك انه مخير بين العتق والصيام والاطعام قول مخالف لما في مذهب الائمة عليهم السلام، فقد روى القاضي النعمان بن محمد عن اهل البيت سلام الله عليهم انهم قالوا : جاء عن رسول الله صلع انه اوجب الكفارة علىمن افطر في نهار شهر رمضان متعمدا ، او كفارة من افطر او جامع في نهار شهر رمضان متعمدا عتق رقبة ، فان لم يجد فصيام شهرين متتابعين ، فان لم يستطع فاطعام ستين مسكينا ، ويقضي اليوم الذي افطره ، فهذا الحق المبين ، والقول الثابت عن النبي الامين ، خير الانبياء وسيد المرسلين، صلى الله عليه وعلى آله الطاهرين ، وان الامة لما قدمت الجهلاء ورضيت بما اخذت من متاع الدنيا ، وقعت في الضلال والتضليل، واستدلت على معالم الشريعة بغير دليل ، ولو قصدنا الى ايراد مصائب ائمتهم وخلفائهم ، والاقتداء بمن ترأس عليهم من ضلالهم لاحتجنا الى افراد كتاب ، واتسع القول في ذلك والخطاب ، افليس منهم القائل :

تلاعب بالبرية هاشمي \* بلا وحي اتاه ولا كتاب

ومنهم القائل :

اتوعدنا ابن كبشة سيجيء \* وكيف حياة اشداد وهام

ومنهم القائل الذي رمى المصحف حتى خرقه وقال :

اتوعد كل جبار عنيد \* فها انا ذاك جبار عنيد

اذا لقيت ربك يوم حشر \* فقل يا رب مزّقني الوليد

وقد كان بنو العباس على ذلك الحال ، وفي هذا الضلال ، وليس منهم من يذكر الا باحضار مغنية تجيد الغناء، ويشرب مسكرا ، ولهو قد جعله له ديدنا ، او مثل ذلك مما رواه الذاكرون لفضائلهم ، الناشرون لمحامدهم، اوليس قاضيهم يحيى بن اكثم الذي قال له المأمون بن هارون : يا يحي من الذي يقول : متى تصلح الدنيا ويصلح اهلها اذا كان قاضي المسلمين يلوط ، قال يا امير المؤمنين هو الذي يقول :

اميرنا يرتشي وحاكمنا يلوط \* والرأس شر من راس

لا احسب الجور ينقضي \* وعلى الامة وال من عباس

فقال المامون ينفى الى السند ، وانه لم يوصف احد من الخلفاء العباسيين والامويين بمثل ما وصف به عمر بن عبد العزيز الاموي ، وهذا المسعودي قد روى في بعض ما اورده ، قال المسعودي :

كان رجل من اهل العراق اتى المدينة في وصف جارية قد وصفت له قارئة قوالة ، فسأل عنها فوجدها عند قاضي المدينة ، فاتاه وسلم له ان يعرضها عليه ، فقال يا عبد الله لقد ابعدت الشقة في طلب هذه الجارية ، فما رغبتك فيها لما رأى من شدة اعجابه بها ، قال : انها تغني فتجيد ، قال القاضي ما علمت بهذا ، فالح عليه في عرضها ، فاحضرها مولاها القاضي فقال لها الفتى هاتي فغنت :

الى خالد حتى اناخت بخالد \* فنعم الفتى يرجى ونعم المؤمل

قال ففرح القاضي بجاريته وسر بغنائها ، وغشيه من الطرب امر عظيم حتى اقعدها على فخذه وقال : هاتي بابي انت وامي -----------------------------------

فاخذ نعليه فعلقها في اذنيه ، وجثى على ركبتيه ، وجعل يأخذ بطرف اذنه والنعل معلقة فيها وهو يقول: اهدوني فاني بدنة ، حتى ادمى اذنيه ، فلما امسكت اقبل على الفتى ، فقال : يا حبيبي انصرف فقد كنا فيها راغبين قبل ان نعلم انها تقول فنحن الآن فيها ارغب ، فانصرف الفتى ، وبلغ ذلك عمر بن عبد العزيز فقال : قاتله الله لقد استفزه الطرب وامر بصرفه عن عمله ، فلما صرف قال : نساؤه طوالق لو سمعها عمر لقال : اركبوني فاني مطية، فبلغ ذلك عمر بن عبد العزيز فاشخصه واشخص الجارية فلما دخلا على عمر قال له : اعد ما قلت ، فاعاد ما قال ، فقال للجارية : قولي ، فعنت :

كأن لم يكن بين الحجون الى الصفا \* مقام ولم يسمر بمكة سامر

بل كنا نحن كنا اهلها بابادنا \* صروف الليالي والجدود العواثر

قال : فما فرغت من الشعر حتى اضطرب عمر اضطرابا بينا ، واقبل يستعيدها ثلاثا ، ثم اقبل على القاضي: قاربت في بيتك ارجع الى عملك راشدا.

فهذا هو عمر بن عبد العزيز المشهور عندهم بالورع والزهد والفضل ، يقرّ على نفسه انه كاد ان يقول اركبوني فاني مطية ، وقارب ذلك لغناء جارية سمعها ، ولم يكن ممن قال الله تعالى فيهم : واذا مروا باللغو مروا كراما ، بل اصغى باذنه ، وكاد اضطرابه وطربه ان يخرج عن ذهنه ، وهو ينسبه الى غيره منهم كاعور بين عميان ، ولا يختلف في فضله على الخلفاء العباسيين والامويين اثنان ، فكيف بمن يوصف بما يوصف به في حال، ولا يخطر ذكره بخير على بال ، وهؤلاء عندهم امراء المؤمنين ، وخلفاء رسول رب العالمين ، فلا ينكرون منهم هذه المنكرات ، ولا يبالون بما يسمعونه من ارتكاب الفاحشات ، مع جهلهم الذي في اوديته يتخبطون ، وفي القول بما لا يعلمون يخلطون، فاين هم عمن روي عن القاضي النعمان من الفضائل والمعجزات ، واتت عن غيره في ذلك الروايات ، عن المهدي بالله ، والقائم بامر الله ، والائمة من ذريتهما صلوات الله عليهم ، فهل شنع عليهم بشيء من هذه الشناعة ، ونسب اليهم من هؤلاء فيه من المجانة والخلاعة ؟ وانما يستند اليهم دعاتهم في نطق بعلم وحكمة او تذكر بالآخرة وموعظة او علم لا يرجعون فيه الى غير آبائهم الطاهرين ، الذي رووه عن محمد خير المرسلين ، مما يطول شرحه ، ويزكو قدحه ، ويتضح للناظرين صبحه، افمن يهدي الى الحق احق ان يتبع او من لا يهدي الا ان يهدى ، فما لكم كيف تحكمون؟ وليس هذا قصدنا فنتقصاه ، ونسهب القول فيه ، وانما عنّ ذكره ، والحديث ذو شجون ، فاثبتنا منه ما يستدل به ليعتبره المعتبرون ، ونرجع الى ما كنا فيه .

قال ابن خلكان : وكان الوزير يعقوب بن يوسف عند العزيز بالله عليه السلام جليل المنزلة ، وذكر له فضائل جمة ، ثم اتى بغير ذلك ونقضه ممن يحسده ويحب الشناعة على متبعي الائمة عليهم السلام ، والوزير قد وضح فضله ، وصح ايمانه ، وعلو درجته عند الائمة ، وتأليفه في الفقه المأخوذ عن الائمة مما يشهد بفضله ، وعلو محله ، ويدحض الاقاويل المزخرفات ، وينفي الاحاديث المحرفات في عيبه وثلبه ، وقد شرّف الله بالاسلام من دخل فيه من الانام ، ورفع الله به من دان به من الامم ، واتصل به من العرب والعجم ، وقد كان سلمان الفارسي حين اسلم اقرب الى النبي صلع وافضل من اكثر اصحابه ، وجعله من اهل بيته ، وذلك لاحفائه على من انصف، وعرف الحق وبه اعترف ، وعمل الوزير يعقوب بن يوسف على شراء العبيد الاتراك والسودان، واسكنهم خلف دار الوزارة ، ويسمى به الموضع الذي اسكنهم فيه حافة الوزارة ، واضاف اليهم كثيرا من العسكرية ، وقال :ان تغيرت الكتامية فمن ذا الذي يكسر شوكتهم ويفل حدهم ، واقام الوزير يعقوب الى ذي الحجة آخر شهور سنة ثمانين وثلاثمائة ، ثم توفي ، وكان امير المؤمنين العزيز بالله عليه السلام قد ركب اليه في علته لزيارته ،

قال ابن خلكان : وقال له العزيز عليه السلام لو كان حي يفتدى بشيء لفديتك باكثر ملكي ، او كانت الحيوة تشترى اشتريتها لك بما في يدي ،

فرحمة الله على التابعين لائمة الهدى، الملتزمين من طاعتهم بالعروة الوثقى ، الذين اتاهم وهم على الطاعة حمامهم ، وقضت عليهم وهم فيها ايامهم ، نسأل الله تعالى ان يميتنا على الثبات ، ولا يقطع بنا عن الثلات الطاعات ، التي ابانها الله تعالى في محكم الذكر ، بقوله تعالى :يا ايها الذين آمنوا اطيعوا الله واطيعوا الرسول واولي الامر منكم .

وكان القاضي علي بن النعمان بن محمد قد توفي رحمة الله عليه ورضوانه في سنة اربع وسبعين وثلاثمائة ، وحمل نعشه الى العزيز بالله عليه السلام فصلى عليه وامر بدفنه ن واقام مقامه اخاه محمد بن النعمان .

قال الشريف مصنف كنز الاخيار في السير والاخبار : وتحركت الافرنج من المشركين الى الشام ، وبلاد الاسلام في قوة عظيمة وعدة ، فخرج العزيز بالله عليه السلام بنفسه عامدا للقائهم وجهادهم ، وخطب الناس وحضهم على الجهاد ، ثم رجعت الافرنج فرجع من طريقه الى دار ملكه بالقاهرة ، هذا قول الشريف . وكان رجوع المشركين الى بلادهم فارين حين علموا نهوض امير المؤمنين العزيز بالله عليه السلام اليهم بنفسه ، ونفوذه لجهادهم بجميع جيوشه .

واخرج امير المؤمنين جيوشا كثيرة من رجاله في عدد وعدة، وقوة وشدة ، وحملهم في اساطيل الى بلاد المشركين من الافرنج فغزوهم ، وقتلوا منهم طوائف ، وسلبوا وغنموا غنائم جليلة ، واموال جزيلة، وقدموا على الامام العزيز بالله عليه السلام ، ومعهم الغنائم والسبايا ، ووافق بعد وصولهم عيد الفطر ، وخرج امير المؤمنين فصلى العيد ، واقام الخطبة في جيوش تملأ الفضاء والآفاق ، قد امتلأت من شعاع البيض وهي كالاصنام قال الامير تميم من قصيدة في الامام العزيز بالله عليه السلام :

زنت الخلافة مذ البست جلعتها \* وزدت دولتها عزّا على الدول

لولاك كانت بلا جيد ولا جيد \* ولا جفون ولا كحل ولا كحل

نظمت بالعدل تيجان البهاء لها \* وبالسماحة وشي الحلي والحلل

فالدين غير مهيض اذ نهضت به \* وفيلق الجود منصور على البخل

والكفر في شظف والدين في شرف \* والجود في سرف والناس في جذل

وافت اليك جنود الله قد ملأت \* اكفها من سبايا الكفر والنفل

فانعم بعيد تركت المسلمين به \* سلما وغادرت اهل الكفر في جدل

نصرت ملة جدّيك اللذي سلفا \* حتى غدت بك تستعلي على الملل

لئن اتى العيد من لقياك في فرح \* لقد مضى الصوم من منآك في ثكل

برزت فيه بروز الشمس طالعة \* وقد اعاد الضحى النقع كالطفل

والبيض تزهر والاعلام خافقة \* والارض في رهج والجوّ في وجل

فليس يصرف لحظ العين مرسله \* الا الى سابح في الارض او بطل

والشمس فوق مدار الجيش قد حجبت \* في جوّها بمتون البيض والاسل

حتى بلغت المصلى خاشعا نسكا \* خشوع جدّك في ازمانه الاول

فقمت فيهم خطيبا مصقعا لسنا \* بكل منفصل نثرا ومتّصل

فاي قلب جليد لم يرقّ لهم \* واي موعظة غراء لم تقل

بلاغة نبوي النظم محكمها \* وخطبة لم ينلها مهمل الخطل

ابنت الحق ما قد كان مشتهيا \* من الهدى فتجلّى كل مشتكل

برهان صدق شفيت الاولياء به \* وسقته بين ريث القول والعجل

نالوا بما سمعوا الزلفى فمفا افترقوا \* الا وهم من رضى الرحمن في جمل

ومحص الله ما كانوا قد اقترفوا \* حتى تبروا من الآثام والزلل

ونص امير المؤمنين العزيز بالله عليه السلام على ولده ابي علي المنصور وكناه الحاكم بامر الله صلوات الله وسلامه عليهما وعلى آبائهما الاكرمين ، وابنائهما الطاهرين ، وفوض اليه عهده ، وجعله الخليفة من بعده ، وكان ذلك في شهر شعبان من سنة ثلاث وثمانين وثلاثمائة واشهر ذلك في جميع اوليائه الملتزمين بدعوته ، وكافة القواد والامراء من اهل مملكته ، وكتب الى دعاته في الجزائر يعرفهم انه القائم بخلافته ، والامر والنهي في دولته ، واقام امير المؤمنين العزيز بالله عليه السلام وايامه في اقبال ، وملكه في عز لا ينال ، وقد دان له كل معاند ، واستقام كل جائز معاند ، واهل دعوته يدخلون اليه ، ويستمعون من علومه صلوات الله عليه ، وعدله ظاهر ، وملكه قاهر ، وسعده زاهر ، والخير اليه من الله متواتر ، كما مدحه الاسكندر بعد ان ذكر اهل البيت صلوات الله عليهم فقال :

سئمت من البين الذي ليس يصدق \* فلست بغير الحق والصدق انطق

اامدح رهطا غير رهط محمد \* وفي الجيد عهد للامام موثق

ولا فضل لي في ذا بل الفضل فضل من \* بهم يحرم الله الانام ويرزق

ائمة دين الله من قام دينه \* وانوار هذا الخلق من قبل يخلق

محبتهم فرض على الناس واجب \* وعصيانهم كفر الى النار موبق

هم العروة الوثقى هم منهج الهدى \* هم الغاية القصوى التي ليس تلحق

ولولاهم لم يخلق الله خلقه \* ولم يكن في الدنيا ضياء ورونق

هم دوحة الدين التي تثمر الهدى \* وباليمن والتقوى تظل وتسبق

تجير من الآثام من يستظلها \* وتحمي من الموت الجهول وتطلق

بهم قامت الدنيا قديما وحادثا \* وفيهم كتاب الله بالوحي ينطق

سقاها غمام الوحي علما فاينعت \* بمكنون علم الله فالدين مونق

جرت في تخوم المكرمات عروقها \* وفوق الثريا فرعها متعلق

هم الاصل منها والائمة فرعها \* ففي كل عصر نورها يتألق

الى ان تسامت بالعزيز ولم تكن \* بغير ابي المنصور اولى واليق

فباهت على الايام ايامه التي \* تكاد لها صم الجنادل تورق

سحائب جود لا يغيب غمامها \* وبحر سماح بالندى يتدفق

لئن فقد الناس المعز لدينه \* لقد قام بالدين العزيز الموفق

تجددت الدنيا علينا بيمنه \* فلا العيش مذموم ولا الدهر اخرق

ولا الجود ممنوع ولا المجد خامل \* ولا العرف مقطوع ولا النكر مطلق

تضوع نشر العدل في كل بلدة \* ونشر الثناء الطيب للطيب يعبق

ملئت قلوب العارفين محبة \* فكل على مقداره يتشوق

فلا صامت الا بحبك مضمر \* ولا ناطق الا بشكرك ينطق

فضائل مولانا العزيز جليلة \* اذا عد فضل فهو بالفضل يسبق

ولما رأيت الشعر قد قل اهله \* واعجز ابيضا من به يتخلق

غرست على بيت من الشعر دوحة \* لها اغصن في وزنه حين تنسق

فالفت من بيت بيوتا كثيرة \* ولكنها مع ذاك لا تتفرق

فتسع وتسع عن يمين ويسرة \* على كل حرف منه بيت مغلق

بمدح امير المؤمنين لانها \* لعمري به من سائر الناس اخلق

عليه صلوة الله ما لاح كوكب \* وما ناح في الايك الحمام المطوق

كسا الدين والدنيا العزيز جلاببا \* من اليمن والايمان لا تتمزق

كساعد له الايام نورا وبهجة \* منها السن الايام بالشكر تنطق

كسا الدين بالمعروف والجو دجنة \* تحصنه ممن يحيد ويمرق

كسا الدين والدنيا حدائق نعمة \* فروض ثرى الايمان بالزهر مونق

كسا الدين والدنيا نزار سلامة \* تزيد على طول الزمان وتسبق

كسا الدين والدنيا نزار جلاببا \* مجدّدة في نعمة ليست تخلق

كسا الدين والدنيا نزار جلاببا \* من اليمن والاقبال فالدهر مطرق

كسا الدين والدنيا نزار جلاببا \* من الايمن والايمان فالشك مغلق

كسا الشرق والغرب الامام غرائبا \* من الجود والاقبال فالدهر مشرق

كسا الدين من لا دين الا بحبه \* علوا فسيف الحق بالحق مطلق

كسا الدين والدنيا العزيز جلاببا \* بايامه اللاتي بها العز يورق

كسا الدين والدنيا نزار هداية \* يبيت بها قلب المعاني ويخفق

كسا الدين والدنيا نزار جلاببا \* ترى النور في اغصانها يتألق

كسا الدين والدنيا نزار جلاببا \* من اليمن تردى للطغاة وتوثق

كسا الدين والدنيا نزار جلاببا \* من اليمن والايمان فالامر موثق

ثم ان امير المؤمنين عليه السلام نزار برز ببلبيس في سنة ست وثمانين وثلاثمائة وامر بجمع عساكره من النواحي والاقطار ، والجزائر والاقاليم ، وجد عزمه عليه السلام المسير الى العراق وقصد بغداد يريد احياء دين الاسلام حين انتقصت سرائره ، وطغت في الخلق جبابره ، وتغلت العجم على العرب ، وبلغت منها المراد والارب ، وكثرت الذنوب والآثام ، واقبل الناس على الحرام ، حمية منه على دين جده النبي محمد صلع حين درست من ا لدين معالمه ، وكثر جاهله وقل عالمه ، فوافاه ببلبيس ما وافى الانبياء والخلفاء الفاضلين ، من نزول امر الله المقدر ، وحكمه الواقع بكل بشر ، وكانت وفاته بعد خروجه من الحمام بعد ان قضى صلوة الظهر يوم الثلثاء الثاني عشر من شهر رمضان المعظم في سنة ست وثمانين وثلاثمائة ، وله العمر اثنان واربعون عاما واربعة اشهر ، واربعة عشر يوما ، وكتم موته ، وحمله عبده قائد عسكره برجوان حتى ادخله القاهرة ، فدفن في القصر هناك صلوات الله عليه وبركاته ، ورضوانه ورحمته ، وعلى آبائه الطاهرين ، وابنائه الاخيار المنتجبين

والحمد لله وسبحان الذي قضى بنزول الحمام على جميع الانام ، وقال تعالى كل من عليها فان ويبقى وجه ربك ذو الجلال والاكرام ، وعلى محمد رسوله افضل الصلوة واسنى السلام ، حسبي الله ونعم الوكيل

بسم الله الرحمن الرحيم ، وبه نستعين

الحمد لله الذي اسبغ نعمه ظاهر وباطنة ، وجعل آيات دينه بارزة كامنة ، وصلى الله على خير رسول اصطفاه وجعل الامم لدينه دائنة ، محمد المصطفى الذي جعل الله له فضائل الوحي ومحاسنه ، وعلى وصيه الذي شيعته الخالصة من عذاب الجحيم آمنة ، والفرق الناكثة الخاسرة هي التي لاقته بالمحاربة والمباينة، وعلى الائمة من ذريتهما الذين جعلهم الله منابت الفضل ومعادنه ، وجعل رحمته على عباده بامام منهم بعد امام هامية هاتنة .

## ذكر لمع من اخبار ما كان في اوان الامام الحسين ابو علي المنصور الحاكم بامر الله بن امير المؤمنين الامام نزار العزيز بالله ، صلوات الله عليهما وعلى آبائهما ، والخلاصة من ابنائهما وسلم .

كان مولد الامام الحسين يوم الخميس الثالث وقيل الرابع من شهر ربيع الاول سنة خمس وسبعين وثلاثمائة ، ونشأ على الفضل والطهارة والنبالة وآتاه الحكم صبيا ، وبلغ في صباه مكانا عليا ، وارتقى الى ذورة الفضائل ، وغاية الشرف الكامل ، فنصبه ابوه الامام العزيز بالله امير المؤمنين في ولاية العهد ، كما ذكرنا في شهر شعبان من سنة ثلاث وثمانين وثلاثمائة . ولما ان نقل الله الامام العزيز بالله عليه السلام اليه ، واختاره لديه ، بويع الامام الحاكم بامر الله امير المؤمنين بعد ان افضيت الخلافة اليه ، سلخ شهر رمضان من سنة ست وثمانين ، وهو يومئذ لاحدى عشر عاما ، وكان اماما عظيما جوادا كريما مخوفا مهيبا ، دانيا من الناس قريبا يسمع الشكايا ، وينصف في القضايا ، لا تاخذه في الله لومة لائم ، ولا يغضي عن الذنوب والجرائم ، ولا يؤخر انصاف المظلوم من الظالم .

وكان قاهر السلطان ، ظاهر البرهان، ينبئ بالكائنات قبل كونها ، قد اطلعه الله من علم آبائه على الانباء وباطن مكنونها ، قال الداعي حميد الدين حجة العراقين احمد بن عبد الله الكرماني : في ما اشارت به الاولون وبشرت به من ظهور الحاكم بامرالله وعظيم فضله وعدله ، واول ما ينطق بصحة ذلك وان المبشر به المنصوص عليه بالعلامة قول ايشاعيا النبي في التوراة مخاطبا للدعاة بالرمز بشارة لهم حيث يقول :

كلي ما وديت صبوت هو ربعي بث بروشديم افرح واشكر رعاة بناه هبوت مليكخ بور بولوح صديق بيت المقدس فان ملكـك ويسوع عوني هيني ، وروخيت على حمور

قال الداعي مفسرا : فهل الرعاة الا الدعاة، وهل النبات الا المؤمنون ، وهل بيت المقدس الا الامام ؟ وهل ما قاله من العلامة الا بشارة للدعاة بقوله : فان ملكـك قد صادقا مطهرا من الادناس زاهدا راكبا على الحمار وعلى العير والاتن ، الا ما عليه حال الامام ؟ فاي دلالة اصدق واوقع للحس من قيام ما قاله فيه من ركوب الحمار وزهده ، الى قوله : ثم نقول : قد يقع الظن بان الذي قاله ايشاعيا ع م من هذه البشارة التي ذكرناها هو بشارة بعيسى ع م بكونه راكبا على حمار زاهدا من دون غيره ، والذي يبين ان الاشارة يقول ذلك في هذا الموضع هي بالامام عليه السلام من دون عيسى ع م ويؤيد الحكم ويقطعه قول ايشاعيا ثانيا انه يهلك المفسدين ويفنيهم بريح شفتيه ، حيث يقول مخبرا عن افعال الزاهد الراكب على الحمار الذي بشر به ، وشوفاط بصدق ولم هوهو جيح يميسور لمعوي ، ويقضيي بالصدق والعدل للضعفاء والفقراء ويريح الخواص المتواضعين ، او رص وهكتو ابرص سبط سود بردج شفوتو الارض ، ويضرب الارض بعض فمه وبريح شفتيه ، يوميت روسوع، يميت المفسدين .

ثم كون عيسى عليه السلام من هذه الافعال خاليا من الشهادة العظمى بان البشارة ليست به ، اذ لم يبق في قومه فيقال انه يحكم بالصدق والعدل ، واذا كان ذلك كذلك ، وخلا عيسى عليه السلام من احكام هذه الافعال خلصت هذه القضايا التي هي حكم ايشاعيا بها للحاكم عليه السلام بقيام امارتهافيه اذ هو الزاهد الراكب الحمار الذي قد افنى المفدسدين ويفنيهم ابدا بحركة شفتيه ، بقوله خذوا رأس فلان او اقتلوه بعصيانهم وافسادهم ، ولم تصح الا فيه ان ذلك لشيء عجاب،

قال وتأملنا بحثا عن الوقت والمدة في ذلك ليكون ما يقوم من الشهادة بذلك مؤكدا لما سبق من الشهادات والبشارات به فوجدنا ما يحقق ما قلنا قول ذي ينال في النبي صلع في المدة التي اومى اليها من ايامه التي هي تاريخ الاسكندر بشارة حيث يقول : اسرى هام حكى ويكيح ليفي ميم ابلد وشلوشماوب، طوبي لاولئك الموحدين لايام الف وثلاثمائة وشلوشيم واخمشوا ، اي طوبى للموحدين في زمن الف وثلاثمائة وخمسة وثلاثين سنة من زماني ، وذلك يصدق ما ذكرناه من جهة كوننا من هذا التاريخ في الف وثلاثمائة وسبع وعشرين سنة التي بقي الى الوقت المبشر به تسع سنين ،

فهذا القول مما اورده حميد الدين نضر الله وجهه ، واتى بغيره من الشواهد والدلائل ، على الحاكم بامر الله عليه السلام من الفضائل ، وكان اعتماده عليه السلام على التقشف والتزهد مع ما آتاه الله من ملك عظيم ، وعز ونعيم ، حتى انه ركب يوما وخلفه الف الف عنان ، على ما اتت به الروايات ، واسنده الثقات ، فلم يمنعه ذلك عن التنكر ، ولبس الصوف ، والتردد من مسجد الى مسجد ، ليلا ونهارا ، ومن منارة الى منارة ، وفرق الاموال ، وهانت عنده فكان يعطيها الفقراء والمساكين ، وينعم على كل من طلبه ، ولم يرد سائلا سأله ، ولا يخيب آملا امله .

ولقد روي انه خرج وفي كمه شيء من المال منه نقد وغيره ، وكانت عادته كل يوم يخرج فيه ، فلما كان وهو داخل الى باب قصره وقد كثر الطلاب عليه في امور الدنيا وحطامها، فرمى بما كان في كمه ، وقال : الا يسأل سائل عن آية من كتاب الله ، او خبر عن رسول الله صلع ، وكان يكثر التفرد بنفسه ، والخروج الى ا الفيافي والقفار فيقيم بها اليوم واليومين ، واكثر من ذلك ، ويكمن له الاعداء مرارا في الطرقات ، فاذا اشرف عليهم تحيروا في امره ، واسقط ما في ايديهم حتى انه ليأمر بعضهم بقتل بعض ، ومعجزاته وفضائله قد ذكرها اهل السير وعرفها الخاص والعام .

ولقد اتى في الروايات عن بعض الثقات ان رجلا من اهل الولاية والايمان اجنّه الليل ، وهو في سفر فعرج الى قرية من ديار مصر فدخل مسجدا من مساجدها ، فلما حانت صلوة المغرب اجتمع الى المسجد من يصلي ي فيه من جيرانه ، فحين فرغوا من الصلوة اقبل بعضهم على بعض وهم يسبون اهل الدعوة اعظم السب، ويثلبونهم اعظم الثلب ، وكان اكثر سبهم يتوجّه الى الحاكم بامر الله عليه السلام وهم من الناصبة المعاندين لاهل البيت عليهم السلام ، وذلك الرجل المؤمن يسمع قولهم وهو كأنه يتقلّى على الجمر ولا يستطيع شيئا اكثر من الدعاء الى الله عز وجل والاستغاثة به ، وبوليه امير المؤمنين ، وما زالوا كذلك حتى صلوا العشاء الاخرى ، ثم عادوا لما كانوا فيه الى ان مضى هوي من الليل ، ثم راحوا الى بيوتهم ، وبات الرجل في المسجد ، فلما كان وقت الفجر توضوا ودخلوا فصلوا ، وعادوا لما كانوا فيه من السب، والرجل المؤمن لا يفتر عن الدعاء عليهم وتوجيه اللعن اليهم ، ويتأسف على عدم النصير ، وخلو المكان من المعين له والظهير ، فهو كذلك اذ بامير المؤمنين الحاكم بامر الله عليه السلام قد اقبل وحده حتى دخل ، وكان السابون له اثني عشر رجلا فقام كل واحد الى سكينه واقبل بعضهم يطعن بعضا والامام قائم بينهم ، وهو يظنون انه يطعنهم ويطعنونه حتى قتل بعضهم بعضا وصاروا في المسجد لقاء . وخرج امير المؤمنين ع م فركب وسار ووليه بين يديه .

وكثير من ذلك وصف عنه صلوات الله عليه ، وكان صلى الله عليه ربما يمرّ في الاسواق وحده يقيم الحدود ويزيل المظالم، ويرغم الظالم ، وحمر الخمر وشدّد في تحريمها فلم ينته اكثر الناس عنها واكثروا شربها في الستر والخلوات ، حتى حرم العنب على من يعرف انه يحيله خمرا، ثم اباح الكرم وادام التشديد على تحريم الخمر ، كان من اتى منكرا قد يخلو بنفسه، ويفعل ما بدا له من امره فلا يعلم الا والامام قائم على رأسه، فيقيم الحد او الادب، عليه بقدر ما احتقب من الذنب واقترف واكسب،

وظهر منه من المعجزات والآيات ما ظهر واشهر وبهر ، فغالى فيه كثير من الناس ، وادّعوا له الالهية ، كفعل الذين غلوا في امير المؤمنين علي ابن ابي طالب عليه الصلوة والسلام ، فعظم ذلك عليه ، وعاقبهم بانواع العقوبات ، وقتل منهم خلقا عظيما ، نعوذ بالله من الغلو في ائمة الحق والتقصير، المؤديان الى عذاب السعير.

وكان برجوان هو والوزير ابن عمار قد تغلّبا على المملكة ، واساء التدبير، وافسدا الكتاميين والعسكرية، وبسطا ايديهما في الرعية بالجور والظلم والعدوان والاثم ، وكان امير المؤمنين الحاكم بامر الله عليه السلام ينهاهما عن ذلك ويعظهما ، فلا يزيدهما قوله الا طغيانا وبغيا وعدوانا ، وهو عليهما السلام يمهلمهما ويردد الحجة عليهما والموعظة فلم ينتهيا عن بغيهما ولا يرتدعا عن غيهما ، فاخربا المملكة وافسدا اهل الدولة واستخفا بقول الامام عليه السلام ، واطغاهما انانته عنهما وحلمه عن تعجيل الانتقام منهما ،

قال زيدان احد المتوالين للامام الساعين في خدمته :

كنت ذات يوم قد دخلت فيمن دخل على الامام الحاكم بامر الله باومى اليّ ان لا ابرح ، قال فوقفت ناحية ، فلما انفض المجلس استدعاني ، فحين قربت منه قال : يا زيدان ، قلت لبيك يا امير المؤمنين ، قال افيك خير ؟ قلت الخير منك يا امير المؤمنين ، ولامرك اتبع ، وانا لا اعلم مراده ، فقال اني قد عزمت على قتل هذا العبد السوء برجوان لانه قد استصغرني واستصباني ، فاريد ان تتولى قتله ، قال زيدان فاوجست الارض ساخت بي وخفت ان يكون قد اغضبه في امر من الامور فافشى الى غيري ما افشاه الي، وان يكون احد قد سمع الامر فينقل ذلك الى العبد برجوان، فيقطعني اربا ، ويقتل كل صقلبي في الدولة لما كان له من التغلب والبسطة ونفاذ الامر ، ولم يكن الا ان قلت لمولانا عليه السلام : سمعا وطاعة لامرك، وانا اريد الخلاص والانفلات من يده ، فقال لي : امض الى الوقت الذي امرك به قال فخرجت وانا اتلفت خوفا ان يبلغ الامر برجوان ومررت الى موضعي ، فاقمت ليلتي ويومي خائفا مترقبا لا ألتذّ نوما ، ولا اذوق طعاما وشرابا ، ولم احضر الى الامام كالعادة ثاني ذلك اليوم ، ولا ثالثه ، ثم ظننت ان ذلك شيئا خطر في قلب امير المؤمنين لامر اغضبه وانه قد زال من قلبه وسكت ، ومضت الايام والشهور ، ونسيت الحال حتى كان مثل ذلك اليوم بعد انقضاء عام ، ودخلت في جملة المسلمين ، فاوحى عليه السلام الي بالوقوف وانا لا اعلم مراده ، فلما انصرف اهل المجلس قال: يا زيدان ، قلت لبيك يا امير المؤمنين ، قال اني قد ازمعت على ما كنت منذ عام ذكرته لك ، وكنت قد انسيت الحال ، فقلت وما هو يا مولانا ؟ قال ما كنت قلته لك من قتل برجوان ، انه قد مان وخان ، فقلت نعم يا مولانا بانبساط ونشاط غير الاول ، لان الحديث انكتم فلم يطلع عليه احد ، فقال عليه السلام قد اردت ذلك ، فقلت سمعا وطاعة يا امير المؤمنين ، وقد علمت انه امر قد كتمه عن ا لعالم سنة ، فقلت يا امير المؤمنين تأمرني بامرك امتثله ، فقال لي وكيف تقدر ان تفعله ؟ وكان يواصل الركوب الى القصور فقلت يا مولانا اتقدم الى عبيدك اصحابي اذا صار بالطريق يرمونه بالرماح فيقتلونه ، فقال عليه السلام ما هذا من الرأي فانه يقوم عند ذلك اصحابه واتباعه عليك وعلى اصحابك ولا آمن ما يجري في العسكر، فقلت يا امير المؤمنين فكيف يكون الامر ؟ فقال عليه السلام : انا اظهر عمارة البستان الكافورية المعروفة باللؤلؤة واتقدم اليك بعمارته وآتيك في كل يوم وهو معي ان ان آمرك به ، فقلت السمع والطاعة ، فلما كان الغد ركب عليه السلام الى اللؤلؤة واظهر عمارة البستان وقال : اريد ان تتخيروا لي من يصلح لعمارته ، فاشار كل ممن يراه، فقال عليه السلام من يصلح؟ انا اعرف من يقوم لذلك ويصلح له ، ثم قال آتوني بزيدان ، قال فاحضرت اليه وتقدم الي بعمارته وانشاء ابنيته في الحال ، فامتثلت امره وتقدمت في الوقت الحي بخط الينا وزرع رياحين وفواكه ، وواصلت عمارته وامير المؤمنين يطل الى ذلك الموضع وينقد عملي كل يوم ، وبرجوان معه وسائر الاستاذين والقواد ، وانقطع من الركوب الى خارج القصر الا في الاحيان .

ولما كان في اليوم الذي اراد فيه قتل برجوان وصل الي وحده فقال لي يكون قتله في غد فانظر من تثق به وتختاره لذلك ، فقلت اخي جعفر وعددت جماعة ، فقال متى يكون دخولهم ؟ قلت بامر مولانا ، فقال اما تستدعيهم فرادى او تقدّم الى كل واحد منهم في ان يكون دخولهم في الليل ، وتقدّم الى البواب ان يكتمهم في يبت بقرب الموضع الذي آمرك بقتله فيه ، ففعلت ذلك ، فلما ان كان من الغد جاءني بسحر ومعه برجوان وحدهما وطاف في البستان حتى اتى العمارة التي قتل فيها برجوان ، وقد وافقني فيها على الفور فاجتاز وتشاغلت عنه واستدعاني فاتيت عجلا واظهرت اني كنت مشغولا فلم اعلم به ، وقبلت الارض وجعلت اعتذر ثم التفت فامرني سرا واشار الي فتركته ، وعدت الى خلفه الى برجوان ، فقبلت رجله وركبته وجعلت اعتذر اليه انني اشتغلت بمولانا عن خدمته وقضاء حقه ، ثم جسـست ثيابه خوفا من ان يكون عليه شيء من الحديد ، وقلت اياك وقضيت القماري ان يصيب ثيابك ، وامررت يدي على جسده ، ثم ادخلت يدي في خفي واخرجت حديدة معي ان انكببت عليه فطرحته عن يميني وضربته على فؤاده ضربة عظيمة ، فصاح قتلت يا مولانا بزعقة عظيمة ، فبادر حفدته وخدامه والمصروف امرهم اليه، وضربه الامام برمحه ونزعه عنه ، ورجع الى الخدم بين يديه وهم يصيحون غدرا يا مولانا غدرا ، فصاح عليهم وزجرهم ، وحمل عليهم برمحه ، ففروا اجمعين طالبين القصر ، وقد سقط برجوان عن بغلته وعلاه الصقالبة من عبيد الامام عليه السلام الذين كانوا معي بالسيوف ، ووقعت الصيحة حتى خرجت والدة الامام واخته للخوف على الامام لما يتوقع عند برجوان او غيره ، فامرهم الامام عليه السلام بالرجوع ، ودخل القصر وانا ممسك بركابه ، انا والذي معي ، ثم ركب بعد ذلك الوزير ابو محمد الحسن بن عمار فلما وصل الى الاصطبل لقيه هناك الاتراك فقتلوه ، ثم قتل بعده ابن الحسن بن عسلوج في الحجرة التي كان يسكنها الوزير يعقوب بن يوسف ، ثم قتل الذين كانوا يوالون برجوان ، والحسن بن عمار ومن عاقدهما على النفاق ، ووضع السف في الغلاة ، واهل الاعمال السيئات ، حتى اتى الكتاميون الى باب امير المؤمنين عليه السلام كاشفين رؤوسهم بباب الفتوح مستغيثين بامير المؤمنين ، طالبين منه العفو والامان، فامنهم وكتب لهم سجلا بما التمسوه ، وقرئ في القصر ، وفي جوامع القاهرة ، وهذا نصه :

بسم الله الرحمن الرحيم

من عبد الله ووليه ابي علي الحاكم بامر الله امير المؤمنين ابن الامام العزيز بالله امير المؤمنين الى كافة الكتاميين.

سلام عليكم فان امير المؤمنين يحمد اليكم الله الذي لا اله الا هو ، ويسأله ان يصلي على جده محمد نبيه ورسوله ، وعلى اخيه ووصيه وعلى الائمة الطاهرين من نسله ، صلوات الله عليهم اجمعين وسلامه .

اما بعد ، فان امير المؤمنين لما جبله الله عليه وفطره من الرأفة والرحمة باولياء دينه ودولته ومن تحويه مملكته، بالاحسان الى محسنهم ، والتجاوز عن مسيئهم ، لما رأى من جماعتكم مستسلمين ومنتصلين مما سلف، وراغبة سائلة للعفو عنكم ، وترك مؤاخذتكم بما كان منكم ، والاستئناف بكم ما استأنفه آباؤه الائمة المهديون صلوات الله عليهم من اوليكم من آبائكم واجدادكم ، وجرت به رسومكم في النفقة عليكم وهبة مسيئكم لمحسنكم ومفسدكم لمصحلكم ، عفطتٍّه عليكم عواطف رحمة خالقه لكم بعفوه عن جماعتكم ، فاجاب سؤالكم في ازالة ما استشعرتموه وحذرتموه ، وخفتم ان يكون امير المؤمنين يؤاخذكم به ، وعفى الله ذو المغفرة عفوا لا تثريب بعده عليكم ، كما قال الله وهو اصدق القائلين حكاية عن يوسف عليه السلام اليوم يغفر الله لكم وهو ارحم الراحمين ، ووسمكم من الرضى بجديد الاختصاص لكم باعادتكم الى رسومكم ، والتكرمة بما ازال به ميسم السخط عنكم ، وامنكم على انفسكم بامان الله ع ج وامان رسول الله صلع وامان امير المؤمنين فثقوا بذلك واسكنوا اليه ، ولتنشرح صدوركم وتطمئن قلوبكم ، وتراقبوا الله في خلواتكم ، واخلصوا نياتكم ، وليأخذ شيوخكم على شبانكم بكف الاذية ، ولزوم الطريقة المرضية ، واعلموا ان ذلك لكم ما اخلصتم وحسنت طاعتكم ، وليسمع الشاهد الغائب ، ان شاء الله تعالى ، وكتب في سنة سبع وتسعين وثلاثمائة.

قال الحسن بن جعفر الانصاري عليه السلام في تاريخه : واول من خالف على الامام الحاكم بامر الله ع م انخوتكين التركي فسر اليه سليمان بن جعفر بن فلاح في عسكر عرمرم ، فاخذه سليمان بن جعفر اسيرا ، بعد ان هزم جيوشه وقتلهم ووصل به في الاسر الى الحضرة الامامية ، ثم خالف ابو علاقة بصور فاظفره الله به ، وثار في ايام الحاكم بامر الله ع ج رجل يكنى ابا ركوة واسمعه الوليد بن هشام وانتسب الى بني امية من بني مروان ، وكان في ابتداء امره يعلّم الصبيان في اعمال برقة ويطوف فيها ويستغوي الجهال ويقودهم الى الضلال ، ويتزيا بزي الزهاد ، وهو ممن يسعى في الارض بالفساد، ويدعوهم في السر الى الخلاف ، والمسارعة الى الاجتماع على طاعته والائتلاف ، وهو يأتي القرى والصحارى ، ويطوف في العمران والبراري ، فاجتمع اليه طوائف كثيرة من البربر ، وارسل الاعراب والانباط وارسلوا الى اجابته ، واجتمعوا على طاعته ، وصار في جيوش كثيرة فدعاهم الى نفسه فاجابوه فبايعوه ، وعلى امره تابعوه ، وتسمى بامير المؤمنين ، وتسمى بالامام الناصر للدين ، فاجتمعت اليه القبائل والعشائر ، وصار في جيش عظيم وافر ، وكان يطوف الاحياء مشتملا على اظهاره وعليه مزور ، فحين عظم امره واستفحل واجتمع له من الجموع ما حاول اعلن امره في جمادى الاخرى من سنة خمس وتسعين وثلاثمائة فجرد سيف بغيه ، واخاف كل من اعترى الى الامام الحاكم بامر الله عليه السلام وسار بجنوده نحو مقة من اعمال برقة ، فقتل من فيها ، ثم حث السير الى قرنة ، وكانت مدينة تسكنها ملوسة ذات عمران وانهار ، فحاول اهلها دفاعه عنها ، ومانعوه يومين متوال فيها القتال ، وصبروا لكثرة جيوشه صبر الابطال ، فاجتمع عليهم اهل القرى التي في ناحيتهم والاعراب ، وتولوا قتالهم مع جنود الوليد الاموي فكثروهم ، واشعلوا بالنيران مدينتهم، وصبروا صبر الابطال حتى استشهد اكثرهم ، وافترق باقيهم في الشعاب ، وهدم ابا ركوة قرية ، واحلها للخوف بعد الامنة ، واستولوا على ما كان فيها ، وهتكوا حريمها ثم صار في الحصون والقصور التي تليها يخرب بنيانها ، ويقتل سكانها ، حتى انتهى الى عيون النظر ، فصلى الجمعة بها ، وخطب لنفسه فيها ، وحض من معه على الجهاد بزعمه ، وابا ح لهم الدماء والاموال ، والفروج المحرمة بحكمه ، وزحف الى برقة في جموع جمة العدد وكثرة من الجيوش والجنود فانتهى اليها في اول يوم من شهر رجب ، وضرب اخبيته في ملسله وزحف من ساعته في جموعه وجيوشه حتى صار الى مصلى مقابلا لابواب برقة القبيلة ، فوقع القتال بينه وبين من في برقة ، وقد ذمر اصحابه وشجعهم ومناهم ، ووعدهم انه ذلك اليوم سيستولي على برقة ويخطب فيها فقاتلوا اشد القتال ، وتلقاهم من فيها من الرجال ، والتقى الابطال بالابطال ، وكلت اصحاب الوليد ابي ركوة ، وكان يوما شديدا حلبه عظيما نسبه ، وما زال القتال من ضحوة الى الظهر ، ثم حتى انقضى وقت العصر ، فصبر اهل برقة ودفعوا اصحاب ابي ركوة ، ولم يبلغ قصده، ولا اصدق الله وعده ، فعاد الى مناخه فبات فيه ، ثم ادلج قبل ان يتبين الصبح ، فركب في عسكره وزحف الى برقة فكان بينهم قتال شديد ، وضرب يشيب بهوله الوليد ، فصبر اهل برقة ومن معهم من عبيد الامام الحاكم بامر الله وجنوده ، ولم يمهلهم الاموي ، وما اظهر من عنوده ، فقاتلهم ابو ركوة حتى مل الفريقان، وقتل كثير من الرجال والفرسان ، ثم رجع الاموي الى اخبيته، وابكر في اليوم الثالث للقتال والحرب والنهب ، واشتد العراك والضرب ، والتقى الفرسان ، وصبر الفريقان ، ودارت فيهم رحى الضرب والطعان ، فكان فيهم يوم كثر فيه القتلى من الفريقين ، وعاين كل منهما طوالع الحين، فحين رأى الاموي صبر اهل برقة رجع الى مناخه ، وامسك عن القتال ، وكانت خيله تغير الىالاطراف ن وتقتل وتنهب في مسلك الطرقات ، ثم اتاه الخبر ان لواته قد اجمعوا ان يصلوا بالمادة الى اهل برقة ن ويشفون بقتال الاموي ما عندهم من الغيظ والحرقة ، واهل برقة منحصرون ، وبذلك لا يشعرون ، فحين صح عند الاموي امر اهل لواته ، رأى ان يعاجلهم قبل ان يجتمعوا مع اهل برقة ، فوقع اخبيته وسار بجميع جنوده حتى وافى لواته بارض اسقفه يوم الجمعة للنصف من شهر رجب فلما عاينهم وعاينوه ، حمل عليهم بكثرة من معه ، وحملوا على جنوده يرجون بالشهادة الزلفة ، فجردوا السيوف ، واشرعوا الاسنة ، وارخوا للجياد المسومات الاعنة ، ودارت من الحرب الرحى ، وسالت على الارض الدماء ، وانتشرت كتائب الاموي ، وكثرت عساكره ، وكثر القتل في لواته ، فرجعوا منهزمين ، وتبعتهم خيل الاموي وعساكره يقتلونهم في الصحاري والتلال ، ويكرون عليهم في حومة القتال، حتى حال بينهم الظلام ، وتفرقت لواته في الشعاب والآكام ، ثم رجع الاموي الى برقة لمحاصرتها بعد ان استراح من لواته ، وفرح ممن اصابه منهم وندم على من فر منهم وفاته ،

وكان اهل برقة ايام غفلته في مسيره الى لواته قد فقدوا درب مدينتهم ، فسدوا منه ما انفرج ، واجتهدوا في الحفر والتوسع في ما حولها من الخندق، وما زال ابو ركوة يكرر القتال عليهم بكرة وعشيا فلم يبلغ مراما في قتالهم ، ولم يصنع شيئا ، وكثر الجروح والقتل في جنوده ، وملوا القتال حين رأوا صبر من في برقة من عسكر الامام عليه السلام وعبيده ، فعاد ابو ركوة للعرادات والمنجنيقات وجعل يرمي برقة بالصخور حتى اثر ذلك بالدرب والسور ، فزاد ذلك من برقة قوة وجلدا ، ولم يكلوا صبرا كل ما ازداد الاموي علوا وتمردا ، وقد انقطعت منهم الاخبار لشدة الانحصار ، واقتصروا في مدينتهم عن الدخول والخروج خوفا من جموع ابي ركوة الاشرار ، وهم ينادون باسم الامام الحاكم بامر الله ع م الشعار ، ويبدون من ولايته وطاعته ما يحبون في الاضمار، خلا طائفة من اهل برقة قد اسرّوا النفاق والعدوان ، وكانوا يكاتبون الوليد ابا ركوة ويراسلونه كل اوان ، فطال امر الحرب والحصار ، وغلت في برقة الاسعار ، وقل القمح والشعير ، وضاقت عليهم الامور، وماتت الخيل من الهزال، وذبحوا ما لديهم من البقر والغنم والجمال ، وعظم عليهم الامر ، واشتد بهم الضر، حتى مضى شهر رمضان وشهر شوال ، وكان امير المؤمنين الحاكم بامر الله ع م قد اخرج عسكرا مع عبده ينال لجهاد الاموي والقتال ، وكان للاموي في كل جهة عيون تأتيه بالاخبار ، فوافاه الخبر في العشر الاواخر من ذي القعدة وهو مجد في قتال اهل برقة ، باذل جهده ، فحين وافاه الرسول في الليل يخبره بقرب ينال ومن معه بساعته امر ان يحطوا الغازات ونادى ونادى في عساكره بالرحيل ، وسار بهم قبل الصباح يقود رعيلا بعد رعيل، فاصبحت الغازات قد نقلت ، والعساكر قد ارسلت ، واهل برقة بامره لا يشعرون ، وهم من فوق سور المدينة ينظرون، وقد تركت عساكر الاموي المواشي والبقر راتعة في مراعيها ، سائمة في مراتعها ، فخاف اهل برقة ان يكون قد ترك كمينا حتى اذا خرجوا اليها اوقع بهم ، فارتقبوا حتى على النهار ، وايقنوا ان عسكر الاموى قد سرى ، فافترقوا خلف تلك النعم وانتهبوها ، ودخلوا جوف مدينة وادخلوها ، وقد خفيت عليهم من ابي ركوة الاخبار ، فلا يعلمون حيث قصد ولا اين سار ، وهو قد سار بجيوشه يقصد ينال ومن اتى معه من الديار المصرية ، واعمل الحيلة بالبذل لاهل البلد ليغدروا بينال ومن معه من الجنود الحاكمية ، فطاوعه اهل تلك النواحي ، وساعدوه على ان يغدروا بينال ويكايده فتوجهوا الى ينال وهو يظنهم ناصحين ، وهم للغدر به مضمرون، فمالوا به عن السهل الى الوعور ، واجازوه بين التلال العالية والصخور ، وجاؤا بالاموي ومن معه من الشعاب ، وينال ومن معه على غير استعداد لهم ولا معرفة بخبرهم ، فما شعروا الا وهم يردون عليهم ، ويقصدون من الشعاب والتلال اليهم ، فحين عاينهم ينال اعياه الامر ولم يجد حيلة غير الثبات .

وكان مشهورا بالشجاعة والاقدام ، ثابت العزيمة اذا تزلزلت الاقدام ، فثبت بثبات من رجى الشهادة ، ووطن نفسه عليها ليبلغ من ثواب الله مراده ، وفرّ عنه جيوشه وجنوده ، وولى جمعه وعديده ، فكرّ على المارقين كر الرئبال، ولم يهله تهويلهم عند القتال ، وعطف بعضهم على بعض ، وصرع منهم جماعة فخروا مجندلين على وجه الارض، وكان كلما اتته كتيبة كرّ عليها كالاسد الرئبال ، وكاعت عنه حماتها والابطال ، حتى كثر العدو من كل ناحية ، والقوا عليه الصخور من التلال العالية، فاردوا جواده ، واختارالله تعالى له الشهادة ، فمات شهيدا على طاعة امامه ، واتاه على الاخلاص والايمان ما قدر له من حمامه ، وكر اصحاب الاموي في عسكره يتبعونهم في تلك الاوعار بالقتل ، ويجتزون رؤوسهم في الوعر والسهل ، وغابت الاخبار عن اهل برقة ، الى اليوم الثالث من ذي الحجة ، وجاءهم الخبر بما كان من قتل ينال ، وهزيمة من معه، وان الاموي قد زاد طغيانه وكثر من العساكر ما جمعه ، واقبل الناس اليه خوفا من سطوته ، وجاءوا اليه وجلين من عتوه وقوته ، فعند ذلك خرج الاولياء والعبيد عن برقة ، وكل من يتوالى الامام الحاكم بامر الله ع م الى البراري والصحارى ، ولم يبق في برقة غير الضعفاء الذين لا يجدون حيلة ، ولا يقدرون سبيلا ، مستعدين ليلاقوا من المارقين بلاء وبيلا ، ورجع الاموي بجنوده الى برقة بعد ان ارسل اليه اهلها يخبرونه بخروج اصحاب الامام وعبيده عنها ، واجلائهم عنها ، فترك اثقاله وجاء برقة مبادرا ، ودخل قصر الامارة ببرقة على غفلة ، فاقبل اليه اهل برقة مهنئين له بالامارة وطلبوا منه الامان ، فسلط البغاة بها على من بقي من اهل الايمان من اتباع الامام الحاكم بامر الله ع م فتتبعوهم بالقتل ، ثم اضرموا النيران واحرقوهم بها عتوا على الله واستكبارا، وتماديا في البغي اصارارا، وجاءت عساكره من بعده فعاثوا في مدينة برقة وافسدوا ، واجتمعوا لاخذ اموال الناس واحتشدوا، اخذوا الاموال والنساء ، وملأوا قلب كل مسلم من الاسى ، واصطفى الاموي اللعين لنفسه من الاموال والنساء وصار بعد فقره ذا مال وحواري وكساء ، وعظم في برقة وما حولها الظلم ، وكثر فيها الفساد والاثم، واظهروا السفاح والفجور ، واتوا بالامر النكير ، وحازوا ما للناس من الاموال ، وتغيرت بهم هنالك الاحوال، فركبوا الخيل السوابق، ولبسوا الديباج وفرشوا النمارق، ثم شن الغارات الى اوجلة وما حولها من النواحي فاوسعوا قتلا ونهبا ، فالرجال تقتل والاموال تغنم والنساء تسبى ، ثم زاد بالاموي عظيم طغيانه ، وحاول ان ينهض الى مصر بجميع اعوانه ، مغترا عامدا له من مدة الامهال ، راجيا ما لم يؤته الله من الآمال ، فخرج الاموي ابو ركوة الوليد بن هشام من برقة في اول شهر رمضان من سنة ست وتسعين وثلاثمائة وقد اجتمعت اليه العساكر ، واتاه كل فاسق وذاعر، ممن طغتهم انفسهم في انتهاب اموال المسلمين ، وسولته لهم في الاستيلاء على ما حوته ايديهم ، وجاءت اليه البربر ، وبنو قرة ، وغيرهم بجموع كثيرة ، واظهروا العدد والعدة ، واستخلف على برقة رجلا يدعى ابن ماواس ، فبسط يده بالظلم في الناس ، وسامهم سوم الخسف، ووقع في برقة القحط ، حتى اكل الناس بعضهم بعضا ، واقام الوليد بن هشام الاموي الشماس ينتظر قدوم العساكر وحشدهم من الاطراف ، فاقبلوا اليه يتساربون ، ومن كل جهة يتواردون ، وجاءته عيونه فاخبرته ان جهة الحمام فيها فاتك بن الارب القائد في قلة من الرجال ، وكان مقيما في الحمام من قبل الامام الحاكم بامرالله ع م ، فانهض الاموي جيوشا كثيرة الى الحمام مع رجل قدمه عليهم يسمى الجردب ، فوافت فاتك القائد ، وهو في غرة من امره ، وافتراق من عسكره ، فحين دنوا منه ، وعلم امرهم ثار فيمن معه الى الركوب ولاقوا جنود الاموي على كثرتهم وكانت بينهم وقعة تصادم فيها الفرسان ، وتلاقى فيها الابطال للطعان ، وصبر فاتك واصحابه صبر الاحرار ، وقاتلوا قتال من لا يركن الى الفرار، فكثرهم جنود الاموي ، وكبا بفاتك جواده بعد ان ابلى وقتل كثيرامن الاعداء ، وقدر الله له الشهادة ، فقتل رحمة الله عليه وجاء الاموي وكان قد سار خلف الجردب في جيوشه فوافته الاخبار وهو في الطريق بقتل فاتك فوصل الى الحمام واستولى على جهاته ، وكثرت معه العساكر ، واجتمعت اليه القبائل والعشائر ، ووافاه اهل ريف مصر مسارعين اليه ملقين بايديهم نحوه ولديه ، وسار من الحمام الى بروج فحكم في اهله السيف ، وانتهب ما كان لهم من الاموال واخرب الديار ، وعاث في البلاد اتاعه الاشرار ، وجعلوا المسلمين دار حرب كالكفار، يقتلون الرجال وينتهبون الاموال ، ويسبون النساء والاطفال ، وزاد به طغيانه واثره ، وعدوانه ومنكره ، فاقبل يقطع من اجتمع اليه من الاعراب والبربر ، ما كان في مصر من الرباع ، وما يسقي النيل من الضياع، ويكتب لهم بذلك السجلات ، ويضع لهم على الكتب العلامات ، وتوجه به طمعه وبغيه الى محاصرة الاسكندرية ، فخرج اليه من فيها من عساكر امير المؤمنين فهزموا عسكره ، واثخنوهم اسرا وقتلا ، وعاد بعد ان اخذته العزة بالاثم قد ملئ رعبا وذلا ، ثم انه اجتمع اليه لفيف من العساكر ، وكثر له الجمع الوافر ، وقد عاث اصحابه واتباعه في القرى حول مصر ينهبونها ، ويقتلون من فيها ، ويهتكون حريمها ، ويخربون نواحيها ، ثم انه زحف في جيوشه الى الفيوم ، وكانت جماعة من اهل مصر ممن يكرهون الدعوة العلوية ، ويتعصبون على الذرية الفاطمية ، قد كاتبوه وراسلوه في ا لقدوم عليهم ، والورود بجموعه اليهم ، ووعدوه المعونة والنصر، وان يبذلوا معه جهدهم ليملكوه الامر ، فحين دنت جيوشه من مصر ، ورأى اهل مصر ما هم عليه من الفجور ، وبسط الايدي في المسلمين بالنهب والسبي والقتل ، وانهم لا يرقبون في احد امنا ولا ذمة ، ندموا على مكاتبته ومراسلته ، وقالوا نحن في خفض من العيش ودعة ، وامان في ايام الحاكم بامر الله وآبائه ، وحريمنا في ستر وصيانة ، وقد دعونا هذا للقدوم وهو على ما نرى من استباحة الفروج والاموال وسفك الدماء لقد تعجلنا البلاء ، وجلبنا على انفسنا الداهية الدهياء ، فاجتمعت منهم جماعات ووصلوا الى باب امير المؤمنين الحاكم بامر الله متنصلين من ذنوبهم فخرج اليهم القائد الحسين بن جوهر وسألهم عن حوائجهم ، فذكروا له انهم كانوا سبب مجيء هذا الخارجي ، واظهروا التوبة مما فعلوه ، والانابة بما تجرؤا علهي واملوه ، وقالوا هذه اموالنا مبسوطة فليأخذ منها امير المؤمنين ما اراد ، ويبذلها في الجهاد ، لدفع هؤلاء الساعين في الارض بالفساد ، فاعلم الحسين بن جوهرالامام الحاكم بامر الله ع م بقولهم ، فقال له قل لهم لا حاجة لامير المؤمنين باموالكم وان الله ينصره ويؤيده ، وبمعونه يمده .

وكان امير المؤمنين ع م قد انفق انفاقا عظيما ، وانفد خزائن كثيرة في حرب الاموي ، ثم ان امير المؤمنين الحاكم بامر الله ع م اخرج فضل بن الحسن ابن صالح في جيوش عظيمة، واموال جليلة ، وكان خروج فضل بن الحسن بن صالح من المعزية القاهرة غرة شهرشوال بعد ان قضى امير المؤمنين صلوة العيد ، وخطب يحض الناس على الجهاد ، ووعدهم اجر الصابرين ، وان الله تعالى ممكن في الارض لاوليائه الطاهرين ، وجازت العساكر بين يديه من الاتراك والديلم والعبيد وكتامة وسائر الجنود ، وفتح الخزائن فاخرج الاموال ، وكثيرا من العدة والسلاح للقتال ، فلما دنى فضل بن صالح بعساكره من الاموي وهو في الفيوم وصله الخبر ، ولم يبق منهم غير مرحلتين فامتلأ بالخوف قلبه ، وعظم رعبه ، وخاب ظنه ، وبعد عنه امنه ، ثم انه عاد الى حمية الجاهلية، وامل ان تعود الفتنة الاموية ، وقال لعساكره ان معاوية بن ابي سفيان قد غلب على الامر على علي ابن ابي طالب مع ما كان له من الاقدام والشجاعة التي قد علمها الخاص والعام ، وان الخلافة الاموية قد رجعت كما كانت، ودنت قوتها وحانت، يشجع بذلك اصحابه ، ويريهم قلة الاكتراث لما نابه .

واختار سرية من شجعانه وابطاله وفرسانه وامرهم ان يشنوا في عسكر فضل بن صالح الغارة ، وان يأتوه هو ومن معه على غرة ، فوافت عساكر الاموي وسراياه عساكر فضل بن صالح ليلا ، ورجوا غفلتهم ، فالفوهم حازمين ، والحرس على اطرافهم قائمين، فوقعت الصيحة ، وابتدر الناس الى السلاح وركبوا الخيل مستعدين للكفاح ، وجالت الخيل بفرسانها ، وفرغت ابطالها الى ضرابها وطعانها ، وجالت العساكر الحاكمية ، والجنود الفاطمية ، على العصابة الاموية ، فاوردتهم الردى، وقتلوا منهم ما لا يحصى عددا ، واتوا الى ابي ركوة منهزمين ، ولما نالهم من القتل والغل مغمومين ، فضاقت به الارض برحبها ، ولم يدر اين المفر لجيوشه ، وجنود الله في طلبها ، وزالت عن الناس الاوهام الفاسدة والارجاف ، واسكت اهل الشقاق والخلاف ، وسار الوليد الاموي الى الصعيد فحين جاز الاهرام عاودته فاسدات الاوهام ، وواعدته نفسه ان يطرق الجيزة ورجى ان يقتل اهلها ، فجعل اليها قصده وسيره ، ورام ان تكون من العساكر خالية ، وان تعود له ان غلب عليها الكرة الثانية ، فجاءت عساكره قبل الصباح منتشرين في سلبها ، يقتلون من وجدوه من اهلها وغير اهلها، فخرج عاملها علي ابن فلاح في من كان معه من الروابط فيها ، فوقع بينهم القتال ، واشتدت مقارعة الابطال ، وصبر علي بن فلاح صبر المحامين عن الدين ، ودحر معه لقتال المفسدين ، فولت جيوش الاموي على الادبار، ولم يركن الا الى الفرار، وعاد الاموي بجيوشه الى الصعيد فاقام بها حتى اجتمت له الجيوش وجاءته من الاقطار ، وقد بث رسله الى من يرجو نصرته من جميع النواحي والامصار، فجاءه من بيغي في الارض الفساد ، ويروم ان يستولي على اموال العباد ، فاجتمع له سبعون الفا بين فارس وراجل ، ووافت اليه من المعاندين لاهل البيت العشائر والقبائل ، فازداد طغيانه وعناده ، واعجبته جموعه وجنوده ، فسار بهم في شهر ذي الحجة الحرام قاصدا للفضل بن الحسن بن صالح الى مستقره بالجيوش، وكان الفضل في بركة الاحبوش ، فبرز اليه الفضل بن الحسن في كتائب جمة ، وعساكر لا تنبو عن مهلة ، ولا تفرق لملة ، قد اجتمعوا من جنود الاسلام والايمان، وانفوا لما شاع من الاقوال الغوية وما استحله من الحرام ناصرين للدين، مجتمعين على جماعات المسلمين ، فجالت الخيول في الميدان ، وتدانت الفرسان الى الفرسان ، والتهبت نيران الحرب واضطرمت واشتدت الوقعة وعظمت، وقد فغرت المنية فاها ، وادارت على الابطال رحاها ، فنشرت الاعلام الحاكمية بالنصر، وتوصى حاملوها بالصبر ، وامتلأت الارض من القتلى ، وخاضت الخيل في الدماء ،وداست الاشلاء ، وفلت السيوف من الضراب ، ودارت الحتوف بالسلب بالنفوس والاغتصاب، فلم يكن لجند الاموي صبر حين كثر فيهم القتل وانقلبوا على الاعقاب ، وفروا متفرقين في البراري والشعاب ، يقتلون في كل مكان، ولا يلجأون الى عصمة ولا امان ، ينخطفون حيث يمروا وذهبوا ، ويقتلون جزاء بما احتقبوا ، وغنمت اموالهم ، وساءت احوالهم ، وصاروا بين قتيل تأخذه السيوف حيث يفر ويجيء ، وغريق واقع في البحر اللجي، وآخر يقتله الجوع والظمأ ، ويبتغي لو يجد نفقا في الارض او سلما في السماء ، يفرون فلا يغنيهم الفرار ، ولا يأوون من الارض الى قرار ، وانصرف الوليد الاموي ممعنا في الهرب ، مع بعض من كان معه من العرب ، راجعا سوء المرجع والمنقلب، واسلم اصحابه وما حوت يده وسار ، وقد اسلم ما جمعه وحشده ، فقصد ارض النوبة يريد ان يجد النصرة من المشركين، ويكون له منهم المانع والمعين، حتى انتهى الى صاحب الجيل، وقد اسلم ما كان له من كثير وقليل ، وجنود امير المؤمنين المنصورة ممعنة في طلبه ، متجسـسة لاخباره واين قصد في مذهبه، فحين بلغ فضل بن الحسن بن صالح مصير الاموي في الجيل ، فتابع الرسل الى ملكهم في طلبه وخوفه جنود الله ان تأتيه رعيلا بعد رعيل ، وطلب ان يسلم الاموي اليه ، ووعده ان يفيض انعام ولي الله عليه ، فارسل به صاحب الجيل مع رسل القائد فضل بن الحسن بن صالح ، وقد غلل بالحديد وامسكت رجلاه بالقيود ، وجاء مع الرسل الى الفضل مجيء الذليل، ففك القائد من اغلاله ، وامر ان يرفه في طعامه واحواله .

ورجع القائد فضل بن الحسن بن صالح الى باب امير المؤمنين الحاكم بامر الله ع م بالقاهرة وفي يده الوليد بن هشام الاموي قد باء بالصفقة الخاسرة ، وخسر الدنيا والآخرة ، وكان وصول الجيوش الى الحضرة الشريفة النبوية مكلوة بالنصر ، ومعها ابو ركوة في ضيق الاسر ، لسبع عشر من شهر جمادى الآخر سنة سبع وتسعين وثلاثمائة ، فاركب ابو ركوة على جمل ، وقد جعل على رأسه طرطورا كثير الطول ، وهو امام العسكر المنصورة الحاكمية ، والكتائب الامامية الفاطمية ، وفد اكتنفه طوائف كثيرة من ا هل مصر ، فطيف به في مصر ثم اتى الى القاهرة السعيدة المعزية ، والحضرة الشريفة الحاكمية ، وقد البسه الله لباس الصغار ، واذله بعد ما كان في العتو والاستكبار ، فامر به الامام عليه السلام فضرب عنقه ، ثم رفع على الاعواد وصلب ، واشعل الجذع الذي صلب عليه بالنار ، وصار الى عذاب الله قد باء باللعنة والخسار ، وكانت وقعة عساكر امير المؤمنين الحاكم بامر الله ع م مع ابي ركوة الخارجي واسره وقتله سنة سبع وتسعين وثلاثمائة من الهجرة الطاهرة، على صاحبها وآله افضل السلام والتحية .

وجاءت بعدذلك الطوائف التي كانت اتبعت الاموي على بغيه ، ومساعدته في غلبه ، تائبة الى باب الامامة من جرمها ، متنصلة من بغيها واثمها ، فاسبل امير المؤمنين ع م عليهم ثوب عدله ، وعفى عنهم بمنه وفضله ، وجاءته الوفود من الامصار ، مهنئة بما اناله الله سبحانه وقضى لدولته من الاقتدار ، فاوسع جميع من اتاه احسانا وفضلا ، واعطاهم عطاء جزلا ، وآب كل الى جهته ، وقد ملأ من فضل الامام يديه ، وهو يكثر شكره ويثني عليه .

وقد ذكر حيدرة بن محمد بن ابراهيم حسب السيرة الحميرية الكتامية ان باديس بن بلكين عامل الامام الحاكم بامر الله ع م بعد ابيه على افريقية والمهدية ونواحي المغرب الذي لقبه العزيز بالله نصير الدولة وصل القاهرة بمصر الى امير المؤمنين الحاكم بامر الله ع م في سنة ست وتسعين وثلاثمائة وابو ركوة في قوته فنال باديس من امير المؤمنين الحباء والعطاء ، واعانه على حجة ، ثم قال له كيف حال هذا الخارجي ببرقة ؟ يعني ابا ركوة ، فعظم حاله وفتحه وذكر قوته وكثرة جموعه ، وامير المؤمنين صامت ، فلما حج باديس وعاد من مكة الى الحضرة واستأذن امير المؤمنين في المسير ، اخره حتى رأى صنع الله في ابي ركوة وان الله قد اوهن منه القوة ، واصاره في يد الامام الحاكم بامر الله ذليلا بعد استطالته، حقيرا بعد جموعه وكثرته، وحيدا بعد عدده وعدته ، واطفأ الله تلك النائرة بعد علو دخانها وخفتها بعد اشتعال نيرانها ، وملك الامام الحاكم بامر الله ع م الموصل وسقايا والانبار واقام الخطبة فيهن سنة احدى واربعمائة للهجرة الطاهرة .

قال ابن حوقل البغدادي : الموصل مدينة على غربي دجلة ، صحيحة التربة والهواء ، ذات نهر يقطعها في وسطها ، وبينه وبين حافة الارض نحو ستين ذراعا ، وهي فرضته لاهل اذربيجان وارمينية ، ذات كروم وفواكه ونخيل وعمل واسع يزيد علىعمل نصيبين ، وفيه الفنادق والحمامات والعمارة الحسنة ، والانبار مدينة بناها ابو العباس السفاح على شرقي الفرات كثيرة النخيل والزروع والثمار الحسنة .

ولم يبق للدولة الشريفة معارض ، ولا عارضها في الاقطار عارض ، حتى كان ما كان من الوزير علي ابن الحسين المغربي ، وكان من وزراء الامام الحاكم بامرالله ع م ، فاساء في الرعية السيرة ، ولم يراقب الله في الجهر والسريرة ، وبدت منه افعال مخالفة لافعال تابعي الائمة ، وداخله النفاق المبعد له من الرحمة، فحين كثرت ذنوبه ، ظهرت عيوبه ، خاف من الامام ان يجازيه بافعاله ، وان يلحقه من الباغين باشباهه وامثاله ، وان يعاجله بعقوبته ونكاله ، فهرب من الحضرة النبوية الى مكة ، واجتمع بابي الفتوح بن جعفر الحسني صاحب مكة ، فحمله علىالخلاف ، واطمعه بملك مصر، وان يكون له فيه الامر ، فادعى ابو الفتوح الامامة وامرة المؤمنين ، وكان ابو الفتوح قد جمع اموالا جمة واكثرها مما ناله من انعام الائمة ، فهي التي زادت في طغيانه ، وحملته على بغيه وعدوانه ، فكاتب ابو الفتوح حسان بن الفرج بن عقل الطائي ، واجتمع به فضمن له ان يقوم بنصرته ، ويجمع عرب الشام على طاعته ، فعند ذلك نهض ابو الفتوح الى الرملة من اعمال الشام ، واستدعى العرب لحرب امير المؤمنين الحاكم بامر الله عليه السلام ، فاجابه الى ذلك خلق عظيم ، وخطبوا له وانفق عليهم ما جمع من الاموال شيئا بعد شيء حتى اتى على جميعها ، ولم يبق له شيء منهافحين صفرت راحتاه من المال تفرق عنه العرب ورفضه الرجال ، فلما رأى ذلك حسان بن المفرج عزم على القبض على ابي الفتوح ويصل به الى حضرة امير المؤمنين الحاكم بامر الله عليه السلام ويجعل ذلك كفارة لخطيئته ، ومفتاحا لباب قبول توبته ، فلما علم بذلك والد حسان المفرج بن دغفل ، وصل الى ابي الفتوح فبين له حقيقة الامر ، واوصاه بالحزم من ابنه حسان في السر والجهر ، فتعلق به ابو الفتوح وسأله ان يخلصه ويرسل من يسير من حماة العرب معه ، حتى يوصله الى مكة المشرفة ، ففعل ذلك المفرج بن دغفل ، وارسل معه من اوصله الى مكة كما سأل ، فحين وصل ابو الفتوح الىمكة جمع الناس وخلع نفسه وتبرأ مما ادعاه لنفسه من امر الامامة واقر بها للامام الحاكم بامر الله عليه السلام عند الخاصة والعامة ، ثم وفد بعد ذلك الى حضرة امير المؤمنين الحاكم بامر الله متنصلا مما اقترف، طالبا للعفو عما قدم واسلف ، فصفح الامام عن اثمه ، وعفى عنه بفضله وحلمه ، وامر له بالكساء والحملان، ووصله بما اوفر له الظهر من الانعام والاحسان، وارجعه الى مكة، واقره على ما كان عليه ، واسدى المعروف اليه ، فانصرف مثنيا بلسان الشكر ، معترفا بما اولاه الامام عليه السلام من الانعام والبر ، واما علي بن الحسين المغربي فانه على ما قدم وكتب على امير المؤمنين عليه السلام يتنصل من الذنوب الموبقات، وكتب هذه الابيات :

سلام ملأ اسماع النديّ \* يفيض حيا عليه من الحيي

ويعبق فيه ريّا الشوق حتى \* ابلّ جفون سامعه بري

تجوز به ملائكة كرام \* على قصر الامام ابي علي

تحية نازح يزداد شوقا \* لدى خطرات ذي البين الوصي

وما يعتد من ذنب ولكن \* تهيّب سطوة الليث الجري

وخاف بأن يلمّ به عقاب \* على حق من الملك الابيّ

فشعشع ورده ماء رويّا \* فلم ير ماء دجلة بالروي ّ

يؤكّل بالمغارب لحظ عين \* تفيض اذا رأت اصل العشيّ

وترفع كشحة الزفرات حتى \* تكاد تقدّ سرد السابري

كأن لم امش في الايوان زهوا \* مكين الخطو مأمول النجي

والثم تربه فيما تولىّ \* هنالك ليفصل الخطب الجلي

ايا ملكا يشحّ البحرخوفا \* لساكب فضله العذب الهنيّ

موالاة على الايّام كانت \* لكم تدعى لآل المغربي

فهل بعد التفرّق من زمان \* يضم قوادم الشمل القصيّ

فجاد عليه امير المؤمنين بالعفو والصفح ، وامره ان يسرع الوصول الى حضرته لبلوغ النجح ، فعاجله واردات الحدثان ، ومات في امد عند صاحب ميافارقين عبد العزيز بن مروان.

وكان ايضا من القائد حسين بن جوهر والقاضي محمد بن عبد العزيز بن النعمان ذنب خافا ان يعاجلا بتبعته، وان يحل بهما الامام الحاكم بامر الله مخوف سطوته، لما علماه من كونه ماضي العزائم ، لا تأخذه في الله لومة لائم ، ففرا الى بني فروة ، ومعهما من الاموال ما اوقروا به كثيرا من الابل والبغال ، واودعا بمصر مائتين الوف ، وكل ذلك مما نالاه وآباؤهما من يد الائمة المألوف ، فاضجر الامام عليه السلام ما نابهما من الطيش والعجل ، وسمع عليه السلام وقد ركب وهو يتمثل :

الفت السرى حتى كأن نهارنا \* هو الليل والليل النهار لمن يسري

كذا الاسد لا تهدي وتحت ضلوعها \* ضغائن حتى تشتفي من ذوي الوتر

وكتب كتابا بيده العالية الى قائد القواد الحسين بن جوهر، وارسل به رجلا من فرسان كتامة بالورع والدين ويشتهر ، فلما وصل الى الحسين بن جوهر وناوله الكتاب ،قام من ساعته فقرأه هو القاضي محمد بن عبد العزيز بن النعمان ، وقال له ما ترى ان يكون الجواب ؟ فقال القاضي ما لهذا الكتاب جواب الا ان نصل الى باب امير المؤمنين ونلقي بانفسنا في يده ، ونتنصل مما اسلفناه الى الله تعالى واليه ، ودفع القائد الى الرسول الف دينار من العين، فقال الرسول اآخذها وقد اخذت من امير المؤمنين حين مسيري مثلها بكلتا اليدين ، لكني اسألك انتساخ هذا السجل الشريف الذي ازعجكما حين وقفتما على عالي علامته ، وليس هو مما كتب في ديوان الانشاء ، فاطلب من هنالك شريف نسخته ، فدفعا اليه وهو هذا اوردناه بجملته :

بسم الله الرحمن الرحيم

اما بعد ، فانك بامير المؤمنين ظهرت، وبسقيا نعمه نبتّ ، واغصانها اقلتك ، ودوحاتها اظلتك ، وعهدها تميمتك ، وعقدها ذخيرتك وغنيمتك ، وكم لآباء امير المؤمنين على آبائك نعم امثالها ، وفيهم عوائدها وبواديها واشكالها ، فاشتروهم من ايدي التجار ، وملكوهم ازمة الاحرار ، واعطوهم اعنة الكبار ، وجعلوا اعقابهم ملوك الاقطار ، واعلام الامصار ، فصاروا رؤساء بعد ان كانوا اذنابا ، وصدروا بعد ان كانوا اعقابا ، فقادوا جموع العساكر، ورقوا رؤوس المنابر ، وسكبوا رقاب الدهر ، وحكموا في الاموال والدماء بنافذ الامر ، وابقى ذلك امير المؤمنين ووفره ، وافاض بسجاله وادرّه ، ولم يقتصر بك على ذلك حتى جذب بضيعك من مطارح العبيد ، الى مطالع الاحرار الصيد ، فعقد لك الوزارة والقيادة ، وجللك رداء العز والسيادة ، وا لقى اليك مقاليد الامر ، وبسط يديك في البدو والحضر، واعطاك ما لم تسم بك اليه همة ، وخولك ما لم يبلغ بك اليه امنية ، وفضلك على كثير من مواليه ، وعصبة ادانيه واقاربه ، وعظم خطرك وقدرك ، وانفذ صيتك وذكرك ، تنهى وتأمر ، وتورد وتصدر ، وتنفع وتضر ، وتسوء وتسر ، وصرت بشدة امرك ، ورفعة قدرك، جبارا عظيما ، وسلطانا قويما ، تمضي ما شئته ولا تناقض وتملك ما اردت ولا تعارض، ولم يدر ان مثل احسانه اليك يكفر ، ومثل متجره فيك يخسر، فبطرت عيشك ، ونسيت امسك ، وجهلت نفسك ، وخنت ولي نعمتك ، وعصيت مالك ناصيتك ، فاستبدلت بشعار الطاعة جلباب المعصية ، وركبت بمركب العبودية مركب الحرية ، واوضعت واوجفت قائد الضلالة والجهالة ، ونقضت العهد ، وحللت العقد ، وخيّل اليك بسوء نيتك ، وسقم طويتك ، الغدر الذي وليت عليه ، وظننت ان امير المؤمنين - وبعض الظن اثم – حال عما عاهدك ، وبدى له في ما عاقدك ، وحاشاه عن ذلك وما عسى ان يخفر الله لك ان تقول اذا تناقلت زلتك الالسن العادلة ، توبثت حديثك الاندية الحافلة ، وما عذرك اذا قيل لك لم خرجت ، وقلدت عارا لا يدحضه الاعتذار ، ولا يعفيه الليل والنهار، ولم يثلم لك مال ، ولا يغير لك حال ، ولم تبتز ثوب الكرامة، ولم تسلب ظل السلامة، نعوذ بالله العظيم من نعمة تتعرى عن جلبابها ، ومرهبة تسلخ من اهابها ، ومع ذلك فتدّعي انا نبتغي لك الغوائل ، وننصب لك الحبائل ، ونقصد منك المقاتل ، ونشره الى حيازة مالك ، ونسارع الى استضامة حالك ، لا عن دلالة تقيمها وتظهرها ، ولا عن حجة تدلي بها وننكرها ، الا ارادة ان يتداول الناس دعواك ، ويتفاوضوا شكواك ، فيخيل في نفوسهم ويقرر في قلوبهم، ان لك رخصة في ما ارتكبته ، وفسحة فيما اجتبيته ، وبالله لو كانت التهمة منك بنا واقعة ، لكانت طاعتك لنا ازين من مخالفتنا، كيف وعلام الخفايا والغيوب ، والمطلع على الضمائر في القلوب، يشهد عليك باستحالة ما تذكره ، و تناقض ما تضمره، ولو كان امير المؤمنين يريد بك سوءا ، ويبغي لك مكروها لكان مرامه ايسرا ، وطريقه احضرا ، ولاخذك جهرا، واسرك قهرا، ولم يراقب فيك امرا ، فان الله اقدره ، ولله تعالى القدرة التي لو رام بها البر لاغرقه ، والبحر لاحرقه ، او الجبل الراسي لدكدكه ، والفلك الدوار لامسكه ،

فان نزلت عن مطية العصيان ، وخلعت خلعة الطغيان، واستقلت عثرتك ، واستغفرت ذنبك ، فاتيت الى باب مولاك ، ورجعت الى آخرتك واولاك ، وجدته عليك عطوفا ، وبك رؤوفا ، ولعذرك ممهدا ، ولجريرتك متغمدا ، فيسحب ذيله على ذنوبك ، ويسبل ستره على عيوبك ، ويشملك امانه الذي لا يمسه بوفر النار، وتصرف عنه آيات الليل والنهار، ويردك الى سبيل وفائك ، ويعيد الى ارضك صوب سماءك، ويعطف عليك بالحفظوالاستقامة اليك، والشح عليك، ورفع الظنة عنك، والقاء كلام الموحشين منك، فيرد اقطاعك ورسومك، ويراعي امورك وحقوقك، فتسعدا واخيك، وتحمي نواحيك ، وتزداد على ما كنت تحويه ، وتعطى اكثر مما ترومه وتبتغيه ، وتكون في ايامه مرفها مبجلا ، وفي دولته معززا مفضلا ، مرفوعا عن بذله الخدمة ، محمولا على جلالة الحرمة ، مسامحا فيما تطلبه وتهواه ، مسوغا ما تقترحه وتتمناه، مشفعا فيما تلتمسه ، مجابا الى ما ترومه وتفعله ، فان ابيت الا الاباء والعلو والجموع والعتو ، فما اهون انتسافك ، وما ايسر اختطافك ، وما اقرب ما تلتف عليك الحبائل ، وتحيط بك الغوائل ، وتساورك المنية ، وتحيط بك الامنية ، وقد اعذر من انذر ، والسلام على من ابصر وفكر.

والحمد لله رب العالمين ، وصلى الله على نبيه ، وعلى آله الطاهرين ، وسلم تسليما.

ولم يلبث القائد حسين بن جوهر ، والقاضي محمد بن عبد العزيز بن النعمان بعد ورود سجل امير المؤمنين ان قدما تائبين متنصلين مما قدما حين امتطيا مطايا العجلة الى بني قرة ، وزائلا ابواب الامامة وشريف تلك الحضرة ، ونزل الوزير ابو الفرج القسوري في لقائهما ، ورجال الدولة على تكاثرها وتوافرها ، واعيان من بقي من الدولتين المعزية والعزيزية ، وطوائف من الاخشيدية والكافورية ، والعساكر الوافرة الحاكمية، فكان ذلك اليوم كما ذكر من الايام المشهورة ، وشق القائد الحسين بن جوهر البلد على رأسه الرأيات الحاكمية خافقة منشورة ، والوزير الى جانبه ، والجموع والعساكر العظيمة محدقة به .

ولما ان بلغ درب الكرد لقيه هنالك خزان بيت المال ، وصاحب الاصطبلات مع الشدادين، فافرغ عليه وعلى القاضي من الحلل الموشية المذهبة ،المنظومة فيها الدرر والجواهر المعجبة ، وقد عرضت بعد فراغها من الخياطة على امير المؤمنين فارتضاها ، وامر ان تحمل الى القائد فيعطاها وان يكسو معه القاضي من بديع كساها ، وقيدت لهم الخيل بالسروج المذهبة المجرسة ، وانتهوا الى الحضرة الامامية في جلالة لهم عن ما خافوه وحاذروه مؤنسة،وحمل الى دورهم ماكان اخذ عليهم من بيوت الاموال ، وعادوا الى الاكرام من فضل امير المؤمنين والاجلال .

وظهرت لامير المؤمنين الحاكم بامر الله ع م فضائل لم يسمع بمثلها، ودلائل ظاهر بيان فضلها ، ومعجزات بهرت الالباب ، وآيات لا يشك فيها الا اهل الزيغ والارتياب، فغلى فيه من غلى ، وسفل بذلك من حيث ظن انه علا ، ووقع في اهل الدعوة والمملكة الاختباط ، وكثر الزيغ والاختلاط ، فجرد امير المؤمنين السيف في الغالين والمقصرين ، واشتدت الظلمة على الشاكين المتحرمين، واعرض ولي الله عنهم، واغلق ابواب رحمته ، فعم الامتحان في الحضرة فشملت مع قرب النور عظيم ظلمته ، حتى ورد الى الحضرة الشريفة النبوية الامامية، ووفد الى الابواب الزاكية الحاكمية ، باب الدعوة الذي عنده فصل الخطاب ، ولسانها الناطق بفضل الجواب، والبراهين المضيئة، والدلائل الواضحة الجلية ، مبين سبل الهدى للمهتدين، حجة العراقين احمد بن عبد الله ابن حميد الكرماني ، قدس الله روحه ورضي عنه ، ولا حرمنا نور بيانه والاقتباس منه ، مهاجرا عن اوطانه ومحله ، وواردا كورود الغيث الى المرعى بعد محله ، فحل ببيانه تلك الظلمة المدلهمة ، وابان بواضح علمه ونور هديه فضل الائمة ، وكان ما وصفه في ترجمة رسالته التي سماها بمباسم البشارات ، واقام فيها على فضل الحاكم بامر الله واضح الدلالات ، حيث يقول : اما بعد فاني لما وردت الحضرة النبوية مهاجرا، وللسدة العلوية زائرا ، ورأيت السماء قد اظلت بسحاب عميم ، والناس تحت ابتلاء عظيم والعهد في الرسوم السالفة قد نقض ، وعن اولياء الدين بما كسبت ايديهم قد اعرض ، والرسم في عقد مجالس الحكمة جريا فيهم بالاحسان قد رفض، والعالي منهم قد اتضع ، والسافل منهم قد ارتفع ، وشاهدت اولياء الدعوة الهادية بسط الله انوارها ، والناشئين في عصمة الامامة واولي ولائها ، قد حيرهم ما يطرأ عليهم من هذه الاحوال ، التي تشيب لها النواصي، وبهم ما تجدّدهم من الاسباب التي لا يهلك الا اولو النفاق والمعاصي، وهم يومئذ يموج بعضهم في بعض ، ويرمي كل واحد منهم صاحبه بفسق ونقص، تتلاعب بهم الافكار الردية ، وتتداولهم الوساوس المردية ، ثم لا يعلمون ما اظلهم من الدخان المبين، ولا ما المّ بهم من الامتحان المستبين، فصار البعض منهم في الغلو مرتقين الى ذراه ، والبعض في النكوص على اعقابهم تاركين عصمة الدين وعراه ، والقليل منهم قد تزعزع اركان اعتقادهم ، وما قبلوه من الدين باختيارهم وارتيادهم ، وهم على شفا انحلال وحؤول واختلال ، واعناق اولي الطرفين من الابالسة الى اختلاسهم ممتدة ، وهمّها في اصطيادهم عن اعتقادهم محتدة ، والآحاد منهم قد رضوا من انفسهم لانفسهم ، اذا تخلصت نفوسهم مكتفين بقوله تعالى : لا يضرّكم من ضلّ اذا اهتديتم ، حملني فرط الشفقة في الدين على ان اناجي الاخوان المستضعفين من دون من فسد جوهره ، بما حدث فيه من المقال ، وانعكس عنصره بما تشرب قلبه من ماء المحال، وصار كالفضة المحرقة التي لا تعود الى قضيتها بصناعة ، ولا الى حالها الاولى ، وان تعنى بفضل وجهد واستطاعة ، بما يكون تقوية لقلوبهم ، وثبتنا لاقدامهم ، من بيان اقامة الامام الحاكم بامر الله امير المؤمنين عليه السلام وصدقها له والبشارات الواردة من الانبياء عليهم السلام والحكماء بحقها ، وما ينجز الله له من وعده ، ويقربه من الامر من قبله لبعده ، والكلام على الاسباب العارضة وانها ليست الا لما يريد الله تعالى من تصديق قول انبيائه بقيام ما قالوه مقام الصدق ، وما هي الا امارات تقوم مقام النص ، بانه ولي الحق ، ليزدادوا ايمانا ، وبالله تعالى وبوليه عليه السلام ايقانا ، هو قوله ثم اورد في هذه الرسالة من الدلالات والاشارات من الانبياء والحكماء ومن نبينا محمد خاتم الانبياء ما يبان بالحق ، ويظهر الصدق ، وذلك موجود مشروح يعرفه من نظر اليه فسلك سبيل العدل الانصاف ، ومال عن طريق المين والخلاف ، ثم ان امير المؤمنين الحاكم بامر الله عليه السلام بعد ان اعرض عن اهل دعوته ، واغلق عنهم ابواب رحمته ، جزاء بما كسبت ايديهم ، وعملا بمقتضى الحكمة فيهم ليمتحنهم بذلك ، فيتميز المؤمنون بالاخلاص ، ويبقى المنافقون في الحيرة والانتكاص ، فنظر اليهم نظرة نعشهم بها من الخمول ، وافاض عليهم من فضله وكرمه المأمول ، وفتح لهم ابواب علومه وحكمته، واسجل لهم سجال رحمته.

وخطب اختكين الضيف في الدعوة لهداية اولي الشك والارتياب، وافادة من هداه الله بقدر الاستحقاق والاستيجاب، ولقبه بالصادق المأمون ، والداعي حميد الدين احمد بن عبد الله هو اساس الدعوة الذي عليه عمادها ، وبه على ذكرها واستقام منارها ، وبه استبانت المشكلات ، وانفرجت المعضلات، وقد ذكر ذلك حميد الدين اعلى الله قدسه في بعض رسائله حيث قال :

اما بعد فان ابناء الدعوة الهادية بسط الله انوارها ، لما عمتهم المحنة بامساك السماء عن القطر، وملكتهم الحيرة بوقوف الارض عن تربية البذر ، وشملهم الضر باستيلاء القحط ، وتداولتهم اسباب الخبط ، وعضتهم نواجذ الامتحان، وتنكرت لهم صروف الزمان، فبهت اعقلهم، وتحير احلمهم، وضعف رجاؤهم واملهم، فاستيأسوا وظنوا انهم قد هلكوا، جاءهم نصر الله بنظر وليه وابن بنت نبيه سلام الله عليه وعلى آبائه الطاهرين اليهم رحمة لهم ، فاضاء لهم ما كان مظلما ، وانار لهم ما كان مستبهما ، وكان ذلك اختياره سلام الله عليه وعلى آبائه الطاهرين من بينهم اصدقهم لهجة ، واداهم امانة ، واقوهم ديانة ، اثبتهم في الطاعة قدما ، واقدمهم في الهجرة قدما ، ذلك اختكين الضيف حرس الله عليه جمال الطاعة ، فجعله بابا لرحمته ، ولقبه بالصادق المأمون داعي الدعاة ليجمع شملهم ، ويحفظ نظامهم ، فتباشروا بتجدد الموهبة في ذلك لهم ، وعظمت المنة بالمنحة فيه لديهم ، وشكروا الله تعالى ولوليه في ارضه عليه السلام وكانوا مجلسه يحضرون، وبعضهم مع البعض يتذاكرون،

الى قوله والداعي حميد الدين هو حجة المقام الاعظم ، المبين لما استبهم ، والموضح لما اشكل ، ولم يفهم وهو من العلماء الذين لا يحارون ولا يسلك معهم في امم ، وهو بين العلماء كالعلم ، وله تأليفات تحتوي على فنون من العلوم والحكم ، مما استفاده عن الائمة الطاهرين عليهم السلام مما وجدنا من تـأليفه ووقفنا عليه من تصنيفه : كتاب راحة العقل اربعة اجزاء في التوحيد ومعرفة الملائكة وعلو مراتبها ، وسمو صفائها ، والدلالة على اوائل الموجودات ، واسرار الطبائع والشرائع ، وذكر فضل ثواب الله تعالى للعاملين العالمين ، وما ترتقي اليه النفوس العالمة من الثواب الابدي مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين في درجات الجنات ، واطباقها العاليات ومنازلها الساميات ، وكيف يكون عذاب المعذبين وادراك نار الجحيم ، وورود النفوس الهاوية في العذاب الاليم، وذكر القيامة والنشور ، والبعث الذي فيه اجتماع الاول والاخير، ما قامت دلائله، وظهرت فضائله ، هو سر اولياء الله المكنون ، وعلمهم المحفوظ المصون،

ثم له كتاب الرياض في الاصلاح بين الشيخين ابي يعقوب وابي حاتم ، في ما اورد ابو حاتم في كتاب الاصلاح ، وابو يعقوب في كتاب النصرة ، في شرح ما قاله الشيح حميد في كتاب المحصول نضر الله وجوهم جميعا برحمته واعلى قدسهم في جنته ، وفي كتاب الرياض المذكور فصل الخطاب ، وابانة الحق المتجلي عن الارتياب ،

وله الرسالة الدرية في معنى التوحيد جوابا لمسائل القيت الى اختكين الضيف لتكون الى الامتحان ذريعة، ولما يبسط الشغب مزيعه،

وله الرسالة الموسومة بالوضية في جواب من يقول بقدم الجوهر وحدوث الصور

وله الرسالة الموسومة باللازمة في شهر رمضان وحينه ودلائل وقته واوضح براهينه

وله رسالة الروضة في معنى الازل والازلي والازلية ،وبيان الوحيد لله ع ج عن الصفات اللائقة بخلقه ، والتنزيه له سبحانه بمحض البيان وحقه

وله الرسالة الموسومة بالزاهرة في رسالة وقعت الى بعض السائلين ، ونسبت الى الداعي ابي يعقوب نضر الله وجهه ، وان تلك لا من نظم الشيخ يعقوب ولا من صيغة الفاظه ، وان العبارة ليست من عبارته ، ولا المورود فيها من اعتقاده، لما فيها من ركاكة المباني ، واحالة المعاني

وله الرسالة الحاوية في الليل والنهار في جواب ما اورد السؤال في ايهما كان بالقبلية قبلا ، وبالبعدية بعدا ؟

ورسالة مباسم البشارات بالامام الحاكم بامرالله امير المؤمنين عليه السلام وعلى آبائه الطاهرين ، وابناءه الاكرمين ،

والرسالة الواعظة تجمع مواعظا واجوبة عن مسائل المارق عن الدين حسن الفرغاني الاجدع ،

والرسالة الكافية في الرد على الهاروني الحسيني الزيدي ، في مسائل عدة تجمع اثبات الامامة للحاكم بامر الله امير المؤمنين عليه السلام الفها للنائب عنه الداعي بكرمان والعراقين رحمة الله عليه ، وهو عبد الملك بن محمد المازني ، وكتبها اليه من القاهرة المعزية والحضرة الشريفة

والرسالة الوضية في معالم الدين واصوله ، وهي مقالتان في العبادة لله تعالى العلمية والعملية ،

ومن الموجود لسيدنا حميد الدين كتاب العقائد ولباب الفوائد

وله كتاب تنبيه الهادي والمستهدي في العظة والتشويق والترهيب بالموت والتحذير والحث على العبادة، والترغيب في طلب الزلفى عند الله تعالى والسعادة ، وفيه وصايا الائمة عليهم السلام لاشياعهم ، وفضل الايمان ، وما فيه للنفس من نيل الكمال الذي هو العفو والغفران، وبيان فرائض الاسلام ، من الطهارة والصلوة والزكوة والصوم والحج والجهاد ، وما فيها من المنفعة للنفس ، والترغيب في العلم والتأويل ، وفيه اقامة الحجة على الفرق من اهل الاسلام ، وبيان ما عليه كثير منهم من فساد الاعتقادات ، والتنبيه لامر من يجب اخذ الدين منه وافتراض طاعته ، وافتخار المعتصمين بحبل الله تعالى وطاعة ائمة دينه، بامر الله تعالى وامر رسوله ومخالفة غيرهم ، وبيان وجوب اخذ العهد والميثاق والدخول تحت شرائطه ،

ومن الموجود في تأليفه الجزء الثاني من معاصم الهدى والاصابة في تفضيل علي علىالصحابة

وله كتاب الخزائن في فنون العلم والتأويل

وكتاب المصابيح في الامامة جاء فيه بالبراهين الواضحة والدلائل البينة في دفع قول المعطلين ، واثبات الالهية لله تعالى مبدع العالم الجرماني والجسماني ، لا اله الا هو ، وابانة مراتب الانبياء والاوصياء والقائمين بعدهم ، واثبات النبوة والوصاية ، ودلائل الامامة ، وانها بالعقب والنص ، ومن المستحق بعد الرسول صلع لها ومن الخالي من فضائلها ، وفيه براهين مضيئة ، ودلائل عقلية ز

وله كتاب الاقوال الذهبية في كتاب وقع اليه محمد بن زكريا الرازي ، فوجده فيما تصدى له بزعمه من الطب الروحاني لا كهو فيما نشأ عليه من الطب الجسماني، لكونه في هذا كفارس في ميدانه ، وكونه في الطب الروحاني كحاطب ليل يجمع ما لا يدري ، وهكذا الاطباء الروحانيين لكون تلك رتبة الانبياء المؤيدين من السماء ، الهادين الى سبيل ما يكون به الكون في الحيوة الدائمة والبقاء

ومن كتبه التي لم يوجد في اليمن وقد ذكر انها من تأليفاته رسالة الفهرست ، ورسالة المفاوز والحدائق ، وتاج العقول ، وكتاب ميدان العقول في المعاد ، وكتاب النقد والالزام ، واكليل النفس وتاجها ، وكتاب المقاييس ، وكتاب المجالس البغدادية والبصرية ، والرسالة التأويلية، والجزء الاول من معاصم الهدى ، والاصابة في فضل علي على الصحابة ،

فتلك تسعة وعشرون كتابا تنسب كلها اليه في تأليفها وتنسيقها ، وله فيها الدلائل العقلية ، والبراهين الواضحة الجلية ، التي لا تدفع الا بالبهت والمكابرة ، ولا ينكرها الا اولو الجحد لما يرون باعينهم الباصرة ،

فاقام الداعي احمد بن عبد الله الكرماني ما افاد وازال عنها ما شملها من طعن الباغين في الارض بالفساد ، وابطل قول اولي الغي والالحاد، وهدى الى اتباع من لم يحل الله كل عصر منهم من امام هاد ، وقامت الدعوة الشريفة الحاكمية على ساق ، وجرتت امور اهلها على انتظام و اتساق ، زهرت مصابيح الهدى بنور واشراق، وعمت ا لدعوة اكثر الاقطار والآفاق ، وقام السيف والقلم ، ورفع بآل محمد عليهم السلام العلم والعلم.

وامر الامام الحاكم بامر الله الى مدينة النبي صلع بعض من اختصه ففتح بيت الامام جعفر الصادق بن محمد بن علي بن الحسين سلام الله عليهم وقد دلهم الامام الحاكم عليه السلام على علامات في البيت ، فلما فتحوه اخرجوا اكتبا فيها كنوز من علم الائمة عليهم السلام والصلوة ومصحفا ومالا وسلاحا ، وذلك معروف مشهور، وقد ذكره الشريف الحميري الحسيني في كتابه المعروف بكنز الاخيار في السير والاخبار ، وذلك في سنة عشر واربعمائة من الهجرة الطاهرة النبوية ، وقد اجتمع عليه كثير من اهل التواريخ ، واقروا بصحة الروايات فيه وهل ذلك الا مما توارثه من علمهم الائمة الصادقون، وعرفوا خبيئة جدهم الصادق الامين، لتظهر باستخراجه معجزة الامام الحاكم ، ويتبين انه الخالف له ، الذي هو في مقامه من الامامة قائم .

واذن المؤذنون اوان خلافة امير المؤمنين الحاكم بامر الله ع م فنادوا في اذانهم بعد الشهادة ان محمدا رسول الله اشهد ان مولانا عليا ولي الله ، تأكيدا لنداء النبي صلع في يوم الغدير من كنت مولاه فعلي مولاه ، وذلك اعلان بموالاة الرسول صلع ، وولاية وصيه الذي نص عليه ، واشار اليه ، ثم نادوا في الاذان محمدا وعليا خير البشر، وعترتهما خير العتر ابانة لفضل رسول الله صلع الذي فخروا بفخره ، وعلوا من المجد الى اعلى قدره، ولم يكن اقرب اليه من اخيه ووصيه علي ابن ابي طالب وابنته فاطمة الزهراء وسبطيه الحسن والحسين ، والائمة الطاهرين ، الذين اختارهم الله من ذرية رسوله ، وجعلهم هداة خلقه ، الى نهج سبيله ، وقد سئل عبد الله بن العباس من اولي القربي ؟ فقال علي وفاطمة والحسن والحسين ، فلم يدّع ذلك عبد الله بن العباس مع فضله وعلمه وقرابته ، وعترة الرجل رهطه الادنون ، وهم يروون عن ابي بكر ابن ابي قحافة قال نحن عترة رسول الله ، ولعمري ما كان ابو بكر من قرابة الرسول صلع الا انه من قريش، وذلك بعيد اذا نسب ، وعلي وفاطمة والحسن والحسين اولى وادنى من كل من صحب واقترب ، وقد قال الكميت :

بني هاشم رهط النبي محمد \* بهم لهم ارضىمرارا واغضب

فدل على انهم قرابته ، وقد ذكرنا من اولي القربى ، وما اتى عن ابن عباس في ذلك من البيان ، وقد انكر كثير من العوام ان عليا خير البشر فلا تسلم ذلك في علي لان البشر انبياء ، وهو قول جهلوا صوابه ، ولم يعلموا اسبابه ، وهو قول مكابرة ، وحجة قائلة داحضة داثرة ، وقد اجتمع جميع المسلمين ان امة محمد خير الامم ، لقول الله تعالى : كنتم خير امة اخرجت للناس ، وفي الامم قبلهم انبياء مرسلون ، واولياء مفضلون ، فان قالوا ذلك على الاستعارة والتعظيم ، قلنا كما قالوا ، وخاب كل معتد اثيم ، وقد قال النبي صلى الله عليه وعلى آله في صحيح الرواية عنه عن حذيفة بن اليمان وغيره : اني مخلف فيكم ما ان تمسكتم به به لن تضلوا كتاب الله وعتري اهل بيتي كسفينة نوح من ركبها نجى ومن تخلف عنها غرق ، وقال : علي خير البشر من ابى ذلك فقد كفر ، فكفى بهذا دليلا لمن جعل سبيل الحق له سبيلا ، والامة التي هي خير امة اخرجت للناس .

فقد جاء عن الائمة عليه السلام بيانها وقد ذكرنا ذلك في هذا الكتاب ، وفي الرواية المسندة عن علي ابن الحسين القاري في القصر المعمور بالقاهرة قال :

كنت مع مولانا الامام الحاكم بامر الله امير المؤمنين عليه السلام بالقرافة عند مسجد يعرف بالقفاعي وهو قائم عليه السلام اذ سمح صيحة عظيمة وجلبة ، فقال لبعض الركابية : امض فانظر ما هذه الصيحة والجلبة واخبرني بها ، فمضى الغلام وعاد فقال : يا مولانا هم اهل اطغيج ، وهم مفترقون فريقين ، فقال عليه السلام احضرهم الي، فمضى الغلام فاحضرهم ، فاذا فيهم اسود متعلق برجل وقد ضيق عليه ، فقال له مولانا عليه السلام اطلق الرجل فاطلقه ، فقال للاسود من تكون ؟ فقال انا الخطيب باطغيج ، قال له ومن الرجل الآخر؟ قال هو الداعي، قال فاي شيء جرى بينكم ؟ قال يا مولانا اظهر في بلدنا ما لم نسمعه قط ، قال وما هو ؟ قال اذّن فقال في اذانه محمد وعلي خير البشر ، ولا يجوز ان يكون علي خير البشر ، لان في البشر آدم ونوحا وابراهيم وموسى وعيسى ولا يجوز ان يكون هو خير من هؤلاء الانبياء اصحاب الشرائع ، فقال مولانا ع م لعمري ان هذا ما هو في اصول الاذان ، وانما احدثه سعد الدولة بن حمدان ، ولكن سابين لك ايها الشيخ ان عليا خير البشر مع النبي ، هل قرأت ايها الشيخ من الحديث شيئا ؟ قال نعم يا امير المؤمنين كثيرا ، فقال عليه السلام هذا خبر اورده لك فان كان صحيحا فصحـحه ، وان كان باطلا فابطله حتى اورد لك غيره ، فقال نعم يا مولانا ، قال حدثنا ابن خلاد شيحة بن سويد يرويه عن المأمون عن ابيه الرشيد عن ابيه المهدي عن ابيه المنصور عن عبد الله بن العباس قال اجتمعنا في بعض الايام عند رسول الله صلع وهو يحدثنا ويفقهنا في ديننا اذ اتته ابنته فاطمة الزهراء وعيناهما تهملان بالدموع ، فوثب وقال يا بنية ما يبكيك؟ قالت يا ابتي فقد ولدي الحسن والحسين وخشيت قلبي يتصدع لفقدهما يا ابتاه ، قال فرمق الى السماء بطرفه ، وتزعزع ودعى اذ هبط عليه جبرائيل الامين سلام الله عليه ، فقال : يا محمد لا ترم السلم يقربك السلم ، وهو يقول لك : ولداك الحسن والحسين مضيا الى حظيرة بني النجار ، فلعبا بها فغشيهما النوم فبعثت اليهما ملكا من الملائكة شفيقا رفيقا فوطئ لهما جناحه الايمن ، وغطاهما بالايسر فادركهما وخذهما ، فمضى رسول الله صلع واصحابه معه الى حظيرة بني النجار ، فرأى الحسن والحسين عليهما السلام نائمين والملك قاعد يحفظهما بامر الله فاحتملهما على كتفيه ، فقال ابو بكر يا رسول الله احمل عنك ، قال ذرهما فنعم المطي مطيهما ونعم الراكبان هما وابوهما خير منهما ، فحملها على عاتقه، ورجع يسرع في المشي ليبشر فاطمة حتى وصل الى المسجد فاصاب جماعة من الناس قد فزعوا لذلك فقال صلع : ايها الناس الا اخبركم بخير الناس ابا واما هما هذان الحسن والحسين ابوهما علي وصيي افضل الوصيين ، وامهما فاطمة الزهراء ابنتي افضل نساء العالمين، الا اخبركم بخير الناس جدا وجدة ، هذان الحسن والحسين عمهما جعفر الطيار في الجنة ، وعمتهما ام هانئ بنت ابي طالب ، ما اشركت بالله طرفة عين ؟ الا اخبركم بخيرالناس جد وجدة ، هذان الحسن والحسين وجدهما رسول الله وجدتهما خديجة اول من آمن بالله ورسوله ، الا اخبركم بخير الناس خالا وخالة هذان الحسن والحسين، خالهما القاسم ابن رسول الله وخالتهما زينب بنت رسول الله ، ثم قال اللهم انك تعم انهما واباهما وامهما وجدهما وجدتهما وخالهما وخالتهما وعمهما وعمتهما وشيعتهما ومحبيهما في الجنة ، اصحيح هذا الحديث ؟ فقال اي والله يا امير المؤمنين ، وانه لمن عيون الاخبار ، قال امير المؤمنين وفي هذا الحديث ان رسول الله صلع قال في ملأ من اصحابه ولداي هذا اماما حق قاما او قعدا وابوهما خير منهما ، قال نعم ، قال وقال ولداي سيدا شباب اهل الجنة ، الخبر صحيح يا شيخ ام لا ؟ فقال : صحيح يا امير المؤمنين ، قال اوليس في الخبر قول رسول الله صلع ان اهل الجنة شباب لا يهرمون ، قال نعم ، قال صحيح ذلك ، قال نعم يا امير المؤمنين ، قال له يا شيخ ففي الجنة آدم ونوح وابراهيم وموسى وعيسى ام لا ؟ قال بلى يا امير المؤمنين ، فقال يا شيخ فاذا كان الحسن والحسين سيدا شباب اهل الجنة وابوهما خير منهما فقد ثبت ان عليا خير البشر مع النبي صلع ، فقال الشيخ عند ذلك آمنت وصدّقت ، ثم التفت مولانا الحاكم بامر الله امير المؤمنين الى الداعي فقال ايها الشيخ اذّن كيف شئت ، فلن يعارضك احد ، ثم قال اذا دخلت مدينة اهلها اعور فاردت السكنى معهم فغمض عينك الواحدة وانصرف القوم وطلع مولانا امير المؤمنين عليه السلام الى القاهرة .

والحمد لله رب العالمين

وكما غلبت الشيعة من خالفها اوان الامام الحاكم بامر الله عليه السلام اظهروا سب من تقدم على امير المؤمنين علي ابن ابي طالب ع م ومن خالفه وباينه وحاربه وسموهم باسمائهم حتى كثر سب ابي بكر وعمر وعثمان وطلحة والزبير وغيرهم في ذلك الاوان ، وظهر من السرالى الاعلان فجهر به على المنابر، وتحدّث به البادي والحاضر، وعلق على المنابر والالواح وابواب الحمامات وحيث يكون اجتماع الجماعات فانكر ذلك الامام الحاكم بامر الله عليه السلام ، وانشأ هذا المسطور وامر بقراءته على البادين والحضور ، واجرى كل احد من الناس على مذهبه ، وان يظهر ما في ضميره ويعلن به وكان سجله :

بسم الله الرحمن الرحيم

من عبد الله ووليه ابي علي الحاكم بامر الله امير المؤمنين الى كل حاضر وباد

اما بعد ، فان امير المؤمنين يتلو عليكم آية من كتاب الله ، لا اكراه في الدين ، مضى امس بما فيه وجاء اليوم بما يقتضيه ، الصلاح والاصلاح بين الناس اصلح ، والفساد والافساد بينهم مستقبح ، الا من شهد الشهادتين احق ان لا تنفك له عروة ، ولا توهن له قوة ، بحي على خير العمل يؤذّن المؤذّنون ولا يؤذنون ، ويخمس المخمسون ، ويربع المربعون في الصلوة على الجنائز ، ولا يعترض اهل الرؤية فيما هم عليه صائمون ، ولا يشتم السلف ، ولا يبغي الخلف على من قبله خلف ، تلك امة خلت لها ما كسبت ولكم ما كسبتم ، عليكم انفسكم لا يضركم من ضل اذا اهتديتم ، الى الله مرجعكم فينبئكم بما كنتم تعملون

والحمد لله رب العالمين ، وصلواته على رسوله سيدنا محمد وآله الاكرمين .

وقوله لا يسب السلف كقول بعض آبائه الائمة عليهم السلام في وصيته لشيعته :لا تكونوا سبابين ولا عيابين ، وكقولهم حدّثوا الناس بما يعرفون ودعوا ما ينكرون .

وكثر في ايام الامام الحاكم الانفاق ، وزاد للناس على ما اعتادوه من الارزاق ، وكان يتصدق على الفقراء والمساكين ، ويغدق عليهم الاموال ، ويعطيهم من يده بلا حاجب ، ولا حاجة لهم اذ ذل السؤال ، وكل من هاجر الى الحضرة الطا هرة قوبل القبول ، واعطى فوق الامل والسؤل ، حتى كثر المهاجرون ، وامّ الى ابواب ولي الله الطالبون ، فرفع الناظر بالديار المصرية اليه كتابا يقول فيه : ان لم يغلق باب القبول عمن هاجر الى الدعوة النبوية لم يبق احد في مشارق الارض ومغاربها الا وهاجر اليها ، وكان ما يدفع اليهم يستغرق فضول الارتفاع .

فوقع الامام الحاكم بامر الله عليه السلام على رقعته :

الغربة مذلة الاعناق ، والفاقة مرة المذاق ، والمادة من الله الرزاّق ، فاجرهم على عوائدهم في الانفاق، ما عندكم ينفد وما عند الله باق .

فلم يقطع عليه السلام تلك العادة ، ولا اصدر بغير النجح والربح قصّاده ، وكان من عادته عليه السلام ان يقعد في طاقة من طاقات قصره على ربع اليل يفرّق الصدقات على السائلين ، وكانوا يعرفون ذلك الوقت فيجتمعون فيه ، وكان ذلك دأبه ، وتلك آدابه، وكرمه مذكور ، وهو بالشجاعة معروف مشهور، فانه كان يسير وحده في القرى والفلوات ، وربما لقيه بعض المعاندين ، واجتمعوا له راصدين، فحين يعاينوه تملأ الهيبة قلوبهم وصدورهم، ويبطل خوفه امورهم ، فكان يقتل كثيرا منهم بحسامه ، ويأمر بعضهم بقتل بعض فلا يقدرون على التخلف عن احكامه ،

وامر عليه السلام ابا الحسن علي بن عبد الرحمن بن احمد بن عبد الاعلى بن يونس الشامي المصري الحاكمي فعمل زيجا في الحساب وفي علم النجوم ، اصل فيه الحاكم بامر الله ع ج اصوله ، وكان الى ما اشكل عليه دليله ، وكان هذا الزيج المصنف افضل زيج عمل، وخيره في ذلك العلم ، وزاد على الزيج الحاكمي في استخراج التقاويم المأمون العباسي، فاكثر العلماء من المنجمين يجعلون عمدتهم على الزيج الحاكمي في استخراج التقاويم والنوبهرات ومعرفة الكسوف والحادثات ، ومن الامام عليه السلام استنباط علمه ، وهو الذي دل علي ابن عبد الرحمن بن يونس الحاسب على ما غاب عن فهمه ،

وكل علم يوجد فعنهم عليهم السلام اخذ مبتدأه ، ومنهم من اداه .

وقد ذكر ان اصل الاعراب ما اصله امير المؤمنين علي ابن ابي طالب لابي الاسود الدولي حين اختلط العرب والعجم ، وكثر الخطأ في المشكل والكلام ، وكذلك روى القاضي النعمان بن محمد في كتاب الحروف ان الخليل بن احمد كان في ايام الامام الصادق جعفر بن محمد ع م وانه الذي امره ان يصنع علم العروض في اوزان الشعر والكلام ، واصل له فيه الاصول ، واراه الاعلام ، فعنهم اصل العلم وفرعه ، ومنهم اخذه وجمعه ، وعلم النجوم فهو من العلوم النافعة لمن اراد النظر في الحساب والمواقيت في الليل والنهار ، والتفكر في عجائب خلق الله ع ج والاعتبار ، ليعلم ما لله جل وعلا من عظيم القدرة ، وما في ذلك من توحيده جل جلاله كان ذلك له من العبرة ، وليس هو كل علم الائمة عليهم السلام بل علمهم علم الآخرة ، وقدرة الله تعالى وما في شرائع الانبياء واسرار الحكماء وتوحيد الخالق جل وعلا، لا كما يظن الخلائق الاغمار ان علم النجوم هو كل علمهم ، ومنتهى فهمهم ، ان ذلك لضلال مبين ، وانما علمهم من علم انبياء الله المرسلين.

فقد اتى القاضي النعمان بن محمد رضوان الله عليه قال : ذكر الامام المعز لدين الله ع م وانا بين يديه يوما التنجيم والمنجمين، فقال من نظر في علم النجامة ليعلم عدة السنين والحساب ومواقيت الليل والنهار وليعتبر بذلك عظيم قدرة الله جل ذكره وما في ذلك من الدلائل على توحيده جل ذكره ، ولا شريك له ، فقد احسن واصاب، ومن تعاطى بذلك علم غيب الله والقضاء بما يكون فقد اساء واخطأ .

ولقد كان المنصور بالله ع م من اعلم الناس بها ، ولقد قال لي غير مرة الله ما نظرت فيها الا طلبا لعلم توحيد الله سبحانه ، وتأثير قدرته ، وعجائب خلقه ، ولقد عاينت ما عاينت من الحروب وغيرها فما عملت بشيء والحمد لله رب العالمين من ذلك باختيار من دلائل النجوم ولا التفتّ اليه ، ثم قال عليه السلام اتاني بعض المنجمين بكتاب الفه يذكر فيه خلق آدم وكيف كانت الكواكب يوم خلقه الله تعالى، وما دلت عليه مما آل امره وامر ذريته اليه ، ورأى انهقد اتى في ذلك بفائدة ، وعلم سبق اليه، فلما وقفت علىكتابه سألته فقلت : هذا خلق آدم قد ذكرته ،وكيف كانت الكواكب يوم خلقه الله تعالى ، وما دلت عليه فيما زعمت ، فهل كان قبل آدم شيء ؟ قال نعم ، قد كان قبله ، قلت فما كان قبله وما كان وكيف كانت هذه الكواكب قبل ذلك وما دلت عليه قبل خلق آدم ؟ فلم يحر جوابا ، وقال هذا شيء ما ظننت اني أسأل عنه ، قلت وهذا الذي تكلفته وجئت به ما سألت عنه ايضا فكيف تكلفته ، فعجبت من قوم يتيهون بما لا يعلمون ، ويتعاطون ما لا يدركون، وحسبهم لو اخذوا عن اولياء الله ما يعطوهم اياه ، ويسألوهم عما ينبغي لهم ان يسألوهم عنه ، ولم يتتكلفوا ما لم يتعبدوا به ولا كلفوه ولا سألوا عنه .

وروى القاضي النعمان قال : واقحط المطر اوان الحرث وقت الحاجة اليه ، وكان المنجمون قد ذكروا انها تكون سنة جدب وقحط ، فما كانوا باوشك من ان اتى الله ع ج من الغيث والمطر والسقيا بما لم يروا عن بعيد مثله ، ودام اياما، حتى خاف الناس من اجله ، وحضرت مجلس المعز عليه السلام في وقت ذلك فذكر عنده قول اصحاب النجوم وما قالوه ، فقال عليه السلام ما كان هذا الغيث الا تصديقا لقول رسول الله صلع في الخبر المأثور عنه لما امطروا بالمدينة فجعل بعض الناس يقولون امطرنا بنجم كذا ، وقال قوم امطرنا بفضل الله ورحمته ، فقال رسول الله صلع اصبح الناس اليوم رجلين رجل مؤمن بالله كافر بالكواكب ، ورجل مؤمن بالكواكب كافر بالله ، ثم قال المعز ع م لقد اجمعوا كلهم على ما اجمعوا عليه من القحط والغلاء ، فجاء الله ع ج بخلاف ما اجمعوا عليه ، وما كان اجماعهم غلطا على ما قاله اصحاب النجوم ، بل كل قولهم وما جاء من المتقدمين منهم دل على ما قالوه وما تكلموا به الا على ما قاله الاوائل ، وما هو في الكتب بلا اختلاف بينهم فيه، ولكن جاء الله جل اسمه بخلاف قولهم تصديقا لرسوله صلع وتكذيبا لمن ادعى علم غيبه الذي لم يطلع عليه الا من ارتضى من رسله ، وقال امير المؤمنين علي ابن ابي طالب عليه السلام في كلام ذكر عنه : ايها الناس اياكم وتعلم النجوم الا ما يهتدى به في البر والبحر ، فانها تدعو الى الكهانة ، والمنجم كالكاهن، والكاهن كالساحر ، والساحر كالكافر ، والكافر في النار.

فقد امروا بتعلم علم النجوم للاهتداء بها في البر والبحر ، لمعرفة علم الحساب والسنين والاوقات ، واصل ذلك كله للنظر في خلق الله تعالى وعظيم قدرته والاستدلال علىتوحيده لا على الاعتقاد ان ذلك دين يدان به او ان للكواكب فعل بغير امر الله سبحانه ، وقضائه وقدره ، وان بمعرفة ذلك يكون له شريكا في عينه ، فذلك كما قالوه سلام الله عليهم كفر وضلال ، وافك ومحال، وانما خصوا على علمه بمعرفة حساب الايام ، والسنين والدلائل على عجائب خلق الله.

نرجع الى ما كما فيه قال حيدرة بن محمد بن ابراهيم صاحب السيرة الكتامية :

وكان علي بن عبد الرحمن بن يونس صاحب الزيج الحاكمي وراصده وحاسبه على الاسناد عن النبي صلع عالما بالفلسفة والهندسة وعلم المنطق وعلم الهيئة وكان له شعر حسن ، وقد ذكره ابن خلكان في تاريخه وذكر علمه ، قال وكان مع علمه كثير البله والتخلف ،فمن ذلك انه كان يدخل الى حضرة الحاكم بامر الله ويقف عنده ونعله معلق في يده ، فيبتسم الحاكم بامر الله اذا نظر اليه ، وقال حيدرة بن محمد بن ابراهيم : ومن اخباره انه ابتاع دارا بالقرابين بمسجد عبد الله وجعل عليها لوحا منقوشا واذهب نقشه فيه : هذه الدار بجميع حقوقها الى آخر ما يكتب في الواح الدور لعلي بن عبد الرحمن بن يونس بن عبد الاعلى الحاسب، مولى ترف المولدة المغربية ، والدار من فضل الله وفضل العزيز بالله عليه السلام وجزيل عطائه .

وبلغ ذلك العزيز بالله ع م وذلك على عهده ، فركب فيمن يختص به في خفية وعبر ظهرا وقرأ اللوح واستظرفه ، فلما حضر مائدته في غد وانقضى الطعام قال له امير المؤمنين العزيز بالله ع م : يا ابا الحسن انازعك احد في جاريتك ترف ؟ قال لا والله يا امير المؤمنين ، قال ففي الدار ؟ قال لا ، قال فبحياتي عليك اقلع اللوح عنها واعفنا من كونه ، ففعل ذلك .

ومن شعر علي بن عبد الرحمن الحاسب المقري المذكور قوله :

اافقد هبات النسيم بسحره \* واهجر اخواني فاسكن ملحدا

فيا ليتني من قبل كوني لم اكن \* ويا ليتني اذ كنت كنت مخلدا

وانشد ايضا له :

ومن اعجب الدنيا سلامة ظالم \* وعزة ذي بخل وذلّ كريم

ومن كان في عزّ فصار لذلّة \* فقد ذاق في الدنيا عذاب جحيم

ومن اعظم البلوى كريم اصابه \* قضاء فاصبح تحت حكم لئيم

وقال متغزلا :

غنت واخفت صوتها في عودها \* فكأنما الصوتان صوت العود

غيداء يأمر عودها فيطيعها \* ابدا فيتبعها اتباع ودود

اندى من النوار صبحا صوتها \* وارقّ من نشر الثنى المعهود

فكأنما الصوتين حين تمازجا \* ماء الغمامة وابنة العنقود

وله في مثل ذلك :

يجري النسيم على غلالة خده \* وارقّ منه ما يمرّ عليه

ناولته المرآة ينظر وجهه \* فعكست فتنة ناظريه اليه

قال حيدرة صاحب السيرة الكتامية الحميرية : وله ديوان كبير يشتمل على ستة آلاف بيت ، فمع هذا من شعره مع فضله وسمود ذكره، يكون ذلك اللوح المكتوب على داره بفرضه واختياره، وانما اوردنا ما اوردناه لذكر فضل الامام الحاكم بامر الله ع ج وانشاء الزيج الحاكمي بامره ، واستمداد مؤلفه من فيض بحره .

ومن سجلات امير المؤمنين الحاكم بامر الله ع م ما كتبه هارون بن محمد الداعي باليمن رحمة الله عليه ورضوانه :

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، من عبد الله ووليه الامام المنصور بالله ابي علي الحاكم بامر الله امير المؤمنين الى هارون بن محمد ، سلام الله عليك ، فان امير المؤمنين يحمد اليك الله الذي لا اله الا هو ، ويسأله ان يصلي على جده محمد خاتم النبيين ، وسيد المرسلين ، وسلّم تسليما .

اما بعد ، فالحمد لله الذي نعمه لا تحصى ، على من اطاع وعصى ، فذو الطاعة لما به من نعمة يملأ ، وذو المعصية الى امدها له يملى ، يستفيد هذا بشكره رحمة ورضوانا ، كما يستزيد ذلك بكفره اثما وعدوانا ، وكل سوف يؤتى كتابه ، ثم لا شك يوفى حسابه. فاما من اوتي كتابه بيمنيه فسوف يحاسب حسابا يسيرا، واما من اوتي كتابه وراء ظهره فسوف يدعو ثبورا ، ويصلى سعيرا .

وان الذي كتبت به يا هارون بن محمد عنك وعن المؤمنين بارض اليمن على يد المعروف بابي الخير بن محمد بن يوسف بتاريخ يوم الاثنين لثماني ليال خلون من شهر شوال سنة تسعين وثلاثمائة قد وصل، فاما ما شرحت من خبر من طلب ما لم يكتب له ويقسم، فامره لا بد ان ينقم ، وذكره بعار له سوف يرسم .

واما ما ذكرت انفاذه على يد رسولك من قرابين المؤمنين ،فهو من الذهب وزن تسعين درهما ومن الورق الفا درهم ، فالله يتقبل لمن عمل ومن يعمل من الصالحات وهو مؤمن فلا كفران لسعيه ، وانا له كاتبون، وعليك ان تسلك بالمستجيبين الواجب ، وتتجنب بهم كل طريق مجانب ، لكتاب الله وسنة رسوله جدنا محمد، والمأخوذ عن آبائنا الائمة المهديين صلوات الله على النبي وعلى وصيه وعليهم اجمعين ، والمسموع من افواه المحققين لا المأخوذ عن السن المتخرصين، وليكن فتواك للمستفيدين في الحلال والحرام ، من كتاب الدعائم دون سواه من الكتب المفتعلة .

واما ما سألت انفاذه اليك من الدواء المبارك ، فسيأتيك منه ما يجب في وقته على يد من يوثق بتأديته وامانته، وقد كتب الى الحضرة مظفر بن زياد كتابا ذكر حامله انه ضاع منه في طريقه ، وسئل عما تضمنه ، وفحكى ان الذي يحفظه منه استدعاء من يأخذ عليه من الحضرة فاجيب الى الرجوع اليك في هذا اذ كنت منه قريبا ، ولما هذه سبيله منصوبا ، فاعرف ذلك ، واطلع ما عند مظفر وفقه الله ، وطالع الحضرة ان شاء الله ، والسلام عليك ورحمة الله .

وكتب لعشر خلون من ذي القعدة من سنة احدى وتسعين وثلاثمائة، والحمد لله رب العالمين ، وصلى الله على محمد وآله الطاهرين، وسلم عليهم اجمعين.

وكانت ايام الامام الحاكم بامر الله طاهرة ، ومعجزاته باهرة ، اظهر فيها البينات ، واقام البراهين والآيات، ما يكثر ويبهر ، ويشرق فيه نور الحق ويزهر ، وكانت دولته قاهرة للدول ، بالغا فيها وليه الامل ، خافقة فيها من الشرق والغرب الاعلام ، ظاهرا فيها عز الدين والاسلام .

ونصب ولده الامام الظاهر لاعزاز دين الله وولاه عهده ، وجعله الخليفة القائم بامر الله بعده ، وكتب بذلك الى الجزائر ، والدعاة القائمين بها ونشره في البادي والحاضر، ليعلقوا من ولايته ، ثم كانت غيبة الامام الحاكم بامر الله عليه السلام ليلة الاثنين لليلتين بقيتا من شهر شوال سنة احدى عشرة و اربعمائة فانه خرج كما كان يخرج الى البراري ، فلم يعلم احد بامره كيف كان ، ورفعه الله اليه سلام الله عليه ، وصلواته ورضوانه ، وعمره ست وثلاثون عاما ، وسبعة اشهر ، وكانت ولايته وايام خلافته خمسا وعشرين سنة ، وستة عشر يوما، لان مولده بقاهرة مصر آخر الليل من ليلة الخميس الثالث ، وقيل الرابع من شهر ربي الاول سنة خمس وسبعين وثلاثمائة.

فالحمد لله على ما قدّر على الانام ، من نزول الحمام، وجعله حتما على كل فاضل ومفضول جاريا وحكما ماضيا على الخاص والعام، وعلى محمد النبي ، ووصيه امير المؤمنين علي ، وآلهما افضل الصلوة والسلام ، حسبنا الله ونعم الوكيل.

بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين

الحمد لله الذي جعل دينه ظاهرا وباطنا ، وفضل اوليائه بارزا وكامنا ، ودعوتهم من الضلال حرما آمنا ، وصلى الله على محمد رسوله الفائز من كان بدينه دائنا ، ومن اتباعه واتباع وصيه كائنا ، وعلى وصيه الذي لم يزل لاهل الشرك والكفر ضاربا طاعنا ، علي ابن ابي طالب الخاسر من كان على اوليائه طاعنا ، وعلى الائمة من ذريته الناجي من كان لهم مواليا ، والهالك من كان لهم مباينا ، الذي جعل الله في كل عصر منهم اماما هاديا ، لمن اهتدى بهدائه الثواب ضامنا، وسلم عليهم اجمعين.

ذكر خلافة الامام علي بن الحسين بن نزار الظاهر لاعزاز دين الله امير المؤمنين ابن الحاكم بامر الله بن العزيز بالله ونبين مما كان في ايامه عليه الصلوة والسلام وعلى آبائه الطاهرين وابنائه الاكرمين.

وقام الامام علي الظاهر لاعزاز دين الله امير المؤمنين ابن الامام الحسين المنصور الحاكم بامر الله امير المؤمنين بعد غيبة ابيه صلوات الله عليهما وعلى آبائهما والطاهرين من اعقابهما ، وكانت ولادته في عهد ابيه الحاكم بامر الله امير المؤمنين بكرة الاربعاء لثلاث خلون من شهر رمضان سنة خمس وتسعين وثلاثمائة ، فكان على الفضل والطهارة منشؤه ، وكان الزهد والعبادة عادته وهجيراه ، حتى افضى اليه ابوه عليه السلام بامره، وجعله ولي عهده الخالف له بعد انقضاء عمره ، فبويع بيعة الخاصة يوم غيبة ابيه عليه السلام وقد اندمج من مكنون علمه على ما غاب عن الانام ، ولم يطلع عليه الا من اختصه من رسول او وصي او امام ، فكتم امر ابيه عليه السلام من غيبته في شهر شوال سنة احدى عشر الى شهر صفر من سنة اثني عشرة ، ثم اظهر امر غيبته وما رفعه الله اليه من دار كرامته ، وبايعه اهل مملكته ، وجميع المتصلين به من اهل دعوته ، وعمره يومئذ سبع عشرة سنة واشهر، وكان كتب الى دعاته في الجزائر ، والى جميع اعمال اقطار ملكه الاكابر ، واعلمهم بما اختار الله لوليه الحاكم بامره ، وامرهم بضبط ما لديهم من المملكة ، وحفظ كل منهم لثغره، واقام عليه السلام دعائم الاسلام، وقام بدعوة الايمان خير قيام ، وانفذت بامره القضايا والاحكام ، ونشرت بيمينه وسعد دولته الاعلام، وامات البدعة رفض قائليها ، واحي السنة في جميع اقطار مملكته ونواحيها ، ثابتة في جميع الاعمال ، والناس بعز دولته آمنون، وفي ظلها قائلون ، وابوابه ودعاته لفضله ناشرون، وبلسان الدعوة اليه قائلون.

وخطب له عليه السلام ايام حياته في مصر وجميع اعمالها وفي الحرمين وفي القيروان واعمال افريقية ، وما ينسب اليها من البلدان والمهدية وبرقة وغيرها من اطراف الجزائر والامصار ، ودعاته في الجزائر داعون اليه دالون عليه ، منهم من هو بدعوته مجاهر ، ولفضله وعلمه شاهر ، حيث كانت اعلامه منشورة ، واتاح الله ظهوره ، وحيث التغلب في الستر والكتمان ، كما يجري ذلك في جميع الاعصار والازمان، ولم يعانده معاند ، ولا ثار في اطراف مملكته حاسد ، ولا سفك دم، ولا حدث حادث ولا نجم ناجم ، بل كانت المملكة مشيدة والدعوة به راسخة موطدة ، والبلاد ساكنة ممهدة ، والايام ضاحكة مستبشرة ، والاحكام في كل صقع منتشرة .

وكان الفرغاني حسن الاجدع ممن قال في وقت الحاكم بامر الله عليه السلام بالغلو ، وخرج عن دعوة اولياء الله بالكبر والعتو ، وامهل في اوان الحاكم بامر الله عليه السلام ان يقطع بسيف نقمته عنقه ، ويجري عليه من الاحكام ما اجراه على امثاله من اهل الزندقة ، واملاء له وامهال ، لتقوم الحجة عليه ، ويجري في العتق والضلال الى ما جرى اليه .

وكان الداعي الاجل حميد الدين احمد بن عبد الله الكرماني قس وهو حجة الامام الحاكم بامر الله ووليه ، القائم بنشر العلم بين الانام ، قد قدّم الى المارق الفرغاني المواعظ، واقام عليه حجة الحق ، فعل المحامي عن الدين المحافظ ، وكتب بالرسالة الواعظة ايام الحاكم بامر الله عليه السلام ن وكتبت هذه الرسالة عن الداعي حميد الدين سنة ثمان واربعمائة في فسطاط مصر، وهي تتضمن الوعظ له ، والتذكير والتحذير ان يصير بما هو عليه من الغلو والعتو شر مصير،وفيها اجوبة سؤال سأل عنه اراه فيه نهج الحق والصواب ، وابان له الصدق فيما اصدره اليه من الجواب ، فقال له في الرسالة الواعظة بعد حمد الله والثناء عليه والصلوة على نبيه محمد والطاهرين من آله سلام الله عليهم و صلوته :

اما بعد فقد رفقك وصلت اوضح الله لك منار الهدى، وعاد بك الى الطريقة المثلى، ووقفت على ما ضمنت من مسائلك التي تنطق عنك بالكفر والارتداد، وتشهد عليك بفساد الاعتقاد ، فكانت في اختلال مبانيها، وفساد معانيها ، على حالة لا يصدر مثلها ، الا عن تمييز مختل، واعتقاد معتل ، فلم ار الاجابة عنها ، والنص على مايتضمنه من الكفر منها ، الا بلين القول، وحسن التلطف ، وسلوك طريقة الموعظة والتعطف، اذ كانت المواعظ للانفس العليلة دواء، وبذلك امر الله ع ج سيد المرسلين ، وخاتم النبيين، محمد وعلى آله الطاهرين ، يقول جل من قائل : ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة ، اي ادع من كان من اهل الحكمة ويؤمن بالحكمة ، ومن كان من اهل الجهالة والضلالة بالموعظة الحسنة ، فقلت رجاء ان ينجح فيك فترعوي ، و عن الفتنة التي انت فيها تنثني ، وقلت لعل وعسى، وتتذكر وتخشى، فتصبح بقبولها وقد جملك ظاهر الاسلام ، ونوّرك باطن الايمان، فما زادتك العظة الا في غيك استمرارا ، ولين القول والتلطف بك الا في ضلالك تماديا واستكبارا ، فظللت تواصل برقاعك تارة ، وتراسل على لسان اتباعك اخرى ، تطلب اجوبة ما كتبته ظنا منك انه حق يتبع ، وان الطريق الى ابطاله ممتنع ، وانا اعطيك ثانيا قبل تتبع ما كتبت واظهار الكفر فيما اوردت .

واورد الداعي احمد بن عبد الله نضر الله وجهه مواعظة مذكرة ، وبينات في ما اورده واصدره ، واتى بقوله من الكفريات ، واجاب عنها بما يدحضها مما استفاده عن اولياء الله ، الائمة الهداة ، حتى انتهى الى قوله في الرد على ما صرح به من كفره ، وبيان افكه، وغلوه ونكره، فقال رض : واما قولك وقول اصحابك ان المعبود تعالى هو امير المؤمنين سلام الله عليه ، فقول كفر تكاد السموات ان ينفطرن منه وتنشق الارض وتخر الجبال هدا ان دعوا للاله المعبود جل وتعالى غيرا وندا ، فيا لجسارة على الله تعالى حين جعلوا له سبحانه شريكا ما اعظمها ولجرأة على الله حين جعلوا المعبود غيره تعالى ما افظعها ، لقد قالوا قولا عظيما ، وافتروا اثما مبينا ، وان ذلك الا كفر محض ، فما امير المؤمنين الا عبد لله خاضع ، وله طائع ، يسجد لوجهه الكريم ، ويعظمه غاية التعظيم، وباسمه يستفتح ، وعليه في اموره يتوكل، وامره اليه يفوض، والله تعالى قد فضله على خلقه، وجعله من جهة رسول محمد صلع خليفة له في ارضه ، ووسيلة لعباده الى جنته ، واوجب طاعته على عباده ، وهو سلام الله عليه يتبرأ الى الله تعالى ممن يعتقد ذلك فيه ، وكيف يكون معبودا وهو جسم ذو ابعاض مؤلفة ، ونفس ذات قوى مكلفة ، يأكل ويمشي وينام ، ويستيقظ وتطرى عليه الاحوال المتضادة ، من رضى وسخط، و غم ومسرة ، وسقم وصحة ، كغيره من البشر. وهو عليه السلام ينفي ما تنسبه انت واصحابك اليه عن نفسه، كلا ان المعبود ليس الا الله سبحانه الاله الذي يسجد له امير المؤمنين سلام الله عليه ، ويوحده ويسبحه ، وعن النعوت والصفات يقدسه، وله يسجد من مضى من النبيين والاوصياء ، والائمة وتابعيهم، واياه نعبد ، وله يسجد من يخرج الى الكون منهم ما دام عقل ، وفاض عدل ن الذي خلق السموات بافلاكها والنجوم بانوارها ، والاركان بطبائعها ، والمواليد على اجناسها ، لا تسجدوا للشمس ولا للقمر واسجدوا لله الذي خلقهن ان كنتم اياه تعبدون،

واما قولك وقول اصحابك ان الشريعة والتنزيل والتأويل خرافات ، وقشور وحشو لا يتعلق بها نجاة ، وانهم لا يوجهون وجوههم الى القبلة لانها حائط ، ولا يسجدون اليها فهو شقاوة تدعو الى حير النيران، وكفر من عمل الشيطان، وارتداد عن الاسلام ، وخروج من اهل الايمان، وكيف يكون التنزيل المستنير ، والتأويل المنير،والشريعة الغراء التي هي اس العبادة ، وبها تنال الفوز والسعادة ، قشور وحشو ، ولا تطلب حكمة الا كانت لها بحرا ، ولا يلتمس نور في معرفة الا كانت في افقها بدرا ، ام كيف تكون كذلك وهي سبب الخيرات الجسمانية ن ومجمع السعادات النفسانية ، ومنبع البركات القدسانية ، وبها توطد مهد الامن والاستقامة ، ومن جهتها فاض نور العدل والسلامة ، وبسببها عرف الآباء والامهات ، وبشرائطها علم البنون والبنات ، وباحكامها استتب امر العبادات ، وبسننها انحفظ الحريم ، وباستعمالها عز الكريم، ولاجلها انسدت ابواب الفتن، وببركتها انطفت نيران الاحن، وعليها ثياب العامل ، يوم تبيض وجوه وتسود وجوه، كلا ان كتاب الفجار لفي جحيم، وان قولك لقول سقيم. ربنا لا تزع قلوبنا بعد اذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة انك انت الوهاب . ولولا اسباب امير المؤمنين ستر الامن على المؤمن والمنافق والمسلم والكافر حتى استوت الاقدام فيه لكان الجواب عن ذلك التنكيل بك ، ثم قطع الوتين منك ، وتجريد حد السيف عليك ، لكن الامر لله تعالى ولوليه عليه السلام . ولا تحسبن الذين كفروا ان ما نملي لهم خير لانفسهم ، انما نملي لهم ليزدادوا اثما ولهم عذاب مهين. ما كان الله ليذر المؤمنين على ما انتم عليه ، حتى يميز الخبيث من الطيب ، وما كان الله ليطلعكم على الغيب، ولكن الله يجتبي من رسله من يشاء ، ما آمنوا بالله ورسله ، وان تؤمنوا وتتقوا فلكم اجر عظيم. وبعد فاني انصحك ومن نكال الدنيا والآخرة احذّرك، واياك وهذه المقالات الشنيعة ، فلا تعتبك الا البعد من الله تعالى قبل ان يضيك بك عرصة الامهال ، ويثمر لك ما انت فيه من الضلال، عالما ان الدنيا وما فيها الى انقضاء ودثور ، والانسان من بينها الى حشر ونشور. والويل لمن افنى عمره فيما لا يرضى الله تعالى ولا وليه ، فيضل ويفسد ، واذا قيل لهم لا تفسدوا في الارض قالوا انما نحن مصلحون ، الا انهم هم المفسدون ولكن لا يشعرون ، جلعنا الله وجماعة المؤمنين التابعين للحق واهله ، من الثابتين على عهده ، والقائمين بطاعته ولوليه، وختم لنا بالحسنى وحفظنا من مصارع الهوى ، وحشرنا مع الابرار المتقين في جوار رب العالمين بمنه .

هذا من قول الداعي حميد الدين احمد بن عبد الله قدس الله روحه وقد ابلغ في الاحتجاج ، ووعظ في الاستقامة على سواء المنهاج ، فلم يرتدع المارق الفرغاني عن غلوه ، وتمادى في بغيه وعتوه، يظن ما كان من اعوجاجه هو المستقيم ، ويحسب اعتقاده صحيحا وهو العليل السقيم. ولم يزل في دعوة اولياء الله يغير ويفسد، ويدخل بالاضلال مع كل ملحد، حتى كثر من اتبعه على كفره العظيم ، وضلاله المورد لامثاله واشكاله في عذاب الجحيم، من الغلو في الائمة ، والاعتقاد المخرج له ولاتباعه من النور الى الظلمة ، فردع عن ذلك فما ارتدع ، واستتيب ما تاب ولا اقلع، ومضت وهو على ذلك الايام ، حتى قضى امر الحاكم بامر الله عليه السلام وافضى الله بامره الى ولده الظاهر لاعزاز دين الله الامام ابن الامام ، وما برح عليه السلام وفضلاء اوليائه يردعون الفرغاني عن اعتقاده الخبيث، ويمنعون في سوقه واشياعه الى الهدى السوق الحثيث، وهم في طغيانهم يزدادون، ولقائدهم الى الهدى لا ينقادون، فحين كثر عتوهم، وظهر غلوهم ، وازدادوا امعانا في الفساد، وضلوا واضلوا عن سوء السبيل الرشاد ، امر امير المؤمنين الظاهر لاعزاز دين الله عليه السلام بقتل حسن الفرغاني الاجدع واصحابه ، وصاروا بكفرهم ونكرهم الى لعنة الله واليم عذابه ، وطهر الله الارض من رجسهم ، واطلع سعد دولته المنورة باخماد نحسهم، ثم بسط امير المؤمنين الظاهر لاعزاز دين الله لاوليائه بساط الرحمة والرأفة.

واقام القاضي قاسم بن عبد العزيز بن النعمان رضوان الله عليه في القضاء والدعوة بباب الخلافة ، وامر باقامة الدعوة الهادية ، وقراءة مجالس الحكمة ونشر علوم التأويل لاهل الولاية، وان يقيم من اوامر الدعوة العلوية الفاطمية ما اندرس ، ويمحو ما اثره فيها اولو البغي ويبين ما انطمس.

وكتب سجلا بذلك انشأه الى جميع اهل دعوته، وامر كل داع من دعاته ان يتلوه على من كان من المؤمنين في ناحيته، وذكر فيه قتل الكفرة من اصحاب الاجدع بعد قتله ، وتتبعه في الاقطار ، وتلك سنة الله الجارية في مثله ، وهذا نصه وفصه :

بسم الله الرحمن الرحيم

من عبد الله ووليه علي بن الحسين الظاهر لاعزاز دين الله امير المؤمنين ،ابن الامام الحاكم بامر الله امير المؤمنين ، الى كافة اولياء الدولة وجنودها ، وسائر اهل الملة من رعاياها وعبيدها ، سلام عليكم ، فان امير المؤمنين يحمد اليكم الله الذي لا اله الا هو ، ويسأله ان يصلي على جده محمد خاتم النبيين وسيد المرسلين ، وعلى آله الطاهرين الائمة المهديين.

اما بعد ، فالحمد لله الغامر طوله ، القاهر صوله ، الصادر عن الحكمة والمعرفة فعله وقوله ، الذي خلق الخلائق ابتداعا واقتدارا، وكلفهم العمل بطاعته ابتلاء واختبارا ، وانتجب منهم المرسلين، وجعلهم شموسا للامم واقمارا ، وانجب ائمة الحق المهديين وصيرهم مصابيح في الظلمة وانوارا ، موجد الموجودات ، ومالك ملكوت الارض والسموات، مقدر المقادير الجاريات، والمتعالي بعظمته عن ان تحيط به حدود الصفات، فما يجده لسان، ولا تدركه عيان، ولا يتصوره جنان، ولا يحوزه مكان، ولا يخفى عليه اسرار ولا اعلان، ذلكم الله ربكم لا اله الا هو ، خالق كل شيء فاعبدوه، وهو على كل شيء قدير ،

والحمد لله الذي رضي لمن ارتضاه من عباده دين الاسلام، وايده بالاعوان والاعظام، وانار بهديه سدف الظلام، وابتعث نبيه محمدا سيد الانام، فاكمل بمبعثه الصنائع ، ونسخ بشريعته الشرائع، واطلع من مشكوة نوره النجوم الطوالع ، واختصه بالقرآن العزيز، والذكر الحكيم الوجيز، اوضح المعجزات برهانا ، واكثرها آية وشانا ، واثبتها على تصرف الازمان دليلا وبيانا ، وامره ان يهدي الجن والانس، ويزيل ببرهانه غمرة الشك واللبس، فحين قام بحقه ، وبلغ ما امر به عجز عن معارضته البشر، وانشدت مطالع القول فيه على المبطلين الا من اطلقه الجهل والاشر، انه فكر وقدر، فقتل كيف قدر، ثم قتل كيف قدر، ثم نظر ، ثم عبس وبصر، ثم ادبر واستكبر، فقال ان هذا الا سحر يؤثر، ان هذا الا قول البشر، دفعا للحق وتخرصا ، والحق اغر ابلج مأثور الاثر، ولما وجبت الحجة على الثقلين ، ووضح الصبح لذي عينين، نص بالخلافة علىالسابق الى الايمان، والناطق بالحكمة والبيان، والمعصوم من عبادة الاوثان، والمخصوص بخير النسوان، والمتوج بغرر المناقب، والمفرج لهم النوائب، امير المؤمنين علي ابن ابي طالب، الذي باهل به سيد ولد آدم غواة ضلوا في عبد الله ورسوله عيسى ابن مريم، وقال له مستوزرا مستخلفا ، انت مني كهرون من موسى فاجتباه بالرفع على الصحافة والاثافة ، وخصه بمزية الامامة والخلافة ، واوجب بولايته الهداية ، واعطاة بوحي من الله الرأية، وجعله المفزع والغاية ، عليه السلام وعلى الائمة من ذريتهما الذين اصطفاهم على الخلق ، و اوضح بهم مناهج الحق ،

والحمد لله ولي المنايح ، وميسر المناجح، وموفق امير المؤمنين للافعال المشتملة على المنافع والمصالح، صنعا من الله ع ج جميلا وسيما، وتأييدا هداه به صراطا مستقيما، ذلك الفضل من الله وكفى بالله عليما، وان امير المؤمنين بموقعه من ايالة الامة ، وموضعه من وراية آبائه الهداة الائمة ، الذي جمع الله بهم الشتات ، واحي بعلومهم الموات، ونور بحكمهم الظلمات ، وحل بحججهم الشبهات،لا يألو حرصا في ما حاط الدين ورفع مناره ، واعز جانب المؤمنين وحمى ذماره ، عمر قلوب المؤمنين بالذكرى النافعة ، وشرح صدور المستبصرين بالحكمة البارعة ، واقام حجة الايمان بكل مكان، ونهج محجة الرضوان، لكل قاص ودان، اعزازا للدين الذي هدانا الله باضوائه ، وشرفنا بسنائه ، ووطد بنا قواعد بنائه ، وانتجبنا لتشييده واعلانه ، نظر للعارفين اهتدوا بهدينا ، وسلموا الينا فسلموا، ونالوا معالم الدين والدنيا فظفروا وغنموا، اولئك هم بررة العباد، وعمدة سبيل الرشاد، ونحن اوليائهم في الحيوة الدنيا وفي الآخرة وهداتهم ، ولكل قوم هاد، وان للفرات احكاما معلوما ، واقساما من المصالح مفهومة ، يزيد الله بها المهتدين هدى واستبصارا ، والمضلين ضلالا وخسارا، ولم تزل ائمة الحق يجرون امر الحكمة في الاطلاق والمنع والاباحة ، والحصر على ما يوجب الصواب، ويحتمله الالباب ، وتقضيه المصلحة في الاوقات، وتستدعيه نوازع المطالب والرغبات، وقد كان باب الحكمة مفتوحا وكنز الرحمة ممنوحا ، وشرع العلم للطالبين مباحا ، ومفتاح الرحمة مقبولا مباحا ، وبحر الحكمة مسجورا متاحا ، الى ان امر مولانا الحاكم بامر الله عليه السلام باغلاق بابها لما رآه من المصلحة ، بحكم مشاهدته الامور، وسياسة الجمهور، واذ كان للكلام في عصره حكم ينفرد بقضيته ، ويتوحد بمزيته ، بذلك جرت احكام ائمة الهدى على مر الزمان، والله جل جلاله كل يوم هو في شأن.

ولما افضى الله الى امير المؤمنين بخلافته ، وصير سعد العالمين في ضمن ايالته ، واعلى بسط قدرته وتمكينه، وجعله الظاهر لاعزاز دين الله كامل الحال في ذلك تأمل المؤيد حكمة المسدد عزمه ، الكاشف بهداية الله لغوامض الاشياء علمه ، فوضح له ان السبب فيه والداعي اليه ما كان اعتمده جهله ، مرقوا عن الدين وفسقوا عن امر الائمة الراشدين، من تحريف الكلم عن مواضعه ، وتأول ما يسمعونه من العلم بغرائب الجهل وبدائعه ، واغراقا في قول المحال ، واعتقادا للكفر والضلال ، فحلاهم الله عن موارد شربهم ، وجزاهم ذلك بكفرهم وغيهم ، ورفع العلم تنزيها له عنهم لعظيم دينهم ، كما رفع التابوت عن كفرة بني اسرائيل ، وفيه سكينة من ربهم ، لا جرم انا تتبعناهم في الاقطار وبوأناهم مباء الخزي والصغار، ووضعنا في من ظفرنا به منهم سيف الحق الذي امضى الله مضاربه ، وجعل هؤلاء الكفرة ضرائبه ، حتى ائمت حلائلهم ، وخلت منهم منازلهم ، واعتبر بمصائبهم المعتبرون، فتلك بيوتهم خاوية بما ظلموا ان في ذلك لآية لقوم يعلمون، قاتلهم الله من فسقة اصروا على الكفر ومرتعه وخيم، فذاقوا وبال امرهم ولهم عذاب اليم.

ولما تجلت الغمرة ، وتولت الفترة، ونكص الشيطان على عقبه مثبورا مدحورا ، واسلم حزبه الى الهلكة ، وتولى منهم خاسرا مدبرا ، ولم يكن له فئة ينصرونه من دون الله وما كان منتصرا، واذن الله تعالى في زوال الفتنة المضلة وانقراضها ، ورجوع عزائم الارشاد الى منازعها واعراضها ، عزم امير المؤمنين مداواة البصائر من عللها وامراضها ، وعمارة العلوم التي ترتع خواطر المحقين في رياضتها ، فامرداعي الدعاة ثقة الدولة ، وامير الامراء قاسم بن عبد العزيز محمد ابن النعمان سلمه الله ، ووفقه واعانه ، بفتح باب الحكمة لطالبيها ، وقراءة المجالس في قصور الخلافة ، بحيث جرت الرسوم المتقدمة في قراءتها فيها اذ كان ثقة امير المؤمنين وامينه ، وادعيه الذي استوضح مذهبه الحميد ويقينه ، ومواليه الذي استنصح معتقده الرشيد ودينه ، مع ما له من التمييز مما لسلفه في خدمة الدعوة الهادية من الخصائص المأثورة، والمآثر المذكورة ، والسوابق المشكورة ، فارشد بهم سلفا ائتمنهم ائمة الحق على سرائر الحكمة ، وانجز به خلفا جرى على شاكلتهم في تأدية الامانة باخلاص الخدمة ، واوعز اليه امير المؤمنين بالاقبال على المخلصين، والاشتمال على الاولياء المتخصـصين ، وتعريفهم مكانهم من حنو امير المؤمنين ، وجميل رأيه القاضي لهم بجزيل الحظ في الدنيا والدين، وان يدأب في شحذ خواطرهم، وارهاق بصائرهم ، والرفع من نظائرهم، واذكار ناسيهم، وتنبيه ساهيهم ، واجابة داعيهم ، وايجاب حق ديانتهم ، ومن يرضي مذهبه ، ويزكي ادبه ، حتى ينتهي ذلك الى ما رسم له ، وامر به بمشيئة الله وعونه .

وهذه معشر المؤمنين رحمكم الله تعالى متجددة عليكم ، ومنه منساقة اليكم ، ولقد كنتم قبل اليوم بمثابة قوم كانوا على ضفتي نهر عذب ، ماؤه سائغ شرابه ، مريع جنابه ، تشربون منه النهل والعل، وتشفون الاوصاب والعلل، فريد وعز وارده ، وامتحنوا بجزره بعد مدة ، فظلوا عطايفا الى الورود، وكابدوا مشقة الظما الى اجل معدود ، واقاموا يئسوا من الغوث ، ويقنطوا من نزول الغيث ، نشأت سحائب الرحمة فبشرت بالخصب والنعمة ، واذنت بزوال الغمة ، واسبلت جودا من وابلها هاطلا ، وافاضت من وجودها ريا شاملا ، فعاد ذلك النهر الى امتلائه ، وعادوا الى اسقاء مائه ، ورتعوا في مرتع كلائه، وابتهجوا بسوابغ فضل الله تعالى وجسيم عطائه ، فانتم اليوم بمنزلة من سقى من عطش شديد، وادنى من امد بعيد ، واعطى سؤله من حد سعيد، فارتبطوا نعمة الله بشكره ، وازدلفوا اليه بمواصلة ذكره ، وانتبهوا في طاعة ولي امركم ، وامام عصركم، الى حدود امره ، واقبلوا على علوم الائمة سلام الله عليهم بقلوب سليمة، وعقائد مستقيمة، وصدور عامرة بالتقوى ، وآذان واعية للذكرى، ونفوس مستعدة لما ينجيها في الدار الاخرى، وتجنبوا مقاصد من حاد عن الواجب وجنف، واياكم واطلاق هجر القول في احد ممن سلف، تلك امة قد خلت لها ما كسبت ولكم ما كسبتم ولا تسألون عما كانوا يعملون ،

واعلموا ان المؤمن المؤقن من اقبل على شأنه ، وامن الناس من نوادر يده ولسانه، وتبرى من القبيح بجهده، وذكر القول الجميل في صدره وورده ، ودفع بالتي هي احسن ، وقصد من الامور ما هو احمد ذكرا، وزين وتورع عن محارم الله تقدس اسمه ، وزجر نفسه عن كل ما يورط امره ويوبق اثمه، وهذه اقسام من نكب عن جوازها حار اين سلك، واين عدل عنها الى اضدادها ضل بل هلك، فليكن طلبكم العلم تدينا لا تعصبا ، وتأدبا لا توصلا الى التقرب وتسببا، فان العلم اذا اخذ بحقه ، وقصد مقصد الانتفاع في الدين به زكت ثمرته، وعمت منفعته ، وتضاعفت مثوبته ، واذا استفيد لتناول الحطام والتكبر به على العوام شملت مضرته، وانعكست مصلحته ، وعدمت فائدته ، وكان علمه مبديا جهله، وكان حجة عليه لا له ، وامير المؤمنين يحرم على كل منكم تحريف ما سمعه من العلم والاقدام على تأويله من تلقاء نفسه ، والرجوع في استنباطه وتفسيره الى رأيه وحدسه ، فان فاعل ذلك مأثوم ، والمعترض له مأثوم محروم ،

ونستعين بالله ونهتدي بهداه ، ونسأله ان يوفقنا لما يحبه ويرضاه ، ويقطع باسيافنا دابر من اتخذ الهه هواه ،

والحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا ان هدانا الله ، فاعلموا معاشر دولتنا، وجنود مملكتنا ، وسائر رعيتنا ، ما اعلمناكم في سجلنا هذا لتزيد في بصائركم في اكتساب الحسنات ، واجتناب السيئات، واعملوا بها يقربكم الى الله ع ج زلفى ، ويجزل لكم برحمته الحظ الاجزل الاوفى، وما تفعلوا من خير يعلمه الله وتزودوا فان خير الزاد التقوى ، ان شاء الله .

وكتب لخمس خلون من شعبان سنة سبع عشرة وابعمائة ، وصلى الله على رسوله سيدنا محمد وآله الطاهرين، وسلم عليهم اجمعين ، وحسبنا الله ونعم الوكيل.

فنفذ هذا السجل الى الاقطار ، وقرئ على المنابر في الامصار، ونشر امير المؤمنين الظهر لاعزاز دين الله عدله، وعرف كل من الناس فضله ، وقامت به قواعد الملة ، واستقامت الامور على ساق ، واخمد الله ناجم البغي والعدوان، وانتظمت له الاحوال، ونال به اهل دعوته الآمال ، واكثر عليهم من الانعام والافضال ، ودانت جهات المملكة، ولم يعانده معاند خوف الجزاء والهلكة، وايد الله به دينه ، واظهر حججه وبراهينه، وظهرت دعوته بشيراز ، وارض فارس والاهواز ، على لسان داعيه هبة الله ابن موسى المؤيد في الدين قدس الله روحه ، والدعوة هناك متقدمة على مر الايام على عهد ائمة الستر عليهم السلام قبل الظهور، واتفقت واتسقت للظاهر لاعزاز دين الله الامور ، وهابته ملوك بني العباس ومن تعلق بهم، وخافوا ان يقضي الله بزوال ملكهم وعطبهم ، وفيه يقول الداعي المؤيد في الدين هبة الله بن موسى الشيرازي الفارسي نضّر الله وجهه، حيث يقول :

قد عزّ دين الله بالظاهر \* مولى الانام الباطن الظاهر

نجل الامام الحاكم المجتبى \* ابن الامام الطيب الطاهر

شمس الضحى بحر النهىوالحجى \* شمس بدت من قمر زاهر

اشرقت الارض بانوارها \* واصبحت ميمونة الطائر

وابرزت رأيات حق لها \* ينقاد صرف الفلك الدائر

جاءت سيوف الله مسلولة \* من غربها تفتك بالغادر

تجرّع الاعداء ما جرّعوا \* عشيرة الصادق والباقر

قل لبني العبّاس اصبحتم \* وما لكم في الارض من ناصر

قد انقضت دولة اوثانكم \* واصبحت مقطوعة الدابر

ايبستم عود الهدى برهة \* فعاد غضّا نزهة الناظر

منابر الاسلام قد عطّلت \* من سمة الطائع والقادر

وليس يعلوها لهم خاطب \* من فاجر ينمي الىفاجر

عادت الى آل ابي طالب \* تستبدل الغامر بالعامر

من على مستضعفي قومهم \* وحاق سوء المكر بالماكر

واورثوا الارض برغم العدى \* فما لهم في الناس من قاهر

قد وضح الصبح وجنّ الدجى \* فهل لضوء الصبح من ساتر

يابن رسول الله يا خير من \* انشئ من باد ومن حاضر

من ذا يجاريك وضوء الضحى \* مقتبس من نورك الزاهر

ام من يباهيك وعز الورى \* مكتسب من عزك الوافر

عز سني من لدن آدم \* يتركه الاول للآخر

ماضيكم اشرف من قد مضى \* كذلك الغابر في الغابر

يا ظاهر وجه الهدى ناضر \* مستبشر من وجهه الناضر

يا غيث راجيه ويا غوثه \* وجاره من دهره الجائر

يا ملجأ الضعفا ومنجاهم \* ويا مقيلا عثرة العاثر

انت الذي قد قمت من احمد \* حقّا مقام القلب والناظر

سيبك عيش للموالي كما \* موت العدى من سيفك الباتر

انت الثريا والورى كالثرى \* وانت قصوى مفخر الفاخر

علمك بحروعلوم الورى \* كقطرة من بحرك الزاخر

يا صفوة الابرار يا خير من \* قد قام من ناه ومن آمر

يا بلد الله الامين الذي \* قد زاغ عنه بصر الكافر

يا جابر الحق الذي كسّروا \* ويا مزيلا دولة الكاسر

وكاسرا باطل ما ابدعوا \* نفسي فداء الكاسر الجابر

صلى عليك الله سبحانه \* ما يسمع التغريد من طائر

وابن ابي عمران ان كان في \* مدحك عين العاجز القاصر

غير ملوم انما مدحكم \* تضيق عنه سعة الخاطر

ويروى لامير المؤمنين الامام الظاهر لاعزاز دين الله عليه السلام في عيد الغدير قوله :

عيد في يوم الغدير المسلم \* وانكر العيد المريد المجرم

يا جاحدي الموضع واليوم ما \* جاء به المختار تبا لكم

ما لذوي الاسلام عيد مثله \* فالمصطفى اختار به مولاكم

وانزل الله تعالى جده \* اليوم اكملت لكم دينكم

اليوم اتممت عليكم نعمتي \* فنحمد الله ومنه النعم

قد سمعوه ورأوا مكانه \* فاعرضوا عنه وصموا وعموا

اوّل ما خولف في اسامة \* يا امّة تعجب منها الامم

لو سير الجيش الاسامي لما \* بويع الا الهاشمي العلم

ولا ثنى الاول عطفي بيعة \* جذّاء ما فيها لتيم قدم

قال اقيلوني فما اقاله \* ثانيه بل كلهم قد ظلموا

مهدّها لنفسه في غيره \* تالله ما يفعل هذا مسلم

وولد الامام المعد المستنصر بالله ع م بالقاهرة ، وكان والده الظاهر لاعزاز دين الله عليه السلام يتوسم فيه الفضل على صغر سنه ، ولاحت فيه لوائح من فضل الله الذي يؤتيه من يشاء بطوله ومنه ، فقلّده الخلافة من بعده ، وجعله ولي عهده ، ونص عليه بالامامة وتوّجه تاج الفضل والكرامة ، وكتب بذلك الى دعاته وولاته في جميع الجزائر، واشعر به في البادي والحاضر، وجعل الابواب والحجج والدعاة حوله بعد ان عرفهم بشرفه وفضله، ثم اختار الله سبحانه لوليه الظاهر لاعزاز دين الله ما لديه ، ونقله جل جلاله اليه، وكانت وفاته قدس الله روحه وصلى وسلّم عليه ، وواصلنا ببركاته في شهر شعبان سبع وعشرين واربعمائة ، وكان عمره عليه السلام يوم وفاته اثنتان وثلاثون سنة ، وولي الخلافة وله سبع عشرة سنة ، واقام في الخلافة والامامة خمس عشرعاما وجاءته الوفاة عليه السلام والرضوان والصلوة وهو في بستان بقرب القاهرة يسمّى عين الشمس، وحمل الىالقاهرة في محفة على ظهر بغلة والجرجاني الوزير يساير المحفة حتى دخل به قصر القاهرة قبل ان يشعر احد بموته ، فارسل الامام المستنصر بالله معد ابو تميم القاضي محمدا بن القاسم بن عبد العزيز بن محمد بن النعمان لخواصه وابوابه ودعاته ، فحضروا الصلوة عليه بعد غسله ، ودفن بالقاهرة عند آبائه سلام الله وبركاته ورحمته عليهم اجمعين وعلى آبائهم وابنائهم الطاهرين

والحمد لله ولا اله الا الله، ولا حول ولا قوة الا بالله ، وعليه نتوكل وبه نستعين.

\*\*\*

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الحميد الشكور ، مبدي الاشياء والذي اليه تصير الامور ، ناصر دينه باوليائه الذين اتاح لهم الظهور ، الجاعل لاوليائهم العصمة عن الاصرار على المعاصي والطهور، وصلى الله على رسوله الذي انزل معه النور ، محمد الموحى عليه ، والطور وكتاب مسطور ، وفضله على من انزل عليهم التوراة والانجيل والزبور، وعلى وصيه علي ابن ابي طالب سيف الله المشهور ، وبحر حكمته المسجور، وبيت رحمته المغمور، وحجته الدامغة لكل جاحد وكفور، وعلىالاطهار من ذريتهما الذين جعلهم الله شفعاء شيعتهم يوم ينفخ في الصور، وافترض طاعتهم على البادين والحضور، وجعلهم نجوم دينه التي تطلع وتغور ، وسلم عليهم اجمعين سلاما يبقى بقاء الدهور.

## ذكر نبذ من الاخبار مما كان في اوان الامام ابي تميم معد المستنصر بالله امير المؤمنين بن علي الظاهر لاعزاز دين الله عليه السلام وعلى الائمة من ابنائهما الطاهرين وآبائهما الاكرمين .

مولد الامام المستنصر بالله امير المؤمنين بقاهرة مصر بكرة يوم الثلثاء السادس عشر من شهررمضان المعظم ، سنة عشرين واربعمائة ، وبويع له بالخلافة يوم نقلة ابيه الامام الظاهر لاعزاز دين الله امير المؤمنين في شهر شعبان سنة سبع وعشرين واربعمائة ، وذلك ان الجرجرائي الوزير لما ادخل اليه اباه الظاهر لاعزاز دين الله عليه السلام كما ذكرناه بعد وفاته ، امر صلى الله عليه الوزير علي ابن احمد الجرجائي الملقب نجيب الدولة فاحضر الامراء وامرهم بالقعود في مجلس دون الستر ، والامام المستنصر بالله ع م قاعد على مرتبة الخلافة خلف الستر ، وهو يومئذ لسبع سنين من العمر ، وقد لبس قميصا طول كمه اثني عشر ذراعا ، قال الجرجرئي للامراء ان مولانا الظاهر لاعزاز دين الله شديد العلة وهو خلف الستر بحيث يسمعكم ويراكم ، وقد عقد عهده والخلافة بعده كما قد علمتم لولده المستنصر بالله فبايعوا له ، فحين عقدوا البيعة امر نجيب الدولة الاستاذين فجردوا السيوف ثم قال : ان مولانا امير المؤمنين الظاهر لاعزاز دين الله قد نقل الى ما نقل اليه جده محمد رسول الله والامام علي ابن ابي طالب والائمة من ذريتهما عليهم صلوة الله وسلامه ، ثم رفع الستر عن الامام المستنصر بالله امير المؤمنين عليه السلام فبايعوه مرة اخرى ، وقبلوا الارض بين يديه ، ومدوا كمه فقبلوه ، وحدثهم ووعظهم ، ووعدهم بكل ما يرجونه ويأملونه، وكان عليه السلام ممن آتاه الله الحكم صبيا، وورثه الله علم آبائه وجعله وليا .

ويروى ان اراد المعلم ان يمسك يده ويعلمه الكتابة ، فقال له ارفع يدك يا معلم ، فانها يد لا تعلوها يد ، وكتب عليه السلام باحسن خط ، ولم يتوف والده عليه السلام الا وقد آتاه الله كمال الفضل، وبرع في العلم حتى وقف دونه العلماء في مقام ذوي التخلف والجهل ، وكان علمهم عند بحره الثماد ، وتلك مخائل الائمة من الازل والانبياء الذين جعلهم الله هداة العباد .

قال القاضي محمد بن سلامة بن جعفر القضاعي : وهو الامام الكريم ، الرؤوف الرحيم ، العادل الحكيم، لم يرد قط سائلا سئله ، ولا خيّب آملا امله ، ولا قال لا في شيء سئل فيه حتى ان خادمين من خواص خدمه تواضعا بينهما الف دينار على ان هل قال لا قط وسألاه فاشار بسيفه ان لا ولم يلفظ بها لسانه ، ومن كرمه انه ما اجاز احدا جائزة ومات له ولد الا ورثها ابنه ، واضاف جائزة ابيه الى جائزته وان عظمت ، ومن كرمه ان احد وزرائه اراد التوفير على الخزانة فحط من ارزاق اهل الصلات بعضها توفيرا من الوزير ، فلما انتهى العلم اليه عليه السلام انكر ذلك انكارا شديدا واعادها الى اربابها ، واضعفها لهم بامثالها ، ومن رأفته ورحمته انه ما بلغه علم مستوجب للقتل الا فكه وفداه من ماله ، واطلق سبيله من حباله ، ومما يعرف من بره وطاعته لوالدته انه لم يخرج لها قط عن رأي ، ولا خالف عليها في شيء ولم ينسب اليه عليه السلام شيء من سفك الدماء التي جرت في ايامه ، بل الى الوسائط ولم يكشف احد من المخالفين لمذهبه على ما ينحو ويذهب اليه، ولا اعتراض على احد في فطر ولا صوم ، ولا غير ذلك في الدين ، ومن عدله انه لم يتمكن احد من خدام دولته فرأى منه ما يوحشه ،ولم يرقط اكثر منه سماحا ، ولا ادر منه عطاء لمن يستحق ومن لا يستحق ، لا يحمله تضايق الاموال على ظلم احد من الرعية، ولا يلجئه تقاصر الارتفاعات على مخالفة نفسه عن ما الفها من حسن السجية ، بل يأمر بالتشديد ويخاف من سوء المعاملة .

ولقد اضطرب الجنود الى امور انفذ فيها ذخائر الملك ، واخرج مخبآت الخزائن ، ولم يعلم ان احدا اصيب في الفضة بدرهم واحد فما فوقه من قبله ، لا على سبيل فرض ولا غيره ، ولا صودر احد في دولته ، ولا تعرض لميراث ميت في ايام ولايته مع الشدائد التي جرت ، والخلاف الذي وقع ، وهو لم يؤاخذ احدا بجرم ، ولا اقدم على سفك دم ، بل يرجع في كل الامور الى الاخلاق النبوية ، والعواطف الامامية ، ويأخذ فيه بقول الله تعالى :والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس والله يحب المحسنين. فهذا قول --- اذا انتهينا اليه

وقال الداعي الاجل المؤيد في الدين عصمة المؤمنين هبة الله بن موسى السليماني الداعي بشيراز وما يليه حين انتهت اليه الاخبار بوفاة الامام الظاهر لاعزاز دين الله وقيام المستنصر بالله ص ع :

الله ينصر رأية المستنصر \* بالله مولانا الامام الاطهر

ويتم نور ابي تميم جاليا \* بسناه اغساق الظلام الاكدر

ويديم دولته ويجبر كسرنا \* في الظاهر القمر البهي الانور

السيد المولى الموارى في الثرى \* غض الشباب بنور وجه اقمر

نور من العقل يصدع نوره \* ومن النبي الهاشمي وحيدر

عاف الحصار الضيق الذي \* زحل يلي تدبيره والمشتري

وسمى الى العليا من الافق الذي \* هو نجلها وشبيهها في الجوهر

قد كان محمولا فاصبح حاملا \* ومؤثرا في جرم كل مؤثر

لكن تحرّقت القلوب لفقده \* وتخرّقت شجوا ثياب تصبر

وتصاعدت نحو الجفون دماؤنا \* فهمت كمثل الوابل المتحدر

صلى الاله على مقدّس روحه \* ابدا وجسم في التراب معفّر

وادام مولانا معدا باقيا \* حتى يورّث عمر كل معمّر

اهلا بطيب زمان مولانا الذي \* وافى بوجه بالسعادة مسفر

زمن يبشرنا بخير مقبل \* ببهاء غرته وشر مدبر

امعدّ عدّة عبده وعماده \* وسناده والمرتجى للمحشر

اشبهت عيسى في الذي اوتيته \* طفلا من النعما ولمّا تقصر

ان اثمر الجذع اليبيس بفضله \* رطبا فاحرى به المسيح واجدر

فكمثله الدنيا تنيلك ملكها \* ثمرا فلا تعجل فديتك واصبر

لله شأن فيك يظهر امره \* قامت به الاعلام للمتدبر

والله ينجز فيك صادق وعده \* بك للنبي ابيك خير مبشر

انت الذي يعنو الزمان لبأسه \* صغرا فتلبسه لباس مسخر

فتجذ دابر كل ضد كاشح \* بمهند ماضي الغرار واسمر

وتخوض اودية الدماء خيوله \* بجيادها من ادهم او اشقر

وتؤم ما بين الفرات ودجلة \* وتزلّ كل معاند متجبّر

فبارض بغداد اليك تشوّق \* شوق البلاد الى السحاب الممطر

وتزيل لبس الشافعي ومالك \* ببيان زين العابدين وجعفر

وقياس اصحاب القياس وما اتى \* في الاعتزال به وقول المجبر

ويقول فيها :

اني ابن موسى عبدك القن الذي \* بك في الانام اجرّ ذيل تبختر

العلم سيفي والرشاد مطيتي \* والستر درعي والامانة مغفري

انا آدمي في الرواء حقيقتي \* ملك تبيّن ذاك للمستبصر

جسمي حمول للنوائب كلّها \* لكنّ لي في الجسم قلب غضنفر

ما راعني من صائل صول ولا \* ضعفت قوى جلدي لبأس مسيطر

يعمي عداة بني علي منظري \* ويصمهم في كل صقع مخبري

فلقد تطيّر بي النواصب كلهم \* لما اقمت وسرت اي تطيّر

فتخالني اما مررت بمعشر \* من بغضهم لي حتف ذاك المعشر

قد طاب لي في الله ان اوذى وان \* اجفى فما انا بالاذى بمفكّر

صلى عليك الله يا ابن محمّد \* ووصيه وابن الصفا والمشعر

وكان في اوائل ايام الامام المستنصر عليه السلام قصة سكين وابن عاني ، وكان سكين اللعين قد تشبه بالحاكم بامر الله ع م ، ومخرق على الناس ، فادخل على عقول اقوام من جهلاء الناس بذلك وسخر بهم وعاهدهم وعاقدهم على النصرة ، وكان يركب حمارا ، ويتزي بزي الحاكم بامر الله ع م ، فاقبل يوما حتى دخل قصر القاهرة من بعض ابوابه ، فلما انتهى الى داخل القصر ونزل موضعا لم يكن الحاكم بامر الله ع م ينزل منه وعرفه الخدم وثبوا عليه فامسكوه ، وامسكوا ابن عاني معه ، وكان يظهران السحر ، ويستعملان امورا شنيعة تخالف حكم الشريعة ، فامر الوزير علي ابن احمد برميهما بالنبل ، بعد ان امسكا واوثقا ، فرميا حتى هلكا ، ووقى الله شرهما ، وابطل سحرهما ، وانزل بهما مكرهما ، قالوا وكانت في القصر نخلة يوجد في علم النبوة للمخزون انها تنقصف لامر عظيم، فانقصفت النخلة حين دخول سكين القصر، فاشتد خوف الذين عند الامام المستنصر بالله ع م وخشوا ان يناله مكروه ، فاحاطوا به وقد اخذوا اهبة الامتناع ، فدفع الله ببركته الشر والمكر وجل الامر

وكان صالح بن الزرقلية امير ذي كلاب ، قد ظهر نفاقه، واعلن شقاقه ، وجمع اليه العربان ، اظهر الخلاف على امام الزمان، فخرج اليه الثوبري امير الجيوش من حضرة الامامة في عدد وعدة ، وجرت بينهما حروب عدة ، واقاما على ذلك مدة ، ثم اظهر الله قائد جيوس وليه واظهره ، واعلى امر عبده المستنصر به واظهره ، فقتل صالح بن الزرقلية في عدة من اصحابه وخواصه ، ولم يجد سبيلا الى مناصه ، واتى قائد الجيوش برأسه الى الحضرة الشريفة المستنصرية ، فطيف به في الامصار ، وكان للظالمين سوء عقبى الدار ، وتمهدت لامير المؤمنين المستنصر بالله ع م البلاد، ودان له العباد، وانتشر عدله في الحاضر والبادي، ونادى باسمه في الخطبة في جميع الامصار المنادي ، فكانت مملكته في مصر والحرمين ، والشام وبلاد الغرب كافة ، وملك داعيه الاجل الاوحد علي بن محمد الصليحي اليمن عنوة ، واظهر له في الدعوة ، وظهرت دعوته في شيراز وارض فارس ، وخطب له فيها الداعي المؤيد في الدين اياما ، واعلن باسمه ، واستجاب له الملك برهة ، ثم تغير عليه ، وكذلك خطب له في بغداد والكوفة اياما وسنذكر من ذلك كله اذا انتهينا الى موضع ذكره.

واظهر الداعي المؤيد في الدين الدعوة بشيراز وارض فارس وكور الاهواز لامير المؤمنين المستنصر بالله عليه السلام في سنة تسع وعشرين واربعمائة ، واستجابت له امم كثيرة من الديلم فعلى امره ، وارتفع صيته وذكره، وكان آباؤه من قبله متقدمين في الدعوة الى الائمة من آل محمد ص ع من اوان الستر ، وقبل ظهور الامام المهدي بالله عليه السلام حتى اطلع الله شمس الخلافة من غربها ، واضاءت البلاد مشرقة بها ، وفي ذلك يقول الداعي المؤيد في الدين مخاطبا للامام المستنصر بالله من قصيدة يقول فيها :

وان ابن موسى وآبائه \* معاهد ودهم عامرة

فقد خدموكم وما نشرت \* لواء الفتوح يد ناشرة

وكان الداعي المؤيد في الدين نضر الله وجهه ، له بلاغة لسان، وفصاحة وبيان ، وعلم عظيم القدر ، كأنما يستملي في ما يفوه به من البحر ، فانتشرت الدعوة في ايامه فظهرت ظهورا لم يكن وقت آبائه ، واستعلن ذكرها واظهر امرها ، واجتمعت له امم كثيرة من الديلم ، لما رأوا من فضله وعلمه وزهده وورعه وحسن حاله، وحميد خصاله ، وكان ان صمت فورعه وزهدة قدوة ، وان نطق فعن بيان وقوة ،

وسوف نذكر من ذلك في زمان الملك ابو كاليجار وهو يومئذ ملك شيراز واعمالها، وصاحب مدنها ورجالها، وقد كان نشأ مع استاذ له مغرق في بغضة اهل البيت عليهم السلام والعداوة لشيعتهم ومن ينضاف الى جملتهم، وكانت حاشيته كذلك من الاتراك على العداوة والبغضاء لاهل البيت قد جبلوا، وفيها علوا نهلوا ، فكان يأخذ من اقوالهم ، ويصغي الى انتحالهم ، على ما كان للملك من عقل وجودة رأي وفهم ، فهؤلاء كشفوا للملك امر الداعي المؤيد في الدين ، وقالوا انه الى صاحب مصر يدعو ، ونخاف ان يغلب على امرك، ويكون له اقطار ملكـك ، واكثروا من التشانيع ، والقول الذي لا يفوه به الا كل جاهل رقيع ، فلم يزل هذا الحديث يدخل في سمعه ، ويجافيه عن التمهد على مضجعه .

قال الداعي المؤيد في الدين نضر الله وجهه :

فلما كان يوم عيد الفطر من سنة تسع وعشرين واربعمائة كنت بيوم قبله مستعدا له في تحصيل سجادات له وفرش وآلة يصلي عليها المصلون ، ولا يستغني عنها المتعبدون، فرفع الخبر بانني استجمع الجموع للصلوة والخطبة في غد واضرب في ساحة داري المضارب والفارات ، وان في ذلك مراغمة للملك ظاهرة ، ومخالفة حاضرة ، فنشأ من هذه الجهة سوء رأي عظيم، وقع به على القصد والنفي عزم وتصميم .

قال ولما كان في غد وهو العيد اجتمع الجمع الكثير من الديلم للصلوة فصليت بهم ، فلما اتممت عطفت عليهم بالوعظ والانذار ، وقلت تخفى عليكم صورة الوقت والاعداء في الشدة والكثرة ، فانهم عاكفون على تقبيح الجميل من آثارنا ، ونسب العظائم الينا من حيث اننا المبرزون في تحمل اثقال العبادات والقيام بالمفروضات والمسنونات فينبغي ان تزموا انفسكم وتحسنوا افعالكم واعمالكم وتتقوا الله حق تقاته ، وتتحفظوا من ان يتعلق احد عليكم باختلاف عيب ، او يجد لسان مساغ انطلاقا فيكم بثلب، وعليكم بالصبر والصلوة ان الله مع الصابرين.

قا ل ولما كان عشية ذلك اليوم كان الناس يطلبون الهلال على جاري عاداتهم في مثله ، فغم عليهم ساعة وتباشروا لهذه الجهة اذ كانوا صاموا تسعة وعشرين يوما وطلبوا انهم يكملون في غد العدة ثلاثين، ويبسطون ايديهم والسنتهم فينا لافطارنا قبلهم بيومين ليكون ذلك ابلغ في التشنيع ، واعون على ما يرونه من التشنيع ، فما كان الا هنيهة اذ ظهر الهلال ، فجفت السنتهم في افواههم ، وماتت قلوبهم في اجسادهم من فرط الغيظ والحنق، ولما كان في الغد سعوا الى مصلاهم فصلوا ورجعوا وباعاتهم موفورة على ذكرنا ونصب الاشراك علينا، الا انه لم يكن في ذلك اليوم شيء ،

قال ولما كان في غد استدعاني وزير المملكة بهرام بن مافنة بن شهل الملقب بالعادل ، وهو كامل في عقله ، مبرز في فضله ، مصلح في جميع احواله ، مهذب في تصرفاته واعماله ، فقرّبني وادناني ورحّب بي ، وهو كاره لما يريد من مواجهتي به من القبيح، عارف ان ذلك في غير وجهه ولا مكان وجوبه ، الا انه كان مأمورا من جهة من لا يخالف امره ، ولا ينافي رسمه، فقال تعرف عنايتي بك وايثاري الجميل لك ، وانني لا اشير عليك الا بما فيه مصلحتك ، وارى امرك قد تجاوز في الفساد حده ، وبلغ امده ، ولقد كان السلطان امس في عامة الطريق من داره حين ركب الى المصلى والى ان عاد في حديثك وممتلئا من الحنق عليك، وقال في حديث كثير انك ان لم تدع هذا البلد ولم تمض لوجهك انفذ من يفعل بك كذا وكذا مشيرا الى القتل، سوى انه يتحاشى عن تصريح القول فيه ، فانظر هل بقي بعد ذلك غاية ، ام هل وراءه نهاية ، ثم انه حضر الغداة قاضي البلد واجتمع اليه القصاص واهل المسجد وقالوا عجز الصبر فيما يأتيه فلان يعنوك من نشر البدعة ورفض السنة ، واننا تجتمع ونقصد باب السلطان ونستدعي منه رخصة ، فنهجم على داره بالقلع والحريق والقتل ، وجميع ما نستطيعه من الفساد، قال الوزير فاجبته ان ذلك ليس بالهين ، فان هذا الامر يؤلف بين كلمة الديلم عامة ، ومتى حرك ساكنه انتبهت عين الفتنة باراقة الدماء ، واستباحة الحريم ، وتعدى الى مفاعيل ، قال وكان جواب القاضي انه ان استنجد بهؤلاء الديلم استنجد خصومهم بغيرهم يعني به الاتراك ، ثم قال لي لو لم يكن في هذا الكلام مع مقت السلطان الذي لا قرار عليه ولا ثبات معه الا حديث العامة وهيجانهم لكان التقدير رفيك وفي عقلك ان لا تكون اصل الفتنة ، وان لا تختار ان تصير سبب الفساد والنائرة ، فالاولى ان تستخير الله تعالى في الخروج من البلد في هذه الساعة لاضم اليك عدة من الفرسان يخرجون بك الى حيث توخي قصدة من البلدان.

فاجبته وقلت : ان الامر امركم والمملكة لكم ، ولكل كلام جواب غير من يقول لاحد في داره اخرج من داري فلا جواب له ، ولكني افكر في قولكم اخرج من ديارنا فلا ادري اهو مشبهي او مشبهكم ، ومستحقي او مستحقكم، لاني انظر نفسي فلا اعرف لها عليكم كدا ولا ثقلا ، اذ لا حظ لي في خيركم ولا ذكر لي في ديوان عطاياكم ، ولا رزق في حال من الاحوال من جهتكم ، وارى كل من دب ودرج من قاض وفقيه وعالم وكاتب وجميع طوائف الناس ممن له مداخلة لداركم ولقاء لمجلسكم محظوظين منكم ، بين ما يأخذونه اخذا او ينالونه بتوقيعكم معيشة ورفقا ، وصحيفتي بيضاء من جميع هذه الوجوه ، وسوى هذا فانتم اعرف الناس بقضاتكم وعدولكم وعلماء مساجدكم فيما هم مرتهنون من المعائب ، وما يشوبهم من المناقض ودميم الشوائب، ولا تعرفونني توسمت بسمة من سمات معائبهم ، او اشبهتهم في شي من مناقصهم ومثالبهم، فاني لم ازل بالسداد والرشاد علما ، وباستشعار البر والتقوى مقدما ، ولولا تبرّجي بزينة التشيع لاتخذت العامة تراب نعلي كحلا لاعينها ، وماء طهوري شفاء لسقمها، وغير ذلك فان هم الجميع حيازة ملك واقامة دخل واضافة درهم الى درهم ، ولم يلقني انسان شغلت بشيء منه فكرا ، او قصرت عليه من عمري يوما ، بل كانت الدنيا في عيني مرفوضة ، واعراضها لدي مهينة ، واسباب مطامعي مقطوعة ، فاخراجكم من هذه سبيله من دون تعلّق عليه بعيب يشينه ، او تبرم بمؤونة له عليكم يثقلكم باستحقاق مني وانا من الوجهين بري، او باستحقاقكم بان لا تستوجبوا كوني لديكم ومقامي بين ظهرانيكم ، ومعلوم انه اذا كانت مؤونتي هذه المؤونة فكل مقصود يقبلني وكل ارض تحملني ، ولست اقيم عندكم ما اقيم الا عصبية للدين الذي ادين الله تعالى به ، ومحافظة عليه من وهن يحل بساحته ، ولولاها لكان اكبر باعث علىالتخلي عنكم نفسي، وادعى داع الى مفارقتكم قلبي ، لاستريح من مغاداة الذل ومراوحته ، لا سيما ومعلوم ان لي مولى يقصده القاصد متوسلا اليه بسطور من خطي ولفظي فيكرم مثواه ، ويكفيه ما اهمه من دنياه ، فلو قصدته بنفسي لكان يتقاصر حظي عنده دون حظ من يقصده بكتابي ، فليس الخروج يرهبني ولا شيء دون ما قدمت ذكره يمنعني ، وانا اجتهد ان شاء الله واصوب واصعد في كفايتكم امري ، وتولية هذه النعم التي في دياركم ظهري ، ليزول شغل قلوبكم، فاما القاضي وتجرّده للجهاد ، فليت الحديث كان معه ومع العامة الذي يفزعنا بهم حتى كان يرى الاعاجيب، ولكنما امر السلطان في الوسط يضعف المنة ، وقصده يهد ركن الثبات والمكنة ، والقاضي اذا لا يأسي على امواله الموفورة ، وضياعه المذخورة ، وتنازعه نحو الجهاد نفسه ودينه عليه عمى ، لم لا ينشط له من لا يملك من الدنيا شبرا ولا يحوي الا قوتا قشفا وطمرا ، وهو على بصيرة من ربه ، فليتكم خليتم بيني وبينه حتى كان يجرّب كلانا بخته ، والسلام.

وعاد الداعي المؤيد في الدين نضر الله وجهه الى بيته ، وجعل يفكر اي جهة يقصد ، واي امر يعتمد ، مع كون الطرق مشحونة بالاعداء ، ان عرفوا السبيل الذي يقصد اليها اعملوا له فيها الغوائل ، وتلقوا لقطع السبيل واتيان المنكرات ناصبين الحبائل ، لا سيما مع الوصمة التي وقعت من السلطان، وخروجه من بلده على غير قرار ولا اطمئنان، ثم عاد الى مجلس الوزير ثاني ذلك اليوم معرفا له بقضيته وخوفه ان يكون على ايدي الارذال ورود منيته ، فيكون على نفسه جانيا ، والى القائه الى التهلكة دانيا ، وقال اين اقف في موضعي، واوطن نفسي على ان اقتل مظلوما، فلا اكون عند الله وعند الناس ملوما ، وتكون اللائمة عائدة اليكم، وواقعة عليكم، فما لي عن مكاني براح ، ولا غدو ولا رواح ، دون ان تمدوا لي النظرة سبعة ايام ، لاحتال في الخروج ، واقضي وطرا فيما اعده من عدة السفر ، وآخذ له من الزاد ما يسهل ، فاجابه الوزير واشترط عليه ان يغلق عن الديلم بابه ، ولا يسعف من يريد اليه منهم لحاجة باجابة ، فخرج الداعي من عنده وحال بينه وبين من يتصل به من الديلم لقصده ، وتوفر على الدعاء الى الله ع ج والابتهال الى الله ان يكشف عنه ما يجده من البلاء ،

فاستجاب الله دعائه اذ كان مخلصا ، وسبب رفع المحنة عنه بما شاء الله تعالى منقذا مخلصا، وجمع قلوب الديلم له ، فتذاكروا ما يجري علهيم من السلطان ، وانهم مقصودون بذلك من بين اهل الاديان على اقامتهم لشرائع الاسلام ، وفرائض الايمان، وقالوا هؤلاء فرق المسلمين واليهود والنصارى في دينهم قاطنون ، وفي قرارهم آمنون ، ونحن نقصد من بين الناس بالوهن ، وتغلي علينا مراجل القلوب الحرى بالاحن، واجتمع منهم عدد كثير، وقالوا نركب الاهوال ، ونقطع الآمال ، فحين بلغ ذلك الملك كاليجار امر الوزير باخماد تلك الثائرة ، وقطع جرثوم المكابرة، فبادر الوزير يستحضر القاضي ومر القاضي وهو في طريقه الى الوزير بين جموع الديلم ، وهو يصيحون عليه، ويرجعون كل منكر من الفحش اليه ، فما خلص منهم الا بعد الشدة ، ولا خلص الا بعد ان ظن الا خلاص من تلك الورطة ، فلما صار عند الوزير اغلظ عليه في القول والتعنيف ، وقال له هذا الشغب على السلطان فعلك ، فلا تنطق بعدها في المؤيد بحرف، وارسل الى الداعي المؤيد في الدين ان اظهر امرك ، ولا حرج عليك، وافتح بابك لمن قصد اليك ، ففتح الداعي بابه ، واعاد في نشر الحكمة والموعظة الحسنة خطابه ، وجرى على ما عليه عادته ، واتيحت له من كرم الله ارادته ،

وما زال حتى جرت بينه المراسلة وبين السلطان، وانتهى بعد ذلك المشافهة والخطاب، والدنو بعد نهاية البعد والاقتراب ، وكان مما اوصى به ا لداعي المؤيد في الدين الى السلطان مع بعض من يدنو الهي من كبراء الديلم ان قال له ان هذا الامر الذي اتولاه ما انا ابدعته، ولا في ايامي احدثته ، فانه قديم تقضت عليه السنون، واندرج في معرفته او مشافهته الملولك ، ولو علم ان يوقع ملكا ، او يحدث فسادا ، لما نامت عيون فحولة ملوك بني بويه عن احالته ، وتغييره وقصر باعه وقص اظافره ، ولما كان اكثرهم يؤثره لنفسه دينا يلقى الله تعالى به ويتبرج بزينته ، ولكن المقبحين قبحوا الصورة بحضرة الملك ، ولو انه استقصى الامر لوجد قدماءه اكثرهم بذلك دائنين ، وبشعاره منادين ، فاما ما انتهى الى عالي مجلسه من اعتقادي كان البروز الى الصحراء بالصلوة والخطبة فان ذلك ما جال في خاطري ن ولا هجس في خلدي ، واني لارجو ان اكون ابلغ ما يجري به الفال من ذلك في ظل دولته وبركة ايالته ، وسوى هذا فان الملك نشأ في سماع كلام المخالفين والطاعنين علينا ، وتلقن منهم كل شيء مما يزيغنا في عينه ، ويثقلنا على كريم قلبه ، وقد انتشر الذكر في كونه من وفور العقل والكما بحيث يوجب عليه ان يسمع كلامنا ، ويصغي لحجتنا ، ثم ان وضح له شيء مما ينسب الينا من الكفر والتعطيل ، كان وسيع العذر عند الله تعالى وعند نفسه فيما يقصدنا به من القتل والنفي ، فاعلا للشيء في وجوبه واستحقاقه ، والا وجب عليه الاستحلال عما مضى وتلافي ما سبق بالحسنى .

قال المؤيد في الدين فنفذت هذه الرسالة وعاد الجواب دفعة ودفعتين بما كان يتهدأ كلما عاد من التحريش ، ويشتمل على الكلام اللطيف،فعن لي ان اكتب رقعة اودعها ما يجمع بينه وبين هذه من كلام محق لا يتحاشى في الله ولا يحابي ن وانهاه عن الظلم الذي ضاق عن الصبر على مضـضه اهابي ، قال فكتبتها واصدرتها، وهناك فضل معرفة بالالفاظ الجزلة والمعاني الرائقة ، فوقف عليها وقوف مستعجب بها ومستحسن لها ، واصدرها الى حضرة الوزير مقرونة برسالة في استدعائي والتطلف بي والتسكين مني ، والمخاطبة لي على ان اقف في الامر الذي اقوم به حيث بلغت ، ولا اتجاوزبه حد الاسرار الى الاظهار ، فاستدعاني الوزير واكرمني وبذل الجميل لي، وقال لي ما قدمت ذكره من القول فاجبت بانني قد اخرت هذا الامر من حيث تظنونني قدمته ، ووضعته من حيث تحسبونني رفعته ، والدليل على ذلك ان والدي كان في هذا البلد متسما بهذا الاسم ، مرتسما بهذا الرسم ، وكان له من المكنة واليد والقدرة ما كان يغنيه عن ان يطأ عتبة باب ، او يقاسي ذل حجاب، فكان الوزير ابو غالب الواسطي الملقب بفخر الملك وزير الوزراء ، الذي كان ما كان باتساع مكنته وانبساط يده، نازلا في هذه الدار التي تنزلها ، فلم يعهد والدي قط داخلا اليه ولا مسلما عليه ، ووجد الوزير غير دفعة يزوره ليلا في بيته ويغشاه في منزله ، وانا طول الدهر على الابواب طائف ، وعلى الزورات عاكف ، فلو امكنني التعزز اكنت اختار التذلّل ، وجرى في مثل هذا كلام طويل وخرجت ساكن القلب ، واثقا بحسن كفاية الرب سبحانه .

قال وكان السلطان ارمع الخروج للتصيد عشية ذلك اليوم ولم يكن اكتحل بنظري قط ، لاني كنت الزم الزاوية ، واطلب العافية ، ولا اوثر ان ينثلم ديني، او يسجد لغير الله جبيني ، وكانت صورتي في التقاعد عن الخدمة تقبح زيادة تقبيح ، وانسب فيه الى كل امر فظيع ، فحدثت نفسي بالتعرض لموكبه والنزول والدعاء ليرق قلبه ، ويندم عن سوء الرأي همه ، فوقفت في بعض الصحارى له ، ولما دنى نزلت وتخضعت ودعوت ، فسأل عني ، فقيل فلان ،فرسم ان يقدم مركوبي لاركبه ، فارتفعت ضجة المطرقين والركابية بين يديه بذلك وقدم لي مركوبي وركبت ووقفت مكاني انتظر عودة الوزير من تشييع ركابه ، فلما عاد ذكر انه قال فيك خيرا، واثنى عليك ثناء حسنا ، واستخبرني هل سكنت بالغداة منك واديت رسالته اليك ، قال فقلت نعم .

قال وغاب الملك ايام ثم رجع ، ولما كان يوم رجوعه تلقيت ركابه قدر فرسخين، ونزلت وخدمت ودعوت ودخل البلد ، ورسم للوزير تبرعا استحضاري الى عالي مجلسه اي وقت حضر ، ففعل ذلك ، وكنت احضر وسبب الاقتراب يعمر ، ثم رسم مناظرة عدة من المخالفين مكاتبة ، فتناوبت بيننا وبينهم ابتداءات واجوبة ، فكان يقف عليها ويميز بين الصحيح والسقيم منها ، وهي رسائل طويلة قد اتى سيدنا المؤيد في الدين نضر الله وجهه بجملتها واورد جميع قصتها ابتداءا وجوابا فاعجب الملك ابو كاليجار قول المؤيد في الدين ، وما اورد من واضح حجة، وتبين له سوي منهجه ، وسأله ان يعفيه مما كان سبق منه اليه بسوء التعليم، وافصح له كل افاك اثيم، وكان اكثر المناظرة كتابة لا مشافهة لتحرج المؤيد في الدين نضر الله وجهه عن المخاطبة صونا للعرض مما يخلط بالمشافهة في المناظرة من سوء الادب ،

ثم اني قصدت ان يكون ما يدور بيننا من الكلام يتجسم بالكتابة لتبقى فائدته لمتأمليه ،وينقدح في حضرة الملك من نيران الاذى ، فسكن جأش الملك واطمأن قلبه ، وتبين له صدق المؤيد في الدين، ووضوح حجته، وقال للمؤيد في الدين اني اسلمت نفسي وديني اليك وانني راض بجملة ما انت عليه ، وادخل في دعوتك ، واكون من اولياء ائمتك ، فكان الداعي المؤيد في الدين يحضر حضرته ليلة كل جمعة فيقف عنده حتى يمضي هزيعا من الليل فيبدأ بقراءة ما تيسر من القرآن ، ثم يثني بباب من كتاب دعائم الاسلام ، ويسأله الملك عما يريد بيانه فيجيبه فيه ، ويوضح برهانه ، ويختم القول بالخطبة لمولانا امير المؤمنين المستنصر بالله سلام الله عليه، ثم للملك ابو كاليجار شاهنشاه، وينصرف الى منزله ، فطالت عند الملك يد المؤيد في الدين وارتفع قدمه ، ونطق بلسان الحق فمه وقلمه ، وكان الملك كل يوم يزداد به اعجابا ، ولحقه ايجابا ، ويندم على ما فرط منه بكونه سمع فيه زورا ومحالا ، وكان يحسب ما هو عليه من الحق ضلالا، وكان يثني عليه عند وزيره العادل ، وكان يذكر حسن ما هو عليه من الاخلاق والشمائل ، فقال له الوزير سبحان الله بينما كنت تبغض هذا الرجل البغض الذي يضيق عنه جلدك حتى صرت تحبه هذه المحبة التي يقصر دونها وصفك ، وان هذه سعادة لا تنكر مثلها من سعادات مولانا امير المؤمنين علي ابن ابي طالب عليه السلام ، فمن سعاداته ان حصل لهذا الرجل من القبول عندك ما انتهى الى هذا الحد، فاجابه الملك بقوله : اننا اصحاب اذن ومهما وجدنا الناس مجتمعين على القدح في انسان ونسبه الى الكفر والضلال فلا لوم علينا ان نقصدقهم ونقبل منهم ، ونحن نحمد الله الذي ايقظنا من سنة الغفلة ، وردنا من الاقدام الى الشبهة.

وقال الداعي المؤيد في الدين نضر الله وجهه يمدح الملك ابو كاليجار حين لحظ اليه بعين مودته ، ورفعه علىمن عاداه واشاعوا كلمته ، حيث يقول :

لحظتك حيث حللت عين الله \* من آمر في الخافقين وناهي

يا مالكا ملك الزمان بملكه \* فغدت به الارض السماء تباهي

يا من كسى التاج الجمال وطال ما \* قد كان زين مفارق وجباه

واذا بدى فوق السرير جبينه \* وسم الملوك له الثرى بشفاه

وله اقروا مذعنين بانه \* مولاهم طرا بلا اكراه

اني اعتصمت بجبل آل محمد \* في ا لدين والدنيا بشاهنشاه

ملك الملوك يمين آل محمد \* غوث العباد عماد دين الله

سعدين ذلك آجلا خلفي كما \* عاجلا في العالمين تجاهي

لا زال جلاب الميامين رأيه \* العالي وجلاء لخطب داهي

يا ايها الملك الذي انشاه في \* عليائه ربي لا اشباه

ضيعت عمرا قد تقضى لي ولم \* اعلق بخدمته واني ساهي

والعذر اني كنت فيه مفزعا \* زورا ببطشة ساخط جباه

ما المال همي بل بقاؤك سرمدا \* موفور مالي ما بقيت وجاهي

ثم انه كان سبب الوحشة بين المؤيد والسلطان ابو كاليجار ان المؤيد في الدين هجن اليه شرب الخمر، واورد في ذلك من المنع والحظر ، كقول النبي صلع لعن الله الخمر وعاصرها ومعتصرها وبائعها وشاربها وساقيها وآكل ثمنها وحاملها والمحمول اليه ، الى غير ذلك من آيات القرآن ما لا يختلف فيه من كلام النبوة اثنان، وكان قوم مع الملك ينادمونه ويجتمعون معه في مثل ذلك وفي الضلالات ، والعكوف على المجون والخلاعات ، فكبر عليهم في ذلك الامر وعظم ، وعليهم فيه الضر، وقالوا هذا الانسان يريد ان يستأثر بالسلطان دوننا والاولى ان نحتال في امره حتى نبعده عنا ، فسعى منهم كثير في ادخال الوحشة بين الداعي والسلطان، وسعوا في جلب المكر والخداع من كل جهة ومكان، وكان منهم رجل قد قرب من السلطان، وزاد في والبغي والعدوان، فسعى في الافساد بين الداعي والملك بجهده ، وجاء بمنكر من القول وزور لفقه ببغيه وحسده، ووافق ذلك وفاة الوزير العادل ، وقيام وزير ممن يرى غير رأي الشيعة، ويرى مناصبة اهل البيت له في الشريعة ، فكان ذلك مما قوى البعد بين السلطان وبين المؤيد في الدين، مع ان السلطان بفطنته وثبات رأيه وعقله قد علم من الداعي المؤيد في الدين ما تحقق انه عين الصواب ، وعرف ان الساعين عليه متحاملون في كل الاسباب ، الا ان يؤثر رضى خاصته مع رضى العامة الذين عليهم المعول ، وهم عمود المملكة الاطول .

قال المؤيد في الدين نضر الله وجهه : وكنت اقوم بالمحاجة عن ذلك والدفع بما هو احسن وجرى بيني وبين الملك يوما فصل عجيب وقلت اني ارى قوما تعاونوا على فساد حالي عندك ، واطمعتهم نفوسهم انهم بتسوقهم يبلغون المبلغ الذي يريدون فيما يجعل حظي عندك منقوصا وعقد امري محلولا ، ويردون الحال في الوحشة جزعا ، والامر الذي يشرعون فيه هو من باب الممتنع ، وضربت له مثلا وقلت : بلغني في الامثال السائرة ان رجلا كانت صنعته كسر الحطب من الصحارى ونقله الى المدينة وبيعه ، وكان ذلك معاشه وكان لا يخلو من شظف عيش ومقاساة ضر ، وانه اتى عليه في خلل الشتاء يوم في غاية البرودة فكلما هم بالتوجه لطلب معاشه ثنت وجهه وصدته البرودة ، ولم يجد في بيته مع ذلك ما يقتاته ويقتات به اطفاله ، فاجهدهم الجوع وقالوا له نحن مضرورون بالجوع فجاهد نفسك وابلغ طرف صحراء المدينة ولا تبتعد عساك ان تظفر بشجرة تكسر منها مقدار ما تشتري بثمنه لنا طعاما نطعمه، فقام الرجل ولم يبعد حتى لحق مثل ما وصفوه من شجرة فزحف اليها بفأسه للقطع، فنودي منها لا تقطع وانظر كم يصحل لك في كل يوم من كسبك هذا فاحضر كل غداة وخذ هنيا مهنئا قارا وادعا قد كفيت التعب والنصب ، فقال الرجل محصول كسبي في اليوم درهمان او ثلاثة ، قالوا قد حصل لك ذلك من غير تعب ، وكان الرجل يقصد الموضع في لك يوم فيأخذه القدر الميسر له فينفق البعض ويدخر البعض ، حتى صلحت حاله واستقام امره ، وحملته الجدة على مركب البطر وقال في نفسه : ما لي اغد كل يوم الى هذه الشجرة وآخذ منها ردهمين او ثلاثة على سنة الكدية ، وما اظن الا تحت الشجرة كنزا مكنوزا وقد تسلط عليه جني او شيطان يمانعني عنه ، ولو اني توصلت الى قطع الشجرة واستخلاص المال من تحتها وتحصيله في منزلي لكان خيرا من التوجه كل صبحة لدرهم آخذه ، فجعل في نفسه انه يأخذ فأسه غداة غد ويمضي اليها ويخرج الكنز من تحتها ، فلما كان في الغداة تجهز علىهذه النية فعلى الشجرة بفأسه كي يقطعها ، فقيل له يا انسان ، شجرة افضت بك من المسكنة والمجاعة الى الثروة والحال الحسنة لم تكافئها بالقطع ؟ ولم تعلوها بالفأس ؟ فقال اغربوا عنكم هذا الكلام فانه لا بد لي من قطعها لاستخراج ما تحتها ، فقيل له اذا كان لا بد من ذلك فدونك واياها ، فلما رفع يده بالفأس ليهوي بها في الشجرة جفت يده في الهواء والفأس فيها وبقيت لا تنزل ولا تنضم ، فقيل له يا جاهل انما كان لك السبيل على قطعها حين لم تعرفها ولم تعرف الخاصية التي فيها ، وبعد معرفتك لها فلا سبيل لك عليها ، وكذلك انت ايها الملك فلا سبيل لك علي بعد ان عرفتني وعرفت خاصيتي .

وما زال الدخيل بين الملك والداعي المؤيد في الدين حتى جرت الوحشة بعد الانس ، واكثروا على الملك من اللبس ، وخوفوه خليفة بغداد على قربه من داره ، وقالوا انه ومن معه من الاتراك والديلم يسعون في الاستيلاء على ملكـك ، واغراق فلكـك ، وصاحب مصر منك بالمكان البعيد وهؤلاء يكونون اليك اقرب من حبل الوريد حتى جال ذلك في انفاسه، ومال اليهم برأسه ،

قال المؤيد في الدين نضر الله وجهه فصاروا علي يدا واحدة فيما كانوا عليه وكنت لا افكر بهم اشتدادا مني بمعونة الله تعالى اذ كنت مجاهدا في سبيله ، وقائما بنصرة آل رسوله، لا يستفزني حرص ولا طمع، واني منقبض عما تبسطوا له فيه من طلب دنياهم متجمع، قال فقضى من القضاء انني توجهت الى الاهواز وكنت قد احتويت على مسجد شعث بها كانت تأويه الصوفية واهل النصب ، قال فعكفت على عمارته الى ان جعلته بهجة للنواظر ، وكتبت على دور محرابه اسماء النبي صلع وامير المؤمنين علي ابن ابي طالب والحسن والحسين فصاعدا الى جعفر الصادق واسماعيل بن جعفر ومحمد بن اسماعيل ووصلتها باسم المهدي والقائم والمنصور فصاعدا الى مولانا الامام المستنصر بالله امير المؤمنين ذهبا على الواح ساج يكاد يخطف الابصار من لالائه وحسنه من المدى البعيد ، فرأى اهل تلك المدينة من ذلك ما لم يعهدوه وشاهدوا منه ما كادوا يكذبون عيانهم فيه ، ثم لم اكتف بذلك حتى اقمت الاذان بحي على خير العمل من فوق سطحه فبلغت القلوب الحناجر وصادفت فيها مثل وقع الجناجز ، قال فوقفت وتركت مديدة ثم قلت في نفسي ما قال القائل:

انتهز الفرصة اما مرت \* فربما طلبتها فاعيت

وقلت لمن كان يحضرني من الديلم اني اريد اقامة صلوة الجمعات في هذا المسجد مشفوعة بالخطبة لمولانا الامام المستنصر بالله ع م فهل عندكم من مساعدة عليه فقالوا افعل ما ترى ، فلما كان يوم الجمعة امرت عشرين نقيبا يصعدون الى سطح المسجد ويؤذنون بحي على خير العمل فقامت ضجة في المدينة شغلت الناس عن المسجد الجامع ، وفاض الديلم عن الموضع فيضا حتى ضاقت المنافذ والمسالك بدوابهم ونجائبهم وعلمائهم ، وكان الامر جاريا على هذه المثالة في كل جمعة والدنيا تموج باهلها خوضا وكلاما كيف كان سبب هذا؟ وكيف تم ؟ وما يجري هذا المجرى؟ وكان بالاهواز قاض يعرف بابن المشتري كان السلطان ابو كاليجار ارسله الى الخليفة ببغداد قبل ذلك فحمل على يديه اللواء واللقب، فوقع في الحريق من هذه الاحوال وكتب ابن المشتري الى بغداد كتابا ينعي فيه خلافة بني العباس ويذكر دثور ذكرهم في الرسوم الداثرة ، كل ذلك ليثير من الخليفة ومن يتعلق به من ملوك بني بويه الحمية ، ويحرضهم على محو ذكر آل النبي صلع بشيراز والاهواز بالكلية ، ويشير عليه ان يتلافى نفسه قبل فوت التلافي ، وان يصانع ابو كاليجار بانفس ما يجده في ملكه ، واعز ما احتوت عليه يده، وان يشترط عليه تسليم المؤيد في الدين الى يد رسوله مكبلا بالحديد ، وانه ان لم يفعل ذلك صالت عليه التركمانية وحازت ممالكه ، وما اليه من الرعية ، فما كان الا قبل حتى وصل ابن مسلمة الى البصرة رسولا من العباسي الى ابو كاليجار وكان وزير العباسي في ذلك الوقت ، وحين علم الملك ابو كاليجار بورود ابن مسلمة اليه من الخليفة العباسي جمع من بحضرته ، وقال لهم هذا رسول الخليفة قد ورد فكيف الحيلة في المؤيد، وباي حجة نحتج عليه نوجه الشر اليه ، وما الذي نلقاه به ، او نحتج عليه بسببه ، هذه والله حيرة ودهشة ، وامر لا يعلم كيف يصير عقباه ، قال بعض القوم للملك وهو اشدهم على المؤيد في الدين عداوة ، اعظمهم في الغلظة والقساوة عندي في هذا المخرج ، وهذا فلان العلوي يقوم الليل ويصوم النهار ، وهو زيدي المذهب وله خلطة بالصوفية والقصاص واصحاب الحديث ، والرأى ان نعزم عليه في مناظرة المؤيد في الدين نضر الله وجهه فقالوا ان فلانا العلوي يدعوك الى البراز في مناظرته على مذهبك ، وان السلطان يريد اجتماعكما ليسمع ما يجري بينكما ، فقال لهم المؤيد في الدين سبحان الله لا تعرب بعد هجرة ، ولا مزيد على ما دار بيني وبين خصومي من مناظرة وقف الملك على سطورها، وعرف تقواها من فجورها ، ولكن هذا عنوان رأي فاسد ، وهو ابتداء سؤال محالة وارد، فوقع التعيين على ليلة من الليالي ، وحضر السلطان وحضر العلوي والمؤيد في الدين وذلك في اوائل شهر رمضان.

فقال المؤيد في الدين للعلوي ايها الشريف اني اريد ان احدثك بحديث في نفسي قبل المناظرة ، قال الشريف وما هو ؟ قلت بلغني ان علويا غزى في جملة الغزاة الروم ، فاحيط به وملكوا وفي السجون والمطامير وردوا ، فلما كان يوم من مشاهير ايامهم التي يعظمونها ويقربون القربان عندها اخرجوا الاسارى فاطلقوهم الا العلوي ، فانه ضرب ضربا وجيعا ، وردّ الى حبسه ، حتى حال الحول ورجع مثل ذلك اليوم فاطلق الاسارى وعملت به العادة في ايجاعه ضربا ورده الى الحبس ، فكان تألمه من اشتباه وجه ذلك عليه وموجب فعله به اشد من الم الضرب والمكروه الذي كان يناله ، وتمادى الامر الى اليوم الثالث من السنة الثالثة ، فحين رأى المثالة فيه محفوظة والسنة بضربه ورده في الحاضرة قائمة ، استغاث وقال يا قوم الا تدلوني على وجه اختصاصي بهذه العقوبة من بين قوم كانت قصتي وقصتهم واحدة فاوليك من عليهم بالاطلاق ، وانا باق يجدّد علي العذاب في مثل كل يوم اطلقوه فيه من الوثاق ، ثم اضربوا رقبتي بعد ان تعشروني بمقتضى قصتي ، فحمل الى الملك او بعض اصحابه وسأله من الرجل ؟ فقال علوي ، قال ما معنى قولك علوي ، قال المعنى فيه انني انتسب الى علي ابن ابي طالب ، قال ومن علي ابن ابي طالب ؟ قال اخو محمد رسول الله ووصيه ، قال الرومي فكيف جرى حال علي هذا بعد موت محمد ؟ قال قتل ، قال الرومي افكان له اولاد وذرية ، قال نعم واجلهم الحسن والحسين اللذان كانا من بنت رسول الله ، قال فما قصتهما ؟ قال سم الحسن وقتل الحسين وسبي اهله وذريته ، قال الرومي انحن الفاعلون ذلك بهم ؟ قال لا ، قال فمن ، قال المسلمون ، قال الرومي فانت يا انسان طوائلك في المسلمين وابوك واهلك ممن قتلوهم ، واتيت تغزو الروم الذين لا جناية لهم عليك ، لاي معنى ؟ فهذا وجه معاقبتك الذي سألت عنها وتحيرت لاشتباه وجه موجبها ، وكذلك انت يا شريف وطوائلك مع الحشوية والقصاص الذين هم الهادمون لمجدك ، والمنتقضون لابيك وجدك ، وانت تزرع المحبة في تربتهم ، وتميل الى جهتهم ، وتزحف بسلاحك وعدتك الى قتالي ، وتجمع حولك وقوتك نزالي ، وانا غصة في حلوق القوم، وشرقة لاشتهاري بنشر فضائل اهل بيتك واقامتي عمد قومك ، فما هذا لك بعلامة خير ، قال فاصفر وجه العلوي وتلجلج لسانه ولم يدر كيف يقوم ويقعد ،

فقال الملك اغربوا هذا التوبيخ والتقريع واثبتوا علىمسألة تتكلمون عليها ، فقلت ايها الملك معلوم عند الشريف وعند امثاله انني لا اصلح ان اكون مسؤولا لانه لا يمكنني ان ابو بحقيقة ما اسأل عنه فانني بزعمهم باطني ، واعترافهم بكوني باطنيا يمنع من مطالبتهم بحقيقة ما اعرفه فيجعلوني بالكشف عنها مثلهم ظاهريا ، وانما اصلح ان اكون سائلا فيردون الجواب الذي لا منعة دونه عندهم ولا حجاب، قال العلوي : اوما سمعت قول رسول الله صلع من سئل عن علم عنده فكتمه الجمه الله تعالى بلجام من نار ، قلت الله اكبر قد حصل ما نتكلم عليه ، ان الله تعالى اعطانا من حيث العقل بصيرة بها نستبصر ، كما اعطانا من حيث المشاهدة بصرا به نبصر، وقد عرفنا من شأن النار انها تفرق الاجزاء وتحلل الاجسام المجتمعة ، واللجام من النار الذي هو مجموع من جوهر منها يفرق اجزاء ما تسلط عليه ويحللها ليس يكاد يتمعنى لي ولا لمن له عقل ، وكلام رسول الله صلع الحق الذي لا يشوبه باطل ، وعسىان يكون ضرب فيه مثلا يحتاج الشريف ان يستصحه ويعرف المعنى الذي تقوم عليه بينة العقل منه ، فاما على مقتضى تصوره فيه لا يصح ، فقال اما تؤمن بقدرة الله سبحانه ؟ قلت كيف لا اؤمن بقدرة الله سبحانه وهذه السموات المبنية المرفوعة السمك والارض المدحوة الوسيعة العرض وما بينهما جميعا من صنائع حكمته وقدرته ، غير انه لما لم اجد فيها اللجام من النار تعجبت مما قال الشريف فطفقت اطالبه بالبينة عليه.

قال فاخذ الشريف لا يمر ولا يجيء في الجواب ، وتقطعت به الاسباب ، حتى صار القوم الوقوف من الحاشية والاستاذين يتضاحكون منه ويستهزؤون به ، والقوم المدسوسون لتذليقي والكلام في نوبتي والقصد لاحماء صدري حاضرون يهيمون في كل واد ، وانا لا اعبأ بهم ولا انصب لهم ، معرفة مني بكونهم مدسوسين، وعلى تذليقي محمولين، فقال الملك دعوا هذا الباب وتكلموا في امر الصيام ووجوبه على الرؤية او على غير الرؤية ، فقال العلوي يحكي عن رسول الله صلع انه جمع اصابعه الخمس وقال نحن قوم اميون لا نعرف الحساب الصوم مرة هكذا حتى استوفى في العد ثلاثين في ست مرات ، وانه جمع الاصابع مرة ثانية فلما انتهى الىالآخر نقّض واحدا من الاصابع ، ثم قال ومرة هكذا .

فقلت حاشا لله ان النبي صلع الذي شرفه الله بالمعراج واراه ما وراء الحجاب يكون من العي واللكن وان كان اميا ان لا يفصل ثلاثين من تسعة وعشرين بلسانه فيغني عن جمع الاصابع وتحريك اليد هذه الدفعات الكثيرة مما يقوم به راعي البقر والغنم ، ثم ان النبي صلع قال انا بطرقات السماء اعرف منكم بطرقات الارض، فلو انه صلع على كون هذا الكلام العظيم محصورا مثبتا يتكشف السماء في طلب رؤية الهلال لقام الناس لموافقته يقولون فاين هذا من قولك بالامس انك بطرقات السماء اعرف منا بطرقات الارض ؟ وسوى هذا فلو كان طلب الهلال شيئا يتعين وجوبه ولزومه لكان ذلك لنا خاصة ، ولكان هو صلع بالغنى عنه لكون جبرائيل يعتاده بالوحي وينزل عليه ، ولكان سؤاله جبرائيل هل اهلّ الهلال اولى به من التكشف للسماء لطلبه ، وفي مضماره التشكيك في امر نفسه وتعليل نزول الوحي عليه، ولو وجد واحد منا السبيل الى ملك من الملائكة يستفتيه ويستجيزه عن مغيبات الامور اكان يتكل علىنفسه في الطلب والاجتهاد؟ وهذا ما لا يقوم عليه دليل ولا برهان، قال فخزي العلوي من هذا الجواب خزيا قام وهو يتعثر بذيوله وانصرف كل منا الى داره .

وغشي الملك من غوا شي الحيرة والحشمة ان غدر بي وشراني بثمن بخس ما لم يسعه جلده فيه واتبعني نصف الليل باستاذ من حضرته محتشم صعد وصوب في الاعتذار عنه وتقطيع الخجل مترسلا منه ، ولما لم يجد الذين اغروا بين السلطان وبين المؤيد في الدين مغمزا يدخلون به معه في المناظرة ، وكلما راموا ربحا ابوا بالصفقة الخاسرة ، عادوا للجري في غير ذلك الميدان ، وشنعوا عليه عند الملك بالاشانيع انه استجمع الديلم، ويريد ان يفعل ويفعل ، واكثروا في ذلك المكر والجدال ، وبقي الملك مخافة بلوغ الخليفة العباسي بعض ما امله مع ما اصطنع اليه ، ووجه من الهدايا والالطاف له ، وخاشيا من ابعاده له بتسليط التركمانية عليه ، ومع هذا خوف الله سبحانه ضمير قلبه ، ويحتشم ان يقصد المؤيد في الدين بمكروه ، ولم يظهر منه ما يعتد عليه به ، وهو قد اخذ منه الصفقة في حفظه والمدافعة عنه ، وبايعه للمستنصر بالله ع م ، ثم ان الهوى غلب عليه فيما رامه ولم يملك العقل زمامه ، مع كثرة ما يتصل به من قول الساعين بالنميمة ، الرامين المؤيد في الدين بالامور العظيمة، وانه يجمع الجموع ، ويبطن غير ما يظهره من الكلام المصنوع ، وكان بين المؤيد في الدين ومن يكرهه في حضرة الملك منافرة كثر فيها منهم التشنيع ، وقام الملك من مجلسه معرضا لما سمع منهم هذا الكلام الفظيع ، واجتمع اهل النميمة بالقاضي وغيره، وحملوا العامة القيام على السلطان، والنداء اليه ، والصياح نحوه، والارجاف عليه، في انه قد انقذ الله الاسلام بالملك حين اعرض عن هذا الانسان، وابعده منه بعد القرب الذي منه كان، فحشدوا العامة ، وجمعوا الجمع العظيم من العامة والرعاع ، فاصطفوا يوم الجمعة من دار الملك الى المسجد الجامع يصيحون بالشكر للملك والدعاء على ما كفى به الاسلام عن عادية هذا الانسان، ويرمونه بالزور والبهتان، وارتجف قلب الملك لما سمع من صياح العامة وانها قد اجتمعت كلمتهم على هذا الرجل بتوجيه الملامة ، فحين انفض العامة وافترقوا ارسل السلطان الى المؤيد في الدين اثنين من بعض خواصه من الاستاذين يقول لا شك ان هذه الصيحة التي كادت تخرق الارض، وتشق الجبال ، وقعت في مسامعك وعلمت ان هذه الامم التي لا يحصيها عدد الا الله سبحانه اعداؤك وخصماؤك ، وكانوا اعداءنا فيك ايام كنا نقربك وندنيك، وينبغي الآن ان تاخذ لنفسك وبتبغي سبيل نجاتك ، وتأخذ اي صوب شئت.

قال المؤيد في الدين فقلت لهما قولا للملك خف ربا اليه ايابك ، وعليه حسابك ، واذكر ايامي عندك ومعك، فانك لا ترى فيها شيئا تذمه وتنكره ، ولي في رقبتك من امانة الله ما هو لازم لك لزوم القلادة ، فلا يخلصك احد من عهدته ولا ينجيك شيء من تبعته ، واما النفي فليس ذلك مما ترعبني به اذ كانت هذه النعم التي اتقلب فيها من ابتداء ايام مملكتك والى هذه الغاية قصدا بالروح والمهجة وسوما بسوء العذاب في كل حين وساعة ليس مما يضيق على انسان ان يوليها ظهرا ، ويملك عنها صبرا ، والسمع والطاعة لامرك ، ثم ان السلطان ارسل الى المؤيد في الدين قوما من اجلة اصحابه يعتذر اليه ويقول انه ورد كتاب الخليفة البغدادي بالعظائم ، فانظر فيه واعذرني فما كلفني الا ما تنشره من مطاويه ، وكان في كتاب صاحب بغداد سب الائمة الطاهرين، وتلقبهم بالمغاربة والطعن في انسابهم والقول بالمنكر والزور ، والتواعد للملك ابو كاليجار بتسليط التركمانية عليه فحين وقف المؤيد على الكتاب رمى به عنه وقال لا اعرف خليفة غير المستنصر بالله ، وهذا الكتاب لا حاجة لي بالنظر فيه ، ثم وصل ابن المسلمة رسول البغدادي وصحبته الهدايا من ثياب السقلاطون الرفيعة ، والاكسية الحسنة البغدادية ، وتماثيل الكافور وغير ذلك ، ثم واكثر ما اقترحه تسليم المؤيد في الدين الى يده ، ليحكم فيه بحكمه ، ويفعل فيه برأيه ، فحماه الله من بأسهم ، ولم يبلغهم ما في انفاسهم بفضل امير المؤمنين علي ابن ابي طالب والائمة من ذريته الطاهرين، وارسل ابن مسلمة صاحب الخليفة البغدادي الى المؤيد في الدين يلاطفه ويقول له انني اتعرف خبرك ، واتغمم لما نالك ، وانه استقر في نفسي ذكر فضلك في نفسك وعلمك ورجاحتك، غير ان تجاهرك بامر تستنفر به العامة على نفسك وتقيمهم على ساق في معاداتك وتستخصم معه الخليفة لانسان بمصر لا يضرك ولا ينفعك مما ليس له مدخل في العقل ، ولا يليق صدور مثله عن العقلاء والفهماء ، وينبغي ان تنزع عن هذا الرأي ، وما اشبه ذلك من القول ، فاجابه المؤيد في الدين وكان من قوله : ان الامر الذي انا بصدده امر دعاني اليه التدين به، واعتقاد اكتساب مرضاة الله سبحانه فيه ، وليس اعتقادي في هذا الانسان الذي هو بمصر وقلت انه لا يضرني ولا ينفعني كاعتقادك في مرسلك ، ولست اقف موقف المعتذر اليه في ذلك وان قتلت الف قتلة، ولم يكن لي في خدمة الملك فائدة فيصبو قلبي الى الرجوع لتلك الفائدة .

وما زال الملك يرسل الى المؤيد في الدين بالاقوال المحرجات ، ويحضه على الخروج عن كور مملكته لطلب الخلاص والنجاة ، حتى وافق المؤيد في الدين رجلا من امراء البوادي يسمى منصور بن الحسين فخرج المؤيد في الدين الى ناحية لتنطفي الثائرة التي من اجله شب وقودها، وقام علىساق عمودها ، وشرح لمنصور ابن الحسين قصته ، وما يعاني من السلطان مدته ، فبشره بما يسره ، ووعده ان وصل السلطان الاهواز ان يسعى في الاستصلاح ، ويدفع عنه الملك شره ، فحين وصل الملك الاهواز سار اليه الامير منصور بن الحسين شارحا لقصة المؤيد في الدين وخاطبه في امره ، وما يتصل به من المعتدين ، فافضى اليه الملك بجميع السرائر في ما احتالوا على المؤيد في الدين من المكر ، وما وجهوه اليه من الامر ، وشرح قصة المؤيد في الدين لمنصور كما كان له شرحها ، وبينها له مبرهنة واوضحها ، وقال ان اقبالي على هذا الرجل يباعد بيني وبين الخليفة، واني لذلك منه اوجس في نفسه الخيفة ، وكان قد وافق وفاة ملك بغداد الذي هو ابو طاهر ، وتأكدت رغبة ابو كاليجار في تملكها ، وكان ذلك شيئا لا يبلغه الا بنظر الخليفة اليه ونصره له فصار على ذلك يداريه ، وهو يعلم ان قول المؤيد في الدين هو الحق الذي لا شبهة فيه، ولكنه يداري صاحب بغداد ويتقيه.

واقام المؤيد في الدين سبعة اشهر في البادية مع امير الحلة منصور بن الحسين، وكان منصور المذكور يكتب الى السلطان في شأن المؤيد في الدين ، ويشرح له قصته ، ويسأله ان يقوم معه في نقض كيد الكائدين ، فكان من جواب السلطان له انك من الشفقة على ملكنا ودولتنا بحيث لا تعتمد لاحد هوادة فيها ، وترى مراعا ة زماننا في هذا الباب امس من مراعاة زمام كل نزيل عليك ، ومستند اليك ، وقد عرفت صورة المؤيد في الدين ابي نصر احسن الله توفيقه ، واننا كل يوم في صداع من جهة الديلم باحتجاجات باطلة يتشبثون بها ظاهرا وهو مغزاهم وغرضهم منها باطنا ، ثم انه قامت رغبتنا في بغداد وامتلاكها وليس يكاد يتم الغرض فيه الا بالمجلس الخليفي الامامي ، واذا استقر به العلم ان هذا الانسان مقيم بفناء حضرتنا على جملته كان ذلك ردما في وجه ما نؤثر بلوغه ، وحاجزا بيننا وبينه ، وقد انتهى الينا انه على معاودة الاهواز ، فالله الله ان توجده سبيلا الى ذلك فانه ان عاود وقعت فتنة نصلى بنارها صليا.

فحينئذ خرج المؤيد في الدين هبة الله بن موسى عامدا للكوفة وزيارة مشهد امير المؤمنين علي ابن ابي طالب والحسبن بن علي عليهما السلام وعلى الطاهرين من آلهما ، وقد نوى بعد ذلك التوجه الى الجهات المصرية ، والمصير الى الابواب الشريفة المستنصرية ، فقصد الكوفة وتبرك بقبر امير المؤمنين عليه السلام وبقبر الامام الحسين بن علي عليه السلام والتوجه بهما الى الله تعالى ان ينقع غلته ، ويشفي كربته ، وينتصر له من قوم سعوا له بالباطل ، ونصبوا له الحبائل، فلم يكن الا اياما قليلة بعد انتهائنا الى الحضرة الشريفة المستنصرية حتى دمر الله الباغين عليه ، واخلى منهم الديار ، وجعلهم طعمة للسيوف واكلة للدمار ، وذلك ان خواص الملك ابي كاليجار تأمروا ان يسقوه سما فمتى هلك اقاموا احد اولاده الصغار ، ورجوا ان يكون الامر امرهم ، والتقديم والتأخير لهم ، فجاؤا صبيا من استاذيه وعبيد مملكته فاعمله قصتهم ، وقال له ان الملأ يتأمرون بك ليقتلوك فتتبعهم السلطان قتلا ونفيا، ومنهم من قطع اعضاؤه قبل قتله عضوا عضوا ، وكانت تلك معجزة لامير المؤمنين علي ابن ابي طالب حين لاذ عبده المؤيد في الدين واخلص بالدعاء عند قبره ، والتوسل لديه فقضى الله على الظالمين الذين اجتمعوا عليه بالتدمير ، ورماهم بالنار العنقفير ، وقال الداعي المؤيد في الدين بالكوفة قصيدة :

ويا ليت شعري كيف ادرك العدى \* بتفريق ذات البين فينا امانيا

ااخواننا صبرا جميلا فانني \* غدوت بهذا في رضى الله راضيا

وفي آل طه ان نفيت فانني \* لاعدائهم ما زلت والله نافيا

فما كنت بدعا في الاولى فيهم نفوا \* وحسبي ان اغدو لجندب ثانيا

لئن مسّني بالنفي قرح فانني \* بلغت به في بعض همي الامانيا

فقد زرت في كوفان للمجد قبة \* هي الدين والدنيا بحق كما هيا

هي القبة البيضاء قبة حيدر \* وصي الذي قد ارسل الله هاديا

وصي النبي المصطفى وابن عمه \* ومن خصه للخلق مولى وواليا

ومن قال قوم فيه قولا مناسبا \* لقول النصارى في المسيح مضاهيا

فوا حبذا التطواف حول ضريحه\* اصلي عليه في خشوع تواليا

ويا حبذا تعفير خدي فوقه \* ويا طيب اكبابي عليه مناجيا

اناجي واشكو ظالمي بتحرق \* يثير دموعا فوق خدي جواريا

وقد زرت مثوى الطهر في ارض كربلا \* فدت نفسي المقتول عطشانا صاديا

ففي عشر ما نال الحسين ابن فاطم \* لمثلي مسلاة لئن كنت ساليا

ولي عزمة ان تمّم الله امرها \* الى القصد كان العزم للصدر شافيا

حلول بباب القصر يشفي لبانة \* لنفسي والفي نائي الانس دانيا

فاونس فيه نجم سعدي طالعا \* كما منه الفي ناجم النحس هاويا

بباب غدا حيث السماك حلوله \* اجل بل فوق السماكين عاليا

لمولى الورى المستنصر الكاشف الدجى \* وصفوة من يغدو على الارض ماشيا

ومن ضمت الدنيا من وطأ الثرى \* واشرف من اجرى العتاق المذاكيا

امام يمدّ الشمس نور جبينه \* كما جود كفيه يمدّ الغواديا

حوى كفه فيضي نوال وحكمة \* غدى بهما يحيي العظام البواليا

ولا يأس من روح الاله بان ارى \* على جد عزمي فيه جدا مؤاتيا

فانفض عني كل هم ببابه \* واختم من ايام عمري البواقيا

فيا شامتا بالنفي لي كفّ انني \* عقدت به فوق المعالي معاليا

اآل علي كم وكم في ولائكم \* قصدت وكم فيكم لقيت الدواهيا

وكم قد طويت البيد فيكم مسافرا \* وكم بتّ من روحي على اليأس طاويا

فلم يثن وجه العزم لي عن ولائكم \* وكيف ارى عنكم لوجهي ثانيا

وانتم عمادي في معادي وعدتي \* ومثوى رجائي كي تغيثون راجيا

وانتم هداة الدين يهدي بهديكم \* الى نهجه الوضاح من كان غاويا

اغيثوا وليا خاض في بطشة العدى \* بحبكم بحرا من الهم طاميا

وفكوا ابن موسى من ضنى الهم والجوى \* فقد صار من لبس الضنا متلاشيا

وكونوا لمن آذاه خصما فانه \* على عجل لا شك يلقى المهاويا

عليكم سلام الله يا آل احمد \* مدى الدهر ما تبدو النجوم سواريا

ثم ان الداعي المؤيد في الدين نضر الله وجهه بعد ان شفى صدره بالزيارة ، وبلغ منها مراده متبركا بقبة حل فيها شريف جسد امير المؤمنين علي ابن ابي طالب وزيارة ابنه الحسين بن علي عليه السلام توجه الى قرواش صاحب الموصل وهو في ملك وعز وقوة وبأس ، وعزم وبسطة وسطوة ، وهذا قرواش هو الذي مدحه بعض الشعراء بعد هجو فقال :

وليل لوجه البر فبعدي ظلمة \* وبرد اعانيه وطول قرونه

فسريت به والنوم عني مشرد \* كعقل سليمان بن فهد ودينه

على اولق فيه التفان كأنه \* ابو جابر في خبطه وجنونه

الى ان بدى وجه الصباح بنوره \* كعزة قرواش ونور جبينه

وهذا الشعر مما وصف فيه حسن التخلص في الهجاء ثم الى المدح وشبه فيه عزة قرواش بنور الصبح .

وكانت قد انتهت الى قرواش من الحضرة النبوية المستنصرية خلع شريفة بتضي له بالتشريف ، والقاب كريمة ترفع قدره في المكان الزليف ، فوافاه المؤيد في الدين ورجى ان يشحذ في ولاء اهل البيت غزارة ، ويدله على سبيل التوبة التي يرحض بها اوزاره ، فوجده قد طبع الشيطان على قلبه ، ومال بما صار اليه من الدولة النبوية الى العباسي متقربا به ، فحينئذ اعرض عنه المؤيد في الدين وتوجّه الى باب امامه ، والمّ بحضرته الشريفة ليشفي ببرودها حر اوامه ، فجرت امور في سيرته ذكرها يطول شرحها ، ويبعد غورها ، من امتحان يقضي له في رتب الايمان بالعليا في المكان الاطول ، لقول النبي صلع اعظم الناس امتحانا في الدنيا الانبياء ، ثم الاولياء ، ثم المؤمنون الاول فالاول ، والافضل فالافضل ، وسوف نذكر قصة وروده الى الحضرة ، وما كان على يديه من ظهور امر الامام المستنصر بالله عليه السلام ببغداد وغيرها ، وكيف اتاح الله نصره ، وبذكر ما انتهى اليه عند اولياء الله من المقام الاسنى ، والقدر الذي قصر عنه كل ولي ، بعون الله سبحانه وفضله ومنه

والحمد لله حق حمده ، وصلى الله على محمد خير رسله ، والخلفاء الطاهرين من بعده، وسلم وكرم وشرف وعظم ، وحسبنا الله ونعم الوكيل .

وكان الفراغ من كتابه هذا السبع السادس من عيون الاخبار على الكمثثيوتر في اليوم الثامن من شهر رجب الاصب احدى شهور سنة الف واربعمائة واربعة وعشرين من الهجرة النبوية سلام الله على صاحبها ببركة دعاء مولانا داعي الله الامين المؤتمن منصور اليمن سيدنا محمد برهان الدين اطال الله بقائه الشريف الى يوم الدين في مدينة سورت حسبنا الله ونعم والوكيل ونعم المولى ونعم النصير ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم .

786

كتاب عيون الاخبار

للداعي الاجل سيدنا ادريس عماد الدين رضوان الله عليه

السبع السابع

بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين في جميع الامور

الحمد لله العزيز الحكيم ، وعلى سيدنا محمد وآله افضل الصلوة والتسليم ،

تمام قصة امير المؤمنين المستنصر بالله صلى الله عليه وعلى آبائه وابنائه الاكرمين الطاهرين ، وسلم عليهم اجمعين ،

وفي سنة تسع وعشرين ورابع مائة ثار الداعي السلطان الاجل علي بن محمد الصليحي باليمن قدس الله روحه مظهرا للدعوة المستنصرية ، ناشرا لفضائل الدعوة العلوية الفاطمية الحسينية ،

وكانت الدعوة بجزيرة اليمن بعد الداعي ابي القاسم بن الحسن منصور اليمن، فانها كانت وصيته بالقيام في دعوته الى الداعي عبد الله بن العباس من بني شاور ، وهاجر جعفر بن ابي القاسم كما قدمنا ذكره الى المغرب الى حضرة الامام ، وقام بعد عبد الله بن العباس الداعي يوسف بن موسى بن ابي الطفيل ، ثم قام بعده عبد الله بن بشر من وادي قطابه من قدم بن قادم بن زيد بن عريب بن جشم بن حيوان بن ايوب بن همدان والذين ملكوا ملوكا في الاعمال ، داعيا الى الامام العزيز بالله ابن المعز لدين الله صلوات الله عليهما ، واستخلف بعده الداعي محمد بن احمد بن العباس من بني شاور ، وهم من قدم ، ثم ان الداعي هارون بن محمد بن رحيم من قدم ، وبعده الداعي يوسف بن محمد بن الاشح من حمير من مدينة شبام حمير ، وخلفه في الدعوة سليمان بن عبد الله الرواحي ، نضرالله وجوههم ، ولم يقم احد منهم الا باستخلاف من تقدمه وبامر الائمة الطاهرين صلوات الله عليهم ، وهذا سليمان الرواحي من حمير ، وكان له حصن كوكبان وهو من قديمة البناء ، و كانت مدينة شبام حمير لصاحب كوكبان ، وهي من مدائن اليمن القديم عهدها ، الحسن مرآها ، الكثير جندها ، وهي اليوم قد دثر اكثرها ولم يبق منها الا قليل ، وفيها مسجد حسن جامع ، وكان مقام سليمان بن عبد الله الرواحي في حصن كوكبان ناشرا لدعوته ، هاديا الى ولاء ائمته ، وجدّد دارا لخراطيم في كوكبان، وجعلها مقره في ذلك الاوان، وفي ذلك يقول بعض الشعراء يمدح السلطان علي بن حاتم بن عمران الحميد اليامي لما ملك كوكبان من قصيدة حيث قال :

اشر قت حجرة الصباح وقالت \* هكذا كنت حجرة للصباح

ورأى مجلس الخراطيم ملكا \* ما رآه الا بعصر الرواحي

وكان الداعي سليمان بن عبد الله يتلوح في الداعي علي بن محمد الصليحي مخائل النجابة ، ويرى فيه دلائل الفضائل وهو في اوان الاستجابة ، فرقّاه في مراتب العلم ، واختصه باليمن على اهل الادب والحلم ، فحين استكمل هديه ، ونال منه الغرض والبغية ، جعله خليفة في مقام الدعوة ، وارقاه من مرتبته الى الذروة ، وطالع حضرة امامه في امره ، فاتيح له ان يفضي اليه بمكنون سره ، وكان محل ابيه محمد بن علي الصليحي في قرية تسمى قتر من اعمال حراز في سفح جباله مما يلي جبلا يتصل بسردد ، وهي قرية آثارها الى اليوم معروفة، وكان ابوه محمد بن علي الصليحي يدعى قاضي حراز ، وله طاعة وتقدمة ، وهو مشهور بالرياسة مرفوع المنزلة، فحين اتصل ابنه علي بن محمد الصليحي بالداعي سليمان بن عبد الله الرواحي وارقاه الى مقامه ، وجعله الخالف له بعد انقضاء ايامه ، فقام بعده بالدعوة الى الامام الظاهر لاعزاز دين الله ، ثم الى الامام المستنصر بالله ،

وكان يختلف للحج الى مكة المشرفة، ويجتمع هو ومن يأتي للحج من اهل دعوته ، ويفاوضهم في قيامه ، الى ان اجتمع على القيام معه امرهم ، واتفق عليه سرهم وجهرهم ، فكان سبب قيام الداعي علي ابن محمد الصليحي ان الظالمين بسطوا ايديهم في اهل دعوته بالقتل ، والسنتهم بالسب والثلب، فلم ير الصبر على ذلك مع ظهور دعوة امير المؤمنين المستنصر بالله صلوات الله عليه في الاقطار ، وما قضى الله لامره في اكثر الجزائر من الاظهار ، فاجمع ان يثب الى جبل مسار ويعمره ، وهو جبل رفيع في حراز مطل على الخبت المتصل بتهامة ، ولا يعلوه من جبال حراز الا جبل شبام ، ومسار اكثر اتصالا بتهامة ، فطالع بذلك الحضرة النبوية ، وكتب الى امير المؤمنين يسأله الاذن له في القيام ، وعاهد اهل دعوته في نواحي اليمن بمكة كما ذكرناه ، ووعدهم ليويم معلوم ، ورجع وهو قويّ العزم على القيام ثابت البصيرة ، وبقي منتظرا لامر الامام عليه السلام ، فشاع الامر بذلك وذاع واشتهر ، فعند ذلك ازدادت بسطة الاعداء في اهل دعوته ، ووثب ابن ابي جهور صاحب لهاب على من كان في ناحيته فاسر عدة من اصحاب الصليحي وخلصاء التابعين له منهم القاضي الاجل لملك من مالك الحمادي ، فضاق الامر على الداعي الامير علي بن محمد الصليحي ، ونام ليلة وقد امتلأ قلبه من الغم، فرأى في منامه كأن الامام المستنصر بالله صلوات الله عليه في مكة ، وكأنه واقف بين يديه يردد الشكوى باستطالة الظالمين على دعوته ، وهو يستأذنه في القيام عليهم واظهار كلمته ، فرأى من امامه صلوات الله عليه اقبالا عليه ، ونظرا بما يسره اليه ، وكأنه اذن له في عمارة حصن مسار واسعفه الى سؤاله، وقال له ستملك جزيرة اليمن برها وبحرها ، ونجدها وغورها ، فابشر بذلك وثق بالله وبنا ، قال الداعي الاجل علي بن محمد فيما روي عنه ودعى له وللمؤمنين بالنصر والظفر، قال ثم رأيته في المنام امر رجلين رأيت لهما هيئة حسنة بقضاء حوائجي كلها جميعا ، وانتبه الداعي علي بن محمد الصليحي من منامه فرحا مسرورا ، جذلا مستبشرا ، واخبر الرسل الذين في حضرة الامام عليه السلام بعد رجوعهم ان في صبح تلك الليلة قضيت من الامام عليه السلام حوائجهم ، وفاضت منه النعم اليهم ، واذن لهم بالمسير ، و جوّب لهم امير المؤمنين بالاذن للداعي في القيام ، ووعدهم له بالظهور ، وحين اصبح الداعي من ليلته التي رأى فيها ما سرّه في المنام ، امر رسلا الى اهل دعوته يحثهم على الوصول اليه والمبادرة نحوه ، واشترى العدة واللباديد ، ووعد اهل دعوته بالوصول في ليلة سماها لهم، وارسل الداعي علي بن محمد لكبراء اهل دعوته من اهل نواحي حراز وجمعهم اليه ، فجاؤا اليه مسارعين، ولامره طائعين، فوصل اليه من اهل هوزن سليمان بن القسم بن دلي وعبد الرحمن بن سبا بن ابي سهيل ، ومن لهاب قاسم والحسين ابنا عبد الله ابن احمد وخواية بن ابي القبائل وصبا بن عباس وعبد الله بن ابي المعدل وعبد العزيز بن علي ، ووصل اليه من بني قليد اهل شذب عراف بن محمد ومحمد بن الحسين ، ومن المقافعة سويد بن احمد ، ومن الموجب ابو الجماهير وابو العشيرة ابني قليد الهجري ، وابو الحسين بن ابي العشير وحمير بن عبد الله ، ومن الصعفان التبع بن محمد بن ابي يعلاء وبسام بن قحطان بن ابي يعلا وابو الحفاظ بن عبد الله بن ابي يعلا وسليمان وعبد الله ابني كنعان والمدرمح وكفيعي ابني ابي العشيرة ، ووصل اليه من بني الصليحي يعلاء بن المظفر الصليحي ، وجماعة من اهل بيته ، وهؤلاء هم اعيان اهل الدعوة في ذلك الاوان بحراز ، وكبرائهم المنصوبون فيهم من قبل الدعاة ، فلما وصلوا اليه اشعرهم بما في مرامه ، وبشّرهم بما رآه في منامه ، واخبرهم انه قد امر لاهل دعوته الى النواحي ، وازمع على عمارة جبل مسار و اظهار دعوة ولي الله صلوات الله عليه ، والجهاد في سبيل الله ، فاستبشروا وسرهم ما ازمع عليه ، وايقنوا بالعز والغلبة والقهر والظفر، واجابوه بما جذل به واستبشر ، وساروا للاهبة وجمع ما استطاعوا من العدة ، وجمعوا للداعي ما يستعين به في القيام ، وتواصوا ببذل النفوس والاموال في طاعة الله وطاعة الامام عليه السلام ، وجاء بنو الصليحي بخمسمائة دينار ، و سويد بن احمد صاحب المقافعة بمائة دينار ، واهل لهاب بالف دينار ، وبنو قليدي بثلاثمائة دينار ، واهل هوزن بخمسمائة دينار ، فاوصلوا ذلك الى الداعي علي بن محمد الصليحي ، فاثنى عليهم ، وشكر سعيهم ، وقال لهم سوف يضعف الله لكم اضعاف ما سلمتم وليمكنكم الله ديار الظالمين، ولتنالوا ما ترومونه ببركة امير المؤمنين ، ووافى الداعي الصليحي اهل دعوته من جميع النواحي في يوم واحد ، وذلك آخر نهار الاربعاء حين صلوة العصر لاربع عشرة ليلة خلت من جمادى الاولى ، وهي الليلة التي رسم لهم ان يوافوه بها ، وكان السلطان علي بن محمد الصليحي قد اعدّ لهم القرى ذلك اليوم وجماعة ممن يراه يفعل ذلك يعجبون من امره ، ويقولون اتراه قد ايقن ان ضيفا يأتيه من مكان ، فما كان ساعة الا وقد وصلوا من السراة من ارض يام خلف صعدة ومن بلاد همدان من نواحي صنعاء ومن ارض حمير وغيرهم ، فاحضر لهم القرى ساعة وصولهم ، وكان الواصلون اليه ثلاثمائة رجل غير من وصل اليه من نواحي حراز ، وارسل الداعي من اهل هوزن اربعين رجلا ، وامرهم ان يسيروا الى مسارمن ليلتهم ويلزموا ذروة الجبل ، ويكون طريقهم من ناحية صعفان، اذ كان اهل مسار قد تأهبوا وحرسوه من كل ناحية حوله غير ناحية بيت معجل ، فطلع الاولياء منه ، وسار الداعي علي بن محمد الصليحي قاصدا لمسار بعد صلوة العشاء في الليلة المصبحة عن يوم الخميس لخمس عشرة ليلة خلت من جمادى الاولى بجميع من معه ، ولقيه اهل المقافعة واهل الموجب الى مناخه واغار اهل بيت عتاد وهي قرية كانت بين جبل شبام وعز اليعابر لم يبق منهم الا آثارها، ومعهم جميع اهل كرار الى مناخة ليحفظوا النقيل ، فوجدوا علي بن محمد الصليحي قد علاه ، ومن معه قد تعقب الداعي الصليحي ، وقومه على اعقاب العسكر وجدوا في السير خشيه ان يسبقهم اهل كرار ، وانتهى الداعي الى عبرى سهام ، ووافاه هنالك بنو قليد وكانوا قد ارادوا ان يطلعوا مسار من ناحيتهم من شذب ، فمنعهم الحرس، وطلعه اهل هوزن الذين امرهم الداعي الصليحي من ناحية بيت معجل ، وطمع اهل مسار ان يقاتلوا العسكر بناحية عبرى سهام ويمنعوا الجبل، فطلع عليهم عسكر الداعي وقد لبسوا السلاح واللبابيد ، ولم يطيقوا منعهم، فعاد اهل مسار لائذين بقلة الجبل ، فاصابوا اهل هوزن اصحاب الداعي فيها ، وضربوا طبولهم ، فانقلبوا على اعقابهم ، وهربوا عن ديارهم ، وصعد الداعي وملك الجبل بغير قتال ، وذلك في آخر الليل، فلما اضاء الصبح وطلعت الشمس امر بنشر بنود كانت معه من عهد الدعاة الذين قبله فنشرت على رأسه، وطلع بعسكره الى حصن مسار وامر بعمارته ، وكان عاطلا لا سكن فيه ، وانما كان السكان بسفحه ، وابتدأ بعمارة قلته حين وصوله صبيحة يوم الخميس للنصف من جمادى الاولى سنة تسع وعشرين واربعمائة على ثلاث ساعات مضت من النهار ، واجتمع سائر من في حراز لحرب الداعي الصليحي واهل دعوته الى مسار وبلاد بني الصليحي، وكتب الداعي كتابا وامر ببثه في جوانب حراز ، ونسخته :

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي اورى زناد الحق ، ورفع عماد الصدق ، بالذين اكمل بهم الحجة على الخلق، وانار بهديهم ما بين الغرب والشرق ، الهداة الى الخير والادلة ، الدعاة الى اشرف المنهاج والملة ، خلفاء انبيائه ، وامنائه واصفيائه ، وسلالة رسوله من لدن آدم عليه السلام، وصل نطامهم ، واعلى مقامهم ، وفتق بالنور ايامهم ، نشر بالعدل اعلامهم ، فهم اعلام الدين ، والدعاة الى الحق المبين، الشيعة الميامين، والسلالة الطيبون آل طه وياسين،

وصلواته على من ختم به الرسالة ، وفتح بالائمة من عقبه ابواب الدلالة ، سيدنا محمد وعلى اخيه ووصيه علي، والائمة من نسل مولانا الحسين الزكي، ورثة التنزيل ، وخزنة التأويل ، وافضل صلواته ، وانمى تحياته وبركاته ، على وارث علمهم ، والقائم من بعدهم ، بقية السلف ، وخيرة الخلق ، مولانا معد ابي تميم الامام المستنصر بالله امير المؤمنين ، صلوات الله عليه وعلى خلفه وسلفه ،

اما بعد ،

يا اهل حراز ، الهمكم الله رشدكم ، وجعل الجنة قصدكم ، فلم اطلع الى حصن مسار متجبرا باغيا ، ولا متكبرا على العباد عاتيا ، ولا اطلب الدنيا وحطامها ، ولا طالبا املك غوغائها وطغامها ، لان لي بحمد الله ورعا يحجزني عن ما يطمح النفوس اليه ، ودينا اعتمد عليه ، وانما قيامي بالحق الذي امر الله عز و جل به ، والعدل الذي انزله في محكم كتابه ، احكم فيه بحكم اوليائه ، وسنن انبيائه ، وادعو الى حجته في ارضه ، والقائم بفرضه ، لست من اهل البدع ، ولا من ذوي الزور والشنع ، الذين يعملون في الدين بآرائهم ، ويحكمون باهوائهم ، بل انا متمسك بحبل الله المتين، عامل بما شرع الله في الدين، وداع الى امير المؤمنين ، عليه صلوات رب العالمين، لا اقول الا سدادا ، ولا اكره في الدين احدا ، فمن اهتدى فانما يهتدي لنفسه ومن ضل فانما يضل عليها وما الله يريد ظلما للعباد ،

واعلموا يا اهل حراز اني بكم رؤوف ، وعلى جماعتكم متحنن عطوف ، للذي يجب علي من رعايتكم وحياطتكم ، ويلزمني من عشرتكم وقرابتكم ، اعرف لذي الحق منكم حقه، ولا اظلم سابقا سبقه ، و انصف المظلوم ، واقمع الظالم الغشوم ، وابث فيكم العدل ، واشملكم بالفضل ، فاستديموا ذلك بالشكر ، ولا تصغوا الى قول اهل النكر ، الذين هم من بقايا اهل الكفر، فيحملونكم من ذلك على البغي والعدوان، والخلاف والعصيان، وكفر الانعام والاحسان، تستوجبوا من ذلك تغيير الانعام، وتعجيل الانتقام ، وكتابي هذا حجة عليكم ، ومعذرة عليكم ،

والسلام على من اتبع الهدى ، وتجنب موارد الردى ،

والحمد لله على ما اعاد وابدى ، وصلواته على من ارشد به من الضلالة وهدى ، سيدنا محمد النبي وآله الائمة الشهداء ، وسلّم تسليما وحسبنا الله ونعم الوكيل .

وكان رسل الداعي الصليحي الراجعون من الحضرة الشريفة النبوية المستنصرية ليلة طلوعه جبل مسار ممسين في المهجم ، فوصلوا اليه وهو بحصن مسار لسبع عشرة ليلة خلت من جمادى الاولى ، وبعد يومين من طلوعه حصن مسار ، واوردوا جواب امير المؤمنين عليه السلام يأمره بالقيام ، ويعده بما ييسره الله من الفتح، ويهيء له من النجح ، فسر بذلك الصليحي والمؤمنون قبله ، وعلموا ان سوف يبلغ الله داعي وليه امله، وما زال الناس يتألبون ، وبخيلهم ورجلهم يجلبون ، وجاء جعفر بن ابي الهاشم الشريف الرسي الى حصن الاخروج فقاتل اهله ، وكان فيه الحسين بن مهلهل من اصحاب الداعي الصليحي، ومعه جماعة من همدان وبني شهاب، وكان القتال مستمرا بينهم ، واجتمع لجعفر بن عباس عساكر عظيمة من اهل نواحي حراز وكرار وغيرهم من اهل البأس ، والشدة والمراس ، فجاء بهم قاصدا الى عبرى سهام اسفل جبل مسار ، واراد طلوع جبل مسار ، فنزل اليهم اصحاب الداعي الصليحي ووقع بينهم قتال شديد ، وكثر القوم على اصحاب الداعي وخاف الهزيمة عليهم ، فنزل بنفسه ومن بقي معه ، واتفق القوم فاقتتلوا قتالا شديدا ، وكرّ الداعي ومن معه على جنود بن عباس ، و اتاح الله لهم الغلب عليهم وولوا منهزمين ، وقتل ابن عباس وجماعة ثبتوا معه ، ولم يزل الاولياء يتبعونهم بالقتل ، وتفرّقوا في كل ناحية، و اووا الى كل جبل ، وما زال القتل فيهم حتى اعتلقوا بجبل شبام وبيت عتاد ، احصي من قتل من الجموع الذين هزمهم الداعي الصليحي واصحابه الف قتيل ، وانتهب الاولياء من السلاح والعدة والامتعة ما لا يحصى ، وبلغ ذلك الشريف الرسي وهو بحصن الاخروج ، فنجى بنفسه وترك ما كان معه ، وكأنما كان فيهم صيحة ، وكانت تلك الوقعة في شهر رمضان من سنة تسع وثلاثين واربعمائة ، فبلغ خبرها الى نواحي اليمن، وعظمت الهيبة في قلوب سلاطينها ورؤسائها ، وكتب الداعي الى القائد نجاح صاحب زبيد وتهامة يلاطفه ويداريه ، اذ كانت قد بقيت له مدة قليلة حتى استوفاها ، وبلغ من ايامه منتهاها ، واجتمع اهل حراز كافة للصليحي ، و دخلوا في امره طوعا وكرها ، خلا ابن جهور فانه اقام على الخلاف في لهاب ، وامر الداعي الصليحي السلطان عامر بن سليمان الرواحي ، فطلع جبل شبام وبيت عتاد ومعه جماعة من بني قليد ومن هوزن وبني الهجرى ، ووصل اليهم بعد ذلك احمد بن مظفر وجماعة من الحجازيين، فيهم عباس بن الكرم ، فعمروا دارا في قلة شبام وجبل بيت عتاد ، وهو العز ، وذلك في سنة تسع وثلاثين واربعمائة ،

ومسار وشبام جبلا حراز الرفيعان، وطوداه المنيعان،

وحارب الداعي ابن حهور صاحب لهاب حتى اخرج القوم الذين سجنهم من اصحاب الداعي ، وفيهم القاضي الاجل لمك بن مالك الحمادي ، فوصلوا الى الداعي وهو في حصن مسار، وندم ابن جهور على اطلاقهم ، واجتمعت له جموع كثيرة ، فعاد لحرب الداعي الصليحي ، وما زالت بينهم حروب ، وامر الداعي يقوى ويظهر ، وامر ابي ابي النور يخمل ويضعف ، وكاتب ابو النور نجاحا صاحب تهامة ، فارسل الى الداعي الصليحي يذكر له حصن ابي النور ، وانه قد صار اليه ، فاجابه الداعي بما وافقه ، وقال ان سلم اليك الحصن تركت اعتراضه واعرضت عنه ، والا علمت ان قوله غير صحيح ، فتوجّه الى ابي النور رسل نجاح وطلبوه تسليم الحصن فغالطهم ووضح لهم منه الزور في قوله ، فرجعوا عنه الى القائد وعرفوه قصته ومغالطته ، فشكر الداعي الصليحي واعرض عن ابي النور ، وما زال ابو النور في محاربة الداعي ، فلما تمادى في بغيه وتناهى في غيه ، امر الداعي بعمارة جبل حمضة ، و ارسل عساكره فحاصروا ابن جهور في حصنه ، قيل هو زيادة ، وملكوا جميع لهاب عنوة ، فلما ضاق بابن جهور المجال ، وساءت به الحال ، ولم يجد مغيثا ولا نصيرا ، ولا معينا ولا ظهيرا ، جاء الى الداعي تائبا متنصلا ، ووصل الى حصن مسار ، فانزله الداعي في موضع منه ، واجرى عليه ، واحسن اليه ، وسلّم حصنه الى الداعي ، ونقل اولاده الى حصن مسار ، فعظم امر الداعي علي بن محمد الصليحي واستقامت له الامور ، وانصلح له الجمهور ، فامر بجمع اهل حراز كافّة ، ونزل اليهم الى عبر دعاس بنفسه بعد ان ترك في مسار من يحفظه ويحرسه ،

وحدّثهم وابتدأ في اول كلامه ومقاله بحمد الله على جزيل انعامه وافضاله ، والصلوة على نبيه محمد والطاهرين من آله ، ثم ابتدأهم بالكلام وامرهم بتقوى الله عز وجل ، ونهاهم عن ارتكاب معاصيه ، وامرهم بالصلوة واقامة فرائض الدين وعمارة المساجد وايقاد المصابيح فيها واقامة الصلوة في جميع اوقاتها ، ولم يرخّص لهم في التعاون بشيء من فروض الدين ، بل شدّد في ذلك عليهم ، واعلمهم بممثولات هذه الفرائض ، وذكر لهم بعد ذلك ان الامر الذي قام به ليس هو من امر الدنيا ، ولا مراده فيه كمراد سلاطين الدنيا ، بل قام موثرا لأمر ولي الله وابن نبيه ، ومجاهدا في سبيله غير مكره لاحد في الدين، ولا طالب الا رضى الله رب العالمين ، و حذّرهم الخلاف عليه والشقاق ، وذكرهم انعامه عليهم وصفحه عنهم ، وانه لم يؤاخذ احدا منهم بقبيح فعله، و حذّرهم ونهاهم وكرر عليهم الوعظ في ذلك المحضر ، ووعدهم اذا استقاموا على الطاعة بالاحسان والفضل ، وعرفهم انه لا يسير فيهم الا بسير الحق والعدل ، وانه مجبول على ذلك ، مقتد بسير الائمة وافعالهم صلوات الله عليهم ، وتقدّم الى العمّال في ذلك المحضر واوعدهم بالتنكيل ان رفع اليه شيء مما نهاهم عنه ، ووعدهم بحسن السياسة ، وانه لا يخالف الكتاب والسنة ، وامر جميع الرعية ان يرفعوا اليه ما يكون من العمال من فعل قبيح او حسن حتى ينزل بهم من انعامه وعقوبته بحسب افعالهم ، ثم قال لهم ان مولانا الامام صلوات الله عليه قال للرسل الذين كانوا عنده ، ابلغوا السلطان الداعي عني السلام ، وقولوا له اني لا ارضى له ان يقتصر على ملك حراز والحصن الذي يملكه فيها ، وهو يملك حصون اليمن قاصيها ودانيها عن قريب ان شاء الله .

وذهب عمران ابن الفضل اليامي وعباس بن المكرم السنجاني ومن معهما من اهل الحجاز فجاؤا الى الداعي الصليحي باهلهم واولادهم ، فرحّب بهم واسكنهم في مسار ونواحي الجهات الحرازية ، وكان مما حرّضهم و حضّهم على ذلك وقوع الخلف في بلادهم ، وكان وصولهم مما زاد في قوة الداعي الصليحي ، وكانوا له على ما يريد ، ووجّه السلطان عامر بن سليمان الرواحي لاهله واولاده فسكن بهم مع الداعي علي بن محمد في حصن مسار ، واجتمع المؤمنون هنالك خلق كثير وجم غفير ، واجرى عليهم الداعي النفقات الواسعة ، والكفايات المتتابعة ، و اجرى السلطان الداعي الصليحي العدل ونشره ، وبثه واظهره ، وضم الى كل ماذون من دعاته من يليه من المستجيبين ، والمؤمنين المخلصين ، وامرهم بالمصابرة وقلة الغفلة عن امر دينهم ، وان لا يجري منهم تفريط في شيء من امر الشريعة، واجرى مصالحهم في دينهم ودنياهم الى دعاتهم وقصر كلا منهم على الاخذ من داعيه، وكان جماعة من المؤمنين يحضرون حضرته ، ويقرأ عليهم من علوم اولياء الله ، ويحضهم على الخير ويرغبهم فيه ، ويعظهم ويجلو قلوبهم ، ينتفعون بذلك ، وتصلح امورهم ، وامر المؤمنين والدعاة باقامة الفرائض والنزاهة والعمل الصالح ،

قيل لقد بلغه عن قوم من اهل دعوته تفريط في عمل الشريعة ، فامر باحضارهم وكافة اهل البلد والذين وصلوا من البلدان البعيدة من المؤمنين الى حصن مسار ، وظهر بهم الميدان ، فاخبرهم بما تناهى اليه منهم من انهم فرّطوا فيما امرهم به من الاقبال على الاعمال الواردة في الشرع ، وخالفوا بعض ما فيها من الوضع ، فاعظم النكر عليهم والشدة ، ثم انه اقبل على دعاتهم فقال ان الذي بلغني عن قوم ممن يتصل بكم هو يغضب اولياء الله ووليه ، وانا اغضب مما يغضب الله ، فمن كان مني لم يتعد شيئا من الدين ، ولم يتعرض لسخط رب العالمين، ولم يخالف منهاج مولانا امير المؤمنين ، ومن لم يكن مني اخرجته من جماعتي ، ونفيته من بلدي ، واجريت عليه من الحكم ما يجري على مثله من المعتدين، فعاذوا بالله وبوليه من كل ما يسخطه ويغضبه ولاذوا به ، واستغفروا الله من جميع ما يعلمون وما لا يعلمون ، قال لا اصدّكم حتى يلزم كل داع بصلاح من تحت يده ، ويضمن ما يجري ممن كان في جهته ، فمن كابر او عاند رفع امره الي انزلت به ما يستحقه ، ففعلوا ذلك وحسنت احوالهم ، وطابت قلوبهم ، وصحت ديانتهم ، وحرّم عليهم ان يتناولوا من مصالح دينهم ودنياهم شيئا ولو صغر الا باذنه ، وكان يأمر كل دعاتهم بالحضور الى داره فيعظهم ويذكرهم ويبصرهم ويقربهم ويدنيهم ، ويصلي بالجماعة من المؤمنين في كل جمعة ، ويتلو عليهم بعد الصلوة ما تيسر من العلم والحكمة ، ويدعو في عقب كل صلوة بما يستحب من الدعاء ، فيزداد بذلك كل مؤمن بصيرة ، وينجلي عن قلوبهم كل صدأ وغمرة،

وحين ملك الداعي الصليحي جبال حراز وما والاها ، ودان له اقصاها وادناها ، خافت ملوك تـهامة والجبل من بأسه ، واضطربت امورهم خوفا من شدة مراسه ، وملك حصون حضور وما والاها ، وكانت بينه وبين صاحب صنعاء يحي ابن ابراهيم الصحاري مواصلة ومراسلة الى ان مات يحي ، وارسل الداعي بعض صحابه وبني عمه الى صنعاء يعزي ابا حاشد بن يحي في ابيه ويلاطفه ، و احسن الداعي اليه كما كان يحسن الى ابيه من قبله ، فاجتمع سلاطين اليمن وراجعوا صاحب زبيد نجاح القائد ، فوقعت مراسلة بين القائد وصاحب صعدة ابي الفتح بن الحسين في ان يصل الى صنعاء ويملكها ، فجاء ابو الفتح وادعى الامامة واجابه بشر كثير من الناس ، ومذهبه مذهب الزيدية ، وتسمّى بالناصر لدين الله امير المؤمنين ، وكان له قذع من القول وسب للصليحي ، وتلك شيمة الكثير من ائمة الزيدية ، يثلبون الكرام ، ويطعنون في اعراض اهل الرياسة ويرمون المؤمنين بغير ما اكتسبوا تدليسا على العوام ، وصدا عن اتباع اولي الاحلام ، ويستعملون الافك والاشانيع ، ويشهدون بما لم تر اعينهم من الامر الفظيع ، قد جعلوا ذلك دينا وديدنا ، واروا اتباعهم قبيحه حسنا ، ولم يتسبب لابي الفتح ما حاول ، ولا بلغ الامل ، ولا زادت مكاتبته لصاحب زبيد على ان افسدت ما بينه وبين الداعي الصليحي ، فصارت بين الداعي وبين نجاح وحشة بعد الانس والمراسلة والمهادات ولين المخاطبة ، واصدر نجاح عسكرا كثيفا فوافاهم الداعي بجيوشه خلف صعفان في الخبت المتصل بتهامة ، وما زالت الحروب بينهم ، فجرت وقعات ومصادمات عدة بين الفريقين، ثم انها كانت الكرة للصليحي واصحابه من العرب على العبيد وجموع الحبشة ومن والاها من اهل تهامة واصحاب القائد نجاح ، فقتلوا منهم مقتلة عظيمة ، وذلك في سنة خمسين واربعمائة ووافق ذلك موت نجاح ، وكان موت نجاح بالكدر في عام اثنين وخمسين واربعمائة ، و اضطربت البلاد لهيبة الداعي الصليحي وعلت كلمته، وسمت لتهامة همته ، فملك الصليحي المهجم ، وخرج سعيد وجياش ابنا نجاح هاربين عن زبيد على وجوههما ومن اتصل بهما ، وكان سعيد بن نجاح قد استقام في ملك والده ، فدخل السلطان الداعي زبيد وافتتحها ، وسار في الناس بالعفو والصفح ، ورفع السيف وبسط العدل ، ولاذت به العرب الذين كانت العبيد استطالوا عليهم ايام نجاح ، واراد الله ظهوره ، وجعل جنوده المنصورة، ومكّن الله له ولامامه ، ودخل سلاطين اليمن تحت اعلامه ، وعاد الى مسار وتوجه الى صنعاء في ذي القعدة سنة سبع واربعين واربع مائة وملكها ، ودان له ابو حاشد بن يحي ملكها ، ورأى الناس من عدله وفضله وحسن سيرته ودنوه الى الناس وقربه وادنائه لهم واجرائه اياهم على سنة الحق ما الف له القلوب النافرة ، وارغم اهل النخوة والمكابرة ، وعاد الى زبيد وقصد اليمن الاسفل ، وا ستولى على جبل صبر قهرا ، وملك الجند ، وهي يومئذ مدينة اليمن الاولى ، ولم يكن في اليمن اشهر منها ومن مدينة صنعاء في الجاهلية وابتداء الاسلام الى اوان الصليحي ، وخطب الداعي الصليحي في جامع الجند وقال في خطبته ، وفي مثل هذا اليوم نخطب على منبر عدن ان شاء الله ، فقال بعض من استهزأ به سبوح قدوس ، فامر الصليحي بالحوطة عليه ، فكان الامر كما قال ، وخطب في مثل ذلك اليوم في جامع عدن ، فقام ذلك الرجل فقال سبوحان قدوسان، واخذ البيعة ودخل في المذهب ، وطوى الصليحي البلاد طيا ، وافتتح جميعها ، فلم تخرج سنة خمس وخمسين الا وقد ملك اليمن قلاعها وحصونها ومدنها وسهلها وجبلها ، واستقر ملكه في اليمن ، وجعل قراره في مدينة صنعاء ، وولي الحصون والبلاد من ارتضاه على يديه ، وكانت له بسطة قوية ومملكة ملأت الجهات اليمنية ،

وكان له من الفضل والتواضع مع علو مقامه وسعة ملكه ونفاذ امره ما ظهر عنه وشهر منه . ومن ذلك ما رواه صاحب المفيد في اخبار زبيد ، قال حدّثني احمد بن الحسين الاموي المعروف بابي السبحة عن ابيه عن جده ، قال كنت اسكن بمدينة حيس ، وبينها وبين زبيد ليلة ، فلما ملك الصليحي زبيد رأيته وقد ركب الى مجلس القاضي وادّى عنده شهادة كان قد تحملها في صباه ، ثم تحدّث مع القاضي وافترق ، قال فاخبرنا القاضي بعد قيام الصليحي انه قال له اني نزلت مدينة حيس استطلع اخبار نفيس ونجاح عبدي مرجان، فمرّ عليّ بعض من يعرفني ، فتجردت عن ثيابي ولبست ثياب عصّار يبيع السليط في معصرة من معاصر حيس ، وتحملت هذه الشهادة في منزل رجل ، ولما ملكت الامر وقفت لي عجوز بخطي فعرفته ، فلم يتسع لي الا اداء شهادتي ، وكان مثال ما كتبته في وقت التحمل : شهد على ذلك علي بن محمد قاضي حراز ، وكتب بخطه ليذكره يوما ما ان شاء الله ، وهذا دليل ما قدمناه من قوله في ابتداء ملكه وهو بمسار ان الامر الذي قام به ليس هو من الدنيا ، ولا مراده فيه كمراد سلاطين الدنيا ،

ولم ينكر الداعي علي بن محمد على احد مذهبا من مذاهب فرق الاسلام على تشعبها ، بل اقرّ كل امرء منهم على ما كان عليه ، وكان يرفع اهل العلم وذوي الديانة والفضل من اهل مذهبه وغيرهم ، وكانت له سيرة عادلة ، واخلاق فاضلة ، رواها الخاص والعام ، واجمع كثير من الانام ، تدلّ على فضل مذهبه ، وحسن ادبه، وشرف نسبه ، ولم يجحد ذلك الا كل مكابر مشبه ليضل الاوباش من امثاله ، ويسلك بهم سبيل محاله ، فزيّن لهم المحال ، واتى بالافتراء والضلال ، وكنى امير المؤمنين المستنصر بالله عليه السلام داعيه علي بن محمد الصليحي وشرفه بهذه الالقاب ، وهي السلطان الاجل الملك الاوحد امير الامراء عمدة الخلافة تاج الدولة ذو المجدين سيف الامام المظفر في الدين نظام المؤمنين ، علي بن محمد الصليحي ، وكان عليه السلام بهذه الالقاب يكاتبه ويخاطبه في رسائله وتشريفاته ، ومكاتبته وسجلاته ، ولم تبق في اليمن صقع لم يملكه السلطان الداعي الصليحي الا مكة المشرفة ، فانه كان بها الاشراف بنو الحسن ، وهم على طاعة الامام المستنصر بالله عليه السلام والخطبة له ، وكان دخل بين السلطان الداعي الصليحي وبين الشريف شكر الحسني صاحب مكة الدخلاء ليشعلوا بينهما نار الفتنة ، ويبرزوا ما كمن من الاحنة ، ويهتكوا حمى الامنة ، وكان الشريف متحاملا على الداعي الصليحي ، والداعي صابر على تحامله ، وما يلقيه من حبائله ، وكتب الشريف الى الداعي باشعار كثيرة فيها الابراق والارعاد ، والتهدد والايعاد ، ومن ذلك قصيدة سينية اولها :

لتفليق الجماجم والرؤوس \* واقحامي خميسا في خميس

فاجابه عنها الشاعر العبشمي على القافية والروي على لسان الداعي بن محمد الصليحي فقال :

دم الابطال في اليوم العبوس \* مدامي لا شراب الخندريس

ولهوي بالنسيج اذا تلاقي \* الرشيج بمعرك حامي الوطيس

احب اليّ من نغمات عود \* وصادحة تغرّد عيطموس

اسكر دار في يافوخ شكر \* فاوعدني بحرب كالبسوس

وفاخر بالجدود واي حظ \* بمجدهم لذي فعل دنيس

الا ان العلى كخضاب كف \* اذا لم يحي سارع في الدروس

ابن عمن حميت البيت حتى \* فخرت بصونه عن كل بوس

ااخذ ابيك حليته اغتصابا \* واخذك ما عليه من لبوس

دفاع عنه ويحك اي يوم \* عذرتم زائريه عن المكوس

عجزتم عن سواه وكان عذرا \* واقوى عذركم فقر النفوس

ولولا فضل من لبى وجدوى \* معد ذي الندى الغمر المسوس

لكنت حليف اقتار حبيسا \* بدار صريع افيون شريس

افق عن عيب اجدادي ومجدي \* فما بأس بمفلول الضروس

ولا بيتي بهمدان بن زيد \* بمجهول الفروع ولا القنوس

انا ابن حماتها وذوي قناها \* انا ابن عنابس الحرب الضروس

انا ابن سراتها الحكام فيها \* ذوي الافضال مرضي المسيس

نماني كل اغلب حادشدي \* عدو للخنا عنه شموس

بنوا واتم مفخرهم بنائي \* وقوّى حبل مجدهم فريسي

ولم اكل الفخار الى علاهم \* كفعل سواي بالجد الرئيس

ومن ارضى النبي ووارثيه \* ائمتنا مصابيح الغميس

نضاني خير خلق الله سيفا \* واخلى لي الرؤوس من الرؤوس

وكم ملك اسرت وكم خميس \* اباد سراته قتلا خميسي

وكم نقع اثارته رعالي \* فخيل الجو منه في سدوس

فكم قوم نعشتهم وقوم \* طحنتهم وحصن من مريس

احطت به فابت بمن حماه \* باروع لا الفّ ولا حبيس

ظفرت فما بطرت وعم عفوي \* فما زيرت بذي جرم حبوسي

كفعلك بالصحاب وكل ضيف \* يجيئك بالمغنى الانيس

بني حسن الا تنهون شكرا \* عن استمطاره سحب النحوس

اتاني السب عنه وقال اني \* اذا اقسمت اقسم بالمجوس

الى قسم بغير ابي تميم \* وعترته البدور بني الشموس

اايام تعمد او سواهم \* ابينوا قول ذي السنة النعوس

فان لم تنكروا ما قال شكر \* اخوكم فأذنوا بالدردبيس

ابالغلمان تلقى اسد حرب \* تمشا في قنا سمر نحيس

متى اذن الامام بحرب شكر \* اتته بالردى خيلي وعيسي

تغادي بالصليحيين قومي \* بكل هزبر غابات فروس

كفيل للمشيح الشاك منكم \* وفي بالمثلثلة الغموس

ومن جنب وسنحان ويام \* بابطال لذي الهيجاء شوس

بني حسن حذار اذ اتتكم \* جنود الله بالخطب الشكوس

يضيق بها السهول فما تمشي \* بها الا ازدلافاً كالعروس

امام لواء سيف ابي تميم \* علي تاج دولته الحبوس

متى ما تتبعوا بالغي شكرا \* تكونوا مثل طسم او جديس

وان ملتم اليّ فقد ظفرتم \* بوافي الحظ عندي لا الخسيس

اانكر حق من يدني بقربى \* الى ابن الظاهر الزاكي الغروس

به صلى عليه الله سقت الـ \* ـعدى بعصاي كالشاء المسوس

ولما طال بين الداعي الصليحي وبين الشريف صاحب مكة القال والقيل ، ودخل بينهما الدخيل ، وكثر ما يتفوه به الشريف على الداعي عيل صبره ، وضاق صدره ، فكتب الى امير المؤمنين المستنصر بالله سلام الله عليه يسأله الاذن له في ازالة الشريف عن مكة ليكون امرها اليه ، فاجابه الامام عليه السلام يأمره بالصبر وينهاه عن سفك الدماء في الحرم ، وقال له اياك ان تلقى الله تعالى بدماء بني فاطمة ، فائتمر الصليحي امر امامه، وصبر على ما يظهره من بذيّ كلامه ، وحين تمهدت للداعي الصليحي في اليمن الممالك ، وصار لاقصاه وادناه وهو مالك ، ولم يعارضه فيه معارض ، ولا عرض له شغب شاغب عارض ، ترك امرأته الحرة الصليحية اسماء بنت شهاب وابنه الاغر محمد بن علي بن محمد الصليحي بمدينة صنعاء ، وترك الامير اسعد بن شهاب صنو امرأته اسماء بنت شهاب في مدينة زبيد واليا عليها ، وترك الولاة في المدن والحصون والمعاقل ، وتوجّه للحج الى بيت الله الحرام في سنة اربع وخمسين واربع مائة ، فانتهى الىمكة وقضى فرض حجه ، ومعه ملوك اليمن وزعمائها قد سار بهم في صحبته ، واخرج من الاموال والصدقات للبيت واقامة حرمه ومناسكه ما جل قدره ، وعظم ذكره ، و وجد بين الشريف صاحب مكة وبني عمه حروبا قد كثر فيها القتل وسفك الدماء ، وخطوب اثارت في الحرم البلية الدهماء ، حتى صار الحرم الذي جعله الله مثابة للناس وامنا موضع المخافة ، وصار كل من فيها على اضطراب كافة . فرام الداعي الصليحي ان يصلح بين الشريف وبني عمه ، ويسوقهم الى ما امر الله تعالى من حكمه ، وان يحتمل ديات القتلى من ماله ، ويستقل بثقل المغارم طالبا رضى الله تعالى وطاعة امامه في جميع احواله ، فابى الشريف قبول ذلك ، وضيق في وقوع الصلح المسالك ، ولاذ الناس بالملك الاجل الصليحي ليكف عنهم عادية شره ، ويدفع ما الم بهم من بأسه وضره ، فراجعه الداعي القول فلم يجد منه قولا ولا فعلا الا اثارة القتال والحرب ، الذي يكره في الحرم الشريف ويسوء عقباه في المآب ، فثنى عنانه متبعا لامر امامه ، راجعا الى جهته ولم يسفك دما في الحرم ولا اثار فتنة يتوجه بها الى الجري في ميدان ملامه ، ولقي ما خاطبه الشريف به بسلامه ، وكتب الى امير المؤمنين المستنصر بالله عليه افضل السلام حين رجوعه من مكة المشرفة بصفة تلك الاحوال ، وذكر له انه اختار لطاعة شريف امره بالرجوع عن القتال ، واعرض عما فيه امر الناس من الاضطراب والاختلال، فاجاب امير المؤمنين المستنصر بالله عليه السلام عن قول داعيه بكتاب قال فيه:

وانك بعد فراغك من قضاء فرض الحج اهبت به الى ان تصلح بينه وبين بني عمه ، وتسوق الجماعة الى الاذعان له والنزول تحت حكمه ، وعلى ان تلزم في خالص مالك الديات عن الدماء التي سفكها ، والمغارم الثقيلة عن المحرمات التي هتكها ، لتنام عين الغوائل بينه وبين اربابها ، وانك اشرت عليه بالمصلحة داخلا له فيها من جميع ابوابها، مكاتبة اولا ومراسلة على السن الثقات آخرا، فلم يزد نار لجاجه الا اضطراما ، من حيث اردتها بردا وسلاما ، وكان قصارى جوابه لك التحيز بين النكوص على العقب، او الوقوف لمكافحة القنا والقضب، وانك بقيت مترجحا بين ان تبسط بحول الله وقوته باليد الطولى ، او تعتمد بتقليده البغي والفيئة الى بلادك ما هو اجدر واولى ، اتباعا لامثلة امير المؤمنين السابقة كانت اليك ان لا تحل شعائر الحرم ولا تلقى الله سبحانه بان تريق فوق ارضه محجم دم ، لا سيما لمن جمعه وامامك جامع الرحم ، فاستقرّ في نفسك احسنهما عند الله وعند امير المؤمنين موقعا ، واجملهما من بين مطلع العقل والبصيرة مطلعا، وهو الرجوع الذي به حقن الدماء ، وسكون الدهماء ، من جهتك في العاجل ، وان يقع باسهم بينهم في الآجل ، وانك لما شددت الرحال للارتحال ، وقد ملكت الافئدة بالاحسان والافضال ، وقعت في الناس صيحة المخاوف والاوجال ، والحفوا بان تقيم بن ظهرانيهم في السؤال ، فابيت الاجابة لضيق المجال ، فاتبعك من استطاع السبيل الى اتباعك ليبلغ مأمنا، والذين قلت لا اجد ما احملكم عليه تولوا واعينهم تفيض من الدمع حزنا ، فقد عرف امير المؤمنين جميع ذلك ، مسدّدا لاقوالك وافعالك ، مستدلا بغرر اوضاحها على ما يقضي الله به سبحانه من دوام اقبالك ، فخفض على نفسك ان ثنيت عنهم عنانك بعد خطابهم لك بلسان الابراق والارعاد ، ولا تشفق من ان يظن ظان ان رجوعك عن عجز او جنب في الفؤاد ، فلا يخفى على ذوي لب ان امير المؤمنين هو الذي ثنّى عنانك، فلا وصمة عليك فيما قبضت دونهم بنانك ، واما قولك ان الفئتين المختلفين بعد خروجك تلتقيان فتحمي بينهما وطيس الحرب ، ويكثر اختلاف الطعن بينهما والضرب، وانه يخشى باختلافهما ان تدخل على الحرم يد غريبة ، فتبعد مسافة المراد في تدارك حاله وهي اليوم القريبة، وذاك انك اذا امرت بالكرة عليهم فيما يصلح الفساد، ويقوّم المنآد ، ركبت فيهم خيل العجل، واقدمت اقدام الشجاع البطل ، مستغيثا بالله سبحانه ومتوكلا عليه ، ومفوّضا لامرك اليه ، فان كان هذا من وجه الرأي فتعجيله احرى ، اولا فلا محيص عن تدبير الحرم كان في جهتك او في جهة اخرى ، فالذي انت عليه حق ، والذي نطقت به صدق ، ولكن لو كان للقوم آذان تعي لوعت ، او قلوب سليمة لاستسلمت للناصح لها واتبعت، غير ان مركب الغي جمح بهم لدماء تراق ، وشدة تلفت فيها الساق بالساق ، وعزيز على امير المؤمنين ان يهتك بحرم الله ستوره ، او تنعكس اموره، والله تعالى مأمول بحسن الكفاية برحمته ، ولو لا تخوّف امير المؤمنين ان يكون له في فتنة الحرم نشب، او يصلا بها مثلك ممن هو الى خدمة امير المؤمنين منتسب ، لاوجدك في الكرة عليهم الرخصة، واباحك ان تغتنم الفرصة ، وهو يقدّر انه الآن قد التقت الفئتان ، وقضي الامر الذي فيه تستفتيان، واذا وصل الخبر كيف كانت الطامّة ، وعن ما ذا انقشعت تلك الغمامة ، القى اليك الامر فيما تفعله ، ومثّل اليك من ذلك بما تمتثله، وهو يقول لا تدري لعل الله يحدث بعد ذلك امرا ، سيجعل الله بعد عسرا يسرا ،

ومما يرى تعجيله في الوقت مكاتبة بني الحسن معنّفا لهم على اعتياضهم حربك على الصلح ، وانقباضهم عن قبول ما محضته لهم من النصح، ومقابلتهم جميلك بالقبح ، والامر لهم بالاجماع على احق المتنازعين في امر الولاية بالامر ، لينفذ اليه من التقليد ما يؤذن بشد الازر ، ثم اليك يساق الحديث فيما يتقرّر ، ومن يطوي به صحف الولاية وتنشر، باذن الله سبحانه ،

واما ما شكرته من قيام الشريف الامير زعيم الدولة حسين بن احمد مؤلبا ، ولجمرات حمية الحرب في حربك ملهبا ، من غير معرفتك لفعله سببا ، فقد قضى الله امير المؤمنين بما سولت له نفسه من ذلك عجبا، وسيكاتبه بما يكون له مؤدّبا ، واما مصادفتك عبد الله بن ابراهيم بن عبد الله الحسيني مشعب الحال ، وحلك عنه عقلة ديونه الثقال ، واخذك له في الصحبة عند الارتحال ، فانت بحمد الله من الموفقين في المقال والفعال ،

واما سؤالك في الانعام عليه الموجر له من بيت المال ، فقد وقعت الاجابة في السؤال ، فاعلم ذلك من رأي امير المؤمنين ورسمه ، وتوقّع كتابه بما تمتثله وتعمل بحكمه ، ان شاء الله ، والسلام عليك ورحمة الله وبركاته ، وكتب في العشر الاولى من شهر ربيع الآخر سنة خمس وخمسين واربعمائة ،

والحمد لله وحده ، وصلى الله على جدنا محمد خاتم النبيين ، وسيد المرسلين ، وعلى الائمة من ذريته الطاهرين ، وسلّم تسليما ، وحسبنا الله ونعم الوكيل .

ولما قفل السلطان الملك الاجل الصليحي عن الحرم الشريف الى ارض مملكته ، ومقر دعوته ، من ارض اليمن ، وجد قوما من مدحج ومن عنس وزبيد قد اظهروا الخلاف والعصيان، والعنود عن الطاعة والعدوان، وقام فيهم رجل منهم اتبعوه، وحموه عمن يرومه ومنعوه ، والتجأوا الى جبل مثوه وما والاها من الجبال ، وعظم سعيهم وفسادهم فيما والاهم ظانّين انها مانعتهم حصونهم ظنّ المحال، فقصدهم الصليحي الى معاقلهم وافتتحها عنوة ، ودوّخهم حتى دانوا له ولانوا بعد القسوة ، وفاؤا الى الطاعة بعد العنود ، ولم يجدوا عاصما يمنعهم من يسوفه الموردة لهم اقبح الورود ، وعفى عمن بقي منهم بعد ان قتل منهم كثيرا وهم في عتوّهم ، واستفتح معاقلهم اوان عصيانهم واستكبارهم وعلوّهم ، وصار الذين اجتمعوا عليه طعمة للبواتر ، فساقهم الشقاء الى ان وطئهم بسنابكها الخيل الضوامر ، ثم ان الشريف صاحب مكة استشرف لانتهاب ما للداعي الصليحي في حلى من النفقات والمتاع ، وجسرته نفسه بالتعدي فيه قصدا لاثارة الفتنة وتهييج العامة الرعاع،

ووجد الصليحي ولد عراف القليدي قد رجع الى الشقوة ، وخالف ما عليه اهل الدعوة ، وجحد للصليحي نعمه ثم مر شريدا خائفا لذنبه مصرا عليه، غير متنصل الى الله تعالى ولا طائع لداعيه في الرجوع اليه، فكتب الداعي الى امامه عليه السلام يشرح له تلك الانباء ، ويسأله في اقامة ولد قاضي مكة في النيابة عن جده في القضاء، لما رآه من صيانته ، وفضله وامانته ، فاجابه امير المؤمنين ع م بما نقصّه ، وقد اوردناه وهذا فصّه :

بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين ،

الحمد لله رب العالمين ، من عبد الله ووليه معد ابي تميم الامام المستنصربالله امير المؤمنين ، الى الامير الاجل الاوحد امير الامراء تاج الدولة سيف الامام المظفر في الدين نظام المؤمنين علي بن محمد الصليحي نصره الله واظفره ، سلام عليك، فان امير المؤمنين يحمد اليك الله الذي لا اله الا هو ، ويسأله ان يصلي على جده خاتم النبيين وسيد المرسلين، صلى الله عليه وعلى آله الطاهرين ، الائمة المهديين، وسلم تسليما ،

اما بعد

فالحمد لله فتاح المغالق، وناصر اهل الحقائق ، ذي الطول السابق ، والوعد الصادق ، المحل بأسه وسطوته بكل منابذ لاوليائه مفارق ، وباغ عليهم منافق، الذي يقذف بالحق على الباطل فيدمغه فاذا هو زاهق، مديل الطائعين ومزيل العاصين، وولي المؤمنين ، وجاعل العاقبة للمتقين، القاضي للائمة من عترة رسوله صلع بخير ما قضى به لاحد من اهل بيت النبيين، وعترة المرسلين، ومختصهم من نعمه بما يعجز عن وصفه الواصفون، القائل وقوله الحق ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر ان الارض يرثها عبادي الصالحون، يحمده امير المؤمنين حمد من اجزل لديه صنيعته، وحفظ في آبائه الطاهرين وديعته ، وعلى حزبه وشيعته ، ويسأله ان يصلي على جده محمد خير رسوله نزع بامته من السمات البهيمية ، وركبهم في الصور الروحانية ، ونفعهم بالاسماع والابصار ، وانقذهم وهم على شفا جرف هار ، صلى الله عليه وعلى اخيه ابينا امير المؤمنين علي ابن ابي طالب ترجمان تنزيله ، وباب حكمته وتأويله ، الكاشف لحقائق الايمان، والقاطع لدابر اهل البغي والعدوان، وعلى الائمة من آلهما اعلام الدين، والشهداء على العالمين ، وسلّم تسليما ، وانه عرض بحضرة امير المؤمنين كتابان وردا منك احدهما صدر عنك من صنعا بتاريخ شعبان من سنة خمس وخمسين ، والآخر من مدينة الهجر بتاريخ شوال من هذه السنة ، يتضمن الاول منهما ذكر ما انتهى اليك عند قفولك من مكة حرسها الله تعالى من حال الخارجي الذي استغواه شيطانه ، ودعاه الى مصرعه حينه وخذلانه ، وقيامه في قبائل مذحج والنخع وعنس فانطلق لشان الغي، ودعى دعوة الافك والبغي ، واستعصم بحصون تلك القبائل ، وانسي ان الله تعالى فوق المعاقل ، وما كان من دلوفك اليه في حزب الله المفلحين، وانصاره المحامين، فاستبحت حماه ، وابحت عضراه، وجعلته عظة للظالمين، وعبرة للمعتبرين ، مستصبحا من عزماتك ما يتذلل له الحزون، ويقود اليك العصي الحرون، ثم انكفأت الى الجبال التي اقتصـصت انبائها ، فدوخت قللها ، وملكت معاقلها ، وحسمت غوائلها، واجتمع الكافة قبلك على كلمة سواء في النصيحة والاعلان بشعار الدعوة الهادية ، وانك في اثناء ذلك حتى وردت ورسلك بما جبيت به من حضرة الامامة ، وخصـصت بشأنه من الشرف والكرامة ، وتلقيك ذلك بالاعظام ، وقيامك في شكر النعم احمد مقام ، وتصف استشراف متولي مكة حرسها الله تعالى الى حلى لما لك بها من الامتعة والاقوات ، فانك تستخير الله تعالى وتتوخى له مقدما في الاعذار و اللين في المقال ان نجع او اثر ، والا حاكمته الى الله جل وعلى وهو خير الحاكمين، ثم تسأل فيما يتعلق بعبد الله بن ابراهيم الحسيني قاضي مكة بنقل خدمته الى ولد ولده لما ذكرته من صيانته ، ووصفته من امانته ،

والثاني يشتمل على خبر اصدارك الكتاب الاول ، وما كان من اقتصاصك حال المعروف بابن عراّف وكفره النعمة ، وقطعه العصمة ، واستبداله السيئة بالحسنة ، وما انتهت اليه حاله شيئا شيئا حتى مر شريدا طريدا قد سدّ الله في وجهه كل مسلك وطريق ، فكأنما خرّ من السماء فتخطفه الطير او تهوي به الريح في مكان سحيق ، فانك تقفو اثره صامدا الى استئصاله ، حاسما لاسباب ضلاله ، وما انبأت به من وفاة اسعد بن عبد الله رحمه الله على خير ما درج عليه شمل بحقائق الدين ، معتصم بمناصحة امير المؤمنين ، وسألته من الاسترحام عليه، ولجماعة من امثاله من السابقين الاولين ، ووقف على جميع ما نصـصته ، واحاط علما بما اقتصـصته ، واكثر امير المؤمنين من حمد الله جلت آلائه على ما لا يزال يعليه من جدود اوليائه ، ويخفضه من مناكب اعدائه، ويقضي به لانصاره من الاعزاز والنصر ، وللناكبين عن طاعته من الذل والقهر ، والفاك امير المؤمنين في كل ما تصرفت فيه من المقال ، واخبرت به من تصاريف الاحوال ، موفقا في رأيك ، مسددا في مقاصدك وانحائك، سالكا مسالك اوليائه الذين شرح الله بالهدى صدورهم ، ويسّر للحسنى امورهم ، عاملا بطاعة مولاك في مقاماتك ، مستمدا من بركات الاخلاص في ولائه ما يحفظ عليك اسباب سعاداتك ، فلا زلت برعايته محوطا في الدين والنفس والحال ، آئلا من جميل صنع الله في اولاك واخراك الى خير مآل ، واما الخارجي الذي حصده سيف الحق بجهله ، وابسله الله بكسبه وسوء فعله ، فتلك عادة الله سبحانه عند اولياء دينه ، وما يمدهم به من نصره وتمكينه، وكفى بها عظة لو كانت تنفع العظات ، او تنصدع بالاستبصار غشية قلوب ذوي الجهالات ، وما برح من آثار مساعيك ارج يتعطر به المحافل ، ويتلوه في الاندية الافاضل ، والله تعالى يمدك من خدمة مولاك وامامك بعونه ، ويكلأك في متقلبك ومثواك بعينه ، واما ابن عراف الذي طبع على قلبه واخذ عن رشده وختم له بشر خواتم الاعمال ، واستبدل بضياء الهدى ظلم الضلال ، وصار من الاخسرين اعمالا ، الذين ضل سعيهم في الحيوة الدنيا وهم يحسبون انهم يحسنون صنعا ، فقد كان اتصل بحضرة الامامة نبأه ، وورود ولده مكة حرسها الله تعالى واجتماعه بالشريف الامير فخر المعالي ذي المجدين سلمه الله وما اظهره من الاعراض عنه والحذر منه ، وكوتب عن امير المؤمنين باجماد ما انتحاه ، واستيناف ما قصده واتاه ، والآن فقد امره امير المؤمنين بان يقود ولد عراف اليك قود النجيب، او يحمله الى الحضرة فيكون له به الرأي المصيب، واما عبد الله بن ابراهيم فقد وقع ما وصفته به اجمل مواقعه ، واجيب الى ما التمسه في ولد ولده، وقد اجابك امير المؤمنين الى ما طلبته من الترحم على اسعد ، وقدم ذلك عند ذكره، فطوبى له وحسن مآب، اذ جعله الله ممن توفاه على نهج الاولياء المخلصين الذين تتوفاهم الملائكة طيبين، فالله يصلح احوال المؤمنين قبلك ويختصهم بخير ما اعده الله لذوي البصائر في الدين، والمجتهدين في ولاية ائمتهم المجاهدين، وينبغي ان نتحقق ان مكانك من حضرة امير المؤمنين مكين، وموقعك من اثرته موقع القوي الامين، الذي اخلص لله ولوليه باطنه وظاهره، واحصد على التمسك بعصم آدابه مرائره، فقد كشف له بالارشاد غطاء قلبه ، وبيّن له نهج الهدى فهو على بينة من ربه ، وتواصل انهاء ما يتوكف من انبائك لتشتملك بركات ادعية امامك ، وتكنفك الميامن من خلفك وامامك ، وقد خوطب رسلك بما يذكرونه لك مما يقوى نفسك ، ويشرح صدرك، ويشد ازرك ، وزاد امير المؤمنين في نعوتك عمدة الخلافة لاعتماده عليك ، وسكونه اليك، وشرّف كريمتك بالخطاب الفاضلة لما ظهر من فضلها وتميزها بالدين والخصائص على ابناء جنسها ، ولكما مزيد من احسان امير المؤمنين وادنائه النافع في الدارين، فاعلم ما خاطبك به امير المؤمنين متشرفا بخطابه ، ومتجملا بكريم جوابه ، واجر على وتيرتك المرضية في خدمته ، وسنتك المحمودة في مناصحته ، ان شاء الله ، والسلام عليك ورحمة الله وبركاته ، وكتب لسبع خلون من جمادى الاولى من سنة ست وخمسين و اربعمائة ،

والحمد لله وصلى الله على جدنا محمد رسوله خاتم النبيين وسيد المرسلين ، وعلى آله الطاهرين الائمة الهادين ذرية النبوة ، وسلم تسليما وحسبنا الله ونعم الوكيل.

ثم ان امير المؤمنين عليه السلام رسم على الشريف فخر المعالي ذي المجدين شكر الحسني صاحب مكة المشرفة بالدخول تحت طاعة الداعي الصليحي ولزوم اوامره ، وزجره على الطموح في سعي مخالفة ومكابرة ، فاستمع الشريف قول امامه ، وجرى الامر بينه وبين الصليحي على احسن نظامه ، واقام الداعي علي بن محمد الصليحي بصنعاء في ملك عالية اعلامه ، باسمة ايامه ، ينظر اليه بعين الرحمة والشفقة امامه ، وتجري بالعدل والانصاف احكامه ، حتى كان ما نحن نذكره اذا انتهينا اليه ، ونأتي بجمل منه في موضعه ، ومن الله نستمد المعونة ونتوكل عليه.

ونرجع الآن الى ذكر شيء مما كان في الحضرة المستنصرية ، وقيام اتساقها بعلو المملكة الامامية العلوية ، وما كان في اثناء ذلك من الامتحان بعلوّ من تسامى للترفع في تلك الابواب ، وترفّعهم وبسط ايديهم في المملكة بغير استحقاق ولا استيجاب، فكانوا في علوهم كالنيازك لما ارتفعت ، ونال الاولياء من الامتحان لذلك ما كثرت بشعوبه واتسعت، ومن ذلك ما رواه الداعي المؤيد في الدين عصمة المؤمنين ، حين ذكر هجرته الى الباب الطاهر ، وهجرة الاخوان والعشائرة ، قال :

لما تكشفت عن مقصدنا ستور القفار ، وانخنا فالقينا عصى التسيار ، ادخلوني من باب القاهرة المعزية الى باب قصر الخلافة فاستلمت على جاري العادة في مثله الابواب ، ولمحت الثريا تحت قدمي اذ ترشفت ذلك التراب، فاجلسوني هنيهة لافيق من غشية الهيبة التي ملأت جوانحي ، لما غشيت المسرة بمشاهدة ذلك المقام قلبي وجوارحي ، وادخلوني الى الوزير كان المعروف بالفلاحي رحمة الله عليه ، فرأيت شيخا عليه من الوقار مسحة ، ومن الانسانية سمة ، فادناني وقرب ، واكرم ورحب، وخرجت واخذوني الى دويرة كانت فرشت لي هي من الكرامة في الدرجة الوسطى من الحال ، لا بالاكثار ولا بالاقلال ، وقيل لي ان ههنا رجلا يكنى بابي سعيد التشتري يحل من الوزير الذي دخلت عليه محل اللفظ من المعنى ، وهو لامور هذه المملكة الاساس والمبنى ، وكان ذلك الرجل خبيث الفؤاد، مخالفا لاولياء الله والتابعين لهم في النحلة والاعتقاد، فتوجهت اليه في غد على ما مثّل لي فرأيت منه اهتزازا لرؤيتي واهتشاشا ، فاحتاشني وفور قبوله وحفاوته احتياشا ، وخرجت من عنده بثياب ودنانير خرجت من خزانة السلطان خلد الله ملكه على يده ، وتوجهت بعد ذلك الى المرسوم بالقضاء والدعوة ، الذي كان باب حطتنا ونحن بالبعد ،والواسطة بيننا وبين مجلس الامامة ، وهو يومئذ القاسم بن عبد العزيز بن محمد بن النعمان رحمة الله عليه ، فرأيته رجلا يصول بلسان نسبه في الصناعة التي وسم بها دون لسان سببه ، فارغا مثل فؤاد ام موسى عليه السلام ، وفيه جنون يلوح من حركاته وسكناته ، وهو مع ذلك موتور مني بما اوحى اليه بعض شياطين الانس من انني ربما زاحمته في مكانته ، بما لي تنبه في الامر الذي هو في غمرة منه مع توسمه وانتحاله له ، ولما كان في يوم ناديه وقد حضر القصر الشريف ورأيته استوى على كرسيه لقراءة ما يقرأ على المؤمنين ، ذكرت قول الله تعالى حكاية عن الهدهد اني وجدت امرأة تملكهم واوتيت من كل شيء ولها عرش عظيم ، قال وكان المكني بابي سعيد المتظاهر بعز الاسلام يلقاني بكل بشر وجهه ، ويخاطبني بكل خير لسانه ، ويعدني انه يصطنعني لسلطانه خلد الله ملكه ويجعلني برسم خدمته ، ويمنعني ان امضي الى باب احد من المصطنعة والاكابر فيكون وكسا علي فيما يريدني له، ويشوّقني اليه من المنزلة الجليلة ، فلما استفاض هذا الذكر من جهته ، وملأ الاسماع سماعه من لفظه ، قامت الحسدة من الشياطين المردة فدخلوا في عقله ، وقالوا كيف تطوع في نفسك ان تأخذ بهذا الاعجمي في الدخول الى المقام الذي انت مخصوص به ومرتب له ، وما يؤمنك اذا ادخلته ان يخرجك ، واذا قدمته ان يؤخرك، وهو ابسط منه لسانا ، واقوى جنانا، وهو مدل بعز الايمان والتخصـص بالدعوة وسابق الخدمة ، ولم يزل هذا الحديث يتوارد على سمعه حتى شربه قلبه ، واستولى على حواسه سكره ، فرأيت الرجل منقلبا عينه ،مغموضة عن حسن الملاحظة عينه ، ملتفتا دوني وجهه ، مغلولة الى عنقه يده ، فلم ازل احمل قلبي من الهم ما حدث من نتيجته انني احسـست ليلة من ليالي شهر رمضان كنت افطر فيها عند الفلاحي رحمه الله كأن قلبي ثارت فيه نار وانتهت الى امر رأسي ، واصابتني غشية فقطعت على الجماعة الاكل ، وشغلت منهم القلوب ،

ولم يزل بين المؤيد في الدين وابي سعيد التشتري قوارص وقوارع حتى قال المؤيد في الدين : ان المقصود هو صاحب هذا القصر الذي هو امام الزمان دون الوزراء والوسائط والاعوان ، فان كان لوجهه الي التفات فهو المطلوب غير ان عنده وجها عني يلفته ، وللسانه معي مخاطبة سوى ان له مسكتا عن مخاطبتي يسكته ، فلا خير في المقام على باب من يكون محجورا عليه ، ويكون مقاليد امره بيدي غيره لا بيديه ، فلما سمع اليهودي ذلك، وانه كشف له ما كان مستورا ، هاج كالجمل بعدا ونفورا ، ولم تزل بينهما المماحكة والمعاركة ، والمؤيد في الدين يخفض في الاندية والمحافل من مناكبه ، ويعترضه بما يحرق قلبه في مجالسه ومواكبه ، زمنا طويلا حتى اراح الله من التشتري وقتله الاتراك ، قيل ان ذلك عن رأي دبره الوزير الفلاحي ليسلم من شره ، ولا يعلم ان ذلك داعية هلاكه وفناء عمره ، فلما زالت الظلمة بقتل التشتري الغوي وتجلت ، والقته الارض عن ظهرها ومن ظلمه تخلت ، مد الداعي المؤيد باع الطلبة لمشاهدة غرة امامه ، وان يبل بمشافهة حضرته ما يجده من اوامه، وكان للفلاحي صدقة بن يوسف رحمة الله عليه في ذلك العناية المحمودة ، والورود الى مقام امير المؤمنين عليه السلام الذي لم يزل يتشاق وروده،

قال المؤيد في الدين : فدخلت مجلس الخلافة في آخر يوم من شعبان سنة تسع وثلاثين وا ربعمائة ، قال وكنت في مسافة ما بين السقيفة الشريفة والمكان الذي المح فيه انوار الطلعة النبوية كما قال المتنبي عن رسول الروم حين دخوله على ابن حمدان ، وان كان بين الجهتين فرق ما بين السحاب والتراب :

واقبل يمشي في البساط وما درى \* الى البحر يمشي ام الى البدر يرتقي

فلم تقع عيني عليه صلوات الله عليه الا وقد اخذني الزمعة ، وغلبتني العبرة ، وتمثّل في نفسي انني بين يدي رسول الله وامير المؤمنين صلى الله عليهما ماثل ، و بوجهي الى وجههما مقابل ، واجتهدت حين تقبيل الارض لولي ذلك ومستحقه ان يشفعه لساني شفاعة بنطقه ، فوجدته بعجمة المهابة معقولا ، وعن مزية الخطابة معزولا ، ولما رفعت رأسي وجمعت علي للقعود ثيابي ، رأيت بنانا يشير الي بالمقام لبعض الحاضرين في ذلك المقام ، فقطب امير المؤمنين خلد الله ملكه عليه وجهه زجرا ، على انني ما رفعت له رأسا ولا جعلت له قدرا، ومكثت بحضرته ساعة لا ينبعث لساني لنطق ، ولا يهتدي لقول ، فكلّما استطرد الحاضرون مني كلاما ، ازددت اعجاما ، ولعقبة العي اقتحاما ، وهو صلوات الله عليه وخلد ملكه يقول دعوه حتى يهدي ويستأنس، ثم قمت واخذت يده الكريمة فترشفتها وتركتها على صدري وعيني ، وودعت وخرجت ،

قال فهذه قصتي في اول يوم ، و عند خروجي من ذلك الموضع توجهت الى الفلاحي رحمه الله فافرشته القضية ، واوضحت له القصة ، في لسان خانني عند الحاجة اليه ، و شقة بعدت علي من حيث نزلت عن دابّتي الى حيث وردت عليه ، فقال اما بعد الشقة فسيكفيكه ما ارتّبه لك في هذه النوبة من القعود بباب المجلس الذي يكون منه المدخل الى حضرة امير المؤمنين حتى تأخذ بحظك من الاستراحة قبل الدخول ، واما الحشمة فيحل عقدها المقاربة والمباسطة ، قال ففعل رحمة الله عليه ورضي عنه ما وعد به ، وآمنني على موضع لا يأمن بعده الوالد ولده والاخ اخاه ، والله يحسن عن الله بي جزاه ،

وما زال المؤيد في الدين مقرّبا الى حضرة امامه ، و في الدخول اليه متى شاء غير ممنوع من مرامه ، حتى قضت على الفلاحي رحمة الله عليه قاضية حمامه ، وذلك انه تطاول من رتب لبعض الجهات التي كان التشتري يتولى خدمتها ان قتله بسببه ، فاثار منها نار غضبها ،وصدرت منها رخصة ساقته الى الحمام ، وولى قتله والفتك به بعض الحاشية والخداّم ، من التركمانية الذين دابهم القهر والسطوة ، وغلظ الطبائع ومعاودة القسوة، فاقيم ابو محمد الحسين بن عبد الرحمن اليازوري في الوزارة ، وكان اول ما ابتدأ به ان صدّ المؤيد في الدين من الحصول في الحضرة المقدّسة ، وقال انه يختص بالفلاحي ولا يؤمن جانبه ان يرفع ما اسّسه ، وصار المؤيد في الدين جاريا في ميدان الامتحان الى ابعد مضمار ، مدفوعا عما هو احق به واولى من منزلة الاختصاص والايثار، وهو مع ذلك صابر على ما ابتلي به من الامتحان ، مطاول لمن اراد تقصيره باقامة الحجة وايضاح البرهان، غير مستتر فضله اذ ستروه ، وهو يبدو كلما دفعوه وانكروه ، وجرت هنات قد ذكرها المؤيد في سيرته ، وقصّ فيها ما كان من قصّته ، وما زال يلقى البلية والاذية ، وهو على ذلك يزداد في حسن العمل وخلوص النية ، ويتوسّل في الدعاء الى من جل وعلى ليكشف من ذلك الامتحان ما نابه ، ويزيل ما عراه ويقرّب من مقام امامه جنابه ، وجرت بينه وبين الوزير اليازوري وحشة ومباعدة ، وكانت همة الداعي المؤيد ابية ونفسه عليه يأبى ان يقبل الضيم، ويعلو عن الدنو لمن يستحق العلو عليه والتعظيم ، وما زال ذلك مقدّرا سبعة اشهر ويزيد ، حتى ثارت بنو قرة واظهروا الشقاق والنفاق وحشدوا الحشود وجاؤا بالعدة والعديد، حتى بلغوا الجسر ، فعند ذلك امر امير المؤمنين المستنصر بالله سلام الله عليه بخروج عسكر اليهم، وان يقدّم الامير عزيز الدولة وابو الفرج المغربي عليهم ، فالتقوا في موضع يسمى ارض الخميس ، وذلك في سنة سبع واربعين واربعمائة ، فجرى بينهم قتال شديد جعل الله فيه النصر للجيوش المستنصرية وانهزمت بنو قرة مولّين الادبار بعد الاقدام والحمية، وقتل منهم خلق عظيم وكان فتحا لم يسمع بمثله ، ارغم الله به كل عدو للدولة وعاد معاندها بخيبة وذلة ، فافيضت على الوزير اليازوري الخلع السنية ، وفاضت على يده العطايا للعساكر والمستنصرية ، وصارللتهاني مقصدا ، وورد كل اهل الدولة منه موردا ، فاجتمع اصحاب الداعي المؤيد في الدين اليه وسألوه ان يكون من قصّاد الوزير ، وان لم به مهنّئا كما المّ به اهل الدولة الصغير والكبير ، وما زالوا به حتى امّه الى دار وزارته ، وادى اليه الهناء بما اتاح الله من نصر وليه وعلو دولته ، ثم كانت بينهما معاتبة افضت الى ان ادخل الوزير الداعي المؤيد في الدين في كتاب الانشاء ، وزاده في الرزق زيادة ليست مما يشاء ، والمؤيد في الدين لا يرضى تلك المنزلة له محلا ، وهو عن الوقوف فيها احرى ان يرفع واولى ، فكانت بينه وبين الوزير في ذلك مخاطبات ومعاتبات، وقال له المؤيد في الدين لا تمنّ علي بما اعطيتني فالذي منعت اكثر ، ولم يطب له عيش في ذلك ولا استقر، لان الدنيا هيّنة عنده بما فيها، وقصده ونيته القربة من امامه ، وهي التي يصدونه عنها ويضعونه وكان عند الله وجيها ، وما زالت الاحوال على ذلك وجرت برهة من الايام ، ومضت عليه شهور وايام ، حتى اشتعلت نار الفتنة التركمانية ، وطالت ايديهم بالبغي والظلم في الجهات الاسلامية ، وانتهوا الى الري فنال الناس من خوفهم اشد الشديد، واضطرب لقوة بأسهم القريب والبعيد، وجرت بينهم المكاتبة هم ونصارى الروم على الاجتماع للاستيلاء على الدولة العلوية، واطمعتهم انفسهم في ذلك ليصطلموا الاسلام بالكلية ، وعقدوا على ان يكون الشام طعمة للروم ، وطعمة ينتهزون بها الفرصة ورجوا ان ينال كل منهم ما يروم ، وكان ابن مسلمة وزير الخليفة العباسي مغناطيس الشر ، وعلى يديه بتدبيره مجرى ذلكالامر ، وزاد امر التركمانية لما وثب على العراق بالفساد في الارض وبسط الايدي في الاموال والحريم، والاستنان بسنة من لا يؤمن بالله العظيم ، واستأذن المؤيد في الدين ان يكاتب ابن الحرث والعسكر البغدادي بشد ازرهم ، والاشعار لهم بقيام الدولة العلوية في صلاح امرهم ، فكتب اليهم كتبا بذلك واصدر بها رسولا فوافى رسوله قبل وصوله ريب الحمام، وضاعت تلك الكتب فلم يوصل بها الى مرام ، وخرج المؤيد في الدين تلك السنة حاجّا الى بيت الله الحرام ، واستأنف المكاتبة الى بغداد فلم يصل كتبه الا وقد وصل طغرلبك الى بغداد بجنوده التركمانية وملك امر الخليفة العباسي فصار له تدبير ملكه وهو من وراء ستره ليس له في الدولة البغدادية بسطة ، ولا يملك شيئا من الامر يسطيع ضبطه ،

وكان دخول التركمانية برأي وحيلة دبّرها ابن مسلمة فرّق بها من العساكر البغدادية الشمل ، وقطع عن بني بويه الفرع والاصل ، وزالت مملكة بني بويه وصار الامر لطغرلبك التركماني خالصا ،

ولما انتهت كتب المؤيد في الدين الى ابي الحرث وصحبه سرّوا بها وباقبال الدولة العلوية عليهم ، وعاد روح الحيوة بها اليهم ، ورجع جوابهم يشكرون ويدعون ، ويقولون ما اتينا من قلة ، ولا غلب علينا من ذلة ، لكنّا عن قوس المكر رمينا ، وبماء السحر سقينا ، ونحن لكم الكفلاء نأخذ البلاد بايدينا، وسألوا الانجاد بالنصر والامداد بالمال والخيل والسلاح ليمضي عزمهم ، وان كل ما صرف في تلك الجهة ونفذ في تلك الوجهة فهو يعود اضعافه اذا كان للدولة العلوية التمكن في الارض ، وصار كل مرتفع لدولتهم الىالخفض ،

فوقع من امير المؤمنين صلوات الله عليه اسعاف مرادهم ، والقيام في ردئهم وامدادهم ، واهتم باخراج المال و الخيل والعدد والسلاح لينفذ كل ذلك اليهم ، ويقد م به عليهم ، وتحدّث الوزير ان المؤيد في الدين يكون صاحب حملها ، والقيام بعقد تلك الامور وحلها ، وجاء الى المؤيد في الدين يخاطبه ان يكون صاحب تلك النوبة ، الذي يقام به حدها ، ويردم به سدها ، وقال له ان مولانا عليه السلام قال لم لا يكون المؤيد المنتدب لهذا الامر ، والمنتصب له والموجه اليه ، وله الوجاهة والخبرة، فقال المؤيد في الدين ان مولانا خلد الله ملكه اعنده خبر مني او مختبر لاصلاحي في احوالي ، لقد فرّحتني ايها الوزير بهذا القول، فما ظننتني قبل هذا اليوم ان اخطر منه ببال ، ولا ان ذكري مما يجري على لسانه بحال، وما باله الى اليوم لم يذكرني في الذاكرين ، ولم ينظر اليّ في الناظرين ، فحين دهم هذا الامر تنغص لي بعنقود حصرمه الحامض، ووقع الاهتمام بتأديتي الى معاناة يومه الرافع الخافض، ومقاساة قومه الذين طال ما رأيت الكفاة من الوزراء الذين تكل المشرفيات دون شبا اقلامهم ، يستقيلون من مقاساتهم ومقاساة ايامهم ، فلم يزل الوزير مخاطبا له باللين والشدة ، وقائلا له ان هذا البلاء المبرم لا يحل غيرك عقده ، وقال له فيما قال افتقرنا اليك وافتقرت الدولة والاسلام والمسلمون ، ودينك يقتضي ان تصرخ صريخهم ، وتجير مستجيرهم ، وما زال المقول بينهما في ذلك يرتفع ، والمؤيد يأبى ذلك ويمتنع ، حتى اجاب بلسان الاكراه ، وقد تؤدي الضرورة الى ان يلفظ بغير ما يوافق القلوب الافواه ،

وكتب الى امير المؤمنين رقعة ذكر فيها اني الى ما اكره من هذه الجهة مجلوب مجنوب على ضعف مني وقصور حركتي وكون الامر عسيرا خطرا ، وان عليّ ان اجتهد فما اصبت فيه فبما رحمة من الله وبيمن دولة مولانا واقبالها ادامها الله ، وما اخطأت فلا يتوجهن علي عتب ولا لائمة ، ولا يعترض لي فيما احل واعقد يد عارضة فظهر الجوابعلى ظهر رقعته بالامضاء ،

ودعى المؤيد في الدين الى تغيير لبسه ، وان يتقمص قمص الوزارة ويأخذ ما يشاكلها من الزينة ، فقال معاذ الله ان اغيّر شيئا من زينتي ، واتخذ غير لبوس العلم والعلماء الذي جرت به عادتي ، ولم اكن في عنفوان شبابي ممن صغى الى ذلك قلبه ، ولا تاقت اليه نفسه ، فكيف والشيب قد علاني ، ونذيره الى فراق متاع الدنيا قد دعاني ، ثم وقع الامر على بروزه من القاهرة غد يومه ، ودعى الى مجلس الخلافة للتوديع وافيضت عليه الحلل والكسا التي لم يعذر عن لبسها منسوجة ذهبا ابريزا، مباهاة لاعداء الله الذين خرج الى لقائهم وتشريفا وتعزيزا ،

وادخل بعد ذلك الى حضرة امير المؤمنين عليه السلام وقد حضر حضرته الوزير وابنائه ، قال المؤيد في الدين فقبّلت الارض ودعوت وجلست ، فقلت للوزير بلغني ان خيامنا ضربت بحيث يبعد المدى بينها وبين البلد ، فبعدت الشقة على غلماننا في قضاء الحاجات ، فقال امير المؤمنين عليه السلام انا الذي اخترت لك ذلك المخيم ، وابيت ان تنزل المنزل الذي نزله امير الامراء حين توجّه الى حلب، قال فقبّلت الارض ودعوت وقلت ما وراء هذا الاختيار اختيار ، فادام الله ايام مولانا ما اظلم ليل واضاء نهار ،

ثم قلت يا مولانا خلد الله ملكـك لم تجر عادة آباءك واجدادك قدس الله ارواحهم وصلى عليهم ان يقطعوا لعبيدهم رسما ، ولا ان يغيروا لهم حكما ، فلم تقطع رسم عبدك في المثول بهذا المقام الكريم ، والوقوف في هذا الموقف العظيم ، فهذا باب اول ، والباب الثاني ان مثلي مثل اعرابي بلغني انه كان يدعو ربه سبحانه ويقول اللهم اغفر لي فاني لا اجد من يغفر لي غيرك ، وانت تجد من تعذبه غيري ، وهذه الوجهة التي انا متوليها طاعة لك على شديد كلفتها علي كنت تجد من ينفذ فيها ويطب دائها مثلي او فوقي او دوني ، ولن تصادف من يجاور قصرك الشريف فيكون له عنده في كل يوم ختمة او ختمتان للقرآن العظيم دعاء لك وتمجيدا لبيتك مثلي، وانا شيخ هذه الدعوة ويدها ولسانها ، ومن لا يماثلني احد فيها ، والباب الثالث ان الامر الذي اتوجّه فيه كتاب انا عنوانه ، فانظروا كيف تكونون في امر ما هذا سبيله ، فكان الجواب عن الفصلين الاولين بشاشة ظهرت في اسرة الوجه الكريم ، وتبسما كشف عن در الثغر النظيم، من دون اعمال اللسان، وكان جواب الفصل الثالث اننا معوّدون من الله سبحانه عن امثال هؤلاء النصر ، وهو يجرينا على جميل عوائده، وانا لا نألوا جهدا في ارهاف حدك ، والشد منك الى ان يأتي الله بالنصر من عنده، قال فنظرت الى القائمين على رسم الخدمة يتلألأ وجوههم لما سمعوا استبشارا ، وآخرين في ذلك القول حيارى ،

ثم ودّع الداعي المؤيد في الدين وخرج الى المخيم، وجمع اليه المال والعدة والخيل المسومة ما كان معدا لتلك الوجهة ، وسار وقد التفّ اليه من الركابة وسفاسف الناس ما كانوا عليه عذابا ، ولم يرضهم في مسيره اصحابا ، قال وكان الناس يتعجبون من امري وهو موضع العجب ، كيف اوجّه لمثل هذا الوجه الخطير العظيم يخطه رقبتي دون ان يتبعني عسكر ، او يعول بي على عسكر معلوم الشان تستعيذ بالله من شرهم جميع الانام ، عاداتهم في الاستخفاف بملوكهم معروفة ، فاما الوزراء فهم عندهم اغنام للذبح معلوفة ، ويحكمون ان المال الذي في صحبتي مال كتب الله عليه الضياع وهو من دون وصوله الى حلب يتخطّف ، وان حاملها على شفا جرف هار ، فهو في احد تقاسيم وجهته يتلف ، وكان الوزير اليازوري قد مثل ان يستتبع ثلاثة آلاف فارس من العرب الكلبيين يطأ بهم بلاد ابن صالح صاحب حلب ، ويحوز ارضه حوز من قهر وغلب ، فلم ير المؤيد في الدين ذلك من الرأي المصيب، وخشي ان يكون ذلك تبعيدا لابن صالح وهو غير بعيد ولا قريب ، واشار عليه بعض من يثق به ان مجاهرة ابن صالح ووطأ بلده باعدائه الكلبيين يزيد في كلبه ، وانه لا يبلغ القاصد له بالعداوة شيئا من اربه ، ولما انتهى المؤيد في الدين الى دمشق كتب الى ابن صالح بالقصة التي هو بها مأمور وذكر له انه توقّف صونا ان يقدم بخصومه بلاده ، ويمتطئ امرا يشغل به فؤاده ، وقال له فيما كتب اليه هل لك في خدمة سلطانك بما يكشف عن اخلاصك غاشية التهمة والظن، ويغشى عينك من الامان الامن ، وذلك ان اسلّم نفسي وهذه الخزائن والاموال كلها اليك ، ولا استظهر الا بمروّتك وانسانيتك في حفظي وحفظها علي وعليك، فان حفظت فينا الامانة آمنك الله من عادية هذه الدولة ادامها الله ما عشت ، واستمسكت من جميل رأيها بالعروة الوثقى ، فقمت من مصرع المتهمين وانتعشت ، فورد جواب ابن صالح اليه بما وافقه ارتياده ، وكاد به ان يطمئن فؤاده ،

وما زالت كتب الوزير اليازوري تكرر اليه بالتحذير من ابن صالح وان لا يرد ارضه الا في عدة وقوة ، ولا يظن شيئا من المروة ، فترك قول الوزير ظهريا ، وسار الى ابن صالح متوكلا على الله ان يكون له وليا ، ومعه لفيف من عسكر الشام ، ومع ابن صالح جمرات العرب واهل الكر والاقدام ، والتقى في حد ابن صالح العسكران ، ووقفا بعد ان ترائيا الفئتان ، والناس يظنون الظنون ، ويحسبون من الامر ما لا يكون، فامر المؤيد في الدين بحمل الخزائن والسلاح امامه وسار ومعه جماعة قليلة حتى اوصل المال الى ابن صالح معولا عليه في حياطته ، وان يستكفي شره ويجعل عنده ايداع بضاعته ، فلما التقيا ووقع السلام بينهما وجد المؤيد في الدين ابن صالح كالوحش النافر ، فاقتنصه بشرك الايناس الوافر ، فلم يزل يوضح له معالم الهدى التي هو فيها حائر ، ويبين له فضل اهل البيت عليهم السلام وما لهم من حسن الشعائر، حتى خلصت بينهما الضمائر ، واتفقت منهما السرائر ، قال المؤيد في الدين لما وصلنا باب حلب افضيت ما صحبني من خلع ابن صالح عليه فلم يشتمل قبلها على خلعة حلت من السعادة محلها بان خلعت عليه ملابس الامنة والقرار ، ونزعت عنه اطمار الظنة وسوء الاستشعار ، ونقلته من حيز المؤلفة قلوبهم ، الى حيز من طهرت بماء المحبة الخالصة جيوبهم ، وتمهدت على مضاجعها بعد ان تجافت جنوبهم ، وجددت عليه من ايمان البيعة في خدمة الدولة ما كادت تميد منه الجبال لثقله، وتنشق السموات والارض من حمله .

ووصل كتاب ابن مردان صاحب امد الى الداعي المؤيد في الدين الى حلب يذكر فيه انه اجاب الطاغية التركمانية مداراة عن نفسه ، وظنا انهم من اجناس البشر الذين يرعون الحرمة ، ويرقبون في المسلمين الا وذمة، فكشف له الزمان من شرهم، وغدرهم وظلمهم وجورهم، واطلاقهم الايدي في الاموال والحريم ، وكونهم حيث توجهوا كالريح العقيم، ما تذر من شيء اتت عليه الا جعلته كالرميم ، ما اقتضى التخلي عنهم، والبرائة الى الله تعالى منهم، ويذكر ان المال الذي حمله المؤيد في الدين سمع انه يقل ان يبلغ به غرض ، او يقضي مما صمد له مفترض ، فاجابه الداعي المؤيد في الدين بجواب منه : واما ما حكى من سكونه الى ما رأته الحضرة النبوية المقدسة خلد الله ملكها ومجلس الوزارة حرس الله عزه من صرف العزم الكريم الى هذه الجهة بما يهوى معه في الثرى نواجمها ، وتقطع ببأس الله براجمها ، عصبية للدين وغيرة على المسلمين الذين اصبحت اموالهم طعمة لاهل البغي، وحريمهم عرضة للانتهاك والسبي ، ووقوع السير الى مستقر الاجل المظفر الذي هو لعارض هذا الداء الطب الرفيق ، وله فيه الرأي المصيب والفكر الدقيق ، وقوله ان ذلك هو من الامور التي تقتضي ان يبذل فيها ا لنفيس من كل ذخر ، ويستلان في اثناء بلوغ الايثار فيها كل خشن ووعر، وانه انتهى الى كريم سمعه ان الواصل بصحبتي قاصر دون حد الكفاية ، مقصر بالممتد من ايدي الرغبات عن بلوغ الغاية، وانه ادام الله تمكينه حزّبه من الامر ما يحل من جلال هذا الامر محل الدقاق ، وما لا مطار له في هذه الآفاق ، فانفق عليه خمسمائة الف دينار وهو لها مستقل، حتى انقاد له زمام حزنه وهو سهل ، فقد عرفته وهو يعلم خاصة والعقلاء عامّة ان الذي يتحمله الحضرة المقدّسة خلد الله ملكها في كل سنة من مؤن الحرمين المحروسين وحدهما ، فضلا عن رواتب الصدقات المتصرفة في الاقطار الى غيرهما، مما يقوم بازاء مؤنة الملك المدل بنفسه، المذل لابناء جنسه ، فكيف يتعاظمها في هذا الباب الانفاق ، ولعمل في ساحة فضاء جودها يضيع الآفاق ، وما هذا شيء يحرك النحيزة العلوية التي في موضوع علمها ان الدنيا اضغاث احلام ، وان المكتسب من زبرجها منقشع تقشع ضباب وغمام ، وان كان فيما صحبني قل ففيما ورائي بحمد الله كثر ، وان سال على مايظن معني نهر فالذي يليني بفضل الله ومنته بحر ، وما هنالك الا سماء فتحت ابوابها في يد تجود بالاطلاق ، وافق لا يضيق ارجائه من صدر منشرح بالبذل والانفاق ، وسيف لا ينبو حده عن عزيمة على ما يرضى الله تعالى في مقارعة هؤلاء الكفار ، الذين استحلوا ما حرم الله فما اصبرهم على النار، وحقيق على الله تعالى ان ينصر عمار مساجده على الهدام ، والمتوجهين نحوه بالطاعة على المتوجهين الى الانصاب والازلام ، وان ينجز لمحمد صلى الله عليه وآله ما وعده في اهل بيته ، ويجعل اليد الطولى والكلمة العليا لبني بنته ، انه اهل ذلك ووليه .

وكاتب الداعي المؤيد في الدين ابا الحارث البشاشيري والاتراك البغدادية ، وتواعده واياهم بالالتقاء بالرحبة، فسار المؤيد في الدين والذين معه وفي جملتهم ابن صالح صاحب حلب وبنو كلاب جميعا ، وابن صالح يخدم الخدمة التي لا مستزاد عليها في حفظ الخزائن والاموال ، ويسيرها مكنوفة محفوفة بابطال الرجال، حتى التقوا بابي الحارث والعسكر البغدادي على مرحلتين من الرحبة . قال الداعي المؤيد نضر الله وجهه : واذا هم قد ضربوا مصافهم وضربت خيلنا مصافها فرأيت العسكر تلاحق ميمنته والجبل ميسرته طرف الفرات، وسمعت الابواق تخرق الحجب بالاصوات ، ورأيت اقطار الهواء كأنما صبغت بالحمرة والصفرة من الرايات ، ودخلنا الرحبة دخولا عليه من آثار السعادة وسم ، ولله تعالى مشية وحكم ، وتجاوزنا الى شاطئ الفرات فنصبنا فيه الخيام ، وحللنا عنده من خيلنا كل حزام .وتوسطت جمعا جمع كل قاطع زناق ، وكل جلال من الناس ودقاق ، تراموا الى تلك البقعة من كل الآفاق ، كردي وتركي ، وعجمي على اختلاف الجنس وعربي ، قال واخذت اخلع على امراء العرب والاكراد الخلعة التي تبهر عيون نظارها من حيث لم يسبق لهم عهد بمشاهدة نظائرها وامثالها اذ كان الخلع العراقية لا تجري الى مضمارها ، وكلما تجلى منها للابصار شيء تجلي العروس من بين خدرها ارتفعت ضجة وحش العراقية بالدعاء للدولة العلوية ، والفحشاء من الشتيمة للدولة العباسية، قال ونصبت في خلال ذلك ديوان التفرقة على الاتراك ، وجعلت المال بالصرر مصررا ، وفي الصناديق من بين يدي مودعا ، وفتحت صحيفة الاستحلاف بايمان البيعة ، على ان كل طائفة اذا استوفت عليها يمينها وفيت حقها من المال ، فكان منهم من يحلف ويأخذ الذي يأخذه بالشكر ، ويضعه على العين والرأس ، على ما جرت به العادة عليه من الناس، ومنهم من يستقل القدر الذي يعطاه ويرده ظانا ان الذي يصير اليه بعد استحلافه جزاء عن يمينه التي اقسم بها ويرى انه محقوق باضعاف ما عرض عليه منها ، وكثر القيل والقال من صغير وكبير، فحينئذ نصبت في القوم سهم الخطابة ، وتوخيت فيها للغرض الاصابة ، وقلت فيما قلته عفى ا لله عنكم انه ما قبضت الاكف على مال هو اجل من هذا المال الذي تأخذونه ، لانكم ما استفدتم دينارا ولا درهما في دياركم الا ما طرقته مطارق كسر الكعاب ، وضرب الفكوك وقلع الانياب ، وهذا المال مال ابن رسول الله ووصيه عليهما السلام وجبايته من اجل الوجوه والارضى ، فالدينار منه عوذة يستشفى بها المرضى، فهذا باب ينبغي ان يعلم اولا ، والثاني ان فريقا منكم قد خيّل اليهم ان هذه الميرة التي انعم بها السلطان خلد الله ملكه انها جزاء لبيعته ، والدخول في زمرة اوليائه وشيعته ، فقد وفوا بحكم مجازاته عنها، وخلعوا عن رقابهم رقبة المنة له فيها ، والسلطان خلد الله ملكه يريد ان يؤثر في حالكم بحسن النظر تأثيرا لا يريد منكم عليه جزاء ولا شكورا ، وقد رأيت من الرأي مسامحتكم باليمين ليكون طرق منه السلطان خلد الله ملكه في رقابكم باقيا ، ولتمسكوا عليكم فعلكم الذي يقوم لفعله مكافيا ، ثم اني رأيت ان اغرب عن تحليفكم جملة ، قال فسقط في ايديهم ، وسألوني البيعة فلم اجبهم الى ذلك ، فلما فرغت من ذلك خلعت على ابي الحرث الارسلان في يوم مشهود ، وقرأت عهد امير المؤمنين عليه السلام على كافة الحضور، وهذه نسخته :

بسم الله الرحمن الرحيم ، الحمد لله رب العالمين ، من عبد الله ووليه معد ابي تميم الامام المستنصر بالله امير المؤمنين ، الى صاحب الجيش، سلام عليكم ، فان امير المؤمنين يحمد اليك الله الذي لا اله الا هو ، ويسأله ان يصلي على جده محمد خاتم النبيين وسيد المرسلين، و على آله الطاهرين،

اما بعد فالحمد لله الذي جنبنا ذوي قربى رسول الله صلى الله عليه وعلى آله الى قوم يبتغون بمحبتنا اليه القربى ، ويوفون بها اجر رسالته ليوفيهم الله اجورهم ويزيدهم من فضله في العقبى ، منتهين الى امر الله سبحانه اذ قال قل لا اسألكم عليه اجرا الا المودة في القربى، فهم الواصلون بسبب ونسب لا ينقطعان اسبابا وانسابا، المتخذون جناب عباد الله المتقين في جنات عدن جنابا ، ان للمتقين مفازا حدائق واعنابا ، وكواعب اترابا ، يحمده امير المؤمنين ان جعل افئدة من الناس تهوي اليهم ، وتفد من اقاصي البلاد مجردة بولائها عليهم، ويسأله ان يصلي علىمحمد جده خير علم للنجاة اقامه الله لهداية المهتدين، وقطع بسيفه دابر الظالمين المعتدين، وعلى وصيه علي ابن ابي طالب وزيره في مغيبه ومحضره ، ونكاس الفوارس في بدره وخيبره ، والناطق بالحكم على منبره ، وعلى الائمة من ذريته العاملين العابدين، ذرية المناجى بقوله تعالى وتوكّل على العزيز الرحيم الذي يراك حين تقوم وتقلبك في الساجدين ، ولما وجدك امير المؤمنين من السابقين الى النداء بشعاره في ديار العراق، والمبرزين بفضيلة السبق على اوليائه في فضاء الآفاق، المشمرين على ساق الجد فيما يجعل عرصاتها بفيض عدله مشرقة بانجم السعود ، ويعيد اعواد منابرها بذكر آل الرسول صلى الله عليه وعليهم ناضرة العود ، مغسولة درجها من وطي الانجاس بماء الايمان، مقصورة فروقها على الثناء منها على اهل البر والاحسان، رآى امير المؤمنين وبالله توفيقه ان يطوقك طوق ولاية رجالها ، ويقيم على رأسك في التقدمة رأية جمالها ، وينوط بك امورها كلها ، ويكل اليك عقدها وحلها .وهو يوصيك بتقوى الله التي بها يفوز المرأ في مآبه ، وبجنتها يحتمي من اليم عقابه وعذابه ، والنظر الى الدنيا بالعين التي نظر بها اولياء الله الذين هم في جناته يتنافسون، تشبيها لها بالجيفة المؤذية روائحها والكلاب عليها يتكالبون، فاجمع نفسك تحفظا من ضررها ، وشمر ثوبك تصونا من وضرها ، واتخذ من شريعة جدنا النبي محمد صلى الله عليه و آله عوذة تعيذك من شرها ، وفلكا تمتنع بركوبها من الغرق في بحرها ، والصلوة الصلوة فكن في اقامة فروضها وسننها جاهدا ، وللشيطان في الوفاء بحقوقها مجاهدا، قال النبي صلع اقرب ما يكون العبد من الله اذا كان ساجدا ، واعلم ان شريعة الاسلام هي سلّم الى دار السلام مراقيه اركانها فالزم المراقي ، تنج من هول المطلع اذا بلغت النفوس التراقي، واجتنب ضلة المحارم، وعقلة المظالم، وانظر لابناء الجنس الذين ترؤسهم وتسوسهم المضمومة اليك جسومهم ونفوسهم ، ان تثلم بغير ما اكتسبوا مالا منهم او عرضا ، او تحدث فيما ضمنك الله تعالى من عهدتهم نقضا، ان المرء من دنياه لفي نومة محصولها اليقظة ، فليخش من سوء صنيع يحفظه عليه الحفظة ، الحافظون على عباده خبر ما يعملون ، المتوجه اليهم فحوى قوله وان عليكم لحافظين كراما كاتبين يعلمون ما تفعلون، هذا عهد امير المؤمنين اليك بولاية الرجال بشيرا بين يدي ما يتلوه عند ما يأذن الله سبحانه به من فتح الاعمال ودليلا على نصر الله جل جلاله تجرد حسامه ، وعنوانا لكتاب مزيد من اصطناع وليه نفض ختامه ، يأذن به اليك عاجلا ، ويرسله طلا من سماء انعامه يتبعه وابلا ، ليأتيك من تقليده ما يلقي به اليك المساعد مقاليدها، ويصدق لك معه الاماني مواعيدها، فالمدرج الى ذروة المجد امكن مكانا ، واثبت اركانا ، واقوى اساسا ، وانمى غراسا ، فاعلم جمل وصايا امير المؤمنين اليك ، واقامته حجة الله عليك ، واعمل بها عمل الموفقين في المقال والفعال، المشفقين من خشية ربهم ذلك عالم الغيب والشهادة الكبير المتعال، والسلام عليك ورحمة الله وبركاته ، وكتب في صفر من سنة ثمان واربعين واربعمائة ، وصلى الله علىمحمد نبيه وآله وسلم.

وكان ابن مزيد وقريش بن بدران صاحب موصل قد قصد الى بغداد لاصلاح شؤونهما مع طغرلبك التركماني فلم يقعا على طائل ، ولا حصلا شيئا من الحاصل ، ووجداه جبارا عنيدا، يريد ان يجعل الناس خولا وعبيدا، وكتب الداعي المؤيد الى ابن مزيد يهجن عليه قصده حيث قصد، واعتماده على ما عليه اعتمد ، فلما جاءه الكتاب فرح بقدومه ، وفرّج عنه من الوجد ما اخذ بحلقومه ، ووافق قريش ابن بدران على ان يبقى قريش منضافا الى التركمانية والدولة العباسية ، وابن مزيد ينضاف الى الدولة الشريفة المستنصرية ، ويدخل في جملة الجيوش الشامية والمصرية ، وكل منهما لصاحبه مظاهر وله حيث كان معاضد ومناصر، فمن غلب كانا جميعا في شيعته ، ووجد هذا بهذا ما يرومه من جاهه ووجهته ، و جاء ابن مزيد في الذين معه من الحشود فانضم الى المؤيد في الدين وابي الحرث بن ارسلان ، فلما وافق المؤيد في الدين وابن صالح فيمن معه ومعهما من الجموع وقد جاء الناس ينظرون ويسمعون من كل فج عميق ، واحتفلوا احتفالا عنه سعة البرية تضيق، فكان اول ما لفظ به ابن مزيد قوله على رؤوس الاشهاد ان الامر الذي نحن بصدده امر عظيم يقصر قوانا وقوى اضعافنا عن النهوض له ، فاجابه المؤيد في الدين بالشدة واللين، وقوى بقوله قلوب السامعين ، ثم استحلفه لامير المؤمنين المستنصر بالله عليه السلام ، وافيض عليه من التشريفات والكرامات ما اعد له ، وخاطبه المؤيد في الدين من العدات عن الحضرة النبوية بما اطاب قلبه واجذله ، وكتب له العهد على عرب العراق بالزعامة من حد شرقي الفرات الى حيث يفتح لامير المؤمنين من البلاد، وان يتعلق به الاصدار في ذلك والايراد ، ثم انه وصل العسكر من ناحية الشام من الكلبيين المعدين ، ردءا لابن ارسلان ومن معه من العساكر البغداديين ، فلما وصلوا اكثروا على المؤيد في الدين الشروط والاقاويل ، وما زال بهم يداريهم ويعدهم بالجميل ، حتى اتاح لهم ما يقوتهم لمدة شهر، ووعدهم بالاحسان من حضرة الامامة والبر، وسار المؤيد في الدين وابو الحرث وابن مزيد في عساكر مصر والشام ومن انضم اليهم من العراق ، في جموع تملأ الآفاق ، وعدد وعدة ، وقوة وشدة ، وكانت همة ارسلا لقصد قريش ابن بدران وقريش باق في جملة التركمانية ، وقد عقد معهم العقود ، وعهدوا له العهود ، فقدّم اليه المؤيد في الدين الانذار، ووعد له عن الدولة الشريفة النبوية حسن المثوى والقرار ، فاجاب يتعلل بالعلل، ويطيل فيما يرجى من الامل، وسارت نحوه العساكر الى الموصل، وجاءت التركمانية لامداد قريش بن بدران في عساكر تملأ الفضاء ، ويعم الآفاق ضياءها لما عليها من الزرد والبيض التي تلمع كالاضاء، فلم يزل القدر يحرك الفئتين للالتقاء ، ويسوقهم اليه مع كون كل منهم حائدا عنه فرقا ، حتى اذا التقى الجمعان ، وتصادم الفئتان، بسنجار وكان ابن مزيد يوم الحرب قد فرّق هوادج ظعائنه ونسائه في قبائل العرب من الكلبي والعقيلي والنمري ، وهو متكاشفات الوجوه ينادين يا للعرب ليلهبن نار العصبية ، ويحركن النفوس الابية ، وكان هذا الرأي من الوجوه التي ادارت رحى الحرب، واثارت زناد الطعن والضرب، وكان بين الفريقين يوم عبوس ، تذهل لهوله العقول وتزهق النفوس، ومنح الله العساكر المستنصرية الصر حين نادت بشعار امامها ، وانحث على التركمانية جذّا لرؤوسها وقطعا لاقدامها ، واخذتها الذلة من ورائها وامامها، فآبت التركمانية بالهزيمة والخسار، وساقتهم الرماح والسيوف الى موارد الهلاك والدمار ، وكان الالتقاء يوم عيد الفطر اوان الصلوة والخطبة، فما انكشف ذلك اليوم الا وقد نكبت التركمانية اشد النكبة ، وكتب الداعي المؤيد في الدين الى حضرة المستنصر بالله امير المؤمنين عليه السلام ، وضمن كتابه جواب سجل شريف ورد من الحضرة الشريفة الامامية بذكر العيد :

بسم الله الرحمن الرحيم ، كتب عبد مولانا صلوات الله عليه وعناية الله سبحانه لوليه لا تزال تظهر لاعتلاقه بحبل التائيد برهانا ، وتشق له من اعطام عظيم سلطانه سلطانا ، وتركب في قنا عزماته من حسن التوفيق سنانا ، وتبسط لعبيده في مقامات القائلين الفاعلين يدا ولسانا ، ووصل ما شرف به العيد مقصورا على ذكر يوم العيد الذي جعل الله لمولانا تحقيق مجازه ، واحله من فاخر لبسه محل طرازه ، وتجلى شمس الخلافة من برجها الى المصلى يجللها جلال البهاء ، ويجدّد العهد بجليل جدها خاتم الانبياء ، وابيها سيد الاوصياء ، صلى الله عليهما وعلى الائمة من ذريتهما البررة الاتقياء ، تزف في حلل الامامة وحلاها زفا ، وتذكر بنزول الكرام الحفظة لحفظها قوله سبحانه وجاء ربك والملك صفا صفا ، يحتاشها من عسكر الاسلام واهل دار السلام الخلق الذي يضيق بكثرتهم لجسم الارض على سعتها المخانق، وتقشعر الارض خوفا اذا مشوا عليها وترتج الجبال الشواهق ، وتخفق على رأسها من الاعلام التي عليها اعلام نصر الله الخوافق ، حتى اذا قضى مولانا والله يخلد ملكه وطرا من اقامة مناسك عيده ، والقيام عن ربه سبحانه بابلاغ وعده ووعيده ، ونشر درا من ذكر توحيده جل جلاله وتمجيده، رجع الى قصره المشمول بالاقبال ، المأهول بالانعام والافضال ، والنفوس بسبوغ السلامة جذلة ، ووجوه السعادة بحمد الله ومنته متهلّلة ، ووقف العبد عليه وقوف الحامد لله تعالى على سني نعمه ، في تائيد نصر مولانا واعلاء كلمه ، الراغب اليه جل جلاله في تبليغه اقصى مرامي هممه ، ومما قام منه الاعجاز في وقوع اجابة دعوة مولانا خلد الله ملكه اذ هو يدعو بالنصر لاوليائه وعسكره افتتاحهم قتال الغز في اليوم بعينه وهوخلد الله ملكه بالحدس قائم على منبره ، فما كان الا صوتا من دعائه اجابه صوت من حسن الاجابة ، فنهبت ارواحهم باطراف السيوف النهابة، فما نزع النهار عنهم رداه المصقول ، الا وقد اجرى الله تعالى من دم اوداجهم السيول ، فاشتملت عدة القتلى على الفين وتسعمائة نسما ، ممن لو كانوا غنما لكان الاتيان عليها في بياض يوم واحد مستعظما ، وما اصيب من العسكر المنصور الا دون العشرين على بسالة الغز الملاعين، وكونهم ممطرين مطر المنايا من سحاب القسي، سوى ان الله تعالى اوهن كيد الكافرين ، ببأسه الشديد القوي، كايهانه حيال العصا مؤلف كيد الحبال والعصي ، فالحمد لله الذي جعل اعداء الدولة حصائد حسامها ، ومصائد انتقامها، وهو جل جلاله المسؤل ان يصفي لها مشارب النعم ، ويجمع على طاعتها كلمة العرب والعجم، وان يصلي على محمد صلى الله عليه وعلى آله وسلم .

وسارت جميع العساكر المستنصرية من الموصل منحدرين الى محل الفيازة بعد ان وافق قريش بن بدران المؤيد في الدين داخلا فيما دخل فيه الجماعة ، مستشعرا للدولة المستنصرية شعار الطاعة ، نادما على ما فرّط فيه من ذلك واضاعه ، فقابله المؤيد في الدين بقبول البشر ، ونشر عليه اثواب الكسى والبر ،

قال المؤيد في الدين نضر الله وجهه وكان التركماني خذله الله سار من بغداد مصعدا اليهم في ظاهر امره ان استلان منهم جانبا ، وعنهم نحو بلاده ان استخشن ملبسهم مجانبا ، فكان سيره سير المتواني ، مقيدا بقيد العجز والتواني ، لارتياعه من الوقعة المقدم ذكرها اذ خوفها فائض على انفاسه ، مفرّق بين جفنه ونعاسه ،

وبيناهم في ذلك اذ ورد كتاب محمود ابن الاحزم بافتتاح الكوفة واقامة الخطبة فيها لامير المؤمنين المستنصر بالله عليه السلام ، قال فكتبت الى مجلس الوزارة :

بسم الله الرحمن الرحيم ، كتب عبد سيدنا وما تطلع شمس بيوم مجدد الا وقد يقضي الله تعالى فيه للدولة النبوية ادامها الله وله الحمد بفتح مجدّد ، وما يسفر عن وجه سعد الا ويكون بشيرا بين يدي ما يتلوه من اسعد، وكل ذلك باقبال سيدنا ويمن تدبيره ، وكتاب عبد سيدنا وقد وصله في ساعته هذه كتاب الامير شهاب الدولة مبشرا بفتح الكوفة ، على ساكن مشهدها السلام امير المؤمنين علي ابن ابي طالب صلوات الله عليه وتحياته ، ورحمته وبركاته ، ومصير فرق منبرها بالدعاء لمولانا امير المؤمنين خلد الله ملكه متوجا ، وصبح سعادة ايامه في عرصاتها متبلجا ، واستبشار الخاصّة والعامّة بما منّ الله تعالى عليهم من محو آية ليل الظلم بآية نهار العدل ، والافضاء بهم من محل المحل الى ربيع الانعام والفضل،

والحمد لله الذي جعل شمس سعادة امير المؤمنين من سماءها بازغة ، وحجة الله تعالى بر— في ايراث الارض كما وعده بالغة ، ويسأله ان يصلي على محمد وعلى آل محمد وان يجعل ما مدّه عليه من ظل تائيده ساكنا، وحرما من عين الكمال آمنا ، وان يبقى سيدنا لاغلاق المغالق مفتاحا، وفي ظلم الامور وكشفها مصباحا، وهو ولي الاجابة برحمته واهل الاستجابة ، وقد طويت هذه الخدمة على ما ورد من الامير شهاب الدولة ليرى في الوقوف عليه عالي الرأي وفي الامر باجابتي عن هذه الخدمة وتصريفي فيما اجيبه على امثلته المطاعة وقد تتابعت خدمي بالاستعانة والاستمداد ، وما يقوم به به عناية سيدنا في التماس ما ينهض من الموصل لبلوغ تمام الامل ووقوع غاية المراد ، ما دام العدو في نار ذل احاط به سرادقها ، ومدرجة صعوبة ضغطه من جميع الجوانب مضائقها ، فالله الله فان الايام في هذا الوقت فرص تنتهز ، وعدة تستنجز ، والله تعالى يعقب خيرا، ويجعل بعد عسر يسرا، برحمته ،

قال رضوان الله عليه وبعد مدة يسيرة ورد كتاب ابن بسابدس رحمة الله عليه باقامة الدعوة بواسط وضرب السكة المستنصرية بها ، فكتبت بذلك الى مجلس الوزارة :

بسم الله الرحمن الرحيم ، كتب عبد سيدنا ونعم الله تعالى للدولة ادامها الله منهلة السحاب ، وجنة سعادتها بحسن نظر بسحن نظر سيدنا مفتحة الابواب، والحمد لله تعالى حمد الشاكرين، وقد كان في خبيات المقادير، المكنون علمها عند اللطيف الخبير ، سبحانه وتعالى عن التشبيه والنظير، من الفتوح التي يلحق تاليها السابق ، وينظم الله تعالى في سلكها مغارب الارض والمشارق ، ما ركض موالينا الائمة الطاهرون صلوات الله عليهم اجمعين نحوه بخيل الاجتهاد ركضا، وهجر وزرائهم بما ذكر في صحيفة مجدهم غمضا ، فتوقف بهم دونه الزمان، وقصر من العروج في معارج فضله منهم الامكان ، والقىالله مولانا امير المؤمنين صلوات الله عليه سهلا مقاليده ، وذخر لسيدنا بثقوب الرأي في حل عقوده احاديثه واسانيده ، فلا زال ملبس سعدهما ما اختلف الجديدان جديدا ، وظل اقبالهما ما امتد الظل مديدا ، باذن الله تعالى ، وما يجب المطالعة به ذكر متجدد نعم الله سبحانه بقيام الدعوة الميمونة على منابر واسط واعمالها ، وعموم المسرة به لمن تحويه تلك الاصقاع من نسائها ورجالها ، ان بدلهم الله تعالى من دولة الجور دولة العدل ، واوى بهم الى حرم الفضل، وجعلهم في مملكة ابن بنت رسوله صلوات الله عليه فالبسهم بهذه الاكرومة افخر اللباس ، والحقهم بمن توجه اليهم فحوى قوله تعالى كنتم خير امة اخرجت للناس ، ان شاء الله ، والحمد لله رب العالمين، وتكاثفت الجموع بمحل الفيازة مع ابي الحرث بن ارسلان وابي الفتح محمد بن ورام بن المعالي قريش بن بدران والاغر بن مزيد وهو دس بن علي ابن مزيد ، وكان طغرلبك التركماني منهم في اشد الخيفة والذعر، وهو من انفاق امواله واموال خليفته العباسي في اعظم الامر، ثم انها افترقت الجيوش الذين بالفيازة ، وعادوا على الاعقاب حسب ما سولتهم لهم انفسهم الامارة، فعند ذلك اشتد قلب طغرلبك التركماني ، ومنّته نفسه فيهم الاماني ، بعد ان كان يضم جناحه من الرهب، ويؤمل الفرار وسوء المنقلب ، وانتهى ذلك الى الداعي المؤيد في الدين وهو بالرحبة فناله لذلك اعظم الشدة ، وبقي لابثا مكانه ولا قوة له الا التوكل على الله الذي هو خير عدة ، وكاتب امراء الجيوش يلومهم في انحلال امرهم بعد الاجتماع ، واختلالهم بعد ان كانوا في اشد القوة والامتناع ، وبقوا متطلعين لوصول ما صدر من الحضرة النبوية الى حلب ، ويرومون بوصوله الاجتماع بعد الافتراق والكرة بعد الهرب، فحين وصل المال الى ثمال بن صالح صاحب حلب اعطاه اخاه عطية بن صالح واستودعه فيه الامانة، ليؤديه الى المؤيد الى الرحبة وحذره الغلول والخيانة، فطمع عطية فيه وخان امانته وزواه مائلا به الى حصونه ، فحين بلغ المؤيد في الدين ذلك وقع منه اشد الموقع ، وعاد الى التوكل على الله الذي هو خير ما راجع اليه يرجع، واخذ في الملاطفة للامراء والمكاتبة ، والاخذ لهم بالمواعيد ولين المخاطبة، وجعل الكندري وزير طغرلبك يدس اليهم دسائس المكر، ويعدهم بالولايات والاعمال ان جعلوا لصاحبه عقد الامر، فعمل فيهم بذلك الاعمال ، وسدر بهم اودية الضلال ، فوقع مع ابي الحرث بن ارسلان القلق ، وداخله من عسكره الذين يسطو بهم على من نابذه الفرق ، وعاد الداعي المؤيد في الدين الى حلب فوافاه عطية ابن صالح وهو في طريقه متنصلا من ذنبه فيما اقتطع من المال، فلقيه باسبال ثوب العفو وبذل له حسن الحال، ولم ير منه غير الجميل ، وتقليل الذنب الجليل، ووافى اخاه ثمال بن صالح وهو في جمع وحشد ليقصد عطية ابن صالح الى حلة ويوقع به جزاء بما كسبت يداه واجترأ عليه بمكره وخيانته ، واراد ان يستنهض عشيرته من الكلبيين للفتك بحلة اخيه ، ويضع السيف فيه وفي ذويه ، فنهاه المؤيد في الدين عن ذلك نهيا حقن به دماء الفريقين ، وكفهم ان يعاجلوا بعضهم بعضا باسباب الحين ، وجاء ابو الحرث بن ارسلان بعد المؤيد في الدين فنزل ببالس على مرحلتين من حلب ومعه قريش بن بدران ووجوه بني عقيل ، وجاء رسول ابي الحرث الى المؤيد في الدين يتطلع انبائه ، ويروم منه لقائه ، قال المؤيد في الدين رضوان الله عليه فوجهت الى موضع يقال دير جابر ، فاجتمعنا فيه على خلوة وطال بيننا النجوى، فيما اضحك طورا وابكى طورا، وبسطت معه في التأنيس ذرعا ، وزرعت المحبة في قلبه زرعا ، واعلقته علاقة من صفاء عقده ووفاء عهده وثيقة ، ورددت مجاز التطوع منه طاعة حقيقة، وكان ثمال بن صالح نافرا عن الدعوة العلوية قلبه ، متخذا لهم كما يتخذ الملك من ذوي الدنيا الذي لا يأمنه حزبه ، حتى رأى من المؤيد في الدين خلال الفضل، وعرف منه ما لائمة الحق من العدل ، فالتزم بها التزام من صفى من الشوائب ، وعرف فضلهم المفروض من الله الواجب، واطمأنت نفسه وامن جنابه ، وظهر له حقهم الذي لا يخفى على من هداه الله بيانه ، واراد ان يسلم حلب الذي هو ملك يمينه ، وكل دنياه ليزيد في دينه ، للامام المستنصر بالله صلوات الله عليه ، وطالعه على خفية وخيفة من قومه فظهر الامر في ذلك عيانا ، واشتهر وضوحا وبيانا ، وخاف ثمال بن صالح على نفسه والتجأ الى قلعته ، وبقي المؤيد في الدين متوعدا بالفتك وتلاف مهجته، فلزم عرى الصبر، ووقف مكانه اثبت من الصخر، وما زال باهل حلب يدعوهم ليلا ونهارا ، ويعظهم سرا وجهارا، ويدلهم على فضل اهل بيت الرسول حتى اهتدوا وكانوا حيارى، فاطمئنت نفوسهم اطمئنانا، وبدلوا من خوفهم امانا ، فوافت العساكر المستنصرية الى حلب والابواب لهم مفتحة، والصدور بورودهم منشرحة، ووجوه البشر والبر لهم ملاقية ، والسن التحية والسلام لهم متناجية ، وملك امير المؤمنين المستنصر بالله عليه السلام مدينة حلب بغير ا جلاب ، ولا جلب خيل ولا ركاب، وحلب مدينة مشهورة بالشام، قال ابن حوقل البغدادي حلب مدينة عامرة غاصة باهلها ، كثيرة الخيرات ، ذات سور من حجارة ، وقلعة صالحة، وواد يعرف بفولق ، ثم جاء رسول من اخي طغرلبك التركماني لامه الى ابي الحرث بن ارسلان البشاشيري وقريش بن بدران رحمة الله عليهما ، وهما ببالس على مرحلتين من حلب ، يبذل لهما الجميل من اخيه طغرلبك في الظاهر، ويتوثق في باطن الحال بسوق الاموال اليه من الامام المستنصر بالله بن الظاهر ع م ، على انه يبطش باخيه طغرلبك ويكون الخطبة في بغداد للمستنصر بالله عليه السلام ويأخذ الخليفة العباسي عن كرسي ملكه ، ويبادره بتعجيل هلكه ، فلما جاء رسول اخي اليهما واستوعبا باطن امره ، وعرفا جميع سره وجهره ، ارسلاه الى المؤيد في الدين الى حلب، ليبرم امره وما وجب، فوجد من المؤيد في الدين بشرا ، واحسانا وبرا ، ودخل معه في اسلوب الصوفية الذي هو على مذهبهم ، واخرج اليه فصولا من قول المحققين منهم، ففرح بذلك الرسول وطابت نفسه ، ووافق ذلك ما يضمره ، ويعتقده وعاقده عن الحضرة الطاهرة بالاجابة الى السؤال، وبذل الخلع لمن ارسله والمال ، وتبليغه مما يرومه الى الآمال ، وامر المؤيد في الدين ابا الحارث البشاشيري بالرجوع الى الرحبة ، ووعده عن امير المؤمنين ورغبه، وامر قريش بن بدران ان يرجع الى بلده الى موصل ، وان يدبر امر بغداد حتى يفضي فيه الامل ، واصدر رسلهما الى حضرة امير المؤمنين عليه السلام ، وسار ابن ارسلان البشاشيري مع قريش بن بدران الى الموصل، فازالوا عنها اصحاب طغرلبك الذين كانوا قد تغلبوا عليها، وحازوها وملكوها ، فلما تمهد امر قريش بالموصل رجع ابو الحرث البشاشيري الى الرحبة ، وطغرلبك التركماني ببغداد تغلو مراجله ، ولا يهدأ بلابله ، لما كان من الوقعة بسنجار المقدّم ذكرها ، وما تعقب ذلك من استيلاء قريش بن بدران على الموصل ، فنفذت كتب العباسي مع كتبه الى خراسان وبلاد الترك يستنفران الناس خفافا وثقالا ، حتى حشد الجم الغفير ، والعدد الكثير ، والقى طغرلبك بين عينيه عزمه ، وجعل قصد مصر والشام له همه ، وسار يؤم الموصل وقد ظن انه لا يلقاه لاق ، ولا يرقى لفل عرشه راق ، فاجفل قريش بن بدران منهزما ، وسار ابو الحرث البشاشيري من خوف بأسه للامتناع بدمشق مغتزما ، وعند ذلك ظهر الامر الذي كان ابراهيم بن ينال اخو طغرلبك اضمره واسره حين كاتب ابا الحرث وقريش بن بدران، ووصل رسوله الى المؤيد في الدين الى حلب، فلم يشعر طغرلبك حتى استولى على خزائنه وامواله ، واخذ بها الى الجبال ليتحصن بها من طغرلبك وخوف اهواله ، فاختبط طغرلبك وعسكره وتفرّقوا ايدي سبا ، ودفع الله شرهم ببركة وليه واذلهم بعد الاباء ، فعند ذلك انتهز ابو الحرث بن ارسلان الفرصة ، وبادر وطغرلبك مشجى بتلك الغصة ، فقصد بغداد بالرايات المستنصرية ، وهو قوي العزم صادق النية ، ووافاه قريش بن بدران فوجدا اهل بغداد الى الله تعالى من ظلم التركماني يعجون، وبصوت الدعاء لكشف ما غشيهم يضجون ، وقد ملئت قلوبهم من العباسي وابن مسلمة حرقا ، وعيونهم ارقا ، لكونهما اللذين جلبا اليهم التركمانية فاستولوا على اموالهم وانتهكوا حريمهم ، فكان قدوم ابي الحرث البشاشيري الى بغداد بالرايات المستنصرية على اهلها كنزول الرحمة من السماء ، وانفجار الصبح بعد الظلماء ، فلقوه وحيوه بالترحيب ، وعطفوا معه الى دار الخليفة العباسي بالتحريض ... فحاصروا الخليفة العباسي حتى اخذوه برمته اسيرا ، وعمدوا الى ابن مسلمة الذي كان له وزيرا ، فنكل بانواع العذاب ثم جعل في جلد بقرة وركب على جبينه قرنان وصلت على جذع نخلة ، وصلب الى جانبه ابن مأمون الذي كان رسوله الى التركماني ، وانتهبت دار العباسي ، فلم يبق فيها من ذخائره سبد ولا لبد، وسلم الخليفة العباسي الى يد بعض الاعراب ، فاخذه معه الى موضع يقال له الحديبة ، ولم يسلمه البشاشيري الى الحضرة المستنصرية ، وذلك لما كان الوزراء قد امتنعوا عن تسليم اموال كان ابن ينال اشترطها ، فجعل ذلك جزاء لفعلهم ، وقامت الدعوة للامام المستنصر بالله عليه السلام في بغداد على رؤس المنابر وسارت بذلك الى الآفاق الرسل بالبشائر ، وعرفه كل باد وحاضر، وذلك في سنة خمس واربعمائة ، فكان له ملك مصر وبرقة والغرب واليمن والشام ، وخفقت له في بغداد والكوفة وواسط والموصل الاعلام ، وقامت الخطبة بالدعوة له في هذه الآفاق ، وارغم به اهل الشقاق والنفاق ، قال الجوهري في صحاحه بغداد وبغداذ وبغدان بالنون معرب ، و انشد الكسائي :

فيا ليلة خرس الدجاج طويلة \* ببغداد ما كادت عن الصبح تنجلي

قال يعني خرسا دجاجها ، والصحيح بغداد بدالين مهملتين وبذال ،

وقال ابن حوقل البغدادي : بغداد مدينة محدثة ابتناها المنصور ابو جعفر الدوانقي في سنة خمس واربعين ومائة في الغربي من دجلة الذي يشق اليه من الفرات نهر عيسى من فوق الانبار تحت قنطرة ، ويجري فيه السفن من الفرات الى دجلة على بغداد ، ثم نزل ابنه المهدي الجانب الشرقي و انتقل اسم دار الخلافة اليه، وفيه اشجار وانهار تشرب من ماء النهروان وبناؤها مفترش في الشرقي نحو ميلين، مرتفع على دجلة نحو خمسة اميال، وهي ذات جوامع اربعة ، جامعة مدينة ابي جعفر ، وجامع الرصافة ، وجامع دار الخلافة ، وجامع ترابي ، وهو لعلي ابن ابي طالب كرم الله وجهه وصلى عليه ، يحضر كل واحد من هذه الجوامع خلق كثير من الخواص والعوام ، والجمعة في جامع مدينة ابي جعفر ، هذا قوله .

وفي امر العباسي واسره واقامة الدعوة لامير المؤمنين المستنصر بالله عليه السلام يقول الداعي المؤيد في الدين مفتخرا اذ ذلك الضلال قطعه بسيف لسانه ، وظهور بيانه ، واقامة برهانه ، وحسن عنايته ، وواضح هدايته ، حيث قال :

لو كنت عاصرت النبي محمدا \* ما كنت اقصر عن مدى سلمانه

ولقال انت من اهل بيتي معلنا \* قولا يكشف عن وضوح بيانه

مشهود آثاري بصحن عراقه \* هذا وفارسه الى كرمانه

وعبوس يوم لابن عباس به \* لاقى الردى متشخصا لعيانه

اذ بات يعثر في ذيول مذلة \* يعتاض ضيق الحبس عن ايوانه

ورأي على الضاري ابن مسلمة الذي \* قد ضج ثغر الدين عن عدوانه

فسقى الاله سجال رحمته ثرى \* قبر ثوى فيه ابو عمرانه

ان ابنه كم من مقام قامه \* صعب بثبت جنانه ولسانه

في رفع رايات النبي وآله \* وضرابه لعداتهم وطعانه

فلكم يشد قوى بني هارونه \* ولكم يهدّ بنا بني هامانه

هل في البسيطة في مساعيه له \* مثل فيبغي الجري في ميدانه

فرد الزمان بدينه وولائه \* للفرد مولاه امام زمانه

هو في عباد الله عين عباده \* طرا واني العين من عبدانه

واقام العباسي اسيرا سنة كاملة ، والخطبة ببغداد وما والاها للمستنصر بالله امير المؤمنين عليه السلام ، ثم قوي امر طغرلبك التركماني وعادت اليه عساكره ، فبادر الاعرابي الذي كان عنده الخليفة العباسي باطلاقه ، وجعل اطلاقه ذلك قربة الى طغرلبك باطلاق خليفته ، وعاد الى بغداد كعادته بعد ان استشهد ابو الحرث البشاشيري رحمة الله عليه ، وقتل اخاه ابراهيم بن ينال رضى للعباسي وتقربا اليه ، وكان سبب ذلك اختلاف وزراء في الابواب الطاهرة المستنصرية ، وتوانيهم عن القيام في ذلك بالكلية ، واعراض امير المؤمنين عليه السلام حين علم ان دولة بني العباس ما انتهت ولا انقطعت ، وانها الى حين متعت ، بما علمه من آبائه مما ورثوه من علم النبوة ، واخذوه عن جدهم امير المؤمنين الآخذ له عن خاتم النبيين بقوة ، وحق قول ذي العزة والاقتدار ، ولا تحسبن الله غافلا عما يعمل الظالمون انما نؤخرهم ليوم تشخص فيه الابصار ، ولم تزل الدنيا مشوبة بالاقذاء والاقذار ، متعاقبا فيها سواد الليل وضياء النهار ،

واما المؤيد في الدين فانه كان قد عاد الى حضرة الامامة بعد ان اصفى مدينة حلب ونواحيها ، وقام من سياسة اهلها بما وجب فيها ، وترك الارض على العباسي نارا تلتهب ، وقامت في العراقين جميعا بحسن عنايته لامامه عليه السلام الخطب ، فلما عاد الى حضرة الامامة في القاهرة المعزية لم يزل يمتحن فيها ويضطهد ، وينزح عن حضرة امامه عليه السلام ويصد ، خوفا من ملك امور المملكة ان يعارضه فيما هو فيه من امور دنياه، وهو معرض عن الدنيا مقبل على امر دينه ولا يريد سواه ، وطال صبره عن وقوفه بحضرة امامه ، وابعاده ان يشفي بمناجاة مولاه حر اوامه ، فحين بلغ به الصبر الى الغاية التي لا بعدها غاية ، وبلغت به المحنة حدها، طالع امام زمانه عليه السلام بلسان الشكوى ، وكتب اليه يسأله مناجاة حضرته في النجوى ، واكثر في عتابه، وجعل هذه الابيات ضمن كتابه :

اقسم لو انك توّجتني \* بتاج كسرى ملك المشرق

ونلتني كل امور الورى \* من قد مضى منهم ومن قد بقي

وقلت ان لا نلتقي ساعة \* احببت يا مولاي ان نلتقي

لان ابعادك لي ساعة \* شيّب فوديّ مع المفرق

فسدد سهمه الى الغرض للاصابة ، ووافق دعوته وقد فتح الله لسماء اجابته ابوابه ، ولباه امام عصره سلام الله عليه واجابه،

يا حجة مشهورة في الورى \* وطود علم اعجز المرتقي

ما غلقت دونك ابوابنا \* الا لامر مؤلم مقلق

ولا حجبناك ملالا فثق \* بودّنا وارجع الى الاليق

خفنا على قلبك من سمعه \* فصدّنا صد اب مشفق

شيعتنا قد عدموا رشدهم \* في الغرب يا صاح وفي المشرق

فانشر لهم ما شئت من علمنا \* وكن لهم كالوالد المشفق

ان كنت في دعوتنا آخرا \* فقد تجاوزت مدى السبّق

مثلك لا يوجد فيمن مضى \* من سائر الناس ولا من بقي

ثم انه رضوان الله عليه دخل الى حضرة امامه ، عليه وعلى آبائه الطاهرين وابنائه الاكرمين اسنى صلوة الله وسلامه ، وخاطب مولاه بما اراده من كلامه ، ونال منه فوق امله ومرامه ، وكرع في تيار علمه ناقعا لاوامه، ورفع امير المؤمنين قدره ، و اسمى فخره ، واعلى مجده واسنى ذكره، وجعله باب دعوته الذي يتقرب به اليه، وعيبة علمه الذي تلقى اسراره لديه ، ولم يكن دون باب الامامة الاعظم المستحق لها بعد ابيه اعلى منه ذكرا ، ولا اسمى عند ولي الله عليه السلام قدرا ، فهو حجته بعد الحجة العظمى ، وبابه دون باب الاعظم الاسمى ، وجعل امرالدعاة في الجزائر جميعا تحت يده ، ومنه وعنه ينال كل منهم ما رام في مقصده، وجعله لجميع اهل دعوته القدوة، وكتب هذا السجل بتقليده في الدعوة ، وهو :

بسم الله الرحمن الرحيم ، الحمد لله ناصر المحقين من عباده المحققين ، وجاعل العاقبة للمتقين، المتعلقين بحبل اوليائه الموفقين ، يحمده امير المؤمنين حمد الوجلين من خيفته المشفقين، ويسأله ان يصلي على جده اشرف المفوهين بتنزيله المنطقين ، محمد المناجيه ربه بقوله واعبد ربك حتى يأتيك اليقين، وعلى اخيه ووصيه وابن عمه سلم النجاة للمرتقين، علي ابن ابي طالب روح الحيوة للمستنشقين، وعلى الائمة من ولدهما المسورين لشرف الامامة المطوقين ، وبعد فانك نازل من حضرة امير المؤمنين منزلة مثلك من خدم اوليتك لاوليته وليل التقية مرخ ذيل سدوله ، فاتبعوا سبيل الرشد حين ضل من ضل عن سبيله ، و كانوا خلصاء المؤمنين الذين يخفون تحو تلبية دعائهم اذا المتثاقلون تثاقلوا ، فكانوا ممن عنتهم الآية لا يستوي منكم من انفق من قبل الفتح وقاتل اولئك اعظم درجة من الذين انفقوا من بعد وقاتلوا ، وجئت على آثارهم فكنت اقدمهم في خدمة امير المؤمنين قدما ، ورافعهم في رفع اعلام دعوته علما ، وظهر من آثارك قبل هجرتك الى باب الامامة وبعدها ما كتب باقلام الفخر على جبين الدهر، فتبلج من حسن المساعي تبلج الفجر ، وتوليت الدعوة الهادية فشفيت النفوس بشافي بيانك ، واضاء نجم الاستبصار من مطلع لسانك ، ودللت على ما عندنا اهل بيت النبوة من شرف العلوم ، وترجمت عن كوننا تراجمة سر الله المكتوم ، واذنت في الناس بالحج الى دعوتنا يأتون رجالا وركبانا على كل ضامر ، واقتنصت بشرك الايمان لنا كل نافر، فحين اسعدت طوائر سهامك بالاصابة ، والقى اليك الناس السلم بالاستجابة ، جرت المقادير من صرفك بما لم يكن امير المؤمنين له مريدا ، واتبع ذلك من ابعادك بما كان عن موافقة غرضه بعيدا ، فجرى الامر على ما قال الله تعالى سبحانه هنالك ابتلي المؤمنون وزلزلوا زلزالا شديدا ، وكنت على خلق الايمان من امير المؤمنين في اشرف مكان، تأوي الى ركن رعايته وحميد سعايته من اشد الاركان، فحين بلغ كتاب امتحان المؤمنين فيك اجله ، واستوفى مهله ، امر امير المؤمنين بلقائك الى بابه ، واعادة سيف البصيرة منك الى غماده وقرابه ، وارقائك الى منبر لله في ارقائك اليه سريرة ، ولم يترك صغيرة من الذنب ولا كبيرة ،وتوليتك الدعوة الهادية اليه وبحضرته وعلى البسيطة شرقا وغربا ، وبعدا وقربا ، وتشريفك من خاص ملابسه التي خيطت بمباشرة بشرته وملامسة عرقه ، بما تعرج به من المجد في اعلى افقه ، وحملك من خواص مراكبه على ما تتخذ معه قمم الافلاك مركبا ، وتنال منه في ميدان السعادة مسرحا ومسربا ، فعد الى ما عودك امير المؤمنين من العوائد ، وافتح على المؤمنين ابواب الفوائد ، واقدح بالعلوم الهادية انوارا قد خبت، وارو بماء الارشاد مزارع نفوس الى سقيها قد صبت ، لتكون كما قال الله عز وجل وترى الارض هامدة اذا انزلنا عليها الماء اهتزت وربت، وتمثل ما يمثله لك الوزير الاجل السيد الفاضل الواحد الكامل ابو عبد الله امتع الله به امير المؤمنين وعضده به ووفقه وايده ، فانه على لسان امير المؤمنين يترجم، وبيده ينقض ويبرم، وما قاله فهو المقول ، وما يفعله فهو المفعول ، والله تعالى يحقق لامير المؤمنين فيك املا ، ويجعل ابيات عراصه على يديك ذللا ، ولا يضيع اجر عملك انه لا يضيع اجر من احسن عملا، وصلى الله على رسوله سيدنا محمد وآله وسلم تسليما ،

وقفى امير المؤمنين ذلك لصفيه المؤيد في الدين بتقليد ثان، رفع به من اعلام مجده مبان، وهذه نسخته :

بسم الله الرحمن الرحيم ، من عبد الله ووليه معد ابي تميم المستنصر بالله امير المؤمنين ، الى الشيخ الجليل داعي الدعاة المؤيد في الدين عصمة المؤمنين هبة الله ابن موسى سلمه الله تعالى وحفظه واعانه ، سلام عليك، فان امير المؤمنين يحمد اليك الله الذي لا اله الا هو ، ويسأله ان يصلي على جده محمد خاتم النبيين وسيد المرسلين، صلى الله عليه وعلى آله الطاهرين الائمة المهديين، وسلم تسليما .

اما بعد

فالحمد لله الذي ايد امير المؤمنين بنصره وبالمؤمنين الذين وضعوا في مهد الولاء ، ورضعوا البان الوفاء ، وصدقوا ما عاهدوا الله في طاعة ائمتهم البررة الاتقياء ، وانتظموا في ملك الصابرين معهم في البأساء والضراء ، يحمده امير المؤمنين حمد الشاكرين ان سد خلل دعوته بقوم يحبهم ويحبونه اذلة على المؤمنين اعزة على الكافرين، فهم في طاعة ائمتهم ماضو العزائم ، يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم ، ويسأله ان يصلي علىجده محمد الذي ارسله الله شاهدا ومبشرا ونذيرا ، وداعيا الى الله باذنه وسراجا منيرا ، وشرف اهل بيته بقوله انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت ويطهركم تطهيرا ، وعلى ابيه علي ابن ابي طالب المكين مكانا ، المبين برهانا ، القائم منه مقام هارون من موسى عليهما السلام حيث يقول سنشد عضدك باخيك ونجعل لكما سلطانا ، وعلى الائمة من ذريته الذين وضعهم للقسط ميزانا ، علمهم بيان ما نزل على رسوله قرآنا ، وانك لتنمي الى صالح دعاة انفقوا من قبل الفتح ، وقاتلوا قبل وضوح تباشير الصبح ، ودعوا الى الائمة المستورين آباء امير المؤمنين عليهم السلام ولما نشر لهم علم ، واقاموا معالم دينهم والدنيا ظلم وظلم ، يستنون من التقى والرشاد بارضى سنة، ويستجنون من الصبر والسداد باوقى جنة ، وجئت على آثارهم فكنت احسنهم آثارا ، وارفعهم في مقامات الطاعة والمجد نجارا ، وكان منك بفارس وكرمان وخوزستان في رفع اعلام امير المؤمنين ما اقام العالمين على قدم ، وتناول ذكر هول مقامك كل لسان وفم ، حتى دهمك من الامر ما نفضك عن الاوطان ، فشققت جيب الارض مهاجرا الى باب امام الزمان ، ولبثت سنين في جنح ليل من الامتحان، ثم ندبت الى الجهة التركمانية والاصطلاء بحر نارها ، وقذفت من الاخطار في لجج بحارها ، تقلبك اكف الامواج في تيارها، فسـست الامر في منصرفك سياسة حمت حريم ما صحبك من العدد والاموال، من ام يمسها طيف من شيطان الاضطراب والاختلال ، حتى بلغ هديها محله تحت اروقة الاسنة والنصال ، ثم اقنصت ثمالا بشرك الايناس بعد النفور ، واستخلصته لله فآويت به الى الظل من الحرور ، ثم خضت في وجه التركمانية ردما ورجمت شياطينهم برأيك وحسن تدبيرك رجما ، وما زلت ترسل عليهم من كنانة الله تعالى سهما ، حتى اتى الله بنيانهم من القواعد فهدمه هدما ، بالكسرة التي كسرت حدتهم ، والفتكة التي نقصت عدتهم ، وابلت جدتهم، وافنت عدتهم ، فاصبحوا خاسرين ، ثم عرجت على حلب فكشفت بها الغماء ، وسكنت الفتنة الصمّاء ، الى ان سلس منها القياد ، ونيل فيها المراد ، فدخلها عسكر امير المؤمنين بسلام آمنين تلقاهم وجوه البشر ، وتصافحهم اكف البر ، وظهر من خلوص طاعة اهلها بتلطفك في ليلة الحريق ، ما حداهم على اتباع امثلتك فيه حسن التوفيق ، ورجعت الى باب امير المؤمنين ولمقامك غرر وحجول من حسن الذكر، ولك بحضرة امامك كنف مأهول من الرضى والشكر، ولما مثلت ببابه وعرف محاسن آثارك يفوح ، ولسان افعالك بخالص نصحك يبوح ، رآى والله يوفقه ان يسد بك خلل دعوة طال عهدها بامين عليها مؤتمن، ولما تعلق يدها بلسن في علومها لقن، فالقى مقاليدها منك الى دائن دين الحق، ناطق فيها بلسان الصدق، وجعلك وجهتها التي يوليها جميع الخلق، وبابها للمؤمنين بحضرته والغائبين في الغرب والشرق، فتول ما ولاكه امير المؤمنين بعزمة مثلك ممن قويت عزائمه ، وثبتت على سطح ارض البصيرة دعائمه ، فاجعل لاصلاح ما فسد من امرها اكثر علاقة من قلبك ، ولما اعتل من جسمها اوفى نصيب من طبك ، واعلم ان موضوع الحكم الدينية على الاوامر والنواهي الشرعية ، كـكون موضوع القوى الروحانية على الاشكال الجسمانية، فمن احسـست منه فتورا في الشريعة ، فاعلم انه سبة شنيعة على الشيعة ، وامح من ديوان الاستجابة اسمه، واقطع من مجالس الدعوة اثره ورسمه ، واحتم على المؤمنين ان يحافظوا على الجمع والجماعات، ويشمروا للقيام بكلف الطاعات ، ويحجوا الى بيت الله الحرام ، ويزوروا قبر نبيه جدنا محمد عليه افضل الصلوة والسلام ، فان امير المؤمنين يتكلّف ما لا خفاء به من الانفاق ، لقواصد بيت الله الحرام من جميع الآفاق ، حتى يبلغ نحوه تحت ظلالا الامنة اهل الخلاف والوفاق ، فاي عذر لاهل ولائه اذا قام غيرهم بفرض الحج وتقاعدوا ، وتخفّف سواهم وتثاقلوا، اليس ذلك مما يوجه اليهم من دينهم الظنة، ويطرق عليهم لفساد اعتقادهم الهجنة ، ويصوّر لنواقص العقول ان قضية دينهم تقتضي ذلك ، والله يشهد انهم لكاذبون، وفي مذهب الافتراء على ائمة الحق الذين نزههم الله عن الباطل ذاهبون، ورتب الدعاة في الجزائر ترتيبا تعمر به مراتب العبادة ، و تحضر معه رياض الافادة والاستفادة ، وليكن من تقيمه القوي الامين وقليل ما هم ، واحذر الضعيف الخؤن وسواء مماتهم ومحياهم، فان اعوزك ذلك وهو معوز لا شك فليكن المندوب امينا، ولا يكن خؤونا ، واقبل على ارض منقوصة من اطرافها، مشمولة الخراب من اكنافها ، لتهتز وتربو بصوب ماء ارشادك، وحميد مقام سعيك واجتهادك، وتغتنم تثقيل ميزانك باجر من تدعوهم الى الله من المغتنمين، ومن احسن قولا ممن دعى الى الله وعمل صالحا وقال انني من المسلمين ، وارفع الى بيت المال ما يجتمع عندك من الفطر والزكوات والاعمال رفع المؤدي الامانة ، المطهر من دنس الخيانة ، وارجع الى رأي الوزير الاجل الكامل الاوحد صفي امير المؤمنين وخالصته ابي الفرج محمد بن جعفر امتع الله به وايده وعصمه ، فيما يشير به من مصالح خدمتك، فهو ولي التصرّف والتصريف، وبيده زمام الجليل من الاعمال واللطيف، هذا عهد امير المؤمنين اليك فاوله منك عهد القبول ، وامثلته لك فكن في تمثلها عند المرجو فيك المأمول ، واسلك في شعب الذين يونسون رشدهم من كتاب الله سبحانه والى امتثال امره يأنسون، اذ يقول تعالى ذكره كونوا ربّانيين بما كنتم تعلّمون الكتاب وبما كنتم تدرسون، والله تعالى يجعلك لطاعته وطاعة وليه في ارضه محررا ، ويجعل غرس آمالك في دينك وتقواك مثمرا، ويرسل رياح توفيقه ومعونته وحسن تسديده نشرا ، ويقضي لك بسعادة العقبى في يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا، ان شاء الله تعالى ، والسلام عليك ورحمة الله وبركاته

وكتبت غرة شهر ذي الحجة من سنة خمسين واربعمائة

والحمد لله كما هو اهله ، وصلى الله على رسوله سيدنا محمد النبي وآله الطاهرين وسلّم تسليما، وحسبنا الله ونعم الوكيل، فقام الداعي الاجل المؤيد في الدين ، صفي امير المؤمنين ، هبة الله بن موسى نضر الله وجهه بالدعوة خير قيام ، ونظمها على احسن نظام، وابان معالم الدين ، واوضح نهج الهدى للمهتدين، واقام الشواهد والبراهين، وهو لسان الدعوة المنطلق، وطب الشريعة ونجمها المؤتلق، المبين لمعالمها ، والموضح لمراسمها، والقائم باثبات دعائمها ، صاحب الحكم الجلية ، والبراهين العلمية ، موضح الحقائق الغامضة الخفية، وله مجالس شريفة ، ومواعظ بينة لطيفة، اتى بها من الفصاحة بما جلّى على السابقين، واجرى فيها عين اليقين، وزهّد في الدنيا ورغّب في الآخرة ودلّ على ما فيها من ثواب الله الذي سبقت به من الله لعباده الصالحين البشرى، وانذر من العذاب وورود جهنم الكبرى، وحض على الاعمال الموجبة في اوامر الشريعة ، ودلّ على ما للعاملين بها من المنازل السامية الرفيعة، وحذر من التواني والتقصير في العمل، وامر بانتهاز فرصة العمل قبل حضور الاجل، واوضح الحجج في بيان اثبات الالهية، وتوحيد الله سبحانه ولا اله الا هو المنفرد بالوحدانية، وابان طريق التوحيد لاهل المباحث العقلية، ورد على الفلاسفة المعطلة والدهرية، ودل على مراتب الملائكة الروحانية، وكونهم لطائف سامية وقدسانية ، واحتج على جميع المعطلين النافين للالهية ، وادحض حججهم الفائلة الردية ، واقام الشواهد العقلية والحسية ، واحتج على الفلاسفة المنكرين للنبوة ، واوضح الحجج التي اظهر دلائلها بقوة ، وانكر قول المنكرين للمعاد ، وابان ما في قولهم من الفساد، وابان فضائل اهل الذكر ، الذين كنى الله عنهم باولي الامر ، واحتج على ثبوت التأويل ، واتى بالبرهان الواضح والدليل، وجاء بكثير مما اضطر اليه المنكرون للتأويل من اثباته ، وظهور دلائله وبيّناته ، وله من القول فيما ذكرناه وما لم نذكره من فنون العلم اقوال صادقة ، يشهد له الآفاق والانفس بالموافقة ، وذلك معروف موجود ، متاح لمن استفتح باب الهداية مورود ، وكانت كتب الدعاة في الجزائر تعرض في الحضرة الطاهرة النبوية على يديه ، ويرجع جوابهم منه وتأتي مسائلهم اليه، واستقامت الدعوة في جميع الآفاق ، وقام الحق بواضح بيانه على ساق ، وانتظمت الدعوة احسن انتظام، واتسقت افضل اتساق ،

وكان الوزير ابو الحسن ابن عبد الرحمن اليازوري قد قتل رحمة الله عليه في سادس في المحرم اول سنة خمسين واربعمائة . واقيم في الوزارة بعده ابو الفرج محمد بن جعفر المغربي ، وهو الذي ذكره امير المؤمنين المستنصر بالله صلوات الله عليه في تقليد الداعي المؤيد في الدين صفي امير المؤمنين وقد ذكرناه ، وما زالت امور الدولة المستنصرية حسنة الاحوال ، جارية في استقامة الامور على منوال ، محوطة الاطراف ، محمية الاكناف، ممنوعا فيها اهل الشقاق والخلاف ، حتى جرت المخاصمة بين العبيد والاتراك الذين هم اعيان جنود الحضرة النبوية ، وعبيد الامام عليه السلام المشترون بالدراهم والدنانير ، وذلك في سنة اربع وخمسين واربعائمة، وكان اصل ذلك لدد جرى بينهم ، واصاب بعض الاتراك رجلا من العبيد ، فتشاكوا الى الوزير ، وكان يومئذ ابو عبد الله بن يحي الوزير ، فهوّن الامر ولم يفصل بينهم، فعظم الامر، وتزايد الشر، فوقعت بينهم الفتنة في ارفة القاهرة المعزية مما يلي الجامع الانور ، وخرج العبيد فحشدوا الحشود ، ووصلوا الى ابواب القاهرة وقد اجتمع الاتراك وسائر الطوائف على حربهم، فخرج الاتراك ومن معهم من الابواب فوقع القتال ، فكانت الدائرة على العبيد ، وقتل منهم جماعة فانهزموا الى ناحية الريف، وغرق منهم جماعة في البحر ، وقامت الفتنة ما بين الجيزة والجزيرة ، وقد جعل الاتراك ومن انضم اليهم امرهم الى ناصر الدولة من حمدان، وكان ربيب الدولة العلوية ، وغدي انعمها ، ونشوء فضلها وكرمها ، فحين انضم اليه من انضم سعى في الفساد ، وجعل يحملهم على مطالبة الدولة بالعطا والالحاح في السؤال ، فكلما خرج شيء اليهم امرهم ان يطلبوا غيره، حتى وردت الهدية من السلطان الداعي الاجل علي بن محمد الصليحي من جزيرة اليمن الى الابواب الطاهرة عظيمة القدر لم يسمع بمثلها كما ذكر اهل السير، فيها فنون كثيرة من الذهب والفضة والسلاح والوشي والمسك والعنبر والكافور والعود الهندي الرطب والاستاذين والجواري وكثير من الامتعة يبعد حصرها ، ويعظم امرها، ولما انتهت الى اسوان تنازع عليها العبيد والاتراك ايهم يكون المتولي لحملها الى الابواب الامامية ، والقائم لايصالها الى الحضرة المستنصرية ، وقد توجه ابن حمدان ناصر الدولة اخاه المكني بسلطان العرب ليحملها الى الابواب الطاهرة ، ويوصلها كاملة وافرة ، فحين انتهى ذلك الى العبيد واميرهم فتوح الشامي المكني بناهض الدولة نهض لحرب سلطان العرب بن حمدان، وقد صار سلطان العرب باسوان، واخذ في شحن الهدية في المراكب، وقد اقام يشحنها ثلاثين يوما يظل راكبا فيها من الصباح الى المساء ، فحين كملت في المراكب زحف اليه فتوح الشامي في العبيد ومن انضم اليهم ، فحين سمع سلطان العرب بهم ترك الهدية ورجع قبل مواجهتهم، وحقق في الحضرة النبوية كنه قصتهم ، واستولى فتوح ومن معه من العبيد على الهدية ، وساروا بها ومعهم رسل السلطان الداعي الصليحي وانحدروا بها الى سيوط ، واجتمع الاتراك وابن حمدان الى باب امير المؤمنين فاخذوا السلاح وخرجوا الى ناحية الجيزة فضربوا فيها مضاربهم ، وانضم اليهم العرب والطوائف فبلغوا ثلاثين الفا بين فارس وراجل، واكثروا العنف في مطالبة الحضرة النبوية بالاموال، حتى صار اليهم النقد على ما ذكر اهل التواريخ اربع مائة الف مثقال من الذهب ، ومن السلاح اربعة الف درع سوى المغافر والبيض، وفتوح الشامي والعبيد بسيوط مقيمون بها الى ان ورد كتاب امير المؤمنين المستنصر بالله عليه السلام الى فتوح ومن معه ، وامرهم بالهبوط بالهدية الى بهليس وان يسلموها الى الامير شمس الملك، فحين وصل كتاب امير المؤمنين عليه السلام هبطوا بالهدية ومعهم رسل السلطان الصليحي حتى وصلوا بها الى ابي صير وهي مدينة من اعمال الفيوم، واجتمع بها العبيد ومن كان معهم من العرب فبلغت خيلهم سبعة الف فارس وخمسة الف راجل ، فوصل اليهم شمس الملك وصحبه قاضي القضاة المليحي الملقب بالصادق المأمون، ومعهما ثلاثة نفر من كبراء امراء الاتراك، فاجتمعوا بفتوح الشامي وتداعوا الى الصلح واجتماع الكلمة والرجوع عن الفتنة، بعد ان كاتبوا بذلك ناصر الدولة فاجابهم اليه ، فلما تم ذلك واشتد الامر بينهم عزم فتوح ان يسير صحبة الهدية معهم ، واخذ من اصحابه مائتي فارس وسبعمائة راجل ليكون تمام العقد في الصلح بحضرة امير المؤمنين عليه السلام ، فسار معهم بهذه العدة وترك بقية من معه في الفيوم ، فلما صاروا بموضع يسمى الحي الاسفل لقيهم ناصرالدولة بن حمدان في جماعة الاتراك ، فسلم بعضهم على بعض فساروا جميعا حتى انتهوا الى القاهرة المعزية ، ودخلوا على الامام المستنصربالله سلام الله عليه ، فخاطبهم في هدم منار الفتنة ، والرجوع الى الصلاح والهدنة ، فعقدوا بينهم عقدا بحضرته وحلفوا على تمامه ، ووصلت الهدية بعد ذلك بيومين مع رسل الامير الاجل الداعي علي بن محمد الصليحي الى موضع يعرف بالصناعة من ساحل مصر ، فلما صاروا اليها اخرجت الجمال والبغال ونقلت الهدية الى قصر امير المؤمنين بثلاثة ايام ، وانزل الرسل منازل الاكرام ، وانعم عليهم بجزيل الانعام ، واخرجت اليهم الكسى والتشريفات ، واتيحت لهم الكرامات ، ووقف فتوح الشامي في جادة الخندق في الذين معه اياما ، ثم ان ابن حمدان حين رآى قلة الذين مع فتوح دبر الحيلة في اثارة الشر بين العبيد والاتراك ، فجرت منافرة بين العبيد والاتراك وارتفع الصوت بينهم ، واغتنم ذلك ناصر الدولة بن حمدان فزحف بالاتراك وجميع الطوائف الذين معه من الكتاميين وغيرهم فقصدوا فتوح الشامي والذين معه الى جادّة الخندق ، ووقع القتال بينهم حتى قتل كثير من اصحاب فتوح ، وافترقوا عنه بعد جهد شديد ، واخذ فقتل ، وطغى ناصرالدولة بن حمدان وزاد في البغي والعدوان ، وما زال يطلب في الاموال من الحضرة المستنصرية ، ويصيب جنود الدولة قصدا لتضعيف امر الحضرة النبوية، والتفت العبيد الى ابن النون ، وجرت وقائع بينهم وبين الاتراك وابن حمدان، وكان الظفر لابن النون، وقال ابن حمدون لمن تبعه من الاتراك والكتاميين وسائر الجند ان الذي قوّى العبيد هو صاحب قصر القاهرة خلد الله ملكه ، وهو الذي يمدهم بالاموال فاكثروا المطالبة والسؤال حتى تنفدوا ما في خزائنه ، ولا تبقوا له قليلا ولا كثيرا ، وجعل يحرّضهم في ذلك و يقوّي عزائمهم ، فاكثروا الكلام والمطالبة حتى انقطع النقد ، وصار ينفق عليهم ما في الخزائن من السروج المحلات وثياب الديباج الرومي والخسرواني والستور والمراتب الديبقي وآلة الذهب والفضة وغير ذلك ، وهم كل يوم يزدادون في المطالبة ، ويركب ابن حمدان ويركبون الى باب امير المؤمنين يقفون من اول النهار الى نصف الليل لا همّ لهم ولا همّة الا الحاح السؤال، والمطالبة في الاموال ، وكلما ازداد الاحسان اليهم ازدادوا عدوانا وعتوا ، ولجوا في غيهم طغيانا وعلوا ، وسعى الوزير ابن موقف في الدين حتى فرّق جماعة الاتراك وشعب امرهم ، فاعتزل منهم امير يسمّىاسد الدولة وهو من كبرائهم وذوي بأسهم ، فلما تحقّق ابن حمدان ذلك تقدّم الى رجلين من الاتراك اسم احدهما تاج الملوك وامرهما ان يفتكا باسد الدولة في قاهرة مصر ، وان عجزا عن ذلك فتكا بالوزير ابن موقف في الدين ، فحين صارا الى سرطة القاهرة وافقا الوزير ابن موقف في الدين راكبا الى قصر امير المؤمنين عليه السلام فضرباه بسيوفهما حتى قتلاه ، وخرجا هاربين الى مصر ، ووقعت الصيحة في القاهرة ، واجتمع ابن حمدان وكل من معه من الطوائف والعرب والاتراك الى القاهرة حتى وصلوا الى باب الحديد ، فركب امير المؤمنين المستنصر بالله صلوات الله عليه الى باب قصره ، واجتمع اليه اسد الدولة واصحابه ومن انضم اليهم ممن بقي بالقاهرة ومن حضر من عبيده، فتناول امير المؤمنين صلوات الله عليه اللواء فهزّه وعقده بيده ، ثم اعطاه عزيز الدولة وامره بالخروج لحرب ناصر الدولة ابن حمدان، فخرج الامير عزيز الدولة ومن كان معه من اصحابه حتى وافى باب الحديد، فلما عاين ابن حمدان ومن معه من الجنود والطوائف اللواء ولوا مدبرين ، وانهزموا على اعقابهم ناكصين مشمرين ، لا يلوون على شيء ، وكانوا اربعة عشر الفا بين فارس وراجل على ما ذكره اهل السير، وما زالوا منهزمين حتى انتهوا الى الريف الاسفل مسيرة ثلاثة ايام من القاهرة، وقبض ما كان لابن حمدان ومن اتبعه من الاموال والنعم ، وحمل ذلك الى قصر امير المؤمنين عليه السلام ، ولما صار ابن حمدان بناحية الريف الاسفل واجتمع اليه من افترق عنه من الذين كانوا معه جعل يبسط يده بالظلم ، ويضم اليه ما في تلك الاعمال من الغلات والخراج والجبايات ، فاخرج اليه امير المؤمنين عليه السلام عزيز الدولة وامره باصلاح حال الريف وامان اهله ومحاربة ابن حمدان ومن مال اليه ممن اتبعه على فعله ، فلما وصل الامير عزيز الدولة فيمن معه الى ناحية الريف تأخر ابن حمدان ومن اتبعه الى جانب الريف الغربي مما يلي الاسكندرية ، واستمال اليه قبائل لواته، وقام الحرب بينه وبين عزيز الدولة شهورا حتى افترق كثير ممن مع ابن حمدان، ومال عنه من امراء الاتراك تاج الملوك وابن كيغلغ وغيرهما ، ورجع عزيز الدولة الى الحضرة المستنصرية ، ثم اظهر ابن حمدان الطاعة والانابة، وعزم على الرجوع الى الحضرة، وقد اجتمع معه جماعة من العرب، فلما حصل بقرب القاهرة تلقاه الامير تاج الملك ومعه جماعة من امراء الاتراك نحو اثني عشر اميرا مسلّمين عليه، فحين اجتمع بهم امر العرب بقتلهم فقتلوا ، ونفرت لفعله الاتراك ، وفسد ما كان بينه وبينهم، ورجع الى الاسكندرية اعمالها، واستولى على الريف الاسفل وتينس ودمياط والجيزة ، فقبض واجباتها ، واخذ غلاتها ، واشتد القحط على اهل مصر والقاهرة ، وبلغ حمل القمح مائة مثقال، وهلك الناس ، وذهب الخيل والدواب ، ومات كثير من الناس من الجوع والهزال ، ولم يبق بالقاهرة الا النفر القليل من عسكريتها ولم يبق فيها الا بلدكوش الملقب اسد الدولة في ثلاثمائة فارس على ما ذكر اهل السير ، وابن حمدان على ما ذكروا في زها عشرين الفا ، فطمع ابن حمدان ان يغلب على القاهرة ، وجمع من انضم اليه من قبائل العرب والبربر ولواته وغيرهم وزحف بهم الى ارض تعرف بالطبالة على باب القاهرة ، وقد ذهب اكثر من فيها كما ذكرنا ، فغلقت ابواب القاهرة الى بعد الزوال من النهار ، وعقد امير المؤمنين اللواء وسلمه الى بلدكوش الملقب اسد الدولة ، وامره بالخروج للقاء ابن حمدان فيمن معه ، ففتحت الابواب وخرج اسد الدولة فانهزم ابن حمدان ومن معه وقتلوا قتلا ذريعا ، وصاروا شعاعا بددا في كل ناحية ، وغرق منهم كثير في البحر ، ووصل ابن حمدان الى اسكندرية فزعا مرعوبا ، خائفا بائسا ، فحين استقرت به الحال ، وجمع الاموال والرجال، حدثته نفسه بالرجوع الى مصر وإعمال الخديعة والمكر باهل القاهرة وبالحضرة النبوية ، فضرع الى امير المؤمنين بالعفو عنه ، والتجاوز عن سوء فعله ، فاجابه الى ما سأل واسبل عليه عفوه كما طلب املاء وامهالا ، ليزدادوا اثما وضلالا ، فوصل الى باب امير المؤمنين مظهرا التنصل من اثمه ، والتوبة من جرمه ، فقابله امير المؤمنين بالقبول والاحسان، وتلقاه بالعفو والامتنان، فدخل في مصر ونزل فيها منازل العز، والعساكر الذين وصل بهم مقيمون بالجيزة ، فحين استقر بابن حمدان قراره ، واطمأنت به داره ، وتمكن مما يريده ، والقيت اليه من امر المملكة مقاليده ، جعل ينتهب ما كان للحضرة النبوية من الاموال غصبا ، ويجعل الناس على الدولة العلوية البا ، ويقصد المقاتل ، ويروم ان يصير كل الامور برأيه الفائل ، ويطالب في الاموال ويكثر الايعاد ، ويحشد اليه الاراذل وا لاوغاد ، وكان للدولة وابوه من قبل غذيا ، وفي ظلها متقيلا ، ولا سيما هو فانه كما ذكر القاضي القضاعي ممن نشأ في قصرها ، و ربي في حجرها ، فضعّف الدولة بسوء رأيه ، واستنفذ ذخائرها بمطالباته، وقدم للامارة والوجاهة قوما كانوا اولى بالتأخير ، وكبّرهم وهم احرى بالتصغير، فبسطوا ايديهم بالظلم في الرعية، والضيم لاولياء الحضرة المستنصرية، وفي ذلك الحال يقول الامام المستنصر بالله صلوات الله عليه ،

قد طمع العالم في الملك \* واسرعوا فيه الى الفتك

واصبح المالك في حيرة \* ما بين اهل الغرب والترك

ونحن والرحمن في خطة \* اذ نحن والملك على الهلك

والخوف والخلف كما قد ترى \* والهجم في الادور بالهتك

وآلة السلطان مشهورة \* للبيع والفضة للسبك

ان دام ذا الامر على ما ارى \* استنصر الايمان بالترك

وحق للعاقل في دهره \* لهذه الاحوال ان يبكي

فحين ازداد ناصر الدولة في الطغيان، واصر على ما هو عليه من الاثم والعدوان، ورام ان يكون له كل السلطان، وجحد ما توالى اليه من انعام الدولة والاحسان، تقدم امير المؤمنين عليه السلام الى الامير بلدكوش اسد الدولة ومن بقي معه من امراء الاتراك في الفتك به ، وان يوردوه موارد هلكه وعطبه ، فلم يشعر ابن حمدان واصحابه حتى كبسه اسد الدولة وجماعة من الاتراك ليلا فيقتلوه ، وقتلوا اخويه واصحابه ، جزاء بما كسبوا ، ومعاقبة عما اجترموا ، ولعذاب الآخرة اشد بأسا واشد تنكيلا، فلما سمع العسكر الذين كانوا بالجيزة بقتله تفرّقوا شذر مذر وانطلقوا ، وقبض ما كان لابن حمدان واخويه ومن اطاعهم في الخلاف ، وسعى سعيهم في تفريق اتباع الدولة بعد الائتلاف ، ممن كان بناحية تينس والاسكندرية وغيرهما من البلدان، وقد قدّم اسد الدولة في الحضرة على الاتراك وسائر الطوائف ، وانقمع كل منافق ومخالف، وزالت المظالم ، ووضحت من الفضل المعالم ، وظهر العدل، وعم من ولي الله الاحسان والفضل.

وقد كان معز بن باديس بن بلكين الصنهاجي الوالي على المهدية وجهات المغرب وافريقية بعد آبائه ، والناشي على اخلاف انعام الدولة النبوية من ابتداء امره الى انتهائه ، قد كفر النعمة ، وجحد آلاء الائمة ، ونزع يده من الطاعة ، وفارق ما عليه المتوالون للائمة من الجماعة، فسير اليه امير المؤمنين عليه السلام امين الدولة حسن بن علي بن صلهم الى اعمال افريقية ليؤلف من هنالك من العرب ويجمعهم على الطاعة ، ويمنع ابن باديس عن الخلاف الذي اظهره واذاعه ، فكان في ذلك ما قصه امير المؤمنين المستنصر بالله صلوات الله عليه في سجله الذي كتبه الى داعيه السلطان الاجل المظفر علي بن محمد الصليحي صاحب جزيرة اليمن ، ومالكها بامر امامه من مكة الى عدن ، والسجل الشريف هذا فصه :

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، من عبد الله و وليه معد ابي تميم الامام المستنصر بالله امير المؤمنين الى الامير سيف الامام المظفر في الدين نظام المؤمنين علي بن محمد الصليحي ، سلام عليك فان امير المؤمنين يحمد اليك الله الذي لا اله الا هو ، ويسأله ان يصلي على جده محمد خاتم النبيين وسيد المرسلين ، وعلى آله الطاهرين ، وسلم تسليما ،

اما بعد

فالحمد لله الذي ارسل سماء جوده على ساحات امير المؤمنين مدرارا ، وجعل فلكها وعزها بتضاعف اقباله دوّارا ، وملائكتها اعوانا وانصارا ، المنتقم من كل عدو وَلَدَ فاجرا كفارا ، الهاتك ستره وقد هتك لحرمة الصنيعة عنده استارا ، المدير دائرة السوء عليه ان اتخذ دارا البغي على مصطنعيه دارا ، وسالبه النعمة بان لم يحسن للمنعم بها جوارا، ذلكم الله لا اله الا هو الذي جعل لكم من الشجر الاخضر نارا ، يحمده امير المؤمنين الها واحدا قهّارا ، ويشكر له جزيل نعمه اعلانا واسرارا ، ويسأله ان يصلي علىجده الذي بعثه بين الانام مختارا، محمد الداعي الى الحق اعذارا وانذارا، الواضح بهدايته عن الخلق اغلالا وآصارا ، وعلى وصيه في امته السامي منارا ، وسيف نبوته الماضي غرارا ، علي ابن ابي طالب العالي شرفا ومقدارا ، وعلى الائمة من ذريته الحامين جارا ، الزاكين نجارا، الذين جعلهم الله لمساجده عمارا ، وبلطائف هممهم في ملكوت السماء سفارا ، وقد انتهى اليك من حضرة امير المؤمنين خبر ابن باديس اللعين في التياث اموره عليه لما اصبح جسم طاعة دولته ملتاثا ، وانتكاث سرائر سعادته لما بتت عهدها فكان كالتي نقضت غزلها من بعد قوة انكاثا ، وان امير المؤمنين رماه من كنانة رأيه بنبال اصابت مقاتله ، وضربه بنصال بتت مفاصله ، واطلق نحوه من اعنة قبائل الرياحية والرعية من منعه ان يبل ريقا ، وسد لانفاسه طريقا، ورمى به اسر حصار لا يكاد يكون فيه طليقا، وملك عليه جميع دياره التي كان بها يدل ، ونال منه النيل الذي هو يوشك بواره باذن الله يدل،

وسير الامير امين الدولة ومكينها حسن بن علي بن صلهم الى اعمال افريقية ليؤلف بين قلوب العرب المقدّم ذكرهم على الطاعة تأليفا يذعن له جموحهم ، ويمنعهم ان يتنازعوا ويفشلوا ويذهب ريحهم ، ولتكون كلمتهم على استيصال الكافر النعمة متفقة ، وآرائهم فيما يؤدي الى كشف الغمة بمكانه موفّقة،

ولما كان في هذا الوقت ورد كتابه الى حضرة امير المؤمنين يذكر نصيحته في وجهته بوجوه الاقبال ، وفوزه في نهضته ببلوغ الآمال، و انه لم يذر غلا في الصدور الا نزعه ، ولا شملا من صلاح الجمهور الا جمعه، وان اصناف العرب دانت له دين الامم لربها ، ودارت على قضايا امره ونهيه دور الرحى على قطبها ، وانه سار منهم بجيش يغص منه البر ، وجحافل كأنهم في صفحات الارض البحر، وبنود امير المؤمنين ظللت على رأسه من النصر غماما ، وطلعة اعلامه ارته من طوالع السعد اعلاما ، حتى احدقوا بحصن الخائن الذي لا يكاد من بأس الله ان يحصنه ، ولا من اخذه الاليم يؤمنه ، واطل عليهم اطلال من يجد في قلبه من وقع سيف المنايا زحفا، ومن وقوع سهامها حفا ، وخرج بلكين صهره على اخته وابن يلمو الذي هو مقدم قومه وابن حماد الذي هو اخو صاحب قلعة كيانة مستأمنين ، وبعفو امير المؤمنين لائذين، وعلى بابه توسلا في مثله عن صنهاجه وافدين ، ثم فتح حصن فاس، واقام على منائره الدعوة النبوية ، وضرب العين والورق على السكة المستنصرية ، وولى يلمو المذكور، وسار بالباقين الى الباب ، وانه لم يبق في حصون البحر ونواحي البر الا ما القى الله الى امير المؤمنين مقاليده ، وسكن منه انصاره وعبيده، واطلع فيه من سعادة النداء بشعاره نجوما، جلعها للشياطين رجوما ، واستصحب من مشائخ الاعمال قوما رغبوا في المشرق بالهجرة الى الحضرة، والمشافهة بالشكر والدعاء لما نجاهم الله تعالى منه من الغمرة ، وكشف عن وجوههم بافتلال ذلك الخائن من الحيرة، والتماس تدبير امورهم فيما يؤذن باصلاحها بعد ان كساهم الله تعالى رونقا، ونفى عن مشاربهم رنقا ، فديارهم بحمد الله بالمسار مشمولة ، وعراصهم بالتهاني مأهولة ، وهو وارد قريب المسافة وصحبته خلق من الحجيج يذكر انهم لا يطأون للبدو والحضر الا مواطئ الطاعة موطئا ، ولا يصادفون الا مذعنا لها ولصفقتها معطيا ،وانه خلف ابن باديس اللعين محصورا في مشفاة من الارض، محصولا على خوف الاخذ والقبض، وقد فغر الردى له فمه ، ولن يبعد الله بعون الله تعالى ان يلتقمه ، وان امير المؤمنين يسئل الله جلت عظمته معونته على شكر نعمه التي هو عن القيام بواجب اهلها محصور، ولسانه عن الوفاء بسير مقصور، ويقول الحمد لله الذي اذهب عني الحزن ان ربنا لغفور شكور، اعلمك امير المؤمنين بنبأ هذه العارفة لتنشره على المنابر، وتذيعه في البوادي والحواضر، ان شاء الله تعالى ، والسلام عليك ورحمة الله وبركاته ،

وكتب في شهر رمضان الله سنة خمس وخمسين واربعمائة ،

الحمد لله وحده ، وصلى الله على المصطفى خاتم النبيين وسيد المرسلين ، وعلى الائمة الطاهرين المهديين، و سلّم تسليما. وحسبنا الله ونعم الوكيل.

ولم ينقطع امر ابن باديس عن جهات افريفية والمهدية ، بل بقيت برهة في يده ويد ولده ، وقيل انه رجع الى طاعة الائمة عليهم السلام . وابقى في يده ما كان اضيف اليه بعد ابيه وجده ، والله اعلم اي ذلك كان.

ولنرجع لتمام اخبار امر الداعي الصليحي على الاختصار، ونستعين بالله في الايراد والاصدار ،

وقد ذكرنا ما هيأ الله للداعي الصليحي من بلوغ المرام ، وما جرى له في الاحوال من الانتظام ،وملكه اليمن من اقصاه الى ادناه ، وما ظهر من العدل الذي اجتمعت على النطق به الافواه ، وكان جمع اليه سلاطين اليمن واسكنهم معه في صنعاء في سنة خمس وخمسين واربعمائة ، فوقع الانتظام والائتلاف ، وانقطعت اسباب الخلاف ، ولما بلغ الامير محمد بن علي بن محمد الصليحي مبلغ الرجال، ورأى فيه والده دلائل الفضل والكمال، اقامه لينوب عنه في جميع دعوته ، وجعله الخلف له واسند اليه في وصيته ، وكتب بذلك الى امير المؤمنين المستنصر بالله عليه السلام واستورده امره فيه ، وبركة رأيه والاذن له فيما يرتجيه ، فورد اليه سجل من امير المؤمنين المستنصر بالله عليه السلام يقول فيه :

ومما نظر اليك امير المؤمنين المستنصر بالله مثله ممن بنور الله ينظر ، لمثلك ممن باخلاص ولائة يستظهر ، ان يتخذ ولدك منتجب الدولة وصفوتها ذا المجدين خليفة لك يخلفك في حيوتك ، ويكون خلفا صالحا عند حضور وفاتك ، وان يصطنعه لنفسه ، ويلبسه من لباس الاكرومة ما يترقى الى ذروة الشرف بلبسه، ويفيض عليه الاقدار باذن الله سعودها ، وتنجز له اقاصي الاماني وعهودها ، ويسميه الامير الاعز شمس المعالي مضافا الى قديم القابه ، ويأذن ان تدعو في تراجم كتبه ويدعى به ، ويفسح ان يذكر به على فروق منابر بلادك في اعجاز ذكرك واعقابه ، وان يلقب اخوبه بلقبين زائدين في القابهما المتقدمة ، لينالا بهما مزيدا من الاصطناع والكرامة، فالاوسط منهما الامير المكرم ، والآخر الامير الموفق ، والله تعالى يسدد كلا منهم ويوفق ، فكان وصول هذا السجل الى الداعي علي بن محمد وهو في مدينة صنعاء في رجب سنة ست وخمسين واربعمائة ، وكان اسعد بن شهاب الصليحي عاملا على زبيد واعمالها فتوفي رحمة الله عليه في شعبان من هذه السنة ، فرأى الداعي الصليحي ان يستعمل ولده الامير الاعز محمد بن علي بن محمد الصليحي على ما كان الى خاله اسعد بن شهاب من اعمال زبيد وتهامة ، واراد ان يفرده فيها ليختبره ويعرف سياسته، فنزل الاعز الى زبيد في شهر شعبان من سنة سبع وخمسين واربعمائة ، واحمد بن علي استعمله ابوه الملك الداعي الصليحي على الجند وعلى ما يليها، وكان الداعي علي بن محمد قد استعمل اخاه عبد الله بن محمد على حصن التعكر وما والاها ، فلما كان في سنة سبع وخمسين واربعمائة اختط السلطان عبد الله بن محمد الصليحي مدينة ذي جبلة بامر الداعي علي بن محمد الصليحي ، وجبلة على ما قيل اسم يهودي كان يسكن فيها ويعمل الفخار، وهي تسمى مدينة النهرين لان حولها نهرين جاريين كبيرين ، وقيل ان عبد الله بن محمد الصليحي هو الذي بنى قلعة تعكر وابتدء في مدينتها ايام اخيه الداعي علي بن محمد الصليحي هو وابن اخيه المكرم احمد بن علي، وكان المكرم بالجند وعمه عبد الله بن محمد بالتعكر ،

وسار الاجل الاوحد الداعي علي بن محمد الصليحي الى زبيد ، وصحبته امرأته الحرة اسماء بنت شهاب وولده الامير الموفق ابن علي فاقاموا بزبيد عند الامير الاعز الى ايام خلت من المحرم اول شهور سنة ثماني وخمسين ورابعمائة ، ونهضوا يريدون صنعاء وشيعهم الاعز وهو يريد ان يبلغ معهم العمد ، فلما صاروا بالمقصع اصابت الاعز الحمى ، فامر والده بالرجوع الى زبيد ، فرجع ودخل زبيد ليلة الثلثاء لعشرين خلت من المحرم وقد قويت علته ، واصبح بها وقد تزايد به الالم ، واقام يوم الاربعاء والخميس الى العصر ، وتوفي رضوان الله عليه يوم الخميس ثاني وعشرين من شهرالله المحرم اول سنة ثماني وخمسين واربعمائة وعمره تسع وعشرين عاما وشهر ويومان لان مولده بحصن مسار في يوم الاربعاء العاشر من ذي الحجة آخر سنة تسع وعشرين واربعمائة ، وصدرت الكتب الى الداعي علي بن محمد بوفاته ، وكان قد صار بحراز وهو يريد الطلوع الى مسار ، وامرأته اسماء بنت شهاب صحبته ، فوافاهما الخبر بوفاة ولدهما الاعز وهما ببيت ثعال من اعمال حصن مسار ، فاشتد عليهما الامر ، ورجع الداعي الصليحي الى مدينة زبيد بجميع من معه ، فوصلها ليلة يوم الاثنين ، ووجد ابنه الاعز لم يدفن ، واصبح يوم الاثنين فشيع جنازته ودفنه غربي قبر خاله اسعد بن شهاب ، وفي ذلك يقول علي بن مالك الصليحي:

ايا عم هل احسـست بالنازل الذي \* بقربك لما حان منه نزول

فتحفيه التسأل عمن وراءه \* وكل الى ما ألتما سيؤول

وجزع عليه والده جزعا شديدا ، وكان قد جعله عميدا ، ورثته الشعراء ، فمن ذلك قول القاضي عمران بن الفضل اليامي من قصيدة اولها :

عال صبري فراق ذي المجدين \* وجفاني الكرى واسهر عيني

صاح ان الندى ونجل علي \* سكنا من ضريحه لحدين

ما رأينا ولا سمعنا بقبر \* قبل هذا مضمنا شخصين

وعلي لولا علي واسماء \* ومنصورها وذو السيفين

وتأسي باحمد وبنيه \* وعلي وشبر وحسين

لسكنت الضريح او رحت ارضا \* غير ارضي اهيم في الخافقين

وكان عمرو بن يحي الهيثمي بحصن كحلان الحداد مقيما مع السلطان اسماعيل بن ابي يعفر الصليحي، فوافى الخبر الهيثمي وهو في الطريق يريد زبيد ، فقال :

جرت علىالعرب الذيول الصيلم \* اذ ضم ذي المجدين لحد متهم

وتزلزلت شم الجبال لفقده \* واضل سالكه الطريق اللهجم

والشمس كاسفة عليه حسرة \* والجوّ في وقت الظهيرة مظلم

ويقل ذاك وانها لجليلة \* من حقها لبس التراب الانجم

ان يهدم الايام عمر محمد \* فسنائه فوق السهى لا يهدم

واقام الداعي علي بن محمد الصليحي بمدينة زبيد لقراءة القرآن عند قبر ولده الاعز سبعة ايام ، ثم انشأ سجلات الى الحضرة النبوية وارسل الرسل ، فكان مسيرهم في شهر صفر ثماني وخمسين واربعمائة ، وكانت اخت الامير الاعز ميمونة بنت علي بن محمد الصليحي قد نالها غم عظيم ، فوقع معها من الغم ما حال بينها وبين الحديث ، فماتت في صفر رحمة الله عليها ، قال صاحب سيرة الداعي المكرم الصليحي كان بالحضرة الشريفة النبوية رسولان لاستخراج مال لحمل الهدية ، فلما قضى الله سبحانه على الامير الاعز رضوان الله عليه ما قضاه وكانت وفاته يوم الخميس ثاني عشرين من شهر محرم ، قال فاخبرني احد الرسولين وهو احمد بن عبد الله اللهابي انه لما كان يوم الاثنين لاربع بقين من المحرم لقيه الامير المختار عزيز الدولة في قصر الامامة فسأله هل علم بوفاة ولد الصليحي الاكبر ، فانكر ذلك ،فقال له الامير عزيز الدولة اني دخلت على الملكة السيدة والدة مولانا الامام فرأيتها منكسرة ، فسألتها عن موجب انكسارها ، فقالت اخبرني مولانا صلى الله عليه بان ولد الامير الاجل الاوحد اكبر توفي ، وكان هذا من عجيب معجزات الامام ، واهتم الامام صلوات الله عليه بتشريف الملك المكرم واقامته فيما كان اقيم فيه اخوه الملك الاعز ، وشرفه بملابس من ثيابه ، وكتب له سجلا ، وامر الرسولين الذين كانا في حضرته عليه السلام باعداد المسير الى اليمن، وذلك قبل وصول الرسل الذين اصدرهم الداعي الاجل الى الحضرة المقدّسة ، فوصل الرسل الى الملك الاجل الاوحد وهو بابين في شهر ربيع الآخر من سنة ثماني وخمسين واربعمائة ، وكان في السجل الذي الى الداعي علي بن محمد الصليحي قوله عليه السلام ، وان امير المؤمنين يعزيك عن ولدك الاكبر الامير الاعز شمس المعالي منتجب الدولة وصفوتها ذي المجدين رحمة الله عليه ، الذي اخترت له خير الاولى ، واختار الله له خير الاخرى ، والحقه بالملأ الاعلى، سوى ان امير المؤمنين تألم مما المّ به ، و ما اعترى قلبك من الحرقة بسببه ، وحكم الله سبحانه الغالب الذي لا يغالب ، والحتم الذي لا ينجو منه هارب ، وانت ربط الله على قلبك بالصبر ، واجزل حظك من الثواب والاجر ، ارجح في ميزان العقل وزنا ، ان يدخل عليك الهم فيما لا ينفع الهم به وهنا ، فالتق سلاح البلوى بجنة المالكين للصبر القادرين، وانتظم في سلك من عناهم الله سبحانه بقوله فما وهنوا لما اصابهم في سبيل الله وما ضعفوا وما استكانوا والله يحب الصابرين، وقد امر امير المؤمنين بالرجوع الى ولدك الاوسط كان ، وهو اليوم الاكبر ن حفظه الله للكسر في اخيه رحمه الله بجبر ولاية عهدك حيا ، ويسد مسدك ميتا ، وانشأ من التقليد ما يكون لفؤادك مثبتا ، فلينشر في المحافل والمحاضر، وليقرأ على فروق المنابر ، ليكون لداء النائبة دواء ، وللهيب نار الحزن اطفاء ، وعزز بانفاذ تشريف من ملابسه يظهر عليه بين الاولياء رونق جماله ، ويكون له جنة يوم حشره ومآله ، واعلم ذلك من رأي امير المؤمنين ورسمه ، واعمل عليه وبحكمه، وطالع حضرته بذكر ثبوت مراسي صبرك ، بما يعرف به عن مكانتك من الجلد ومقرك ، ويسري عن نفس امير المؤمنين فكرها بتقسيم فكرك ان شاء الله تعالى، وكتب في صفر سنة ثماني وخمسين واربعمائة ، والحمد لله وحده ، وصلواته على جدنا خاتم النبيين وسيد المرسلين وآله الطاهرين ، وحسبنا الله ونعم الوكيل .

وسجل الى الامير المكرم احمد بن علي الصليحي وهو:

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، من عبد الله ووليه الامام المستنصر بالله امير المؤمنين الى الامير المكرم شرف الامراء منتجب الدولة وغرسها ذي السيفين احمد بن الامير الاجل الاوحد امير الامراء عمدة الخلافة تاج الدولة سيف الامام المظفر في الدين نظام المؤمنين علي بن محمد الصليحي ، اما بعد ،

فالحمد لله البعيد من حيث تناوله بيد الاوهام وهو ببدائع قدرته داني ، الباقي وجهه الكريم سبحانه وكل من عليها فان ، لا اله الا هو كل يوم هو في شأن ، وصلى الله على من رفع في النبوة مكانه على كل مكان ، محمد المبعوث على الانس والجان، وعلى وصيه اشرف ترجمان ، علي ابن ابي طالب خير صاحب تأويل وبيان، وعلى الائمة القائم منهم امام في كل زمان، هداة من يبشرهم ربهم برحمة منه ورضوان، وقد كان رأى امير المؤمنين وبالله توفيقه ان ينصب اخاك رحمة الله عليه ولي عهد لوالدك نصره الله واظفره في حيوته ، ووارثا له بعد مماته ، جمعا منه لشملكم ، ووصلا لحبلكم، وحفظا لبيتكم المبارك المتبرج بزينة الايمان، المنتهج منهاج بيت اسـس على تقوى من الله ورضوان، وكان من قضاء الله السابق في الاستيثار ما ليس عليه معترض، ونزل به من نازل المنايا ما كل جسم له عرض، وآلم امير المؤمنين ما الم به ، وضاق ذرعا بسببه ، ونزع في التسليم لامر من بيده ملكة البسط والقبض ، ذلكم الله سبحانه خالق السموات والارض، ولما كانت الصورة هذه اجمع بهذه الرتبة اليك ، وطرح شعاع شمس الاصطناع فيها عليك ، فاتق الله فيما قلدك من هذه الامانة حق تقاته ، وشمر لابتغاء مرضاته ، وقم بالمحافظة على سائر اركان الشريعة ، وتحصن بحصونها المنيعة ، وابسط بساع العدل والانصاف ، واقصـص جناح الجور والاعتساف، واسهر لتر قدر رعيتك رقاد الامن، وانزل عليهم من سماء عدلك منة السلوى والمن، وكن من ابر الناس بالوالدين، واحمل الكلف عن قلوبهما بكلتي اليدين، وراقب من يعلم خائنة الاعين وما تخفي الصدور ، واتل قول الله تعالى يا ايها الناس ان وعد الله حق فلا تغرنكم الحيوة الدنيا ولا يغرنكم بالله الغرور ، والبس ما شرفك به من ملابسه التي تحوز بها في الدارين المنى والسرور ، هذا عهد امير المؤمنين اليك فتقبله بقبول حسن، واقبل عليه اقبال امين على شرائطه مؤتمن، والله يوفقك ويسعدك ، والى مصالح الدارين يرشدك ، برحمته ان شاء الله ، والسلام عليك ورحمة الله وبركاته ، وكتب في صفر سنة ثماني وخمسين واربعمائة ،

والحمد لله وصلواته لى جدنا محمد خاتم النبيين ، وسيد المرسلين، وعلى آله الطاهرين وسلامه ، وحسبنا الله ونعم الوكيل .

فسُرّ الداعي الملك الاجل الاوحد حين ورد سجلي امامه ، وحمد الله تعالى على ما اتاح لوليه من النظر الى ولده بقيامه في مقامه ، وازال عنه من الحزن على ولده الاعز كثيرا مما كان يجده ، وعلم انه بالمكرم قد استقام مما اناد اوده ، وعاد الى صنعاء ، فدخلها وامر بتقليد ولده المكرم فقرأ على منبر صنعاء في اليوم الثامن من جمادى الاولى في السنة المقدم ذكرها ، وانتشرت في اقطار اليمن فضائل المكرم انتشارا بطيب نشرها . وزوجه ابوه الحرة التقية السيدة ابنة احمد بن محمد الصليحي ، وهي ام اولاد الملك المكرم ، وزوج ابنه الموفق فاطمة ابنة احمد بن المظفر الصليحي، وقد كان ازمع ان يزوجها الاعز ، وكان الداعي الاجل والاوحد قد اصدر القاضي عمران بن الفضل وجماعة معه الى الحضرة المقدّسة المستنصرية بعد الذين ذهبوا بوفاة الاعز يستأذنه في الحج وزيارة الحضرة المطهرة ، ويسأله في اقامة الامير المكرم عوضا عن اخيه ، ويستورد في ذلك امر ولي زمانه ليعمل بما امره يقتضيه ، فاجيب الداعي الاجل بما هذه نسخته :

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، من عبد الله ووليه معد ابي تميم الامام المستنصر بالله ا مير المؤمنين الى الامير الاجل الاوحد امير الامراء عمدة الخلافة شرف المعالي تاج الدولة سيف الامام المظفر في الدين نظام المؤمنين ابي الحسن علي بن محمد الصليحي نصره الله واظفره ، واحسن توفيقه ومعونته ، سلام عليك ، فان امير المؤمنين يحمد اليك الله الذي لا اله الا هو ، ويسأله ان يصلي على جده خاتم النبيين وسيد المرسلين ، وعلى آله الطاهرين الائمة المهديين،

اما بعد

فالحمد لله المقصوص جناح الفكر دونه في هبوطه واصعاده ، جاعل عالم كونه وفساده ، سلما الى محل رضوانه ودار معاده ، يحمد امير المؤمنين ان مهّد له من مجد الامامة في خير مهاده ، ويسأله ان يصلي على غوث عباده ، وغيث بلاده ، محمد جده المقلّد من شرف النبوة اشرف نجاده ، المصطفى الهادي صفوة اغواره وانجاده، وعلى اخيه وابي اولاده ، المخضرّ به روض الحكمة اخضرار الروض بصوب عهاده ، علي ابن ابي طالب مفترس الفرسان يوم الضراب والطعان تحت سنابك جواده، وعلى الائمة من ذريته اكارم الدهر وامجاده، الذين من اقتدى بهم فقد هدي لرشاده ،

وكان عرض بحضر امير المؤمنين كتابك ا لوارد على ايدي رسلك ، وهم عبد الاعلى ابن عبد المجيد ومحمد بن علي وعبد الواحد بن بشارة ، وكتاب جماعة المؤمنين قبلك كثرهم الله ، بذكر استيثار الله تعالى لولدك الامير الاعز شمس المعالي محمد واخته رحمهما الله ،وان الفجيعة بهما اوهنت منك العظم ، وانحلت الجسم، فآلم امير المؤمنين ما آلمك ، وثلم في جسم نشاطه ما ثلمك، وترحم على الماضين ترحما يفضي بهما الله معه الى الروح والريحان، ويرفعهما الى اعلى الجنان، ودعى بإلهامك حسن الصبر والاحتساب ، ربّا يوفّي الصابرين اجرهم بغير حساب، ولبّى امير المؤمنين فيك لنداء دعوتك ودعوة المؤمنين قبلك في ردّ ولاية عهدك والخلافة في حياتك ومن بعدك الى اخيه المكرم شرف الامراء عز الملك منتجب الدولة وغرسها ذي السيفين ا حمد ، ولا شك في وصول ما اصدر امير المؤمنين في هذا المعنى من سجله ، وقوع الاحماد لمسابقة السؤال بفعله، وتلى ذلك وصول كتابك على ايدي القاضي عمران بن الفضل ونجيب بن غفير يوسف بن محمد وعنتر بن عشم، المعرب عن ديانتك التي تسفر اسفار الصبح ، وتقضي بمواجهتك في مساعيك لنصر الله والفتح ، وابتدأك لما يرفع الله به رأياتنا اهل بيت النبوة الى منطقة الجوزاء ، ويسمع منطقه مكان السماء ، ووقف امير المؤمنين عليه وقوف ملتفت اليك بقلبه ، ملتف عليك بحبه ، ودعى بحسن التوفيق لك ربا يسمع ردعائه ، ويجيب نداءه ، ودعى لولدك ومن في جهتك من المؤمنين ومن في جملتك بالاسعاد والارشاد ، و التوفيق لك بصلاح المبدأ والمعاد ، وهو ولي الاجابة بمنّه، فاما ما انهيته من ظهور الفساد في المحرم المعظم ، والمقام المكرّم ، بالخلف والتحارب بين الفريقين والتنازع حتى صارت الدماء فيه تسفك ، واستار قول الله تعالى اولم يروا انا جعلنا حرما آمنا ويتخطف الناس من حولهم تهتك ، اذ صار الارواح فيه تتخطف ، وعاصفات النهب والظلم تعصف، وما سألت فيه من اذن امير المؤمنين ان تصلح فساده ، وتقوّم منآده، وتقيم للعدل عماده، وتعمر طرقه للسفار ، وتطهّرها من دنس المفسدين والذّعار ، فقد عرف ، وعزيز على امير المؤمنين ما يجري في ذلك البلد الامين، وهو منسك من مناسك الدين ، لا جرم ان الارض راجفة كلها برجفانه وهو قلبها ، ومتألمة بالمه وهو صفوتها ولبها ، وحقيق ان يقيّض الله صلاحه وهو خير البقاع ، على يديك وانت خير من لحظته عين الامامة بالاصطناع، سوى ان امير المؤمنين يشفق من وقوع جرح على جرح ، وقرح على قرح ، بتصدي قوم لفتنتك اذا رأوك عليه مطلا ، فيحدث حادث فساد قتالا وقتلا، وما يؤثر امير المؤمنين ان يوجد من ذلك مثقال ذرة، ولا ان ننال طالبيا خاصة وخز ابرة ، فان امكنك تملك المكان بتأليف القلوب ، وتجنت سورة الحروب، فوا برد ذلك على الاكباد ، وانها نهاية المراد ، وغاية قصد القصّاد، فتأمل احسن الله توفيقك هذه الحالة تأملا شافيا ، واعمل فيها بما يكون للثقة في دينك ويقينك موافيا ، اما ما انهيته من حال رسل غرس الدين يوسف بن حسين الصيمودي وحصولهم عندك منذ سنة متوسلا بك الى حضرة امير المؤمنين باستخدامه في الدعوة الهادية ادامها الله في بلاده ، واعتماده في الاصطناع مكاتبة وتلقيبا وتشريفا بما يكون مقيما لعماده ، فقد اجاب امير المؤمنين سؤالك ، وحمد فيه اقوالك وافعالك ، وبركاتك في اقاصي البلاد ودانيها منتشرة، ووجوه سعادتك ضاحكة مستبشرة، وعناية امير المؤمنين فيك بتواليها وتتابعها مبشرة ، بمشية الله تعالى وعونه ، واما ازماعك قرن الله الخير بعزماتك ، ولقّاك النجح في تصرفاتك التوجه الى حضرموت لفتح اغلاقها ، ونشر دعوتنا في آفاقها ، فالله تعالى يمدك بالمعونة واردا وصادرا، ويجدّد لك من سيف نصرته ما يكون لاعدائك قاهرا، بمنه ،واما تجديدك السؤال في الالمام بنا اذا قضيت من امر الحرم الشريف وطرا، والفسح لك فيه بما يكون لغرس قديم امانيك ثمرا، فلا شيء احب الى امير المؤمنين من ان يشبع الى اوليائه مثلك نظرا ، لكن الشقة بعيدة ، ومتاعب المنافذ فيها شاقة شديدة ، وامير المؤمنين يرجح ما يراه من الصلاح في مقامك ، على ما يهواه من قدومك وإلمامك ، اجماعا لنفسك ان تكدح وتتعب، واشفاقا على ما تخلفه وراءك ان يضطرب ، وسوى هذا فانت بين ان ترد بكثر لا تحملهم الطريق ، وقل يمنعك عن التعرض للغرر فيه امامك البر الشفيق، والذي تأمل بلوغه برأي العين فانك بالغه بحمد الله برؤية القلب، ونائله من امام زمانك علىظهرالغيب ، فاحمد الله تعالى على ما قدّر في ذلك من الخير وقضاه، وقل رب اوزعني ان اشكر نعمتك التي انعمت علي وعلى والدي وان اعمل صالحا ترضاه، واما تكرير سؤالك في معنى ولدك حفظه الله ان تسد به مسد اخيه رحمه الله ، فقد تقدّم القول بانه سابق فعل ذلك من امير المؤمنين سؤالك ، وانه كتب في هذا الباب بما ينعم بالَك ، واصدر ذلك على ايدي رسلك مقرونا بالتشريف ، والتقليد له بالسجل الذي يرقيه الى المحل الشامخ المنيف، لتعلم ان اهتمام امير المؤمنين بشأنك مثل اهتمامك ، واعتزامه على ما تنال به سعادةالدنيا والدين موف على طلبتك ومرامك ، وان امير المؤمنين لمكانتك من نفسه ، ووقوع ما يرفعك ويعليك في اهمّ موقع منه وامسّه ، رأى تشريفك بالكنية في المكاتبة ، تاليا لنعوتك والقابك الراتبة ، وان يزيد في نعوت ولدك الاكبر شرف الامراء عز الملك مقرونا بملابس المجد وملابس الفخر، ويشد مناقب عزه بباقي الدهر ، وفي نعوت اخيه الاصغر شرف الملك ، وفي نعوت عقيلتك الصالحة ام الامراء المنتجبين ، والذي يعتقد امير المؤمنين فيك فهو على ما ظهر زائد ، وسائق اليك خير الدارين وقائد ، بمشية الله ، فاعلم ذلك من رأي امير المؤمنين ورسمه ، واعمل عليه وبحكمه ،وطالع حضرته بانبائك ، وما تتشوّقه من تلقائك ، ان شاء الله ، والسلام عليك ورحمة الله وبركاته ، وكتب في شهر ربيع الاول سنة تسع وخمسين واربعمائة ،

والحمد لله وحده ، وصلواته على جدنا محمد خاتم النبيين وسيد المرسلين، وعلى آله الطاهرين الائمة المهديين وسلامه ، وحسبنا الله ونعم الوكيل ،

فوصل اليه الرسل بهذه السجل وهو في قرية من قرى حراز تعرف ببيت جميع ، وذلك جمادى الاخرى سنة تسع وخمسين واربع مائة ، وما زالوا معه حتى وصل صنعاء لست بقين من رجب من هذه السنة ، وجدّ عزم السلطان الملك الاجل الاوحد الداعي علي بن محمد الصليحي على الحج الى بيت الله الحرام ، والقصد بعد ذلك الى زيارة امامه عليه السلام ، واخذ اهبة السفر، واستعد عدة من اخلص النية لله تعالى فيما اضمر، وجعل يضم اليه الاموال ، ويقدّم لذلك الاحمال ، من خالص الورق والنضار ، والطرف الحسنة التي تزهو في اعين النظار ، ويرتفع خطرها على الاخطار ، وقصده الانفاق من ذلك لما يحتاج اليه في سفره ، واقامة الحرم الشريف والانفاق عليه لزيادة اجره وعلو مفخره ، واعداد ما يهديه الى مقام امامه ان نال في ذلك ما يروم من وطره ، وذلك بعد ان عهد الى ابنه الملك المكرم عهده ، وخلفه خليفة له فيما ترك بعده ، وخلف معه خاله احمد بن المظفر الصليحي ، وفي العهد الى الملك المكرم يقول القاضي الحسن ابن ابي عقامه ، وكتب اليه بها من مدينة زبيد ، وهي هذه :

هنا الدين والدنيا بتقليدك الامرا \* فقد طوّق التقليد هذا وذي فخرا

لعمري لقد طال انتظارهما لذا \* وعدّا له الايام والحول والشهرا

الى ان اتى تحقيق ما كان ظنّه \* وللكون فعل ليس يفعله البشرا

فلو ملكا قولا اذا اثنيا به \* ولو ملكا بطشا اذا سجدا شكرا

وما لي والاخبار عن ذا وهذه \* سروري بما سرّا وفوق الذي سّرا

ولي جبهة للشكر تسجد دائما \* ونثر ونظم يملأ البر والبحرا

فخذ خبري كم سجدة قد سجدتها \* وحمد وشكر ذاك في اثر ذا تترى

تمنيت من شوقي لو ان مطيّتي \* سحاب اوان الريح تركبني ظهرا

ولم تكر عيني دون ان تنظر الذي \* سمعت به عين المحاول لا تكرا

وكانت لطرفي حالتان تخالفا \* اقرتهما البشرى وللشوق ما قرا

فيا بدر آفاق العلى وابن شمسها \* شهدت لقد اخجلتما الشمس والبدرا

وهل فيهما الا الضياء وانتما \* ضياء واغناء ورشد لنا طرا

فلا تكسفا ان يكسفا وتألّقا \* ولا تغربا ان يغربا واطلعا الدهرا

لعمري ما ناط الامام باحمد \* ولايته حتى رآه بها احرى

اذا هزّه الفاه عضبا وان رمى \* به ثغر امر سد تدبيره الثغرا

فارسله في حلبة قد جرى بها \* كهول فجلّى ثم غادرهم حرى

وفتش عن آرائه فتصوّرت \* سيوفا وعن املائه فانبرت غرا

وعن حاله في الطول والهول فانتهى \* الى كونه في ذا وذا البحرا والبرا

صفات رأيناها لديه كواملا \* صبيا ولما ينتهي عمره العشرا

وما الناس الا كالنجوم تفاوتا \* فليست تساوي والسهى تعدل النسرا

مكرّم ان تعطى الكرامة دونهم \* فانك ازكاهم اذا انتسبوا نجرا

واشجعهم قلبا واسمحهم يدا \* وابعدهم هما واسعهم صدرا

وارجحهم عقلا واكثرهم تقى \* وانقاهم جيبا واعلاهم ذكرا

مددت الى العليا يدا كل من غدى \* يمد بباع باعه عندها شبرا

واطلعت في افق المعالي مناقبا \* رأينا النجوم الزاهرات بها كدرا

فمن ذا اذا تجري يجاريك في العلى \* فيدنو دنوا منك او يقتفي الاثرا

رويدا فما في حلبة السبق غيركم \* وقد خجلت اولاه اذ كنتم الاخرى

واني لفي اوصافهم مثل سابح \* تورّط في بحر ولم يقطع البحرا

اقول لشعري اذ تلاطم موجه \* رويدا ايحصي القطر من يحسب القطرا

اذا ما كبى شعري دوين مداكم \* تعلى فصارت دون مبلغه الشعرى

ولما وجد عزم السلطان الاجل الاوحد على المسير للحج الى بيت الله الحرام ، وقصد امامه عليه السلام ، وكان قد ارسل القاضي الاجل قاضي قضاة اليمن لمك بن مالك الحمادي الى الحضرة المقدسة يطلب الاذن له في الحج الى مكة، والمسير بعد ذلك للهجرة الى شريف الحضرة ، فكان الامام عليه السلام يثبطه وسنذكر ذلك اذا انتهينا اليه ، فلما تأخر الجواب عن الملك الاجل الاوحد ازمع على وصول مكة ، وسؤال امامه عليه السلام ومراجعته في ذلك من هناك ، فاوصى الداعي الاجل الملك المظفر علي بن محمد ابنه السلطان الملك المكرم بالعدل وحسن السيرة ، والسياسة وتقوى الله في الجهر والسريرة ، والعمل باعمال الشريعة واقامة دعائمها ، والائتمار باوامرها والانتهاء عن محارمها ، واوعب اليه في ذلك وحصنه ، واطال في ذلك وعظه ، وقدّم امامه سلاطين ا ليمن والذين يريدون الحج معه كيام وجنب وسنحان واهل حراز وغيرهم ولكثرتهم ، ولئن لا يزدحموا في الطريق وعلى المناهل ، وبقي معه ستمائة رجل من الحرابة ، واكثرهم من عبيده وملك يمينه ، وسيّر معه ايضا وجوه قومه ، وسار الملك الاجل الاوحد من صنعاء يريد الحج يوم الاثنين سادس من ذي القعدة من سنة تسع وخمسين واربعمائة ، وكان قد بلغه ان الاحول سعيد بن نجاح يجمع اليه الحرابة بزبيد وغيرهم من الحبشة ، و انه يريد القيام ، فامعن في طلب سعيد الاحول ، فاستتر عنه ولم يعلم مكانه ، ووضح للداعي الاجل الاوحد ان فرح اليشي اكبر من يمعن في الفساد ، ويحرض العبيد والحبشة حيث كانوا من اليمن على الاجتماع الى سعيد والخلاف معه ، وفرح اليشي هذا من عبيد نجاح ، وقد كان الداعي الاجل الصليحي ركن اليه لما اظهر له من الطاعة والنصيحة واضمر من الغدر، وكان قد ولاه حصن مسار، فحين بلغ الداعي الصليحي فساده وعناده امر له فاحضره وعاتبه وذكر له احسانه اليه وتقديمه ورفع مكانه ، فجحد ما نسب اليه، وحلف باكيد الايمان ، وقال اني اذهب وآتيك بابن نجاح، فركن الداعي الى تصديقه ، وامر ان يأتيه بسعيد ابن نجاح بعد القبض عليه ، فقصد فرح الى زبيد ، فحرض على الخلاف العبيد ، وقال لهم انه قد اشتهر امركم ، فتلافوا انفسكم والا فانه قد حان هلاكـكم، فحين بلغ الداعي امره امر بالقبض عليه فوافاه به ابو السعود بن شهاب بن جعفر الصليحي مستوثقا مكبلا ، فلما انتهى الصليحي الى العمد امر بقتل فرح البيشي حين صح له فساده ، وعتوه وعناده ، فلما بلغ الحبشة امره ازداد نفارهم وخوفهم ، واظهروا سعيد بن نجاح الاحول وكشفوا قناعه، ووثبوا على مولاهم ابي السعود واحمد ابني اسعد ابن شهاب وهما بزبيد فقتلوهما ، وقتلوا من كان معهما من اهل حراز ، وهم المستعملون بزبيد رحمة الله عليهم ، وخرجوا بالاحول وقد تقووا بما حازوه بزبيد مما كان لبني اسعد بن شهاب من مال وكراع ، وارادوا الفتك بالداعي الصليحي ن وان يستعينوا بمن في تهامة والشبام ممن كان على رأيهم من العبيد الحرابة ، وقد علموا ان الداعي الصليحي ليس معه احد من اهل البأس، والشدة والمراس، لان رجاله قد تقدموه ، فمنهم من صار بالهجر ، ومنهم من صار بذهبان ، وجميع امواله واثقاله وخيوله وجماله مبثوث من الهجر الى ا لمهجم لان البلاد تمهد مهادها ، واستقام عمادها ، وامنت السبل، وخضع كل عزيز وذل ، ومع الملك الاجل ابنه الامير الموفق ، والحرة اسماء بنت شهاب والدة اولاده ، واخواه عبد الله وابراهيم ابنا محمد بن علي الصليحي ، وجماعة من بني عمه قد اجمعوا لقصد الحج الى بيت الله الحرام ونووا الهجرة الى حضرة الامام عليه السلام ، فلما انتهى الى الداعي الملك الصليحي ما فعل الحرابة من العبيد في مدينة زبيد، وقتلهم لابني اسعد بن شهاب، وانهم خرجوا للقصد اليه ، ولم يكن عنده غير الحرابة ، فاظهروا له النكير على اصحابهم ، وانهم محبون ان يكون اخذهم بايديهم وقطع رقابهم ، وقد اسروا الغدر ، واضمروا المكر ، وصدّقهم الداعي الصليحي لما له عليهم من الاحسان، وما والى اليهم من الامتنان، ولما في اعناقهم له من اكيد الايمان ، فانهضهم الداعي لهم فساروا سراعا يؤمون قصدهم ، فوجدوهم في طريقهم، فمالوا عنهم فارسلوا اليهم اين تؤمون ، وما ذا تقصدون ، فعرفوهم انهم يريدون الشبام وتهامة ، فارسلوا اليهم يحرّضونهم على قصد الداعي الاجل ، وعرفوهم انه قد تقدّم عسكره ، وقالوا لهم ان فاتكم غدا يوم السبت لحق باصحابه وعسكره ، وامتنع عن يد من يرومه بمنكره ، فسمعوا قولهم ، وقويت بذلك نفوسهم، فصاروا اليه مجدّين ، وله قاصدين ن فلما علم الداعي الملك الاجل الصليحي بدنو العبيد قال لاصحابه اني اقتل عند بئر ام معبد وهو يظنها ما بين الحرمين الشريفين ، فقالوا له هذه والله بئر ام معبد ، فلما سمع قولهم عرف ان الشهادة قد دنت ، ووطّن نفسه عليها قاصدا رضى الله عنه فيما اخفتت نفسه واعلنت ، فوافاه العبيد في يوم السبت الحادي عشر من ذي القعدة ، ومعه بنو عمه فكان لهم يومئذ بلاء شديد وصبر عظيم، وجهاد لم يشتهر مثله ، وكان للسلطان عبد الله بن محمد يومئذ صبر محمود ، وجهاد معدود ، وهو اشدهم في ذلك اليوم اقداما ، واعظمهم صداما ، فاستشهد الداعي الملك الاجل الاوحد الصليحي علي بن محمد رضوان الله عليه ورحمته وبنو عمه واخواه ، فكان الذين استشهدوا معه اخواه عبد الله وابراهيم ابنا محمد الصليحيان، وعمرو بن حاشد بن جعفرالصليحي ، ومالك بن ابراهيم الصليحي، ومسلم بن كريش بن عبد الله الصليحي ، وحاشد بن جعفر الصليحي ، واحمد بن قاسم بن عبد الله ابن قاسم ابن يعفر الصليحي ، ومحمد بن حمير بن يعلي الصليحي ، وعلي بن محمد بن علي المظفر الصليحي ، وحميد بن حسان الصليحي، وعبد الله بن ابي الجماهير ، وعمرو بن موسى ابن حذيفة الحي ، وروح بن سليمان اليامي ، وعلي بن سميل اليامي ، وحنوان بن ربيح اليامي، وعبد الله بن ابي الجماهير القليدي ، رحمة الله عليهم، واما الامير الموفق بن سلطان علي بن محمد الصليحي ومهنا بن علي بن المظفر الصليحي فانهما مالا الى الدار ليجاهد عن الحريم ، فلما قتل الداعي الصليحي رضوان الله عليه شهيدا مالت العبيد الى الدار ، فكان للمهنى الصليحي رضوان الله عليه من القتال ما عرف وشهر ، وما زالوا في الحصار والقتال الى يوم الاربعاء نصف ذي القعدة ، ثم استأمن مهنا بن علي وخرج الى الاحول فاخذ منه ميثاقا غليظا على الحرم وعلى من بقي من بني الصليحي وسواهم، وحلف له اربعين يمينا انه لا مكروه عليهم ، وانه يطلقهم ليسيروا الى مدينة صنعاء ، فوثق بقوله وعاد اليهم فاخرجهم ، فحين خرجوا ادخلت الحريم الى دار اخرى ، وغدر الاحول بالرجال فقتلهم جميعا ، وفيمن قتل منهم صبرا الموفق بن الداعي علي بن محمد الصليحي ومهنا بن علي الصليحي وجميع من كان معهما من الرجال والاطفال رحمة الله عليهم ورضوانه ، وانتهب جميع ما كان في الدار من الاموال الجليلة القدر من العين والورق وسائر ما يذخره الملوك ، مما كان الداعي الصليحي اعده لينفقه على عسكره الذين ساروا معه في طريقه ، وينفقه في مصالح البيت الحرام ، ويهديه الى حضرة امامه عليه السلام ، فاخترمته المنون دون امله ، واستشهد رضوان الله عليه في طاعة مولاه فائزا بصالح عمله ، حائزا لفضل الشهداء الذين يعلون في درجات الجنان ويرتقون ، القائل فيهم رب العالمين جل جلاله ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله امواتا بل احياء عند ربهم يرزقون ، وسألت الحرة اسماء بنت شهاب الاحول ان يدعها لتمضي الى صنعاء ومن معها من نسوة الصليحيين، فامتنع عن ذلك ، وسار الى زبيد والنساء معه ، وراس الداعي الصليحي يحمل على الرمح ، ورأس اخيه امامه ، والنساء ينظرن اليها ، ولما انتهى الى زبيد ترك نساء الصليحيين في دار وحدهن، ونصب رأس الداعي الصليحي قبالة الطاق الذي تنظر منه الحرة اسماء بنت شهاب ، فيا له من ابتلاء عظيم ، وخطب كخطب مواليهم يوم كربلاء الذي باء فاعل ذلك فيهم باللعنة والعذاب الاليم ، وفيما كان من قتل الصليحي وغدر عبيده به يقول عمرو بن يحي الهيثمي من قصيدة :

لما اصطفى حام وادناهم \* وعمهم منه العطاء الجزيل

وانشأ الحج الى مكة \* يبغي رضى الله وآل البتول

وارتجت الارض له خيفة \* ومن بها بين فرات ونيل

وقدم الجيش واحزابه \* ثم العرانين كرام الاصول

فصار في المهجم في عصبة \* من قومه غالية دهياء غول

كالليث في الغابة دبّت له \* رقطاء ليلا ذات شخص ضئيل

فان يكن نيل عن غرة \* فالبدر لا بد له من افول

وجرعت اسرته بعده \* كاس المنايا وهم غير ميل

مرد وشيب سادة قادة \* لهفي على مردهم والكهول

ولما قضى الله للملك الاجل الاوحد علي بن محمد الصليحي بالشهادة ونقله الى الرضوان الابدي والسعادة، قام الملك الاجل ذو السيفين المكرم احمد بن علي بن محمد الصليحي بامر الملك قيام غير وان ولا ثاكل ، ولزم الصبر حين اتاه علم الملك الاجل الاوحد اخذا بقول الله جل من قائل فيما انزل على خير انبيائه المرسلين ، وكأين من نبي قاتل معه ربيون كثير فما وهنوا لما اصابهم في سبيل الله وما ضعفوا وما استكانوا والله يحب الصابرين ، وانتشر البغي واستشرى الفساد ، ووقع الخلاف في جميع البلاد ، وارجف كل الناس ، واشتد الامر وعظم البأس، وكان وصول خبر مقتل الداعي علي بن محمد الصليحي قدس الله روحه الى ابنه الداعي المكرم يوم الاثنين الثالث عشر من ذي القعدة وهو بدار ملكه في مدينة صنعاء ليس معه غير ستمائة رجل من الحجازيين ، ففرّق فيهم السلاح وامره بالاستعداد ، وان يلاقوا البأساء بالقلوب الشداد ، ويثقفوا الاسل ويعدّوا المناصل الحداد ، وكان عامر بن سليمان الرواحي ومدافع بن الحسن الجبني ومن معهما يوم استشهد الداعي الصليحي في الذهبان ، ومالك بن شهاب بن جعفر بالهجر ، وعمران بن الفضل اليامي والحسن بن عمران السنحاني في يام وسخان وكذلك في الهجر ، وكل سائر في وجهته ، وقاصد لحجه وعمرته، وهم مشتتون في الطرقات ، منتظرون الاجتماع بداعيهم ليوافوا جميعا الميقات ، فحين بلغهم الخبر بما قضى الله به من الشهادة للداعي الملك الاجل اسقط ما في ايديهم، وكان اتصال العلم لهم ثاني عشر ذي القعدة، فساروا يأمون طريق نجد للرجوع الى الداعي الملك المكرم ، وانثنوا عما كانوا توجّهوا اليه من قصد بيت الله المعظم ، وقد تواصوا بالصبر والجهاد، ومكافحة المعاندين والاضداد ، فما زال المخالفون يعترضونهم في جميع الطرقات ، ويقصدونهم في جميع الجهات ، ويقاتلونهم قتال الاحرار ، ويجلون عن وجوههم بالاقدام حكم الذلة والصغار، ولا يولّون الادبار ، ولا يركنون الى الفرارا ، ولم يخلصهم من اعاديهم الا الصبر والنجدة ، فقتلوا من رام الغدر بهم عدة ، وقتلت منهم جماعة كثيرة رحمهم الله ، وانتهب كثير مما كان معهم حتى وافوا مدينة صنعاء في يوم الاثنين الرابع من شهر ذي الحجة ، فخرج اليهم الملك المكرم مستبشرا بورودهم، حامدا لله سبحانه على ما قدّره من وصولهم ، وكانت تلك معجزة اظهرها الله لوليه المستنصر بالله صلوات الله عليه ، اذ حمى اشياعه واتباعه من بأس اناس كانوا لهم شديدي العداوة ، ملاقين لهم بوجوه الغلظة والقساوة ، يلزمون لهم كل مضيق، ويلقونهم في كل غرر ونجد بما ليس له من مطيق ، فنجاهم من تلك الامواج، والقى في قلوبهم الصبر فحاموا محامات ليوث الهياج ، فلما اجتمعوا بالملك المكرم تواصوا بينهم بالصبر على قتال الباغين المفسدين ، والمحامات والجهاد عن الدين، وتواصوا ان لا يطالبوا الداعي المكرم بدينار ولا درهم حتى يظفر بالعبيد ، وينال منهم ثاره بمدينة زبيد ، وتعاقدوا على ذلك وتعاهدوا ، والله سبحانه عاهدوا، ولما وصل عامر بن سليمان الرواحي والذين معه نهض اسماعيل بن ابي يعفر بن عبد الله الصليحي ليحصب وعنس ورعين،وكانوا قد اظهروا الخلاف ، وقاموا بالفساد، فجرى بينهم القتال، ووهب الله النصر للصليحيين، وامكنهم من المفسدين ، فقتلوا منهم مقتلة عظيمة ، وغنموا اموالا كثيرة ، ووافاهم خبرهم الى الملك المكرم يوم الخميس السابع من شهر ذي الحجة ، وكان عامر بن سليمان الرواحي قد تقدّم الى بلاد حمير والمغرب لاصلاح الفساد، وتقويم المنآد ، فاجابه وجوه الحميريين، وجاؤا اليه طائعين، وتثاقل المفسدون، وامتنع المتمردون ، فقاتلهم وقتلهم اشنع قتل ، وتتبعهم في الوعر والسهل، ووصل كتبه بذلك الى المكرم يوم السبت العاشر من ذي الحجة، ثم ورد بعد ذلك ايضا كتاب اسماعيل بن ابي يعفر الصليحي، يخبر انه قتل مقتلة ثانية من يحصب ورعين، واورد كثيرا منهم موارد العطب والحين، فعظمت الهيبة ، وانحط كثير من اهل الفساد بالرغبة والرهبة، وكان الشريف حمزة ابن ابي هاشم بن عبد الرحمن بن يحي الحسني ، واليه نسب الاشراف الحميريون قد دلاه كثير من المخالفين بغرور ، ووعدوه ان ينصروه ويظهروا قول الزور ، وقالوا ان امر الصليحيين قد ضعف ، وحالهم قد وهى ورهف، وتفرّق عسكرهم ، ووهن امرهم ، وهذه مدينة صنعاء والملك المكرم لا حائل ولا مانع ، ولا مناصر ولا مدافع ، فلتنهض قبل ان يسبق اليها بغيرك، ويحلق فيها سوى طيرك، فنهض مشمرا ، وقام طاغيا مستكبرا، وقد سمّى نفسه بامير المؤمنين، وكان زيدي المذهب، فجمع اليه كثيرا من القبائل وصاروا حزبا له وحربا للصليحي بالخلاف مباينين ، وزحف يريد نحو صنعاء الى ان صار قريبا منها في موضع يدعى المنوي ، وهو واثق بدخول صنعاء عنوة ، وانه لا يدافع عنها بنجدة ولا قوة، وجاء عامر بن سليمان من المغرب بعد ان كاتبه الملك المكرم بخبر ان ابي هاشم ، وما عقد عليه وابرم ، فوصل صنعاء بكرة يوم الثلاثا التاسع عشر من ذي الحجة في خمسمائة من حمير ، وخرج من صنعاء هو واحمد بن المظفر الصليحي في جماعة من العسكر بكرة الخميس الحادي والعشرين من ذي الحجة ، فما كان اسرع من ان وافوا الشريف بالمثوى ضحوة يوم الجمعة فوقع بينهم القتال، وصبر الفريقان ان يركنوا الى الفرار ، وكان الشريف في ثمانية الف راجل وعدة كثيرة من الخيل ، واصحاب الصليحي حوله عقر فيها من خيلهم ثلاثة افراس ، وقتل رجلان من جنب وسنحان ، ثم عطفوا على اصحاب الشريف فمنحهم الله الظفر ، وولّى جمع الشريف وادبر، وحيز الشريف حمزة ابن ابي هاشم وابنه فقتلا ، وقتل زعماء القبائل من اهل عسكرهما ، وعقرت كثير من خيلهم ، قال اهل السير فما انجلت المعركة الا عن ثمان مائة قتيل من اصحاب الشريف، وكان للداعي المكرم نصر عظيم ببركة امير المؤمنين المستنصر بالله عليه السلام ، وفي ذلك وفيما كان من امر يحصب ورعين يقول عمر بن يحي الهيثمي :

لك الله ذا السيفين كال وناصر \* فمجدك بعد الاوحد الملك قاهر

تمنّى الاعادي اذ مضى لسبيله \* متى ارغمت منه لهنّ المناخر

اتطمع في الجوزا اكفّ تنالها \* ولكن ردى قوم قضته المقادر

حمالك امر الملك من كل جانب \* ثلاثة املاك كرام اكابر

حليف المعالي احمد بن مظفر \* وذو الجود اسماعيل والقوم عامر

نجوم زواهير ليوث هواصر \* سيوف بواتير بحور زواخر

يرونك اعلى من ابيك محلة \* ومن دونه تلك النجوم الزواهر

فهذا علي حيي رعين ويحصب \* وعنس سحاب بالمنية ماطر

وهذا فيمن زار بالحين حمزة \* هزبرا عرين والليوث خوادر

ابادوا جموعا كالجراد عديدها \* وفيها قنى سمر وجرد ضوامر

وكان كبراء اهل حراز مقيمين على طاعة الداعي الصليحي ، واوباشهم ورعاعهم قد توثبوا للخلاف ، وارادوا ان يحاصروا حصن مسار، وفيه علي ابن مالك بن شهاب الصليحي ، فانهض الملك المكرم الى حراز احمد بن المظفر الصليحي واسماعيل بن ابي يعفر الصليحي وعامر بن سليمان الرواحي ، فلما انفصلوا من صنعاء ونواحيها وصاروا باضرير وافاهم اهل مجيح واهل كرار متطارحين عليهم ، وملقين بايديهم اليهم ، ونهضوا الى مسار ، فما حال بينهم وبينه حائل، وما قابلهم بغير الطاعة والاذعان مقابل ، واقامت عسكر الملك المكرّم بحراز ثمانية ايام ، ونهضوا يوم الاحد لسبع بقين من المحرم يرومون بكيلا ، ويتطرفون الهان والشرجة ،ثم وافوا بكيلا يوم الاحد سلخ شهر المحرم اول شهور سنة ستين واربعمائة ، وامروا بالكف عن قتالهم ذلك اليوم ، وجعلوا يلاطفونهم ويراسلونهم ، فابوا الا عتوا ونفارا، وما ازدادوا الا استكبارا ، فلما حان الظهر هبطت بكيل لقتالهم ، وانتشب القتال بعد ان منع اصحاب الملك المكرم من معهم عن القتال، فابى شبانهم وذوو البأس منهم الا سراعا اليه ، واشتد القتال ، وكانت الدائرة على بكيل ، وحل بهم التنكيل، وكان الذين قتلوا منهم ثلاثمائة وعشرين رجلا ، منهم كثير من رؤسائهم واولي النجدة منهم ، وعاد عامر بن سليمان الرواحي واحمد بن المظفر واسماعيل ابن ابي يعفر الصليحيان بمن معهم الى صنعاء ، فوافوها في شهر صفر من السنة المذكورة وقد ورد كتاب اسعد بن عبد الله الصليحي من التكرار الى الملك المكرم بخبره بقصد بلال وابي الفتوح ابني النجاح اليه في عساكر جمة من العبيد واهل تهامة ، وانه امر عسكره الذين معه بالحياد عنهم في ناحية الجند ، حتى اذا صاروا بذي اسرق نهد اليهم جماعة عسكر الصليحي ، فالتقوا هنالك ، ووقع بينهم القتال شديد ، وكانت الدائرة فيه على العبيد، فولوا منهزمين ، وما زال القتل فيهم من ذي اسرق الى الجند ، وغنموا اموالا كثيرة ، ونجى بلال وابو الفتوح ابنا نجاح بعد ان نظر الموت عيانا ، وظنا ان لا يجدا منه امانا ، ووافى الداعي الملك المكرم كتاب امه اسماء بنت شهاب وهي بزبيد قد احتالت بايصاله الى سائل وجعلته في رغيف ، فلما كسر السائل الرغيف وجد فيه الكتاب، واوصله الى ابنها الملك المكرم ، وفيه له تنكيف اثار منه الحفيظة ، وصير الحيوة الدنيا عنده ذميمة واليه بغيضة ، فعند ذلك جمع الداعي المكرم قحطان واثار حفائظهم ، وذكرهم ووعظهم، وحضهم على التشمير لنقم الثار ، وقصد العبيد الى زبيد لميحى منهم الآثار ، ويخلص الحرائر الصليحيات من الاسار ، فتجهز للمسير واستعد ، وافتقد آلة الحرب والعدد ، ووصل اليه القاضي عمران بن الفضل اليامي ومنصور بن حميد اليامي والحسن بن عمرو السنحاني يوم الاربعاء سابع عشرمن شهر صفر ، ومعهم نهد ويام وشاكر ، فخرج الامير المكرم فتلقاهم بنفسه ، ورأى من عدتهم وعددهم ما سره ، وخرج الملك الاجل المكرم قاصدا للعبيد الى زبيد يوم الجمعة التاسع عشر من شهر صفر سنة ستين واربعمائة ، ومعه احمد بن المظفر الصليحي ، وعامر بن سليمان الرواحي ، وابو الحسين بن مهلهل بن الدعام ، والحسن بن عمران السنحاني، وعمران بن الفضل اليامي بعد ان خطبهم ووعظهم وحضهم على الجهاد والصبر وامرهم ان لا يسير في عسكرهم الا من كان يجد في نفسه البأس ، والصبر عند المراس ، وامر ان يتخلف الجبان والضعيف ، وان لا يكون معه الا من احب الموت على الحيوة ورضي الشهادة ووطّن نفسه لها ، وخلف الداعي المكرم بصنعاء اسماعيل بن ا بي يعفر الصليحي في عدة من اهل الحجاز واهل حراز ، وكانا قد وصلا اليه اخو قاسم بن جعفر الرسي الشريف الحسيني فاحسن اليهما والى اخيهما وارسل من استخلفه ان لا يخونه في غفلته ، ولا يغدره بعد غيبتبه ، وامر له بكسوة فاخرة، ودنانير كثيرة ، فاجابه الى ما سأل ، وشكره على ما له بذل ، وجاءت طريقه على حراز ، وامر اهل حراز ان يجتمعوا اليه الى العمد ، ففعلوا واجتمعوا واحتشدوا ، وخرج من قرية العمد يوم الاربعاء لست بقين من صفر ، فعرض العسكر وكانوا سبعة الف راجل واربعمائة فارس ، وخطبهم ووعظهم ، فبعد ان حمد الله واثنى عليه وصلى على نبيه صلى الله عليه وآله وعلى امام عصره وذكر فضله قال :اننا لم ننزل لعرض من دنيا نصيبه ، ولا مال نخزنه ، ولا شيء نذهب به من متاع الدنيا سوى ادراكنا ثارنا من هؤلاء العبيد، واستنقاذ حريمنا ، لا لقصد اضرار باحد من الناس بفساد ، ولا تغيير شيء مما يملكونه او عناد ، وطريقكم على زرعهم ومواشيهم وفيكم المسرع لمد يده بغير الواجب ، والذاهب الى سيء المذاهب ، وقد رجوت ان تكون سيرتكم جميلة ، ووتيرتكم حميدة ، تجلبون لي ولكم بها جميل الاحدوثة ، وحميد العاقبة ، فادفعوا الي ذمة على انكم لا تمدون ايديكم في طريقكم هذه الى قطع خضراء ، او اساءة الى احد تلقونه سوى من وتركم او نال منكم، فاجابوه الى ذلك ، فدعى لهم بخير ، وحضهم على الصبر ، وذكرهم بما اعدّ الله للمجاهدين من عظيم الاجر ، وحين دنى من مدينة زبيد وعبأ عساكره ، وكان هو واحمد بن المظفر الصليحي وعامر بن سليمان الرواحي وابو الحسين بن المهلهل بن عمرو السنحاني في القلب في نهد وسنحان وحمير ن وكان عمران بن الفضل اليامي ومدافع ابن الحسن الجنبي ومحمد بن علي بن حبر اليامي في قبائل همدان من يام وسواهم وجنب في الميمنة ، وكان مالك بن شهاب بن جعفر الصليحي في الميسرة في الحرازيين ، فاقبلوا على العبيد وهم صافون امام باب الشبارق والحائط خارج زبيد، وهم مثل العارض الاسود في ستة كراديس ، كردوس ميمنة وعن يمينه كردوس اردفوه به ، وكردوس ميسرة وعن يساره كردوس آخر اردفوه به ، وكردوس قلب وكردوس آخر جعلوه كمينا في الحائط ، قالوا وكانت عدتهم ثمانية عشر الفا ، وكانت الاحبوش في الميسرة ، والبازة والنوبة والمولدون في القلب ، ولفيفهم في الميمنة من اجناس كثيرة ، وقد ادل العبيد يومئذ بكثرتهم ، وصارت ميسرة العرب في دائرة قد احيط بهم ، فلم يحفل سائرالعرب من جيش الملك بمن ورائهم ، واجتمع بعضهم الى بعض وصدقوا من كان امامهم بالحملة ، فانهزم العبيد بعد قتال شديد ، وصبر من العرب عظيم، وبلاء واقدام وكر في الهيجاء، وكانت ميسرة العرب قد جالوا جولة منكرة ، ورأى ذلك اصحاب القلب فانخذلت طائفة من نهد وسنحان عن القلب وصاروا ميسرة ، وكان العرب مالك بن شهاب من جعفر الصليحي قد اصيب بحربة و هو يذمّرالناس فتوفي في زبيد بعد ذلك بيومين رحمة الله عليه ، ولما انهزم العبيد وانقض جمعهم اخذت العرب في تبعئتهم، واكثروا القتل والنكاية فيهم ،وخرجوا في طلب الاحول بن نجاح والبحث عنه ، فلم يظفروا به، وكان قد ركب غير فرسه واخذ سوى عدته ، ومر ممعنا في الهرب على وجهه ، وانحازت طائفة من العبيد الى الدار ، فخافهم الملك المكرم ان يحدثوا الى والدته ومن معها حدثا ، فبادر الى الدار التي فيها والدته ، وكان اول واصل الى الدار ، ووالدته مشرفة من الطاق ، فقالت له من انت ، قال احمد بن علي، قالت ان احمد بن علي كثير ، فكشف المغفر عن وجهه ، وهو يسيل عرقا ، فلسرعة كشفه عن وجهه مع ما فيه من شدة الحر اصابته الريح ، فحصل في جلدة وجهه ارتعاش كان سبب علته ، وحمى الله النساء الصليحيات من شر العبيد ، وقصد الذين انحازوا من العبيد الى جانب المدينة القبلي ، وكانت الحرة في جانبها اليماني، ونزل الملك المكرم عن ظهر فرسه وسجد لله تعالى شكرا على ما منحه واظهره ، وعفر في التراب خده، واحرقت الدار التي كان العبيد انحازوا اليها ، فما نجى منهم احد، بل هدمت بهم الدار وقتلوا عن آخرهم، فكان الذين قتلوا من العبيد على ما ذكره صاحب سيرة الملك المكرم يزيدون على خمسة الف ، واصيب من اصحاب الصليحي قدر ستة عشر رجلا رحمة الله عليهم ، فلما دخل الملك المكرم زبيد لم يجعل لاحد سبيلا الى حريم بني نجاح ، واطلق من وقع في ايدي العسكر من اولاد العبيد ، واصر ابن نجاح الى مهجم ومن انضم اليه من العبيد ، واشتهر امر الملك المكرم ونجدته ، وبأسه وشدته ، وظهر منه من الشجاعة وعلو الهمة ما شاع في الآفاق ، واجمع عليه اهل الخلاف والوفاق ، وقال الناس ان الذي سماه ذا السيفين لحكيم ، وخرج الملك المكرم عن زبيد يوم الجمعة الثامن عشر من شهر ربيع الآخر ، ونهض الى القحمة يريد العبيد ، فوافاه كتاب من عامله بصنعاء ، يذكر ان الشريف قاسم بن جعفر نقض العهد ، وحل العقد، وترك ما حلف من الايمان ظهريا، واتى في نقضها شيئا فريا، وانه في جمع وحشد يريد ان ينتهز الفرصة في صنعاء ، وذكر اسماعيل بن ابي يعفر انه ذو علة قد اشتدت عليه وخشي منها فوات نفسه ، وان اهل الحجاز واهل حراز جرت بينهم منافرة ، فخاف الملك المكرم نزول المقدور على اسماعيل بن ابي يعفر ، وان يكون صنعاء خالية ، وينال منها المخالفون ما سولت لهم انفسهم ، فخابت آمالهم ان يكون ايديهم العالية ، فاقام الملك المكرم بالدومة يوم السبت ويوم الاحد العشرين من شهر ربيع الآخر ونهض راجعا الى مدينة صنعاء ، ومعه الحرة والدته والحرائر الصليحيات قد خلّصهن من الاسر، واستخلصهن بالغلبة والقهر، فوصل الى صنعاء ليلة السبت السادس والعشرين من شهر ربيع الآخر، ووقف على الغيل في المسجد الذي ابتناه والده الاجل الاوحد حتى اذا اختلط الظلام ودخلت والدته الحرة اسماء بنت شهاب الى مقرّ الملك بصنعاء وبات الداعي المكرم الى الصبح ثم دخل صنعاء بما اغاظ المفسدين ، ساء المعاندين ، من جنود بهائهم باهر ، وعزهم ظاهر، وقد كان كثر الارجاف ، وقول المحال ممن يحاولون الخلاف، فيئست ظنونهم وسخنت عيونهم، وفي رجوع الحرة الى قصرها ، وخلاصها من اسرها ، يقول عمرو ابن يحي الهيثمي من قصيدة :

اوبة اسماء الى قصرها \* بعد فراق الملك الاوحد

وبعد غوضاء الخطوب التي \* رمت بني قحطان بالموبد

كرجعة الشمس وقد جنّها \* دجن وسربال دجى اسود

فيا لها من نعمة اصلها \* باس ابنها باني العلى احمد

الحوّل القلّب غمر الندى \* المصدع مرهوب الشرى الاصيد

الحمد لله على انها \* منجبة المنجب طلق اليد

لا منة فيها لغير الظبى \* وخاضبيها طيبي المحتد

منتجبي الدعوة والخائضي \* بحر الدماء القلق المزبد

ووجد الملك المكرم اسماعيل بن يعفر الصليحي شديد العلة ، فلم يقم بعد عودته الا عشرة ايام ، وكانت وفاة اسماعيل بن يعفر الصليحي رحمة الله عليه ، فغمت وفاته الداعي المكرم لانه كان ركنا من اركان دعوته ، وعمود من اعمدة دولته ، وكان في حصن كحلان عاملا كما ذكرنا ذلك ، و كانت عنس ويحصب ورعين قد هابته وخافت بأسه ، وشيّع الملك المكرم جنازته وصلى عليه وواراه ، واختلف ثلاثة ايام للوقوف للقراءة على قبره ، ثم اقام ابنه عبد الله بن اسماعيل في مقامه ، وصرف اليه ما كان منوطا به ، ووصل داعي دعاة اليمن وقضي قضاتها ، وهادي هداتها ، لمك بن مالك الحمادي رضوان الله عليه من الحضرة الشريفة الامامية المستنصرية ، فشد ازر الملك المكرم ، وهدى الى الحق وعلم ، ودعى الى الدين الاقوم ، وقام الداعي المكرّم بالسيف وقام هو بالقلم ، حسب ما امرهما به الامام صلى الله عليه وسلّم، فاستقامت الدعوة بجزيرة اليمن خير استقامة، واظهر الله الدين واوضح العلامة ، قال الداعي الاجل حاتم بن ابراهيم بن الحسين الحامدي نضر الله وجهه ، وكان الداعي الاجل الاوحد علي بن محمد الصليحي قدس الله روحه لما استولى على جزيرة اليمن باسرها همّ بالنهوض الىالعراق والهجرة الى الابواب الطاهرة ، فلم ير الا ا نه سفر سيدنا قاضي قضاة اليمن وهادى دعاتها لمك بن مالك اعلى الله قدسه يطلب له الفسح من الامام المستنصر بالله امير المؤمنين عليه السلام والصلوة ، وعلى آبائه الطاهرين وابنائه الاكرمين، بما يقتضيه الامر العالي مما همّ به قدّس الله روحه ، فتقدّم القاضي المذكور في جماعة من وجوه الاولياء الى ان ورد الديار الطاهرة ، وسلّم ما استودعه الاجل الاوحد بعد اداء فرض السلام ، وانزل في دار الداعي الاجل الاعظم المؤيد في الدين عصمة المؤمنين اعلى الله قدسهما ، وجعل يناجي الحضرة النبوية صلوات الله عليه بالفسح للداعي المذكور ، فلا يجاب الا بالقول كيف يستأذن وقد آن وقت الشتاء، فاقام مدة وهو في خلال ذلك يتعلم من الداعي المؤيد ، ويكتب ما افاده والقاه اليه، الى ان ينقضي الشتاء،ثم يعاود المطالعة ، فلا يجاب الا بالجواب الاول ، فاستشفع بالمؤيد في الدين في استنجاز حوائجه ، فلم يجب المؤيد في الدين الا بالجواب الاول ، الى ان مضى له خمس سنين في الديار الطاهرة، وهو مقيم على ذلك ، كلما طالع في ذلك لم يجب الا ما اجيب اولا ، فقال ذات يوم للمؤيد في الدين ما تقول في هذا الجواب وقد مضى شتاء وشتاء ، والجواب في كل مطالعة هذا الجواب ، فقال له اعلم ان لكلام الائمة ظاهرا وباطنا وحقيقة ، لا يعلم ذلك الا الله وهم عليهم السلام ، وفي مدة اقامة القاضي الاجل لا يفارق الداعي المؤيد في الدين ، بل بين يديه ويسأله ويأخذ عنه ويكتب ما استفاده منه الى ان استوعب ما عنده ، ثم كتب اليه في آخر الامر سبعة وعشرين مسألة ، فقال له ما جواب هذه الا من مولاك ، فليس بينك وبينه حائل ولا مانع ، فقتدم بالمسائل في آخر الامر الى مولانا المستنصر بالله صلوات الله عليه فاجابه عنها بسبعة وعشرين جوابا ، وكساه عند كل جواب قميصا ، فلما كان في يوم من الايام ورد الامر على المؤيد في الدين والقاضي لمك بن مالك بالمثول بين يدي الامام سلام الله عليه ، فلما مثلا بين يديه قال عليه السلام للقاضي احسن الله عزاك في داعيك ، فان السودان قتلته في هذه الساعة ، فحفظ القاضي تاريخ ذلك الوقت . فكان الوقت الذي استشهد فيه الاجل الاوحد قدس الله روحه لم يتقدم ولم يتأخر ،

وقد كان في جواب الامام عليه السلام للمؤيد في الدين حين شفع بالفسح السابق ذكره قد آن وقت الشتاء يا مؤيد ولسوف يروح بسفارة جديدة وامر جديد ، فاقام العزاء الى القاضي لمك في حضرة الامام عليه السلام خمسة اشهر من اهل النواحي والامصار ، ثم ان امير المؤمنين عليه السلام اقام الداعي الملك المكرم ، وسفر بذلك القاضي الاجل لمك بن مالك ، وهي السفارة الجديدة والامرالجديد الذي رمز به قبل اوانه ، وقال الامام صلوات الله عليه للقاضي لمك بن مالك انا لما نظرنا ان العمر لذلك الداعي قد انقضى ، وان شتاء الحصاد قد قرب ودنى ، رأينا ان نوقفك لئلا يقتل الداعي المذكور في غير الجزيرة التي فيها ملكه ، فتقتل جميع الاولياء معه، فلما عاد قاضي القضاة لمك بن مالك الى اليمن باقامة الداعي الملك المكرم خليفة بعد ابيه اعلى قدسهما جميعا، لم يسمح من حقائق علمه الا بالشيء القريب للداعي المكرم والحرة الملكة واحمد بن قاسم بن دلي ، لا لغيرهم، هذا قول الداعي حاتم بن ابراهيم نضر الله وجهه ،

وكان الداعي المكرم رضوان الله عليه راجعا الى القاضي لمك بن مالك في قوله وفعله ، معترفا بفضله، وقيل انه كان اذا لقيه في طريقه ترجّل الملك المكرم عن جواده ، تواضعا له وحفظا لاكيد وداده ، فكان القاضي لمك بن مالك ينهاه عن ذلك ، ويقول انك في الملك في مقام الامام عليه السلام فلا ينبغي لك ان تواضع عن منزلتك، ويرى ذلك اهل مملكتك ، فلم يزل قاضي القضاة لمك بن مالك والداعي الملك المكرم متعاضدين متوازرين ، متكانفين متظاهرين ، على اقامة الدعوة والهداية لمن اتبعهما الى فضل الائمة ، فهذا قائم في العلم كالعلم ، وذا قائم بالملك والسيف عن امر امامهما صلى الله عليه وسلّم،

ونرجع الى ما كنا فيه من ذكر الملك المكرم ونقمه بثاره ، واخذه باوتاره ، وقيامه على اهل الخلاف ، وارجاعهم الى امره بالرماح والاسياف ، ونهض الملك المكرم من صنعاء قاصدا لذيبان وبني يجبر وبني الدعام، وقد كانوا اولوا الشرف القاسم بن جعفر على الخلاف علىالامير المكرم، وكان هذا الشريف قد استهواهم واستمالهم ودعاهم الى عمه الحسين بن قاسم وبشرهم بظهوره ، وكانت همدان قد قتلته قبل ذلك الوقت بسنتين عاما، فقال القاسم بن جعفر انه سيظهر ويعود الى الدنيا ويملأ الارض عدلا ، فمال اليه عامة الناس وغوغائهم لهذه المخرقة ، ومال اليه عقلائهم محبة للخلاف على الامير المكرم ، فلما عزم الامير المكرم على الخروج كتب الى الشريف قاسم بن جعفر يذكر له ان ديبان قد اخذوا له طعاما وفعلوا افعالا لا يمكن الصبر عليها ،فاجابه الشريف بانه قد وهب له ديبان ونهم وغيرهم من القبائل واعفاه اذ يعرض لهم ، واغضب ذلك الملك المكرم، وكان خروجه من صنعاء يوم السبت الثامن عشر من شهر ربيع الآخر سنة ستين واربعمائة قاصدا لبلاد ذيبان، فما زال بها حتى اقام مائدها ، واصلح فاسدها، واخرب عليهم ضياعا ورباعا حتى فاؤا الى الطاعة، ووصل اليه كبرائهم واولوا الرياسة منهم فعاتبهم على ما كان منهم من الشقاق والنفاق ، وذلك بعد ان اقربهم واحسن اليهم، ولما كان يوم الجمعة الرابع والعشرين من الشهر احضرهم، ووقعت الموافقة بينه وبينهم على انهم يصانون ويكرمون، وعليهم السمع والطاعة والانقياد في سلك الجماعة ،وانهم يخرجون في كل مخرج يخرج فيه الملك المكرم الى تهامة ، فانهم بالخيار ان شاؤا تركوا وقعدوا ، واخذوا ايمانهم على ذلك ، وانهم لا يرون الشريف قاسم بن جعفر ولا يوالونه ، وانهم يقومون من خدمة الملك المكرم بما يبعدون عنهم سوء الظن وينفونه ، ونهض الملك المكرم لصلاح المغرب يوم الاحد السادس والعشرين من شهر ربيع الآخر ، فانتهى يوم الاربعاء التاسع والعشرين من الشهر الى موضع يسمى اللومي ، فساعة وصلها وافاه كتاب والدته الحرة اسماء بنت شهاب تخبره بورود كتابين من اسعد بن عبد الله الصليحي وعلي بن سويد وعبد الله بن معمر ، وانها انفذتها اليه ، فكان في كتاب اسعد بن عبد الله ان حسبن ابن المغيرة التبعي وابا العباس السخطي وابا اسماعيل الكلالي نزلوا الى الحمراء بجميع اهل يحصب ورعين وربيد السهل وغيرهم ممن انضاف اليهم، وعدتهم كانت ثلاثين الفا سوى ان فيهم كثيرا بغير سلاح وفيهم مائة فارس ، وانهم اخربوا ما حازوه من البلاد، وامعنوا في الارض بالفساد، ونهبوا الركبة، وانه لما رأى ذلك منهم ندب علي بن سويد وعبد الله بن معمر في ثمانين فارسا واربعة مائة راجل ، وانهم التقوا فاقتتلوا قتالا شديدا ومنح الله الاولياء الظفر ، فانهزم ذلك الجمع العظيم قتلوا قتلة شنيعة ، واخذ من خيلهم عشرون فرسا ، وكان في كتاب علي بن سويد وعبد الله بن معمر ان الاحول بن نجاح طلع من تهامة بجمع عظيم بعد معاملته لوائل بن عيسى وابي العباس السخطي وحسين ابن مغيرة التبعي واليحصيين والرعينيين وجميع سلاطينهم ، وانه صار في سوق الحثحث من احاطة عازما على قصد صنعاء ، وان اخوي الاحول ويعفر ابن الكريدي بالجند في جمع آخر مقاتلون لعسكر اسعد بن عبد الله الصليحي بذي اسرف، ويستعجلان نهوض الامير المكرم ، فلم يمكن الامير المكرم الرجوع ، وقد قارب جبل مسور ، وخشي انه ان رجع اضطربت البلاد، وزاد الخلاف والفساد ، ولما كان سلخ شهر ربيع الآخر نهض الملك المكرم على اللومى ، فنزل بمدع قرية من قرى حمير ، فلقيه محمد بن ابراهيم الصليحي وحاشد بن كديش الصليحي عامل مسور ، ولقيه مشائخ اهل لاعة تحت مسور ، ووصل اليه عامر بن سليمان الرواحي وكان قد تأخر في صنعاء لعلة اصابته، فحين زالت عنه لحق به ، ولما صار الملك المكرم بالقيل وهو جبل مقابل لجبل حملان وكافة بلاد المغارب امر عسكره ان لا يبدؤا احدا بقتال ، ولا يهبطون الى الوادي ، ووقف بالجبل الى الليل ، ولم ينزل الوادي خشية ان يجري القتال ان نزل الوادي بالنهار، فلما كان الصباح امر الملك المكرم بصعود جبل حملان، فكان عامر بن سليمان الرواحي وابو الحسين بن مهلهل في غربي الوادي في حمير ، وحضور ومحمد بن ابراهيم الصليحي وحاشد بن كديش الصليحي في اعلى الوادي في جماعة وافرة ، وكان ا لملك المكرم في وسط الوادي، ومعه احمد بن المظفر والحجازيون مقابلون لمعظم الجبل ، وطلع كل قوم من جهتهم ، وذلك بكرة يوم الاحد الثالث من شهر جمادى الاولى، فاقبل اهل الجبل من كل حدب ينسلون، ومن كل جهة يكرون ويحملون ، وكان اكثرهم ومعظمهم في الناحية التي تلي الملك المكرم ، فنزل الداعي المكرم عن جواده ، وجعل يحرض الناس ويذمرهم بالصبر على البأساء ويأمرهم ، واقبل يصعد الجبل لا يثنيه شيء ، فما تأخر احد ، وكان له من الجلد والقوة والبأس ما لم يعهد مثله ، ولقي من مقاساة الوعر على رفاهيته وحداثته ما لم يظنه احد ، من غير حنكة ولا تجربة ، فان اباه الداعي علي بن محمد نضر الله وجهه مع ما يؤثر من بأسه وعجائب افعاله كانت له حنكة في الاسفار ، وكان للحج الى بيت الله الحرام راجلا كثير التكرار ، فلما رأى اهل الجبل اقدام الملك المكرم ومن معه لا يثنيهم النبل والاحجار ، ولوا الادبار وركنوا الى الفرار ، وادكر الاولياء منهم قدر مائتي رجل فقتلوهم ، وحال عن باقيهم وعورة الجبل وشعابه فتفرقوا فيها ،

قال صاحب سيرة الملك المكرم ومما يؤثر ان هذا الجبل لم يطلع قط احد اليه ، ولا طمع فيه ، وان الاجلّ الاوحد قدس الله روحه لما حاز مسور اطاعه اهله بغير قتال ، فلما طلعه الملك المكرم قهرا ، وملك قسرا ، خضع له كل معاند ، وذل له كل معاد وحاسد ، وجاؤا اليه من جميع المغرب مذعنين، واتوا اليه مقودين ، وللعفو طالبين ، فعفى عنهم واحسن اليهم، وكتب لهم المناشير بالامان ، والانعام والاحسان، واتصل بالداعي المكرم ان سعيد الاحول بن نجاح قد صار بالمخلاف ، ثم جاءه كتاب اسعد بن عبد الله الصليحي يحقّق ان الاحول وابن مغيرة والشحطي والكلالي وابن الكريدي في رأس جبل الشواقي ، وعسكرهم بالشواقي ، وان يحصب ورعين قد صاروا معه البا واحدا في جموع عظيمة ، وان اخوين للاحول خرجا الى ناحية يعفر بن الكريدي بالمعافر في الف عبد ومائة وخمسين فارسا، وان اهل جبل صبر حالفوهم ، وان ابن الكريدي محاصر للحصن الذي في جبل صبر ، ويشكو ضعف عسكره عن نفائهم ،ويستعجل الامير المكرم ، فنهض الملك المكرم الى صنعاء يوم الجمعة الثامن من جمادى ا لاولى ، ولقيه محمد بن ابراهيم الصليحي بالوادي فقضى حوائجه وكتب عنده مناشير لاهل حملان وغيرهم ممن سأل ، وسار فوصله رسول وصل بسجلات من الحضرة الطاهرة المستنصرية ، فقرأها على الناس وسار حتى انتهى الى صنعاء ، واقام الامير المكرم بصنعاء بقية جمادى الاولى ويومين من جمادى الاخرى ، ونهض يوم الثلثاء الثالث منه يريد بلاد يحصب ورعين وعنس والمخلاف، وانتهى في اليوم الخامس من الشهر الى وادي عند بينون عظيم الغيول ، كثير المزارع والاعناب، ومالكوه يومئذمن بني صعب من عنس ، فض به عن الخراب ، وعرض عليهم الامان ، مامتنعوا ، فامر بالوادي فاخرب ، ونهض يوم الاحد من الشهر فنزل عن موضع يسكنه ذلك الاوان قوم من بني الحرث ، وكان قد عرض عليهم الطاعة فابوا وامتنعوا بقريتهم وهي اكمة منيعة ، فلما ابوا الا خلافا ، امر بالقتال عليهم، فدخل الناس عليهم عنوة فقتلوهم ، وامر بصيانة النساء والاطفال وامانهم ، وجاءته زبيد ومذحج فامنهم ، وبلغه ان يحصب ورعين وعنس قد اعتصموا بمثوه ، وهو جبل مشمخر وان التبعي حسين ابن مغيرة واحمد بن عمرو الشحطي بجبل الشعر في معظم اليحصبيين، والرعينيين والعنسيين واهل النجد والبأس منهم ، فسار اليهم حتى اذا صار بقربهم جمع كافة عساكره وحرضهم ، وامر علي ابن مالك بن شهاب الصليحي وجولة ابن محمد ابن الصليحي ان يأتيا الجبل في عدة من معهما سحرا يوم الاثنين السادس عشر من الشهر ، وامر بالحسين بن مهلهل ان ينحو وسط الجبل وضم اليه خولان، وقصد هو في اهل الحجاز واهل حراز ميمنة الجبل ، فلما كان سحر اليوم المذكور طلع كل من حيث عيّن لهم ، وصار الملك المكرم بجميع عساكره رأس الجبل معلنين بالتكبير والتهليل ، فاجفل اهل الجبل من بين ايديهم مولّين ، وقتل من ظفر منهم ، وغنموا كثيرا من الغنم والمتاع ، وعرف الملك الصليحي ان الشحطي وحسين ابن مغيرة التبعي قد تحصنا بالقرائح وهو حصن معروف ، فامر عبد الله بن معمر ان يراسلهما فامتنعا ، فامر بحصارهم والقتال عليهم ، فلما كان الليل خرج الشحطي يريد النجا، فوافقه قوم من اهل كحلان كانوا حراسا فاخذوه وجاؤا به الى الملك المكرم ، فاكرمه واحسن اليه وخلع عليه ، ولما علم التبعي باخذه ضاق ذرعا وسأل الامان والاحسان فاعطيه ، ووصل الى الملك المكرم ، وذلك انسلاخ جمادى الاخرى، واقبل الناس الى الداعي الصليحي قاصدين، وللامان طالبين، فامنهم واحسن اليهم ، ونهض الملك المكرم يريد المخلاف يوم الثلثاء الثاني من شهر رجب ، فانتهىالى ذي جبلة مدينة النهرين يوم السبت الثالث عشر من الشهر، وفي يوم الرابع عشر استأذن التبعي على ان له حاجة في قرية تعرف بالمتعب فاذن له الملك المكرم وقد وثق بما اقسم به من الايمان، فقصد الاحول الى زبيد ، واقام الملك المكرم بذي جبلة الى يوم الثلثاء السادس عشر من الشهر ، ثم نهض صبيحة يريد الجند ، فاقام بها يومين ، وبلغه ان ابا اسماعيل الكلالي قد قوي خلافه ولزم جبل العود ببنا وجبل دوران بقرب يحصب، ونقل الطعام اليهما وعمل علىالفتنة ، فنهض يأمه يوم السبت العشرين من الشهر ، وصار مجدّا حتى انتهى الى منكث يوم الاثنين الثاني والعشرين من الشهر ، واقام الى يوم السبت السابع والعشرين من رجب ، فبات برأس الجبل المعروف بجبل النصاب من بناء فضاقت الارض بابي اسماعيل الكلالي وطلب الامان وارسل يسأل الامان فاعطيه ، ولقي احمد بن مظفر الصليحي بولده وولد منصور بن ابي العشيرة ليسير الى صنعاء صحبة الامير المكرم ، وحلف للامير ولعبد الله بن اسماعيل بن ابي يعفر الصليحي العامل بكحلان ، ورجع احمد بن مظفر الى الملك المكرم ، فنهض الملك المكرم آخر يوم الاثنين التاسع والعشرين من شهر رجب عائدا الى صنعاء غانما ظافرا ، فدخل مدينة صنعاء يوم الاحد السابع من شهر شعبان الكريم وقت صلوة العصر وجميع عسكره بالعدة والسلاح وهو يكثر من حمد الله وشكره والثناء عليه ، وعلى ولي الله امام عصره ، اذ ما ناله من الفتوح ببركته ويمن دعائه وسعادة دولته، وجعل مدة مقامه بصنعاء يجمع اهل دعوته ، ويعظهم ويأمرهم بمكارم الاخلاق ، ويحثهم على الصلاح ، ونجاة الارواح ، فلما كان يوم السبت لخمس بقين من شعبان جمعهم واعلمهم انه ناهض لنقم ثاره واخذ اوتاره من العبيد ، وحضهم علىالجهاد ورغبهم فيه ، وامر برسالة قرأت عليهم في الوعظ والتذكير وفضل الجهاد ، وما فيه من الثواب العظيم والفضل ، فاستبشر الناس بذلك واجابوه بما اراد ، وقامت الشعراء بالانشاد ، وحرضوا العسكر على ذلك على اخذ ثار الداعي علي بن محمد المظفر، فمن ذلك قول الحسين علي القمي ،

اقحطان هزي البيض واعتقلي السمرا \* وردي العوالي من دماء العدى حمرا

وامي الوغا افري الطلى واطلبي العلا \* وخوضي الردى واستشعر الصبر والنصرا

ولا تهدري ثار المظفر انه \* بنى لكم مجدا وشاد لكم فخرا

ابان لكم هديا وزاد لكم على \* واعلى لكم عزا واسنى لكم ذكرا

وكان امرءا لا يألف الضيم جاره \* فلست تراه قائلا ابدا نكرا

ولا لابسا عارا ومهدرا ثارا \* ولا تاركا خيرا ولا فاعلا شرا

ولا قابضا كفا ولا مانعا عرفا \* ولا باذلا عرضا ولا صائنا وفرا

سرى نحو بيت الله لله قاصدا \* يروم من الله المثوبة والاجرا

فصدته عما يبتغيه عبيده \* وكان عليهم حانيا وبهم برا

عبيد حباهم منه نعماء جمة \* فجازوه بالنعماء حين بغوا كفرا

فكان لما اولاهم واثقا بهم \* وقد اضمروا غدرا واخفوا له مكرا

فلما اراد الله امضاء امره \* بسردد لم يحضركم ذلك الامرا

حذارا عليكم ان تعابوا بقتله \* وانتم حضور فاستجدوا له شكرا

فثرتم عليهم ثورة تركتهم \* كأنهم سكرى ولم يشربوا خمرا

وكانت لهم من بعدها مدة بها \* اقاموا وان كان المدى ابدا تترى

فما احد من آل قحطان ماجد \* تأخر عن داعيه في غزوة غدرا

فاقسم ما ثابت اليهم عقولهم \* ولا اضمروا الا الهزيمة والفرا

تزل بهم اقدامهم ان رأوكم \* كأنكم اوقدتم تحتهم جمرا

هم اليوم ادنى منهم امس قوة \* وانتم عليهم منكم قبلها اجرى

الا فالبسوا البيض المفاضات فاجنبوا \* المزاكي وهزوا للطعان القنا السمرا

يكن سيركم زحفا وزحفكم ثنى \* وضربكم هبرا وطعنكم شزرا

وولوهم عنكم ظهورا تراسكم \* وعضوا على انيابكم والحظوا خزرا

عليكم بذكر الله فاعتصموا به \* وذكر معد الطهر مولى الورى طرا

وقال عمرو بن يحي الهيثمي من قصيدة

يا صيد همدان ابن زيد ويا \* سعد وسنحان جلوس الخيول

ويا حرازاه ويا حمير العز \* بني الغر كرام الاصول

يا من عليهم عهد مولاهم \* معد الطهر بن بنت الرسول

ويا بني قحطان حيث انشأت \* حزون دار بهم والسهول

لا تتناسوا اعظما جرت \* الريح عليها في الدهيم الذيول

ولا قتيلا مشبها حمزة \* يا بابي ذلكم من قتيل

وصبحوا حام برحراحة \* تهدى لاصحاب الالال الاليل

ولما كان يوم الخميس غرة شهر رمضان نهض الملك المكرم من صنعاء يريد الاحول والعبيد بزبيد ، فانتهى الى العمد يوم الاحد الرابع من شهر رمضان، ووصله اليها يوم الاثنين عامر بن سليمان الرواحي في حمير ، وابو الحسين بن مهلهل في اهل حضور ، ومحمد بن ابراهيم الصليحي في اهل مسور ، واجتمع اليه اهل حراز واهل المغرب ، فلما كان يوم الثلثاء برز الملك المكرم الى خارج القرية وعرض العسكر فكانوا ستمائة فارس وعشرة الف راجل ، فكلمهم ووعظهم واوعز اليهم ان لا يقبلوا على نهب ولا سلب ، وان يؤمنوا الناس ويقصدوا عدوهم ، فاجابوه الى ذلك ، ولما كان بكرة الاربعاء ، السابع من الشهر نهض الملك المكرم من قرية العمد ، وجائته الاخبار ان الاحول نهض من زبيد يوم الخميس غرة شهر رمضان يريد ناحية المخلاف او عدن ، وسار الملك المكرم على زبيد يوم الاحد الحادي عشر من الشهر ولم يعرض لها ، وجاءه الخبر ان ابن نجاح بالجند ، ثم اشار ابن المغيرة صاحب القرائح على ابن نجاح ان يقصد جبل الشعر وينزل الحقل ،فانه يجد بالحقل اعوانا على امره ، وكان ذلك الرأي للاحول لو لم يعجل، وينقضي منه الاجل ، ولم يزل الملك المكرم يتطلع اخباره ، ويقفو آثاره ، وارسل الملك المكرم عامر بن سليمان الرواحي في جل من معه من سنحان وجنب وحمير وصيرهم نقيل صيد لئلا ينقلب الاحول من تلك الجهة وبقي في جماعة من همدان واهل حران، واعد الملك المكرم السير وجعل يذمّر الذين معه على لحاق العبيد ، ويعدهم بما اعدّ الله لهم من النصر والتائيد ، حتى اشرف الملك المكرم على العبيد وقد تعلّقوا بجبل الشعر ، وهم اثنا عشر الفا ، وهو في سبع مائة راجل لان جل عسكره كما ذكرناه قد توجهوا الى نقيل صيد مع الرواحي، فذمر الملك المكرم اصحابه وامرهم بالصبر ، ووعدهم من فضل الله بحلول الفتح والنصر، ولما سمع العبيد الحرانات ايقنوا انه الملك المكرم فاسقط ما في ايديهم وملأ الرعب قلوبهم بعد ان تكامنوا بجبل يعرف بدور مقابل للشعر ، فحمل عليهم الملك المكرم ومن معه من الاولياء حملة من يختار الموت على الحيوة الفانية ، ولا يولي الدبر الا متحرفا او متحيزا الىفئة ، راجين الفوز بالشهادة ، او الظفر بالعبيد وادراك السعادة ، فولى العبيد منهزمين على ادبارهم واخذتهم السيوف ، ومنهم من رمى لنفسه من تلك الجبال المرتفعة واردين موارد الحتوف ، وادرك رجل من شاكر سعيد ابن نجاح الاسفل من قرية تعرف بمابه فقتله وسلبه ، واتى الى الملك المكرّم برأسه، ومزّق الله جنده كل ممزّق ، وشفى قلوب الاولياء من الغيظ والحنق ، وكان جل من قتل من عبيد نعمة الملك الاجل الاوحد علي بن محمد الذين جحدوا نعمة وكفرا افضاله، فاحل الله بهم نقمته ونكاله ، وقتل بلال بن نجاح واخوه مالك بن نجاح نقيل صيد وقد لقيهم عامر بن سليمان الرواحي ، ولم يفلت ممن كان مع الاحول الا الاقل، واخذتهم حيث اموا السيوف والاسل، وطلع الملك المكرم الى الحقل فانتهى الى قتاب ، ثم نهض يوم الثلثاء العشرين من الشهر الى ذي جبلة، ونهض منها الى الجند ، وهنالك قسم المغانم بين عسكره ، وهي من الخيل والبغال والابل وغير ذلك ، وانتهى الى زبيد فوصلها يوم الخميس التاسع والعشرين من شهر رمضان ، وخرج يوم السبت غرة شوال الى المصلى فصلىالعيد ، وخطب الناس ودعى لوالده في خطبته رضوان الله عليه ، وحمد الله تعالى على ما قضى له من الاخذ بثاره ، وكان فيما قال اللهم وتغمد بغفرانك ورحمتك ورضوانك عبد امير المؤمنين وداعيه الاجل الاوحد، واجزه افضل ما جزيت داعيا عمن دعاه ، اللهم اوزعنا شكر ما انعمت به علينا من توحدك لنا بادراك ثاره من الظالمين، والادالة به من اعدائه الفاسقين حتى صاروا باسيافنا حصيدا خامدين ، فما بكت عليهم السماء والارض وما كانوا منظرين، وغودروا كما قلت وانت اصدق القائلين ، فقطع دابر القوم الذين والحمد لله رب العالمين ، ثم دخل زبيد نصف النهارواخبر عن باقي العبيد انهم لجأوا الى جياش بن نجاح الى المهجم ، فاقام الى يوم الثلثاء الرابع من شهر شوال ، وخلف سبا بن احمد بن المظفر الصليحي بزبيد ونهض الى المهجم فوصلها يوم الجمعة السابع من شوال ، فلم يجد بها من الحرابة احدا ، فاقام بها الى يوم الثلثاء الثامن عشر من شوال ، ونهض الى الهجر يريد العبيد ، وانتهى الى الساعد فاقام بها الى يوم السادس والعشرين من الشهر ، وعاد الى الهجر فاصبح فيه يوم الجمعة الثامن والعشرين من شهر شوال ، وانفذ رسلا وجواسيس يستخبرون حال جياش بن نجاح و اين قصد، فتواترت اليه الاخبار ان جياش بن نجاح ومن معه من الحرابة قد انفصلوا ينحون مكة حرسها الله تعالى، فاقام بالهجر الى يوم الخميس الخامس من ذي القعدة ، ثم خلف عليا ومحمدا ابني مالك بن شهاب الصليحي في جماعة من اهل الحجاز ومن اهل حراز واهل المغرب، ونهض من الهجر يريد زبيد ، فانتهى الى الساعد ووصله ابو القاسم بن ابي النور وسناح بن ابي العسكري بسجلات شريفة من الحضرة الطاهرة المستنصرية ، وفيها له تشريفات وزيادة في الالقاب ،فقرأها على الناس يوم السبت السابع من الشهر،وانشدته الشعراء، ومن ذلك قول احمد بن علي التهامي :

نفضت غبار العار عن ثوب يعرب \* وقد سحبت اعطافه كل مسحب

بشعواء في صنعاء قرع طبولها \* وريعانها بالعرق دون المحصب

بها كل فياض كان نجاده على \* اسد من اسد بييشة معضب

على كل قرواه من الخيل شطبة \* وكل حصان كالنعامة يلهب

تعارضهم بزل طوال وفوقها \* لداؤد نسيج في الرهان المجوب

وكل رديني تخال مع الدجى \* لثعلبة الاعلى وخاز الكوكب

اذا وردوا ماء قديما تمده \* شرائع طوادا للتهائم محصب

فاوله صاف لمن جاء اوّلا \* وآخره تمد على ظهر طحلب

ولما اتيت السود في مرجحنة \* رداح تزجي مقنبا بعد مقنب

ادرت علىدرب الحصيب مع الضحى \* رحى ذات قطب حاشدي ولولب

فاضحوا على الابواب صرعى كأنهم \* قبائل عاد في الصباح العصبصب

وجئت وام المؤمنين وسربها \* كزينب يوم الطف حول المخضب

حماها الذي اعطاك ملكا كما حمى \* بنات علي من مسوخ واكلب

ورحت الى صنعاء روحة احمد \* من الفتح منصورا الى ارض يثرب

كأنك ذو الاذعان عمك اذ اتى \* من الغزو بالنبنا من عرف عرب

فان ذكرت بالفخر يوم نسابها \* قريش كعمرو او كعيسى ومصعب

او الخرق عتاب او المر خالدا \* او الشهم مروان الخطيب المهذّب

واخوتنا الازد اليمانون ان اتوا \* بعز بني الايام آل المهلب

اتينا بذي السيفين احمد انه \* يفوق على الحيين اد ويعرب

لقد طالهم فخرا ومجدا ونجدة \* كما طال كيوان على كل كوكب

اليس امير المؤمنين دعى له \* على المهد لم يحول ولم يتلقب

وذاك امين الله سماه منجبا \* فيا لك داع منجب وابن منجب

لقد خيل الا على معد ابن حيدر \* وكان ملثا برقه غير خلّب

كما خيل المجد بن بدر سحابة \* من البحر فارت بالمخن المدرب

فما زال جفجاف الحبوب تمدها \* الى ان اظلت كل شرق ومغرب

فلما دجى الديجور ارخت سجالها \* فضمت مغاني كل جنت وسبسب

ااحمد ان الفخر طرف محجل \* صبغت المعالي فوقه اي ركب

واصبحت انت اليوم للطرف راكبا \* فهنئت ما خولته اليوم فاركب

اليس نظام المؤمنين اميرنا \* ابوك وان الفخر للمتنسب

وامك بنت القيل من آل جعفر \* فناهيك من ام وناهيك من اب

وما لدين الاكاز طراز مطيب \* لاربعة اشبال ورد واغلب

فلما دعى الرحمن منهم ثلاثة \* حملت مريحا عنهم فوق مركب

ومكنك الباري على لوح عرشه \* طراز العلى في مفخر النسج مذهب

فدم لبني قحطان يا رأس عزهم \* ومهيعهم في الحادث المتصعّب

ونهض الملك المكرم من الساعد يوم السبت السابع من شهر ذي القعدة وانتهى الى المهجم يوم الثلثاء العاشر من الشهر ، وكان ابوه الملك الاجل الاوحد علي بن محمد قدس الله روحه لما استشهد اجنه رجل يعرف باليضبي من اولاد العباس بن علي بن ابي طالب عليه السلام واجن اخاه عبد الله بن محمد ، فاما ابراهيم بن محمد فخفي عليه موضعه ، فحين عاد الملك المكرم الى المهجم غدا يوم الاربعاء الحادي عشر من الشهر فكشف عن جثمان ابيه وعمه عبد الله بن محمد وحملهما رضي الله عنهما في تابوتين وسار بهما الى زبيد ، فاقام بها الى اليوم الرابع والعشرين من الشهر ، وسار الى صنعاء فوصل الى خارج المدينة ثاني ذي الحجة آخر شهور سنة ستين، ولما كان ثالث ذي الحجة سار الملك المكرم خلف تابوت ابيه الملك الاجل الاوحد علي ابن محمد وعمه عبد الله بن محمد ماشيا الى الجنابة ، وسار معه اولياء دولته ، حتى اجنهما يمانية الجبانة ، وامر بعمارة مشهد جامع لها رضي الله عنهما وارتضاهما ، وكتب بعض الشعراء علىقبر الملك الاجل الاوحد الصليحي علي بن محمد بهذه الابيات :

في القبر ليث وبحر زاخر وحدي \* جود وطود وضرغام وصمصام

فاعجب بان ضم هذا كله جدث \* بدى له في قلوب الناس اعظام

فطف به واقض حق المجد ان له \* حقا على كل حر جده سام

هذا الذي امس رجت خوف سطوته \* نجد وبغداد والاحساء والشام

حتى اذا قيل ما هذا له مثل \* من الانام تولت قتله حام

ومشهد الصليحي اليوم قد عفى المتغلبون الظالمون آثاره ، وهدموا مناره ، ولا سيما ائمة الزيدية فان عنايتهم في ذلك كثيرة ، ولهم في هدم القبور افعال نكيرة ، وذلك شيء يتحاماه الكفار والمسلمون ، ويأنفون عنه وهؤلاء عليه يقدمون،

وقعد الملك المكرم على مسجد كان ابوه الاجل ابتناه ، وانشده الشعراء ، فمن ذلك قول عمرو بن يحي بن الحسين الهيثي ، ومن قصيدة منها :

ان التوابيت التي ضمنت \* اجساد املاك بني يعرب

سيف معد واخيه مرت \* احلاف دمع عن اسى منصب

وكيف لا نبكي ملوكا عنت \* لهم ملوك الشرق والمغرب

دارت رحى باسهم من قرى \* السحر الى نجد الى يثرب

بما حوى البحر وشادوا العلى و\* ادركوا اوتار آل النبي

لم تطلع الشمس على مثلهم \* من غيرهم جودا ولم تغرب

كم فيهم من قائل فاعل \* عمر الايادي حوّل قلّب

لم تبكهم يوم قضوا نحبهم \* ما تم الحي ولم تندب

لكن بكتهم ضمر ينتمي الى \* غراب والى مذهب

ومرهفات وقنا سننت \* محكمات من يدي قعصب

يقلها كل رفيع العلى \* خنابس ليث وغى اغلب

فادركوا من حام اوتارهم \* حول لواء الملك المنجب

وبعد ذا لم يبق الا البكا \* فلتسفح الاعين ولتسكب

علىملوك سادة قادة \* كانوا ذرى الاعلام من يسحب

ولم يمت مجدهم انما \* غيبت الاجساد في الترب

وسعي ذي السيفين يحييهم \* ما لاح في الليل سنا كوكب

وانشد في قتل سعيد الاحول بالشعر ايضا :

رمت المنايا قلب من لم يجدل \* وتقر عينا بعد قتل الاحول

اشقى البرية ما قذار --- \* فيما جناه وبذ شوم الاخيل

لله يوم قفول ذي السيفين عز \* الملك من يوم اغر محجل

اهدى السرور لنا برؤية غرة \* كالشمس جلت كل ليل اليل

قاد السوابق من ازال بعد ما \* فجعت ذوو يمن باوحدها علي

فاباد حاما في زبيد ببيضة \* وذرى قناه وبالحريق المشعل

وثنى الاعنة من تهامة كلها \* لعراك ما بين الجراف ومنجل

فسقى رعين ويحصب وسواهما \* ممن بغى وعنى نقيع الحنظل

واعادها سعيا لحام كرة \* اخرى ولا نهل لمن لم يعلل

فتشعبت حام فمنهم مسهل \* هربا ومنهم محزن لم يسهل

وهم كتائب كالجبال ورجلهم \* كالرحل فرقة تدأب شمأل

والخيل تتبعهم بكل تنوفة \* سلكوا بها او جهلة او منقل

حتى اذا لجأوا الى الشعر الذي \* شعقاته عند السماك الاعزل

وهقتهم الابطال فيه يقودهم \* ثبت الجنان لدى اصطكاك الازحل

ملك اذا عرض الجياد لغزوة \* ما زال اوجم من نحيم وعندل

فشفى بقتلهم الغليل ولم يرم \* من بعد ذلك راحة في منزل

بل نص ما انقاه تدأب للسرى \* من خيله مثل الذياب العسّل

فتبعن حام الى جبال رفيدة \* ورمين من في مكة بالانكل

وذعرن صبعون الملا عن بيضه \* وطرقن في الاطواد ام الجوزل

وغشين بنيان البحار فما نجى \* منهن ذو حصن ولا ذو كرثل

وتركن حام قرى لما في الارض من \* ذئب ونسر ساغب او جئيل

وقفلن تحت بني الحروب شرازيا \* لحق الاباطل كالعصى القحل

هدي المناقب لا المدام يديرها \* كف المهفهف دي البرين الاكحل

ودخل الملك المكرم صنعاء غانما ظافرا ، للاعداء قاهرا ، قد دان له اهل الخلاف ، وسكنت لخيفة بأسه الاطراف ، واستقامت له الامور ، واطاعه الجمهور، ولم يبق له في اقطار اليمن معارض، ولم يعرض فيها عارض ، فاستقام به الملك على احسن نظام ، ودان الكافة بطاعته بعد طاعة الامام ، ورافده قاضي قضاة اليمن وهادي دعاتها لمك بن مالك الحمادي في اقامة الدعوة ونشر العلوم ، والهداية الى توحيد الله الحي القيوم ، وايضاح فضائل امير المؤمنين المستنصر بالله والائمة الطاهرين من آبائه ، وبيان دلائل فضائله وابنائه ، وظهر امر الملك المكرم على كل معاند ، وخضع له كل مقود وقائد .

وكان العثماني وهو من اولاد عثمان بن عفان لما دخل راس الاجل الاوحد علي بن محمد الصليحي رضوان الله عليه زبيد مع الاحول بن نجاح منصوبا على الرأية قد مدح سعيد بن نجاح ، وهجى الداعي علي بن محمد الصليحي ، ومن ذلك قوله :

بكرت عليه في الصباح فلم ترح \* الا على رأس الامير سعيدها

ما كان اقبح وجهه في ظلها \* ما كان احسن رأسه في عودها

سود الوقائع واقعت اسد الشرى \* يا رحمتا لاسودها من سودها

فلما ظفر الملك المكرم بالاحول بن نجاح وقتل الحبشة ونفاهم ، طلب العثماني وبذل فيه الاموال الجزيلة ، فنجى العثماني من بلد الى بلد حتى انتهى الى نجران، وعلم انه لا ينجيه الهرب، وايقن انه مدركه بالطلب، وكان العثماني قد سمى ولدا له عمران ، وجعله سميا لعمران بن الفضل اليامي ، وعمران بن الفضل يومئذ صاحب الامر عند الامير الملك المكرم وامير الجيش، وله الوزارة والصرف في جميع بلاد الملك المكرم ، فصنع العثماني قصيدة وانفذ بها ولده المسمى بعمران الى ابن الفضل وهو يومئذ بالمنظر من ضياع صنعاء ، والملك المكرم في صنعاء ، فتقدم عمران بن الفضل اليامي الى الملك المكرم وابن العثماني صحبته ، قال صاحب الرواية وكانت عادة عمران بن الفضل اذا دخل الى الملك المكرم ان يقوم الملك المكرم لاقباله ، وينزل عن سريره ويصعده معه الى السرير ، فسلّم عليه عمران بن الفضل فنزل الملك المكرم واخذ بيده ليصعده معه الى السرير ، فقال عمران لا افعل حتى تقضي لي حاجتي ، فقال له الملك المكرم هي مقضية ولو كانت في امان العثماني، فقال عمران ان ذلك اريد ، وهذا الغلام ولده معه قصيدة ، وصعد السرير وقام الغلام فانشد ، فقال الملك المكرم للغلام بعد تمام النشيد ان صدقني ظني فانك تجد اباك قد هلك ، فاني لاجد في هذا الشعر من آخر نفسه ، قال صاحب الرواية فوصل الغلام وقد هلك ابوه ، وهذه القصيدة

ما ذا يرد على الركبان عدنان \* ان لم يجد بجميل الصفح قحطان

يا ليت شعري يابن الفضل مالكنا \* هل عنده لعظيم الذنب غفران

اشكو الى الله اعداء عهدتهم \* قالوا وقولهم زور وبهتان

قالوا علي عظيما ليس يغفره \* الا عظيم عظيم العفو منّان

في ردة لو عزت آل النبي الى \* الكفران حقا لنال الناس كفران

ورجفة خرت الافلاك خاضعة \* منها وفارقت الارواح ابدان

كأن رأسي من هول ومن فزع \* ملقى على الترب لم يعمده جثمان

كأن جسمي اذا ما بتّ اذكره \* شلو يخطفه في الجوّ عقبان

يا ربّة الخدر قومي واندبي حزنا \* اني سيطربني نوح واحزان

اني اتاني وعيد لو اتى شغفي \* ثهلان ايسره لانهدّ ثهلان

وعيد من لو اتى كيوان موعده \* لا انقض من افق الافلاك كيوان

ما بت اذكر الا ومن اممي \* ومن ورائي لوقع السيف ارنان

فان سمعت بها ناديت يا ليتني \* هل عندك اليوم للمقتول اكفان

قوما احفرا جدثي اني يخيل لي \* من حيث ما كنت ان الارض نيران

حتى كأن نجوم الليل من جزعي \* ولامع البرق اسياف واسنان

وكل صادحة في الطير صارخة \* وكل نابتة في الارض مرّان

فان قفتني قواف قلت قافية \* وان بدى لي عود قلت انسان

وان بدت لي عين قلت عينة \* وان بدت لي ظباء قلت فرسان

يا ناعيي الى الحيين من مضر \* فلتبك مطلولها في الحي عدنان

قوما ابغيا جسدا لم يبق فيه اسى \* جوفا ولا في كتاب الوجه عنوان

هو الجنازة لولا ما ينمّ على \* باقي حشاشته نبض واجفان

يا من شفيعي الى قيل شفاعته \* عند المكرم لي روح وريحان

مولى مطاع اذا اومى لمالكنا \* فانما قوله حتم وبرهان

هبني كفرت ولكني استجرت فلي \* منك الجوار ومن مولاي غفران

ان المكرم نور يستضاء به \* سمت به في الورى هود وقحطان

قوم اذا غضبوا اغضوا وان قدروا \* عفوا وان سوهلوا او لينوا لانوا

او نوضلوا نضلوا او ضوربوا ضربوا \* او طوعنوا طعنوا او جلسوا زانوا

تغضي العيون حياء من مهابته \* لانه ملك فيها وسلطان

اذا بدى دارعا قلنا بدى قدر \* في درعه قمر ما فيه نقصان

يا قبح صنعاء صانعني بمكرمة \* فالناس اعوان من زانته اعوان

اد الكتاب وطالع بالجواب ولا \* تبخل بجاهك ان البخل خسران

ان لم يكن لك احسان تجود به \* فجد بجاهك ان الجاه احسان

تقول بنتي امعن في الفرار وهل \* من ابن اسماء ينجي اليوم امعان

فلا تلم ابلي ان امعنت هربا \* كيف الورود ودون الماء ثعبان

يا ذل عمران ان لم يعن عمران \* يا هونه ان عراه منه اهوان

يعني يا ذل ابنه عمران ان لم ينظر ابن الفضل في امره ويا هونه

فان عفى قرت الاوطان بي \* وبكم وان جفا فقبور البيد اوطان

بكى بكاء فناحت امه فبكت \* فارحم بكاها لك الرحمن رحمان

ولا تدعني ابا موسى بمهلكة \* وشد بناءك ان الخير بنيان

واقامت الحرة اسماء بنت شهاب الصليحي مع ابنها المكرم الى سنة سبع وستين واربعمائة، ثم اتاها الامر المحتوم ، والقدر المعلوم ، فتوفيت قدس الله روحها ورضي عنها ، وتولت الحرة الملكة ابنة احمد الصليحية الامر مع بعلها المكرم ، وكان يستحسن رأيها ، وحميد فعلها ، ويثق بفضلها ، وراجح عقلها ، ولما اطمئنت الامور للملك المكرم واستقرت ، وجرت الاحوال له على خير ما يريد واستمرت، وهربت بقية الحبشة وفرت، طالبته امرأته الحرة السيدة ابنة احمد ان يجعل ذي جبلة دار قراره ، وان يتمكن فيها بجنوده وانصاره ، وقالت ذلك اقر للمملكة وثبوت قواعدها ، واسهل جانبا في مصادر الامور ومواردها ، وهي متسوطة بين اليمن الاعلى والاسفل ، وبها يخصب العيش فيطيب المحل ، وكان مدينة ذي جبل اول من بناها واختطها السلطان الداعي الاوحد علي بن محمد في التعكر واعماله ، وهي المسماة مدينة نهرين،

وقالت الملكة السيدة لبعلها الملك المكرم يا مولانا ارسل على اهل اعمال صنعاء ليجتمعوا ويحتشدوا، فامر المكرم بجمعهم وحشدهم ، فلما حضروا الميدان اشرف عليهم من قصر غمدان فلم يقع عينه الا على حامل سيف او رمح ، ثم انتقل الملك المكرم الى ذي جبلة ومعه امرأته السيدة، فسألته ان يحشد اهلها ورعاياها ففعل، واشرف عليهم فلم يقع عينه الا على حامل هدية او سائقها ، فقالت العيش بن هؤلاء ، فاستوطن ذي جبلة مسكنا ، وجعلها له محلا وموطنا ، وولى عمران بن الفضل اليامي وابا السعود بن اسعد بن شهاب الصليحي صنعاء ، وامر الملك المكرم ببناء دار العز بذي جبلة واقام بها اياما، ثم اصابه وجع الفالج وقوي عليه، وكان اصله فيما يقال انه بعد ما فرغ من قتل العبيد بزبيد على ما ذكر حسر المغفر عن وجهه قبل ان يبرد جسمه فاصابته الريح فكان ذلك سبب الالم ، فااشار اليه الاطباء بالدواء ، وان يشتغل به ويحتجب عن الناس ، فطلع التعكر وجعل فيه وقوفه ، وصرف امر الملك والدعوة الى امرأته الحرة الملكة السيدة الصليحية وكانت امرأة فاضلة ذات نسك وورع وفضل، وكمال وعقل، وعبادة وعلم تفوق الرجال ، فضلا عن رباب الحجال، وتستحق مدح الشاعر حيث قال :

وما التأنيث لاسم الشمس عيب \* ولا التذكير فضل للهلال

فقامت بامر الدعوة والملك في جزيرة اليمن والجهات المضاف اليها من السند والهند وعمان، وكان مولانا امير المؤمنين المستنصر بالله عليه السلام قد اضاف امر الدعوة المذكورة الى الملك الداعي المكرم والسيدة الصليحية ، فقال عليه السلام في سجل من سجلاته الى داعيه الملك المكرم ، واما ما اوردته من شان الداعي المقيم كان بالهند ومضيه لسبيله ، فالله تعالى يرحمه ويتجاوز عنه ، وقولك في دعاء الحاجة الى من يسد مسده، ويحفظ نظام المؤمنين بتلك الجهات جاهدا جهده ، فانت اقرب الناس من ذلك الحظ ، واولاهم بالقبض فيه و البسط ، فافسح في ذلك وفي سواه غاية الامل واللحظ ، فلك من سكون امير المؤمنين اليك اوفر الحظ ، فدبر من يسد مسده ، وكاتب بذكر من يقع الاعتماد عليه لنعضده بالمكاتبة ونشده ، وقال في آخر شهر ربيع الاول من سنة ثماني وستين واربعمائة، والحمد لله وحده وصلواته على خاتم النبيين وسيد المرسلين ، محمد وآله الطاهرين الائمة المهديين وسلامه عليهم اجمعين ، وحسبنا الله ونعم الوكيل .

وكانت نقلة الداعي الاجل، والسيد الافضل ، حجة امير المؤمنين، وسيد الدعاة الميامين، المؤيد في الدين، صفي امير المؤمنين ، في العشر الاولى من شهر شوال الكريم ، سنة سبعين واربعمائة ، وصلى عليه مولانا المستنصر بالله عليه السلام في القصر ودفن في الدار التي انتقل فيها قدس الله روحه، وهي دار العلم،

وسجل امير المؤمنين المستنصر بالله صلوات الله عليه ايضا الى الحرة الملكة باضافة الهند وغيره اليها بما هذا فصه :

بسم الله الرحمن الرحيم ، الحمد لله رب العالمين ، من عبد الله ووليه معد ابي تميم المستنصر بالله امير المؤمنين الى الحرة الملكة السيدة الصليحية المخلصة المكينة ، ذخيرة الدين ، عدة المؤمنين ، كهف المستجيبين، ولية امير المؤمنين ، وكافلة اوليائه الميامين ، ادام الله تمكينها ومعونتها ، سلام عليك ، فان امير المؤمنين يحمد اليك الله الذي لا اله الا هو ، ويسأله ان يصلي على جده المصطفى محمد خاتم النبيين وسيد المرسلين ، صلى الله عليه وعلى آله الطاهرين، الائمة المهديين، وسلم .

اما بعد

فانه عرض بحضرة امير المؤمنين كتابك المتضمن وفاة داعيه بالهند، وكان ذلك غرس الدين ولي امير المؤمنين مرزبان بن اسحاق بن مرزبان رحمة الله عليه ورضى عنه ، وانه خلف ولدين ذوي دين وتقية ، واستصلاح للخدمة ، وان المرمى اليه منهما احمد الاكبر لتميزه وحميد طريقته ، وصدق حاجة امير المؤمنين هناك الى داع ليجمع شملهم على الطاعة ويؤنس وحشتهم بعد وفاة داعيهم الذي كان حسن الاثر، مؤثرا لحسن الولاية والتباعة ، ثم شفعت ذلك بما اعتمده المعروف باسماعيل بن ابراهيم الداعي كان بعمان من التخلي عن الخدمة ، والركض في طلب التجارة ، وبقاء المؤمنين بعده شتاتا وانفصاله ، وان سبط حميد الدين رضوان الله عليه خلف ولدا يسمى حمزة يصلح للاستخدام عوض المذكور مما وقف امير المؤمنين عليه ، واحمد تنبهك على هذه المصالح ، وتفقدك احوال الدعوة والدعاة في ذلك الاطراف والنواحي ، وانك يقظة لما عاد بقيام امر الدين ووطد مهاده ، واعلى سلطان الدعوة ورفع عماده ، واوعز امير المؤمنين الى السيد الاجل امير جيوشه وسيفه وناصره وكافل قضاته، وهادي دعاته ، عضد الله به الدين ، وامتع بطول بقائه امير المؤمنين ، وادام قدرته ، واعلىكلمته ، الذي اطلع الله بدولته طليعة سعد كشف به غمائها، وانار اضوائها ، واصبحت الدولة بقيام تدبيره سامية العلاء ، مكبوبة الاعداء ، منصورة اللواء ، فسيحة الارجاء ، بعيدة من اللاواء ، باسطار التقلدين من مجلس نظره باسم كل من الداعيين المذكورين ، وكتابه بالخدمة الى كافة المؤمنين كثرهم الله بالاشتداد بجبل العصمة ، واجراء الامور في قيام منار الدعوة وضم كلمة المؤمنين كثرهم الله على افضل عادة ، والتقليدان والمكاتبان ثني هذه الاجابة ، وانت فقد جعل امير المؤمنين اليك النظر في تلك البلاد والاعمال ، ومراعاة دعاتها وانتظام حال الدعوة فيها ومعونتهم بما يصلح خدمتهم ، ويؤكد امرهم ، ويجب ان تندبي من تخيرته للتوجه الى هناك ، وانفاذ كتبك بما يطيب به النفوس وينشرح الصدور بالرعاية ، ويونس النافر ويسكن القلوب ، وان تواصلي تفقد تلك الاعمال وتشيدها، واقامة الدعوة بها والمطالعة بما تحتاج من مصالحها ، فاعلمي ذلك واعملي بحسبه ان شاء الله ، والسلام عليك ورحمة الله وبركاته .

وكتب في العشر الآخر من شهر ذي القعدة من سنة احدى وثمانين واربعمائة ،

والحمد لله وحده وصلى الله على جدنا محمد خاتم النبيين وسيد المرسلين، وعلى آله الطاهرين الائمة المهديين ، وسلم تسليما، وحسبنا الله ونعم الوكيل.

واقامت الحرة الملكة الدعوة والملك في جزيرة اليمن وما يليها من الجهات ، ودلتهم على سبيل النجاة ، وهدتهم الى ولاية الائمة من آل النبي الطاهرين الهداة ، ومعها في اقامة الدعوة قاضي قضاة اليمن وهادي دعاتها لمك بن مالك ، ثم بعد وفاته ولده الداعي الاجل، والقاضي الافضل، يحي بن لمك ، ولهما في دعاة اليمن الفضل العظيم ، والمقام الكريم، وعليهما في الدعوة المعول، واليهما فيها الربط والحل،

وفي مدة اقامة الملك المكرم بحصن التعكر وصل اليه القاضي عمران بن الفضل اليامي، وانتهى الى باب التعكر المسمى باب كليب والملك المكرم لما به من العلة ، وكان مع عمران بن الفضل جماعة كثيرة، فمنعه الولاة عن دخول الحصن، وامر بالنزول الى ذي جبلة وصغر امره الحرة الملكة ، فاصابه لذلك كبر شديد ، ووقع معه امر عظيم ، نعوذ بالله من الكبر المردي ، والهوى المطغي.

وقال في ذلك قصيدة اولها :

ا باب كليب انني لك هاجر \* على انني داع لمولاك شاكر

وهي قصيدة طويلة ذكر فيها افعاله وسوابقه مع الملك الداعي علي بن محمد الصليحي ووقائعه ، وظن ان رجوعه برأى ابن هبالة ونجم ابن بشارة ، وكان يتوليان خدمة الملك المكرم ، فقال في قصيدته هذه المذكورة :

فاما بدين بابه ابن هبالة \* وما دونه نجم فعمران كافر

نعوذ بالله من الكفر بعد الايمان، والكبر والطغيان،

ولم تطل الايام حتى توفي الداعي المكرم رضوان الله عليه وارضاه وقدس روحه برحمته تولاه ، بحصن التعكر في جمادى الاولى من سنة سبع وسبعين و اربعمائة، وكتمت الحرة الملكة السيدة وفاته الى ان جاءها سجل امير المؤمنين المستنصر بالله صلوات الله عليه وعلى آبائه الطاهرين وابنائه الاكرمين، باقامة ولدها المكرم الاصغر عبد المستنصر علي بن الملك المكرم احمد بن السلطان المظفر علي بن محمد الصليحي رضي الله عنهم، وهو ما هذا فصه :

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، من عبد الله ووليه معد المستنصر بالله امير المؤمنين ، الى الملك الاجل الاوحد المنصور العادل المكرم عمدة الخلافة تاج الدولة سيف الامام المظفر في الدين نظام المؤمنين عماد الملة وغياث الامة شرف الايمان مؤيد الاسلام عظيم العرب سلطان امير المؤمنين وعميد جيوشه عبد المستنصر ابي الحسن علي بن الملك الاجل الاوحد احمد بن علي بن محمد الصليحي ادام الله تائيده وتمكينه واحسن عونه ، سلام عليك ، فان امير المؤمنين يحمد اليك الله الذي لا اله الا هو ، ويسأله ان يصلي على محمد جده المصطفى خاتم النبيين وسيد المرسلين، صلى الله عليه وعلى آله الطاهرين،

اما بعد

فان الله عضد امير المؤمنين بصفو اوليائه عضد السجير بسجرائه ، واطلع الامامة نور العصمة من سمائه ، يومض برقه نورين بدلائل ولائه، وجعل اولياء دعوته كواكبا تطلع وتغور، واياما تكر وتدور، واحوالا تتعاقب على مرّ الدهور، فالعابر الى جوار الله وظل جناحه ، وزمرة الصالحين من جيرانه ، والطالع بدى باحاظي الجدود ، ومطالع السعود ، وكبت الضد والحسود ، ويحمده امير المؤمنين على عاداته سبحانه هذه لديه في قيام منار دولته، وتمام مباني دعوته ، لا ينتقل ولي الى دار كرامته الا اعقبه وليا يحمل اعبائه ويقوم بفرض طاعته ، فالماضي حميد بما قدمه ومهده ، والباقي نجيح بما اعتمده واعتقده ، وقد كان والدك الاجل المكرم نضر الله وجهه ، وحشره مع رضى امير المؤمنين عنه وقبل سعيه ، مرهفا يصول به على ذوي الخلاف ، ويشد به اعضاد اهل الولاء والائتلاف ، وشبا يشب به على المعاندين نارا يتضرم اجيجها ، ويحرق وهيجها ، وعدة جليلة اذا اعدت العدد ، وذخيرة جميلة ليومي جلاد وجلد ، وامرءا قد يتقدم اذا تأخر الانصار ، ويدا سابغة في حفظ الذمار، فالدعوة الهادية المستنصرية بثتها الله تعالى بالاعمال اليمنية منه مصونة بسياسة وصرامة ، والامر المعذوق به محروس بعزم رأي ---، قد حمل الاعباء ، وكف اللاواء ، وضم شمل الاولياء ، وجمع الآراء ، على ما عاد بنظام الدين واشراقه ، ومد للصلاح باعه ووسع من نطاقه ، والكلمة باذن الله عالية ، والامور في كل حال على الاسباب جارية ، وامير المؤمنين يمد قلبه من لطائفه تشفيفا، ويودع لطيفه ادبا وتصريفا ، ويرغم به معاطسا وانوفا، ويفتح للمناجح ابوابا ، ويكسوه من الهداية للمصالح اثوابا ، ولما اطلع الله امير المؤمنين على استيثاره به وقبضه اليه والحاقه بآبائه الذين درجوا بعصمة الامامة متسربلي كريم مواقفها ، وانقرضوا متبشرين بما قدموه لآخرتهم من تالدها وطارفها ، نال امير المؤمنين من فقده رزية رزءت القلوب، وخطب اوفى على حادثات الخطوب ، ولولا ان امير المؤمنين عين العالم ان المصلحة فيما اراده الله من قضائه، والتسليم لامره في كرته ومضائه ، لاظهر من الكابة عليه ما اخفاه اظهره البرحاء والاسى، وان ستره ابداه الوجد المتضرم في الحشى ، وان طواه العيون التي كانت به قريرة ، نطقت به دموعه المسفوحة الغزيرة ، وامير المؤمنين يعزيك عن هلكه ، ويدعو لك بالبقاء بعده وان يلبسك الله قميص ولائه ودينه ونسكه ، ويسليك عنه بالماضين من الناس الذين ضمتهم المضاجع ، ووارتهم هذه المصارع ، وبحكم محافظة امير المؤمنين على الحرمات لذي الحرمات، وانه لا يضيع اجر من بدت منه الطاعات ، وسعى المساعي المصلحات، فقد رأى ان يصطنعك ويلحقك برتبته ، وينصبك منصبه ويرقي بك درجته ، ويجعل ابتداء امرك كآخر امره ، ويرفع نصبتك حتى يعلو بك هضبات الشم من عازب المجد ووعره ، فانه من فقد ما انت اعتياضه ، ولا هيض جناح انت قذفه وريشه ، ولا فل حسام انت غراره ، فالاصول اذا رويت نجمت اغصانها ، والبدور تعود الى كمالها اذا كمل نقصانها ، وانت الكوكب الذي قدح امير المؤمنين زنادك وقاريت ، ونور بك سماء الدعوة فطلعت وسموت ، ولما تم رأي امير المؤمنين على ذلك ، وحضر بحضرته السيد الاجل امير الجيوش سيف الاسلام ، وناصر الامام ، كافل قضاة المسلمين ، وهادي دعاة المؤمنين ، ابو النجم بدر المستنصري عضد الله به الدين، وامتع بطول بقائه امير المؤمنين ، وادام قدرته ، واعلى كلمته ، وهو قسيم المهجة وخدينها ، ووالي الدعوة وقرينها ، والعضب القاطع ، والبرهان اللامع ، ومحله لدى امير المؤمنين محل من قصرت النعوت الجليلة عن شاو فضائله ففات سابقا ، وانطقت مناقبه حاديا وسائقا، وقد ناط امير المؤمنين بثاقب تدبيره عز الدين والدولة فاحكم مراسها ، وقلده ما وراء سرير الخلافة من الدعوة الهادية ومصالح الدعوة ومصالح الامة فطنب اوتادها وشيد اساسها ، واعاد الى الدولة وجهها الوضي بعد شحوبه ، وشبابها الغض بعد مشيبه، جازاه امير المؤمنين نبذا من هذه الاعلام ، وكساه كسوة مجد يستحقها لخلوص طاعته للامام ، وانك من اولياء الدعوة الذين ولدوا على فطرتها ،وارتضعوا اخلاف طاعتها ، واستمطروا وابلها وتقلبوا على مهاد نعمتها ، فهم بتوليها اولى، كما انها فيهم افضل وابهى ، وما احسن الاشياء اذا كانت لاهلها ربائبا ، واليفها بهم اذا لم تكن فيهم غرائبا ، ومن احق ان يعطى الاماني والآمال، ويخص بالسعادات في الرجال، ممن نبت في مغارس الآباء والاجداد طيبا ريحه وطعمه، او ممن خرج من دوحة الدين خالصا فيها لبه وفهمه ، وامره ان يقلدوك النظر فيما كان ابوك تقلده من الدعوة الهادية ، و الاحكام في سائر اليمن وسائر الاعمال المضافة اليه برا وبحرا ، وسهلا ووعرا ، ونازحا ودانيا ، وقريبا ونائيا ، و التقليد مقرون بهذه المكاتبة، ولم يقف بك امير المؤمنين عند هذا الحد من الاصطفاء، والسمو بك الى اوفى طبقات العلياء ، حتى خصك من ملابس حسد الامامة بشريف الحباء ، ونعتك بالنعوت التي كان والدك بها موسوما ، تشريفا لك وتكريما ، وسير الاجل عضد الدين مؤتمن الدولة خالصة امير المؤمنين ابا الحسن الجوهر المستنصري احسن الله توفيقه وعونه ، وهو من جلة رجال الدولة المرموقين ، وعظماء اولياءها المتقدمين، ورؤساء عبيدها الاشداء ذوي الوجاهة والدين ، وامره ان يخاطبك بلسانه عن امير المؤمنين تعزية وتسلية ، وان يظهرك في التشريف على رؤس الاشهاد ، ويضم اليك كل قريب وبعيد، ويرشد كل سديد، وان يوصل اوامر امير المؤمنين الى كافة الاولياء المؤمنين ، رجال الدعوة الميامين، كثرهم الله واعزهم بعضدك والائتمار لاوامرك ، والازدجار لزواجرك ، وان يجريك في جميع ما يضمه تلك البلاد والمعاقل والحصون الدانية والقاصيةعلى الرسم المعهود من طاعة امير المؤمنين فيك ، وان يجمع كلمتهم على الاتفاق في نصرتك والجهاد قدامك والتبري من المارقين الذين يبدون الشنان لك ، وان يسالموا من سالمت ويعادوا من عاديت ويحاربوا من حاربت ، فالحميد السعيد من احمدته وطالعت باحماده ليتزيد من امير المؤمنين تقديمه والدعاء له ، والشقي البعيد من ذممته وابعدته ، وخرج عن هذا التمثيل من كافة الاولياء المؤمنين والناس اجمعين برئت منه ذمة الدعوة وحقت عليه كلمة البعد من الرحمة، وكاتب الحرة السيدة المخلصة المكنية ذخيرة الدين ، عمدة المؤمنين ، والدتك ادام الله عزها وصونها، ورعايتها وتمكينها ، بمثل هذه الجملة ، وحضها على الخدمة والجري على كريم العادة في حياطة الجملة ، ولا يزال امير المؤمنين يمدك بمواد اياديه وتائيده ، ويواصل لطيفك بتثقيفه وتسديده، حتى يتألف لك الضمائر ، ويوافقك القلوب والسرائر، ويستوثق لك الامر في البادي والحاضر، فاعلم هذا من جميل رأي امير المؤمنين واهتد بهدايته ، واسلك في منهج السداد ما تستخلص به بركات دعائه ومواد انعامه، ان شاء الله ، والسلام عليك ورحمة الله وبركاته ، وكتب في غرة شهر ربيع الاول من سنة ثماني وسبعين واربعمائة ، والحمد لله وحده ، وصلى الله على جدنا محمد رسول الله خاتم النبيين وسيد المرسلين ، وعلى الائمة الطاهرين المهديين، وسلم تسليما، وحسبنا الله ونعم الوكيل.

وكتب امير المؤمنين المستنصر بالله عليه السلام الى المكرم المظفر محمد ابن الملك المكرم احمد يأمره بطاعة اخيه الملك المكرم الاصغر وموازرته ، يقول فيه :

وخرج امره اليك والى كافة السلاطين، والمقدمين والمؤمنين ، ادام الله عزهم بطاعته ، واعطاه صفقة اليد في موازرته ومعاضدته والحفوف قدامه وموالاة من يوالي امير المؤمنين ويواليه ، ومعادات من يعادي امير المؤمنين ويعاديه ، وسلم من يسالمه وحرب من يحاربه ، وكتب صلوات الله عليه الى الحرة الملكة السيدة يأمرها بان تشد عضد ولدها الملك المكرم عبد المستنصر علي ابن الملك المكرم احمد ، وتجمع على طاعته وامتثال اوامره اهل دعوته في اليمن ، وتستعين بهم على من عاداه وعاداها وتستنصر ، وجعل امر ولدها معذوقا بامرها، وامره ان يصدر عما تومي اليه وتعول عليه في سرها وجهرها ، وكان مكانها عند الامام المستنصر بالله امير المؤمنين عليه السلام المكين، ومحلها منه المحل المخصوص بالتقريب والتمكين، واصدر الامام عليه السلام اليها اجل ابواب دعوته ، فافادها من علم امامها وحكمته ، ما ورثه عن آبائه الطاهرين ، وتلقاه عنهم عن ابيهم سيد الوصيين، وجدهم خير الانبياء والمرسلين، ما سمى به مقامها على الاشكال ، واستحقت به التقديم والتفضيل على الفضلاء من الرجال ، ورفعت عن حدود الدعاة الى مقامات الحجج ، وامر الدعاة بامتثال اوامرها والجري بعدها على سواء المنهج ، فكان الدعاة عليها يعولون ، ولها فيما اشكل عليهم امره يسألون ، واليها في كل احوالهم يرجعون، وبالوسيلة بها الى امير المؤمنين يتوسلون، ويستشفعون ، واستعانت في اقامة الدعوة وتثبيت قواعدها، واجراء احكامها في مصادرها ومواردها ، بقاضي القضاة وداعي الدعاة في اليمن، لمك بن مالك الحميد المؤتمن، وبابنه المقيم للدعوة الهادية على السنن ، والمحي لفروض الشريعة والسنن ، حميد المساعي والمسالك ، يحي بن لمك بن مالك ، وكان اليهما اقامة الدعوة وهداية اهل النواحي اليمنية وما ينضاف اليها ، وكان الرجوع الى الحرة السيدة الملكة والمعول في الامور عليها ، وجعلت الحرة الملكة الامير الاجل سبا بن احمد المظفر الصليحي نائبا عن ولدها المكرم علي بن الملك المكرم احمد بن علي في الملك ن وحاميا لاطرافه من المعتدين الذين يرمونه بالبغي والفتك، وكان جياش بن نجاح ايام الملك المكرم احمد بن علي الصليحي قد راجع عن الهند ، وكان فرّ اليه حين قتل اخوه الاحول سعيد بن نجاح ، ودخل مدينة زبيد متنكرا ، واقام فيها اياما مستترا، ولم يزل يدبر الفتك ويروم الغوائل ، يبذل البذائل ، ويحقق امر الملك المكرم احمد بن علي وما عراه من العلة واضطراب الجسد، وتفويضه الامر الى امرأته الحرة السيدة ، فقوى بذلك قلبه ، ووافق على بن القم وابنه الحسين بن علي الشاعر ، وكان علي بن القم وزيرا لوالي زبيد من قبل الداعي المكرم الصليحي ، فواطأه ابن القم على ا لخلاف ، وجرءه عليه وشجعه، فجمع جياش ابن نجاح الجرابة اليه والعبيد ، وتملك بمدينة زبيد ، اخرج عنها عامل الملك المكرم، وهذا جياش بن نجاح من عبيد عبيد العبيد ، ابوه نجاح مولى مرجان ، ومرجان مولى الحسين بن سلامة ، والحسين بن سلام مولى رشيد الزمام، ورشيد الزمام مولى زياد بن ابراهيم بن اسحاق بن محمد بن ابراهيم بن عبيد الله بن زياد بن ابيه ، الذي الحقه معاوية بابيه ابي سفيان وخالف رسول الله صلع في قوله الولد للفراش وللعاهر الحجر ، واطاعه على ذلك الاوباش، وعبيد الله بن زياد فعل المنكرات، وتجرأ على قتل الحسين بن علي سبط رسول الله صلع ، فتولى الامير الاجل سبا بن احمد بن المظفر حرب جياش بامر الملك المكرم احمد بن علي وامر الحرة الملكة السيدة ، ثم بامر ولدهما الملك المكرم وعبد المستنصر علي ابن احمد الصليحي ، وكان اكثر سكون الملك الاجل سبا بن احمد بن المظفر باشيح ، وهو معقل رفيع مشرف على الجبال مطل على تهامة ، وكان اليه اصاب وما اليه من الاعمال المضافة لزبيد ، وفيه الحسين بن علي القمي يقول :

ان ضامك الدهر فاستعصم باشيح او \* اودى بك الفقر فاستمطر بنان سبا

ما جاءه طالب يبغي مواهبه \* الا وازمع منه فقره هربا

يحال صارمه يوم الوغى نهرا \* تضرمت من دم حافاته لهبا

بني المظفر ما امتدت سماء على \* الا والفيتم في افقها شهبا

ان امرء كنت دون الناس مطلبه \* لاجدر الناس ان يحظى بما طلبا

وكان الامير سبا بن احمد يجمع على جياش بن نجاح الجموع ، ويدبر عليه دوائر الحرب، وكان اذا ابرد النسيم حشد الحشود ونزل الى تهامة فينتزح جياش عن البلاد ويقيم سبا بن احمد الصليحي يجبي خراجها ، ويبسط العدل فيها ، وكان يحتسب للعمال ما قبض منهم جياش في اشهر الصيف و الخريف ، فاذا انصرم الشتاء وانفصل الربيع ارتحل ممن معه من العرب من تهامة الى الجبال ، وملك تهامة ابن نجاح والعبيد ، فتارة يكون رحيل العرب عنها بالقتال ، وحينا لكثرة الوباء وشدة الحر ، ولما طال على الجياش واتعبه حرب العرب، وخشي منهم الغلب، دبّر الحيلة وزيره خلف بن ابي طاهر المنسوب الى سليمان بن هشام بن عبد الملك بن مروان الطريد الاموي ، وارسل من يشير على الامير سبا الصليحي بوصوله الى زبيد ، وقد كاتبه اعيان من فيها ببذل الطاعة ، وقد اخفوا الغدر، واسروا المكر، فاطمئن الصليحي الى قولهم ، ورجى صدقهم ، فجمع جموع العرب وجاء الى زبيد في ثلاثة الف فارس وعشر الف راجل ، وكان جياش قد اعد الجموع و استنصر بالشريف يحي بن حمزة بن وهاش ، وكثير من زعماء جيوش جياش قد كاتبوا الصليحي غدرا وكيدا، وهم كثير من الاشراف والعرب والعبيد ، فحين وافاهم الامير سبا بن احمد الصليحي وقع بينهم القتال وتبين له غدرهم، فقاتل هو والذين معه ، وكثر العبيد ومن انضم اليهم، وذلك في يوم الجمعة الخامس من ذي الحجة سنة تسع وسبعين واربعمائة في ايام الملك المكرم الاصغر، ويسمى هذه الوقعة وقعة الكظائم ، فقتل الامير قيس ابن احمد بن مظفر ومحمد المهنأ الصليحيان رحمة الله عليهما ، وحمل الشريف يحي بن حمزه بن وهاش الحسني على القاضي الهمام عمران بن الفضل اليامي ، فاختلفت بينهما طعنتان مات القاضي عمران من تلك الطعنة بعد ايام رحمه الله، وانقضت جموع العرب بعد ان قتل كثير منهم، وعقر مهر الامير سبا بن احمد الصليحي وسار راجلا في غمار الناس حتى حمله بعض جنده على جواده ، وفي قتل عمران بن الفضل اليامي يقول الشريف يحي بن حمزة مفتخرا من شعرا اوله :

ابلغ نزارا حيث حل نزار

ومنها يقول :

ونجى الحجازي الرئيس بطعنة \* بخلالها تحت القميص خوار

ثم اعتذر الداعي سبا بن احمد الصليحي فيما كان من نصره للحبشة في قصيدة اولها :

يا راكبا حسرة كالقارب القطم \* هوى لقاربه الكبرى من امم

الى قوله :

وقل يعز علينا ما اصابكم \* منا بغير رضى كف ولا قدم

والله يعلم اني يوم وقعتكم \* لم امس الا على جمر من الندم

وان فيض دم منكم كفيض دم \* بكربلاء وثار الطف لم يرم

فاجابه السلطان عبد الله ابن يعلا الصليحي على لسان الامير سبا بن احمد الصليحي فقال :

يا راكبا لا يلوي على احد \* لقيت داعية التوفيق والنعم

الى قوله :

فليس قيس وان جلت رزيته \* وكان صنوي لحمي لحمه ودمي

ولا الهمام ابو موسى وصاحبه \* محمد وهما من اوثق العصم

باول القوم منا حم مرتهم \* بين الاسنة والهندية الخذم

والسيف يأكلنا حينا ونرتعه \* حينا اذا شارفي الاعناق والقمم

وجرت بين السلطان الاجل ابي حمير سبا بن احمد بن المظفر الصليحي والسلطان الاجل ابي الربيع عامر بن سليمان الرواحي مكابرة ومنافرة ومطاولة ، وجد السعاة لذلك الدخول بينهما ، وحاولوا فساد الدولة الصليحية، وكتب الحرة الملكة الى الحضرة الشريفة المستنصرية بما ذلك جملته ، وسألت امير المؤمنينان يمدهم بما يكون به صلاح من مستجاب دعوته ، فورد جوابه الشريف الى الحرة الملكة يقول فيه :

واما ما كان شجر بين السلطانين الاجلين ابي حمير سبا بن احمد الصليحي وابي الربيع عامر ابن سليمان الرواحي اعزهما الله ، عرف امير المؤمنين ما تكررت به مكاتباتك --- نعيم الشاعر الهلالي ثم مع سعد الله ورفيقه الشيرازي ، وساقه رسولك الشيخ ابو نصر سلمه الله وحفظه بما كان من تسدد السلطان ابي حمير سبا في جميع ما جرى بينه وبين السلطان ابي الربيع عامر بن سليمان الرواحي من المشاجرة والمنافرة ، وما افضت فيه على السلطان ابي حمير سبا من السناء والتزكية والاطراء وما قرظته من احسن الطاعة ، ولين قياده من الموافقة والمتابعة ، وابقائه على ما طلب منه من المسامحة والمساعدة ولو كان مهضوما فيه من غير اضطرار الى ما اعتمده من حسن احتماله وتغاضيه ، وتلك سجية تعرب عن السلطان ابي حمير بتميز وسداد ، وخلوص نية واعتقاد ، معلوم انه ليس بمغبون من لطف واجمل ، ولا بمهوم من تسدد وتأتي واحتمل، وتعجل استيفاء حظه من رضى الله سبحانه ورضى امير المؤمنين بما يعود عليه من جميل الذكر، والمثوبة وطيب الاجر، ما ينوب له من عظيم الظفر والنصر، ما يحمد العاقبة من سداد الحال، ويرتق فتوق هذا الشغب والاختلال، وقد شكر له امير المؤمنين ما طالعت به من هذه الاوصاف الحميدة ، والمقامات الرشيدة ، واسعده في اجابته من هذه الجملة بما يحدوه من امتراء ما اكسبه فيه الرضى ، ومهّد له دواعي الزلفى ، وورد عن امير المؤمنين عليه السلام الى السلاطين الصلحيين والرواحيين ، والمشائخ الحجازيين، وطوائف المؤمنين ، بجزيرة اليمن ، ما هذه نسخته :

بسم الله الرحمن الرحيم

من عبد الله ووليه معد ابي تميم الامام المستنصر بالله امير المؤمنين الى كافة السلاطين

الى كافة السلاطين الصليحيين والرواحيين، والمشائخ الحجازيين، وطوائف المؤمنين ،كثرهم الله ونصرهم ، سلام عليكم ، فان امير المؤمنين يحمد اليكم الله الذي لا اله الا هو ويسأله ان يصلي على جده محمد خاتم النبيين وسيد المرسلين، صلى الله عليه وآله ا لطاهرين ، وسلم تسليما، يتلوه بخط امير المؤمنين ، يعزم عليكم معشر السلاطين والمؤمنين نصركم الله ويحتم العمل بما اشتمل عليه سجله هذا من مراسمه التي تؤذن لكم بصلاح الدين والدنيا ، والفوز عنده بالرضوان والزلفى ، ويحرم عليكم بحرام الله وحرام محمد وابيه امير المؤمنين علي ابن ابي طالب وآبائه الائمة الطاهرين من ذريته مخالفة مضمونه وتجاوز شيء منه ، واعلموا من اغفل ذلك متأولا فيه او تاركا للعمل بما يقتضيه فقد برئ من الله تعالى ومن امير المؤمنين امام زمانه ، وقد شهد على نفسه بالكفر والمروق والعدوان ، وان امير المؤمنين قد اوجب عليه الويل والحزن الطويل في الدنيا وله في الآخرة العذاب المهين، واشهد الله تعالى على ذلك وكفى بالله شهيدا ، وكتب في شهر ربيع الاول سنة ثمانين واربعمائة ، وبعد فان الله تعالى شرف امير المؤمنين بفضل الخلافة على بريته ، واناف محل الدعوة الهادية مرتبة، وخصه من مجد آبائه الكرام طارف المجد وتليده ، ومنحه من عصمته بيت الشرف وعموده ، وهو يشكر اوليائه في الدين مساعيهم التي بها عند الله يحظى الصالحون، ويمتري شرفها المؤمنون، ويتحلون مفاخر حليتها في الدين والدنيا ، ولما عرف امير المؤمنين ما كان منكم في النصرة من حميد المساعي ومأثور موافقكم في حماية الدعوة وما انتم عليه من الالتزام بشرائط الدعوة والعمل بعلائق الوفاء والمناصحة ، شكر لكم هذه المناقب التي تقلدتم بها قلائد التقوى ، ونلتم الدنيا والاخرى، واصبح قدحكم المعلى ، وفخركم الاسمى الاعلى، وامير المؤمنين يأمركم بالجري على هذه السنن المشكورة والاعتماد المأثور وان تعتمدوا الائتلاف ، والتحذير من عواقب المقاطعة والاختلاف، ويستغني بحصافتكم عن ان يضرب لكم الامثال في ذلك بمن سلف من الامم وما نالهم من معرة التباين والتقاطع ، وخذلان التنافر والتنازع ، وان الشيطان ما نزغ بين قوم الا بدد شملهم وابادهم، ولا تشاجروا اذا ذلوا وضعفوا ، واصبحت قناتهم لينة لغمزها ، وسيوفكم كهاما عند هزها ، ولا اتفق قوم تعاضدوا الا كانت -- اليد الطولى ، ولا تصافوا وتعاضدوا الا كانت -- كلمتهم المثلى ، وقد كان لكم في داعيكم الاجل الاوحد امير الامراء ابي الحسن علي بن محمد الصليحي رحمه الله اسوة في مسعاه، ورضي بما رضي الله عنه به امير المؤمنين وارضاه ، الذي كانت مقاماته شهيرة في اظهار الدعوة الهادية باليمن، وانكم كافة المؤمنين باليمن كثركم الله ونصركم مع ما لكم من السوابق المتقدمة ، والاواخي المتحكمة ، والمساعي المشكورة عند الله سبحانه والمواقف الاثيرة لم تعرفوا الا به ، وتسعدوا في طاعة امير المؤمنين الا باتصالكم بسببه، فانه الذي ابرزكم الى الوجود بعد العدم ، وقدم اقدامكم الى ما نلتم به حظ الدنيا والدين واي تقدم ، فعلى في الدين مناركم، وحمدت في الجهاد والنصرة آثاركم، وعز عن الاهتضام جاركم ، وامتنع من الطروق ثماركم، واستطلتم بالنفر اليسير والعدد القليل على جحاجحة سلاطين اليمن الذين شادواالقصور والمعاقل ، وسادوا العشائر والقبائل ، ودانت لكم العرب بعد شماسها ، واذعنت مع قوتها وشدة بأسها ، فابتززتم ملكها قهرا، وازلتم عزها قسرا ، واصبحتم عليهم عالين، ولهم بظهور النصر غالبين، وكنتم كما قال الله سبحانه واورثكم ارضهم وديارهم واموالهم وارضا لم تطؤها وكان الله على كل شيء قديرا ، ثم افضيتم بعد انتقاله رحمه الله من مبرة ولده المكرم رحمه الله الى الكنف الوطي ، والخلق الرضي ، الذي اوسعكم حلما وكرما ورأفة ورحمة وتحننا ، ومواساة بما يحتوي عليه يده ، ومشاركة فيما ينتهي اليه استطاعته ، وكان يعتد شيخكم ابا، وكهلكم اخا ، ويافعكم ولدا ، برا ولطفا بكم ، وعطفا عليكم ، مواصلا للثناء عليكم بحضرة امير المؤمنين مستدعيا بركته عليكم ، الى ان وافاه وقته المعلوم ، واجله المحتوم ، فاخترم وهو محمود الخلال ، مفقود المثال، مسدّد الاقوال والافعال ، وامير المؤمنين راض عنه ، متألم لفقده ، مراع لخلفه من بعده رحمة الله ورضوانه عليه ، فاي فضيلة هي اوفى من هذه الفضيلة ، وا ي سابقة هي ازكى من السابقة الجميلة ، واي حرمة لديكم آكد من هذه الحرمة ، ام اي نعمة عليكم هي اجل قدرا من هذه النعمة ، التي لا يبلغ احدكم شكرها، ولا يسعه جحودها ولا كفرها ، وان امير المؤمنين ليرعى لهذا السلف الاطيب في خلفه المرتضى الانجب ، ما يؤكل همه له بالانشاء والانماء ، والاصطناع والحباء والاصطفاء ، ويبقى الغرس الذي غرسه تاليا، كما غرسه باديا ناميا ، سجية مألوفة له ولآبائه الطاهرين ، الائمة المهديين ، في رب النعم ، ورعاية الذمم، وحفظ المودة الزاكية على القدم ، ويحكم ذلك بطاعة داعيكم الملك الاجل المنصور ، العادل المكرم، عمدة الخلافة، تاج الدولة ، سيف الامام، المظفر في الدين ، نظام المؤمنين ، عماد الملة، وغياث الامة، شرف الايمان ، مؤيد الاسلام ، عظيم العرب ، سلطان امير المؤمنين ،عميد جيوشه، عبد المستنصر ادام الله تمكينه وعلوه، وكبت حسدته وعدوه ، كما قد فرض الله عليكم من طاعة امير المؤمنين ، ويأمركم ان تعتمدوا الجد والتشمير في متابعته ، ومناصرته ومظاهرته ، والازماع والاجتماع على مرافدته ومعاضدته ، وتثبيت قواعد دولته ، والجهاد تحت رأيته ، وتوافق الايدي على من ضاده ، وكائده وحاده وعانده ، وترك الونية في ذلك ، وان تخلصوا النيات في موافقته ، وطاعة والدته الحرة الملكة السيدة المخلصة المكينة ذخيرة الدين ، عدة المؤمنين ، كهف المستجيبين ، وليه امير المؤمنين ، وكافلة اولياءه الميامين، ادام الله تمكينها ونعمتها ، واحسن توفيقها ومعونتها ، التي استكفلها امير المؤمنين في تدبير امره ، واستكلفها رب حاله في صغره ، والى حين كبره، فانه لم يؤهلها لهذه الرتبة السنية الا بعد ان علم سدادها واجتهادها ، وعرف ديانتها وصدق اعتقادها، وانها مأمونة على ما تدبره فيه ، مرضية لما انتدبها له من تشييد مبانيه ، فاقام مقام من يقول فيسمع ، وينهى فلا يراجع ، وحرم عليكم كافة السلاطين والمقدمين ، والمؤمنين الديانين ، مخالفتها والرد لامرها والقعود عن مناصرتها ، والادهان في طاعتها ، والتأخر عن امثلتها ، فمن خالف هذه المراسم مرق عن الدين، وتعرض لمساخط امير المؤمنين ، وخسر الدنيا والدين ، ذلك هو الخسران المبين، ومع هذا فلم يزل مطالعة هذه الحرة الملكة متواترة لدى امير المؤمنين مسحونة من احماد مساعيكم والاشادة ببهاء امرها ووصف حجولها وغررها بما يوجب لكم من امير المؤمنين الرضى والزلفى، ويفضي بكم الى حميد الرجعى ، وانما تعهدكم بسجله هذا برّا بكم وتوفيقا ورأفة وتذكيرا وايقاظا وان لم تكونوا ناسين، وحضا علىالوفاء وان كنتم البررة الاتقياء الوافين، واعلمكم جميل رأيه في هذه الحرة التقية المباركة وولديها الذين هما الخلف من السلف الصالح من دعاته الذين لم يزل عنهم راضيا، ولهم في جميع الاحوال ملاحظا مراعيا ، واستزادكم من الافعال الحميدة التي بها تسعدون ، وبالمواظبة عليها تشكرون وتحمدون ، واشعركم انه كلما ازددتم في طاعة داعيكم ووالدته حسنى ، ازددتم من امامكم تقربة وزلفى ، واستأنفتم منه اقبالا وتحننا عليكم، وصرفا لوجه الاهتمام اليكم، فاقدروا النعمة في ذلك حق قدرها، وامروا اخلافها بمواصلة شكرها، واعلموا احسن الله توفيقكم ان داعيكم وان كان صغيرا السن فان له من لطيف ملاحظة امير المؤمنين ومتواصل رعايته ما ينهض --- ويقيم اوده ، وبسط بالتمكين باعه ويده ، ويرفعه عن مواطن الحداثة واليفاعة ، الى مواقف اهل الحجى والبراعة ، وقد احسن له امير المؤمنين النظر في دعوته ، وما فوّضه اليه من ولايته ، واوعز الى السيد الاجل بان امضى للمأذونين المقدمين منكم في ايام داعيه الامين الاجل الاوحد امير الامراء وولده الملك الاجل المكرم رحمة الله عليهما ، ومن عسى ان يصيبه هو الآن ويتفق فيه رأيه ورأي والدته الحرة ، التصرف فيما كان اليهم على الرسم الماضي المعهود ما استمر المستمر منهم على المساعي الصالحة ، والاخلاص في حسن الطاعة والمناصحة، واداء الامانة فيما فوّض اليه ، واعتمد فيه عليه، والثبات على قوانين الدين والتخلف باخلاق المؤمنين المخلصين، على ما يتخيره هو والحرة والدته منه من استقامته على حميد الطريقة، والتزامه بسبب الحقيقة، او سوى ذلك والعياذ بالله منه ، فمن زكاه وزكّته وارتضاه وارتضته فهو عند امير المؤمنين المزكى المرتضى، ومن سخط عليه وسخطته فهو البعيد المقصى ، وان من الواجب على كافة المأذونين، وسواهم من سائر المؤمنين ، تأليف القلوب على طاعة داعيهم ووالدته وقود من شذ عنهما الى متابعتهما بجرائم الدين ، واستيفائهم الى موافقتهما بعزائم الموفقين المسدّدين ، الذين صفت نياتهم لله سبحانه ولوليه فازال عنهم طبع الشكوك والشبه ، وجلّى عن بصائرهم رين الغفلة والعه، فحظوا في الدنيا والآخرة بالفوز العظيم، وهدوا الى الصراط المستقيم، وسعدوا بالنجاة من نار الجحيم،

ثم اعلموا كثركم الله عز وجل ونصركم ان الاتفاق من اكبر دواعي الصلاح، وارفق مفاتيح النصر والفلاح، فاحتشدوا فاجمعكم حفظكم الله بجد وتشمير، ولطف رأي تدبير ، ساعدوا داعيكم والحرة عليه، وسارعوا فيه الى ما يوميان اليه ، وادأبوا في ازالة الضغائن الحادثة بين سلاطينكم وكونوا على حسمها اعوانا، واعملوا الفكرة في الالفة بينهم سرا واعلانا ، فان قلوبكم اذا اجتمعت على التصافي والاخلاص، وتشاركت في الممازجة والاستخلاص، هابكم اضدادكم، واكبت مرادكم، وعلت كلمتكم، وثقلت على الاعداء وطأتكم، واحتمت عن مكائدهم حوزتكم، وعظم عليهم بأسكم وسطوتكم، وكان الله ودعاء امير المؤمنين وراء نصرتكم، والتمكين لكم من عدو امير المؤمنين وعدوكم، والله يوفقكم لما يستديم لكم الحظوة برضى امير المؤمنين ورأفته ، ويمدكم بحسن المزيد من بره وعاطفته ، ويؤيدكم بالنصر المبين في طاعته ، ويعضدكم بالظفر في حماية دعوته ، فاعلموا وفقكم الله هذا من امير المؤمنين ورسمه ، واعملوا عليه وبحسبه ، ان شاء الله، وكتب في شهر ربيع الاول من سنة ثمانين واربعمائة ، والحمد لله وحده ، وصلى الله على جدنا محمد خاتم النبيين وسيد المرسلين ، وآله الطاهرين المهديين، وسلّم تسليما وحسبنا الله ونعم الوكيل.

--- هذا السجل الشريف ووقف عليه السلاطين ، وكافة الامراء والمقدمين ، وجميع المؤمنين ، سمعوا واطاعوا للامام عليه السلام وجرت امورهم على احسن الائتلاف والانتظام ، واذعنوا بالطاعة للحرة السيدة وولدها الملك المكرم، ورضى كل منهم بامره وسلّم ، فقامت الدولة الصليحية على ساق ، وانتظمت احوالها في الاقطار المينية والآفاق.

ثم انه قضى الله جل جلاله بوفاة الملك المظفر عبد الامام محمد بن الملك المكرم رحمة الله ورضوانه عليه في حيوة اخيه الداعي الملك المكرّم عبد المستنصر، ولم تطل الايام حتى جرى القدر ووقع امر الله النازل بجميع البشر علىالملك الداعي الاجل المكرم عبد المستنصر علي بن الداعي الملك المكرم احمد بن الداعي الاجل الاوحد علي بن محمد الصليحي قدس الله ارواحهم ورحمهم ورضي عنهم،فقامت الحرة الملكة السيدة عمدة الاسلام ، وخالصة الامام ، بدعوة اولياء الله خير قيام، وكفلت كافة المؤمنين، والدعاة الميامين، والحدود المستجيبين خير كفالة ، واوضحت البرهان في ولاية الائمة عليهم السلام والدلالة ، واوضحت معالم الدعوةة للتابعين وابانت ، وما وهنت لما اصابها في سبيل الله وما ضعفت وما استكانت، وشدها امر مولاها وعضدها، واقامها وايدها ، فدفع الله بها عن الدعوة اودها ، ورفع اعلامها واقام عمدها ، واقامت في الدعوة والملك بامر مولاها الملك الداعي الاجل ابا حمير سبا بن احد بن المظفر ، وكان فاضلا تقيا ورعا ، زاهذا شجاعا ، كريما حسن الاخلاق، طيب الانساب والاعراق، يقصده الشعراء ، ويؤمه طالب الندى ، وفيه يقول الحسن بن علي ابن القمي من قصيدة :

وما يلتقي صدق الوداد وطاعة \* العذول ولا جود بن احمد والجدب

كريم اذا جادت فواضل كفه \* تيقنت ان البخل ما تفعل السحب

اجار فلا خوف واحيا فلا ردى \* وجاد فلا فقر ورام فلا صعب

ويثني على قصّاده فكأنه \* يجاد بما يجدى ويحبى بما يحبو

كتبت اليه والمفاوز بيننا \* فكان جوابي جود كفيه لا الكتب

وما كنت ادري قبل قطع هباته \* الي الفيافي ان انعمه ركب

ومن شعره فيه ايضا :

معاليك لا ما شيدته الاوائل \* ومجدك لا ما قاله فيك قائل

وما المجد الا حيث يممت قاصد \* وما النصر الا حيث تنزل نازل

اذا رمت صيدا فالملوك طرائد \* امامك تسعى والرماح اجادل

مصائنها ان سالمتك مواهب \* واعضائها ان حاربتك مقاتل

ومذ رمت ايراد العوالي تيقنت \* نفوس الاعادي انهن مناهل

وقد عشقت اسيافك الهام منهم \* فكل حسام مرهف الحد فاصل

مليك يقض الجيش والجيش حافل \* ويخجل صوب المزن والغيث هاطل

سحاب غواديه لجين وعسجد \* وليث عواديه قنا وقنابل

توقي الاعادي بأسه وهو باسم \* ويرجو الموالي جوده وهو صائل

وله فيه ولغيره اشعار كثيرة ، قيل وكان فصيحا شاعرا يجيب الشعراء ن كثير من شعرهم ثم يجيزهم بعد ذلك ويزيد في برهم ، ومن ذلك ما روي ان ابن القم مدحه فاجابه بمثل شعره ، واجازه جائزة سنية لا تصدر الا عن مثله ، فقال في ذلك الحسين بن علي بن القم:

ولما مدحت الهزبري ابن احمد \* اجاز وكافاني عن المدح بالمدح

فعوضني شعرا بشعري وزادني \* عطاه فهذا رأس مالي وذا ربحي

شققت اليه الناس حتى بلغته \* فكنت كمن شق الظلام الى الصبح

فقبح دهر ليس فيه ابن احمد \* ونزّه دهر وهو فيه عن القبح

وقد جاء في بعض الروايات ان الداعي سبا ابن احمد خطب الحرة الملكة السيدة ابنة احمد واراد ان يتزوجها، فابت ذلك ، فسير رسولين الى امير المؤمنين المستنصر بالله عليه السلام يستشفع به اليها، فكتب اليها امير المؤمنين المستنصر بالله عليه السلام في اثناء ما يكاتبها به يأمرها بذلك ، وجاء مع رسولي سبا بن احمد الصليحي استاذ من القاهرة يعرف بيمن الدولة ، فوصل مع رسولي سبا الى الحرة الملكة وهي بدار العز بذي جبلة ، فخاطبها الاستاذ ، فقال امير المؤمنين يرد السلام على الحرة الملكة ، السيدة الرضية ،الطاهرة الزكية ، وحيدة الزمن، وسيدة ملوك اليمن ، عمدة الاسلام ، وخالصة الامام ، ذخيرة الدين ، عصمة المؤمنين ، كهف المستجيبين ، ولية امير المؤمنين، كافلة اوليائه الميامين ، ويقول لها وما كان لمؤمن ولا مؤمنة اذا قضى الله ورسوله امرا ان يكون لهم الخيرة من امرهم ومن يعص الله ورسوله فقد ضل ضلالا مبينا، وقد زوجك مولانا امير المؤمنين من الداعي الاوحد المنصور المظفر سبا بن احمد الصليحي على ما حضر من المال وهو مائة الف دينار وخمسون الفا اصنافا من تحف والطاف ولبب وكسى ، فقالت اما كتاب مولانا صلوات الله عليه وامره فاقول فيه اني القي الي كتاب كريم ، انه من سليمان وانه بسم الله الرحمن الرحيم ، ولا اقول في امر مولانا يا ايها الملأ افتوني في امري ما كنت قاطعة امرا حتى تشهدون، واما رسل الداعي سبا بن احمد فما جاؤا الى مولانا عليه السلام من سبأ بنبأ يقين ، ولقد حرفتم القول عن مواضعه، وسولت لكم انفسكم امرا فصبر جميل ، والله المستعان على ما تصفون، ووافى الامير سبا بن احمد الى ذي جبلة في جيوشه ، فرأى من حال الملكة ما استعظمه، وما استصغر حاله عندها ، فم يبت غير ليلة واحدة في ذي جبلة ، ثم رجع الى اشيح ، وقيل ان الحرة الملكة وهبت له جارية جميلة الخلق ، وحملتها من الحلى ما استهاله واستعظمه ، وكان الذي انتصب للدعوة باليمن معاضدا للحرة الملكة ، نصب الدعاة ، وهدى الهداة ، واوضح للدين معالمه ، واحيا مراسمه ، وبين شريعته ، وفسّر تأويله وحقيقته ، داعي الدعاة ، وقاضي القضاة ، لمك بن مالك الحمادي ، وابنه الداعي يحي بن لمك ابن مالك الدليل الهادي ، فهما اللذان ظهر فضلهما ، وعلى عند الائمة محلهما ، وقل في الفضلاء شبههما ومثلهما ، وعليهما كان المعول بالجزيرة اليمنية وما ينضاف اليهما في اقامة الدعوة ، وهم للدعاة الهادين الدليل والقدوة ،

نرجع الى تمام ذكر نبذ مما كان في حضرة امير المؤمنين المستنصر بالله صلى الله عليه وعلى الطاهرين من ابنائه

قد ذكرنا امر ابن حمدان وما كان من فتك اسد الدولة لما تمادى في طغيانه ، وتناهى في بغيه وعدوانه ، وزاد في اشره ، واظهر العظيم من نكره ، فلما كان ذلك واستخدمت الدولة النبوية اسد الدولة على الاتراك وسائر الطوائف اقام ما اقام في الخدمة ،واظهرالنصيحة لاولياء الله الائمة ، فلما قوي حاله ، وامتدت يده ، واتسعت بسطته ، واملى ولي الله له ، سار بسيرة ابن حمدان وبسط يده بظلم الرعية وسوء السيرة، وسعى سعي الباغين ذوي التكبر والتجبر، وجعل يطالب الحضرة النبوية بالاموال ، ويكثر ويلح في السؤال ، وكلما اعطي من ذلك

\

\\

\ن رآه امير المؤمنين يزداد في طغيانه ويلج في عتوه وعدوانه ، ويلح في السؤال ، ولا يقنع بما في الخزائن من الاموال ، امر بالقبض عليه وصير في بعض الجزائر قد اعتقل ، ثم افضى الامر به بما كسبت يداه الى ان امر بقتله فقتل

، فاضطربت المملكة وكثر الثوّار ، والمعتدون والذعّار ،

وكان من عبيد الدولة المستنصرية رجل يسمى بلدكوش فجحد الانعام ، وخالف على الامام ، وجمع اليه الطغام ، واستنهض معه العامة الذين هم اضل من الانعام ، فسد المنافذ من حيطان القاهرة ، ومنع من الدخول اليها والخروج عنها اجتراء ، وبغيا واعتداء ، فكتب امير المؤمنين عليه السلام الى امير الجيوش بدر الجمالي

قال القاضي ابن خلكان : وكان بدر المذكور ارمني الجنس استتابه المستنصر صاحب مصر بمدينة عكة ، هذا قوله .

وقال ابن حوقل البغدادي : عكا مدينة من بلاد الروم كبيرة متسعة مبنية على صخرة ذات بساتين وعمل جليل كثير الارتفاع وبساتينها مسورة بسورة من حجر ، ويذكر ان بها قبر صالح صلوات الله عليه ، وهو منها في الجهة الشمالية على عشرة فراسخ ، هذا قوله.

وهذا دليل ان المستنصر بالله صلوات الله عليه قد ملك من جهات الروم ، واقام فيها دين الله الحي القيوم،

فلما وصل اليه كتاب امير المؤمنين صلوات الله عليه ووقف على ما فيه جمع عساكره وخيله ، وسلاحه وامواله ، وشحن جميع ذلك في المراكب وركب البحر مخاطرا بنفسه في وقت لا يركب البحر في مثله مبادرا الى طاعة امامه ، مسارعا الى نصرة الحق واقامة اعلامه ، وكان من صلاح النية والولاية للائمة وحسن السيرة على حالة ترضي الله تعالى وترضي امامه ، وبها نال من الخيرات مرامه ، فلما وصل الى تينس وافى اهلها قد خالفوا على الامام عليه السلام ، ومن يليهم في تلك النواحي قد اظهروا الخلاف في الخاص منهم والعام ، فاستولى على تينس وخرج منها الى الريف الاسفل واوقع بلواته ، وهم الذين كانوا انصار ابن حمدان وبطانته ، فقتل مقاتلتهم وحاز اموالهم وكراعهم ، وضبط الاسكندرية واعمالها واعمال الريف الاسفل ، وحين قرب بدر الجمالي المستنصري الى القاهرة بجيوشه بادر اولياء الدولة الى بلدكوش فقبضوا عليه ، واودع السجن بعد ان جعل الحديد في رجليه ، ودارت دائرة السوء عليه، ووصل الى الحضرة الطاهرة النبوية المستنصرية ، فكان وصوله القاهرة عشية الاربعاء لليلتين بقيتا من جمادى الاولى وقيل الاخرى سنة سبع وستين واربعمائة ، فاقبل عليه الامام عليه السلام بوجهه الجميل ، واعطاه العطاء الجزيل ، وخلع عليه الخلع السنية ورفع درجته على وزراء الدولة الامامية ، وسماه سيف الاسلام ، وصرف اليه امر الخاص من اهل دعوته والعام ، وطوّقه طوق الوزارة ، وجعل اليه ايراد الامر في المملكة واصداره ، فلما استقر به القرار آنس الرعية وعدل فيها ، وآمن السبل قاصيها ودانيها ، وتتبع المفسدين والذعار ، بالهلاك لهم والدمار ، والاجلاء لهم عن الديار ، وجبى الخراج ورفع الاموال الى قصر امير المؤمنين ، ورد الدوانين والكتاب واصحاب الخراج على عوائدهم ، وملأ الاصطبلات من الخيل والدواب على ما كانت عليه الحال ، ثم نهض الى الصعيد الاعلى ، وآمن اهله وشرد من كان فيه من المفسدين ، وشحن مدنه وثغوره بالخيل والرجال ، وعاد على خير الاحوال الى حضرة امير المؤمنين،

وجاء الاقسيس ملك الغز واستولى على الشام ، ثم تحرك بمن معه من جميع عساكره ومن انضاف اليه وزحف الى اعمال مصر ، وقد وصل في تلك الايام بدر بن حازم امير طي بجمع من قبائل العرب الى باب امير المؤمنين صلوات الله عليه مواسيا بنفسه في الجهاد ، وباذلا لها في كفاح اولي العناد ، وكان منزلته عند الامام المستنصر بالله عليه السلام سنية ، وهو من الولاية وحسن الطاعة على احوال مرضية ، فلما استقر بباب امير المؤمنين عليه السلام وصل الاقسيس والغز الى ان صاروا بصهرجت بناحية الريف الاسفل ، وقد راموا ان ينالوا من ملك مصر المرام ، وان يبسطوا يد الظلم والغشم في جميع شيعة الامام ، فخرج امير المؤمنين عليه السلام الى خارج باب القاهرة ، ودعى وزيره سيف الامام بدر المستنصري فاعطاه اللواء بعد ان عقده له بيده وهزه ، وامر الوزير ومعه بدر بن حازم الطائي بالخروج الى لقاء الغز ، وجمع العساكر والعدد والعدة وان يعدوا لهم ما استطاعوا من القوة ورجع الامام عليه السلام الى قصره بالقاهرة ، وسار سيف الامام وزير الامام للقاء الغز في عديد جم وقوة ظاهرة ، فلما تدانى الجمعان والتقى الفريقان وزحف بعضهم الى بعض ، وقد ضاق لكثرتهم فضاء تلك الارض ، وكانت بينهم معركة على فيها القتام وكثر كلامها ، ودنى فيهامن الابطال حمامها ، فدارت من الموت الزوام بالرماح والصفاح الكؤس، وسالت على البيض والاسنة النفوس ، وطارت عن اجسادها الرؤس ، فنادى العسكر النبوي بالشعار المستنصري، وثبتوا ثبات الصابر الجري، فمنحهم الله النصر على التركماني واصحابه فعادوا منهزمين، وولوا على اعقابهم ناكصين، وانهزم الاقسيس التركماني على وجهه لا يلوي على احد من اصحابه ، منقطعا من عسكره ورجاله لا يروم غير خلاص نفسه ، حتى نجى بحشاشته مع بعض الامراء من كلب، وانتهى الى دمشق بعد ان اخذت من عساكره السيوف، ولعبتهم عابثات الحتوف، فانجلت المعركة منهم عن عشرة الف قتيل على ما ورد عن اهل السير، وملك بدر ما في عسكرهم من الامتعة والاموال، والمضارب والاثقال ، وكان فتحا عظيما ملأ الآفاق ذكره، وعمها نشره ، فاضطربت منه الآفاق، وهابته املاك العراق ، وعاد بدر الجمالي الى حضرة امير المؤمنين واعلام النصر عليه قد نشرت، ووجوه الآمال في الدولة النبوية الامامية قد ضحكت واستبشرت ، ولم يزل عند امامه عليه السلام مقربا بصالح اعماله ، محببا بحسن نيته وصلاح حاله ، مخصوصا بالتعظيم في الدنيا والدين ، ميمونا فيما يقوم ويقعد فيه من نظم حال اولياء امير المؤمنين ، ولما قرّبه امير المؤمنين وادناه ، ونال منه ما امله وتمناه ، واغترف من زاخر تيار علمه، وادرك ونال من الفضل خير قسمه، رفعه امير المؤمنين واعلاه ، وافاض عليه من الخير والبر واولاه ، وناط به امور الدنيا والدين، وجعله كافل قضاة المسلمين وهادى دعاة المؤمنين ، حسب ما ذكره في سجله الذي كتبه الى الامير المكرم احمد بن علي الصليحي في سنة اثنين وسبعين واربعمائة

حيث قال في السجل :

ومعلوم لكافة البشر من البدو والحضران عناية الله تعالى بدولة امير المؤمنين وكيدة الاسباب ، وان آثار صنعة تعالى ظاهرة لاولي الالباب، ومن ذلك ما ذخر له من آياته فتاه السيد الاجل امير الجيوش سيف الاسلام، ناصر الامام ، كافل قضاة المسلمين ، وهادي دعاة المؤمنين ، ابي النجم بدر المستنصري ، عضد الله به الدين ، وامتع بطول بقائه امير المؤمنين ، وادام قدرته ، واعلىكلمته ، الذي فرج عن مملكته تلك الحوادث، وكشف عن خلافته غم الكوارث ، وارسل سماء المصلحة مدرارا ، واصدر واورد في السياسة فاحسن ايرادا فيها واصدارا ، ولما فوّض اليه امير المؤمنين سائر الامور ، وعذق به احوال الجور ، وناط به شؤن الخلافة ، وقلده حياطة الكافة ، فالفاه على خلال الفضل محتويا ، وبهداه في العقد والحل مهتديا ، احب ان لا يبقى شيء من امور الدين والدنيا الا وهو به منوط ، وبحسن تدبيره و ثاقب بصيرته الثاقبة مصون محوط، ذلك لانه وجده على جميعه قويا امينا، والفى السعد والرشد بحسن نظره مقرونا ، فعزم الله له على ان قلده ما قدم ذكره من امور الدنيا والدين ، وجعله كافل قضاة المسلمين وهادى دعاة المؤمنين ، هذا قوله عليه السلام.

وما زال امير الجيوش بدر المستنصري مقيما لعمد الدولة النبوية بحسن الرأي والتدبير ، وقاطع الفساد بماضي السيف الصقيل والعزم المنير ، مجتهدا مجاهدا ، قائما بشروط الامانة ورعا زاهدا ، وقدره عند امامه عليه السلام يزداد علاء ، واوامره جارية نفاذا وامضاء،

قال القاضي ابن خلكان في تاريخه ، وهو الذي بنى الجامع بثغر الاسكندرية المحروس في سوق العطارين ، وكان فراغه من عمارته في شهر ربيع الاول سنة تسع وسبعين واربعمائة ، وفي شهر المحرم اول سنة تسع وسبعين عضد امير المؤمنين امير الجيوش كافل قضاة المسلمين وهادى دعاة المؤمنين بدر الجمالي بولده ابي القاسم شاهنشاه الملقب بالافضل ، فرفع شانه واعلاه ، وبجزيل نعمه اولاه ، وقد ذكر ذلك في سجل كتبه الى الامير الاجل عبد المستنصر ابن الملك المكرم احمد بن علي الصليحي ، فقال في ذلك السجل :

اما بعد ، فان السيد الاجل امير الجيوش سيف الاسلام ناصر الامام كافل قضاة المسلمين وهادى دعاة المؤمنين عضد الله به الدين وامتع ببقائه امير المؤمنين وادام قدرته ، واعلى كلمته ، الآية ، التي اطلع الله بها امير المؤمنين شمس الامامة فشرقت ، والموهبة التي وهبها لدولته وللاسلام فظهر واشرقت ، والسيف الذي انتضاه علىجموع الباطل فرهقت وتمزقت ، والقيل الذي انتصب للصلاح انتصاب القدر الذي فات بفضائله الافضلين، والالمعي الذي اربى بالمعيته على الاولين ، وهجر الكرى في الخدمة ادلاجا وتأويبا ، واسهم في الصلاح جردا سوابقا سلاهبا وانضاها في قيام عمود الدين ايضاعا تخبيبا ، وساس الامور بمهابة اذلت الاسود الضراغم ، واجلت السود الاراقم ، رغبة انتجعتها العفاة للمغانم ، جتى اصبحت المملكة بلطف الله ويالته محفوظة النظام ، مكبوبة الاعداء والاضداد ، محوطة من الله تعالى ومن تدبيره بعصب اوقى من التمائم في الاجياد، حتى قال في هذا السجل الشريف ، وامير المؤمنين مع هذه الاصول يجيل فكرته فيما يرتفع بعلو جده، ويختصه بلطائف المعالي في يومه وغده ، والاعلان بارتقائه مراقي العلاء التي شرقت معاليه ، وحيازته الفضائل التي تحملت بفضائله ومعانيه ، ولما كمل ولده الاجل الافضل سيف الامام ، جمال الاسلام ، شرف الايام ، ناصر الدين ، خليل امير المؤمنين ، شاهنشاه زاده الله في تمكينه وعلائه ، وكبت حسدته واعدائه ، وامتع امير المؤمنين بطول بقائه ، فضلا وتماما ، ونبع حلما ونبلا وسدادا تاما ، واقتبس من انوار السيد الاجل ابيه انورا مضيئة وقف منها بحيث لا مزيد ، وثقف من حسن افعاله وولائه ما يشقه من المجيد ابي المجيد، فهو هلال من بدر كمال ، وهمام من همام وفيض من بحر عذب سلسال ، وسهم من كنانة الفضل والافضال ، ووبل من وابل هطال ، رأى امير المؤمنين والله يعضد بالميامن آرائه ان ناط به قدام والده عرى التدبير ، وعذق به وبسياسته ما وراء سرير الخلافة من صغير وكبير ، هذا قوله عليه السلام .

فكان الى الافضل سياسة الملك وما يختص بظاهرالسلطان ، والدربة بامور الجند والاعوان، ووالده رجع الى درس علوم الائمة ، والنظر الى ما اعطاهم الله سبحانه من العلم والحكمة ، فاستقامت الامور ، واعتدل امر الجمهور ، وولي الله يؤيده في الايراد والاصدار ، ويواصله بما آتاه الله من المواد ، وكانت مكاتبات الدعاة والعمال ترد اليه ، والمناجح والمساعد من الامام عليه السلام ترد عليه ، وتنال شفاعته من لديه ، وكان باب الامام عليه السلام اليه في امر الدنيا والدين والنظر والتقديم ، والله يؤتي ملكه من يشاء والله ذو الفضل العظيم، ولم يزل الملك قائما على ساق، والدعوة للامام المستنصر بالله عليه السلام ظاهرة في الآفاق ، والايام به بينة الضياء والاشراق، حتى نزل امر الله الخلاق، وقضى الله سبحانه لامير المؤمنين المستنصر بالله سلام الله عليه بالنقلةعن دار الدنيا والفراق ، وكانت وفاته صلوات الله عليه وسلامه ورحمته وبركاته في الثلث والاول من الليلة المصبحةعن يوم الخميس ، الثامن عشر من شهر ذي الحجة آخر شهور سنة سبع وثمانين واربعمائة ، وله من العمر سبع وستونوخمسة اشهر ، وقيل ان وفاته عليه السلام كانت بالسم ، والله ولي العلم ، وكانت ايام خلافته سلام الله عليه ستون عاما واشهرا ، وخلف من الاولاد غير من كانت وفاته ايام حيوته نزارا وهو الاكبر وعبد الله واحمد ابا القاسم المستعلي بالله عليه السلام ، ومحسنا ، وكان ابنه محمد والد عبد المجيد ممن توفي في حيوته رحمة الله عليه ، وعيسى وعليا وحسنا وثلاثين بنتا .

ومما روي له من الشعر قوله عليه السلام :

اصبحت لا ارجو ولا اتقي \* الا الهي وله الفضل

جدّي نبي وامامي ابي \* ومذهبي التوحيد والعدل

والحمد لله القاضي بالفناء على جميع خلقه ، وصلى الله على محمد رسوله المبين لحقه ، وعلى وصيه وآله اعلام صدقه ، وسلّم عليهم اجمعين ، وحسبنا الله ونعم الوكيل ،

\*\*\*

بسم الله الرحمن الرحيم ، وبه نستعين ، وعليه نتوكل

الحمد لله الذي هو على نعمه مشكور محمود ، خالق الوجود من عدم غير موجود ، وصلى الله على خير ناشئ ومولود ، محمد خير شفيع في اليوم الموعود ، وعلى وصيه المثير على الكفار والمنافقين نار الحرب ذات الوقود، علي ابن ابي طالب هازم الاحزاب والجنود ، وعلى الائمة من ذريتهما ظل الله الممدود ، المأخوذة بطاعتهم المواثيق والعهود.

ذكر ايام الامام احمد المستعلي بالله امير المؤمنين ، وقيامه بالخلافة وامر الدنيا والدين.

كان الامام احمد ابو القاسم المستعلي بالله امير المؤمنين ابن الامام معد المستنصر بالله امير المؤمنين الثالث في ميلاده ، ممن خلف من اولاده ، وكان نزار وعبد الله ابنا المستنصر بالله اكبر منه سنا ، وكان المستنصر بالله سلام الله عليه يبشّر بولده ابي القاسم انه صاحب خلافته ، والوارث لمقامه ورتبته ، قبل ان يولد ، وكان نزار وعبد الله ابنا المستنصر بالله اكبر سنا منه ، وقد ورد عن الثقات من الرواة ان المستنصر بالله عليه السلام سمع ابنيه نزارا وعبد الله يتشاجران في الامامة ايهما بها احق واحرى، كل واحد منهم يدّعي انه من اخيه اعرف وادرى ، فنهاهما عن ذلك عليه السلام ، وقال لا تشاجرا في شيء لستما من اهله فان صاحبها ههنا ، واومى بيده الى ظهره ، فحين ولد الامام المستعلي بالله عليه السلام بشّرابوه اهل دعوته انه صاحب الامامة ، والمستحق ان يرث مقامه ، ولما بشر بميلاده في محضر من خاصته واولاده قالوا ليهنك يا امير المؤمنين الامير، قال بل قولوا لينهك الامام ، وما كان حديثا يفترى ، بل مما اخذه من علم آبائه عن جدهم النبي المصطفى الذي لا ينطق عن الهوى ، اذ قد ورثوا عنه علم ما اطلعه الله علم غيبه عليه ، واوحى به جل جلاله اليه ، فهو عالم الغيب فلا يظهر على غيبه احدا ، الا من ارتضى من رسول ، فانه يسلك من بين يديه ومن خلفه رصدا ،

وكتب امير المؤمنين المستنصر بالله عليه السلام الى دعاته في الاقطار ، واشعرهم البشرى لتطمئن قلوبهم ببقاء كلمة الامامة في عقبه الاطهار ، ومن ذلك ما كتبه الى داعيه باليمن الملك الاجل العادل المكرم ذي السيفين احمد بن علي بن محمد الصليحي قدس الله روحه ، وهو ما هذا عنوانه ونسخته وتبيانه

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، من عبد الله ووليه معد ابي تميم امير المؤمنين الى الملك الاجل الاوحد المنصور العادل المكرم عمدة الخلافة تاج الدولة سيف الامام المظفر في الدين نظام المؤمنين عماد الملة وغياث الامة شرف الايمان ومؤيد الاسلام سلطان امير المؤمنين وعميد جيوشه ابي الحسن احمد بن الاجل الاوحد امير الامراء عمدة الخلافة ابي الحسن علي بن محمد الصليحي ، ادام الله تمكينه وعلوه ، وكبت حاسده وعدوه ، سلام عليك ،

فان امير المؤمنين يحمد اليك الله الذي لا اله الا هو ، ويسأله ان يصلي على جده محمد خاتم النبيين وسيد المرسلين ، وعلى آله الطاهرين الائمة المهديين،

اما بعد ، فالحمد لله موالي نعمه بحضرة امير المؤمنين وآلائه ، ومظاهرها بالطاهرين النجباء من ابنائه ، ومظهر دينه على الدين كله بتكثير عدد اوليائه ، الذين هم دعائم بيت النبوة والرسالة ، ووسائل من ابتغى الى ربه سبحانه بهم الوسيلة ، يحمده امير المؤمنين ان زين سماء مجده بزهر النجوم ، فرجم بها الشياطين كل الرجوم، ويسأله ان يصلي على جده المصطفى الشجر الطيب الزكي الذي هم اغصانه ، والجبل الشامخ العلي الذي هم اركانه ، محمد الفاخر به كل مفخر، والطاهر من نجس الشركبه كل طاهر، والظافر منه بقائم النجاة كل ظافر ، وعلى وصيه علي ابن ابي طالب الذي آتاه الله ما لم يؤت احدا من العالمين من فضله ، فجعل ذرية الانبياء من نسلهم وذرية محمد صلى الله عليه وآله من نسله ، وعلى الائمة من ذريته ينابيع العلوم والحلوم ، وحملة سر الله المكتوم ، وتحقيق قوله تعالى فلا اقسم بمواقع النجوم ، وسجل امير المؤمنين اليك وقد وهب الله له غلاما زكيا شد به ازر الامامة ، ودل على بقاء كلمته في عقبه الى يوم القيامة ، مولودا اصبح بمولده كوكب الهدى مضيا مسفرا ، وعود المنى مورقا مثمرا، اكمل الله بمطلعه المغانم ، وجمل بحلوله المواسم، سماه احمد وكناه ابا القاسم ، والمسرة به تعم الدنيا و الدين ، وتخص حضرة امير المؤمنين ،

فالحمد لله الذي وهب له ذرية يطول لهم برأفته الاعمار ، ويجعله لحرمه العمار ، ويقصم ببأسهم الفجار، ليكونوا لامير المؤمنين نعم الوزير فيما يقرب من بعيد آماله المزار ، كمثل زرع اخرج شطأه فاستوى على سوقه يعجب الزراع ليغيظ بهم الكفار، وكانت ولادته في المحرم سنة سبع وستين واربعمائة في اسعد ساعة من ساعات الليل والنهار، واصبحها لشري الخير بمساعدة الاقدار ، ومضاعفة العز والاقتدار ، يتحفك امير المؤمنين بهذه البشرى لتأخذ بحظك بها من السرور ، وتواصل لله تعالى ذكره الشكر على ما جدد فيها من احسانه الموفور،

والحمد لله رب العالمين ، وصلواته على سيدنا محمد وآله الطاهرين ،

وكانت ترى في المستعلي بالله عليه السلام امارات النجابة ومخائل الامامة، وآيات الفضل وعلامات الكرامة ، ونشأ على ما نشأ عليه آبائه الطاهرون من العصمة والطهارة والزهد والورع والحلم والمجد ، وارتاض بالعلوم ودان لله الواحد القهار حتى اذا كمل الكمالين دينيا وطبيعيا، وبلغ من الفضل قدرا عليا ، واستكمله ابوه وانتهى فيه الى ما يأمله ويرجوه ، زوّجه ابنة امير الجيوش وعقد له النكاح عليها ، واقعده عن يمينه وسائر اولاده عن يساره ، ونبّه على فضله المبين ، ونعته بولي عهد المؤمنين ، ورفع على جميع اولاده مقامه ، وابان بالفضل اعلامه ، واشار اليه باشارات الامامة ، وصير اليه التحكيم في الاموال ، وجعل اليه امر اوليائه ودعاته اهل الفضل والكمال ، حتى اذا آنت من المستنصر بالله النقلة ، ودنت منه الى دار كرامة الله الرحلة ، اشار اليه ونص عليه وامر اهل حضرته بطاعته ، وعرفهم ما خصّه الله به من وراثة سامي مقامه وعالي درجته، وامر سيف الاسلام بدر المستنصري وابنه الافضل بخدمته ، والاخلاص في ولايته، فامتثلوا امره طائعين ، واذعنوا اليه مسارعين ،

لما توفي امير المؤمنين المستنصر بالله سلام الله عليه ، ولحق بالطاهرين من آبائه ، وصار من دار ثواب الله الى ما اعده لاصفيائه ، وخيرته من اوليائه ،بويع لامير المؤمنين المستعلي بالله سلام الله عليه ضحوة يوم الخميس المصبح عن ليلة وفاة والده الثامن عشر من ذي الحجة سنة سبع وثمانين واربعمائة ، وله من العمر احد وعشرون عاما، وحضر البيعة وكان اول من بايعه اخوه نزار بن المستنصر، ولم يف بالبيعة ولا استقام على نهج الهداية ، وسنذكر ذلك ، ثم بايعه اخوه عبد الله واخوته ، ثم سيف الامام بدر المستنصري وولده شاهنشاه الافضل، وسائر الدعاة وقواد الدولة وعامة الناس ، وكتب بذلك الى النواحي والامصار ، والجزائر والاقطار، فقامت الدولة على ساق ، وانتظمت الدعوة لامير المؤمنين المستعلي بالله في الآفاق ، ودان له جميع اهل الولاء والشقاق، وكان امير المؤمنين المستعلي بالله كما وصفه ولده امير المؤمنين المنصور الآمر باحكام الله عليه السلام في الهداية الشريفة حيث يقول :

واذا نظرنا الى شرائط الامامة وجدناها كاملة في مولانا المستعلي بالله ، وذلك انه معرق في الامامة خلف عن سلف بلا فصل ولا واسطة ، منته الى الوصاية والنبوة ، ثم ان الامامة صارت اليه بنص صحيح ثابت من امام حق لا خلاف بين اهل الدعوة في امامته ، وذلك النص واقع منه في دقيقة نقلته بمحضر من اولاده وخاصته ، ثم انه قعد مقعده ولم يفارق مكان خلافته ، ولا خرج من آفاق عزه ، ولا برح من سماء مملكته ، واطبق جميع من في مملكته على طاعته ، وانتقلت اليه جميع مكاسبه الباطنة والظاهرة وقنيته ، ثم اتصل سببه وظهرت عصمته، وبانت معجزته ، ونزلت الدوائر بمن خالفه ، ولاح التائيد والتسديد في افعاله واقواله ، ولم يزل داعيا الى خلاص النفوس ونجاتها ، محاميا عنها قائما بميزان القسط فيها ، لم تختلف عزائمه ، ولا اضطربت احكامه ، وكملت فيه الفضائل الطبيعية ، التي هي اسباب السعادة الابدية، وذلك انه يفهم الشيء رمزا وايماء ، ويحفظ ما يدركه ويراه وان تناهى كثرة واختلافا ، ويفطن للامر بادنى دليل عليه او هاد اليه، ويذكر ما مرّ به ذكرا لا يذهب عن خاطره ولا يبرح عن باله ، وكان اذا عبر عن المعنى ملك فصل الخطاب ، وجمع المعاني الكثيرة في يسير الالفاظ ، واستدعى بحسن عبارته قبول النفوس وانصات الاسماع ، وكانت اعضائه على افضل الهيئات متناهية في الكمال ، حاصلة في درجة الاعتدال ، اجود الناس طبعا في استفادة المعارف وافادتها وافضلهم نحيزة في مواتاة الاخلاق ونفاستها ، واكثرهم تأنيا لمعانات امور الملك ومباشرتها ، وكان لا شرها ولا راغبا في لذة ، ولا متزائدا على الحاجة بفضلة ، عظيم النفس كريما ، محبا للعدل مبغضا للظلم ، مؤثرا للصدق منبسطا الى الخلق، راغبا الى ما تعود على النفس منفعته ، كارها لما يسوء فيها مغبته ، وفيا بما يعقده ويعطيه ، معصوما فيما يعتمده وينتحيه ، ولم يعتوره قصور ولا فتور ، ولا ظهر منه امر ينقد او سبب ينكر ، بل كمل كمالا ، دل على انه مواصل بنور الهي من دار القدس ، منبعث لافاضة العدل وتهذيب النفس،

وفي ابتداء امره كانت وفاة امير الجيوش بدر الجمالي في سنة ثمانين واربعمائة رحمة الله عليه ورضوانه، فلقد كان من اهل الاخلاص في ولاية الائمة الطاهرين ، والرتبة السامية لديهم في امر الدنيا والدين، وكان بدرا المذكور ارمني الجنس فاعطاه السعد قيادة ، وبلغ في طاعة الامام مراده ، والله يؤتي ملكه من يشاء ،وبيده تعالى الابلاء والانشاء ، ولما كانت وفاته وزر بعده ابنه شاهنشاه الملقب بالافضل ، فكان اليه امر الدولة واقامة المملكة، وخرج نزار ابن المستنصر على اخيه الامام المستعلي بالله امير المؤمنين بائنا عن طاعة امام الزمان ، نازحا عن جملة اهل الدين والايمان ، وذلك انه رأى الامور للمستعلي بالله قد استوثقت ، والجماعة على طاعته قد اتفقت ، وقد شمل جميع الجهات عدله ، وظهر فيها جوده وفضله ، وهو قائم الدعوة الى توحيد الله خالقه ، مبين للبراهين الجلية من علم الدين وحقائقه ، داخله ما داخل قابيل ابن آدم من حسده لاخيه ، وحمله الكبر على الفساد الذي امعن فيه ، فبدرت منه امارات النفاق ، وجعل يدعو الجهلاء الى الخلاف والشقاق ، فحين بلغ ذلك الامام المستعلي عليه السلام لقيه بما جبل عليه من اللطف واللين ، وذكره وصية ابيهما وما خصّه به من النص والتمكين، واحتج عليه بالحجج الواضحة والتبيين، واراه الآيات والمعجزات والبراهين، وقد كان عبد الله اجمع مع نزار على الخلاف والبغي ، وكان ان يسلك معه طريق الفساد والغي، فحين سمع حجج امامه المبينة ، وابصر آياته وبراهينه ، رجع الى التوبة متمسكا بعصمها ، آمنا من عقاب المعصية داخلا من الطاعة في امين حرمها، وخرج نزار في سدف الليل بجماعة من الغلمان والعبيد الذين لا معول عليهم في جاه ولا علم ، ولا دراية ولا فهم ، فلم يعلم اين ذهب حتى ظهر بالاسكندرية ، وفيها افتكين احد مماليك امير الجيوش بدر المستنصري، فوافق افتكين نزارا على ما اراد من الشقاق والخلاف ، واجمع معهما اهل الاسكندرية والنواحي المضافة اليها والاطراف ، وكان اتباع نزار من لا خير فيه ولا دين ، ولا علم له ولا عمل ولا يقين، من اطراف الناس ، والخدم والسواس، فنصب فيهم دعاة بزعمه كدعاة اخيه الاخيار ، اولئك يدعون الى الجنة وهؤلاء يدعون الى النار، واقام دعوة زعمائها الفساق والفجار ، فارتكبوا المحرمات، وتركوا الاعمال الصالحات ، وخالفوا سنن الشريعة ، وكانوا سبة وشنعة على الشيعة ، وجعلوا ذلك لهم دينا وديدنا ، وزينته لهم انفسهم الخبيثة فرأوا قبيحه حسنا ، فلم يبق شيء من وثائق الشريعة الا تناهوا له نقضا وحلا ، ولا محرم الا انهتكوه بغيا وجهلا ، وذلك بما زين لهم الشيطان من المعاصي واملى ، نبرئ الى الله والى اوليائه من كفرهم، ونعوذ به من بغيهم ونكرهم، وحين اجتمع لنزار في ذلك النواحي ما اراد ، تمادى معلنا في الغي والبغي والفساد، وخرج مستوليا على العباد في البلاد ، قاصدا للقاهرة والامام المستعلي، لا يني عن ذلك ولا يولي ، وطوى البلاد طيا ، واخذ من اموال اهلها ما تهيأ، ما تقوى به على الطغيان، ولج معه في المعصيةوالعدوان، وكلما اراد وزير الدولة الافضل ان يخرج اليه ، امره ولي الله امير المؤمنين ان يملي له ليقوم الحجة عليه ، وكتب امير المؤمنين توالى اليه بالوعظ له والتذكير والمراودة له ان يرجع عن فعله النكير ، وهو يتمادى هو وافتكين فيما هما فيه بغيا وعنودا ، ويرمون مراما كان عليهم بعيدا، حتى انتهيا الى كور الريش قرب القاهرة وقدزلزل الناس زلزالا شديدا ، ووقعت بهم الذلة فخرج اكثرهم عن الطاعة حسدا وعنودا، وكانوا جميعا الا قليلا على ولي الله مجلبين، ومن جميع الامكنة مختلفين ومتألبين، فعندها دعى ولي الله بجواده ، وخرج امير المؤمنين في خمسة وعشرين فارسا قاصدا لاضداده ، فحين خرج من قصره داخل الناس له الهيبة والجلالة ، ورجع المصريون اليه لينصروه بعد ان اضمروا قتاله ، ورجع نزار عن ابواب القاهرة موليا بجنوده منهزما ، وتبعه اهل المدينة يقتلون وينهبون، وانهض امير المؤمنين عليه السلام وزيره شاهنشاه الافضل لهم بالعساكر ورماهم بالمنجنيقات حتى دارت عليهم سوء الدوائر ، ولم يزل حتى اسر نزار وافتكين ، وعاد بهما الى قصر امير المؤمنين ، وقد اوردنا سجلا من الحرة الملكة السيدة والدة مولانا الامام المستعلي بالله الى الحرة الملكة الصليحية يحتوي على ما كان من الاخبار ، وما كان من خلاف نزار ، وخروج الافضل حتى رمى تابعيه بالدمار، واستولى على الاسكندرية وجاء به في ذل الاسار ، ولما في هذ السجل من ذلك ذلك ملنا الى الاختصار، وهذا السجل اوردناه بفصه ذكرى لاولي الابصار :

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله على نعمه ، من السيدة الملكة الكريمة الرؤفة الرحيمة والدة الامام المستعلي بالله امير المؤمنين ابن الامام المستنصر بالله امير المؤمنين ، صلى الله عليه وعلى آبائه الطاهرين وابنائه الاكرمين، الى الحرة الملكة السيدة المكينة ذخيرة الدين عمدة المؤمنين كهف المستجيبين ولية امير المؤمنين وكافلة اوليائه الميامين ادام الله نعمتها ، واحسن توفيقها ومعونتها ، سلام عليك ،

فانا نحمد اليك الله الذي لا اله الا هو مختصنا بالطول العميم والفضل المبين ، وواصل سببنا بالسبب النبوي المتين، الذي هو غاية الفخر ومنتهاه ، ومنبت الشرف ومنتماه ، والذي تنقطع الاسباب والانساب كلها يوم القيامة سواه ، ونسأله ان يصلي على محمد خاتم النبيين وسيد المرسلين ، وصلى الله عليه وعلى آله الطاهرين الائمة المهديين، وسلم تسليما

اما بعد

فالحمد لله مولي الفضل والكرم ، وولي المواهب والنعم ، واهل الحمد ومبتديه، ومبدع الخلق ومنشيه، الدال بلطف حكمته على عظيم السلطان، وبخفي فضله على جسيم الفضل والامتنان، الذي نشر رحمته على الامة ونصب لهم اعلام الرشاد بالائمة ، وجعل معرفتهم اكمال الدين واتمام النعمة ، ولم يخل زمانا من قائم منهم يقيم الاسلام ، ويقوم اود الانام ، ويروض الارض بدائم الطول والانعام ، وامام يهدي به الله من اتبع رضوانه سبل السلام ، احتجاجا على الخلائق ، ونهجا لطرق الحقائق ، وهداية بالعدل مؤذنة ، وبالتكليف مقترنة ، ليهلك من هلك عن بينة ويحي من حي عن بينة ، وصلى الله على سيدنا محمد نبيه الذي شرع الدين ، ورفع منار اليقين ، وصدع بامر الله تعالى واعرض عن المشركين ، وعلى الائمة الطاهرين الهداة المنتجبين ، وسلم عليهم اجمعين،

وقد وهب الله تعالى للحرة من صحة الايمان ، وقوة البصيرة والايقان ، ما تعرف به حال الامامة التي هي خلافة الله في الارض، لاقامة السنة والفرض ، وانه لا قدرة للعباد على ان يزيلوها عن ممرها وسننها ، او يحيلوها عن مقرها ومعدنها ، او يفعلوا فيها بحسب ما يقتضيه المشيات والآراء، وترتضيه الشهوات والاهواء، الله تعالى يقول في كتابه المحكم ، قل اللهم مالك الملك تؤتي الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء ، وان الله جل جلاله اجراها على نظام من الدلالة والتعريف ، وبيان من النص الجلي والتوقيف، ارتفع به الالتباس ، واطرد معه القياس ، ذلك من فضل الله علينا وعلى الناس، وقد اشتهر بين كافة المؤمنين ، واولياء الدولة اجمعين، ان الامام المستنصر بالله امير المؤمنين قدس الله لطيفه، كان يشير بها الى ولده الامام المستعلي بالله امير المؤمنين ثم افصح وتعرض بوجوبها له ثم صرح، وانه تولى بنفسه الشريفة الكريمة توقيفه وتفهيمه، وغذاه مواده الالهية وعلومه ، واختصه دون الاولاد برتبة الفه وانسه، واحله من بينهم بمركز نوره وموطن قدسه ، وحجبه عن الابصار ، وجلببه رداء العظمة والوقار ، ثم انتقل الى دار الكرامة ، ومحل الاقامة، بعد ان اظهر النص عليه ، واعلن بانتقال الامامة اليه ، واستوى على سرير مملكته ، اخذا بهديه وسكينته، وانتصب بمنصب خلافته ، لابسا لجلالته وهيبته ، وذخر الله تعالى الامامة له ، وانزله في مقام آبائه الطاهرين واحله ، وجعل خليله ووزيره السيد الافضل امير الجيوش سيف الاسلام ناصر الامام كافل قضاة المسلمين ، وهادي دعاة المؤمنين عضد الله به الدين ، وامتع بطول بقائه امير المؤمنين وادام قدرته واعلى كلمته ، وليا اعلى الله همته في ارتياد الصلاح واغتنامه ، ومكن رتبته في ذروة الجلالة وسنامه ، ومدبرا اجرى به امر المملكة على اطواده وانتظامه، و اورى به زند الملة بعد اصلاده واظلامه ، فقام لامير المؤمنين بامر البيعة احسن قيام ، وعقدها بلطف سياسته في رقاب الخاص والعام ، فكان اول داخل فيها الامراء اخوة امير المؤمنين تسليما لحقه واذعانا ، ومعرفة به وايقانا، وعلما بان الله تعالى يفيض شعار الامامة على من يرتضيه ، ويعصب تاج الكرامة بمفرق من ينتجبه لها ويصطفيه، وان ذلك امر لا ينال بالطلاب ، ولا يحاز بالغلاب ، ومن جملتهم نزار اخوه الاكبر سنا فانه عرف الحق وعاهد وبايع ، وبادر الى الدخول تحت احكامه وسارع ، ثم ادركه الحسد الذي ادرك اول ولد آدم من العالمين ، واستزله الشيطان فاخرجه مما كان فيه من جناب امير المؤمنين ، وهو ظل الله المبسوط على الخلائق ، وحرمه المحوط من الزوائغ والبوائق ، فانسل ذليلا تحت جناح الليل منه، ونزع بيده لباس العز عنه، ومضى الى الاسكندرية وبها المعروف بافتكين احد مماليك السيد الاجل امير الجيوش قدس الله روحه، ونوّر ضريحه ، الذين رباهم لخدمة الدولة وخدمة ولده ، وظن انهم يجرون في الطاعة والمخالصة على سمته وحده ، وكان هذا العبد اللعين منزلا من بينهم في اعلى رتب اكرامه، ومخولا اسنى منحه وانعامه ، فقابل النعمة بالكفر، ووافق نزارا على ما سعى له من الشقاق والغدر، واجتمعا معا على الفتنة يشبان نارها ، والمعصية يظهران شعارها، واستغويا طوائف من المنافقين قد قضى الله هلاكها وشاء دمارها ، فكانا في مقابلة فضل السيد الاجل المفيض ، انعامه بمنزلة الضد ومكانة النقيض، فهو دائب في الاشتمال، على كافة العباد والاسبال، لستر الامنة على البلاد، وهما موغلان على النفاق والعناد، ساعيان في العيث والفساد، حتى كأن الله تعالى ليس بالمرصاد، او كأنهم لم يسمعوا اخبار اهل الزيع الالحاد ، وكان امير المؤمنين سلام الله عليه بما آتاه الله تعالى من شريف العلم ، وحبب اليه من الفضل والحلم، يوعز الى فتاه وخليله السيد الافضل بمواصلتهم بالمكاتبات ، والمشتملة على الاعذار والانذار والعظات، الباعثة على الهداية والاستبصار ، وهم متمادون على الغلو في البغي والعناد، ومن يضلل الله فما له من هاد، الى ان قادهم الحين الى البروز والظهور، وقصد الاعمال الريفية مطلقين فيها ايد الظلم والفجور، ومستحلين من محارم الله تعالى كل محظور، وامير المؤمنين يأمر فتاه بالكف عنهم مع تلهفه على استيطالهم ، وتميزه غيظا من افعالهم، علما بان الكتاب لم يبلغ اجله فيهم، ومعرفة يسر الله تعالى في مدة جولتهم وانقضاء عواديهم، وهو يمتثل امره الشريف علما بان الصواب يطابق آرائه وعزائمه ، والمصلحة توافق هماته وحزائمه ، الى ان وصلوا الى المكان المعروف بكور الريش والمنايا تضحك من اغترارهم ، وتبشر بفناء اعمارهم، والقضاء يجد في استعجالهم، ويستحثهم الى مصارع آجالهم، فعند ذلك اذن له مولانا سلام الله عليه في لقائهم، واعلمه بابتلاء افنائهم ، فسار نحوهم بقلب لمباشرة العظائم معتاد، وعزم على حياض الكرائه وراّد ، ونفس منافسة في المناضلة عن الدولة والجهاد، ونهد اليهم في جيوش ترتاح الى الجلاد والكفاح، وثبت للاعداء ثبات الجبال للرياح، والميامن من شعار امير المؤمنين ولوائه وآرائه ودعائه تحفه وتسائره ، وتعضده وتظاهره ، حتى اناخ لديهم ركائب المنون، وادار عليهم رحى الحرب الزبون، واشتد المصاع، وامتد الجلا والقراع، فلم يكن الا وقفة من وقفاته المذكورة ، وحملة من حملاته المشهورة ، التي تشبه اضطرام النيران ، وتزيد على آتي السيل بالقيعان، حتى لاحت مخائل الفتح، ووضحت دلائل النصر وضوح الصبح، فانصد المخاذيل سهام القدر، وحصدتهم السيوف حصد هشيم المحتضر، ورموا من بأس الله جلت قدرته بالجنادل ، وانقضّ عليهم اوليائه انقضاض الاجادل ، فولوا بقلوب لا تفيق من الحتوف فواقا ، نفوس لا تصحب الجسوم جزعا واشفاقا، طائر بين اجنحة الخوف والذعر، منتشربن في ارجاء السهل والوعر، فقد قسّم الله شجعانهم واعيانهم بين القتل والاسر، وعاد السيد الاجل من ذلك المقام الكريم آخذا اهبة اللحاق بهم ، ومستمدا لانوار الامامة في بابهم، فامره مولانا عليه السلام بالاعداد والاسراع ، والقى عليه من سياسته نورا ثاقب الشعاع ، وتوجّه من حضرته مسعود الكواكب، منصور الكتائب والمقانب، يأمّه معونة الله تعالى الواحد القهّار ، ويمتثل امره في عداه الاقدار، والمنافقون يطؤن المراحل بين يديه تعجلا ومبادرة ، كأنهم حمر مستنفرة فرت من قسورة ، حتى قطعوا بحرين من ابحر النيل العظام ، وحصلوا في الجانب الغربي طامعين في الاعتصام ، فخاضها السيد الاجل اليهم متقدما بجميع العساكر، وركب من ذلك مركب المخاطر ، لكن الله سبحانه وقى تلك النفس النفيسة التي يتحرس بحراستها الايمان، وتبقى ببقائها بهجة الزمان، ويسّر عليه العيسر كما عوده في كل وقت واوان، ولما رأى المنافقون انهم قد ادركوا انقطعت بهم الاسباب ، وكثرت لهم المنية على عصل الانياب، وثبتوا اذا لم يجدوا الى الاحجام والهرب سبيلا، وكانوا كما قال الله تعالى قل لن ينفعكم الفرار ان فررتم من الموت او القتل واذا لا يمتعون الا قليلا، وكانوا عند حصولهم في الجانب المذكور قد تواصلت امدادهم ، وتضاعفت اعدادهم، وانضم اليهم جميع احزاب الضلال واشياع الباطل ، حتى زادت عدتهم على ثلاثين الف فارس وراجل، فضاقت بالفريقين الاقطار ، واظلم بمثار نقعهم النهار، وتلاقى الجيشان فتسعرت بينهم نيران الحتوف، وبرقت الابصار بشعاع الاسنة والسيوف، والتهبت جمرة القتال، ودارت كؤس المنايا بين الابطال، واتصل من الجحفلين الجلاد ، حتى تقاطعت الارواح والاجساد، واعتركت الميامن المياسر اعتراك الاسود، والسيد الاجل ثابت في القلب بقلب وسيع اقطار الوجود، ثم جرى على رسمه في الحمل بنفسه النفيسة وصناديد غلمانه الذين غذوه بدَرّ صبره وجهاده ، ونشأوا على خلقه الكريم في الثبات واعتياده ، فعندها جر الدهر على المخاذيل ذيول الحمام، وتواقعوا كأنهم شرب صرعتهم كؤس المدام ، وامتلأت بهم الارض حتى كان الدماء انبتت فيها الاجسام ، فاشتملت عدة القتلى على عشرة آلاف سوى المأسورين ، وولى فل المخاذيل وفيهم نزار وافتكين وقد اضطر بعد التناصر الى التخاذل، وتقاطعا في الفرار والهرب بعد التواصل، والمنايا من كل جانب ترصدهم وتدنو اليهم، كذلك يريهم الله اعمالهم حسرات عليهم، وكان يوما احسن الله فيه للدولة البلاء ، واسبغ على الامة النعماء ، وشهر به للسيد الافضل فضائلا تفوت شاو العد والاحصاء ، وتبقى خالدة على مر الدهر ما خلدت نجوم السماء، فلله هو من ماجد عبق بنشر محامده الزمان، وتألّق بنور مواقفه الايمان، وشيد ثغر الملك بعد ما انفرج بيد الحدثان، وساس امر الخلق فوطأ الله به مهاد البر والاحسان، ولما انتهى فل المخاذيل الى الاسكندرية توجّه السيد الافضل اليها منازلا ، وحاصرها مطاولا ، واحاط بها برا وبحرا، ونظم العساكر في حيدها سهلا ووعرا، وخيفة الله تعالى تصده عن قصد اجتياحها ، وتكفه عن التصميم على اخذها قهرا وافتتاحها، وهو يعمل بسنة الاعذار ، ويحذر المنافقين عاقبة الاصرار ، ويستعد ما يحتاج من آلات القتال وعدد الحصار، واتفق حضور شهر رمضان فتوفر على الاسباب المزلفة الى الله تعالى فيه ، وكف عن دماء المراق مع انهم اضداد الله واعاديه، فلما ترحل شهر رمضان وهم على غوائلهم، اذن الله تعالى في حلول بوارهم وفنائهم، فقصد الاسكندرية بالقتال ، ورماهم من حجارة المنجنيقات بها يهد رواسي الجبال ، والحّ عليه ببأسه الشديد ، وعزمه السديد ، ولم يزل السهام تساقط اليهم تساقط الثمر من الاشجار، والحجارة تناثر عليهم تناثر الطيور من الاوكار ، حتى عادت جدرانها ارضا ، واركانها رضا ، فانثالوا جينئذ على الجناب مستأمنين ، وتراموا الى الخيام مسلمين ، وهو يغمرهم بالطول السابغ والفضل المبين، وثار الاولياء للبلد وهو يمنعهم صيانة للحريم، وصبابة الى الظفر الكريم، ورأى افتكين المخذول عاقبة كفره ، وذاق وبال امره، وعلم انه في شرك الحمام واقع ، ومن النجاة بعيد شاسع ، فتلدد حائرا ، وحنّ للخروج مبادرا ، بحيث لم يتعلق بعقد ولا عصمة ، ولا حصل على ال ولا ذمة ، ووقف بين يدي مولاه وقد اشتمل اطمار المهين، وسلب الحطام الفاني وقد باع فيه الدين، خسر الدنيا والآخرة ذلك هو الخسران المبين، فما اعاره الطرف استحقارا لامره ، ولا عاجله بالعقاب جزاء على غدره وكفره، بل اقصاه واطرحه ، وتوفر على ما لم شعث الثغر واصلحه، وشمل الخلق كلهم جندا ورعية العفو والغفران ، ومدّ على ذلك الجانب ما كان قلص عنه من ظل العدل والاحسان، واحتاط على نزار ا لذي ظلم نفسه وضيعها باتباع خطوات الشيطان، ووردت البشرى على مولانا امير المؤمنين وعلينا فانجز الله بها للدين وعده ، و اطلع للملك سعده واغتدت الدنيا بآثار ولينا المخلص لنا والكافل لدولتنا تضيء آفاقها وتهلل، وتزهر اشجارها وتخضل، ونفذ اليه من الحضرة المقدّسة من الكرامات العالية والملابس الطاهرة ، والعقود الفاخرة ، والمراكب والخيول الخاصة المتخيرة ، ما ظهر فيه لاهل ذلك الثغر ، وتجلى في انواره الزاهرة تجلي البدر، وعزم مولانا امير المؤمنين عليه في الانكفاء الى حضرته استيحاثا لبهائه ، وارتياحا الى لقائه، فانثنى راشدا الى محل مجده انثناء الليث الباسل ، والغيث الهاطل، وعاد ظافرا الى مقر عزه عود الحلي الى العاطل ، وشرفه امير المؤمنين بالخروج الى منازل العز مستقبلا له ، وبلغ به من الاكرام والاعظام ما لم يبلغه احد قبله ، وانتهى في ذلك الى ان البسه ما كان على جسده الطاهر ، وعصب بمفرقه تاجه الكريم المرصع باشرف الجواهر ، اثرة ميزه بها على الانام ، ومفخرة يبقى له جلالها وشرفها ما بقيت الليالي والايام ، وعاد امير المؤمنين الى قصوره الزاهرة وهو امامه ازهر الوجه والافعال ، كريم الفاتحة والمآل، عظيم السودد والجلال، يثني عليه الدهر بلسان العيان، ويشرق الملك بآثاره الحسان، وتهتز الدين لمواقفه اهتزاز فرح جذلان، ولعمر الله تعالى ما زالت شمائله ناطقة بمناقبه ومعاليه، ومخائله ضامنة للدولة بلوغ الآراب بمساعيه، وما زلنا نسمع من امير المؤمنين المستنصر بالله قدس الله لطيفه فيما يفيده من انوار علمه وحكمته ، و بفيضه من انوار تائيده وعصمته ، التي تقرب عليها بها الاسناد ، ونفتخر باختصاص محلنا بها ع لى على كل حاضر وباد ، ذكره باحسن التحميد والثناء ، ووصفه بابسق السودد والعلاء ، وانه مدخر لحفظ الدنيا والدين، وحياطة الا سلام والمسلمين ، ومؤيد في كل مقام بالاعزاز والنصر والتمكين، وان الله تعالى سيتابع على يده من الفتوحات في كل مكان، ما لم يتهيأ مثله في سالف الزمان، ويقوى بنظره معاقد الحق والايمان، ويرفع في ايامه قواعد العدل والاحسان، وقد حقق الله تعالى قول وليه الماضي ، واكد باضعافه من اقوال وليه الباقي، فنسئل المؤمنين شرقا وغربا ، وبعدا وقربا ، ان يحيوا لذكره ، ويقدروا احسان الله تعالى به على الامة حق قدره، ويعتقدوا طاعته كاعتقاد طاعة امير المؤمنين التي فرضها الله تعالى على اهل عصره ، وهذا نظره مذ عاد واستقبل في الحضرة بطالع النصر والاسعاد ، وامتثل امر امير المؤمنين في تعفية آثار الغادرين وغيرهما من اهل الفساد، مصروف الى مصالح العباد، وموقوف على عمارة البلاد ، فقد انصب نفسه في راحة الانام ، وهجر في مواصلة حفظهم لذيذ المنام ، والله يمتع الدولة ببقائه ، وثبوت مجده وعلائه ، ولما كانت الحرة عندنا من القربة والاختصاص بالمكان المشهور تاثله وسنائه ، ومن الايمان والاخلاص بالموضع المشيد بنائه ، وكان التفاتنا شديدا الى ما نظم الله به احوالها ، واصلح اعمالها ، ومكن اواصرها واواخيها ، وسدد مقاصدها ومراميها، رأينا اطلاعها على هذه الجملة من جهتنا ليتوفر لها الفخر والجمال، ويتأكد عندها العز والجلال، وينتهج لها السبيل الى مطالعتنا بمتجددات الاحوال ، والترقب شديد لوصول ذلك مع اخبار الحرة التي اسعدها الله بالاعتلاق بحبل الايمان، وميزها بالاخلاص والاختصاص على اهل الزمان، فلتعلم هذا ولتعمل بحسبه ، ولتواصل بما يجب المواصلة به ، ان شاء الله ، وكتب في الثامن من شهر صفر سنة تسع وثمانين واربعمائة ،

والحمد لله وحده ، وصلواته على سيدنا محمد وآله الطاهرين الائمة المهديين، وسلم عليهم اجمعين، وحسبنا الله ونعم الوكيل.

ولما مضى نزار وعوجل بالقتل لسوء فعله ، وما ارتكبه في الدين واهله، بقي كثير من الاقطار من المنافقين معتقدين لامامته ، متثبتين بدعوته، وقام فيهم دعاة سوء يدعون اليه ويقولونا بامامته تدليسا على الانام ، واحتيالا لاكل الحطام، وبقيت النزارية في ذلك الاوان فرقتان فرقة تزعم ان نزار حي لم يمت وانه لا يموت حتى ينتشر العدل، ويظهر بزعمهم الفصل ، وفرقة قالت انه قد قتل وان له ولد في خراسان، وقال بعضهم بل ولده عند ابن صباح ، فضلوا واضلوا كثيرا وضلوا عن سواء السبيل، وتاهوا في الحيرة بغير دليل ، وهم مع ذلك مصرون على ما هم عليه من تحليل المحرمات ، ونقض احكام الدين المبرمات ، واباحة المحظورات، وارتكاب الفواحش المنكرات ، حتى شنع بهم على فرقة الحق ، ونسب اليهم ما هم براء من الفسق، ومذهب الائمة من اولاد اسماعيل بن جعفر عليه السلام معروف باقامة شريعة محمد صلع واداء فروضها وسننها ، والمضي على واضح منهجها وسننها ، وعلى ذلك دعاتهم وشيعتهم الاخيار ، المتوالون للائمة الاطهار، فهم محافظون على اعمال الشريعة ، آمرون بها من اتبعهم من الشيعة، ناهون عن المنكر الذي نهى الله تعالى عنه في كتابه ، مقيمون لمعالم الدين واسبابه ، ثابتون على المنهج الواضح، بريون الى الله تعالى من اهل المنكر والفضائح، مقيمون من الدين اعلامه ، موضحون طريقه واحكامه ، متوالون من اوجب الله له الامامة ولا يضرهم من ضلّ اذا اهتدوا ، وبمحمد وعلي والطاهرين من آلهما اقتدوا، وقد ذكرنا ان ابليس مذ خرج من جملة الصافين المسبحين، لم يضرهم شيء من كفره ونكره ومصيره في العذاب المهين، اعاذنا الله من الميل عن سبيل الهدى ، واتباع من ضل واعتدى، وثبتنا على سبيل المنهج ، والدين الذي لا ميل فيه ولا حرج .

وقد ذكر القاضي ابن خلكان في تاريخه ان الى نزار تنسب ملوك الاسماعيلية اصحاب الدعوة ارباب قلعة العلموت وما معها من القلاع.

ونقول على الجملة من انتسب اليه فهم الضالون مضلون، يحرمون على غير الكتاب والسنة ويحلون، قال المؤلف قدس الله روحه وقد وافى الينا رجل غريب في سنة تسع وثلاثين وثماني مائة ، ونحن في محروس حصن شبام اعلى قلعة في جبال حراز واحصنها، فزعم انه من عراق العجم من سمرقند ، وخلا بقوم من ثقاتنا فذكر لهم انه على دين نزار ، وان لهم امام من اولاد نزار سما اباه حتى عزاهم الى نزار بن المستنصر، وان امامهم هذا وشيعة له في سمرقند وانهم باقون الى هذا الوقت المذكور ، وذكر لهم اشياء يفعلونها من المنكرات، ويميلون فيها الى الاباحات، وان امامهم خفف عنهم اثقال الصوم والصلوة ، وما اثقلهم من الفروض الواجبات، فلما بلغنا امره امرنا بطرده وابعاده ، وملنا عن وعده الى ايعاده ، وبرئنا ممن ينقض شيئا من شريعة محمد ، او يعتقد تأويلا يبطل فرضا المؤكد ، وعلى ذلك نحي ونموت، ويوافقنا الاجل الموقوت، نبرأ ممن يحل شيئا من معالم الشريعة او يميل في شيء من ابطال فرائضها الى الامور الفظيعة ، ندين من الملة الحنيفية بدينها، ونعلم ان صالح الاعمال رجحان موازينها ، ونقول ما قاله الداعي المؤيد في الدين ، عصمة المؤمنين، اعلى الله قدسه :

اللهم وكل من دعى الى الامامة الاسماعيلية ، وانتمى الى الدعوة الفاطمية ، فنقض واحد من الرسل ، وقدح في شيء من مناسك شريعة محمد صلع صلوتها وزكوتها وصومها وحجها وجهادها ، اقل نسبة من الرخصة ، وجوّز في ركن من اركانها ادنى نكتة من الفرصة ، من ماض وغابر ، وغائب وحاضر، اللهم فاجعله موقع النقمات ، وموضع اللعنات ، من اهل الارض والسموات ، اللهم نشهدك ونشهد ملائكتك اننا براء من هذه سبيله ، وانه من المشركين ، وان الله بريء من المشركين ورسوله ، اللهم ومن نسب الينا من ذلك ما لسنا باهله، وافترى الكذب علينا فيه بعناده وجهله ، تدنيسا للاعراض المطهرة ، وتدليسا على الدعوة المنورة ، فانه يا رب من المكذبين بآياتك ، والمتقلبين في لعناتك ، اللهم فبحق كرام اولياءك ، في ارضك وسماءك ، الا اخذته بالسمع والبصر، وجعلته في دنياه قبل اخراه محلا للعبر ، كما قلت وقولك الحق المبين، ولنذيقنهم من العذاب الادنى دون العذاب الاكبر لعلهم يرجعون ، هذا قوله اعلى الله قدسه ،

وتلك عقيدتنا التي ندين بها وننتظم في سلك الموحدين ، وقد قدمنا ذكر ذلك حيث ذكرناه من فرق الغلاة واحتجنا الى تكريره لما ذكرنا هذه الفرقة التي سلكت في منهاجهم ، وسيقت الى النار في زمرتهم وافواجهم، نسأل الله تعالى ان يجعلنا ممن اقتفى آثار العالمين العاملين، ونال بشفاعة محمد وآله الاطهار امل الآملين، وعلى الله نتوكل وبه نستعين.

فنشر الامام المستعلي بالله صلوات الله عليه دعاته في الاقطار، واقام الدين في النواحي والامصار ، ونهى عن المنكرات ، واقام الاعمال الواجبات من المفروضات والمسنونات، وقامت به الحدود ، واشرق بنوره الوجود ، وانتصبت الحرة السيدة الملكة الصليحية وقاضي القضاة وداعي الدعاة في اليمن يحي بن لمك بن مالك الحمادي باظهار الدعوة باقطار اليمن الى الامام المستعلي بالله صلوات الله عليه ، وبيان فضله ، وبث عدله، وايضاح معالم التوحيد ، واشادة دعوة اولياء الله بالتثبيت والتأكيد ، فانارت بهما الدعوة ، وكانا للعالمين ا لعاملين خير قدوة ، وكان امر جميع الدعاة في اليمن مصروفا اليهما ، والتعويل فيه عليهما ، وكانت وفاة ا لملك الاجل الداعي سبا بن احمد الصليحي قدس الله روحه في سنة احدى وتسعين واربعمائة ، وتوفي بعده عامر بن سليمان بن عبد الله الرواحي رحمة الله عليه في سنة اثنتين وتسعين واربعمائة ، وكانا من اهل السوابق والجهاد في الدعوة اليمنية ، ومن اعيان رجال اهل المملكة الصليحية ،

فاقامت الحرة الملكة السيدة الصليحية المفضل بن ابي البركات بن الوليد الحميري لحرب المعاندين من العبيد في زبيد وغيرهم ممن اظهر الفساد، واراد التغلب في اطراف البلاد، وولته حصن التعكر ، وكانت ولته اباه ابا البركات الحميري رحمة الله عليه بعد وفاة بعلها الداعي الملك المكرم قدس الله روحه ، فاستقرت الاحوال، واستوثقت في الامصار والتلال ، وكان التعكر مقرّ ذخائر بني الصليحي ، وكانت الحرة ا لملكة تطلع اليه من ذي جبلة ايام الصيف فتقيم فيه ، فاذا برد الوقت سكنت بذي جبلة ، ثم انها بعد ذلك اقامت بذي جبلة وقطعت الطلوع الى التعكر ، وكان المفضل يسألها ذلك فتأباه ، وكان من رجال دولتها ، وذوي النصيحة في خدمتها ، وكان له مواطن حميدة في حرب عمرو بن عرفطة الجبني وغيره من سنحان وعنس وزبيد وسواهم ممن اراد الخلاف ، وقام على آل ذريع في عدن حتى رفعوا نصف خراجها الى الحرة الملكة ،

وروي عن ابي الطاهر القانوني قال : اذكر يوما وانا عند المفضل في التعكر وقد جاءه ارتفاع نصف خراج عدن خمسين الف دينار ، فسير ذلك من وقته الى الحرة الملكة، قال فقلنا له لو تركت شيئا من عندك ، فقال ليس ينفعني الا ما حصل عندها ، فلما وصل المال اليها اعادته اليه وقالت انفقه على الجند فانت احوج اليه منا ، قال الراوي ففرّق منه على الحاضرين عشرة اكياس نالني منها كيس فيه الف دينار،

وما زالت دعوة الامام المستعلي بالله عليه السلام مشرقة الايام ، خافقة الاعلام ،

وكان الروم قد تغلبوا على دمشق والشام ، وقتلوا كثيرا ممن فيها ، وكان اكثر المقتولين ممن خالف ونافق ، وانتمى الى النزارية ، وبغوا في الارض ، فسلط الله عليهم شرار خلقه ،

ثم امر الامام عليه السلام عددا جما من جنوده ، وامر عليها بعض عبيده ، وامر برأيات صفر فنشرت في عساكره ، واخرجهم الى الروم ، فانهزمت الروم ، واجلوهم عن الشام ،

ثم ان امير المؤمنين المستعلي بالله عليه السلام حين ايقن بنفاد مدته ، وصعوده الى عالم البقاء ورفعته ، احضر اوليائه وخلصاء شيعته ، وشهر النص على ولده المنصور الآمر باحكام الله عليه السلام ، وكتب بذلك سجلاته الى الامصار، واشهره على اهل دعوته حيث كانوا من الاقطار ، وكانت بعد ذلك وفاه الامام المستعلي بالله امير المؤمنين تلقاه الله بالتقديس والرضوان، والصلوات الزاكيات المستمرة عليه وعلى آبائه في كل و قت واوان، في احد شهور سنة خمس وتسعين واربعمائة ، ومدة اقامته في الخلافة سبعة اعوام،

والحمد لله القاضي على جميع خلقه بنزول القضاء ، وصلى الله على رسوله سيدنا محمد خير من يأتي ومن مضى، وعلى وصيه علي ابن ابي طالب الصفي المرتضى، وعلى الائمة من ذريتهما الفائز من نظروا اليه بعين الرضى، وسلم تسليما ، وحسبنا الله ونعم الوكيل.

يتلوه ذكر نبذ من ايام الامام المنصور الآمر عليه السلام

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي جلت نعمته عن العد والحصر، الآمر مع طاعته وطاعة رسوله بطاعة اولي الامر ، وصلىالله على رسوله الذي نعته في كتابه بالذكر ، محمد الآمر بالمعروف والناهي عن النكر، وعلى وصيه علي ابن ابي طالب قاتل اهل الكفر، وعلى الائمة من ذريتهما سادة اهل البدو والحضر.

ذكر نبذ من اخبار الامام المنصور الآمر باحكام الله امير المؤمنين وظهور دعوته ، ووصف جمل مما كان في ايام خلافته.

وولى الامام المنصور ابو علي الآمر باحكام الله امير المؤمنين ابن الامام احمد المستعلي بالله امير المؤمنين صلى الله عليهماوعلى آبائهما والطاهرين من ابنائهما ، في اليوم الذي كانت فيه وفاة ابيه المستعلي بالله عليه السلام والصلوات في سنة خمس وتسعين واربعمائة ، فبايعه ذلك اليوم اهل حضرته ، وكتب الى الجهات النائية بخبر وفاة والده ، وما خصه الله به من خلافته ، فبابع الدعاة له في الجزائر والامصار، والكور والاقطار، وظهرت دعوته ، وعلت كلمته ، وارتفع امره ، وسمى صيته وذكره ،

وكان وزيره ابو القاسم شاهنشاه الافضل ابن امير الجيوش بدر المستنصري،

وكان داعي الدعاة في حضرته ابو البركات بن بشري الحلبي ، وكان فصيح اللسان ، حسن البيان ، وله مجالس فيها مواعظ بليغة ، وحكمة جليلة من حكم الائمة عليهم السلام ، وفيها معرفة الانبياء والاوصياء والخلفاء ، ومعرفة المستقر والمستودع ،

فنصبت الرأيات الآمرية على التوفيق والتسديد ، ودان له كل جبار عنيد ، وخشع الاضداد في البلدان، وخضع له اهل ذلك الزمان، وكان رجل يسمى بهران قد تغلب في دمشق وبغى وطغى، وساء فعله ، وكبر جهله ، واجتمع اليه كثير من الجنود والحشود ، فدعى الامام عليه السلام خمسين فارسا وقدّم عليهم رجلا منهم ، وقال اذهبوا الى دمشق فانكم تقتلون بهران، فساروا قد قضوا من ذلك عجبا ، وقالوا كيف يمكن ا ن يكون خمسون فارسا يغلبون رجلا قد تغلب وصارت له جنود واعوان، وملك وسلطان، الا انهم لم يجدوا بدا من امتثال الامر وطاعة الامام عليه السلام ، فلما انتهوا الى دمشق وافوا بهران الباغي وهو خارج عن دمشق ومعه جماعة من اصحابه ، فقتلوه ورجعوا باصبعه ، وتهيّب الناس ان يلحقوهم ، واضطرب امرهم ، واعتراهم الفشل والوجل ، فرجعوا الى الامام عليه السلام بخبر بهران ، واتوه برأسه ، وفي ذلك يقول القاضي ابو الفتح محمد بن القاضي الموفق فيه :

كل يوم يزيدك الله نصرا \* واعتلاء ويبدل العسر يسرا

والمقادير في البرية خدّا \* مك لا يستطعن بمضين ا مرا

فوّق السعد سهم حنق لبهر \* ان فلم يخط حين اصماه نحرا

اصبع لم يكن يشير بشيء \* وسيغشى غداة لوما وعذرا

رأس حزب النفاق قد طال \* ما خادع بالزور قومه واستمرا

واستعان الصليب والشرك جهلا \* طامعا ان يشد بالكفر كفرا

حاولوا بالخداع اطفاء نور \* الله تبّا لهم وتعسا وبترا

اجمعوا كيدهم فلما استقلوا \* احدث الله بعد ذلك امرا

اخمد البغي منهم كل نار \* ولنا فيهم مآرب اخرى

اتراهم يرون ان معادا \* وهو لا شك في للقوم طرا

يرتضي منهم بان لا يوالوه \* وان يرفضوه سرا وجهرا

خالفوا امر الامام الذي او \* سع كل الانام هديا وبرا

صلوات الله وقف عليه \* وعليهم لعائن الله تترى

وكان ابن صباح من يدين بدين نزار ،ويظهر الدعوة اليه في الجهر والاسرار ، ويفعل الامور المنكرات، ويبيح المحظورات ، فامر الآمر باحكام الله عليه السلام ابن اخته بقتله وهما جميعا نزاريان، فقتله .

ودلف الروم الى دمشق ليتغلبوا عليها ، فخرج اليه الافضل في جنوده وحشوده فهزمهم وقهرهم، وعاد منهم بالغنيمة والاموال ، والسبايا النساء والاطفال ،

وخالف رجل يدّعي سنبس فتغلب على مصر ، واجتمع اليه عامة الناس وغوغائهم ممن لا خلاق لهم ، وحاصروا القاهرة ، فغلقت ابوابها ، واقاموا على ذلك اياما ، وكان رجل ارمني يحرس الطريق ويمسك السفار ، فبينا هو وقوم معه على الطريق ذات ليلة بعد هوي من الليل اذ نظروا ابى باب من ابواب القاهرة قد فتح ، وخرج منه انسان راكب ليس معه غيره ، فاختفوا منه ليعرفوا خبره ويطلعوا على امره ، فاذا هو الامام الآمر باحكام الله سلام الله عليه ، فعاينوه الى اين يمضي واين يريد ، واذا برجل راكب قد التقاه فسلّم عليه ، وسائل كل واحد منهم صاحبه عن حاله ، ثم نزلا عن خيلهما فاراد الارمني الوثوب عليهما فيمن معه فغشيهم الهيبة ، واخذتهم الرعدة ، فوقفوا مكانهم ينظرون ، وقال له الرجل الى ابن تريد ، قال اريد عسكري انصرهم على قتل سنبس واتباعه الانجاس الارجاس، وكان عسكر الامام عليه السلام مصافين لهم والقتال بينهم، فاخذ كل واحد منهم منديلا فبسطه وصليا ركعتين، واقبل الرجل على الامام فقال له ارجع يا ولي الله فنحن نكفيك هذه النوبة ان شاء الله غدا ، وتوادعا وركب كل واحد منهما على فرسه وافترقا ، فعاد ولي الله الى القاهرة المعزية ودخل واقفل الباب بعد دخوله ، وعاد الذي لقيه من حيث اقبل ، وكثر تعجب اولئك الذين كانوا على الطريق ، وما عرفوا الرجل الذي لقي الامام عليه السلام من هو ، فباتوا ليلتهم الى الصباح وظلوا نهارهم كذلك ، واذا النجابة تمضي عليهم مبشرين بقتل سنبس والنصرعليهم في ذلك النهار بعينه ، فايقن الارمني بفضل الامام عليه السلام ، ودخل في دعوته واستجاب لعهده ، والذين كانوا معه ، وحسنت حال الارمني وكان يخبر بذلك ويرويه ، ويقصه ويحكيه ، وهذه الروايات جاءت عن الداعي ابراهيم بن الحسين الحامدي اعلى الله قدسه .

ولامير المؤمنين الآمر باحكام الله رسالة الهداية الشريفة انشأها في اثبات امامة ابيه المستعلي بالله سلام الله عليه واضحة البرهان، جليلة البيان، مبطلة للبهتان، فيما ادعاه اولوا الطغيان ، من امامة نزار يبطل بها دعواهم النائر، وقولهم الذي يبطله الحق في الباطن والظاهر،

ونقلت من خطبه عليه السلام ما وجدته في حريرة منتسخا للحرة الملكة الصليحية ، وقد اطلق عليها العلامة الشريفة لامير المؤمنين ، الحمد لله رب العالمين .

وهي هذه بفصها ونصها :

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي قصرت الفطن عن معرفة حقيقة ذاته ، وعجزت الالسن عن تعديد صفاته ، وخضع لعزه من في ارضه وسماواته ، ودعلى على وحدانيته عظيم ملكه وباهر آياته ، لا رادّ لاقضيته ، ولا مبدّل لكلماته ، نحمده على نعمه التي ما زال يجرينا فيها على جميل عاداته ، ونشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له شهادة تمحو من قائلها عظيم سيئاته، وتقضي بمتضاعف حسناته ، ونشهد ان جدنا محمدا عبده ورسوله ارسله ومكارم الاخلاق من آياته ، فصلىالله عليه وعلى وابينا امير المؤمنين علي ابن ابي طالب المتصدق بخاتمه في صلواته ، وعلى الائمة الطاهرين من ذريتهما براهين الهدى وعلاماته ، وسلم تسليما ،

ايها الناس حتام انتم في غمرة ساهون ، وعما اماكم من هول المطل لاهون، وللبصائر لا تستعملون ، وبما تدعون اليه لا تعملون، كلا سوف تعلمون ثم كلا سوف تعلمون، فرحم الله امرأ نظر الى امامه ، واهتدى بمراشد امامه ، وارضى خالقه في نقضه وابرامه ، وهجر الهجر في منطقه وكلامه ، عباد الله وهذا شهر رمضان المبارك قد نزل بكم نزول الضيف، فبالغوا في اكرامه ، وتوفروا على صلوته وصيامه ، واجتهدوا ان تقطعوا ايامه منسكا وورعا ، ولياليه سجدا وركعا ، وان تصوموا فيه عن الخطايا والمآثم، صيامكم عن المشارب والمطاعم ، ان احسن ما تلي على صهوات المنابر ، ووعته اسماع البوادي والحواضر، كلام علام الغيوب والمطلع على السرائر ، قال الله تعالى في كتابه المكنون ، فاذا قرء القرآن فاستمعوا له وانصتوا لعلكم ترحمون، اعوذ بالله وقدرته، من الشيطان ونزعته ، بسم الله الرحمن الرحيم ، شهر رمضان الذي انزل فيه القرآن ، هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان، فمن شهد منكم الشهر فليصمه ، ومن كان مريضا او على سفر فعدة من ايام اخر ، بارك الله لنا ولكم في القرآن العظيم، ونفعنا واياكم بالآيات والذكر الحكيم، ونستغفر الله لنا ولمن سلّم لنا من المؤمنين حق التسليم.

الخطبة الثانية

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله بارئ البرية ، وعالم الخفية ، والمنزه عن الصاحبة والذرية ، وصلى الله على جدنا محمد الهادي الى المحجة المضية، وعلى ابينا امير المؤمنين علي ابن ابي طالب اخيه وابن عمه الذي ارتضاه للوصية ، وعلى الائمة الطاهرين من ذريتهما حجج الله على خلقه الواضحة الجليلة ، وسلم تسليما ،

ايها الناس ان الله تعالى رفع جدنا محمدا الى الدرجة العلية ، واناله من الشرف ما لم يصل اليه منتهى امل ولا امنية ، وامر سبحانه بامر بدأ فيه بنفسه وثنى بملائكته قدسه تشييدا لفخره وتعظيما ، فقال جل من قائل ان الله ملائكته يصلون على النبي يا ايها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما ، اللهم صل على جدنا محمد رسولك الكريم ، الهادي الى صراطك المستقيم ، والمنزّل عليه وانك لتلقى القرآن من لدن حكيم عليم، وصل يا رب على آل محمد ، الله صل على جدنا محمد الذي اشرق بمبعثه وجه الزمن البهيم، وبشّر بظهوره كل نبي كريم، وانزلت عليه واصفا له وانك لعلى خلق عظيم، وصل يا رب على آل محمد ، و صل اللهم على ابينا امير المؤمنين علي ابن ابي طالب الذي كان منه بمنزلة هارون من موسى الكليم، وعلى امنا فاطمة الزهراء الحورية وعلى ولديها الامامين ابي محمد الحسن وابي عبد الله الحسن افضل البرية ، وعلى علي ابن الحسين زين العابدين، ومحمد بن علي باقر علوم الدين، وجعفر بن محمد الصادق الامين، وعلى امام الحق اسماعيل ، ومحمد نجله حائز شرف الخلافةالاصيل ، والمحتوي على جمل الفضل والتفضيل، وعلى الائمة المستورين عن عدوهم العادل في افعاله كلها عن سواء السبيل، وعلى نجوم الحق الثواقب، والشموس الطالعة من المغارب، المهدي بك ، والقائم بامرك ، والمنصور بنصرك، والمعز لدينك ، والعزيز بك ، والحاكم بامرك ، والظاهر لاعزاز دينك ، والمستنصر بك ، والمستعلي بك ، المنقولين الى جوارك الامين، والحالّين في اصحاب اليمين، اللهم وانا عبدك الآمر باحكامك ، والشاكر لانعامك ، ونظمت لي بفضلك عقود السعود ، وتوجتني تيجان العلى مكلّلة بدر التوفيق المنضود، واورثتني مقام الخلافة المنتقل عن الآباء الكرام والجدود ، وجعلت ايامي محاسن الوجود، واذللت لي اعناق الاسود، وجمعت على طاعتي قلب السيد والمسود، اللهم فكما خصـصتني بهذا الفضل المبين، وجعلتني حجتك البالغة على العالمين ، فصل بي وبعقبي حبل الامامة كما وعدت الى يوم الدين، واجعل من اتبعني من الفائزين، اللهم وارض عن السيد الاجل الافضل ابن السيد امير الجيوش رضاك عمن احسن عملا ، واجعل رفد رحمتك اليهما متصلا ، وانصر اللهم جيوشي وكتائبي حيث كانوا ويكونون برا وبحرا ، واستأصل بسيوفهم شافة اعداءك الذين تمردوا طغيانا وكفرا، وامنح المسلمين عليهم ظفرا ونصرا ، واغفر اللهم للمسلمين والمسلمات ، والمؤمنين والمؤمنات، الاحياء منهم والاموات ، انك ولي والحسنات ، غافر السيئات ، ان الله يأمر بالعدل والاحسان وايتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي يعظكم لعلكم تذكرون، اذكروا الله العظيم يذكركم، واشكروه يزدكم ، والحمد لله رب العالمين ، وصلواته على رسوله سيدنا محمد وآله الطاهرون

ومن خطبته ايضا ما وجدته مكتوبا في حريرة عليها العلامة الشريفة ، الحمد لله رب العالمين ، وهذا ذكرها ، الله اكبر الله اكبر ، ولا اله الا الله ، والحمد لله ، والله اكبر ، ولله الحمد ، الله اكبر على ما هدانا ، وله الشكر على ما اولانا ، بسم الله الرحمن الرحيم ، الحمد لله الذي نصر بنا معشر الائمة من اهل بيت نبيه دين الاسلام الواجب ، ورمى عدونا المناصب بالعذاب ا لواسب ، ومتوقد محرقات الشهب الثواقب ، وانفذ في مخالفينا احكام سيوفنا القواضب الماضية المضارب ، ونشر بنا اعلاما للعدل سنا ذكرها في المشارق والمغارب ، نحمده على نعمه التي جادتنا ابنواءها بطل وابل من الاحسان ساكب، وحققت من آمالنا كل دان وعازب ، ونشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له شهادة اوردها اليقين من غيره اعذب المشارب ، واحلها من توحيد ذي الجلال والاكرام اعلى المراتب، ونشهد ان جدنا محمد عبده ورسوله هدى به الى الدين الحنيفي افض الشرائع والمذاهب ، وايده بالقرآن الباهر الآيات والعجائب، وعضده بابينا امير المؤمنين علي ابن ابي طالب اخيه ووصيه وخطيب شرعه وموضح مشكلاته الغرائب، صلى الله عليهما وعلى الائمة من ذريتهما صلوة يبلغهم بها من شرف المعاد اقصى المراتب.

ايها الناس ، الزموا كتاب الله العزيز وسنة رسوله ، واعملوا بما تضمنا من امره وتمثيله ، واعتمدوا عليها في فروع الدين واصوله ، ولا تعدوا ذلك الى ما نهى الله عنه من الخوض في كلام الالحاد واباطيله ، فان ذلك من مصائد الشيطان واضاليله، فقد سمعتم قول الله تعالى وان هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ، واصيخوا لمواعظنا الصادرة عن محض النصيحة والاشفاق ، ولا يصدنكم الشيطان واعوانه اهل الزيغ والفساد ، عن الشرائع وما اوضحته من طرق العبادة ، فان الله تعالى امدها من كتبه ورسله ومعجزاتهم باقوى مادة ، وجعل العقول لها خادمة، ولم يجعل العقول على الشرائع حاكمة ، لان الشرائع صدرت عنه وهو الخالق المنفرد بعلم الغيوب والكمال، والعقول خلقها كسائر صفات المخلوقين في النقص وتحكيم الناقصين على الكمال لا يوصف به ذو الجلال ، فكونوا على ما امركم الله عاكفين، وعما نهاكم عنه صادفين ، وسلموا له تسعدوا وتسلموا ، ولا تطلبوا النجاة بالجدال فتضلوا وتندموا ، عباد الله ويومكم هذا عيد شرف به دين الاسلام ، وختم به شهر الصيام، الذي ميزه على الشهور وفضله، وفرض صومه تذكيرا بنعمته بكتابه الذي فيه انزله ، ووعد كلا من المحسنين فيه والمسيئين عن مضاعفة الحسنات ومغفرة السيئات بما يحقق امله، و استقبل به اشهر حج بيته الحرام الذي كفل لكل حجاجه ومعتمريه بما يمحو زللـه ، ويوصله الى نفيس ما قسم له ، فانتضوا رحمكم الله من العزمات امضاها ، وامتطؤا من الاجتهادات اوفاها ، وروموا بركات تلك المعالم ، واستجيروا بحرم الله الشامل المراحم ، تظفروا بصفحه عن الجرائم ، وتفوزوا بما عنده من النعيم الدائم، وكونوا لحرمة هذا العيد حافظين، وبما يرضي الله فيه عاملين ولافظين، وعودوا على فقراءكم بالمعونة من اموالكم والرأفة ، تأمنوا عاجل العدم وآجل المخافة ، وفر الله حظوظكم من انوار اليقين، واستعملكم بما ارتضاه لكم من الدين، وحماكم من مضال الشيطان اللعين، ان اكمل الهدايات واوضحها ادلة وسبلا ، كلام الله وما تضمنه من قوله وتمت كلمة ربك صدقا وعدلا ، وهو القائل سبحانه واذا قرئ القرآن فاستمعوا له وانصتوا لعلكم ترحمون، اعوذ بالله وما من به من الارشاد والنور ، من الشيطان وما يدعو اليه من الالحاد والغرور ، بسم الله الرحمن الرحيم ، وما امروا الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء ويقيموا الصلوة ويؤتوا الزكوة وذلك دين القيمة ، بارك الله لنا ولكم في القرآن الكريم، ونفعنا واياكم بالآيات والذكر الحكيم، ونستغفر الله لنا ولمن سلّم لنا من المؤمنين حق التسليم

الخطبة الثانية

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي اعز بنا معشر الائمة من اهل بيت نبيه حزب الايمان ونصره واصلح شانه ، وصلى الله على جدنا محمد رسوله الذي اكمل دينه ومعجزه وبرهانه ، وعلى ابينا علي ابن ابي طالب اخيه ووصيه الذي عضدهه به وايّده واعانه ، وعلى الائمة من ذريتهما صلوة يضاعف لهم بها في دار كرامته تشريفه واحسانه،

ايها الناس ان الله امركم بالصلوة على نبيه المبعوث الى البرية جمعا، واكرم رسله اصلا وفرعا ، فقال جل منعما كريما ، ان الله وملائكته يصلون على النبي يا ايها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما ، اللهم صل على محمد الذي امددت الخلق من شرعه ببالغ التسديد والتقويم ، وهديتهم الى النجاة وصراطها المستقيم، وعلى آل محمد ، ا للهم صل على محمد الذي دعوت به الى دار السلام ونعيمها المقيم ، ونجيت به من الجحيم وعذابها الاليم ، وعلى آل محمد ، اللهم صل على ابينا امير المؤمنين اخيه ووصيه وشقيق نبعته المساهم، ونصيحه الصادق ووزيره الحازم ، وفارج غمائه في المازق المتلاحم ، وعلى امنا فاطمة الزهراء غذية ما خصت به النبوة من الوحي وشرف الاخلاق والمكارم ، وعلى الحسن والحسين امامي الملة ونيري فلك الدين وجماله في المحافل والمواسم ، وعلى الائمة من ذرية الحسين الجارين على سنن نبيهم في الآثار والمراسم ، والمقيمين لشرعه المعالم، والمفتقر الى علمهم كل عالم ، ائمة الرشاد ، وخيرة الله من العباد ، الذين جعل لكل قوم منهم امام هاد، وهم افضل العباد والزهاد، واهل الجد في اقامة الدين الحنيف والاجتهاد ، ضل قوم اتخذوا من غيرهم وليا، وجهلو من فضلهم واضحا جليا، ونبذوا الحق بنبذهم ظهريا ، وجاؤا من عنادهم وشقائهم شيئا فريا ، اللهم واني عبدك الداعي الى سبيلك ، المكافح لاعداء رسولك ، المبين لآياتك الدليل على ما وعدت به ا ولياءك من جناتك ، الموضح لبراهينك ودلالاتك، المبتغي لعفوك ومرضاتك، اللهم فانصرني على الكافرين والجاحدين ، و اظهر بي العدل واعز الدين وايد الغازين والمجاهدين، واحم حوزة المؤمنين ، ودافع عن الاسلام والمسلمين، واهدى الى واضح سبيل الحق المسترشدين، وكن لي خير ولي معين، برحمتك يا ارحم الراحمين ، والحمد لله رب العالمين ، وصلى الله على سيدنا محمد وآله الطاهرين.

وقامت الدعوة الى امير المؤمنين الآمر باحكام الله في اكثر الجزائر، وازينت بذكره فروق المنابر ،

وقامت الحرة الملكة السيدة الصليحية بالدعوة اليه خير قيام ، وعاضدها في ذلك داعي الدعاة باليمن وقاضي القضاة بحي بن لمك بن مالك الحمادي ، ونشر الدعوة في الحاضر والبادي، فاستقامت بهما معالم الدين في اقطار اليمن، ووضحت بها الفروض الشرعية والسنن، ومضت بهما الاحكام ، واقيمت شرائع الاسلام، وعرف الحلال والحرام ، وعظم فضلهما عند الخاصّ والعام، ودلا الناس على معرفة الامام ، وهديا من الضلالة والجهالة كثيرا من الانام، وانقمع كل معاند الد الخصام، والمفضل بن ابي البركات المقدم ذكره في حصن التعكر واليا، وفي طاعة الحرة الملكة السيدة خادما ساعيا، يقصد من عاداها بالمحاربة والمنابذة ، وتأوي اليه القبائل والعشائر بحسن سعيه وشفاعته الى الحرة الملكة لائذة ، ولما اخرج المنصور بن جياش بن نجاح من زبيد واستولى عليها اخوه عبد الواحد بن جياش بن نجاح جاء المنصور وعبيده الى المفضل وهو في التعكر ، فلاذوا بجواره ، واستنصروا بجيوشه وانصاره ، والتزموا له بربع خراج ما ملكوه من البلاد، وسألوه المادة لهم والانجاد ، فسار المفضل معهم فاخرج عبد الواحد وملكهم ، وطالت اقامته في تهامة ، وقد دانت البلاد فيها له ، وكاد ان ينال فيها امله ، وقد ترك في التعكر نائبا له يسمى الحمل ، وكان جماعة من فقهاء الشافعية يخالطونه الى التعكر، فوافقوا الىالرعايا في القيام معهم ، ثم صعدوا الى الحمل، وقد امالوا جماعة من الذين معه، فخالفوا الى التعكر وملكوه ، وبايعوا الرجل منهم يسمى ابراهيم بن زيدان، واشعلوا النار في رأس حصن التعكر ، فاجتمع الرعايا اليهم ، فاصبح معهم على باب التعكر عشرون الفا ،واستولت الفقهاء على ملك لم يعهدوه ، وامرا خلوا به وافسدوه ، ووصل الخبر الى المفضل وهو في تهامة ، فسار مبادرا لا يلوي على احد حتى وصل الى جبل التعكر، وحصر الفقهاء في الحصن، وقامت خولان في نصرتهم ، وما زال الحصار عليهم، ثم رمي الفقهاء ان خولان خاذلتهم ، فقال لهم ابراهيم بن زيدان اني اريد ان اقتل المفضل ثم لا ابالي بعدها بالموت، فعمد الى سريات المفضل التي كانت في الحصن فاخرجهن في احسن زي ، وجعل بايديهن الطارات، واطلعهن علىسقوف القصور بحيث يراهن المفضل ويسمع اصواتهن ، واكرههن ان يعزفن ويضربن الطارات ، وكان المفضل ذا غيرة وانفة ، فقيل انه مات غيرة لذلك تلك الليلة، وكانت وفاته رحمة الله عليه في شهر رمضان سنة اربع وخمسمائة ، ولما انتهى امر موته الى الحرة الملكة السيدة الصليحية بادرت بالطلوع بنفسها الى جبل التعكر، وكاتبت الفقهاءولاطفتهم وما زالت تراسلهم، وكتبت لهم كريم حظها بما راموه واقترحوه من الاموال والامان، ويقال ان الذي صار الى ابراهيم بن زيدان غير ما عند اصحابه من الحرة الملكة خمسة وعشرون الف دينار من العين، واستولت الحرة الملكة على حصن التعكر ، وولت فيه مولاها فتحا.

قال صاحب كتاب المفيد ، وكان ابن نجيب الدولة غزير الحفظ ، مستبصرا في المذهب ، قائما بتلاوة القرآن العزيز على الروايات عن السبعة القراء ، واسمه علي ابن ابراهيم ابن نجيب الدولة ، ونعته الامير المنتجب عن الخلافة الفاطمية فخر الدولة العلوية الموفق في الدين امير المؤمنين ، وسار معه عشرون فارسا من الحجرية مختارة منتقاة ، ولما وصل ابن نجيب الدولة صرفت اليه الحرة الملكة امر الجند والرعية ، فغزى ابن نجيب الدولة اهل وادي ميتم، وغزى زبيد، وغزى اهل السهلة ، فامنت البلاد ، وانقمع اهل الفساد ، ورخصت الاسعار ، وانكف الذعار ، وقبض يده عن اموال الناس ، وعدل فيهم ، واقام الحدود ، واستخدم من بني حماس وسنحان ثلاثمائة فارس ، وقدم عليهم الطوق الهمداني ، وفي شهر رمضان المعظم من سنة خمس عشرة وخمسمائة كانت وفاة وزير الامامين المستعلي بالله والآمر باحكام الله وهو القاسم الافضل بن امير الجيوش بدر الجمالي المستنصري ، رحمة الله عليه ، وكانت وفاته شهيدا، وذلك انه خرج من داره ، قال القاضي ابن خلكان وكان بمصر يسكن بدار الملك التي على بحر النيل ، قال وهي اليوم دار الوكالة ، فلما ركب من داره وتقدم الى ساحل البحر وثب عليه جماعة فقتلوه ، وخلف الافضل من الاموال ما لم يسمع بمثلها ، قال صاحب الدولة المنقطعة خلف ستمائة الف الف دينار ، ومائتين وخمسين اردبا دراهم نقد مصر، وخمسة وسبعين الف ثوب ديباج اطلس ، وثلاثين راحلة حقاق ذهب عراقي ، ودوات ذهب فيها جوهرة قيمتها اثنا عشر الف دينار، ومائة مسمار من ذهب وزن كل مسمار مائة مثقال ، في عشرة مجالس في كل مجلس عشرة مسامير ، على كل مسمير منديل ذهب ملون بلون من الالوان، ايما احب منها لبسه ، وخمسمائة صندوق كسوة خاصة من دق تينس ودمياط ، وخلف من الرقيق والخيل والبغال والمراكب والطيب والتجمل والحلى ما لم يعلم قدره الا الله تعالى ، وخلف خارجا عن ذلك من الابل والبقر والجواميس والغنم ما يستحي من ذكر عدده ، الا انه بلغ ضمان البانها في سنة مائة وثلاثين الف دينار ، ووجد في تركته صندوقان كبيران فيهما ابر من ذهب برسم النساء والجوري، هذه رواية ابن خلكان في تاريخه .

وقد قال ابن خلكان ان الآمر باحكام الله عليه هو الذي وثب عليه قاتليه لتغلبه على الملك ، والله اعلم بذلك كيف كان الا انها جاءت رواية عن الداعي ابراهيم بن الحسين الحامدي قدس الله روحه تكاد ان تصحـح ما رواه ابن خلكان من توثيب الجماعة عليه ، قال في بعض ما صنفه :

واعلم ان مولانا الامام المنصور قد فعل مثل فعله ذلك بعبد من عبيده، وذلك ما فعله في الخبر المشهور بالداعي ابي البركات بن بشري الحلبي قدس الله روحه ، وذلك ان الافضل كان يحسده ويرصده كثير الحرص في قتله ، فلما علم الامام عليه السلام ذلك كتمه في قصره ، وكان الافضل يتصلف على خبره ليعلم اين توجه، فلم يقع على شيء من ذلك، واقام الداعي ابو البركات قدس الله روحه يربي من امر بتربيته من المؤمنين ويؤلف ما الزم تأليفه من كتب الدين ، فلما توفي الداعي ابو البركات قدس الله لطيفه جاء بعض الاستاذين من خدم القصر الى الافضل ، وذلك بامر الامام عليه السلام فقال الاستاذ للافضل ان الداعي ابا البركات من تلك المدة لم يفارق القصر ، قال الافضل وكيف ذلك ، قال اوقفك عليه غدا ان شاء الله ، قال فلما كان من الغد تقدم الافضل لقضاء فرض الصباح ، فلما وصل الباب العزيزي لقيه جماعة يزفون جنازة الى المقبرة ، فلما ادى فرض الصباح وخرج سأل الاستاذ ما وعده ، قال انه صاحب التابوت الذي خرجوا به عند دخولك ، قال ما قصته ، قال قضى عليه ، فما تمالك الافضل ان تبع القوم وكشف التابوت، فاذا الداعي الذي لا ينكره في الثياب والتشريفات التي تجعل للدعاة ، ومع رأسه كتب التقليدات له في اقامة الدعوة ، فلما دفن وراح الافضل كثر التعجب لذلك ، فجاء في القصر في اليوم الثاني وعاتب مولاه على اخفاء ابي البركات وكتمه، فقال عليه السلام علمنا سعيك فيه وعداوتك اياه ، وعليك خدمة لا تتعداها ، وعليه خدمة قد اداها ، فاذا كان ذلك من الافضل ومن عتوه حتى ستر الامام عليه السلام عنه وليا من اوليائه مثل ابي البركات ، فانما ذلك لتكبره وعتوه، وتسلطه وعلوه ، وهو حري بما حلّ به ، والعلم عند الله سبحانه ، واقام امير المؤمنين الآمر باحكام الله عليه السلام بعد ابي القاسم المذكور في الوزارة ابا منصور جوان مرد الآمري الملقب بالمأمون، ووسم بامير الجيوش سيف الاسلام ناصر الامام خليل امير المؤمنين ،

قال صاحب المفيد ولما مات الافضل امير الجيوش الوزير بمصر سنة خمس عشرة وخمسمائة ، قوي المأمون الوزير علي ابن ابراهيم بن نجيب الدولة في اليمن، وشدّ ازره وكتب اليه بالتفويض ، وسير نحوه اربعمائة قواس ارمني ، وسبعمائة اسود ، وسكن الجند وهي وطية للحافر ، متوسطة في الاعمال ، وضاق الامر به على سلاطين اليمن، وفي سنة ثماني عشرة غزى ابن نجيب الدولة زبيدا، والوزير بها يومئذ من الله الفاتكي احد عبيد ابن نجاح ، وبنو نجاح عبيد مرجان ومرجان عبد الحسين بن سلامة ، والحسين بن سلامة نوبي كان مملوكا لرشيد الحبشي ، ورشيد الحبشي عبد لابي الجيش اسحق بن ابراهيم بن محمد بن فلات بن عبيد الله بن زياد بن ابيه الذي ادعى معاوية انه لابيه ابي سفيان بن حرب ، فغزى ابن نجيب الدولة زبيدا كما ذكرنا ، وكان عشر رماة من الارمن الذين وصلوا اليه قد استأمنوا الى زبيد ، فلما تزاحف الرجال للقتال رمى رجل من الارمن الذين بزبيد بسهم فلم يخط انف الجواد الذي عليه ابن نجيب الدولة ، فسقط ابن نجيب الدولة ا لى الارض، وشب الفرس نافرا ، وانهزم الناس عن ابن نجيب الدولة ، فقاتلت عنه همدان اشد القتال ، حتى اردفه رجل منهم من مواحد يدعى السباعي ، وكان في همدان الطوق الهمدان ، فابلى وقوم معه ، وغاب جواد ابن نجيب الدولة من الوقعة صلوة الظهر يوم الجمعة ، فاصبح يوم السبت بمدينة الجند ، وبينها وبين زبيد ثلاثة ايام للمجد ، فلم يمس الخبر الا بذي جبلة ليلة الاحد ، واشاعوا انه قتل ابن نجيب الدولة بزبيد ، ثم وصل علي ابن ابراهيم الى الجند بعد اربعة ايام ، وركب الى ذي جبلة ، فعضدته الحرة السيدة الملكة ، واعطته الاموال ، وجمعت اليه الرجال ، فما زال يغزو العدو الى اقصىالبلاد ، وينقمع به اولو الذعارة والفساد ، ثم اجتمع عليه سلاطين اليمن، وقد خالف الحرة الملكة في بعض رأيها ، وقال انها قد خرفت ، فاعرضت عنه ، وحاصروه بالجند، وكانت ذات سور ومعه من همدان كما ذكر صاحب المفيد اربعمائة فارس منتقاة ، وجاء السلاطين في الفي فارس وثلاثين الف راجل فاحاطوا به ، قال وكان مع ابن نجيب الدولة في الدولة فرسان يعد كل فارس منهم بمائة فارس، منهم الطوق بن عبد الله الهمداني ، ومحمد بن احمد بن عمران اليامي ، وعلي ابن عبد الله الصليحي ، قال وهو الذي ولته الحرة الملكة بعد نجيب الدولة ، ومنهم علي بن سليمان الرواحي وجماعة معهم ، وكانت بينهم حروب ووقعات، وابليت همدان مع ابن نجيب الدولة، ولما اشتد الحصار على ابن نجيب الدولة كتب الى الحرة الملكة يستغيث بها ، وكتب الحرة الملكة الى عمرو ابن عرفطة الجنبي فاجابها ، وضم عندها بذي جبلة وبعثت الى وجوه القبائل ففرّقت فيهم عشرة الف مثقال مصرية ، وقالت للرسل اشيعوا في العسكر ان ابن نجيب الدولة فرّق في الناس عشرة آلاف دينار مصرية ، فلما شاع ذلك في العسكر اجتمعوا وقالوا ان انفق السلاطين علينا من الذهب المصري والا ارتحلنا ، فلما خوطب السلاطين بذلك وعدوا الناس ، فلما كان من الليل ارتفع السلاطين كل منهم الى بلده ، واصبحت الحشود من كل بلد بلا رئيس، فانفض الناس عن الجند، فقيل لابن نجيب الدولة هذا تدبير التي قلت انها قد خرفت ، فركب اليها الى ذي جبلة فتنصل واعتذر،

--- مفتخرا ببلائه مع الموفق ابن نجيب الدولة ويذكر تفرقت الجنود عن الجند ، وكتب بها الى قومه، القصيدة

خليلي اني قد قصـصت عليكما \* مع الركب من انبائنا ما تقدّما

وها انا والله الموفق مورد من \* القول ما يشفي الغليل المضرما

ومهد سلاما كالرياض تأرجت \* وفتح منها الرشح نورا مكتما

وان نسي الاخوان بأسا وقسوة \* خليلا --- او غورا فاتهما

فلم ينسني بعد الديار ودادكم \* ولا مسلكي شرقا وغربا مقدّما

ولم انسكم والنبل حولي كأنها \* سراع يعاسيب فرادى وتؤما

ورش جياد الخيل منا ومنهم \* خضاب دم قان يخيل عندما

ابثكما ان الغواة تألبوا \* علينا وقادوا كل انكد اسأما

عساكر فيهم كل ضد وناصب \* وغاو مرتد يرى النور مظلما

جموع عبيد الله ظلما وردة \* وجند يزيد سطوة وتغشما

فلما توفى القوم من كل وجهة \* وفج وامسىكل حزب مخيما

واعجبهم آرائهم وجموعهم \* واصبح منهم ثعلب القوم ضيغما

اشاحوا من السنحان صبحا وجندوا \* لاجناد جند كالجراد عرمرما

صفوف قسى حلف عوامر \* وصف يهزون الوشيج المقوّما

كمثل اعاصير الربا وكوابل \* من المزن او امواج بحر تلطما

وحامت عقاب الحرب فينا وفيهم \* وظل لها طير المنية حوّما

فردهم جيش الامام وحزبه \* و قد امطروا صخرا علينا واسهما

بوابل نبل والعجاج سحابه \* وبارقه لم الظبى حين اسجما

وتدبير داعيه الموفق انه كمي \* اذا ما ابرم الامر احكما

وفلت شباهم عصبة يذكرية \* ترى الصبر في يوم الكريهة مغنما

تحامى على احسابها وعهودها \* وبنيان سامي مجدها ان يهدما

فولوا فرارا بعدها وتفرّقوا \* وادبر قوما هم جميعا واحجما

ولا يستوي حزب الامام وجنده \* واتباع مرتدين حانا واجرما

فذلكما ما كان من علم حالنا \* واخبارنا صدقا الى الآن فاعلما

وصلى على خير الانام محمد \* وابنائه الله العظيم وسلّما

وما زال ابن نجيب الدولة في اليمن حتى وافي كتاب امير المؤمنين الآمر باحكام الله سلام الله عليه الى الحرة المكلة يأمرها باشخاصه الى مصر ، فلما ركب ابن نجيب الدولة في الخليج احتال بعض من يكرهه وبذلوا لربان المركب مالا فاحتال عليه حتى غرقه في البحر ، وغرق مع ابن نجيب الدولة كاتب الحرة الملكة ابن الارزني، فماتا جميعا غريقين في البحر رحمة الله عليهما ، وقد اشاعوا على الموفق في الدين ولي امير المؤمنين انه دعى الى نزار ، فبرئته الحرة الملكة مما يتقولون، واظهرت طهارته مما يزعمون ،

--- ابن اخي الداعي الاجل علي ابن محمد الصليحي بعد ابن نجيب الدولة ما كان اليه ، واقامته للقاء المعاندين في الحرب ، وقدّمته في اليمن للدفاع عن دولتها والذب، ونعت بفخر الخلافة

--- يذكر ما خص به من التشريف والتقديم في المكان الزليف

يا غاديا من معافى السير معتزما \* لا يتقي الاين والوعثاء والالما

يطوي الصفاصف مختارا لطينته \* بذي رميم يفوق الاينق الرسما

يظل للامعن الصوان منتعلا \* وللحيازم والغيطان مخترما

يخال في الهضب عودا اعصمنا \* وقلاد وفي الفلا سـسا في وابل سما

يؤم بالوخد اعلام الصوى طلقا \* الى الذي صار في دين الهدى علما

احمل سلامي الى المختار عن كثب \* فخر الخلافة والثم كفه امما

ندب سمى للمعالي وهي سامية \* وارعف الصارم الهندي والقلما

وحاز من نسب الاصلوح ذروته \* وحاشد واعتلى الهامات والقمحا

رئيس همدان بل كهلان اجمعها \* بل قرم قحطان حاز العلم والكرما

اوفى بني الدهر في شام وفي يمن \* قولا وفعلا واعلى يعرب همما

ومنصبا ومحلا شامخا وعلى \* عند الفخار واسنى رهطه اشما

لما رأى الله ركن الدين منهدما \* والعدل مهتضما والحق مخترما

حباه بالرتبة العليا وشرّفه \* بدعوة الدين حتى عز وانتظما

وساقها نحوه عفوا لطاعته \* وحسن سيرته كهلا ومحتلما

فدونك الدر منظوما محاسنه \* يعمي الثناء ويجلو نوره الظلما

فاحيهه وابق ما ناحت مطوقة \* ولا تمته فيمضي سلكه رمما

يا من اليه عيون الناس طامحة \* ومن لدولته الحساب تنتظر

انت المغرنق من سر الملوك ذوي \* الاحساب والشرف الواضح ان ذكروا

وانت من دوحة الاصلوح نبعتها \* والاصل يشبهه الاغصان والثمر

عليك مني سلام الله ما طلع \* السعدان والشمس والنحسان والقمر

وما زالت الدعوة الشريفة الآمرية حيث انتشرت من الاقطار جارية على السعود ، ومنقمعا عنها كل شانئ وحسود ، والحرة الملكة قائمة بنشر اعلامها في اليمن، منتصبة لذلك انتصاب من هدى واحسن، والداعي السيد قاضي القضاة يحي ابن لمك منتصب معها باقامة الدعوة ، كائن في اهل الايمان الدليل الى ا لخير والقدوة ، فاقاما الداعي الذوئيب من موسى الوادعي كوكب اليمن الوقّاد ، وشهابه المرمي بثواقب براهينه شياطين العباد، داعيا في الدعوة الشريفة ، وجعلاه بعدهما القائم في الدعوة والخليفة ، فيقال انه اجتمع عدة من سلاطين اليمن الى قاضي القضاة داعي الدعاة في اليمن يحي بن لمك بن مالك الحمادي اعلى الله قدسه ، وكل من اولئك السلاطين يرى انه ستقع عليه باقامة الدعوة الشريفة الاشارة ، ويتطلع الىان يلي ايراد الامر فيها اصداره ، والذوئيب بن موسى قدس الله روحه متواضع مع علو رتبته ، ولا يوبه به الى ما يشار اليه من عالي منزلته ، فحين اجتمعوا عند القاضي يحي بن لمك اعلن بالتعريف بفضل الداعي الذوئيب بن موسى وعالي مقامه، وانه المعاضد له والخالف له بعد انقضاء ايامه ، وبدى على السلاطين والمؤمنين التقليدان من الحرة السيدة ولية امير المؤمنين وكافلة اوليائه الميامين ، ومن داعي الدعاة وقاضي القضاة يحي بن لمك ذي حجج الواضحة والبراهين، فسمع اهل الفضل والديانة قول الحرة الملكة حجة الامام الآمر ، وقول داعيه يحي بن لمك ولم يكن منهم جاحد ولا مكابر، وتوقف قوم توقف المتحيرين ، واعرضوا عنه اعراض المصرين المستكبرين، فكانوا بذلك النادمين الاخسرين، وقالت الحرة الملكة حسب بني الصليحي ما اعطوه الى الآن، ونظرت فيما هو اصلح لاهل الديانة والايمان، وكان الداعي الذوئيب بن موسى من دعاة اليمن كالمصباح ، وهو العالم العلم المجد في نجاة النفوس والارواح، وبه قامت الدعوة للامام الطيب بن الآمر صلى الله عليه في الآفاق، ووضحت وضوح الشمس في الضياء والاشراق، وكانت وفاة الداعي الاجل الافضل يحي بن لمك بن مالك الحمادي اعلى الله قدسه في شهر جمادى الاخرى من سنة عشرين وخمسمائة،

ووردت على الحرة السيدة الملكة البشارة بمولد امير المؤمنين الطيب ابن الآمر في سجل يتضمن من النص عليه ، والاشارة بشريف مقام الامامة اليه ، ولما وصل السجل الشريف بذلك الى الحرة الملكة وعرفت معناه ، وتحققت فحواه ، عملت بما به مولاها امرها ، واعلمت به من حضرها ، واذاعت ذلك في جميع المؤمنين، وعرفتهم ان ذلك نص على الامام الطيب ابي القاسم امير المؤمنين حتى تساوى في معرفة ذلك البعيد والقريب، واخذ كل منه باوفى نصيب،وقامت هي والداعي الاجل الذوئيب بن موسى بامر الدعوة خير قيام، ونشراها في الخاص من اهل دعوتهما والعام، واقاما معالم الايمان والاسلام، وشهرا ما للائمة عليهم السلام من الفضل، وامرا بما امر به الائمة الطاهرون من العدل، فعلت بهما الدعوة واستقامت ، وانتشرت في البادين والحاضرين وقامت ، واظهر الداعي الذوئيب بن موسى من علم الائمة الطاهرين، ونشره في الاولياء والمستجيبين، وعرف به فضله المبين، والداعي الذوئيب بن موسى كان مقره ومحله في حوث من ارض الظاهر، وهو العالم المفلق ، والمبرّز في الدعوة الذي هو كالبحر المتدفق، ولما علم امير المؤمنين الامام الآمر باحكام الله سلام الله عليه بما ورثه من علم آبائه الطاهرين، المأخوذ عن رسول الله رب العالمين، مما نزل به الروح الامين ، على قلب محمد سيد المرسلين ، ان نقلته قد دنى اوانها، وحان حينها وزمانها ، وان ذلك كائن، وولده الطيب عليه السلام في الطفولية ، كتب الى الحرة الملكة ودعاته كافة بالدعوة الى ولده ، وانه الخليفة من بعده ، وارسل الى الحرة الملكة السيدة الشريف محمد بن حيدرة سجلات تتضمن السلام عليها ، والاوامر والنواهي الواردة في كل وقت اليها ، وكان مما سفر به اليها منديل كم سمل ، وامر الشريف محمد بن حيدرة بتسليمه اليها ، فجعل الشريف ذلك المنديل في ثيابه ، وتعجب في قضية ارساله اليها بفرد منديل لما يعرفه عندها من الملك الجليل، ولم يعلم اسرار اولياء الله في جليل الخطر والقليل ، فلما وصل الشريف سألته هل خصّها الامام عليه السلام معه بشيء من اوامره وملطفاته التي جرت بها عوائده اليها ، فقال ما عندي شيء غير ما ابلغته وقد نسي ذلك احتقارا له ، واقام اياما ثم انه افتقد ثيابه ليلبس منها شيئا فوجد ذلك المنديل فاخذه وجاء به الى الحرة الملكة رضي الله عنها واعتذر في نسيانه اليها ، فاخذته منه وكان المنديل سملا ، ثم فاضت عيناها بالدموع، فسألها من لديها عن ذلك ، فقالت ان مولانا نعى الى نفسه ، وقد كان قال في سجله الشريف وقد امرنا الشريف محمد بن حيدرة ان يسلم عليها بما تعمل بحسبه ، فلم تسأله حين سألته ما الذي خصها به الامام من ملطفاته واسراره الا لقوله لها بما تعمل بحسبه ، ولم تظهر لها امر تعمل عليها حتى وقفت على ذلك المنديل، ورأته سملا ، فعلمت انه نعى اليها نفسه

ولما آتت نقلة الامام الآمر باحكام الله امير المؤمنين سلام الله عليه الى جوار ربه ، ولحوقه بمحمد وحزبه ، كان يرمز بذلك لخاصته وخلصاء اوليائه القائمين بدعوته ، فمن ذلك انه كان جماعة منهم بين يديه فقربت اليه معشره فيها تفاح حسن اليه، وفي ذلك التفاح حبة حسنة كبيرة خضرة ونضرة، فاخذها صلوات الله عليه واستدعى بسكاكين فركزها جميعا في التفاح ، ثم قال للحاضرين بين يديه ان هذا مثلي سوف القط من بينكم ويقع علي الحديد كما اريتم ،

ومن ذلك ان علي بن الحسين كاتب الحرمين سفره الى ابن ابي الهاشم صاحب مكة المشرفة الى الحضرة الشريفة الآمرية ، فامر امير المؤمنين الداعي ابا الفخر بانزاله واكرامه ، واقام علي ابن الحسين حولا كاملا ، وابو الفخر يلاطف الامام عليه السلام ويذاكره في خلاص حوائج علي ابن الحسين وعودته الى الحرمين ، فلم يجبه الامام عليه السلام بغير قوله ، يا ابا الفخر مسكين ابن مسكين مقتول بالسكين،

فلما كان يوم الثلثاء من ذي القعدة من سنة ست وعشرين وخمسمائة خرج امير المؤمنين الآمر باحكام الله عليه السلام في موكب عظيم من الجيوش والعساكر والرأيات عليه خافقة ، والعيون اليه رامقة ، وقد تمالا قوم من الملاحدة النزارية اللعناء ان يفتكوا به عليه السلام ، فعلى رجل من اولئك النزارية اللعناء الى رأس منارة عالية ثم القى نفسه من اعلاها ، فكانت في الناس روعة ، ومال الموكب نحو ذلك اللعين الملقي نفسه ليعلموا شانه ، وعاجل بقية اصحابه اللعناء الفرصة فوثبوا على الامام عليه السلام فطعنوه بسكاكينهم ، وقد اكثروا فيها السم ، ومال الناس عليهم مقلقين غضابا ، فقطعوهم آرابا ، وعاد الامام عليه السلام الى قصره وهو لما به ، ودخل القصر متكأ على ابن عمه عبد المجيد ، وامر عند دخوله القصر باحضار حججه وابوابه، والخلصاء من دعاته واولياءه واصحابه، فجدّد النص على ولده الامام الطيب ابي القاسم امير المؤمنين واخذ البيعة له واودع ابن عمه عبد المجيد قصره وظاهر ملكه ، بعد ان اخذ البيعة عليه وتأكيدها انه حافظ لما في يديه للامام الطيب ابي القاسم امير المؤمنين ، ومسلم اليه جميع ما امره ان يؤديه اداء الثقة الامين، واحضر ابن مدين وكان لديه صاحب المنزلة العلية ، والقائم بالرتبة العظيمة البابية ، واستودعه الآمر عليه السلام الامام الطيب ابي القاسم امير المؤمنين ، واعلمه انه مقتول بعده، وامره ان يستودع صهره ابا علي القائم بعده برتبة البابية، والخالف له في منزلتها السنية، وان يكون ذلك الامر لديه وديعة لولده الامام الطيب صلوات الله عليه، وان يستر بستره، ولا يخالف شريف امره ، وانتقل عليه الصلوات السنية ، والبركات الرضية ، والرحمة والرضوان من الله باري البرية من ليلته ، وعظمت المحنة والبلية لنقلته ،

والحمد لله على نزول قدره ، و عظيم قدره ، وصلى الله على رسوله محمد والطاهرين من معشره ، و سلم عليهم سلاما دائما كثيرا ، وحسبنا الله كافيا ووكيلا ونصيرا

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله مصرف الامور ، ومخالف الايام والدهور ، الذي جعل اوليائه متعاقبين في الستر والظهور كما جعل الظلمات والنور، وجعل الظل والحرور،وصلى الله على رسوله المبعوث بالكتاب المسطور، والمنعوت فضله في التوراة والانجيل والزبور،وعلى وصيه دامغ كل كفور ، علي ابن ابي طالب الفائز متواليه يوم الحشر والنشور، وعلى الائمة من ذريته اولي الفضل المشهور، القائل فيهم جدهم ان منهم الظاهر الموجود والخفي المغمور.

**ذكر ما كان من الامتحان بعد وفاة الآمر عليه السلام والتغلب، واستتار مولانا الامام الطيب ص ع**

كانت ولادة الامام الطيب ابي القاسم امير المؤمنين سلام الله عليه في القاهرة المعزية ، وقد علم ابوه الآمر باحكام الله امير المؤمنين بما انتهى اليه ، وقد علم آبائه الطاهرون الذي اسناده الى جدهم محمد خاتم النبيين صلى الله عليه وعليهم اجمعين، ان مدة عمره قد آن استقصاءها ، ودنى انتهاءها ، فكتب بسجلات البشارة بولده ابي القاسم والنص عليه ، وبيّن فيها الاشارة بالامامة اليه ، ومن ذلك سجله الوارد الى حجته الحرة الملكة الصليحية ، القائمة بامر الدعوة والملك في الجزيرة اليمنية .

وهو ما هذا مسطور، عليه العلامة الشريفة الامامية الآمرية سلام الله على صاحبها

بسم الله الرحمن الرحيم ،

الحمد لله رب العالمين ، من عبد الله الامام المنصور ابي علي الآمر باحكام الله امير المؤمنين الى الحرة الملكة السيدة الطاهرة الزكية ، وحيدة الزمن ، سيدة ملوك اليمن، عمدة الاسلام ، خالصة الامام، ذخيرة الدين ، عمدة المؤمنين ، كهف المستجيبين ، عصمة المسترشدين ، ولية امير المؤمنين ، وكافلة اولياءه الميامين، ادام الله تمكينها ونعمتها واحسن توفيقها ومعونتها ، سلام عليك ، فان امير المؤمنين يحمد اليك الله الذي لا اله الا هو ، ويسأله ان يصلي على محمد جده خاتم النبيين وسيد المرسلين ، وعلى آله الطاهرين، الائمة المهديين، ويسلم تسليما .

اما بعد

فان نعم الله عند امير المؤمنين لا تحصى بعد ، ولا تقف عند امد وحد ، ولا تنتهي الى الاحاطة بها الظنون، لكونها كالسحاب التي كلما انقضى منها سحاب اعقبه سحاب هتون، فهي كالشمس الساطعة الاشراق، الدائمة الانتظام والاتساق ، والغيوث المتتابعة الاتصال ، المتوالية في الغدو والآصال ، ومن اشفها لديه قدرا ، واعظمها صيتا وذكرا ، واسناها جلالا وفخرا ، الموهبة بما جدده الآن بان رزقه مولودا زكيا، رضيا مرضيا ، برا تقيا ، وذلك في الليلة المصبحة بيوم الاحد الرابع من شهر ربيع الآخر سنة اربع وعشرين وخمسمائة ، ارتاحت الى ذكره المنابر ، وتطلع الى مواهبه آمال كل باد وحاضر ، واضاءت بانوار غرته وبهجة طلعته ظلم الدياجير، وانتظمت بد للدولة الفاطمية عقود الفضائل والمفاخر ، استخرجه من سلالة النبوة كما يستخرج النور من النور ، ومنح امير المؤمنين منه ما قدح زناد السرور ، وسماه الطيب لطيب عنصره ، وكناه ابا القاسم كنية جده نبي الهدى المستخرج جوهره من جوهره ، وامير المؤمنين يشكر الله تعالى على من منّ به من اطلاعه كوكبا منيرا في سماء دولته ، وشهابا مضيئا في فلك جلالته ورفعته ، شكرا يقضي باستدامة نعمته، وادرار سحائب طوله ورأفته ، ويسأله ان يبلغه فيه كنه الآمال، ويصل به حبل الامامة ما اتصلت الايام بالليال، وان يجعله عصمة للمسترشدين، وحجة على الجاحدين، وغوثا للمصطرخين ، وغيثا للمنتجعين، ووزرا للخائفين ، وسعادة للعارفين، لتنال الدنيا بسعادته اوفى حظوظها وقسمها ، وتصبح الامامة مفترة عن ناجذ مبسمها ، ولمكانك من امير المؤمنين المكين، ومحلك الذي ارتفع عن المماثل والقرين، اشعرك هذه البشرى الجليل قدرها ، العظيم فخرها ، المنتشر صيتها وذكرها ، لتأخذي من المسرة بها باوفى نصيب، وتذيعها فيمن قبلك من الاولياء والمستجيبين اذاعة تساوي في المعرفة بها كل بعيد منهم وقريب، لينتظم بها عقد السرور، ويتضوع عرفها تضوع الصندل الرطب في البادين والحضور، فاعلمي هذا واعملي به ان شاء الله تعالى ، والسلام عليك ورحمة الله وبركاته ، وكتب في المذكور والحمد لله وحده وصلىالله على جدنا محمد ورسوله وآله الطاهرين ، وسلم تسليما ، وحسبنا الله ونعم الوكيل ،

ولما وصل السجل الشريف المذكور المسطور في شان الامام المستور الى الحرة الملكة وعرفت معناه ، وعلمت فحواه

فحين وصل هذا السجل الى الحرة الملكة اذاعته كما امرت فتساوى في معرفته البعيد والقريب، واخذت من المسرة به باوفي نصيب، وعلمته كافة الدعاة في الجزيرة اليمنية وعلموا به ودلوا من قبلهم على كون الامام الطيب عليه السلام هو المنصوص عليه المستحق للامامة بعد ابيه، والخالف له بعد غروبه ومغيبه ، وانه خليفة آبائه الطاهرين ، والوارث لفضلهم المبين، وحين وقعت الحادثة بالفتك بالامام الآمر عليه السلام اكد الامر على الحاضرين في شريف مقامه ، وعرفهم ما اوجب عليهم من ولاية ولده وانه الخالف بعد انقضاء ايامه، واستودع عبد المجيد كما ذكرنا في ملكه وقصره ، واستودع ابن مدين حجته وبابه في مكنون علمه وشريف امره ، وحين كانت وفاة الآمر باحكام الله سلام الله وصلواته ورضوانه عليه قام الدعاة الفضلاء الثابتون على اكيد الديانة والولاء بالدعوة الى ولده امير المؤمنين الطيب ابي القاسم بعد اخذ العهد والبيعة له على كافة الاولياء والمؤمنين ، والحدود والمستجيبين، حيث كانت دعوة ابيه عليهما السلام قائمة ، وولايته ثابتة لازمة ، ولما انتهى ذلك الى جزيرة اليمن قامت الحرة الملكة السيدة والداعي الذوئيب بن موسى الوادعي رضي الله عنهما باخذ البيعة والعهد لمولانا الطيب عليه السلام والدعوة اليه سرا واعلانا ، وجهرا وتبيانا ، واظهرا في ذلك الحجة ، واوضحا المحجة ، لكافة الدعاة والمؤمنين ، والاولياء المستجيبين، وامرت الحرة الملكة عند قرائة المجالس الشريفة مجالس الحكمة بالصلوة على الامام ابن الآمر باحكام الله امير المؤمنين عليه السلام ، وكان الشريف السيد الفاضل محمد بن حيدرة الحسني باليمن منذ ورد بالسفارة من الامام الآمر باحكام الله عليه السلام الى حجته الصليحية ، وهو من افاضل الاولياء الحاضرين النص، ولذلك ندبه مولاه مشرفا له بالسفارة واختص، ونعى الامام عليه السلام نفسه الى الحرة الملكة على يديه ، بما عرفته وتحققت الاشارة عليه .

فخطب خطبة في حال العزاء في الامام الآمر باحكام الله سلام الله عليه فقال :

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي لا تحيط به المعارف والاسماء ، والفكر اذا ارتقى في درج الاحوال المعرفة رجع عن ادراكه اعمى ، ابدع الخلق روحا وجسما ، وجعل انفصال احدهما عن الآخر بالموت قضاء حتما، لم يخلد ملكا مقربا ولا نبيا مسمى ، بعث محمدا رسوله اكرم المرسلين ابا واما، وافضل من يعزى من البرية وينمى، فعمره سبحانه ما شاء ثم قبضه اذا كان اجله تما، بعد ان جعل ولاية وصيه علي ابن ابي طالب على الامة حتما، واعلم الامة انه مولاهم بعده علما ، صلى الله عليهما وعلى الائمة من ذريتهما كلمة الله المنتقلة في القروم منهم كلما غاب قرم انجب قرما ، مستمرة تام من الانزع البطين الى مولانا وسيدنا الامام الآمر باحكام الله امير المؤمنين واحدا بعد واحد اما ، فعاش عليه السلام ما وهب الله في الخلافة يفيض على هذه الامة افضالا جما، ويروون في ظلمه شربا ويشبعون طعما ، فكانت الايام به باسمة والليالي منيرة لا ظلما ، فاختار ربه تعالى له النقلة الى زمرة آبائه الطاهرين فاعلاه عن العالم السفلي واسما ، فعين الجلالة لفقده لا تدمع بل تدمى ، والشريعة حاسرة لمصابه الآيسة حزما وهما ، لولا ما تدارك الله به الامة عن سليله القائم مكانه بالنص الجلي منه حقا لا وهما ، البيعة التي كانت لمحمد وعلي تامورا وحلما، مولانا الامام الطيب ابي القاسم امير المؤمنين صلوات الله عليه وعلى آبائه الطاهرين وابنائه الاكرمين المنتظرين بقية الله فينا المتحد بها نوره الرباني وسما ، والعقب الطاهر المنتظم ما دام في العالم انسان نظما، فلله مصاب رمي الاسلام فيه بالنآد فاصمى ، ونعمة ردفت است جرحا وابرأت كلما ، فاحسن الله لنا ولكم العزاء بامامنا الماضي حزنا وغما، وهنأنا وهنأكم بالنعمة في بقية الله امامكم الحاضر الموجود غبطة ونعما، والهمنا واياكم التأسي باهل البيت الذين مزقوا في سبيل الله عدوانا عليهم وظلما ، اللهم وايد بروح منك الامام الذي اقمته لنورك متما ، واورثته تراث الامامة في المهدوآتيته في الصبى حكما ، واجعل مرمى كافله وولي العهد فيه اصوب مرمى ، كما كان من لحمته الطاهرة دما ولحما ، وايد اللهم دولته العلوية الطاهرة بنصر وزير مملكته ومدبر ما وراء سرير خلافته قولا وعزما ، والسيد الاجل الافضل امير الجيوش سيف الاسلام ناصر الامام كافل قضاة المسلمين ومعاضد دعاة المؤمنين علي ابي احمد فتى مولانا صلوات الله عليه امض اللهم له في الاعداء حساما وسدد سهما ، واشتد لعزائمه من ملوك الآفاق عربا و عجما، كما تقيل في خدمة وليك عن ابيه وجده درجة شما ، واجعل اللهم اتم العائم منك بتعمير حجة وليك وحجة آبائه الطاهرين بهده الجزيرة تعميرا لا ترى له حسما ، ورد اعين الحوادث كمها وآذانها صما ، وارغم معاندها بنصر منك بعز كلمة الايمان للمعاندين رغما ، مولاتنا ومالكتنا الحرة الملكة السيدة المرضية الطاهرة الزكية ، وحيدة الزمن ، سيدة ملوك اليمن ، عمدة الاسلام ، خالصة الامام ، ذخيرة الدين ، عمدة المؤمنين ،عصمة المسترشدين، كهف المستجيبين، ولية امير المؤمنين ، وكافلة اوليائه الميامين، اللهم وكما وهبتها في طاعة اوليائك وائمة دينك واحدا بعد واحد رأيا سديدا ونظرا حزما، وتواتيا لاهل الجزيرة بسياستها العادلة سكونا وسلما، فامددها بفاتحة من نصرك واختم لها بالخيرات ختما ، واغفر للمؤمنين والمؤمنات واغفر لنا ولهم خطيئات وجرما

والحمد لله الذي اسبغ على عباده احسانا جما ، وصلى اللهعلى محمد رسوله الذي رفعه على النبيين واسمى، وعلى وصيه علي ابن ابي طالب الذي اهلك الكافرين واقما ، وعلى الائمة من ذريتهما الوارثين لهما فضلا وعلما .

وقال الشريف محمد بن حيدرة يرثي مولانا الآمر باحكام الله ويذكر ولد الطيب ابا القاسم صلوات الله عليهما وانشد في العزاء :

تصاولنا ايامنا وتداوس \* وتبلغ ما شاءته والمر بائس

وما يستر الانسان الا صفائح \* تهال عليه في الثرى ودوامس

كأن الورى غرقى جميعا بلجة \* فطاف بها عاني الهلاك وقامس

وكيف بقاء المرء يعتقب الضحى \* عليه وليل حالك اللون دامس

لقد ضل من شاد المغاني محرسا \* عليه ولا يغنيه مغنى وحارس

فسل عن بني ساسان في ملك فارس \* وما عمروا في الدهر يخبرك فارس

بان شخوص القوم ردم دوارس \* وان ديار الملك وحش طرامس

وكم من ملوك قد تقضوا وملكهم \* وانت عن اللقيا لامسك آئس

ولو كان يحميها الجلال لاحجمت \* عن الآمر ابن المصطفى اذ تمارس

اتانا نعي عنه كادت له الربى \* تدك رواسيها وتطوى البنابس

ولله يوم غادروا ابن نبيهم \* لديه ومنه السيف احمر وارس

فساء نهارا ذلك اليوم انه \* اعيد عليه ليله وهو شامس

بسوء رسول الله احمد موقف \* على ابن بنيه يومه فيه عابس

فلا بارك الرحمن في امة لهم \* بنو المصطفى في كل وقت فرائس

كأنهم يبغون ثار ابيهم \* فتعزو بنيه رجلهم والفوارس

دمائهم شث على كل بقعة \* يسيل بها الثرى والدواهس

على الآمر المنصور اذ غاب شخصه \* ربوع الهدى والدين قفر دوارس

تبكي عليك الآل والشرع والهدى \* ويسعدها ادياننا والنوامس

وانت الذي يفضي اليك اختصاصها \* وعنك انجلى اشكالها المتلابس

ندوس بك النهج القويم فيهتدي \* بهديك مناحيث ماداس دائس

فجاورت رب الناس تركا لعالم \* هم في ظلام لا يرى الكف لامس

ورقيت في حزب الدين عدا على \* دمائهم في الاقدمين الابالس

كيحي او ساعير النبي ومثل ما \* اصابت اباك السبط امس الاحامس

تأس ففي هذا لنا خير اسوة \* برفض لها الندب الزمان القداحس

وفي نجلك الهادي الذي قد نصبته \* هدى ظن غاو انه منك واكس

وهيهات ان يطفى بقول معاند \* لحقكم نور له الله قابس

وانتم بنو من كالقاب دانيا \* من الله لا ما قاس بالقاب قائس

ولكنه سر الاله لديكم \* جلي وهل للحق والصدق لابس

تجلى به الروح الامين لجدكم \* بنور به الهادي محمد آنس

فاودعكم تلك الامانة اذ مضى \* لها سائس من بينكم قام سائس

الى ان يقوم الحشر ذلك دائبا \* وما دام فوق الارض تنبس نابس

واين المدى في فخر منتظر له \* تناهت دلالات عليه حبائس

امام تولى جبرئيل غذائه \* بحكم اله للامام يحارس

فان يك طفلا راضعا فهو ناطق \* بهدي على عطفيه منه ملابس

هي الرتب اللاتي تنقل فيكم \* وفي مثلها لا يطمع المتنافس

وان قد مضى المنصور فينا فذا ابنه \* وفي الفرع مغزى اذ يصاب المغارس

ولولا تسلى النفس مني بفترة \* تزول اذا قدّت فوادي الهواجس

وما ربط الاسلام الا ابن فاطم \* وكل مصلي بالشآم كنائس

وما قضت الاقدار منه بموته \* كذلك الا ان ذا الحظ تاعس

واني لاخشى ام دفر اذا بدت \* وبانت لمن فيها الامور الخسائس

وأعلم ان الموت قصرى حياتها \* وسيان رطب سوف يفنى ويابس

فمن ذا الذي يغتر منها بضحكة \* يلاقي غدا من يومها وهو عابس

مضى تبع والانجم الزهر من علي \* وهنّ براق سعدها والمناحس

سنمضي ويأتي بعدنا من تضمهم \* غدا مثل ما ضمت علينا المجالس

وفي ذاك للناس اعتبارا ودائهم \* طعام تلوس القوت منه اللوائس

كأن الليالي والنهار سوابق \* تطارد فالاعمار منها شوامس

سلام على الدنيا فاني تركتها \* لمن غمسته في هواها الغوامس

وقال قس من اخرى اولها قوله

لو وعيت النعى كنت حزينا \* غير اني خولطت منه جنونا

الى قوله :

قدس الله من ثوى بقصور \* المقس ملقىبها عدا مدفونا

وعليه السلام ما دام يتلو \* كل عام من السنين سنينا

آه مني مصيبة اصبح القلـ \* ـب لمن يعتري اليها حزينا

ولئن كان جرحها واسع الفكـ \* ـر سيأسو سليله الجرح فينا

الامام الذي به استدرك الله \* الحنيفي ان يرى مفتونا

امسك الله منه افضل نفس \* اذ بدى نصه لنا مستبينا

وهو نور الاله اخبر عنه \* بتمام في الآي اذ تقرؤنا

بين الله في الكتاب لنا ان \* بهاد منهم لنا يهدينا

بايعوا بيعة الرضى لامام \* واجعلوها سلما لكم امنينا

وابذلوا الاجر في القرابة للمنـ \* ـتظر الطهر كي تروا جبرينا

فهو تحت الجناح يغذوه بالعلـ \* ـم صبيا وراضعا وحنينا

نطف طبن في القفار من الـ \* ـصلب واذا هبطت قرارا مكينا

جاء بالوحي جده وابوه \* كان صديقه من القابلينا

فانظروا بينما تزول به الفتـ \* ـرة مستعصمين من القابلينا

واعلموا انه امتحان من الله \* ليبلو مستبصرا وظنينا

وقال ايضا قدس الله روحه :

ارى الآيات مقفرة المعاني \* ومسلكها سدى من ترجمان

ومهبط جبرئيل عفت عليه \* مدارس من تلاوات القران

وعادت فترة من بعد عيسى \* مضت واوانها في ذا الاوان

كان متمسكا بالدين فيها \* مرى شوك القتادة بالبنان

اتغدر امس بالمنصور جهرا \* وتطمع ان تفي لك بالامان

على الايام من دم آل طه \* قميص ليس يبرح قط فان

كان الدهر ينفض منه صبغا \* على المرجان او قطع الجمان

فما تنفك تسقي الارض منه \* ليوجد في ثراها الاحمران

ويسلي القلب ان النور فيها \* تحول من فلان في فلان

اذا اخفى شخص اب هجان \* نور بدى في ابن هجان

تضمن ذلك المنصور حقا \* فلما مات اوفى بالضمان

فابقى بابنه عن صادقيه \* كما ابقى الهلال النيّران

تكفل جبرئيل له بهذا \* يشير لشانه قبل البيان

فمهبطه لدى مهد كريم \* له تشتاق اصحاب الجنان

عطاء الله هذا لا كمعطى \* بني ساسان وابن المرزبان

مضوا كالامس الا رجم ظن \* ومطلب نائت عند الاماني

فلا تركن لدار ان تغادر \* شجاعا تبتليه بالجبان

تصيد الاسد بالذؤبان جنبا \* وتفترس القوى بكف وان

واني ان تبسّم لي عبوس \* وان تدنو فاني غير دان

ولي شان وللايام شان \* ويأتي شانها بخلاف شاني

وظهرت الدعوة بعد نقلة الامام المنصور الآمر باحكام الله الى ابنه الامام الطيب ابي القاسم صلى الله عليهما وعلى آبائهما الطاهرين، وابنائهما المنتظرين ، واخذت الدعاة له البيعة والعهد ، وعرفوا بفضله اهل الولاية والود ، وكان المنتصب للدعوة اليه في الديار المصرية ، هو ابن مدين الذي اقامه الامام الآمر باحكام الله تعالى في الرتبة البابية، وصهره القاضي ابو علي الذي اشار اليه بحفظ رتبته ، وان يقوم بالدعوة الى ولي الله ويغيب بغيبته ، والحرة السيدة الصليحية باليمن والداعي الذوئيب الوادعي قائمان بالدعوة الى الامام الطيب ابي القاسم امامهما ، منتصبان في ذلك مدة ايامهما ، وعبد المجيد قائم بحفظ القصر وظاهر الملك لا يدّعي الامامة ، ولا يعرف بها عند الخاصّة ولا العامّة ، حتى ظهر ابو علي بن الافضل بالضدية ، وتغلّب على الديار المصرية ، وقصد القاهرة المعزية ، واظهر دين النصب، وعداوة الائمة في البعد والقرب ، وعمد اولياء الله بالقتل والنهب، وفرّقهم في البلدان ، وصال فيهم صولة امثاله من اولي الطغيان، فخاف الاولياء على الامام من جوار احزاب الشيطان، واهل البغي والعدوان ، فاخرجوه خائفين مترقبين ، ساترين له عن الباغين والناصبين، وكان عبد المجيد قد بدت منه امارات النفاق ، وطمع في الملك واظهر الشقاق ، فلذلك افترقت امور الشيعة والاولياء ، واضطربت المملكة واظلمت بعد الضياء ، فبذلك استطال ابن الافضل وتغلب، واجتمع له من حشد والب ، وكان الامام الآمر باحكام الله سلام الله عليه قد اعلم اوليائه بوقوع حادثة الظلمة ، وقد كان صلوات الله عليه اشاع السفر ، وامر بعمل آلاته من الروايا والسفر ، فحين استشهد عليه السلام وظهر النفاق ، ونجم ابن الافضل بعداوة اولياء الله وقصدهم بالارهاق، اخرج الاولياء الامام عليه السلام ومعه ابوابه ودعاته الخلصاء ، وصفوة من لديه من اهل الفضل والصفاء، فخلت منهم بيوت القاهرة ، واستتر ولي الله كاستتار الشمس وقوع الليل وفارق الامة الغادرة ، وكان القاضي ابو علي صهر ابي مدين ممن استتر بستر مولاه، وسافر معه فلم يعلم الا المخلصون اين مقصده ومثواه ، وما زال الستر الى هذا الاوان، والامامة جارية في الامام الطيب ابي القاسم امير المؤمنين وعقبه الطاهرين في كل وقت وزمان، لا يزال ذلك حتى تقوم القيامة وتنقطع الدنيا ، ويصير الامر لله تعالى الذي اليه مصير الاشياء ، امر قضاه الله تعالى في التكوين، وحكمة حكيم كما قال الله تعالى انما امرنا لشيء اذا اردناه ان نقول له كن فيكون، ليتصل سبب رسول الله صلع بشريف نسبه ، وتبقى كلمة الامامة الى الساعة في عقبه ، وقد قال الصادق جعفر ابن محمد عليه السلام ان لله البدء والمشية في كل شيء الا في الامامة ، يريد انها باقية في الاعقاب الى يوم القيامة ، وقال عليه السلام ان الامامة لا تنقسم ولا تجري ولا تصير في اخوين بعد الحسن والحسين صلوات الله عليهما بذلك اخبر الثقات ، وقامت الدلالة وصحت الروايات ،

نرجع الى ما كنا فيه مما كان بعد ستر الامام عليه السلام

قال الداعي ابراهيم بن الحسين اعلى الله قدسه ، وان اختصاص امير المؤمنين الامام الآمر باحكام الله عليه السلام لابن مدين صاحب الرتبة ونسلان والعزيزي ورسلان وقويض ، وكانوا من افاضل دعاته واهل الاخلاص والاختصاص ، قال وكان ابن مدين صاحب الرتبة لا يزال في منزله ، وهؤلاء اصحابه لا يزالون بين يديه ، قونص دون الثلاثة في المنزلة، وكان الامام الآمر عليه السلام يقول هؤلاء الاربعةلا يثاقف عني غيرهم، وكانوا اذا سمعوا قوله عليه السلام لا يفقهون كثيرا منه ، ولا يروحون منازلهم حتى يدخلوا على شيخهم صاحب الرتبة ، فيقول قلتم لمولانا وقال لكم ، واشارته الى كذا وكذا ومعناه كذا، وكان ذلك دابهم على مرور الزمان، فلما خفي عنهم قوله عليه السلام لا يثاقف غني غير هؤلاء الاربعة ، تقدموا الىابن مدين صاحب الرتبة، فسألوه عن ذلك فقال ان الامام عليه السلام يظهر الغيبة بالقتل ، فاذا اظهرهاوقع في البلد الخلاف ، وتولى الامر علي ابن الافضل ويعلن بدين النصب، ويقتل الاولياء ويطردهم ، فاذا قويت يده ارسل اليكم يا هؤلاؤ الاربعة يقول اما تبرأتم من الامام والا قتلتكم ، فتخاصمون عن الامام وتسبون الشيصبان، فيقتل نسلان والعزيزي ورسلان ، وتهرب يا قونص الى اليمن وتأتي بعد ذلك فلا يفوتك القتل ، واني اكون في بيتك يا عزيزي منكتما فيقبضوا علي بعد قتلكم في النهار الثاني ويعرضوا علي ما عرض عليكم ، فلا اختار الدنيا على الدين واشتشهد ، قالوا فمن الامام بعد اظهار المنصور الغيبة بالقتل، قال لهم انه السابع الطيب ، وانه مستور مكتوم ، قالوا فمن صاحب الرتبة بعد ذلك ، فانه انه صهري القاضي ابو علي ، وانه يغيب بمغيب صاحبه ويحل حيث حل ،

فلما وقع الامر الذي حكاه ، واستشهد الامام عليه الصلوة والسلام ، واستتر ولده الامام الطيب صلى الله عليه ، قام ولد الافضل كما ذكرنا واستولى على المملكة ومالاه الحسن ابن عبد المجيد على ذلك ، واعتقل اباه عبد المجيد وكان افحش الظالمين قياما، واشدهم سترا لنور الهدى واظلاما، وعمدا اولياء الله بالقتل وطرداهم كل مطرد ، وشرداهم كل مشرد ، واخرجوا النساء المؤمنات على وجوههن فخرج منهن الى الغرب ستمائة امرأة ، وامر الى الاربعة المذكورين من اصحاب ابن مدين ، وقال ان احبوا السلامة فليتبرؤا من المنصور وذريته والا قتلهم ، فعظم ذلك عليهم ، وشرد قونص الى بعض الدور ، وقال الآخرون آمنا بالله وباولياء الله وتبرأنا من الشيصبان، فقبض عليهم وقتلوا قدس الله ارواحهم ، وقتل معهم من المؤمنين بشر كثير رحمة الله عليهم ، وقبض على صاحب الرتبة ابن مدين من دار العزيزي وقتل قدس الله روحه ورضي عنه اليوم الثاني شهيدا ، وخرج قونص الى اليمن وعاد بعد ذلك فقتل رحمة الله عليه.

واما ابو علي الذي اقامه ابن مدين في مرتبته فانه ممن سافر مع الامام عليه السلام في سفره ، واستتر بستره ، ثم انه لما ظهر من ابن الفضل الجور والعدوان، والظلم والطغيان، بعد ما قد الف الناس من عدل الائمة، وحسن سيرتهم في الامة ، قاموا على علي ابن الفضل فقتلوه ، واخرجوا عبد المجيد من سجنه واقاموه فقبض على ابنه الحسن بن عبد المجيد وسجنه ، فاجتمعت الرعية من الحضرية والعسكرية في مقدار مائة الف الى باب القاهرة وطالبوا عبد المجيد في اخراج ولده اليهم حتى احرقوا باب النصر ، فلما ايقن منهم عبد المجيد بالقتل وخافه منهم امر بولده الحسن ميتا يزفون جنازته وقد امر بسمه لكي لا يتولى احد قتله ، فلما عرفوا ذلك واستيقنوا قبروه ، وسكتوا عن ابيه ، فحين خلى لعبد المجيد الامر وقتل المخلصون من اهل الولاء ، العارفون بالامامة واستقرارها في العقب الطاهر على الولاء، المخصوصين بالمقام الاسنى الاعلى ، وذلك حين استتر منهم من استتر مع امامه ، وقتل من قتل على يد ابن الافضل في ايامه ، فعند ذلك سمى عبد المجيد بن محمد بن الامام المستنصر بالله ص الى ما ليس له باهل ، وادعى الرتبة العلياء من الفضل، فمخرق على العالمين، ولم يراقب ديان يوم الدين، وادعى امرة الؤمنين، وكان قبل ذلك يكاتب الحرة الملكة السيدة ابنة احمد حجة الائمة في الجزيرة اليمنية ، ذات الرتبة الشريفة السنية ، من ولي عهد المسلمين وابن عم امير المؤمنين ، ثم كتب اليها من امير المؤمنين ، فقالت انا ابنة احمد بالامس ولي عهد المسلمين واليوم امير المؤمنين ، لقد جرى في غير ميدانه ، وادعى امرا يبعد عن مكانه ، واعلمت اهل دعوتها انه نكث عهده ، وخالف رشده ، وادعى ما ادعاه الظالمون من قبله ، وارتقى المقام وليس هو من اهله ،

ثم ارسل الى اليمن المسمى بالقاضي الرشيد، وهو في فعله وقوله غير سديد ولا رشيد ، واسم الرشيد احمد ابن علي ابن ابراهيم ابن الزبير العنباني ، فدعى الى عبد المجيد وافسد كثيرا من سلاطين اليمن مما بذل لهم من الرغائب ، واتاهم به من القول المزخرف الكاذب، فمال كثير منهم الى دعواه ، ورضي بالاستبدال عن دينه بدنياه، وباع اخراه باولاه ، وفي ذلك حجج للدعاة باليمن واضحة البراهين، مثبتة لجريان الامامة في العقب الطاهر بابين التبيين، وكونها جارية في عقب الامام الطيب ابي القاسم امير المؤمنين، تشهد بها الانفس والآفاق، وتقوم بها دلالات الحق على ساق، ولا يبعد الله الا الظالمين ، ويجعل الله العاقبة للمتقين، وقد انقطعت دعوة عبد المجيد اليوم في جزيرة اليمن، ولم يبق من يقول بها في سر ولا علن،

ثم ان عبد المجيد اطلق بزعمه سبا ابن ابي السعود الزريعي الجشمي الهمداني صاحب عدن، ونصبه داعيا اليه باليمن، فمال نحوه المريدون لحطام الدنيا ، الراضون بما هو ادنى عما هو خير وابقى واعلى ، وكان السلطان سبا ابن ابي السعود يظهر الدعوة الى الحافظ عبد المجيد وهو مالك لعدن والدملوة وما والاهما من البلدان، وقد ذكر انه لم يجب دعوة عبد المجيد ويدع اليه الا تقية وخوفا لما كان في ثغر فخاف سطوته ، وصولته وعداوته ، وانه كان باقيا على طاعة الامام الطيب سلام الله عليه واعتقاد ولايته ، والقول على ثبوت امامته .

قال الداعي الافضل السيد السديد ، علي ابن محمد بن احمد بن الوليد ، القريشي اعلى الله قدسه :

والصحيح انه لما كان عبد المجيد يومئذ مستوليا على الملك والسلطان كتب الى السلطان الاجل سبا ابن ابي السعود رحمة الله عليه يأمره بالدعوة له وصرف وجوه اهل بلاده اليه ، وكان اذ ذلك في ثغر من بلاده ، وغير آمن سطوته ان تظاهر بعناده ، فلم ير الا اسعافه بمراده ، غير ناظر في غي ذلك من رشاده ، وسأل السلطان المذكور الحرة الملكة اعلى الله قدسها اجازة ما كلف القيام به ليكون فسحها له تقوية لسببه ، ولم تطلق اعلى الله قدسها فيما سألها اياه نهيا ولا امرا ، ورأت ان الامساك عنه والاغضاء بها اجدر واحرى ، ولم تظهر الانكار عليه تقية من سلطان عبد المجيد ، وكون ذلك غير قادح في الولاية ولا التوكيد، كما لم يكن امساك امير المؤمنين علي ابن ابي طالب صلوات الله عليه في ايام خلافة الثلاثة بمبطل حقه ، ولا مؤخر سبقه ، وما كان في اثناء ذلك من المعونة لهم على كثير من الاحوال ، فتوهم معها الرضى بفعلهم كثير اغبياء الرجال، وقصده بذلك استعمال التقية ، وحياطة الملة الحنيفية ، وكذلك كان اغضائها اعلى الله قدسها عما كان من الدعاء الى عبد المجيد تقية على دينها، ورعاية لاهل دعوتها ومملكتها واهلها اقتداء في ذلك بمواليها،

الى قوله :

وكان عبد المجيد قد فرق في جزيرة اليمن على استمرار دعوته بها اموالا، ليوسع له بها فيما حاوله من الاستبداد بالامر مجالا ، فافتعل له المفتعلون بذلك من الروايات ، ما دعاهم اليه الطمع في الخلق والولايات، وتناقلوها بينهم وتدارسوها وتلك سبيل من سلف من اهل الصدر الاول في نصرة الباطل رغبة في تافه الحطام على الحق، وتمويها بمزور الاخبارعلى ضعفاء الخلق ، كما روي ان ابا هريرة اخذ من معاوية على الف حديث افتراء على النبي صلع في ما يوطد الخلافة لاضداد اهل البيت عليهم السلام اربعمائة الف درهم، فهذا قوله اعلى الله قدسه

وبنو زريع من رؤساء همدان ، وهم من جشم ، ثم يام بن اصيبا ، وكانت لجدهم زريع بن العباس بن المكرم سابقة محمودة ، وافعال حسنة معدودة ، وجهاد واجتهاد وفي قيام الدعوة المستنصرية مع الملك الاجل الاوحد الداعي علي بن محمد الصليحي ، ومع ولده الداعي المكرم احمد بن علي رضي الله عنهما ، وكان السبب في ملكهم لعدن ان الداعي علي بن محمد الصليحي لما فتحها وبنو معن فيها جعل الولاية لها اليهم ، وابقاها على ايديهم ، فحين استشهد قدس الله روحه نافقت بنو معن واظهرت الخلاف في اليمن ، فسار اليهم الملك المكرم احمد بن علي ففتحها وازال بني معن عنها ، وولاها زريع بن العباس بن المكرم ، وعمه مسعود بن المكرم ، وجعل مقر زريع بن العباس بتعكر عدن وهو يحوز الباب وما يصل من البر ، وجعل الى مسعود بن المكرم حصن الخضراء ، وهو يملك من الساحل والمراكب ، ويحكم على المدينة ، واستخلفهما لامرأته الحرة الملكة السيدة ، فوقفا في عدن حتى استشهدا جميعا على باب زبيد رحمة الله عليهما ، وكانا مع المفضل بن ابي البركات عامل الحرة الملكة في بعض غزواته ، فولى الامر بعدهما ابو السعود بن زريع وابو الغارات ، فمكثا مدتهما وولى بعد ابي السعود ولده سبا بن ابي السعود بن زريع ، وولى بعد ابي الغارات ابنه محمد بن ابي الغارات، وولى اخوه علي ابن ابي الغارات بن مسعود ، وكان من محمد بن ابي الغارات مدة ايامه الى سبا ابن ابي السعود ما غاظه واحنقه عليه من السفه وقبيح الكلام ، وبسط الايدي فيما كان اليه ، فصبر على ذلك سبا واحتمل ما يصير اليه من الاذى ، فلما ولي ابن ابي الغارات ازداد في بسط اليد وظلم العباد ، والعيث والفساد، فعيل من سبا الصبر ، وثار بينهم الشر ، فجرت بينهم حروب كثيرة وغوائل ، وقتال شديد هائل ، فضم سبا بن ابي السعود همدان اليه ، وانفق عليهم الاموال ، وبذل لهم البذائل ، حتى انفق كل ما في يديه ، فقيل انه انفق ثلاثمائة الف دينار حتى افلس ، ثم عاد الى التجار من اهل عدن وافترض منهم ما قضاه في حيوته ، وبقي عليه بعد موته ثلاثون الف دينا قضاها عنه ابنه علي بن سبا من بعده ، فغلب سبا بن ا بي السعود واستولى على عدن وحصونها وبلدانها ، ومات بعد ان قر له عدن بسعبة اشهر ،

وكانت وفاته سنة ثلاث وثلاثين وخمسمائة بعد وفاة الحرة الملكة الصليحية اعلى الله قدسها بسنة ، وولي بعده ابنه الاعز علي بن سبا فنفى اخاه محمد بن سبا ، فالتجى محمد ابن سبا الى منصور بن المفضل بن ابي البركات الى التعكر ، ولم يلبث علي بن سبا الا قليلا حتى مات ، فارسل بلال مولى سبا بن ابي السعود بن زريع لمحمد بن سبا وملكة عدن ، ووصل القاضي المكني بالرشيد من قبل عبد المجيد يتقلد لعلي بن سبا سنة اربع وثلاثين فوجد عليا قد مات ، فقلّد محمدا اخاه ، وفي سنة خمس واربعين وخمسمائة قتل محمد بن سبا علي بن ابي الغارات، واستولى على حصنيه الذين كان التجئ اليهما بعد ان زال عن خضراء عدن ، وهما المنيف والجبلة ، وهما مما يلي اعالي الحج ، وفي سنة سبع واربعين ابتاع المتوج المكين محمد بن سبا من الامير منصور ابن المفضل بن ابي البركات حصن التعكر ومدينة ذي جبلة وغير ذلك مما كان لبني الصليحي ، وانقلب ذخائرهم الى محمد بن سبا ، ثم لما توفي محمد بن سبا ولي بعده ابنه عمران بن محمد ، وجاءه التقليد من آل عبد المجيد ايام قيام الملك الصالح في مصر واعمالها ، ومات عمران بن محمد في سنة ستين وخمسمائة ، وخلف ولديه ابا السعود ومحمد ابني عمران، ودام الملك في ايديهم الى ان استولى على بلادهم عبد النبي ابن المهدي بن عبد النبي من مهدي وملك بلادهم غير عدن ، فانه صالحوه على تركها في ايديهم ، وكانت لبني زريع مكارم مشهورة ، ومفاخر مذكورة ، ومدحهم الشعراء بالحسن من الاقوال، واجازوهم بالكثير من الاموال، وهم من رؤساء همدان، وممن كانت لهم عند الدعاة الصليحية التقدمة والمكان

وما زالت الحرة الملكة الصليحية تدعو الى الامام الطيب عليه السلام في السر والاعلان، وتظهر فضله بواضح البرهان ، وتبين ما استحق من آبائه من النصوص ، وانه صاحب العصر الذي هو بفضل آبائه مخصوص، وعاضدها على ذلك الداعي الاجل الذوئيب بن موسى الوادعي فانتشرت دعوتهما في الآفاق ، وانقمع من اعتزى الى المجيدية من اهل الشقاق ، واقر بفضلهما الخاص والعام ، وازل بهما ما عرى شمس الامامة من الاظلام ، فزهرت نجوم الدعوة الطيبية ، وبان افك ما ادعته الفرقة المجيدية ، وبطل ما يأفكون ويزعمون ويحق الله الحق ويبطل الباطل ولو كره المجرمون، وكانت الحرة الملكة الصليحية متبحرة في علم التنزيل والتأويل، والحديث الثابت عن الائمة والرسول، عليهم الصلوة من الله الملك الجليل، وكان الدعاة يتعلمون منها من وراء الستر ويأخذون عنها ، ويرجعون اليها في مشكلات الدين فيجدون عندها ما يردون، ويغترفون من تيار علمها اذ يردون، وكان لها مع علمها وفضلها ونسكها وورعها وزهدها وعبادتها حسن سياسة ولطافة تدبير جبلت به على محبتها الخاصة والعامة ، واستعبدت ملوك اليمن فكانوا لها طائعين ، والى امرها مسارعين، مؤالفهم ومخالفهم يقر بفضلها ، ويمتثل امرها ، وقامت بالدعوة والملك في حياتها، بعد موت اولي الفضل من رجالها ، ووقوع الستر في ايامها فلم يك خلل ولا شغب عليها من اهل مملكتها رجل حتى اذا اتت منها الوفاة ، وتصرمت مدة الحيوة بعد ان اقامت الداعي الذوئيب بن موسى في الدعوة ، وجعلته لدعاة اليمن الدليل والقدوة ، وقلدته الدعوة في اليمن وما يضاف اليه من الجزائر ، مع ما صار اليه من الداعي يحي بن لمك من تسليم رتبته اليه واقامته في البادي من اهل دعوته والحاضر، وكان ذلك والحرة الملكة في بهجة من ايامها ، وبرهة من عمرها ، ثم انها لما دنت نقلتها كتبت وصيتها ، وعهدت عهدها ، ووقفت على وصيتها بخط كاتبها، واجرت شريف علامتها ، بما هذا فصه :

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، وصلواته على رسوله سيدنا محمد وآله الطاهرين ، هذا ما اوصت به امة الله تعالى وامة اوليائه ، سيدة ابنة احمد بن محمد ابن القاسم ، وعهدت انها تحمد الله على آلائه المتوفرة، ونعمه الباطنة والظاهرة ، وتشهد ان لا اله الا الله تعالى مبدع المبدعات، وخالق المخلوقات ، جل وعلى ان تناله صفة، او تدركه معرفة ، وان الخلائق في قبضته ، والاشياء صادرة عن امره وارادته ، لا معقب لحكمه ولا راد لامره ، وانه العدل الذي لا يحيف ،والصادق الذي لا يخلف، والعفو الذي لا يؤاخذ، خالق السموات والارضين، واله الاولين والآخرين، ذو الاسماء الحسنى والكلمات التامات صدقا وعدلا، وتشهد ان له ملائكة انتخبهم من بريته، وانتجبهم للسفارة بينه وبين المصطفين من امته ، يسبحون الليل والنهار ولا يفترون، ولا يسبقونه بالقول وهم بامره يعملون، يعلم ما بين ايديهم وما خلفهم ، ولا يشفعون الا لمن ارتضى وهم من خشية ربهم مشفقون، وتشهد ان الجنة حق جعلها الله للمطيعين من بريته، الخائفين من سطوته ، المؤمنين المصدقين لوعده ، الموفين بعهده ، المتبعين لرسله ، العاملين بمتضمن آياته وكتبه، وتشهد ان النار حق اعدها الله لمن جحد انبيائه، وخالف اوليائه ، وانكر آياته ، وتعدى حدوده ،والحد في اسمائه ، وتمادى في غيه ، واسرف في امره ، واصر على كفره ، ودعى معه سبحانه الها آخر لا الا هو، تبارك وتعالى عما يقول الظالمون علوا كبيرا ، وتشهد ان البعث حق ، والقيامة حق ، والحساب حق ، والميزان حق ، والصراط حق ، وان الله يبعث من في القبور ، ويحصل ما في الصدور ، وان كل شيء هالك الا وجهه، له الحكم واليه ترجعون، وتشهد ان من عمل صالحا فلنفسه ومن اساء فعليها وما ربك بظلام للعبيد ، وتشهد ان الله ارسل الانبياء ، وبعث الرسل الاصفياء ، بكتب انزلها، وآيات فصلها رحمة لعباده، وامنا لبلاده ، واقامة للحجة ، وايضاحا للمحجة، لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل ، وكان الله عزيزا حكيما ، جعلهم اسبابا للنجاة من الضلال ، وعرى وثيقة لمن تمسك بهم في المبدأ والمعاد ، لا يفرّق بين احد من رسله وانبيائه ، ولا يجحد احدا من خلفائه واوليائه ، وتشهد ان اشرف الانبياء عند الله قدرا ، واعظمهم خطرا ، واجلهم مكانا ، واسناهم شانا، هو النبي العربي ، الهاشمي الابطحي ، السيد الاواه ، محمد بن عبد الله ، صلى الله وملائكته عليه وعلى آبائه الطاهرين ، وابنائه الاكرمين، صلوة متصلة الى يوم الدين ، وتشهد ان الله عز وجل اختصه بالاصطفاء، وختم به عدة الرسل والانبياء، بعثه الى امة قد غلب عليها الخبال ، واستولى عليها الضلال ، واستحوذ عليها الهوى ، وغاب عنها الهدى ، وصدع بامر الله جاهدا ، وقام بنصرالحق مجاهدا ، فحطم الاوثان، واخمد بيوت النيران، وعطل معابد الرهبان، واظهر امر الله وهم كارهون ، وتشهد ان امير المؤمنين علي ابن ابي طالب صلوات الله عليه وصيه والخليفة من بعده عن امر الله سبحانه يوم الغدير ، واحله منه في ذلك المقام محل الظهير والوزير ، وجعله لدينه قاضيا ، وعلى امته واليا ، فقضى صلوات الله عليه دينه ، واحسن في الامة تدبيره ، وحذى حذو رسول الله في سيرته ، وقام في مقامه في احياء سنته ، وتشهد ان فاطمة البتول الزهراء، الانسية الحوراء ،خامسة اصحاب الكساء ، والدوحة المباركة التي اصلها ثابت وفرعها في السماء ، ولا يجحد حقها الا مارق ، ولا ينكر شرفها الا منافق ، وتشهد ان ولدها الحسن بن علي مفترض الطاعة بالنص الجلي عن جده وابيه ، وانه مستودع مرتبة الحسين بن علي اخيه، وان الحسين ابن علي تلوه في نص الامامة ، وان الكلمة باقية في عقبه الى يوم القيامة ، وتشهد ان الائمة الطاهرين من نسل الحسين ابن علي قرناء القرآن ، وحجج الرحمن، وانهم نجوم اهل الارض الذين بهم يقتدون ، وبعلومهم الواضحة يهتدون، وان الاول منهم ينص على الآخر ، والماضي منهم يشير الى الغابر ، سنة الله التي قد خلت من قبل ولن تجد لسنة الله تبديلا ، ولن تجد لسنة الله تحويلا ، وان ذلك النص بتائيد الله وامره لما سبق في غامض علمه اختيارا وانتخابا ، واصطفاء وانتخابا ، وان اول الائمة بعد الحسين ابن علي صلوات الله عليه زين العابدين ، ثم باقر علوم الدين محمد ابن علي ، ثم الصادق المصدق الامين جعفر بن محمد ، ثم الكلمة الباقية في عقبه الى يوم الدين، اسماعيل بن جعفر ثم ذو الشرف الاصيل ، الامام الحق محمد بن اسماعيل ، ثم الائمة الثلاثة المستورون خوف اعداء الله الظالمين، ثم الامام المهدي بالله ، ثم الامام القائم بامر الله ، ثم الامام المنصور بالله ، ثم الامام المعز لدين الله ، ثم الامام العزيز بالله ، ثم الامام الحاكم بامر الله ، ثم الامام الظاهر لاعزاز دين الله ، ثم الامام المستنصر بالله ، ثم الامام المستعلي بالله ، ثم الامام الآمر باحكام الله امير المؤمنين صلوات الله وبركاته وتحياته وكراماته عليه وعلى آبائه الطاهرين ، وابنائه الاكرمين، على ذلك عاشت وعليه تموت وعليه تبعث وبى تلقى الله عز وجل ، واوصت به من بعدها وبتقوى الله تبارك وتعالى وايثار طاعته ، وبما اوصى به ابراهيم بنيه ويعقوب يا بني ان الله اصطفى لكم الدين فلا تموتن الا وانتم مسلمون، ووصت متى حدث بها حادث الموت الذي جعله الله حتما على عباده ، وساوى به بين القوي والضعيف والمشروف والشريف، عدلا في قضيته ، ونفاذا في حكمه في بريته ، اخرج عنها من جميع تركتها جميع الاشياء المسماة الموصوفة في هذا الكتاب،

وهي الاشياء التي منها عصابة ذهب كبيرة مفصـصة واسطتها ياقوتة حمراء ، ويليها من يمين ويسار درتان، ويليهما ياقوتنان زرقاوان ، ويلي هاتين درتان ايضا لطيقتان ، ويلي هاتين فصا ياقوت احمران، ويليهما في الطرفين درتان ايضا لطيفتان، يحيط بالجميع من ذلك خيطا لؤلؤ احدهما لؤلؤه لؤلؤ لطيف عدده مائتا حبة وحبة واحدة ، والآخر لؤلؤه لؤلؤ كبار عدده مائتا لؤلؤ ولؤلؤتنان وزن الجميع من ذلك سبعون مثقالا ،

ومنها عصابة ذهب ايضا فيها مائة حية لؤلؤ وست وعشرون حبة لؤلؤ مفصـصة واسطتها لؤلؤة لطيفة، ويليها من يمين ويسار فصان اخضران، ويلي هذين الفصين فصوص حمر وزرق وخضر، وزن الجميع من ذلك ثلاث واربعون مثقالا ،

ومنها عصابة ذهب ايضا منجمة بلؤلؤ فيها واسطتها فص ياقوت ازرق وثلاثة فصوص عن يمينه ويساره حتى تنتهي الى فصين اخضرين في الطرفين ، عدد لؤلؤه مائة لؤلؤة واحدة واثنتان وثلاثون لؤلؤة وزن الجميع من ذلك تسعة وثلاثون مثقالا،

ومنها عصابة ذهب ايضا مفصـصة بفصوص منجمة بلؤلؤ قد انقطع من فصوصها فص عدد لؤلؤها مائة لؤلؤة واحدة وست وعشرون لؤلؤة ، وزن الجميع من ذلك ثمانية وثلاثون مثقالا، ومنها قبلة لؤلؤة عدد لؤلؤهاواحدة وتسع عشرة لؤلؤة بفرائد ذهب ، وزن الجميع من ذلك احد عشر مثقالا ،

ومنها ست وتسعون درة من جملة ذلك عشرون درة علامية واحدى وتسعون فريدة ذهب وخيوط ذهب عدد لؤلؤها مائتان وزن الجميع ثلاثون مثقالا ،

ومنها ست عشرة صنبة بفرائد ذهب وخيوط ------ عقد واسطة ياقوتة صفراء ، ويليها فريدتا ذهب ، وفيه اربع بيوت لؤلؤ في كل سبعة خيوط ، وفي طرفيه ياقوتتان زرقاوان بفرائد ذهب ، والثاني حزر لؤلؤ واسطته ياقوتة زرقاء ، والثالث عقد واسطته ياقوتة صفراء ويليهما من يمين ويسار زمردتان خضراوان واربع فرائد ذهب وفيه اربعة بيوت في كل بيت سبعة خيوط لؤلؤ ، والرابع خرز لؤلؤ واسطته ياقوتة زرقاء ، والخامس عقد واسطته ياقوتة صفراء ويليها من يمين ويسار في الطرفين زمردتان خضراوان وفيه اربع بيوت في كل بيت سبعة خيوط لؤلؤ ، والسادس خزر لؤلؤ واسطته ياقوتة زرقاء بفريدي ذهب، والسابع عقد واسطته ياقوتة صفراء ويليها من يمان ويسار ياقوتتان صفراوان وفريدتا ذهب وفيه اربع بيوت في كل بيت سبعة خيوط لؤلؤ ، والثامن خزر لؤلؤ واسطته زمردة خضراء وفي جربان الجديلة ثماني خيوط لؤلؤ في كل طرف اربع خيوط رباعيتها وزن الجميع من ذلك مائتا مثقال وخمسة وثلاثون مثقالا .

ومنها خمسة قماري لؤلؤ مضموم بعضها الى بعض ، الاول منها قمري لؤلؤ واسطته زمردة خضراء يليها في الطرفين من يمين ويسار ياقوتتان حمراوان فيه مائة واربعون لؤلؤ ، والثاني قمري لؤلؤ واسطته ياقوتة حمراء ويليها في الطرفين من يمين ويسار ياقوتتان زرقاوتان وست فرائد ذهب فيه ثلاث وخمسون لؤلؤة ، والثالث قمري لؤلؤ واسطته زمردة خضراء ويليها عن يمين وشمال حجرا بلخش احمران فيه اربع وخمسون لؤلؤة ، والرابع قمري لؤلؤ واسطته ياقوتة حمراء ويليها عن يمين ويسار ست فرائد ذهب فيه خمس وخمسون لؤلؤة ، والخامس قمري لؤلؤ واسطته زمردة خضراء ويليها في الطرفين عن يمين ويسار حجرا بلخش احمران وست فرائد ذهب فيه خمس وخمسون لؤلؤ، وزن جميع ذلك سبعة عشر مثقالا ،

ومنها ستة قماري الاول قمري لؤلؤ واسطته ياقوتة حمراء ويليها من يمينها ويسارها في الطرفين زمردتان خضراوان وست فرائد ذهب فيه اثنتان وثلاثون حبة لؤلؤ، والثاني قمري لؤلؤ واسطته حجر بلخش احمر ويليها في الطرفين عن يمين ويسار ياقوتتان زرقاوان وست فرائد ذهب فيه ست وثلاثون حبة لؤلؤ ، والثالث قمري لؤلؤ واسطته ياقوتة صفراء ويليها في الطرفين عن يسار ويمين ياقوتتان صفراوان وسبع فرائد ذهب فيه ثلاثون حبة لؤلؤ ، والرابع قمري لؤلؤ واسطته ياقوتة صفراء ويليها في الطرفين عن يمين ويسار زمردتان خضراوان وست فرائد ذهب فيه اثنان وثلاثون حبة لؤلؤ، والخامس قمري لؤلؤ واسطته ياقوتة صفراء ويليها في الطرفين عن يمين ويسار ياقوتتان صفراوان وفيه خمسون حبة لؤلؤ، وزن الجميع من ذلك ستة وعشرون مثقالا وربع ،

ومنها تسعة قماري لؤلؤ ايضا الاول واسطته زمردة خضراء بفريدي ذهب، الثاني واسطته ياقوتة زرقاء بفريدي ذهب ، والثالث واسطته حجر بلخش بفريدي ذهب، الرابع واسطته زمردة خضراء بفريدي ذهب، الخامس واسطته حجر بلخش بفريدي ذهب، السادس واسطته زمردة خضراء بفريدي ذهب، السابع واسطته حجر بلخش احمر ، الثامن واسطته حجرة خضراء بفريدي ذهب، التاسع واسطته حجرة صفراء بفريدي ذهب، وزن الجميع من ذلك تسعة عشر مثقالا

ومنها لازما لؤلؤ في احدهما تسعة الواح ذهب ، وفي الآخر سبعة الواح ذهب وزنها اثنان وعشرون مثقالا

ومنها لازم لؤلؤ ايضا فيه ثمانية عشر لوح ذهب منظومة بلؤلؤ وزنه تسعة عشر مثقالا

ومنها دملجا لؤلؤ براسي ذهب وزنها مائة مثقال واحدة وست وخمسون مثقالا

ومنها خرصا ذهب بفصوص مينا وزنها اثنان وثلاثون مثقالا

ومنها خلخالا لؤلؤ براسي ذهب وزنها ثمانية وتسعون مثقالا

ومنها شبكة ابريشم منظومة بلؤلؤ مكللة باهلة ذهب وزنها مائة مثقال واحدة وثلاثة مثاقيل

ومنها لازم لؤلؤ ساذج فيه ياقوتة حمراء صغيرة وزنه ثلاثة عشر مثقالا الا ربع ،

ومنها لازم لؤلؤ ايضا فيه ثمانية الواح ذهب وزنه خمسة مثاقيل

ومنها شيالا لؤلؤ فيهما اربع جدائل ذهب وجديلتا ذهب وزن الجميع اربعة وعشرون مثقالا

ومنها تاج ذهب مرصع بيواقيت ملونة ودرر مختلفة وزنه مائة مثقال واحدة وثمانية مثاقيل

ومنها عشر اسورة ذهب مفتولة وزنها مائتا مثقال واثنتان وسبعة مثاقيل

ومنها تسعة اسورة ذهب مزروعة وزنها مائتا اثقال اثنتان وسبعة مثاقيل

ومنها سوارا ذهب لطيفان مرزعان وزنهما ثمانية عشر مثقالا ونصف وربع

ومنها زوجا حز من ذهب وفرد سوار ذهب مفصـص ملونة وزن الجميع ثلاثة وسبعون مثقالا

ومنها دملجا ذهب وزنهما مائتا مثقال اثنتان

ومنها اربع عشرة دقة ذهب الاولى منها قاقلية واسطتها بفرائد ، الثانية مار ذهب ، الثالثة دقة ذهب مشبكة واسطتها ياقوتة حمراء باربع فرائد ذهب ولؤلؤ فيما بينهما ، الرابعة دقة ذهب سفرجلية ، الخامسة والسادسة دقتا ذهب متداخلتان ، السابعة دقة ذهب حسيكية بفرائد ، الثامنة دقة ذهب قافلية دقيقة ، التاسعة دقة ذهب حسيكية بفرائد ذهب ، العاشرة دقة ذهب عمل الهند في طرفيها خمسة عشرة حبة لؤلؤ ، الحادية عشرة دقة ذهب حسيكية بفرائد ذهب، الثانية عشرة سفرجلية بفرائد ،والثالثة عشرة والرابعة عشرة دقتا ذهب اخرتان وزن الجميع من ذلك ثلاثة وثمانون مثقالا.

ومنها ستة عشرة دقة ذهب ايضايضمها جربان حرير في طرفي الجربان اربعة خيوط لؤلؤ في طرف كل خيط رباعي ذهب ، الاولى من ذلك قمري لؤلؤ بواسطة ياقوتة صفراء وثمان فرائد ذهب ، واربع يواقيت زرق وست يواقيت سفر وفيه اربع وعشرون حبة لؤلؤ، ويتلوه مار ذهب ، ويتلوه دقة حسيكية ذهبا بفرائد ، ويتلوها دقة ذهب قاقلية بفرائد ، ويتلوها دقة ذهب قاقلية ايضا ، ويتلوهادقة ذهب مشبكة فيها ثمان عشرة حبة لؤلؤ وواسطة ياقوت احمر واربعة فرائد ذهب ، ويتلوها مارذهب ، ويتلوه دقة قاقلية ايضا ، ويتلوها دقة ذهب مثمنة ، ويتلوها دقة ذهب حسيكية فيها واسطة ياقوتة صفراء واحدى عشرة حبة لؤلؤ، ويتلوها دقة ذهب مثمنة ، ويتلوها ايضا دقة ذهب مداخلة عمل الهند ، ويتلوها دقة ذهب مشبكة بواسطة زمرد ، ويتلوها دقة ذهب قاقلية ،ويتلوها دقة ذهب مثمنة وزن الجميع من ذلك مائة مثقال وثمانية واربعون مثقالا بالجربان ،

ومنها ست دقق ايضا الاولى منها دقة ذهب مشبكة واسطتها ياقوة زرقاء ، وفيها ثمانا حبات لؤلؤ واربع فرائد ذهب وثماني حبات لؤلؤ، ويتلوها مار ذهب ، ويتلوه دقة ذهب قاقلية بفرائد ، ويتلوها دقة ذهب حسيكية بفرائد ، ويتلوها لازم ذهب فيه احد عشر لوح ذهب في كل لوح حبة لؤلؤ، وزن الجميع من ذلك ثلاثة وخمسون مثقالا ،

ومنها ثمان دقق صغارا الاولى منها دقة ذهب مشبكة بواسطة حجرة بلخش حمراء وثمان حبات لؤلؤ واربع فرائد ذهب، والثانية دقة ذهب مشبكة بواسطة خضراء وثمان حبات لؤلؤ واربع فرائد ذهب وفي الطرفين ثمان لآل ، والثالثة دقة ذهب حسيكية بفرائد ، والرابعة دقة ذهب بفرائد ، الحامسة دقة ذهب مشبكة في الطرفين منها سبع حبات لؤلؤ ، السادسة مار ذهب ، السابعة دقة ذهب قاقلية في طرفيها حبتا لؤلؤ ، الثامنة مار ذهب ، الوزن للجميع من ذلك تسعة عشرمثقالا ،

ومنها ثلاثة لوازم ذهب دخنية وزنها خمسة وثلاثون مثقالا ،

ومنها عشر خواتيم ذهب منها اربع بفصوص ياقوت زرق

ومنها اثنان بفصي ياقوت احمرين احدهما مصراني

ومنها اثنتان بفصي ياقوت اصفر مصرانيتين

ومنها حلقتا ذهب احدهما بفص ياقوت احرم بهرمان والاخرى بفص ياقوت ازرق مربع

ومنها حلقتا ذهب احدهما بفص عين الهر مدور والاخرى بفص ياقوت ازرق

ومنها ثلاث حلق احداها بفص ياقوت احمر لطيف والثانية بفص ياقوت ازرق مربع ، والثالثة بفص بقران

ومنها خاتم عمل الهند بفص ياقوت احمر صغير ويطيف به فصوص ماس صغار وزن الجميع من ذلك مائة مثقال واحدة وخمسون مثقالا

ومنها ثلاث خواتيم ذهب ايضا احداهن بفص ياقوت مربع اصفر والثانية بفص ياقوت احمر مربع والثالثة بفص اخضر مربع وزن الجميع من ذلك اثنان وعشرون مثقالا ومنها اثنان وعشرون رباعيا

ومنها رباعيا ذهبا معراة وخمسة مفاتيح ذهب لطاف وزن الجميع اربعة وعشرون مثقالا

ومنها خلخالا ذهب وزنهما خمسة مائة مثقال

ومنها مارذهب وزنه ثلاثة عشر مثقالا

ومنها فص ياقوت اصفر مصراني وزنه ثلاثة مثاقيل وربع مثقال

ومنها فص ياقوت ازرق مصراني ايضا وزنه مثقال واحد وسدس وثلاث ثمن مثقال

ومنها ياقوت زرقاء مستديرة وزنها مثقالان وربع

ومنها حبة ياقوت زرقاء علامية وزنها مثقال واحد وسدس مثقال

ومنها حق صغير فصه فيه علامات شريفة

ومنها عقد ايضا واسطته ياقوة صفراء ويليها عن جنبيها ياقوتتان زرقاوان بست فرائد ذهب ، وفيه اربعة بيوت في كل بيت اربعة خيوط لؤلؤ عدد اللؤلؤ مائة واحدة وثمان وعشرون لؤلؤة ، وفي طرفيه حزرتا مرجان حمراوان ، وزن الجميع تسعة وعشرون مثقالا ونصف وربع

اخرجت الحرة الملكة السيدة الرضية الطاهرة الزكية وحيدة الزمن سيدة ملوك اليمن عمدة الاسلام خالصة الامام ذخيرة الدين عمدة المؤمنين عصمة المسترشدين كهف المستجيبين ولية امير المؤمنين وكافلة اوليائه الميامين ، السيدة ابنة احمد بن محمد بن القاسم الصليحي مد الله في عمرها جميع هذه الاشياء المسماة الموصوفة في هذا الكتاب بعد غيبتها وقد عاينها شهود هذا الكتاب وقت وقوع هذه الشهادة عن الحرة الملكة السيدة الرضية ولية امير المؤمنين السيدة ابنة احمد بن محمد بن القاسم الصليحي انسأ الله في اجلها ، قربانا تقربت به الى ولي الله الامام الطيب ابي القاسم امير المؤمنين ابن الامام الآمر باحكام الله امير المؤمنين صلوات الله عليه وعلى آبائه الطاهرين وابنائه الاكرمين لما ترجوه من ثواب الله وتأمله من رضوانه والزلفة لديه ، ولان تكون يوم الفزع الاكبر من الآمنين يوم لا ينفع مال ولا بنون الا من اتى الله بقلب سليم

وجعلت الحرة الملكة السيدة ابنة احمد محمد بن القاسم انسأ الله في اجلها وصيتها هذه والقائم بها والمنفذ لها بعد غيبتها السلطان الاجل احمد بن ابي الحسين بن ابراهيم بن محمد الصليحي ادام الله عزه ، واسندتها اليه وحملته في ذلك عهد الله سبحانه وعهد رسوله صلع وعهد وليه صلوات الله عليه وقلدته فيها امانة الله عز وجل التي عرضها على السموات والارض والجبال فابين ان يحملنها ، انه اذا حدث بها حادث الموت واستأثر الله بها ونقلها من محل الفناء الى محل البقاء، ان يتولى امضاء هذه الوصية والانفاذ بها صحبة رجل عدل من المسلمين ثقة مأمون يوصلها بجملتها على ما سميت ونعتت ووزنت الى باب ولي الله المذكور صلوات الله عليه الى من يخرج الامر المطاع الامامي اعلاه الله بقبض ذلك منه ، ويأخذ هذا العدد المأمور بجملها الى الباب الطاهر الامامي صلوات الله عليه الخط الشريف الامامي بوصول جميع ذلك مما هو مذكور في هذا الكتاب ، ويستمطر الدعاء لها والترحم عليها ، وقبل السلطان الاجل احمد بن ابي الحسين بن ابراهيم بن محمد الصليحي ادام الله عزه ما اسند اليه في هذا الكتاب ، وصار امانة في رقبته وميثاقا في عنقه ، لا يفكه منه الا الانفاذ لجميع ما ذكره في هذا الكتاب الى باب ولي الله المذكور صلوات الله عليه ، وحرمت الحرة الملكة السيدة ابنة احمد بن محمد بن القاسم الصليحي طول الله عمرها وصيتها هذه ان تغير عما ذكرته في كتابها هذا او تبدل ، او تنقص او تحول عما شرطته في كتابها هذا ، بما حرم الله به دماء المسلمين واموالهم وصدقاتهم ، وبما حرم الله تعالى به الكعبة البيت الحرام ، من بدّله بعد ما سمعه فانما اثمه على الذين يبدّلونه والله سميع عليم، ومن سعى في ابطال هذه الوصية او في شيء منها ، او تأول في بعضها او في شيء منها بغامض علم او لطيف مدخل او خفي حيلة ، او عمل منها بتبديل او تحويل ، او اشارة الى غفلة عنها او تهاون في التوجيه بها فقد باء بغضب من الله وماواه جهنم وبئس المصير ، شهد على اقرار الحرة الملكة السيدة الطاهرة الرضية الزكية وحيدة الزمن، سيدة ملوك اليمن ، عمدة الاسلام، خالصة الامام ، خيرة الدين ، عدة المؤمنين ، كهف المستجيبين، ولية امير المؤمنين ، وكافلة اوليائه الميامين، السيدة ابنة احمد بن محمد القاسم مد الله في عمرها ، بما في هذا الكتاب على ما كتب فيه ونسب، وعلى الزامها ذلك نفسها في صحة منها وجواز امرها جميع من حضرها من الشهود ، وذلك بعد ان قرئ عليها هذا الكتاب من اوله الى آخره فاقرت بفهم ذلك جميعه ومعرفته واتقانه ، والزمت نفسها ما اقرت به من ذلك ، وهذا الكتاب مكتوب في سبع ورق جمع بينهن ستة اوصال ، كتب على الوصل الاول سطر نسخة كهف المستجيبين ولية امير المؤمنين وكافة اوليائه الميامين السيدة ابنة احمد بن محمد القاسم الصليحي ، وعلى الوصل الثاني سطر نسخته وقام مقامه في احياء سنته وتشهد ان فاطمة البتول الزهراء الانسية الحوراء خامسة اصحاب الكساء ، وعلى الوصل الثالث سطر ان كتب اول السطر الاعلى منهما مائة لؤلؤة واحدة وست وعشرون لؤلؤة وعلى آخر السطر الثاني منهما وزن الجميع من ذلك احد عشر مثقالا ومنها ، وعلى الوصل الرابع سطران اول السطر الاعلى منهما واسطة حجر بلخش احمر وعلى آخر السطر الثاني منهما ياقوتة صفراء ويليها في الطرفين عن يمين ويسار ياقوتتان صفراوان وسبع ، وعلى الوصل الخامس سطران اول السطر الاعلى منهما في كل لوح حبة لؤلؤ وزن الجميع من ذلك وعلى آخر السطر الثاني منهما واربع فرائد ذهب ، وعلى الوصل السادس سطران اول السطر الاعلى منهما علامية زونها مثقال واحد وسدس مثقال ومنها حق صغير وعلى آخر السطر الثاني منهما فرائد ذهب وفي هذا الكتاب حك في ذا ، ولحق نسخته محمد بن علي قد عاينه شهود هذا الكتاب ، وذلك في غرة شهر رجب من سنة احدى وثلاثين وخمسمائة ، وذلك بحضرة من شهد وهم اسماعيل بن عبد الله بن عمرو الصحاري ، وكتب عنه بامره ومحضره ومحمد بن علي بن عبد الله بن محمد الهندي، وكتب بخطه، وسبا بن احمد بن شهيد بن محمد وكتب بخطه ، وحاتم بن علي بن حاتم وكتب بخطه ،

والحمد لله حق محمده، وصلى الله على رسوله سيدنا محمد نبيه ، وعلى اهل بيته الائمة الطاهرين الهداة المهديين، وسلم تسليما .

وكانت هذه الوصية قبل وفاة الحرة الملكة السيدة بعام وشهر ، فلما توفيت اعلى الله قدسها ادى السلطان الاجل احمد بن ابي الحسين الصليحي الامانة ، وضمن ما الزمته ضمانه ، واصدر ما ذكرته مع من ارتضاه الى ان اوصله الى مقام الامامة واداه ،

وكانت للحرة الملكة السيدة فضائل مشهورة ، ومناقب مذكورة ، واجمع عليها الخاص والعام ، ورواها كثير من الانام ، قال صاحب كتاب المفيد مولدها سنة اربعين واربعمائة ، وتولت اسماء بنت شهاب تهذيبها وتأديبها ، ويقال انها قالت لاسماء رأيت البارحة في النوم ان في يدي مكنسة وانا اكنس قصر مولانا ، فقالت لها اسماء كأني بك والله وقد كنست بني الصليحي وملكت امرهم ، وكانت كاملة المحاسن ، جهورية الصوت، قارية كاتبة ، تحفظ الاشعار والاخبار والتواريخ ، وما كان احسن ما كانت تلحقه بين سطور الكتاب عنها من القصد والمعنى ، قال وسمعت غير واحد من شيوخ ذي جبلة يقول ان الصليحي كان يخصها من الاكرام في حال صغرها بما لا يعلمه احد ، ويقول لاسماء اكرميها وهي والله كافلة ذرارينا ، حافظة هذا الامر على من بقي منا ، قالوا وسمع ذلك منه في غير موطن ، هذا قوله .

وما مدحت به الحرة الملكة السيدة الصليحية قول الداعي سيدنا الخطاب بن الحسن بن ابي الحفاظ صاحب مدينة الجريب من حيث قال قدس الله روحه :

همم النفوس على النفوس مدارها \* وبها تبين كبارها وصغارها

فاذا نفوس في الورى متفرّس \* ببصيرة لاحت له اخبارها

ان النفوس فروع اجسام وما \* تبديه من همم النفوس ثمارها

وجناه افضلها التقى اذ بالتفى \* تحوي بها مما ابتغت ايثارها

كوحيدة الزمن التي اضحى التقى \* وشعارها من محضه ودثارها

رضي الائمة سعيها فتوطدت \* اركان دولتها وقرّ قرارها

وتواصلت بركاتها ممدودة \* منها حبائل ما استرمّ مقارها

موصولة بحبالها تبقى على \* مرّ الزمان وصرفه امرارها

واذا الملوك اطاعت الرحمن لم \* تخذل وطالت في الورى اعمارها

وجرت لها بميامن وسعادة \* موصولة بدوامها اطيارها

وسمى على زهر الكواكب قدرها \* وعلى فخار ذوي الفخار فخارها

اما علاك فانها مشهورة \* لاحت ادلتها وطال منارها

شهدت عداك بها فان هم طالبوا \* ادراكها فقصارها اقصارها

انتم بني الاصلوح جوهر يعرب \* وسواكم اصدافها وبحارها

ولأنت يا ابنة احمد تنميك من \* تلك اللؤالي الفائقات كبارها

انقذت من يم الضلالة اهلها \* كانوا بها طام بها وتيارها

وهذا الداعي الخطاب هو من جحور ثم من قدم من همدان ، قال :

قومي حجور جناح لي اطير به \* واهل عزي من دون الورى قدم

وكان اخا الحرة الملكة السيدة من الرضاع ، وكانت له منزلة جليلة وفضل، وورع وزهد وعقل ، وهو ثاني الداعي الذوئيب بن موسى في الدعوة ، وهما لدعاة اليمن في الدعوة الطيبية القدوة ، وهما في العلم مناره ، وعلمه الذي لايخبو ناره ،

قال صاحب المفيد : ومن شعراء اليمن المجيدين الخطاب بن الحسن بن ابي الحفاظ ، وكان قد اخرج اخاه سليمان من مدينة الجريب الى زبيد ، ثم كتب اليه يلطف ، فمن شعره وليست من جيد شعره، قال وانما هي التي اتفق حضورها ، وكتب بها الى سليمان وهو بزبيد حيث يقول :

عينك عين الرشأ الخاذل \* والجيد جيد الظبية العاطل

قد كنت ذا عقل جليدا ولكن \* الهوى يعلب بالعاقل

كأنها من حسنها درة \* اخرجها الموج الى الساحل

اذا بغلت العرق فارفع به \* معرسا تعريسة النازل

واخصـص سليمان بها خير من \* تعلم من حاف ومن ناعل

اخي ومولاي ومن لحمه \* لحمي ومن حامله حاملي

وله ولاخيه سليمان اشعار حسنة في ديوان معروف مشهور موجود

قال مؤلف ديوانهما : وهما من ولد حريث بن شواجيل ، ثم من ولد مولد بن حجور ، ثم من ولد زيد بن عليان بن عريب بن جشم بن حاشد بن جشم بن خيوان بن نوف بن همدان، ومسكنهما الجريب ، وجرت المقادير بينهما بعد موت ابيهما الحسن بن ابي الحفاظ رحمة الله عليه بالاختلاف وقلة الائتلاف ، وتنافرا وشجرت بينهما الحرب في سنة الخمسمائة الى اربع عشرة وخمسمائة ، فغلب الخطاب على الامر، وهو الاصغر سنا ، وانتزح منه سليمان الى قومه من حجور بني افلح بالعرق ، ثم الى الامير ابي الغارات علي بن يحي بن حمزة بن وهاس السليماني بالساعد ، ثم الى الحبشة آل نجاح بزبيد ، والى قوادهم الفواتك مفلح ومنصور بن مفلح ومن الله واسحق بن مزروق وابي محمد مسرور واحمد بن مسعود الجربي ، فجيش مستنصرا بهم على اخيه ، واستغار بغارات عليه ، ولم يتمكن من البلد مع الخطاب لان الخطاب تعلّق بآل الصليحي بذي جبلة ايام الحرة الملكة السيدة ابنة احمد بن محمد بن القاسم الصليحي قدس الله روحها ، فبلغ السلطان غرضه واستمكن من سليمان فقتله غيلة ، رماة بجربة له تسمى المريحة ، وقبره بموضع يسمى المريح من الظرف، ولبث في الامر بعده وبعد قتل اخيه احمد بن الحسن لانه قتلهما جميعا عشرين سنة ، وكانت لهما اعني الخطاب وسليمان قراءة معروفة قوية حتى عرفا باسم مقولي قحطان ، واجيز لسليمان في ستمائة كتاب ولاخيه الخطاب في اربعمائة كتاب، وركب سليمان في ثلاثمائة فارس، وركب الخطاب ايامه في خمسمائة فارس ، هذا قول صاحب الديوان.

قال عمارة في كتابه المعروف بانموذج ملوك اليمن :

ومما يوصف من احكام السلطان الخطاب بن الحسن صاحب مدينة الجريب انه كان يشرّف من طاق لينظر الداخلين الى سوق الجريب ، فجاء رجل وهو يصيح انا بالله وبمولانا الخطاب ، فقال له ما شانك ، فقال اني بعت ثورا لي لا املك غيره ان اخذ بثمنه ما يقوت اهلي ، وذكر له عدد دراهمه ، وقال اني صررتها في ثوبي، وقطع طراز الثوب واخذت منه ، قال اتعلم من خصمك ، قال لا اعلمه ، قال فما الذي افعل لك ، ثم وقف السلطان في الطاق واهل السوق يمرون به راجعين عنه حتى نظر الى رجل قد رجع من السوق وهو يحمل وعاء سمن ، فامر باحضاره اليه ، فاحضر وامرهم ان يصبوا سمنه فصبوه ، ووجدوا الدراهم كما عدها صاحبها ووصفها ، واستقر الرجل صاحب السمن بها ، واعطاها الرجل الذي هي له ، فقيل له وما الذي علمت به ان صاحب السمن هو الذي اخذها ، وكيف اخترته من بين اهل السوق ، قال اني وقفت انظر الى من دخل السوق وقد انفق بضاعته ورجع ، ونظرت الى هذا الرجل دخل يحمل السمن وخرج به كما دخل ، فعلمت ان ذلك لشان، فعجب القوم لذهنه وفطنته ، وما اهتدى اليه في قضيته .

ومن ذلك ما روي انه جاء رجل يشتكي ويصيح ، وذكر ان بعض الشرط اخذ عليه دراهم ، وانه لا يعرف خصمه ، وكان احد عبيده يغمز رجليه وجماعة معه ، فقال للعبد الذي يغمزه اقر بما اخذت عليه والا عاقبتك ، فاقر بذلك وسلّم له دراهمه كما وصف ، فقيل للسلطان الخطاب من اين علمت ان عبدك هذا هو الذي اخذ دراهمه، قال ان هذا حين صاح احسـست يد العبد قد عرقت فاتهمته بذلك، هذا معنى قول عمارة ولم يحضر كتابه المذكور عندي فانقل اللفظ ، ومن شعر الداعي الخطاب قدس الله روحه :

يا موجدي من عدم باعثي \* نورا من المظلمة الداجية

ومخرجي من فرق اهلكت \* وملحقي بالفرقة الناجية

وملحقي من فيض انعامه \* ما لم يكن نفسي له راجية

تفضّلا من محض انعمه \* فقد غدت حالي بها راخية

وجهت وجهي لك ذا نية \* خالصة صادقة صافية

وصورة لبت نداك الذي \* ابديته اسرارك الخافية

واقبلت نحوك يا ربها \* ساعية حاسرة حافية

معتاضة من سقم اصله \* ذنوبها بالعفو والعافية

تشكر نعماك وذا شكرها \* يقصر عن انعمك الضافية

وله ايضا قدس الله روحه :

يا من غدى وجهي له ساجدا \* ملقى وخدي في الثرى ملصقا

وصورتي تدعوه في خفية \* دعاء من يدعو وقد حقّقا

تضرّعا مني اليه كما \* تضرع الابرار اهل التقا

اطلق سجينا قد ثوى روحه \* مثوى من السجن به ضيّقا

وفكّ اغلالا طبيعية \* عليه مكبولا بها موثقا

والحظه يا مولاي لحظا به \* يصبح من محبسه مطلقا

فكم وكم عناه خوض العنا \* وكم وكم اشقاه طول الشقا

فامنن عليه بفراق له \* ليس له من بعده ملتقى

وانقله عما هو فيه الى \* حظيرة القدس ودار البقا

عودا الى المبدى الشريف الذي \* اليه من مهبطنا المرتقى

فقد قلى الدنيا واضحى الى \* فراقها ذا طرب شيّقا

وكان الداعي الخطاب بن الحسن ذا منزلة جليلة ، وهو ارفع الدعاة بعد الداعي الذوئيب بن موسى ، وعاضده في اقامة الدعوة الآمرية والطيبية في اوان الحرة السيدة الصليحية وبعد وفاتها ، وكانت له عندها مزية جليلة ومرتبة وفضيلة ، هو من دعاة ايام الستر والظهور ، وانما كان حربه لاخوته اذ كانوا مخالفين له في المذهب والسيرة ، معاندين للائمة عليهم السلام ، مبائنين للدولة الصليحية مناصبين لها ، كثيري البغي على الداعي الخطاب ، ولذلك مال سليمان الى الحبشة بزبيد ، وكان النصرللداعي الخطاب وعلو الامر وحميد العاقبة ،وقال يستنصر بالحرة الملكة ويذكر ما اقام من الدعوة الى الامام الآمر باحكام الله عليه السلام، واقامته للخطبة له وباسمه وضرب السكة ، حيث يقول :

حرام عليّ النوم غير غرار \* يلم بجفني بعد طول نفار

وسدا على نفسي السلو الى مدى \* انال به حقي وادرك ثاري

واظهر اعلام الهدى مستطيره \* اشعة اقمارها ودراريّ

واظهر للمنصور مولاي دعوة \* موطدة في مسكني وقراري

واعلنها كشفا بغير تستر \* واكشفها جهرا بغير سرار

امثلي يلهيه فيلهو بلذّة \* ترنم اوتار او شرب عقار

ويرضى بما يرضى به من معيشة \* من الناس في دنياه كل حمار

ساركبها شوشاء عاصية القرى \* واكشف داجي ليلها بنهار

واضربها من عزمتي بصوارم \* واضرمها من همّتي بنيار

فمن مبلغ مولاتنا ابنة احمد \* نهايتي القصوى وقطب مداري

سلامي والمامي وزاكي تحيتي \* وان بعدت داري وشط مزاري

امولاتنا حقت لدي نصيحتي \* حقيقة علم ليس فيه تماري

وما كان من كشفي القناع لمذهبي \* جهارا ولم اخش العدى فاداري

خطبت لمولانا واظهرت سكة \* عليها اسمه طارت بكل مطار

لدى معشر حبل الضلالة عندهم \* مغار وحبل الدين غير مغار

ثلاثة اصناف اباض وناصب \* وآخر زيدي احطن بداري

ضربتهم بعضا ببعض كأنما \* احك حجارا منهم بحجار

والبستهم من بعد خلعي ما اكتسوا \* من العز ثوبي ذلة وصغار

وفارقت اولادي واهلي وما حوت \* جميعا يدي من فضة ونضار

ورمت رضى المنصور فيما اتيته \* اذا فارقت دري قشوري محاري

فهل لي يا مولاتنا منك عاضد \* معين به يضحي زنادي واري

امولاتنا لا تتركيني بقفرة \* وحيدا لاعدائي تروم دماري

وقومي بامري والحظيني لحظة \* فلحظك غاد بالسعادة ساري

ولي غرض لا بد من مناله \* بلا رقبة مني ولا بحذاري

سأمضي لها عزمي فاما منية \* تحين بفك من وثاق اساري

وان لا علت بي دعوة آمرية \* بها واليها نسبتي وشعاري

وما زالت الدعوة بالحرة الملكة ظاهرة الاعلام ، باسمة الايام ، محروسة الجناب ، ضافية الجلباب ، في اوان ظهور الائمة وبعد سترهم، منتشرا في الآفاق طيب نشرهم، وهي تبين فضلهم ، وتنشر عدلهم ، وتخفت ما ظهر من شعار الفرقة المجيدية ، وتعلن بما استتر من منار الدعوة الطيبية ، وامرت اهل الفضل وطلاب الآخرة بالدعوة الى مولانا الامام الطيب ، واعلنت ان عبد المجيد المتسمىبالحافظ مضيع لامانته متغلب، مع ميل طلاب الدنيا الى عبد المجيد ، واستبدالهم الذي هوادنى من متاع الدنيا بما هو خير وابقى من نعيم الآخرة الذي لايبيد

الى ان توفيت الحرة الملكة الصليحية السيدة ابنة احمد اعلى الله قدسها وافاض علينا من بركاتها ، وكانت وفاتها رضي الله عنها في شهر شعبان من شهور سنة اثنين وثلاثين وخمسمائة، ودفنت في جامع ذي جبلة ايسر القبلة في منزل متصل بالمسجد الجامع ، وقد ذكر ان بعض المتغلبين من ملوك اليمن اراد ان يخرج جثتها الشريفة عن قبرها حين انكر المتفقهون كونها فيه ، واتوا من الشبه بما يبطله الحق وينفيه ، ففتحوا عن قبرها حتى انتهوا الى التابوت ، فوجد قفصا مقفلا ففتحوه ، فاصابوا فيه كتبا واحكاما تشهد انها استثنت فيه ذلك المنزل عن المسجد لقبرها فيه ، ووجدوا بذلك علامات القضاة والحكام ، وشهادة الشهود الثابتة عند الحكام ، فردوا قبرها على ما كان عليه ، وردوا تربته وحجارته اليه ، وقبرها الى اليوم يزوره جميع فرق الاسلام ، ويعترف بفضلها وعدلها الخاص والعام ، ويأتي الى قبرها من اصيب بظلم او جائحة او علة في بدنه او بلية فيتبتلون بها ، ويتشفعون الى الله تعالى في كشف ما اصابهم بفضلها ، فكل من اخلص لديها النية، وسأل الله تعالى متوسلا بها صحيح الطوية ، ازال الله ببركتها ما عراه ، وفرج عنه بفضلها ما انتابه واستجاب الله به دعائه ، وذلك مشهور معروف ، ظاهر موصوف ، والمسجد الجامع بذي جبلة المذكور هي التي تولت عمارته وهيأت موضع قبرها فيه ، وجامع صنعاء فهي التي وسعته ،وصحـحت عمارته وزيّنته ، وامرت ان يكتب فيه اسماء جميع الائمة من علي ابن ابي طالب عليه السلام الى امام عصرها عليهم السلام ، فاثبت ذلك في الحائط القبلي من المسجد الجامع بامرها ، ثم كشط في ايام احمد بن سليمان امام الزيدية بغيا وعدوانا ، وحسدا وطغيانا ، واعيد بجص واشراس ايام حاتم بن احمد بن عمران بن الفضل اليامي ، ثم كشط في دولة عيال يحي من الاشراف ، وتلك سجية اهل الجور والاعتساف ، واسماء الائمة عليهم السلام مكتوبة في سقف ذلك الجامع الى الآن، بخط كوفي لم يوبه له كما حقق في بعض من رآه وتحققه من الاخوان، ولا يزال الظالمون يكدحون في اخفاء ما ظهر من فضل اهل الفضل ، ويأتون من ذلك خلاف القسط والعدل.

وقال القاضي الحسين بن عمران بن الفضل اليامي رحمة الله عليه في الحرة السيدة الصليحية ، وحيدة الزمن، سيدة ملوك اليمن، ابنة احمد بن محمد بن قاسم الصليحي قدس الله روحها ، وقد زار قبرها بذي جبلة:

وقفت على قبر الوحيدة وقفة \* وقد زين منها مسجد وستور

فقبلته واستفت ريا ترابه \* وعاود قلبي رنة وزفير

وسالت دموع العين مني كأنها \* يشط مجاري المقلتين سطور

فلله منها ما اقل سرير \* ولله منها ما اجنّ حفير

ولله منها روح قدس تميزت \* وصارت باعلى الدائرات تطير

خلىالقصر في ذي جبلة من مكارم \* يحنّ اليها بائس وفقير

ومن جود بحر بالعطايا نواله \* على معتفيه عسجد وحرير

ومن درس ما ضم الكتاب وبعده \* صلوة وتسبيح معا وطهور

وما سمعت اذني ولا راع ناظري \* تجاوب قينات بها وخمور

تحل مصيبات وتعرو نوائب \* وتحدث من بعد الامور امور

واصبح في قصر المليكة بعدها \* عزيز عليها منكر ونكير

ولوكان داعي الموت يثنيه دونها \* قبيل وينجي من سطاه عشير

لقام له من حمير كل ارعن \* سحاب المنايا حيث حل مطير

وسار له من صيد كهلان جحفل \* تسير الجبال الشم حيث تسير

ولو حال دون الموت عنها مبلط \* منيع يرد الطرف وهو حسير

لكان لها في حصن قيظان معقل \* تقصر عنه في العلو طيور

ولكن ابى الا خفيا بشخصها \* حقير وما يسطو عليه كبير

وقال القاضي محمد بن احمد بن عمران ابن الفضل اليامي ايضا يرثيها قال :

نأت ربه القصر الشريف عن القصر \* فايئس راجي النصر فيه عن النصر

اذا اجتث دهر السوء دوحة روضة \* فقضبانها لا تستقيم على الهصر

سخطت على اهل الزمان لفعلهم \* حقيقون اهل العصر يا ربة القصر

وصاروا بلا نور يتيهون في العمى \* وذلك تمثيل لما كان في مصر

فكم ظملة يغشونها ومضلة \* وكم اصر ذنب يحملون على اصر

رجونا بها بدؤ الظهور ونشؤه \* فعدنا الى الستر الحقيقي والحصر

وقد ينقص التيار من بعد مدّه \* ويضطرخوف المد حيتا الى القصر

فذاك كسوف الشمس قد طال مكثه \* وهذا خسوف دائم المكث للبدر

وذاك سرار لا انجلاء لليلة \* وهذا محاق ليس يسفر عن فجر

ونرجو فروعا اثمر الله نبتها \* وايّدها بالنصر والفتح والقهر

لهم وبهم ارجاؤنا وسلوّنا \* لان رجاء اليسر في عقب العسر

ووراث املاك الانام وسيطهم \* علي ابن عبد الله اعلى ذرى الفخر

فصبرا على ريب الزمان وصرفه \* فاوفر اهل الاجر حظا اولو الصبر

وكان عمر الحرة الملكة السيدة ابنة احمد اعلى الله قدسها اثنان وتسعون عاما واشهر ، ولم تفارق الدنيا الا وقد اقامت الداعي الاجل الذوئيب بن موسى الوادعي وعضدته بالداعي الخطاب بن الحسن بن ابي الحفاظ رضي الله عنهما ، فقاما بالدعوة الى الامام الطيب عليه السلام في حيوتها وبعد وفاتها ، ورفعا قواعد الدعوة فاظهر آياتها ، فاما الملك فانه صار في عدن ونواحيها الى تعز والجند وذي جبلة وما يليها كما ذكرنا لبني زريع بن ابي السعود الجشمي الهمداني ، الى ان ازالهم ابن مهدي عن التعكر وتعز والجند والجبلة وغير ذلك من المعاقل والمدن، وبقي عدن في ايديهم ، حتى ازالهم منه الملك المعظم توران شاه بن ايوب ، واما الدملوة فمنعوها حتى تسلّمها الملك العزيز سيف الاسلام طغنكير بن ايوب بعد ان حاصرها اربعة عشر شهرا ، وكان فيها جوهر المعظمي والي بني زريع ، وهو من عبيدهم ، وكان معه فيها ابنا عمران بن محمد بن محمد بن سبا الزريعي ،خرجا بخروجه منها والي بني زريع ،

واما صنعاء فانه كان الملك المكرم احمد بن علي الصليحي ولى فيها القاضي عمران بن الفضل اليامي ايام سكون الصليحي في ذي جبلة والتعكر ، ثم عزله عنها وكان ذلك من الاسباب التي كانت بها المباعدة بين عمران ابن الفضل والداعي المكرم ، وفي ذلك يقول القاضي عمران بن الفضل اليامي يخاطب الداعي المكرم احمد بن علي الصليحي والامير سبا بن احمد بن المظفر الصليحي من قصيدة يقول فيها :

ولا تجرحا بالعزل اكباد معشر \* اذا غضبوا عل القنا وتكسرا

فلو ان مولانا معدا اتاكما \* بعزل تولّى الكل منا وادبرا

ولا تفرقا من لفّه والداكما \* وعودا الى عقليكما وتدبرا

وان انتما انكرتما ما نظمته \* فصدقي غدا من طلعة الشمس اظهرا

وولى صنعاء واعمالها حاتم بن المغلس ، وهو من الغز ثم من مذكر ثم من يام ، وصارت الى اولاده من بعده ، وحين دخل القاضي الرشيد الى اليمن وقع التخليط في الدين والاعتقاد ، ومالوا الى عبد المجيد واتباعه ايثارا للدنيا على المعاد

وملك صنعاء واعمالها السلطان حاتم الحميد بن احمد بن عمران بن الفضل اليامي في سنة ثلاث وثلاثين وخمسمائة ، وملكها بعده ابنه السلطان علي بن حاتم ، وضربت لهما السكة واقيمت لهما الخطبة ، ولما دخل توران شاه بن ايوب المسمى الملك المعظم الى اليمن مال علي بن حاتم الى حصن براش ، وعاد الى صنعاء بعد رجوع توران شاه الى اليمن الاسفل وانصرافه الى مصر ، ثم لما دخل الى اليمن المتسمى بالملك العزيز سيف الاسلام طغتكين بن ايوب اقام السلطان علي بن حاتم بصنعاء حتى عمر الحصون الرفيعة ، وشيد المعاقل المنيعة، كذمرمر الحصن المشهور المنيع الرفيع ، السامي على كل طود منيع ، والعروس والفصين، وغيرهما من الحصون، وشحنها وحصّنها ثم ارتفع اليها ، وحل حصن ذمرمر هو واخوه السلطان بشر بن حاتم ، وفرّق اولاده واولاد اخيه في الحصون، وملك صنعاء طغتكين بن ايوب ، والحديث في ذلك يطول ان اخذ فيه ، ولم نقصد اليه فنستقصيه ، وبقي في ايدي بني الصليحي من معاقل اليمن المشهورة حصن اشيح وحصن قيظان الى ان ازالهم طغتكين بن ايوب المكني سيف الاسلام .

وقد ذكرنا تغلب عبد المجيد وادعائه الخلافة والامامة وامرة المؤمنين ، وانكار الحرة الملكة السيدة ذلك ، ودخول المتسمى بالقاضي الرشيد الى اليمن وافساده لسلاطينها ، واضلاله لكثير من ذوي بسطتها وتمكينها ، فتوالت عبد المجيد قلوبهم ، وكثرت به ذنوبهم ، ووقع الاختلاط في الناس ، وصار بناء دينهم على غير اساس، ووقع واقع الستر ، واختفى ولي الامر ، فلم يعرف مكانه الا الاولياء المخلصون، الذين لا يحيدون عن ولائه ولا ينكصون ،فمكث عبد المجيد في القاهرة مدة ايامه ،واقام بها الى ان وافاه نازل حمامه ، فاجتمع وزراء اهل الدولة، واهل الغلبة منهم والصولة ، فاقاموا ابنه الظافر اسماعيل بن عبد المجيد ونحلوه امرة المؤمنين ، وخالفوا في النص امر الدين ، وما استمر عليه صفوة الله من انبيائه وائمة دينه الهادين، وذلك في سنة اربع واربعين وخمسمائة ، وكان التقديم والتأخيرفي الدولة للملك الصالح ، ولم يكن لابن عبد المجيد من الامر الا اسمه ، والى الصالح عقده وحكمه ، وكثر الجور وانبساطه ، وعظم الافك واختلاطه ، وقل المؤمنون ، واستتر المتدينون، وعظم البأس ، واشتد اليأس ، وخفيت نجوم الدين واقماره ،وخمل اوليائه وانصاره ، وما خلى الدعوة في جزيرة اليمن فانه قام عمودها ، وعادت قشيبة برودها ، واهتدى الى الخيرات مريدها ، واقام الداعي الذوئيب معالمها ، واحي مراسمها ، ولم تطل مدة الظافر حتى جرت بينه وبين الملك الصالح الوحشة ، وسعى السعاة بينهما بالفساد والحرشة ، فدس الصالح من كمن للظافر في بيت الخلاء ، وقتل هنالك في الخفية وغفلة الملاء ، فلما وجد هناك قتيلا مضرجا بدمه ، واشتهر عند اولياء دولته وحشمه ، اشاع الملك الصالح ان اخا الظافر هو الذي كان بيده قتله ، وامر به فقتل ليخلو له الامر كله ، ولا يعارضه معارض في الملك الذي في يديه عقده وحله ، وعمد الى طفل صغير ولد الظافر وهو الفائز عيسى بن اسماعيل الظافر بن عبد المجيد الحافظ بن محمد بن المستنصر بالله عليه السلام ، فحمله على جنبه وقال لاهل الدولة هذا مولاكم فالتزموا به ، فعند ذلك صاح الذين حوله صيحة يظهون الجذل والسرور ، فبهت لذلك الطفل لكثرة الاصوات حوله واراق على ظهر حامله بوله ، واعتراه لذلك علة لازمته كان لها يسقط مغشيا عليه ، ويفارق عقله وذهنه لما اصابه وحل لديه ، وعمد به الصالح الى سرير الخلافة فاقعده على ذروته ، واحضر اولياء الدولة فامرهم ببيعته، ووسمه بامرة المؤمنين ، وكتب بذلك الى ابعدين من اعمال المملكة والاقربين ، وذلك في سنة احدى وخمسين وخمسمائة ، واقام في الدولة لا يحل ولا يعقد ، ولا يصدر ولا يورد، بل في شغل لما اعتراه من الزمانة والعلة ، شغل بها ان يلي عقد الامور وحله ، وكثر لذلك الاضطراب، ووقع في المملكة الخراب ، وكثر به الريب والارتياب ، ونسخت احكام الدعوة الهادية وعطلت ، وتركت وبطلت، وعاث الناس في المملكة وافسدوا ، وغلبت الشيعة واضطهدوا ، ولما مات الفائز بن الظافر ، وحمل من القصور الى المقابر ، سعى ارباب الدولة في اقامة ابن عمه الموسوم بالعاضد عبد الله بن يوسف بن عبد المجيد الحافظ فاقاموه في الخلافة ، فادعى امرة المؤمنين وكتب بذلك الى القاصين والدانين، في سنة خمس وخمسين وخمسمائة ، واستوزر الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن ايوب وملكه ،وفوض اليه جميع ما حازه وملكه ، فقام الملك الناصر بامر الملك وشده ، وتولى حله وعقده ، وحمى اطرافه، ومنع اكنافه ، ودعى للعاضد بالامامة والخلافة ،

ثم ان الملك الناصر رأى الامور قد انقلبت ، وتحقق ان بني عبد المجيد على الخلافة بغير حق قد تغلبت، وائمة الحق استترت فلم يعلم حيث حلت وذهبت، فازداد طمعه في الملك مع انه كله قد صار اليه، ولم يقنع نفسه الا ان يصير الامر ويعول جميعه عليه، فجرت وحشة بينه وبين العاضد ، وقعد عن الوصول اليه الى قصر القاهرة كما جرت عليه العوائد ، ووافق ذلك مرض العاضد الذي مات فيه ، واشتدت به العلة فامر الى الناصر بن ايوب يوافيه ، وكان في غرضه يخصه ويوصيه ، فخافه يوسف الناصر على نفسه ، وخشي ان يكون دبر على قتله او حبسه ، فحين صحت وفاته ندم ان لو اتاه وعلم مراده ، وكانت وفاته في سنة ثماني وستين وخمسمائة ، ومدة اقامته في الدولة ثلاث عشرة سنة وثلاثة اشهر وسبعة ايام ،

وزالت الدولة العلوية ، فسبحان من لا يزول ، ولا يغيره الحؤل،

واستولى الملك الناصر يوسف بن ايوب على المملكة في مصر والشام ، واصله من تكريت، وبذلك كتب الى ابن اخيه اسماعيل المعز بن طغتكين بن ايوب ، والمعز باليمن وقد سمي بامرة المؤمنين ، وادعى انه من بني امية ، فقال له انما نحن قوم من اهل تكريت ، انعم الله علينا ،

قال ابن حوقل : تكريت مدينة بالعراق علىدجلة اكثر اهلها نصارى ، مطلة على جبل شاهق ، وباعلاه قلعة ذات مساكن، وعليها سور حصين، وبها بيع وديارات من عهد عيسى عليه السلام، ومنها شق نهر دجيل الآخذ من دجلة ، هذا قوله ، وقد ذكر الشريف الزيدي في كتاب كنز الاخبار انها لما انقطعت دولة العاضد بموته وجد بعده ما لم يوجد بعد الملوك من الفصوص الغالية الثمن مثل انصاب الزمرد وغيره مما لم يسمع بمثله ، وذلك من ذخائر الائمة عليهم السلام ، قال ووجدوا في الموضع الذي يقرب من فراش العاضد طبلا قد علق فظنوه للهو ، فاخذه بعضهم وضرب فيه فحبق ، وما زالوا على ذلك وكل من ضرب به كثر حباقه ، فكسروه ثم علموا بعد ذلك انه استعمل لوجع القولنج، وان من اصابه الوجع وضربه تنفس بالريح ، فندموا على كسره ،

وقال الداعي الاجل محمد بن طاهر الحارثي حين بلغه انقطاع امر العاضد من ابيات :

عبد المجيد مضى وباد الظافر \* وانهد ما شادوا وبدن مآثر

والفائز الزمن العليل كبى به \* عما يؤمل فيه دهر عاثر

والعاضد ابن العم شتت شمله \* واباح محرمه العدو الكاثر

يا للعجائب كيف صاحت صيحة \* فيهم ودارت بالهلاك دوائر

ويقول يخاطب الفرقة المجيدية :

اين المموه كل زور في الورى \* والشاهد العدم الغوي الزائر

والناكصون معا على اعقابهم \* تبعا لما اسـس اللعين الفاجر

اودى بهم مرض النفوس فجاحد \* عهد الولي وناكث ومناكر

زلت بهم قدم النفاق فقهقروا \* فالكل عن نهج الهداية جائر

جهلوا خفيات الامور فخالفوا \* النص الجلي وما نحاه الآمر

وتخلفوا عن حاتم ودعاته \* تبا لهم وهو الطبيب الماهر

داعي الجزيرة وابن داعيها الذي \* فخرت محاريب به ومنابر

مبدي حقائق علم آل محمد \* منه وما اشتملت عليه سرائر

هو حجة الله فينا شاهد \* عدل لدينا لا يفند حاضر

وقال الشاعر عمارة اليمني يرثي الائمة الطاهرين عليهم السلام ويذكر ملكهم :

هي الطلول ولي فيها علامات \* من بعد ما قيل لي اهل العلى ماتوا

مات الكرام وبادوا وانقضوا ومضوا \* ومات من بعدهم تلك الكرامات

وخلفوني في قوم اولي بخل \* لو عاينوا طيف ضيف في الكرى ماتوا

لم يوجد تمام القصيدة هكذا في الاصل طره

وقال عمارة يرثي اهل الدولة العلوية بعد زوالها عن مصر :

رميت يا دهر كف المجد بالشلل \* وجيده بعد حسن الحلي بالعطل

سعيت في منهج الرأي العثور فان \* قدرت من عثرات الدهر فاستقل

جدعت مارنك الاقصى فانفك لا \* تنفك ما بين نقص الشين والخلل

هدمت قاعدة المعروف عن عجل \* سعيت مهلا الا تمشي على مهل

لهفي ولهف بني الآمال قاطبة \* على فجيعتها في اكرم الدول

قدمت مصرفاولتني خلائفها \* من المكارم ما يربي على الامل

قوم عرفت بهم كسب الالوف ومن \* كمالها انها جاءت ولم اسل

وكنت من عظماء الجيش حين سمى \* رأس الحصان يهاويه على الكفل

يا عاذلي في هواي ابناء فاطمة \* لك الملامة ان قصرت في عذلي

ونلت من وزراء الدست تكرمة \* ودخلة حرست من عارض الخلل

بالله زر ساحة القصرين وابك دما \* عليهما لا على صفين والجمل

وقل لاهلهما والله ما التحمت \* فيكم جروحي ولا قرحي بمندمل

فما ترى كانت الافرنج فاعلة \* في نسل آل امير المؤمنين علي

هل كان في الامر شيء غيرقسمة ما \* ملكتم بين حكم السبي والنفل

وقد حصلتم عليها واسم جدكم \* محمد وابيكم غير منتقل

مررت بالقصر والاركان خالية \* من الوفود وكانت قبلة القبل

فملت عنها بوجهي خوف منتقد \* من الاعادي ووجه الود لم يمل

اسلبت من اسف دمعي غداة خلت \* رحابكم وغدت مهجورة السبل

ابكي على ماثرات من مكارمكم \* حال الزمان عليها وهي لم تحل

دار الضيافة كانت انس وفدكم \* فاليوم اوحش من رسم ومن طلل

وفطرة الصوم ان اضحت مكارمكم \* تشكو من الدهر ريبا غير محتمل

وكسوة الناس في الفصلين قد درست \* ورثّ فيها جديد عنه وبلي

وموسم كان في فتح الخليج لكم \* يأتي بحملكم فيه على الجمل

واول العام والعيدين كان لكم \* فيهن من جود وبل ليس بالوشل

والارض تهتزّ في عيد الغدير كما \* تهتزّ ما بين قصريكم من الاسل

والخيل تعرض في وشي ومرسمه \* مثل العرائس في حلي وفي حلل

ولا حملتم قرى الاضياف من سعة \* الا طباق الا على الاعناق والعجل

وما خصـصتم ببر اهل ملتكم \* حتى عمّمتم به الاقصى من الملل

كانت رواتبكم للمعتفين وللـ \* ـضيف المقيم وللطاوي من الرسل

وللجوامع من احباسكم نعم \* لمن تصدّر في علم وفي عمل

والله لا فاز يوم الحشر ضدكم \* ولا نجى من عذاب غير منفصل

ووقعت الفترة باستتار امير المؤمنين الامام الطيب ابي القاسم ابن الامام الآمر والائمة من ذريته صلوات الله عليهم ، ودخولهم في كهف التقية وتركهم ما تغلب عليه الظالمون من الدنيا الدنية اقتداء باسلافهم من الائمة الطاهرين بعد الامام الحسين بن علي ابن ابي طالب عليه السلام حين تركوا ما تغلب عليه بنو امية وبنو العباس من ظاهر السلطان ، حين كثر اعوان الظالمين وقل لهم الانصار والاعوان، واشتد الاستتار، وعظمت محنة اولياء الله الاطهار، في اوان الامام محمد بن اسماعيل بن جعفر عليهم السلام وبعده حتى اطلع الله شمس الحق من غربها، واظهرها من حجبها،فتجلت انوار الهدى للمهتدين ، واحقب الله الظالمين والمعتدين ، ثم تطاول هذا الستر في امده وتغلب المفسدون في الارض ، وعمت الظلمة والظلم ليميز الله الخبيث من الطيب ويجعل الخبيث بعضه على بعض، وعلى ذلك جرت امور الدنيا من تعاقب الظلم الانوار ، كما نرى ذلك ونشاهده في الليل والنهار ، جريا على ما مضى فيما سلف من الادوار ، كما قال النبي المصطفى المختار ، عليه وعلى وآله صلوة العزيز الغفار ، فقد قال عليه السلام كائن في امتي ما كان في الامم السالفة حذو النعل بالنعل والقذة بالقذة

وقد وقعت الفترة في دور آدم عليه السلام بعد ان قتل قابيل هابيل الى ان قام شيث عليه السلام وهو السابع من ولد آدم كما قيل ، ثم كانت الفترة الى وقت نبي الله ادريس ، فاظهر الله نوره على ظلمة ابليس، ووقعت الفترة بعد اوانه الى ان بعث الله نوحا عليه السلام واهلك مخالفه بطوفانه ، واستمرت الفترة بعده وبعد وصيه سام حتى بعث الله نبيه هودا عليه السلام وعمت الفترة بعده حتى اظهرالله صالحا في ثمود ، وارسل الله خليله ابراهيم صلى الله عليه حنيفا مسلما وآتاه الله الكتاب والحكمة وآتاهم ملكا عظيما، وجعل بعده اسماعيل واسحاق ويعقوب ويوسف صلى الله عليهم وسلم تسليما ، وكانت بعدهم فترة عظيمة الى وقت شعيب نبي الله صاحب مدين، وخرج موسى خائفا يترقت حتى وافاه صلى الله عليهما وابتعثه نبيا فقام بالدعوة الى الله سبحانه واعلن ، وما زالت الفترة بعد وصيه يوشع حتى بعث الله داؤد عليه السلام وجعله خليفة في الارض موضحا للدين ، وورث سليمان داؤد وقال يا ايها الناس علمنا منطق الطير واوتينا من كل شيء ان هذا لهو الفضل المبين، وكانت بعده الفترة الى وقت زكريا ويحي ، وبعث الله عيسى بن مريم يبرء الاكمه والابرص ويحيي الموتى ، وكانت بعده فترة عظيمة حتى بعث الله محمدا خاتم رسله ، وارسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ، هذا ولم يخل الله الارض من انبيائه واوليائه فمنهم من اظهر الله فضله ، ومنهم من لم يعرفه الا قليل ممن عرفه الله محله ،

واما اولاد اسماعيل بن ابراهيم الخليل فلم يعرف فضل اهل الفضل منهم الا القليل حتى بعث الله منهم رسولا يتلو عليهم آياته ، واظهر لهم فضائله وبيناته ، واختصه الله تعالى بان بلغ رسالاته ، فكان في دوره كما كان في الادوار الماضية من الظهور والاستتار، ان في ذلك لآيات بينات فاعتبروا يا اولي الابصار، افنجعل الذين آمنوا وعملوا الصالحات كالمفسدين في الارض ام نجعل المتقين كالفجار،

وقد ذكر ايام الستر والظهور واشار اليها ودل ونبه عليها الامام احمد بن عبد الله بن محمد بن اسماعيل بن جعفر الصادق عليهم السلام ، في رسائله بعد ان ذكر الاوقات التي اتخذتها لها الحكماء اعيادا وجعلتها لها افراحا، تجتمع فيها للعبادة ونشر الحكمة هداية للنفوس وصلاحا ، الى ان قال عليه السلام :

واذا تأملت يا اخي ايدك الله وايانا بروح منه هذه الثلاثة الايام الفلسفية التي اتخذوها اعيادا وافراحا، وكان فرحهم الاكبر في الاول منها ، ودونه في الاوسط ، ودونه فيما يلي في الآخر يوم حزن وكآبة ، الى ان يستأنف الدور الآخر عند رجوع الشمس الى اول برج الحمل ، الى الاعياد الشرعية الاسلامية وجدتها موافقة لها، وذلك ان نبينا عليه السلام سنّ لامته في شريعته ثلاثة اعياد ، فالاول منها عيد الفطر وهو اعظم فرح يكون بخروج الناس من شدة الصوم الى الفطر كفرح اهل الارض بقدوم الربيع والخصب بعد ذهاب الشتاء ، ثم عيد الاضحى وهو يوم تعب ونصب، وربما كان في قيظ وحر ، ويكون الحاضرون عند الحج فيه شعث العيش ، ويكون نعيما ممزوجا بتعب ونصب، ويكون الفرح فيه دون فرح الاول ، كفرح الفلاسفة بالعيد الثاني من سننهم لما كانوا يستقبلون من بعده شدة من الصيف، ولكن فيه تدرك المعيشة من الثمار والحب، واليوم الثالث في السنة الشرعية يوم الوصية عند انصرافه صلى الله عليه وآله من حجة الوداع ، واما يوم الحزن والكآبة فهو يوم موته ، وشتات امته ، وانقطاع الوحي ، وفقدهم شخصه الكريم.

واعلم يا اخي ايدك الله وايانا بروح منه انا جماعة اخوان الصفا وخلان الوفاء احق الناس بالقيام بالعبادة الشرعية ومراعات اوقاتها واداء فروضها والتزام حقوقها وقراءة كتب تنزيلها وبيان تأويلها ، ومعرفة تحريمها وتحليها، لانا اخص الناس بها ، واولاهم بحملها ، واقرب الناس ممن جاء على يديه واولاهم به ، واحق الناس ايضا بالعبادة الفلسفية الالهية ، والقيام بها ، والاخذ لها ، والتجديد لما دثر من سننها ، فاذا اكملنا ذلك كانت لنا سنة ثالثة نتميز بها ، ونتخصـص بعملها ، ولنا نحن ايضا ثلاثة ايام نتخذها اعيادا ، ونأمر اخواننا بالاجتماع فيها والسعي اليها ، واعلم يا اخي ان اعيادنا هذه هي ايام ليست تشابه ايام اعياد الفلاسفة والاعياد الشرعية في الحقيقة لكن بالمثل ، لان اعيادنا نحن اعياد ذاتية قائمة بذواتها تظهر الافعال عنها وبها ومنها ، وهي ايضا ثلاثة اول واوسط وآخر ، والرابع اصعبها عملا واشدها فعلا ، وامثال هذه الاربعة الايام التي ذكرناها ووصفناها في الزمان بالحركات الفلكية ، وموجبات الاحكام النجومية ، الربيع والصيف والخريف والشتاء ، وفي الشريعة المحمدية والملة الهاشمية عيد الفطر وعيد النحر وعيد الوصية ويوم المصيبة به صلى الله عليه وآله ، ومن الصورة الانسانية ايام الصبا وايام الشباب وايام الكهولة وايام الهرم الذي بها ذهاب الشخص ومفارقة النفس ، ولذلك يبكى عليه ويكون عند اهله الغم والحزن والهم والاسف على فقده ، كما حزن اهل بيت النبوة لما فقدوا سيدهم ، وغاب عنهم واحدهم ، وتخطفوا من بعده ، وتفرق شملهم، وطمع فيهم عدوهم ، واغتصبوا حقهم وتبددوا ، وكان منهم ما كان في يوم كربلا ، وقتل من قتل من الشهداء ،ومن قبله ما نال احق الناس بمقامه ، ومن قتل من اجلة اصحابه من المصائب ، وكان ذلك سببا لخفاء اخوان الصفاء ، وانقطاع دولة اهل الوفاء ، الى ان ياذن الله عز وجل بقيام اولهم وثانيهم وثالثهم في الاوقات التي ينبغي لههم القيام فيها ، اذا برزوا من كهفهم ، واستيقظوا من طول نومهم ، واعيادنا يا اخي اشخاص ناطقة ، وانفس فعالة ، تفعل باذن ربها ما يوحيه اليها ويلهمها اياه من الافعال والاعمال ، فاليوم الاول من ايامنا والعيد الافضل من اعيادنا هو يوم خروج اول القائمين منا ، ويكون اليوم الموافق يوم نزول الشمس برج الحمل ومجيء الربيع والخصب، ونزول الرحمة والاظهار والاستبشار ، وهو يوم فرح وسرور لنا ولجميع اخواننا ، واليوم الثاني هو يوم قيام الثاني منا الموافق يوم قيامه يوم نزول الشمس اول برج السرطان في تناهي طول النهار وقصر الليل ، اذ كان به تصرم دولة اهل الجور وانقضائها، وهي الليل المظلم المدلهم ، وهو يوم فرح وسرور واستبشار، واليوم الثالث هو يوم قيام ثالثنا ، الموافق ليوم نزول الشمس اول برج الميزان، واستواء الليل والنهار ، ومفارقة الصيف ، ودخول الخريف ، وهو مقاومة الحق للباطل ، وكون الامر على خلاف ما كان عليه ، ثم اليوم الرابع يوم الحزن والكآبة ، يوم رجوعنا الى كهف التقية ، والاستتار ، وكون الامر على مثل ما نحن عليه في وقتنا هذا الى يوم البروز والخروج ، ورجوع الشمس بعد ذهاب الشتاء الى اول برج الحمل ، ذلك تقدير العزيز العليم ، وما منّا الا له مقام معلوم .

واعلم يا اخي ان في هذه المدة يميز الله الخبيث من الطيب ، ويرفع اهل العلم درجات لم يكونوا لينالوها الا بصبرهم واحتسابهم في ربهم جل اسمه ما يصيبهم ، فلا ينكروا ما ذكرناه من ان الزمان لا يدوم بصفائه ، لان الصفا انما يعرف بالكدر ، والعدل بالظلم ، والصحة بالسقم ، وانما صفا اخوان الصفا لما اخلصوا الصبر على البلوى في السراء والضراء ، ولم يسخطوا بالحكم والقضاء ، وسلّموا واستسلموا لربهم وانقادوا اليه بنفوس طيبة ساكنة مطئمنة ،

هذا قوله عليه السلام ذكر فيه اعياد الحكماء التي سنوها لتلاميذهم ووضعوها بينهم ، والاعياد الشرعية المؤسـسة في الملة الحنيفية ، ثم حقّق الاعياد الثلاثة الناطقة ، وذكر ظهور القائمين منهم ،

واولهم الذي كان به ابتداء الظهور بعد الستر والتقية والمحنة التي تطاول على الاولياء امدها وامتحنتهم ظلمتها وادلهمت ، وكان في ذلك الفرح والسرور ، والجذل والحبور ، وذلك ظهور المهدي بالله عليه السلام الذي وعد النبي صلع بظهوره على رأس الثلاثمائة صادعا بالحق ، معلنا بالصدق ، بقوله عليه الصلوة والسلام على رأس ثلاثمائة تطلع الشمس من غربها، فلم تر العيون شمسا طلعت من الغرب غير ظهور الامام عليه السلام الذي اشرقت القلوب بظهوره، وامتلأت من فرحه وسروره ، وكان ذلك من الازمنة كحلول الشمس برج الحمل الذي هو زهرة الربيع ، واقبال الزمان، وايناع الزهور ، وخضرة الاوراق والغصون، واعتدال الوقت ، وذهاب الشتاء وبرده ، وكيوم الفطر من الصيام وسغبه الذي هو اول الاعياد الشرعية ،

واليوم الثاني منهم هو ظهور المعز لدين الله صلوات الله عليه سابع اسبوعين ، ورابع اربعة ، الذي كان في وقته قوة الظهور، وعمومه بالضياء والنور ، وابتهاج الدعوة واهلها بعلمه المنشور ، وخوف الظالمين من سيفه المشهور، وهو الذي قوي في اوانه الامر، واستوثقت المملكة وفتح مصر ، وتصرم دولة اهل الجور ، الذين تعدوا بدعوى الامامة الطور، وهو اوان الفرح والسرور ، والجذل والحبور ، وذلك كحلول الشمس برج السرطان في تناهي طول النهار وقصر الليل، وهو كيوم الحج الى بيت الله الحرام ، وقضاء المناسك العظام ، اون الإشعار والاحرام ،

واليوم الثالث منهم هو قيام الامام معد ابي تميم المستنصر بالله صلوات الله عليه الذي في ايامه خطب له ببغداد ، وازيل العباسي عما ادعاه من الخلافة واستولت العساكر المستنصرية على البلاد ، وهو من الازمان كنزول الشمس اول برج الميزان، وحلول الخريف ، وايناع الثمار ودنو حصادها ، وفيه انتهت دعوة الامام عليه السلام الى غاية قوتها ، ثم ابتدأت الدولة العلوية في الانحطاط بعد العلو ، وسعى الباغون في الارض بالطغيان والعتو ، وذلك كالظهيرة التي هي غاية النهار ، ويبتدئ بعد ذلك الى زوال الشمس وابتدأ ميلها الى الغرب ونقض الانوار ، وهو كيوم النص في الاعياد الشرعية ، وقيام النبي صلع بامر الوصية حين اظهر الله امره، واعلى ذكره ، وجنحت شمسه الحقيقية الى الغروب ، ودنت نقلته صلى الله عليه وآله واوحى اليه بذلك علام الغيوب

واليوم الرابع هو يوم الحزن والكآبة وهو رجوعهم الى كهف تقيتهم واستتارهم بعد علو كلمتهم كما قال عليه السلام وكون الامر على مثل ما نحن عليه في وقتنا هذا ، اذ وقته عليه السلام كان وقت الستر والتقية، وعموم المحنة والبلية ، يشير عليه السلام الى وقوع هذا الستر ، وغيبة الامام الطيب عليه السلام واولاده اولي الامر ، كما قال داؤد النبي عليه السلام مثل ما كان سيكون ، وما علم سيعلم ، وما تحت الشمس شيء بجديد، وذلك لزوال النهار ، وغروب الشمس ودخول الليل ، وشدة ظلمته ، وكدخول الشتاء ، وصرام الزرع ، ودخول البرد ، وكمغيب النبي صلع وارتقائه الى العالم الاعلى ، وتغلّب المتغلبين على كرسي الخلافة ، ودفعهم من هو احق به اولى جريا على سنن الامم السالفة ، وقصدا كقصد طغاتهم للعتو والمخالفة ، ولا بد وان طال امد الليل من رجوع النهار ، وبعد تكاثف الظلمة من طلوع الانوار ، وبعد اشتداد المحنة من فرج يطلع طلوع الصبح بعد الليل الديجوجي ، فقد قال النبي صلع اشتدي يا ازمة تنفرجي ، وقد بشّر صاحب الرسائل عليه السلام بالظهور بعد الاستتار ، وذكر ما يكون من تبلج الحق وظهور الانوار ، حيث قال عليه السلام وكون الامر على مثل ما نحن عليه في وقتنا هذا الى يوم البروز والخروج ، ورجوع الشمس بعد ذهاب الشتاء الى اول برج الحمل ، وابان عليه السلام اوان الظهور قبل كونه ووعد به ، وذكر الستر كمثل ما كان في اوانه ، فكل ذلك قد كان كما ذكر عليه السلام ، وسيكون الظهور كما ذكر ، والبروز من حجب الاستتار ، اذ لا يزال يتعاقب الستر والظهور حتى ينقضي دور الستر ، ويزول الليل ، ويصير نورا كله ، ونهارا كله ، كما قال تعالى في كريم كتابه ، وشريف خطابه ، تعرج الملائكة والروح اليه في يوم كان مقداره خمسين الف سنة ،

والى ما كان من استتارالامام عليه السلام توجّه قول الامام الصادق جعفر بن محمد ع م حيث قال صلى الله عليه في بعض كلامه، يغيب في آخر الزمان امام تضل الامة من بعده ، حتى يقال مات وهلك ، في اي واد سلك ، ويكون المؤمن في دينه كالذي يخرط بيده القتاد ، قيل له فكيف حال من يطلب النجاة ، قال يلتزم بالاول الى ان يثبت الثاني ، فان اشد الناس عداوة لنا ولكم بنو فاطمة ، فان اتاكم ابن عمه وقال انه مرضغ وغمضه وحنطه وكفنه فلا تصدقوه ، هذا قول الصادق صلوات الله عليه

وفي ذلك يقول الداعي الاجل جعفر بن منصور اليمن رضوان الله عليه في سيرة ابيه ابي القاسم بن الفرح ، حيث قال :

واذا وقع استتار الامام لم يكن دعوته بمعدومة ولو في جزيرة من الجزائر ، بامره او بامر الناص عليه والمشير اليه ، فهو موجود بوجود حدوده الذين يدعون اليه ، ويدلون عليه ، ويقيمون دعوته ، واقامتها بوجود ثلاث مراتب ، الداعي المطلق والماذون المطلق والماذون المحصور ، واما الابواب والحجج ودعاة البلاغ فلا يفارقونه من وراء سجف الاستتار ، هذا قوله رضي الله عنه ارضاه .

فكانت دعوة الامام عليه السلام ظاهرة في هذه الجزيرة اليمنية ، معلنة بها دعاته وحدوده بين البرية ، وقد قال امير المؤمنين علي ابن ابي طالب صلوات الله عليه في كتاب الفترات والقرانات ، ان الامامة لا تنقطع عن العالم طرفة عين ، لانها الحجة على الخلق ، غير انه لم يبد في امر ولا نهي لفساد نيات اهل عصره ، وكثرة ما يكتسبه مستجيبوا اهل دعوته من الشكوك ، ويدعون ذلك انه الحق وهم عن الحق مبعدون، فيكون سكونه وانفراده وخروجه من بينهم مثلا على انقطاع الامامة من بينهم ، ويكون من في دعوته من المحقين الفائزين المنتظرين للفرج ، والداعين الى الله ، منهم تصل الى ابناء الحكمة مواده ، وبهم تثبت الحجة على الخلق، اذ كانوا متصلين به ، وانما انفراده وانقطاعه لهلاك اولي العناد والزيغ ، ومن حقت عليه كلمة العذاب ، فلذلك يدعو الصابرون من اهل دعوته ان يزيل منهم تلك المحنة ، ويرفع منهم النقمة ، بظهور الامام علانية ،

وليس قول الطيبية في الامام عليه السلام كقول الكيسانية في ابن الحنفية انه حي لم يمت ، وانه برضوى عنده عسل وماء ، ولا كقول الامامية الاثنا عشرية في محمد بن الحسن انه القائم المنتظر وانه لا يموت حتى يظهر ، بل قولها الحق ، واعتقادها الصدق ، ان الطيب ابن الآمر عليه السلام هو الامام بصحة النصوص من آبائه في واحد بعد واحد ، ومولود بعد والد ، حتى انتهى ذلك اليه ، ووضح فضله لديه ، وان الامامة جارية في عقبه ، متسلسلة في الائمة من ذريته ، وان الامامة غير منقطعة عن الارض لتقوم الحجة على جميع العباد ، كما قال تعالى لرسوله صلى الله عليه وعلى آله انما انت منذر ولكل قوم هاد ، وكما قال امير المؤمنين علي عليه السلام في حديثه لكميل بن زياد ، حيث قال الا وانها لا تخلو الارض من قائم لله بحجة ، اما كان ظاهرا موجودا ، والا خائفا مغمورا ، وهم على سترهم وانكتامهم عن اهل دهرهم معلومون عند بلغاء اهل دعوتهم ، يعرفونهم باسمائهم ، وواضح دلالاتهم ، واليهم اشار رسول الله صلع بقوله لابي هريرة : عليك يا ابا هريرة بطريق اقوام اذا فزع الناس لم يفزعوا ، واذا طلب الناس الامان من النار لم يخافوا ، قال قلت من هم يا رسول الله صفهم لي يا رسول الله حتى اعرفهم ، قال هم يخرجون في آخر الزمان ، يحشرون يوم القيامة حشر الانبياء ، اذا نظر الخلق اليهم ظنوا انهم انبياء مما يرون من حالهم ، يمرون مثل الريح والبرق يغشى ابصار الجمع من نورهم ، الى غير ذلك في خبر طويل ، يقول فيه : تركوا الحلال مخافة الحساب ، صحبوا الدنيا بابدانهم من غير ان يعلق منها شيء بقلوبهم ، يتعجب الانبياء والملائكة من طاعتهم لربهم ، طوبى لهم ، وددت ان الله جمع بيني وبينهم ، ثم بكى عليه السلام وقال يا شوقاه الى رؤيتهم ، اذا اراد الله باهل الارض عذابا فنظر اليهم صرف العذاب عنهم ، اولئك اخواني فطوبى لاخواني ، اذا نظر الله اليهم شرفهم وباهى كرام الملائكة بهم ، وقال في خبر آخر : هم الاصفياء الابرار ، ان شهدوا لم يعرفوا ، وان غابوا لم يفتقدوا ، يعرفهم اهل السماء ، ويخفون عند اهل الارض ، يشتاق بقاع الارض اليهم ، نعم الناس بالدنيا ونعموا بتركهم لها ، الا ان لهم الشرف الاعلى يوم القيامة، وددت اني رأيتهم ، وفي الله صحبتهم، فبقاع الارض بهم رحيمة والجبار عنهم راض ، فالراغب الى الله من رغب فيما رغبوا ، والخاسر من خالفهم ، تبكي الارض اذا فقدتهم ويسخط الجبار على بلد ليس فيها احد من اوليائهم ، وقال يا اسامة اتخذهم لنفسك اصحابا عساك تنجو معهم ، واياك ان تسلك غير طريقهم فتزل قدمك فتهوي في النار، في حديث طويل .

## واما ما جاء من معالم الظهور

فمن ذلك ما روي عن ابي جعفر محمد بن علي بن الحسين عليهم السلام انه قال : اذا قام قائمنا اهل البيت نزع البخل والجبن عن قلوب شيعتنا فيلقى الرجل منهم المائة ولا يبالي ، ويشرف اهل هذا الامر ويحفظ نسلهم الى ان تنقضي الدنيا ، ويتقرب الناس الى الامام بزيارة قبور المؤمنين ، ويزار قبر كل مؤمن من عهد رسول الله صلع في مشارق الارض ومغاربها ويقف المؤمن على قبر المؤمن فيقول يا اخي قد وددت انك كنت باقيا حتى تشهد هذه الدولة ، فقد كنت توالي اهلها وتناصب عدوها ، فبارك الله لك فيما انت فيه ، وثبتنا على ما كنت عليه

وعن مجاهد يرفعه وذكر اخبار مما يكون ، قال ثم يبعث قائم آل محمد في عصابة لهم ادق في اعين الناس من الكحل يفتح الله عليه مشارق الارض ومغاربها ، الا وهم المؤمنون حقا ، الا وان خير الجهاد في آخر الزمان، ومما يؤكد ذلك مما هو في معناه ما روي عن سلمان الفارسي رضي الله عنه مما آثره عن رسول الله صلع انه ذكر المهدي بالله عليه السلام فقال انه لقاتل الضالين ، ويقتل الزنادقة ، ولا يقبل منهم توبة ، ولا يأخذ منهم الجزية ، ولا يدع في الارض احدا على غير دين الاسلام الا قتله ، ويهلك الترك والخزر والديلم والحبش، ويؤتى بملوك الروم مصفدين في الحديد ، ولا يدع يهوديا ولا نصرانيا ، ولا يوجب لهم ذمة ، ويرد الناس جميعا على دين محمد وابراهيم عليهما السلام ، وقول رسول الله صلع الحق ونطقه الصدق ، وهذا مما ينتظر وقته واوانه ، ويكون في المستقبل زمانه

قال القاضي النعمان بن محمد رضوان الله عليه وارضاه ، فهذا مما ذكرنا انه يجري شيئا بعد شيء على يد المهدي بالله والائمة من ولده صلوات الله عليهم اجمعين ، وينسب اليه اذ هو اول من فتحه وقام به ، والى رسول الله صلع اذ هو صاحب الشريعة والملة ، وولي الائمة والامة ، وكل ما قيل انه يكون لبعض الائمة فلم يكن فيه فهو يكون في ولده من بعده ، وينسب ذلك اليه ،

وقد جاء هذا ايضا عن ابي عبد الله جعفر بن محمد صلوات الله عليه فيما رواه حمزة بن حمران عنه عليه السلام ، قال عددت عليه الائمة بعد رسول الله صلع واحد بعد واحد حتى بلغت اليه رضوان الله عليه، وشهدت ان الله عز وجل قد فرض طاعتهم ، فلما سميته اومأ بيده الى ان اسكت، فقال ما كانت الائمة على حال منذ قبض الله نبيه الا ومن سميته اولى الناس بالناس ، ثم قال اذحدثتكم في رجل منا بشيء انه يكون فيه فلم يكن فيه فهو كائن في ولده من بعده ، فهذا بيان ما ذكرته ومصداقه ، ويؤيد ذلك ويشده ويؤكده قول الله عز وجل في محمد رسوله صلع هو الذي ارسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون ، هذا وعد من الله عز وجل لرسوله صلع انجز له بعضه في حيوته بما اظهره عليه من الاديان، وينجز باقيه على ايدي الائمة من ذريته صلوات الله عليهم اجمعين.

ومن مثل ما رواه الحسن بن محبوب باسناده عن ابي عبد الله جعفر بن محمد صلوات الله عليه انه قال : اذا قام القائم منا عرض الايمان على كل ناصب ، فان دخل فيه بحقيقة والا ضرب عنقه ، او يؤدي الجزية كما يؤديها اهل الذمة اليوم ، ويشد على وسطه الهميان، ويطردهم من الامصار الى السواد ، وهذا مما لم يكن بعد ممن مضى من الائمة وهو كائن لمن يقوم منهم اذا دان له العالم ، وقوي امره ، وكان الدين واحدا كما وعد الله عز وجل .

ومما رواه زادن عن سلمان الفارسي رحمة الله عليه وذلك مما آثره عن رسول الله صلع انه قال لا يفتح بلخر ولا جبل الديلم ولا القسطنطنية الا رجل من بني هاشم .

قال القاضي النعمان يعني امام ذلك الزمان من ولد المهدي صلوات الله عليه ، ولم يكن ولا يكون امام من بني هاشم الا علي ابن ابي طالب صلوات الله عليه والائمة من نسله نسل رسول الله صلع وذريته من فاطمة الزهراء سيدة نساء العالمين. كما جاء ذلك فيما تقدم ذكره ، فلا يفتح تلك المواضع الا هم صلوات الله عليهم

ومن ذلك ما رواه الشعبي قال : اخبرني مالك بن صحار الهمداني قال غزونا بلنجر في خلافة عثمان فنكينا وجرح اخي ، فحملته بين يدي جريحا وقد انصرفنا ، واني لاسير يوما اذ ادركني رجل من خلفي فضرب على ظهري بسوط في يده ، فالتفت فاذا هو حذيفة اليمان فسلّمت عليه ، فقال من هذا بين يديك فقلت اخي صار مجروحا ، وقد رأيت ما لقيا في غزوتنا هذه ، ولكنا نرجو ان نفتحها من قابل ان شاء الله ، فقال حذيفة الذي يفتح الديلم وبلخر والقسطنطنية رجل من بني هاشم، بهم يفتح الله الامر وبهم يختم

قال القاضي النعمان رضي الله عنه، فما عسى انه فتح ويفتح من هذه المواضع وغيرها فلا بد ان يفتحه الفتح الكامل الذي لا يكون بعده دين غير دين الاسلام قائم ذلك الزمان من آل محمد صلوات الله عليه ، الذي يجمع الله عز وجل له امر العباد ، ويظهر دينه على الدين كله ، كما وعد الله سبحانه في الكتاب

ومن حديث وكيع بن جراح يرفعه الى النبي صلع انه قال ليفتحن القسطنطنية ولنعم الامير اميرهم ولنعم الجيش ذلك الجيش

قال القاضي النعمان بن محمد رضي الله عنه وارضاه والقسطنطنية بعد لم يفتح ، والذي يفتحهاكما جاء في الخبر قبل هذا قائم من الائمة من آل محمد صلوات الله عليه وآله

روي عن ابي صادق انه سمع رجلا يقول : فتح مهلب طبرستان ، فقال ابو صادق حكاه عن حذيفة مما آثره عن رسول الله صلع انه يفتح طبرستان والديلم ومدينة بلنجر وقسطنطنية رجل من بني هاشم

قال القاضي النعمان بن محمد قس فما فتحه المسلمون من هذه البلدان وغيرها فسلطان من كانت في يديه من المشركين وغيرهم قائم ، وامرهم ثابت ، يحاربون من افتتحها ، ويغلب هؤلاء مرة وهؤلاء مرة عليها ، وينال كل فريق منهم من الفريق الآخر، فليس ذلك يعد فتحا، وانما الفتح ما كان مع هلاك العدو والظهور عليه وحسم اثره ، وانقطاع مدته وخبره ، وزوال سلطانه ، وذلك ما يكون على ايدي اولياء الله الذين وعدهم الله عز وجل في كتابه انهم يرثون الارض ، وانه يظهر بهم دينه على الدين كله ، والله عز وجل هو ينجز لهم وعدهم ولا يخلف الميعاد ، فما جاء انهم يفتحونه وقد فتحه غيرهم من قبل ظهور امرهم وتمام وعد الله لهم فليس ذلك الفتح مما يعد فتحا حتى يكون الفتح لهم بهلاك اعداء الله اجمعين على ايديهم ، وايراثهم جميع الارض، وظهور دين الله على الدين كله ، كما وعد في كتابه وهلاك اعدائه ، وانقطاع امرهم، وانحسام ذكرهم ، وما كانوا به يدينون ، وآلهتهم وما كانوا يعبدون، وذلك هو الفتح المبين، كما قال اصدق القائلين لنبيه صلع وآله الطاهرين انا فتحنا لك فتحا مبينا ، وذلك فتح مكة عليه وظهوره على اهلها وانقطاع دينهم الذي كانوا يدينون، وعبادتهم وما كانوا يعبدون ، وكذلك وعد الله عز وجل عباده الصالحين ، وهم اولياء الائمة الطاهرين، ان يورثهم الارض ، ويظهر دينهم على الدين كله ولو كره المشركون، فهذا هو الفتح المبين ، والله عز وجل ينجز وعده ولا يخلف الميعاد .

ومما رواه غياث بن ابراهيم عن ابي عبد الله جعفر بن محمد صلوات الله عليه انه قال ولو كان لي من الامر شيء لهدمت كل بناء يحول بين الصفاء والمروة ، ولا يكون ذلك الا على يدي رجل من بني هاشم

قال القاضي النعمان بن محمد قدس الله روحه : فما بين الصفا والمروة يسعى الحجيج ، واول من سعى فيه آدم عليه السلام ، فلما صار ببطن الوادي تراى له ابليس اللعين الذي اخرجه من الجنة ، وقد انحدر من الصفا يريد المروة ، فلما رآه سعى صلى الله عليه فصار السعي هناك سنة ، واحدث الناس بعد رسول الله صلع ابنية حالت بين الصفا والمروة ، فاخبر الصادق صلوات الله عليه ان ذلك مما احدثوه وابتدعوه وان هدمه من الواجب ، واخبر ان ذلك لا يكون الا على يدي رجل منهم ، فلم يكن ذلك الى اليوم وسيكون وشيكا لمن يظهره الله من ائمة الحق ان شاء الله

وروى الشعبي عن تميم الداري : انه قال ما دخلت مدينة من مدائن الشام احب الي من مدينة انطاكية، قال رسول الله صلع بها كسر الواح موسى ، ومائدة سليمان ومنبره ، وعصى موسى في غار من غاراتها ، فما من غمامة شرقية ولا غربية ولا جنوبية ولا قبلية الا اذا جازت ذلك الغار ارخت عليه من بركاتها لما فيه ، اما انه لا تذهب الايام ولا الليالي حتى ينزلها رجل من ولدي من عترتي يواطئ اسمه اسمي واسم ابيه اسم ابي ، اشبه الناس بي خلقا وخلقا .

وروى محمد بن سلام باسناده عن ابي جعفر محمد بن علي ع م انه قال اذا قام القائم منا نزل الى انطاكية فيستخرج منها التوراة من غار هي فيه مع عصى موسى والحجر

قال القاضي النعمان بن محمد رضي الله عنه قوله يواطئ اسمه اسمي واسم ابيه اسم ابي فكذلك جاء في غير موضع ان القائم بالامامة من آل محمد من ولد المهدي صلوات الله عليه الذي يجمع الله عز وجل له الامم، ويكون له الدين واحدا ، ويظهر الله عز وجل دينه على الدين كله ، كذلك اسمه محمد بن عبد الله ، وهذا لا يكون كما ذكرنا دفعة واحدة، بل يعلي الله عز وجل بالائمة من ولد المهدي صلوات الله عليه امره ودينه والايمان والمؤمنين شيئا شيئا ، ويفتح على يدي كل واحد منهم ما يفتحه حتى يكون الذي يدين له جميع اهل الارض ويفتح ما بقي منها ، ويقتل باقي من فيها من اعداء الله ، ويكون الدين كله لله كما اخبر عز وجل بذلك في كتابه ، ووعد عباده الصالحين ائمة دينه يوم تقوم القيامة ، ويكون النقلة من الدنيا الى الآخرة.

ومن رواية ابن سلام باسناده عن امير المؤمنين علي ابن ابي طالب صلوات الله عليه انه قال الفتن ثلاث، فتنة السراء ، وفتنة الضراء ، وفتنة يمحص الناس فيها تمحيص ذهب المعدن، ولا يزالون كذلك حتى يخرج رجل منا عترة النبي فيصلح الله عز وجل به امرهم ، ففتنة السراء ما افتتن الناس به بعد غيبة نبيهم ، واسروه من عداوة اهل بيته ، واستيلائهم على كرسي الخلافة ، وفتنة الامة حتى انتهى الىسم الحسن وقتل الحسين، فاستسر فضل الائمة ، وتغلب الفراعنة من بني امية ، ووقعت فتنة الضراء بتغلب جبابرة بني العباس ، واستيلائهم على الناس ، وقتلهم لذرية الرسول ، ونسل فاطمة الزهراء البتول ،وتتبعهم بالجور والعدوان، ونفيهم عن القرار والاوطان، فاستتر سابع الاتماء محمد بن اسماعيل والائمة من ولده حتى طلعت شمس الحق من غربها بعد الغروب ، وزال ما اعترى اولياء الله من ضر كضر ايوب ، وقام المهدي بالله عليه السلام والائمة من آله ، فاظهر الله بهم الحق منشورة اعلامه بمن الله وافضاله ن ثم كانت فتنة التمحيص باستتار الامام الطيب ابي القاسم امير المؤمنين والائمة من ذريته الطاهرين، ليمحص الله الذين آمنوا ويمحق الكافرين، والمحص في لغة العرب اخلاص الشيء ، يقول محصته محصا اي اخلصته من كل عيب، وسوف يصح وعد امير المؤمنين علي ابن ابي طالب عليه السلام، ويخرج من عترة الرسول من يجلي انواره دياجير هذا الظلام، وينشر الحق ظاهر الاعلام ، ويقام معالم الايمان والاسلام .

وروى شريك بن عبد الله عن جابر الجعفي عن ابي جعفر بن محمد ابن علي بن الحسين عليه السلام انه قام اذا قام قائمنا اهل البيت قسم بالسوية وعدل في خلق الرحمن البر منهم والفاجر ، من اطاعه اطاع الله ، ومن عصاه عصى الله ، ويستخرج التوراة والانجيل وسائر كتب الله من غار بانطاكية فيحكم بين اهل التوراة بتوراتهم ، وبين اهل الانجيل بانجيلهم ، وبين اهل الفرقان بفرقانهم ، ويخرج لها الارض كنوزها من الذهب والفضة ، فيقول يا ايها الناس هلموا فخذوا ما سفكتم فيه الدماء ، وقطعتم فيه الارحام ، ويعطي ما لم يعط احد قبله ، ولا يعطاه احد بعده ، اسمه اسم نبي يملأ الارض عدلا كما ملئت جورا وظلما .

قال القاضي النعمان بن محمد عليه الرحمة والرضوان : فهذا ما ذكرناه انه يكون لبعض الائمة من آل محمد عليهم السلام من ولد المهدي صلوات الله عليه ، وينسب ذلك اليه لانه اول قائم منهم ومفتاح امرهم .

وروى صفوان :قال قال ثابت يوما لابي عبد الله جعفر بن محمد صلوات الله عليه وانا عنده ياين رسول الله امنكم السفاح، فاطرق الارض مليا ثم قال منا السفاح ومنا النقاح ومنا الصديق ومنا الفاروق ومنها الهادي ومنا المهتدي ، ومنا من يهتدي به ، ومنا من تغرب الشمس على رأسه ويطلع من مغربها ، نحن ثلة الله ، منا اسد الله ، ونحن خزان الله ، يا ثابت ما نحن خزانه على ذهب ولا فضة ، ولكن على العلم المكنون، نحن دعائم الله، نحن ذخيرة الله، ورسوله ابونا الاكبر ، وعلي ابونا الاصغر ، وفاطمة امنا ، وحديجة بنت خويلد والدتنا ، وجعفر الطيار في الجنة عمنا ، وحمزة سيد الشهداء عم نبينا ، فمن ذا له حسب كحسبنا ، او نسب كنسبنا ، استودعنا الله سره ، وائتمنا على وحيه ، وعلمنا كتابه ، وانطقنا بحكمته ، فهذه حالنا عنده .

قال القاضي النعمان بن محمد رضوان الله عليه: فالذين سماهم هم الائمة منهم من قضى ومنهم من يأتي ، كنى عنهم بصفاتهم وافعالهم ، وقوله نحن ثلة الله الثلة في لغة العرب الجماعة ، ويقال لخاصة الرجل جماعة ، يعني انهم اهل الخاصة عند الله عز وجل الذين اختصهم بفضله

وعن ابي جعفر محمد بن علي صلوات الله عليه انه قال اذا قام قائم آل محمد اوتي عصى موسى ، واخرج التوراة من انطاكية ، ونزع الله الرعب من قلوب شيعته والقاه في قلوب عدوهم حتى يكون قلوبهم كزبر الحديد ، وحتى يدعو بالرجل فيضرب عنقه ، فيقال فيم قتلته ، فلا يكون قتله الا بعلمه ،ومن ذلك ما ورد في كتاب الفترات والقرانات ، وقد ذكر الائمة عليهم السلام حتى قال ثم يظهر من ولد المنصور فينشر العدل في الآفاق ، فويل لاهل مصر ، وويل لاهل الشام ، في كلام طويل ، ثم قال ويسير الى مكة ويقف بين الركن والمقام ويبايع الناس على اظهار دين الله واقامة شريعة جده محمد رسول الله صلع ، ولا يدع من يغيّر دين الاسلام ، وليصعدن منبر جده ، ولينصبن المشمسة بيده ، ويخرج منه نور على بين الخافقين، وهو يومئذ لتسع وثلاثين من عمره ، فهذه الدلائل والشواهد عن سيد النبيين، ووصيه الامين، والائمة من ذريتهما الطاهرين ، واضحة اعلامها ، بينة احكامها ، وكثير ما اوردوه في ملامحهم ، واوردوه في كتبهم ، ما لو استقصيناه لطال به الشرح ، وفيما اوردناه منه اوضح الدلائل ، وابين الشواهد، في البشارة بظهور الائمة عليهم السلام بعد استتارهم ، وتجليهم وتبلج انوارهم، وازالة الظلمة ، باستيلائهم على اهل الجور الظلمة ، وكشف ما عرى الامة ، فمن ذلك ما يكون لمن يقرب الله ظهوره ، ويجلي لاوليائه نوره ، ومن ذلك ما يكون لصاحب القيامة الذي يظهر الله به دين محمد نبيه على الاديان، ويجتث به عن جديد الارض شجرات اهل الجور والعدوان، ولا يبقى على الارض الا اهل الولاية والايمان، وقد قال بعض الائمة عليهم السلام كلنا قائم، وكلما مهدي ، وانها قد سدلت الظلمة ، وعم جور اولي الطغيان في الامة ، وقل اتباع اولياء الائمة ، فما اقل الرجال بالحقيقة رجال ، واكثر من هواشبه بالنساء في النقص عن ذوي الكمال ، وقد قال النبي صلع سيد اصحاب الكساء لا تقوم الساعة حتى يقل الرجال وتكثر النساء ، فقد قامت الشواهد بدنو قيام الحق واستشهاره علو اوليائه وانصاره ، ووافق القران، وقرب الزمان ، ودنى الاوان، فاستبشروا ايها الاخوان، وابشروا يا ذوي الايمان، ولا تقنطوا من نزول الرحمة ، وسبوغ النعمة ، لطول انتظارها ، وامتداد امد اختفاء اولياء الله واستتارها ، واعتبروا بما كان من الفترات في سالف الاعصار ، وما كان من ظهور انبياء الله واوليائه صفوة الله العزيز الغفار ، وانظروا الى ما كان بعد خاتم النبيين من تغلب اهل الظلم والطغيان، وما ناله معاوية بن ابي سفيان وابنه اللعناء من آل مروان ، وما نال الحسن والحسين وآلهما في تلك الازمان، وما عم اولياؤهم من الامتحان، حتى قام بنو العباس فكانوا اعظم عتوا وعنادا ، واكثر في الارض فسادا ، واظلم ظلما ، واشد اثما ، فاستتر اولياء الله وشيعتهم الاخيار ، وتتبع من بقي منهم بالقتل والاسر والنفي الى اقاصي الاقطار،

ثم جلى الله تلك الظلمة بطلوع شمس الغرب مهدي الامة ، وكاشف الغمة ، فاستولى علىالغرب ، وظهرت دعوته في البعد والقرب ، ونال الاولياء به ما املوه من نعمة الرب ، ثم كان في وقت اولياء الله من ابنائه الظهور والضياء، فانارت بهم آفاق الدين وتجلت الظلماء ، واستولى المنصور بالله على الدجّال، وقتل اتباعه من الخوارج المارقين في الوهد والتلال ، وما كان في وقت الامام المعز من الظهور والقوة ، والاستيلاء على مصر والشام وكيف اعز الله وليه واذل عدوه ، ثم ما كان في اوان العزيز بالله والحاكم بامر الله من قرار ملك ثابت الاركان ، وركب الحاكم سلام الله عليه في الف الف عنان ، وحاز المستنصر بالله عليه السلام ملك الغرب ومصر والشام واليمن ، وخطب له في الكوفة وبغداد مدة من الزمن ،

ثم عرى الستر بعد الظهور ، وكذلك دوائر الدهر تدور ، والدنيا دول ، والامر بيد الله عز وجل ، يؤتي الملك من يشاء ، وينزع الملك ممن يشاء ، وبيده تعالى الابلاء والانشاء ، ولله عاقبة الامور ، الذي بيده الملك وهو على كل شيء قدير ، الذي خلق الموت والحيوة ليبلوكم ايكم احسن عملا وهو العزيز الغفور، كذلك يكون الفرج عقيب الشدة ، والنور بعد الظلمة، فمن ادرك منا الفرج فقد نال الامنية، وادرك العيشة الرضية ، ومن وافاه قبل ذلك حمامه ، وانقطعت عن الدنيا ايامه ، وهو على يقين العقيدة وخلوص النية ، متواليا لاولياء الله خير البرية ، قائما باعمالهم الصالحة وسيرهم المرضية ، صابرا على ما اصابه من الامتحان في الدنيا الدنية ، فيا فوزه بما يقدم عليه في الاخرى ، ويا بشراه بما يصير اليه من النعيم الابدي الذي تترى ، كما قال الصادق جعفر بن محمد صلوات الله عليه لبعض شيعته يوصيهم ويبشّرهم ، وبما يفوزون به وينجيهم يأمرهم ، فقال لهم عليكم بالورع والاجتهاد ، وصدق الحديث واداء الامانة ، والتمسك بما انتم عليه ، فانما يغتبط احدكم اذا انتهت نفسه الى ههنا ، واومى بيده الى حلقه ثم قال لهم ان تعيشوا تروا ما يقر به اعينكم، وان متم تقدموا على سلف نعم السلف لكم، اما والله انكم على دين الله ودين آبائي ، اما والله ما اعني محمد بن علي ولا علي ابن الحسين وحدهما ، لكني اعنيهما واعني ابراهيم واسماعيل واسحاق ويعقوب ، وانه لدين واحد، فاتقوا الله واعينونا بالورع ، فوالله ما يقبل الصلوة ولا الزكوة ولا الحج الا منكم ، ولا يغفر الا لكم ، وانما شيعتنا من اتبعنا ولم يخالفنا ، اذا خفنا خاف ، واذا امنا امن ، اولئك شيعتنا ، ان ابليس اتى الناس فاطاعوه ، واتى شيعتنا فعصوه ، فاغرى الناس بهم ، فلذلك ما يلقون منهم.

فاتعظوا ايها الاخوان بمواعظ اولياء الله، والزموا سيرتهم ، وقوموا بما افترض الله عليكم اقتداء بهم ، واتباعا لسنتهم ، واهتداء بهدايتهم ، وامتثالا لامرهم ، فبذلك الفوز في المعاد ، والنجاة من عذاب الله الذي هو للظالمين بالمرصاد ، فمن فاته في الدنيا ما يروم ، وهو على الالتزام بهم والولاية لهم يقعد ويقوم ، فلا يفوته في الآخرة النعيم ،والخير الدائم المقيم ، وعلى قدر محبته واحتسابه ، يكون ما يرجوه من جليل نعم الله وجزيل ثوابه ، ومن امتحن في الدنيا بمحنها ، واصيب ببلائها وفتنها ، وابتلي بالجور فيه من الجبابرة ، وحلت من قبلهم معضلة او فاقرة ، فليذكر ما يحظى به ان صبر على ذلك في الآخرة ، وليقرأ قول الله تعالى في الكتاب ، انما يوفى الصابرون اجرهم بغير حساب ، وليعتبر باولياء الله وم نالهم من المحن، ومسّهم من اعداء الله ومن بهم افتتن، وليعلم ان قدره حقير في قدرهم ، وليصبر على ما مسه من البلوى كصبرهم ، ويعلم ان الدنيا دار البلاء والابتلاء، ومحل البأساء لاولياء الله واتباعهم الفضلاء .

وروي عن ابي عبد الله جعفربن محمد صلوات الله عليه ان رجلا من اصحابه شكى ما يلقون من الناس اليه فقال يا بن رسول الله ما ذا نحن فيه من اذى الناس ومطالبتهم لنا ، وبغضهم ايانا ، وطعنهم علينا ، حتى كأنا عندهم لسنا من المسلمين ، فقال له ابو عبد الله عليه السلام ، اوما تحمدون الله على ذلك وتشكرونه ، ان الشيطان لما يئس منكم ان تطيعوه في خلع ولايتنا التي يعلم ان الله عز وجل لا يقبل عملا من عامل خلعها اغرى الناس بكم حسدا لكم عليها ، فاحمدوا الله على ما وهب لكم من العصمة ، واذا تعاظمكم ما تلقون من الناس ففكروا في هذا ، وانظروا الى ما لقينا نحن منهم ونلقى ، وما لقي انبياء الله ورسله من قبلنا ، فقد سئل رسول الله صلع عن اعظم الناس امتحانا وبلاء في الدنيا ، فقال الانبياء ثم الائمة ، ثم الاول فالاول ، الافضل فالافضل ، وانما اعطانا الله واياكم ورضي لنا ولكم صفو عيش الآخرة ، ثم قال الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر، وما اعطى الله عبدا مؤمنا حظا من الدنيا الا مشوبا بتكدير ، لئلا يكون ذلك حظه من ثواب الله ، ليكمل له صفو عيش الآخرة

والآن نختم كتابنا بمابه فيه كان الابتداء فنقول :

الحمد لله على ما انعم واسدى ، واعاد وابدى ، واخفى وابدى ، حمدا يدوم دائما ابدا، ويتصل اتصالا سرمدا ، ولا ينقطع على المدى،

واشهد ان لا اله الا الله الها احدا صمدا ، لم يتخذ صاحبة ولا ولدا ، ولم يجعل له مما ابدع وخلق كفوا احدا ، ملكا روحانيا مجردا ، ولا بشرا جسمانيا مجسدا ، ولا شيئا غير ذلك مما كان في العوالم موجدا ،

واشهد ان خير انبياءه الذين بهم ارشد وهدى ، رسوله الذي ارسله الى جميع البرية بالهدى ، وسماه احمدا ومحمدا ، وانقذ اتباعه من الهلاك والردى ، وجعل بحر علمه لانبيائه واوليائه موردا، وكان له بجنود سمائه من ملائكته مؤيدا ، وصيره في اقامة دينه قويا ايّدا ،

صلى الله عليه صلوة لا تحصى عددا، يبقى له فضلها وشرفها مخلّدا ،

وعلى وصيه خير من تعمّم بعده وارتدى ، وارتقى في الفضائل والمفاخر صعدا ، وجدل من بارزه من العدى ، وجادل عن الدين من ألحد واعتدى ، علي ابن ابي طالب العالي قدرا وفضلا ومحتدا ، الذي اقامه الله من رسوله مقام هارون من موسى اخا ووصيا وخليفة وسيدا وعضدا ، واشجع من امتطى طرفا وانتضى مهندا ، وطعن وضرب في حومة الوغى موردا من كافحه مورد الردى ،

وعلى الائمة من ذريتهما اللاحبين لاتباعهم سبلا الى الهدى جددا ، الذين لم يزل بهم شرع جدهم مجدّدا ، كلمات الله التي لا تنفد وان كان البحر لها مددا ، وآياته البينات لمن آمن واهتدى، وحججه القاطعات لمن ألحد واعتدى ، الذي لا يخلو الارض من قائم لله بحجة منهم هاديا ومرشدا ،

وعلى خلفهم الطيب اصلا وفرعا ومولدا، المتلفع بحجب الاستتار وآله الطاهرين الى ان يبلغ وقت ذلك امدا ، تمحيصا للعباد المخلصين واملاء لمن طغى متمردا ، سنة الله التي خلت في عباده ولن يجعل الله سبحانه الليل سرمدا ، صلوات الله وبركاته وسلامه عليهم ما راح رائح واغتدى

حسبنا الله ونعم الوكيل ، ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم

1. في ابن هشام : ليعصعقن بالصاد والقاف [↑](#footnote-ref-1)
2. في ابن هشام : المعيمة بالعين [↑](#footnote-ref-2)
3. في [↑](#footnote-ref-3)
4. في ابن هشام : اكل هذا قرق مني [↑](#footnote-ref-4)
5. في ابن هشام زيادة على هذه الابيات: إذا قيل من خير هذا الورى قبيلا و أكرمهم أسرة

   ‏أناف لعبد مناف أب و فضله هاشم العزة

   ‏و خير بني هاشم أحمد رسول الإله على فتره [↑](#footnote-ref-5)
6. في ابن هشام : واقام بالعطن... [↑](#footnote-ref-6)
7. في ابن هشام هذه الابيان زيادة :

   نحن قتلناكم على تأويله \* كما قتلناكم على تنزيله

   ضربا يزيل الهام عن مقيله \* ويذهل الخليل عن خليله [↑](#footnote-ref-7)
8. في صفحة اخرى ان عائشة لما وعظها ام سلمة رض الله عنها امرت مناديها فنادى ان من اراد المسير مع طلحة والزبير فليسر فان ام المؤمنين قاعدة ، فلما سمعوا مناديها تثاقلوا عن المسير ، فدخل عليها ابن الزبير وقال لها القول الذي ذكر فامرت مناديها فنادى في الناس من اراد المسير مع طلحة والزبير فليسر فان ام المؤمنين سائرة وتجهزت للمسير وسار الناس معها على ما ذكر [↑](#footnote-ref-8)
9. هكذا التاريخ في دعائم الاسلام الجلد الثاني [↑](#footnote-ref-9)
10. مسرات ما مولانا المقدس رض يه فرمايو : ولنسطر ما هيأ لله للامام المعز لدين الله صلوات الله عليه من فتح شرق الارض بعد غربها ، فحق بذلك قوله عز من قائل واشرقت الارض بنور ربها ، ومعظم نا نسطر من كتاب عيون الاخبار للداعي الاجل المسمّى ادريسا ، الذي كان في دعوة مسيح الامة راهبا قسيسا، اعلى الله قدسه ، ورزقنا شقاعته وانسه ، وجعلنا ممن اقتبس نور الاخبار من سناه ، وجنا جنا الجنة من جناه ، والبعض منه ماخوذ من بعض كتب التواريخ والسير ، وهو القليل اليسيرفيما سطر ، وما الذّ هذا الذكر على اسماع اولي الاسماع والابصار واطيبه، وما افرحه لقلوب شيعة الائمة الابرار واطربه ، قال قس : واما امر مصر.... [↑](#footnote-ref-10)
11. مسرات ما مولانا المقدس رض ههنا زيادة لايا : وذكر بعض المؤرخين وجوهر رباه المعز لدين الله ابو تميم معد وكناه بابي ا لحسن ، وعظم محله عنده في سنة سبع واربعين وثلاثمائة وصار في رتبة الوزارة ، فصيره قائد جيوشه ، وبعثه في صفر منها ومعه عساكركثيرة فيهم الامير زيري بن مناد الصنهاجي وغيره من الاكابر، فسار الى تاهرت ، واوقع بعدة اقوام ، وافتتح مدنا ، وسار الى فاس فنازلها مدة ولم ينل منها شيئا ، فرحل عنها الى سجلماسة ، وحارث ثائرا فاسره بها ، وانتهى في مسيره الى البحر المحيط ، واصطاد منه سمكا وبعثه في قلة ماء الى مولاه المعز ع م واعلمه انه قد استولى على ما مرّ به من المدائن والامم ، حتى انتهى الى البحر المحيط ، ثم عاد الى فاس فالح عليها بالقتال الى ان اخذها عنوة ، واسر صاحبها وحمله هو والثائر بسجلماسة في قفصين مع هدية الى المعز ع م ، وعاد في اخريات السنة ، وقد عظم شانه وبعد صيته . [↑](#footnote-ref-11)
12. مسرات ما مولانا المقدس رض ههنا زيادة فرمايو : وامر المعز ع م بافراغ الذهب في هيئة الارحية وحملها مع جوهر على الجمال ظاهرة [↑](#footnote-ref-12)
13. مسرات ما مولانا ا لمقدس ههنا فرمايو : قال الحسن ابن ابراهيم ابن زولاق في سيرة القائد جوهر : فسئل التاجر عن مسيره فقال سرت في العسكر الى برقة ،فكان المعز عليه السلام قد تقدم كتابه الى عبده افلح صاحب برقة ان يترجل للقائد جوهر ويقبل يده ، فلقيه ماشيا وفعل ما امر به وتركت العساكر ببرقه وسرت الى مصر ، وكان افلح قد بذل مائة الف دينار وتعفى عن الترجل ، فما اجابه المعز عليه السلام الى ما طلب ، هذا جميع حديث التاجر ، فلما سمعت الجماعة اضطربت وهلعت ،

    وقال بعض المؤرخين : وخرج يعني المعز لدين الله صلوات الله عليه يشيع جوهرا بنفسه وامر اولاده واخوته الامراء وسائر اهل الدولة ان يمشوا في خدمة جوهر وهو راكب ، وكتب الى سائر عماله يأمرهم اذا قدم عليهم جوهر ان يترجلوا مشاة في خدمته . ...وكان افلح من برقة قد وطأ البلاد ، واستعمل الجهاد .... برقة نا باره ما ابن حوقل البغدادي نو بيان جه عيون ما ههنا موجود مولانا المقدس مسرات ما ليدو نتهي. [↑](#footnote-ref-13)